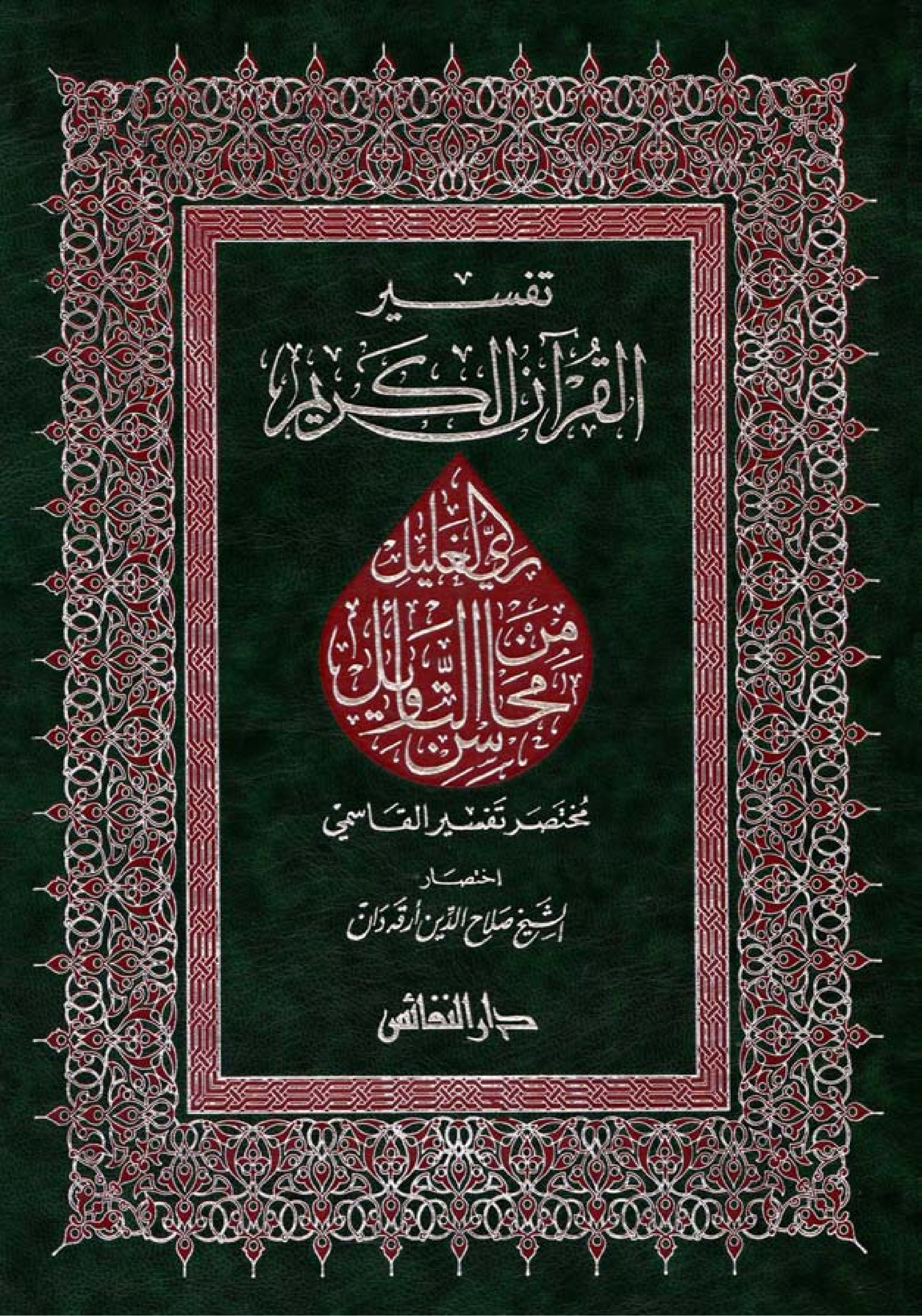
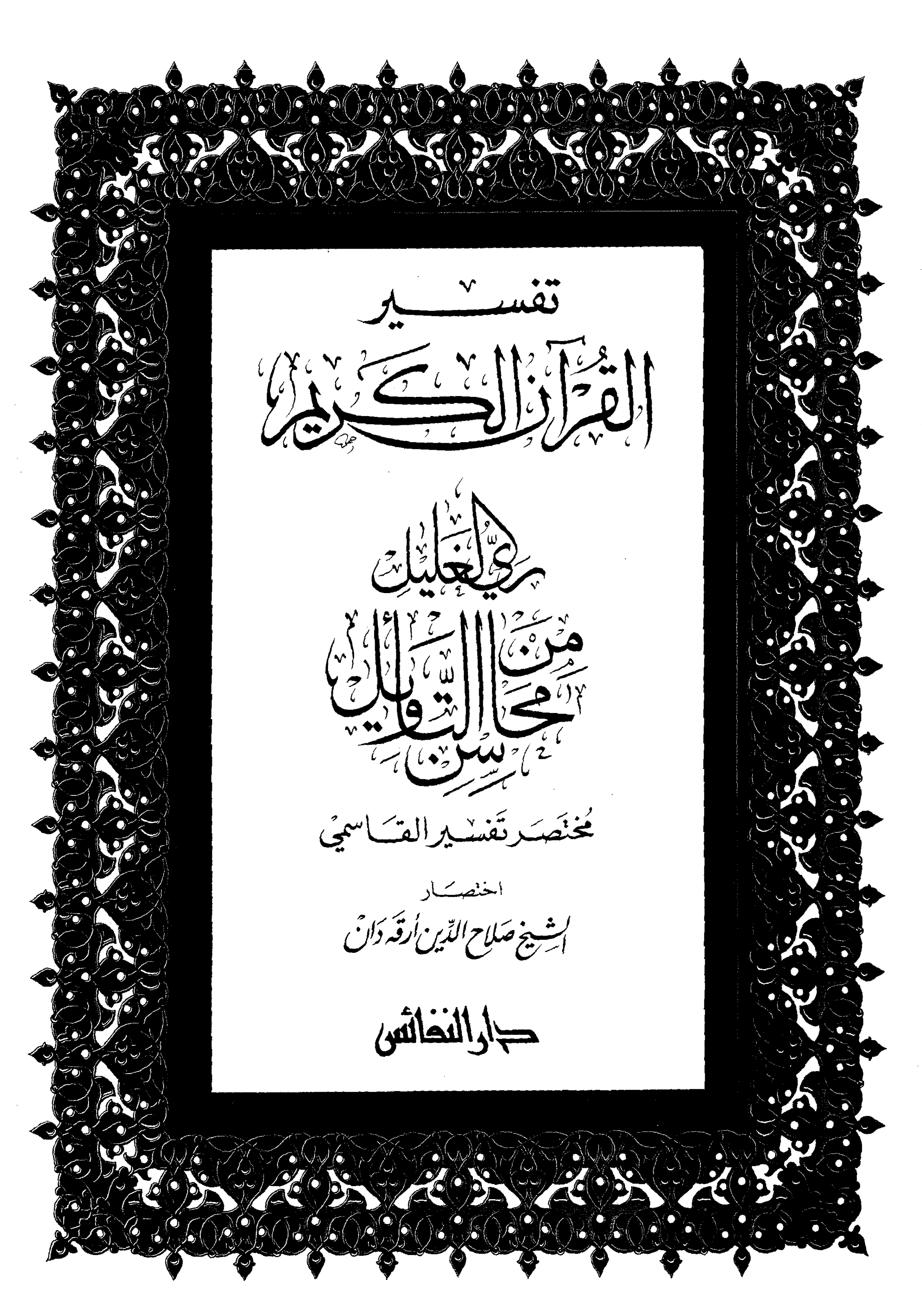


تفسير
القرآن الكريم
روائع التأويل
من محاسن التأويل
مختصر تفسير القاسمي
اختصار
الشيخ صلاح الدين أرقه دان
دار النفائس



تفسير القرآن الكريم

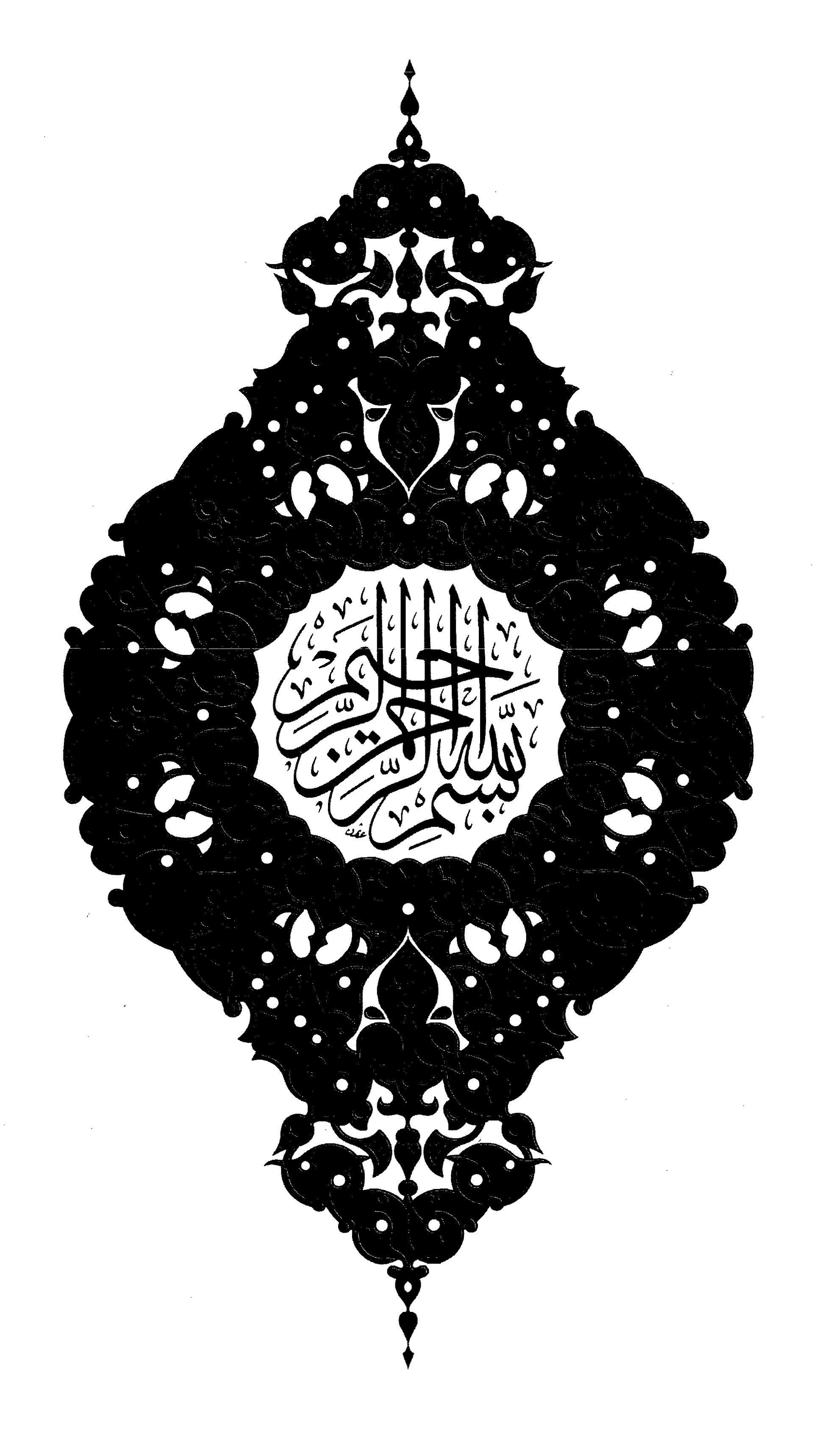
رَيُّ الغليل من محاسن التأويل

مختصر تفسير القاسمي

اختصار

الشيخ صلاح الدين أرقه دان

دار النفائس


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الناشر

الحمد لله الذي أنزل القرآن على رسوله الأمين بلسان عربي مبين، وضمَّنه شريعة المسلمين، فوجب فهمُه عليهم وعلى من رغب بمعرفة الدين. والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين وأول المفسرين، الذي كان يبيِّن لصحابته رضي الله عنهم ما أشكل عليهم فهمُه، وغاب عنهم مقصدُه من التنزيل.

فالقرآن الكريم إنما أُنزل ليُفهَم ويُعمل بما جاء فيه. وسَهُلَ على الرعيل الأول من المسلمين، في أغلب الأحيان، فهم معانيه، وإدراك مقاصده، لما توافر لهم من معرفةٍ بلغة العرب ووقوفٍ على أسباب النزول. ولكن تقدم الزمن، وتراجع الفصحى، والجهلَ بأسباب النزول، جعلت من المستحب أن يطبع القرآن وعلى هوامشه تفسير يُسهِّل فهمه ومعرفة معانيه. وبخاصة أن بعض القرآن لا يُعذَر أحدٌ بجهالته. فقد روي عن ابن عباس قوله: «التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته. وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. فمن ادعى علمه فهو كاذب»[1].

لذلك حرصت على أن تتضمن صفحات أول مصحف تطبعه «دار النفائس» تفسيراً ميسَّراً يوفر للقارىء، على أقل تقدير، التفسير الذي تعرفه العرب من كلامها، والتفسير الذي لا يعذر أحدٌ بجهالته.

وبعد تفكيرٍ طويل، واطلاع على تفاسيرَ عدَّة، هداني الله عزَّ وجل إلى تفسير القاسمي «محاسن التأويل» فرأيت أنَّه من المفيد اختصاره ليصبح في متناول عامة الناس وخاصتهم. وملتُ إليه بالذات لأن القاسمي[2]، رحمه الله، من المتأخرين، فاطَّلع على تفاسير السابقين من أعلام المفسرين، وعرف ما تخلَّلها من غثٍّ وثمين، فضمَّن تفسيره الكثير من نوادر الفوائد والفرائد، واختار أصحَّ الآراء وأدقَّها. ولأنه يحسن مخاطبة أبناء هذا العصر، فقد عاش ما بين (١٢٨٣ ـ ١٣٣٢هـ = ١٨٦٦ ـ ١٩١٤م). ومن ميزاته أيضاً أنه لا يكتفي بنقلِ آراء غيره، بل يرجح بينها، ويختار منها، وربما خالفها كلها وذكر رأيَه بلا لَبس أو غموض. فهو صاحب رأي وفكر، وهو من أتباع منهج السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

حدثت الشيخ الأديب الأريب صلاح الدين أرقه دان برغبتي في أن يختصر هذا السفر الجليل، فوافق مشكوراً، واتفقنا على المنهج التالي:

١ ـ بما أن القاسمي يذكر آراء كثير من المفسرين، ويستطرد أحياناً، ويتوسع في الأحكام، ويورد آراء الفقهاء على اختلافها، فقد أخذنا رأيه فقط، أو الرأي الذي رجَّحه.

٢ ـ على الرغم من الاستطراد والتوسع، فقد يقفز أحياناً عن تفسير بعض الآيات ظنّاً منه أن القارىء يعلم معانيها ومراميها. ولاستكمال الفائدة اقتبسنا تفسيرها من تفاسير أخرى ووضعنا ما أخذناه بين معقوفتين [ ] مع ذكر المصدر.

٣ ـ ذكرنا أسباب النزول عند ضرورتها لفهم المعنى فحسب، وابتعدنا عن التوسع فيها، وعن الإسرائيليات التي اختلطت بأسباب النزول في كثير من الأحيان.

---

(١) القاسمي: محاسن التأويل، ج١، ص ٢١، ط٢، دار الفكر بيروت.

(٢) انظر ترجمته في «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» ص٩، ط١، دار النفائس، بيروت.

٤ ـ بذلنا جهدنا لأن يأتي تفسير كل صفحة من صفحات المصحف على هوامشها ذاتها، فلا يضطر القارىء إلى الرجوع إلى صفحة أخرى لمراجعة المعنى.

٥ ـ رقَّمنا الآيات في التفسير بأرقامها في المصحف، ووضعنا الرقم في بداية الآية، وابتدأنا كل آية بسطر جديد، إلا في حالات نادرة، اضطرنا حجم المادة، بالنسبة إلى الصفحة، ألاّ نبدأ بعض الآيات بسطر جديد، ففضلنا ذلك على متابعة التفسير في الصفحات التالية لأن ذلك أفضل للقارىء وأيسر.

٦ ـ اعتمدنا الكتابة الإملائية في التفسير لِنُسَهِّل القراءة على القارىء الذي اعتاد الإملاء العادي، فيتعلم كتابة القرآن التوقيفية وقراءته بملاحظة الفارق بين كتابة بعض الكلمات في التفسير وفي نص القرآن الكريم الذي بين يديه.

وكانت طريقتنا في العمل أن يختصر الشيخ صلاح عدداً من الصفحات، ويدفع إليَّ بما يختصره، فأقرؤه وأدوِّن بعض الملاحظات، ثم نلتقي فنقرأ المختصر، ونتبادل الرأي في الملاحظات، ونثبت ما اتفقنا عليه. ولكن أموراً خاصة بالشيخ، وفّقه الله وزاد في علمه، اضطرته إلى مغادرة لبنان ونحن في منتصف العمل. فاقتضى ذلك متابعة الطريقة المعتمدة بالمراسلات مما أخَّر إنجاز العمل سنوات.

وبعدما اطمأن القلب إلى الصيغة النهائية للمختصر بدأت عملية التنضيد، واقتضى تنفيذ المنهج وخروج التفسير بهذه الحلّة البهية بذل جهد غير عاديّ، ومن أشخاص إضافيين؛ فساهم في تصحيحه، بالإضافة إلى مصححي الدار، الشيخ مروان الشعار، وكانت له ملاحظات قويمة أخذنا بمعظمها.

وقد صمم الإطار الداخلي ووضع زخارف الصفحات الأولى الفنان سعيد الشريف، فلهم جميعاً ولمن ساهم في تنضيد حروفه وطبعه شكري وتقديري، سائلاً الله عزَّ وجل لهم جميعاً حسن الثواب، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

أحمد راتب عرموش

مقدمة

الحمدُ لله نحمده ونستعينـه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتـوكل عليه ونثني عليه الخير كله، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئـات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله. . . أما بعد. . .

فإن خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. . .

ومن فضل الله تعالى أن أنزل خـاتم كتبه على خاتم أنبيائه بشيراً ونـذيراً، وسخَّر من أهل العلم من يحمل كتـابه العـزيز ويخدمـه كتابـة وتلاوة وتفسيراً واستنبـاطاً، والمطلع على المكتبـة القرآنية سيجد مئـات العناوين العامة وآلاف العناوين الفرعية في شتى علـوم القرآن وميادينه، وعلى رأسها علم التفسير. . .

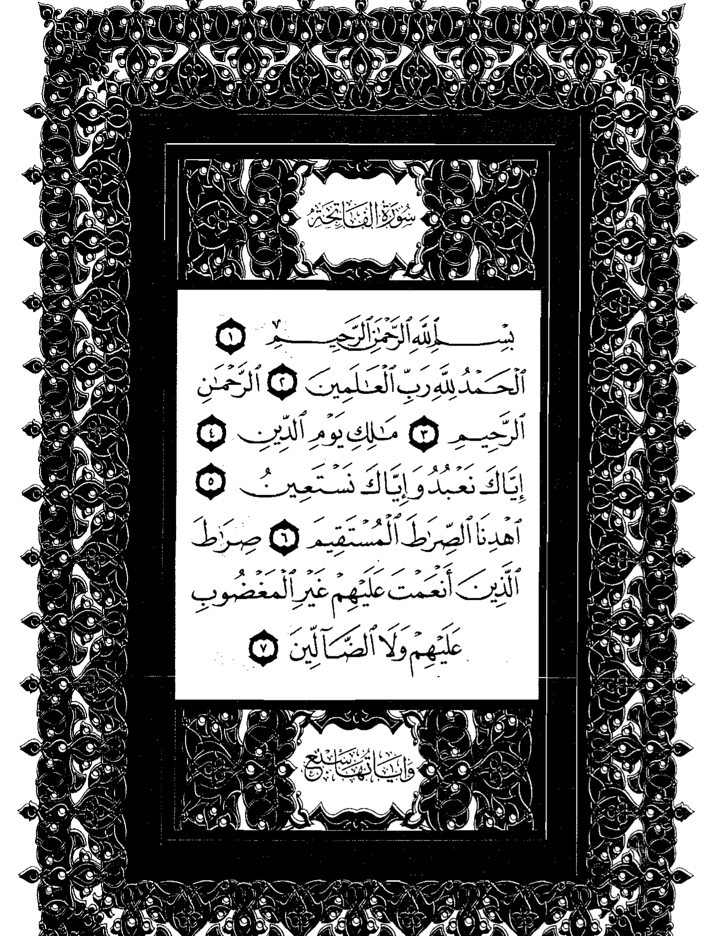
والقاسمي رحمه الله، (محمد جمال الدين ١٢٨٣ ــ ١٣٣٢هـ) عَلَمٌ لا يشق له غبار، نشأ في بيت دين وعلم وأدب، واجتهـد في التحصيل حتى بزَّ أقـرانه، وبـات من القلة التي يشـار إليها بالبنان، انفتح على مفاهيم السلـف في وقت مبكر، دون أن ينغلق على تيارات التجديد، ولا مدارس التقليد، فجمع في علمه وأدائه بين المدارس الإسلامية ليشكل بنفسه مدرسةً متميِّزةً تسعى إلى الأفضل ولا تنكر لأهل الفضل فضلهم، فـلا تقع عينك في كتبه ـ على كثـرتها ـ على كلمة جارحة في حق من خالفه، ولا تسمع فيها وحشيَّاً ولا مستغلِقاً. . .

وخـلال معـايشتي لكتـابه في التفسير، الموسـوم بمحـاسن التأويل، رأيتُ عـالماً شـامخاً موسوعيـاً فيما يكتب وفيما يملي، ومحققاً متمكناً، مما زادني رغبـة في إتمام هذا المختصر على كثرة الأشغال وضيق الوقـت، وكنت كلما أوغلت فيه كلما ازددت به تعلقاً شـاكراً الله تعالى أن امتنَّ عليَّ بذلك وجعلني أحد خدَّام كتابه الكريم.

ولقـد حـرصتُ أن أعتمِدَ ألفـاظ القـاسمي كما وردت في تفسيره مـا استطعت إلى ذلك سبيـلاً، ورجَّحت ما رجَّحـه عنـد تعدد الـروايـات، وأخـذت بعض الأحاديث والتعليقـات وأسباب النزول من تفسير ابن كثير، وأسباب النـزول للنيسابوري، وأشرت إليها حيث وردت. وسيجد القارىء أمـرين لا يقرهما المشتغلون بعلوم القرآن، الأول تـرقيم الآيات في التفسير عند رأس كل آية وليس في آخرها، والثاني اعتماد الإملاء العادي المتعارف عليه في كتابة النص القرآني في التفسير بدل الإملاء الاصطلاحي الخاص بكتابة المصاحف، وكلا الأمرين أوردتها على أنهما ليسـا قرآنـاً وإنما تفسيراً، وذلك تيسيراً على القارىء لا سيما المبتـدىء، فإن أصبت فمن الله، وإن أسأت فمن نفسي، وأسأله تعالى المغفرة. . .

وكان القـاسمي رحمه الله يتمنى لو أن المصـاحف لا تطبع إلا وعلى هامشهـا تفسير، فإن الغايـة من التلاوة الفهم، كما يقول في بعض كتبـه، فعسى أن أكون قد حققت لـه ـ رحمه الله ـ أمنيته باختصـار تفسيره نفسه ليكون على هامش المصحف، ومن الله تعـالى التوفيق والسداد، وإليه المصير والمعاد.

وكتبه صلاح الدين أرقه دان في الكويت ـ شعبان ١٤١٣ هـ/ شباط ١٩٩٣م



[سورة فاتحة الكتاب]

فاتحة الشيء : أوله وابتداؤه . وقال ابن جرير : « سميت فاتحة الكتاب لأنها يُفتتح بكتابتها المصاحف ، ويُقرأ بها في الصلوات » . وتُسمى « أم القرآن » و« السبع المثاني » لأنها تكرر في الصلاة، وأكثر العلماء على أنها مكيّة ، وأنها سبع آيات . والسورة لغةً : المنزلة العالية ، والآية : العلامة أو القصّة . وكلمة «آية» في القرآن لها عدّة معان . ولا يفهم المعنى الحقيقي للكلمة إلا من خلال السياق القرآني . . فمثلاً قوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هذا المقطع من كتاب الله يسمّى «آية» . وجاءت كلمة «آية» بمعنى دلائل القدرة الإلهية في نظام الليل والنهار . . وبمعنى العبرة ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خَلفَكَ آية . . ﴾ وبمعنى المعجزة ﴿ وقال الذين لا يعلمون : لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ .[عن ابن عباس قال : أول ما نزل به جبريل على النبي ﷺ قال : يا محمد اسْتعِذْ ثم قل : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . وعنه رضي الله عنه أيضاً قال : كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ـ النيسابوري] .

[١] ﴿ **بسم الله الرحـمٰن الرحيم** ﴾ أقرأ بتسمية الله وذكره ، قال الجوهري : «الرحـمٰن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة ، إلا أن الرحـمٰن اسم مخصص باللّه لا يجوز أن يسمى به غيره» فلفظ «الرحمٰن» يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل، ولفظ «الرحيم» يدل على منشيء هذه الرحمة والاحسان . ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر. فالرحمن من الصفات العارضة كعطشان، والرحيم من الصفات الثابتة كعليم، والقرآن لا يخرج عن الأسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله تعالى التي تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين .

[٢] ﴿ **الحمد لله** ﴾ الثناء بالجميل والمدح والكمال ثابت للّه ﴿ **رب العالمين** ﴾ الرب : السيد المطاع ، والعالمين : جمع عالم ، وهو الخلق كلّه .

[٣] ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ الرحمن : المحسن بالإحسان العام . والرحيم : منشيء الرحمة والاحسان .

[٤] ﴿ **مالك** ﴾ قرأ عاصم والكسائيّ بإثبات ألف مالك والباقون بحذفها ، وقال بعضهم إن قراءة مالك أبلغ ، وهو المتصرف بجميع شؤون ما يملك و﴿ **يوم الدين** ﴾ يوم الحساب والمجازاة بالأعمال .

[٥] ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ قال الطبري : أي لك اللهم نخشع ونذلّ ونستكين . ولفظ العبادة يتضمن كمال الذُّل بكمال الحب . فلا بد أن يكون العابد محباً للإلٓه المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل ، وهما لا يصلحان إلا لله وحده. **فائدة** : قال بعض السلف : «الفاتحة سرّ القرآن، وسرّها هذه الكلمة﴿إيّاك نعبد و إياك نستعين﴾فالأول تبرُّؤ من الشرك، وا لثاني تبرُّؤ من الحَوْل والقوة، والتفويض إلى الله عز وجل» .

[٦] ﴿ **اهدنا الصراطَ المستقيمَ** ﴾ الهداية دلالة بلطف، والمعنى : ألهمنا الطريق الهادي ، وأرشدنا إليه ، ووفّقنا له ، والصراط المستقيم فُسّر بالقرآن ، والإسلام ، وطريق العبودية، وامتثال المأمور، واجتناب المحظور ، وكل هذا حق فالمسمى واحد وإن تعددت أسماؤه .

[٧] ﴿ **صراطَ الذينَ أنعمتَ عَليهم** ﴾طريق الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضّآلّين** ﴾ أورد القاسمي قولاً للأصفهاني : « إن المراد بالمغضوب عليهم والضّالّين : كُلّ من حاد عن جادة الإسلام من أي فرقةٍ ونحلة» . ويستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها « آمين » وهي ليست لفظة من القرآن ، ومعناها : اللهم استجب .



[سورةُ البقرة]

جميعها مدنيّ بلا خلاف ، وآيها مائتان وست وثمانون ، وفي الحديث : (البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان) .

[عن مجاهد قال : « أربع آيات من أولِ هذه السورة نزلت في المؤمنين ، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين ، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين » ـ النيسابوري] .

[١] ﴿الٓمٓ﴾ للمفسرين في فواتح السور أقوال : إن هذا عِلمٌ مستور ، وقيل إنها أسماء للسور ، وقيل : يكون ورود الأسماء هكذا كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدّاه الله أن يقول مثل القرآن وغرابة نظمه مع أنه منظوم من أحرف هي عين العربية التي يتقنها أهل الفصاحة منهم . والله أعلم بمراده .

[ويقول الإمام محمود شلتوت ـ تفسير القرآن الكريم ، الأجزاء الأولى ـ وأشهر الآراء ومختار المحققين من علماء الكلام : أنها حروف أُنزلت للتنبيه على أن القرآن ليس إلاّ من هذه الحروف التي عرفوها وألّفوا كلامهم منها ، وهم قادرون عليها ، وعارفون بقوانين فصاحتها وبلاغتها ، فلم يكن القرآن بمادته التي يتألف منها غريباً عليهم ، وقد تحدّاهم الرسول **بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور ، أو بسورة واحدة** ، فعجزوا ، فلو كان من عند غير الله ـ ومادته معروفة لهم ـ لاستطاعوا أن ينفوا عن أنفسهم العجز والخزي ، ولما جوبهوا بالعجز الدائم المستمر في مستقبل لا يعلم مداه إلا الله] .

[٢] ﴿ **ذلك الكتابُ لا ريبَ فيهِ** ﴾ هذا القرآن لا شك أنه من عند الله تعالى ومعنى نفيه ـ الريب ـ عن الكتاب أنه في علوّ الشأن ، وسطوع البرهان ، بحيث ليس فيه مظنة أن يُرتاب في حقيقته وكونه وحياً منزلاً من عند الله تعالى ﴿ **هدًى للمتّقينَ** ﴾ هادٍ لهم ودالّ على الدين القويم المفضي إلى سعادة الدنيا والآخرة ، والمراد بالمتّقين هنا من وصفهم تعالى بقوله :

[٣] ﴿ **الذينَ يُؤمنونَ بالغيبِ** ﴾ يؤمنون بما لا يتناوله حسُّهم ، كذاته تعالى وملائكته والجنة والنار ﴿ **ويقيمونَ الصلاةَ** ﴾ أي يؤدُّونها بحدودها وفروضها الظاهرة والباطنة كالخشوع والمراقبة وتدبّر المتلوّ والمقروء ﴿ **وَممَّا رزقناهُمْ يُنفقونَ** ﴾ ينفقون من أموالهم على الفقراء والمساكين وذوي القربى واليتامى وأمثالهم .

[٤] ﴿ **والذينَ يُؤمنونَ بما أُنزلَ إليكَ** ﴾ الكتاب المنزل كله ﴿ **وما أُنزل من قبلك** ﴾ من الكتب الإلّهية السالفة كلها ﴿ **وبالآخِرة هم يُوقنونَ** ﴾ الإيقان : إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه . [قال أبو جعفر: إن الذين وصفهم الله تعالى ذكره بالإيمان بالغيب ، وبما وصفهم به جل ثناؤه في الآيتين الأوليتين غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على من قبله من الرسل . وهذه هي الآيات الأربع التي ذكرها مجاهد] .

[٥] ﴿ **أُولئك على هدىً من ربِّهم** ﴾ على نور من ربهم ، وبرهان واستقامة وسداد ﴿ **وأُولئكَ همُ المفلحونَ** ﴾ الفلاح : النجاح . والمفلحون هم المدركون ما طلبوا عند الله ـ بإيمانهم ـ من الفوز بالثواب والخلود في الجنات والنجاة مما أعدّ الله لأعدائه من العقاب .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

[٦] ﴿ **إنَّ الذينَ كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يُؤمنونَ** ﴾ الإنذار : الإعلام مع التخويف .

[٧] ﴿ **ختمَ اللّـهُ على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوةٌ** ﴾ أقفل الله على قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلاً على ما اقترفوه من القبائح ، قال الراغب : المراد بالقلب في كثير من الآيات : العقل والمعرفة ﴿ **ولهم عذابٌ عظيمٌ** ﴾ .

[٨] ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللّـه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ بعض الناس يدعون الإيمان بالله وهم كاذبون ، وهذه صفات المنافقين .

[٩] ﴿ **يخادعونَ اللّـهَ والذينَ آمنوا** ﴾ فخداعهم للّـه وللمؤمنين إظهار الإيمان والمحبة ، واستبطان الكفر والعداوة . وخداع الله والمؤمنين إياهم : مسالمتهم وادّخار العذاب الأليم لهم ﴿ **وما يخدعونَ إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ .

[١٠] ﴿ **في قلوبهمْ مرضٌ** ﴾ المرض : السقم : وهو نقيض الصحة استعير هٰهنا لعدم صحة يقينهم ، ﴿ **فزادهمُ الله مرضاً** ﴾ بأن طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بأنّه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار ، وقال القاشانيّ : أي مرضاً آخر ـ حقداً وحسداً وغلاًّ ـ بإعلاء كلمة الدين ، ونصرة الرسول والمؤمنين ﴿ **ولهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ مؤلم ، يبلغ إيجاعه غاية البلوغ ﴿ **بما كانوا يكذِبونَ** ﴾ بسبب كذِبهم .

[١١] ﴿ **وإذا قيلَ لهم لا تفسدُوا في الأرضِ** ﴾ لا تهيّجوا الفتن والحروب ﴿ **قالُوا : إنَّما نحنُ مُصلحونَ** ﴾ أي بين المؤمنين وأهل الكتاب ، نُداري الفريقين ونريد الإصلاح بينهما .

[١٢] ﴿ **ألآ إنّهم هُمُ المفسدونَ ولكنْ لا يشعرونَ** ﴾ .

[١٣] ﴿ **وإذا قيلَ لهم آمنوا كما آمنَ النَّاسُ** ﴾ الكاملون في الإنسانية ﴿ **قالوا: أنؤمنُ كما آمنَ السُّفهاءُ** ﴾ استفهام في معنى الإنكار . وإنما سفّهوهم ـ مع أنهم عقلاء راجحو العقول ـ لأنهم لجهلهم اعتقدوا أنّ ما هم فيه هو الحق وما عداه باطل ﴿ **ألآ إنّهم هُمُ السُّفهاءُ ولكنْ لا يعلمونَ** ﴾ .

[١٤] ﴿ **وإذا لقُوا الذينَ آمنوا قالُوا : آمنَّا** ﴾ أي أظهروا لهم الإيمان والموالاة ـ نفاقاً ومصانعةً ـ ﴿ **وإذا خَلَوْا** ﴾ انفردوا ﴿ **إلى شيا طِينِهِمْ** ﴾ أصحابهم أُولي التمرد والعناد ، والشيطان يكون من الإنس والجن ﴿ **قالوا: إنَّا معكم** ﴾ أي في الاعتقاد على مثل ما أنتم عليه ﴿ **إنّما نحنُ مستهزِئُونَ** ﴾ ساخرون بهم .

[١٥] ﴿ **الله يستهزِىءُ بهم** ﴾ يسخر بهم للنقمة منهم ﴿ **ويمدُّهُمْ** ﴾ يزيدهم ﴿ **في طغيانهم** ﴾ في عتوّهم وتمرّدهم ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ العمه : مثل العمى ، وهو التحيّر والتردد لا يدري المصاب به أين يتوجه .

[١٦] ﴿ **أولئك الذين اشْتَرَوُا الضلالةَ بالهُدَى** ﴾ الضلالة : الجوْر عن القصد ، والهدى : التوجه إليه . وقد استعير الأول للعدول عن الصواب في الدين ، والثاني للاستقامة عليه . والإشتراء : استبدال السلعة بالثمن ﴿ **فما ربحتْ تجارتُهم** ﴾ يقصد المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار ﴿ **وما كانوا مُهْتَدِينَ** ﴾ .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

[١٧] ﴿ **مَثَلُهُمْ** ﴾ مثالهم في نِفاقهم ﴿ **كمثلِ الذي استوقد ناراً** ﴾ أوقد ناراً في ظلمة ﴿ **فلمّا أضاءت ما حوله ذهبَ اللهُ بنورِهم** ﴾ أطفأ الله نارهم ـ التي هي مدار نورهم ـ فبقُوا في ظلمة وخوف ﴿ **وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرونَ** ﴾ لا يرون متحيّرين خائفين.

[١٨] ﴿ **صُمٌّ بكمٌ عميٌ** ﴾ الصمم : فقدان حاسّة السمع . والبكم : الخرس . والعَمَى : عدم البصر . وقد وُصِفُوا بذلك ـ مع سلامة حواسّهم المذكورة ـ لما أنّهم سدّوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق ، وأبَوْا أن يُنْطِقُوا به ألسنتَهم ، وأن ينظروا بعيونهم ﴿ **فَهُمْ لا يَرْجِعُون** ﴾ لا يعودون إلى الهدى ، بعد أن باعوه ، أو عن الضلالة بعد أن اشترَوْها.

[١٩] ﴿ **أو كصيّبٍ من السماءِ** ﴾ الصيّب : السحاب ذو الصوْب ، والصوْب المطر ، والمراد بالسماء : السحاب . شبّه الهدى بالصيّب لأن القلوب تحيى به ، وحياة الأرض بالمطر ﴿ **فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ ، يجعلونَ أصابعَهم في آذانِهم من الصواعقِ حَذَر** ﴾ خوف ﴿ **الموت** ﴾ من سماعها ﴿ **واللهُ محيطٌ بالكافرينَ** ﴾ علماً وقدرةً فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿ **يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارَهُم** ﴾ يأخذُها بسرعة ﴿ **كلّما أضاءَ لهُم مَشَوْا فيهِ ، وإذا أظْلَمَ علَيهِم قامُوا** ﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم ﴿ **ولو شاءَ اللّهُ لذهبَ بسمعِهِمْ وأبْصارِهم** ﴾ لزاد في قصف الرعد فأصمّهم ، أو في ضوء البرق فأعماهم . قال الحسنُ رحمه الله : هو المنافق أبصَرَ ثم عمي ، وعرف ثم أنكر ولهذا قال : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ ، أي لا يرجعون إلى النور الذي فارقوه ﴿ **إنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾.

[٢١] ﴿ **يا أيّها النّاسُ** ﴾ المراد بالناس : كافّة المكلّفين ـ مؤمنهم وكافرهم ـ ﴿ **اعبدوا ربَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ والذينَ من قبلِكُمْ** ﴾ أنعم عليكم بإخراجكم من العدم إلى الوجود ﴿ **لعلّكم تتّقون** ﴾ لكي تتقوا.

[٢٢] ﴿ **الّذي جَعَلَ لكمُ** ﴾ خلَق لكم ﴿ **الأرضَ فِراشاً** ﴾ بساطاً ومهاداً غير حُزْنَةٍ [أي ليست جبالاً غليظة] ﴿ **والسماءَ بناءً** ﴾ كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً ، والمعنيّ بها النجوم والمجرات والكواكب السيّارة ﴿ **وأنزلَ منَ السماءِ ماءً** ﴾ أنزل من السّحاب مطراً ﴿ **فأخرجَ بهِ من الثمراتِ رزقاً لكم ، فلا تجعلوا للّهِ أنداداً** ﴾ شركاء في العبادة ، أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ ما بينه وبينها من التفاوت.

[٢٣] ﴿ **وإن كنتم في ريبٍ** ﴾ شك ﴿ **ممّا نزّلنا** ﴾ أي من القرآن الذي نزّلناه ﴿ **على عَبْدِنَا** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **فأْتُوا بسورةٍ** ﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر ، والسورة : الطائفة من القرآن العظيم وأقلّها ثلاث آيات ﴿ **من مثله** ﴾ أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسموّ الطبقة ، والنظم الرائق ، والبيان البديع ، وحيازة سائر نعوت الإعجاز ﴿ **وادْعُوا شُهَدَاءَكم** ﴾ جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو النّاصر ﴿ **من دونِ الله** ﴾ من غير الله تعالى ﴿ **إنْ كنتمْ صادقينَ** ﴾ في زعمكم أنه من كلامه ﷺ.

[٢٤] ﴿ **فإنْ لم تفعلوا** ﴾ ما أُمرتم به من الإتيانِ بالمثل ﴿ **ولن تفعلوا** ﴾ وهي معجزة باهرة : حيث أخبر بالغيب ، وجزم بعجزهم قبل محاولتهم ﴿ **فاتّقُوا النّارَ** ﴾ كناية عن الاحتراز من العناد الموصل إلى النار ﴿ **التي وَقُودُها النّاسُ والحجارةُ** ﴾ المراد بالحجارة : الأصنام ، وبالناس : أنفسهم ﴿ **أُعدّت للكافرينَ** ﴾ هُيّئتْ لهم.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ١

[٢٥] ﴿ **وبشِّرِ الذينَ آمنوا** ﴾ البشارة : الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ﴿ **وَعَمِلُوا الصالحاتِ** ﴾ الصالحات : ما استقام من الأعمال ، أي صلح لترتب الثواب عليه . وقد أجمع السَّلف على أن الإيمان : قول وعمل ﴿ **أنّ لهم جناتٍ** ﴾ جمع جنة وهي البستان ﴿ **تجري من تحتها الأنهارُ** ﴾ من تحت أشجارها ﴿ **كلّما رُزِقُوا منها من ثمرةٍ رزقاً** ﴾ أي أُطعموا من تلك الجنات ﴿ **قالوا هذا الذي رزقنا من قبلُ وأُتوا بِهِ** ﴾ أتتهم الملائكةُ والوِلْدانُ برزق الجنّة ﴿ **متشابهاً** ﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ، ويختلف طعماً ﴿ **ولهمْ فيها أزواجٌ مطهّرةٌ** ﴾ من الحيض والاستحاضة وما لا يختصّ بهنّ من الأقذار والأدناس ، ويجوز : من دَنَس الطباع وسوء الأخلاق ﴿ **وهُمْ فيها خالدونَ** ﴾ فلا آخر له ولا انقطاع .

[٢٦] ﴿ **إنَّ اللّهَ لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقَها** ﴾ لا يستصغر شيئاً يذكر به مثلاً ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة ﴿ **فَأمّا الذينَ آمنوا فيعلمونَ أنّهُ الحقُّ من ربِّهم** ﴾ الحق : هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ﴿ **وأما الذين كفروا فيقولونَ ماذا أرادَ اللّهُ بهذا مثلاً** ﴾ فإذا سمعوه عاندوا ، وكابروا ، وقابلوه بالإنكار ﴿ **يُضِلُّ به كثيراً ويَهْدي به كثيراً ، وما يُضِلُّ به إلا الفاسِقينَ** ﴾ كونه ذريعة إلى هداية المستعدّين للهداية ، وإضلال المنهمكين في الغواية .

[قال الحسن وقتادة : لما ذكر اللّه الذباب والعنكبوت في الكتاب وضرب للمشركين به المثل ، ضحكت اليهود وقالوا : ما يشبه هذا كلام اللّه ، فأنزل الله هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٢٧] ﴿ **الّذينَ ينقضونَ عهدَ اللهِ منْ بَعْدِ ميثاقِهِ** ﴾ العهد : هو وصية الله إلى خلقه ، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به ، وقد أورد صفة الفاسقين هنا للذم ﴿ **ويقطعونَ ما أمرَ اللّهُ به أن يُوصَلَ** ﴾ وهذا عام في كل قطيعة لا يرضاها اللّهُ تعالى كقطع الرحم ، والإعراض عن موالاة المؤمنين ﴿ **ويُفسدونَ في الأَرْضِ** ﴾ بالمنع عن الإيمان ، والاستهزاء بالحقّ ﴿ **أولئك همُ الخَاسِرونَ** ﴾ .

[٢٨] ﴿ **كيف تكفرونَ باللّهِ وكنتمْ أمواتاً** ﴾ أجساماً لا حياة فيها ، عناصر وأغذية ونطفاً ﴿ **فأحياكُمْ** ﴾ بخلق الأرواح ونفخها فيكم ﴿ **ثمّ يميتكم** ﴾ عندما تقضى آجالكم ﴿ **ثم يُحْييكم** ﴾ بالنشور والبعث للحساب والجزاء ﴿ **ثم إليه تُرجعونَ** ﴾ بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم : إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ .

[٢٩] ﴿ **هو الذي خَلَقَ لكم** ﴾ لأجلكم ولانتفاعكم ﴿ **ما في الأرضِ جميعاً ، ثم استوى إلى السَّماءِ فسوّاهنّ** ﴾ صيَّرهن ﴿ **سبعَ سماواتٍ** ﴾ قال بعض علماء اللغة : إن العرب تستعمل لفظ سبع وسبعين وسبعمائة للمبالغة في الكثرة ، وذهب بعض علماء الفلك إلى أن الحصر في السبع حقيقي ، وقيل : المراد كواكب النظام الشمسي بدون حصر ﴿ **وهو بكل شيءٍ عليمٌ** ﴾ فإنَّ علمه عز وجل بجميع الأشياء يستدعي أن يخلق كل ما يخلقه على الوجه الأكمل .

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ
قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ
نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ
سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ
أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا
تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا
حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ
بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

[٣٠] ﴿ **وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً** ﴾ أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً ، قرناً بعد قرن . كما قال الله تعالى : ﴿ وَهوَ الذي جَعَلَكُم خَلائَفَ الأرضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] وقال : ﴿ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأرضِ ﴾ [النمل : ٦٢] وقال القاسمي : ويجوز أن يراد منكم ، لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته . والغرض من إخبار الملائكة بذلك : تعليم العباد المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها مع أنه غني عن المشاورة ، أو تعظيم شأن المجعول . ﴿ **قالوا : أتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماءَ ونحن نسبّح بحمدكَ** ﴾ ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ﴿ **ونقدّسُ لك** ﴾ نصفك بما يليق بك من العلوّ والعزّة ﴿ **قال : إنّي أعلمُ ما لا تعلمونَ** ﴾ إن لي حكمة في خلق الخليقة لا تعلمونها . ولما بيّن سبحانه وتعالى أولاً على وجه الإجمال والإبهام ، أنّ في الخليفة فضائل غائبة عنهم ، ليستشرفوا إليها ، أبرز لهم طرفاً منها ، ليعاينوه جهرةً ، ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته ، وتنزاح شبهتهم بالكلية ، فقال :

[٣١] ﴿ **وعلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها** ﴾ والمراد بالأسماء : أسماء كل شيء من التي يتعارف بها الناس ﴿ **ثمّ عرضَهم على الملائكةِ** ﴾ عرض المخلوقات ذات الأسماء ﴿ **فقالَ : أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتم صادقينَ** ﴾ في زعمكم أنكم أحق بالخلافة من آدم .

[٣٢] ﴿ **قالوا : سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علّمتنا ، إنّك أنتَ العليمُ الحكيمُ** ﴾ وهذا اعتراف منهم بالعجز والقصور عما كُلِّفوه .

[٣٣] ﴿ **قالَ : يا آدمُ أنبئهم بأسمائِهم** ﴾ أعلمهم بها ﴿ **فلمَّا أنبأهم بأسمائهم قال : ألمْ أقل لكم إنّي أعلمُ غيب السماوات والأرض ، وأعلم ما تبدونَ** ﴾ ما تظهرونه بألسنتكم ﴿ **وما كنتمْ تكتمونَ** ﴾ وما كنتم تخفون في أنفسكم .

[٣٤] ﴿ **وإذْ قلنا للملائكةِ اسجدُوا لآدمَ فسجدوا** ﴾ على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له واعترافاً بفضله ، لا سجود صلاة وعبادة ﴿ **إلاّ إبليسَ أبى واستكبرَ** ﴾ امتنع عن السجود ﴿ **وكانَ** ﴾ في سابق علم الله ، أو صار ﴿ **من الكافرين** ﴾ .

[٣٥] ﴿ **وَقُلنا يا آدمُ اسكنْ أنتَ وزوجُكَ الجنَّةَ ، وَكُلا منها رَغَداً** ﴾ أي كُلا بسعة أو أكلاً هنيئاً ﴿ **حيثُ شِئتُما** ﴾ من أيّ مكان من الجنّة شئتما ﴿ **ولا تقربَا هذهِ الشجرةَ** ﴾ لا تأكلا منها . فائدة : لم يرد في القرآن المجيد ولا في السنّة الصحيحة تعيين هذه الشجرة ﴿ **فتكونَا مِنَ الظالمينَ** ﴾ من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى . والظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه .

[٣٦] ﴿ **فَأَزَلَّهما الشيطانُ عنها** ﴾ أي أذهبهما عن الجنة وأبعدهما ، ومنهم من قال : كان ذلك بالوسوسة ، والوسوسة لغةً : حديثُ النفس والأفكار ﴿ **فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كانَا فيه** ﴾ من الرّغد والنّعيم والكرامة ﴿ **وقلنا اهبطوا** ﴾ انزلوا إلى الأرض ﴿ **بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ** ﴾ متعادين ، يبغي بعضكم على بعض ﴿ **ولكم في الأرضِ مستَقَرٌّ** ﴾ منزل وموضع استقرار ﴿ **ومتاعٌ** ﴾ تمتع بالعيش ﴿ **إلى حينٍ** ﴾ إلى الموت . [٣٧] ﴿ **فتَلَقَّى آدمُ من ربّه كلماتٍ** ﴾ استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ﴿ **فتابَ عليه** ﴾ فرجع عليه بالرّحمة والقبول ﴿ **إنّه هو التوابُ الرّحيمُ** ﴾ .

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ
وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

[٣٨] ﴿**قُلْنَا**﴾ لآدم وحواء ﴿**اهبِطُوا منها**﴾ من الجنة ﴿**جميعاً**﴾ ثم ذكر ذريَّة آدم فقال ﴿**فإما يأتينّكم منّي هُدىً**﴾ كتاب أُنزله عليكم ورسولٌ أبعثه إليكم ﴿**فمن تبعَ هدايَ**﴾ أقبل على الهدى وقبل بـه ﴿**فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ**﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة .

[٣٩] ﴿ **والَّذينَ كفروا وكذَّبُوا بآياتِنَا** ﴾ بالكتاب والرسول ﴿ **أُولئك أصحابُ النّار هم فيها خالدونَ** ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها . وأكثر المفسّرين على أن المراد بالجنة التي أسكنها آدم : جنة الخلد ، دار الثواب .

[٤٠] ﴿ **يا بني إسرائيلَ** ﴾ أي أولاد يعقوب ، وإسرائيل لقب له ﴿ **اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم** ﴾ ومنها اصطفاؤه الرسل منهم ، وإنزاله الكتب عليهم ، واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلايا والضرّاء من فرعون وقومه ، وتفجير عيون الماء لهم من الحجر ، وإنزال طعام المنّ والسلوى لهم ﴿ **وَأَوْفُوا بعهدي** ﴾ وهو وصيته لهم ، ومنها الإيمان برسله وخاتمهم محمد ﷺ ﴿ **أُوفِ بعهدكم** ﴾ وعهده إيَّاهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة ﴿ **وإيايَ فارْهَبُونِ** ﴾ اخشوني واتقوا عذابي .

نصف الحزب ١

[٤١] ﴿ **وآمِنوا بما أنزلتُ** ﴾ من القرآن ﴿ **مصدقاً لما مَعَكم** ﴾ موافقاً بالتوحيد ، وصفة محمد ﷺ ونعته ، وبعض الشرائع ، لما معكم من الكتاب ﴿ **ولا تكونوا أوّل كافرٍ به** ﴾ يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه ﷺ ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً** ﴾ لا تستبدلوا الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها ، فإنها قليلة فانية ﴿ **وإيايَ فاتقونِ** ﴾ بالإيمان واتباع الحق .

[٤٢] ﴿ **ولا تَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ** ﴾ لا تخلطوا الحقَّ المنزل بالباطل الذي يخترعونه أو يذكرونه في تأويله ﴿ **وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمونَ** ﴾ وذكر العلم هنا لزيادة تقبيح حالهم ، إذ الجاهل معذور على الأغلب . [٤٣] ﴿ **وَأَقِيموا الصلاة وآتوا الزّكاةَ واركَعُوا مَعَ الراكِعِينَ** ﴾ وصلوا مع المصلين .

[٤٤] ﴿ **أتأمرون النّاسَ بالبرِّ** ﴾ بما فيه لله رضاً من القول والفعل ﴿ **وتَنْسَوْنَ أنفسكم** ﴾ تخالفون ما تأمرون به من البر إلى غيره ﴿ **وأَنْتُمْ تتلونَ الكتابَ** ﴾ تتلون التوراة وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول للعمل ﴿ **أفلا تعقلونَ** ﴾ أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه .

[٤٥] ﴿ **واستعينوا بالصبرِ والصلاةِ** ﴾ أي على الوفاء بالعهد ﴿ **وإنَّها** ﴾ الضمير للصلاة ﴿ **لكبيرةٌ** ﴾ لشاقة ثقيلة ﴿ **إلَّا على الخاشعينَ** ﴾ .

[٤٦] ﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أنّهم مُلاقُوا رَبِّهم** ﴾ أي محشورون إليه يومَ القيامة للجزاء ، والظنّ هنا بمعنى اليقين ﴿ **وأنّهم إليه راجعونَ** ﴾ بعد الموت فيجازيهم .

[٤٧] ﴿**يا بني إسرائيلَ اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأنّي فضَّلْتُكُمْ**﴾ أي فضّلتُ آباءكم ﴿**على العالمينَ**﴾ أي عالمي زمانهم بإنزال الكتاب عليهم وإرسال الرسل فيهم . وتفضيل الآباء شرف الأبناء .

[٤٨] ﴿**واتَّقُوا يوماً**﴾ يوم القيامة ﴿**لا تجزي**﴾ فيه ﴿**نفسٌ عن نفسٍ شيئاً**﴾ أي لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق ﴿**ولا يُقبلُ منها شفاعةٌ ولا يُؤخذُ منها عدلٌ**﴾ فدية ﴿**ولا هُم يُنصرونَ**﴾ يُمنعون من عذابِ الله .

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

[٤٩] ﴿ **وإذْ نَجَّيْناكم** ﴾ أي نجينا آباءكم ﴿ **من آلِ فرعونَ** ﴾ فرعون وأتباعه ، وفرعون لقب لمن ملك مصر كافراً ، ولعتوّه اشتق منه : تفرعن الرجل إذا عتا وتمرّد ﴿ **يَسُومُونَكُم سُوءَ العذابِ** ﴾ يبغونكم أفظع العذاب وأشده ﴿ **يُذَبِّحونَ أبناءَكم ويَسْتَحيُونَ نِساءَكم** ﴾ يتركونهن أحياء ﴿ **وفي ذلكم بلاءٌ من ربِّكم عظيم** ﴾ البلاء : إما المحنة أو النعمة . قال ابن جرير : العرب تسمي الخير بلاء والشر بلاء .

[٥٠] ﴿ **وإذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البحرَ** ﴾ واذكروا إذ فلقناه ، وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك ﴿ **فَأَنْجَيْناكُمْ** ﴾ من الغرق ﴿ **وأغرقنا آلَ فرعونَ وأنتم تنظرونَ** ﴾ إلى ذلك وتشاهدونه لا تشكُّون فيه .

[٥١] ﴿ **وإذْ واعَدْنا موسى أربعينَ ليلةً** ﴾ لنعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ **ثمّ اتّخذتُمُ العجلَ** ﴾ أي إلهاً ومعبوداً ﴿ **منْ بعدِه** ﴾ من بعد مضيِّه للميقات ﴿ **وأنتم ظالمونَ** ﴾ وأنتم قوم عادتكم الظلم .

[٥٢] ﴿ **ثُمّ عفونا عنكم** ﴾ محونا ذنوبكم ﴿ **من بعدِ ذلكَ ، لعلَّكم تشكرونَ** ﴾ لكي تشكروا نعمةَ العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة .

[٥٣] ﴿ **وإذْ آتينا موسى الكتابَ والفرقانَ** ﴾ يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقاناً يفرق بين الحق والباطل ، والمقصود : التوراة ﴿ **لعلّكم تهتدونَ** ﴾ لكي تهتدوا بالعمل فيه من الضلال .

[٥٤] ﴿ **وإذ قالَ موسى لقومه يا قوم إنّكم ظلمتُم أنفسَكم باتِّخاذكمُ العجلَ فتوبوا إلى بارئكم** ﴾ في هذه الآية بيانٌ لكيفية وقوع العفو المذكور في الآية السابقة ﴿ **فاقتلوا أنفسَكم** ﴾ أمرٌ لمن لم يعبد العجل ، أن يقتلوا عَبَدته ، وليس المعنى كما فهمه بعضهم من قتل بني إسرائيل بعضهم بعضاً مطلقاً ﴿ **ذٰلِكم خيرٌ لكم عند بارئِكُمْ فتابَ عليكم إنّه هُوَ التّوابُ الرَّحيمُ** ﴾ .

[٥٥] ﴿ **وإذْ قُلتُمْ : يا موسى لن نؤمنَ لك حتّى نرى اللّهَ جهرةً** ﴾ وإذ سألتم رؤيتي عياناً مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم في الحياة الدنيا ﴿ **فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعقةُ** ﴾ قال ابن جرير : وأصل الصاعقة كل أمر هائل رآه أو عاينه أو أصابه ، حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب وإلى ذهاب عقل وغمور فهم ، أو فقد بعض آلات الجسم [وروي عن الربيع بن أنس قال : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه ، قال : فسمعوا كلاماً ، فقالوا : ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ قال : فسمعوا صوتاً فصعقوا ـ يقول : ماتوا ـ فذلك قوله ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ فبعثوا من بعد موتهم ، لأن موتهم ذاك كان عقوبة لهم ، فبعثوا لبقية آجالهم] ﴿ **وأنتم تَنظُرونَ** ﴾ إلى تلك الصاعقة ، وقد دلّتِ الآيةُ على أن طلب رؤيته تعالى في الدنيا مستنكر غير جائز . وكما أخبر تعالى بأنه لا يُرى في الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته في الدار الآخرة في آيات عديدة .

[٥٦] ﴿ **ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تَشْكُرونَ** ﴾ لكي تشكروا الله على نعمه .

[٥٧] ﴿ **وظَلَّلْنا عليكمُ الغمامَ** ﴾ كانت تظلهم سحابةٌ إذا ارتحلوا لئلا تؤذيهم حرارة الشمس ﴿ **وأنزلنا عليكُمُ المنَّ** ﴾ وهو مثل حب الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل ﴿ **والسَّلْوَى** ﴾ من أطيب لحوم الطير ﴿ **كُلُوا من طيباتِ ما رزقناكم ، وما ظَلَمُونَا ولكنْ كانُوا أنفسَهم يظلمونَ** ﴾ بالعصيان .

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

[٥٨] ﴿ وإذْ قُلْنَا ادخُلوا هذهِ القريةَ ﴾ أرض كنعان ﴿ فَكُلُوا منها حيثُ شئتمْ رَغَداً وادْخُلُوا البابَ سُجَّداً ﴾ بالخضوع والطاعة والشكر ﴿ وقولوا حِطَّةٌ ﴾ حطَّ عنا ذنوبنا حِطَّةً ﴿ نغفرْ لكم خطاياكم ، وسنزيدُ المحسنينَ ﴾.



[٥٩] ﴿ فبدَّلَ الذينَ ظلموا قولاً غيرَ الذي قيلَ لهم ﴾ بدّلوا أمره تعالى لهم ـ بدخول الأرض مجاهدين ـ بالإحجام عنه وتثبيط النّاس [عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : (دخلوا الباب ـ الذي أمروا أن يدخلوا منه سجداً ـ يزحفون على أستاههم ، يقولون : حنطة في شعيرة) ـ ابن جرير] ﴿ فأنزلنا على الذينَ ظلموا رِجْزاً من السَّماءِ بما كانوا يَفْسُقُونَ ﴾ الرجز : هو الموت بغتة ، أو هو عذاب من الله لا يستطيعون دفعه عنهم بسبب عصيانهم وتبديلهم لأوامر الله .

[٦٠] ﴿ وإذِ استَسقَى مُوسى لقومِه فقلنا اضربْ بعصاكَ الحَجَرَ ، فانفجرتْ منه اثنتا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾ أي عدد أسباط يعقوب الاثني عشر ، لكل سبط منهم عين قد عرفوها ﴿قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي لا تمشوا في الأرض بالفساد ، وخلاف أمر موسى .

[٦١] ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبرَ على طعامٍ واحدٍ ﴾ وهو المنّ والسلوى ﴿ فادعُ لنا ربَّك يخرجْ لنا مما تنبتُ الأرضُ من بَقْلِها ﴾ البقل : ما تنبته الأرض من الخضار ﴿ وقثّائها ﴾ من أنواع الخضار لا الفوم : ﴿وَفُومِهَا﴾ الثوم وقيل : الحنطة . [قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وفومها﴾ قال : الفوم الحنطة بلسان بني هاشم ، وقال الجوهري : الفوم الحنطة . وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن الفوم كل خبز يختبز ، قال : وقال بعضهم : هو الحمص ، لغة شامية . قال البخاري : وقال بعضهم : الحبوب التي تؤكل كلها فوم ـ ابن كثير] . ﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ، قالَ : أتستبدلونَ الذي هو أَدْنَى بالذي هُوَ خَيْرٌ ﴾ أي أرفع وأجلّ ﴿ اهبطوا مصراً فإنَّ لكم ما سألتم ﴾ أي اذهبوا وادخلوا أي بلد ﴿ وضُربت عليهمُ الذلّةُ والمسكنةُ ﴾ الذّلّة : الصَّغار والهوان والحقارة . والمسكنة : من السكون ، لأن المسكين قليل الحركة والنّهوض لما به من الفقر ﴿ وباؤوا بغضبٍ من اللهِ ، ذلكَ بأنّهم كانوا يكفرونَ بآياتِ اللّهِ ويقتلونَ النبيّينَ بغيرِ الحقِّ ﴾ وقتل الأنبياء كان شائعاً في بني إسرائيل ﴿ ذلكَ بما عَصَوْا وكانوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

قيل : كررت الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم ، كما أنه بسبب الكفر والقتل ، فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى ، وعليه فيكون ذكر علل إنزال العقوبة بهم في نهاية حسن الترتيب . إذ بدىء أولاً بما فعلوه في حق الله تعالى وهو كفرهم بآياته ، ثم ثنى بما يتلوه في العِظم ، وهو قتل الأنبياء ، ثم بما يكون منهم من المعاصي التي تخصهم ، ثم بما يكون منهم من المعاصي المتعدية إلى الغير ، مثل الاعتداء . ثم أعلم الله تعالى بأن باب التوبة مفتوح على الوجه العام ، وأن من ارتكب الذنوب إذا آمن وتاب فله في الدنيا والآخرة ما للمؤمنين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمنُوا ﴾ أي إن الذين آمنوا بما دعا إليه محمد ﷺ ﴿ والَّذينَ هادُوا ﴾ أي تهوّدوا ، وهم أمة موسى عليه السلام ﴿والنَّصارى﴾ من نصران ، سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام ، ﴿ والصَّابئينَ ﴾ جمع صابىء ، قال ابن جرير : الصابىء هو المستحدث ديناً سوى دينه الذي ولد عليه ، والصابئة نوعان : صابئة حنفاء موحّدون ، وصابئة مشركون ، فالأول هم الذين أثنى الله عليهم بهذه الآية ﴿مَنْ آمنَ بالله واليومِ الآخِرِ﴾ إيماناً خالصاً بما ذُكر ، لأن مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام ﴿ وعَمِل صالحاً ، فلهم أجرُهُمْ عندَ ربِّهم ولا خوفٌ عليْهِمْ ﴾ حين يخاف الكفارُ العقابَ ﴿ ولا هم يحزَنُونَ ﴾ على تفويت الثواب .

[٦٣] ﴿ وإذْ أخَذْنا ميثاقكُمْ ﴾ بالمحافظة على ما في التوراة ﴿ ورفَعْنا فوقَكُمُ الطُّورَ ﴾ من أصله اقتُلع ورُفع وظلّل فوقهم ، والطور : الجبل ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بقوَّةٍ ﴾ بجدٍّ واجتهاد ﴿ واذْكرُوا ما فيه ﴾ واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ﴿ لعلّكم تتقونَ ﴾ لكي تتقوا المعاصي ، أو رجاءً منكم في أن تنتظموا في سلك المتّقين .

[٦٤] ﴿ ثم تولَّيتُمْ مِنْ بعدِ ذلكَ ﴾ أعرضتم عن الوفاء بالميثاق ﴿ فلولا فضلُ اللَّهِ عليكم ورحمتُه ﴾ بتوفيقكم للتوبة ، أو تأخير العذاب ﴿ لكنتُم من الخاسرينَ ﴾ الهالكين بالعقوبة .

[٦٥] ﴿ ولقدْ علمتمُ الذين اعتدَوْا منكم في السبتِ ﴾ تعمَّدوا العُدوانَ بأن استحلوا واحتالوا لاصطياد الحيتان ـ أي السمك ـ يوم السبت ﴿ فقُلنا لهم : كونوا قِرَدَةً خاسئينَ ﴾ صاغرين ، مطرودينَ ، مُبعَدين من الخير ، أذلاّء . وقد روي عن الضّحّاك [الضّحّاك بن مُزاحِم ت ١٠٥ هـ] وقتادة [قَتَادة بن دِعامَة ت ١١٨ هـ] : أنهم مسخوا قردة ، لها أذناب تَعَاوي ، بعدما كانوا رجالاً ونساءً . وأما مُجاهِد [مُجاهد بن جَبْر ت ١٠٤ هـ] فقال : مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة .

[٦٦] ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ أي المسخة والعقوبة ﴿ نَكالاً ﴾ عبرة ، تنكل المعتبر بها ، أي تمنعه وتردعه ﴿ لِما بَيْنَ يَدَيْها ﴾ من أهل عالمها الشاهدين لها ﴿ وما خَلْفَهَا ﴾ ممن جاء بعدهم ﴿ وموعظةً للمتَّقينَ ﴾ وعظاً لكل متّقٍ سمعها .

[٦٧] ﴿ وإذْ قالَ موسَى لقومِهِ ﴾ بني إسرائيل ﴿ إنَّ اللَّهَ يأمُرُكمْ أنْ تذبَحُوا بقرةً ﴾ وذلك أنه وُجد قتيلٌ فيهم ، وكانوا يطالبون بدمه ، فأمرهم اللّهُ بذبح بقرة وأن يضربوه ببعضها ليحيى ويخبر بقاتله ﴿ قالوا : أَتَتَّخِذُنا هُزُواً ﴾ أتجعلنا مكان هُزُوٍ ﴿ قال : أعوذُ باللهِ ﴾ العَوْذُ : اللَّجأُ من متخوَّف لكافٍ يكفيه ﴿ أنْ أكونَ من الجاهلينَ ﴾ الجهل : التقدم في الأمور بغير علم .

[٦٨] ﴿ قالوا : ادعُ لنا ربَّك يبينْ لنا ما هيَ ﴾ ما حالُها وصفتها ﴿ قال : إنَّه يقولُ إنَّها بقرةٌ لا فارضٌ ﴾ لا مسنّة ﴿ ولا بِكْرٌ ﴾ ولا فتية صغيرة ﴿ عوانٌ بَيْنَ ذلكَ ﴾ وسطٌ بين ذلك ﴿ فافعَلُوا ما تُؤمَرُونَ ﴾ .

[٦٩] ﴿ قالوا : ادعُ لنا ربَّك يبيِّنْ لنا ما لونُهَا ، قال : إنَّه يقولُ إنَّها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونُها ﴾ شديد الصفرة . وعن ابن عباس قال : « لو أخذوا أدْنى بقرة لاكتفوا بها ، ولكنهم شدّدوا فشُدِّد عليهم » ﴿ تسرُّ النَّاظرينَ ﴾ أي تبهج نفوسهم .

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٠] ﴿قالوا ادعُ لنا ربَّك يبيِّنْ لنا ما هيَ ، إنَّ البقرَ تشابَهَ علينَا﴾ فهو لكثرته اشتبه علينا أيّها نذبح ﴿وإنَّا إن شاء الله لمهتدونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لولا أن بني إسرائيل قالوا : ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ لما أعطوا ، ولكن استثنوا) ـ ابن كثير].

[٧١] ﴿قالَ : إنَّه يقولُ إنَّها بقرةٌ لا ذلولٌ تثيرُ الأرضَ ولا تسقي الحرثَ﴾ إنها مكرّمة ليست مذللة بالحراثة ، ولا مُعَدّة للسقي ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلَّمها الله من العيوبِ ﴿لا شِيَةَ فيها﴾ أي لا لون فيها يخالف لونَ جلدها من بياض وسواد وحُمرة ، فهي صفراء كلها ﴿قالُوا : الآنَ جئتَ بالحقِّ﴾ بحقيقة وصف البقرة بحيث ميّزتها عن جميع ما عداها ﴿فذَبَحُوهَا وما كادُوا يفعلونَ﴾ لفرط استثقالهم الأمر.

[٧٢] ﴿وإذْ قتَلْتُمْ نَفْساً فادّارأتُمْ فيها﴾ اختلفتم واختصمتم في شأنها ﴿واللَّهُ مخرجٌ ما كُنْتُم تكتمونَ﴾ مظهره لا محالة ، لا يتركه مكتوماً.

[٧٣] ﴿فقلنا : اضربوهُ ببعضِهَا﴾ أي اضربوا المقتول بجزء من البقرة ، فضربوه فحيي وأخبر بقاتله ﴿كذلك﴾ مثل هذا الإحياء العظيم ﴿يحيي الله الموتى﴾ يوم القيامة ﴿وَيُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ دلائله الدالة على أنّه تعالى على كل شيء قدير ﴿لعلّكم تعقلونَ﴾.

[٧٤] ﴿ثمَّ قستْ قُلوبُكم من بعدِ ذلكَ﴾ المخاطبون ، أهل الكتاب الذين كانوا في زمنه ﷺ ﴿فهي كالحِجارةِ أو أشدُّ قسوةً ، وإنَّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهارُ﴾ يتفتّح بالسعة والكثرة ﴿وإنَّ منها لَـمَا يَشَّقَّقُ فيخرُجُ منه الماءُ﴾ تتفجّر منه عيون الماء ﴿وإنَّ منها لَـمَا يهبِطُ من خشيةِ اللَّهِ﴾ والمحقّقون على أنَّ هذه الآية وأمثالها من المجازِ البليغ. وقالَ آخرونَ : أي يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعهِ ﴿وما اللَّهُ بغافلٍ عمّا تعملونَ﴾ فيه من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يَخْفَى. [روى ابن جرير عن مجاهد قال : كل حجر يتفجر منه الماء ، أو يتشقق عن ماء ، أو يتردى من رأس جبل ، فهو من خشية الله عز وجل ، نزل بذلك القرآن].

[٧٥] ﴿أفتطمعونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا﴾ أي هؤلاء اليهود ﴿لَكُمْ﴾ مستجيبين لكم ﴿وقدْ كانَ فريقٌ منهمْ﴾ أي طائفة فيمن سلف منهم ، والظاهر أن المراد أحبارُهم ﴿يَسْمَعون كلامَ اللَّهِ﴾ التوراة ﴿ثم يحرّفونَه﴾ يبدّلون معناه وتأويله ويغيّرونه ﴿من بعد ما عَقَلُوه﴾ فهموه ﴿وهم يعلمونَ﴾ أنهم مخطئون.

[٧٦] ﴿وإذا لَقُوا الذينَ آمنوا﴾ والمقصود أصحابَ النبي ﷺ ﴿قالوا : آمنَّا ، وإذا خَلاَ بعضُهم﴾ من الذين لم ينافقوا ﴿إلى بَعْضٍ﴾ أي الذين نافقوا منهم ﴿قالوا﴾ عاتبين عليهم ﴿أتحدّثُونَهم بما فتحَ اللهُ عليكم﴾ بما بيّن لكم في التوراة من البشارة بالنبيّ ﷺ قال ابن جرير: أصل الفتح في كلام العرب النصر والقضاء والحكم. والمعنى : أتحدثونهم بما حكم الله به عليكم وقضاه منكم؟ ومن حكمه تعالى وقضائه فيهم ما أخذ به ميثاقهم من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به في التوراة ﴿لِيُحَاجُّوكم﴾ ليقيم المؤمنون به عليكم الحُجَّة ﴿به عندَ ربِّكم﴾ في الآخرة ﴿أفلا تعقلونَ﴾ وهذا من تمام التوبيخ والعتاب.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٧] ﴿ **أَوَلا يعلمونَ أنَّ اللَّـهَ يعلمُ ما يُسِرُّونَ** ﴾ يُخفون ﴿ **وما يُعلنونَ** ﴾ يُظهرون. [قال الحسن: ﴿ أنَّ الله يعْلم ما يُسِرُّون ﴾ كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد ﷺ وخلا بعضهم إلى بعض تناهوا أن يُخبر أحدٌ منهم أصحاب محمد ﷺ بما فتح الله عليهم مما في كتابهم خشية أن يحاجهم أصحاب محمد ﷺ بما في كتابهم عند ربهم، ﴿ وما يعلنون ﴾ يعني حين قالوا لأصحاب محمد ﷺ ﴿آمنا﴾ ـ ابن كثير].

[٧٨] ﴿ **ومنهم أمّيّونَ** ﴾ لا يحسنون الكتابة ﴿ **لا يعلمونَ الكتابَ** ﴾ لا يدرون ما في التوراة من الحدود والأحكام والمواثيق ﴿ **إلا أَمَانِيَّ** ﴾ جمع أمنية، والمقصود: أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبّلوها على التقليد ﴿ **وإنْ هُمْ إلاَّ يظنّونَ** ﴾ ما هم إلاَّ قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد، من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم. [عن مجاهد ﴿ ومِنْهُم أميُّون لا يَعلمون الكتابَ إلا أماني﴾ قال: أناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ويقولون: هو من الكتاب ﴿أماني﴾ يتمنونها، والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرّصه، ومنه الخبر المرويّ عن عثمان رضي الله عنه: «ما تغنّيت ولا تمنيت» يعني ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب ـ ابن كثير].

[٧٩] ﴿ **فويلٌ للذينَ يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثم يقولونَ هذا من عندِ الله لِيَشْتَرُوا به ثمناً قليلاً** ﴾ الويل: الهلاك وشدّة العذاب ﴿ **فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم** ﴾ مما غيَّرت أيديهم من الكتاب ﴿ **وويلٌ لهم مما يكسِبُونَ** ﴾ يُصيبون من الحرام والسحت. [قال السدي: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم، يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله، ليأخذوا به ثمناً قليلاً ـ ابن جرير].

[٨٠] ﴿ **وقالوا: لن تمسّنا النّارُ إلاّ أيّاماً معدودةً** ﴾ مرادهم بذلك أنهم لا يُخلّدون فيها ﴿ **قل: أَتَّخذْتُم عند اللّهِ عهداً** ﴾ أي عَهِدَ إليكم أنّه لا يعذبكم إلا هذا المقدار ﴿ **فلنْ يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَه، أمْ تقولونَ** ﴾ مفترين ﴿ **على اللّهِ ما لا تعلمونَ** ﴾.

[٨١] ﴿ **بلى من كسب سيئة** ﴾ شركاً ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ اجتمعت عليه فمات عليها قبل الإنابة والتوبة منها ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ لا يخرجون منها أبداً.

[٨٢] ﴿ **والّذين آمنوا وعَمِلُوا الصّالحاتِ أولئكَ أصحابُ الجنّةِ هُمْ فيهَا خالدُونَ** ﴾ لا يُخرجون منها.

[٨٣] ﴿ **وإذْ أخَذْنَا ميثاقَ بني إسرائيلَ** ﴾ الميثاق: العهد ﴿ **لا تعبدونَ إلا اللهَ، وبالوالدينِ إحساناً** ﴾ الإحسان: نهاية البرّ، فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية ﴿ **وذِي القُرْبى** ﴾ القرابة ﴿ **واليتامَى** ﴾ جمع يتيم: وهو من مات أبوه وهو صغير، قدَّم تعالى الوصية به على الوصية بالمسكين ولم يقيدها بفقر ولا مسكنة، فعلم أنها مقصودة لذاتها ﴿ **والمساكينِ** ﴾ المسكين: من يعجز عن كسب ما يكفيه ﴿ **وَقُولوا للنّاسِ حُسناً** ﴾ أي قولاً حسناً ﴿ **وأقيموا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ، ثم تولَّيْتُم** ﴾ أعرضتم عن المضيّ على مقتضى الميثاق الذي فيه سعادتكم ورفضتموه ﴿ **إلاّ قليلاً منكم** ﴾ فإنه لا تخلو أمة من الأمم من المخلصين ﴿ **وأَنْتُمْ مُعرِضُونَ** ﴾ عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿ وإذْ أَخَذْنَا ميثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ لا يقتل بعضكم بعضاً ﴿ ولا تُخرجونَ أَنْفُسَكُمْ من ديارِكم ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من منزله ﴿ ثمَّ أقررتُمْ ﴾ أظهرتم الالتزام بموجب المحافظة على الميثاق المذكور ﴿ وأنْتُمْ تشهدونَ ﴾ توكيدٌ للإقرار. [كان الأوس والخزرج في الجاهلية عبّاد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت اليهود في المدينة ثلاث قبائل « بنو قينقاع » و« بنو النضير» حلفاء الخزرج ، و« بنو قريظة » حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر ، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم ، ويخرجونهم من بيوتهم ، وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها افتكّوا الأسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة ـ ابن كثير] .

[٨٥] ﴿ ثمَّ أنْتُمْ هؤلاءِ ﴾ خطاب للحاضرين ﴿ تقتلونَ أنفسَكم وتخرجونَ فريقاً منكم من ديارهم ﴾ من غير التفات إلى هذا العهد الوثيق ﴿ تَظَاهَرونَ عليهمْ ﴾ تتعاونون عليهم ﴿ بالإثْمِ ﴾ الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللّوم ﴿ والعُدْوَانِ ﴾ التجاوز في الظلم ﴿ وإنْ يأتُوكم أُسَارى ﴾ أُسَارى : جمع أسير ﴿ تُفَادُوهم ﴾ تخلّصوهم بالمال من الفداء ﴿ وهو محرَّمٌ عليكم إخْراجُهُم ، أفتؤمنون ببعضِ الكتابِ ﴾ التوراة ﴿ وتكفرون ببعضٍ ، فَما جزاءُ من يفعلُ ذلك منكم ﴾ إشارة إلى الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان ببعضه الآخر ﴿ إلا خِزْيٌ في الحياةِ الدُّنْيا﴾ الخزيّ : الذلّ والهوان مع الفضيحة ﴿ ويومَ القيامَةِ يُرَدُّون إلى أشدِّ العذابِ ﴾ النّار ﴿ وما اللّهُ بغافِلٍ عمّا تعملونَ ﴾ .

[٨٦] ﴿ أولئكَ الّذينَ اشْتَرَوُا ﴾ آثروا ﴿ الحياةَ الدُّنيا ﴾ على خساستها ﴿ بالآخرةِ ﴾ مع نفاستها ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عنهم العذابُ﴾ في واحدة من الدارين ﴿ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي لا ينصرهم في الآخرة أحد، فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله، لا بقوته ولا بشفاعته ولا غيرهما .

[٨٧] ﴿ ولقدْ آتَيْنا موسى الكتابَ ﴾ التوراة ﴿ وَقَفَّيْنَا من بعدِهِ بالرُّسُلِ ﴾ أرسلنا من بعده الرسل ليجددوا لكم أمرَ الدين ويؤكدوا عليكم العهود ﴿ وآتَيْنا عيسى ابن مريمَ ﴾ عيسى : اسم معرّب أصله : يسوع : لفظة يونانية بمعنى مخلِّص ﴿ البيّناتِ ﴾المعجزات الواضحات ﴿ وأيَّدْناه ﴾قوّيناه ﴿ بروحِ القُدُسِ ﴾ جبريل ﴿ أفكلّما جاءَكم رسولٌ بما لا تَهْوَى أنفُسُكم ﴾ بما لا تحبُّه ﴿ استكبَرْتُمْ ﴾ عن الاتباع له والإيمان بما جاء به من عند الله ﴿ ففريقاً كذَّبْتُم وفريقاً تَقْتُلونَ ﴾ .

[٨٨] ﴿ وقالوا﴾ والقائلون هم المعاصرون للنبي ﷺ ﴿ قُلوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أي مغشاة بأغطية مانعة من وصول أثر دعوتك إليها ، فلا تفقهه ﴿ بل لَعَنَهُمُ اللّهُ بكفرِهم ﴾ أي طردهم من رحمته بسبب كفرهم وزيغهم ﴿ فقليلاً ما يُؤمنونَ ﴾ أي فإيماناً قليلاً يؤمنون ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب .

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾

[٨٩] ﴿ ولمّا جاءَهُم كتابٌ من عندِ اللّهِ ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ مصدِّقٌ لما معَهُمْ ﴾ من التوراة ﴿ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ قبل مجيئه يطلبون من الله النصر ﴿ على الذينَ كَفَرُوا ﴾ من مشركي جزيرة العرب ﴿ فلمّا جاءَهم ما عَرَفوا ﴾ صحته وصدقه ﴿ كَفَرُوا بِهِ ﴾ امتنعوا عن الإيمان به خوفاً من زوال رياستهم وأموالهم ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكافِرينَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كانت يهود خيبر تقاتل غطَفان ، فكلما التقوا هُزمت يهود خيبر ، فعاذت بهذا الدعاء وقالت : اللهم إنا نسألك بحقّ النبي الأميّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء ، فهزموا غطفان ، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ أي بك يا محمد ، إلى قوله : ﴿ فلعنة اللّه على الكافرين ﴾ .[وقال السديّ : كانت العرب تمر بيهود فيلقون منهم أذى ، وكانت اليهود تجد نعت محمد ﷺ في التوراة ، ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلون معه العرب ، فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به حسداً ، وقالوا : إنما كانت الرسل من بني إسرائيل ، فما بال هذا من بني إسماعيل ؟ ـ النيسابوري] .

ربع الحزب ٢

[٩٠] ﴿ بِئْسَمَا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزَلَ الله ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ بَغْياً ﴾ حسداً ﴿ أن ينزِّلَ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ الذي هو الوحي ﴿ على مَنْ يشاءُ من عبادِهِ ، فباءُوا ﴾ رجعوا ﴿ بِغَضَبٍ على غَضَبٍ ﴾ كانوا استحقُّوه قبل بعثته ﷺ من أجل تحريفهم الكَلِم ﴿ وللكافرينَ عذابٌ مُهينٌ ﴾ يُراد به إهانتهم وإذلالهم .

[٩١] ﴿ وإذا قيلَ لهم ﴾ لليهود ﴿ آمنوا بما أنزلَ اللّهُ ﴾ على محمد ﷺ ﴿ قالوا : نُؤمنُ بما أُنزلَ علينا ﴾ من التوراة ﴿ ويكفُرُونَ بما وراءَهُ ﴾ بما بعده ﴿ وهو الحقُّ مُصَدِّقاً لما مَعَهُم ﴾ منها غير مخالف له ﴿ قُلْ : فلمَ تقتُلونَ أنبياءَ اللهِ من قبلُ إنْ كنتمْ مؤمنينَ ﴾ أي إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم ، فلِمَ قتلتم الأنبياء الذين جاؤوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم وأنتم تعلمون صدقهم ؟ .

[٩٢] ﴿ ولقدْ جاءَكُم مُوسَى بالبيّناتِ ﴾ الدلائل القاطعات على أنّه رسولُ الله ، وأنه لا إله إلا الله ﴿ ثمَّ اتَّخذْتُمُ العِجْلَ ﴾ معبوداً من دُونِ اللّهِ ﴿ من بعدِهِ ﴾ من بعد ما ذهب موسى عنكم إلى الطور لمناجاة الله عزَّ وجلَّ ﴿ وأنتمْ ظالمونَ ﴾ وأنتم قومٌ عادتكم الظلم .

[٩٣] ﴿ وإذْ أخَذْنَا ميثاقَكُم ﴾ على الإيمان والطاعة ﴿ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ ﴾ ما أُمرتم به في التوراة ﴿ بقوّة ﴾ بجد ﴿ واسمعوا ﴾ أطيعوا ﴿ قالُوا سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿ وَعَصَيْنا ﴾ أمرك ﴿ وأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ العجلَ ﴾ أي حُبَّه ﴿ بكفرهم ﴾ بسبب كفرهم ﴿ قُلْ : بئسَمَا يأمُرُكم بهِ إيمانُكم إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ كما زعمتم بالتوراة ، وإذ لا يسوّغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعاً [قال ابن جرير: وإنما كذّبهم الله بذلك لأن التوراة تنهى عن ذلك كله وتأمر بخلافه ، فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة إن كان يأمرهم بذلك فبئس الأمر تأمر به ، وإنما ذلك نفي من الله تعالى ذكره عن التوراة ، أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم . . . وإعلام منه جل ثناؤه أن الذي يأمرهم بذلك أهواؤهم ، والذي يحملهم عليه البغي والعدوان] .

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

١٥

[٩٤] ﴿ **قُلْ : إنْ كانتْ لكُمُ الدارُ الآخرةُ عندَ اللّهِ** ﴾ الجنّة ﴿ **خالصةً من دونِ الناسِ** ﴾ خاصة بكم ﴿ **فتمنَّوُا الموْتَ إنْ كنتُم صادقينَ** ﴾ لأن من أيقن أنــه من أهل الجنّة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم ، والمراد بالتمني هنا : التلفظ بما يدلّ عليه ، لا مجرد مَيْل النفس إليه .

[٩٥] ﴿ **وَلَنْ يَتَمَنّوْهُ أَبَداً بما قدّمتْ أيْدِيهِمْ** ﴾ بما أسْلفوا من أنواع العصيان ﴿ **واللّهُ عليمٌ بالظّالمين** ﴾ .

[٩٦] ﴿ **ولتجدنَّهم أحرصَ النَّاسِ على حياةٍ** ﴾ التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة ، [ويرى سيد قطب في كتابه ـ في ظلال القرآن ـ عند تفسيره لهذه الآية : ﴿ ولتجدنَّهم أحرصَ النَّاسِ على حياةٍ ﴾ . . أية حياة لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق ! حياة فقط . . . . حياة والسلام] ﴿ **ومن الذين أشركوا** ﴾ أشد من حرص المشركين المنكرين للجزاء ﴿ **يَوَدُّ أحدُهم لو يُعمَّرُ ألفَ سنةٍ وما هو بمُزَحْزِحِهِ** ﴾ أي يبعده وينجيه ﴿ **من العذابِ أن يُعمَّرَ ، واللّهُ بصيرٌ بما يعملونَ** ﴾ فسوف يجازيهم عليه .

[٩٧] ﴿ **قُل : مَنْ كانَ عدوّاً لجبريلَ** ﴾ قالت اليهود : « عدوّنا جبريل وسِلْمنا ميكائيل » ، وهما من الملائكة عليهم السلام ﴿ **فإنّه** ﴾ أي جبريل ﴿ **نزّله** ﴾ للقرآن ﴿ **على قلبكَ** ﴾ بيان محل الوحي ﴿ **بإذنِ اللهِ** ﴾ بأمره ﴿ **مصدّقاً لما بَيْنَ يديهِ** ﴾ من التوراة وبقية الصحف المنزّلة ﴿ **وهدىً** ﴾ يهدي للرشد ﴿ **وبُشرى للمؤمنينَ** ﴾ بُشرى لهم بالجنّة .

[٩٨] ﴿ **من كانَ عَدُوًّا للهِ وملائكتهِ ورُسُلِهِ وجبريلَ وميكالَ فإنَّ اللهَ عدوٌّ للكافرينَ** ﴾ وإنما خص جبريل وميكال بعد ذكر الملائكة للدلالة على فضلهما وللتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر، واستجلاب العداوة من الله تعالى، وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع . [روى ابن جرير عن قتادة قوله : قالت اليهود : إن جبريل هو عدونا لأنه ينزل بالشدة والحرب والسنة ، وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب فجبريل عدونا] .

[٩٩] ﴿ **ولقدْ أنزلْنا إليكَ آياتٍ بيّناتٍ** ﴾ هي ما حواه القرآن من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أحبارهم ﴿ **وما يكفُرُ بها إلاّ الفاسِقُونَ** ﴾ المتمرّدُون من الكفرة ، وهم اليهود .

[١٠٠] ﴿ **أوكلّما عاهدوا عهداً نَبَذَهُ فريقٌ مِنْهُمْ** ﴾ فكفروا بالآيات البينات . والنبذ : الرمي بالذمام ، ورفضه ﴿ **بل أكثرهم لا يُؤمنون** ﴾ وفي قوله أكثرهم دفع لما يتوهم من أن النابذين هم الأقلون .

[١٠١] ﴿ **ولمّا جاءهم رسولٌ منْ عندِ اللهِ مصدقٌ لما معهم نبذَ فريقٌ من الذينَ أُوتوا الكتابَ كتابَ اللّه** ﴾ يعني التوراة ، وقيل القرآن ﴿ **وراءَ ظُهُورِهِمْ** ﴾ استغناءً عنه وقلة التفات إليه ﴿ **كأنّهم لا يَعْلَمُونَ** ﴾ أي نبذوه وراء ظهورهم مشبَّهين بمن لا يعلمه [أو إنهم ـ هذا الفريق ـ نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ليجروا خلف أساطير غامضة لا تستند إلى حقيقة ثابتة ، يقول صاحب ـ في ظلال القرآن ـ : يستوي في هذا النبذ كتاب الله الذي معهم ، والذي يتضمن البشرى بهذا النبي وقد نبذوه ، والكتاب الجديد مع النبي الجديد وقد نبذوه أيضاً] .

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿ **واتّبعوا ما تَتْلُوا** ﴾ تقص وتحدّث ، أو بمعنى تكذب وتختلق ﴿ **الشياطينُ** ﴾ خبثاء الإنس وأشرارهم ﴿ **على مُلْكِ سُليمانَ** ﴾ على عهد ملكه ﴿ **وما كفر سُليمانُ** ﴾ زعم اليهودُ أن سليمان عليه السلام كان يمارس السحر فبرّأه الله تعالى معتبراً السحر من أعمال الكفر ﴿ **ولكنَّ الشياطينَ كفروا** ﴾ كفرهم بآيات الله المنزلة ، أو باستعمال السحر والشعوذة ﴿ **يعلّمونَ الناسَ السِّحْرَ وما أُنزلَ على الملكَيْنِ ببابلَ** ﴾ بابل : بلدٌ قديمٌ بالعراق ﴿ **هاروتَ وماروتَ ، وما يعلّمان من أحدٍ حتى يقولا: إنّما نحن فتنةٌ فلا تكفُرْ** ﴾ للمفسرين في تفسير هذه الآية آراء متباينة اختار القاسمي ما ملخصه أن اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم ، واعتاضوا عنه بالأقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه ، وزعموا أنه كَفر ، وهو لم يكفر ، ولكن شياطينهم هم الذين كفروا ، وصاروا يعلمون الناس السحر ، ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سمّوهما ملكين ، ولم ينزل عليهما شيء ، وإنما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان إلاّ الخيرَ ﴿ **فيتعلّمون مِنْهُما ما يفرّقونَ به بين المرءِ وزوجه** ﴾ وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل والدهاء أنهم يفرقون المجتمعين المرء وزوجه ﴿ **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** ﴾ فليس في تعلم السحر إلا المضرّة ﴿ **ولقد علموا** ﴾ أي اليهود ﴿ **لَمَنِ اشتراهُ** ﴾ استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله ﴿ **مَا لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ** ﴾ من نصيب ﴿ **ولَبِئْسَ مَا شَرَوْا به أنفسَهم** ﴾ أي ما باعوا به حظهم الأخرويّ ﴿ **لو كانوا يَعْلَمُونَ** ﴾ جعلهم غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم . [عن عمران بن الحارث قال : بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ قال : إنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء فيجيء أحدهم بكلمة حق فإذا جرّب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فبشر بها قلوب الناس ، فأطلع على ذلك سليمان ، فأخذها فدفنها تحت الكرسي ، فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال : ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا : نعم ، قال : تحت الكرسي ، فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحر . فتناسخته الأمم ، فأنزل الله عذر سليمان ﴿ واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان وما كفرَ سليمان ﴾ - النيسابوري] .

[١٠٣] ﴿ **ولو أنّهم آمنوا واتّقَوْا لَمَثُوبَةٌ من عندِ اللهِ خيرٌ** ﴾ لأُثيبوا من عندِ اللهِ خيراً ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمونَ** ﴾ أي أن ثواب الله خير .

[١٠٤] ﴿ **يَا أَيُّها الذينَ آمنوا لا تَقُولُوا** ﴾ للنبيّ ﷺ ﴿ **راعِنَا** ﴾ وهي كلمة تعني بالعربية الرعاية بينما استغلها اليهود الخبثاء لأنها تعني بلغتهم الرعونة وهو معنى سيّء ﴿ **وقولوا: انظرنا** ﴾ انظر إلينا ﴿ **واسمعوا** ﴾ وقولوا ما أمرتكم به وامتثلوا جميع أوامري ﴿ **وللكافرينَ** ﴾ اليهود ﴿ **عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

[١٠٥] ﴿ **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهلِ الكتابِ ولا المُشْرِكِينَ أن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم من خيرٍ من ربِّكم ، واللّهُ يختصُّ برحمته من يشاءُ ، واللّهُ ذو الفضلِ العَظِيم** ﴾ بيان لشدة عداوة الكافرين من القبيلين للمؤمنين حسداً وبغياً ليقطع التشبه بهم . [قال أبو جعفر: وفي هذه الآية دلالة بيّنة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين] .

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

نصف الحزب ٢

[١٠٦] ﴿ **ما ننسخْ من آيةٍ** ﴾ ما نبدّل من آية بغيرها ، كنسخنا آيات التوراة بآيات القرآن ، والمقصود من نسخ الحكم السابق تهيّؤ النفوس لأرقى منه ﴿ **أو نُنْسِها** ﴾ نذهبها من القلوب ﴿ **نأْتِ بخيرٍ منها أو مِثْلِها ، ألَمْ تعلمْ أنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قديرٌ** ﴾ هو يقدر على الخير ، وما هو خير منه ، وعلى مثله في الخير . قال الراغب : وإنما تغيُّرُ ذلك يرجع إلى مصلحة العباد ، وأن الأليق بهم في الوقت المتقدم الحكم المتقدم ، وفي الوقت المتأخر الحكم المتأخر . [قال المفسرون : إن المشركين قالوا : أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمرٍ ، ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً . فأنزل الله : ﴿ وإذا بدَّلنا آيةً مكان آية ﴾ [النحل : ١٠١] الآية ، وأنزل أيضاً : ﴿ ما ننسخ من آيةٍ أو ننسها ﴾ الآية ـ النيسابوري].

[١٠٧] ﴿ **ألَم تعلمْ أنَّ اللَّهَ له مُلْكُ السمٰواتِ والأَرْضِ** ﴾ يملك أموركم ويدبّرها ﴿ **وما لكم من دونِ الله من وليٍّ** ﴾ يلي أموركم ﴿ **ولا نصيرٍ** ﴾ يمنعكم من العذاب .

[١٠٨] ﴿ **أم تُريدُونَ أن تَسْأَلُوا رسولَكُمْ كما سُئِلَ مُوسَى من قبل ، ومن يتبدّلِ الكُفْرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ سَواءَ السَّبيلِ** ﴾ ولا تقترحوا فتضِلُّوا ويؤدي بكم الضلال إلى البُعد عن المقصد وتبديل الكفر بالإيمان . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش ، قالوا : يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً ، ووسّع لنا أرض مكة ، وفجِّر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري].

[١٠٩] ﴿ **وَدَّ كثيرٌ من أهل الكتابِ لو يردُّونكم من بعدِ إيمانِكم كُفَّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدِ ما تبيّن لَهُمُ الحقُّ** ﴾ من صحة رسالة محمد ﷺ ﴿ **فَاعْفُوا واصْفَحُوا** ﴾ أعرِضوا عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿ **حتّى يأْتِيَ اللَّهُ بأَمْرِهِ** ﴾ وهو الإذن في قتالهم وإجلائهم ﴿ **إنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قديرٌ** ﴾ فينتقم منهم إذا آن أوانه .

[١١٠] ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزكاةَ ، وما تُقَدِّموا لأَنْفُسِكُمْ من خَيْرٍ تَجِدُوهُ عندَ اللهِ** ﴾ أي تجدونَ ثوابَه عند الله ﴿ **إنَّ اللَّهَ بما تعملونَ بصيرٌ** ﴾ فلا يضيع عنده عمل عامل .

[١١١] ﴿ **وقالوا** ﴾ أي أهل الكتاب من اليهود والنّصارى ﴿ **لن يَدْخُلَ الجنَّة إلا من كان هُوداً أو نصارى ، تلكَ أمانيُّهم** ﴾ جمع أُمنية ﴿ **قل : هاتُوا بُرهانَكم** ﴾ حُجتكم ﴿ **إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ** ﴾ فكل قول لا دليل عليه هو باطل غير ثابت .

[١١٢] ﴿ **بَلَى من أَسْلَمَ وجْهَه للهِ** ﴾ من أخلص توجّهه وقصده ﴿ **وهو مُحْسِنٌ** ﴾ موافق لهَدْيه ﷺ القائل : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم ﴿ **فَلَهُ أجرُهُ عند ربِّه** ﴾ يُدخله الجنّة ﴿ **ولا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ . [قال ابن جرير : إنه ليس كما قال الزاعمون ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن فهو الذي يدخلها وينعم فيها].

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿ وقالتِ اليهودُ: ليستِ النَّصارى على شيءٍ ﴾ أمرٍ يعتدّ به من الدين ﴿ وقالت النّصارى: ليستِ اليهودُ على شيءٍ ، وهم يتلونَ الكِتَابَ ﴾ التوراة أو الإنجيل ، وحق من حمل التوراة أو الإنجيل ، أو غيرهما من كتب الله ، وآمن به أن لا يكفر بالباقي ﴿ كذلكَ قالَ الذينَ لا يعلمونَ مثلَ قولهم ﴾ فالذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام قالوا لأهل كل دين ﴿ مثل قولهم ﴾ ليسوا على شيء ﴿ فاللَّهُ يحكمُ بَيْنَهُم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيهِ يختلفونَ ﴾ من الحق والباطل. [نزلت هذه الآية في يهود المدينة ونصارى نجران ، وذلك أنَّ وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقالت اليهود : ما أنتم على شيء من الدين ، وكفروا بعيسى والإنجيل . وقالت لهم النصارى : ما أنتم على شيء من الدين ، فكفروا بموسى والتوراة ـ النيسابوري] .

[١١٤] ﴿ ومنْ أظلمُ ممَّنْ منعَ مساجدَ اللَّه أنْ يُذكرَ فيها اسمُهُ وسَعَى في خَرابِها ، أولئك ما كانَ لهمْ أنْ يدخُلُوها إلاَّ خائفينَ ، لهم في الدّنيا خِزْيٌ ﴾ فلا يجترىء أحدٌ من المشركين أن يحجَّ ويدخل المسجدَ الحرام ﴿ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ﴾ عذاب النّار. [نزلت هذه الآية في ططوس ـ بختنصر ـ الرومي وأصحابه من النصارى ، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل ، فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وحرقوا التوراة ، وخربوا بيت المقدس ، وقذفوا فيه الجيف . وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي ـ النيسابوري] .

[١١٥] ﴿ وللهِ المشرقُ والمغربُ ﴾ وهذا بيان لشمول ملكوته لجميع الآفاق ﴿ فأينما تُـوَلُّوا فثمَّ وجـهُ اللهِ ، إنَّ اللَّـهَ واسعٌ عليمٌ ﴾ عمَّ كلَّ شيءٍ بعلمه وتدبيره وإحاطته به وعلوّه عليه .

[١١٦] ﴿ وقالوا : اتَّخذَ اللَّهُ ولداً ﴾ يريد الذين قالوا : المسيحُ ابن الله ، وعزيرٌ ابنُ الله ، والملائكةُ بناتُ الله ﴿ سبحانَـهُ ﴾ أي تقدّس وتنزّه عمّا زعموا ﴿ بَلْ لَـهُ ما في السمٰواتِ والأرضِ ، كلٌّ له قانتونَ ﴾ منقادون .

[١١٧] ﴿ بديعُ السمٰواتِ والأرضِ ﴾ فهو مبدعها وخالقها على غير مثال سبق ﴿ وإذَا قضى أمراً ﴾ إذا أرادَ أمراً ﴿ فإنّما يقول له : كُنْ فيكونُ ﴾ .

[١١٨] ﴿ وقالَ الذينَ لا يعلمونَ ﴾ من المشركين أو من أهل الكتاب[وقال ابن جرير: النصارى]﴿ لولا يكلّمنا اللَّهُ ﴾ هَلاَّ يكلّمنا ﴿ أو تأتينا آيةٌ ﴾ معجزة ، جحوداً لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات ، واستهانةً بها ﴿ كذلكَ قالَ الذينَ مِنْ قَبْلِهم ﴾ [وقال ابن جرير عن مجاهد : هم اليهود] ﴿ مثلَ قَوْلِهم ، تشابَهَتْ قُلُوبُهم ، قد بيّنّا الآياتِ لقوم يوقِنُونَ ﴾ المعنى أنهم اقترحوا آية فذّة ونحن قد بيّنّا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين .

[١١٩] ﴿ إنّا أرسلنـاكَ بالحقِّ بشيراً ﴾ بالثواب للمؤمنين ﴿ ونذيراً ﴾ بالعقاب للكافرين ﴿ ولا تُسْأَلُ عنْ أصحابِ الجحيمِ ﴾ وهي النّار الشديدة التأجج . أي ولا تُسأل عن عدم إجابة الناس للدعوة ، كما قال تعالى : ﴿ إنْ أَنْتَ إلاّ نَذير ﴾ [سورة فاطر: الآية رقم ٢٣] .

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

[١٢٠] ﴿ **ولن ترضى عنكَ اليهودُ ولا النَّصارَى حَتَّى تَتَبعَ ملَّتَهُمْ** ﴾ تنبيه على أنه لا يرضيهم إلا ما لا يجوز وقوعه منه عليه السلام ﴿ **قل : إنَّ هُدَى اللَّهِ** ﴾ الإسلام ﴿ **هو الهُدَى ، ولئن اتَّبعْتَ أهواءَهم** ﴾ آراءهم الزائفة ﴿ **بعد الذي جآءَكَ من العِلْم** ﴾ من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة ﴿ **ما لَكَ من اللَّهِ من وليٍّ ولا نَصِيرٍ** ﴾ . [وفي الحديث : (الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدُكم من يخالل) رواه الترمذي . وفيه : (من تشبّه بقوم فهو منهم) رواه أبو داود وأحمد . وفيه : (المرءُ مع من أحبَّ) متفق عليه]. قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا في القِبلة ، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم ، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم ، فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم ، فأنزل تعالى هذه الآية ـ النيسابوري].

ثلاثة أرباع الحزب ٢

[١٢١] ﴿ **الَّذينَ آتيناهمُ الكتابَ يتلونَه** ﴾ أي يتلون القرآن الكريم ﴿ **حقَّ تِلاوَتِه** ﴾ وعن ابن مسعود : « إن حق تلاوته أن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه » ﴿ **أولئك يؤمنون به ، ومن يكفُرْ به فأولئك همُ الخاسِرُونَ** ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى .

[١٢٢] ﴿ **يا بني إسرائيلَ اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأنّي فضَّلتُكُمْ على العالمينَ** ﴾ وذلك بإرسال الأنبياء في زمانكم وعصركم .

[١٢٣] ﴿ **واتّقوا يوماً لا تَجْزي** ﴾ لا تُغني ﴿ **نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ، ولا يُقبَلُ منها عدْلٌ** ﴾ فداءٌ ﴿ **ولا تنفعها شفاعةٌ ولا هم يُنصَرونَ** ﴾ أي يُمنعون من عذاب الله .

[١٢٤] ﴿ **وإذِ ابتلَىٰ إبراهيمَ ربُّه** ﴾ الابتلاء : الاختبار ﴿ **بكلماتٍ** ﴾ بأوامر ونواهٍ ﴿ **فأتمّهُنَّ** ﴾ وفّاهُنَّ أحسنَ الوفاء ﴿ **قالَ : إنّي جاعِلُكَ للنّاسِ إماماً** ﴾ قدوةً لِمَنْ بَعْدَكَ ﴿ **قال** ﴾ إبراهيمُ ﴿ **ومِنْ ذُرّيّتي** ﴾ واجعل من ذريتي أئمة ﴿ **قال : لا ينالُ عهْدِي** ﴾ الذي عهدته إليكَ بالإمامة ﴿ **الظالمينَ** ﴾ أيّ منهم . والمراد بالعهد الإمامة في الدين وهي النبوة التي حُرمها الظالمون من ذريته .

[١٢٥] ﴿ **وإذْ جعلْنا البَيْتَ** ﴾ الكعبة ﴿ **مثابةً للنّاسِ** ﴾ مرجعاً للحجاج والعُمّار كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقاً ﴿ **وأمْناً** ﴾ مأمناً لمن دخله ﴿ **واتَّخِذُوا مِنْ مقامِ إبراهيمَ مصلًّى** ﴾ وهو الحرم كلُّه ، وقال ابن كثير : هو الحجر الذي يصلّي عنده الأئمة ﴿ **وعَهِدْنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ** ﴾ أمرناهما ﴿ **أن طهِّرا بَيْتِيَ** ﴾ عن كلِّ رجسٍ حسّيّ ومعنويّ ﴿ **للطائفينَ** ﴾ أي : حوله ، القادمين من غُربة ﴿ **والعاكفين** ﴾ من أهله المقيمين فيه أو المعتكفين ﴿ **والرُّكّعِ السُّجُودِ** ﴾ جمع راكع وساجد .

[١٢٦] ﴿ **وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ اجْعَلْ هذا** ﴾ الموضع الذي فيه بيتك ﴿ **بلداً آمِناً** ﴾ من الخوف ، وفي الحديث : (لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السِّلاح) رواه مسلم ﴿ **وارزقْ أهلَه من الثّمراتِ** ﴾ لأن مكة لم يكن بها زرعٌ ولا ثمر ﴿ **مَنْ آمنَ منهم باللّهِ واليومِ الآخِرِ** ﴾ أي ارزقْ المؤمنينَ مِنْ أهلِه خاصّة وفيه ترغيب لقومه في الإيمان ﴿ **قال : ومَنْ كَفَرَ فأمتّعه قليلاً** ﴾ المتعة : الزاد القليل ﴿ **ثم أضطرُّهُ إلى عذابِ النّارِ** ﴾ أُلجئُه إليه ﴿ **وبئس المصيرُ** ﴾ النّار أو عذابها .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿ وإذْ يرفعُ إبراهيـمُ القواعدَ ﴾ جمع قاعـدة ، وهي الأساس والأصل لما فوقهُ ﴿ من البيتِ وإسماعيلُ ﴾ : ربَّنا تقبّل منّا ، **إنّك أنت السميعُ العليمُ** ﴾ [عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال : (ألم تـريْ أن قـومك حين بنوا البيت اقتصروا على قـواعد إبـراهيم؟) فقلت : يـا رسول الله ألا تـردّها على قـواعد إبـراهيم؟ قال : (لـولا حدثان قـومك بالكفر) رواه البخـاري ـ ابن كثير] .

[١٢٨] ﴿ ربّنا واجعلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ زدنا إخلاصاً أو إذعاناً لك ﴿ ومِنْ ذرّيتنـا أُمَّـةً مسلمـةً لك ، وأرِنـا مَناسِكَنا ﴾ علّمنـا كيف نعبـدك ، وأين نعبدك وبهاذا نتقرّب إليك ﴿ وتُبْ علينا ، إنَّك أنتَ التوّابُ الرّحيمُ ﴾ فـالعبـد وإن اجتهد في طـاعـة ربّـه فإنّـه لا ينفكّ عن التقصير من بعض الوجوه .

[١٢٩] ﴿ ربنـا وابعثْ فيهم ﴾ وهم العـرب مـن ولـد إسماعيـل ﴿ رســولاً منهم ﴾ وهــو محمــد ﷺ . وفي الحديث : (أنـا دعـوة أبي إبـراهيم) رواه أحمد ﴿ يتلو عليهم آياتِكَ ﴾ وهي إما الفرقان المتلو عليهم الذي أُنزل على النبي ﷺ ، وإما الأعلام الدالـة على وجود الصانع وصفـاتـه . ومعنى تـلاوته إيـاهـا عليهم تـذكيرهم بها ودعوتهم إليهـا ﴿ ويعلمُهُم الكتابَ ﴾ القرآن الكـريم ﴿ والحِكْمَةَ ﴾ السُّنَّة ﴿ ويزكّيهم ﴾ يطهـرهم من الشِّرْك وسائر الأرجاس ﴿ إنّك أنت العزيزُ ﴾ ذو العزة ، وهي القوة والغلَبة ﴿ الحكيمُ ﴾ الذي يحكم الأشياء ويُتقنها .

[١٣٠] ﴿ ومنْ يـرغبُ عن ملّـةِ إبـراهيم ﴾ الحق الواضح ، وهو مـا جاء به محمد ﷺ ﴿ إلاّ من سَفِهَ نفسَه ﴾ حملها على السفـه وهو الجهل ﴿ ولقد اصطفيناه ﴾ اخترناه من بين سائر الخلق بـالرسالة والنبّوة والإمامة ﴿ في الدُّنيا ، وإنَّـهُ في الآخرةِ لمنَ الصَّالحين ﴾ الذين لهم الدرجات العلى . [عن قتادة قـال : رغب عن ملته اليهود والنصارى ، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله ، وتركوا ملة إبراهيم ـ يعني الإسلام ـ حنيفاً ، كذلك بعث الله نبيه محمداً ﷺ بملة إبراهيم ـ ابن جرير] .

[١٣١] ﴿ إذْ قالَ لهُ ربُّه أَسْلِمْ ﴾ استقم على الإسلام واثبت على التوحيد ﴿ قالَ : أسلمتُ لربِّ العالمينَ ﴾ .

[١٣٢] ﴿ ووصَّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ ﴾ أوصى يعقوب بنيه أيضـاً كما أوصى إبراهيم بنيه ﴿ يا بَنِيَّ إنَّ اللّـهَ اصطفى لكُمُ الدينَ ﴾ اختار لكم صفوة الأديان ﴿ فلا تموتُنَّ إلا وأنْتُم مسلمونَ ﴾ الزموا الإسلام ولا تفارقوه حتى تموتـوا [نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ : ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية .ـ النيسابوري] .

[١٣٣] ﴿ أم كُنتمْ شُهَداءَ إذ حضرَ يعقوبَ الموتُ ﴾ أي ما كنتم حاضرين حينئذ ﴿ إذْ قالَ لبنيـهِ ما تعبدونَ مـن بعدي ؟ قالوا : نَعْبُدُ إلـٰهك وإلـٰه آبائكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاق إلـٰهاً واحداً ونحنُ له مُسلمونَ ﴾ أي مطيعون خاضعون .

[١٣٤] ﴿ تلكَ أُمَّةٌ ﴾ جيل أو جماعة ﴿ قدْ خلتْ ﴾ سلفت ومضت ﴿ لها ما كسبَتْ ولكم مـا كسبْتُم ، ولا تُسألُونَ عمّا كانـوا يعملونَ ﴾ والمعنى أن أحداً لا ينفعه كسبُ غيره ، ولا يُسأل أحد عن أعمال غيره .

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] ﴿ وقالوا ﴾ أي الفريقان من أهل الكتاب ﴿ كونوا هُوداً ﴾ يهوداً ﴿ أو نصارى تهتدوا ، قُل : بلْ ﴾نتبع ﴿ ملَّةَ إبراهيمَ حنيفاً ﴾ مستقيماً أو مائلاً عن الباطل إلى الحقّ ﴿ وما كان من المشركينَ ﴾ وفيه إيذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام ، مع إشراكهم بقولهم : عزير ابن الله والمسيح ابن الله .

[١٣٦] ﴿ قولوا ﴾ أي يا أيها الّذين آمنوا قولوا ﴿ آمنَّا باللَّهِ وما أُنزلَ إلينا وما أُنزلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ﴾ من الأحكام التي كانوا متعبدين بها ، والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر ، جمع سبط وهو الحفيد ﴿ وما أُوتيَ موسى وعيسى وما أوتيَ النبيّونَ من ربِّهم لا نفرِّق بين أحدٍ منهم ﴾ في الإيمان ، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في رؤوس يهود المدينة : كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف ، ووهب بن يهوذا ، وأبي ياسر ابن أخطب، وفي نصارى نجران . وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين ، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها ، فقالت اليهود : نبينا موسى أفضل الأنبياء ، وكتابنا التوراة أفضل الكتب ، وديننا أفضل الأديان ، وكفرت بعيسى والإنجيل ، ومحمد والقرآن . وقالت النصارى : نبينا عيسى أفضل الأنبياء ، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب ، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بمحمد والقرآن . وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين : كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك ، ودعوهم إلى دينهم ـ النيسابوري] ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ منقادون . وفي الحديث : (لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ، وقولوا : ﴿ آمنّا باللَّهِ وما أُنزلَ إلينا ﴾ . . . الآية) رواه البخاري .

[١٣٧]﴿ فإنْ آمنوا بمثلِ ما آمنتُم به فقد اهتَدَوا ﴾ المقصود أهل الكتاب ﴿ وإن تولّوْا ﴾ أعرضوا عن الإيمان بما آمنتم به ﴿ فإنّما هم في شقاق ﴾ فما هم إلا في خلاف وعداوة ﴿ فسيكفيكَهُمُ اللَّهُ ، وهو السميعُ العليمُ ﴾ تشجيعاً للرسول وتقوية لقلبه .

[١٣٨] ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ الصبغة : ما يُصبَغ به ، وتلون به الثياب . الصبغة : هي الدين أو الشريعة ﴿ ومن أحسنُ من اللَّهِ صِبغةً ونحنُ لهُ عَابِدُونَ ﴾ .

[١٣٩]﴿ قُل : أتُحاجُّونَنا في اللَّهِ وهو ربُّنا وربُّكم ﴾ أي أتناظروننا في توحيد اللَّه والإخلاص له ﴿ ولنا أعمالُنا ولكُمْ أعمالُكم ﴾ نحن برءاء منكم ومما تعبدون ، وأنتم برءاء منّا ﴿ ونحنُ له مُخلصونَ ﴾ لا نشرك به شيئاً وأنتم تشركون به عُزَيراً والمسيح والأحبار والرهبان .

[١٤٠] ﴿ أمْ تقولونَ : إنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسْبَاطَ كانُوا هوداً أو نصارى ﴾ على اليهودية أو النصرانية ﴿ قُلْ : أأنتمْ أعلمُ أم اللَّهُ ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عندهُ من اللَّهِ وما اللَّهُ بغافلٍ عمّا تَعْمَلُونَ ﴾ وفي ذلك تهديد ووعيد شديد ، فعلمه تعالى محيطٌ بكم وسيجزيكم عليه .

[١٤١] ﴿ تلك أُمّةٌ قدْ خلتْ ، لها ما كسبتْ ولكم ما كسبْتُمْ ، ولا تُسأَلُونَ عمّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي فعليكم بترك الكلام في تلك الأمة ، فلها ما كسبت ، وانظروا فيما دعاكم إليه خاتم النبيين محمد ﷺ فإن ذلك أنفع لكم وأعود عليكم .

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

[١٤٢] ﴿ **سيقولُ السُّفَهَاءُ من النَّاسِ** ﴾ سفهاء : جمع سفيه ، وهو الخفيف الحلم الأحمق والجاهل ، وقد روي أن القائلين هم اليهود ، وقيل هم مشركو العرب ، وقيل إنهم المنافقون ﴿ **ما ولآهم عن قبلَتِهِمُ التي كانُوا عليها** ﴾ الآية نزلت في تحويل القِبلة من القدس إلى الكعبة . وفي الحديث : صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، ثم صُرفنا نحو الكعبة رواه مسلم ﴿ **قلْ للَّهِ المشرقُ والمغربُ** ﴾ فالجهات كلها لله فلا يستحق شيء منها لذاته أن يكون قبلة بل إنما تصير قبلة لأن الله جعلها قبلة ﴿ **يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ فيه تعظيم للمسلمين وتفخيم لكلمته .

[١٤٣] ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمةً وَسَطاً** ﴾ أي كما هديناكم إلى أفضل قبلة جعلناكم عدولاً خياراً ﴿ **لتكونوا شهداءَ على النَّاسِ** ﴾ أي حجة على جميع من خالفكم ﴿ **ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً** ﴾ ورسول الله ﷺ حجة عليكم . والمعنى : النبي ﷺ يبيّن لكم وأنتم تبيّنون لمن بعدكم ﴿ **وما جَعَلْنا القِبْلة** ﴾ ما شرعنا القبلة ﴿**التي كنتَ عليها**﴾ وهي بيت المقدس أي الجهة التي كنت عليها، أي في مكة تستقبلها قبل الهجرة وهي الكعبة، يعني وما رددناك إليها إلا امتحان للناس وابتلاء، أو كنت عليها بمعنى صرت عليها الآن ﴿**إلاّ لنعلمَ من يتّبعُ الرسولَ ممن ينقلبُ على عَقِبَيْهِ**﴾ يرتد عن دينه ﴿**وإن كانت**﴾ التحويلة ﴿**لكبيرةً**﴾ ثقيلة شاقّة ﴿ **إلاّ على الذينَ هَدَى اللّهُ** ﴾ فأيقنوا بتصديق الرسول ﷺ ﴿ **وما كانَ اللّهُ ليضيعَ إيمانَكم إنَّ الله بالنّاسِ لرؤوف رحيمٌ** ﴾ هذا تطمين لمن صلّى إلى بيت المقدس من المسلمين ومن أهل الكتاب قبل النسخ ، وبيان أنهم يثابون على ذلك .

[١٤٤] ﴿ **قدْ نرى تقلُّبَ وجْهِكَ في السماءِ** ﴾ تصرّف نظرك في جهة السماء تشوّقاً لنزول الوحي بتحويل القبلة ﴿ **فلنولّينّكَ قِبلةً ترضاها** ﴾ فلنعطينّك أو فلنوجهنّك إلى قبلة تحبّها ﴿ **فولِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرام** ﴾ أي نحو وجهته ﴿ **وحيث ما كُنتم فولُّوا وجوهَكم شطرَه** ﴾ فولوا وجوهكم في الصّلاة تلقاء المسجد [عن أبي إسحٰق عن البراء قال : لما قدم رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً . وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ إلى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قال الله تعالى : ﴿قل للّه المشرق والمغرب﴾ إلى آخر الآية ـ النيسابوري] ﴿ **وإنَّ الذينَ أُوتوا الكتابَ ليعلمونَ أنّه الحقُّ من ربِّهم** ﴾ يعلمون أن الرسول ﷺ مع شرعه ونبوته حق ﴿ **وما اللّهُ بغافلٍ عمّا يعملونَ** ﴾ .

[١٤٥] ﴿ **ولئنْ أتيتَ الذينَ أُوتوا الكتابَ بكل آيةٍ** ﴾ بكل برهانٍ قاطع أنَّ التوجه إلى الكعبة هو الحقّ ﴿ **ما تبعوا قِبْلَتَك ، وما أنت بتابعٍ قبلتهم** ﴾ فما هم بتاركي باطلهم وما أنت بتاركٍ حَقِّكَ ﴿ **وما بعضُهم بتابعٍ قبلةَ بعضٍ** ﴾ وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس بصلاتها ، وأن النصارى تستقبل المشرق، فأنّى يكون لك السبيل إلى اتباع قبلتهم مع اختلاف وجوهها؟ ﴿**ولئنِ اتّبَعْتَ أهواءَهم**﴾ ولئن اتبعتهم ، مثلاً ﴿ **من بعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ** ﴾ بعد وضوح البُرهان والإحاطة بحقيقة الأمر ﴿ **إنّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالمينَ** ﴾ المرتكبين الظلم الفاحش .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٦] ﴿ **الذين آتيناهمُ الكتابَ يَعْرِفونَهُ كما يعرِفونَ أبْناءَهُمْ** ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ بالأوصاف المذكورة في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم ﴿ **وإنَّ فريقاً منهم ليكتمون الحقَّ** ﴾ يخفونه ولا يعلنونه ﴿ **وهم يعلمونَ** ﴾ .

[نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ، كانوا يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان . قال عبد الله بن سلام : لأنا أشدّ معرفة برسول الله ﷺ مني بابني ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وكيف ذاك يا ابن سلاّم ؟ قال : لأني أشهد أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً يقيناً ، وأنا لا أشهد بذلك على ابني ، لأني لا أدري ما أحدث النساء . فقال عمر رضي الله عنه : وفقك الله يا ابن سلاّم . ـ النيسابوري] .

[١٤٧] ﴿ **الحقُّ من ربِّكَ** ﴾ إنّ الحقّ ما ثبت أنّه من عند الله ﴿ **فلا تكوننَّ مِنَ المُمْتَرِينَ** ﴾ الشاكّين ، ومعلوم أنّ الشك غير متوقع منه ، ففيه تعريض للأمة .

[١٤٨] ﴿ **ولكلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها** ﴾ لكل نبيّ قبلةٌ أو شرعة ومنهاج ، تولاّها ورضيها واتّبعها ﴿ **فاسْتَبِقُوا الخَيْراتِ** ﴾ سارعوا إلى جميع أنواع الخير ، مما يُنال به سعادة الدنيا والآخرة ﴿ **أيْنَ ما تكونوا يأتِ بكُمُ اللّهُ جميعاً ، إنَّ اللّهَ على كل شيءٍ قديرٌ** ﴾ أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم .

[١٤٩] ﴿ **ومِنْ حيثُ خَرَجْتَ** ﴾ ومن أيّ بلد خرجت للسفر ﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شطرَ المسجدِ الحرام** ﴾ إذا صلّيت توجّه تلقاءَ جهة الكعبة ﴿ **وإنّهُ لَلحقُّ من ربِّكَ ، وما اللّهُ بغافلٍ عمّا تعملونَ** ﴾ قرئ بالياء فهو وعيد للكافرين ، وبالتاء فهو وعد للمؤمنين .

[١٥٠] ﴿ **ومَنْ حيثُ خرجْتَ فولِّ وجْهَك شطْرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيث مَا كُنتُم فولُّوا وجوهَكُم شطرَهُ لِئَلّا يكونَ للنّاسِ عليكُم حُجَّةٌ ، إلاّ الذينَ ظَلموا مِنْهُـمْ** ﴾ المقصود : إما اليهود أو المنافقون أو المشركون ﴿ **فلا تَخْشَوْهم** ﴾ فلا تخافوا جدالَهم ﴿ **واخْشَوْني** ﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿ **وَلِأُتِمَّ نِعْمَتي عليكُم ولعلَّكُمْ تَهتدونَ** ﴾ .

[١٥١] ﴿ **كما أَرْسَلْنا فيكُم رسولاً منكُم يتْلُو عليكم آياتِنا** ﴾ يقرأ عليكم القرآن ﴿ **ويزكِّيكم** ﴾ يطهّركم من الشّرك وأفعال الجاهلية وسفاسف الأخلاق ﴿ **ويعلِّمُكم الكتابَ** ﴾ القرآن الكريم ﴿ **والحِكْمةَ** ﴾ قال الشافعي رضي اللّه عنه : « الحكمة هي سنَّة الرسول ﷺ » ﴿ **ويُعَلِّمُكُم ما لم تكونُوا تعلمونَ** ﴾ تنبيه على أنه تعالى أرسل رسوله على حين فترة من الرسل ، وجهالة من الأمم فبعث الله تعالى النبيّ بالحق حتى علّمهم ما احتاجوا إليه في دينهم .

[١٥٢] ﴿ **فاذْكروني** ﴾ اذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إيّاي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه ﴿ **أذكُرْكُمْ** ﴾ برحمتي إيّاكم ومغفرتي لكم ﴿ **واشْكُرُوا لي ولا تكفرونِ** ﴾ أمر بشكره على نعمه وعدم جحدها .

[١٥٣] ﴿ **يا أَيُّها الـذين آمنوا استعينُوا بـالصَّبرِ والصَّلاةِ** ﴾ لأن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكُر عليها ، أو في نقمة فيصبر عليها ﴿ **إن اللّهَ مع الصَّابرينَ** ﴾ .



[١٥٤] ﴿ ولا تقولوا لمَنْ يُقتلُ في سبيلِ الله ﴾ وهم الشهداء ﴿ أمواتٌ ، بلْ أحياءٌ ولكن لا تشعرونَ ﴾ بحياتهم الروحية بعد موتهم .

[١٥٥] ﴿ ولنبلُوَنَّكم ﴾ الابتلاء : الاختبار والامتحان ﴿ بشيءٍ من الخوْف ﴾ خوف العدو ﴿ والجُوعِ ﴾ الفقر ﴿ ونقصٍ من الأموالِ ﴾ لانقطاعهم بالجهاد عن عمارة بساتينهم ﴿ والأنفُسِ ﴾ بقتلها شهيدة في سبيل الله ﴿ والثّمرات ﴾ بأن لا تغلّ الحدائق كعادتها ﴿ وبشّر الصّابرينَ ﴾ .

[١٥٦] ﴿ الذين إذا أصابَتْهُم مُصيبةٌ ﴾ مكروه ﴿ قالوا : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ ﴾ أي يوم القيامة .

[١٥٧] ﴿ أولئك ﴾ إشارة إلى الصابرين ﴿ عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمةٌ ﴾ الصلاة في الأصل الدعاء ، وهي من الله البركة والمغفرة ﴿ وأُولئك همُ المهتدونَ ﴾ إلى الوفاء بحق الربوبيّة والعبودية .

[١٥٨] ﴿ إنَّ الصَّفا والمَرْوَةَ ﴾ الصفا والمروة : مرتفعان بسيطان بالقرب من الكعبة ﴿ من شعائر الله ﴾ الشعائر : جمع شعيرة وهي العلامة . ومعنى كونهما من شعائر الله : من أعلام مناسكه ﴿ فمن حجَّ البيتَ ﴾ الحج في اللغة : القصد ، وهنا قصد البيت العتيق بمكة للحج في وقت الحج ﴿ أو اعتمر ﴾ الاعتمار : الزيارة ، وهي هنا زيارة البيت في غير أوقات الحج ﴿ فلا جُناحَ عليه ﴾ الجُناح : الإثم والتضييق والمؤاخذة ﴿ أن يَطَّوّفَ بهما ﴾ السعي بينهما ، وهو مأخوذ من طواف هاجر أم إسماعيل بينهما بحثاً عن الماء ﴿ ومن تطوّع خيراً فإنَّ اللّـه شاكرٌ عليمٌ ﴾ فمن فعل خيراً فإنَّ اللّـه يشكره عليه ويثيبه به . وقد أنزلت هذه الآية في الأنصار . كانوا قبل أن يسلموا يهلّون لمناة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، قالوا يا رسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى الآية .

[١٥٩] ﴿ إنَّ الذينَ يكتمونَ ما أنزلنا من البيّناتِ والهدى ﴾ المقصود : بعض أهل الكتاب الذين يكتمون ما يعلمون من هذا الحقّ ﴿ من بعد ما بيّناه للنّاسِ في الكتابِ ﴾ ما أُنزل على محمد ﷺ ومن سبقه من الأنبياء والمرسلين ﴿ أُولَئكَ يلعنُهم الله ﴾ يطردهم من رحمته ﴿ ويلعنُهم اللاعنونَ ﴾ اللعن : الطرد والإبعاد عن الخير . واللاعنون : كل من يصح منه لعن .

[١٦٠] ﴿ إلاّ الذينَ تَابُوا ﴾ عن الكتمان ﴿ وَأَصْلَحُوا وبيّنوا ﴾ ما كانوا كتموه ، فظهرت توبتهم بالإقلاع عن كتمانهم الحق ﴿ فأُولئكَ أتوبُ عَلَيْهِم ، وأنا التوّابُ الرّحيمُ ﴾ .

[١٦١] ﴿ إنَّ الذينَ كفرُوا وماتوا وهم كفّارٌ أولئكَ عليهم لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجْمَعينَ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ خالدينَ فيها ، لا يُخَفّفُ عنهمُ العذابُ ﴾ أي خالدين في اللعنة أو في النّار ﴿ ولا هم يُنظَرونَ ﴾ لا يُمهلون عن العذابِ أو لا يُنظر إليهم نظر رحمة . [١٦٣] ﴿ وإلـهُكُمْ إلـهٌ واحدٌ لا إلـهَ إلا هو الرحمنُ الرّحيمُ ﴾ قال الرّازي : إنّما خصّ سبحانه وتعالى هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين : الرحمن ، الرحيم ، إشعاراً بأنّ رحمته سبقت غضبه ، وأنّه ما خلقَ الخلْقَ إلا للرحمة والإحسان .

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

[١٦٤] ﴿ **إنَّ في خلقِ السمٰواتِ والأرضِ ، واختلافِ الليلِ والنّهارِ** ﴾ اعتقابها وكون كل منها خلفاً للآخر ﴿ **والفُلْكِ** ﴾ السفن ﴿ **التي تجري في البحرِ بما ينفعُ النّاس ، وما أنزَلَ اللّهُ من السماء** ﴾ من السّحاب ﴿ **من ماءٍ فأحيا بِهِ الأرضَ** ﴾ بأنواع النّبات ﴿ **بعد موتِها** ﴾ بعد يبسها وقحلها ﴿ **وبثَّ فيها** ﴾ نشر وفرّق ﴿ **من كلِّ دابّةٍ** ﴾ من كل مخلوق يمشي ، من العقلاء وغيرهم ﴿ **وتصريفِ الرِّياحِ** ﴾ تقليبها في مهابها وفي أحوالها ﴿ **والسَّحابِ المسخَّرِ بينَ السَّماءِ والأرضِ** ﴾ التسخير : القهر على الفعل ﴿ **لآياتٍ لقومٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ ينظرون بعين العقول ، فيستدلّون على قدرته وحكمته ورحمته . [عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال : أنزلت بالمدينة على النبي ﷺ : ﴿ وإلٰهكم إلٰه واحد لا إلٰه إلا هو الرحمن الرحيم﴾ فقالت كفار قريش بمكة : كيف يسع الناس إلٰه واحد ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ حتى بلغ ﴿لقوم يعقلون﴾ ـ النيسابوري] .

[١٦٥] ﴿ **ومِنَ النّاسِ من يتّخذُ من دُونِ اللهِ أنداداً يحبُّونَهم كحبِّ الله** ﴾ أنداداً : أمثالاً ، يسوّون بينهم وبين الله . والمقصود بها : إمّا الأوثان وإمّا الرؤساء ﴿ **والّذين آمنُوا أشدُّ حبّاً للهِ** ﴾ من المشركين لأندادهم ﴿ **ولو يرى الذينَ ظلموا** ﴾ باتّخاذ الأنداد ووضعها موضعَ المعبود ﴿ **إذْ يَرَوْنَ العذابَ** ﴾ المعدّ لهم يوم القيامة ﴿ **أنّ القوّة للّه جميعاً** ﴾ القدرة كلّها للّه ، على كل شيء ، من العقاب والثّواب ﴿ **وأنّ الله شديدُ العذابِ** ﴾ أي : العقاب للظالمين .

[١٦٦] ﴿ **إذْ تبرّأَ الذينَ اتُّبِعُوا** ﴾ تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء ﴿ **من الّذين اتّبَعُوا** ﴾ من الأتباع ، بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدّعونه في الدنيا لهم ﴿ **ورأوُا العذابَ وتقطّعت بهمُ الأسبابُ** ﴾ انتهت بينهم جميع الصلات السابقة من الاتفاق على دين واحد ، ومن الأنساب ، والمحابّ ، والاتباع والاستتباع .

[١٦٧] ﴿ **وقالَ الذينَ اتّبعُوا لو أنَّ لنا كرّةً** ﴾ ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿ **فنتبرّأَ منهم** ﴾ هناك ومن عبادتهم ونعبده تعالى وحده ﴿ **كما تبرّؤوا منّا** ﴾ اليوم ، وهم كاذبون في هذا ، بل لو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه ﴿ **كذلكَ يريهمُ اللّهُ أعمالَهم حسراتٍ عليهم** ﴾ الحسرة : النّدم الشديد ﴿ **وما هم بخارجين من النّارِ** ﴾ .

[١٦٨] ﴿ **يا أيُّها النّاسُ كُلُوا مِمّا في الأرْضِ حلالاً** ﴾ حلال : ما انتفى عنه حكم التحريم ﴿ **طيّباً** ﴾ مستطاباً في نفسه غير ضارٍّ للأبدان ولا للعقول . وفي الحديث : (أطِبْ مطعمك تكن مُستجابَ الدّعوة) رواه ابن مردويه بسنده عن ابن عباس ﴿ **ولا تتّبعوا خطواتِ الشيطانِ** ﴾ طرائقه ومسالكه ، ومنها كلّ معصية للّه ﴿ **إنّه لكم عدوٌّ مبينٌ** ﴾ واضحُ العداوة .

[١٦٩] ﴿ **إنّما يأمُرُكم بالسوءِ** ﴾ السوء : يشمل جميع المعاصي ﴿ **والفحشاءِ** ﴾ ما تجاوز الحدّ في القُبح من الكبائر ﴿ **وأنْ تقولوا على اللّهِ ما لا تعلمونَ** ﴾ ما لا تعلمون أنّ اللّهَ تعالى أمرَ به من الحلالِ أو الحرام .

قال بعض السلف : ليتق أحدكم أن يقول لما لا يعلم ولا ورد الوحي المبين بتحليله وتحريمه : أحله الله وحرّمه لمجرد التقليد أو بالتأويل .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿ **وإذا قيل لهمُ اتّبعوا ما أنزلَ اللّهُ** ﴾ على رسوله محمد ﷺ ﴿ **قالوا: بل نتّبعُ ما ألفَيْنا** ﴾ ما وجدنا ﴿ **عليه آباءَنا** ﴾ من عبادة الأصنام والأنداد ﴿ **أَوَلَوْ كانَ آباؤهم لا يَعْقِلُونَ شيئاً** ﴾ كانوا جهلة بالدين ﴿ **ولا يهتدونَ** ﴾ للصّواب .

[١٧١] ﴿ **وَمَثَلُ الذينَ كفروا كمثل الذي يَنْعِقُ** ﴾ يصيح ﴿ **بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاءً ونداءً** ﴾ أي يصيح بالبهائم التي لا تعي ولا تفهم كما يفهم العقلاء ويعون ﴿ **صُمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون** ﴾ فهم لا يرون الحق ولا يتكلمون به .

[١٧٢] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كلُوا من طيّباتِ ما رزقناكُم واشكروا للهِ** ﴾ قال الإمام ابن تيميّة : « الطيبات التي أباحها هي : المطاعم النّافعة للعقول والأخلاق » . وفي الحديث : (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه البخاري ﴿ **إنْ كنتم إيّاه تعبدون** ﴾ إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وحده .

[١٧٣] ﴿ **إنّما حرّم عليكمُ الميْتَةَ** ﴾ كل ما مات أو قُتل على هيئة غير مشروعة ما عدا السمك والجراد ﴿ **والدّمَ** ﴾ وهو الدم المسفوح الجاري ، ما عدا الكبد والطحال ﴿ **ولحم الخنْزير** ﴾ وكذلك شحمه وبقية أجزائه تغليباً أو قياساً ﴿ **وما أُهِلّ به لغير اللهِ** ﴾ أي ذُبح على غير اسمه تعالى ، وأصل « الإهلال » رفع الصوت ؛ كقول أهل الجاهلية : باسم اللاّت والعزّى ، وفي الحديث : (لعن اللّهُ من ذبح لغير اللهِ) رواه مسلم . وعن الامام عليّ رضي الله عنه : « إذا سمعتم اليهود والنصارى يُهلّون لغير الله فلا تأكلوا ، وإذا لم تسمعوهم فكلوا ، فإنّ الله قد أحلّ ذبائحهم وهو يعلمُ ما يقولونَ » ﴿ **فمن اضْطُرَّ** ﴾ بأي ضرورة كانت إلى أكل شيءٍ مما حُرّم ﴿ **غيرَ باغٍ** ﴾ غير راغب فيه لذاته ﴿ **ولا عادٍ** ﴾ مجاوزٍ لسدّ الرّمَق ﴿ **فلا إثمَ عليه** ﴾ وإن بقيت حرمته ﴿ **إنَّ اللّهَ غفورٌ** ﴾ لما أكله حال الضرورة ﴿ **رحيمٌ** ﴾ حيث رخّص لعباده في ذلك إبقاءً عليهم .

[١٧٤] ﴿ **إنَّ الذينَ يكتُمونَ ما أنزلَ اللّهُ من الكتابِ ويشتَرُونَ به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكُلونَ في بطونهم إلاّ النّارَ** ﴾ قال الراغب : أكل النّار : تناول ما يؤدّي إليها ﴿ **ولا يُكلّمُهُمُ اللّهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهم** ﴾ ولا يطهّرهم من دنس الذنوب ﴿ **ولهمْ عذابٌ أليمٌ** ﴾ أي مؤلم . [عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم ، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول ، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم ، فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم ، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم ، وقالوا : هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان ، لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المتغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلا يتبعونه ـ النيسابوري] .

[١٧٥] ﴿ **أولئكَ الذينَ اشترَوُا الضّلالةَ بالهُدَى** ﴾ استبدلوا إضلال أنفُسهم وغيرهم بالاهتداء ﴿ **والعذابَ بالمغفرةِ** ﴾ أي أسبابه بأسبابها ﴿ **فما أصْبَرَهُم** ﴾ فما أجراهم ﴿ **على النّارِ** ﴾ .

[١٧٦] ﴿ **ذلك بأنَّ اللّهَ نزّلَ الكتابَ بالحقِّ** ﴾ الكتاب الجامع لأنواع الهدى وهو صالح لإرادة القرآن والتوراة ﴿ **وإنَّ الّذينَ اختلفوا في الكتابِ** ﴾ فآمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها ﴿ **لفي شِقاقٍ** ﴾ خلاف ومنازعة ﴿ **بعيدٍ** ﴾ عن الحقّ والصّواب .

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ
بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

نصف الحزب ٣

[١٧٧] ﴿ليسَ البرَّ أن تولُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المشرقِ والمغرِبِ ولكنَّ البرَّ مَن آمنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ﴾ البرّ: اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى. واليوم الآخر: يوم القيامة ﴿والملائكةِ والكتابِ والنبيّين﴾ الكتاب: جميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء. النبيين: جميع الأنبياء من غير تفرقة بين أحد منهم ﴿وآتى المالَ على حُبِّه ذوي القُربى﴾ وفي الحديث: (إن الصّدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صَدَقَةٌ وصِلةٌ) أخرجه النسائي ﴿واليتامى﴾ وهم الذين مات آباؤهم وهم ضعفاءُ صغار دون البلوغ ﴿والمساكينَ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكْناهم ﴿وابنَ السبيلِ﴾ المسافر المجتاز الذي فرغ ماله. وعن ابن عباس رضي الله عنه: «ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين» ﴿والسّائلينَ﴾ وهم الذين يطلبون الزكاة والصدقات ﴿وفي الرِّقابِ﴾ الرقاب: جمع رقبة وهو ما ناله الرقّ من بني آدم ﴿وأقامَ الصَّلاة﴾ أتمّ أفعالها في أوقاتها ﴿وآتى الزّكاةَ والموفونَ بعهدهم إذا عاهدُوا والصَّابرين في البأسَاء والضّرّاءِ﴾ فالبأساء من البؤس: وهو الشِّدّة والفقر، والضّرّاء ما يضرُّ من مَرَضٍ أو فقد محبوب ﴿وحينَ البأسِ﴾ وقت مجاهدة العدو ﴿أولئك الذين صَدَقوا﴾ في إيمانهم ﴿وأولئك همُ المتّقونَ﴾ عن الكفر وسائر الرذائل.

[١٧٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكُمُ﴾ فُرِض وأُوجب ﴿القِصَاصُ في القتلى الحُرُّ بالحرِّ﴾ يُقتل الحُرُّ بالحرِّ ﴿والعبدُ بالعبْدِ والأُنْثَى بالأنثى فَمَنْ عُفِيَ له﴾ من القاتلين ﴿مِنْ أخيهِ﴾ أي من دم أخيه المقتول ﴿شيءٌ﴾ بأن قبل وليّ المقتول بالدّية وترك القصاص. وفي ذكر الأخوة إيذانٌ بأن القتل لا يقطع أخوّة الإيمان ﴿فاتّباعٌ بالمعروفِ﴾ فعلى ولي الأمر أن يطالب القاتل بالدّية بلا عنف ﴿وأداءٌ إليهِ بإحسانٍ﴾ وعلى القاتل دفع الدّية بلا مطل ولا بخس ﴿ذلك تخفيفٌ من ربِّكم ورحمةٌ﴾ ذلك تسهيل عليكم ﴿فمن اعْتَدَى بَعْدَ ذلكَ فَلَهُ عذابٌ أليمٌ﴾ فمن قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم، أو قتل القاتل بعد العفو أو أخذ الدّية، فعذابُه أليمٌ في الدنيا بالاقتصاص وفي الآخرةِ بالنّار. والقصد بالآية: منع التّعدي الجاهلي، وأن يفعل بالقاتل والجارح مثل ما فعلا.

[١٧٩] ﴿ولكم في القِصَاصِ حياةٌ﴾ وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ﴿يا أولي الألْبابِ﴾ العقلاء الذين يعرفون العواقبَ ﴿لعلّكُم تتّقُونَ﴾ بالانقياد لما شرع الله وتبتعدون عن القتل.

[١٨٠] ﴿كُتِبَ عليكم﴾ فُرض عليكم ﴿إذا حَضَرَ أحدَكم الموتُ﴾ أي ظهرت علامات الموت كالمرض الميؤوس من شفائه ﴿إنْ تركَ خيراً﴾ أي مالاً، ولا يقال للمال خيرٌ إلا أن يكون كثيراً ومن مصدر حلال طيّب ﴿الوصيّةُ لِلْوالدَيْنِ وَالأَقْرَبين﴾ الإيصاء ﴿بالمعروفِ﴾ بما تتقبله الأنفس ولا تجد منه تكرُّهاً ﴿حقاً على المتّقين﴾.

[١٨١] ﴿فمن بدّله بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ فمن غيّر الوصيّة ـ الموصي أو الأوصياء أو الشهود ـ بعدما تحققت لديه ﴿فإنّما إثمه﴾ أي إثم التبديل ﴿على الّذين يُبدِّلونَهُ﴾ من أوصياء وشهود لأنّهم خانوا وخالفوا حُكْمَ الشرع ﴿إنّ الله سميعٌ عليمٌ﴾ وفيه وعيد شديد للمبدِّلين.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿ فمنْ خافَ ﴾ توقّع أو علم ﴿ من موصٍ جنفاً ﴾ ميلاً عن الحقّ ، والتصرف خطأً فيما ليس له ﴿ أو إثماً ﴾ الميل عن الحق عمداً ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾ الموصي والموصَى لهم ؛ وهم : الوالدان والأقربون ؛ بأن يأمره بالعدل في وصيّته ﴿ فَلاَ إثمَ عليهِ ﴾ بهذا التبديل ، لأنه تبديل باطل إلى حق ﴿ إنَّ اللَّهَ غفورٌ ﴾ أي غفورٌ للموصي إذا ترك قصد الخطأ ﴿ رحيمٌ ﴾ بالمصلح بين الموصي والموصى لهم . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : الجنف : الخطأ . وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثاً بواسطة أو وسيلة ، كما إذا أوصى لابن ابنته ليزيدها أو نحو ذلك من الوسائل ، إما مخطئاً غير عامد بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر ، أو متعمداً آثماً في ذلك ـ ابن كثير] .

[١٨٣] ﴿ يا أيُّها الذين آمَنُوا كُتِبَ عليكم ﴾ فُرض عليكم ﴿ الصِّيَامُ ﴾ وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ﴿ كما كُتب على الذينَ من قبلكم ﴾ من أتباع الأنبياء السابقين ، وفي هذا دليل على أنَّ الصَّوم عبادة قديمة ﴿ لعلَّكم تتّقون ﴾ أي تجعلون بينكم وبين سخط الله سبحانه وقاية ، وذلك بالتزام أوامره .

[١٨٤] ﴿ أيّاماً معدوداتٍ ﴾ هي أيام شهر رمضان ﴿ فمنْ كانَ منكمْ مريضاً ﴾ مرضاً يضرّه الصوم ﴿ أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيّام أُخَرَ ﴾ فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر التي أفطر فيها ، غير أيام رمضان ﴿ وعلى الذين يطيقونَهُ ﴾ يتحمّلونه بجهد ومشقة ﴿ فديةٌ طعامُ مسكينٍ ﴾ الفدية : ما يقي الإنسانُ به نفسَه من مالٍ يبذله في عبادةٍ يُقصِّر فيها ﴿ فمن تطوّعَ خيراً فهو خيرٌ له ﴾ بأن أطعم أكثر من مسكين واحد عن كل يوم ﴿ وأن تصُوموا ﴾ أيُّها المطيقون ﴿ خيرٌ لكم ﴾ من الفدية وإن زادت ﴿ إنْ كُنتم تعلمونَ ﴾ فضيلة الصوم وفوائده . وقد ذهب الأكثرون إلى أن هذه الآية منسوخة بما بعدها ، فإنه كان في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه ، فاشتد عليهم ، فرخّص لهم في الإفطار والفدية[عن عكرمة قال : كان الشيخ والعجوز لهما الرخصة أن يفطرا ويُطعما بقوله ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ قال : فكانت لهما الرخصة ، ثم نسخت بهذه الآية ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فنسخت الرخصة عن الشيخ والعجوز إذا كانا يطيقان الصوم ، وبقيت الحامل والمرضع أن يفطرا ويُطعما ـ ابن جرير] . [١٨٥] ﴿ شهرُ رمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ ﴾ أي ابتدأ فيه إنزالُه ، وكان ذلك في ليلة القدْر ﴿ هُدىً للنّاسِ ﴾ آيات واضحة مرشدة إلى الحقّ ﴿ وبيّناتٍ من الهُدَى والفُرْقانِ ﴾ فارقة بين الحقّ والباطل ﴿ فمنْ شَهِدَ منكُمُ الشهرَ ﴾ أي حضرَ فيه ﴿ فليصُمْه ومن كَانَ مريضاً أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيّامٍ أُخَرَ ، يُريدُ اللَّهُ بكم اليُسْرَ ولا يُريدُ بكم العُسْرَ ﴾ اليُسْر : عَمَلٌ لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم ، والعسر : ما يجهد النفس ويضرّ الجسمَ ﴿وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ على ما هداكم ﴾ المراد بالتكبير تعظيمه تعالى والثناء عليه ﴿ ولعلَّكمْ تشكرونَ ﴾ أي يريدكم أن تشكروه لهذا . [١٨٦] ﴿ وإذا سألَكَ عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دَعانِ ﴾ فاللّه تعالى قريب من الذين يذكرونه ويشكرونه ، ومجيبٌ لهم إذا دعوْه . وفي الحديث : (إنّ الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) رواه مسلم ﴿ فلْيستجيبوا لي ﴾ والاستجابة تكون بتطبيق أوامره ونواهيه ﴿ وليُؤمنوا بي ﴾ الإيمان هو الذي تقتضيه القلوب ﴿ لعلَّهم يَرْشُدُونَ ﴾ يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم .

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣

[١٨٧] ﴿ **أُحِلَّ لكم ليلةَ الصّيام الرَّفَثُ إلى نسائكم** ﴾ الرفث : قول الفحش ، وهنا يعني الجماع وما يتبعه ﴿ **هُنَّ لباسٌ لكم وأنْتُم لباسٌ لَهُنَّ** ﴾ جعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء ﴿ **عَلِمَ اللَّهُ أنكم كُنْتُمْ تختانون أنفسكم** ﴾ الاختيان : أبلغ من الخيانة ، والمقصود أن الله تعالى يعلم أن المسلمين يعرّضون أنفسهم للعقوبة لو لم يُحِلّ لهم مقاربة النساء ليلة رمضان ، لعدم اصطبارهم على ذلك ﴿ **فتابَ عليكم** ﴾ برفع الحرج في الجماع ليلاً ﴿ **وَعَفَا عنكُم** ﴾ العفو : بمعنى التوسعة والتخفيف ﴿ **فالآن باشروهُنَّ** ﴾ المباشرة : إلصاق البشرة بالبشرة ، وهنا كنّى بها عن الجماع ﴿ **وابتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لكم** ﴾ أي ابتغوا هذه الرخصة التي أحلّها الله لكم ﴿ **وَكُلُوا واشْربوا حتَّى يتبيَّن لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ مِنَ الفجْر** ﴾ أي إلى أن يتبيّن ضياءُ الصباح من سواد الليل ﴿ **ثُمَّ أَتمُّوا الصِّيامَ إلى اللّيلِ** ﴾ أي صوم كل يوم إلى غروب الشمس ﴿ **ولا تُباشِرُوهُنَّ وأنتُم عاكفونَ في المساجدِ** ﴾ يحرم على المعتكف المتفرغ للعبادة في العشر الأواخر أو سواها ، الجماع وما يتبعه من التقبيل والضم ، ولو ذهب إلى منزله لحاجة لابدّ منها ﴿ **تلكَ حدودُ اللهِ** ﴾ تلك الأحكام التي ذُكرت في الصّيام والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع ، لا يرضى الله انتهاكها ﴿ **فلا تقربوها** ﴾ فتقعوا في الباطل ﴿ **كذلك يُبيِّنُ اللَّهُ آياته للنَّاسِ** ﴾ يبيّن سبحانه للنَّاس ما شرعه لهم على لسان نبيّه ﷺ ﴿ **لعلَّهم يتَّقونَ** ﴾ يبتعدون عن المحرمات والمحظورات .

[١٨٨] ﴿ **ولا تأكلوا أموالَكم بينكم بالباطِلِ** ﴾ قد استعمل ضمير المخاطب : أموالكم ، زيادة في الزجر فجعل آكل مال أخيه بالباطل كآكل مال نفسه بالباطل ﴿ **وتُدلوا بِها إلى الحُكَّام** ﴾ ولا تتخاصموا فيها ، أو لا تُلقوا بعضها إلى حكّام السوء على وجه الرّشوة ليعينوكم على الاستيلاء على أموال النّاس ﴿ **لتأكلوا فريقاً من أموالِ النَّاس** ﴾ فريقاً : شيئاً ﴿ **بالإِثم** ﴾ بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الكاذب ﴿ **وأنتم تعلمونَ** ﴾ أنّكم على الباطل ، فإن خفيَ ظلمكم على النَّاس فإنّه لا يخفى عليكم .

[١٨٩] ﴿ **يسألونك عن الأهلّة** ﴾ يسألونك يا محمد ﷺ عن دورة القمر الشهرية المعروفة ، والأهلّة : جمع هلال ﴿ **قُل هي مواقيتُ للنَّاسِ والحَجِّ** ﴾ أي جعلها الله تعالى مواقيت زمنية ليعلم الناس بها معالم دينهم من أوقات الصوم والفطر والحج ، ولتعلم النساء أوقات الحيض والعِدَّة ﴿ **وليسَ البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظهورِها ولكنَّ البرَّ من اتَّقى وأْتُوا البُيُوتَ من أبْوابِهَا** ﴾ تلفت هذه الآية النظر إلى التأدب مع مقام النبوّة ، وتطلب من السائل أن يتحرى في كل عمل إتيان الشيء من وجهه المعروف والمشهور ، ذلك لأنهم سألوا النبي ﷺ عن الأهلّة وهي من اختصاص علماء الفلك ، فكان مثلهم كمثل الذي دخل البيت من غير المكان المخصص للدخول والخروج وهو [الباب] ﴿ **واتّقوا الله لعلّكم تُفلحونَ** ﴾ واجعلوا تقوى الله شعاركم في كل أمر ، ففي ذلك نجاحكم وفلاحكم . [١٩٠] ﴿ **وَقَاتِلُوا في سَبيلِ اللهِ الذينَ يُقَاتِلونكُمْ** ﴾ القتال في سبيل الله : الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين ﴿ **ولا تَعْتَدُوا** ﴾ لا تتجاوزوا الحدود والأوامر التي شرعها الله لكم في ميدان القتال ﴿ **إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ** ﴾ .

وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

[١٩١] ﴿ **واقْتُلُوهم حيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ﴾ إذا قاتلوكم في أي مكان وجدتموهم فيه ﴿ **وأَخْرِجوهم من حيثُ أخرجوكم** ﴾ أي من مكة ﴿ **والفتنةُ أشدُّ من القَتْل** ﴾ الذي يهدف إلى تطهير البيت الحرام من الظلم والشرك ﴿ **ولا تُقاتِلُوهم عِنْدَ المسجدِ الحرامِ حتى يُقاتِلوكم فيه** ﴾ إيضاح لحرمة الكعبة ومكة ، فلا يبدأ المؤمنون قتال المشركين هناك إلا إذا كان قتالهم دفعاً للاعتداء ﴿ **فإن قاتَلُوكم فاقتلوهم** ﴾ لأنه لا حرمة لهم باعتدائهم عليكم في المسجد الحرام ﴿ **كذلك جزاءُ الكافرين** ﴾ .

[١٩٢] ﴿ **فإن انْتَهَوْا** ﴾ عن القتال ﴿ **فإن الله غفورٌ رحيمٌ** ﴾ فلا تتعرضوا لهم .

[١٩٣] ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ** ﴾ الهدف من القتال عدم تمكين المشركين من فتنة المؤمنين ومنعهم من نشر الإسلام ﴿ **ويكونَ الدينُ للهِ** ﴾ لا يُعبد سواه في الحرم ﴿ **فإن انتهَوْا فلا عُدْوان إلاّ على الظّالمينَ** ﴾ لا تقاتلوا إلا المبتدئين بقتالكم .

[١٩٤] ﴿ **الشهر الحرامُ بالشهرِ الحرام** ﴾ الأشهر الحُرُم أربعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، وفي هذه الآية تبيان أن من ينتهك حرمة هذه الأشهر باعتدائه على المسلمين يُقتصّ منه ولو وقع القتال في أي شهر منها ، ومن راعى حُرمتها راعينا حُرمة قتاله فيها ﴿ **والحُرُماتُ قِصاصٌ** ﴾ أي متساوية فلا يفضل شهر على آخر شيئاً ﴿ **فمنِ اعْتَدى عليكم فاعْتَدُوا عليه بمثلِ ما اعتدَى عليكم** ﴾ أمر الله بالعدل حتى في المشركين ﴿ **واتّقوا اللّهَ واعْلَموا أنَّ اللّهَ مَعَ المتّقِينَ** ﴾ يعينهم وينصرهم ويحفظهم ويؤيدهم .

[١٩٥] ﴿ **وأَنْفِقوا في سبيلِ اللهِ** ﴾ في قتال العدو ﴿ **ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهْلُكة** ﴾ ورد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن التهلكة هنا لا تعني اقتحام المجاهد للمخاطر تهوراً ، وإنما تعني البخل في الإنفاق في سبيل الله ﴿ **وَأَحْسِنُوا** ﴾ افعلوا كُلَّ حسن وبخاصة الإنفاق في سبيل الله ﴿ **إنَّ اللهَ يحبُّ المُحْسِنينَ** ﴾ .

[١٩٦] ﴿ **وأتمُّوا الحجَّ والعُمْرَةَ للهِ** ﴾ أي أدُّوهما تامّين بمناسكهما المشروعة لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته ﴿ **فإن أُحْصِرْتُم** ﴾ والمعنى فإن منعكم مانع من دخول أرض الحرم [كمرض أو عدو] وإتمام الحج والعمرة ﴿ **فما استيسر من الهَدْي** ﴾ والمعنى أن يذبح الحاج أضحيته حيث حبسه العذر الشرعي ﴿ **ولا تَحْلِقُوا رؤوسَكم حتَّى يَبْلُغَ الهدْيُ مَحِلَّه** ﴾ أي الموضع الذي يحلّ فيه نحره وهو موضع الحبس [الإحصار] ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه** ﴾ يحوجه إلى الحلق وهو محرم ، فإن حَلَقَهُ ﴿ **فَفِديةٌ من صيام أو صدقة أو نُسُك** ﴾ فعليه صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة ، والنسك العبادة ، وأطلقت هنا على الذبيحة لأنها من أشرف العبادات التي يُتَقرّب بها إلى الله ﴿ **فإذا أَمِنْتُم** ﴾ تمكنتم من إتمام الحج أو العمرة ﴿ **فمن تمتّع بالعمرةِ إلى الحجِّ** ﴾ أي أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم تحلّل بحلق رأسه على أن يُحرم للحج بعد ذلك ﴿ **فما استيسر من الهَدْي** ﴾ فعليه أن يذبح ما يتيسر له من الأنعام المعروفة ﴿ **فمن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيّامٍ في الحجِّ وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرةٌ كاملةٌ ذلك لِمن لم يَكن أهْلُه حاضِري المسجدِ الحرام** ﴾ في المسألة قولان : الأول : أن التمتع لا يكون إلا للقادم من خارج مكة أما سكان الحرم أنفسهم فلا تمتّع لهم ولا قِران ، والثاني : أن الهدي أو الصيام يجبره الله بفضله عن ساكن مكة ولا شيء عليه ﴿ **واتّقوا اللّهَ** ﴾ فلا تنتهكوا حرماته ﴿ **واعلموا أنّ اللّهَ شديدُ العِقابِ** ﴾ لمن جنى على إحرامه وتعمّد إفساده .

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

[١٩٧] ﴿ **الحَجُّ أَشْهُرٌ معلومات** ﴾ أعمال الحج في أوقات محددة هي شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذي الحجة ، وهي معلومة لدى العرب من قبل نزول الآية ﴿ **فمن فرض فِيهِنَّ الحَجَّ** ﴾ فمن أحرم بالحج وأوجبه بذلك على نفسه في هذه الأشهر المعلومة ﴿ **فلا رَفَثَ** ﴾ فلا يقرب الجماع ولا مقدماته ولا يفحش في القول ﴿ **ولا فُسُوقَ** ﴾ الفسوق : الخروج عن حدود الشريعة وهنا يعني : ارتكاب محظورات الإحرام الفعلية والقولية ﴿ **ولا جِدَال** ﴾ من المماراة وما لا طائل من ورائه مع أحد من رفقة السفر أو الخدم ﴿ **في الحَجّ** ﴾ لأن المطلوب إقبال الحاج على الله تعالى بكلّيته مادياً ونفسياً ، وتهذيب هذه النفس وتعبيدها لمولاها سبحانه ﴿ **وما تَفْعَلُوا من خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله** ﴾ فيجازيكم به خيراً ﴿ **وتزوّدوا فإنَّ خَيْرَ الزادِ التّقوى** ﴾ على الإنسان التزوّد بالعمل الصالح للآخرة ، كما يتزوّد بطعامه وشرابه وحاجته لرحلة الحج ، والتقوى هنا : طاعة الله واجتناب محرماته ﴿ **واتَّقُونِ يا أُولِي الألْبابِ** ﴾ .

[١٩٨] ﴿ **ليسَ عليكم جُنَاحٌ أنْ تَبْتَغُوا فضلاً من ربِّكم** ﴾ كانت العرب تتحاشى البيع والشراء والتجارة في موسم الحج ، فأباح الله للمسلمين ذلك مع قصدهم فريضة الحج ﴿ **فإذا أَفَضْتُمْ من عَرَفَاتٍ** ﴾ إذا رجعتم منها ﴿ **فاذكروا الله** ﴾ بالإكثار من التلبية والتهليل والتكبير والدعاء ﴿ **عند المَشْعَرِ الحرامِ** ﴾ عند منطقة المزدلفة ، وقيل المَشعر الحرام : موضع بالمزدلفة سُمي بذلك لأنه مَعْلَم للعبادة ، وبعض الأئمة يعتبرون الذكر عنده من الواجبات لنصِّ الآية ﴿ **واذكرُوه كما هَدَاكُمْ وإن كُنْتُم من قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالّينَ** ﴾ أذكروا الله ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة بعد أن كنتم قبل ذلك من الجاهلين بأحكام الدين والإيمان .

[١٩٩] ﴿ **ثُمَّ أفيضُوا من حيثُ أَفَاضَ الناسُ** ﴾ أمر للمسلمين بالإفاضة من عرفات وهو منسك سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لا من المزدلفة كما كانت تفعل قريش لتميّز نفسها عن بقية العرب ﴿ **واستغفروا الله** ﴾ عما سلف من المعاصي ﴿ **إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ** ﴾ . [٢٠٠] ﴿ **فإذا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ** ﴾ فإذا فرغتم من أعمال الحج ﴿ **فاذكروا اللّهَ كذِكْرِكم آباءَكم أو أشدَّ ذكراً** ﴾ أُذكروا الله كثيراً ، وكانوا في الجاهلية يتفاخرون بالآباء والأجداد وأعمالهم من الفروسية والكرم وسواها بعد انتهائهم من حجّهم ، فأراد الله تعالى أن يهديهم سواء السبيل بذكره وذكر نعمه على النّاس ، وأن هذا أولى من ذكر مفاخر الآباء والأجداد ﴿ **فمن النّاسِ من يَقُولُ** : **ربَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا** ﴾ فبعض النّاس يحرصون فقط على حظهم من الدنيا [كالكفّار] وبعض المسلمين يهتمون فقط بدعاء الله من أجل الرزق والمطر وسواهما ﴿ **وَمَا لَـهُ في الآخرةِ من خَلاقٍ** ﴾ أما الكافر فلا نصيب [خَلاَق] له في الآخرة، وأما المسلم المهتم فقط بدنياه فنصيبه في الآخرة أقل بكثير من نصيب أخيه العامل لها . [٢٠١] ﴿ **ومنهم من يقولُ** : **رَبَّنا آتنا في الدنيا حسنةً ، وفي الآخرةِ حسنةً ، وقِنا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ وهؤلاء جمعوا السؤال عن كل خيرٍ في الدنيا والآخرة ، وورد في الصحيح أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء (ربنا آتنا في الدنيا حسنة . . . .) . [٢٠٢] ﴿ **أولئك لهم نَصِيبٌ ممَّا كَسَبُوا** ﴾ المقصود أن الذين يسألون الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، لهم الثواب في الآخرة ، والمنافع الحسنة في الدنيا ﴿ **واللّهُ سريعُ الحِسَابِ** ﴾ يعني : أنه يجازيهم على قدر أعمالهم وكسبهم لا يشغله شأن عن شأن .

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

الحزب ٤

[٢٠٣] ﴿ **واذكُروا اللَّهَ في أيّام معدوداتٍ** ﴾ قيل فيها : الإكثار من التكبير عند رمي الجمرات وعقب كل صلاة في أيام العيد ﴿ **فمن تعجَّل في يَوْمَيْنِ** ﴾ أي رمى الجمار في يومين من أيام التشريق بدل الثلاثة ﴿ **فلا إثم عليه وَمَنْ تأَخَّر** ﴾ أي رمى الجمرات في الأيام الثلاثة (وهو السُّنَّة) ﴿ **فلا إثْم عليه** ، **لِمَنِ اتَّقَى** ﴾ فالحاج مخيَّرٌ بين التعجيل والتأخير شرط تقوى الله ومراقبته في نفسه ﴿ **واتَّقُوا اللَّهَ** ، **واعْلَموا أنكم إليه تُحْشَرون** ﴾ تُجمَعون ليحاسبكم على أعمالكم .

[٢٠٤] ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قولُه في الحياة الدنيا** ﴾ يُعجبك حديثه في أمور الدنيا التي لا يتقن سواها ﴿ **ويُشهِدُ اللَّهَ على ما في قلبه** ﴾ يحلف باللَّه أشد الأيمانِ الكاذبة على ما في نفسه تجاهك من الإيمان والمحبة لك ﴿ **وهو ألَدُّ الخصام** ﴾ وهو أشد المخاصمين والمجادلين بالباطل .

[٢٠٥] ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّى** ﴾ انصرف من عندك ﴿ **سعى في الأرض لِيُفْسِدَ فيها** ﴾ مشى بين النّاس بمحاولات الهدم وتفريق الكلمة والصدّ عن سبيل الله ﴿ **ويُهلِكَ الحرثَ والنَسْلَ** ﴾ ويقضي على الزراعة والماشية ، وهو مثَلٌ يُضرب لمن يشتد إيذاؤه ﴿ **واللَّهُ لا يُحِبُ الفسادَ** ﴾ لا يرضى فعله ، وسماه فساداً لأنه يوقع الاختلاف بين الناس .

[٢٠٦] ﴿ **وإذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله** ﴾ وإذا وُعِظ وذُكِّر بالله تعالى ﴿ **أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثم** ﴾ حمله التكبر الجاهلي على رفض النصيحة ﴿ **فَحَسْبُهُ جهنَّمُ** ﴾ أي يكفيه عذاب النار ﴿ **وَلَبِئْسَ المِهادُ** ﴾ المهد : الفراش ، والذم هنا لاستبداله العزّة بالإثم بدل العزّةِ بالله والنزول عند تذكير المؤمنين له .

[٢٠٧] ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَه ابتغاء مرضاتِ اللَّهِ** ﴾ أي من الناس من يبيع نفسه ويشتري بها رضوان الله سبحانه ﴿ **واللَّهُ رؤوفٌ بالعبادِ** ﴾ فهو الذي يرشدهم لرضاه ، وينعم عليهم بالرزق بالرغم من كفرهم به أو تقصيرهم في عِبادته .

[٢٠٨] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنُوا ادْخُلُوا في السِّلْم كافَّةً** ﴾ أي استسلموا لله وأطيعوه ولا تخرجوا عن شيء من شرائعه ، والسِّلم : الإسلام ، أو عدم الخصومة والنزاع بين المؤمنين ﴿ **ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ** ﴾ أي لا تتبعوا طرقه التي يأمركم بها ﴿ **إنَّه لكم عدوٌّ مبينٌ** ﴾ .

[٢٠٩] ﴿ **فإنْ زَلَلْتُمْ** ﴾ عن الدّخول في السلم ﴿ **من بَعْدِمَا جاءَتْكُمُ البيِّناتُ** ﴾ وهي الآيات الواضحة الظاهرة ﴿ **فاعلموا أنَّ الله عزيز** ﴾ غالبٌ لا يُعجزه الانتقام ممن زلّ ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ لا ينتقم إلا بحقّ .

[٢١٠] ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ** ﴾ استفهام إنكاريّ بمعنى أينتظرون ﴿ **إلاّ أنْ يأتِيَهُمُ اللَّهُ في ظُلَلٍ من الغَمامِ والملائِكَةُ** ﴾ الظُّلَل : جمع ظُلَّة وهي ما يستر الشمس ﴿ **وقُضِيَ الأمْرُ** ﴾ أتم اللَّهُ أمره فيهم بالهلاك ﴿ **وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمورُ** ﴾ أي فمن كانوا نافذي الملك والتصرف في الدنيا ، فإن ملكهم وتصرفهم مسترد منهم يوم القيامة وراجع إليه تعالى ، أو الأمور هنا بمعنى الأرواح والأنفس .

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

[٢١١] ﴿ **سَلْ بَـنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَـيْنَاهُمْ من آيَـةٍ بَيِّنَـةٍ** ﴾ المراد بهذا السؤال تقريع بني إسرائيل وتوبيخهم على طغيـانهم وجحـودهم الحقّ بعد وضـوح الآيـاتِ ، فكم شـاهـدوا من المعجـزات الظـاهـرة على أيـدي أنبيائهـم ، ومع هذا أعـرض كثير منهم عنها ، وبـدّلوا نعمة الله عليهم بها كفراً ﴿ **وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ** ﴾ ومن يستبـدل الكفرَ والتكـذيبَ بـآياتِ الله بـدل الإيمان بها ﴿ **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ** ﴾ بعـد أن وصلت إليـه وتمكن من معرفتها ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾ .

[٢١٢] ﴿ **زُيِّنَ لِلَّـذِينَ كَفَـرُوا الحَيَاةُ الـدُّنْيا** ﴾ اغترّوا بزينتها ﴿ **ويسْخَـرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُـوا** ﴾ يهزأون منهـم ﴿ **والذين اتَّقَوْا فوقَهم يومَ القيامَةِ** ﴾ والمؤمنون المتقون يوم القيامة في عِلِّيِّينَ وهـم في أسفـلِ سافلين ﴿ **واللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَـاءُ بغَيْرِ حِسَـابٍ** ﴾ أمـا الكفّـار فبرغم كفـرهـم أمـدّهم في الـدنيا استـدراجـاً لهم ، وأمـا المؤمنون فقـد رزقهم في الجنّة رزقاً واسعاً رغداً لا فناء له ولا انقطاع .

[٢١٣] ﴿ **كَانَ النَّـاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً** ﴾ أي وُجِـدوا أمـةً واحدة مقصدها ومطلبها الإصلاح والعدل ولما اختلفوا وانحرفوا ﴿ **فبعث اللَّهُ النبيينَ مُبشِّرينَ ومنذرينَ** ﴾ أرسل الله أنبيـاءه إلى الخلق يبشرون المطيعين وينذرون العصـاة ﴿ **وأنـزَل معهم الكتـابَ بـالحقّ ليَحْكُمَ بين النَّـاسِ فيما اختلفوا فيـه** ﴾ وأيدهم بكـلامه الموحى بـه ليبيّن للناس الحق من البـاطـل في العقيـدة والعمل ﴿ **وما اختـلَفَ فيه** ﴾ أي بكلام الله المنزل ﴿ **إلا الذيــن أُوتُوهُ من بعدِ مَا جاءَتْهُمُ البيّناتُ** ﴾ والـذين اختلفـوا هـم الـذين أنـزل عليهم الكتاب مزيـلاً للاختلاف فجعلوه سبباً للخـلاف بعد مجيء الدلائل الواضحة ، فاستبـدلوا الكفر بالإيمان والمعصية بـالطاعة ﴿ **بغياً بينهم** ﴾ حسداً وقع بينهم ﴿ **فهدى اللَّهُ الذينَ آمنوا** ﴾ بالكتاب المنزل ﴿ **لما اختلفُوا فيه من الحقِّ** ﴾ للحق الذي اختلف فيه أهل الضلال ﴿ **بإذنِه** ﴾ أي هدى المؤمنين بلطفه وتيسيره ﴿ **واللَّهُ يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ .

[٢١٤] ﴿ **أم حسبْتُمْ أن تـدخلوا الجنَّـةَ ولَمَّا يأتِكُمْ مَثَـلُ الذينَ خَلَـوْا من قَبْلِكُمْ** ﴾ أظننتم أنكم ستـدخلون الجنَّة قبل أن تُبْتلوا بما ابتلى به الأنبيـاء السابقـون والمؤمنون معهم من الأحوال الهائلة الشـديدة ؟ ﴿ **مسَّتْهم** ﴾ أصابتهم ﴿ **البأْسَاء والضَّرّاءُ** ﴾ الشـدائد والآلام ﴿ **وزُلزِلوا** ﴾ أُزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلـزلة التي تكاد تهدّ الأرض وتدكّ الجبال ﴿ **حتّى يقولَ الرسولُ والـذينَ آمنوا مَعَهُ** ﴾ من كثرة الشّـدّة والضجر واستبطاء النصر ﴿ **متى نصْرُ اللَّهِ** ﴾ فيقال لهم : ﴿ **ألا إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قريبٌ** ﴾ فاصبروا كما صبروا تظفروا .

[٢١٥] ﴿ **يَسْأَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ** ﴾ أي شيء ينفقونـه من أصنـاف الأموال ﴿ **قل مـا أَنْفَقْتُم من خيرٍ فللوالـدَيْنِ والأقـربين واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ** ﴾ المسكين : الفقير الذي يفوق مصروفه مدخولُه ، وابن السبيل : المسافر أو الغريـب ، ممن لا مال لديه ، وقد أجاب على ماذا ينفقون بقوله خيرٍ ثم بيَّن وجهة الإنفاق وهي الأهم ﴿ **وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فإنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ كلّ ما فعلتموه من خيرٍ ، إما مع هـؤلاء المذكورين وإما مع غيرهم ، تقرباً إلى الله وطلباً لمغفرته ورضوانه ، فإن الله عليمٌ به فيجازيكم أحسن الجزاء عليه .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

[٢١٦] ﴿ **كُتِبَ عليكم القِتالُ** ﴾ فُرِض عليكم الجهادُ في سبيل الله ﴿ **وهو كُرهٌ لَكُمْ** ﴾ لما فيه من التضحية والمشقّة ، وهذا الكره لا ينافي الإيمان ، لأن كراهة الطبع لا تنافي الرضا بما كلف به كالمريض الشارب للدواء البشع ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً** ﴾ كالجهاد المفروض ﴿ **وهو خيرٌ لَكُمْ** ﴾ لما فيه من النصر أو الشهادة والفوز بالجنة ﴿ **وعسى أن تحبُّوا شيئاً** ﴾ كالقعود عن الغزو والجهاد ﴿ **وهو شرٌّ لَكُمْ** ﴾ لما فيه من الذل والحرمان من الغنيمة والثواب ﴿ **والله يَعْلَمُ** ﴾ ما هو خيرٌ لكم ﴿ **وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ .

[٢١٧] ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عن الشَّهْرِ الحرامِ قتالٍ فيه** ﴾ سبب هذا السؤال ما فعله عبد اللّه بن جحش رضي الله عنه ، وكان أميراً على مجموعة مقاتلة من الصحابة ، فهاجم قافلة تجارية لقريش في شهر رجب [وهو من الأشهر الحرم] حتى قال قائل قريش : إن محمداً انتهك حرمة الشهر الحرام ﴿ **قل قتالٌ فيه كبيرٌ** ﴾ القتال فيه أمر كبير مستنكر ، والأعظم منه والأكبر وزراً هو ﴿ **وصدٌّ عن سبيلِ الله** ﴾ أي صرفٌ ومنعٌ عن دين الله أو عن البيت الحرام لأن الرسول ﷺ سمى الحج : سبيل الله ﴿ **وكُفرٌ به** ﴾ أي بالله وبدينه ﴿ **والمسجدِ الحرامِ** ﴾ ومنع المؤمنين عن دخول المسجدِ الحرام ﴿ **وإخراجُ أَهْلِهِ منه أكبر عند الله** ﴾ أي : إن ما فعله المشركون من إخراج الرسول ﷺ والصحابة وهم أهل المسجد الحرام وأولى به من سواهم ، أكبر عند الله من قتال سريّة **عبد الله** بن جحش للمشركين في الشهر الحرام ﴿ **والفتنةُ أكبَرُ من القتل** ﴾ وفتنة إخراج المؤمنين من المسجد الحرام أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام ﴿ **ولا يزالُونَ يقاتلونكمْ حتّى يَرُدُّوكم عن دينكم إنِ اسْتَطاعُوا** ﴾ سيستمر أهل مكة من المشركين في قتال المؤمنين ليعيدوهم في ملّة الكفر بعد أن هداهم الله ﴿ **وَمَنْ يَرْتَدِدْ منكم عن دينهِ** ﴾ وهو الإسلام ﴿ **فيمُتْ وهو كافرٌ فأولئك حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ في الدُّنيا والآخرةِ** ﴾ بطلت أعمالهم في الدنيا ، برفع الأمان عنهم ، وفي الآخرة : فلا يثابون على حسناتهم ﴿ **وأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خَالِدُونَ** ﴾ .

ربع الحزب ٤

[٢١٨] ﴿ **إنَّ الّذينَ آمنُوا** ﴾ بحرمة الشهر مع جواز قتال المعتدين فيه ﴿ **والّذينَ هَاجَرُوا** ﴾ أهل مكة من المؤمنين الّذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴿ **وَجَاهَدُوا في سبيلِ اللّهِ** ﴾ ولو قاتلوا في الشهر الحرام رداً للظلم والعدوان ﴿ **أُولئك يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ** ﴾ يرجون جنّته جزاء جهادهم في سبيله ﴿ **واللّهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ يغفر لهم هتكهم لحرمة الشهر .

[٢١٩] ﴿ **يسألونك عنِ الخمرِ والمَيْسِرِ** ﴾ أي يسألون النبي ﷺ عن حكم الخمر والميسر أحلالٌ أم حرام . والخمر ما أسكر من كل شيء ، والميسر هو القِمار ، وقال مجاهد [ت ١٠٤ هـ] : « كل شيءٍ فيه قمار فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز » ﴿ **قل فيهما إثمٌ كبيرٌ** ﴾ أي مفاسد عظيمة كالكذب والشتم وزوال العقل واستحلال مال الآخرين ﴿ **وَمَنافعُ للنّاسِ** ﴾ بعض المنافع الدنيوية من اللذة والطرب وربح المال ﴿ **وإثْمُهُما أكبرُ من نَفْعِهِمَا** ﴾ فالمفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليهما ﴿ **ويسألونكَ ماذا يُنفقُونَ قُلِ العفْو كذلك يبيّنُ اللّهُ لكُمُ الآياتِ لعلَّكم تتفكَّرُونَ** ﴾ كذلك يبيّن الله لكم أوامره ونواهيه ، وفي ذلك دعوة إلى التفكر وإعمال العقل .

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

[٢٢٠] ﴿ في الدُّنيَا والآخِرَة ﴾ فالدنيا فانية والآخرة باقية ، والعاقل من اختار الباقية على الفانية ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامى ﴾ عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ شدّد المسلمون على أنفسهم في أموال اليتامى الذين يشرفون على تربيتهم مما أوقعهم في الحرج الشديد فنزلت لتوضح الأصلح لليتيم وكافله ﴿ **قل إصلاحٌ لهم خيرٌ** ﴾ سواء كان هذا الإصلاح في تربيتهم أم في استثمار أموالهم ﴿ **وإن تخالطوهم فإخوانُكم** ﴾ عاشروهم بمقتضى الأخوة الدينية ﴿ **واللّه يعلمُ المفسد من المصلح** ﴾ لا يخفى عليه من يُفسد في أموال اليتيم ومعاملته ومن يصلح ﴿ **ولو شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ** ﴾ لجعل عليكم المشقة والحرج ﴿ **إنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ فالله غالب على أمره تجري أوامره وأعماله بالحكمة المراعية لحالة الناس وطاقاتهم . [٢٢١] ﴿ **ولا تنكحوا المُشْرِكَاتِ حتى يُؤمِنَّ** ﴾ لا تتزوجوا الوثنيّات حتى يُؤمِنَّ بالله تعالى ، والمشرك هو من يكون أصل دينه الإشراك ، بخلاف من طرأ في دينه الشرك مع أن أصله وجوهره التوحيد كما هو عند أهل الكتاب ﴿ **وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خيرٌ من مُشْرِكَةٍ** ﴾ الأمة : المملوكة من الرقيق . فَخِسَّةُ الرق مع الإيمان مقدّمة على مكانة المشركة الحرة مع الكفر ﴿ **ولو أعجبَتْكُمْ** ﴾ أي المشركة بحسنها ونسبها ﴿ **ولا تُنْكِحُوا المُشْرِكِينَ حتى يُؤْمِنُوا** ﴾ ولا تزوّجوا الكفار من المسلمات حتى يتركوا ما هم فيه من الشرك ويؤمنوا بالإسلام ﴿ **ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ولو أَعْجَبَكُم** ﴾ والمملوك الرقيق من المؤمنين أفضل عند الله من الكافر الحر ذي النسب والجاه الدنيوي ﴿ **أولئك يَدْعُونَ إلى النَّار** ﴾ فالمشركون والمشركات يدعون من يقارنهم ويعاشرهم إلى أعمال تؤدي إلى النار ﴿ **واللَّهُ يدعو إلى الجنَّةِ والمَغْفِرَة بإذنه ، ويبيِّنُ آياته** ﴾ أوامره ونواهيه ﴿ **للنَّاس لعلَّهم يَتَذَكَّرون** ﴾ لكي يتعظوا وينتهوا عن التزويج الحرام. [٢٢٢]﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ** ﴾ ويسمى الحيض. وكانت اليهود إذا حاضت المرأة لا يؤاكلوها ولا يخالطوها ، فسأل المسلمون عن حكم الحيض في الإسلام فبيَّن الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ **قُلْ هو أذىً** ﴾ قذر ، يُؤذي من يقربه ﴿ **فاعْتَزِلُوا النِّساءَ في المَحِيض** ﴾ فاجتنبوا مجامعتهن في وقته ﴿ **ولا تَقْرَبوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ** ﴾ حتى ينقطع الدم ويغتسلن ﴿ **فإذا تطَهَّرْنَ فأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾ فجامعوهن في المكان الذي أمركم الله بتجنّبه في الحيض ، وهو القُبُل ، ولا تتعدّوه إلى غيره ﴿ **إن الله يحب التَّوَّابِينَ** ﴾ من الذنوب ﴿ **وَيُحِبُّ المتطهِّرينَ** ﴾ المترفعين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والإتيان في غير القُبُل. [٢٢٣] ﴿ **نِسَاؤُكم حَرْثٌ لَكُمْ** ﴾ شبَّههن بذلك لما بين النكاح بقصد الإنجاب وبين البذار من المشابهة ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شئتم** ﴾ في أي وقت شئتم ، وبالكيفية التي تشاؤون في مكان الحرث والإنبات ﴿ **وقدّموا لأنفسكم واتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ فلا تجترئوا على المعاصي ﴿ **واعْلموا أنَّكم مُلاقُوهُ** ﴾ فاستعدوا للقائه ﴿ **وبشِّر المؤمنينَ** ﴾ بثواب طاعاتهم وأعمالهم وبدخولهم الجنَّة .

[٢٢٤] ﴿ **ولا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأيمانِكُمْ** ﴾ أي لا تجعلوا حلفكم بالله حاجزاً بينكم وبين فعل الخير والإصلاح بين الناس ﴿ **أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا بين النَّاس** ﴾ في الحديث : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفّر عن يمينه وليفعل الذي هو خير) رواه مسلم، وفي الآية نهي عن كثرة الحلف ، فمن اعتاد لسانه على الحلف ربما استهان بالأمر أو وقع في المحظور ﴿ **واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ .

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

[٢٢٥] ﴿ **لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ في أَيْمانِكُمْ** ﴾ وهي الأيمان التي تجري على اللسان عادة من غير تعقيدٍ ولا قصدٍ ، ومثلها يمين الغضبان والمخطىء ﴿ **ولكن يُؤاخِذُكُمْ بما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ فاجتمع فيه اللفظ والنيّة . والمراد من المؤاخذة : وجوب الكفّارة ﴿ **والله غفورٌ حليمٌ** ﴾ ترك الفرصة للمخطىء للتوبة والاستغفار. [٢٢٦] ﴿ **للَّذين يُؤْلُونَ من نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ** ﴾ الإيلاء : الحلف على عدم وطء الزوجة ، فمن حلف أن لا يطأ امرأته ـ سواء حدّد المدّة أم لم يحددها ـ يُمهل أربعة أشهر ، يخير بعدها بين تطليقها أو إرجاعها ، وإذا أرجعها قبل انتهاء الأشهر الأربعة عليه كفّارة يمين ﴿ **فإنْ فاؤوا فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ** ﴾ المقصود بالفيء هنا : عودة الحياة الزوجية الطبيعية . [٢٢٧] ﴿ **وإن عَزَمُوا الطَّلاقَ** ﴾ وإذا تقرر الطلاق ﴿ **فإنَّ اللَّهَ سميعٌ عليمٌ** ﴾ في الآية تحذير من تجاوز كلا الزوجين للحقوق والواجبات بهدف الانفصال وإنهاء الحياة الزوجية . [٢٢٨] ﴿ **والمطَلَّقاتُ يتربَّصْنَ بأَنْفُسِهنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾ تمكث المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار ، ثم تتزوج إن شاءت ﴿ **ولا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ ما خلقَ الله في أَرْحامِهِنَّ** ﴾ من الحَيْض أو الولد استعجالاً في العدة أو إبطالاً لحقّ الزوج في الرجعة ﴿ **إنْ كُنَّ يؤمِنَّ بالله واليومِ الآخرِ** ﴾ لأن مقتضى الإيمانِ الصدق في كل شيء ﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أحقُّ بردِّهِنَّ في ذلِكَ** ﴾ وللزوج حق إرجاع الزوجة خلال فترة القروء الثلاثة المذكورة ﴿ **إنْ أرادُوا إصْلاحاً** ﴾ أي إذا قصد الزوج من هذه الرجعة إصلاح ما بينه وبين زوجته ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوف** ﴾ لكلٍ من الزوجين واجبات ، وعليه حقوق تجاه الآخر يجب القيام بها ﴿ **وللرِّجَالِ عليهنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ لأن الرجال قوّامون على النساء ﴿ **واللَّهُ عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ قادر على الانتقام من الظالمين ، حكيم في أمره وتشريعه .

[٢٢٩] ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتانِ** ﴾ عدد الطلاق الذي يجوز للرجل فيه الردّ والرجعة مرتان اثنتان ﴿ **فإمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْريحٌ بإحْسانٍ** ﴾ بعد تطليق الرجل امرأته تطليقتين : فهو إما أن يحافظ عليها فيحسن صحبتها ، أو يحزم أمره ويقرر انفصاله عنها فلا يظلمها شيئاً ولا يذكرها بعد ذلك بسوء ﴿ **ولا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتيتمُوهُنَّ شَيْئاً** ﴾ لا يحل للزوج أن يأخذ من مطلقته ما قدّمه لها من المال والمتاع على سبيل المهر أو الهدية أو غير ذلك ﴿ **إلا أن يَخافا ألاَّ يُقِيما حُدُودَ الله فإنْ خفتم ألاَّ يُقِيما حُدُودَ الله** ﴾ أي ما يلزمها من حقوق الزوجية ﴿ **فلا جُناحَ عَلَيْهِما فيما افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ فلا إثم على الزوج إن أخذ منها ما دفعت به عن نفسها ضرر الخروج على حدود الله ، وكذلك لا إثم على الزوجة إن تنازلت عن شيء لمطلّقها ، وهذا الحكم يعرف بالخُلْع ﴿ **تلكَ حُدُودُ الله** ﴾ ما ذُكِر من أحكام الطلاق والخلع والمراجعة هي شرائع الله ﴿ **فلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فأولئك هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ لما في مخالفتهم لشريعة الله من هدم للحياة الزوجية وتأثير على نظام المجتمع ، ولأنهم استحقوا بذلك غضب الله وعقوبته .

[٢٣٠] ﴿ **فَإنْ طَلَّقَها فلاَ تَحِلُّ له من بَعْدُ حتّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَه** ﴾ زواجاً صحيحاً وليس شكلياً كما يفعل البعض ﴿ **فإن طَلَّقَهَا** ﴾ أي الزوج الثاني ﴿ **فلاَ جُناحَ عَلَيْهِمَا أن يتراجَعَا إن ظنّا أن يُقِيمَا حُدُودَ الله** ﴾ أي بعد انقضاء عدّة الثاني يحق للأول إرجاعها إن ظنّا أنهما سيرعيان ما شرع الله للحياة الزوجية ﴿ **وتلك حدود الله يُبيّنُهَا لقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ أي يوضحها لقومٍ يتصفون بالعلم والاجتهاد .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ
وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا
آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

نصف الحزب ٤

[٢٣١] **﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بمعروف أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾** إذا طلقت المرأة في الطلاق الرجعي وقاربت العدة على الانتهاء فعلى الرجل إما إرجاع زوجته إلى عصمته قبل انتهاء المدة المشروعة من غير إضرار بها ، وإما تركها حتى تنقضي عدتها وتملك حرية التصرف **﴿ ولا تُمْسِكُوهُنَّ ضراراً لِتَعْتَدُوا ﴾** أي لا ترجعوهن للإضرار بهن والاعتداء عليهن أو لتظلموهن بالجائهن إلى الافتداء ـ الخلع ـ **﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلك فقد ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾** لأنه عرّضها لغضب الله وسخطه **﴿ ولا تتّخذوا آياتِ اللهِ هُزُواً ﴾** لا تتهاونوا في أوامر الله ونواهيه **﴿ واذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكم ﴾** إذ أرسل رسوله بالهدى ودين الحق **﴿ وما أنزل عليكم مِن الكِتاب والحِكْمة ﴾** الكتاب : القرآن الكريم ، والحكمة : السنّة الشريفة **﴿ يعظكم به ﴾** أي يأمركم وينهاكم ويبين لكم حدوده في الكتاب والسنّة **﴿ واتّقوا اللَّهَ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ بكل شيْءٍ عليمٌ ﴾** .

[٢٣٢] **﴿ وإذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أجَلَهُنَّ ﴾** أي انقضت العدة وتم الطلاق **﴿ فلا تعضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أزواجَهُنَّ ﴾** فلا تمنعوهن من العودة إلى أزواجهن الذين طلّقوهنَّ والآن يرغبن فيهم **﴿ إذَا تَراضَوْا بينهم بالمعروف ﴾** إذا رضي الطرفان بما يحسن في الدين من الشروط **﴿ ذلك يُوعَظُ بِهِ من كانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ ﴾** فهذا المنع عن العضْل والضرار يوعظ به المؤمنُ بحساب الله تعالى **﴿ ذلك أزكَى لكم وأطهرُ ﴾** أي تركُكم التدخل بينهما أصلح لكم وأطهر لقلوبكم وقلوبهن من العداوة **﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تعلَمُونَ ﴾** فدعوا رأيكم واتبعوا أمره ونهيه سبحانه في كل أعمالكم .

[٢٣٣] **﴿ والوَالِدَاتُ ﴾** من المطلقات **﴿ يُرضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ ﴾** سنتين كاملتين **﴿ لِمَنْ أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾** ولا مانع من الفطام قبل ذلك إن كان هناك مصلحة **﴿ وعلى المولودِ له ﴾** أي على الأب **﴿ رِزقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمعروفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاَّ وُسْعَهَا ﴾** على والد الطفل نفقة مطلقته من الطعام والكساء مدة الإرضاع بالقدر المتيسر **﴿ لا تُضارَّ والدةٌ بِوَلَدِها ولا مَوْلودٌ لهُ بِوَلَدِهِ ﴾** على الأب والأم ألاّ يرتكب أحدهما ما يُعتبر إضراراً بالآخر مستغِلاً الطفل الرضيع في ذلك ، فلا يحل للأب حرمان الأم من ولدها مباشرة بعد الفطام ولا للأم أن تلقي بولدها ، وقد ألفها ، الى والده بقصد الإضرار به ، أو تطلب منه ما ليس بعدل من النفقة والكسوة وما أشبه **﴿ وَعَلَى الوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ ﴾** وإن كان المنفق وارثَ الأب أو وارثَ الصبي فعليه ما على الأب من النفقة **﴿ فإن أرادا فِصَالاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عَلَيْهِما ﴾** فإن أراد الأب والأم فطام الولد عن الحليب قبل إتمام السنتين ، وكان هذا القرار منهما بعد رضى وتشاور فلا إثم عليهما في عدم إتمام مدة الرضاع **﴿ وإن أَرَدْتُمْ أن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ ﴾** إن أردتم اختيار مُرضع غير الأم ـ إن أبت أو أرادت الزواج ممن لا يرضى بالطفل مثلاً ـ **﴿ فلا جُناح عليكم إذا سلَّمتم ما آتَيْتُم بالمَعْرُوفِ ﴾** المقصود أن يسلّم وليُّ الأمر الأجر المتفق عليه مع المرضع بوجه باشٍ ونفس كريمة فهذا أدعى لاهتمامها بالطفل وشؤونه **﴿ واتّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** فيه تذكير برقابة الله تعالى واطلاعه على ما في الصدور ومعرفته بما يقومون به من مخالفة أمره أو طاعته .

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

[٢٣٤] ﴿ **والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ** ﴾ يموتون من رجالكم ﴿ **ويذرون أزواجاً** ﴾ يتركون بعدهم زوجات ﴿ **يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً** ﴾ أي ينتظرن في العدة مدة أربعة أشهر وعشرة أيام ، والمراد من التربص : الامتناع عن النكاح ، والتزيّن ، والخروج من المنزل الذي توفي زوجها فيه [إلاّ لضرورة] ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ** ﴾ انقضت عدّتهن ﴿ **فلا جُناح عَلَيْكُمْ** ﴾ أي على أولياء أمورهن ﴿ **فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ** ﴾ من التعرّض للخطّاب والتزيّن ﴿ **بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ أي بوجه لا ينكره الشرع ﴿ **وَاللَّهُ بما تَعْمَلُونَ خبيرٌ** ﴾ .

[٢٣٥] ﴿ **ولا جُناح عَليكم فِيمَا عَرَّضْتُم به من خِطبة النساءِ أو أَكْنَنْتُمْ في أَنفُسِكُمْ** ﴾ إن الله رفع الحرج عن طالبي الزواج بالأرامل في التعريض بخطبة النساء ، كأن يُقال لها : إنك جميلة وصالحة ، أو من يجد مثلك إلخ ﴿ **عَلِمَ اللهُ أَنَّكم ستذكرونَهُنَّ** ﴾ أي لا تصبرون عن النطق برغبتكم فيهن ، فرخص لكم في التعريض دون التصريح ﴿ **ولكن لا تُواعِدُوهُنَّ سِرّاً** ﴾ أي لا تقل لها : إني عاشق ، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ، ونحو ذلك ﴿ **إلا أنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً** ﴾ أي قولاً لا يُستحيى منه أمام الناس ﴿ **ولا تعزمُوا عُقْدَةَ النِّكاح حتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ** ﴾ سميت العهود والأنكحة عقوداً لأنها تعقد كما يعقد الحبل ، والنهي عن إتمام عقد الزواج قبل انتهاء العدّة التي فرضها الله على الأرملة ﴿ **واعلموا أنَّ اللَّهَ يعلمُ ما في أَنفُسِكُمْ فاحْذَرُوهُ** ﴾ وعيد من الله المطّلع على ما في الصدور ﴿ **واعْلَمُوا أَنَّ الله غفورٌ حليمٌ** ﴾ فهو لا يعجل العقوبة ويترك الفرصة للتوبة ، وفي ذلك ترغيب بالإخلاص والطهر ظاهراً وباطناً .

[٢٣٦] ﴿ **لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إن طَلَّقْتُمُ النِّساء ما لم تَمَسُّوهُنَّ أو تَفرِضُوا لَـهُنَّ فَرِيضَةً** ﴾ إن طلّق رَجُلٌ امرأته قبل الدخول الشرعي أو تسمية قيمة المهر ، فليس عليه مهرٌ وليس عليها عدّة ﴿ **ومتِّعوهُنَّ** ﴾ أي آتوهُنَّ من مالكم جبراً لوحشة الفراق ﴿ **على المُوسِعِ قَدَرُهُ** ﴾ على الغنيّ ما يليق بغناه ﴿ **وعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ** ﴾ وعلى المعسِر ، المقل الفقير ، بقدر ما يليق بإعساره ﴿ **مَتَاعاً بالمعرُوفِ** ﴾ أي بالوجه المستحسن بلا إفراط ولا تفريط ، فلا يُزاد إلى نصف مهر مثيلاتها من النساء ، ولا ينقص إلى ما لا قيمة له ﴿ **حقّاً على المحسنين** ﴾ ثبت ذلك ثبوتاً مستقراً على المؤمنين ، لأنه بدل المهر.

[٢٣٧] ﴿ **وإنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وقد فَرَضْتُم لَهُنَّ فريضةً** ﴾ إن طلقتم زوجاتكم قبل أن تجامعوهنَّ وقد سميتم لهن مهراً معيناً ﴿ **فنصفُ ما فَرَضْتُمْ** ﴾ أي لهن نصف المبلغ المسمى بينكم ﴿ **إلاَّ أن يَعْفُونَ** ﴾ إلا إذا عفت النساء المطلقات وتنازلن عن حقهن في نصف المهر بلا إكراه ﴿ **أو يَعْفُوَ الذي بيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاح** ﴾ من المفسرين من يرى أن الزوج هو المقصود بالذي ﴿بيده عقدة النكاح﴾ فيؤدي لمطلقته المهر كله لا ينقص منه شيئاً ، ومنهم من يصرف المعنى لأولياء أمور المطلقات إن كن صغيرات ﴿ **وَأَنْ تَعْفُوا أقرَبُ للتَّقْوى** ﴾ والخطاب هنا شامل للنساء والرجال ﴿ **ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ أي التفضل بالإحسانِ لِما فيه من الألفة وطيب الخاطر ﴿ **إنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ فلا يضيع تفضّلكم وإحسانكم .

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

[٢٣٨] ﴿ **حافِظُوا على الصَّلَواتِ** ﴾ داوموا على أدائها في أوقاتها المعلومة مع رعاية فرائضها وسننها وآدابها من غير إخلالٍ بشيء من ذلك ﴿ **والصلاةِ الوُسْطَى** ﴾ ، اختلف العلماء في تحديد : الصلاة الوسطى ، فمنهم من قال هي صلاة الصبح أو الظهر أو العصر أو الأضحى أو الفطر أو الجماعة أو الجمعة أو صلاة الخوف ، ولكل منهم دليله . وقيل هي المتوسطة بين الطول والقصر، أو الفُضلى منها وهي ذات الخشوع ﴿ **وَقُومُوا للهِ قانِتِينَ** ﴾ قوموا لله في الصلاة خاشعين .

[٢٣٩] ﴿ **فإنْ خِفْتُم** ﴾ من عدوٍّ أو غيره ﴿ **فَرِجَالاً** ﴾ فصلّوا ماشين على الأقدام ﴿ **أو رُكْبَاناً** ﴾ راكبين . وقد رويت صلاة الخوف عن رسول الله ﷺ على صفات مفصّلة في كتب السنّة ﴿ **فإذَا أَمِنْتُم** ﴾ زال خوفكم ﴿ **فاذكروا الله كما علّمكم** ﴾ مثل ما علمكم من صلاة الأمن ﴿ **ما لم تكونوا تعلمونَ** ﴾ .

ثلاثة أرباع الحزب ٤

[٢٤٠] ﴿ **والَّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكم ويَذَرُونَ أَزْوَاجاً** ﴾ من يُتوفى من المسلمين عن زوجة أو أكثر ﴿ **وصيةً لِأَزْوَاجِهِمْ** ﴾ عليهم الوصية لزوجاتهم ﴿ **متاعاً إلى الحَوْلِ غَيْرَ إخْرَاجٍ** ﴾ يقمن في بيوت الزوجية سنة كاملة مع نفقة الطعام والكساء ولا يحق لأحدٍ إخراجهن من بيوتهن بالإكراه ﴿ **فإنْ خَرَجْنَ** ﴾ من منزل أزواجهن برضاهن ﴿ **فلا جُناحَ عليكم** ﴾ الخطاب لأولياء الميت ﴿ **فيما فَعَلْنَ في أَنْفُسِهِنَّ مِن مَعْرُوفٍ** ﴾ مما لا ينكره الشرع كالتزيّن والتطيّب وترك الحداد والتعرّض للخطّاب ﴿ **واللَّهُ عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ وجمهور المفسرين أن هذه الآية منسوخة بالتي قبلها ﴿ يتربّصْنَ بأنفسِهِنَّ أربعةَ أشْهرٍ وعَشْراً ﴾ والذين قالوا إنها محكمة وغير منسوخة أوّلوا ذلك من باب الوصيّة بالزوجات أن يُمكنَّ من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم سنة كاملةً ، فإن خرجن بإرادتهن بعد مدة العدة وهي الأربعة أشهر والعشر أيام فإنهن لا يُمنعن من ذلك .

[٢٤١] ﴿ **وَلِلمُطَلَّقَاتِ متاعٌ بِالمَعْرُوفِ ، حقاً على المُتقِين** ﴾ أي : للمطلقات بالإضافة إلى المهر متعة من جهة الزوج بقدر الإمكان .

[٢٤٢] ﴿ **كذلك يُبيّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِه** ﴾ الدالة على أحكامه ﴿ **لعلكم تَعْقِلونَ** ﴾ تفهمون ما فيها وتعملون بموجبها .

[٢٤٣] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الَّذين خرجوا من دِيارِهمْ وهم ألوفٌ حَذَرَ الموت** ﴾ ممن تقدمكم من الأمم أمة خرجت بأعداد كبيرة فراراً من الموت وتركاً للجهاد ﴿ **فقال لهُمُ اللَّهُ موتوا** ﴾ فأماتهم ﴿ **ثم أحْيَاهم** ﴾ بعثهم من موتهم ﴿ **إنّ اللَّهَ لذو فضْلٍ على النَّاسِ** ﴾ فقد جعل هؤلاء عبرةً لغيرهم ليهتدوا ﴿ **ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَشْكُرُونَ** ﴾ لا يشكرون فضل الله كما ينبغي . [٢٤٤] ﴿ **وَقَاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ** ﴾ تحريض على الجهاد بعد الإعلام بأن الفرار من الموت لا يغني ﴿ **واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عليمٌ** ﴾ حثّ على الإخلاص وصدق النية . [٢٤٥] ﴿ **مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حسناً** ﴾ الله هو الغني الحميد ، لكنه تعالى شبّه إعطاء المؤمنين وإنفاقهم في الدنيا بما يرجون ثوابه في الآخرة بالقرض ـ الدَّين ـ وسماه : حسناً ، أي يقدمونه بلا منٍّ ولا أذى ﴿ **فيضاعِفَهُ له أَضْعَافاً كثيرةً** ﴾ ذكر المضاعفة هنا للترغيب في البذل والعطاء ﴿ **واللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾ فعلى الإنسان أن يتذكر دائماً أن الذي يرزقه ويوسع عليه هو الله ، وهو القادر أيضاً على إفقاره والتضييق عليه ﴿ **وإليه تُرجَعُونَ** ﴾ يوم القيامة فيجازيكم .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

[٢٤٦] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الملأ** ﴾ الملأ: أصحاب المكانة في قومهم أو الجمع ﴿ **من بني إسرائيل مِنْ بَعْدِ مُوسَى ، إذْ قالوا لنبيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لنا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سبيلِ الله** ﴾ أي طلبوا من نبيّهم تسمية أميرٍ لهم ليقودهم في حربهم في سبيل الله وذلك حين ظهرت العمالقة ، قوم جالوت ، على كثير من أرضهم ﴿ **قَالَ : هلْ عَسَيْتُمْ إن كُتِبَ عليكُمُ القِتالُ ألّاَ تُقَاتِلوا** ﴾ توقع منهم نبيُّهم الجُبْنَ عن القتال ﴿ **قالوا: وما لنا ألَّا نُقَاتِلَ في سبيلِ اللهِ وقد أُخْرِجْنا من ديارنا وأبْنائِنا** ﴾ أي عرضوا له حالهم الموجبة للقتال لما وقع عليهم من الظلم ﴿ **فَلَمَّا كُتِبَ عليهم القِتالُ** ﴾ بعد إلحاحهم في طلبه ﴿ **تَوَلَّوْا** ﴾ أعرضوا عن قتال عدوهم وَجَبُنُوا ﴿ **إلا قليلاً منهم ، والله عليمٌ بالظالِمِينَ** ﴾ وعيدٌ للذين تركوا القتال وعصوا أمر الله في الجهاد .

[٢٤٧] ﴿ **وقالَ لهم نَبِيُّهم** ﴾ [روي عن السديّ أنه شموئيل، وقال مجاهد: هو شمعون، وهو بمعناه أي: سمع الله دعائي. والله أعلم] ﴿ **إنَّ اللَّهَ قد بَعَثَ لكُم طالوتَ ملكاً** ﴾ أي ملّكه عليكم كما طلبتم قائداً للحرب فانتهوا في تدبير الحرب إليه ﴿ **قالوا أنَّى يكون له المُلكُ عَلَيْنَا** ﴾ أي من أين يكون أو كيف يكون ذلك ﴿ **ونحن أحقُّ بالملكِ منه** ﴾ أي لأن فينا من هو سبط الملوك دونه ، وكان طالوت من سبط لم يكن الملك فيهم ﴿ **ولم يُؤْتَ سعةً من المالِ** ﴾ أي فصار له مانعان : إنه ليس سليل أسرة الملوك والزعماء ، وأنه فقير الحال ﴿ **قَالَ : إنَّ الله اصطفاهُ عليكُمْ وزادَه بسطةً في العِلْمِ والجسمِ** ﴾ فردَّ عليهم بمنطق ربّاني يبيّن أبعاد الأمور ، فالله هو الذي اختاره واصطفاه ، وأن أمر قيادة المعركة لا يحتاج إلى سلالة ملكية وإنما يحتاج إلى علم وقوّة ، وقد خصّه الله منهما بحظ وافر ﴿ **واللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يشاءُ** ﴾ في الدنيا من غير إرث ولا مال ﴿ **والله واسعٌ** ﴾ يرزق من يشاء بغير حساب ﴿ **عَليمٌ** ﴾ بمن يليق بالقيادة ممن لا يليق . فالآية تدل على اشتراط العلم والسلامة من الآفات الجسدية والعقلية لكل قائد ومسؤول .

[٢٤٨] ﴿ **وقالَ لهمْ نبيُّهم إنَّ آيةَ مُلْكِهِ** ﴾ وهي العلامة الدالة على تكليف الله له ﴿ **أن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ** ﴾ أن يردّ الله إليكم صندوق التوراة الذي أُخِذَ منكم ، قال البقاعي : الصندوق الذي وضع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر الآيات ، ويسمى تابوت الشهادة ﴿ **فيه سكِينَةٌ من ربِّكم** ﴾ السكينة : الوقار والجلال والهيبة ، وقيل الطمأنينة والثقة بالنفس ﴿ **وبقيةٌ مما تركَ آلُ موسى وآلُ هارونَ** ﴾ أي من آثارهم ﴿ **تحمله الملائكة ، إنّ في ذلك لآيَةً لكم إنْ كنتم مؤمنينَ** ﴾ ففي رد الصندوق عليكم برهان ودليل ـ آية ـ من الله تعالى على صدق طالوت وأنه من عند الله . وقيل في هذا التابوت أنهم كانوا يتقدمون به أمام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم . وكان العمالقة أصحاب جالوت لما انتصروا عليهم أخذوه في جملة ما أخذوا من نفائسهم ، وكان عهدهم به قد طال ، فذكرهم بمآثره ترغيباً فيه وحملاً على الانقياد لطالوت . [قال ابن عباس : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، وقال السديّ : أصبح التابوت في دار طالوت فآمنوا بنبوة شمعون وأطاعوا طالوت ـ ابن كثير] .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم
بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا
مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ
لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ
عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم
بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٤٩] ﴿ **فلمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بالجُنُودِ** ﴾ أي خرج بالجيش بعد أن ردّ إليهم التابوت وقبلوا قيادته ﴿ **قال : إنَّ الله مبتليكم بنَهرٍ فمن شَربَ منه فليس منّي** ﴾ وكانوا قد عبروا مفازة وأصابهم العطش الشديد ، فامتحن الله إيمانهم بهذا النهر ، فمن شرب منه خرج من أشياع طالوت الذين يقاتلون العدو معه ﴿ **وَمَنْ لَـمْ يطْعَمْهُ فإنَّـهُ منِيّ** ﴾ أي لم يذق شيئاً من مائه ﴿ **إلا من اغْتَرَفَ غُرْفَةً بيده** ﴾ الواحدة ، أي فلا بأس عليه ﴿ **فَشَربُوا منه** ﴾ إلى حد الارتواء ﴿ **إلا قليلاً منهم** ﴾ صبروا على العطش ولم يشربوا إلاّ كما أذن الله تعالى ﴿ **فلما جاوزَه هو والذين آمنوا معه** ﴾ فلما قطع طالوت وجنوده النهر ﴿ **قالوا** ﴾ أي الذين أفرطوا في الشرب ﴿ **لا طاقة لنا اليومَ بجَالُوتَ وجنوده** ﴾ لا قدرة لنا على القتال ، لفقدانهم الشجاعة ﴿ **قال الذين يظنُّون** ﴾ أي يعلمون ﴿ **أنَّهم مُلاَقُوا الله** ﴾ يرجعون إليه بعد الموت ﴿ **كم من فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرةً بإذن اللَّه ، واللَّهُ مع الصَّابرينَ** ﴾ . [عن البراء بن عازب قال : كنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا النهر معه، ولم يجز معه إلاّ مؤمن، ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ـ ابن جرير] .

[٢٥٠] ﴿ **ولـمَّا برَزُوا لجَالُوتَ وجُنُودِهِ** ﴾ دنَوْا منهم ﴿ **قَالُوا : ربَّنا أفرغ علَيْنا صبراً وثبّتْ أقدامنا** ﴾ سألوا الله أن يكرمهم بالصبر فلا يخافون عند المواجهة ، وسألوه الثبات في أرض المعركة وعدم الفرار من الحرب ﴿ **وانصرنا** ﴾ لأنا مؤمنون بك ﴿ **على القوم الكافرين** ﴾ وفي الآية دلالة على توجه المؤمن بالدعاء والاستعانة بالله عند الشدائد .

[٢٥١] ﴿ **فَهَزَمُوهُم** ﴾ تغلبت الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ﴿ **بإِذْنِ اللّهِ وقتل داود جالوتَ** ﴾ وكان داود في جيش طالوت ﴿ **وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء** ﴾ جعل الله داود ملكاً لبني إسرائيل وأنزل عليه النبوة والفهم ، وعلّمه صناعة الحديد والدروع وآلة الحرب ﴿ **ولولا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بعضَهُمْ ببعضٍ لَفَسدَتِ الأرضُ** ﴾ فمن حكمة الله تعالى أنه يهزم أهل الشرك والمعصية على أيدي المؤمنين فيمنعون إفسادهم وشرورهم في الأرض ﴿ **ولكنَّ الله ذو فضلٍ على العَالَمِينَ** ﴾ الفضل : العطاء والمنَّة ، فقد تفضَّل الله على الجنس البشري بتغليبه جبهة الإيمان على جبهة الكفر .

[٢٥٢] ﴿ **تِلْكَ آياتُ اللّهِ** ﴾ أي المذكورات من إماتة الألوف وأحيائهم ، وتمليك طالوت ، وإتيان التابوت ، وإنهزام جالوت ، وقتل داود إياه وتملكه هي من أخبار الغيب التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ وكان يجهلها ﴿ **نَتْلُوهَا عليك بالحقِّ** ﴾ نزل بها جبريل عليه السلام باليقين الذي لا شك فيه ﴿ **وإنَّكَ لَـمِنَ المُرْسلِينَ** ﴾ والدليل على رسالتك علمك بهذه الوقائع من غير معلم من البشر، ثم بإعجازها الباقي على مدى الدهر . وفي هذه القصص معتبر لهذه الأمة في احتمال الشدائد كما احتملها المؤمنون في الأمم المتقدمة ، كما أن فيها تسلية للرسول ﷺ من الكفار والمنافقين . فكأنه قيل : قد عرفت بهذه الآيات ما جرى على الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل من الخلاف عليهم والرد لقولهم ، فلا يعظمن عليك كفر من كفر بك وخلاف من خالف عليك لأنك مثلهم ـ عليهم السلام ـ .

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ
مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

الجزء ٣ الحزب ٥

[٢٥٣] ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فضَّلْنَا بَعْضَهُم على بَعْضٍ** ﴾ بأن خُص بعضهم بمنقبة ليست لغيره ﴿ **مِنْهُمْ من كلَّم اللَّهُ** ﴾ كلمه من غير سفير، وهو موسى عليه السلام ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجاتٍ** ﴾ الظاهر أنه أراد محمداً ﷺ لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤتَه أحدٌ من الآيات ، ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى ، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات ﴿ **وآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البيِّناتِ** ﴾ كشفاء المرضى وإحياء الموتى ﴿ **وأيَّدْناه بِرُوحِ القُدُسِ** ﴾ روح القدس : جبريل عليه السلام وهو حامل الوحي للأنبياء عليهم السلام ﴿ **ولو شاءَ اللَّهُ ما اقْتَتل الَّذين من بَعْدِهِمْ** ﴾ أي من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعّب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضاً ﴿ **مِنْ بَعْدِ ما جاءتْهُمُ البيِّناتُ ، ولكنِ اختلفوا ، فمنهم مَنْ آمَنَ ، ومنهُمْ من كفر ، ولو شاء اللَّهُ ما اقْتَتَلُوا** ﴾ لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة ، ثم طال الكلام ، وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الأمر الخاص ، وهو اقتتال هؤلاء ، فهي نافذة في كل فعل واقع ، وهو المعنى المعبر عنه في قوله ﴿ **ولكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُريدُ** ﴾ .

[٢٥٤] ﴿ **يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا ممَّا رَزَقْناكُمْ** ﴾ هذا أمرٌ بالإنفاق لجزء من المال في سبيل الله ، سواء كان فريضة كالزكاة أو سواها من النوافل ﴿ **مِنْ قَبْلِ أن يَأْتِيَ يَوْمٌ** ﴾ المقصود يوم القيامة ﴿ **لا بَيْعٌ فِيه** ﴾ شبّه تحصيلهم للمغفرة مقابل إنفاقهم بالبيع ﴿ **ولا خُلَّةٌ** ﴾ يعني صُحبة ﴿ **ولا شَفَاعَةٌ** ﴾ ولا من يشفع إلاَّ من أذِن له الرحمٰن ﴿ **والكافِرُونَ هم الظَّالِمُونَ** ﴾ أراد بالكافرين مانعي الزكاة ، وقد يكون المعنى : الكافرون هم الظالمون لأنفسهم بوضع الأموال في غير مواضعها . وفي هذه الآية دلالة على حسن المسارعة إلى الخيرات قبل فواتها بهجوم ما يخشى معه الفوت ، من موت أو غيره .

[٢٥٥] ﴿ **اللَّهُ لا إلـٰهَ إلا هُوَ الحيُّ** ﴾ أي الباقي الذي لا يفنى ﴿ **القيُّومُ** ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ﴿ **لا تأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ** ﴾ لا يغفل عن تدبير أمر الخلق ، والسِّنة : شدة النوم ، أو أوله ، أو النعاس ﴿ **له ما في السَّمٰواتِ وما في الأرْضِ** ﴾ مما نعلم وما لا نعلم ﴿ **مَنْ ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بإذْنِه** ﴾ أي لا يتجاسر أحدٌ ـ من الأنبياء والملائكة ـ على أن يشفع عنده إلا بإذن منه ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ﴿ **يعلم ما بَيْنَ أَيْديهِمْ وما خَلْفَهُمْ** ﴾ علم الله محيط فيما علموا وما لم يعلموا ﴿ **ولا يُحِيطُونَ بِشيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شاءَ** ﴾ أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته إلا بما أراد أن يعلمهم به منها على ألسنة الرسل ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰواتِ والأرْضَ** ﴾ الكرسيّ في الآية هو العرش ، وقيل العلم ﴿ **ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾ لا يثقله ولا يشق عليه ﴿ **وَهُوَ العليُّ العَظِيمُ** ﴾ أي أعظم كل شيء بالجلال والكبرياء والقهر والقدرة والسلطان .

[٢٥٦] ﴿ **لا إِكْراهَ في الدِّين ، قَدْ تَبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ** ﴾ الرُّشدُ : الصواب ، والغيّ : الضلال . قيل إن الآية تنبه أن إيمان المكره لا قيمة له فلا إيمان إلا بالاختيار والاقتناع ﴿ **فمن يكفر بالطاغوتِ** ﴾ أي بالشيطان ﴿ **ويُؤْمِنْ باللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَك بالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصَامَ لَها** ﴾ أي فقد تمسك من الدين بأقوى سبب ، وشبّهه هنا بالعروة التي لا انقطاع لها ﴿ **واللَّهُ سَميعٌ عَلِيمٌ** ﴾ لا تخفى عنه خافية من الكافرين أو المنافقين وسواهم .

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] ﴿ **اللّـهُ وَلِيُّ الَّـذِينَ آمَنُوا** ﴾ أي حـافظهم وناصرهم ﴿ **يُخْرِجُهُمْ مِـنَ الـظُّـلُـماتِ إلى النُّـورِ** ﴾ يخرجهم من ظلمات الكفـر والمعاصي إلى نـور الإيمان الواضح ﴿ **والَّذيـن كـفروا أَوْلياؤُهُـمُ الـطَّاغوتُ** ﴾ أي الشياطين وكل المضلّين عن طريق الحق ﴿ **يُخْرِجُونَهُمْ** ﴾ بالـوساوس وغيرهـا من طرق الإضـلال والإغواء ﴿ **من النُّورِ** ﴾ أي الإيمان الفطري ﴿ **إلى الظُّـلُـماتِ ، أولئك أصحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ** ﴾ . [وحّد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لأن الحق واحد ، والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة ، كما قال : ﴿وأن هـذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلك تتقون﴾ [الأنعام : ١٥٣] وقال تعالى : ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعـام : ١] إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرُّد الحق وانتشار الباطل ، وتفرده وتشعبه ـ ابن كثير] .

[٢٥٨] ﴿ **أَلَـمْ تَـرَ إلى الـذي حَـاجَّ** ﴾ أي جادل ﴿ **إبْراهِيمَ في رَبِّـهِ** ﴾ فـادعىَ في مـوضـوعي الإحيـاء والإمـاتـة ، نسبَهما إلى نفسه ، ونسبهما إبـراهيم إلى الله [عن الربيع قال : ذكر لنا أن الـذي حاجّ إبراهيم في ربه كـان ملكاً يقـال لـه نمـروذ ، وهـو أول جبار تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل ـ ابن جرير] وذلك ﴿ **أَنْ آتاه اللَّهُ المُلْكَ** ﴾ يعني أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكِبْر ، والآية تتضمن تقريع الملك لأنه عكس مـا كان ينبغي أن يكون عليه من إظهـار العبودية لله الذي أنعم عليه وجعلـه ملكاً ﴿ **إذ قَالَ إبراهيمُ** ﴾ حين سألـه من ربّك الذي تدعونا إليه ؟ ﴿ **ربِّي الذي يُحْيي ويميتُ** ﴾ وذلك بنفخ الروح في الجسـد وإخراجهـا منه ﴿ **قَالَ أنا أُحْيي وأُميتُ** ﴾ أي بالقتـل أو العفو ﴿ **قَالَ إبْراهيمُ : فَإنَّ اللَّهَ يَـأْتي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ** ﴾ أي إذا كنت كما تدّعي مـن أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت يمكنه التصرف في نظام الكون وتغيير حركة الكـواكب والنجوم فأت بالشمس من المغرب ﴿ **فَبُهت الذي كَفَرَ** ﴾ تحيّر ودُهِش وغُلب بالحُجَّة ﴿ **واللَّهُ لا يَهْدِي القومَ الظَّالِـمِينَ** ﴾ لا يلهمهم حجة ولا برهاناً .

[٢٥٩] ﴿ **أَوْ كالّذي مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا** ﴾ خالية مهدمة ، سقطت حيطانها على سقوفها ﴿ **قَالَ : أَنَّى يُحْيِي هذه اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ أي كيف يحيي الله أهل هذه القرية ويعمرها بعد خرابها؟ ﴿ **فَأَماتَهُ اللَّهُ مائـَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَـهُ** ﴾ أي أحياه ﴿ **قَالَ** ﴾ الله له ﴿ **كم لَبِثْتَ** ﴾ كم مكثت ميتاً ﴿ **قَالَ : لبثتُ يوماً أو بَعْضَ يَوْم قال : بل لبثتَ مِائَـةَ عام** ﴾ فأجابه الله بالمدة الصحيحة ، وهو إنما سأله ليُظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤونه الخاصة ﴿ **فَانْظُرْ إلى طعامِكَ وَشَرابِكَ لم يَتَسَنَّهْ** ﴾ انظر إلى دليل آخر من دلائل قدرة الله كيف أبقى طعـامك وشرابك طول هذه المدّة لم يفسد ولم يتغير ﴿ **وانْظُرْ إلى حِمَارِكَ** ﴾ وكان الحمارُ قد أصبح عظاماً نخرة ﴿ **ولنجعلَكَ آيَةً للنَّاسِ** ﴾ أي دليلاً وبرهاناً على البعث ﴿ **وانْظُرْ إلى العِظَام** ﴾ أي عظام الحمار لنريك كيفية الإحياء ﴿ **كَيْفَ نُنْشِزُها** ﴾ نرْفع بعضها عَلى بعض ونركبه عليه بعدما بليت ، والنشز : المرتفع عن الأرض ﴿ **ثُمَّ نَـكْسُوهَا لحماً** ﴾ نسترها به ﴿ **فَلَمَّا تَبيَّـنَ لَـهُ** ﴾ اتضح له إعـادته مع طعامه وشرابـه وحماره بعد التلف الكلي ﴿ **قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ شَيءٍ قديرٌ** ﴾ فخرج بـذلك من الظلمات إلى النور .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

[٢٦٠] ﴿ وإذْ قـالَ إبـراهيمُ ربِّ أرني كَيْـفَ تُحْيي المَوْتى ، قَالَ أوَلَمْ تُؤْمِن ، قَالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي ﴾ أي بلى آمنتُ ولكن سَـأَلْتُ لأَزْداد بصيرة . وقيل المعنى سُؤال إبـراهيم عليه السلام عن الكيفية وليـس شكاً في إحيـاء الموتى قط ، وذلك من طبيعـة النفوس البشريـة العطشى للـرؤيـة بعـد السماع ، وفي الحديث : (ليس الخبر كالمعـاينة) رواه أحمد ﴿ قَالَ ﴾ إذا أردت الطمأنينة ﴿ فخـذ أربعـة مـن الطَيْرِ فَصُرْهُنَّ إلَيْكَ ﴾ فقطّعهن وشقّقهن ﴿ ثمَّ اجْعَلْ عَلَى كُـلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُـزْءاً ، ثم ادْعُهُنَّ ﴾ نـادِهن بِأَسْمائِـهِـنَّ ﴿ يَأْتِينَـك سَعْياً ﴾ مُسْرِعَـات ﴿ واعْلَمْ أنَّ اللَّـهَ عـزيـزٌ حكيمٌ ﴾ قـال الزمخشري : فإن قُلْتَ : ما معنى أمـره بضمها إلى نفسه بعـد أن يأخـذها ؟ قلـت : ليتأملها ويعـرف أشكـالها وهيئـاتها وحـلاهـا لئـلا تلتبس عليـه بعـد الإحيـاء ولا يتوهم أنها غير تلك .

ربع الحزب ٥

[٢٦١] ﴿ مَثَلُ الـذين يُنْفِقُـونَ أَمْـوالَهم في سبيلِ اللَّهِ ﴾ أي في طاعتـه ﴿ كمثل حبةٍ أَنْبَـتَتْ سَبْعَ سَنَـابِلَ في كُلِّ سُنْـبُلَةٍ مِائَـةُ حبة ﴾ قـال ابن كثير : في ذلك إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميهـا الله عَزَّ وجل لأصحـابها كما ينمي الـزَّرْعَ لمن بـذره في الأرض الطيّبـة ﴿ واللَّهُ يُضَاعِفُ ﴾ هـذا التضعيف أو أكثر منـه ﴿ لمَنْ يشاءُ ، واللَّهُ واسِعٌ عليمٌ ﴾ وفي الحديث : (كـل عمل ابن آدم يضـاعف ، الحسنـة بعشر أمثـالها إلى سبعمائة ضعف ، قـال الله عـز وجل : إلا الصوم فإنـه لي وأنـا أجزي بـه) رواه مسلم . وأخرج أحمد ومسلـم والنسائي والحاكم عن ابن مسعود قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله فقال رسول اللهﷺ: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلّها مخطومة) .

[٢٦٢] ﴿ الَّذينَ يُنْفِقونَ أَمْوالَهم في سبيلِ اللَّـهِ ثمّ لا يُتْبِعُونَ ما أنفقُوا مَنّاً ولا أَذىً ﴾ أي لا يمتنُّون على من أنفقـوا عليهم ليروهم أنّهم متفضلّون ؛ ولا يذكرون هذا العطاء والإنفاق لغيرهم فيؤذونهم به أو يتطاولون عليهم بسببه ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِم ﴾ من أهوال يوم القيامة ﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما فات من زهرة الدنيا لقدومهم على ما هو خيرٌ منه . [٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَعْروفٌ﴾ من كلمة طيبة أو دعوة صالحة لمسلم ﴿ وَمَغْفِرَةٌ﴾ تجاوز عن إيذاء الآخرين ﴿خيرٌ من صَدَقَـةٍ يتْبَعُهَا أَذىً﴾ إذ لا ثواب للصـدقة في هذه الحالـة ويأثم للأذى ﴿ واللَّهُ غنيٌّ ﴾ عن طلب الصدقة لعبيده مع الأذى لهم أو المنّ عليهم ﴿ حَليمٌ ﴾ بتأجيل عقوبة من يمنّ ويؤذي ، ليفسح له المجال للتوبة .

[٢٦٤] ﴿يا أيُّها الـذين آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَـاتِكُمْ بالمنِّ والأَذى﴾ لا تبطلوا أجرها بهاتين الإساءتين ﴿كالـذي ينفقُ مالَـهُ رِئَاءِ النَّاسِ ولا يُـؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخرِ﴾ فهو ينفق فقط على أعين النّـاس لا إخلاصاً لله وطلباً لثوابه ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ﴾ كحجرٍ [صلد] أملس ﴿عَلَيْهِ تُرابٌ، فَأَصابَـهُ وَابِلٌ﴾ مطرٌ كثير ﴿ فَـتَـرَكَهُ صَلْداً ﴾ أجرد لا شيء عليه ﴿ لا يَقْدِرُونَ على شيءٍ مما كَسَبُوا ﴾ أي المرائي والمنان والمؤذي ، لا يقـدرون على تحصيل شيء من ثواب ما عملـوا لبطلانه ﴿ والله لا يَهْدِي القَوْمَ الكـافِرينَ ﴾ إلى الخير والرشـاد . وفيه تعـريض بأن الـرياء والمنّ والأذى على الانفاق مـن صفات الكفار . وفي الحديـث : (ثلاثة لا يكلمهم الله يـوم القيامـة ولا ينظرُ إليهم ولا يـزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ : المنـان بما أعطى ، والمسبِل إزاره ، والمنفّق سلعته بالحلف الكاذب) رواه مسلم .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

[٢٦٥] ﴿ **ومثلُ الذينَ ينفِقُونَ أموالَـهُم ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وتثبيتاً من أنفُسِهِمْ** ﴾ طلباً لرضى الله وتصديقاً ويقيناً ﴿ **كمثل جنَّةٍ** ﴾ بُستان ﴿ **بِرَبْوةٍ** ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ **أَصَابَها وابلٌ** ﴾ مطرٌ كثير ﴿ **فآتَتْ أُكُلَها** ﴾ أثمرت ﴿ **ضِعْفَيْنِ** ﴾ بالنسبة إلى غيرها من الجِنَان ﴿ **فإن لم يُصِبْها وابلٌ فطَلٌّ** ﴾ الطلّ : المطر الخفيف أو الندى . والمقصود أن المنفق في سبيل الله مأجورٌ قل عطاؤه أو كثُر كالبستان المستفيد من المطر قل أو كثر ﴿ **واللهُ بما تعملونَ بصيرٌ** ﴾ تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص .

[٢٦٦] ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ، لـه فِيهَا من كُلِّ الثَّمَراتِ ، وَأَصَابَهُ الكِبَرُ** ﴾ أي كبر السن فإن الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب ﴿ **وله ذريّةٌ ضُعَفَاءُ** ﴾ صغارُ السِّنِّ لا يَقْدِرُون على الكسب ﴿ **فَأَصَابها إعْصَارٌ** ﴾ ريحٌ شديدٌ ﴿ **فيهِ نارٌ فاحْتَرَقَتْ** ﴾ وبقي صاحبها مع ضعفه ومسؤوليته تجاه أبنائه قليل المال ﴿ **كذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ لعلَّكم تتفكَّرونَ** ﴾ على سبيل الاعتبار. وعن ابن عباس بما معناه : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل الخير حتى إذا هرم وشاخ ختم ذلك بعمل أهل الشقاء فأفسد ما قدّم وأحرقه .

[٢٦٧] ﴿ **يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا من طيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ** ﴾ فمقتضى الإيمان الإنفاق من الجيِّد ﴿ **ومِمَّا أَخْرَجْنا لَـكُم من الأرْضِ** ﴾ ومن طيبات الحبوب والثمار ﴿ **ولا تيمَّمُوا الخبيثَ منه تنفقون** ﴾ ولا تقصدوا الإنفاق من الرديء ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه** ﴾ الإغماض : غض البصر ، وهنا المساهلة ، ذلك لأنَّ الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك ، والمعنى أنه لو أُهدي إليكم مثل هذه الأشياء لما أخذتموها إلا على استحياء وإغماض ، فكيف ترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم ؟ ﴿ **واعلموا أنَّ اللَّهَ غنيٌّ** ﴾ عن أموالكم وإنما يأمركم بالإنفاق في سبيله لمنفعتكم ﴿ **حَميدٌ** ﴾ يجازي المحسن أفضل الجزاء . [عن جابر رضي الله عنه قال : أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر ، فجاء رجل بتمر رديء ، فنزل القرآن : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا أنفقوا من طيِّبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تُنفقون ﴾ . وعن عدي بن ثابت رضي الله عنه عن البراء رضي الله عنه قال : نزلت الآيـة في الأنصار ، كانت تخرج إذا كان جذاذ النخل ـ أي قطعه وجنيه ـ من حيطانها أقناء ـ جمع قنو وهو من النخل كالعنقود من العنب ـ من التمر والبسر ، فيعلقوها على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين ، وكان الرجل يعمد فيخرج قنو الحشف وهو يظن أنَّه جائز عنه من كثرة ما يوضع من الأقناء ، فنزل فيمن فعل ذلك : ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ ، يعني القنو الذي فيه الحشف ، ولو أهدي إليكم ما قبلتموه ـ النيسابوري] .

[٢٦٨] ﴿ **الشيطانُ يَـعِدُكُمُ الفَقْرَ** ﴾ إذا أنفقتم ﴿ **ويأمُرُكُم بالفَحْشَاءِ** ﴾ أي يغريكم على البخل ومنع الصدقات ﴿ **والله يَـعِدُكُمْ مغفرةً منهُ** ﴾ يغفر ذنوبكم إذا أنفقتم ﴿ **وفضلاً** ﴾ ثواباً في الآخرة ﴿ **واللَّهُ واسِعٌ** ﴾ قادرٌ متفضلٌ ﴿ **عليمٌ** ﴾ بصدقاتكم ، فلا يضيع أجركم .

[٢٦٩] ﴿ **يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ الحكمة : معرفة الحق والعمل به ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كثيراً** ﴾ إذ بها صلاح الدنيا والآخرة ﴿ **وما يذَّكَّرُ** ﴾ يتعظ بالقرآن والحكمة ﴿ **إلاّ أُولو الألْبابِ** ﴾ ذوو العقول الراجحة من الناس .

وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبۡدُواْ
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ
فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ
وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ
ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ
لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم
بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ
رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

[٢٧٠] ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أو نَذَرتُمْ مِنْ نَذْرٍ** ﴾ من نذور الإنفاق والتصدق ﴿ **فإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ** ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ **وما للظالمين** ﴾ أهل الرياء أو المنِّ والأذى أو الذين لا يفون نذورهم أو بالإنفاق من الخبيث، أو يمنعون الصدقات، أو ينفقون أموالهم في المعاصي ﴿ **مِنْ أنصارٍ** ﴾ أعوان يمنعون عنهم عقاب الله.

نصف الحزب ٥

[٢٧١] ﴿ **إنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هي** ﴾ لأن إظهار الصدقة وإعلانها تشجيع للآخرين على فعلها. [قال الكلبي: لما نزل قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ الآية، قالوا: يا رسول الله، صدقةُ السرِّ أفضل أم صدقة العلانية؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] ﴿ **وإن تُخْفُوهَا** ﴾ تُسِرُّوها مخافة الرياء، وستراً على الفقراء ﴿ **وتُؤْتوها الفقراءَ فَهُوَ خيرٌ لَكُمْ** ﴾ خيرٌ من العلانية لأنه أبعد عن الرياء وأقرب إلى الإخلاص ﴿ **ويُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾ يغفر من ذنوبكم بقدر صدقاتكم ﴿ **واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ خبيرٌ** ﴾. وفي الحديث (سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله) وذكر منهم (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) رواه البخاري.

[٢٧٢] ﴿ **لَيْسَ عليكَ هُدَاهُمْ** ﴾ فالرسول لا يملك إلا التبليغ والتذكير ﴿ **ولكنَّ اللَّهَ يَهْدي مَنْ يَشاءُ** ﴾ بتهيئة أسباب الهداية في قلبه بعد بيان النبي ﷺ ﴿ **وما تُنْفِقُوا من خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ** ﴾ لأن النفقة تعود على صاحبها بالثواب، فلِمَ تمنون به على الناس وتؤذونهم؟ ﴿ **وما تُنْفِقُونَ إلاَّ ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ** ﴾ أي طلباً لرضاه فلا تستطيلوا به على الناس ولا تُراؤا به ﴿ **وما تُنْفِقُوا من خيرٍ يُوَفَّ إلَيْكُمْ** ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة ﴿ **وأَنْتُمْ لا تُظْلَمون** ﴾ لا تُنقَصونَ من حسناتكم، كما لا يُزاد على سيئاتكم.

[٢٧٣] ﴿ **للفُقَراءِ** ﴾ أي: اجعلوا ما تنفقونه للفقراء ﴿ **الذين أُحْصِرُوا في سَبيلِ اللهِ** ﴾ الذين حبسوا أنفسهم في طاعة الله من جهاد وغيره ﴿ **لا يستطيعون ضرباً في الأرضِ** ﴾ ذهاباً للكسب أو التجارة ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ** ﴾ بحالهم ﴿ **أَغْنياءَ من التعَفُّفِ** ﴾ تركهم السؤال ﴿ **تَعْرِفُهُمْ بسيماهم** ﴾ السيما: العلامة، والمقصود: صفاتهم، وفي الحديث: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) رواه الترمذي ﴿ **لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلحافاً** ﴾ الإلحاف الإلحاح، ومعنى الآية أنهم لا يسألون الناس مطلقاً. وفي الحديث: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف) رواه البخاري ﴿ **وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ** ﴾ ولو على من لم تتحققوا من فقرهم والملحّين ﴿ **فإنَّ الله به عَليمٌ** ﴾ فيجازيكم به.

[٢٧٤] ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ باللَّيْلِ والنَّهارِ سِرّاً وعلانيةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هم يَحْزَنُونَ** ﴾ قدّم ذكر الليل على النهار، والسر على العلانية للإشارة إلى أن إخفاء الصدقة أفضل من إعلانها لأنها أقرب إلى الإخلاص. [عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا إلا على أهل دينكم)، فأنزل الله تعالى: ﴿ليس عليك هُداهم﴾ فقال رسول الله ﷺ: (تصدقوا على أهل الأديان). وعن ابن الحنفية رضي الله عنه قال: كان المسلمون يكرهون أن يتصدقوا على الفقراء المشركين حتى نزلت هذه الآية، فأمروا أن يتصدقوا عليهم ـ النيسابوري].

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

[٢٧٥] ﴿ **الذينَ يأكُلونَ الرِّبا** ﴾ الربا : الزيادة في المال المسترد عن أصل المال ﴿ **لا يَقُومُونَ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **إلا كما يقومُ الذي يتخبّطُهُ الشّيْطَانُ مِنَ المَسِّ** ﴾ يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين ﴿ **ذلكَ بأنّهم قالوا إنما البَيْعُ مثلُ الرِّبا** ﴾ بسبب قولهم إن الربا كالبيع فكلٌّ منهما يحقق زيادة على رأس المال ﴿ **وأحلَّ اللّهُ البَيْعَ وحرَّمَ الرِّبا** ﴾ جعل الله تعالى الدليل على بطلان قياسهم إحلاله وتحريمه ﴿ **فَمَنْ جاءَهُ موعظةٌ من ربّه** ﴾ فمن بلغه من الله وعظ وزجر كالنهي عن الربا ﴿ **فانْتَهى** ﴾ مباشرة بلا تأخير ﴿ **فَلَهُ ما سَلَفَ** ﴾ مما حصل عليه من الربا من قبل نزول الحكم الشرعي بالتحريم ﴿ **وأمْرُهُ إلى اللهِ** ﴾ إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه ﴿ **وَمَنْ عادَ** ﴾ إلى استباحة الربا بعد التحريم ﴿ **فأولئك أصحابُ النّارِ هُمْ فيها خَالِدُونَ** ﴾ لأن من أحلّ ما حرّم الله عز وجل كفر، وبذلك صار مخلداً في النّار . [قال ابن جرير: إن التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الربا، وسواء العمل به، وأكله وأخذه وإعطاؤه، كالذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من قوله : (لعن الله آكل الربا ومُؤكِلَه، وكاتبه ومشاهدَيْه، إذا علموا به)] .

[٢٧٦] ﴿ **يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبا وَيُرْبي الصَّدَقاتِ** ﴾ يمحق : يذهب ريعه ويمحو خيره ، يربي : يكثر وينمي . وهذا بخلاف ما يظهر للعيان إذ يحسب صاحب الربا أنه يزداد مالاً وقد يحسب بعضهم أن الصدقة تنقص من المال ، ذلك لأن الزيادة والنقصان إنما يكونان باعتبار النتائج والنفع في الدنيا والآخرة ﴿ **واللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كفّارٍ أثيم** ﴾ صيغتا مبالغة من الكفر والإثم ، والآية تتضمن تغليظ أمر الربا وأنه من فعل الكفّار لا من فعل المسلمين .

[٢٧٧] ﴿ **إنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ** ﴾ التزام أوامر الشرع من ترك الحرام والقيام بالأعمال الصالحة فيما بينهم ﴿ **وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزّكاةَ لهم أَجْرُهُم عند ربّهِم ولا خوف عَلَيْهم** ﴾ يوم القيامة ﴿ **ولا هم يَحْزَنُونَ** ﴾ لأن مآلهم الجنة بإذن الله .

[٢٧٨] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا اتّقُوا اللّهَ** ﴾ اخشوه تعالى في الربا ﴿ **وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبَا** ﴾ اتركوا ما بقي لكم من مال الربا على المدينين ﴿ **إن كُنْتُمْ مؤمنين** ﴾ قال الحرالّي [علي بن أحمد ، ت ٦٣٨ هـ ، مفسّر من علماء المغرب] : بيّن أن الربا والإيمان لا يجتمعان .

[٢٧٩] ﴿ **فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ من حاربه الله ورسوله لا يُفْلِحُ أبداً ﴿ **وإن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ** ﴾ بطلب الزيادة ـ الربا ﴿ **ولا تُظْلَمُونَ** ﴾ بالانتقاص منها أو المماطلة بالأداء .

[٢٨٠] ﴿ **وإنْ كانَ ذو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ** ﴾ إن كان المدين فقيراً فأَمْهِلُوهُ إلى أن ييسر له الله بالقدر الذي يعينه على الوفاء ﴿ **وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ وأن تسامحوا المدين المعسر بما عليه من الدين ، فهي صدقة مضاعفة يوم القيامة .

[٢٨١] ﴿ **واتّقُوا يَوْماً** ﴾ اخشوا عذاب يوم ﴿ **تُرْجَعُونَ فيهِ إلى اللهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ** ﴾ تلقى نتيجة عملها من خيرٍ أو شرٍّ ﴿ **وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢]﴿ **يا أيها الذين آمنُوا إذَا تَدَاينْتُم بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوه** ﴾ إذا تم الدين وحددت مدته. وطلبُ الكتابة لأنها أحفظ للحقوق لما يتعرض له الإنسان من الخطأ والنسيان والإنكار [ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يُسلفون في الثمار السنة والسنتين والثلاث، فقال رسول الله ﷺ: (من أسلف فليسلف في كيلٍ معلوم ووزنٍ معلوم إلى أجلٍ معلوم) ـ ابن كثير] ﴿ **وليَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ** ﴾ على كاتب الدين أن يكون طرفاً محايداً موثوقاً به، فقيه ديّن ﴿ **ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتبَ كما علَّمه اللّه** ﴾ [جاء في الحديث: (إن من الصدقة أن تعين صانعاً أو تصنع لأخرق)، وفي الحديث الآخر: (من كتمَ علماً أُلجِمَ يوم القيامة بلِجَام من نار). وقال مجاهد وعطاء: واجبٌ على الكاتب أن يكتب ـ ابن كثير]. فعلى الكاتب ألاَّ يمتنع عن تقديم خدماته ﴿ **فَلْيَكْتُبْ** ﴾ الكاتب العدل ﴿ **ولْيُمْلِلِ الذي عليه الحقُّ** ﴾ الإملال: الإملاء، فالمديون هو الذي يملي على الكاتب ﴿ **ولْيَتَّقِ اللَّـهَ ربَّه ولا يَبْخَسْ مِنْـهُ شَيْئاً** ﴾ وليخش المديون من اللّه فلا ينقص من قيمة الدين ﴿ **فإنْ كانَ الذي عليه الحقُّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيعُ أن يملَّ هو** ﴾ فإن كان هناك مانعٌ يمنع المديون من الإملاء كأن يكون غير متزن أو جاهلاً بأصول المعاملات المالية أو صبياً أو شيخاً هرماً أو أخرساً أو أعجمياً أو ضعيف النطق فلا يفهم ﴿ **فليملل وليُّه بالعدل** ﴾ فيحل محله في الإملاء وكيله أو الترجمان، من غير نقصان ولا زيادة ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رِجَالِكُم فإن لم يكونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامرأتَانِ ممَّن تَرْضَوْنَ من الشهداء** ﴾ والعلة في إحلال امرأتين مكان رجل واحد ليس انتقاصاً من قيمة المرأة وإنما لأنها أقل اختلاطاً بالرجال وممارسة الأعمال من الرجل وبالتالي فالمرأة بشكل عام معرّضة للنسيان والخطأ في هذه المعاملات ﴿ **أن تضِلَّ إحْدَاهُمَا فتذكِّرَ إحداهُما الأخرى** ﴾ فإذا غابت الشهادة عن إحداهما لسبب ما ذكّرتها أختها ﴿ **ولا يأبَ الشُّهَداءُ إذا ما دُعُوا** ﴾ على الشهداء تلبية الدعوة للشهادة وعدم الممانعة لما في ذلك من حفظ حقوق المجتمع والمتعاملين ﴿ **ولا تَسْأَمُوا أن تكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إلَى أجله** ﴾ ولا تملُّوا أو تضجروا من كتابة الدين وتحديد وقت الأداء سواء كان المبلغ كثيراً أو قليلاً ﴿ **ذلكم أَقْسَطُ عِندَ اللَّه** ﴾ أقسط: أعدل ﴿ **وأَقْوَمُ للشَّهَادَةِ** ﴾ أعون لإقامتها ﴿ **وأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا** ﴾ أقرب إلى عدم الشك في جنس الدين وقيمته وأجله ﴿ **إلاَّ أن تكونَ تجارةً حاضرةً تديرونها بَيْنَكم** ﴾ لأن دفع الثمن والتسليم يتم في وقت واحد ﴿ **فليس عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ألا تكتُبُوها** ﴾ جناح: حرج ﴿ **وأَشْهِدُوا إذا تَبَايَعْتُمْ** ﴾ أمر بالإشهاد على البيع مطلقاً لأنه الأحوط في إظهار الحق عند الاختلاف [روى الحاكم في مستدركه، عن النبي ﷺ قال: (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ، ورجل أقرض رجلاً مالاً فلم يُشهد) ـ ابن كثير] ﴿ **ولا يُضَارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ** ﴾ على السلطة وعلى المجتمع صيانة وأمن الكاتب والشهداء، وعلى هؤلاء قول الحق لمنع الضرر عن المديون أو الدائن ﴿ **وإنْ تَفْعَلُوا فإنَّه فسوقٌ بكم** ﴾ الفسوق: الخروج عن شرع الله تعالى. والمعنى أن إضرار الكاتب والشهيد بأحد المتداينين أو إلحاق الأذى بالكاتب والشهيد خروج عن شرع الله ﴿ **واتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ أن يعذبكم بالخروج عن طاعته ﴿ **ويُعلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾ أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿ **والله بكل شيء عليمٌ** ﴾.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

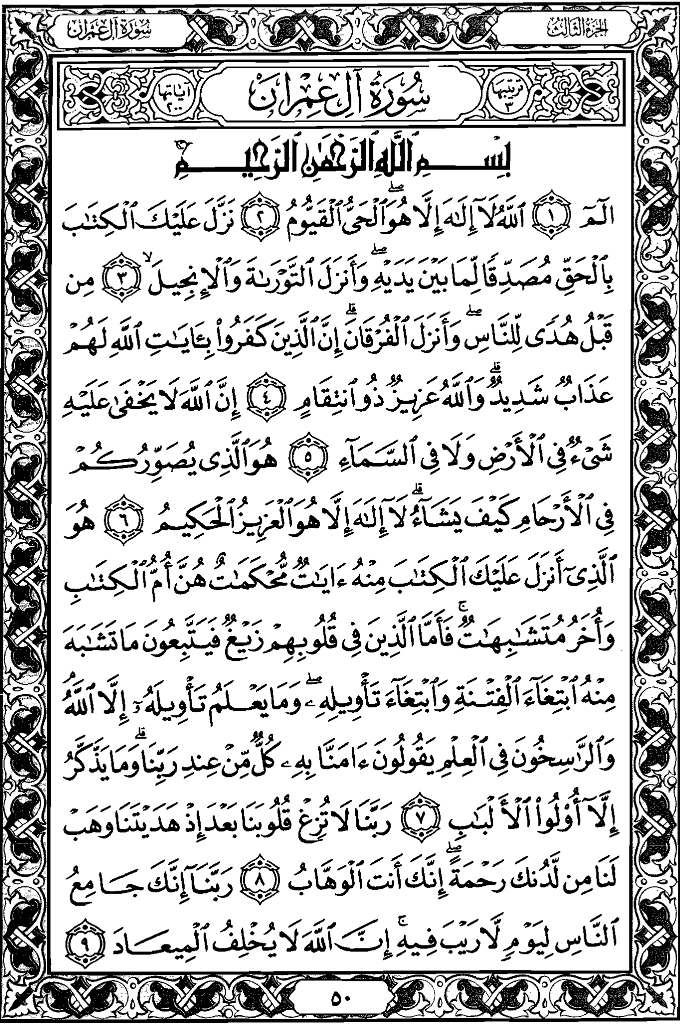
ثلاثة أرباع الحزب ٥

[٢٨٣] ﴿ **وَإِنْ كنتم على سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتباً** ﴾ إذا تداينتم وأنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً بالعدل ﴿ **فرهانٌ مَقْبُوضةٌ** ﴾ فليسلم المدين للدائن ما يستوثق به على ماله ﴿ **فإنْ أَمِنَ بعضُكُمْ بعضاً** ﴾ فإن لم يأخذ الدائن من المدين رهاناً لحسن ظنه فيه ﴿ **فليؤد الذي اؤتُمِنَ أمانَتَهُ** ﴾ على المدين أداء ما عليه للدائن ﴿ **وليتّقِ اللّه رَبَّهُ** ﴾ في رعاية حقوق الأمانة ﴿ **ولا تكتموا الشّهادَة ، وَمَنْ يَكْتُمْها فإنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾ على الشهود إظهار الحق وإلا فهم آثمون . وكتمان الشهادة وهو أن يضمرها ولا يتكلم بها ، فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه ﴿ **والله بما تَعْمَلُونَ عليمٌ** ﴾ سواء كان العمل بالقلب أو باللسان أو بالجوارح .

[٢٨٤] ﴿ **للّه ما في السمٰوات وما في الأرض وإن تُبْدوا ما في أنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يحاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ** ﴾ الله خالق السمٰوات والأرض المهيمن عليهما على عظمتهما وما تحويان لا يخفى عليه أمرٌ ظاهر أو باطن . فالآية وإن كان سياقها في الشهادة وكتمانها إلاّ أنها تتناول غيرها بعمومها . وفي الحديث (قال الله عز وجل : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشراً) رواه مسلم ﴿ **فيغفرُ لمن يشاءُ ويعذِّبُ مَنْ يشاء** ﴾ وفي تقديم المغفرة على التعذيب إشعار بسبق رحمته تعالى على غضبه ﴿ **والله على كل شيءٍ قديرٌ** ﴾ لا يخفى عليه أمر ولا يعجزه شيء .

[٢٨٥] ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ** ﴾ صدَّق الرسول ﷺ والمؤمنون بدعوته وقبلوا والتزموا بشرع الله تعالى الذي أنزله عليه ﴿ **كلٌّ آمَنَ بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ ممن ذكرهم القرآن على الخصوص وكل نبي لم نعرفه على العموم ﴿ **لا نفرِّق بين أحدٍ من رُسُلِهِ** ﴾ فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿ **وقالوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا** ﴾ أي قولك وفهمناه ، والفهم الطاعة ، ولابد من ارتباط الإيمان بالعمل الصالح ﴿ **غُفْرانَك ربنا وإليك المَصِيرُ** ﴾ نسألك يا ربنا غفران ذنوبنا ، ونؤمن أن الرجوع بعد الموت والبعث إليك لا إلى غيرك .

[٢٨٦] ﴿ **لا يكلِّفُ اللّهُ نفساً إلا وُسْعَهَا** ﴾ لا يحمِّلها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه ﴿ **لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ** ﴾ لها ثواب ما كسبت من الخير، وعليها عقاب ما اكتسبت من الشر ﴿ **ربَّنا لا تُؤَاخِذْنَا إنْ نسينا أو أخطأنا** ﴾ أي لا تعاقبنا إن نسينا أمرك ونهيك أو فعلنا خلاف الصواب ، تفريطاً ونحوه . وفي الحديث : (تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) رواه البيهقي والحاكم ﴿ **ربَّنا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْراً** ﴾ الإصر : العهد الثقيل ﴿ **كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ المقصود على بني إسرائيل مما يهد الأركان ﴿ **ربَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لنا بِهِ** ﴾ من بليَّات الدنيا والآخرة ﴿ **واعفُ عنَّا واغْفِرْ لَنا وارْحَمْنا** ﴾ تفضل علينا بالرحمة مع تقصيرنا و إذنابنا ﴿ **أنت مَوْلانا فانصرنا على القومِ الكافرينَ** ﴾ في الآية إشارة إلى أن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله هو غاية مطلب المؤمنين . [روى ابن جرير عن أبي إسحٰق : أن معاذاً كان إذا فرغ من هذه السورة ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال : آمين].



الجزء الثالث — سورة آل عمران

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ — ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

٥٠

[سورة آل عمران]

مدنيّة ، وعدد آياتها مائتا آية ، سميت بذلك لأن بضعاً وثمانين آية فيها نزلت في اصطفاء الله تعالى لآل عمران وهم : عيسى ويحيى ومريم العذراء وأمها . ومن أسمائها : الزهراء ، والأمان ، والكنز ، والمجادلة ، والاستغفار ، وطيبة .

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾ سلف الكلام على ذلك أول البقرة .

[٢] ﴿ اللَّهُ لا إلـهَ إلاَّ هو الحيُّ ﴾ الباقي الذي لا يفنى ﴿ القيُّومُ ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق .

[٣] ﴿ نـزَّلَ عليكَ الكتابَ ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ بالحقِّ ﴾ الصدق الذي لا ريب فيه ﴿ مُصدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب المنزّلة ﴿ وأنزَلَ التوراةَ والإنجيلَ ﴾ ذكرهما تأكيداً لما قبله وتبييناً لرفعة محله . والتوراة : اسم عبرانيّ معناه : الشريعة ، والإنجيل : لفظة يونانية معناها : البُشرى .

[٤] ﴿ من قبلُ ﴾ أنزل التوراة والإنجيل من قبل تنزيل القرآن ﴿ هُدىً للنَّاسِ ﴾ لقوم موسى وعيسى ﴿ وأنزلَ الفُرقانَ ﴾ وهو الكتب السماوية التي ذكرها لأنها فرقان يفرق بين الحق والباطل ، أو هو القرآن ، ويجوز أن يكون المراد بالفرقان : الميزان المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رُسُلَنا بالبيناتِ وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ ﴾ [الحديد : ٢٥]، وهو العدل في الأمور كلها ﴿ إنَّ الذينَ كفروا بـآياتِ اللَّهِ ﴾ أي جحدوا بها ﴿ لهمْ ﴾ بسبب كفرهم ﴿ عذابٌ شديدٌ ، واللّـهُ عزيزٌ ﴾ يفعل ما يشاء ﴿ ذو انتقامٍ ﴾ النقمة : العقوبة .

[٥] ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يخفى عليهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ ﴾ فهو مطّلع على كفر من كفر وإيمان من آمن ، وهو مجازيهم عليه .

[٦] ﴿ هوَ الذي يُصوِّرُكُمْ في الأرْحامِ كيفَ يشاءُ ﴾ أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى ، وحسن وقبيح ، وشقيّ وسعيد ﴿ لا إلـهَ إلاّ هوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ .

[٧] ﴿ هوَ الذي أنزلَ عليكَ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ الكتابَ ﴾ القرآن الكريم ﴿ منهُ آياتٌ محكماتٌ ﴾ واضحة الدلالة ﴿ هنَّ أمُّ الكتابِ ﴾ أي أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿ وأُخَرُ متشابهاتٌ ﴾ وهي ما استأثر اللّـهُ بعلمها لعدم اتضاح حقيقتها التي أخبر عنها ، أو التي احتملت أوجهاً في التفسير والتأويل ﴿ فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ ﴾ أي ميل عن الاستقامة إلى الكفر أو الأهواء أو البدع ﴿ فيتّبعونَ ما تَشابهَ منه ابتغاءَ الفتنةِ ﴾ أي طلباً لإيقاع الناس في الشبهات ﴿ وابتغاءَ تأويله ، وما يعلمُ تأويلَهُ إلا اللّهُ ﴾ وحده ﴿ والرّاسخونَ في العلمِ ﴾ أي الثابتون المتمكنون ﴿ يقولونَ آمنّا بهِ ﴾ أي بالمتشابه . ﴿ كلٌّ ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿ من عندِ ربِّنا ، وما يذَّكّرُ إلا أُولو الألْبابِ ﴾ أي العقول الخالصة من الركون إلى الأهواء الزائغة .

[٨] ﴿ ربَّنا لا تُزغْ قلوبَنا بعد إذْ هَدَيْتَنا ﴾ أي لا تُمِل قلوبنا عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ﴿ وهبْ لنا من لدُنْكَ رحمةً ﴾ تثبت بها قلوبنا ﴿ إنّك أنْتَ الوهّابُ ﴾ كثير النعم والإفضال ، جزيل العطايا والنوال .

[٩] ﴿ ربَّنا إنَّكَ جامعُ النَّاسِ ليومٍ لا ريْبَ فيه ﴾ هو يوم القيامة ، يوم الحساب ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُخلفُ الميعادَ ﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ
وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ
وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ
لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي
ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ
وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾

[١٠] ﴿ إنَّ الذينَ كفروا لن تُغنيَ عنهم أموالُهم ﴾ التي ينفقونها في جلب المنافع ودفع المضار ﴿ ولا أولادُهُمْ ﴾ الذين بهم يتناصرون في الأمور المهمة ﴿ مِنَ اللّهِ شيئاً ﴾ أي لن تدفع عنهم شيئاً من عذابه ﴿ وأولئك هُمْ وَقودُ النّارِ ﴾ أي حطبها .

[١١] ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ الدأب : مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه ، والمقصود هنا اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ ، كتظاهر آل فرعون على موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ والذينَ مِنْ قبلِهِمْ ﴾ ممن سبق آل فرعون من الأمم الكافرة ﴿ كذّبوا بآياتنا ﴾ كان دأبهم التكذيب بآيات الله ﴿ فأخذهُمُ اللّهُ بذنوبهم ﴾ أي عاقبهم وأهلكهم بسببها ﴿ واللّهُ شديدُ العِقَابِ ﴾ على الذنوب .

[١٢] ﴿ قُلْ للذينَ كَفَرُوا ﴾ بهذا الدين ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ وتُحْشَرُونَ ﴾ يوم القيامة ﴿ إلى جهنَّمَ وبئسَ المِهادُ ﴾ الفراش .

الحزب

[١٣] ﴿ قدْ كانَ لكمْ ﴾ أيها الكافرون ﴿ آيةٌ ﴾ عبرة ودلالة على أنكم ستُغلبون ﴿ في فئتينِ ﴾ أي فرقتين ﴿ التقتا ﴾ يوم بدر للقتال ﴿ فئةٌ تقاتلُ في سبيلِ اللّهِ ﴾ أي طاعته ، وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿ وأخرَى كافرةٌ ﴾ وهم مشركو قريش ﴿ يرونهم مِثلَيْهِم ﴾ أي يرى المشركون المسلمين مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ، وكان ذلك مدداً لهم من الله تعالى كما أمدَّهم بالملائكة ﴿ رأيَ العينِ ﴾ يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها ﴿ واللّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ يقوّي ﴿ بنصرِهِ مَنْ يشاءُ إنَّ في ذلك ﴾ أي التكثير والتقليل ، وغلبة القلة مع عدم العدة على الكثير مع وفرة السلاح ﴿ لعبرةً ﴾ آية وموعظة ﴿ لأولي الأبصارِ ﴾ لذوي العقول والبصائر .

[١٤] ﴿ زُيِّنَ للنَّاسِ ﴾ المقصود من الآية بيان حقارة شأن أمور الدنيا بأصنافها وتزهيد النَّاس فيها ، وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى ، وبيان عدم نفعها للكفار الذين كانوا يتعززون بها ﴿ حبُّ الشهواتِ ﴾ أي كل المشتهيات المرغوب فيها ﴿ من النساءِ ﴾ وفي تقديمهن دليل على شدة الرغبة بهن ﴿ والبنينَ ﴾ لتفاخر الآباء بهم ، وأمل قيامهم مقامهم من بعدهم ﴿ والقناطيرِ ﴾ أي الأموال الكثيرة ، وقوله ﴿ المُقنطَرَةِ ﴾ للتوكيد كقولهم : ألف مؤلفة ﴿ منَ الذهبِ والفضّةِ ﴾ لأنهما جعلا ثمن جميع الأشياء ﴿ والخيلِ المسوَّمةِ ﴾ أي المرسلة إلى المرعى ترعى حيث شاءت ، أو التي عليها السيمياء ـ وهي العلامة ـ ﴿ والأنْعامِ ﴾ جمع نِعم ، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿ والحَرْثِ ﴾ أي الأرض المتخذة للغراس والزراعة ﴿ ذلكَ ﴾ المذكور من الشهوات ﴿ متاعُ الحياةِ الدُّنيا ﴾ يُتمتع به فيها ثم يفنى ﴿ واللّهُ عندهُ حُسْنُ المآبِ ﴾ أي المرجع وهو الجنّة . [١٥] ﴿ قُلْ أؤنبِّئُكُمْ بخيرٍ من ذلِكُمْ ﴾ أي الشهوات المزينة لكم ﴿ للذينَ اتَّقَوْا ﴾ اللّهَ ولم ينهمكوا في شهواتهم ﴿ عندَ ربِّهم جناتٌ تجري منْ تحتِهَا الأنهارُ ﴾ من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ خالدينَ فيها ﴾ أي ماكثين فيها أبد الآباد ﴿ وأزواجٌ مطهَّرةٌ ﴾ من الأرجاس والأدناس البدنية والطبيعية مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالباً ﴿ ورِضوانٌ مِنَ اللهِ ﴾ رضاً لا سخط بعده ﴿ واللّهُ بصيرٌ بالعبادِ ﴾ عالم بمصالحهم فيجب أن يرضوا لأنفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة ، وأن يزهدوا فيما زهّدهم فيه من أمور الدنيا .

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿ **الذينَ يقولون ربَّنا إنَّنا آمنَّا فاغفرْ لنا ذُنُوبَنا وقِنا عذابَ النَّارِ** ﴾ في الآية دلالة على أنه يجوز للداعي أن يذكر طاعاته وما تقرب به إلى الله ، ثم يدعو .

[١٧] ﴿ **الصَّابرينَ** ﴾ على البأساء والضرّاء وحين البأس ﴿ **والصَّادقينَ** ﴾ في إيمانهم وأقوالهم ونياتهم ﴿ **والقانتينَ** ﴾ المطيعين لله الخاضعين له ﴿ **والمُنْفقينَ** ﴾ أموالهم في سبيل الله تعالى ﴿ **والمُستغفرينَ بالأسْحارِ** ﴾ جمع سَحَر : وهو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر آخر الليل ، والمقصود تهجدهم في الليل ، والحكمة في تخصيص الأسحار كونه وقت غفلة الناس عن التعرض للنفحات الرحمانية ، والألطاف السبحانية ، ونقل عن ابن عباس ﴿ والمستغفرينَ بالأسحارِ ﴾ يريد المصلين صلاة الصبح .

[١٨] ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أنَّـهُ لاإلٰهَ إلاَّ هُوَ** ﴾ بيّن الله تعالى أنْ لا معبود سواه سبحانه ، وشهد بذلك ﴿ **والملائكةُ وأُولو العِلْمِ** ﴾ بالإقرار ، وهذه مرتبة جليلة للعلماء ، لقرنهم في التوحيد بالملائكة المشرّفين ، بعطفهم على اسم الله عز وجل ﴿ **قائماً بالقِسْطِ** ﴾ أي بالعدل في أحكامه ﴿ **لا إلٰه إلاَّ هُوَ العزيزُ** ﴾ الذي لا يُرام جنابه عظمة ﴿ **الحكيمُ** ﴾ فلا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة .

[١٩] ﴿ **إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلامُ** ﴾ أي لا دين مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة ﴿ **وما اختلفَ الذين أوتوا الكتابَ** ﴾ من اليهود وغيرهم ، في دين الإسلام ﴿ **إلاَّ من بعدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ** ﴾ أي إلا بعد أن علموا بأنه الحق الذي لا محيد عنه ، ولم يكن اختلافهم لشبهة عندهم بل ﴿ **بغياً بَيْنَهم** ﴾ أي حسداً كائناً بينهم وطلباً للرئاسة ، وهذا تشنيع عليهم ﴿ **ومنْ يكفرْ بآياتِ اللهِ** ﴾ المنزلة ﴿ **فإنَّ اللَّهَ سريعُ الحِسَابِ** ﴾ فإنه تعالى يجازيه ويعاقبه على كفره عن قريب .

[٢٠] ﴿**فإنْ حاجُّوكَ**﴾ في الدِّين وجادلوك فيه بعد إقامة تلك الآيات ﴿**فقُلْ أسْلَمْتُ وجهي للهِ**﴾ أي انقدت لآياته المنزلة ، وأخلصت نفسي وعبادتي له ، لا أُشرك فيها غيره ﴿**ومَنِ اتّبعنِ**﴾ كذلك من أسلم نفسه على طريقتي ﴿**وقُلْ للذينَ أوتُوا الكتابَ**﴾ كاليهود والنصارى ﴿**والأميين**﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿**أأسْلَمْتُم**﴾ لهذه الآيات كما أسلمت ، أم أنتم على كفركم؟ ﴿**فإن أسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدُوا**﴾ أي خرجوا من الضلال فنفعوا أنفسهم ﴿**وإن تولَّوْا**﴾ عن هداك وهديك ﴿**فإنَّما عَلَيْكَ البلاغُ**﴾ أي تبليغ آيات الله ، لا الإكراه إذا عاندوك ، إذ ليس عليك هداهم ﴿**واللَّهُ بصيرٌ بالعِبادِ**﴾ .

[٢١] ﴿ **إنَّ الذينَ يكفرونَ بآياتِ اللهِ ويقتُلونَ النَّبيِّينَ بغيرِ حقٍّ** ﴾ المقصود بذلك اليهود [وقال ابن جرير: ﴿**إن الذين يكفرون بآيات الله**﴾ أي : يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها من أهل الكتابين التوراة والإنجيل] ﴿ **ويقتلونَ الذينَ يأمرونَ بالقسطِ منَ النَّاسِ** ﴾ القسط : العدل ، والمقصود هنا قتلهم لكل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من غير أنبيائهم ﴿ **فبشِّرْهُم بعذابٍ أليم** ﴾ .

[٢٢]﴿ **أولئكَ الذينَ حَبِطَتْ أعْمالُهُمْ في الدُّنيا** ﴾ أي بطلت أعمالهم التي عملوها من البرِّ والحسنات ، أو المقصود ما ينزل بهم في الدنيا من القتل والسبي وأخذ الأموال منهم غنيمة ﴿ **والآخِرَةِ** ﴾ بإبدال الثواب بالعذاب الأليم ﴿ **وما لهمْ منْ ناصرينَ** ﴾ ينصرونهم من عذاب الله .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٢٣] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ** ﴾ المراد بهم أحبار اليَهُودِ المطّلعون على التوراة ﴿ **يُدْعَوْنَ إلى كتابِ اللهِ** ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿ **ليحكمَ بينَهُم ثمَّ يتولَّى فريقٌ منهمْ ، وهم مُعرضونَ** ﴾ أي معرضون عن قبول حكمه ، أي وهم قوم عادتهم الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل .

[٢٤] ﴿ **ذلكَ** ﴾ التولّي والإعراض ﴿ **بأنّهم قالُوا لن تمَسَّنا النارُ إلاّ أيّامًا معدوداتٍ** ﴾ أي بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم [عن الربيع قال : لن نعذب في النار إلا أربعين يوماً ، قال : يعني اليهود ـ ابن جرير] ﴿ **وغرَّهمْ في دينِهمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ من قولهم ذلك وما حدّثوا به أنفسهم وسهّلوه عليها من التعلل بالباطل ، والأمل بما لا يكون .

[٢٥] ﴿ **فكيفَ** ﴾ يصنعون ، وكيف تكون حالتهم ﴿ **إذا جمعناهُمْ ليوم** ﴾ أي في يوم ﴿ **لا رَيْبَ فيه** ﴾ أي لا شك ، وهو يوم القيامة ﴿ **ووُفِّيتْ كُلُّ نفسٍ ما كسبتْ** ﴾ نالت كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿ **وَهُمْ لا يُظلمونَ** ﴾ بزيادة عذاب أو بنقص ثواب .

[٢٦] ﴿ **قل اللهُمَّ** ﴾ يا الله ﴿ **مالِكَ المُلْكِ** ﴾ مالك كل شيء من غير مشارك ولا ممانع ﴿ **تُؤتي** ﴾ تعطي ﴿ **المُلْكَ مَنْ تَشاءُ** ﴾ من عبادِكَ ﴿ **وتنزعُ** ﴾ تسلبُ ﴿ **المُلكَ ممَّن تشاءُ وتُعِزُّ من تشاءُ وتُذِلُّ من تشاءُ ، بيدكَ الخيرُ إنّك على كُلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **تُولِجُ الليلَ في النّهارِ ، وتُولِجُ النّهارَ في الليلِ** ﴾ تدخل أحدهما في الآخر ، إمّا بالتعقيب أو بالزيادة والنقص ﴿ **وتُخرِجُ الحيَّ منَ الميّتِ وتخرجُ الميّتَ من الحيِّ** ﴾ كالحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، والبيض من الطير وعكسه ، وقيل : إخراج المؤمن من الكافر وبالعكس ، فجعل الموت كفراً والحياة إيماناً ﴿ **وترزقُ منْ تشاءُ بغيرِ حسابٍ** ﴾ أي رزقاً واسعاً غير محدود .

[٢٨] ﴿ **لا يتَّخِذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ** ﴾ جمع ولي ، ومعانيه كثيرة منها : المحب والصديق والنصير ﴿ **مِنْ دونِ المُؤمنينَ** ﴾ أي متجاوزين المؤمنين الذين هم أحق بالموالاة من سواهم ﴿ **ومَنْ يفعلْ ذلكَ فليسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ** ﴾ فمن يوالي الكفّار منسلخ من ولاية الله رأساً ﴿ **إلاّ أن تتَّقُوا منهمْ تُقاةً** ﴾ أي تخافوا منهم محذوراً فأظهروا معهم الموالاة باللسان دون القلب لدفعه ، كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال : إنّا لنكشِر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم [عن ابن عباس قال : نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين ، وذلك قوله ﴿إلاّ أن تتقوا منهم تقاة﴾ ـ ابن جرير] . أما الموالاة التي هي المباطنة والمشاورة وإفضاء الأسرار للكفار فلا تجوز ﴿ **ويُحذِّرُكُمُ اللّهُ نفسَهُ** ﴾ أي ذاته المقدسة ، فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة أحكامه ، وموالاة أعدائه ، وهو تهديد عظيم ﴿ **وإلى اللهِ المصيرُ** ﴾ أي المنقلب والمرجع ليجازي كل عامل بعمله .

[٢٩] ﴿ **قُلْ إنْ تُخْفُوا ما في صُدُورِكمْ أو تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ ، ويعلمُ ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ ، واللّهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ في هذه الآية تنبيه منه تعالى لعباده ، فهو عالم بجميع أمورهم وقادر على معاجلتهم بالعقوبة ، فإنّه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر .

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[٣٠] ﴿ **يومَ تجدُ كُلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ** ﴾ جزاءَ ما عملت ﴿ **من خيرٍ محُضراً** ﴾ بصورة تناسبه ﴿ **وما عَمِلتْ من سُوءٍ تودُّ لو أنَّ بينها وبينَهُ أمداً بعيداً** ﴾ أي غاية بعيدة لا يصل أحدهما إلى الآخر ﴿ **ويحذِّرُكُمُ اللَّهُ نفسَه واللَّهُ رؤوفٌ بالعبادِ** ﴾ فتحذيره تعالى من رأفته بهم ، ورحمته الواسعة ، أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقيق وعيده لهم بالعقوبة إن هم خالفوه وعصوه وأن تحذيره ليس مبنيّاً على تناسي صفة الرأفة ، بل هو متحقق مع تحققها .

ربع الحزب ٦

[٣١] ﴿ **قُلْ إنْ كُنتُمْ تحبُّون اللَّـهَ فاتّبعوني يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ ويغفـرْ لكمْ ذنوبَكم واللَّـه غفورٌ رحيمٌ** ﴾ فكل من ادَّعى محبة الله ، كاذب في دعواه تلك حتى يتّبع الشرع المحمديّ في جميع أقواله وأفعاله . [٣٢] ﴿ **قُلْ أطيعُوا اللَّهَ والرسولَ ، فإنْ تولَّوْا** ﴾ أي أعرضوا عن الطاعة ﴿ **فإنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الكافرينَ** ﴾ . [٣٣] ﴿ **إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ** ﴾ اختار آدم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلّمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة ، ثم أهبطه منها لحكمة يعلمها سبحانه ﴿ **و** ﴾ اصطفى ﴿ **نوحاً** ﴾ فجعله أول رسول إلى أهل الأرض ، لما عبدَ النّاسُ الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطاناً ، ونجَّى مَن اتَّبعه في السفينة وأغرق من عصاه ﴿ **و** ﴾ اصطفى ﴿ **آلَ إبراهيمَ** ﴾ أي عشيرته وذوي قرباه ، وهم إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما الذين من جملتهم النبي ﷺ ﴿ **و** ﴾ اصطفى ﴿ **آلَ عِمْرانَ** ﴾ إذ جعل فيهم عيسى ابن مريم عليه السلام الذي أوتي البيّنات وأُيِّد بروح القُدُس ، والمراد بعمران هذا والد السيدة مريم أُم المسيح عليهما السلام ﴿ **عَلَى العالمين** ﴾ أي اصطفى كل واحد منهم على أهل زمانه . [٣٤] ﴿ **ذُرِيّةً** ﴾ أي نسلاً ، وقد تطلق على الآباء والأصول ﴿ **بعضُها من بعضٍ** ﴾ فهم ذرية متسلسلة في وراثة الاصطفاء ﴿ **واللَّهُ سميعٌ** ﴾ لأقوال العباد ﴿ **عليمٌ** ﴾ بضمائرهم وأفعالهم ، وإنما يصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولاً وفعلاً . [٣٥] ﴿ **إذْ قالتِ امرأةُ عِمرانَ** ﴾ أي اذكر لهم وقت قولها ، وامرأة عمران هي أم مريم عليها السلام ﴿ **ربِّ إنِّي نَذَرتُ لكَ ما في بطني محُرَّراً** ﴾ أي مخلصاً للعبادة وقفاً على طاعتك ، لا أشغله بشيء من أُموري ﴿ **فتقبَّلْ منِّي** ﴾ التقبل : أخذ الشيء على وجه الرضا ﴿ **إنّكَ أنتَ السميعُ العليمُ** ﴾ . [٣٦] ﴿ **فلمّا وَضعَتْها قالتْ ربِّ إنِّي وضعْتُها أُنـثَى** ﴾ أي وكنت أرجو أن يكون مولودي ذكراً ﴿ **واللَّهُ أعلمُ بِمَا وضعتْ** ﴾ أي واللَّه أعلم بالنفس التي وضعتها وجعلها وابنها آية للعالمين ، وهي غافلة عن ذلك ﴿ **وليسَ الذَّكرُ كالأُنثَى** ﴾ لأنّه يتحمل من مشاق الخدمة والاختلاط بالنّاس ما لا تقوى الأنثى عليه ﴿ **وإنِّي سمّيْتُها مَرْيَمَ** ﴾ **وهي** في لغتهم بمعنى العابدة ﴿ **وإنِّي أعيذُها بكَ** ﴾ أي أُجيرها بحفظك ﴿ **وذُريَّتَـها من الشيطانِ الرجيمِ** ﴾ المطرود ، لمخالفتك ، فلا تجعل عليها وعلى ذريّتها له سلطاناً يكون سبباً لطردهما .

[٣٧] ﴿ **فـتَـقَبَّلَهَا ربُّـهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** ﴾ أي قبلها أو تكفل بها ﴿ **وأَنْبَتَهَا نباتاً حسناً** ﴾ يعني أحسن تربيتها من الصلاح والسداد والعفة والطاعة ﴿ **وكفَّلها زكريّا** ﴾ أي جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها وقائماً بتدبير أمورها وهو زوج خالتها ووالد يحيى ﴿ **كُلَّما دَخَل عليها زكريا المِحْرَابَ** ﴾ محاريب بني إسرائيل مساجدهم ﴿ **وجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً** ﴾ أي طعاماً ﴿ **قَالَ** ﴾ زكريا ﴿ **يا مريمُ أَنَّى لكِ هذا** ﴾ من أين حصلتِ عليه في غير وقته أو بغير سبب معلوم ؟ ﴿ **قالتْ هوَ من عندِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يرزقُ منْ يشاءُ بغيرِ حسابٍ** ﴾ أي بغير تقدير لكثرته ، وإما بغير استحقاق تفضلاً منه تعالى .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿ **هُنالِكَ** ﴾ في ذلك المكان ، حيث هو عند مريم في المحراب ﴿ **دَعَا زكريّا ربَّه قالَ ربِّ هبْ لي منْ لَدُنْكَ ذريَّةً طيبةً** ﴾ مطيعة لك ﴿ **إنّك سميعُ الدُّعاءِ** ﴾ أي مجيبه .

[٣٩] ﴿ **فنادتْهُ الملائكةُ وهوَ قائمٌ يُصلِّي في المحرابِ أنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى** ﴾ ولفظ يحيى معرّب عن يوحنا العبرانية ومعناه : نعمة الرب ﴿ **مُصدِّقاً بكلمةٍ منَ اللَّهِ** ﴾ أي بنبي خلق بكلمة : كن ، من غير أب وذلك عيسى عليه السلام ﴿ **وسيِّداً** ﴾ يسود قومه ويفوقهم ﴿ **وحَصُوراً** ﴾ لا يقرب النساء حصراً لنفسه أي منعاً لها عن الشهوات عفة وزهداً واجتهاداً في الطاعة ﴿ **ونبيًّا مِنَ الصَّالحينَ** ﴾ ناشئاً منهم لأنه من أصلابهم ، أو كائناً في جملتهم . ولما تحقق زكريا من البشارة تعجب .

[٤٠] ﴿ **قالَ رب أنّى** ﴾ كيف ؟ أو مِن أين ﴿ **يكونُ لي غلامٌ وقدْ بلغنيَ الكبَرُ** ﴾ أي أدركني العمر المانع من الولادة فأضعفني ﴿ **وامرأتي عاقرٌ** ﴾ لا تنجب ﴿ **قال** ﴾ له ربُّه ﴿ **كذلكَ** ﴾ يكون لك الولد على الحال التي أنت وزوجتك عليها لأن الله تعالى لا يحتاج إلى سبب بل ﴿ **اللَّهُ يفعلُ ما يشاءُ** ﴾ لا يعجزه شيء .

[٤١] ﴿ **قالَ** ﴾ زكريا ﴿ **ربِّ اجعلْ لي آيةً** ﴾ أي علامة أعرف بها حصول الحمل الموعود ﴿ **قالَ** ﴾ الله تعالى ﴿ **آيتُكَ ألاَّ تُكلِّمَ النَّاسَ** ﴾ أي لا تقدر على تكليمهم ﴿ **ثلاثةَ أيَّامٍ إلاَّ رمزاً** ﴾ بالإشارة بيدك أو برأسك ﴿ **واذْكُرْ ربَّكَ كثيراً** ﴾ أي اذكره ذكراً كثيراً ﴿ **وسبِّحْ** ﴾ وسبحه ﴿ **بالعَشيِّ** ﴾ آخر النهار ﴿ **والإبكَارِ** ﴾ من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس .

[٤٢] ﴿ **وإذْ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ** ﴾ في الآية إشارة إلى جواز تكليم الملائكة الوليّ من الصالحين ، إلا أن ذلك لا يُعتبر وحياً كوحي الأنبياء ﴿ **إن اللَّهَ اصطفاكِ** ﴾ بالتقريب والمحبة ﴿ **وطَهَّرَكِ** ﴾ عن الرذائل ﴿ **واصْطفاكِ على نساءِ العالمينَ** ﴾ بما أظهره من قدرته العظيمة حيث خلق منك ولداً من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء .

[٤٣] ﴿ **يا مريمُ اقنتي لربِّكِ** ﴾ أي اعبديه شكراً على اصطفائه لك ﴿ **واسجُدي واركعي مع الراكعين** ﴾ لتزدادي بكثرة السجود والصلاة قُرباً .

[٤٤] ﴿ **ذلِكَ** ﴾ يا محمّد الذي ذكر سابقاً ﴿ **من أنباءِ الغيبِ نُوحيهِ إليكَ** ﴾ مطابقاً لما في كتب أهل الكتاب ﴿ **وما كُنتَ لديهم إذ يُلقونَ أقلامَهم أيُّهمْ يكفُلُ مريمَ** ﴾ إذ يلقون أقلامهم وهي السهام التي جعلوا عليها علامات يعرف بها من يكفل مريم بالقُرعة ﴿ **وما كُنتَ لديهم إذْ يَختَصِمُونَ** ﴾ بسببها ويتنافسون في كفالتها ، والخصومة : الخلاف .

[٤٥] ﴿ **إذْ قالتِ الملائكةُ : يا مريمُ إنَّ اللَّهَ يبشِّرُكِ بكلمةٍ منهُ** ﴾ أي بمولود يحصل بكلمة منه بلا واسطة أب ﴿ **اسمه المسيحُ** ﴾ بمعنى الممسوح أو المدهون ، وأصل ذلك أنه كان في شريعتهم من مسحه الإمام بدهن القدس كان طاهراً متأهّلاً للملك والعلم والولاية الفاضلة ، مباركاً ﴿ **عِيسَى** ﴾ وهو اسم معرب عن : يسوع اليونانية ومعناه : مخلّص ، ويرادفها في العبرانية : يشوع ﴿ **ابنُ مريمَ** ﴾ وقد نُسب إلى أمه تنبيهاً على أنه يولد من غير أب ﴿ **وجيهاً في الدنيا والآخرةِ** ﴾ أي سيداً ومعظماً فيهما ﴿ **ومِنَ المُقرَّبينَ** ﴾ من اللّهِ عز وجل .

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿ **ويُكلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ** ﴾ أي طفلاً رضيعاً [وقال ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاث : عيسى ، وصبي كان في زمن جريج ، وصبي آخر) ـ ابن كثير]. ﴿ **وكهلاً** ﴾ الكهل : من وخطه الشيب وكلام الأنبياء من غير تفاوت بين الحالتين ﴿ **ومِنَ الصَّالحينَ** ﴾ يعني من أوليائهم ، لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل .

[٤٧] ﴿ **قالتْ** ﴾ مريمُ ﴿ **ربِّ أنَّى يكونُ لي ولدٌ ولمْ يَمْسَسْني بشرٌ** ﴾ أي لست متزوجة من رجل ﴿ **قالَ : كذلكِ** ﴾ على الحالة التي أنت عليها من عدم مسّ البشر ﴿ **اللَّهُ يَخْلُقُ ما يشاءُ** ﴾ ولا يحتاج إلى سبب ولا يعجزه شيء ﴿ **إذَا قضَى أمراً** ﴾ إذا أراد شيئاً ﴿ **فإنَّما يقولُ له كُنْ فيكونُ** ﴾ من غير تأخر ولا حاجة إلى سبب ، كقوله ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدةٌ كلمحٍ بالبصر﴾ [القمر: ٥٠].

[٤٨] ﴿ **ويُعلِّمه الكِتَابَ** ﴾ أي الكتابة أو جنس الكتب الإلٰهية ﴿ **والحِكمَةَ** ﴾ أي تهذيب الأخلاق ﴿ **والتَّوراةَ** ﴾ الكتاب الذي أُنزل على موسى ﴿ **والإنْجيلَ** ﴾ اسم الكتاب الذي سينزله عليه .

نصف الحزب ٦

[٤٩] ﴿ **ورسولاً إلى بني إسرائيلَ** ﴾ ويجعله رسولاً إلى جميع الإسرائيليين ﴿ **أنّي قد جئتكم بآيةٍ منْ ربِّكُمْ** ﴾ محتجاً بآية ، هي : ﴿ **أنّي أخلُقُ لكمْ منَ الطِّينِ كهيْئَةِ الطيْرِ فأنفخُ فيهِ فيكونُ طيراً** ﴾ حقيقياً ذا حياة ﴿ **بإذنِ اللَّهِ** ﴾ أي بأمره تعالى وليس من عند نفسي ﴿ **وأُبْرِىءُ الأكْمَهَ** ﴾ الذي ولد أعمى ﴿ **والأبرَصَ** ﴾ البرص : بياض يظهر في البشرة لفساد المزاج ﴿ **وأُحْيِي الموتى بإذنِ اللَّهِ** ﴾ يكرر قوله : بإذن الله ، كي لا يتوهم أحدٌ أنه إلٰه وأنه يفعل ذلك بقدرته الذاتية ﴿ **وأُنبّئُكُمْ** ﴾ أخبركم ﴿ **بما تأكُلونَ وما تدَّخِرون** ﴾ تخبئونه للأكل[قال مجاهد : بما أكلتم البارحة وما خبأتم منه ـ ابن جرير] ﴿ **في بيوتِكُمْ** ﴾ مما لم أره ﴿ **إنَّ في ذلكَ لآيَةً** ﴾ دلالة ﴿ **لكُمْ** ﴾ على صدقي في دعوى الرسالة ﴿ **إن كُنتُمْ مُؤْمنينَ** ﴾ مصدقين بآيات اللَّه .

[٥٠] ﴿ **ومُصَدِّقاً لِمَا بينَ يديَّ من التَّوْراةِ** ﴾ أي مقرّراً لها ومثبتاً ﴿ **ولأُحِلَّ لكم بعضَ الذي حُرِّمَ عليْكُمْ** ﴾ مما كانوا يتنازعون فيه ، ومما أحلّ لهم فعل الخير في السبوت ﴿ **وجئتُكُم بآيةٍ من ربّكُمْ** ﴾ كرره هنا تأكيداً لما سبق ، وليبني عليه قوله : ﴿ **فاتَّقُوا اللَّهَ وأطِيعُونِ** ﴾ .

[٥١] ﴿ **إنَّ اللَّهَ ربِّي وربُّكُمْ فاعبدُوهُ** ﴾ فما عيسى ابن مريم إلا عبد الله ورسوله ﴿ **هَذَا** ﴾ ما آمركم به ﴿ **صراطٌ مستقيمٌ** ﴾ طريق لا عوج فيه .

[٥٢] ﴿ **فلمَّا أحسَّ عِيسَى منهُمُ** ﴾ من بني إسرائيل ﴿ **الكُفْرَ ، قالَ : مَنْ أنْصارِي** ﴾ أعواني ﴿ **إلى اللَّهِ قال الحواريُّونَ** ﴾ جمع حواريّ وهو الناصر والوزير والخليل والمخلص ﴿ **نحنُ أنصارُ اللَّهِ** ﴾ أي أنصار دينه ورسوله ﴿ **آمنَّا باللَّهِ واشْهَدْ بأنَّا مُسلمونَ** ﴾ منقادون لرسالتك[قال ابن كثير: ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندبَ يومَ الأحزاب فانتدب الزبير رضي الله عنه ، ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : (لكل نبي حواريّ ، وحواريّ الزبير)].

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

[٥٣] ﴿ **ربَّنا آمنَّا بمَا أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا** ﴾ جزاء إيماننا ﴿ **مع الشَّاهِدِينَ** ﴾ الذين يشهدون بوحدانيتك .

[٥٤] ﴿ **وَمَكَرُوا** ﴾ أي الذين كفروا بعيسى بأن أرادوا به سوءاً وهمُّوا بقتله ووشوا به إلى ملكهم ﴿ **وَمَكَرَ اللَّهُ** ﴾ بهم بعد ذلك فانتقم منهم وأورثهم ذلَّة مستمرة وأباد ملكهم ﴿ **واللَّهُ خيرُ الماكرينَ** ﴾ فهو أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً ، وأقدرهم على إيصال الضرر بهم من حيث لا يحتسبون .

[٥٥] ﴿ **إذْ قَالَ اللَّهُ يا عيسى إنِّي مُتوفِّيكَ** ﴾ أي مستوفي مدة إقامتك بين قومك ، والتوفي كما يطلق على الإماتة ، كذلك يُطلق على استيفاء الشيء ﴿ **ورافِعُكَ إليَّ** ﴾ ومعنى رافعك إليّ ، أي رفع الروح أو رفع المكانة . [قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا ، قول من قال : إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ] ﴿ **ومطهّرُكَ مِنَ الذينَ كَفَرُوا** ﴾ أي من مكرهم وخبث صحبتهم ﴿ **وجاعِلُ الذينَ اتَّبَعُوكَ فوْقَ الَّذينَ كَفَرُوا إلى يومِ القيامَةِ** ﴾ وكذا كان لم يزل من انتحل النصرانية فوق اليهود ولا يزالون كذلك إلى أن يعدموا فلا يبقى منهم أحد ﴿ **ثمَّ إليَّ مرجِعُكُمْ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **فَأَحْكُمُ** ﴾ فأقضي بالحق ﴿ **بَيْنَكُمْ فيما كُنتم فيهِ تختلفونَ** ﴾ .

[٥٦] ﴿ **فأمَّا الذينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شديداً في الدُّنيا والآخرةِ ، وما لهُمْ من ناصِرينَ** ﴾ وفي هذه الآية تفسير للحكم الواقع بين الفريقين والذي أشارت إليه الآية السابقة .

[٥٧] ﴿ **وأمَّا الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فيوفّيهم أُجُورَهُمْ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالمينَ** ﴾ أي يبغضهم .

[٥٨] ﴿ **ذلكَ** ﴾ ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام ﴿ **نتْلُوهُ عَلَيْكَ** ﴾ يا محمد من غير أن يكون لك اطلاع سابق عليه ﴿ **مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الحكيم** ﴾ أي القرآن المشتمل على الحِكَم ، أو المعصوم عن الخلل والاضطراب .

[٥٩] ﴿ **إنَّ مَثَلَ عِيسَى** ﴾ أي شأنه العجيب في إنشائه بالقدرة من غير أب ﴿ **عندَ اللَّهِ كمثَلِ آدمَ** ﴾ أي كحالة خلق آدم العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ﴿ **خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ** ﴾ أي صور جسد آدم من تراب ﴿ **ثمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ فمن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير أب وأم لا يصحّ منه إنكار خلق عيسى عليه السلام بلا أب .

[٦٠] ﴿ **الحقُّ من ربِّكَ** ﴾ أي : جاءك الحقّ ﴿ **فَلَا تَكُنْ** ﴾ يا محمد ﷺ ، أو لكل سامع ﴿ **من الممترينَ** ﴾ الشاكّين .

[٦١] ﴿ **فَمَنْ حاجَّكَ** ﴾ أي جادلك من النّصارى ﴿ **فيهِ** ﴾ أي في شأن عيسى عليه السلام ﴿ **منْ بعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلم** ﴾ الذي أنزلناه إليك وقصصناه عليك في أمره ﴿ **فَقُلْ تعالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكم** ﴾ وتسمى هذه الآية بآية المباهلة أي تعالوا أيها المجادلون لنقوم بأمرٍ يعرف فيه الحق ، فليدعُ كلٌّ منا ومنكم نفسه ، وأعزة أهله ، وألطفهم بقلبه ﴿ **ثمَّ نَبْتَهِلْ** ﴾ نتضرّع إلى الله تعالى ونجتهد في دعاء اللعنة ﴿ **فنجعلْ لعنةَ اللَّهِ** ﴾ أي إبعاده وطرده ﴿ **على الكاذبينَ** ﴾ منا ومنكم ليهلكهم الله وينجي الصادقين .

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿ إنَّ هذا ﴾ المتقدم من شأن عيسى عليه السلام ﴿ لَـهُوَ القَصَصُ الحقُّ ﴾ ورواية النّصارى في التثليث باطلة ﴿ وما مـن إلهٍ إلاّ اللّهُ ﴾ تأكيداً للرد على من قال بالتثليث ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَـهُوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ فلا يشاركه أحد في العزة والحكمة ، ليشاركه في الألوهية .

[٦٣] ﴿ فإنْ تولَّوْا ﴾ أي أعرضـوا عن قبول الحق ﴿ فإنَّ اللَّهَ عليمٌ بالمُفْسِدينَ ﴾ فيجازيهم على إفسادهم .

[٦٤] ﴿ قُلْ يا أهلَ الكتابِ تعالَـوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكُمْ ﴾ أي إلى قول معتدل لا يميل إلى الشرك ، متفق عليه لا يختلف فيـه الرسل والكتب ، وذلك ﴿ألاَّ نعبدُ إلاَّ الله ولا نشركُ بِه شَيئاً﴾ فلا نرى غيره مستحقاً للعبادة فنشركه معه ، بل نفرد العبـادة لله وحده ، لا شريك له ﴿ ولا يتّخِذَ بعضُنا بعضاً أَرْبَـاباً مِنْ دونِ اللّهِ ﴾ كعزير والمسيح والأحبـار والرهبان الـذين يحرّمون ويحللـون من عند أنفسهم ﴿ فإنْ تولَّوْا ﴾ أي أعرضوا عن هذه الكلمة السـواء المتفق عليهـا ﴿ فقولُوا ﴾ أيها المؤمنـــون لهم ﴿ اشهَدُوا بأنّـا مُسلمونَ ﴾ أي اعترفـوا بأنـا مسلمـون دونكم ، أو من بـاب التعـريض ومعنـاه : اشهـدوا واعترفـوا بأنّـكم كافرون حيث تـوليتم عن الحق بعـد ظهوره . [قال ابن جرير: قال بعضهم نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كـانوا حوالي مدينـة رسول الله ﷺ . وقال آخرون : بل نزلت في الوفد من نصارى نجران] .

[٦٥] ﴿ يا أهلَ الكتابِ لِـمَ تُحاجُّونَ في إبراهيمَ ﴾ أي تجادلون فيـه فيدعي كل فريق من اليهود والنصـارى أنه منهم ﴿ وما أُنزلتِ التوراةُ والإنجيلُ ﴾ وهي الكتب التي يدعي اليهود والنّصارى أنهم يتبعونها ﴿ إلاَّ منْ بعدِهِ ، أفلا تَعْقِلُونَ ﴾ فلا تجادلوا مثل هذا الجدل المحال .

[٦٦] ﴿ هَا أنتُمْ هؤلاءِ ﴾ المقصود : أهل الباطل من أهل الكتاب ﴿ حاججتُم ﴾ جادلتم ﴿ فيما لكم به علمٌ ﴾ مما ذكر في كتبكم من أمر محمد ﷺ أو من أمر موسى وعيسى أو أحكام التوراة والإنجيل ﴿ فَلِمَ تُـحَاجُّونَ فيما ليسَ لَـكُمْ بِهِ علمٌ ﴾ من أمر إبراهيم عليه السـلام لكونه سبق نزول كتبكم ﴿ واللّهُ يعلمُ ﴾ فيبيّنه لنبيّه ﷺ ﴿ وأَنْتُمْ لا تعلمونَ ﴾ .

[٦٧] ﴿ ما كانَ إبراهيمُ يهوديّاً ﴾ كما ادعى اليهود ﴿ ولا نصرانياً ﴾ كما ادعى النصارى ﴿ ولكن كان حنيفاً ﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿ مسلماً ، وما كانَ منَ المُشْرِكِينَ ﴾ وفي ذلك إشارة إلى شرك اليهـود والنصارى لقولهم : عـزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله ، وردٌّ لادعاء المشركين أنهم على ملـة إبراهيم عليه السلام .

[٦٨] ﴿ إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بإبراهيمَ ﴾ أي أخصهم به وأقـربهم منه ﴿ للَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ من أمته وغيرهم ﴿ وهذا النبيُّ ﴾ يعني خاتم الأنبيـاء محمداً ﷺ ﴿ والذينَ آمَنُوا ﴾ به فعملوا بشريعته وهم المسلمون ﴿ واللّهُ وليُّ المؤمنين ﴾ بالنصر والمعونة والمحبة .

[٦٩] ﴿ ودَّتْ ﴾ تمنت ﴿ طائفةٌ منْ أهلِ الكتـابِ لو يُضِلُّونكُمْ ﴾ بالرجـوع إلى دينهم حسداً وبغياً ﴿ وما يُضِلُّونَ إلاَّ أَنْفُسَهُـمْ وما يَشْعُرُونَ ﴾ بالوزر الواقع بهم .

[٧٠] ﴿ يا أهلَ الكتابِ لـمَ تكفرونَ بآياتِ اللهِ ﴾ المنزلة على محمد ﷺ ﴿ وأنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أي تعلمون حقّيّتها .

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿ **يا أهلَ الكتابِ لمَ تلبِسونَ الحقَّ بالباطِلِ** ﴾ فتسترون الحقّ المنزل بتمويهاتكم الباطلة ﴿ **وتكتمونَ الحقَّ** ﴾ الذي لا يقبل تمويهاً ولا تحريفاً ﴿ **وأنتُمْ تعلمُونَ** ﴾ ما في التوراة والإنجيل من البشارة برسول الله ونبوته .

[٧٢] ﴿ **وقالتْ طائفةٌ مِنْ أهلِ الكتابِ** ﴾ لبني قومها خبثاً وكيداً ﴿ **آمنوا بالّذي أُنزل على الذين آمنوا** ﴾ أي تظاهروا باعتناقكم الإسلام ﴿ **وجهَ النَّهارِ** ﴾ أي أوّله ﴿ **واكفروا آخرَهُ** ﴾ يريدون بذلك التلبيس على ضعاف الإيمان من المسلمين ﴿ **لعلَّهم يرجعُونَ** ﴾ فيظنُّوا أنكم لم ترتدوا عن الإسلام بعد إيمانكم [الشكلي به] إلا لظهور بطلانه لكم لأنكم تعرفون الكتب السابقة فيرتدون هم عنه مثلكم .

ثلاثة أرباع الحزب ٦

[٧٣] ﴿ **ولا تُؤمِنُوا إلاّ لمنْ تبِعَ دينَكُمْ** ﴾ وهذا من تتمة كلامهم السابق : أي ولا تصدِّقُوا إلاّ نبياً تابعاً لشريعتكم لا من جاء بغيرها ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ** ﴾ وهو الإسلام الذي أدعوكم إليه ، ولكن دعاكم الحسد والبغي حتى قلتم ما قلتم ﴿ **أنْ يُؤْتَى أحدٌ مِثلَ ما أُوتيتُم** ﴾ من الشرائع والعلم والكتاب ﴿ **أوْ** ﴾ كراهة أن ﴿ **يُحَاجُّوكُمْ** ﴾ المقصود المسلمون يحاجُّوكم ﴿ **عِنْدَ رَبِّكُمْ** ﴾ وذلك بالشهادة عليكم يوم القيامة أنهم آمنوا وكفرتُم بعد البيان الواضح فيفضحوكم ﴿ **قُلْ إنَّ الفضْلَ** ﴾ بإنزال الآيات وغيرها ﴿ **بيدِ اللهِ يُؤتيهِ منْ يشاءُ** ﴾ فلا يمكنكم منعه ﴿ **واللهُ واسعٌ** ﴾ كثير العطاء ﴿ **عليمٌ** ﴾ بعباده .

[٧٤] ﴿ **يختصّ برحمتِهِ منْ يشاءُ** ﴾ فيزيده فضلاً عليكم ﴿ **واللهُ ذُو الفضْلِ العظيمِ** ﴾ .

[٧٥] ﴿ **ومِنْ أهلِ الكتابِ منْ إنْ تأمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤدِّهِ إليْكَ** ﴾ القنطار : المال الكثير ﴿ **ومنْهُمْ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بدينارٍ** ﴾ وهو مبلغ زهيد ﴿ **لا يؤدِّهِ** ﴾ يرده ﴿ **إليكَ إلاّ ما دُمْتَ عليهِ قائماً** ﴾ بالمطالبة والترافع وإقامة البيّنة ، فإن كانوا كذلك في أمور الدنيا فكيف بهم في الخيانة مع الله سبحانه وعدم إقرارهم بنبوة محمد ﷺ ﴿ **ذلكَ** ﴾ الاستحلال والخيانة بسبب ﴿ **بأنّهم قالوا ليس علَيْنَا في الأُمّيّينَ** ﴾ العرب وأموالهم ﴿ **سبيلٌ** ﴾ عقاب ومؤاخذة ﴿ **ويقولونَ على اللهِ الكذِبَ** ﴾ فيخونونه أيضاً ﴿ **وهُمْ يعلمونَ** ﴾ أنه كذب وافتراء لتحريم الغدر عليهم في التوراة .

[٧٦] ﴿ **بَلَى** ﴾ نعم ﴿ **مَنْ أوْفَى بعهدِهِ واتّقَى فإنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَّقينَ** ﴾ فكل من أوفى بعهد الله واتقاه وترك الخيانة والغدر أحبه الله .

[٧٧] ﴿ **إنَّ الذينَ يشترُونَ** ﴾ أي يستبدلون ﴿ **بعهدِ اللهِ** ﴾ بما أمرهم به في كتابه ﴿ **وأيْمَانِهِمْ** ﴾ جمع يمين وهو القسم ، التي عقدوها بالتزام الحق ﴿ **ثمناً قليلاً** ﴾ من الدنيا الزائلة الحقيرة بالنسبة للآخرة ﴿ **أولئك لا خلاقَ لهم في الآخرة** ﴾ الخلاق : النصيب والثواب ﴿ **ولا يُكلّمهمُ اللّهُ ولا ينظُرُ إليهمْ يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهِمْ** ﴾ أي ولا يُثني عليهم كما يثني على أوليائه ، أو لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يغفر لهم ﴿ **ولهمْ عذابٌ أليمٌ** ﴾ وهو النّار .

وفي الحديث : (من حلف على يمين صبر ـ معقودة ـ ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي اللّهَ وهو عليه غضبان) ـ رواه البخاري .

وروى البخاري أيضاً أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق ، فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يُعطه ، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين ، فنزلت .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿ وإنَّ مِنْهُمْ ﴾ أي من اليهود ﴿ **لفريقاً يلْوُونَ ألسنتَهم بالكتابِ** ﴾ أي يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويبدلون كلام الله ، ويزيلونه عن المراد ليوهموا الجهلة أنه من عندِ الله ، قال تعالى في سورة البقرة ﴿ أَفَتَطْمَعون أَنْ يُؤمِنُوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يَسْمَعون كلامَ اللَّهِ ثمّ يحرِّفونَهُ ﴾ [البقرة : ٧٥] ﴿ **لتحسبُوهُ منَ الكتابِ وما هو من الكتابِ ، ويقولون هو من عندِ الله وما هُوَ من عندِ اللهِ ، ويقولون على اللهِ الكذِبَ وهمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله .

[٧٩] ﴿ **مَا كانَ لبشرٍ** ﴾ ما صح ولا استقام لأي إنسان ﴿ **أن يؤتيَهُ اللَّهُ الكتابَ** ﴾ المنزل ﴿ **والحُكْمَ** ﴾ الفهم والعلم أو الحكمة ﴿ **والنُّبُوَّةَ** ﴾ وهي الوحي من الله ليدعو النّاس إلى التوحيد وترك الشرك ﴿ **ثمَّ يقولَ للنَّاسِ** ﴾ الذين أُمِر بدعوتهم وهدايتهم ﴿ **كُونُوا عباداً لي** ﴾ أي اتخذوني ربّاً ﴿ **من دونِ اللهِ ولكنْ** ﴾ يقول لهم ﴿ **كونُوا رَبَّانيينَ** ﴾ أي عابدين لله على بصيرة وهدى لتنسبوا إليه وهو ربُّكم ﴿ **بما كُنتُم تُعلِّمُون** ﴾ النَّاس ﴿ **الكتابَ** ﴾ المنزل من عند الله ﴿ **وبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسونَ** ﴾ أي تواظبون على قراءته . [قال الضحاك ومقاتِل : نزلت في نصارى نجران عبدوا عيسى ، وقوله ﴿**لبشرٍ**﴾ يعني عيسى ﴿ أن يؤتيه الله الكتابَ ﴾ يعني الإنجيل . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي وعطاء إن أبا رافع اليهودي والرئيس من نصارى نجران قالا : يا محمد أتريد أن نعبُدَكَ ونتّخذك رَبّاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : (معاذ بالله أن يُعبد غيرُ الله أو نأمر بعبادةِ غيرِ الله ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني) . فنزلت ـ النيسابوري] .

[٨٠] ﴿ **ولا يأمُرَكُمْ** ﴾ الرسول ﴿ **أن تتَّخذُوا الملائكَةَ والنبيِّينَ أرباباً** ﴾ وهم عبيد الله ﴿ **أيأمُرُكُمْ بالكفرِ** ﴾ أي بالعودة إلى الكفر وما بُعث إلا ليخرجكم منه ﴿ **بَعْدَ إذْ أنتُم مُسْلِمُونَ** ﴾ أي بعد استقراركم على الإسلام .

[٨١]﴿ **وإذْ أخذَ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ** ﴾ الميثاق : العقد المؤكد بيمين وعهد ، والمقصود : **الإيمان** برسالة محمد ﷺ وأتباعه ممن شهده من الأنبياء أو أتباعهم ﴿ **لَمَا آتيتُكُمْ من كتابٍ وحكمةٍ ، ثمَّ جاءكُمْ رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لتُؤْمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّهُ** ﴾ [قال صاحب الظلال في تفسير هذه الآية : لقد أخذ الله ـ سبحانه ـ موثقاً رهيباً جليلاً فكان هو شاهده وأشهد عليه رسله ، موثقاً على كل رسول ، أنه مهما آتاه من كتاب وحكمة ، ثم جاء رسول بعده مصدِّقاً لما معه ، أن يؤمن به وينصره ، ويتبع دينه ، وجعل هذا عهداً بينه وبين كل رسول] ﴿ **قال أأقررتُمْ وأخذتُمْ على ذلِكُمْ إصْري** ﴾ أي عهدي المؤكد ﴿ **قالوا : أقررنا ، قالَ : فاشهَدُوا وأنا معكُمْ منَ الشَّاهدينَ** ﴾ [ومن ثم يتعيَّن على أهل الكتاب أن يؤمنوا بالرسول الأخير وينصروه] .

[٨٢]﴿ **فمن تولَّى** ﴾ رجع عن ذلك العهد والميثاق ﴿ **بعد ذلك فأولئك همُ الفاسقُونَ** ﴾ .

[٨٣]﴿ **أفغيرَ دينِ اللهِ يَبْغُونَ** ﴾ يريدون ﴿ **ولهُ أسلمَ منْ في السمٰواتِ والأرضِ طوْعاً وكرْهاً** ﴾ أي استسلم له من فيهما وخضع لقوانين الله قهراً أو آمن به وانقاد له اختياراً كالمؤمنين به وبرسله ﴿ **وإليهِ يُرجَعُونَ** ﴾ يوم القيامة فيجزي كل واحد بعمله .

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

[٨٤] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ آمنَّا باللهِ وما أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ وهو القرآن الكريم والإسلام الحنيف ﴿ وما أُنزل على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ ﴾ وهم أولاد يعقوب عليه السلام ﴿ وما أُوتيَ مُوسَى وعيسَى والنبيُّونَ مِنْ ربِّهِمْ لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْهُمْ ﴾ فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما يفعل اليهود والنصارى ﴿ ونحنُ له مُسلمونَ ﴾ أي منقادون فلا نتخذ أرباباً من دونه.

[٨٥] ﴿ ومن يَبْتَغِ ﴾ يطلب ﴿ غَيْرَ الإسلام ديناً ﴾ وهو التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ وفي الحديث: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ) رواه البخاري، أي مردود عليه ﴿ وهو في الآخرةِ مِنَ الخاسِرينَ ﴾ لضلاله وإبطاله الفطرة السليمة التي فُطر الناسُ عليها.

[٨٦] ﴿ كيفَ يهدي اللّهُ قوْماً كفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ وشَهِدُوا أنَّ الرسولَ حقٌّ ﴾ والمقصود بذلك إما أهل الكتاب والمراد كفرهم بالرسول ﷺ حين جاءهم، بعد إيمانهم به قبل مجيئه، أو المرتدون بعد إيمانهم، فهم لا يستحقون الهداية مع قدرة الله تعالى على هدايتهم ﴿ وجاءَهُمُ البيّناتُ ﴾ فكفرهم كان بعد وضوح الآيات ﴿ واللّهُ لا يَهْدي القومَ الظّالِمينَ ﴾.

[٨٧] ﴿ أولئك ﴾ المذكورون سابقاً ﴿ جزاؤُهُم أنَّ عليهمْ لعنةَ اللهِ ﴾ أي طرده وغضبه ﴿ والملائكةِ والنّاسِ أجمعينَ ﴾ المراد بالنّاس إما المؤمنين أو عمومهم، فالكافر أيضاً يلعن منكر الحق والمرتد عنه وبذلك يكون قد لعن نفسه.

[٨٨] ﴿ خالدينَ فيهَا ﴾ أي في اللعنة أو العقوبة أو النّار ﴿ لا يُخَفَّفُ عنهمُ العذابُ ولا هُمْ يُنظرون ﴾ أي لا يُمهلون، أو لا يُنظر إليهم نظرة رحمة.

[٨٩] ﴿ إلاَّ الذينَ تابُوا مِنْ بعْدِ ذلكَ وأَصْلَحُوا ﴾ أي وضمُّوا إلى التوبة الأعمالَ الصّالحة، فالتوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصّالح ﴿ فإنَّ اللّهَ غفورٌ رَحيمٌ ﴾ فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم. روى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثمّ ارتد، ولحق بالشرك، ثم ندم، فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة ؟ فنزلت.

[٩٠] ﴿ إنَّ الذينَ كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ ثمَّ ازدادوا كُفْراً ﴾ وهم المرتدون ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوبَتُهُمْ ﴾ قال جمهور المفسرين بأن المراد عند حضور الموت، وذهب بعضهم أن هذه الآية تدل صراحة على أن من تكررت ردته لا تقبل توبته وذلك لرسوخه في الكفر ﴿ وأُولَئِكَ هُمُ الضّالُّون ﴾ قال تعالى في سورة النساء ـ الآية رقم ١٣٧ ـ ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾.

[٩١] ﴿ إنَّ الذينَ كَفَروا وماتُوا وهُمْ كفّارٌ فلنْ يُقْبَلَ من أحدِهِمْ مِلءُ الأرضِ ذهباً ولو افتَدَى به ﴾ وفي الحديث: (يُقال للرجل من أهل النّار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ قال: فيقول: نعم، فيقول الله: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ أن تشرك) ـ رواه أحمد والشيخان ﴿ أولئكَ لهمْ عذابٌ أليمٌ وما لهمْ منْ ناصرينَ ﴾ أي من منقذ من عذاب الله ولا مُجير من أليم عقابه.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ الحزب ٧

[٩٢] ﴿ **لَنْ تَنَالُوا** ﴾ الخطاب للمؤمنين ﴿ **البِرَّ** ﴾ أي ثوابه وجنته ﴿ **حتَّى تُنْفِقُوا** ﴾ في سبيل الله تعالى ﴿ **مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ ويُعجبكم من كرائم أموالكم ﴿ **وَمَا تُنْفِقُوا منْ شيءٍ فإنَّ اللَّهَ بهِ عليمٌ** ﴾ فيجازيكم عليه ، قليلاً كان أو كثيراً ، جيداً أو خلاف ذلك .

[٩٣] ﴿ **كُلُّ الطعام** ﴾ مما يُؤكل ﴿ **كان حِلاًّ لبني إسرائيلَ إلا ما حرَّم** ﴾ بمعنى منع ﴿ **إسرائيلُ** ﴾ وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ﴿ **على نفسِهِ منْ قبلِ أنْ تُنَزَّلَ التَّوراةُ** ﴾ على موسى عليه السلام ، وتحريم ما حرم الله عليهم من المطاعم بسبب ظلمهم وبغيهم ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمَّد متحدياً إياهم ﴿ **فأتوا بالتوراةِ فاتْلُوها إنْ كنتُم صادقين** ﴾ وفي ذلك أعظم بُرهان على صدقه وكذبهم إذ لم يجسروا على إخراج التوراة ، فبهتوا وانقلبوا صاغرين .

[٩٤] ﴿ **فمنِ افْتَرَى** ﴾ أي تعمّد ﴿ **على اللهِ الكَذِبَ** ﴾ في أمر المأكولات وغيرها ﴿ **مِنْ بعْدِ ذلكَ فأولئكَ هُمُ الظَّالمونَ** ﴾ فقد ظلموا أنفسهم بتعريضها لعذاب الله تعالى .

[٩٥] ﴿ **قُلْ صدقَ اللَّهُ** ﴾ أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون ﴿ **فاتَّبعوا مِلَّةَ إبراهيمَ** ﴾ أي ملة الإسلام التي عليها محمد ﷺ ﴿ **حنيفاً** ﴾ مائلاً عن الأديان المنحرفة ﴿ **وما كانَ من المشركينَ** ﴾ كما هو حالكم أيها اليهود لقولكم : عزير ابن الله ، وكما هو حال النّصارى لقولهم : المسيحُ ابن الله .

[٩٦] ﴿ **إنَّ أولَ بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ** ﴾ أي أول بيت بُني لعبادة الله تعالى ﴿ **للَّذي ببكَّة** ﴾ أي البيت الذي بمكة وهو الكعبة ، وبكة من أسماء مكة ، ﴿ **مُباركاً** ﴾ كثير الخير لما يحصل لزائره وقاصده سواء كان حاجاً أو معتمراً من الأجر والثواب وتكفير الذنوب ﴿ **وهُدىً للعالَمِينَ** ﴾ فهو قبلة الناس ومكان عبادتهم .

[٩٧] ﴿ **فيهِ** ﴾ أي في الكعبة ـ البيت المذكور سابقاً ـ ﴿ **آياتٌ بيِّناتٌ** ﴾ براهين واضحة ، كحادث الفيل والطير الأبابيل ، ومنها ﴿ **مَقَامُ إبراهيمَ** ﴾ وهو الحجر الذي قام عليه عند رفعه قواعد البيت ﴿ **وَمَنْ دَخَلَهُ** ﴾ أي لجأ إليه ﴿ **كانَ آمِناً** ﴾ على نفسه من عدوّه . وعن عمر بن الخطاب « لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج عنه » ﴿ **وللهِ على النَّاسِ** ﴾ يعني أنه حق واجب لله في رقاب النّاس ﴿ **حِجُّ البيتِ** ﴾ أي قصده للزيارة مع القيام بالمناسك المعروفة في وقت الحج ﴿ **من استطاعَ إليه سبيلاً** ﴾ أي أمكنه الوصول إليه ﴿ **ومَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّهَ غنيٌّ عنِ العالمينَ** ﴾ الكفر : إما بمعنى جحد فريضة الحج ، أو بمعنى ترك ما تقدم الأمر به .

[٩٨] ﴿ **قُلْ يا أهلَ الكتابِ لمَ تكفرونَ بآياتِ اللهِ** ﴾ الدالة على نبوة محمد ﷺ ﴿ **واللَّهُ شهيدٌ على مَا تعملونَ** ﴾ شهيد : صيغة مبالغة ، لتأكيد الوعيد وتشديد توبيخهم على كفرهم . [٩٩] ﴿ **قُلْ يا أهلَ الكتابِ لمَ تَصدُّونَ عنْ سبيلِ اللهِ** ﴾ أي عن دينه وهو الإسلام ﴿ **مَنْ آمَنَ** ﴾ وأسلم ﴿ **تَبْغُونَهَا** ﴾ أي تريدون لسبيل الله ﴿ **عِوَجاً** ﴾ أي اعوجاجاً وزيغاً وتحريفاً ﴿ **وأنتُمْ شُهَدَاءُ** ﴾ بأنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال ﴿ **وما اللَّهُ بغافلٍ عمَّا تعْمَلُونَ** ﴾ وفي ذلك تهديد ووعيد . [١٠٠] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إن تُطيعُوا فَريقاً مِنَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ** ﴾ وذلك بحسن ظنّكم بهم وتصديقهم ﴿ **يردُّوكُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كافرينَ** ﴾ لأنهم يكرهون لغيرهم الهداية ويحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله .

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ءايت الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صرط مستقيم ﴿١٠١﴾ يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴿١٠٢﴾ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخونا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءايته لعلكم تهتدون ﴿١٠٣﴾ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴿١٠٤﴾ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينت وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿١٠٥﴾ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمنكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿١٠٦﴾ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خلدون ﴿١٠٧﴾ تلك ءايت الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعلمين ﴿١٠٨﴾

[١٠١] ﴿ وكيفَ تكفرونَ ﴾ ومن أين يتطرق لكم الكفر؟ ﴿ وأنتم تُتْلى عليكُمْ آياتُ اللهِ ﴾ وهي القرآن المُعجز ﴿ وفيكم رَسُولُهُ ﴾ محمد ﷺ وقد هداكم من الضلال ﴿ ومن يعتصِمْ باللهِ ﴾ أي يتمسك بدينه الحق الإسلام ﴿ فقدْ هُدِيَ إلى صِرَاطٍ مستقيمٍ ﴾ فهو على هدى لا يضل متبعه.

[١٠٢] ﴿ يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقَاتِهِ ﴾ أي حق تقواه. وعن ابن عباس: أن يجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ـ العدل ـ ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم ﴿ وَلا تَموتُنَّ إلاَّ وأنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ أي مخلصون لله لا تشركون به شيئاً.

[١٠٣] ﴿ واعْتَصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً ﴾ الحبل: إما بمعنى العهد، وإما بمعنى القرآن. فعن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: (ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة) أخرجه مسلم ﴿ ولا تفرَّقوا ﴾ أي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم، كما اختلف اليهود والنصارى، أو كما كنتم مختلفين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً ﴿ واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكُمْ إذ كُنْتُمْ أعداءً فألَّف بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فأصبحْتُمْ بنعمته إخواناً ﴾ متراحمين متناصحين متحابين ﴿ وكُنْتُم على شَفَا ﴾ أي طرف ﴿ حُفْرةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ بسبب كفركم وجاهليتكم ﴿ فأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ بالإسلام ﴿ كذلِكَ ﴾ أي مثل هذا البيان الذي تقدم ﴿ يُبيِّنُ اللَّهُ لكمْ آياتِه لعلَّكم تَهْتَدُونَ ﴾ لرشدكم الديني والدنيوي معاً.

[١٠٤] ﴿ ولتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ أي جماعة ﴿ يَدْعونَ إلى الخَيْرِ ﴾ وهو كل ما فيه صلاح الدنيا والدين ﴿ ويأمُرونَ بالمَعْرُوفِ ﴾ أي بما يقربهم إلى الجنة ويبعدهم عن النّار ﴿ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ كل حرام ومكروه يقربهم إلى النار ويبعدهم من الجنة ﴿ وأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بأجور أعمالهم وأعمال من تبعهم، وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[١٠٥] ﴿ ولا تكُونُوا ﴾ ينهى الله تعالى عباده أن يكونوا ﴿ كالَّذينَ تفرَّقوا واختَلَفُوا ﴾ كاليهودِ والنصارى في افتراقهم على مذاهب يكفّر بعضهم بعضاً بسبب اتباع الهوى ﴿ مِنْ بعدِ مَا جَاءهُمُ البيّناتُ ﴾ وهي الحجج العقلية والشرعية المؤدية إلى وحدة الهدف واتفاق الكلمة ﴿ وأولئكَ لهُمْ عذابٌ عظيمٌ ﴾. [١٠٦] ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ وذلك يوم القيامة تبيض فيه وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين لاتباعها الدين الحق الذي هو النور الساطع ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ وهي وجوه الكافرين لاتباعها الضلالات المظلمة ﴿ فأمَّا الذينَ اسْوَدَّتْ وجوهُهُمْ ﴾ فيقال لهم: ﴿ أكفرتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ ﴾ أي بعدما ظهر لكم ما يوجب الإيمان ﴿ فَذُوقوا العذابَ بما كُنْتُمْ تكفُرُونَ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وأمَّا الذينَ ابيضَّتْ وُجُوهُهُمْ ففي رحمةِ اللهِ ﴾ المراد برحمة الله الجنة ﴿ هُمْ فيها خَالِدُونَ ﴾.

[١٠٨] ﴿ تِلْكَ ﴾ أي ما تقدّم من الوعد والوعيد ﴿ آياتُ اللهِ نتْلُوها عليكَ بالحقِّ، وَمَا اللَّهُ يُريدُ ظُلْماً للعالَمِينَ ﴾ أي لا يظلم عباده، فلا يعاقب أحداً بغير ذنب، ولا يزيد في عقوبة مجرم أو ينقص من ثواب محسن.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

[١٠٩] ﴿ ولله ما في السَّمٰوات وما في الأرض ﴾ من المخلوقات من غير شريك يتصرف بها كيفما شاء إحياء وإماتة وإحساناً وتعذيباً ﴿ وإلى الله ﴾ أي إلى حكمه وقضائه ﴿ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي أمورهم فيجازي كلاً منهم بما وعده وأوعده .

[١١٠] ﴿ كُنتُمْ ﴾ بمعنى : وُجدتم وخُلقتم ﴿ خَيرَ أمّةٍ أُخرِجَت للنّاس ﴾ أي أظهرت لهم حتى تميزت وعُرفت ﴿ تأمُرُونَ بالمعروفِ وتنهوْنَ عنِ المُنكرِ وتُؤْمِنُونَ باللهِ ﴾ فبهذه الصفات فضّلهم اللّهُ على غيرهم [قال عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)] أخرجه مسلم ﴿ وَلَوْ آمنَ أهلُ الكتابِ ﴾ بما أنزل على محمد ﷺ ﴿ لَكانَ خَيراً لَهُمْ ﴾ مما هم عليه ﴿ منهمُ المؤمنون ﴾ بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم ولكنهم قليل ﴿ وأكثرُهم الفاسقُونَ ﴾ والفسق : العصيان ومخالفة أمر الله تعالى [قال عكرمة ومقاتل : نزلت في ابن مسعود ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله عنهم ، وذلك أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم : إن ديننا خير مما تدعونا إليه ، ونحن خير وأفضل منكم ـ النيسابوري] .

ربع الحزب ٧

[١١١] ﴿ لَنْ يضرُّوكُمْ إلاَّ أذىً ﴾ أي بألسنتهم [قال مقاتل : إن رؤوس اليهود كعب وبحري والنعمان وأبا رافع وأبا ياسر وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنهم عبد الله بن سلاّم رضي الله عنه وأصحابه فآذوهم لإسلامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] ﴿ وإنْ يقَاتِلُوكُمْ يُولُّوكُمُ الأدبارَ ﴾ يعني يفرُّون منهزمين مخذولين ﴿ ثُمَّ لا يُنصَرونَ ﴾ .

[١١٢]﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلّةُ ﴾ أحيط بهم الهوان والصَّغار ﴿ أَيْنَما ثُقِفُوا ﴾ أينما وُجدُوا ﴿ إلاَّ بحبلٍ من اللهِ ﴾ إلا في حال اعتصامهم بحبل الله ﴿ وحبلٍ منَ النّاسِ ﴾ يعني ذمة المسلمين بعد دفع الجزية ﴿ وباؤُوا بغضَبٍ منَ اللهِ ﴾ أي استوجبوه ﴿ وضُرِبَتْ عليهمُ المَسْكَنَةُ ﴾ أي الفقر ﴿ ذلكَ ﴾ أي استحقاقهم لغضب الله والفقر ﴿ بأنّهمْ كانُوا يكفرونَ بآياتِ اللهِ ﴾ وهي أوامره ونواهيه استكباراً وعتوّاً ﴿ ويَقْتُلونَ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ ﴾ يبيح لهم القتل ﴿ذلِكَ ﴾ ما أصابهم من الذلة والغضب ﴿ بما عَصَوْا وكَانُوا يعتدونَ ﴾ بقتلهم أنبيائهم .

[١١٣]﴿ لَيْسُوا سَواءً ﴾ أي ليس أهل الكتاب على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى ﴿ مِنْ أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمةٌ ﴾ أي مستقيمة عادلة ﴿ يَتْلُونَ آياتِ الله آناءَ الليلِ ﴾ في أوقات الليل ﴿ وهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ وهم يصلّون ، والصلاة تسمى سجوداً وسجدة كما تسمى ركوعاً وركعة وتسبيحاً وتسبيحة .

[١١٤] ﴿ يُؤْمنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ ﴾ وهو يوم الحساب ﴿ ويأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ ويُسارعونَ في الخيراتِ ﴾ يبادرون إلى فعل الخير برغبة قوية ﴿ وأولئكَ منَ الصَّالحين ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه .

[١١٥] ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خيرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ أي لن يعدموا ثوابه بل يجزيهم به أوفر الجزاء ﴿ واللَّهُ عليمٌ بالمُتَّقين ﴾ أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً فيوفيهم أجورَهم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١١٦] ﴿ **إِنَّ الذينَ كَفَرُوا لن تُغْنِيَ عَنْهُمْ** ﴾ أي لن تَدْفَع عنهم ﴿ **أَمْوالُهم ولا أَوْلادُهُمْ من اللّهِ شَيْئاً** ﴾ أي من عذاب الله ﴿ **وأولئِك أصحابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ لا يخرجون منها .

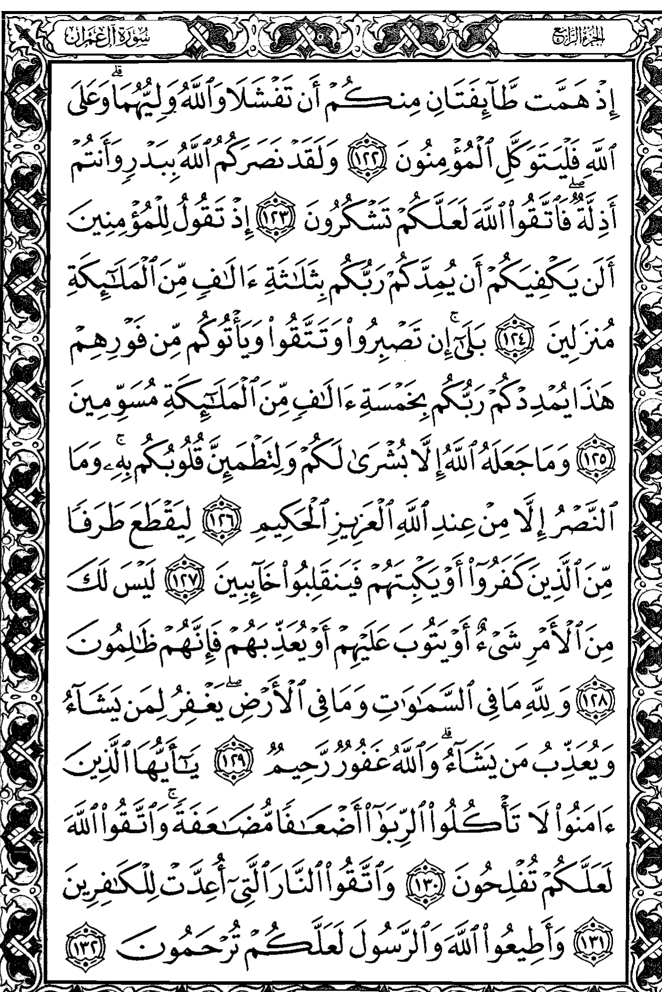
[١١٧] ﴿ **مَثَلُ ما يُنفقونَ في هذهِ الحياةِ الدُّنْيَا** ﴾ ما يعمله الكافرون من المكارم وأوجه الخير ﴿ **كَمَثَلِ ريحٍ فِيها صِرٌّ** ﴾ الصرّ : البرد الشديد المؤذي للزرع والشجر ﴿ **أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ** ﴾ أي زرعهم ﴿ **ظلموا أنفسَهم** ﴾ بالكفرِ والمعاصي ﴿ **فَأَهْلَكَتْهُ ، وما ظلمهمُ اللّهُ ولكنْ أنفسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ لأنهم أذهبوا ثواب الآخرة بمعصية الدنيا .

[١١٨] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تتَّخِذُوا بِطَانَةً** ﴾ أي أصحاباً يطّلعون على خاصة أمركم ، وتفشون لهم أسراركم ﴿ **مِنْ دُونِكُمْ** ﴾ أي من غير المسلمين ﴿ **لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً** ﴾ لا يقصّرون في الإفساد عليكم ﴿ **ودُّوا ما عَنِتُّمْ** ﴾ العنت : شدة المشقة والضرر ، والمعنى : تمنَّوْا ما يهلككم ﴿ **قدْ بدتِ البغضاءُ منْ أفْواهِهِمْ وما تُخْفي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ** ﴾ مما يظهر لكم ﴿ **قَدْ بيَّنَّا لكم الآياتِ** ﴾ الدالة على سوء اتخاذكم إياهم بطانة ﴿ **إن كُنْتُمْ تعقِلونَ** ﴾ أي من أهل العقل . [قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما : نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم ـ النيسابوري] .

[١١٩] ﴿ **هَا أَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهم ولا يُحِبُّونَكُمْ** ﴾ أي تخالطونهم وتُفشون إليهم أسراركم ، ولا يفعلون مثل ذلك معكم ﴿ **وتُؤمنون بالكِتابِ كُلِّه** ﴾ والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كما أنزله الله فلا تنكرون منه شيئاً ، فليس فيكم ما يوجب بغضهم لكم ﴿ **وإذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمنَّا** ﴾ نفاقاً ﴿ **وإذَا خَلَوْا** ﴾ انفرد بعضهم ببعض ﴿ **عَضُّوا عليكُم الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ** ﴾ عضوا أطراف أصابعهم [وهو مثل يُضرب للغضبان] لشدة غضبهم من قوة المؤمنين ﴿ **قُلْ : مُوتُوا بغيظِكُمْ إنَّ اللّهَ عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ** ﴾ .

[١٢٠] ﴿ **إنْ تَمْسَسْكُمْ حسنةٌ** ﴾ إن أصابكم خيرٌ كنصرِ الله لكم وانتشار دينكم ﴿ **تَسُؤْهُمْ وإنْ تُصِبْكُمْ سيِّئةٌ يَفْرَحُوا بها وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا** ﴾ أيّ تصبروا على ما يبتليكم الله به من الشدائد والمحن والمصائب وتثبتوا على الطاعة ﴿ **لا يُضرُّكُمْ كيدُهُمْ شيئاً** ﴾ الكيد : الاحتيال على إيقاع الغير في مكروه ﴿ **إنَّ اللّهَ بِمَا يعملونَ مُحيطٌ** ﴾ لا يخفى عليه شيء من أمرهم وأمركم .

[١٢١] ﴿ **وإذْ غَدَوْتَ منْ أهلِكَ تُبَوِّىءُ** ﴾ أي خرجت تَصُفُّ ﴿ **المؤمنينَ مقاعِدَ** ﴾ أي أماكن ومراكز يقفون فيها ﴿ **لِلْقِتَالِ واللّهُ سميعٌ عليمٌ** ﴾ جمهور المفسرين أن هذه الآية نزلت في وقعة أُحُد وكانت في شوال سنة ثلاث للهجرة . [عن ابن عون عن المسور بن مخرمة قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أي خالي أخبرني عن قصتكم يوم أُحد . فقال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجد ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغمِّ أمنة نُعاساً ﴾ ـ النيسابوري] .


الجزء الرابع سورة آل عمران

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

٦٦

[١٢٢] ﴿ إذْ همَّتْ طَائفتانِ مِنكُمْ ﴾ وهم : بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس ﴿ أنْ تفْشَلاَ ﴾ تكسلا وتجبنا وتضعفا لرجوع المنافقين إلى المدينة ، إلا أن الله عصمهما فمضيا وقاتلا مع النبي ﷺ ﴿ واللَّهُ وليُّهما ﴾ ناصرهما ﴿ وعلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمِنُونَ ﴾ التوكل : من وكل أمره إلى فلان إذا اعتمد عليه ولم يقم به بنفسه .

[١٢٣] ﴿ ولقدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ ببدرٍ ﴾ وهي المعركة الأولى بعد الهجرة ، وبدر : موضع بين مكة والمدينة ﴿ وأنتُم أذلَّةٌ ﴾ذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الضعف عدداً وعدة ، والكفار كانوا في غاية القوة والإعداد ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ لعلّكُمْ تشكُرُونَ ﴾ نعمته عليكم ونصره إياكم .

[١٢٤]﴿ إذ تَقُولُ للمؤمنينَ : ألنْ يَكْفِيَكُمْ أن يُمدَّكُمْ ربُّكُمْ ﴾ أي يعينكم لتقويتكم ونصركم ﴿ بثلاثةِ آلافٍ مِنَ الملائكةِ مُنْزَلِينَ ﴾ من سمائه لقتال أعدائه .

[١٢٥] ﴿ بَلى ﴾ أي : نعم يكفيكم الإمداد بثلاثة آلاف ولكنه يزيدكم ﴿ إنْ تَصْبِرُوا ﴾ على قتالهم ﴿ وتتَّقوا ﴾ الفرار عنهم ﴿ ويأتُوكُمْ منْ فورِهِمْ هذا ﴾ أي ساعتهم هذه ، فلا تنزعجوا بمفاجأتهم ﴿ يُمدِدْكُمْ ربُّكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسوِّمِينَ ﴾ معلّمين أنفسهم بأداة الحرب على عادة الفرسان يوم اللقاء ليعرفوا بها .

[١٢٦] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلاَّ بُشْرى لَكُمْ ﴾ ما جعل الإمداد بالملائكة إلا لتستبشروا به فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ أي تسكن ﴿ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم ﴿ وَما النَّصرُ إلاَّ مِنْ عندِ اللَّهِ العزيزِ ﴾ الذي لا يُغالَب في حكمه ﴿ الحكيمِ ﴾ .

[١٢٧] ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذينَ كَفَرُوا ﴾ أي ليهلك وينقص طائفة منهم بالقتل والأسر ﴿ أوْ يَكبِتَهُمْ ﴾ يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة ﴿ فينقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ فيرجعوا منقطعي الأمل .

[١٢٨] ﴿ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ﴾ أي ليس لك من أمرهم في كفرهم أو إيمانهم شيء ، ما أنت يا محمد إلا بشرٌ مأمور بالتبليغ والإنذار ﴿أو يَتُوبَ عليهمْ﴾ مما هم فيه من الكفر فيهديهم للإسلام بعد الضلالة ﴿أوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ﴿فإنَّهمْ ظالِمُونَ﴾ يستحقون العذاب لاستمرارهم على العناد .

[١٢٩] ﴿وللَّهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرْضِ﴾يتصرف بملكه كيفما شاء ﴿ يغفرُ لمنْ يشاءُ ويعذِّبُ منْ يشاءُ واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾ .

[١٣٠]﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تأْكُلُوا الرِّبا أضْعَافاً مُضاعَفَةً ﴾ [يراجع ما كتب عن الربا في تفسير الآية ٢٧٥ من سورة البقرة] . الربا : زيادة على المال المدين بغير وجه حق ، وهو حرام قليلاً كان أم كثيراً ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما ينهاكم عنه من الربا وغيره ﴿ لعلَّكم تُفلِحُونَ ﴾ .

[١٣١]﴿ واتَّقُوا النَّارَ التي أُعِدَّتْ للكافِرِينَ ﴾ كان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يقول : « هي أخوف آية في القرآن ، حيث أوعد الله المؤمنين بالنّار المعدّة للكافرين إن لم يتّقوه » .

[١٣٢] ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ ﴾ في ترك الربا ونحوه ﴿ لعلَّكم تُرْحَمُونَ ﴾ .

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

نصف الحزب ٧

[١٣٣] ﴿ وسارِعُوا إلى مغفرةٍ مِنْ ربِّكُمْ وجنَّةٍ ﴾ أي إلى ما يؤدي إلى مغفرة الله وجنته من العمل الصالح والتوبة الصادقة ﴿ عَرْضُهَا السَّمٰواتُ والأرضُ ﴾ أي كعرضهما وذلك عبارة عن سعتها ﴿ أُعِدَّتْ للمتَّقينَ ﴾ هُيِّئتْ لهم كما أعدت النار للكافرين .

[١٣٤] ﴿ الَّذينَ يُنْفِقُونَ في السَّرَّاءِ ﴾ في حال الرخاء واليسر ﴿ والضَّرَّاءِ ﴾ حال الضيقة والعسر ﴿ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ ﴾ أي المالكين لزمام نفوسهم عند الغضب . وفي الحديث (أن رجلاً قال : يا رسول الله أوصني ، قال : لا تغضب) رواه أحمد ﴿ والعَافِينَ عنِ النَّاسِ ، واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ وفي الحديث : الإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك) أخرجه البخاري .

[١٣٥] ﴿ والذينَ إذَا فَعَلُوا فاحشةً ﴾ من السيئات الكبار ﴿ أوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بارتكاب الذنوب ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ أي تذكروا حقه وعهده فاستحيوه وخافوه ﴿ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ومَنْ يغفرُ الذُّنُوبَ ﴾ أي يمحو آثارها ويعفو عنها ﴿ إلاَّ اللَّهُ ﴾ وفي الحديث عن الإمام عليّ كرم الله وجهه أن أبا بكر رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ قال : (ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يصلّي ركعتين ، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له) رواه أحمد ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا ﴾ أي لم يقيموا مستمرين ﴿ على ما فَعَلوا ﴾ من الذنوب من غير استغفار ﴿ وهُمْ يعلمونَ ﴾ بقبح عملهم .

[١٣٦] ﴿ أولئكَ ﴾ الذين يستغفرون ولا يصرون على ذنوبهم ﴿ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ ربِّهِمْ ﴾ يستر ذنوبهم ﴿ وجنّاتٌ تجري من تحتِها الأنْهارُ خالدينَ فيهَا ونِعْمَ أَجرُ العامِلينَ ﴾ .

[١٣٧] ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ مضت ﴿ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ أي وقائع للأمم السابقة من المكذّبين ﴿ فسيرُوا في الأرْضِ ﴾ التي تقع فيها ديارهم الخربة وآثار إهلاكهم ﴿ فانظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبةُ المُكذِّبينَ ﴾ لما في آثار المتقدمين من الاعتبار والروعة أقوى من أثر السماع .

[١٣٨] ﴿ هَذَا ﴾ أي القرآن أو ما تقدم من مؤاخذة المذكورين ﴿ بَيَانٌ للنّاسِ وهُدىً وموعظةٌ ﴾ أي تخويف نافع ﴿ للمتَّقينَ ﴾ .

[١٣٩] ﴿ ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا ﴾ الخطاب موجه للمؤمنين أن لا يضعفوا عن الجهاد بما نالهم من الجراح ، ولا يحزنوا على من قُتل منهم ﴿ وأنتمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْـتُم مُؤمنينَ ﴾ فالمؤمنون فوق الكافرين في الدنيا والآخرة .

[١٤٠] ﴿ إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ إن أصابكم يوم أُحد جِراح ﴿ فقدْ مسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ أي يوم بدْر ﴿ وتلكَ الأيامُ ﴾ في هذه الحياة الدنيا ﴿ نُداوِلُها بينَ النَّاسِ ﴾ أي نصرفها بينهم فهي لكم مرة ولهم مرة أخرى ﴿ وليَعْلَمَ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا ﴾ المقصود : أن يتميَّز المؤمنون من المنافقين . قال ابن عباس : في مثل هذا لنرى من يصبر على مناجزة الأعداء ﴿ ويتَّخذَ مِنكُمْ شُهداءَ ﴾ يكونون مثالاً لغيرهم في تضحية النفس شهادةً للحق ﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالمينَ ﴾ المنافقين .

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

[١٤١] ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا ﴾ أي لينقيهم ويخلصهم من الذنوب ومن آفات النفوس ، وليطهر صفوفهم من المنافقين ﴿ وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ ﴾ أي يهلكهم فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم .

[١٤٢] ﴿ أمْ حسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجنَّةَ ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الذينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ أي لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد في سبيل الله ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ وأوجب الصبر على تحمل متاعب الجهاد في معركة أُحُد وغيرها .

[١٤٣] ﴿ ولَقَدْ كُنتُم تمنَّوْنَ الموْتَ ﴾ أي الحرب ، أو الشهادة ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : (لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ﴿ منْ قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ ﴾ تشاهدوه وتعرفوا هوله ﴿ فقدْ رأيتُمُوهُ ﴾ بمشاهدة أسبابه العادية ، أو قتل إخوانكم بين أيديكم ﴿ وأنْتُمْ تنظُرونَ ﴾ .

[١٤٤] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلتْ منْ قبلهِ الرُّسُلُ ﴾ خلت : مضت ﴿ أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انقلبتُم على أعقابِكُمْ ﴾ أي رجعتم كما كنتم كافرين ﴿ ومنْ ينقلبْ على عقبيهِ فلنْ يضرَّ اللَّهَ شيئاً وسيجزي اللَّهُ الشَّاكرينَ ﴾ وهم الذين لم ينقلبوا ، وذلك بالنصر والغلبة في الدنيا والثواب والرضوان في الآخرة .

[١٤٥] ﴿ وَمَا كانَ لنفسٍ أنْ تموتَ إلاَّ بإذنِ اللَّهِ ﴾ أي بأمره وإرادته . روى البيهقي أن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه ، فقال له : يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قد قتل ؟ فقال الأنصاريّ : إن كان محمّد قد قتل فقد بلّغ ، فقاتلوا عن دينكم ، فنزلت ﴿ كتاباً مُؤَجَّلاً ﴾ أي كتب لكل نفس عمرها كتاباً مؤقتاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ﴿ ومنْ يُرِدْ ﴾ بعمله ﴿ ثوابَ الدُّنيا نؤتِـه منها ﴾ ولم يكن له في الآخرة نصيب ﴿ومنْ يُرِدْ ثوابَ الآخِرَةِ نؤتِـه منها وسنجزِي الشَّاكرينَ﴾ ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿ومن كان يريدُ حرثَ الدنيا نؤتِـه منها وما لهُ في الآخرة من نصيب﴾ . [سورة الشورى : الآية ٢٠] .

[١٤٦] ﴿ وكأينْ منْ نبيٍّ قَاتَلَ معه ربِّيُّونَ كثيرٌ ﴾ الربانيون : الذين يعبدون الرب تعالى ، والمقصود : الأتقياء العبّاد ﴿ فما وَهَنُوا ﴾ أي ضعفوا ﴿ لِمَا أصَابَـهُمْ في سبيلِ اللَّهِ ﴾ من الجراح وشهادة بعضهم ﴿ وما ضَعُفُوا ﴾ عن الجهاد أو العدو أو الدين ﴿ وما اسْتكانُوا ﴾ وما خضعوا أو ذلّوا ﴿ واللَّهُ يحبُّ الصَّابرينَ ﴾ على قتال أعدائه .

[١٤٧] ﴿ وَمَا كانَ قَوْلَـهُمْ ﴾ أي الربانيين ﴿ إلاَّ أنْ قالُوا : ربَّنا اغفِرْ لنا ذُنُوبَنَا وإسْرَافَنَا في أمْرِنَا وثبِّتْ أقْدَامَنَا وانْصُرْنَا على القومِ الكافِرينَ ﴾ فالاستغفار مطلوب قبل الدعاء ، لأن الشيطان يستزلّ المؤمن بسبب ذنوبه وهي نوعان : إما تقصير في حقّ ، أو تجاوز لحدّ . [قال أبو جعفر: وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أُحد وتركوا قتالهم ، وتأديب لهم] .

[١٤٨]﴿ فَـآتاهُمُ اللَّهُ ثوابَ الدُّنْيا﴾ من النّصر والغنيمة وكفّارة السيئات ﴿ وحُسْنَ ثوابِ الآخرة ﴾ وهو الجنّة ﴿ واللَّهُ يُحبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

[١٤٩] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الذينَ كفروا يَـرُدُّوكُمْ عَلَى أعقابِكُمْ** ﴾ أي يعيدوكم إلى الشرك الذي كنتم فيه ﴿ **فتنقلِبُوا خاسِرينَ** ﴾ لدين الإسلام ورضوان الله وحسن ثوابه في الدنيا والآخرة . [قال أبو جعفر: ينهى بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم وينتصحوهم في أديانهم].

[١٥٠] ﴿ **بلِ اللَّـهُ مولاكُمْ** ﴾ فأطيعوه ﴿ **وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرينَ** ﴾ .

[١٥١] ﴿ **سَنُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ** ﴾ الذي يمنعهم من الهجوم عليكم وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : (أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأُحِلت لي الغنائم ، وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة ، وأُعطيت الشفاعة) ﴿ **بما أشركُوا بالله ما لم يُنَزِّلْ به سُلطاناً** ﴾ أي حجةً قاطعة ﴿ **وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وبئسَ مَثْوَى الظَّالمِينَ** ﴾ المثوى : المقر والمأوى والمقام. [قال السديّ : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أُحد متوجهين إلى مكة ، انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا ، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا فاستأصلوهم . فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما عزموا ، وأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] .

[١٥٢] ﴿ **ولقد صَدَقَكُمُ اللَّهُ وعدَه إذْ تَحُسُّونَهُم** ﴾ أي تقتلونهم قتلاً كثيراً [أي في أول معركة أُحد] ﴿ **بإذنه** ﴾ أي بتيسيره وتوفيقه ﴿ **حتى إذا فَشِلْتُم** ﴾ أي ضعفتم وتراخيتم بالميل إلى الغنيمة ﴿ **وتنازعتُم في الأمرِ** ﴾ فيما أُمرتم به من عدم مغادرة أماكن القتال ﴿ **وعَصَيْتُم** ﴾ أمر الرسول ﷺ ﴿ **منْ بعد ما أراكُم ما تُحِبُّونَ** ﴾ من النصر والغنيمة ﴿ **منكم من يريدُ الدُّنيا** ﴾ أي الغنيمة ﴿ **ومنكم منْ يُريدُ الآخِرَةَ** ﴾ وهمُ الذين ثبتوا في مواقعهم كما أمرهم النبي ﷺ ونالوا شرف الشهادة ﴿ **ثمّ صَرَفكم عنهم ليبتليَكم** ﴾ فيجعل ذلك الصرف امتحاناً لكم لتتوبوا إلى الله وتستغفروه فيما خالفتم فيه أمره ، وملتم إلى الغنيمة ﴿ **ولقد عَفَا عنكم ، واللَّهُ ذُو فضلٍ على المؤمنينَ** ﴾ في كل الأحوال ، إما بالنصر وإما بالابتلاء الذي يؤدي إلى فوائد عديدة كالتمرن على الصبر والثبات ، ولا يميلوا إلى الدنيا وزخرفها ، ولا يذهلوا عن الحق ، وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحصوا عن ذنوبهم وينالوا درجة الشهادة فيلقوا الله ظاهرين .

[١٥٣] ﴿ **إذْ تُصعِدونَ ولا تلْوُونَ على أحدٍ** ﴾ أي تبعدون في الفرار ولا تتوقفون وتلتفون حول أحدٍ لا من قريب ولا من بعيد لما أصابكم من الروع ﴿ **والرَّسولُ يدعوكم في أُخراكُمْ** ﴾ وهو ثابت في مكانه مع نفر يسير من إخوانكم وجماعتكم الذين ثبتوا في مؤخرة الجند يواجهون العدو ﴿ **فَأَثابَكم** ﴾ أي جازاكم بهذا الهرب ﴿ **غَمّاً بغمٍّ لكيلا تحزَنُوا على ما فَاتَكُمْ** ﴾ لتتمرنوا بالصبر على الشدائد ، فلا تحزنوا على ما فاتكم من الحظوظ والمنافع ﴿ **ولا ما أصَابَكُمْ** ﴾ من الغم والضرر ﴿ **واللَّهُ خبيرٌ بما تَعملونَ** ﴾ من خير أو شر ، وهو قادر على مجازاتكم .

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ
مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ
ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ
يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ
فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا
كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا
ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا
قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عليكم من بعدِ الغمِّ أَمَنَةً ﴾ أي أمناً، وهو ﴿ نُعَاساً يغشى طائفةً منكم ﴾ وهم المخلصون، والنعاس في حال الحرب دليل على الأمان ﴿ وطائفةٌ قدْ أهمّتْهُم أنفُسُهمْ ﴾ فلم يغشهم النعاس من القلق والجزع والخوف على أنفسهم وسلامتهم الشخصية فقط ﴿ يظنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحقِّ ﴾ الذي يجب أن يُظن به سبحانه ﴿ ظنَّ الجاهليَّة، يقولونَ: هل لنا من الأمرِ منْ شيءٍ ﴾ وهو استفهام إنكاري، أي: ما لنا أمر يُطاع، وذلك أن عبد الله بن أبيّ لما شاوره النبي ﷺ في هذه الواقعة، أشار عليه بأن لا يخرج من المدينة، ولما رجع عبد الله بن أبي بمن معه، وأُخبر بكثرة القتلى من الخزرج، قال: هل لنا من الأمر شيء؟ يعني أن محمداً ﷺ لم يقبل قولي حين أمرته بأن يبقى في المدينة ولا يخرج منها ﴿ قُلْ إنَّ الأمرَ كُلَّهُ للَّهِ ﴾ فالله تعالى دبر الأمر كما جرى في سابق قضائه ولا مردّ لحكمه ﴿ يُخفُونَ في أنفُسِهم ﴾ يضمرون فيها، أو يقولون فيما بينهم خفية ﴿ ما لا يُبدونَ لكَ، يقولونَ لوْ كانَ لنا منَ الأمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا هُهُنا ﴾ أي: ما غُلبنا، أو ما قُتل منْ قتل منا ﴿ قُل: لو كُنتم في بيوتِكم لبرز ﴾ أي خرج ﴿ الذين كُتِبَ عليهم القتْلُ ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ إلى مَضَاجِعِهم ﴾ أي المكان الذي قدّر الله قتلهم فيه ولم يثبتوا في ديارهم لأنه يوقع في قلوبهم الخروج إمضاءً لقدره وحكمه المحتوم الذي لا يقع خلافه ولا يرد ﴿ وليبتليَ اللَّـهُ مَا في صُدُورِكم ﴾ فيمتحنكم ليستخرج ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق، ليجعله حجة عليكم ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ما في قلوبكم ﴾ أي يخلصه وينقيه ويهذبه ﴿ واللَّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ ﴾ وهي الضمائر الملازمة لها.

[١٥٥] ﴿ إنَّ الذينَ تولَّوْا منكم ﴾ عن القتال ﴿ يومَ التقى الجمعانِ ﴾ وهما: جمع المسلمين وجمع المشركين في معركة أُحُد ﴿ إنَّما استزلَّهُمُ الشيطانُ ﴾ أي دفعهم إلى الزلل بمكره مع وعد الله بالنصر ﴿ ببعضِ ما كَسَبُوا ﴾ من الذنوب والمعاصي ﴿ ولَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بعد ندمهم وتوبتهم لأن فرارهم لم يكن عن نفاق ﴿ إن اللَّهَ غفورٌ حليمٌ ﴾ يغفر الذنب ويتجاوز عن عباده.

[١٥٦] ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تكونوا كالَّذين كَفَرُوا ﴾ وهم المنافقون القائلون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا ﴿ وَقَالُوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرضِ ﴾ أي سافروا فيها للتجارة فأصيبوا بأذى أو قتل ﴿ أو كانوا غُزّىً ﴾ جمع غازٍ فقاتلوا أو قتلوا ﴿ لو كانوا عندنا ﴾ مقيمين بيننا ﴿ ما ماتوا وما قُتِلُوا، ليجعلَ اللَّهُ ذلِكَ ﴾ القول ﴿ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ، واللَّـهُ يُحيي ويميتُ ﴾ فالله وحده المؤثر في الحياة والممات، وقد يحيي المسافر والمقاتل مع تعرضهما للأخطار ويُميت المقيم مع توفر أسباب السلامة والأمن ﴿ واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ بصيرٌ ﴾ تهديد للمؤمنين إن هم تشبّهوا بالمنافقين والكفّار في شكّهم بنصر الله أو عدم اعتقادهم بالقدر.

[١٥٧] ﴿ ولئنْ قُتِلْتُمْ في سبيلِ اللَّـهِ أو مُتُّمْ ﴾ من غير قتال ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ تنالكم ﴿ ورحمةٌ خيرٌ ممَّا يجمعونَ ﴾ أي ما يجمع الكفّار من منافع الدنيا وطيباتها الفانية. [قال أبو جعفر: وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة، وأخبرهم أن موتاً في سبيل الله أو قتلاً في الله خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها].

وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ
فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ
فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن
يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ
يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ
قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿ **ولئن مُتُّم أو قُتِلْتُمْ** ﴾ لأي سبب كان ﴿ **لَإلى اللّهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ تُجمعون إليه فيجزيكم بأعمالكم .

[١٥٩] ﴿ **فَبِمَا رحمةٍ من اللّهِ لِنْتَ لهم** ﴾ المقصود بذلك أولئك الذين تابوا وعادوا والتفوا حول النبي ﷺ بعد الانهزام يوم أُحُد ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فظًّا** ﴾ سيء الخلق خشن الكلام ﴿ **غليظَ القَلْبِ** ﴾ تعاملهم بالعنف والجفاء ﴿ **لانفضُّوا منْ حولِكَ** ﴾ أي تفرّقوا عنك ﴿ **فاعْفُ عَنْهُمْ** ﴾ فيما آذوك فيه كما عفا الله عنهم ﴿ **واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاوِرْهُم في الأَمْرِ** ﴾ في أمر الحرب وغيره ﴿ **فإذا عَزَمْتَ** ﴾ بعد المشاورة على أمر واطمأنت نفسك به ﴿ **فتوكّل على اللّهِ** ﴾ قال الرازي [فخر الدين ، محمد بن عمر، ت ٦٠٦ هـ] دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يُهمل الإنسان نفسه ، كما يقول بعض الجهال ، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ﴿ **إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المتوكّلينَ** ﴾ عليه .

[١٦٠] ﴿ **إن يَنْصُرْكُمُ اللّهُ** ﴾ كما نصركم يوم بدر ﴿ **فلا غالِبَ لكم وإن يَخْذُلْكم** ﴾ كما فعل يوم أُحُد ﴿ **فَمَنْ ذا الذي يَنْصُرُكُم مِنْ بعدِهِ** ﴾ استفهام إنكاري وهو تنبيه على أن الأمر كله لله ، وفيه ترغيب في الطاعة وتحذير من المعصية ﴿ **وعلى اللّهِ فليتوكّلِ المُؤْمِنُونَ** ﴾ .

[١٦١] ﴿ **وما كانَ لنبيٍّ أنْ يَغُلَّ** ﴾ أي أن يخون في المغنم ، والغلول : أخذ شيء من الغنيمة قبل القسمة عدواناً وظلماً ، وفي الآية تنزيه لمقام النبي ﷺ الرفيع وتنبيه على عصمته . قال ابن عباس : فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله ﷺ أخذها ، فأنزل الله ﴿ وما كان لنبي أن يغل﴾ ﴿ **ومَنْ يَغْلُلْ يأتِ بما غلَّ يَوْمَ القِيامَةِ** ﴾ أي يحمله على ظهره ليفتضح في المحشر ﴿ **ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نفسٍ ما كَسَبَتْ** ﴾ تُعطى جزاء ما عملت وافياً ﴿ **وهم لا يُظْلَمُونَ** ﴾ فلا ينقص ثواب المطيع ، ولا يُزاد في عقاب العاصي .

[١٦٢] ﴿ **أفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللّهِ** ﴾ بالطاعة ﴿ **كَمَنْ بَاءَ** ﴾ رجع ﴿ **بِسَخَطٍ منَ اللّهِ** ﴾ بسبب المعاصي ، والسخط : الغضب الشديد ﴿ **وَمَأْوَاهُ جهنَّمُ وبئس المَصِيرُ** ﴾ .

[١٦٣] ﴿ **هم درجاتٌ عِنْدَ اللّهِ** ﴾ أي طبقات متفاوتة ، لاختلاف أحوالهم في الثواب والعقاب ﴿ **واللّهُ بصيرٌ بما يَعْمَلُونَ** ﴾ فيجازيهم بأعمالهم .

[١٦٤] ﴿ **لقد مَنَّ اللّهُ** ﴾ أي أنعم ﴿ **على المؤمنين إذْ بَعَثَ فيهم رَسُولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ** ﴾ عربياً مثلهم ﴿ **يَتْلُو عَلَيْهِم آياتِهِ** ﴾ يعني القرآن ﴿ **ويُزَكِّيهِمْ** ﴾ يطهرهم من الذنوب والشركِ بدعوته ﴿ **ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ** ﴾ أي القرآن ﴿ **والحِكْمَةَ** ﴾ السُنَّة ﴿ **وإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ** ﴾ أي من قبل بعثته ﷺ وتزكيته ﴿ **لَفِي ضلالٍ مُبينٍ** ﴾ ظاهر واضح من عبادة الأوثان وأكل الخبائث وعدوان بعضهم على بعض .

[١٦٥] ﴿ **أَوَلَمَّا أصابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُم : أنَّى هذا** ﴾ أي حين أصابتكم مصيبة ، وهي قتل سبعين منكم يوم أُحُد ، مع أنكم نلتم ضعفيها يوم بدر إذ قتلتم سبعين من المشركين وأسرتم سبعين ، قلتم : لِمَ أصابنا هذا ، وقد وعدنا اللّهُ النصر؟ ﴿ **قُل : هُوَ مِنْ عِنْدِ أنفُسِكُمْ** ﴾ هو مما اقترفته أنفسكم من مخالفة أمر الرسول ﷺ بترك المراكز التي حددها لكم قبل المعركة ﴿ **إنَّ اللّهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه .

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

[١٦٦] ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ** ﴾ المسلمون والمشركون يوم أُحُد ﴿ **فَبِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ أي بقضائه ، وبيّن الحكمة من ذلك بقوله ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا .

[١٦٧] ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الذينَ نافَقُوا** ﴾ أي ليتميز فيه أحد الفريقين من الآخر تميّزاً ظاهراً ﴿ **وقيلَ لهم** ﴾ أي للمنافقين ﴿ **تَعالَوْا قَاتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أو ادْفَعُوا** ﴾ يعني إن لم تقاتلوا لوجه الله تعالى فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأموالكم ﴿ **قَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ قتالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ** ﴾ يعنون : لو نعلم أنكم تلقون حرباً لجئنا معكم ، ولكن لا تلقون قتالاً ﴿ **هُمْ للكُفْرِ يومئذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ للإيمانِ** ﴾ في الظاهر ، مع أنه لا إيمان للمنافقين في الباطن أصلاً ﴿ **يَقُولُونَ بأفواهِهِمْ مَا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ** ﴾ يظهرون خلاف ما يُضمرون ﴿ **واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** ﴾ .

[١٦٨] ﴿ **الذينَ قالوا لإخوانهم** ﴾ من شهداءِ أُحُد ﴿ **وقَعَدُوا** ﴾ أي خذلوهم ولم يساعدوهم في قتالهم ﴿ **لَوْ أطاعونا** ﴾ في الرجوع إلى المدينة ﴿ **ما قُتِلُوا** ﴾ كما لم نُقتل [فجعلوا من تخلفهم حكمة ومصلحة ومن طاعة الرسول ﷺ واتباعه مغرماً ومضرةً] ﴿ **قُلْ** ﴾ كأنّكم تزعمون ادعاء القدرة على دفع الموت ﴿ **فادْرَؤوا** ﴾ أي ادفعوا ﴿ **عنْ أنفُسِكُمُ الموتَ** ﴾ فإنها أقرب إليكم من أنفسهم ﴿ **إنْ كُنْتُمْ صادقينَ** ﴾ في أن الحذر يغني من الموت .

الحزب ٨

[١٦٩] ﴿ **ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سبيلِ اللَّهِ أمْواتاً** ﴾ تعطلت أرواحهم ﴿ **بل** ﴾ هم ﴿ **أحياءٌ عنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ** ﴾ رزقاً حقيقياً لا معنوياً . [قال جماعة من أهل التفسير: نزلت الآية في شهداء بئر معونة ، وقصتهم مشهورة ذكرها محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي ، وقال آخرون : إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسَّروا وقالوا : نحن في نعمة وسرور وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور! فأنزل الله تعالى هذه الآية تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلاهم ـ النيسابوري] . وفي الحديث : (الشهداء على بارق ـ نهر بباب الجنة ـ فيه قبة خضراء ، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية) رواه أحمد .

[١٧٠] ﴿ **فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ من الثواب والكرامة والإحسان ﴿ **ويَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ** ﴾ من إخوانهم المجاهدين ﴿ **مِنْ خلْفِهِمْ** ﴾ لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ﴿ **ألاَّ خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ ذلك أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة . والمراد بالمؤمنين : إما الشهداء ، وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم .

[١٧١] ﴿ **يستبشرون بِنِعْمَةٍ من اللَّهِ وفَضْلٍ وأنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي يسرون بما أنعم الله عليهم ، وما تفضّل عليهم من زيادة الكرامَة .

[١٧٢] ﴿ **الذين استجابوا للَّهِ والرَّسُولِ** ﴾ استجابوا لدعوة الله ورسوله لقتال جيش قريش بعد معركة أُحُد إرهاباً له ﴿ **مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ القَرْحُ** ﴾ الجراح يوم أُحُد ﴿ **للذينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ** ﴾ بطاعة الله ورسوله ﴿ **واتَّقَوْا** ﴾ مخالفته ﴿ **أجْرٌ عظيمٌ** ﴾ .

[١٧٣] ﴿ **الذينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ : إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخشوْهُمْ** ﴾ أي توعّدوهم بكثرة الأعداء ﴿ **فَزادَهُمْ** ﴾ ذلك القول ﴿ **إيماناً** ﴾ بالله ويقيناً والمعنى : أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا ، بل ثبت به عزمهم على طاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمر به وينهى عنه ﴿ **وقالوا : حَسْبُنا اللَّهُ** ﴾ فهو يكفينا أمرهم على ضعف عددنا وعدتنا ﴿ **ونِعْمَ الوَكِيلُ** ﴾ أي فوّضوا أمرهم إليه .

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

[١٧٤] ﴿ فانقَلَبُوا ﴾ أي رجعوا من غزوة حمراء الأسد ﴿ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّـهِ وفضْلٍ ﴾ يعني : العافية وكمال الشجاعة وزيادة الإيمان والتصلب في الدين ﴿ لم يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ أي لم يصبهم قتل ولا جراح ﴿ واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ ﴾ في طاعة رسوله ﴿ واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ تفضل عليهم بالعافية وبالحفظ من كل سوء .

[١٧٥] ﴿إنَّما ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ أي قول الشيطان ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ ﴾ من يتبعه ﴿ فلا تَخافُوهُم ﴾ فلا تخافوا أولياء الشيطان ﴿ وخافُونِ ﴾ فلا تخالفوا أمري وأمر رسولي ﴿ إن كُنْتُم مُؤمنِينَ ﴾ فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله تعالى على خوف غيره .

[١٧٦] ﴿ ولا يَحْزُنْكَ الذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفْرِ ﴾ لا تهتم ولا تبال بما يلوح منهم من الكيد للإسلام وأهله ﴿ إنَّهم لنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ﴾ أي لن يضروا بذلك أولياء الله لأنهم بحمايته ، بل ﴿ يُرِيدُ اللَّـهُ ألَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حظًّا في الآخِرَةِ﴾ أي نصيباً من الثواب في الآخرة ﴿ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾ .

[١٧٧] ﴿ إنَّ الذينَ اشْتَرَوُا ﴾ أي استبدلوا ﴿ الكُفْرَ بالإيمانِ لنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شيئاً وهم عذابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[١٧٨] ﴿ ولا يَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا أنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ بتطويل أعمارهم وإمهالهم ﴿ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ ﴾ بل هو سبب مزيد عذابهم ، لأنه ﴿ إنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً ﴾ بكثرة المعاصي فيزدادوا عذاباً ﴿ وَلَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عذابٌ مُهِينٌ ﴾ ذو إهانة في أسفل دركات النّار [وهو كقوله ﴿ فلا تُعْجِبْكَ أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله لِيُعذِّبَهم بها في الحياة الدنيا وتَزْهَق أنفُسُهم وهم كافرون ﴾ سورة التوبة : الآية : ٥٥] .

[١٧٩] ﴿ ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ ﴾ أي يترك ﴿ المؤمنِينَ على ما أَنْتُمْ عليهِ ﴾ من اختلاط المنافقين بالمؤمنين وعدم تميّزهم ﴿ حتَّى يَمِيزَ الخبيثَ ﴾ المنافق ﴿ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ المؤمن [قال مجاهد : ميَّز بينهم يوم أُحُد ، وقال قتادة : ميَّز بينهم بالجهاد والهجرة] ﴿ وما كان اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ ﴾ الذي يميز به ما في قلوب الخلق من الإيمان والكفر ﴿ ولكنَّ اللَّهَ يجتبي ﴾ يصطفي ويختار ﴿ من رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ ﴾ كما أوحى إلى النبيّ ﷺ بما ظهر منهم من الأقوال والأفعال ﴿ فآمِنُوا باللَّهِ ورُسُلِه ، وإنْ تُؤْمِنُوا ﴾ فتصححوا الاعتقاد ﴿ وتَتَّقُوا ﴾ فتصلحوا العمل ﴿ فلكم أجرٌ عظيمٌ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بما آتاهُمُ اللَّـهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خيراً لَـهُمْ ﴾ تهديد ووعيد للغنيّ البخيل الذي لا ينفق في سبيل الله ﴿ بَلْ هُوَ شَرٌ لَـهُمْ ﴾في الدنيا والآخرة ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا به يومَ القِيامَةِ ﴾ سيكون لهم كالطّوق ، يعذبون بسبب بخلهم . وفي الحديث : (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ، مُثّـِلَ له يوم القيامة شجاعاً ـ نوع من الحيات ـ أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك) رواه البخاري ﴿ ولِلَّهِ ميراثُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ فمرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل وهو الذي يُفني أهل السمٰوات والأرض ، فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم القيامة ﴿ واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ خبيرٌ﴾ فيجازيكم على المنع والبخل . [أجمع جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة . وروى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ونبوته . وأراد بالبخل : كتمان العلم الذي آتاهم الله تعالى ـ النيسابوري] .

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

ربع الحزب ٨

[١٨١] ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الذينَ قَالُوا : إنَّ اللَّهَ فقيرٌ ونَحْنُ أَغْنِيَاءُ** ﴾ عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى : ﴿ منْ ذا الذي يُقرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أضْعَافاً كثيرةً ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٤٥] قالت اليهود : يا محمد أَفتقر ربُّك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ **سَنَكْتُبُ ما قَالُوا** ﴾ من افترائهم على الله الكذب ﴿ **وقَتْلَهُمُ الأنْبِيَاءَ بغير حقٍّ** ﴾ ومن اجترأ على قتل الأنبياء لم يُستبعد منه هذا الكلام ﴿ **ونَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ** ﴾ .

[١٨٢] ﴿ **ذلكَ بِمَا قدَّمَتْ أيْدِيكُمْ** ﴾ يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً ، بسبب أقوالهم وأفعالهم ﴿ **وأنَّ اللَّهَ لَيْسَ بظلاَّمٍ للعَبِيدِ** ﴾ .

[١٨٣] ﴿ **الذينَ قالوا : إنَّ اللَّهَ عَهِدَ إلَيْنا** ﴾ أي أمرنا ﴿ **ألاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، قُلْ** ﴾ إظهاراً لكذبهم ﴿ **قَدْ جاءَكم رُسُلٌ من قَبْلي بالبيِّناتِ** ﴾ أي المعجزات الواضحة ﴿ **وبالذي قُلْتُمْ** ﴾ من القربان الذي تأكله النار . [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : كان الرجل يتصدق ، فإذا تُقُبِّلَ منه ، أنزلت عليه نار من السماء فأكلته] ﴿ **فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ** ﴾ فلم كذبتموهم وخالفتموهم وعاندتموهم وقتلتموهم ﴿ **إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ في أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل .

[١٨٤] ﴿ **فَإنْ كَذَّبُوكَ** ﴾ بعد بطلان عذرهم المذكور ﴿ **فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤوا بالبيّناتِ والزُّبُرِ** ﴾ جمع زبور ، وهي الكتب الموحى بها من الله تعالى ﴿ **والكِتابِ المُنِيرِ** ﴾ أي الواضح الجليّ المشتمل على جميع أحكام الشريعة .

[١٨٥] ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ** ﴾ في هذه الآية تعزية لجميع الناس ، وفيها وعد ووعيد للمصدّق والمكذّب ﴿ **وإنّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ** ﴾ أي تنالون يوم القيامة جزاء أعمالكم بالتمام ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿ **فمن زُحْزِحَ** ﴾ أُبْعِدَ ﴿ **عَنِ النَّارِ** ﴾ وهي مجمع الآفات والشرور ﴿ **وأُدْخِلَ الجنَّةَ** ﴾ الجامعة للّذات والسرور ﴿ **فقد فازَ** ﴾ الفوز العظيم . وفي الحديث : (من أحب أن يزحزح عن النّار ويدخل الجنّة ، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى النّاس ما يحب أن يُؤتى إليه) رواه أحمد ﴿ **وَمَا الحياةُ الدُّنْيا** ﴾ أي لذّاتها ﴿ **إلاَّ مَتاعُ الغُرُورِ** ﴾ المتاع : ما يتمتع وينتفع به ، والغرور من غره بمعنى : خدعه وأطمعه بالباطل . [عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (موضع سوط في الجنة ، خير من الدنيا وما فيها ، واقرأوا إن شئتم ﴿وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ﴾) رواه ابن جرير في التفسير] .

[١٨٦] ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ** ﴾ لتُختبَرُنَّ ﴿ **في أَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ** ﴾ أي لابد أن يُبتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده ، وهذا كقوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنْفُسِ والثمراتِ وبشر الصابرين ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٥٥] . وفي الحديث : (يُبْتلى العبد على قدر دينه) رواه أحمد ﴿ **ولَتَسْمَعُنَّ مِنَ الذينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ومنَ الذين أَشْرَكُوا أذىً كثيراً** ﴾ بالقول والفعل ﴿ **وإنْ تَصْبِرُوا** ﴾ على ذلك ﴿ **وتتّقوا** ﴾ فلا تخالفوا أمره ﴿ **فإنَّ ذلك** ﴾ الصبر والتقوى ﴿ **مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ مما عزم الله عليه وأمركم به .

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[١٨٧] ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ** ﴾ وهم علماء اليهود والنصارى ﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ** ﴾ أي الميثاق ﴿ **وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** ﴾ أي طرحوه ولم يراعوه واستهانوا به ﴿ **واشْتَرَوْا بِهِ** ﴾ أي استبدلوا به ﴿ **ثَمَناً قَلِيلاً** ﴾ أي شيئاً حقيراً من حطام الدنيا ﴿ **فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ** ﴾ وفي الحديث : (من سُئل عن علم ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار) أخرجه الترمذي .

[١٨٨] ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الذينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا** ﴾ أي بما فعلوا من تغيير كلام الله ﴿ **ويُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا** ﴾ من الوفاء بعهد الله وميثاقه ﴿ **فلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ** ﴾ أي بمنجاة ﴿ **مِنَ العذابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ جزاء كفرهم وتغييرهم .

[١٨٩] ﴿ **وللَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ والأَرْضِ ، واللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ فهو قادرٌ على عقابهم .

[١٩٠] ﴿ **إِنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ** ﴾ أي في إيجادهما على ما هما عليه من الأمور المُدْهشة العظيمة ﴿ **واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ** ﴾ في تعاقبهما ، وكون كل منهما خلفة للآخر ﴿ **لآيَاتٍ** ﴾ لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته ﴿ **لأُولي الأَلْبَابِ** ﴾ ذوي العقول . [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتت قريش اليهود فقالوا : ما جاءكم به موسى من الآيات؟ قالوا : عصاه ، ويده بيضاء للناظرين . وأتوا النصارى فقالوا : كيف كان عيسى فيكم؟ فقالوا : يبرىء الأكمة والأبرص ، ويحيي الموتى . فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً فأنزل الله : ﴿إنَّ في خلق السَّموات والأرض واختلافِ الليل والنهار لآياتٍ لأُولي الألباب﴾ [النيسابوري] .

[١٩١] ﴿ **الذينَ يَذْكُرونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِمْ** ﴾ أي يذكرونه تعالى على كل حال ﴿ **ويتفكَّرونَ في خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ** ﴾ وفي الحديث : (لا تفكروا في الله ، ولكن تفكروا فيما خلق) أخرجه ابن أبي حاتم ﴿ **رَبَّنَا ما خَلَقْتَ هذا بَاطِلاً** ﴾ عارياً عن الحكمة ، خالياً عن المصلحة ، بل منتظماً لحِكَم جليلة ومصالح عظيمة ﴿ **سُبْحَانَكَ** ﴾ أي تنزيهاً لك من العبث ، وأن تخلق شيئاً بغير حكمة ﴿ **فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ وفي الحديث : (إذا صلى أحدُكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه ، والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بعدُ بما شاء) رواه أبو داود .

[١٩٢] ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ من تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ** ﴾ أي أهنته وأظهرت فضيحته لأهل الموقف ﴿ **وما للظَّالمينَ** ﴾ المقصود : الكفار ﴿ **مِنْ أَنْصارٍ** ﴾ يخلصونهم من عذاب الله .

[١٩٣] ﴿ **ربَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً** ﴾ المراد بالمنادي : الرسول ﷺ ﴿ **يُنَادِي للإِيمانِ** ﴾ بالله ﴿ **أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا** ﴾ وأجبنا نداءه ﴿ **رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا** ﴾ أي استر لنا ذنوبنا ولا تفضحنا بها ، وأذهب عنا سيئاتنا بتبديلها حسنات ﴿ **وتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرارِ** ﴾ جمع بارّ أو برّ وهو كثير البِرّ أي الطاعة .

[١٩٤] ﴿ **رَبَّنَا وآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ** ﴾ أي على تصديق رسلك والإيمان بهم ، أو على ألسنة رسلك ، وهو الثواب ﴿ **ولا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ** ﴾ الخزي : الهوان والفضيحة .

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

[١٩٥] ﴿ فاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ أي كلكم بنو آدم ﴿ فالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ عن أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دار الفتنة ﴿ وأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ التي وُلدوا فيها ونشأوا ﴿ وأُوذُوا فِي سَبِيلِي ﴾ سبيل الإيمان باللّه وحده ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ولأُدْخِلَنَّهُمْ جنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا ﴾ من تحت قصورها ﴿ الأَنْهَارُ ﴾ من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ ثواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ أي حُسن الجزاء لمن عمل صالحاً.

[قالت أم سلمة : يا رسول الله ﷺ لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربُّهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى ﴾ رواه الحاكم في صحيحه - النيسابوري].

[١٩٦] ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ ﴾ أي تصرفهم فيها بالتجارة والكسب وسعة الرزق.

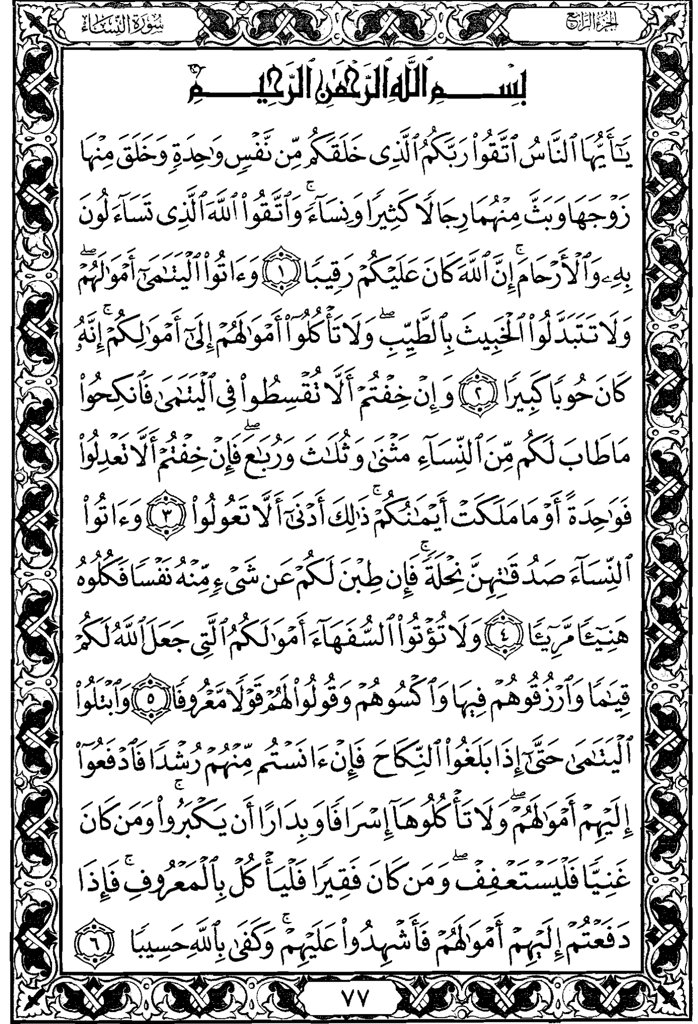
[١٩٧] ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ بالنسبة لما أعدّه الله للمؤمنين. وفي الحديث : (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ ، فلينظر بم يرجع ؟) رواه مسلم ﴿ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي أن جهنم هي مصيرهم الذي إليه يأوون ﴿ وبِئْسَ المِهَادُ ﴾ الفراش.

[١٩٨] ﴿ لكن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ النزل : المنزل ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرارِ ﴾ أي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل. روي عن ابن مسعود وأبي الدرداء أنه : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، لقد قال الله تعالى ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ ويقول ﴿ ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنّما نُملي لهم خير لأنفسهم إنما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ١٧٨].

[١٩٩] ﴿ وإنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ ﴾ حقَّ الإيمان ﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ أي بما أُنزل على محمد ﷺ ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من الكتب السابقة ﴿ خَاشِعِينَ للَّهِ لا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمناً قَلِيلاً ﴾ أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ﷺ ﴿ أُولئِكَ لَهُمْ أجرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب لما قرأ سورة - كهيعص - بحضرة النجاشي ملك الحبشة ، وعنده البطاركة والقساوسة ، بكى وبكوا معه ، حتى أخضبوا لحاهم - رواه أحمد.

[٢٠٠] ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ على الطاعات وما يصيبكم من المكاره والشدائد ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ أي غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الجهاد ﴿ وَرابِطُوا ﴾ أي أقيموا على الترصّد بالعدو والاستعداد لحربه. وفي الحديث : (رباط يوم في سبيل الله ، خير من الدنيا وما عليها) رواه البخاري. وكذلك : (كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر) رواه أحمد ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما عليكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي تفوزون.

قال الحافظ ابن كثير : قد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجُّدِه.


الجزء الرابع سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

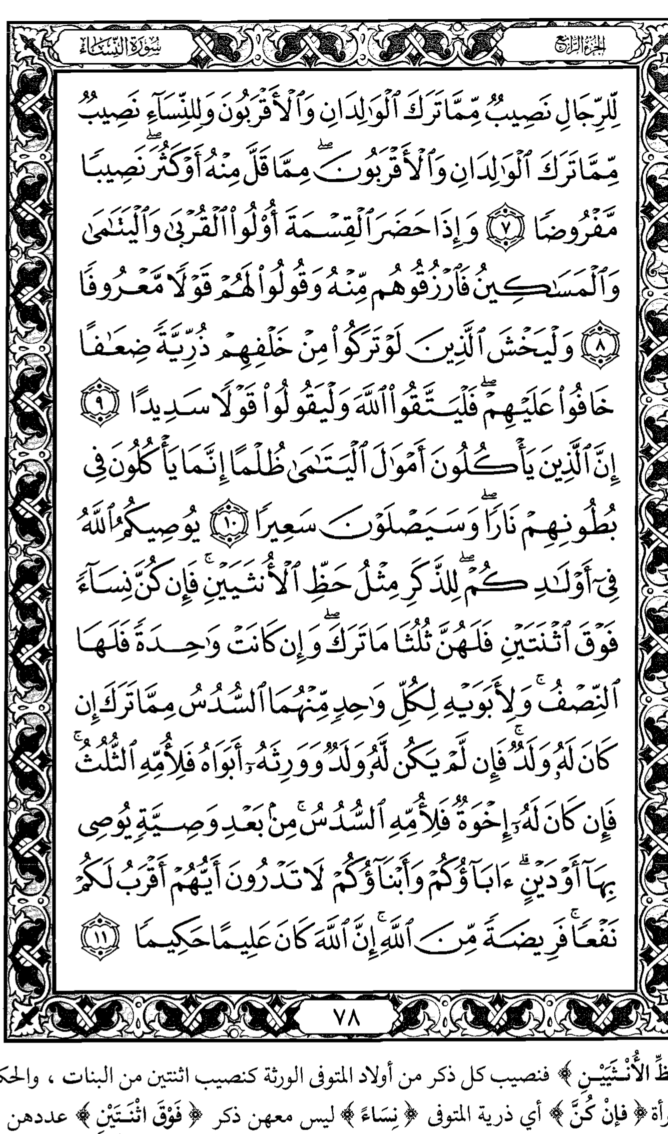
٧٧

[سورة النساء]



مدنيّة وآياتها ١٧٦ ، وسميت النساء لأن ما نـزل منهـا في أحكـامهـن أكثـر ممـا نـزل في غيرها .

[١] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ فلا تخالفوه فيما أمركم بـه أو نهاكم عنـه ﴿ الـذي خَلَقَكُـمْ مِنْ نفسٍ واحدةٍ ﴾ أي فرّعكم من أصل واحد ، وهو نفس أبيكم آدم ﴿ وخلقَ منها زَوْجَهَا ﴾ يعني من جنسهـا ليكـون بينهما مـا يوجب التـآلف ﴿ وبثَّ منهما ﴾ نشر بطـريق التوالد والتناسل ﴿ رِجالاً كثيراً وَنِساءً، واتَّقُوا اللَّهَ الذي تَسَاءَلُونَ بـهِ والأرحامَ ﴾ اتقوا قطع العـلاقات بين ذوي القربى ﴿ إنَّ اللَّهَ كانَ عليكمْ رقيباً ﴾ أي مراقباً لجميع أحـوالكم وأعمالكم . [٢] ﴿ وآتُوا اليَـتَامَى أمْوالَهم ﴾ الخطاب موجّه للأوليـاء والأوصياء آمراً بدفع الحقوق إلى اليتامى ﴿ ولا تتبدَّلوا الخَبيثَ بالطَّيِّبِ ﴾ أي ولا تستبدلوا الحرام ـ وهو مال اليتامى ـ بالحلال ، وهو مالكم ﴿ ولا تأكُلوا أمْوالَهم إلى أمْوالِكُمْ ﴾ لا تخلطوا أموالهم بأموالكم لتأكلوهـا ﴿ إنَّه كانَ حُوباً كبيراً ﴾ أكل مـال اليتيم من الذنوب العظيمة . [٣] ﴿ وإنْ خِفْتُم ألاَّ تُقْسِطُوا ﴾ أي أن لا تعدلوا ﴿ في اليتامى ﴾ أي يتامى النساء ، فسّرت أم المؤمنين عائشة ذلك : « باليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ، ويعجبـه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتـزوجهـا بغير أن يقسط في صداقهـا فيعطيهـا مثل مـا يعطيها غيره » ﴿ فانكِحُوا ما طابَ لكُمْ منَ النِّساءِ ﴾ من غير اليتامى المذكورات ﴿ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ فإنْ خِفتُم ألاَّ تَعْدِلُوا ﴾ بين الزوجات ﴿ فواحِدةً ﴾ فحسبكم واحدة ﴿ أو ما مَلَـكَتْ أيمانُـكُمْ ﴾ من الإماء ﴿ ذلكَ ﴾ الاقتصار على واحدة أو التسري بـالإماء ﴿ أَدْنَى ﴾ أقرب ﴿ ألاَّ تَعُولُوا ﴾ من أن لا تميلوا ولا تجوروا ، وقد استـدل العلماء على أن العدل واجب بين الزوجات ، وأن من عـرف أنه لا يعدل تحرم عليه الزيادة على واحدة . [٤] ﴿ وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِـهِنَّ ﴾ أعطوا المهور للزوجات ﴿ نِحْلةً ﴾ عطاءً عن رضى وطيب خـاطر ﴿ فإنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منْهُ نفساً ﴾ فإن تنازلن لكم عن شيء من المهر بطيبة النفس ﴿ فَكُلُوهُ هنيئاً مريئاً ﴾ فخذوه وتصرفوا فيه . [٥] ﴿ ولا تُؤتُوا السُّفهاءَ ﴾ جمع سفيه ، وهو كل من لم يكن له عقل يفي بحفظ المال ﴿ أمْوالَـكُمُ ﴾ أضيفت للأولياء ، وهي لليتامى ، مبالغة في حملهم على المحافظة عليها ﴿ التي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً ﴾ أي جعلها الله شيئاً تقومون وتنتعشون به ، فلو ضيعتموها لضعتم ﴿ وارْزُقُوهُمْ فيها واكْسُوهُمْ ﴾ بأن تتاجروا وتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الأرباح لا من صلب المال ﴿ وقُولُوا لهم قولاً مَعْرُوفاً ﴾ أي كلاماً ليّناً تطيب به نفوسهم . [٦] ﴿ وابْتَلُوا اليَتامىٰ ﴾ أي اختبروا عقولهم ومعـرفتهم بالتصرف ﴿ حتَّى إذا بَلَغُوا النِّكاحَ ﴾ إما بالاحتـلام أو ببلوغ خمس عشرة سنة ﴿ فإنْ آنسْتُمْ ﴾ شاهدتم وتبيّنتم ﴿ منهم رُشْداً ﴾ أي صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم ﴿ فادْفَعُوا إليهم أموالَـهم ﴾ من غير تأجيل ﴿ ولا تَأْكُلُوهَا ﴾ أيها الأولياء ﴿ إسْرافاً ﴾ أي مسرفين ومبذّرين ﴿ وبِداراً أنْ يَكْبَرُوا ﴾ مسارعين في إنفـاقها قبل أن يكبر اليتـامى فيستردّونها منكم ﴿ ومَنْ كانَ ﴾ من الأولياءِ ﴿ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ يتنزه عن أكـل مال اليتيم ﴿ وَمَنْ كانَ فقيراً ﴾ يمنعـه اشتغالـه بمال اليتيم عن الكسب ﴿ فلْيأكُلْ بالمعروفِ ﴾ بقدر حـاجته الضروريـة وأجرة سعيـه وخدمتـه لليتيم ﴿ فإذا دفعتُـم إليهم أموالَـهم ﴾ بعد البلوغ والرشد ﴿ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ عند الدفع بأنهم قبضوها ﴿ وكفى باللهِ حسيباً ﴾ أي كافياً في الشهادة عليكم بالدفع والقبض ، أو محاسباً .



لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

[٧] ﴿ لِلرِّجَالِ ﴾ من الأولاد والأقرباء ﴿ نَصِيبٌ ممَّا تَرَكَ الوالِدَانِ والأَقْرَبُونَ ﴾ المتوفَّون ﴿ وللنِّساءِ نصيبٌ ممَّا تَرَكَ الوالـدانِ والأقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منه ﴾ مال التَّرِكة ﴿ أو كَثُرَ نصيباً مَفْرُوضاً ﴾ مقطوعاً واجباً لهم .

[٨] ﴿ وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ ﴾ أي قسمة التركة ﴿ أُولوا القُرْبَى ﴾ الأقارب ممن لا يرث ﴿ واليتامى والمساكِينُ ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم من المال ﴿ فارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ أي أعطوهم من الميراث شيئاً ﴿ وقُولُوا لهم قَولاً مَعْرُوفاً ﴾ وهذا على سبيل الاستحباب لا على سبيل الوجوب .

[٩] ﴿ ولْيَخْشَ الذينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ مِنْ بعد وفاتهم ﴿ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً ﴾ من فقر أو سواه ﴿ خَافُوا عَلَيْهِمْ فليتَّقوا اللّهَ ﴾ لأن تقوى الآباءِ لله تحفظ الأبناءَ ﴿ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ فلا يسرفون في الوصية ، كما تتضمن الآية الاهتمام بمعاملة اليتيم بالقول الليّن والكلمة الطيبة .

[١٠] ﴿ إنَّ الَّذينَ يأكُلُونَ أَمْوالَ اليَتَامى ظُلْماً ﴾ من الورثة أو أولياء السوء وقضاته ﴿ إنَّما يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً ﴾ أي ما يجرّ إلى النّار ﴿ وَسَيَصْلَوْن ﴾ يوم القيامة ﴿ سعيراً ﴾ أي ناراً مستعرة . [وفي الحديث : (يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً ، قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : ألم تر أن الله قال ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ﴾) الآية ــ رواه ابن مردويه] .

[١١] ﴿ يُوصيكُمُ اللّهُ في أَوْلادِكُمْ ﴾ يأمركم الله ويعهد إليكم في شأن ميراث أولادكم بعد موتكم ﴿ للذَّكَرِ مِثْل حظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ فنصيب كل ذكر من أولاد المتوفى الورثة كنصيب اثنتين من البنات ، والحكمة في ذلك أن واجبات الذكر المالية تفوق بكثير واجبات المرأة ﴿ فإنْ كُنَّ ﴾ أي ذرية المتوفى ﴿ نِساءً ﴾ ليس معهن ذكر ﴿ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ﴾ عددهن فوق اثنتين ﴿ فَلَهُنَّ ثُلُثَا ما تَرَكَ ﴾ المتوفى ﴿ وإنْ كانتْ ﴾ المولودة ﴿ واحدةً ﴾ ليس معها أخ ولا أخت ﴿ فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ مما ترك ﴿ ولأَبَوَيْهِ ﴾ أي لوالدي المتوفى ﴿ لِكُلِّ واحدٍ منْهُمَا السُّدُسُ مما تَرَكَ ﴾ من المال والمتاع ﴿ إنْ كانَ لَـهُ وَلَدٌ ﴾ ذكر أو أنثى ﴿ فإنْ لم يكنْ لَـهُ ولدٌ ﴾ ذكر أو أنثى ﴿ وَوَرِثَـهُ أَبَـواهُ فَـلأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾ والباقي للأب ﴿ فَإنْ كانَ لَـهُ ﴾ أي للميت ﴿ إِخْوَةٌ ﴾ من الأب والأم ، أو من الأب ، أو من الأم ، ذكوراً أو إناثاً ﴿ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ أي سدس التركة ﴿ من بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بها أو دَيْنٍ ﴾ قدّم ذكر الوصيّة على الدين لفظاً ، والشرع إيفاء الدين قبل تنفيذ الوصايا ﴿ آباؤُكُمْ وأبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّـهُمْ أَقْـرَبُ لَـكُمْ نَـفْعاً ﴾ والمعنى : فرض الله الفرائض لحكمة يعلمها ، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيّهم أنفع لكم ، فالتفاوت في توزيع التركة للتفاوت في المنافع ﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ﴾ يأمركم بها ، ويفرضها عليكم ﴿ إنَّ اللّهَ كانَ عَلِيماً ﴾ بالمصالح والرتب ﴿ حكيماً ﴾ في كل ما قضى وقدّر . [وقال البخاري عند تفسير هذه الآية : عن جابر بن عبد الله قال : عادني رسول الله ﷺ وأبوبكر في بني سلمة ماشيين ، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً ، فدعا بماء ، فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت ، فقلت : بما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله ، فنزلت ﴿ ويوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ . وقال البخاري عن ابن عباس : كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ، وجعل للزوجة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع] .

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٨

[١٢] ﴿ ولكم نِصْفُ ما تركَ أزْوَاجُكمْ ﴾ من المال ﴿ إنْ لم يكنْ لهنَّ وَلَـدٌ ﴾ ذكراً كـان أم أنثى ، منكم أو مـن غيركم ﴿ فإنْ كانَ لَهُنَّ وَلَـدٌ فَلكمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ﴾ والباقي لباقي الورَثَة ﴿ مِنْ بَعْـدِ وَصِيَّـةٍ يـوصينَ بها أَوْ دَيْنٍ ﴾ بعد تنفيـذ وصيتهن وقضاء دينهن [عن قتادة : والدَّين أحق ما بديء به من جميع المال ، فيؤدى عن أمانـة الميت ، ثم الوصيـة ، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم ـ ابن جرير] ﴿ وَلَـهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إنْ لم يَكُنْ لَـكُمْ وَلَدٌ ﴾ ذكر أو أنثى ، منهن أو من غيرهـن ﴿ فإنْ كـانَ لَـكُمْ وَلَـدٌ ، فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تركْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّـةٍ تُوصُونَ بِها أو دَيْنٍ ﴾ [وسواء في الـربع أو الثمن الـزوجـة والـزوجتـان والثـلاث والأربع يشتركن فيه] وفي الآية اعتناء بذكر الوصية والدين لأهمية قضاء حقـوق العباد ﴿ وإنْ كانَ رَجُـلٌ يُورَثُ كَـلالَةً ﴾ [والكـلالـة : مشتقـة من الإكليل ، وهـو الـذي يحيط بالرأس من جوانبه ، والمراد هنـا من يرثه من حواشيه لا أصولـه ولا فـروعـه ، كما روى الشعبي عن أبي بكـر الصـديق رضي الله عنه أنـه سئل عن الكـلالة فقـال : « أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله ، الكلالة : من لا ولـد له ولا والـد » . فلما ولي عمر رضي الله عنـه قال : « إني لأستحيي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه » ـ ابن كثير] ﴿ أو امرأةٌ ﴾ كذلك تورث كلالة ﴿ وَلَهُ أَخٌ أو أُخْتٌ فلِكُلِّ واحـدٍ مِنْهُمَا السُّـدُسُ ، فإن كـانُـوا ﴾ أي الإخوة والأخـوات من الأم ﴿ أكثرَ مِنْ ذلكَ ﴾ أي من واحد ﴿ فهـم شُرَكاءُ فـي الثُّـلُثِ ﴾ يستـوي في ذلك الذكر والأنثى [قال الزهري : ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله ﷺ] ﴿ مِنْ بَعْدِ وصيَّـةٍ يُوصى بها أو دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أي غير مُدخل الضرر على الورثة ، كحرمانهم حقهم أو الإيصاء بالأكثر وإبقاء الأقل [وعلى أن لا تكون الوصية لوارث ، ففي الحديث (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصيـة لوارث) رواه أحمد]. وعن ابن عباس : « الضِرار في الوصيّة من الكبـائر » رواه ابن جرير ﴿ وَصِيَّـةً مِنَ اللهِ ﴾ بمعنى : غير مضار لوصية الله وعهده في شأن الورثة ﴿ واللَّهُ عَليمٌ ﴾ بالمُضار وغيره ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعجل العقوبة مفسحاً المجال للتوبة .

[١٣] ﴿ تِلْكَ ﴾ الأحكام المذكـورة [التي جعلها الله لـلورثة بحسب قـربهم من الميت واحتياجهـم إليه وفقدهـم له عند علمـه هي] ﴿ حُدُودُ اللهِ ﴾ أحكامه وفرائضه التي لا يجوز تجاوزها ﴿ وَمَنْ يُطِـعِ اللَّهَ وَرَسُولَـهُ ﴾ في قسمة المواريث وغيرها ﴿ يُدْخِلْهُ جنَّاتٍ تجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ﴾ أي من تحت شجرها ومساكنها ﴿ خَالِدين فيهَا ، وذلك الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورسولَـهُ ﴾ في قسمة المواريث وغيرها ﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ﴾ بتجاوز أحكامه وفرائضه ظلماً وعدواناً ﴿ يُدْخِلْهُ ناراً خَالِداً فيها وَلَـهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ وفي الحديث : (إن الرجـل لـيعمل بعمل أهـل الخير سبعـين سنة ، فإذا أوصى حـاف ـ ظلم ـ في وصيتـه ، فيُختـم له بشرّ عمله ، فيدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة ، فيعدل في وصيّته ، فيختم له بخير عمله ، فيدخل الجنّة) رواه الإمام أحمد .

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

[١٥] ﴿ واللاتي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ ﴾ الزنى ﴿ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ من المسلمات ﴿ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أربعةً منكم ﴾ من المسلمين فلكي يثبت حكم الزنى ، لابد من أربعة شهود رأوا العملية بوضوح لا لبس فيه ﴿ فإن شَهِدُوا ﴾ عليهن بالزنى ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ في البُيُوتِ ﴾ أي احبسوهن فيها ﴿ حتَّى يَتَوفَّاهُنَّ الموت ﴾ إلى أن يَمُتْنَ ﴿ أوْ يجعلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ أو يشرع لهنَّ حُكماً خاصاً بهنّ .

[١٦] ﴿ واللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾ وحكم الرجال الذين يأتون الفاحشة ﴿ فَآذُوهُمَا ﴾ بالسب والتعيير ، ليندما على ما فعلا ﴿ فإنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ أي أوقفوا إيذاءهما ﴿ إنَّ اللَّهَ كانَ توّاباً ﴾ على من استغفر وتاب ﴿ رحيماً ﴾ واسع الرحمة . وهذا الحكم المذكور في الآيتين ١٥ و١٦ منسوخ بما بيّنه القرآن الكريم في الآية الثانية من سورة النور ، والسنّة الشريفة : ﴿الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ ﴾ .

[١٧] ﴿ إنَّما التَّوْبَةُ على اللهِ للَّذينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ ﴾ المعصية ، صغيرة أو كبيرة ﴿ بِجَهَالَةٍ ﴾ أي جاهلين ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ ففي الآية إرشاد إلى المبادرة بالتوبة عقب الذّنب . وفي الحديث : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) رواه ابن ماجه ﴿ فأُولئكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي يقبل توبتهم ﴿ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حكيماً ﴾ .

[١٨] ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ للذينَ يَعْملون السَّيِّئَاتِ حتَّى إذَا حَضَرَ أحدَهُمُ الموْتُ ﴾ عند النزاع ﴿ قَالَ إنِّي تُبْتُ الآن ﴾ فلا ينفعه ذلك ﴿ ولا الذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ ﴾ فلا ينفعهم ندمهم ولا توبتهم ﴿ أولئكَ أَعْتَدْنَا ﴾ أي أعددنا ﴿ لَهُمْ عَذَاباً أليماً ﴾ وفي الحديث عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله يقبل توبة عبده ويغفر لعبده ما لم يقع الحجاب) قيل : يا رسول الله ! وما الحجاب ؟ قال : (أن تموت النفس وهي مشركة) رواه أحمد .

[١٩] ﴿ يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾ نهي عما كان يفعله أهل الجاهلية بالنساء من الإيذاء والظلم . قال ابن عباس : كانوا ، إذا مات الرجل ، كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤوا زوّجوها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية ، رواه البخاري ﴿ ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ الخطاب للأزواج ، والعضل : الحبس والتضييق ، والمعنى : لا يحل للزوج إيذاء زوجته لتتنازل عن حقوقها في المهر أو سواه بغية طلاقها ﴿ إلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ يعني إذا زنت فلك أن تسترجع منها المهر ، وقال ابن عباس : الفاحشة المبينة النشوز والعصيان ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ ﴾ صاحبوهن ﴿ بالمعروفِ ﴾ أي بتحسين الأقوال والأفعال معهن . وفي الحديث : (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي وابن ماجه ، وفيه (لا يفرك ـ والفرك : البغض ـ مؤمن مؤمنة . إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) رواه مسلم ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ أي الصحبة معهن ﴿ فعسى أَنْ تكرهوا شيئاً ويجعلَ اللّهُ فيهِ خيراً كثيراً ﴾ كالولد الصالح ، والثواب في الآخرة ، وفي الآية دليل على أن الطلاق مكروه .

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[٢٠] ﴿ **وإنْ أردْتـمُ اسْتِبْـدالَ زَوْجٍ مكـانَ زَوْجٍ** ﴾ إذا أردتم طـلاق امرأة للزواج مـن غيرها ﴿ **وآتيتُم إحداهُنَّ قِنْطَاراً** ﴾ أي مالاً كثيراً مهـراً ﴿ **فَلاَ تَأخُـذُوا مِنْهُ شَيْئاً** ﴾ ولو قليـلاً ﴿ **أتأخُذُونَـهُ بُهْتـاناً** ﴾ أي باطـلاً ﴿ **وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾ واضحاً .

[٢١] ﴿ **وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ** ﴾ بأي وجه تستحلُّون المهر ﴿ **وقدْ أَفْضَى** ﴾ أي وصل ﴿ **بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ وأَخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقـاً غليظاً** ﴾ قـال الزمخشري [أبـو القـاسم ، محمود بن عمر ، لغوي ومفسر ، ت ٥٣٨ هـ] : الميثاق الغليظ : حق الصحبة والمضاجعة .

[٢٢] ﴿ **ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكُمْ مِنَ النِّساءِ** ﴾ نهي عن زواج المسلم من زوجـة أبيـه [قال المفسرون : كـان أهل المدينـة في الجاهليـة وفي أول الإسـلام ، إذا مـات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثـوبـه على تلك المرأة فصـار أحق بها من نفسهـا ومن غيره ، فإن شـاء أن يتـزوجهـا بغير صـداق ، إلا الصداق الـذي أصدقـه الميت ، وإن شـاء زوّجها غيره وأخـذ صـداقهـا ولم يعطها شيئـاً ، وإن شـاء عضلهـا وضارّها لتفتـدي منه بما ورثت من الميت ، أو تموت هي فيرثها ـ النيسابوري] ﴿ **إلاَّ ما قدْ سَلَفَ** ﴾ في الجاهلية قبل الإسلام فإنـه معفوّ لكم ﴿ **إنَّـهُ كانَ فاحِشَةً** ﴾ أي خصلـة قبيحـة جـداً ، لأنـه يشبـه نكـاح الأمهـات ﴿ **وَمَقْتاً** ﴾ بغضاً عند الله ﴿ **وَسَاءَ سبيلاً** ﴾ [قال أشعث ابن سوار : توفي أبو قيـس وكان من صالحي الأنصار ، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه ، فقالت : إن أعدك ولداً ، ولكني آتي رسول الله ﷺ أستأمره . فأتته فأخبرته فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٢٣] ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْـكُمْ أُمَّهاتُـكُمْ** ﴾ يحرم على المسلم الزواج من أمه وجدته لأمه أو لأبيه ﴿ **وبَنَـاتُـكُمْ** ﴾ وكذلك الأحفاد ﴿ **وأخواتُـكُمْ** ﴾ من أم أو أب أو منهما ﴿ **وعمَّاتُـكُمْ** ﴾ وكذلك أخوات الأجداد ﴿ **وخالاتُـكُمْ** ﴾ وكذلـك أخوات الجدّات ﴿ **وبناتُ الأخِ** ﴾ من النسب ﴿ **وبناتُ الأختِ** ﴾ وكذلك أولادهن ﴿ **وأمّهاتُـكُمُ اللاّتي أرْضَعْنَكُمْ** ﴾ في سن الرضـاع وهو الحولين . وفي الحديث : (لا يحرم من الـرضاع إلا ما فتق الأمعـاء وكان قبل الفِطَام) أخرجه الترمذي ﴿ **وأخواتُـكُمْ من الرَّضَاعَةِ** ﴾ وفي الحديث : (يحرم من الرضاع ما يحرم من النَّسَب) أخرجه البخاري ﴿ **وأُمّهاتُ نسائِكُمْ** ﴾ تحرم على الرجل المسلم حماتـه وأمها ﴿ **وَرَبَائِبُـكُمُ** ﴾ ربيبة الـرجل : بنت زوجته من غيره ﴿ **اللاّتي في حُجُورِكُمْ** ﴾ أي في تـربيتكم ، إذا كنَّ ﴿ **مِنْ نسائِكُمُ اللاَّتي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ** ﴾ والدخول بهن كناية عن الجماع ﴿ **فإنْ لم تَـكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فـلا جُنَاحَ عليكم** ﴾ فلا حرج عليكم في أن تتـزوجوا بنات زوجاتكم إذا طلقتموهن أو تـوفين قبل الدخول ﴿ **وحلائِلُ أبنائِكم** ﴾ جمع حليلـة ، وهي زوجة الابن أو الحفيـد ﴿ **الَّذينَ مـن أصلابِكُمْ** ﴾ لإخراج الأدعياء الذين كانوا يتبنـونهم في الجاهلية ، كما قال تعالى ﴿ فلما قضى زيدٌ منها وَطَراً زَوَّجناكهـا لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم ﴾ [الأحزاب : ٣٧] وقال تعالى ﴿ ومـا جعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ [الأحزاب : ٤] ﴿ **وأنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ** ﴾ في وقت واحد ، وكذلك يحرم الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ﴿ **إلاَّ ما قد سلفَ** ﴾ في الجاهلية فإنّه معفوّ عنه ﴿ **إنَّ اللَّهَ كانَ غفوراً رَحِيماً** ﴾ .

۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

(الجزء ٥ الحزب ٩)

[٢٤] ﴿ **والمُحْصَناتُ** ﴾ وحرّمت عليكم المتزوجات ﴿ **من النِّساء** ﴾ مسلمات وغير مسلمات ﴿ **إلاّ ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ** ﴾ من السبايا المتزوجات في دار الكفر ، بعد الاستبراء لئلا تختلط الأنساب عن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا سبايا من سبي أوطاس ولهن أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية . رواه الأربعة ﴿ **كِتابَ اللَّهِ** ﴾ أي كتب الله ﴿**عليكم** ﴾ تحريم هؤلاء وفرضه فرضاً ﴿ **وأحِلَّ لكُمْ ما وراءَ ذلِكُمْ** ﴾ أي أُحل لكم نكاح ما سواهن ﴿ **أنْ تبْتغُوا بأموالِكم** ﴾ بدفع المهور ﴿ **مُحْصِنينَ** ﴾ الإحصان : العفّة وتحصين النفس عن الوقوع في الحرام ﴿ **غَيْرَ مُسافِحينَ** ﴾ غير زانين ﴿ **فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ** ﴾ فمن تمتعتم به من الزوجات بالجماع ﴿ **فآتُوهُنَّ أجورهُنَّ** ﴾ مهورهن كاملة ﴿ **فريضةً** ﴾ من الله عليكم . وقد رأى بعض العلماء أن الآية مبيحة لزواج المتعة والجمهور على تحريم زواج المتعة ، ففي الصحيحين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : (يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخلِّ سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) ﴿ **ولا جُناحَ عليكم فيما تراضيتُم بهِ من بَعْدِ الفريضةِ** ﴾ إن تنازلت الزوجة للزوج عن شيء من المهر فهو سائغ له ولا حرج عليه ﴿ **إنَّ الله كانَ عليماً حكيماً** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **وَمَنْ لم يستطع منكم** ﴾ أيها الأحرار من المسلمين ﴿ **طوْلاً** ﴾ غنىً يمكنه به ﴿ **أنْ ينكِحَ المُحْصَناتِ المُؤْمناتِ** ﴾ أي الحرائر المتعففات ﴿ **فَمِنْ ما ملكت أيْمانُكُم من فتياتِكم المُؤْمناتِ** ﴾ أي الإماء - الرقيق - من المسلمات ﴿ **واللّهُ أعلمُ بإيمانكم** ﴾ فإنه تعالى أعلم بالسرائر ، ورب أَمَةٍ خيرٌ من حرّة في إيمانها وتقواها ﴿ **بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ** ﴾ فأنتم وعبيدكم من آدم ، ودينكم الإسلام ﴿ **فانكِحُوهُنَّ بإذنِ أَهْلِهِنَّ** ﴾ أي مواليهن المالكين لهن ﴿ **وآتُوهُنَّ أجورهنَّ بالمعروفِ** ﴾ ادفعوا إليهن مهورهن من غير مماطلة ، وجمهور العلماء أن مهر الحرة لنفسها ، ومهر الأمة لسيدها ﴿ **مُحْصناتٍ** ﴾ أي عفيفات عن الزنى ﴿ **غَيْرَ مُسافحاتٍ** ﴾ غير زانيات ﴿ **ولا مُتَّخِذاتِ أخْدانٍ** ﴾ الأخدان : الأصدقاء على الفاحشة ﴿ **فإذا أُحْصِنَّ** ﴾ تزوجن ﴿ **فإنْ أَتَيْنَ بفاحِشَةٍ** ﴾ وهي الزنى ﴿ **فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما على المُحْصَناتِ من العذابِ** ﴾ أي من الحد ، الذي هو جلد مائة للحرة وليس على الأمة رجم ﴿ **ذلكَ** ﴾ إباحة نكاح الإماء ﴿ **لِمَنْ خَشِيَ العنَتَ** ﴾ المشقة ، وخوف الوقوع في الزنى ﴿ **منكم** ﴾ أيّها الأحرار ﴿ **وأنْ تَصْبِرُوا** ﴾ على تحمّل تلك المشقّة متعففين عن نكاحهن ، لما في معنى الرق والعبودية من المهانة ، والإسلام يطلب العزة لأتباعه ﴿ **خيرٌ لكُم** ﴾ ففي الآية كراهة نكاح الأمة عند اجتماع الشروط ﴿ **واللّهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ . [٢٦] ﴿ **يُريدُ اللّهُ** ﴾ في تحريم ما حرّم من النساء وتحليل ما أحل ﴿ **لِيُبَيِّنَ لكم** ﴾ شرائعه ﴿ **ويَهْدِيَكم سُنَنَ الذينَ مِنْ قَبْلِكم** ﴾ أي يرشدكم إلى طرائق من تقدّم من أهل الكتاب في تحريم ما حرمه ، واتّباع شرائعه التي يحبها ويرضاها ﴿ **وَيَتُوبَ عَلَيْكُم** ﴾ مما كنتم فيه في جاهليتكم ﴿ **واللّهُ عليمٌ حكيمٌ** ﴾ .

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ
عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

[٢٧] ﴿ واللَّهُ يريدُ أن يتوبَ عَلَيْكم ﴾ أي يُخرجكم من كل ما يكره إلى ما يحب ويرضى ﴿ ويُريدُ الذين يتَّبعُونَ الشَّهواتِ ﴾ وهم الزناة ﴿ أنْ تَميلُوا ﴾ عن الحق ﴿ مَيْلاً عَظيماً ﴾ بإتيانكم ما حرَّم الله عليكم .

[٢٨] ﴿ يُريدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عنكم ﴾ ولهذا أباح نكاح الإماء بشروطه ﴿ وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً ﴾ عاجزاً عن دفع شهواته في أمر النساء لا يصبر عنهن .

[٢٩] ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكُلُوا أمْوالَـكم بينكم ﴾ أي لا يأكل بعضكم أموال بعض ﴿ بالباطِلِ ﴾ أي بما لم تبحه الشريعة ، كالربا والقمار والرِّشوة ﴿ إلاَّ أنْ تكونَ تجارَةً ﴾ أي معاوضة محققة كالبيع ﴿عن تراضٍ مِنكُمْ﴾ في المحاباة من جانب الآخذ والمأخوذ منه ﴿ولا تقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ إنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ نهي عن قتل النفس أي الانتحار، وكذلك عن قتل المؤمنين، لأنهم جميعاً كنفس واحدة .

[٣٠] ﴿ومنْ يفعلْ ذلِكَ﴾ جريمة القتل ﴿عُدْواناً وظُلْماً﴾ عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصْليهِ﴾ أي ندخله ﴿ناراً﴾ شديدة العذاب ﴿وكان ذلكَ على اللهِ يسيراً ﴾ هيّناً، لأنه تعالى لا يعجزه شيء. وفي الحديث (من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) رواه البخاري .

[٣١] ﴿ إنْ تَجْتَنِبُوا ﴾ أي تتركوا ﴿ كبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ أي كبائر الذنوب ﴿نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئاتِكُم﴾ أي نمحو عنكم صغائر ذنوبكم ﴿ونُدْخِلْكُمْ﴾ في الآخرة ﴿مُدْخلاً كَريماً ﴾ أي حسناً، وهي الجنة . وتدل الآية على أن الذنوب قسمان: كبائر وصغائر. وفي الحديث: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: (الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) أخرجه الشيخان .

[٣٢] ﴿ ولا تَتَمنَّوْا ﴾ نهي عن الحسد ﴿ ما فضَّلَ اللّـهُ بهِ بعضَكُم على بَعْضٍ ﴾ ما زاد الله في رزق بعضكم على بعض ﴿ للرِّجالِ نصيبٌ مما اكتَسَبُوا وللنّساءِ نصيبٌ ممَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ أي لكل فريق نصيب مما اكتسب في نعيم الدنيا ﴿ واسْأَلُوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي رزقه الذي لا نفاد له ﴿ إنَّ اللّهَ كانَ بكلِّ شيءٍ عليماً ﴾ .

[٣٣] ﴿ ولكلٍّ جَعَلْنا مواليَ مما تركَ الوالدانِ والأَقْرَبُونَ ﴾ أي جعل الله تعالى ورثة لكل ما ترك الوالدان والأقربون من المال ، والمولى : القريب كابن العم ونحوه ﴿ والَّذِينَ عَقَدَتْ أيمانُكم فآتوهُم نَصِيبَهُم ﴾ عقد العهد يعقده : شدّه ، والأيمان جمع يمين بمعنى القَسَم ، والمقصود بالآية : الحلفاء ، وكانوا يرثون السدس من حليفهم المتوفى . وصورة ذلك أن الرجل كان يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول : « دمي دمك ، وترثني وأرثك ، وتطلب بي وأطلب بك » فأُمروا في هذه الآية بأن ينفذوا ذلك ، ثم نسخ بقوله تعالى : ﴿ وأُولوا الأرحام بعضُهم أَوْلَى ببعضٍ ﴾ وعن ابن عباس : كان المهاجريّ يرث الأنصاريّ دون ذوي رحمه حتى نُسخ ﴿ إنَّ اللّهَ كانَ على كلِّ شيءٍ شهيداً ﴾ لا يخفى عليه أمر ولا حلف .

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

[٣٤] ﴿ **الرِّجالُ قوّامُونَ على النِّساءِ** ﴾ قوّامون: جمع قوّام، وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب ﴿ **بِما فَضَّلَ اللّهُ بعضَهم على بعْضٍ** ﴾ بالعقل والحزم والعزم والقوة والفروسية والرمي ﴿ **وبما أَنْفَقُوا مِنْ أمْوالهِمْ** ﴾ على نسائهم من مهور ونفقة ﴿ **فالصّالِحاتُ** ﴾ من النساء ﴿ **قانِتاتٌ** ﴾ مطيعات لله في حق أزواجهن ﴿ **حافظاتٌ للغيبِ بما حفِظَ اللّهُ** ﴾ عليهن أن يحفظن حقوق الزوج في حضوره وغيابه، في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن، وفي الحديث: (خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت حفظتك في نفسها ومالك) قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ الرجال قوّامون على النساء ﴾ إلى آخرها، رواه ابن جرير ﴿ **واللاّتي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ** ﴾ أي عصيانهن وسوء عشرتهن ﴿ **فعظوهُنَّ** ﴾ بالقول إن لم ينفع الوعظ والنصيحة ﴿ **واهْجُروهُنَّ في المَضاجِعِ** ﴾ والهجر: أن لا يجامعها، أو يضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره ﴿ **واضْرِبُوهُنَّ** ﴾ ضَرْباً غير مبرح. قال الفقهاء: هو أن لا يجرحها ولا يكسر لها عظماً ولا يؤثر شَيْئاً ويجتنب الوجه، وحكم هذه الآية مشروع على الترتيب فالله تعالى ابتدأ بالوعظ ثم ترقّى منه إلى الهجران في المضاجع ثم ترقّى منه إلى الضرب ﴿ **فإن أَطَعْنَكم فلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ فإذا رجعن عن النشوز فلا يحق للرجل بعد ذلك التوبيخ أو الهجر أو الضرب ﴿ **إنَّ اللّهَ كان عَلِيًّا كبيراً** ﴾ فاحذروه، وفي الآية تهديد للأزواج على ظلم نسائهم من غير سبب، فلا تفتروا بكونكم أعلى يداً منهن، وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم وأقدر منكم عليهن.

ربع الحزب ٩

[٣٥] ﴿ **وإنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما** ﴾ وإن خفتم وقوع خلاف بين الزوجين ﴿ **فابْعَثُوا** ﴾ إلى الزوجين ﴿ **حَكَماً مَنْ أَهْلِهِ** ﴾ أقارب الزوج ﴿ **وحكماً من أَهْلِها** ﴾ فالأقارب أعرف ببواطن الأحوال ﴿ **إنْ يُرِيدَا** ﴾ أي الحكمان ﴿ **إصْلاحاً يوفّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾ إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما مخلصة لله ﴿ **إنَّ اللّهَ كانَ عليماً خبيراً** ﴾.

[٣٦] ﴿ **واعبُدُوا اللّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئاً وبالوالدَيْنِ إِحْساناً** ﴾ فإن شكرهما يدعو إلى شكر الله ﴿ **وَبِذِي القُرْبَى** ﴾ أي الأقارب ﴿ **واليتامى** ﴾ جمع يتيم، لأنهم فقدوا معيلهم ﴿ **والمساكينِ** ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿ **والجار ذي القُرْبَى** ﴾ إما القريب بالمسافة أو بالنسب ﴿ **والجارِ الجُنُبِ** ﴾ إلى القريب سكناً والبعيد نسباً أو العكس ﴿ **والصّاحِبِ بالجَنْبِ** ﴾ وهو الرفيق الصالح في السفر والحضر والحرفة وما أشبه ﴿ **وابنِ السبيلِ** ﴾ أي المسافر الغريب الذي انقطع عن بلده وأهله ولا يملك مالاً لنفقة الطريق ﴿ **وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ أي المماليك، وفيهم قال ﷺ: (هم إخوانكم خولكم ـ خدمكم ـ جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم. فإن كلّفتموهم فأعينوهم) رواه الشيخان ﴿ **إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتالاً** ﴾ متكبراً ﴿ **فَخُوراً** ﴾ يكثر من مدح نفسه.

[٣٧] ﴿ **الذينَ يبخَلُونَ** ﴾ فلا ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴿ **ويأمُرونَ النَّاسَ بالبُخْلِ** ﴾ وينهون غيرهم عن الإحسان ﴿ **ويكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللّهُ من فَضْلِهِ** ﴾ يتظاهرون بالفقر والحاجة ﴿ **وأعْتَدْنَا للكافِرينَ عَذَاباً مُهيناً** ﴾ كما أهانوا النّعمة بالبخل والإخفاء.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

[٣٨] ﴿ **والذين يُنفقونَ أموالَهُمْ رئاءَ النَّاسِ** ﴾ على أعين الناس، ليقال عنهم: كرماء ﴿**ولا يؤمنونَ باللَّهِ ولا باليومِ الآخِرِ**﴾ وهو يوم الحساب ﴿**ومَنْ يكُنِ الشيطانُ له قَرِيناً** ﴾ معيناً في الدنيا ﴿**فَسَاءَ قريناً**﴾ فبئس الصاحب، لأنه يضله عن الهدى ويحجبه عن الحق. والآية تدل على وجوب الإخلاص لله في العمل، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة مرفوعاً: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

[٣٩] ﴿ **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا باللَّهِ واليوم الآخِرِ وأنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ** ﴾ من المال طلباً لرضاه ﴿ **وكان اللَّهُ بِهِمْ عَليماً** ﴾.

[٤٠] ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثقالَ ذَرَّةٍ** ﴾ الذرة في قول أهل اللغة: النملة الصغيرة. والمعنى: إن اللَّه لا يبخس أحداً من ثواب عمله، ولا يزيد في عقابه شيئاً مهما كان قليلاً ﴿ **وإنْ تَكُ حسنةً يُضَاعِفْهَا** ﴾ أي يضاعف ثوابها ﴿ **ويُؤْتِ من لَدُنْهُ أجْراً عَظِيماً** ﴾ وفي الحديث عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة. وأما الكافر فيُطْعَمُ بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة) رواه أحمد.

[٤١] ﴿ **فكيف إذا جئنا من كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجئنا بكَ على هؤلاءِ شهيداً** ﴾ كيف بكم إذا أقام اللَّهُ يومَ القيامةِ الحُجَّةَ على عباده بشهادة الأنبياء؟ وبشهادة محمد ﷺ عليكم؟

[٤٢] ﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **يَوَدُّ** ﴾ يتمنّى ﴿ **الذين كفروا** ﴾ باللَّه ﴿ **وعَصَوُا الرَّسُولَ لو تسوّى بهمُ الأرضُ** ﴾ أن تنشق وتبلعهم ﴿ **ولا يكتُمُونَ اللَّهَ حديثاً** ﴾ ويعترفون بجميع ما فعلوه.

[٤٣] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُم سُكَارَى حتى تعلموا ما تَقُولُونَ** ﴾ نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، في سورة المائدة ـ الآيتان ٩٠ و ٩١ ـ ﴿ **ولا جُنُباً** ﴾ من الجنابة وهي: الحدث الأكبر الموجب للغُسْل ﴿ **إلاّ عابِرِي سبيلٍ** ﴾ أي مارّين في المسجد مروراً غير ماكثين فيه ﴿ **حتى تغتسلوا** ﴾ من الجنابة ﴿ **وإنْ كُنْتُم مَرْضَى** ﴾ يؤذيكم استعمال الماء ﴿ **أوْ عَلَى سفرٍ** ﴾ تحتاجون الماء لشرابكم وطبخكم ﴿ **أو جاء أَحَدٌ مِنْكُمْ من الغَائِطِ** ﴾ الغائط المكان المنخفض، وهنا كناية عن قضاء الحاجة الموجبة للوضوء ﴿ **أو لامستُم النِّساءَ** ﴾ الملامسة هنا: الجماع، وقيل المس باليد أو القبلة من غير جماع ﴿ **فلمْ تَجِدُوا ماءً، فتيمَّمُوا** ﴾ أي اقصدوا ﴿ **صعيداً** ﴾ تراباً أو ما هو من جنس الأرض ﴿ **طيّباً** ﴾ طاهراً، وعن جابر مرفوعاً: (جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) رواه البخاري ﴿ **فامْسَحُوا بوجوهِكُم وأيديكم إنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوّاً غفوراً** ﴾ والحق الوقوف في صفة التيمم على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار، من الاقتصار على ضربة واحدة للوجه والكفين، فمن عادته سبحانه وتعالى العفو عن الخاطئين والمغفرة للمذنبين، وأحكامه يسر لا عسر. [٤٤] ﴿ **ألَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ** ﴾ من علم التوراة، وهم أحبار اليهود ﴿ **يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ** ﴾ يبقون على ضلالهم ويتركون ما أنزل الله على محمد ﷺ بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة الرسول ﷺ، وأنه هو النبي المبشر به في التوراة والإنجيل ﴿ **ويُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ** ﴾ ويودُّون لو تكفرون بما أنزل عليكم من الهدى.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿ **واللَّهُ أعلمُ** ﴾ منكم ﴿ **بأعدائِكُمْ** ﴾ فاحذروهم ﴿ **وكفى باللَّـهِ وليّاً ، وكفى بـاللَّهِ نصيراً** ﴾ فثقوا بولايته ونصرته .

[٤٦] ﴿ **مِنَ الذينَ هَادُوا** ﴾ أي اليهود ﴿ **يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مَوَاضِعِهِ** ﴾ يبدّلون اللفظ بلفظ آخر ، ويصرفون اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل ﴿ **ويَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا** ﴾ سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه ﴿ **واسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ** ﴾ وهذه العبارة منهم تحتمل معنيين ، معنى محتمل للشر ، أي : غير مسمع كلاماً أصلاً بصمم أو موت ، وللخير بمعنى : اسمع منا غير مسمع مكروهاً ﴿ **وراعِنا** ﴾ وهي كلمة ذات وجهين أيضاً محتملة للخير ، وللشرّ بمعناها العبراني ﴿ **ليّاً بألْسِنَتِهِمْ** ﴾ تحريفاً لها عن الحق إلى الباطل ﴿ **وَطَعْناً في الدِّينِ** ﴾ أي استهزاءً وسخرية فيه ﴿ **ولو أنّهم قالوا** ﴾ عندما سمعوا كلام الله ﴿ **سمِعْنَا وأطَعْنَا** ﴾ بدل قولهم : سمعنا وعصينا ﴿ **واسمعْ** ﴾ بدل قولهم للنبي ﷺ : اسمع غير مُسمَع ﴿ **وانْظُرْنَا** ﴾ بدل قولهم : راعنا ، المحتمل للمعنى الفاسد في لغتهم ﴿ **لكانَ خَيْراً لَهُمْ وأقْوَمَ** ﴾ أليَق وأعدلَ وأصوبَ ، في الدنيا والآخرة ﴿ **ولكنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ** ﴾ فطردهم عن رحمته وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ﴿ **فلا يُؤْمِنُونَ إلاّ قَلِيلاً** ﴾ إلا فريقاً قليلاً منهم .

[٤٧] ﴿ **يا أيُّها الذينَ أُوتُوا الكتابَ** ﴾ اليهود الذين أوتوا التوراة ﴿ **آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا** ﴾ من القرآن ﴿ **مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ** ﴾ موافقاً للتوراة ﴿ **مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً** ﴾ أي نمحو ما بها من عين وحاجب وأنف ﴿ **فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا** ﴾ نقلبها وجهاً لقفا ﴿ **أو نَلْعَنَهُمْ كما لعنَّا أصحابَ السبْتِ** ﴾ الذين مسخهم اللَّهُ قردة وخنازير بسبب عصيانهم ﴿ **وكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ ما يأمر الله به نافذ لا محالة . [٤٨] ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لمَنْ يشاءُ** ﴾ عقيدة أهل السنة أن الشرك غير مغفور البتة ، وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له ، هذا مع عدم التوبة ، وأما مع التوبة فكلاهما مغفور ﴿ **ومَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فقدِ افْتَرَى إثماً عَظِيماً** ﴾ افترى : اختلق . والإثم : الذنب . [٤٩] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ** ﴾ التزكية : التبرئة من كل قبيح فعلاً وقولاً ، والمراد بهم اليهود الذين قالوا : ﴿ نحن أبناء اللَّه وأحبّاؤه ﴾ [المائدة : ١٨] وقالوا : ﴿ لن يدخل الجنّة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] ﴿ **بلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ فهو العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حَسَن وقبيح ﴿ **ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ الفتيل : الخيط الذي في شق النواة ، يُضرب به المثل في القلة والحقارة . [٥٠] ﴿ **انْظُرْ كيفَ يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ** ﴾ في تزكيتهم أنفسَهم ﴿ **وكَفَى بِهِ** ﴾ أي بافترائهم المذكور من حيث هو افتراء على الله تعالى ـ عندما ادعوا أنهم أبناؤه وأحبّاؤه ـ ﴿ **إثماً مُبِيناً** ﴾ ظاهراً واضحاً .

[٥١] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ** ﴾ التوراة ﴿ **يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ** ﴾ الجبت : يطلق على الصنم ، والكاهن ، والساحر ، والسحر ، والذي لا خير فيه ، وكل ما عُبد من دونِ اللَّهِ تعالى . والطاغوت : يطلق على الشيطان ، وكل رأس ضلال ، وكل ما عبد من دون الله تعالى ﴿ **ويقُولُونَ للَّذِينَ كفروا** ﴾ وهم مشركو مكة ﴿ **هَؤُلاءِ** ﴾ أي المشركون ﴿ **أَهْدَى مِنَ الذِينَ آمَنُوا** ﴾ بالله وحده ، وهم المسلمون ﴿ **سَبِيلاً** ﴾ أي أرشد طريقة . والمعنى أن اليهود وهم المطّلعون على كتاب الله « التوراة » ، يقدّمون كفار قريش على المسلمين الموحّدين .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

[٥٢] ﴿ **أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ أبعدهم عن رحمته وطردهم ﴿ **ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً** ﴾ يردُّ عنه عذاب الدنيا والآخرة .

[٥٣] ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً** ﴾ النقير : النقرة في ظهر النواة ، وهو مَثَلٌ في القلة والحقارة . فلو كان لليهود ملك السموات والأرض لما أنفقوا على أحدٍ شيئاً ولو كان قليلاً ، لبخلهم وحسدهم .

[٥٤] ﴿ **أم يحسدون الناس** ﴾ أي رسول الله ﷺ والمؤمنين معه ﴿ **على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ وهو النبوّة والكتاب والنصر ﴿ **فقد آتينا آل إبراهيم** ﴾ وهم أسلافُ محمد ﷺ وأبناء أعمامه ﴿ **الكتاب والحكمة** ﴾ أي النبوّة ﴿ **وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾ فلم تتعجبون أيها اليهود من حال محمد ﷺ ولِمَ تحسدونه .

نصف الحزب ٩

[٥٥] ﴿ **فمنهم من آمن به** ﴾ فمن بني إسرائيل من آمن بإبراهيم عليه السلام ﴿ **ومنهم من صدّ عنه** ﴾ وفريقٌ منهم كذّبوه وحاربوا أتباعه حسداً من عند أنفسهم ﴿ **وكفى بجهنّم سعيراً** ﴾ أي ناراً مسعّرة شديدة الحرّ واللهب يُعذَّبون فيها بكفرهم .

[٥٦] ﴿ **إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً** ﴾ صلاهم النار : أدخلهم فيها ﴿ **كلّما نضجت جلودهم** ﴾ أي احترقت احتراقاً تامّاً ﴿ **بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ ليدوم عذابهم ﴿ **إنّ الله كان عزيزاً** ﴾ لا يمتنع عليه ما يريد ﴿ **حكيماً** ﴾ فيما يقضيه .

[٥٧] ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم** ﴾ في الآخرة ﴿ **جنّات** ﴾ بساتين ﴿ **تجري من تحتها** ﴾ من تحت شجرها وقصورها ﴿ **الأنهار** ﴾ من الخمر واللبن والعسل والماء ﴿ **خالدين فيها أبداً ، لهم فيها أزواج مطهّرة** ﴾ من كل رذيلة وصفة ناقصة ﴿ **وندخلهم ظلاً ظليلاً** ﴾ فلا يؤذيهم الحر ولا البرد .

[٥٨] ﴿ **إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ الأمانات : تعم جميع الحقوق ، من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانوا أبراراً أم فُجّاراً . وعن أبي هريرة مرفوعاً (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) رواه أبو داود والترمذي ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به** ﴾ أي نعم ما يأمركم به ﴿ **إنّ الله كان سميعاً بصيراً** ﴾ بأفعالكم . وفي الحديث (أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلساً إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر) رواه الترمذي . وفيه (إن الله تعالى مع القاضي ما لم يجر ، فإذا جار تبرأ الله منه وألزمه الشيطان) رواه الحاكم .

[٥٩] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ إلاّ أن يأمر أولو الأمر بمعصية الله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿ **فإن تنازعتم** ﴾ أي اختلفتم أنتم وأولو الأمر ﴿ **في شيء** ﴾ من الأحكام ﴿ **فردّوه إلى الله** ﴾ فارجعوا فيه إلى كتابه ﴿ **والرسول** ﴾ أي سنته ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك** ﴾ أي العودة إلى أحكام القرآن والسنّة ﴿ **خير** ﴾ لكم ولحكامكم ﴿ **وأحسن تأويلاً** ﴾ أي عاقبة ومآلاً . ودلت الآية على أن من لم يتحاكم إلى الكتاب والسنّة ، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[٦٠] ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يزعُمُونَ أَنَّهم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾ يعني القرآن ﴿**وَمَا أُنْزِلَ من قَبْلِكَ**﴾ يعني التوراة ﴿**يُرِيدونَ أَنْ يتحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**﴾ الداعي إلى الطغيان، والحكم بخلاف ما أنزل الله ﴿**وَقَدْ أُمِرُوا**﴾ في جميع الكتب المنزلة ﴿**أَنْ يَكْفُروا بِهِ**﴾ أي أن يتبرأوا من كل حكم يخالف أمر الله تعالى ﴿**ويُرِيدُ الشَّيطانُ**﴾ من الجن والإنس ﴿**أن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً**﴾ عن الحق والهدى.

[٦١] ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾ في القرآن ﴿**وإلى الرَّسُولِ**﴾ فيما سنَّه وحكم به ﴿**رَأَيْتَ المُنافِقِينَ يَصُدُّونَ**﴾ يمنعون خصومهم فيُبعدونهم ﴿**عَنْكَ صُدُوداً**﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس فأنزل الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ إلى قوله ﴿وتوفيقاً﴾ أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني.

وعن الشعبي قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي ﷺ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حاكمهم لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اجتمعا على أن يحكِّما كاهناً في جهينة، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ يعني المنافق ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يعني اليهودي، ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ إلى قوله: ﴿ويُسلِّموا تسليماً﴾. أخرجه ابن جرير.

[٦٢] ﴿**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ فكيف يكون حالهم إذا ساقتهم التقادير إليك في مصائب نزلت بهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك ﴿**ثم جَاؤُوكَ**﴾ للاعتذار عما صنعوا من القبائح ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ**﴾ كذباً ﴿**إِنْ أَرَدْنَا**﴾ أي ما أردنا بذلك التحاكم إلى الطاغوت ﴿**إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً**﴾ بالصلح بين الخصمين.

[٦٣] ﴿**أولَئِكَ**﴾ إشارة إلى المنافقين ﴿**الَّذِينَ يعلمُ اللَّهُ مَا في قُلُوبِهِمْ**﴾ من النفاق وإن أظهروا الإسلام ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُم**﴾ فلا تعاقبهم ﴿**وعِظْهُمْ**﴾ أي ازجرهم عما في قلوبهم من النفاق والشر ﴿**وقُلْ لَهُمْ في أَنفُسِهِم قَوْلاً بَلِيغاً**﴾ أي مؤثراً.

[٦٤] ﴿**وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ**﴾ فطاعة الرسول ﷺ فرضٌ، وإنكار فرضيتها كفرٌ ﴿**بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ الذي أرسله، فطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية له ﴿**وَلَوْ أَنَّهم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾ بترك طاعتك والتحاكم إلى الطاغوت ﴿**جَاؤُوكَ**﴾ تائبين ﴿**فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ واستغفرَ لهمُ الرسولُ لوجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾.

[٦٥] ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ**﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمقصود: الاحتكام في كل الأمور إلى شرع الله تعالى ﴿**فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ أي في أمورهم كلها ﴿**ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنْفُسِهِمْ حرجاً**﴾ ضيقاً ﴿**مما قَضَيْتَ ويُسلِّمُوا**﴾ أي ينقادوا لأمرك ويذعنوا لحكمك ﴿**تسليماً**﴾ بظاهرهم وباطنهم. وفي الحديث: (والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعاً لما جئت به) رواه أبو نعيم.

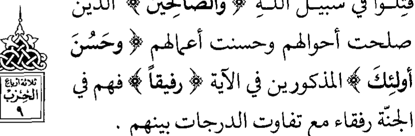
وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن
لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ
أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٦٦] ﴿وَلَو أنَّا كَتَبْنا عَلَيهم﴾ أي على المنافقين ﴿أنِ اقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ أو اخرُجُوا من ديارِكُمْ ما فعلوه إلاَّ قليلٌ منهُم﴾ أي المؤمنون . والمعنى : إنا لـو شدّدنا التكليف على الناس كأن نأمرهم بـالقتل والخروج من الأوطـان ، لصعب ذلك عليهم ، ولما فعلـه إلا الأقـلُّون ، فرحمة منا على عبادنـا اكتفينا بتكليفهم في الأمور السهلة ﴿ولو أنَّهم فعلوا ما يُوعَظُونَ به﴾ من طاعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً ﴿لكانَ خيراً لهم وأشدَّ تثبيتاً﴾ لإيمانهم .

[٦٧] ﴿وإذاً لآتيناهُمْ من لَدُنَّا﴾ أي من عنـدنـا ﴿أجْراً﴾ ثواباً ﴿عظيماً﴾ يعني الجنة .

[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقيماً﴾ أي لثبتناهم في الدنيا على الدين القويم وهو : الإسلام .

[٦٩] ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ فأولئكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهم مِـنَ النَّبِيِّين﴾ جمـع نبي ﴿والصِّدِّيقينَ﴾ جمع صِدِّيق وهـو المبـالغ في صدق ظاهره بـالمعاملة وباطنه بالمراقبة ﴿والشُّهداءِ﴾ الذين قُتِلوا في سبيـل اللّـهِ ﴿والصَّالِحينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم ﴿وحَسُنَ أولئكَ﴾ المذكورين في الآية ﴿رفيقاً﴾ فهم في الجنّة رفقاء مع تفاوت الدرجات بينهم .



[٧٠] ﴿ذَلِكَ الفَضْلُ﴾ إشارة إلى أجـر الصدِّيقين والشهداء ومـا بعدهما ﴿مِنَ اللَّـهِ وكَفَى باللَّـهِ عَليماً﴾ يعلم كيفيـة الطاعة وكيفيـة الجزاء والتفضّل . وعن أبي هـريرة قـال : قـال رسول الله ﷺ : (لن ينجّي أحـداً منكم عملُـه) قالـوا : ولا أنت يـا رسول اللّـه ؟ قـال : (ولا أنا ، إلاّ أن يتغمـدني اللّـه برحمة) رواه البخـاري . [٧١] ﴿يَا أيُّهَا الَّـذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ دلت الآية على وجوب الحذر من العدوّ وترك التفريط ﴿فانفِرُوا﴾ اخرجوا إلى الجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعات متفرقين ، سريّة بعد سريّة ، وفرقة بعد فرقة ﴿أوِ انْفِرُوا جميعاً﴾ أي مجتمعين كلكم كوكبة واحدة ، وقد اتفق العلماء على أن ذلك موكول إلى اجتهاد الإمام .

[٧٢] ﴿وإنَّ مِنْكُمْ لَـمَنْ لَـيُبَطِّـئَنَّ﴾ ليتثـاقلن وليتخلفن عن الجهـاد والخروج مع الجماعـة ، أو ليثبطنَّ غيره كما كـان يفعل المنـافقـون ﴿فإنْ أَصَابَـتْكُمْ مُصيبةٌ﴾ كهزيمة أو شهادة ﴿قَال﴾ المبطىء فرحاً بصنعه ﴿قدْ أنعمَ اللَّهُ عليَّ﴾ بالقعود ﴿إذْ لم أكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾ أي حاضراً في المعركة فيصيبني ما أصابهم

[٧٣] ﴿ولئِن أصابَـكم فضلٌ منَ اللَّهِ﴾ كغنيمة أو نصرٍ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ ندامةً وتحسُّراً ﴿كأنْ لمْ تكن بينكم وبينه مودَّةٌ﴾ أي صلة في الدين أو الصحبة ﴿يا ليتني كنتُ معَهم فأفوزَ فوزاً عظيماً﴾ فأصيب غنائم كثيرة .

[٧٤] ﴿فلْيُـقَاتِلْ في سَبِيلِ اللَّهِ الذِينَ يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنيا بالآخِرَة﴾ وهم المؤمنون الذين يستحبّون الآخرة على الدنيا ويستبدلونها بها ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ في سبيلِ اللَّهِ فيُـقْـتَـلْ﴾ فيستشهد ﴿أوْ يَغْلِبْ﴾ ينتصر على عدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤتِيـهِ﴾ نعطيه ﴿أجراًعظيماً﴾ ثواباً وافراً .

روى الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاّ جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة) لفظ مسلم .

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿ وَمَا لكم لا تُقاتلونَ في سبيلِ اللّهِ والمستضعفين ﴾ أي في سبيل المستضعفين ﴿ من الرِّجال والنِّساءِ والوِلْدانِ ﴾ الصبيان ، وهم المسلمون الذين منعهم المشركون عن الهجرة إلى المدينة المنورة ﴿ الذِينَ يَقُولُون : ربنا أخرجْنا من هذه القرية ﴾ مكة المكرمة ﴿ الظّالِمِ أهلُها ﴾ بالشرك الذي هو ظلم عظيم ، وبإيذائهم للمسلمين ﴿ واجْعَلْ لنا من لَدُنْكَ وليّاً ﴾ حافظاً يحفظ علينا ديننا ﴿ واجْعَلْ لنا من لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾ يدفع عنا أذى أعدائنا .

[٧٦] ﴿ الذِينَ آمَنُوا يُقاتِلونَ في سبيلِ اللّهِ والذِينَ كفروا يُقاتِلون في سبيلِ الطّاغوتِ ﴾ في طاعة الشيطان ﴿ فقاتِلُوا أولياءَ الشَّيطانِ ﴾ أي جُنده ﴿ إنَّ كَيْدَ الشيطانِ ﴾ احتياله في سعيه وتدبيره ﴿ كانَ ضعيفاً ﴾ .

[٧٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ قِيلَ لَهُمْ ﴾ وهم المؤمنون قبل الإذن بالقتال ﴿ كُفُّوا أيْدِيَكُمْ ﴾ عن القتال ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ ﴾ أي : أتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ، وأعطوا زكاة أموالكم لمستحقيها ﴿ فلمّا كُتبَ ﴾ فُرض ﴿ عليهمُ القتالُ ﴾ في سبيل اللّه ﴿ إذا فريقٌ منهمْ ﴾ وهم المنافقون ﴿ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ﴾ يخافون أهل مكة الكفار أن يقتلوهم ﴿ كخشيةِ اللّهِ أو أشدَّ خشيةً ﴾ أو أكثر خوفاً منه ﴿ وقالوا : ربَّنا لِمَ كتبتَ علينا القتالَ ﴾ أي الجهاد في سبيلك ﴿ لولا أخَّرْتَنا إلى أجلٍ قريبٍ ﴾ وتركتنا حتى نموت بآجالنا ﴿ قُلْ : متاعُ الدُّنيا ﴾ وهو كل ما يُتمتع به في الدُّنيا ﴿ قليلٌ ﴾ سريع الفناء ﴿ والآخرةُ ﴾ أي ثوابها ﴿ خيرٌ ﴾ لكم من ذلك المتاع الفاني ﴿ لمنِ اتَّقى ولا تُظْلَمُونَ فتيلاً ﴾ الفتيل : ما شق النواة من الخيط ، يُضرب به المثل في القلة والحقارة [قال الكلبي : نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وقدامة بن مظعون ، وسعد بن أبي وقاص ، كانوا يلقون من المشركين أذىً كثيراً ويقولون : يا رسول الله إئذن لنا في قتال هؤلاء ، فيقول لهم : (كفوا أيديكم عنهم فإني لم أؤمر بقتالهم) ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم ، فأنزل تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٧٨] ﴿ أينما تَكُونوا ﴾ حين أجلكم ﴿ يُدْرِكْكُمُ الموتُ ولو كُنتُم في بُروج ﴾ حصون ﴿ مُشيَّدةٍ ﴾ مرفوعة مستحكمة ﴿ وإنْ تُصِبْهُمْ حسنةٌ ﴾ المقصود : المنافقون يصيبهم الخير والرزق ﴿ يقولوا هذهِ منْ عنْدِ اللّهِ ، وإنْ تُصِبْهُمْ سيِّئَةٌ ﴾ كالفقر والمرض وسواهما ﴿ يَقُولوا هذِه مِنْ عِندِكَ ﴾ يعنون : من شؤمك يا محمد ﴿ قُلْ : كُلٌّ من عِنْدِ اللّهِ ﴾ أي كل واحدة من النعمة والبليّة ﴿ فمالِ هؤلاءِ القومِ ﴾ يعني المنافقين ﴿ لا يكادُونَ يفقهونَ حَديثاً ﴾ فقه الحديث : فهمه ووعاه ، والمقصود تعييرهم بجهلهم وغبائهم .

[٧٩] ﴿ ما أصابَكَ مِنْ حسنةٍ ﴾ نعمة ﴿ فمنَ اللّهِ ، وَمَا أصابَكَ من سيئةٍ ﴾ بليّة ﴿ فمنْ نفسِكَ ﴾ بسبب اقترافها المعاصي . وعن البرّاء عن النبي ﷺ قال : (ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عُودٍ إلا بما قدّمت أيديكم ، وما يغفر اللّه أكثر) رواه ابن عساكر ﴿ وأرسلناكَ للنّاسِ رسولاً ﴾ فمن أين يتصور لك الشؤم وقد أُرسلت داعياً إلى الخيرات ؟ فأنت منشأ كل خير ورحمة ﴿ وكفَى باللّهِ شهيداً ﴾ على رسالتك وصدقك .

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ
عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ
فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ
أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿ **مَنْ يُطعِ الرَّسُولَ فقدْ أطاعَ اللَّهَ** ﴾ لأنَّه ﷺ مبلغٌ لأمره ونهيه ﴿ **وَمَنْ تَوَلّى** ﴾ خالفه وعصاه ﴿ **فما أرْسَلْناكَ عليهم حَفِيظاً** ﴾ أي كفيلاً تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها.

[٨١] ﴿ **وَيَقُولُونَ** ﴾ أي: المنافقون، إذا أمرتهم بشيء وهم عندك ﴿ **طاعةٌ** ﴾ بمعنى: سمعنا وأطعنا ﴿ **فإذا بَرَزُوا من عندِكَ** ﴾ أي خرجوا من مجلسك ﴿ **بيَّتَ طائفةٌ منْهُمْ** ﴾ تآمر رؤساء المنافقين ﴿ **غيرَ الذي تقولُ واللَّهُ يكتُبُ ما يُبيّتُونَ** ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ** ﴾ أي جافهم ولا تعاقبهم ﴿ **وَتَوكَّلْ على اللَّهِ** ﴾ فهو يكفيك شرهم وينتقم منهم ﴿ **وكَفَى باللَّهِ وكيلاً** ﴾ كفيلاً بنصرك عليهم.

[٨٢] ﴿ **أفَلَا يتدبّرون القُرآنَ** ﴾ التدبر: التأمل والنظر ﴿ **ولَوْ كانَ من عندِ غيرِ اللَّهِ** ﴾ كما يزعمون ﴿ **لوجَدُوا فيه اخْتِلَافاً كثيراً** ﴾ كعدم مطابقة بعض أخباره للواقع.

[٨٣] ﴿ **وإذا جاءَهم أمرٌ منَ الأمنِ أو الخَوفِ** ﴾ أي مما يوجب أحدهما ﴿ **أذاعوا بِهِ** ﴾ أفشوه، مما يسبّب المفاسد للمسلمين بإفشاء أسرار إعدادهم أو بنشر الأكاذيب المغرضة في الصف الداخلي ﴿ **ولَوْ رَدُّوهُ** ﴾ أي ذلك الأمر الذي عرفوه ﴿ **إلى الرَّسُولِ وإلى أُولي الأمرِ منهم لعَلِمَهُ** ﴾ أي الأمر ﴿ **الذينَ يستنبطونَهُ** ﴾ أي يستعملونه ويتطلبونه، وهم المنافقون ﴿ **مِنهُمْ** ﴾ أي من الرسول ﷺ وأولي الأمر يعني لو أنهم قالوا: نسكت حتى نسمعه من جهة الرسول ومن ذكر معه، ونعرف الحال من جهتهم، لعلموا صحته وأنه هل هو مما يذاع أو لا ﴿ **ولولا فضلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ** ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتاب ﴿ **لاتّبعتُمُ الشَّيطانَ** ﴾ بالكُفرِ والضَّلال ﴿ **إلاَّ قليلاً** ﴾ منكم ممن تفضل اللَّه عليه فهداه إلى الحقّ والصواب.

[٨٤] ﴿ **فقاتِلْ في سبيلِ اللَّهِ** ﴾ إذا كان الأمرُ كذلك مع المنافقين فقاتل ﴿ **لا تُكلَّفُ إلاّ نَفْسَكَ** ﴾ فالله هو ناصرك لا الجنود ﴿ **وحرِّضِ المُؤْمِنِينَ** ﴾ على القتال ﴿ **عَسَى اللَّهُ أنْ يَكُفّ** ﴾ يمنع ﴿ **بأس** ﴾ شدة ومكروه ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ وهم كفّار مكة ﴿ **واللَّهُ أَشَدُّ بأساً** ﴾ أي شدة وقوة من قريش ﴿ **وأَشَدُّ تَنْكِيلاً** ﴾ تعذيباً وعقوبة

[٨٥] ﴿ **مَنْ يَشْفَعْ شفاعةً حَسَنَةً** ﴾ أي يتوسط في أمر فيترتب عليه خيرٌ ابتغاءً لوجه الله تعالى ﴿ **يكُنْ لَـهُ نصِيبٌ مِنها** ﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها ﴿ **وَمَنْ يَشْفَعْ شفاعةً سيِّئةً، يكُنْ لَـهُ كِفْلٌ منها** ﴾ نصيب من وزرها الذي ترتب على سعيه ﴿ **وكانَ اللَّهُ عَلَى كلِّ شيءٍ مُقيتاً** ﴾ أي: مقتدراً، من أقات على الشيء: إذا اقتدر عليه. [٨٦] ﴿ **وإذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ** ﴾ إذا سُلِّم عليكم ﴿ **فحيُّوا** ﴾ المُسلِّم عليكم ﴿ **بأَحْسَنَ مِنْها أو رُدُّوها** ﴾ أجيبوا بأحسن مما حييتم به أو بمثله ﴿ **إنَّ اللَّهَ كانَ على كل شيءٍ حسيباً** ﴾ فيحاسبكم على كل شيءٍ من أعمالكم. وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ (من قال: السلام عليكم، كُتب له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله، كُتبت عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له ثلاثون حسنة). قال الحسن البصري [من فقهاء التابعين ت ١١٠ هـ، أخذ عن ابن عباس وعثمان بن عفان]: «السلام تطوُّع والرد فريضة» رواه ابن جرير.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

الحزب ١٠

[٨٧] ﴿ اللَّـهُ لا إلٰـه إلاَّ هُـوَ لَيَجْمَعَنَّـكُم إلى يـومِ القيامةِ ﴾ ليبْعثنَّكم من قبوركم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله ﴿ لا رَيْبَ فيهِ ﴾ لا شكَّ في القيامة ﴿ ومَنْ أصدقُ مِـنَ اللّهِ حديثاً ﴾ سؤال إنكاري بمعنى استحالة الكذب عليه سبحانه .

[٨٨] ﴿ فَـمَا لكُم في المنافِقينَ ﴾ فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج من المدينة إلى البدو بحجة فساد هوائها بسبب الحرّ فلم يزالوا يرتحلون مرحلة بعد أخرى حتى انضمُّوا إلى المشركين ﴿ فِئَتَيْنِ ﴾ فرقتين : واحدة تميل إليهم وتدافع عنهم ، وأخرى تخالفهم وتعاديهم ﴿ واللَّهُ أركَسَهُم ﴾ نكّسهم وردَّهم إلى الكفر ﴿ بِما كَسَبُوا ﴾ من لحوقهم بالكفّار ﴿ أتُـريـدُونَ أنْ تَهْدُوا مَنْ أضلَّ اللَّـهُ ﴾ توبيخ للمؤمنين الذين زعموا أن المنافقين مهتدون ﴿ ومَنْ يُضلِلِ اللَّهُ ﴾ عن دينه ﴿ فلَنْ تَجِدَ لَـهُ سبيلاً ﴾ طريقاً إلى الهدى [قال مجاهد : هم قومٌ خرجوا من مكة حتى جاؤوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ، ثم ارتدوا بعد ذلك ، فاستأذنوا النبي ﷺ أن يخرجوا إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها ، فاختلف فيهم المؤمنون فقائل يقول : هم منافقون ، وقائل يقول : هم مؤمنون . فبيّن الله تعالى نفاقهم وأنزل هذه الآية ، وأمر بقتلهم في قوله : ﴿ فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ فجاؤوا ببضائعهم يريدون هلال بن عويمر الأسلمي وبينه وبين النبي ﷺ حلف ، وهو الذي حصر صدره أن يقاتل المؤمنين ، فرفع عنهم القتل بقوله تعالى : ﴿ إلا الذين يصلون إلى قوم ﴾ الآية ـ النيسابوري].

[٨٩] ﴿ ودُّوا لَوْ تكفُرُونَ كما كَفَرُوا ﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم بعد الإيمان ﴿ فتكونونَ سواءً ﴾ في الكفر والضّلال ﴿ فلا تتَّخِذُوا منهم أولياءَ ﴾ في العون والنصرة ﴿ حتَّى يُهاجِروا ﴾ من دار الكفر ﴿ في سبيلِ اللَّهِ ، فإنْ تـولَّوْا ﴾ أي أعرضوا عن الهجرة ﴿ فَخُذُوهُم ﴾ إئسروهم كما تعاملون الكفّار ﴿ واقْتُلوهُم حيثُ وجَدْتُمُوهُمْ ﴾ في الحل والحرم ﴿ ولا تتَّخِذُوا منهم وليًّا ولا نَصيراً ﴾ وقد دلّت الآية على أنه لايجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشتهرين بالزندقة والإلحاد ، وهذا متأكد بعموم قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء ﴾ [الممتحنة : ١] . [٩٠] ﴿ إلاَّ الذِينَ يَصِلُونَ ﴾ يلجؤون ﴿ إلى قومٍ بينكم وبينهم ميثاقٌ ﴾ عهد وهدنة ﴿ أو جاؤوكم حَصِرَتْ صدورُهم ﴾ ضاقت وانقبضت نفوسهم ﴿ أن يُقاتِلُوكم أو يُقاتِلُوا قومَهم ﴾ فهم لا لكم ولا عليكم ﴿ ولو شاءَ اللَّهُ لسلَّطَهُمْ عليكُمْ فلقاتَلُوكُمْ ، فإنِ اعتزلوكم ﴾ تركوكم ﴿ فلم يُقاتلوكم وألْقَوْا إليكمُ السَّلَمَ ﴾ أي الانقياد والاستسلام ﴿ فما جعلَ اللَّهُ لكمْ عليهِم سبيلاً ﴾ فلا طريق لكم عليهم بالأسر أو القتل ، إذ لا ضرر منهم في الإسلام ، وقتالهم يُظهر قوّتهم .[٩١] ﴿ ستجدونَ ﴾ أقواماً ﴿ آخرينَ يُريدونَ ﴾ بإظهار الإسلام لكم ﴿ أنْ يَأْمنوكم ﴾ على أنفسهم ﴿ ويأمنُوا قومَهم ﴾ بإظهار الكفر ﴿ كُلَّـمَا رُدُّوا إلى الفتْـنَـةِ ﴾ دُعُوا إلى الارتداد والشرك ﴿ أُركِسُوا فِيهَا ﴾ رجعوا إليها منكوسين على رؤوسهم ﴿ فإنْ لم يعتزِلُوكم ﴾ بوقوفهم على الحياد ﴿ ويُلقوا إليكمُ السَّلَمَ ﴾ الانقياد ﴿ ويكفُّوا أيديَهم ﴾ عن قتالكم ﴿ فخذوهُمْ ﴾ أسرى ﴿ واقْتُلُوهُمْ حيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أينما وجدتموهم ﴿ وأولئِكُمْ جعلْنا لكُمْ عَلَيْهِم سُلْطاناً مُبيناً ﴾ حجّة واضحة في الإيقاع بهم قتلاً وسبياً .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

[٩٢] ﴿ **وَمَا كَانَ** ﴾ ما جاز ولا صحّ ﴿ **لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلاَّ خطأً ، ومَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً ، فتحريرُ رَقَبَةٍ مُؤمنةٍ** ﴾ فالواجب عليه إعتاق عبد أو أَمَةٍ من المسلمين ﴿ **وَدِيَةٌ مُسلَّمَةٌ إلى أهْلِهِ** ﴾ عوضاً لهم عما خسروه بفقدانهم القتيل . وعن جابر عن النبي ﷺ ، أنه فرض في الدِّية على أهل الإبل مائة من الإبل ، وعلى أهل البقر مائتي بقرة ، وعلى أهل الشاء ألفي شاة ، وعلى أهل الحلل مائتي حلة ، رواه أبوداود . وجعل عمر بن الخطاب الدِّية على أهل الذهب ألف دينار ، وهذه الدِّية تجب على عاقلة القاتل وهم أقاربه من جهة الأب ، فإن لم يكن له عاقلة ، أو كانوا فقراء ، فعلى بيت المال ﴿ **إلاَّ أنْ يصَّدَّقوا** ﴾ إلاَّ أن يعفو أولياء المقتول بالدية ويتنازلوا عن حقهم فيها ، فلا تجب على القاتل ﴿ **فإنْ كانَ** ﴾ المقتول خطأً ﴿ **مِنْ قَوْمٍ عَدُوّ لكُمْ** ﴾ محاربين ﴿ **وهُوَ مُؤمِنٌ ، فتحريرُ رقبةٍ مُؤْمِنَةٍ** ﴾ فعلى قاتله الكفّارة فقط ، دون الدِّية كي لا يتقوى الكفّار بها ﴿ **وإنْ كانَ** ﴾ المقتول خطأً ﴿ **من قوم** ﴾ كفّار ، وهو كافر مثلهم ﴿ **بينكم وبينَهم ميثاقٌ** ﴾ عهد من هدنة أو أمان ﴿ **فَدِيَةٌ** ﴾ فعلى قاتله ديةٌ . روى أحمد والنسائي والترمذي أن النبيّ ﷺ قال : (عقل الكافر نصف دية المسلم) ﴿ **مسلَّمةٌ إلى أهْلِهِ** ﴾ إذ هم كالمسلمين في الحقوق ﴿ **وتحريرُ رَقَبَةٍ مُؤْمنةٍ** ﴾ كفّارة ﴿ **فَمَنْ لم يجِدْ** ﴾ رقبة ليحررها ﴿ **فصيامُ شهرينِ مُتتابِعَيْنِ** ﴾ فعليه صيام شهرين متواصلين لا إفطار بينهما ، بحيث لو صام تسعة وخمسين وتعمد إفطار يوم أعاد الجميع ﴿ **توبةً مِنَ اللّهِ ، وكانَ اللّهُ عليماً حكيماً** ﴾ [عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه ، أن الحارث بن يزيد كان شديداً على النبي ﷺ ، فجاء وهو يريد الإسلام ، فلقيه عياش بن أبي ربيعة ، والحارث يريد الإسلام ، وعياش لا يشعر فقتله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ﴾ الآية ـ النيسابوري] . وقع الإجماع على أن دية الخطأ مؤجلة على العاقلة ولكن اختلفوا في مقدار الأجل ، وذهب الأكثر إلى أن الأجل ثلاث سنين . [٩٣] ﴿ **ومَنْ يَقْتُلْ مُؤمناً متعمِّداً** ﴾ عن سابق تصور وتصميم ﴿ **فجزاؤُهُ جهنَّمُ خالِداً فيها وغَضِبَ اللّهُ عليهِ ولَعَنَهُ** ﴾ أي أبعده عن رحمته ﴿ **وأعَدَّ له عَذَاباً عظيماً** ﴾ . وفي الحديث : (لَزَوَالُ الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم) رواه الترمذي . وفي رواية : (من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله) رواه ابن ماجه .

[٩٤] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنوا إذَا ضَرَبْتُمْ** ﴾ ذهبتم ﴿ **في سبيلِ اللّهِ** ﴾ إلى أرض العدوّ للجهاد ﴿ **فتبيَّنُوا** ﴾ فتحققوا وتدبّروا ﴿ **ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إليكمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً** ﴾ وفي ذلك دعوة لقبول إسلام من لفظ الشهادتين وعدم الشك بها في قلبه ﴿ **تَبْتَغُونَ** ﴾ تطلبون بقتله ﴿ **عَرَضَ الحياةِ الدُّنيا** ﴾ أي ماله وهو سريع النفاد ﴿ **فعِندَ اللّهِ مغانِمُ كثيرةٌ** ﴾ فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه ﴿ **كذلكَ كُنتم مِنْ قبلُ فمنَّ اللّهُ عليكم فتَبيَّنُوا** ﴾ وأنتم أنفسكم كنتم مثل هذا ، لا يَعْلَم ما في قُلُوبِكُمْ إلاَّ الله ، فتفضَّل عليكم بالإيمان ﴿ **إنَّ اللّهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً** ﴾ [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لحق المسلمون رجلاً في غُنيمة له ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته ، فنزلت هذه الآية : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلامَ لست مؤمناً تبتغون عرضَ الحياة الدينا ﴾ أي تملُّك الغنيمة ـ النيسابوري] .

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

[٩٥] ﴿ **لا يستوي القاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنينَ** ﴾ الذين لا يجاهدون في سبيل الله ، وروى البخاري عن البراء قال : لما نزلت ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها ، فجاء ابن أم كلثوم فشكا ضرارته ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله ﴿ **غَيْرُ أولي الضَّرِرِ** ﴾ الذين ينوون الجهاد ولكن حبسهم العذر الشرعي كالعمى والعرج والمرض ﴿ **والمُجَاهِدُونَ في سبيلِ اللَّه** ﴾ ففي الآية بيان لتفاوت طبقات المؤمنين وحثٌّ على الجهاد والقتال في سبيله سبحانه ﴿ **بأموالِهم** ﴾ التي ينفقونها على أنفسهم في الجهاد أو على مجاهد آخر ﴿ **وأنفسِهِمْ** ﴾ يضحُّون بها في سبيله سبحانه ﴿ **فضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بأموالِهم وأنفسِهم على القاعدين** ﴾ الذين لا عُذر لهم ﴿ **دَرَجَةً ، وكُلاًّ** ﴾ من المجاهدين والقاعدين ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى** ﴾ وهي الجنّة لحسن عقيدتهم ، وإخلاص نيّتهم ﴿ **وفضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ على القاعِدِينَ** ﴾ بغير عذر ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ .

ربع الحزب ١٠

[٩٦] ﴿ **دَرَجَاتٍ مِنْهُ** ﴾ عن أبي سعيد الخدريّ أن رسول الله ﷺ قال : (إنَّ في الجنّة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) رواه البخاري ﴿ **ومغفرةً** ﴾ لذنوبهم ﴿ **ورحمةً ، وكانَ اللَّهُ غفوراً رحيماً** ﴾ .

[٩٧] ﴿ **إنَّ الَّذينَ تَوَفَّاهُمُ الملائكةُ ظالِمي أنفُسِهِمْ** ﴾ نزلت هذه الآية في الذين لم يخرجوا من بلاد الكفر التي لا يستطيعون فيها إظهار إيمانهم إلى بلاد الإسلام ، والظلم المذكور فيها يعني الكفر ﴿**قالوا**﴾ تقول لهم الملائكة عند قبض أرواحهم ﴿ **فيمَ كُنْتُمْ** ﴾ يعني توبيخاً لهم على تقصيرهم في الدنيا ﴿ **قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأرْضِ** ﴾ أي أرض الأعداء ﴿ **قالُوا : أَلَمْ تكُنْ أرضُ اللَّهِ واسِعَةً فتُهاجِرُوا فيها** ﴾ مع استطاعتكم ذلك ، فقد كنتم قادرين على ترك أرض الكفار إلى أرض أخرى تُظهرون فيها إسلامكم ﴿ **فأولئك** ﴾ المذكورون من ظالمي أنفسهم ﴿ **مأواهُمْ** ﴾ مصيرهم ﴿ **جهنَّمُ وسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ .

[٩٨] ﴿ **إلاّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ** ﴾ بسبب عذر شرعي كالعمى أو العرج أو المرض أو الهرم أو الفقر ﴿ **والنِّساءِ والوِلْدَانِ** ﴾ أي الصبيان ، لأنهم ﴿ **لا يستطيعونَ حيلةً** ﴾ لا قوة لهم على الخروج والهجرة ولا يملكون مالاً كافياً ﴿ **ولا يهتدونَ سبيلاً** ﴾ لا يعرفون طريقاً إلى دار الهجرة .

[٩٩] ﴿ **فأولئكَ** ﴾ أصحاب الأعذار الشرعية ﴿ **عَسَى اللَّهُ أنْ يَعْفُوَ عنهم وكانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً** ﴾ .

[١٠٠] ﴿ **وَمَنْ يُهاجِرْ في سبيلِ اللَّهِ** ﴾ أي في طاعته ﴿ **يجدْ في الأرضِ مُراغماً كثيراً** ﴾ ييسر له الله أمكنةً للهجرة كثيرة تُرغم أنف عدوه ، وترده عنه خائباً ﴿ **وَسَعَةً** ﴾ أي رزق وفير أو أمن واسع ﴿ **ومَنْ يَخْرُجْ مِنْ بيتِهِ** ﴾ بمكة ﴿ **مُهاجراً إلى اللَّهِ ورسولِهِ** ﴾ بالمدينة ﴿ **ثم يُدْرِكْهُ المَوْتُ** ﴾ في الطريق قبل أن يصل إلى هدفه ﴿ **فَقَدْ وَقَعَ** ﴾ أي ثبت ﴿ **أجْرُهُ على اللَّهِ وكانَ اللَّهُ غفوراً رحيماً** ﴾ عن ابن عباس وغيره أنها نزلت في ضُمرة بن جندب الذي خرج من بيته مهاجراً فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ ، رواه ابن جرير.

[١٠١] ﴿ **وإذَا ضَرَبْتُمْ في الأرضِ** ﴾ أي سافرتم ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ** ﴾ أي إثم ﴿ **أنْ تَقْصُرُوا** ﴾ تنقصوا من عدد الركعات ﴿ **مِنَ الصَّلاةِ إنْ خِفْتُمْ أنْ يَفْتِنَكُمْ** ﴾ يقاتلكم ﴿ **الذينَ كفَرُوا** ﴾ وأنتم تُصلُّون ﴿ **إنَّ الكافِرينَ كانُوا لكُمْ عَدُوّاً مُبيناً** ﴾ ظاهر العداوة .

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا۟ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿ وإذَا كُنْتَ فِيهِمْ ﴾ الخطاب موجه للنبي ﷺ ، أي كنت مع أصحابك وأنتم تخافون العدو وحضر وقت الصلاة ﴿ فأقمتَ لَهُمُ الصَّلاةَ ﴾ أي صلاة الجماعة ﴿ فلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ أي اقسمهم إلى جماعتين ، جماعة تقف إزاء العدو وجماعة تصلي وراءك ﴿ ولْيَأْخُذُوا ﴾ أي الفريق الذي يصلي وراءك ﴿ أَسْلِحَتَهم ﴾ من باب الاحتياط ﴿ فإذا سَجَدُوا ﴾ أي أتموا الركعة بالسجود الثاني ، تقوم أنت إلى الجماعة الثانية منتظراً ، فإذا فرغت الجماعة الأولى من صلاتها ﴿ فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ ﴾ يتمون صلاتهم ثم ينصرفون للحراسة ﴿ ولْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا ﴾ وهم الذين حرسوا أولاً ﴿ فلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ ركعتهم الأولى وتكون أنت في الثانية ، ثم تجلس منتظراً ، ويقومون هم إلى ركعتهم الثانية فيتموا صلاتهم ثم يجلسوا ليسلموا **معك** . قال الإمام أحمد : كل حديث يروى في باب صلاة الخوف فالعمل به جائز وفي كتب الفقه تبيان لحالات صلاة الخوف بالتفصيل فلتراجع هناك ﴿ وليأْخُذُوا حِذْرَهُمْ ﴾ أي تيقّظهم لأن العدو يتوهمون في الأولى كون المسلمين قائمين في الحرب ، فإذا قاموا إلى الثانية ظهر لهم أنهم في الصلاة ، فههنا ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم ﴿ وأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ مع أنهم في صلاة ﴿ ودَّ الذين كَفَرُوا ﴾ تمنوا ﴿ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ ﴾ فتتركونها جانباً ﴿ وأمتِعَتِكُمْ ﴾ وهي حوائج القتال ﴿ فَيَمِيلُونَ عليْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ يحملون عليكم حملة واحدة فيقتلونكم ﴿ ولا جُنَاح عليكم ﴾ لا إثم عليكم ﴿ إنْ كانَ بِكُمْ أذىً مِن مَطَرٍ ﴾ يثقل معه حمل السلاح ﴿ أو كُنْتُمْ مَرْضَىٰ ﴾ يثقل عليكم حمله ﴿ أنْ تَضَعُوا أسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ لئلا يهجم عليكم العدوّ غيلة ﴿ إنَّ اللَّهَ أَعَدَّ للكافِرينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ شديداً .

[١٠٣] ﴿ فإذا قَضَيْتُم ﴾ أتممتم ﴿ الصَّلاةَ ﴾ صلاة الخوف كما بينتها الآية السابقة ﴿ فاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ ﴾ أي فداوموا على ذكره تعالى في جميع الأحوال ﴿ فإذا اطْمَأْنَنْتُمْ ﴾ شعرتم بالأمن ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ على الحالة العادية التي تعلمونها ﴿ إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ على المُؤْمنينَ كتاباً مَوْقُوتاً ﴾ لها وقت محدد لا يجوز تبديله حتى في وقت المعركة ، وفي هذه الآية مشروعية صلاة الخوف وكيفيتها .

[١٠٤] ﴿ ولا تهنُوا في ابْتِغَاءِ القَوْمِ ﴾ أي : لا تضعفوا في طلب قتال عدوّكم ﴿ إنْ تكونُوا تألمونَ فإنَّهُمْ يأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ ﴾ يصيبهم من الألم ما يصيبكم ﴿ وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ ﴾ من النّصر ودخول الجنة وتحصيل الثواب ﴿ وكانَ اللَّهُ عليماً حكيماً ﴾ فلا يكلفكم إلا بما يعلم أنه سبب صلاحكم في دينكم ودنياكم ، فجدوا في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة .

[١٠٥] ﴿ إنَّا أنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لتحكُمَ بين النَّاسِ بما أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ بما عرّفك وأعلمك وأوحى إليك . قال عمر رضي الله عنه : لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله ، فإن الله لم يجعل ذلك إلاّ لنبيه ﷺ ولكن ليجتهد رأيه ﴿ ولا تَكُنْ للخائنينَ خصيماً ﴾ لا تُجادل ولا تدافع عن الخائنين الذين يرتكبون الإثم ويتهمون به قوماً أبرياء ، كما فعل طعمة بن أبيرق الذي سرق درع أحد الأنصار في عهد رسول الله ﷺ فلما انكشف الأمر ألقاه في منزل رجل بريء لينجو بنفسه ويُتّهم الآخر .

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] ﴿ واستغفِرِ اللَّهَ ﴾ مما هممت به من الدفاع عن طعمة المذكور ﴿ إنَّ اللَّهَ كانَ غفوراً رحيماً ﴾ .

[١٠٧] ﴿ ولا تُجادِلْ ﴾ تدافع ﴿ عن الذين يَخْتَانُونَ أنفُسَهم ﴾ يخونونها بالمعصية ، أي بني أبيرق ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يحبُّ من كان خوّاناً أثيماً ﴾ مُفرطاً في الخيانة وارتكاب المعاصي .

[١٠٨] ﴿ يستخفونَ من النَّاسِ ﴾ يستترون حياءً منهم وخوفاً من ضررهم ﴿ ولا يستخفونَ منَ اللَّهِ ﴾ فلا يستحيون منه ﴿ وهُوَ مَعَهُمْ ﴾ عالم بهم لا يخفى عليه سرُّهم ﴿ إذْ يُبيِّتونَ ما لا يرضى من القولِ ﴾ يدبّرون ويزوّرون الحلف الكاذب ويرمون الأبرياء ويشهدون الزور ﴿ وكانَ اللَّهُ بما يعملونَ مُحيطاً ﴾ .

[١٠٩] ﴿ ها أَنْتُمْ هؤلاءِ جادلتم عنهم في الحياةِ الدُّنيا فمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عنهم يومَ القيامةِ ﴾ المجادلة : أشد المخاصمة ، فلئن دافعتم عنهم في الدنيا فمن يدافع عنهم أمام اللَّهِ الذي لا يخفى عليه شيء ؟ وهو يعلم حقيقة أمرهم ﴿ أمْ مَنْ يكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ حافظاً ومحامياً من بأس اللَّه وانتقامه .

[١١٠] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً ﴾ قبيحاً يسوء به غيره ﴿ أو يَظْلِمْ نفسَهُ ﴾ بالمعصية ﴿ ثُمَّ يستغفرِ اللَّهَ ﴾ بالتوبة الصادقة ﴿ يجِدِ اللَّهَ غفوراً رحيماً ﴾ .

[١١١] ﴿ وَمَنْ يكسبْ إثماً فإنَّما يكسِبُهُ على نفسِهِ ﴾ أي فليتحرز عن تعريضها للعقاب ﴿ وكانَ اللَّهُ عليماً حكيماً ﴾ .

[١١٢] ﴿ وَمَنْ يكسِبْ خطيئةً أو إثْماً ﴾ الخطيئة والإثم : الذنب ﴿ ثمَّ يَرْمِ بِهِ بريئاً ﴾ يتهمه به ظلماً وعُدواناً ﴿ فقدِ احتملَ بُهتاناً ﴾ وهو الكذب على الغير ﴿ وإثْماً مُبيناً ﴾ ذنباً واضحاً [وروى قصة بني أبيرق : بشر وبشير ومبشر ، الترمذي وابن جرير عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه ، وفيها أن رسول الله ﷺ رد السلاح إلى رفاعة ، فقال قتادة : لما أتيت عمي السلاح ، وكان شيخاً قد عمي ، أو عشي ، في الجاهلية ؛ وكنت أرى إسلامه مدخولاً ـ أي فيه نفاق ـ ، فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخي : هي في سبيل الله . فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً . فلما نزل القرآن لحقَ بشيرٌ بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فأنزل تعالى : ﴿ ومن يُشاقق الرسول من بعدما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولى ونُصْله جهنمَ وساءت مصيراً * إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً ﴾ . فلما نزل على سلافة بنت سعد هجاها حسان بن ثابت بأبيات من شعر ، فأخذت رحله فوضعته على رأسها ثم خرجت به فرمته في الأبطح ، ثم قالت : أهديت لي شِعْر حسان ، ما كنت تأتيني بخير ـ ابن كثير] .

[١١٣] ﴿ ولولا فضلُ اللَّهِ عليك ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ ورحمتُهُ ﴾ بالنبوة والوحي بإعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق ﴿ لهمَّتْ طائفةٌ مِنْهُمْ أن يُضِلُّوكَ ﴾ لتمكن قومٌ من أهل المدينة في إضلالك في قضية الدرع المسروقة التي ذكرت في الآية رقم ١٠٥ السابقة ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إلاَّ أنفسَهم ﴾ لأن الذنب عليهم ﴿ وَمَا يَضرُّونَكَ مِنْ شيءٍ ﴾ لأنك تقضي بحسب البيّنة الظاهرة ﴿ وأنزلَ اللَّهُ عليكَ الكتابَ والحِكمةَ ﴾ أي القرآن والسنّة ﴿ وعَلَّمَكَ ﴾ من أمور الدين والشرائع ﴿ مَا لَمْ تكُنْ تَعْلَمُ ﴾ قبل نزول ذلك عليك ﴿ وكانَ فَضْلُ اللَّهِ عليكَ عظيماً ﴾ فالآية تدل على أن العلم أشرف الفضائل والصفات .

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

نصف الحزب ١٠

[١١٤] ﴿ لا خَيْرَ في كثيرٍ مِنْ نَجْـواهُمْ ﴾ أي مساررتهم ، فالنجو : السرُّ بين اثنين ﴿ إلاَّ مَنْ أَمَـرَ بصدقةٍ ﴾ أعطى الصدقة سراً ليستر على المتصدَّق عليه ﴿ أو معروفٍ ﴾ مثل الأمر بطاعة الله ، أو وعظ العاصي سراً ﴿ أو إصلاحٍ بين النَّاسِ ﴾ أي أصلح بين المتخاصمين ﴿ وَمَنْ يَفعلْ ذلكَ ابتغاءَ ﴾ طَلَبَ ﴿ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نؤتيهِ ﴾ في الآخرة ﴿ أجراً عظيماً ﴾ . [عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذِكر الله عز وجل ، أو أمر بمعروف ، أو نهيٌ عن منكـر) رواه ابن مـردويـه . وفي الحديث : (ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً ، أو يقول خيراً)رواه الجماعة . وقال الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة) قالوا : بلى يا رسول الله . قال : (إصلاح ذات البين) قال : (وفساد ذات البين هي الحالقة) رواه أبو داود والترمذي ـ ابن كثير] .

[١١٥] ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ أي يخالفه ويعاديه ﴿ مِنْ بعدِ مَا تبيَّنَ له الهُدَى ﴾ اتضح لـه الحق ﴿ ويتَّبِعْ غيرَ سبيلِ المُؤْمنينَ ﴾ ويخالف الإجماع ﴿ نُوَلِّهِ مـا تَـوَلَّى ونُصلِهِ جهنَّمَ ﴾ نتركه مع اختياره الفاسد ، وندخله جهنم عقوبة له ﴿ وساءت مصيراً ﴾ .

[١١٦] ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يغفـرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويغفـرُ ما دُونَ ذلك لمن يشاءُ ﴾ فاللَّـهُ يغفر الـذنوب جميعـاً قبل النزع الأخير ولا يغفر لمن مـات وهو مشرك ﴿ ومـنْ يُشركْ بـاللَّهِ فقـدْ ضلَّ ضلالاً بعيداً ﴾ عن الحقّ ، فالشرك أعظم أنواع الضلالـة وأبعدها عن الصواب والاستقامة .

[١١٧] ﴿ إنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِـهِ ﴾ ما يعبد المشركـون من دونِ اللَّهِ ﴿ إلاَّ إناثاً ﴾ أوثانـاً يسمونها تسميـة الأنثى ، أو الملائكة لأن بعضهم كـان يعبد الملائكة ويقولون عنها بنات الله ﴿ وإنْ يَدْعُونَ ﴾ ما يعبدون من دون اللَّهِ ﴿ إلاَّ شيطاناً مريداً ﴾ وهو إبليس لعنه الله لطاعتهم له فـي عبادتها ، وإذا أطاعوه فيما سوّل لهم فقد عبدوه . والمَرِيد : المتمرد العاتي الطاغي .

[١١٨] ﴿ لعَنَـهُ اللَّهُ ﴾ أبعده عن رحمته ﴿ وقالَ ﴾ الشيطان حين أُبْعِد ﴿ لأتَّخذنَّ منْ عبادِكَ ﴾ الذين لعنتني بسببهم ﴿ نصيباً مفروضاً ﴾ حظّاً مقدّراً معلوماً أدعوهـم إلى طاعـتي ، فيـكفـــرون أو يعصون .

[١١٩] ﴿ ولأُضِلَّنَّـهُمْ ﴾ عن الهُدى ﴿ وَلأُمَنِّيَـنَّـهُم ﴾ الأماني الباطلة ﴿ وَلآمرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأَنْعَامِ ﴾ التبتيك : قطع آذان الناقة ، وهي من عادة الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً يشقّـون آذانها ويتركونها فلا ينتفعون منها بـشـيء وتُسمى : بَحِيرَة ، كما أنهم لا يمنعونها من ماء ولا كلأ ويظنون أنّهم يتقربون بها إلى الله ﴿ ولآمرنّهم فليُغيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ أي دين الله عز وجل ، وقيل بتغيير خلقه كخصاء العبيد والحيوان والوشم وارتكاب أنواع المعاصي ﴿ وَمَنْ يتّخذِ الشيطانَ وليّاً منْ دونِ اللَّهِ فقد خسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ لأن مصيره النّار خالداً فيها .

[١٢٠] ﴿ يَـعِدُهُمْ ﴾ بالفوز ﴿ ويُمنِّيهمْ ﴾ بما لا ينالونه ﴿ وما يَـعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوراً ﴾ باطلاً وضلالاً ، وإيهاماً بما ليس فيه إلا الضرر.

[١٢١] ﴿ أولئكَ ﴾ أولياء الشيطان ﴿ مَـأْواهُمْ ﴾ مصيرهم ، يوم القيامة ﴿ جهنَّمُ ولا يجِدُونَ عنها مَحِيصاً ﴾ مفَرّاً .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

[١٢٢] ﴿ **والذين آمنُوا وعملوا الصَّالحاتِ** ﴾ فالإيمان : عقيدة وعمل ﴿ **سنُدْخِلُهمْ جنَّاتٍ تجري من تحتِها** ﴾ من تحت غرفها ومساكنها ﴿ **الأنهارُ خالدِينَ فيها أبداً** ﴾ مقيمين في الجنة دائماً ﴿ **وعْدَ اللّهِ حقًّا ، ومن أصدَقُ من اللّهِ قِيلاً** ﴾ أي وعداً وخبراً . وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته : (إن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهَدْي هَدْيُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتُها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النَّار) أخرجه مسلم .

[١٢٣] ﴿ **لَيْسَ بأمانِيِّكُمْ** ﴾ ليس الأمر كما تشتهون وتتمنون أيها المشركون ﴿ **وَلاَ أَمَانِيِّ أهل الكتاب** ﴾ ولا كما يشتهي اليهود والنَّصارى الذين يقولون إنهم أبناء الله وأحبّاؤه ﴿ **مَنْ يعملْ سوءاً** ﴾ من المشركين وأهل الكتاب ﴿ **يُجْزَ به ، ولا يَجِدْ له مِنْ دونِ اللّهِ وليّاً ولا نصيراً** ﴾ الجزاء : الحساب . لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله ﷺ (سددوا وقاربوا فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها) رواه سعيد بن منصور. [عن ابن أبي صالح قال: جلس أهلُ الكتاب ـ أهل التوراة وأهل الإنجيل ـ وأهل الأديان، كل صنف يقول لصاحبه : نحن خير منكم . فنزلت هذه الآية ـ النيسابوري] .

[١٢٤] ﴿ **ومَنْ يَعْمَلْ منَ الصَّالحاتِ مِنْ ذكرٍ أو أُنْثَى وهو مُؤمن** ﴾ لأن غير المؤمن لا يرجو الثواب ﴿ **فأولئِكَ يدْخُلُونَ الجنَّةَ ولا يُظْلَمونَ نقيراً** ﴾ لا ينقص من حسناتهم قدر نقير، وهو النقرة في ظهر نواة البلح .

[١٢٥] ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وجْهَهُ للّهِ** ﴾ أي أخلص له العبادة ولم يشركْ به شيئاً ﴿ **وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه البخاري ﴿ **واتبعَ مِلَّة إبراهيمَ** ﴾ الموافقة لدين الإسلام ﴿ **حَنِيفاً** ﴾ مائلاً عن الشرك ملتزماً بالتوحيد ﴿ **واتَّخذ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً** ﴾ أي : أحبّه محبة تامة لا خلل فيها ، لإخلاصه وحسن التزامه .

[١٢٦] ﴿ **وللّهِ ما في السَّمٰواتِ وَمَا في الأرض** ﴾ يملك كل ما فيهما ﴿ **وكانَ اللّهُ بكلِّ شيءٍ مُحيطاً** ﴾ يعني لا تخفى عليه خافية .

[١٢٧] ﴿ **ويَسْتَفْتُونَكَ في النِّساءِ** ﴾ الإفتاء : تبيين المُبهم ، والمعنى يسألونك عن بعض قضايا النساء مما أُشكل عليهم ﴿ **قُلِ : اللّهُ يُفتيكم فيهنَّ** ﴾ يُبيّن لكم أحكامهن ﴿ **وما يُتْلَى عليكم في الكِتابِ** ﴾ وما يُقرأ عليكم في القرآن يبيّن لكم كذلك ، وهو قوله تعالى في الآية ٣ من هذه السورة : ﴿ وإنْ خِفتُم ألاَّ تُقْسِطوا في اليَتامَى ﴾ ، ﴿ **في يَتَامَى النِّساءِ** ﴾ أي اليتيمات منهنّ ﴿ **اللاّتي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ** ﴾ وهو ما وجب لهن من الميراث وغيره ﴿ **وترغَبُونَ أنْ تنكِحُوهُنَّ** ﴾ وذلك أن الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة تحت رعايته فيلقي عليها ثوبه ، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً ، فإن كانت جميلة وَهَوِيَهَا تزوجها وأكل مالَها ، وإن كانت دميمة منعها الرجالَ أبداً حتى تموت ، فإذا ماتت ورثها ، فحرّم الله ذلك ونهى عنه ﴿ **والمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدانِ وأنْ تَقُومُوا لليَتَامى بالقِسْطِ** ﴾ الخطاب موجه للأولياء والأوصياء والولاة ، والمعنى : مراعاة قواعد العدل في معاملة اليتيمة في الزواج وسواه ﴿ **وما تفعلوا مِنْ خيرٍ** ﴾ في حقّ الضعفاء كحفظ أموالهم والعدل في معاملتهم ﴿ **فإنَّ اللّهَ كان به عليماً** ﴾ فيجزيكم به .

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

[١٢٨] ﴿ وإنِ امرأةٌ خافتْ مِن بَعْلِهَا ﴾ زوجها ﴿ نُشُوزاً ﴾ تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها والتقصير في حقوقها المادية والمعنوية ﴿ أو إعْراضاً ﴾ تطليقاً ، إما لكرهها وإما رغبة في الزواج من غيرها ﴿ فَلا جُناحَ ﴾ فلا إثم ﴿ عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحَا بينهما صُلْحاً ﴾ بحطِّ شيءٍ من المهر أو النفقة ، تتنازلُ عن ذلك طلباً لبقاء الصحبة بينهما ، وإلا فعلى الزوج أن يقوم بواجبه كاملاً أو يطلقها ﴿ والصُّلْحُ خيرٌ ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض ، وفي الحديث : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) رواه أبو داود وابن ماجه ﴿ وأُحْضِرَتِ الأنفسُ الشُّحَّ ﴾ بيان لما جُبل عليه الإنسان من البخل في حقوقه وعدم الاستهانة بها ﴿ وإنْ تُحْسِنُوا ﴾ في العشرة ﴿ وتتّقُوا ﴾ جفاء المعاملة أو الطلاق أو هضم الحقوق ﴿ فإنَّ اللَّهَ كانَ بما تعملونَ ﴾ من تحمّل المشاق في ذلك ﴿ خَبيراً ﴾ فيجازيكم ويثيبكم .

[١٢٩] ﴿ وَلَنْ تستطيعوا أنْ تعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ ﴾ فلا بد من التفاوت في المحبة ﴿ ولو حَرَصْتُمْ ﴾ على إقامة العدل وبالغتم في ذلكَ ، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) يعني القلب ـ رواه الإمام أحمد ﴿ فلا تَميلُوا كُلَّ المَيْلِ ﴾ فلا تبالغوا في الميل إلى من تحبُّون من نسائكم أكثر من غيرها ﴿ فتَذَروها ﴾ الأخرى التي ملتم عنها ﴿ كالمُعَلَّقةِ ﴾ بين السماء والأرض ، كأنها لا زوج لها ولا هي مطلقة . وفي الحديث : (من كانت له امرأتان ، فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شدقيه ساقط) ـ رواه الطيالسي ﴿ وأنْ تُصْلِحُوا ﴾ نفوسكم بالعدل بين نسائكم ﴿ وتتّقُوا ﴾ الظلم والجور ﴿ فإنَّ اللَّهَ كان غَفُوراً رحيماً ﴾ يغفر لكم ما سلف من ميلكم .

[١٣٠] ﴿ وإنْ يتفرّقا ﴾ أي بالطلاق بين الزوج وزوجه ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ ﴾ منهما ، فيجعله مستغنياً عن الآخر ﴿ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ جوده وقدرته ﴿ وكانَ اللَّهُ واسعاً ﴾ واسع الفضل ﴿ حكيماً ﴾ في شرعه وتقديره .

[١٣١] ﴿ ولِلَّهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأَرْضِ ﴾ يرزق من يشاء ، ويحكم بما يريد ﴿ ولَقَدْ وصَّيْنا الذينَ أوتوا الكتابَ مِنْ قبلِكُمْ ﴾ من الأمم السابقة التي أُنزل عليها كتبٌ من الله ﴿ وإيَّاكُمْ ﴾ أيُّها المسلمون ﴿ أنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ التقوى : عبادته وحده ، لا شريك له ﴿ وإنْ تكْفُروا ﴾ باللَّهِ ﴿ فإنَّ للَّهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرْضِ ﴾ لا يضره كفركم ، ولا ينفعه إيمانكم ﴿ وكانَ اللَّهُ غنيًّا ﴾ عن عباده ﴿ حَميداً ﴾ محموداً في ذاته ، حمدوه أم كفروه .

[١٣٢] ﴿ وللَّهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ ، وكفى باللَّهِ وكيلاً ﴾ ربًّا حافظاً توكل سبحانه بالقيام بجميع ما خلق .

[١٣٣] ﴿ إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ يُفْنكم ويستأصلكم بالمرّة ﴿ أيُّها النَّاسُ وَيَأْتِ بآخَرِينَ ﴾ بقومٍ آخرين ﴿ وكانَ اللَّهُ عَلَى ذلِكَ ﴾ أي : إهلاككم واستبدالكم بغيركم ﴿ قديراً ﴾ بليغ القدرة .

[١٣٤] ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ ثوابَ الدُّنْيا ﴾ كالمجاهد يجاهد للغنيمة ﴿ فعندَ اللَّهِ ثوابُ الدُّنيا والآخِرَة ، وكانَ اللَّهُ سَميعاً بَصيراً ﴾ فلا يخفى عليه خافية ، ويُجازي كُلاًّ بحسب قصده .

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟
ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٠

[١٣٥] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامينَ بالقِسْطِ** ﴾ من المبالغة والاجتهاد في القيام بالعدل والاستقامة ﴿ **شُهَدَاءَ للّه** ﴾ مقيمين للشهادة بالحق ﴿ **ولو على أنْفُسِكُمْ أو** ﴾ على ﴿ **الوالدَيْنِ والأقْرَبينَ** ﴾ فلا تراعِهم فيها بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم ﴿ **إنْ يكُنْ** ﴾ من تشهدون عليه ﴿ **غنيًّا أو فقيراً ، فاللّهُ أوْلى بهمَا** ﴾ وأعلم بما فيه صلاحهما ﴿ **فلا تتَّبِعُوا الهوَى أنْ تعْدِلُوا** ﴾ فلا يحملنَّكم الهوى والعصبية وبغض النَّاس إليكم ، على ترك العدل في شؤونكم [قال ابن كثير : ومن هذا قول عبد الله بن رواحة لما بعثه النبيّ ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ولأنتم أبغض إليّ من أعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض] ﴿ **وإنْ تَلْوُوا** ﴾ تُحرِّفوا ألسنتكم عن الشهادة على وجهها ﴿ **أوْ تُعْرِضُوا** ﴾ عنها بكتمها ﴿ **فإنَّ اللّهَ كانَ بمَا تَعْمَلُونَ خبيراً** ﴾ فيجازيكم عليه . [روى أسباط عن السُّدّي قال : نزلت في النبي ﷺ . اختصم إليه غنيٌّ وفقير ، وكان ضلعه مع الفقير ، رأى أن الفقير لا يَظلمُ الغني فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ﴾ حتى بلغ ﴿ إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ﴾ ـ النيسابوري] .

[١٣٦] ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا** ﴾ اثبتوا على إيمانكم ﴿ **باللهِ وَرَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ على رَسُولِهِ** ﴾ يعني القرآن ﴿ **والكِتَابِ الذي أنْزَلَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ أي الكتب السماوية السابقة ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ باللّهِ وملائكتهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ فقدْ ضَلَّ ضلالاً بعيداً** ﴾ خرج عن الهدى وبعُدَ عن القصد كل البعد .

[١٣٧] ﴿ **إنَّ الذينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثمَّ آمَنُوا ثمَّ كَفَرُوا ثمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لهمْ ولا لِيَهْدِيَهُمْ سبيلاً** ﴾ لأنهم بلغوا في ذلك إلى حد الاستهزاء والسخرية بالإسلام .

[١٣٨] ﴿ **بَشِّرِ المُنافِقِينَ** ﴾ استعمل لفظة : البشارة ، من باب التهكّم ﴿ **بأنَّ لَهُمْ عَذَاباً أليماً** ﴾ فإنهم آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن .

[١٣٩] ﴿ **الَّذِينَ يتَّخِذُونَ الكافِرينَ أوْلِيَاءَ مِنْ دونِ المُؤْمِنِينَ** ﴾ يتخذونهم أنصاراً بدل المؤمنين ﴿ **أيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ** ﴾ أيطلبون بموالاتهم القوة والغَلَبة؟ ﴿ **فإنَّ العزةَ للّهِ جَميعاً** ﴾ له الغَلَبة والقوة .

[١٤٠] ﴿ **وقدْ نزَّلَ عَلَيْكُمْ في الكِتَابِ** ﴾ في القرآن الكريم ﴿ **أنْ إذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللّهِ يُكفَرُ بها** ﴾ يعني يُجحد بها ، وكان المشركون في مكة يستهزئون بالقرآن ، وكذلك اليهود في المدينة ﴿ **ويُسْتَهزَأُ بِهَا فلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غيرِهِ ، إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ** ﴾ إذا قعدتم معهم دل على رضاكم بالكفر بالآيات والاستهزاء بها ﴿ **إنَّ اللّهَ جامِعُ المُنافِقِينَ والكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعاً** ﴾ اجتمعوا على استهزاء بالآيات في الدنيا ، جمعهم الله في عذاب جهنم يوم القيامة . وفي الآية دليل على أن من جلس في مجلس معصية ، ولم ينكر عليهم ، وزره كوزرهم سواء .

الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم
نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ
عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم
القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴿١٤١﴾
إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى
الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا
قليلا ﴿١٤٢﴾ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴿١٤٣﴾ يا أيها الذين ءامنوا
لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون
أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴿١٤٤﴾ إن المنافقين
في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴿١٤٥﴾
إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا
دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله
المؤمنين أجرا عظيما ﴿١٤٦﴾ ما يفعل الله بعذابكم
إن شكرتم وءامنتم وكان الله شاكرا عليما ﴿١٤٧﴾

[١٤١] ﴿ **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُم** ﴾ أي المنافقون ينتظرون ما يحل بكم من نصر أو هزيمة ﴿ **فإنْ كان لكمْ فتحٌ منَ اللَّهِ** ﴾ نصر وغنيمة ﴿ **قالُوا** ﴾ لكم ﴿ **أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ** ﴾ فليكن لنا شركة في غنيمتكم ﴿ **وإنْ كانَ للكافِرينَ نصيبٌ قالوا** ﴾ تودّداً إليهم ﴿ **أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ** ﴾ ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ﴿ **ونَمْنَعْكُمْ مِنَ المؤمنينَ** ﴾ بأن ثبّطْناهم عنكم ﴿ **فاللَّهُ يَحْكُمُ بينكم يومَ القيامَةِ ، ولَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ للكافِرينَ على المُؤْمِنين سَبِيلاً** ﴾ وهو ردٌّ على المنافقين فيما انتظروه من زوال دولة المؤمنين ، والمعنى : لن يسلّط اللَّهُ الكافرين على المؤمنين ، وإن انتصروا عليهم أحياناً فهو نصر مؤقت لا يدوم .

[١٤٢] ﴿ **إنَّ المنافقينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ** ﴾ يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿ **وَهوَ خادِعُهم** ﴾ واللَّهُ يفعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع من حيث يمهلهم ولا يهملهم ﴿ **وإذَا قَامُوا إلى الصَّلاة قَامُوا كُسَالى** ﴾ أَتَوْهَا متثاقلين كالمُكْرَه على الفعل . قال ابن كثير : هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها ، وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها ، لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها . وهذه الآية في صفة ظواهرهم ﴿ **يُراؤُونَ النَّاسَ** ﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ليحسبوهم من المؤمنين . وفي الحديث : (إنَّ أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً) رواه مسلم . وفي رواية : (مَنْ أحسنَ الصلاة حيث يراهُ الناسُ ، وأساءها حيث يخلو ، فتلك استهانة ، استهان بها ربّه عزّ وجلّ) رواه أبو يعلى ﴿ **ولا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلاّ قليلاً** ﴾ لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون ، بل هم في صلاتهم ساهون لاهون .

[١٤٣] ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ مترددين متحيرين ﴿ **لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هَؤلَاءِ** ﴾ لا منضمّين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرينَ ﴿ **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ** ﴾ عن دينه ﴿ **فَلَنْ تجدَ له سبيلاً** ﴾ طريقاً إلى الهدى والصواب .

[١٤٤] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الكافِرينَ أوْلياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمنينَ** ﴾ نهيٌ عن موالاة الكفرة ، يعني مصاحبتهم المؤدية إلى إفشاء أسرار المؤمنين ﴿ **أتُريدونَ أنْ تَجْعَلُوا للَّهِ عليكم سُلْطاناً مُبيناً** ﴾ أي : حُجة عليكم في عقابكم بموالاتكم إياهم .

[١٤٥] ﴿ **إنَّ المُنافقينَ في الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ في قعر جهنّم ، والمنافق : من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نصيراً** ﴾ ينقذهم مما هم فيه من العذاب .

[١٤٦] ﴿ **إلاّ الذِينَ تَابُوا** ﴾ عن النِّفاق ﴿ **وأَصْلَحُوا** ﴾ أعمالَهم ﴿ **واعْتَصَمُوا باللَّهِ** ﴾ وثقوا به بترك موالاة الكفّار ﴿ **وأَخْلَصُوا دينَهُمْ لِلَّهِ** ﴾ لا رياء الناس كما كانوا من قبل ﴿ **فأولئكَ مَعَ المُؤْمِنِينَ** ﴾ في درجات الجنان ﴿ **وسوفَ يُؤْتِ اللَّهُ المُؤْمنينَ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ ثواباً وافراً في الجنة .

[١٤٧] ﴿ **ما يفعلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إنْ شَكَرْتُمْ وآمَنْتُمْ** ﴾ سؤال إنكاري بمعنى : إن الله لا يعذب الناس لحاجة في نفسه وإنما بسبب معاصيهم ، فإذا انتفت المعصية انتفى العذاب ﴿ **وكانَ اللَّهُ شاكراً عليماً** ﴾ الشكر منه تعالى : المجازاة والثناء الجميل .

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

(الجزء ٦ الحزب ١١)

[١٤٨] ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ** ﴾ لا يُحب الله تعالى أن يجهر أحد بالقول القبيح ﴿ **إلاَّ مَنْ ظُلِمَ** ﴾ بأن يَدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء ﴿ **وكانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً** ﴾ وَعْدٌ للمظلوم ووعيدٌ للظالم. [عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جاراً يؤذيني. فقال له ﷺ: (أخرج متاعك فضعه على الطريق). فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق، فكل من مرَّ به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني. فيقول: اللهم العنْهُ، اللهم اخزه. قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك والله لا أؤذيك أبداً. رواه أبو داود والبزار ـ ابن كثير].

[١٤٩] ﴿ **إنْ تُبْدُوا خيراً** ﴾ طاعة وبِرّاً ﴿ **أو تُخْفُوهُ** ﴾ تعملوه سراً ﴿ **أو تَعْفُوا** ﴾ تتجاوزوا ﴿ **عن سُوءٍ** ﴾ ظلم ﴿ **فإنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً** ﴾ يعفو عن الجناة مع قدرته على الانتقام، فعليكم الاقتداء بسنة الله في العفو مع القدرة.

[١٥٠] ﴿ **إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللَّهِ ورُسُلِهِ** ﴾ هم اليهود ﴿ **ويُريدُونَ أنْ يُفرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ ورُسُلِهِ** ﴾ في الإيمان ﴿ **ويقولونَ نُؤمِنُ بِبَعْضٍ** ﴾ من الرسل ﴿ **ونكفُرُ بِبَعْضٍ** ﴾ منهم ﴿ **وَيُرِيدُونَ** ﴾ بقولهم ذلك ﴿ **أنْ يَتَّخِذُوا بين ذَلِكَ** ﴾ بين الإيمان ببعض، والكفر ببعض ﴿ **سبيلاً** ﴾ ديناً يسلكونه، مع أنه لا واسطة بينهما قطعاً.

[١٥١] ﴿ **أولئك هُمُ الكافِرُونَ حقّاً** ﴾ الذين كفروا كفراً ثابتاً لا ريب فيه ﴿ **وأعتَدْنَا للكافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً** ﴾ وهو عذاب جهنم.

[١٥٢] ﴿ **والَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ كلِّهم ﴿ **ولم يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ** ﴾ يعني أمة محمد ﷺ ﴿ **أولئكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ** ﴾ يعطيهم ﴿ **أُجُورَهُمْ** ﴾ ثواب إيمانهم ﴿ **وكانَ اللَّهُ غَفُوراً** ﴾ لذنوبهم ﴿ **رحيماً** ﴾.

[١٥٣] ﴿ **يَسْألُكَ أهلُ الكِتَابِ** ﴾ من اليهود ﴿ **أنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ** ﴾ كما نزلت التوراة على موسى جملة واحدة في الألواح، والذي حملهم على طلبهم هذا: التعنت والكفر ﴿ **فقدْ سَأَلُوا مُوسَى أكبرَ مِنْ ذلِكَ** ﴾ مما سألوك ﴿ **فَقَالُوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾ رؤية ظاهرة ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ** ﴾ النَّار النازلة من السماء ﴿ **بظُلْمِهِمْ** ﴾ بسبب جرأتهم على الله وعتوّهم وعنادهم إذ لا يرون آية إلا يطلبون أكبر منها حتى يروا آية ملجئة إلى الإيمان بحيث لا يفيد الإيمان معها، فإنهم رأوا آيات موسى ﴿ **ثُمَّ اتَّخذوا العِجْلَ** ﴾ إلهاً وعبدوه ﴿ **مِنْ بعْدِ ما جاءَتْهُمُ البيِّنَاتُ** ﴾ الدلائل القاطعة على التوحيد، ثم تابوا ﴿ **فَعَفَوْنَا عنْ ذلكَ** ﴾ تركناهم ولم نستأصلهم ﴿ **وآتيْنا مُوسَى سُلْطَاناً مبيناً** ﴾ حُجة واضحة، وتسلطاً ظاهراً على إهلاك مخالفيه.

[١٥٤] ﴿ **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ** ﴾ جبل الطور ﴿ **بميثاقِهِم** ﴾ بسبب أخذ ميثاقهم، ليخافوا فلا ينقضوه. قال ابن كثير: وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباءٌ على ما جاء به موسى عليه السلام، رفع الله على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى ما فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم ﴿ **وقُلْنا لهُمُ ادخُلُوا البابَ** ﴾ باب بيت المقدس ﴿ **سُجَّداً** ﴾ مطأطئين رؤوسكم تواضعاً لله ﴿ **وقُلْنَا لهمْ لا تعْدُوا في السبْتِ** ﴾ وصّيناهم بالتزام ما حرّم الله عليهم فيه ﴿ **وأخَذْنا مِنْهُمْ ميثاقاً غليظاً** ﴾ عهداً شديداً.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٥٥] ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ** ﴾ فبسبب نقضهم ميثاقهم ﴿ **وَكُفْرِهِمْ بآياتِ اللَّهِ** ﴾ أي : حججه وبراهينه والمعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء ﴿ **وقَتْلِهِمُ الأنبياءَ** ﴾ كزكريا ويحيى ﴿ **بغير حقٍّ وقولِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ** ﴾ أي وادعائهم بأن الله غشّى قلوبهم بأغشية جِبِلِّيَّة تبعدهم عن فهم أقوال الأنبياء ﴿ **بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ** ﴾ ختم عليها بسبب كفرهم ، بعدما كان بإمكانهم اختيار الشر أو الخير كغيرهم من الناس ﴿ **فلا يُؤْمِنُونَ إلاَّ قليلاً** ﴾ أي فريقاً قليلاً منهم ، كعبد الله بن سلام وإخوانه ، أو إلاّ إيماناً قليلاً لا يعبأ به لتمرن قلوبهم على الكفر والطغيان .

[١٥٦] ﴿ **وبكفْرِهِمْ** ﴾ بعيسى ﴿ **وقولِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتاناً عظيماً** ﴾ البهتان : الافتراء الكاذب ، وهو اتهامها بالفاحشة يوم حملت المسيح ولا زوج لها .

[١٥٧] ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عيسى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ** ﴾ وسمي عيسى بالمسيح لأن الله مسح عنه الذنوب وقيل غير ذلك ، والله أعلم ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ إنما قتلوا وصلبوا من ألقي شبهه عليه ﴿ **وإنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فيه** ﴾ في شأن عيسى ﴿ **لفي شَكٍّ مِنْهُ** ﴾ من قتله ﴿ **ما لَهُمْ بِهِ** ﴾ بقتله ﴿ **مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ** ﴾ الذي تخيّلوه ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً** ﴾ بل فعلوه شاكّين فيه .

[١٥٨] ﴿ **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إليهِ ، وكان اللّهُ عزيزاً حكيماً** ﴾ وهو القادر على كل شيءٍ سبحانه .

[١٥٩] ﴿ **وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِننَّ بهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ ما من أحد من أهل الكتاب يشهد نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان إلا ويؤمن به قبل موته عليه السلام . وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها) رواه البخاري ﴿ **ويومَ القيامَةِ يكونُ** ﴾ عيسى ابن مريم ﴿ **عَلَيْهِمْ** ﴾ على أهل الكتاب ﴿ **شهيداً** ﴾ يشهد عليهم أنه قد بلّغهم الرسالة من الله .

[١٦٠] ﴿ **فَبِظُلْمٍ** ﴾ فبسبب ظلم عظيم ﴿ **مِنَ الذينَ هَادُوا** ﴾ اليهود ﴿ **حرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طيّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ** ﴾ حرمناها عليهم بعدما كانت مباحة لطغيانهم ﴿ **وبصَدِّهِمْ عَنْ سبيلِ اللَّهِ كثيراً** ﴾ فهم صَدُّوا أنفسهم وصَدُّوا غيرهم عن اتباع الحق .

[١٦١] ﴿ **وأخْذِهِمُ الرِّبا** ﴾ وهو كل مال تشترط فيه الزيادة في الديون ﴿ **وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ** ﴾ في التوراة ﴿ **وأَكْلِهِمْ أموالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ** ﴾ بالرِّشْوة وسائر الوجوه المحرَّمة ﴿ **وأَعْتَدْنَا لِلكافِرِينَ مِنْهُمْ** ﴾ من اليهود ﴿ **عَذَاباً أليماً** ﴾ .

[١٦٢] ﴿ **لكِنِ الرَّاسِخُونَ في العِلْمِ مِنْهُمْ** ﴾ الثابتون في العلم المستبصرون فيه ﴿ **والمُؤْمِنُونَ** ﴾ من غيرهم ممن آمن بالرسول ﷺ ﴿ **يُؤْمِنون بما أُنْزِلَ إِلَيْكَ** ﴾ من القرآن ﴿ **وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾ على سائر الأنبياء ﴿ **والمقيمينَ الصَّلاة** ﴾ النصبُ في ﴿ والمقيمين ﴾ نصبٌ على المدح ﴿ **والمُؤْتُونَ الزكاةَ ، والمؤمِنُونَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ** ﴾ المصدقون بوحدانية الله ، وبالبعث بعد الموت ، وبالثواب والعقاب ﴿ **أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أجْراً عظيماً** ﴾ يعني الجنّة .

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

ربع الحزب ١١

[١٦٣] ﴿ إنّا أوْحَيْنا إليكَ كما أوحينا إلى نُوحٍ والنبيِّين مِنْ بَعْدِهِ ﴾ فالرسول ﷺ ليس بِدْعاً من الرسل وأمره في الوحي كسائر الأنبياء الذين يوافقون على نبوتهم ﴿ وأوْحَيْنَا إلى إبراهيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسحٰقَ ويَعْقُوبَ والأسْباطِ ﴾ وهم أولاد يعقوب عليهم السلام ﴿ وعيسى وأيُّوبَ ويُونُسَ وهٰرُونَ وسُلَيْمانَ ، وآتينا داوُدَ زَبوراً ﴾ الزبور : اسم الكتاب المنزل على داود .

[١٦٤] ﴿ ورُسُلاً قدْ قصصناهم عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ في السُّور المكية ﴿ ورُسُلاً لم نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ لم نسمِّهم لك في القرآن ﴿ وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تكليماً ﴾ يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة [قال ابن كثير : وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ، ولهذا يقال له الكليم] .

[١٦٥] ﴿ رُسُلاً ﴾ كل هؤلاء النبيّين أرسلناهم رُسُلاً ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ بالجنّة لمن آمن ﴿ ومُنْذِرِينَ ﴾ من النّار لمن كفر ﴿ لِئَلّا ﴾ لكيلا ﴿ يَكُونَ للنّاس على اللّهِ حُجَّةٌ ﴾ يوم القيامة ﴿ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب، روى مسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : (ليس أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل) ﴿ وكانَ اللّهُ عزيزاً ﴾ في انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله ﴿ حكيماً ﴾ في إرسال المرسلين للإنذار .

[١٦٦] ﴿ لكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ شهادةُ اللّهِ بما أنزل إليك وهو القرآن الكريم : إثباته لصحته بإظهار المعجزات وإن كفر به من كفر ممن كذبك وخالفك ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ وهو عالم به ، رقيب عليه ﴿ والملائكةُ يَشْهَدُونَ ﴾ بصدق ما جاءك وأُوحي إليك وأُنزل عليك مع شهادة الله تعالى بذلك ﴿ وكَفَى باللّهِ شَهِيداً ﴾ على صحة نبوتك ، وإن لم يشهد غيره . [قال الكلبي : إن رؤساء أهل مكة أتوا النبي ﷺ فقالوا : سألنا عنك اليهود فزعموا أنهم لا يعرفونك . فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولاً ، فنزلت هذه الآية ـ النيسابوري] .

[١٦٧] ﴿ إنَّ الذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا ﴾ أي كفروا بما شهد الله بإنزاله ومنعوا أنفسَهم وغيرَهم ﴿ عنْ سبيلِ اللّهِ ﴾ وهو دين الإسلام ﴿ قَدْ ضَلُّوا ﴾ بما فعلوا ﴿ ضَلالاً بعيداً ﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال .

[١٦٨] ﴿ إنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ الخلائق بإضلالهم [قال ابن جرير: إن الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ فكفروا بالله بجحود ذلك ، وظلموا بمقامهم على الكفر على علم منهم ، بظلمهم عباد الله وحسداً للعرب وبغياً على رسوله محمد ﷺ] ﴿ لمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ولا لِيهديَهُمْ طريقاً ﴾ لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق .

[١٦٩] ﴿ إلاّ طريقَ جهنّم ﴾ أي ما يؤدي إليها من العمل السيء ﴿ خالدِينَ فيها أبداً وكانَ ذلك على اللّهِ يَسِيراً ﴾ هيّناً لا يعسر عليه ولا يستعظمه .

[١٧٠] ﴿ يا أيُّها النّاسُ قدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بالحقِّ منْ ربِّكُمْ ﴾ بالهدى ودين الحق ﴿ فآمِنُوا خيراً لكُمْ ، وإنْ تكفُرُوا فإنَّ للّهِ ما في السّماواتِ والأرضِ ﴾ فهو غنيٌّ عنكم لا يضرُّه كفركم ولا ينفعه إيمانكم ﴿ وكانَ اللّهُ عليماً حكيماً ﴾ .

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

[١٧١] ﴿ **يا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُم** ﴾ الغلوّ : الإفراط في رفع شأن عيسى عليه السلام ، وادّعاء ألوهيته . وفي الحديث : (لا تُطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله) رواه البخاري ﴿ **ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاّ الحَقَّ** ﴾ فلا تصفوه بما لا يجوز في حقه كاتخاذ الصاحبة والولد [عن الربيع قال: صاروا فريقين: فريق غلوا في الدين، فكان غلوهم فيه الشك فيه والرغبة عنه، وفريق منهم قصروا عنه، ففسقوا عن أمر ربهم ـ ابن جرير] ﴿ **إِنَّما المسيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكلمتُهُ** ﴾ أي : مكوّن بكلمته وأمره من غير واسطة أب ولا نطفة ﴿ **أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ** ﴾ أوصلها إليها بنفخ جبريل عليه السلام ﴿ **ورُوحٌ مِنْهُ** ﴾ كسائر الأرواح المخلوقة . وقيل سمي روحاً : لإحيائه الموتى بإذن الله . وقيل : لإحيائه القلوب ﴿ **فآمِنُوا باللَّهِ ورُسُلِهِ** ﴾ بلا تمييز ولا غلو ﴿ **ولا تَقُولُوا ثلاثةٌ** ﴾ نهيٌ عن عقيدة التثليث ﴿ **انْتَهُوا** ﴾ عن التثليث ﴿**خَيْراً لكمْ، إنَّما اللَّهُ إلهٌ واحدٌ**﴾ بالذات ، لا تعدد فيه بوجهٍ ما ﴿ **سُبحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأَرْضِ** ﴾ كل ما فيهما خلقه وملكه بما في ذلك عيسى ابن مريم وأمّه ، والبنوّة والملك لا يجتمعان ﴿ **وكَفَى باللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ إليه يكل كل الخلق أمورهم ، وهو غنيّ عنهم .

[١٧٢] ﴿ **لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للَّهِ** ﴾ لن يأنف من أن يكون عبداً لله ، فعبوديته شرف يتباهى به ﴿ **ولا الملائكةُ المُقَرَّبُونَ** ﴾ من أن يكونوا عبيداً له تعالى ﴿ **وَمَنْ يستنكِفْ عن عِبَادتِهِ**﴾ يأنف منها ويمتنع ﴿ **ويَسْتَكْبِرْ** ﴾ يترفع عنها ﴿ **فَسَيَحْشُرُهُمْ إليه جَمِيعاً** ﴾ فيجمعهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم ، ويحكم بينهم بالعدل. [قال الكلبي : إن وفد نجران قالوا : يا محمد تعيب صاحبنا ؟ قال ﷺ : (ومن صاحبكم) ؟ قالوا : عيسى . قال ﷺ : (وأي شيء أقول فيه ؟) قالوا : إنه عبد الله ورسوله . فقال لهم : (إنه ليس بعارٍ لعيسى أن يكون عبداً لله) . قالوا : بلى . فنزلت ﴿ لن يستَنكِفَ المسيحُ أن يكون عبداً ﴾ الآية ـ النيسابوري].

[١٧٣] ﴿ **فأمَّا الذينَ آمَنُوا** ﴾ فلم يستكبروا عن عبوديته ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ فلم يستنكفوا عن عبادته ﴿ **فَيُوفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ** ﴾ أي ثواب أعمالهم من غير نقصان ﴿ **ويزيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ فيضاعف لهم حسناتهم ﴿ **وأمَّا الذينَ اسْتَنْكَفُوا واسْتَكْبَرُوا** ﴾ عن عبادة الله عزّ وجلّ ﴿ **فيُعذِّبُهُمْ عَذَاباً أليماً** ﴾ هو عذاب النّار ﴿ **ولا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً** ﴾ يعزّهم ﴿ **وَلا نَصِيراً** ﴾ يدفع عنهم العذاب .

[١٧٤] ﴿ **يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ رسالة محمد ﷺ ﴿ **وأَنْزَلْنَا إليكُمْ نُوراً مُبِيناً** ﴾ أي القرآن ، يخرج المهتدين من الظلمات إلى النّور .

[١٧٥] ﴿ **فأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بـاللَّهِ واعتصموا به** ﴾ عصموا به أنفسهم من وساوس الشيطان ﴿ **فَسَيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ مِنْهُ** ﴾ وهي الجنّة ﴿ **وفَضْلٍ** ﴾ وزيادة ، كالنظر إلى وجهه الكريم ﴿ **ويَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** ﴾ الطريق الواضح وهو الإسلام . وقدم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي .

يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ** ﴾ في ميراث الكلالة ، والكلالة : من مات لا والد له ولا ولد ﴿ **قُلِ : اللَّهُ يُفْتِيكم فِي الكَلالَةِ ، إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ** ﴾ مات ﴿ **لَيْسَ له ولدٌ وله أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ ما تَرَكَ** ﴾ الميتُ من المال ﴿ **وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ** ﴾ والأخ يرث مال أخته كلّه إذا ماتت كلالة : لا والد لها ولا ولد ﴿ **فإنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ** ﴾ فإن كان لمن يموت كلالة ، أختان فلهما الثلثان وكذلك ما زاد على الأختين ﴿ **وإن كانوا إخوةً رجالاً ونساءً** ﴾ أي الورثة ﴿ **فللذَّكَرِ مِثْلُ حظِّ الأُنْثَيَيْنِ ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا** ﴾ لئلاّ تَضِلُّوا ﴿ **واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليمٌ** ﴾ يبيّن لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم .

نصف الحزب ١١

[سورة المائدة]

مدنية ، وآياتها مائة وعشرون ، سميت بالمائدة لما ورد فيها من قصة المائدة التي أنزلها الله على عيسى ابن مريم . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم من حلال فاستحلّوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه . رواه الحاكم .

[١] ﴿ **يا أيها الذينَ آمنوا أوْفُوا بالعُقُودِ** ﴾ العقود : جمع عقد وهو العهد الموثق ، شبّه بعقد الحبل ونحوه ، والمقصود : التكاليف التي شرعها الله لعباده وألزمهم بها ، وكذلك كل عهد بين اثنين لا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً ﴿ **أُحِلَّتْ لكم بهيمةُ الأَنْعامِ** ﴾ أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي : الإبل والبقر والمعز والغنم ﴿ **إلاّ ما يُتلى عليكم** ﴾ إلاّ ما حُرّم عليكم في هذه السورة ﴿ **غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وأَنْتُم حُرُمٌ** ﴾ في الآية تحريم صيد البر في الإحرام بحجٍّ أو عمرة ، وكذلك داخل الحرم ﴿ **إنَّ اللَّهَ يحكُمُ ما يُريدُ** ﴾ من تحليل وتحريم .

[٢] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾ أي معالم دينه ، وهي المناسك ، وإحلالها أن يتهاون بحرمتها ، أو يمنع أحداً من الحج أو العمرة ﴿ **ولا الشَّهرَ الحرامَ** ﴾ والمراد جميع الأشهر الحرم وهي : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ـ راجع سورة البقرة الآية ٢١٧ ـ ﴿ **ولا الهَدْيَ** ﴾ وهو ما أهدي إلى الكعبة من إبل وبقر وشاء ، والمطلوب منع التعرض للأضاحي أو اغتصابها ﴿ **ولا القَلائِدَ** ﴾ جمع قلادة ، وهي ما يقلد به الهدي علامة له من غيره من الأنعام ﴿ **ولا آمِّينَ البيتَ الحرامَ** ﴾ ولا تتعرضوا لقاصدي زيارة المسجد الحرام ﴿ **يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ ربِّهم ورِضْواناً** ﴾ قاصدين زيارته طالبين التجارة ورضوان الله . وعن ابن عباس : كان المؤمنون والمشركون يحجون ، فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً ، مؤمناً كان أو كافراً ، ثم أنزل الله بعدها ﴿ إنّما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ ـ راجع سورة التوبة ٢٨ ـ ﴿ **وإذا حَلَلْتُمْ** ﴾ أي خرجتم من الحرم أو تحللتم من الإحرام ﴿ **فاصْطَادُوا** ﴾ فلا جناح عليكم في الصيد ﴿ **ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ** ﴾ لا يحملنكم شدة البغض لقوم ﴿ **أن صدُّوكم عنِ المسجدِ الحَرَامِ** ﴾ منعوكم عن زيارته والطواف به للعمرة ﴿ **أنْ تَعْتَدُوا** ﴾ عليهم ﴿ **وتعاوَنُوا على البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا على الإثمِ والعُدْوَانِ** ﴾ الإثم : عصيان أوامر الله تعالى ، والعدوان : تجاوز حدوده وفي الحديث الشريف : (من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الإسلام) رواه الطبراني ﴿ **واتَّقُوااللَّهَ** ﴾ اخشوه فيما أمركم ونهاكم ﴿ **إنَّ اللَّهَ شديدُ العِقابِ** ﴾ لمن خالف أمره .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

[٣] ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ** ﴾ بغير سبب خارجيّ ، عدا السمك والجراد ﴿ **والدَّمُ** ﴾ المسفوح ، ويباح الكبد والطحال ﴿ **ولحمُ الخِنْزِير** ﴾ حتى الشحم ﴿ **وَمَا أُهِلَّ لغيرِ اللّهِ بِه** ﴾ أي نودي عليه بغير اسم الله ﴿ **والمُنْخَنِقَةُ** ﴾ التي تموت بالخنق ﴿ **والمَوْقُوذَةُ** ﴾ المقتولة بالضرب بغير آلة الذبح كالخشب ﴿ **والمُتَرَدِّيَةُ** ﴾ الساقطة من جبل أو في بئر ﴿ **والنَّطِيحةُ** ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت ﴿ **ومَا أكلَ السَّبُعُ** ﴾ أي ما أكل الحيوان المفترس منه شيئاً ، فلا يجوز الأكل مما بقي ﴿ **إلاَّ ما ذكيتُمْ** ﴾ إلا ما أدركتموه مما ذكر آنفاً قبل موته فذبحتموه على الوجه الشرعي ، والتذكية : الذبح ﴿ **وَمَا ذُبِحَ على النُّصُبِ** ﴾ النصب : حجارة كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها من باب التعظيم والتقريب إلى الأنصاب ﴿ **وأنْ تَسْتَقْسِمُوا بالأزْلام** ﴾ الأزلام : جمع زَلَم وهي قداح ثلاثة ، مكتوب على أحدها : افعلْ ، وعلى الآخر : لا تفعل ، والثالث ليس عليه شيء ، وضعت في الكعبة فإن أراد رجل سفراً أو نكاحاً ، أتى الكاهن وقال : أخرجْ لي زلماً ، فيجيلها ثم يخرج زلماً منها ، فإذا خرج قدح الأمر ، مضى على ما عزم عليه ، وإذا خرج قدح النهي قعد عما أراده ، أو الفارغ أعاد الكرة . فمعنى الاستقسام : طلب معرفة ما قسم له من الخير والشر ﴿ **ذلكم فِسْقٌ** ﴾ أي خروج عن الطريق المشروع ﴿ **اليومَ يَئِسَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ** ﴾ يئسوا من عودتكم مشركين ، أو أن تحلّوا ما حرّم الله عليكم ﴿ **فلا تخشوْهم واخْشَوْنِ** ﴾ لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار ، وأخلصوا لله ﴿ **اليَوْمَ** ﴾ نزلت هذه الآية يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة ، في حجة الوداع ﴿ **أكملتُ لكم دينكم** ﴾ يعني أحكامه وفرائضه ، فلا زيادة بعده ، ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ﴿ **وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي** ﴾ لأنه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً** ﴾ فالزموه ولا تفارقوه ﴿ **فمنِ اضطُرَّ** ﴾ إلى تناول شيءٍ من هذه المحرّمات المذكورة من الطعام ﴿ **في مَخْمَصَةٍ** ﴾ مجاعة يخاف معها الموت ﴿ **غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإثم** ﴾ إلا أن يكون سفره في معصية فلا تشمله الرخصة ﴿ **فإنَّ اللّهَ غفورٌ** ﴾ لتناوله الحرام ﴿ **رحيمٌ** ﴾ لعلمه بحاجة عبده المضطر . [٤] ﴿ **يَسْألُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ** ﴾ من الطعام ﴿ **قُلْ: أُحِلَّ لكمُ الطَّيِّباتُ** ﴾ وهو الحلال الذي لم يحرّم لا في الكتاب ولا في السنّة ﴿ **وما علَّمتُمْ مِنَ الجَوارِحِ** ﴾ الحيوانات المفترسة ، المدرّبة على الصيد ﴿ **مُكَلِّبِينَ** ﴾ لأن التدريب أكثر ما يكون في الكلاب ﴿ **تُعَلِّمُونَهُنَّ مما علَّمكمُ اللّهُ** ﴾ لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل ﴿ **فَكُلُوا ممَّا أمْسَكْنَ عليكُمْ** ﴾ أي : صِدْنَ لكم ﴿ **واذكُرُوا اسمَ اللّهِ عليهِ** ﴾ سمُّوا عليه عند إرساله ﴿ **واتَّقُوا اللّهَ** ﴾ بالأكل مما فُقد فيه شرط من هذه الشروط المطلوبة ﴿ **إنَّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسَاب** ﴾ . [٥] ﴿ **اليَوْمَ أُحِلَّ لكُمُ الطيِّباتُ** ﴾ من الذبائح والصَّيد ﴿ **وطعامُ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لكُمْ** ﴾ يعني إباحة ذبائح اليهود والنصارى ﴿ **وطعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ** ﴾ وذبائحكم حلال لهم ﴿ **والمُحْصَناتُ مِنَ المؤمناتِ** ﴾ ويحل للمسلم الزواج من المسلمة العفيفة ﴿ **والمُحْصَناتُ مِنَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ ويحلّ للمسلم الزواج من النصرانية أو اليهودية العفيفة ﴿ **إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾ أي : أعطيتموهنّ مهورهنّ ﴿ **مُحصِنِينَ غَيْرَ مُسافحين** ﴾ متعفّفين غير زناة ﴿ **ولا مُتَّخذِي أَخْدَانٍ** ﴾ الخدن : الصديق ، والمقصود العشيقات ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ** ﴾ يجحد ﴿ **بالإيمانِ** ﴾ بشرائع الإسلام ﴿ **فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** ﴾ بطل ثوابه ﴿ **وَهُو في الآخرة منَ الخَاسِرِينَ** ﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

[٦] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ** ﴾ أي أردتم الصلاة ﴿ **فاغْسِلوا** ﴾ الغسل : إمرار الماء على المحل حتى يسيل عنه ﴿ **وُجُوهَكُم وأيدِيَكم إلى المرافِقِ ، وامْسَحُوا** ﴾ والمسح إمساس المحل بالماء بحيث لا يسيل ﴿ **برؤوسِكُم وأرجُلَكُمْ إلى الكعبين** ﴾ قُرِأت أرجُلِكُمْ ، بالنصب وبالجرّ ، ومن هاتين القراءتين تشعبت المذاهب في صفة طهارة الرجلين ، فمن قائلٍ أن طهارتها الغسل ، ومن ذاهب إلى أنها المسح ، ومن مخيِّر بينهما ، والترجيح : الغسل [قال الإمام أحمد ، قال أبو أمامة : حدّثنا عمرو بن عبسة قال ، قلت : يا رسول الله أخبرني عن الوضوء ؟ قال : (ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينتثر إلا خرّت خطاياه من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرّت خطايا يديه من أطراف أنامله ، ثم يمسح رأسه إلا خرّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا خرّت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل ، ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) ـ ابن كثير] . ﴿ **وإنْ كُنْتُمْ جُنُباً** ﴾ من الجنابة ، وهي الحدث الأكبر الموجب للغسل ﴿ **فاطَّهَّروا** ﴾ فبالغوا في تطهير البدن بالماء ﴿ **وإن كُنتم** ﴾ جُنُباً ﴿ **مَرْضَى** ﴾ يؤذيكم استعمال الماء ﴿ **أو على سفرٍ أوْ جاءَ أحدٌ منكم منَ الغائِطِ** ﴾ الغائط : المكان المنخفض ، وهنا كناية عن قضاء الحاجة ﴿ **أوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ** ﴾ وفي الملامسة قولان : الجماع ، أو الملامسة المعهودة باليد ﴿ **فلمْ تجدوا ماءً فتيمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً** ﴾ الصّعيد : ما كان من جنس الأرض ، والطيّب : الطاهر ﴿ **فامسحوا بوُجُوهِكُم وأيْدِيكُمْ مِنْه ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ** ﴾ بالأمر بالطهارة للصلاة ، أو بالأمر بالتيمم ﴿ **ليجعلَ عليكم منْ حَرَجٍ** ﴾ أي ضيقٍ ﴿ **ولكنْ يُريدُ ليُطَهِّرَكُمْ** ﴾ من الذُّنوبِ ﴿ **وليُتمَّ نعمتَه عَلَيْكُمْ** ﴾ بتيسيره لكم عبادته على كل حال ﴿ **لعلَّكُم تَشْكُرُونَ** ﴾ . وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يقبل الله صدقة من غلول ـ أي من سرقة ـ ولا صلاة بغير طهور) . [٧] ﴿ **واذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** ﴾ بالهداية لهذا الدين القويم ﴿ **وميثَاقَهُ الذي واثَقَكُم بِهِ** ﴾ أي عهده الوثيق الذي أكّد عليكم بقبوله ﴿ **إذ قُلْتُم** ﴾ لرسوله ﷺ ﴿ **سَمِعنا وأطَعْنَا** ﴾ في العسر واليسر والمنشط والمكره ﴿ **واتَّقوااللَّهَ** ﴾ فلا تنقضوا شيئاً من عهوده ﴿ **إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بذات الصُّدُورِ** ﴾ أي بخفاياها . [٨] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كونوا قوّامينَ للَّهِ** ﴾ أي مبالغين في الاستقامة باذلين جهدكم فيها لله ﴿ **شُهداءَ بالقِسْطِ** ﴾ أي بالعدل ﴿ **ولا يجرمنّكم** ﴾ ولا يحملنّكم ﴿ **شَنَآنُ** ﴾ شدة عداوة ﴿ **قَوْمٍ عَلَى ألَّا تَعْدِلُوا** ﴾ في حقّهم ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ للتقوى ، واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ تدل الآية على وجوب العدل حتى مع الكافر ، فكيفَ بالمسلم ؟ وعن النعمان بن بشير أنه قال : نحلني أبي نحلاً ـ أي وهبني هبة ـ فقالت أمّي : لا أرضى حتى تُشهد عليه رسولَ الله ﷺ . فجاءه ليُشهده على صدقتي ، فقال : (أكلَّ ولدك نحلتَ مثله ؟) قال : لا . فقال : (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) . وقال : (إني لا أشهد على جور) . قال : فرجع أبي فردّ تلك الصدقة . رواه أحمد وابن حبان وآخرون بألفاظ متقاربة . [٩] ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ ومن جملتها : العدل والتقوى ﴿ **لَهُم مغفرةٌ وَأجرٌ عظيمٌ** ﴾ يعني ثواباً وافراً في الجنّة .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

[١٠] ﴿ **والذينَ كفروا وكذَّبوا بآياتنا** ﴾ ومنها ما أمر بالعدل والتقوى ﴿ **أولئكَ أصحابُ الجَحيمِ** ﴾ أهل النّار.

[١١] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اذكروا نعمةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ** ﴾ في حفظه إيَّاكم من أعدائكم ﴿ **إذْ همَّ قومٌ أن يَبْسُطُوا إليْكُمْ أيْديَهُمْ** ﴾ ليبطشوا بكم قتلاً وإهلاكاً ﴿ **فكفَّ أيْديَهُمْ عَنْكُمْ** ﴾ فمنعها أن تمتد إليكم، وردّ ضررها عنكم [عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا؟ قال ﷺ: (نعم). فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزه ويهم به. فكبته الله عز وجل ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال ﷺ: (لا) قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟ قال ﷺ: (يمنعني الله منك). ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ﴾ ـ النيسابوري] ﴿ **واتّقُوااللّهَ** ﴾ في رعاية حقوق نعمته ﴿ **وعلى اللّهِ** ﴾ دون غيره ﴿ **فليتوكّلِ المُؤْمنُونَ** ﴾ وفي الأثر: «من سرّه أن يكون أقوى النّاس، فليتوكل على اللّه».

ثلاثة أرباع الحزب ١١

[١٢] ﴿ **ولقدْ أخذ اللّهُ ميثاقَ بني إسْرائيلَ، وبَعَثْنا منهمُ اثنَيْ عشرَ نقيباً** ﴾ أي رئيساً ﴿ **وقالَ اللّهُ** ﴾ لهم ﴿ **إنّي مَعَكم** ﴾ بالعلم والقدرة والنصرة ﴿ **لئنْ أقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتيتُمُ الزكاةَ وآمَنْتُمْ برُسُلي** ﴾ أي صدقتموهم فيما يجيئوكم به من الوحي ﴿ **وعزّرْتموهُمْ** ﴾ أعنتموهم ونصرتموهم ﴿ **وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ** ﴾ بالإنفاقِ في سبيل الخير ﴿ **قرضاً حسناً** ﴾ بلا منٍّ ولا أذى ﴿ **لأكفِّرنَّ عنكم سيِّئاتِكُم** ﴾ لأمحونَّ عنكم ذنوبكم ﴿ **ولأُدخلنّكم جنّاتٍ تجري من تحتِهَا** ﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿ **الأنهارُ** ﴾ أنهار الماء واللبن والخمر والعسل ﴿ **فمنْ كفَرَ بعْدَ ذلكَ منْكُمْ** ﴾ أي بعد أخذ الميثاق والإقرار به ﴿ **فقدْ ضلَّ سَواءَ السَّبيل** ﴾ أي الطريق الواضح وعدل عن الهدى إلى الضلال.

[١٣] ﴿ **فبما نقضِهم ميثاقَهُمْ** ﴾ أي: بسبب نقضهم ميثاقهم ﴿ **لعنّاهم** ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿ **وجَعَلْنا قُلُوبَهم قاسيةً** ﴾ لا تلين لرؤية الآيات والنُّذر لقساوتها وغلظتها، وبقيت تلك القساوة واللعنة في ذريّتهم ﴿ **يُحرِّفونَ الكَلِمَ** ﴾ يبدلون كلام اللّه في التوراة ﴿ **عنْ مواضِعِهِ** ﴾ التي أنزلت، قال ابن كثير: أي فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، عياذاً بالله من ذلك ﴿ **وَنَسُوا حظّاً ممَّا ذُكِّرُوا بهِ** ﴾ أي: تركوا كثيراً مما أمروا به في التوراة، ومنها اتّباع محمد ﷺ رغبة عنه، وقال الحسن: تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها. وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قويمة ﴿ **ولا تزالُ تطَّلعُ على خائنَةٍ مِنْهُمْ** ﴾ فالغدر والخيانة عادة مستمرة فيهم ﴿ **إلاّ قليلاً مِنْهُم** ﴾ وهم المؤمنون منهم ﴿ **فاعْفُ عَنْهُمْ واصفحْ** ﴾ فلا تعاقبهم ﴿ **إنَّ اللّهَ يحبُّ المُحْسِنينَ** ﴾ الذين يصفحون عمّن أساء إليهم.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿ ومِنَ الَّذِينَ قالُوا إنَّا نَصارى ﴾ أي ومن الذين ادعوا أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك ﴿ أخَذْنا ميثاقَهم ﴾ أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره ، وعلى الإيمان بكل شيء يرسله الله إلى أهل الأرض ، ففعلوا كما فعل اليهود ﴿ فنسُوا حظّاً مما ذُكِّرُوا به فأغْرَيْنا ﴾ أي ألْقيْنا ﴿ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبغضَاءَ إلى يوم القِيَامَةِ ﴾ يتعادون ويتباغضون إلى قيام الساعة فِرقاً متباينة ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويكفّر بعضهم بعضاً ﴿وسَوْف يُنبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ من كتمان الحقّ ، ومن العداوة والبغضاء وتحريف رسالة عيسى عليه السلام، وما نسبوه إلى الرب عز وجل ـ وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ـ من جعلهم له صاحبة وولداً .

[١٥] ﴿ يا أهْلَ الكتابِ ﴾ من اليهود والنَّصارى ﴿ قد جاءكم رسولُنا ﴾ محمد ﷺ، في الحديث : (أنا أولى الناس بابن مريم ليس بيني وبينه نبي) رواه البخاري . فلم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من بُعِث بتقرير شريعة عيسى ﴿ يُبيِّنُ لكمْ كثيراً مما كُنتُمْ تُخْفُونَ ﴾ تكتمون ﴿ من الكتابِ ﴾ كتب اللَّه أي : من نحو بعثته ﷺ ، وآية الرجم في التوراة ، وبشارة عيسى به ، إظهاراً للحق ﴿ ويَعْفُو عَنْ كثيرٍ﴾ مما تخفونه أي لا يبيِّنه ﴿ قد جاءَكم منَ اللَّهِ نُورٌ﴾ قيل هو النبي ﷺ ﴿ وكتابٌ مبينٌ ﴾ أي : القرآن . [روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب لقوله تعالى : ﴿يبيِّنُ لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتاب ﴾ فكان الرجم مما أخفوه . أخرج ابن جرير أن اليهود أتوا النبي ﷺ يسألونه عن الرجم فقال ﷺ : (أيُّكم أعلم ؟) فأشاروا إلى ابن صوريا ، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى ، والذي رفع الطور والمواثيق . فقال : إنه لما كثر فينا ـ أي الزنا ـ جلدنا وحلقنا الرؤوس . فحكم ﷺ عليهم بالرجم ، فأنزل تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ إلى قوله : ﴿ صراط مستقيم﴾ ـ ابن كثير] .

[١٦] ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّـهُ مَنِ اتّبَعَ رِضْوَانَـهُ ﴾ أي رضاه بالإيمان به ﴿ سُبُلَ السَّلامِ ﴾ طرق السلامة والنجاة من عذابه سبحانه [روى ابن جرير عن السديّ قال : سبيل الله الذي شرعه لعباده ودعاهم إليه ، وابتعث به رسله وهو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عمل إلا به ، لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية] ﴿ ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿ بإذْنِهِ ﴾ بتوفيقه وإرادته ﴿ ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾ وهو دين الإسلام ، دين الحق السَّويّ في الإعتقادات والأعمال .

[١٧] ﴿ لقدْ كفَرَ الذينَ قالوا إنَّ اللَّهَ هو المسيحُ ابن مَرْيَمَ ، قُلْ ﴾ في الردّ على ادعائهم وإظهاراً لفساده ﴿ فمن يملكُ من اللَّهِ شَيْئاً ﴾ أي من يستطيع إمساك شيء من قدرته تعالى ﴿ إنْ أرادَ أنْ يُهْلِكَ ﴾ يميت ﴿ المسيحَ ابنَ مَرْيم وأمَّه وَمَنْ في الأرض جميعاً ولله مُلكُ السَّمواتِ والأرْضِ وما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يشاءُ ﴾ من أنواع الخلق كما يشاء ، بأبٍ أو بغير أبٍ ﴿ وَاللَّهُ على كل شيءٍ قديرٌ﴾ .

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ
ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ
فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ
فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾

[١٨] ﴿ وقالتِ اليهودُ والنَّصارى : نحن أبناءُ اللَّهِ ﴾ في المَنْزِلة والكرامة ﴿ وأحبّاؤه ﴾ لأننا على دينه ﴿ قُلْ : فَلِمَ يُعذِّبُكُم بذنُوبِكم ﴾ فلو كنتم كما تدّعون لما عذّبكم ﴿ بَلْ أنتُم بشرٌ ممَّنْ خَلَقَ ﴾ من غير مزية لكم عليهم ﴿ يغفرُ لِمَنْ يشاءُ ﴾ ممن تاب من اليهودية والنصرانية ﴿ ويعذّبُ من يشاءُ ﴾ ممن مات على يهوديته أو نصرانيّته ﴿ وللّهِ مُلْكُ السمواتِ والأرضِ وما بينَهُما وإليه المصيرُ ﴾ أي المرجع ، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتى رسول الله ﷺ نعمانُ بن آصا ، وبحري بن عمرو ، وشأس بن عدي ، فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ! نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ الآية ـ ابن كثير] .

[١٩] ﴿ يا أهلَ الكتابِ ﴾ من اليهود والنّصارى ﴿ قدْ جاءَكم رسُولُنا ﴾ محمد ﷺ ﴿ يُبيِّنُ لَكُمْ ﴾ ما أُمرتم به وما نُهيتم عنه ﴿ على فترةٍ منَ الرُّسُلِ ﴾ بعد انقطاع من الوحي ، إذْ لم يكن بينه وبين عيسى رسولٌ بُعث بشريعة مستقلة . [اختلف العلماءُ في مقدار هذه الفترة كم هي . فقال قتادة : كانت ستمائة سنة . ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة : خمسمائة وستون سنة . وقال الضحّاك : أربع مائة وبضع وثلاثون سنة . وذكر ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة ـ ابن كثير] . ﴿ أنْ تقولوا ما جاءَنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ ، فقد جاءَكُمْ بشيرٌ ونذيرٌ ﴾ فلا عذر لكم في كفركم ﴿ واللّهُ على كل شيءٍ قدير ﴾ من إرسال الرسل ، ومن الثواب والعقاب .

[٢٠] ﴿ وإذْ قالَ مُوسَى لقوْمِهِ : يا قوم اذكُرُوا نِعمةَ اللَّهِ عليكُمْ ، إذْ جَعَلَ فيكُم أنبياء ﴾ ولم يبعث في أمةٍ ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ﴿ وجعَلَكمْ مُلُوكاً ﴾ يعني : أحراراً تملكون أنفسكم بعدما كنتم عبيداً عند فرعون ﴿ وآتاكُمْ ﴾ أعطاكم ﴿ ما لم يُؤْتِ أَحَداً منَ العالَمِينَ ﴾ من أنواع الإكرام التي خصّكم بها ، كفلق البحر لهم ، وإهلاك عدوهم ، وتوريثهم أموالهم ، وإنزال المنّ والسلوى عليهم ، وإخراج المياه العذبة من الحجر ، وإظلال الغمام فوقهم .

[٢١] ﴿ يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرْضَ المقدّسَةَ ﴾ أرض بيت المقدس التي تقدست وتطهرت بمن سكنها من الأنبياء ثم تلوثت بمساكنة الأعداء من جبابرة الكنعانيين ، فأراد تطهيرها بإخراجهم وإسكان قومه ﴿ التي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾ التي وعدكم بها على لسان أبيكم إبراهيم ﴿ ولا ترتدُّوا على أدبارِكُم ﴾ خوفاً من الجبابرة ﴿ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ ﴾ فترجعوا بالعقوبة . [٢٢] ﴿ قالوا : يا موسى إنَّ فيها قوْماً جبَّارِينَ ﴾ لا قدرة لنا على مقاومتهم ﴿ وإنَّا لنْ ندْخُلَها حتّى يخْرُجُوا مِنْها ، فإنْ يخْرُجُوا مِنْها ﴾ من غير تدخل منَّا ﴿ فإنّا داخِلُونَ ﴾ . [٢٣] ﴿ قَالَ رَجُلانِ ﴾ هما يوشع بن نون وكالب بن يُفَنا ﴿ من الذينَ يَخَافُونَ ﴾ اللّهَ تعالى ﴿ أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالثقة بوعده تعالى ﴿ ادْخُلُوا عليهمُ البابَ ﴾ أي باغتوهم وامنعوهم من البروز إلى الصحراء ﴿ فإذا دخلتُمُوهُ فإنّكُمْ غالِبُونَ ﴾ منتصرون عليهم ﴿ وعلى اللّهِ فتوكّلُوا ﴾ لا على قوة أنفسكم ﴿ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بكمال قدرته ووعده بالنصر.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

[٢٤] ﴿ قالوا : يا موسى إِنَّا لَنْ ندْخلَهَا أبداً ما داموا ﴾ أي : الجبابرة ﴿ فيها ، فاذهبْ أنْتَ وَربُّكَ فقاتِلاَ إنَّا ههُنا قَاعِدونَ ﴾ .

[٢٥] ﴿ قال ﴾ موسى عليه السلام ﴿ ربّ إنِّي لا أمْلِكُ ﴾ أحَداً ألزمه بالقتال ﴿ إلاّ نفسي وأخِي ﴾ هارون ﴿ فافْرُقْ ﴾ فاحكم ﴿ بيننا وبينَ القوم الفاسقينَ ﴾ أي الخارجين عن أمرك .

الحزب ١٢

[٢٦] ﴿ قال : فإنَّها ﴾ أي الأرض المقدسة ﴿ مُحَرَّمةٌ عَلَيْهِم ﴾ بسبب أقوالهم وأفعالهم المذكورة ﴿ أربعينَ سنةً يَتيهُونَ في الأَرضِ ﴾ يترددون متحيّرين في البريّة ﴿ فلا تَأْسَ ﴾ فلا تحزن ﴿ على القَوْمِ الفاسِقِينَ ﴾ العاصين أمر الله .

[٢٧] ﴿ واتْلُ عليهمْ ﴾ أي : على هؤلاء البغاة الحسدة من اليهود وأشباههم ﴿ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾ هابيل وقابيل ﴿ بالحَقِّ ﴾ بالصدق ؛ موافقاً لما في كتبهم ﴿ إذْ قَرَّبا قُرباناً ﴾ وهو ما يُتقرب به إلى الله تعالى من الأضاحي أو الصدقات وقد قرب هابيل شيئاً من أبكار غنمه وسمانها بينما قرب قابيل شيئاً رديئاً من ثمن الأرض ﴿ فَتُقُبِّلَ من أحدِهما ﴾ وهو هابيل ﴿ ولَمْ يُتَقَبَّلْ منَ الآخَرِ ﴾ وهو قابيل ﴿ قَالَ ﴾ قابيل لهابيل ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ قال ﴾ هابيل ﴿ إنَّما يتقبَّلُ اللَّهُ منَ المتَّقِينَ ﴾ فالله تعالى لا يقبل طاعةً إلا من مؤمن متّقٍ ، فالمسؤولية تقع على عاتقك ولا ذنب لي تقتلني عليه .

[٢٨] ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ ﴾ مددت ﴿ إليَّ يَدكَ لتقتلني ﴾ ظُلماً ﴿ ما أنا بباسطٍ يدِيَ إليكَ لأَقْتُلَكَ ﴾ دفاعاً عن النفس ﴿ إنّي أخافُ اللَّهَ ربَّ العالمينَ ﴾ من أن أصنعَ صنيعك . وفي الصحيحين عن الأحنف بن قيس مرفوعاً (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النّار فقلت : يا رسول الله ! هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) . [قال الإمام أحمد : إن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال عند فتنة عثمان رضي الله عنه : أشهد أن رسول الله ﷺ قال : (إنها ستكون فتنة ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي) قال : أفرأيت إن دخل عليّ بيتي فبسط يده ليقتلني؟ فقال : (كن كابن آدم) ، قال أيوب السختياني : إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة ﴿لئن بسطتَ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتُلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ لعثمان بن عفان رضي الله عنه . رواه ابن أبي حاتم ـ ابن كثير] . [٢٩] ﴿ إنّي أُريدُ ﴾ باستسلامي لك ﴿ أنْ تبوءَ ﴾ ترجع إلى الله ﴿ بإثمي ﴾ بذنب قتلي ﴿ وإثمِكَ ﴾ الذي من أجله لم يُتَقبل قربانك ﴿ فتكونَ ﴾ بالإثمين ﴿ من أصحابِ النّارِ ، وذلكَ جزاءُ الظّالمينَ ﴾ . [٣٠] ﴿ فطوّعتْ لهُ نفسُه قتْلَ أخيه ﴾ أي سهّلت له نفسه ذلك ﴿ فقتلَهُ فأصْبَحَ منَ الخاسرين ﴾ في الدنيا والآخرة . وعن عبد اللّه بن مسعود : (لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها ، لأنه كان أول من سنّ القتل) رواه الجماعة غير أبي داود . [٣١] ﴿ فَبَعَثَ ﴾ أرسل ﴿ اللَّهُ غراباً يبحثُ ﴾ يحفر بمنقاره ورجله ﴿ في الأرضِ ﴾ على غراب ميت ﴿ ليُرِيَه كيفَ يُواري ﴾ يستر في التراب ﴿ سَوْءَةَ أخيه ﴾ أي : جسده ، وسمّي سوأة لأنه يسوء ناظره ﴿ قَالَ : يا وَيْلَتَا ﴾ كلمة جزع وتحسّر ، والويل والويلة : الهلكة ﴿ أَعَجَزْتُ ﴾ أضَعُفْت عن الحيلة ﴿ أنْ أكونَ مِثْلَ هذا الغرابِ ﴾ الذي هو من أخسّ الحيوانات ﴿ فأُوارِيَ ﴾ أغطّي ﴿ سَوْأَةَ أخِي ، فأصْبَحَ من النّادمينَ ﴾ على حيرته حيث أنه لم يدفنه حين قتله . وعن ابن عباس : لو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبةً منه .

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿ مِنْ أجلِ ذلكَ كتَبنَا ﴾ فرضنا وأوجبنا ﴿ على بني إسرائيلَ أنّهُ مَنْ قتلَ نفساً بغيرِ نَفْسٍ ﴾ أي: بغير حق يوجب القصاص ﴿ أو فسادٍ في الأرضِ ﴾ أو بغير فسادٍ يوجب إهدار دمها ﴿ فكأنّما قَتَلَ الناسَ جميعاً ﴾ لأنه هَتَكَ حرمة الدماء، وجرّأ الناس على ذلك ﴿ ومَنْ أحياهَا فكأنّما أحيا النّاسَ جميعاً ﴾ ومن تسبب في حفظها بعفو أو منع عن القتل، فكأنّما فعل ذلك بالناس جميعاً، والمقصود: تهويل قتل النفس وتعظيم إحيائها ﴿ولقدْ جاءَتْهُم﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنا بالبيّناتِ﴾ الآيات الواضحة ﴿ثمَّ إنَّ كثيراً مِنهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿بعد ذلكَ﴾ بعدما كتبنا عليهم، وبعد مجيء الرسل بالآيات ﴿لمُسْرِفُونَ﴾ لمكثرون من الفساد والقتل. [٣٣] ﴿ إنّما جزاءُ الذين يُحاربونَ اللّهَ ورسولَه ﴾ أي: يخالفونها ويعصَوْن أمرهما ﴿ ويسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً ﴾ يعملون في الأرض ﴿ أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أوْ تُقطَّعَ أيْدِيهم وأرجُلُهُمْ منْ خِلافٍ ﴾ وذلك بأن تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليُسرى مع الرجل اليمنى ﴿ أو يُنفَوْا منَ الأرضِ ﴾ يطردوا من المدن، وقيل النفي: السجن ﴿ ذلكَ ﴾ الجزاء المذكور ﴿ لهُمْ خِزْيٌ ﴾ ذلٌّ وفضيحة ﴿ في الدُّنيا ولهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ﴾ وهو عذاب النّار [عن أنس رضي الله عنه، أن رهطاً من «عكل» و«عرينة» أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بذَوْدٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صحوا - وكانوا بناحية الحرّة - قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأتي بهم، فقطع ﷺ أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، فتركوا في الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً﴾ الآية - النيسابوري]. [٣٤] ﴿ إلاّ الذينَ تَابُوا ﴾ من المحاربين ﴿ مِنْ قَبْلِ أن تَقْدِرُوا عليهم ﴾ من قبل إلقاء القبض عليهم ﴿ فاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾. وعن ابن عبّاس في قُطّاع الطريق: إذا قَتَلُوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلِّبوا. وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلَّبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا، قُطِّعت أيديهم وأرجلُهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نُفوا من بلدهم.

[٣٥] ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللّهَ وابْتَغُوا ﴾ اطلبوا ﴿ إليْهِ الوَسِيلَةَ ﴾ أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه. والوسيلة: هي ما يتقرب به الى الله من الواجبات والمستحبات. أما لفظ التوسل فيراد به ثلاث معان: أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلاّ به، والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته ﷺ وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة، يتوسلون بشفاعته، والثالث: التوسل به ﷺ فهذا لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ﴿ وَجَاهِدُوا في سبيلِهِ لعلَّكم تُفْلحونَ ﴾ بأموالكم وأنفسكم.

[٣٦] ﴿ إنَّ الذينَ كفروا لو أنَّ لَهُمْ ما في الأرضِ ﴾ من الأموال وغيرها ﴿ جميعاً ومثلَه معه ليَفْتَدُوا بِهِ ﴾ أنفسهم ﴿ من عذابِ يومِ القيامةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنتَ سُئِلْتَ ما هو أيسر من ذلك: أن لا تشرك بي. فيؤمر به إلى النّار) رواه البخاري.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿ يُريدُونَ أنْ يَخرُجُوا من النَّارِ وما هُمْ بخارِجِينَ منها ولَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ دائمٌ لا ينقطع .

[٣٨] ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أيدِيَهُما ﴾ يعني يمين كلٍّ منهما من الرُّسغ كما بيّنته السنّة ﴿ جَزَاءً بما كَسَبا ﴾ فاليد هي آلة الكسب ﴿ نَكَالاً ﴾ عقوبة ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ فلذلك لا يسقط حد السرقة بعفو المالك ﴿ واللَّهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ . [واختلف أهل التأويل في السارق الذي يُقطع ، والراجح قول من احتج بالخبر الذي روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (القطع في ربع دينار فصاعداً) . رواه ابن جرير] .

ربع الحزب ١٢

[٣٩] ﴿ فمنْ تابَ ﴾ إلى اللَّه ﴿ مِنْ بعْدِ ظُلْمِهِ ﴾ وهو جريمة السرقة ﴿ وأَصْلَحَ ﴾ عَمَلَه ﴿ فإنَّ اللَّهَ يتوبُ عليه ﴾ يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة ﴿ إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيم ﴾ .

[٤٠] ﴿ ألَمْ تعلمْ أنَّ اللَّهَ لهُ مُلكُ السَّمواتِ والأرضِ ﴾ له السلطان القاهر فيهما ﴿ يُعذِّبُ منْ يشاءُ ويغفرُ لمنْ يشاءُ واللَّهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ .

[٤١] ﴿ ياأيُّها الرَّسولُ لا يَحْزُنْكَ الذينَ يسارعونَ في الكُفر منَ الذينَ قالوا آمنّا بأفْواهِهِم ولمْ تُؤْمِنْ قلُوبُهُمْ ﴾ وهم المنافقون . والمعنى : لا تبالِ بهم فإنّي ناصرك عليهم ﴿ ومنَ الذينَ هَادُوا ﴾ وهم يهود بني قُريْظَة ﴿ سمّاعُونَ للكَذِبِ ﴾ مبالغون في سماع الكذب الذي افترته أحبارهم ، أو في قبوله ، وهذا يدل على أن سامع المحظور كقائله في الإثم ﴿ سمّاعُونَ لقوم آخرين لم يَأْتُوكَ ﴾ أي : لم يحضروا مجلسك بُغضاً لك ، وقيل : هم يهود خيبر ﴿ يُحرِّفونَ الكَلِمَ ﴾ يُبدّلون أحكامَ التّوراة ﴿ مِنْ بَعْدِ مواضِعِهِ ﴾ التي وضعه الله عليها ﴿ يَقُولُونَ إنْ أُوتيتُم هذا ﴾ الكلام المحرف عن مواضعه من جهة الرسول ﷺ ﴿ فخُذُوهُ ﴾ فاعملوا به فإنّه الحقّ ﴿ وإنْ لم تُؤتَوْهُ ﴾ كأن يُفتيكم الرسول ﷺ بخلافه ﴿ فاحْذَرُوا ﴾ من قبوله ، فإنّه الباطل والضلال ﴿ ومَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتنَتَهُ ﴾ أي : ضلالته ﴿ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ منَ اللَّهِ شيئاً ، أولئكَ الذينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أنْ يُطهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ من دنس الفتنة والكفر ، لإصرارهم عليهما ﴿ لَهُمْ في الدُّنْيا خِزيٌ ﴾ فضيحة وهتك ستر ﴿ ولَهُمْ في الآخِرَة عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو النَّار . قال ابن كثير : نزلت في اليهوديين اللذين زنيا ، وكانوا بدلوا حكم الله الذي عندهم في التوراة في جريمة الزنا من الرجم إلى الجلد . وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : مرَّ رسول الله ﷺ بيهودي محمم مجلود ، فدعاهم فقال : (أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم ؟) فقالوا : نعم . فدعا ﷺ رجلاً من علمائهم فقال : (أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم ؟) فقال : لا والله ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم ـ أي صبغ الوجه بالسواد ـ والجلد . فقال النبي ﷺ : (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه) . قال : فأمر به فرجم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ إلى قوله : ﴿ إن أوتيتم هذا فخذوه ﴾ .

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٢] ﴿ **سمّاعونَ للكذبِ** ﴾ أي : الباطل ﴿ **أكّالونَ للسُّحتِ** ﴾ أي : الحرام ، كالرّشوة والربا ، قال ابن مسعود : الرشوة في كل شيء ، فمن شفع شفاعة ليردّ بها حقّاً أو يدفع بها ظلماً ، فأهدى بها إليه ، فقبل ، فهو سحت . فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلاّ الأخذ على الحكم ، فقال الأخذ على الحكم كفر ، قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ . ﴿ **فإنْ جاؤوك** ﴾ يعني : اليهود ، لتحكم بينهم ﴿ **فاحكُمْ بينَهُمْ** ﴾ لأنهم اتخذوك حَكَماً ﴿ **أو أعرِضْ عَنْهُمْ** ﴾ لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحقّ بل ما يوافق أهواءهم ﴿ **وإنْ تُعرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يضرُّوكَ شيئاً** ﴾ والإعراض عن الشيء : الصدّ عنه ﴿ **وإنْ حكمتَ فاحكُمْ بينهم بالقِسْطِ** ﴾ بالعدل ﴿ **إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ** ﴾ العادلين . [٤٣] ﴿ **وكَيْفَ يُحكِّمونَكَ وعندَهُمُ التوراةُ فيها حُكْمُ اللّهِ** ﴾ تعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به ولا بكتابه ، مع أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدّعون الإيمان به ، وهذا لا ينافي القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرّفة ﴿ **ثمَّ يتولَّوْنَ** ﴾ يُعرِضُونَ ﴿ **مِنْ بعْدِ ذلكَ** ﴾ من بعد بيان الحكم الشرعي ﴿ **وما أولئكَ بالمؤمنينَ** ﴾ بالتوراة كما يزعمون .

[٤٤] ﴿ **إنَّا أنزلنا التّوراة فيها هُدىً** ﴾ إرشاد إلى الحق ﴿ **ونورٌ** ﴾ إظهار للحكم الشرعي ﴿ **يَحْكُمُ بها النبيّونَ** ﴾ من بني إسرائيل ﴿ **الذينَ أسْلَمُوا** ﴾ الذين كانوا مسلمين من زمن موسى إلى عهد عيسى عليهما السلام ﴿ **للذينَ هادُوا** ﴾ وهم اليهود ، وهاد : بمعنى تاب ورجع إلى الحق ﴿ **والرّبّانيُّونَ** ﴾ الزُّهّاد العبّاد ﴿ **والأحْبارُ** ﴾ العلماء الفقهاء ﴿ **بِمَا استُحْفِظُوا مِنْ كتابِ اللّهِ** ﴾ بما كلّفهم الله حفظه ، ويكون الاستحفاظ من الأنبياء ﴿ **وكانُوا عليهِ شُهَداءَ** ﴾ رقباء يحمونه من التغيير والتبديل ﴿ **فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ** ﴾ نهيٌ للحكام المسلمين عن خشيتهم غير الله في أحكامهم ، وعدم الالتفات إلى ظلم ظالم أو سطوة جبّار ﴿ **واخْشَوْنِ ، ولا تشتروا** ﴾ ولا تستبدلوا ﴿ **بآياتي ثمناً قليلاً** ﴾ من الرّشوة أو ابتغاء الجاه ورضا الناس ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ** ﴾ كائناً من كان ﴿ **فأولئكَ هُمُ الكافِرُونَ** ﴾ لاستهانتهم به . وهذه الآيات : ٤٤ و٤٥ و٤٧ عامة في اليهود وفي هذه الأمة الإسلامية ، فكل من ارتشى وبدّل الحكم فحكم بغير حكم اللّه فقد كفر وظلم وفسق .

[٤٥] ﴿ **وكتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيهَا** ﴾ أي : فرضنا على اليهود في التوراة ﴿ **أنَّ النَّفسَ بالنَّفْسِ** ﴾ فالقاتل يقتل ﴿ **والعَيْنَ بالعَيْنِ** ﴾ وتُفقأ عين من فقأ عيناً ﴿ **والأنفَ بالأنفِ** ﴾ ويُجدَعُ أنف من جدع أنفاً ﴿ **والأُذُنَ بالأذنِ** ﴾ وتُقطع أذن من قطع أذناً ﴿ **والسِّنَّ بالسِّنِّ** ﴾ وتقلعُ سن من كسر سن غيره ﴿ **والجُرُوحَ قِصَاصٌ** ﴾ أي : يقتص فيها إذا أمكن ، كاليد والرجل ونحو ذلك ، أما كسر العظم والجروح ففيه حكومة عدل وهو التعويض المناسب ﴿ **فمنْ تصدّق بهِ** ﴾ فمن عفا عن الجاني ﴿ **فَهُوَ كفّارةٌ لَهُ** ﴾ يُكفّر الله بها ذنوبه ﴿ **ومن لم يَحْكُمْ بما أنزلَ اللّهُ فأولئكَ هُمُ الظالمونَ** ﴾ لأنهم حكموا بخلاف حكم الله العدل [وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكي مقرراً ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور ، والحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة . وقال الحسن البصري : هي عليهم وعلى الناس عامة ، وقد احتج الأئمة كلهم على أنّ الرجلَ يُقتلُ بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة ـ ابن كثير] .

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٤٦] ﴿ وقفّينا ﴾ أتبعنا ﴿ على آثارِهِم ﴾ على آثار أنبياء بني إسرائيل ﴿ بعيسَى ابنِ مَرْيَمَ ﴾ فأرسلناه بعدهم ﴿ مُصدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْه منَ التَّوْراةِ ﴾ مؤمناً بها ﴿ وآتيناهُ الإنجيلَ فيـهِ هُدًى ﴾ إلى الحق ﴿ ونُورٌ ﴾ بيانٌ للأحكام ﴿ ومصدِّقاً لِمَا بين يَدَيْهِ من التَّوراةِ ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿ وهُدًى ومَوْعِظةً ﴾ زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم ﴿ للمتَّقين ﴾ الذينَ يخافونَ عقاب الله .

[٤٧] ﴿ ولْيَحْكُمْ أهلُ الإنجيلِ بِمَا أنزَلَ اللَّهُ فيـه ﴾ ومن جملة ذلك الإيمان بنبوة محمد ﴿ ومَنْ لم يَحْكُمْ بما أنْزَلَ اللَّهُ فأولئِكَ همُ الفاسِقُونَ ﴾ الخارجون عن طاعة ربهم .

[٤٨] ﴿ وأنزلنا إليك الكتابَ ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿ بالحقِّ ﴾ بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله ﴿ مُصَدِّقاً لما بينَ يديهِ مِنَ الكتابِ ﴾ يصدّق جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبله ﴿ ومُهيمناً عليه ﴾ مؤتمناً عليه ، وشهيداً وحاكماً على ما قبله من الكتب ﴿ فاحكُمْ بَيْنَهُم ﴾ أي : بين أهل الكتاب إذا احتكموا إليك ﴿بِمَا أنزلَ اللَّهُ﴾ بما بيّن الله لك في القرآن ﴿ ولا تتَّبعْ أهواءَهُم عمَّا جاءَكَ منَ الحقّ ﴾ نهى أن يحكم بما حرّفوه أو بدّلوه اعتماداً على قولهم ﴿ لِكُلٍّ جعَلْنَا منكُمْ شِرْعَةً ﴾ أي : شريعة موصلة إلى الله ﴿ ومنْهَاجاً ﴾ طريقاً واضحاً في الدين لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت لها . قال النسفي : ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام ، ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام ، ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ وبين أنه ليس للسماع فحسب ، بل للحكم به فقال في الأول ﴿ يحكم بها النبيّون ﴾ وفي الثاني ﴿وليحكم أهل الإنجيل ﴾ وفي الثالث ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ ﴿ ولَوْ شاءَ اللَّهُ لجعلكُمْ أمَّةً واحدةً ﴾ جماعة متفقة على شريعة واحدة ﴿ ولكنْ لِيَبْلُوَكُمْ في ما آتاكُمْ ﴾ ولكن جعلكم أمماً مختلفة ليختبركم فيما أعطاكم من الشرائع المختلفة ﴿ فاستبِقُوا الخيْراتِ ﴾ فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدنيا والآخرة ﴿ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جميعاً ﴾ يوم القيامة ﴿ فينبّئكمْ بما كُنْتُمْ فيه تختلفون ﴾ .

[٤٩]﴿ وأنِ احْكُمْ بينهُمْ بِمَا أنزلَ اللَّهُ ولا تتّبعْ أهواءَهم ﴾ ولا تنحرف عمّا جاءَك من الحقّ متّبعاً أهواءَهم ﴿ واحذَرْهُمْ أن يَفْتِنُوكَ عنْ بعْضِ ما أنْزَلَ اللَّهُ إليْكَ ﴾ أي : يصرفوك عنه ﴿ فإنْ تولَّوْا ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿ فاعلمْ أنَّما يُريدُ اللَّهُ أنْ يُصيبَهُم ببعضِ ذنُوبِـهِمْ ﴾ يعني يعذبهم بذنب التحول عن حكم الله إلى حكم الهوى ﴿ وإنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ لفاسِقُونَ ﴾ لمتمرّدون في الكفر [قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسد ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس ، قال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقال : يا محمد قد عرفت أنّا أحبارُ اليهود وأشرافهم ، وأنّا إن اتّبعْناك اتّبعنا اليهود ولن يخالفونا ، وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك . فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ ـ النيسابوري] .

[٥٠] ﴿ أفَحُكْمَ الجاهليَّـةِ يَبْغُونَ ﴾ أيريدون منك الاحتكام إلى الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي ﴿ ومنْ أحسنُ منَ اللَّهِ حُكْماً ﴾ قضاءً ﴿ لقوم يُوقِنُونَ ﴾ ينظرون بنظر اليقين إلى العواقب . وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : (أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحدٌ في الحرم ، ومبتغٍ في الإسلام سنّة الجاهلية ، ومُطّلِبُ دم امرىء بغير حق ليُهْرِيق دمه) رواه البخاري .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾

نصف الحزب ١٢

[٥١]﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِياءَ ﴾ أي لا يتخذ أحد منكم أحداً منهم وليّاً ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب ﴿ بعضُهم أولياءُ بعضٍ ﴾ فإنّهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين وإجماعهم على مضادتكم ﴿ ومَنْ يتولَّهُمْ منكُمْ فإنَّهُ منهُمْ ﴾ وحكمه حكمهم ، وإن زعم أنّه مخالفٌ لهم في الدِّين ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القومَ الظَّالمينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة .

[٥٢]﴿ فَترَى الذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرضٌ ﴾ أي : نفاقٌ وشكٌ ﴿ يُسارِعُونَ فيهم ﴾ في مودَّتهم في الباطن والظاهرِ ﴿ يقولونَ : نخشى أن تُصيبَنا دائِرةٌ ﴾ من دوائر الزمان فنحتاجُ إليهم ﴿ فعسَى اللَّهُ أنْ يأتِيَ بالفتْحِ ﴾ بنصره ﷺ على أعدائه ﴿ أوْ أمرٍ منْ عنْدِهِ ﴾ بقطع شَأْفَة اليهود ، ويُجْليهم عن بلادهم ﴿ فيُصبِحُوا ﴾ أي : المنافقون ﴿ على ما أسَرُّوا في أنفُسِهِمْ ﴾ من الشَّك في ظهور الإسلام ، أو من المنافقين ﴿ نادِمينَ ﴾ [قال عطية العوفي : جاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ﷺ إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر ناصرهم ، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود ، وآوي إلى الله ورسوله . فقال عبد الله بن أُبيّ : إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود . فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه) . فقال : قد قبلت . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ إلى قوله : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ﴾ الآية ـ النيسابوري] . .

[٥٣] ﴿ ويقُولُ الذينَ آمَنُوا : أهؤلاءِ أقْسَمُوا باللَّهِ جهْدَ أيْمانِهِمْ ﴾ أي : حلفوا لكم بأغلظِ الأيمان ﴿ إنّهم لمَعَكُمْ ﴾ على الكفّار ﴿ حبِطَتْ أعمالُهُمْ فأصْبَحُوا خاسِرينَ ﴾ في الدنيا والآخرة .

[٥٤] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا منْ يرتدَّ منكمْ عنْ دينِهِ فسوف يأْتي اللَّهُ بقوم يُحِبُّهمْ ويحبُّونَهُ أذلَّةٍ على المؤمنين ﴾ أي : يتواضعون لبعضهم ﴿ أعزَّةٍ على الكافِرينَ ﴾ أشدّاء عليهم ﴿ يُجاهدونَ في سبيلِ اللَّهِ ولا يَخافُونَ لوْمَةَ لائم ، ذلكَ فضْلُ اللَّهِ يؤتِيهِ من يشاءُ ، واللَّهُ واسعٌ ﴾ كثير الفضل ﴿ عليمٌ ﴾ .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يحقرنّ أحدكم نفسه ، أن يرى أمراً لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس ، فيقول : إياي أحق أن تخاف) .

[٥٥] ﴿ إنّما وليُّكُمُ اللَّهُ ورسولُهُ والذينَ آمَنُوا الذين يُقيمونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاة ، وهم راكِعونَ ﴾ وهم خاشعون ومتواضعون لله .

[٥٦] ﴿ ومنْ يتولَّ اللَّهَ ورسولَهُ والذينَ آمَنُوا ﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿ فإنَّ حزبَ اللَّهِ همُ الغالِبُونَ ﴾ لهم النصر على أعداء اللَّه .

[٥٧] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذينَ اتَّخذُوا دينَكُم هُزُواً ﴾ أي : استخفُّوا به ﴿ ولَعِباً ﴾ أي : سخريةً وضحكاً ﴿ منَ الذينَ أُوتُوا الكِتابَ منْ قبلِكُم والكفّارَ ﴾ يعني المشركين ﴿ أولياءَ ﴾ في العون والنصرة ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ إن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ فالإيمان الحق يوجب الاتقاء .

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

[٥٨] ﴿ **وإذا ناديتُمْ إلى الصَّلاةِ** ﴾ دعوتم إليها بالأذان ﴿ **اتَّخَذُوها هُزُواً ولَعِباً** ﴾ يستهزئون بها ويتضاحكون ﴿ **ذلكَ بأنَّهُمْ قومٌ لا يعقلونَ** ﴾ فهم يستهزئون بسبب جهلهم معاني عبادة الله ، ولو كان لهم عقل لما اجترأوا على ذلك .

[٥٩] ﴿ **قُلْ يا أَهْلَ الكتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا** ﴾ ما تعيبون وتنكرون منا ﴿ **إلاّ أنْ آمنّا باللّهِ وما أُنْزِلَ إلَيْنَا وما أُنزلَ مِنْ قبْلُ** ﴾ من التوراة والإنجيل التي تشهد بدورها بصدق رسالة محمد ﷺ ﴿ **وأنَّ أكثرَكُمْ فاسِقُونَ** ﴾ متمرّدون خارجون عن الإيمان .

[٦٠] ﴿ **قُلْ هل أُنَبِّئُكُمْ** ﴾ يا أهل الكتاب ﴿ **بشرٍّ منْ ذلِكَ** ﴾ بشرٍّ من حال هؤلاء ﴿ **مثوبةً عندَ اللّهِ** ﴾ أي : جزاء ثابتاً عند الله ﴿ **منْ لعنهُ اللّهُ وغضِبَ عليهِ وجعلَ منهمُ القِرَدَةَ والخنازيرَ** ﴾ وهم اليهود ، أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ، ومسخ بعضهم قردة وخنازير ﴿ **وعَبَدَ الطّاغُوتَ** ﴾ والمراد من الطاغوت : العجل ، أو الكهنة وكل طاغية جبار وكل ما يطاع في معصية الله سبحانه ﴿ **أولئكَ** ﴾ الملعونون الممسوخون ﴿ **شرٌّ مكاناً** ﴾ والمراد بالمكان : القرار الذي يؤول أمرهم إليه ، يعني : جهنم ﴿ **وأضلُّ عن سواءِ السَّبيلِ** ﴾ أكثر ضلالاً عن الصراط المستقيم .

[٦١] ﴿ **وإذَا جَاؤوكُمْ** ﴾ يعني سفلة اليهود ، وقيل : المنافقون ﴿ **قالوا آمنّا** ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ **وقدْ دخلُوا** ﴾ إليكم متلبسين ﴿ **بالكفرِ** ﴾ كفر السر ﴿ **وهُمْ قد خَرَجُوا بهِ** ﴾ أي جاؤوكم كافرين وخرجوا من عندكم على كفرهم ﴿ **واللّهُ أعلمُ بما كانوا يكتُمونَ** ﴾ من الكفر .

[٦٢] ﴿ **وترى كثيراً منهُمْ** ﴾ من اليهود ﴿ **يُسارِعُونَ في الإثْمِ** ﴾ في الحرام كالكذب والعصيان ﴿ **والعُدْوانِ** ﴾ الظلم والاعتداء على النّاس ﴿ **وأكلِهِمُ السُّحْتَ** ﴾ أي الحرام كالرِّشوة ﴿ **لَبِئْسَ ما كانُوا يعملونَ** ﴾ ممـا ذُكِر .

[٦٣] ﴿ **لَوْلاَ** ﴾ هلاَّ ﴿ **ينهاهمُ الرَّبَّانيُّونَ** ﴾ الزُّهاد منهم والعُبّاد ﴿ **والأحبارُ** ﴾ العلماء ﴿ **عن قولِهمُ الإثمَ** ﴾ الكذب ﴿ **وأكلِهمُ السُّحْتَ** ﴾ الرِّشوة ﴿ **لَبِئْسَ مَا كانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ من تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو لعدم إخلاصهم لله .

[٦٤] ﴿ **وقالتِ اليهودُ : يدُ اللّهِ مغلولةٌ** ﴾ أجمع أهل السنة من السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على ظاهرها إلاّ أنهم لم يتعرضوا لتأويلها ، ولو كان التأويل سائغاً لكانوا إليه أسبق ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها .

ونزلت هذه الآية في فنحاص : رئيس يهود بني قَيْنُقَاعُ الذي قال : إن الله فقير ونحن أغنياء ﴿ **غُلَّتْ أَيْديهِمْ** ﴾ دعاء عليهم بالبخل أو بالفقر والمَسْكنة ﴿ **ولُعِنُوا** ﴾ أُبعدوا عن الرحمة ﴿ **بِمَا قَالُوا** ﴾ لوصفهم الله سبحانه بما لا يصح في حقه كالبخل والحاجة ﴿ **بلْ يداهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ بأنواع العطايا المختلفة ﴿ **يُنْفِقُ كيفَ يشاءُ ، وليزيدَنَّ كثيراً منهم** ﴾ أي : من اليهود ﴿ **ما أُنزلَ إليكَ مِنْ ربِّكَ طُغياناً** ﴾ عدواناً ﴿ **وكُفْراً** ﴾ فهم يزدادون طغياناً وكُفراً بدل الإيمان ﴿ **وألْقَيْنَا بينهُمُ العداوةَ والبَغْضَاءَ إلى يومِ القيامةِ** ﴾ فكلمتهم متفرقة وقلوبهم شتّى ﴿ **كُلَّمَا أوقَدُوا ناراً للحَرْبِ أطفأها اللّهُ** ﴾ كلما أرادوا حرب الرسول وإثارة الشر ضده ، ردّهم الله تعالى ﴿ **ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً** ﴾ يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله ﴿ **واللهُ لا يحبُّ المُفْسِدِينَ** ﴾ .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

[٦٥] ﴿ **ولوْ أنَّ أهلَ الكتابِ** ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ **آمنُوا** ﴾ بمحمد ﷺ ورسالته ﴿ **واتَّقَوْا** ﴾ انتهوا عن فعل الكبائر ﴿ **لكفَّرْنَا عنهم سيِّئاتهم** ﴾ لغفرنا لهم ذنوبهم على كثرتها ﴿ **ولأدْخلْناهُمْ جنَّاتِ النَّعيم** ﴾ .

[٦٦] ﴿ **ولو أنَّهم أقامُوا التَّوراة والإنجيلَ** ﴾ أي : نفّذوا أحكامها وحدودها ﴿ **وما أُنزلَ إليهمْ من ربِّهمْ** ﴾ أي : بيَّنوا ما في التوراة والإنجيل ، وقيل : آمنوا بالقرآن الكريم ﴿ **لأكلُوا من فوقِهمْ ومِن تحتِ أرجُلِهِمْ** ﴾ لوسَّع عليهم أرزاقَهُمْ ﴿ **منهمْ أُمَّةٌ** ﴾ طائفة ﴿ **مقتصدةٌ** ﴾ عادلةٌ مستقيمة ، وهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ ﴿ **وكثيرٌ منهم ساءَ ما يعملونَ** ﴾ من تحريف الحق والإعراض عنه ، والإفراط في العداوة .

[٦٧] ﴿ **يا أيُّها الرَّسُولُ بلِّغْ ما أُنزلَ إليكَ من ربِّكَ** ﴾ من الأحكام والآيات ﴿ **وإنْ لمْ تفعلْ** ﴾ ما تُؤمر به من التبليغ ﴿ **فما بلَّغتَ رسالَتَهُ** ﴾ أي شيئاً مما أرسلت به ، لما أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض ، فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً ، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها [قال الحسن أن النبي ﷺ قال : (لما بعثني الله تعالى برسالتي ضقت بها ذرعاً وعرفت أن من الناس من يكذبني) . وكان رسول الله ﷺ يهاب قريشاً واليهود والنصارى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] ﴿ **واللَّهُ يعصمُكَ من النّاسِ** ﴾ أي : يحفظك من ضررهم وكيدهم . قال البخاري : قال الزهريّ : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم [قالت عائشة رضي الله عنها : سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلت : يا رسول الله ما شأنك ؟ قال : (ألا رجل صالح يحرسنا الليلة ؟) فقالت : بينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح ، فقال : (من هذا ؟) قال : سعد وحُذيفة ، جئنا نحرسك . فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه ، ونزلت هذه الآية ، فأنزل رسول الله ﷺ رأسه من قبة آدم وقال : (انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله) ـ النيسابوري] ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يهدي القومَ الكافرينَ** ﴾ أي : لا يهديهم طريق الإساءة إليك ، وهذا من عصمة الله تعالى له ﷺ .

[٦٨] ﴿ **قُلْ يا أهلَ الكتابِ لستُمْ على شيءٍ** ﴾ من الدِّين ﴿ **حتّى تُقيمُوا التَّوراةَ والإنجيلَ** ﴾ أي : تعملوا بأحكامها ، وتحيوا شرائعها ، وتحافظوا على ما فيها من الأمور التي من جملتها البشارات بالنبي ﷺ ووجوب الإيمان به ﴿ **ومَا أُنزلَ إليكمْ منْ ربِّكمْ** ﴾ أي : القرآن المجيد ﴿ **وليزيدنَّ كثيراً منهمْ ما أُنزلَ إليكَ منْ ربِّكَ طغياناً** ﴾ تمادياً ﴿ **وكُفراً** ﴾ ثباتاً على الكفر ، كلما ازددت في تبليغهم كلما ازدادوا كفراً ﴿ **فلا تأْسَ على القومِ الكافرينَ** ﴾ فلا تحزن عليهم ، فضرر كفرهم على أنفسهم لا عليك .

[٦٩] ﴿ **إنَّ الذينَ آمَنُوا** ﴾ المسلمون ﴿**والذينَ هادُوا**﴾ اليهود ﴿ **والصَّابئونَ** ﴾ صبأ : خرج من دين قومه إلى دين آخر ، [وصابئة اليوم هم غير اليهود والنصارى ممن يعبدون مخلوقات لله ولا يعبدون الله] ﴿ **والنَّصارى ، منْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ وعملَ صالحاً فلا خوفٌ عليْهِمْ ولا هم يحزنونَ** ﴾ .

[٧٠] ﴿**لقدْ أخذنَا ميثاقَ بني إسرائيلَ**﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿ **وأرسلْنَا إليهمْ رُسُلاً ، كلَّما جاءَهم رسولٌ بما لا تَهْوى أنفُسهمْ** ﴾ أي : ما يخالف هواهم وشهواتهم ﴿ **فريقاً كذَّبوا** ﴾ بالرغم من دلائل صدق هذا الفريق من الأنبياء ﴿ **وفريقاً يقتلونَ** ﴾ بعد التكذيب .

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

[٧١] ﴿ **وحَسِبُوا ألَّا تكون فتنةٌ** ﴾ ظن بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل ﴿ **فَعَمُوا وصَمُّوا** ﴾ عموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل إلى معالمه الظاهرة ، وصمُّوا عن استماع الحق الذي بلَّغوهم إياه ﴿ **ثُمَّ تابَ اللَّهُ عليهمْ** ﴾ مما كانوا فيه ﴿ **ثمَّ عمُوا وصمُّوا كثيرٌ منهمْ** ﴾ مرة أخرى ﴿ **واللَّهُ بصيرٌ بما يعملونَ** ﴾ .

[٧٢] ﴿ **لقدْ كفرَ الذينَ قالوا : إنَّ اللَّهَ هوَ المسيحُ ابنُ مريمَ** ﴾ قال الرازي : هذا قول اليعقوبية منهم ، يقولون إن مريم ولدت إلهاً . قال : ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون : إن الله تعالى حلَّ في ذات عيسى واتحد بها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿ **وقالَ المسيحُ : يا بني إسرائيل اعبُدُوا اللَّهَ ربِّي وربَّكُمْ** ﴾ ولم يقل اعبدوني ﴿ **إنَّه من يُشْرِكْ باللَّهِ فقدْ حرَّمَ اللَّهُ عليه الجنَّةَ ومأواه النَّارُ** ﴾ فالشرك بالله أعظم وجوه الظلم ﴿ **وما للظَّالمينَ من أنصارٍ** ﴾ ينقذونهم من النّار .

[٧٣] ﴿ **لقدْ كفرَ الذينَ قالوا : إنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ** ﴾ أي : أحد ثلاثة أقانيم كما يقول النصارى : أب وابن وروح القدس . قال الرازي رحمه الله : واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل ، فإن الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثة . قال ابن كثير: الصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة ، قاله مجاهد وغير واحد ، ثم اختلفوا في ذلك ، فقيل : المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة ، وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن ، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً . قال ابن جرير وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم ، وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً . . . وكل فرقة منهم تكفر الأخرى ، والحق أن الثلاثة كافرة . وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله ، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار ﴿ **ومَا من إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ** ﴾ لا يتعدد ولا يتجزأ ﴿ **وإنْ لم يَنْتَهُوا عمَّا يقولونَ** ﴾ من هذا الافتراء والكذب ﴿ **ليَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا منهمْ عذابٌ أليمٌ** ﴾ في الآخرة .

[٧٤] ﴿ **أفلَا يَتُوبُونَ إلى اللَّهِ ويستغفرونَهُ** ﴾ بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه إليه من الاتحاد والحلول ، فيرجعوا عن التمسك بالمتشابهات إلى القطعيات ﴿ **واللهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ يغفر لهم ولغيرهم إن تابوا .

[٧٥] ﴿ **ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلَّا رَسُولٌ قدْ خلتْ** ﴾ مضت ﴿ **منْ قبلِهِ الرُّسُلُ** ﴾ جاء بآيات ومعجزات من الله ، كما أتوا بأمثالها ﴿ **وأمُّهُ صِدِّيقَةٌ** ﴾ مبالغة في الصدق ﴿ **كانا يأكلانِ الطَّعامَ** ﴾ فهما مفتقران إلى الغذاء كسائر البشر ، فكيف يكونان إلهين ؟ ﴿ **انْظُرْ كيفَ نُبيِّنُ لَهُم الآياتِ** ﴾ الدالة على توحيد الله ، وبطلان ألوهية عيسى وأمه ﴿ **ثُمَّ انظرْ أنّى يُؤْفكونَ** ﴾ كيف يُصرفون عن التأمل فيها إلى الإصرار على التمسك بالشبهات الظاهرة البطلان .

[٧٦] ﴿ **قُلْ أتعبدونَ من دونِ اللَّهِ** ﴾ أي : أتعبدون عيسى وأمه وهما ﴿ **ما لا يملكُ لكمْ ضرًّا** ﴾ من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ﴿ **ولا نفعاً** ﴾ من صحة الأبدان وسعة الرزق وخصب الأرض ﴿ **واللَّهُ هوَ السَّميعُ العليمُ** ﴾ بالأقوال والعقائد ، فيجازي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

[٧٧] ﴿ **قُلْ يا أهلَ الكتابِ** ﴾ من النّصارى ﴿ **لا تغلُوا في دينِكمْ غيرَ الحقِّ** ﴾ لا تتجاوزوا الحد في تعظيم عيسى وأمه غلوّاً باطلاً . وعن ابن عبّاس أن النبيّ ﷺ قال : (إيّاكم والغلوّ في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين) رواه أحمد ﴿ **ولا تتّبِعُوا** ﴾ تقليداً ﴿ **أهواءَ قومٍ قد ضلُّوا منْ قبلُ وأضلُّوا كثيراً** ﴾ ممن تبعهم على التثليث ﴿ **وضلُّوا عنْ سواءِ السبيلِ** ﴾

[٧٨] ﴿ **لُعِنَ الذينَ كَفَرُوا منْ بني إسرائيل** ﴾ لعنهم الله عزّ وجلّ ﴿ **على لِسانِ داوودَ وعيسَى ابنِ مريمَ ، ذلك** ﴾ اللعن العظيم ﴿ **بما عَصَوْا وكانوا يعتدونَ** ﴾ بقتلهم الأنبياء واستحلالهم المعاصي .

[٧٩] ﴿ **كانُوا لا يتناهوْنَ عنْ منكرٍ فَعَلُوهُ** ﴾ لا ينهى بعضهم بعضاً عن ارتكاب المآثم والمحرمات ، قال عليه الصلاة والسلام : (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم أو في أسواقهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾) وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس ، فقال : (لا ، والذي نفسي بيده حتى تأطِرُوهم على الحق أطراً) أي تعطفوهم عليه رواه أحمد ﴿ **لبئسَ ما كانُوا يفعلونَ** ﴾ ساء ما كانوا يفعلون . وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : (من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

الجزء ٧ الحزب ١٣

[٨٠] ﴿ **ترى كثيراً منهمْ** ﴾ أي : من أهل الكتابِ ﴿ **يتولَّوْنَ الذينَ كفَرُوا** ﴾ يوالون المشركين ، بغضاً للرسول ﷺ ﴿ **لبئسَ ما قدَّمتْ لهمْ أنفسُهمْ أنْ سخِطَ اللَّهُ عليهمْ** ﴾ غضب عليهم ﴿ **وفي العذابِ هم خالدُونَ** ﴾ في عذاب جهنم يوم القيامة .

[٨١] ﴿ **ولو كانُوا** ﴾ أي : اليهود الذين يحالفون المشركين ضد المسلمين ﴿ **يُؤْمنونَ باللهِ والنبيِّ** ﴾ موسى عليه السلام ﴿ **وما أُنزلَ إليه** ﴾ من التوراة ﴿ **ما اتّخذُوهمْ أولياءَ** ﴾ فمن يؤمن بالله لا يتولى المشركين ﴿ **ولكنَّ كثيراً منْهُمْ فاسِقُونَ** ﴾ خارجون عن دينهم .

[٨٢] ﴿ **لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للذينَ آمَنُوا اليهودَ والذينَ أشْركُوا** ﴾ وفي تقديم اليهود على المشركين إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة [قوله تعالى : ﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا وكذبوا ﴾ نزلت في النجاشي وأصحابه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه رضي الله عنهم إلى النجاشي وقال : (إنه ملك صالح لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد ، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً) . فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم : تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم . قال : فاقرأوا . فقرأوا وحوله القسيسون والرهبان ، فكلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأنَّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينَهم تفيضُ من الدمع ﴾ الآية ـ النيسابوري] ﴿ **ولتجِدَنَّ أقْربَهم مودَّةً للذينَ آمَنُوا الذينَ قالُوا : إنَّا نَصارَى** ﴾ المودَّة : المحبَّة ﴿ **ذلكَ** ﴾ كونهم أقرب مودة للمؤمنين ﴿ **بأنَّ منهم قسّيسين** ﴾ علماء ﴿ **ورُهْباناً** ﴾ عُبّاداً متجردين ﴿ **وأنّهم لا يستكبرونَ** ﴾ يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود .

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

[٨٣] ﴿ وإذا سمعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرّسولِ ﴾ وإذا سمعوا القرآن ﴿ **ترى أعيُنَهُمْ تفيضُ منَ الدَّمْعِ ممَّا عرَفُوا منَ الحقِّ ، يقولونَ** : ربّنا آمنّا ﴾ بك وبما أنزلت وبرسولك محمد ﷺ ﴿ **فاكتُبْنا مع الشاهدينَ** ﴾ الذين شهدوا بأنه حق .

[٨٤] ﴿ **وما لنَا لا نُؤْمِنُ باللَّهِ وما جاءَنا من الحق** ﴾ أي : وبما جاءنا من القرآن ﴿ **ونطْمعُ أنْ يُدْخِلَنا ربُّنا معَ القوم الصَّالحين** ﴾ وهم الأنبياء والمؤمنون .

[٨٥] ﴿ **فأثابهُمُ** ﴾ فجزاهم ﴿ **اللَّهُ بما قَالُوا جنّاتٍ تجري منْ تحتِها الأنهارُ** ﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿ **خالدين فيها ، وذلك جزاءُ المُحْسنِينَ** ﴾ المخلصين في إيمانهم . [وقد اتفق العلماء على أن هذه الآيات الأربع ٨٢ و٨٣ و٨٤ و٨٥ نزلت في النجاشيّ ملك الحبشة وأصحابه حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب القرآن فبكوا حتى أخضبوا لحاهم ، وإسلام النجاشيّ معروف ، وقد صلى النبي ﷺ عليه لما مات صلاة الغائب مع تباعد الديار] .

[٨٦] ﴿ **والذينَ كفروا وكذَّبُوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ الجحيم** ﴾ أي : النّار الشديدة الحرارة .

[٨٧] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تُحرِّمُوا طيِّباتِ ما أحلَّ اللَّهُ لكُمْ ، ولا تَعْتَدُوا** ﴾ بتجاوز حدود ما أحل الله لكم من الطعام والحقوق وسواهما ﴿ **إنَّ الله لا يُحِبُّ المعتدينَ** ﴾ وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على ترك التشدّد في العبادات [عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ وقال : إني إذا أكلتُ هذا اللحم انتشرت إلى النساء ، وإني حرمت عليّ اللحم ، فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ﴾ ونزلت : ﴿ وكلوا مما رزقكم اللّه حلالاً طيباً ﴾ الآية ـ النيسابوري] .

[٨٨] ﴿**وكُلُوا ممَّا رزقكُم اللهُ حلالاً طيّباً**﴾ كلوا من رزق الله الحلال الطيب ﴿**واتّقوا اللهَ الذي أنْتُم بِهِ تُؤمِنون**﴾ لأن الإيمان به يوجب التقوى التي تؤدي الى الالتزام بأوامره من الحلال والحرام [قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا : نقطع مذاكيرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك ، فقالوا : نعم . فقال النبي ﷺ (لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام ، وأنكح النساء ، فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني) رواه ابن حاتم ـ ابن كثير] .

[٨٩] ﴿**لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغوِ في أيْمانِكم**﴾ اللغو في اليمين : ما يسبق إليه اللسان بلا قصد الحلف ، كقول الإنسان : لا والله ! وبلى والله . والمراد بالمؤاخذة : الإثم والتكفير ، والمعنى : فلا إثم ولا كفّارة في اللغو ﴿**ولكنْ يؤاخِذُكم بما عقَّدْتُمُ الأيمانَ**﴾ بتوثيقها وهو الحلف عن قصد مِنكم ، ثم نكثتم ﴿**فكفَّارتُهُ**﴾ فكفارة نكثه ﴿**إطعامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ**﴾ وليس في الأحكام تحديد بقدر ، المسكين : من لا يجد ما يكفيه [مهما كانت عقيدته] ﴿**منْ أوسطِ ما تُطعمونَ أهْليكُم ، أو كِسْوَتُهُمْ**﴾ أن يدفع الى كل واحد من العشرة من الكسوة ما يصح أن يصلي فيه إن كان رجلاً أو امرأة كل بحسبه ﴿**أو تحريرُ رقبةٍ**﴾ أي : عتق عبد أو أَمَة ﴿**فمنْ لمْ يجدْ**﴾ شيئاً مما ذُكر ﴿**فصيامُ ثلاثةِ أيّام ذلك**﴾ المذكور ﴿**كفارةُ أيمانِكُمْ إذا حَلفتم**﴾ ثم حنثتم ﴿**واحفظُوا أيمانَكُم**﴾ عن الإكثار منها ، أو عن الحنث ﴿**كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكُمْ آياتِه**﴾ معالم وأحكام شريعته ﴿**لعلّكُمْ تشكُرُون**﴾ نعمته فيما يعلّمكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ
مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ
وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ
وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

[٩٠] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إنَّما الخَمْرُ ﴾ الخمر : كل مشروب مسكر يذهب بالعقل ﴿ والمَيْسِرُ ﴾ القمار ﴿ والأنصابُ ﴾ الأصنام المنصوبة للعبادة ﴿ والأزْلام ﴾ قِداح الحظ ﴿ رِجْسٌ منْ عَمَل الشيطانِ ﴾ الرجس : القَذَر والمقصود أن المذكور من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام عمل خبيث من تزيين الشيطان ﴿ فاجتنبوهُ ﴾ أي : اتركوه ﴿ لعلَّكم تُفلحُونَ ﴾ .

[٩١] ﴿ إنَّما يُريدُ الشيْطانُ أنْ يُوقِعَ بينكمُ العداوة ﴾ أي : ما يؤدي إلى الشتم والضرب والقتال ﴿ والبغْضاءَ في الخمرِ والميْسرِ ويصدَّكمْ عن ذكرِ اللَّهِ ﴾ يلهيكم عن ذكر الله ﴿ وعنِ الصَّلاةِ ﴾ فيمنعكم مراعاة أوقاتها ﴿ فهلْ أنتُمْ منتهونَ ﴾ قال العلماء : هذه الآية دالة على تأكيد تحريم الخمر والميسر لأن ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ تعني : انتهوا .

[٩٢] ﴿ وأطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ في جميع ما أمرا به ونهيا عنه ﴿ واحْذَرُوا ﴾ مخالفتها في ذلك ﴿ فإنْ تولَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أنَّما على رُسولنا البلاغُ المبينُ ﴾ فإن خالفتم الشرع الذي أمرتم به فالحجة عليكم ولا عذر لكم .

[٩٣] ﴿ ليْسَ على الذينَ آمنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ جُناحُ ﴾ أي : إثم ﴿ فيمَا طعِمُوا ﴾ مما حُرِّم بعد تناولهم ﴿ إذا ما اتَّقوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ ثمَّ اتقوْا وآمَنُوا ثمَّ اتقوْا وأحْسَنُوا واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنينَ ﴾ فليس المطلوب من المؤمنين الزهد عن المستلذات وتحريم الطيبات ، وإنما المطلوب منهم الارتقاء في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين . روى الترمذي عن ابن عباس قال : قالوا : يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ ـ لما نزل تحريم الخمر ـ فنزلت ﴿ ليس على الذين . . . ﴾ الآية . [٩٤] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا ليَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بشيءٍ من الصَّيْدِ ﴾ يرسله إليكم وأنتم مُحْرِمُون ، نزل ذلك في عمرة الحُدَيْبِيَة والصيد لا يحل للمحرم ﴿ تنالُه أيديكم ورِمَاحُكمْ ﴾ منه طرائد يمكنكم التقاطها بأيديكم وأخرى برماحكم ﴿ ليعلمَ اللَّهُ منْ يخافُهُ بالغيبِ ﴾ فيمتنع عن الاصطياد لقوة إيمانه ﴿ فمنِ اعْتَدَى ﴾ بالصيد ﴿ بعْدَ ذلِكَ ﴾ بعد الإعلام والإنذار ﴿ فَلَهُ عذابٌ أليمٌ ﴾ لمخالفته أمر الله وشرعه . [٩٥] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تقتُلُوا الصَّيْدَ وأنْتُم حُرُمٌ ﴾ أي : مُحْرِمُونَ بحجٍّ أو عمرة ، إلا أصناف ذكرها الحديث الشريف . فعن عائشة : أن رسول الله ﷺ قال : (خمس فواسق يُقتلن في الحلِّ والحَرَم : الغراب والحِدَأة والعقرب والفأرة والكلب العقور) رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية : الحية بدل العقرب ﴿ ومنْ قَتَلَهُ منكمْ ﴾ أي من قتل شيئاً من الصيد وهو محرم ﴿ مُتَعمِّداً ﴾ ذاكراً لإحرامه ﴿ فجزاءٌ ﴾ فعليه جزاء ، هو : ﴿ مِثْلُ ما قَتَلَ منَ النَّعَم ﴾ أي : شبهه في الخلقة ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عدْلٍ منْكُمْ ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء بالصّيد ﴿ هدْياً بالغَ الكعبةِ ﴾ يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدَّق به على مساكينه ﴿ أوْ كفَّارةٌ ﴾ غير الجزاء وإن وجده ، هي : ﴿ طعامُ مساكينَ ﴾ من غالب قوت البلد مما يساوي قيمة الجزاء ، لكل مسكين مدٌّ ﴿ أوْ عدْلُ ذلك ﴾ أو عليه مثل الطعام ﴿ صِيَاماً ﴾ يصوم عن كل مدٍّ يوماً ﴿ لِيَذُوقَ وبالَ أمرهِ ﴾ أي : شدّة وثقل هتكه لحرمة الإحرام ﴿ عَفَا اللَّهُ عمَّا سَلَفَ ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ ومنْ عادَ ﴾ فقتل الصيدَ وهو محرم ﴿ فينتقمُ اللَّهُ منهُ ، واللَّهُ عزيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ ذو انْتِقَامٍ ﴾ ممَّن عصاه . وجمهور العلماء أن العامد والنّاسي سواء في وجوب الجزاء عليه .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

ربع الحزب ١٣

[٩٦] ﴿ **أُحِلَّ لكمْ** ﴾ الخطابُ للمُحْرمين ﴿ **صَيْدُ البحْرِ** ﴾ ما يصاد منه طريّاً ﴿ **وطعامُهُ** ﴾ ما يتزوّد منه مملّحاً يابساً أو غير ذلك ﴿ **متاعاً لكمْ** ﴾ تمتيعاً للمقيمين منكم ﴿ **وللسيّارة** ﴾ وللمسافرين منكم يتزوّدون منه ﴿ **وحُرِّم عليكمْ صيدُ البرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً** ﴾ فإذا اصطادَ المُحرم الصَّيد متعمّداً أَثِمَ وغَرِمَ ، أو مخطئاً : غرِمَ وحُرِّم عليه أكله لأنه في حقه كالميتة ﴿ **واتّقُوا اللّهَ الذي إليه تُحْشَرونَ** ﴾أي : تُبعثون .

[٩٧] ﴿ **جعَلَ اللّهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للنّاسِ** ﴾ مداراً لقيام أمر دينهم بالحج إليه ، وأمر دنياهم بأمن داخله ﴿ **والشّهرَ الحرامَ** ﴾ بمعنى الأشهر الحُرُم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، قياماً لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿ **والهدْيَ** ﴾ وهو ما يُهدى إلى مكة ﴿ **والقلائدَ** ﴾ جمع قلادة ، وهي ما يجعل في عنق النعم التي تُهدى علامة لها ﴿ **ذلكَ** ﴾ المذكور ﴿ **لتعلموا أنَّ اللّهَ يعلمُ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ وأنَّ اللّهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ فإنّ جعلَه ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها ، دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن .

[٩٨] ﴿ **اعْلَمُوا أنَّ اللّهَ شديدُ العقابِ** ﴾ وعيد لمن انتهك محارمه أو أصرَّ على ذلك ﴿ **وأنَّ اللّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ وعدٌ لمن حافظ على مراعاة حرمات الله .

[٩٩] ﴿ **ما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البلاغُ** ﴾ إلاَّ تبليغ ما أرسل به من الإنذار وإقامة الحُجّة ﴿ **واللّهُ يعلمُ ما تُبْدونَ** ﴾ ما تُظهرون من القول والعمل ﴿ **وما تكتمونَ** ﴾ و ما تُسِرُّون . [١٠٠] ﴿ **قُلْ لا يسْتَوِي الخبيثُ** ﴾ الرديء والحرام ﴿ **والطَّيِّبُ** ﴾ الطاهر والحلال ﴿ **ولوْ أعجَبَكَ كثرةُ الخبيثِ** ﴾ فقليل محمود خيرٌ من كثير مذموم ﴿ **فاتّقوا اللّهَ يا أُولي الألبابِ** ﴾ يا أصحاب العقول ﴿ **لعلَّكم تُفْلحونَ** ﴾ .

[١٠١] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تسْألُوا** ﴾ نبيَّكم ﴿ **عن أَشْياءَ إنْ تُبْدَ** ﴾ تظهر ﴿ **لكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ لما فيها من المشقّة ﴿ **وإن تسألُوا عنْها حينَ يُنَزَّل القرآنُ تُبْدَ لكُمْ** ﴾ وإن تسألوا عن أشياء نزل القرآن بها مجملة تُبيّن لكم حينئذ لاحتياجكم إليها . والنهي عن الإكثار من سؤال رسول الله ﷺ عمّا لا يعني السائل من تكاليف شاقة عليه ، وعن بعض الأمور المستورة التي يكره كشفها ﴿ **عَفَا اللّهُ عَنْهَا** ﴾ عن تلك الأشياء حين لم ينزل فيها القرآن ولم يوجبها عليكم ﴿ **واللّهُ غفورٌ حليمٌ** ﴾ أي : مبالغ في مغفرة الذنوب . [١٠٢] ﴿ **قدْ سألَها قومٌ منْ قبلِكُمْ ثمَّ أصبحُوا بها كافِرينَ** ﴾ وقد كان بنو إسرائيل يستفتون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أُمِروا بها تركوها فهلكوا . [١٠٣] ﴿ **ما جَعَلَ اللّهُ** ﴾ ما شَرَع ﴿ **من بَحِيرةٍ** ﴾ الناقة التي تلد خمسة أبطن آخرها ذكراً ، بحروا أذنها أي شقّوها وحرّموا عليها : الركوب والحمل والذبح ولم يمنعوها ماءً ولا مرعىً ﴿ **ولا سائبةٍ** ﴾ النّاقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيّبت كالبحيرة ، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف ، وقيل : السائبة : الناقة المنذورة للأصنام ﴿ **ولا وَصيلَةٍ** ﴾ الشاة إذا ولدت ستة أبطن عَناقين عَناقين وولدت في السابع عَناقاً وجدياً ، قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها وأحلّوا لبنها للرجال وحرّموه على النساء ـ والعناق : الأنثى من أولاد المعز ـ ﴿ **ولاَ حَامٍ** ﴾ وهو الفحل من الإبل ينتج من صلبه عشرة أبطن ، ثم يترك للطواغيت فلا يُنتفعُ منه بشيء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى ﴿ **ولكنَّ الذينَ كفروا يفتَرُونَ على اللّهِ الكَذِبَ وأكثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠٤] ﴿ **وإذا قيلَ لَـهُمْ تَعالَـوْا إلى ما أنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ من الكتابِ المبيَّن للحلال والحرام ﴿ **وإلى الرَّسُولِ** ﴾ الذي أُنزل الكتـاب عليه ﴿ **قالوا: حسبُنا ما وجدْنـا عليـهِ آباءَنا** ﴾ أي: يكفينـــا ذلك ﴿ **أولَـوْ كانَ آبـاؤُهُمْ لا يعلمونَ شيئاً** ﴾ أي: لا يعرفون حقاً ولا يفهمونه ﴿ **ولا يهتدونَ** ﴾ إليه. [١٠٥] ﴿ **يا أيُّـهَا الـذينَ آمَنُوا عليكُمْ أنفسَكُمْ** ﴾ أي أصلحوا أنفسكم باتباع كِتاب الله وسنّة رسوله ﴿ **لا يضُرُكُمْ مـنْ ضلَّ إذا اهتـديْتُمْ** ﴾ إلـى الإيمان ﴿ **إلَى اللَّـهِ مَـرْجِعُكُمْ** ﴾ بعـد الموت ﴿ **جميعاً فينبِّـئُكُمْ** ﴾ يخبركم ﴿ **بما كُنْـتُم تَعْمَلُونَ** ﴾ فيحاسبكم على أعمالكم [عن ابـن عبـاس رضي الله عنهما: كتب رسـول الله ﷺ إلى أهل هجـر وعليهم منـذربن سـاوى يدعـوهم إلى الإسلام فإن أبـوا فليؤدوا الجزيـة، فلما أتاه الكتـاب عـرضـه على من عنـده من العـرب واليهـود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا بالجزية وكرهوا الإسلام، وكتب إليـه رسول الله ﷺ: (أما العـرب فلا تقبل منهم إلا الإسـلام أو السيف، وأما أهل الكتـاب والمجوس فـاقبل منهم الجزية). فلما قـرأ عليهم كتاب رسـول الله ﷺ أسلمـت العـرب، وأمـا أهـل الكتـاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقـال منافقو العرب: عجباً من محمـد يزعم أن الله بعثـه ليقاتل النـاس كافـة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتـاب، فلا نراه إلا قبل مـن مشركي أهل هجـــر مـــا رد على مشركي العـرب، فـأنـزل تعـالى: ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضـل إذا اهتـــديتم ﴾ يعني مـن ضل مـن أهل الكتاب ـ النيسابوري]. [١٠٦] ﴿ **يا أيُّـهَا الذينَ آمَنُوا شهادةُ بينِكُمْ إذَا حضرَ أحدَكُمُ الموتُ** ﴾ أي: ظهرت عليه أمارات الموت ﴿ **حينَ الوصيّـةِ** ﴾ تنبيهاً على أن الوصيـة من المهمات التي لا ينبغي التهاون بها ﴿ **اثْنانِ** ﴾ أن يشهد بينكم شاهدان ﴿ **ذوا عدْلٍ منكُمْ** ﴾ من المسلمين ﴿ **أو آخرانِ منْ غيرِكُمْ** ﴾ من أهل الذّمّة ﴿ **إنْ أنتُمْ ضربتُمْ في الأرضِ** ﴾ أي: سافرتم فيـها ﴿ **فأصابَـتْـكُمْ مُصيبةُ الموْتِ، تحبسونَـهُما** ﴾ تـوقفونهما للتحليف ﴿ **منْ بعـدِ الصـلاةِ** ﴾ أيـة صـلاة، وقيل: هي صـلاة العصر ﴿ **فيُـقْسِمَانِ** ﴾ يحلفان ﴿ **باللَّهِ إن ارتَـبْـتُمْ** ﴾ شككتُم فيهما بخيانة وأخذ شيء من تركة الميت ﴿ **لا نشتري بهِ ثمناً قليلاً** ﴾ أي: يقولان: لا نحلف بالله كاذبيْن لأجل المال ﴿ **ولوْ كانَ** ﴾ الذي نقسم له ونشهد عليه ﴿ **ذا قُرْبى** ﴾ قريباً منا ﴿ **ولا نكْتُمُ شهادةَ اللَّهِ** ﴾ أي: الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها ﴿ **إنّا إذاً** ﴾ إن كتمناها ﴿ **لَـمِنَ الآثِمِينَ** ﴾ لمستقرين في الإثم. [١٠٧] ﴿ **فإنْ عُثِرَ** ﴾ فإن اطلع بعد التحليف ﴿ **على أنَّـهُمَا استحقّا إثْماً** ﴾ فَعَلا ما يوجب الإثم من خيانـة أو غلول شيء من المال الموصى به إليهما ﴿ **فآخَرانِ يقومانِ مقامَهُمَا** ﴾ فرجلان آخران يقـومان بدلاً منهما للشهادة ﴿ **منَ الذينَ استحقَّ عليهِمُ الأوْلَيانِ** ﴾ من ورثة الميّت الذين استحق من بينهم الأوليان ﴿ **فيُـقْسِمَانِ باللَّهِ لشهادتُنَا أحقُّ** ﴾ بالقبول ﴿ **منْ شهادتِـهِمَا** ﴾ لأنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ﴿ **ومَا اعتدَيْنا** ﴾ ما تجاوزنا الحق فيها أو فيما قلنا فيهما من الخيانة ﴿ **إنّا إذاً** ﴾ إن اعتدينا ﴿ **لَمِنَ الظّالمينَ** ﴾ الواضعين الحق في غير موضعه. [١٠٨] ﴿ **ذلكَ** ﴾ الحكم المذكور سابقاً ﴿ **أدْنَى أنْ يأتُوا بالشَّهادةِ على وجْهِهَا** ﴾ أقرب إلى أن يؤدي الشهـود، أو الأوصياء، الشهادة على حقيقتها من غير تغيير لها، خوفاً من عذاب الآخرة ﴿ **أوْ يخافُوا أنْ تُـرَدَّ أيمانٌ بعْدَ أيمانِـهِمْ** ﴾ أو يخافوا أن تُـرد اليمين على المدّعين بعد أيمانهم، فيفتضحوا بظهور الخيـانة واليمين الكاذبة، ويغـرموا فيمتنعوا من ذلك ﴿ **واتّـقُوا اللَّهَ واسمعوا** ﴾ ما تُؤمرون به ﴿ **واللَّهُ لا يهدي القـوْمَ الفاسِقِينَ** ﴾ الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته.

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

نصف الحزب ١٣

[١٠٩] ﴿ **يَوْمَ يجمعُ اللّهُ الرُّسُلَ** ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ **فيقولُ** ﴾ للرسل ﴿ **ماذا أُجِبْتُمْ** ﴾ بماذا أجابكم من أُرسلتم إليهم ؟ ﴿ **قالوا** ﴾ من هيبته تعالى وتأدباً بليغاً ﴿ **لا عِلْمَ لَنَا إنَّك أنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ** ﴾ .

[١١٠] ﴿ **إذْ قالَ اللّهُ : يا عيسَى ابنَ مريمَ اذكرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ** ﴾ أي في خلقي إياك من أم بلا ذكر وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء ﴿ **وعلى والِدَتِكَ** ﴾ بما طهرها واصطفاها على نساء العالمين وجعله لها برهاناً على براءتها مما نسبه إليها الظالمون والجاهلون من الفحشاء ﴿ **إذْ أيدْتُكَ** ﴾ أي : قوّيتك ﴿ **بِرُوحِ القُدُسِ** ﴾ بجبريل عليه السلام ﴿ **تكلِّمُ النَّاس في المَهْدِ وكَهْلاً** ﴾ في أضعف الأحوال وأقواها ، أي : جعلتك نبيّاً داعياً إلى الله في صغرك وكبرك ﴿ **وإذْ علَّمتُكَ الكتابَ** ﴾ الخط وظاهر العلم الذي يكتب ﴿ **والحكمَةَ** ﴾ الفهم وباطن العلم الذي لا يُكتب ﴿ **والتَّوراةَ** ﴾ المنزلة على موسى ﴿ **والإنجيلَ** ﴾ الذي أنزلته عليك ﴿ **وإذْ تَخْلُقُ منَ الطِّينِ كهيْئَةِ الطَّيْرِ** ﴾ تصوّر منه صورة مماثلة لهيئة الطير ﴿ **بإذْني ، فتنفُخُ فيها فتكونُ** ﴾ فتصير تلك الهيئة ﴿ **طيراً بإذْني ، وتبرىءُ الأكْمَهَ** ﴾ الذي يولد أعمى ﴿ **والأبرَصَ بإذني ، وإذْ تُخْرِجُ المَوْتى** ﴾ من القبور أحياءً ﴿ **بإذني ، وإذْ كفَفْتُ بني إسرائيلَ عنكَ** ﴾ منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء وسعَوْا في قتلك وصلبك ، فنجيتك منهم ورفعتك إليّ وطهرتك من دنسهم ﴿ **إذْ جئتَهُمْ بالبيِّناتِ** ﴾ المعجزات ﴿ **فقالَ الذينَ كفروا منهم : إنْ هذَا إلاَّ سِحْرٌ مبينٌ** ﴾ ما هذا الذي يرينا إلا سحر ظاهر.

[١١١] ﴿ **وإذْ أوْحَيْتُ إلى الحواريِّينَ** ﴾ بطريق الإلهام والإلقاء في القلوب، والحواريُّون : تلاميذ المسيح عيسى ابن مريم ﴿ **أنْ آمِنُوا بي وبِرَسُولي ، قالوا : آمَنَّا واشْهَدْ بأنَّنا مُسْلِمُونَ** ﴾ منقادون لكل ما تدعونا إليه .

[١١٢] ﴿ **إذْ قالَ الحواريُّونَ : يا عيسَى ابنَ مريمَ** ﴾ ذكروه باسمه ونسبوه إلى أمه لئلا يتوهم أنهم اعتقدوا إلهيته أو ولديته ليستقل بإنزال المائدة ﴿ **هل يستطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنزِّلَ علينا مائدَةً منَ السَّماءِ** ﴾ وهذه هي قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال : سورة المائدة . وسؤالهم ليس عن شك ، بل ليحصل لهم مزيد الطمأنينة ، وقيل هل يستطيع بمعنى هل يستجيب دعوتك إذا دعوته ؟ ﴿ **قالَ : اتَّقُوا اللَّهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤمنينَ** ﴾ يعني : لا تشكّوا في قدرته [قال ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال : (نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم ، وأمروا أن لا يخونوا ، ولا يرفعوا لغد ، فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير) . وكل الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى بن مريم إجابة من الله لدعوته كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم ـ ابن كثير] .

[١١٣] ﴿ **قالُوا: نُريدُ أنْ نأكلَ مِنهَا** ﴾ أي : آمنّا ، لكنّا نريد الأكل منها من غير مشقة تشغلنا عن عبادة الله تعالى ﴿ **وتطمئنَّ قُلُوبُنا ونعلمَ أنْ قدْ صَدَقْتَنا** ﴾ في دعوى النبوّة ﴿ **ونكونَ عَلَيْهَا منَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ فنشهد عليها عند الذين لم يشهدوها من بني إسرائيل ، ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ، ويؤمن بسببها كفارهم .

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ
مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ
أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي
نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ
عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ
وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾

[١١٤] ﴿ قالَ عيسَى ابنُ مريمَ : اللهمَّ ربَّنا أَنْزِلْ علَيْنا مائدةً من السَّماءِ تكونُ لَنا عيداً لأوَّلِنا وآخِرِنا ﴾ أي يكون يومَ نزولها عيداً نعظّمه ونفرح به ﴿ وآيةً مِنْكَ ﴾ برهاناً على كمال قدرتك وصدق وعدك ﴿ وارزُقْنا ﴾ أعطنا ما سألناك ﴿ وأَنْتَ خيرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

[١١٥] ﴿ قالَ اللَّهُ : إنِّي مُنزِّلُها عليكم ﴾ إجابة لدعوتكم ﴿ فمن يكْفُرْ ﴾ بي وبرسولي ﴿ بعْدُ ﴾ أي : بعد تنزيلها ﴿ مِنْكُمْ فإنِّي أعذِّبُهُ عذاباً لا أعذِّبُهُ أحداً منَ العَالَمِينَ ﴾ أي : من عالمي زمانهم ، أو من العالمينَ جميعاً [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : (وتفعلون ؟) قالوا : نعم . قال : فدعا، فأتاه جبريل فقال : إنَّ ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذَّبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . قال : (بل باب التوبة والرحمة) ـ ابن كثير] .

[١١٦] ﴿ وإذْ قالَ اللَّهُ : يا عيسى ابنَ مَرْيَمَ ، أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وأمِّي إلٰهَيْنِ مِنْ دونِ اللَّهِ ﴾ وهذا القول يكون يوم القيامة ﴿ قالَ : سُبْحَانَكَ ﴾ أي : أنزِّهك تنزيهاً لائقاً بك ﴿ ما يكونُ لي ﴾ ما يُتصور مني بعد إذ بعثتني لهداية الخلق ﴿ أنْ أقُولَ ﴾ في حق نفسي ﴿ ما لَيْسَ لي بِحَقٍّ ، إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فقدْ عَلِمْتَهُ ، تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك ، إنَّك أنتَ علَّامُ الغُيُوبِ ﴾ .

[١١٧] ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ ما أمَرْتَني بهِ ، أنِ اعبُدُوا اللَّهَ ربِّي وربَّكُمْ وكنتُ عليهِمْ شهيداً ما دُمْتُ فيهِمْ ﴾ أي : رقيباً أحملهم على العمل بموجب أمرك ﴿ فلمَّا توفَّيْتَني ﴾ أي : بالرفع إلى السماء ، والتوفي : أخذ الشيء وافياً ، والموت نوع منه ﴿ كُنْتَ أنْتَ الرَّقيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ النَّاظر لأعمالهم ، دلت الآية على أن الأنبياء بعد استيفاء أجلهم الدنيوي ونقلهم إلى البرزخ لا يعلمون أعمال أمتهم . في الحديث (إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه يُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) رواه البخاري ﴿ وأنتَ على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ ﴾ .

[١١٨] ﴿ إنْ تُعذِّبْهُمْ فإنَّهمْ عِبادُكَ وإنْ تغفِرْ لَهُمْ فإنَّك أنْتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ .

[١١٩] ﴿ قالَ اللَّهُ : هَذَا ﴾ أي : يومُ القيامةِ ﴿ يوْمُ ينفعُ الصَّادقينَ صِدْقُهُمْ ﴾ لأنّه يوم الجزاء ﴿ لهمْ جنَّاتٌ ﴾ بساتين ﴿ تجري من تحتِها الأنهارُ ﴾ من تحت شجرها وسررها ﴿ خَالِدِينَ فيهَا أبداً رضيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ لصدقهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ تحقيقاً لصدقهم ﴿ ذلكَ ﴾ الخلود والرضوان ﴿ الفوْزُ العظيمُ ﴾ الكبير الذي لا أعظم منه .

[١٢٠] ﴿ للَّهِ مُلكُ السَّمٰوَاتِ والأرضِ وما فِيهِنَّ ﴾ وفي هذا تنبيه على كذب النَّصارى وفساد ما زعموا في المسيح وأمه لأنه المالك لا غيره ، فلا شريك له ﴿ وَهُوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته ومشيئته ، فلا نظير له ولا وزير ، لا إله غيره ولا رب سواه .

سُورَةُ الأَنْعَامِ — ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

[سورة الأنعام]

مكيّة ، وهي مئة وخمس وستون آية ، نزلت جملة واحدة ، وكتبوها من ليلتهم التي نزلت فيها ، غير ست آيات منها فإنها مدنيات . وهذه السورة مشتملة على دلائل : التوحيد ، والعدل ، والنبوّة ، والمعاد ، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين . وسُميت بسورة الأنعام لأن أكثر أحكامها ، وجهالات المشركين فيها ، وفي التقرب بها إلى أصنامهم ، مذكورة فيها .

[١] ﴿ **الحمدُ للّهِ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ** ﴾ أوجدهما لمنفعة عباده في ليلهم ونهارهم ﴿ **ثُمَّ الذينَ كَفَرُوا بربِّهِمْ يَعدِلُونَ** ﴾ يعدلون به سبحانه ، يُسوُّون به غيره في العبادة ، فيعبدون الحجارة ، مع إقرارهم بأنّ اللّه خلق السمٰوات والأرض .

[٢] ﴿ **هُوَ الذي خَلَقَكُمْ منْ طِينٍ** ﴾ هو جنس الأرض ﴿ **ثُمَّ قَضَى أجَلاً** ﴾ أي : كتب لموت كل واحد منكم أجلاً خاصّاً به ﴿ **وأجَلٌ مُسَمًّى عندَهُ** ﴾ وحدٌّ معيّن في علمه سبحانه لبعثكم جميعاً ﴿ **ثمَّ أنتم تَمْتَرُونَ** ﴾ تشكُّونَ في البعث أو تجحدونه . أخرج أبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحَزْن والخبيث والطيب) .

[٣] ﴿ **وهوَ الله في السَّمٰوات وَفي الأرضِ** ﴾ المعبود فيهما ﴿ **يعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ** ﴾ من النوايا والأقوال والأعمال ﴿ **ويعلمُ ما تكسِبُونَ** ﴾ ما تفعلون من خير أو شر.

[٤] ﴿ **وَمَا تأتِيهِمْ منْ آيةٍ منْ آياتِ ربِّهِمْ** ﴾ دليلٌ من الأدلّة ، أو معجزة من المعجزات ، أو آية من آيات القرآن ﴿ **إلاّ كانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** ﴾ تكذيباً واستهزاءً . [٥] ﴿ **فقدْ كذَّبُوا بالحقِّ لمَّا جاءَهُمْ** ﴾ يعني : القرآن ﴿ **فَسَوْفَ يأْتِيهِمْ أنباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ** ﴾ سيصيبهم الوعيد الذي استهزؤوا به .

[٦] ﴿ **ألَمْ يَرَوْا** ﴾ ألمْ يعلموا ﴿ **كمْ أهْلَكْنَا مِنْ قبلِهِمْ منْ قَرْنٍ** ﴾ أي : من أمّة ، مثل قوم نوح وعاد وثمود ﴿ **مكنَّاهُمْ في الأرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ** ﴾ ما لم نجعل لكم من السعة والرفاهية وطول الأعمار ﴿ **وأرْسَلْنَا السَّماءَ** ﴾ أي : المطر ﴿ **عَلَيْهِمْ مِدْراراً** ﴾ كثيراً ﴿ **وجعَلْنا الأنهارَ تَجْرِي من تحتِهِمْ** ﴾ من تحت أشجارهم ، فعاشوا في الخصب بين الأنهار والثمار ﴿ **فأهلكناهُمْ بذنُوبِهِمْ** ﴾ بسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿ **وأنْشَأنَا منْ بعدِهِمْ قرْناً آخَرِينَ** ﴾ أمّة أخرى بدلاً من الهالكين .

[٧] ﴿ **ولوْ نزّلْنا عَلَيْكَ كتاباً في قِرْطاسٍ** ﴾ أي : مكتوباً في ورق ﴿ **فَلَمسُوهُ بأيدِيهِمْ ، لقالَ الذينَ كَفَرُوا إنْ هَذا** ﴾ المُنزَّل من الله ﴿ **إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [قال الكلبي : إن مشركي مكة قالوا : يا محمد ، والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعةٌ من الملائكة يشهدون أنه من عند الله ، وأنّك رسولُه . فنزلت هذه الآية : ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ ـ النيسابوري] .

[٨] ﴿ **وَقالُوا لوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾ ليكون معه فيكلمنا أنه نبيّ ﴿ **ولَوْ أنْزَلْنا مَلَكاً لقُضِيَ الأمْرُ** ﴾ لو حقّق الله طلبهم ثمّ لم يؤمنوا ، لحاق بهم العذاب ، وفرغ الأمر ﴿ **ثُمَّ لا يُنظَرُونَ** ﴾ لا يُمهلون بعد نزوله طرفة عين .

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

[٩] ﴿ وَلَوْ جعَلْناه مَـلَكاً لجعَلْناهُ رَجُلاً ﴾ ولو جعلنا النذير الذي اقترحوه من الملائكة لجعلناه على هيئة البشر ﴿ ولَـلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ ﴾ أي : ولو جعلناه بشراً لاختلط الأمر عليهم ولقالوا له : إنما أنت بشر ولست بملَك .

[١٠] ﴿ ولقد اسْتُهزِىءَ بِرُسُلٍ منْ قبْلِكَ فحاقَ ﴾ فنزل وحلَّ ﴿ بالـذينَ سخِرُوا منْهُم مَـا كانُوا بـهِ يستهزئونَ ﴾ أي : العذاب الذي كانوا يسخرون منه .

[١١] ﴿ قُلْ : سيرُوا في الأرضِ ثمَّ انظُرُوا كيفَ كـانَ عاقبةُ المُكَذِّبين ﴾ كيف أُهلكوا لمّا كذبوا رُسُلَهم ، فلا تغترّوا بما أنتم عليه من التمتع بلـذات الحياة الـدنيا وشهواتها .

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

[١٢] ﴿ قُلْ : لِمَنْ مـا في السَّـمٰوات والأرضِ ﴾ أي : خلقاً ومُلكـاً ﴿ قُلْ : للّهِ ﴾ الذي يقرّ مشركو قريش له بـذلك ﴿ كتبَ على نفسِه الرَّحْـمَةَ ﴾ فهو رؤوف بعباده ، لا يعجل لهم العقوبة ، ويقبل منهم التوبـة . وفي الحديث : (إن الله لما قضى الخلق كتب عنـده فـوق عـرشـه : إن رحمتي سبقت غضبي) رواه البخاري ﴿ ليجمعنَّكُمْ إلى يوْمِ القِيامَةِ ﴾ للحساب على الأعمال ﴿ لا ريْبَ فيـهِ ﴾ لا شك فيه ﴿ الـذينَ خسِرُوا أنفسَهُمْ ﴾ بكفرهم وانحـرافهم عن الفطـرة السليمـة والعقل السليم ﴿ فهمْ لا يُـؤمِنُونَ ﴾ بالمعاد ، ولا يخافون يوم الحساب .

[١٣] ﴿ وَلَـهُ ﴾ ولله عــزّ وجلّ ﴿ مـا سَكَنَ في الليلِ والنَّهارِ ﴾ مـا استقـر وحلّ فيهما ، وهـــذا يعم جميع المخلوقات ﴿ وهو السَّميعُ العَليمُ ﴾ لا يخفى عليه شيء في الـوجود . [قـال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما : إنَّ كفـارَ مكة أتـوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمـد إنَّا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعـو إليه الحاجة ، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلاً ، وترجع عما أنت عليه ، فنزلت هذه الآية ـ النيسابوري] .

[١٤] ﴿ قُلْ ﴾ لكفّار مكّة ﴿ أغَيْرَ اللّهِ أتَّخِذُ وَليّاً ﴾ أي : معبوداً ﴿ فاطِرِ السموات والأرْضِ ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سابق ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ﴾ يرزُق ولا يُرْزَق ﴿ قُلْ : إنّي أمرتُ أنْ أكونَ أوّلَ منْ أسْلَمَ ﴾ وجهَهُ لله مخلصاً له ﴿ ولا تكُونَنَّ منَ المُشْركينَ ﴾ .

[١٥] ﴿ قُلْ : إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربِّي ، عذابَ يوم عظيـم ﴾ يعني عذاب يوم القيامة .

[١٦] ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ ﴾ أي : العذاب ﴿ يومئذٍ فقدْ رَحِمَهُ ﴾ نجّاه وأنعم عليه ﴿ وذلِكَ ﴾ صرف العذاب أو الرحمة ﴿ الفوْزُ المُبينُ ﴾ الظاهر .

[١٧] ﴿ وإنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بضُرٍّ ﴾ الضُّر : ما ينـال الإنسان من المكروه كفقـر ومرض ﴿ فَلاَ كاشِـفَ لَـهُ إلاَّ هُوَ ﴾ فلا يقدر على دفعـه إلا الله وحده ﴿ وإنْ يَمْسَسْكَ بخيْرٍ ﴾ كالعافية والرّخاء ﴿ فهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقـول : (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد) .

[١٨] ﴿ وَهُوَ القاهرُ ﴾ الغالب بقدرته ﴿ فوْقَ عبادِهِ وهو الحكيمُ الخبيرُ ﴾ المستعلي فوق عباده ، يدبر أمرهم بما يريد .

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

[١٩] ﴿ قُلْ : أَيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً ﴾ أي أعظم الأشياء شهادة ﴿ قُلِ : اللَّهُ ﴾ أي : الله أكبر شهادة ، وهو ﴿ شهيدٌ بَيْني وبيْنَكُمْ ﴾ عالم بما جئتكم به ، وبموقفكم من رسالتي ﴿ وَأوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ ﴾ معجزة شاهدة على صحة دعوتي وقد عجزتم مع فصاحتكم على الإتيان بمثله ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ به ﴾ بما فيه من الوعيد ﴿ ومَنْ بَلَغَ ﴾ فهو نذيرٌ لكل من بلغه ﴿إِئِنَّكُمْ لتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قل : لا أشْهَدُ ﴾ بما تشهدون ﴿ قُلْ : إنَّما هُو إلهٌ واحدٌ ، وإنَّني بَريءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ يعني : الأصنام .

[٢٠] ﴿ الَّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ ﴾ يعني : اليهود والنصارى ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ يعرفون الرسول ﷺ بصفاته في كتبهم ﴿ كما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ ﴾ بصفاتهم فلا يخفون عليهم ﴿ الذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ من المشركين ﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ بهذا الأمر الواضح الذي بشّرت به الأنبياء .

[٢١] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً ﴾ كقولهم : الملائكة بنات الله ﴿ أَوْ كذَّبَ بآياتِهِ ﴾ أي : القرآن والمعجزات ﴿ إنَّه لا يُفْلِحُ ﴾ لا ينجو من مكروه ، ولا يفوز بمطلوب ﴿ الظَّالمونَ ﴾ الذين يحرفون كتاب الله لفظاً أو معنىً .

[٢٢] ﴿ ويومَ نحشُرُهُمْ ﴾ نجمع الإنس والجن والشياطين ﴿ جميعاً ﴾ للحساب ﴿ ثُمَّ نَقُولُ للذينَ أشْرَكُوا أَيْنَ شركاؤُكُمُ الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي : آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ، أين نفعهم وشفاعتهم ؟ .

[٢٣]﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ عبّر عن جوابهم بالفتنة ، لأنه كذب ﴿ إلاَّ أَنْ قالُوا واللَّهِ ربِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ تبرؤوا من شركهم وأصنامهم لما رأوا اليقين .

[٢٤]﴿انظُرْ كيف كذَبُوا على أَنْفُسِهِمْ﴾ بإنكار شركهم أمام علاّم الغيوب ﴿ وضلَّ ﴾ ضاع وغاب ﴿ عنهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الشركاء ، فلم يشفعوا لهم ولم يغنوا عنهم من الله شيئاً .

[٢٥]﴿ ومنهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن ﴿ وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهم أَكِنَّةً ﴾ جمع كنان وهو الحجاب ﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ كراهة أن يفهموا إعجازه وإرشاده ﴿ وفي آذانِهِمْ وقْراً ﴾ صمماً مانعاً من وصول السماع النافع ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بها ﴾ فهم لا يؤمنوا بالآيات والحجج الدالة على صدق الرسول ﷺ ﴿ حتَّى إذا جاؤُوكَ يُجادِلُونَكَ ﴾ يُحاجّونك ويناظرونك في الحق بالباطل ﴿ يَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا إنْ هَذا إلاَّ أَساطِيرُ الأوَّلِينَ ﴾ أي : أباطيلهم .

[٢٦] ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ ينهون الناس عن استماعه خوف تأثيره في قلوبهم ﴿ وينْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ يتباعدون عنه بأنفسهم ﴿ وإنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾ بتعريضها لأشد العذاب عاجلاً أو آجلاً ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك .

[٢٧] ﴿ ولوْ ترَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أي : أطلعوا عليها فعرفوا ما فيها من العذاب ﴿ فقالُوا يا ليتنا نُرَدُّ ﴾ تمنوا الرجوع إلى الدنيا ﴿ ولا نُكَذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ الناجين من العذاب .

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا
بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ
نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٢٨] ﴿ **بَلْ بدَا لهم مَا كانوا يُخفُونَ منْ قبلُ** ﴾ ما كانوا يكتمون من الكفر والشرك ﴿ **ولَوْ رُدُّوا** ﴾ إلى الدنيا كما تمنوا ﴿ **لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾ من الكفر والشرك ﴿ **وإنَّهمْ لكاذِبُونَ** ﴾ في وعدهم بالإيمان.

[٢٩] ﴿ **وَقَالُوا : إنْ هيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا وما نحنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ أي : بعد الموت.

[٣٠] ﴿ **ولَوْ تَرى إذْ وُقِفوا عَلَى رَبِّهِمْ** ﴾ أي : عُرِضوا عليه ﴿ **قَالَ : أَلَيْسَ هَذَا** ﴾ أي : المعاد ﴿ **بالحَقِّ** ﴾ تقريعاً لهم ﴿ **قَالُوا : بَلَى وربِّنَا** ﴾ إنه لحق، وليس بباطل، كما كنا نظن ﴿ **قَالَ فَذُوقُوا العَذَابَ بما كُنْتُمْ تكفُرون** ﴾ أي : بسبب كفركم.

[٣١] ﴿ **قدْ خَسِرَ الذينَ كذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ** ﴾ لأن منكر البعث منكر للرؤية يوم القيامة ﴿ **حتَّى إذَا جاءَتْهُمُ السَّاعةُ بَغْتَةً** ﴾ أي : جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله. وقيل : الساعة الكبرى : بعث الناس للمحاسبة، والصغرى : موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته ﴿ **قالوا: يا حَسْرَتَنا** ﴾ يا ندامتنا ﴿ **عَلَى ما فَرَّطْنَا** ﴾ قصَّرنا ﴿ **فيها** ﴾ أي في الحياة الدنيا ﴿ **وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ ما يَزِرُونَ** ﴾ الحمل الثقيل، سمي الذنبُ لثقله على صاحبه، بئس ما يحملونه.

[٣٢] ﴿ **وَمَا الحياةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ** ﴾ أي : هزل وعمل لا يجدي نفعاً ﴿ **وَلَهْوٌ** ﴾ اللهو : اللذة الزائلة ﴿ **وللدّارُ الآخرةُ خيرٌ للذينَ يتّقونَ** ﴾ لكونها خالدة ﴿ **أفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ والعاقل من قدَّم الدائم على الزائل.

[٣٣] ﴿ **قدْ** ﴾ للتأكيد ﴿ **نَعلمُ أنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذي يَقُولُونَ** ﴾ أي : يقولونه فيك، من أنك كاذب، أو ساحر، أو شاعر، أو مجنون ﴿ **فإنَّهم لا يُكَذِّبُونَكَ وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم، ولكنهم يجحدون ـ والجحود : الإنكار مع العلم ـ بألسنتهم عناداً أو مكابرة. روى الحاكم عن عليّ رضي الله عنه قال : قال أبو جهل للنبيّ ﷺ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله ﴿ **فإنهم لا يكذبونك** ﴾ الآية. [قال السديّ : التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادقٌ هو أم كاذب، فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري ؟ فقال أبو جهل : والله إنَّ محمداً لصادقٌ، وما كذَبَ محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فأنزل تعالى هذه الآية ـ النيسابوري].

[٣٤] ﴿ **ولقدْ كُذِّبتْ رسلٌ من قبلِكَ** ﴾ فلك فيهم أسوة وقدوة في الصبر ﴿ **فصبرُوا على ما كُذِّبُوا وَأُوذُوا حتَّى أتاهُمْ نَصْرنـا، ولاَ مُبَدِّلَ لكلماتِ اللَّهِ** ﴾ أي : لمواعيده ﴿ **ولقدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ المُرْسَلِينَ** ﴾ من خبرهم في الصبر على أذى الكافرين، ونصر الله تعالى لهم.

[٣٥] ﴿ **وإنْ كانَ كبُرَ** ﴾ شقَّ وثقل ﴿ **عليكَ إعْراضُهُمْ** ﴾ عن الإيمان بما جئتَ به من القرآن ﴿ **فإنِ استطعتَ أنْ تبتغيَ نَفَقاً في الأرضِ** ﴾ حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها ﴿ **أوْ سُلَّماً في السَّماءِ فتأتيَهُمْ بآيَةٍ** ﴾ مما اقترحوه، فافعل ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّـه لجمعهم على الهُدَى، فلا تكُونَنَّ** ﴾ بالحرص على إيمانهم ﴿ **مِنَ الجاهِلِينَ** ﴾ بما تقتضيه شؤونه تعالى.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

الحزب ١٤

[٣٦] ﴿ إِنَّمَا يستجيبُ ﴾ لك ، بقبول دعوتك إلى الإيمان ﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الأحياء الذين يفقهون ما يُلقى إليهم ﴿ والمَوْتَى ﴾ يعني : الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون ﴿ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ إليهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فيجزيهم بأعمالهم .

[٣٧] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : مشركي مكة ﴿ لولا نُزِّلَ عليهِ آيةٌ منْ ربِّهِ ﴾ أي : معجزة خارقة للعادة ﴿ قُلْ : إنَّ اللَّهَ قادرٌ على أنْ ينزِّلَ آيةً ولَكِنَّ أكثرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ لأن اقتراح ذلك جهل منهم ، فالإيمان يقوم على مبدأ الاختيار في الاعتقاد وإعمال العقل .

[٣٨] ﴿ وَمَا منْ دابَّةٍ في الأرضِ ، ولا طائرٍ يطيرُ بجناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ أي : أصناف مصنفة تدبر شؤونها مثلكم . وفي الحديث (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها) رواه أبو داود والترمذي ﴿ ما فرَّطْنا في الكتابِ ﴾ ما تركنا ، وما أغفلنا ، في لوح القضاء المحفوظ شيئاً من الأشياء المهمة التي من جملتها بيان أن الله تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته ﴿ من شيءٍ ﴾ أي : لم يهمل فيه أمر شيءٍ ﴿ ثمَّ إلى ربِّهمْ يُحْشَرُونَ ﴾ يعني الأمم كلها ، فينصف بعضهم من بعض . وروى الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان ، فقال : (يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان) قال : لا ، قال : (ولكن الله يدري وسيقضي بينهما) .

[٣٩] ﴿ والذينَ كذَّبُوا بآياتِنا صُمٌّ وبُكْمٌ في الظُّلُماتِ ﴾ مَثَلُهم في جهلهم وعدم فهمهم وسوء حالهم كمثل الصُّمِّ : جمع أصم وهو الذي لا يسمع ، والبكم : جمع أبكم وهو الذي لا يتكلم ﴿ منْ يشأ اللَّهُ يضْلِلْهُ ، ومَنْ يشأْ يجْعَلْهُ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ فمن أحب هدايته وفقه بفضله وإحسانه للإيمان ، ومن شاء ضلالته تركه على كفره .

[٤٠] ﴿ قُلْ أرأيتكُمْ ﴾ أي : أخبروني ﴿ إنْ أتاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ كالذي نزل بالأمم الكافرة الماضية ﴿ أوْ أتتْكُمُ الساعةُ ﴾ يعني : القيامة أو الموت ﴿ أغيرَ اللَّهِ تدْعُونَ ﴾ أترجون النجاة من غيره سبحانه ؟ ﴿ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

[٤١] ﴿ بلْ إيّاه تدْعونَ ﴾ أي : تخصون بالدعوة ﴿ فيكشِفُ مَا تَدْعُونَ إليهِ إنْ شَاءَ ﴾ يرفع عنكم العذاب ﴿ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ أي : تكفرون بما أشركتم .

[٤٢] ﴿ ولقدْ أَرْسَلْنَا إلى أُمَمٍ منْ قَبْلِكَ ﴾ أي : أرسلنا إليهم رسلاً فكذبوهم ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ ﴾ الشدة والقحط ﴿ والضَّرَّاءِ ﴾ المرض والموت والفقر ﴿ لعلَّهم يتضرَّعُونَ ﴾ يتذللون لربهم ويتوبون إليه من كفرهم ومعاصيهم .

[٤٣] ﴿ فَلَوْلا إذْ جاءَهُمْ بأْسُنا تَضَرَّعُوا ﴾ تذللوا بالتوبة ﴿ولكنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وزيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك [والمعاصي] .

[٤٤] ﴿ فلمّا نسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ فلم يتعظوا بما أصابهم من البأساء والضرَّاء ﴿ فَتَحْنا عليهِمْ أبوابَ كلِّ شيءٍ ﴾ من النعم . [وفي الحديث (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج) ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فلما نسوا ﴾ إلى قوله ﴿ مبلسون ﴾ رواه أحمد] ﴿ حتّى إذا فرِحُوا بما أُوتُوا ﴾ من الخير مع شركهم ﴿ أخذْناهُمْ ﴾ بالعذاب المستأصل ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ فَإذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ متحسرون ، يائسون من كل خير .

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٥] ﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الذينَ ظَلَمُوا** ﴾ أي : استؤصلوا عن آخرهم ، فدابر القوم : آخرهم ﴿ **والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ** ﴾ على تخليص أهل الأرض من شرور الكفّار باستئصالهم .

[٤٦] ﴿ **قُلْ أرأيتُمْ إنْ أخذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وأبصارَكُمْ وختمَ على قُلُوبِكُمْ** ﴾ فزالت عقولكم وأفهامكم ﴿ **مَنْ إلهٌ غيرُ اللّهِ يأتيكُمْ بِهِ** ﴾ أي : بذلك الذي أخذ منكم ﴿ **انظُرْ كيفَ نصرِّفُ الآياتِ** ﴾ نوردها بطرق مختلفة ﴿ **ثمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ** ﴾ يعرضون عن الآيات بعد تصريفها .

[٤٧] ﴿ **قلْ : أرأيتَكُمْ إن أتاكُمْ عذابُ اللّهِ** ﴾ المستأصل لكم ﴿ **بغتةً** ﴾ فجأة بلا إنذار ، وقيل : ليلاً ﴿ **أَوْ جَهْرَةً** ﴾ مع الإنذار السابق ، وقيل : نهاراً ﴿ **هَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القوْمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ أي : تُهلكون بسبب ظلمكم وإعراضكم عن أمر الله .

[٤٨] ﴿ **وَمَا نُرسِلُ المُرْسَلِينَ إلاَّ مُبَشِّرِينَ** ﴾ بالثواب لأهل الإيمان والأعمال الصالحة ﴿ **ومُنْذِرِينَ** ﴾ بالعقاب لأهل الكفر والمعاصي ﴿ **فمنْ آمَنَ وأَصْلَحَ** ﴾ عمله ﴿ **فلا خوْفٌ عَلَيْهِمْ** ﴾ بالنسبة لما يستقبلونه ﴿ **ولا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ . [قال ابن كثير : أي بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها . الله وليهم فيما خلفوه وحافظهم فيما تركوه] .

[٤٩] ﴿ **والذينَ كذَّبوا بآياتِنَا يَمَسُّهُمُ العَذَابُ** ﴾ يصيبهم العذاب الذي أنذروا به ﴿ **بِمَا كانُوا يفسُقُونَ** ﴾ فسق عن أمر ربه ، أي : خرج .

[٥٠] ﴿ **قُلْ** ﴾ للمشركين ﴿ **لا أقولُ لكُمْ عندِي خزائِنُ اللّهِ** ﴾ فأعطيكم من رزقه ما تطلبون كما تشاؤون ﴿ **ولا أعْلَمُ الغيْبَ** ﴾ حتى تسألوني عن وقت الساعة ﴿ **ولا أقُولُ لكمْ إني مَلَكٌ** ﴾ حتى تكلفوني بما لا يطيقه البشر ﴿ **إنْ أتّبِعُ إلاَّ ما يُوحَى إليَّ** ﴾ ما أتبع فيما أقول لكم إلا ما يوحى إليّ من الله تعالى ﴿ **قلْ : هَلْ يستوِي الأعْمَى والبصيرُ** ﴾ الاستفهام هنا إنكاري ، والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ، ومن يعلمها ﴿ **أفلا تتفكَّرُونَ** ﴾ .

[٥١] ﴿ **وأَنْذِرْ بِهِ** ﴾ أي : بما يوحى إليك ﴿ **الَّذِينَ يخافُونَ أنْ يُحْشَرُوا إلى ربِّهِمْ ليْسَ لَهُمْ من دُونِهِ** ﴾ يعني : من دون الله ﴿ **وليٌّ** ﴾ ناصرٌ ينصرهم ﴿ **وَلا شفيعٌ** ﴾ يشفع لهم وينجيهم من العذاب ﴿ **لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ** ﴾ .

[٥٢] ﴿ **ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ ربَّهُمْ** ﴾ يعبدونه ويسألونه ﴿ **بالغداةِ والعَشِيِّ** ﴾ قال سعيد ابن المسيّب وغيره : المراد به الصلاة المكتوبة ﴿ **يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ يدعونه مخلصين له الدين ﴿ **ما عليكَ من حِسَابِهِمْ منْ شَيْءٍ وما مِنْ حِسَابِكَ عليهم منْ شَيْءٍ** ﴾ أي : لا تؤاخذ بأعمالهم وذنوبهم ، إنما حسابهم على الله عز وجل ، وهو أعلم بسريرتهم وخفايا نفوسهم ﴿ **فتطردهم** ﴾ فلا تهمّ بطردهم ﴿ **فتكونَ منَ الظَّالمينَ** ﴾ . [عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، عن سعد رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية فينا ، ستة ، فيّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال رضي الله عنهم ، قالت قريش لرسول الله ﷺ : إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم عنك ، فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل . فأنزل الله تعالى عليه : ﴿ ولا تَطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعَشيِّ يريدونَ وجهَه ﴾ الآية . رواه مسلم ـ النيسابوري] .

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

[٥٣] ﴿ وكذلك فتَنّا ﴾ ابتلينا واختبرنا ﴿ بعضَهم ﴾ وهم الشرفاء ﴿ ببعضٍ ﴾ وهم المؤمنون المستضعفون ﴿ ليقولوا ﴾ أي: الشرفاء ﴿ أهؤلاء ﴾ المستضعفون ﴿ مَنَّ اللّهُ عليهمْ مِنْ بينِنَا ﴾ بشرف الإيمان، وذلك لزعمهم أنهم أولى بكل شرف من غيرهم ﴿ أَلَيْسَ اللّهُ بأعلمَ بالشاكرينَ ﴾ ردٌّ على أشراف المشركين وإشارة إلى أن سبب استحقاق الإنعام بالإيمان اعتراف الإنسان بحق اللّه تعالى عليه اعتقاداً وقولاً وعملاً. وفي الحديث: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم) وأشار إلى صدره. رواه مسلم.

[٥٤] ﴿ وَإِذَا جاءَكَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ﴿ الذينَ يُؤْمِنونَ بآياتِنا ﴾ بالقرآن الكريم ﴿ فقلْ: سلامٌ عليكم ﴾ أي فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ﴿ كتبَ ربُّكم على نفسه الرَّحمةَ ﴾ أوجب الرحمة على ذاته المقدسة تفضلاً منه وإحساناً على الإنسان ﴿ أنَّه منْ عَمِلَ منكُمْ سُوءاً بجهالة ﴾ أي: في حالة جهالة، أو وهو جاهل لخطورة عمله أو حرمته ﴿ ثُمَّ تابَ منْ بعدِهِ وأَصْلَحَ ﴾ العمل ﴿ فإنَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾.

ربع الحزب ١٤

[٥٥] ﴿ وكذلكَ نُفصِّلُ الآياتِ ﴾ نبيّن آيات القرآن ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سبيلُ المُجْرِمِينَ ﴾ ولتتضح طريق المشركين والكفّار.

[٥٦] ﴿ قُلْ: إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الذينَ تدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ﴾ لا أعبد ما تعبدون ما أشركتم معه من الآلهة ﴿ قُلْ: لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُمْ ﴾ في عبادة الأصنام وطرد المؤمنين المستضعفين ﴿ قدْ ضَلَلْتُ إذاً ﴾ إن اتبعت أهواءكم ﴿ وما أنا منَ المُهْتَدِينَ ﴾ للحق المنزل.

[٥٧] ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بيِّنةٍ منْ ربِّي ﴾ أي: على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها إليّ ﴿ وكذَّبتُمْ بِهِ ﴾ بالوحي أو بالقرآن ﴿ ما عِنْدِي ما تسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ من العذاب المذكور للمكذبين ﴿ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للّهِ ﴾ وقد حكم بتأخير العذاب لحكمة يعلمها ﴿ يَقُصُّ الحقَّ ﴾ يبيّنه ويقضي فيه ﴿ وَهُوَ خيرُ الفَاصِلِينَ ﴾ القاضين بين عباده.

[٥٨] ﴿ قُلْ: لَوْ أَنَّ عِنْدِي ما تستعجِلُونَ بِهِ ﴾ لو أن في قدرتي إنزال العذاب بكم ﴿ لَقُضِيَ الأمرُ بَيْنِي وبيْنَكُمْ ﴾ بإهلاككم إثر استعجالكم ﴿ واللّهُ أَعْلَمُ بالظَّالمِينَ ﴾ فهو أعلم بحالهم ويؤخر عذابهم لحكمة يعلمها سبحانه.

[٥٩] ﴿ وعندَهُ مفاتِحُ الغيْبِ ﴾ شبّه الغيب بالأمور الجليلة التي يقفل عليها بالأقفال. وفي الحديث: (مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) رواه البخاري ﴿ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ ﴾ ويصرفها بحسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿ ويعلمُ ما في البرِّ والبَحْرِ ﴾ من الخلق والعجائب ﴿ وما تسقُطُ منْ ورقةٍ إلاَّ يعلَمُهَا ولا حبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلاَّ في كتابٍ مُبينٍ ﴾ أي: مكتوب ومحفوظ في علم الله.

قال عبد الله بن الحارث: ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا وعليها ملك موكل يأتي الله بعلمها، رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا يبست.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

[٦٠] ﴿ **وهو الذي يتوفّاكُمْ بالليلِ** ﴾ أي : يُميتكم فيه ، وشبهه بالموت لما بينهما من المشاركة في فقدان الحس والتمييز ﴿ **ويعلمُ ما جَرَحْتُمْ بالنّهارِ** ﴾ أي : ما كسبتم فيه ﴿ **ثمّ يبعثكم** ﴾ يوقظكم ﴿ **فيه** ﴾ في النهار ﴿ **ليُقْضَى أجلٌ مُسَمّى** ﴾ أي : ليتم مقدار حياة كل منكم ﴿ **ثمّ إليهِ مرجِعُكُمْ** ﴾ بعد الموت ﴿ **ثمّ ينبّئُكُمْ بما كُنْتُمْ تعْمَلُونَ** ﴾ فيجازيكم عليه .

[٦١] ﴿ **وَهُوَ القاهرُ فوقَ عباده** ﴾ المتصرّف في أمورهم ﴿ **ويُرسلُ عليكُمْ حَفَظَةً** ﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم وتحصيها ﴿ **حتّى إذا جاءَ أحدَكُمُ الموْتُ توفّتْهُ رُسُلُنا** ﴾ وهم الملائكة الموكلون بذلك ﴿ **وهُمْ لا يفرّطُونَ** ﴾ لا يقصّرون في شيءٍ مما أُمروا به من الحفظ والتوفي .

[٦٢] ﴿ **ثُمّ رُدُّوا إلى اللّهِ مَولاهُمُ** ﴾ الذي يتولى أمورهم ﴿ **الحَقّ** ﴾ الذي لا يحكم إلا بالحق ﴿ **ألا لَهُ الحُكْمُ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **وَهُوَ أسرعُ الحَاسِبِينَ** ﴾ يحاسب الخلائق في أسرع وقت .

[٦٣] ﴿ **قُلْ** : مَنْ ينجّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرّ والبَحْرِ ﴾ استعيرت الظلمة هنا للشدة والأهوال ﴿ **تدعونَهُ تَضَرُّعاً** ﴾ تذللاً إليه ، وقيل : جهراً ﴿ **وَخُفْيَةً** ﴾ سراً ، وهو دعاء المخلصين ﴿ **لئِنْ أنْجَانَا منْ هذِهِ** ﴾ الشّدة التي سماها : ظلمات ﴿ **لنكونَنّ من الشّاكرينَ** ﴾ لك ، بعبادتك وحدك .

[٦٤] ﴿ **قُل : اللّهُ يُنجّيكُمْ منْهَا ومِنْ كُلّ كرْبٍ** ﴾ الكرب : كل مكروه نفسي وجسدي ﴿ **ثمّ أنتُم تُشْرِكُونَ** ﴾ أي : بعدَ نجاتكم .

[٦٥] ﴿ **قُلْ** : **هو القادرُ عَلَى أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ** ﴾ أيها المشركون الذين كفرتم بعد إنقاذ الله إياكم من الكرب ﴿ **عذاباً منْ فَوْقِكُمْ** ﴾ كإمطار النار أو الحجارة أو إسقاط السماء ﴿ **أوْ منْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ** ﴾ كالخسف أو الطوفان ﴿ **أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً** ﴾ أي : يجعلكم فرقاً متناحرة ﴿ **ويُذيقَ بعْضَكُمْ بأْسَ** ﴾ شدّةَ ﴿ **بَعْضٍ** ﴾ كأن يسلط بعضكم على بعض بالقتل ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ الآياتِ** ﴾ أي : ننوع الحجج بأساليب مختلفة ﴿ **لعلّهُمْ يفقهُونَ** ﴾ يفهمون ويعتبرون . وفي الحديث (سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) رواه مسلم .

[٦٦] ﴿ **وكذّبَ بِهِ قَوْمُكَ** ﴾ أي : كذبوا بالقرآن المجيد ، وقيل : كذبوا بالعذاب الموعود ﴿ **وَهُوَ الحَقُّ** ﴾ الكتاب الصادق في كل ما نطق به ﴿ **قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بوكيلٍ** ﴾ لم يفوض إليّ أمركم فأمنعكم من التكذيب ، وأجبركم على الإيمان .

[٦٧] ﴿ **لكلّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ** ﴾ لكل خبر عظيم وقت استقرار ، لصدقه أو كذبه ﴿ **وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ مستقر هذا النبأ وعاقبته .

[٦٨] ﴿ **وإذَا رأيْتَ الّذينَ يَخُوضُونَ في آيَاتِنَا** ﴾ أي : يطعنون ويستهزئون بها ﴿ **فأعْرِضْ عَنْهُمْ** ﴾ ولا تجالسهم ﴿ **حَتّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وإمّا يُنْسِيَنّكَ الشيطانُ** ﴾ يُنسيك النهي عن مجالستهم بإلهائك وإشغالك ﴿ **فلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذّكْرَى** ﴾ بعد تذكر النهي ﴿ **مَعَ القَوْمِ الظّالِمينَ** ﴾ . وفي الحديث (**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**) رواه ابن ماجه .

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] ﴿ **وَمَا على الذينَ يتّقُونَ** ﴾ ما على المتقين الذين يجالسون الخائضين في آيات الله ﴿ **من حِسَابِهِمْ مِنْ شيءٍ** ﴾ لا يحملون شيئاً من أوزارهم ﴿ **ولكنْ ذِكْرَى** ﴾ إنما النهي عن المجالسة ذكرى لضعفاء المسلمين كي لا يؤثر فيهم خوض المستهزئين ﴿ **لعلَّهم يتَّقُونَ** ﴾ [مساءتكم، إذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم، فكفوا عنكم، ثم نسخها الله بعد، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبداً، قال ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آياتِ الله يُكْفَرُ بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره﴾ الآية. قاله ابن جرير].

[٧٠] ﴿ **وَذَرِ الذينَ اتَّخذوا دينَهُمْ** ﴾ وهو دين الإسلام ﴿ **لَعِباً وَلَهْواً** ﴾ سخروا به واستهزؤوا ﴿ **وغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنْيَا** ﴾ فاطمأنوا بها وأنكروا ما بعدها ﴿ **وَذَكِّرْ بِهِ** ﴾ وذكّر الناس بهذا القرآن ﴿ **أنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ وترتهن بسوء عملها وإنكار الآخرة، يقال: أبسله لكذا: عرضه ورهنه، أو أسلمه للهلاك ﴿ **لَيْسَ لَهَا منْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ** ﴾ ينصرها بالقوة ﴿ **ولا شفيعٌ** ﴾ يدفع عنها ﴿ **وإنْ تعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا** ﴾ لا يقبل منها أي فدية بدل العذاب، والعدل: الفدية ﴿ **أولئكَ** ﴾ الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ﴿ **الذينَ أُبْسِلُوا** ﴾ سُلِّموا للهلاك ﴿ **بما كَسَبُوا** ﴾ من إنكار الآخرة، والانهماك في الشهوات المحرمة ﴿ **لَهُمْ شرابٌ منْ حَميمٍ** ﴾ ماء مغليّ يتجرجر في بطونهم ﴿ **وَعَذَابٌ أليمٌ** ﴾ بنار تشتعل بأبدانهم ﴿ **بِمَا كَانُوا يكفرون** ﴾ بسبب كفرهم. [٧١] قال السديّ: قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمّد فأنزل الله عز وجل ﴿ **قُلْ: أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّه** ﴾ أنعبد من دونه ﴿ **مَا لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا ونُرَدُّ عَلَى أعقابِنا** ﴾ أي: ونرد إلى الشرك ﴿ **بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ للإسلام والتوحيد ﴿ **كالذي اسْتَهْوَتْهُ الشياطينُ** ﴾ أي: استمالته عن الطريق الواضح ﴿ **في الأَرْضِ** ﴾ القفر المهلكة ﴿ **حَيْرَانَ** ﴾ تائهاً ضالاً، لا يدري كيف يصنع ﴿ **لَهُ أصْحَابٌ يدْعُونَهُ إلى الهُدَى** ﴾ إلى الصراط المستقيم يقولون: ﴿ **ائْتِنَا، قُلْ إنَّ هُدَى اللَّهِ** ﴾ الذي أرسل به رسله ﴿ **هُوَ الهُدَى، وأُمِرْنَا لنُسْلِمَ لربّ العالَمِينَ** ﴾. [روى ابن جرير عن ابن عباس قوله: هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعون إليها، والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل، كمثل رجل ضل عن طريقه تائهاً إذ ناداه مناد: يا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق، يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة]. [٧٢] ﴿ **وَأنْ أقيمُوا الصَّلاَةَ** ﴾ قال ابن جرير: وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا ﴿ **واتَّقُوهُ** ﴾ فلا تخالفوا أمره ﴿ **وَهُوَ الَّذِي إليهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ يوم القيامة يجمعكم للحساب.

[٧٣] ﴿ **وَهُوَ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ بالحقّ** ﴾ أي: بالحكمة ﴿ **ويومَ يقُولُ كُنْ فيكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ** ﴾ قوله وأمره هو النافذ والواقع ﴿ **وَلَهُ المُلْكُ يومَ يُنْفَخُ في الصُّورِ** ﴾ يوم القيامة، والصور: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ﴿ **عالِمُ الغيب والشَّهادة** ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ سبحانه ﴿ **وَهُوَ الحكيمُ الخَبِيرُ** ﴾.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

نصف الحزب ١٤

[٧٤] ﴿ **وَإِذْ قالَ إبراهيمُ لأبيـهِ آزرَ أتتَّخذُ أَصْناماً آلهةً إنّي أراكَ وقَوْمَكَ في ضلالٍ مُبينٍ** ﴾ لأنكم تعبدون مـا تصنعون باعتقـاد إلهيتها ، أو اتصافها بصفاته ، أو استحقاقها للعبادة .

[٧٥] ﴿ **وَكَـذلِكَ نُـري إبراهيمَ مَلَـكُوتَ السَّـمٰواتِ والأرضِ** ﴾ أي : نطلعـه على حقائقهما ، والملكـوت : معناه : الملك العظيم والسلطان القاهر ﴿ **وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ** ﴾ بالتوحيد بالاستدلال بالأدلة الكثيرة .

[٧٦] ﴿ **فلمّا جنَّ عليـه اللّيْلُ** ﴾ ستره بظلامـه ﴿ **رأى كوكباً** ﴾ قيل : كوكب الـزهرة وقيل : المشتري ﴿ **قالَ : هَذَا ربِّي** ﴾ لا على سبيل الاعتقـاد ، وإنّما مجاراة لقـول قومـه ، وذلك تمهيداً ليبرهن لهم بطـلان ادعاهم ﴿ **فلمّا أفَلَ** ﴾ غـاب ﴿ **قـال : لا أحب الآفلين** ﴾ أي : لا أحب عبـادة من عـادتُه الأفـول ، لأن ذلك ينـافي الألوهية . وفي سياق الآية بيان لكيفية الاستدلال .

[٧٧] ﴿ **فَلَمّا رأى القمرَ بـازغاً** ﴾ طالعـاً منتشر الضوء ﴿ **قالَ هذَا ربِّي** ﴾ كما ورد في الآيـة السابقـة ﴿ **فلمّا أفَلَ قالَ : لئن لمْ يهدني ربِّي لأكونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضّالّينَ** ﴾ وفي قوله هذا تعريض بضلال قومه الذين يعبدون الكواكب الآفلة ، ومن مقتضيات الألوهية الحضور الدائم .

[٧٨] ﴿ **فلمّا رأى الشَّمْسَ بَازِغَةً** ﴾ طالعة ﴿ **قالَ : هذا ربِّي ، هـذا أكْبَرُ** ﴾ أي : أكبر الكـواكـب ، وهـو أولى بالألوهيـة بحسب معتقد قومـه الفاسد ﴿ **فلمّا أفَلَتْ** ﴾ غابت ﴿ **قالَ : يا قومِ إنِّي بـريءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ** ﴾ [مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم ـ قاله ابن جرير] .

[٧٩] ﴿ **إنِّي وجَّهْتُ وَجْهِيَ** ﴾ أي : قصدت بعبادتي وتوحيدي ﴿ **للذي فَطَرَ السَّـمواتِ والأرْضَ** ﴾ وأوجدها وخلقها ﴿ **حَنيفاً** ﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة ، والعقائد الزائفة ﴿ **ومَا أنا من المشركينَ** ﴾ [قال ابن جـرير: وجادل إبراهيم قـومه في توحيد الله وبـراءته من الأصنام، وكان جـدالهم إياه قولهم: إن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلٰهه] وقـال الرازي : تدل هذه الآية على أن الدين يجب أن يكون مبنيّـاً على الدليل لا على التقليد وإلا لم يكن لهذا الاستدلال فائدة البتة .

[٨٠] ﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ** ﴾ أي : جادلوه ﴿ **قال** ﴾ إبراهيم لقومه ﴿ **أتُحَاجُّوني في اللّهِ** ﴾ أتجادلونني في توحيده ﴿ **وَقَدْهَدَانِ** ﴾ وقد هداني لإقامة الحجج ﴿ **وَلا أخافُ ما تُشركون به** ﴾ لا أخاف معبوداتكم فهي جمادات لا تضر ولا تنفع ﴿ **إلاّ أنْ يَشَاءَ ربِّي شَيْئاً** ﴾ فلا يصيبني إلا ما يشاء الله تعالى ﴿ **وَسِعَ ربِّي كُلَّ شيءٍ عِلْماً** ﴾ أحـاط بكل شيءٍ علماً ﴿ **أفَلاَ تَتَـذكَّرونَ** ﴾ أن النافع والضـار هو الـذي خلق السموات والأرض ، لا هـذه الجمادات والأصنام المعبودة .

[٨١] ﴿ **وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ** ﴾ أي : وكيف أخاف معبـوداتكم ﴿ **وَلاَ تَخَافُونَ أنّكُـمْ أشْرَكْتُمْ باللّـهِ ما لَمْ يُنَـزِّلْ بِهِ** ﴾ أي : بإشراكـه ﴿ **عليكُمْ سُلْطَاناً** ﴾ حُجَّة ﴿ **فَأيُّ الفَريقَيْنِ** ﴾ أي : أي فريقي الموحدين والمشركين ﴿ **أحقُّ بالأمْنِ** ﴾ أي : بأمن من لحوق الضرر ﴿ **إنْ كُنْـتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ما ينبغي الخوف منه حقاً. والمعنى : كيف تنكرون علي الأمن في موضع الأمن ، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف الشديد .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٢] ﴿ **الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ** ﴾ لم يخالطوه ﴿ **بِظُلْمٍ** ﴾ بشرك ﴿ **أولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ إلى الحق . وروى الإمام أحمد عن عبد الله [ابن مسعود] رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شقَّ ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال ﷺ : (إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ إنما هو الشرك) .

[٨٣] ﴿ **وتِلْكَ** ﴾ الدلائل السابقة المذكورة في كلام إبراهيم لقومه ﴿ **حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيمَ** ﴾ أرشدناه إليها وعلمناه إيَّاها ﴿ **عَلَى قَوْمِهِ** ﴾ ليغلب وحده كثرتهم ﴿ **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ** ﴾ يعني : في العلم والحكمة ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ** ﴾ في رفعه وخفضه ﴿ **عَلِيمٌ** ﴾ بحال من يرفعه واستعداده لذلك .

[٨٤] ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ** ﴾ أي : لإبراهيم ، بعد أن اعتزل قومه ورحل عنهم ﴿ **إسحاقَ ويَعْقُوبَ** ﴾ أي : ولداً وحفيداً لتقر عينه ببقاء ذريته ﴿ **كُلاًّ هَدَيْنَا** ﴾ أي الهداية الكبرى بالنبوة بعد أبيه ﴿ **وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ** ﴾ أي : من قبل إبراهيم ﴿ **ومِنْ ذرِّيَّتِهِ** ﴾ الضمير لإبراهيم أو لنوح ﴿ **دَاوُدَ** ﴾ أي : وهدينا داود ﴿ **وسُلَيْمانَ وأَيُّوبَ ويُوسُفَ ومُوسَى وهَارُونَ ، وكَذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ** ﴾ .

[٨٥] ﴿ **وزكريَّا ويَحْيَى وعِيسَى وإلْيَاسَ ، كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ .

[٨٦] ﴿ **وإسْمَاعِيلَ واليَسَعَ ويُونُسَ ولُوطاً ، وكُلاًّ فضَّلْنا عَلَى العالَـمِينَ** ﴾ أي : على عالمي عصرهم . وقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات ثمانية عشر نبيّاً من الأنبياء عليهم السلام من غير ترتيب ، لا بحسب الزمان ، ولا بحسب الفضل ، لأن الواو لا تفيد الترتيب .

[٨٧] ﴿ **ومِنْ آبائِهِمْ وذرِّيَّاتِهِمْ وإِخْوانِهِمْ** ﴾ وفضلنا بعض آبائهم ، أو هدينا من آبائهم ومن معهم للدين الخالص جماعات كثيرة ﴿ **واجْتَبَيْنَاهُمْ** ﴾ اصطفيناهم ﴿ **وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ إلى الطريق الحق المستقيم في العقيدة والأخلاق والعمل .

[٨٨] ﴿ **ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يهدي بِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ولوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ أي : لو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلو قدرهم لبطل عملهم ، فكيف بغيرهم ؟

[٨٩] ﴿ **أُولئِكَ** ﴾ أي : المذكورون من الأنبياء والمؤمنون معهم ﴿ **الذينَ آتيْنَاهُمُ الكتابَ** ﴾ أي : الكتب السماوية ، والمراد بالإيتاء : التفهيم التام بما فيه من الحقائق ﴿ **والحُكْمَ** ﴾ أي : الحكمة ﴿ **والنُّبُوَّةَ** ﴾ أي : الرسالة ﴿ **فإِنْ يَكْفُرْ بِهَا** ﴾ بالكتب والحكمة والرسالة ﴿ **هؤلاءِ** ﴾ يعني : قريشاً ﴿ **فقدْ وكَّلْنَا بِهَا** ﴾ أي : وفقنا للإيمان بها ﴿ **قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بكافِرينَ** ﴾ هم أصحاب النبي ﷺ ، ففي إيمانهم غنى عن إيمان الكافرين بها .

[٩٠] ﴿ **أُولئِكَ** ﴾ الأنبياء المذكورون ﴿ **الذينَ هَدَى اللَّهُ** ﴾ إلى الصراط المستقيم ﴿ **فَبِهُدَاهُـمُ اقْتَدِهْ** ﴾ القدوة : الأسوة ، والهاء في : اقتده ، هاء السكت ، والمعنى : فاقتد بطريقتهم في الإيمان والأخلاق والأفعال والصفات ﴿ **قُلْ : لا أسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾ أي : على القرآن أو التبليغ ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلعَالَـمِينَ** ﴾ أي : عظة وتذكير لهم ليخرجوا من الضلال إلى الهدى .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩١] ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حقَّ قدْرِهِ** ﴾ ما عظّموه حق تعظيمه ﴿ **إذْ قالُوا ما أنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ منْ شيءٍ** ﴾ فأنكروا إنزال القرآن على رسول الله ﷺ ﴿ **قُلْ: مَنْ أَنزَلَ الكِتابَ الذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وهُدىً للنَّاسِ** ﴾ أي: ضياء من ظلمة الجهالة، وبياناً يفرق بين الحق والباطل ﴿ **تَجْعَلُونَه قراطِيسَ تُبْدُونَهَا** ﴾ يجزؤونه أوراقاً يبدونها للناس مما يختارونه ﴿ **وتُخْفُونَ كَثِيراً** ﴾ أي: كثيراً منه بهدف تبديل الدين ﴿ **وعُلِّمْتُمْ** ﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿ **مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ ولا آباؤُكُمْ** ﴾ من المعارف الربانية ﴿ **قُلِ اللَّهُ** ﴾ أي: أنزله الله ﴿ **ثُمَّ** ﴾ بعد التبليغ والحجة ﴿ **ذرْهُمْ في خَوْضِهِمْ** ﴾ في باطلهم ﴿ **يَلْعَبُونَ** ﴾ يفعلون فعل اللاعب ويضيعون الوقت بما لا يجرّ نفعاً ولا يرفع ضرراً.

[٩٢] ﴿ **وَهَذا** ﴾ القرآن ﴿ **كِتَابٌ أنزلناهُ مباركٌ** ﴾ كثير الفوائد والمنافع في الدنيا والآخرة ﴿ **مُّصَدِّقُ الذي بينَ يَدَيْه** ﴾ من التوراة أو من الكتب التي أُنزلت قبله ﴿ **وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرى** ﴾ يعني: مكة ﴿ **وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ وهم سائر أهل الأرض ﴿ **والذينَ يُؤْمنونَ بالآخرةِ يُؤْمِنُونَ به** ﴾ أي: يؤمنون بالنبي ﷺ وبالكتاب، وإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب ويحافظ على الصلاة ﴿ **وَهُمْ على صلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ فالصلاة أشرف العبادات بعد الإيمان، وأعظمها خطراً؛ وقيل: أي يحافظون على مواقيتها.

[٩٣] ﴿ **وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً** ﴾ فجعل له شركاء، أو ولداً، أو حرَّم وحلل من تلقاء نفسه ﴿ **أوْ قالَ: أُوحيَ إليَّ، ولمْ يُوحَ إليهِ شيءٌ** ﴾ ممن ادعى النبوّة كذباً ﴿ **وَمَنْ قالَ: سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ من الوحي، ومثله من أنكر إعجاز القرآن ﴿ **وَلَوْ تَرى إذِ الظَّالِمُونَ في غَمراتِ المَوْتِ** ﴾ أي: شدائده وسكراته وكُرُباته ﴿ **والملائكةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ** ﴾ بالضرب والعذاب ﴿ **أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ أي: قائلين لهم: أخرجوا إلينا أرواحكم من أجسادكم، تغليظاً لهم وتوبيخاً وتعنيفاً. قال الحافظ ابن كثير: إن الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصى، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿ أخرِجُوا أنفسكم ﴾ ﴿ **اليومَ تُجْزَوْنَ عذابَ الهُونِ** ﴾ أي: الهوان الشديد ﴿ **بما كُنْتُم تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غيرَ الحَقِّ** ﴾ كتحريف كلامه وادعاء تلقي الوحي ﴿ **وكُنْتُمْ عنْ آياتِهِ تستكبِرُونَ** ﴾ حتى قال بعضكم: سأنزل مثل ما أنزل الله.

[٩٤] ﴿ **ولقَدْ جِئْتُمُونا** ﴾ للحساب والجزاء ﴿ **فُرادَى** ﴾ مُنفردين عن الأموال والأولاد، أو عن الأعوان والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم ﴿ **كما خَلَقْناكُمْ أوَّلَ مرَّةٍ** ﴾ حفاة عراة غُرْلاً ـ غير مختونين ـ ﴿ **وتركتُمْ مَا خوَّلْناكُمْ** ﴾ ما تفضلنا به عليكم في الدنيا ﴿ **وراءَ ظهورِكُمْ** ﴾ في الدنيا، لم تحملوا منه شيئاً ﴿ **وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُم الذينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فيكم شُرَكَاءُ** ﴾ أي: شركاء لله في الربوبية واستحقاق العبادة ﴿ **لَقَدْ تقطَّعَ بَيْنَكُمْ** ﴾ تقطع وصلكم وتشتّت جمعكم ﴿ **وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ أي: ذهب عنكم ما زعمتم من رجاء الأنداد والأصنام.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

[٩٥] ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى** ﴾ فالق : بمعنى خالق ، وقيل الفلق : هو الشّق ، والمعنى : إن الله تعالى مبدع الأشياء وخالقها ﴿ **يخرج الحيَّ من الميِّت** ﴾ كالحيوان من النطفة والنبات من الحَبِّ اليابس ﴿ **وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ، ذَلِكُمُ اللَّهُ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ أي : تُصرفون عنه إلى غيره . [٩٦] ﴿ **فَالِقُ الإِصْبَاحِ** ﴾ الإصباح : مصدر للصبح ، والمعنى : شاقُّه عن ظلمة الليل ﴿ **وَجَعَلَ الليلَ سكناً** ﴾ يسكن فيه الخلق فيقرّوا ويهدأوا ﴿ **والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً** ﴾ أي : على أدوار مختلفة ، لتحسب بها الأوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ التسيير بالحساب المعلوم ﴿ **تقديرُ العزيزِ** ﴾ الغالب على أمره ﴿ **العليم** ﴾ بتدبير الشمس والقمر ومراعاة الحكمة في شأنها . [٩٧] ﴿ **وَهُوَ الذي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا في ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ** ﴾ أي : في ظلمات الليل في طرق البر والبحر [قال ابن كثير : قال بعض السلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه : إن الله جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر] ﴿ **قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ** ﴾ بيّنا الآيات على قدرته وحكمته تعالى ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ .
[٩٨] ﴿ **وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ يعني : آدم عليه السلام ﴿ **فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ** ﴾ قيل : الاستقرار إما في الأصلاب أو فوق الأرض أو في الأرحام ، والاستيداع في الأرحام ، وقيل : المستقر : كناية عن صلب الرجل ، والمستودع : كناية عن رحم الأنثى ، والله أعلم ﴿ **قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لقوم يَفْقَهُونَ** ﴾ الفقه : الفهم . [٩٩] ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً** ﴾ أي : من السحاب ﴿ **فَأَخْرَجْنَا بِهِ نباتَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ من أصناف النبات والثمار المختلفة ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ** ﴾ أي : من النبات ﴿ **خَضِراً** ﴾ شيئاً غضًّا أخضر ، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة ﴿ **نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً** ﴾ متراكباً بعضه على بعض ، مثل سنابل القمح والشعير وغيره ﴿ **وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوانٌ دانيةٌ** ﴾ الطلع : أول ما يبدو من ثمر النخيل ، والقنو : **العرجون** بما فيه من الشماريخ ، حاملة البلح ، دانية : ملتفة بقرب بعضها من بعض ، أو سهلة المُتَناول ﴿ **وجنَّاتٍ من أعْنَابٍ** ﴾ بساتين العنب ﴿ **والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وغيْرَ مُتَشَابِهٍ** ﴾ متشابه بالنظر ، غير متشابه بالطعم ﴿ **انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذا أَثْمَرَ** ﴾ كيف يكون ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد يُنتفع به ﴿ **وَيَنْعِهِ** ﴾ وإلى حال ينعه ونضجه، كيف يعود شيئاً جامعاً للمنافع ﴿ **إنَّ في ذٰلِكُم لآياتٍ لقوم يؤمنونَ** ﴾ يصدقون بأن الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار هو المستحق للعبادة دون ما سواه ، أو هو القادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم . [١٠٠] ﴿ **وجَعَلُوا لِلَّهِ شُركاءَ الجِنَّ** ﴾ أي : جعلوهم شركاء له في العبادة ﴿ **وخَلَقَهُمْ** ﴾ وقد علموا أن الله خالقهم وخالق الجن ، فكيف يجعلون مخلوقه شريكاً له ﴿ **وَخَرَقُوا لَهُ** ﴾ أي : اختلقوا وافتروْا له ﴿ **بَنِينَ** ﴾ كقول أهل الكتاب في المسيح وعزير ﴿ **وبناتٍ** ﴾ كقول بعض العرب في الملائكة ﴿ **بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ﴿ **سُبحانَه وتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ .
[١٠١] ﴿ **بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ** ﴾ مبدعها بلا مثال سابق ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ولمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ** ﴾ فالولد لا يحصل إلا بين متجانسين ، ولا مُجانس له تعالى ﴿ **وخَلَقَ كُلَّ شيْءٍ** ﴾ فكيف يتصور أن يكون المخلوق ولداً لخالقه ؟ ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

[١٠٢] ﴿ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ وكيلٌ﴾ أي : رقيب وحفيظ ، يدبّر الخلق ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار .

[١٠٣] ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ﴾ وهي أبصار أهل الدنيا ، لجلاله وكبريائه وعظمته ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ﴾ يرى ويبصر جميع المبصرات ، لا يخفى عليه منها شيء ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ الذي يعامل عباده باللطف والرأفة ﴿الخَبِيرُ﴾ العليم بدقائق الأمور .

[١٠٤] ﴿قدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ جمع : بصيرة ، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء ، والعلم به . والمقصود : الآيات والدلائل التي تبصرون بها الهدى من الضلالة ﴿فمنْ أَبْصَرَ﴾ الحقَّ بتلك البصائر وآمن به ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ لأن النفع يعود عليه ﴿ومَنْ عَمِيَ﴾ أي : ضلَّ عن الحق ﴿فَعَلَيْهَا﴾ أي : فعلى نفسه ، يضرها بالعمى ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ برقيب يرقبكم ، ويحفظكم عن الضلال ، بل أنا منذر والله يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها .

[١٠٥] ﴿وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ أي: نوردها على وجوه كثيرة في سائر المواضع لتكمل الحجة على المخالفين ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أي : قرأت على غيرك ، وتعلمت منه ، يقولون ذلك في رد هذه الآيات ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ أي : القرآن ﴿لقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الحقَّ فيتبعونه ، والباطلَ فيجتنبونه .

[١٠٦] ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من تبليغ الرسالة ﴿لاإله إلاَّ هُو﴾ منفرداً في الألوهية ﴿وأعرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ﴾ قيل : الإعراض : الهجران دون الإنذار ، وترك الموعظة . وقيل : أي : لا تحزن عليهم إذا أصرُّوا على الشرك والعمى مع هذه البصائر .

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ لو شاء لهداهم ولكنه تركهم لاستعدادهم واختيارهم ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ وما أنت بموكَّل عليهم بالإيمان .

[١٠٨] ﴿وَلا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهي الأصنام التي يعبدها المشركون ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً﴾ ظُلماً وعدواناً ﴿بغيرِ عِلْمٍ كذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الماضية على الضلال ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ يخبرهم ﴿بِمَا كانوا يعملونَ﴾ في الدنيا فيحاسبهم ويجازيهم عليه .

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيمانِهِمْ﴾ باذلين في توثيقها طاقتهم ﴿لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي : معجزة خارقة كما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ، قُل : إِنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يتصرَّف بها حسب مشيئته المبنية على الحِكَم البالغة ، لا تتعلق بها قدرة أحد ولا مشيئته ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وما يدريكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بها . [١١٠] ﴿ونقلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصارَهُمْ﴾ عطف على : لا يؤمنون ، أي : وما يُشعِرُكُم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه ، وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي : بما جاء من الآيات ﴿أَوَّلَ مرَّةٍ﴾ أي : قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ ندعهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين .

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

(الجزء ٨ الحزب ١٥)

[١١١] ﴿ **وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الملائكةَ ، وكلَّمَهُمُ الموتى وَحَشَرْنَا عليهم كُلَّ شيءٍ** ﴾ أي : جمعنا عليهم كل شيءٍ من الحيوانات والنباتات والجمادات ﴿ **قُبُلاً** ﴾ عياناً ومشاهدة ﴿ **مَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أنْ يشاءَ اللَّهُ ، ولكنَّ أكثرَهُمْ يَجْهَلُونَ** ﴾ أن الإيمان بمشيئة الله لا بخوارق العادات . [عن محمد ابن كعب قال : كلمتْ رسول الله ﷺ قريش فقالوا : يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وأن عيسى كان يحيي الموتى ، وأن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا ببعض الآيات حتى نصدقك . قال رسول الله ﷺ : (أي شيء تحبون أن آتيكم به ؟) فقالوا : تجعل لنا الصفا ذهباً . قال ﷺ : (فإن فعلت تصدقوني ؟) قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين . فقام رسول الله ﷺ يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال : إن شئت أصبح الصفا ذهباً ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب ، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم . فقال رسول الله ﷺ : (أتركهم حتى يتوب تائبهم) فأنزل تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾ إلى قوله : ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ - النيسابوري] . [١١٢] ﴿ **وكذلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً شياطينَ الإنْسِ والجنِّ** ﴾ فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك ﴿ **يُوحي** ﴾ يُلقي ويوسوس ﴿ **بعضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ** ﴾ المزين ظاهره ، الباطل باطنه ﴿ **غُرُوراً** ﴾ ليغروا الضعفاء من الناس ويخدعوهم ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ** ﴾ ما فعلوا ذلك ، من معاداة الأنبياء وإيحاء زخرف القول ﴿ **فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ مِنَ الكُفْر فسوف يعلمون .

[١١٣] ﴿ **وَلِتَصْغَى إليه** ﴾ ولتميل إليه ﴿ **أَفْئِدَةُ الذينَ لا يُؤمنونَ بالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ** ﴾ لأنفسهم ﴿ **وَلِيَقْتَرِفُوا** ﴾ وليكتسبوا ﴿ **ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ** ﴾ مِنَ الآثام .

[١١٤] ﴿ **أفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً** ﴾ يحكم بيني وبينكم ، وقيل : أأعبد ربًّا غير الله ؟ ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إليكُمُ الكِتَابَ** ﴾ القرآن المُعْجز ﴿ **مُفَصَّلاً** ﴾ مبيناً فيه الفصل بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ﴿ **والذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ** ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ **يَعْلَمُونَ أنه مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بالحقِّ** ﴾ لما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين ﴿ **فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ** ﴾ من الشاكّين في أنه منزل من ربك بالحق ، وهذا من باب التهييج والإلهاب ، فالمخاطب به الرسول ﷺ والمراد الأمة .

[١١٥] ﴿ **وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ** ﴾ كلام الله المنزل ﴿ **صِدْقاً** ﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿ **وعَدْلاً** ﴾ في الأقضية والأحكام ﴿ **لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾ لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ** ﴾ لما يظهرون من الأقوال ﴿ **العَلِيمُ** ﴾ بما يُخفون . [١١٦] ﴿ **وإنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ في الأَرْضِ** ﴾ مِنَ النّاس ، وهم الكفار ﴿ **يُضِلُّوكَ عنْ سبيلِ اللَّهِ** ﴾ عن الطريق الموصل إليه ﴿ **إنْ يتّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ** ﴾ وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق ﴿ **وإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ** ﴾ يكذبون على الله تعالى فيما ينسبون إليه . الخرص : الحَزْر والتخمين ، وقد يعبر به عن الكذب والافتراء .

[١١٧] ﴿ **إنَّ ربَّكَ هُوَ أعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عنْ سبيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ** ﴾ أي : هو أعلم بالفريقين فاحذر أن تكون من الضَّالين .

[١١٨] ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ أي : عند ذبحه ﴿ **إنْ كُنْتُمْ بآياتِهِ مُؤْمِنِينَ** ﴾ فالمؤمن يستبيح ما أحل الله ويجتنب ما حرَّم سبحانه .

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

[١١٩] ﴿ **وما لَكُمْ ألَّا تأكلوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ أي : وما يمنعكم عنه ؟ ﴿ **وقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حرَّمَ عليكُمْ** ﴾ أي : بيّنه ووضحه ﴿ **إلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إلَيْهِ** ﴾ إلَّا أن تدعوكم الضرورة إلى أكل المحرَّم ﴿ **وإنَّ كثيراً لَيُضِلُّونَ بأَهْوائِهِمْ بغَيْرِ عِلْم** ﴾ أي : يضلون فيحرِّمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير دليل شرعي ﴿ **إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بالمُعْتَدِينَ** ﴾ المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل ، والحلال إلى الحرام . قال الرازي : دلت هذه الآية على أن القول في الدين بمجرد التقليد حرام ، لأن القول بالتقليد قول بمحض الهوى والشهوة ، والآية دلت على أن ذلك حرام .

[١٢٠] ﴿ **وذَرُوا ظاهِرَ الإثْم** ﴾ سيئات الأعمال والأقوال ﴿ **وَبَاطِنَهُ** ﴾ ما يسرُّه القلب كالعقائد الفاسدة والنوايا الخبيثة ﴿ **إنَّ الذينَ يَكْسِبُونَ الإثْمَ سيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** ﴾ الاقتراف في اللغة : الاكتساب .

[١٢١] ﴿ **ولا تأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ أي : عند ذبحه ، بأن ذكر عليه اسم غيره ﴿ **وإنَّهُ لَفِسْقٌ** ﴾ والفسق : ما أُهلَّ لغير الله به ﴿ **وإنَّ الشياطينَ ليُوحُونَ** ﴾ أي : يوسوسون ﴿ **إلى أوليائهِمْ** ﴾ من الكفَّار ﴿ **ليُجَادِلُوكُمْ** ﴾ في تحليل الميتة ﴿ **وإن أَطَعْتُمُوهُمْ** ﴾ في تحليل ما حرّم الله ، أو تحريم ما أحل ﴿ **إنكم لمُشْرِكُونَ** ﴾ مثلهم . وفي الحديث : (ذبيحة المسلم حلال ، ذكر اسم الله أو لم يذكره ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله) ـ رواه أبو داود في مراسيله . [قال عكرمة : إنَّ المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش ـ وكانوا أولياءهم في الجاهلية ـ وكانت بينهم مكاتبة : إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال ، وما ذبح الله ـ للميتة ـ فهو حرام ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء ، فأنزل تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] .

[١٢٢] ﴿ **أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً** ﴾ أي : ضالاً ﴿ **فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ بالهدى ﴿ **وجعَلْنَا لَهُ نُوراً يمشي بِهِ في النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بخارِجٍ مِنْها** ﴾ فهو متحيّر دائماً ﴿ **كذلِكَ زُيِّنَ للكَافِرِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ من فنون الكفر والمعاصي .

[١٢٣] ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا في كُلِّ قَرْيَةٍ أكابرَ مُجْرِمِيهَا ليمكُرُوا فِيهَا** ﴾ المكر ههنا ، دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف الأقوال والأفعال ﴿ **وَمَا يَمْكُرُونَ إلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ومَا يَشْعُرُونَ** ﴾ أي : ما يضرون بمكرهم إلاَّ أنفسهم .

[١٢٤] ﴿ **وَإِذَا جاءَتْهُمْ آيَةٌ** ﴾ أي : برهان وحجة قاطعة ﴿ **قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ** ﴾ من الوحي والمعجزات المصدقة له ﴿ **اللَّهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ لا يصطفي للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها . وفي الحديث (إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) رواه الإمام أحمد ﴿ **سَيُصِيبُ الذين أجْرَمُوا صَغَارٌ** ﴾ أي : ذلة وهوان بعد كبرهم وعظمتهم ﴿ **عندَ اللَّهِ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **وَعَذَابٌ شديدٌ** ﴾ يعني : في الآخرة ﴿ **بِمَا كانُوا يمْكُرونَ** ﴾ في الدنيا إضراراً بالأنبياء .

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

[١٢٥] ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ** ﴾ للتوحيد ﴿ **يشْرَحْ** ﴾ أي : يوسع ﴿ **صَدْرَهُ للإسْلامِ** ﴾ فيقبل نور الحق ﴿ **ومَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضيِّقاً حَرَجاً** ﴾ أي : شديد الضيق ، فلا يتسع للعقيدة الصحيحة في الله واليوم الآخر ﴿ **كأنَّما يصَّعَّدُ في السَّماءِ** ﴾ فصعود السماء يضرب مثلاً فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ، وتضيق عنه المقدرة ﴿ **كذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الذينَ لا يُؤْمِنونَ** ﴾ والرجسُ : ما استقذر من العمل ، وسمي بذلك مبالغة في ذمه .

ربع الحزب ١٥

[١٢٦] ﴿ **وهذا** ﴾ أي : البيان الذي جاء به القرآن ﴿ **صِراطُ رَبِّكَ** ﴾ أي : طريقه الذي ارتضاه ﴿ **مُسْتَقِيماً** ﴾ لا ميل فيه إلى إفراط وتفريط ، أو لا اعوجاج فيه ﴿ **قدْ فصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يذَّكَّرُونَ** ﴾ المعارف والحقائق .

[١٢٧] ﴿ **لهُمْ دَارُ السَّلام** ﴾ أي : السلامة من المكاره ، وهي الجنّة ﴿ **عِنْدَ ربِّهِمْ ، وهُوَ وَلِيُّهُمْ** ﴾ يتولاهم بمحبته ، ويجعلهم في أمانه ﴿ **بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ من الأعمال الصَّالحة .

[١٢٨] ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً** ﴾ يعني : الجن وأولياءهم من الإنس الذين كانُوا يعبدونهم في الدنيا ويطيعونهم ﴿ **يا مَعْشَرَ الجِنِّ** ﴾ أي : نقول : يا معشر الشياطين ﴿ **قدِ استكثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ** ﴾ أي : من إغوائهم وإضلالهم ، أو منهم ، بأن جعلتموهم أتباعكم ﴿ **وقال أولياؤُهُمْ** ﴾ الذين أطاعوهم وتَوَلَّوْهم ﴿ **من الإِنسِ : ربَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا ببعْضٍ** ﴾ فقد نالت الجن التعظيم منهم فعُبِدَت ، وتمتع الإنس بالشهوات بوسوسة الجن ﴿ **وبلَغْنا أجلَنا الذي أجَّلْتَ لَنا** ﴾ أي : بالموت ﴿ **قالَ : النَّارُ مثْواكُمْ** ﴾ أي : منزلكم ﴿ **خالدينَ فِيهَا إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ** ﴾ أي : إلاَّ ما يشاءُ الله من زيادة العذاب عليهم ، فالعذاب ، والعياذ بالله ، على درجات متفاوتة ، فإذا زيد فيه عن القدر المعتاد عُدَّ كأنه ليس من جنس العذاب لشدته ، والشيء إذا بلغ الغاية عندهم عبّروا عنه بالضد ﴿ **إنَّ ربَّكَ حكيمٌ** ﴾ فلا يعذب إلاَّ على ما تقتضيه الحكمة ﴿ **عليمٌ** ﴾ بمن يستحق العذاب . وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال : لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ، لا ينزلهم جنة ولا ناراً . [١٢٩] ﴿ **وكذلكَ نُوَلِّي بعضَ الظَّالمينَ** ﴾ من الإنس ﴿ **بعْضاً** ﴾ كما فعل الشياطين وغواة الإنس ﴿ **بما كانُوا يكسِبُونَ** ﴾ من الكفر والمعاصي . وقال ابن كثير : معنى الآية الكريمة : كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن ، كذلك نفعل بالظالمين ، نسلط بعضهم على بعض ، ونهلك بعضهم ببعض ، وننتقم من بعضهم ببعض ، جزاء على ظلمهم وبغيهم .

[١٣٠] ﴿ **يا معشرَ الجنِّ والإنسِ ألَمْ يأتِكُمْ** ﴾ في الدنيا ﴿ **رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عليكُمْ آيَاتي** ﴾ بالأمر والنهي ﴿ **ويُنْذِرُونَكُمْ** ﴾ يخوِّفونكم ﴿ **لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذا** ﴾ وهو يوم الحشر ﴿ **قَالُوا : شَهِدْنَا على أنفسنا** ﴾ أي : أقررنا بمجيء الرسل وإنذارهم ، وبتكذيب دعوتهم ﴿ **وغرَّتْهُمُ** ﴾ أي : وغرَّ المكذبين من الإنس والجنّ ﴿ **الحياةُ الدُّنيا** ﴾ بما فيها من النعيم ﴿ **وشهِدُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ** ﴾ في الآخرة ﴿ **أنَّهُم كانُوا كافِرينَ** ﴾ .

[١٣١] ﴿ **ذلِكَ أنْ لمْ يكُنْ ربُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بظُلْمٍ وأهْلُهَا غَافِلُونَ** ﴾ فهو تعالى لا يؤاخذ القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه إلا بعد تبلغهم دعوة رسول ينهاهم وينبههم ، لأنه ينافي الحكمة .

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣٢] ﴿ **ولكُلٍّ** ﴾ من المكلفين ﴿ **دَرَجاتٌ** ﴾ مراتب ﴿ **مِمّا عَمِلُوا** ﴾ يثابون بها ، إنْ خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عمّا يَعْمَلُونَ** ﴾ لا يخفى عليه عملهم .

[١٣٣] ﴿ **وربُّكَ الغَنيُّ** ﴾ عن جميع خلقه ، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ﴿ **ذو الرَّحْمَةِ** ﴾ ومن رحمته أنه أكمل لهم إنسانيتهم بشريعته وأمهلهم على المعاصي ﴿ **إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يشاءُ** ﴾ من الخلق يعملون بطاعته ﴿ **كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ** ﴾ ذهب بهم ثم بذريتهم ، لكنه أبقاكم رحمةً بكم .

[١٣٤] ﴿ **إنَّ ما تُوعَدُونَ** ﴾ أي : من البعث وأحواله ﴿ **لآتٍ** ﴾ لا محالة ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ أي : هو قادر على إعادتكم ، وإن صرتم رفاتاً . [قال ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال : (يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدُّوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) ـ ابن كثير] .

[١٣٥] ﴿ **قُلْ : يا قَوْمِ اعملوا على مكانَتِكم** ﴾ على غاية تمكنكم واستطاعتكم ، والمعنى : اثبتوا على كفركم [قال ابن جرير: وقوله تعالى لنبيه : قل لقومك ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أمر منه له بوعيدهم وتهدّدهم ، لا إطلاقٌ لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله] ﴿ **إنّي عامِلٌ** ﴾ ما أُمرت به من الثبات على الإسلام ﴿ **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ** ﴾ والمراد بالدار : الدنيا ، وبالعاقبة : العاقبة الحسنة ، فإنه تعالى جعل الدنيا مزرعة الآخرة ﴿ **إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ** ﴾ أي : الكافرون .

[١٣٦] ﴿ **وجَعَلُوا للَّهِ مِمّا ذَرَأَ** ﴾ أي : خلق ﴿ **مِنَ الحَرْثِ** ﴾ أي : الزرع ﴿ **والأنعامِ** ﴾ الماشية كالغنم والبقر والإبل ﴿ **نَصِيباً** ﴾ جزءاً يصرفونه على الضيوف والمساكين ، ولأصنامهم نصيباً يصرفونه في التنسك والسدانة : وهي خدمة الأصنام ﴿ **فقالُوا : هذا للَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وهذا لِشُرَكائِنا** ﴾ وهي الأصنام والأوثان ﴿ **فَمَا كانَ لِشُرَكائِهِمْ فلا يَصِلُ إلى اللَّهِ** ﴾ أي : لا يصرفون شيئاً من نصيب الآلهة التي يعبدونها في وجوه البر التي هي لوجه الله كالتصدق على المساكين ﴿ **وَمَا كانَ للَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكائِهِمْ** ﴾ بينما يصرفون من نصيب الله بزعمهم على آلهتهم سواء من الذبائح أو السدانة ونحو ذلك ﴿ **سَاءَ ما يَحْكُمُونَ** ﴾ أي : ما يقسمون ، لأنه تعالى هو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

[١٣٧] ﴿ **وكذلِكَ زَيَّنَ لِكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكين قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ** ﴾ فقد زين لهم أولياؤهم من الشياطين ما هو أشد قبحاً من القربان وذلك : قتل أولادهم خشية الجوع والفقر ، ووأد البنات خشية العار ، وإنما سمّيت الشياطين شركاء ، لأنهم أطاعوهم فيما أمروهم به من قتل الأولاد ، فأشركوهم مع الله في وجوب الطاعة ﴿ **لِيُرْدُوهُمْ** ﴾ ليهلكوهم ﴿ **وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ** ﴾ أي : ليخلطوا عليهم ما هم عليه ، بدين إبراهيم في ذبح إسماعيل عليهما السلام ﴿ **وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ** ﴾ والمعنى : فلا تحزن على هلاكهم بما يفعلونه ، لأنه بمشيئة الله ﴿ **فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ لأن لله فيما يشاء حكماً بالغة ، وفي هذا القول من شدة الوعيد ما لا يخفى .

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف الحزب ١٥

[١٣٨] ﴿ **وَقَالُوا : هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ** ﴾ أي : مواشي وزروع محرمة علينا ، أو محجورة علينا في أموالنا للأوثان ﴿ **لا يَطْعَمُها إلاّ مَنْ نَشَاءُ** ﴾ ويعنون : خدم الأوثان من الرجال دون النساء ﴿ **بِزَعْمِهِمْ** ﴾ أي : من غير حجة ﴿ **وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا** ﴾ كما حرّموا ركوب طائفة من الحيوانات كالبحائر والسوائب والحوامي [انظر سورة المائدة الآية ١٠٣] ﴿ **وأَنْعَامٌ لا يذكرونَ اسمَ اللّهِ عَلَيْهَا** ﴾ عند ذبحها ، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام ﴿ **افْتِرَاءً عَلَيْهِ** ﴾ أي : على الله تعالى ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ بِما كانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ أي : يعاقبهم عليه .

[١٣٩] ﴿ **وَقَالُوا : مَا في بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعَامِ** ﴾ يعنون : أجنة ما حرّموا ركوبه والاستفادة منه كالبحائر والسوائب من الإبل ﴿ **خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّم على أَزْوَاجِنَا** ﴾ فهو بزعمهم حلال للرجال دون النساء ﴿ **وإنْ يكُنْ مَيْتَةً** ﴾ وإن كانت الأجنّة ميتة ﴿ **فَهُمْ فيه شُرَكاء** ﴾ فالذكور والإناث فيه سواء . وعن ابن عباس أن المعنى بما في بطونها : اللبن ، يشربه ذكورهم ويحرم على نسائهم ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ** ﴾ سيعاقبهم الله تعالى على تحريمهم وتحليلهم ﴿ **إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ أي : حكيم في شرعه عليم بأعمال عباده .

[١٤٠] ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ** ﴾ يعني : الذين وأدُوا بناتهم خشية السَّبْي أو الفقر ﴿ **سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْم** ﴾ لجهلهم بأن الله هو الرزّاق ﴿ **وحرَّموا ما رَزَقَهُمُ اللّهُ** ﴾ من البحائر والسوائب وسواها ﴿ **افْتِرَاءً على اللّهِ ، قدْ ضَلُّوا** ﴾ عن الصراط المستقيم ﴿ **وَمَا كانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ إلى الحق والصواب . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم . . . ﴾ الآية . رواه البخاري .

[١٤١] ﴿ **وهُوَ الذي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ** ﴾ أي بساتين من الكروم وغيرها . معروشات : أي : ممسوكات بما عملتم لها من الأعمدة ، وغير معروشات : متروكات على وجه الأرض لم تعرش ﴿ **والنَّخْلَ** ﴾ وأنشأ النخل المثمر ﴿ **والزَّرْعَ مختلفاً أُكُلُهُ** ﴾ أي : ثمره وحبُّه في اللون والطعم والحجم والرائحة ﴿ **والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً** ﴾ المقصود تشابه ورقهما باللون والشكل ﴿ **وغَيْرَ متشابِهٍ** ﴾ في الطعم ﴿ **كُلُوا من ثمرِهِ إذا أَثْمَرَ ، وآتُوا حَقَّهُ يومَ حصادِهِ** ﴾ قيل : الأمر هنا للندب بإعطاء المساكين الذين يشهدون جني الثمار شيئاً منه ، وقيل : المقصود الزكاة المفروضة تخرج وقت الحصاد لا تؤخر عنه ﴿ **وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ** ﴾ أي : لا تسرفوا في الأكل ، لما فيه من مضرة العقل والبدن والشرع الحنيف . نهى عن الإسراف في كل شيء حتى الصدقة في يوم الحصاد كي لا يقعد صاحب المال فقيراً بعد أن يتصدق بكل ما معه . [قال ابن جرير: كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر] .

[١٤٢] ﴿ **ومِنَ الأنعامِ حَمُولَةً وفَرْشاً** ﴾ وأنشأ لكم من الأنعام ما يحمل الأثقال ، وما يفرشُ للذبح ـ أي يضجع ـ أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش ﴿ **كُلُوا ممّا رزَقَكُمُ اللّهُ** ﴾ من الثمار والزروع والأنعام ﴿ **ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ** ﴾ أي : أوامره في التحليل والتحريم ﴿ **إنّهُ لكم عدوٌّ مبينٌ** ﴾ أي : ظاهر العداوة .

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

[١٤٣] ﴿ ثمانية أزواجٍ ﴾ بدل من : حمولة وفرشاً ، والزوج ما معه آخر من جنسه بزواجه ﴿ منَ الضَّأْنِ ﴾ الغنم ﴿ اثْنَيْنِ ﴾ الكبش والنعجة ﴿ ومنَ المعْزِ اثنينِ ﴾ التيس والعنز ﴿ قُلْ ﴾ تبكيتاً للمشركين على ما افتروه من التحريم والتحليل ﴿ آلذَّكَرَيْنِ ﴾ من الضَّأن والمعز ﴿ حرّمَ ﴾ الله عليكم أيها المشركون ﴿ أم الأُنْثَيَيْنِ ﴾ منهما ﴿ أمَّا اشتَمَلَتْ عليهِ أرْحَامُ الأُنثيينِ ﴾ أي : أم ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى ﴿ نَبّؤوني بعلْمٍ ﴾ أي : بدليل نقليّ أو عقليّ في الفرق بين هذين النوعين ، والنوعين الآتيين ﴿ إنْ كُنْتُم صادقينَ ﴾ في دعوى التحريم .

[١٤٤] ﴿ وَمِنَ الإبلِ اثْنَيْنِ ﴾ وأنشأ لكم من الإبل اثنين هما : الجمل والناقة ﴿ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ ذكراً وأنثى ﴿ قُلْ ﴾ إفحاماً لهم أيضاً في هذين النوعين ﴿ آلذَّكَرَيْنِ ﴾ منهما ﴿ حرّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحَامُ الأُنْثيَيْنِ ﴾ والمعنى إنكار تحريم الله تعالى عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة المذكورة ، وإظهار كذبهم في ذلك ﴿ أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ أي : حاضرين ﴿ إذْ وصَّاكُمُ اللَّهُ بهذا ﴾ وهذا من باب التهكم ﴿ فَمَنْ أظْلَمُ ممّنِ افْتَرى على اللّهِ كَذِباً ﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ﴿ ليُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي : دليل ﴿ إنَّ اللّهَ لا يهدي القوْمَ الظَّالِمينَ ﴾ .

[١٤٥] ﴿ قُلْ : لا أجِدُ فيمَا أُوحيَ إليَّ مُحَرَّماً ﴾ أي : طعاماً محرّماً من المطاعم ﴿ على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ من ذكر أو أنثى ﴿ إلاَّ أنْ يكُونَ ﴾ ذلك الطعام ﴿ ميتة أوْ دَماً مَسْفُوحاً ﴾ أي : دماً سائلاً ، فلا يدخل في ذلك الكبد ولا الطحال ﴿ أوْ لَحْمَ خِنْزيرٍ فإنَّه رِجْسٌ ﴾ لتعوده أكل النجاسات ﴿ أوْ فِسْقاً ﴾ أي : خروجاً عن الدّين ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بهِ ﴾ ذبح على اسم الأصنام ، ورفع الصوت على ذبحه باسم غير الله ﴿ فمنِ اضْطُرَّ ﴾ أصابته ضرورة شديدة ﴿ غيْرَ باغٍ ﴾ غير معتد على مضطر مثله ﴿ ولا عادٍ ﴾ متجاوز قدر حاجته من الطعام ﴿ فإنَّ ربَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانَ أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً ، فبعث الله نبيه ﷺ وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرّم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو . وقرأ هذه الآية : ﴿ قلْ لا أجدُ فيما أوحيَ إليَّ محرماً على طاعم يطعَمُه ﴾ الآية ـ ابن كثير] . وفي الحديث (ألا هل عسى رجل ليبلغه الحديث عني وهو متكىء على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله تعالى) أخرجه الترمذي .

[١٤٦] ﴿ وَعَلَى الذينَ هَادُوا ﴾ أي : اليهود خاصة ﴿ حرّمنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ وهو الذي ليس منفرج الأصابع كالجمل والأرنب ، وأما ذو الظفر المشقوق وهو المجترّ من البهائم فلم يحرّم عليهم ﴿ وَمِنَ البقَرِ والغَنَم حرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما ﴾ وأبيح لهم لحمها ﴿ إلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورهُما ﴾ إلا ما علق بالظهر من الشحم ﴿ أو الحوايا ﴾ أو ما حملته الأمعاء والمصارين من الشحم ﴿ أوْ ما اختَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ كالمخ والعصعص ﴿ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ وإنّا لَصادِقُونَ ﴾ . وفي الحديث (لعن الله اليهود حرِّمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها ، وإن الله إذا حرّم على قوم أكل شيء حرّم عليهم ثمنه) أخرجه الإمام أحمد .

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

[١٤٧] ﴿ فإنْ كذَّبوكَ ، فقُلْ : ربُّكُمْ ذو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ ﴾ يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل ﴿ ولا يُرَدُّ بأسُهُ عنِ القوْمِ المُجْرِمينَ ﴾ فهو ذو بأس شديد .

[١٤٨] ﴿ سيقولُ الذينَ أشْرَكُوا ﴾ يعني مشركي قريش والعرب ﴿ لوْ شاءَ اللَّهُ مَا أشْرَكْنا ولا آباؤُنَا ولا حرَّمْنا منْ شيءٍ ﴾ مما حرّموه من البحائر والسوائب وغيرها ﴿ كذٰلكَ كذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حتّى ذاقُوا بأْسَنا ﴾ أي : حتى أنزلنا عليهم العذاب ﴿ قُلْ : هلْ عندكُمْ مِنْ عِلْمٍ فتُخْرِجُوهُ لَنا ﴾ أي : أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به ﴿ إنْ تتَّبِعُونَ ﴾ فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم ما حرّمتم ﴿ إلاَّ الظنَّ ، وإنْ أنْتُمْ إلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون .

[١٤٩] ﴿ قُلْ : فللّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ ﴾ البيّنة الواضحة ﴿ فلوْ شَاءَ لَهَداكُمْ أجْمَعِينَ ﴾ . [قال ابن كثير : فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره ، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين . قال الضحاك : لا حجة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده] .

ثلاثة أرباع الحزب ١٥

[١٥٠] ﴿ قُلْ : هَلُمَّ شُهداءَكُمُ ﴾ أي : أحضروهم ، والمراد بشهدائهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم ﴿ الذين يَشْهَدُونَ أنَّ اللَّهَ حرَّم هَذا ﴾ يعني ما يقولون في تحريم بعض أصناف الأنعام والحرث ﴿ فإنْ شهِدُوا ﴾ بعد حضورهم بأنَّ الله حرَّم هذا ﴿ فلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ لما علمت من افترائهم على الله ﴿ وَلا تتّبِعْ أهواءَ الذين كذَّبُوا بآياتِنَا والذينَ لا يؤمِنُونَ بالآخِرَةِ وَهُمْ بربِّهِمْ يَعْدِلونَ ﴾ أي : يسوون به متبعون للهوى لا غير.

[١٥١] ﴿ قُلْ : تَعَالَوْا أَتْلُ ما حرَّمَ ربُّكُمْ عَلَيْكُمْ ألاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ من الأوثان ﴿ وبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ والإحسان ما يخرج عن حد العقوق ، ولما كان إيجاب الإحسان تحريماً لترك الإحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الأوامر ، فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده ﴿ ولا تَقْتُلُوا أولادكُم من إمْلاقٍ ﴾ أي : لا تقتلوهم خوف الفقر ، والمراد بالقتل : وأد البنات وهن أحياء ﴿ نحن نرزقُكُمْ وإيَّاهُمْ ، ولا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ﴾ يعني : الزنى ، وإنما جيء لفظ الفواحش بصيغة الجمع قصداً إلى النهي عن أنواعه ، أو مبالغة ، أو باعتبار تعدد من يصدر منه ﴿ ما ظهر منها وَمَا بَطَنَ ﴾ ما كان منه سراً أو جهراً ﴿ ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحقِّ ﴾ أي : بالعدل ﴿ ذلكم وصَّاكُمْ بهِ لعلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ عظمها عند اللّه تعالى فتكفُّوا عنها . [قال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد أن ينظر إلى وصيَّة رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : ﴿ قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ . وقال الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن خليفة قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب . ثم قرأ : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ الآيات . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أيكم يبايعني على ثلاث ؟) ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ حتى فرغ من الآيات . (فمن وفى فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخّر إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه) رواه الحاكم ـ ابن كثير] .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٢] ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ يعني أنفع له ، كتثميره أو حفظه أو اقتراضه ﴿ **حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾ أي : احفظوه له حتى يصير بالغاً راشداً فحينئذ سلّموه إليه ﴿ **وَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ بالقِسْطِ** ﴾ أي : بالعدل والتسوية في الأخذ والعطاء ، في الحديث أن رسول الله ﷺ قال ـ لأصحاب الكيل والميزان ـ : (إنكم وليتم أمرين هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم) رواه الترمذي ﴿ **لا نُكَلِّفُ نفساً** ﴾ عند الكيل والميزان ﴿ **إلَّا وُسْعَهَا** ﴾ أي : جهدها بالعدل ﴿ **وإذَا قُلْتُمْ** ﴾ في حكومة أو شهادة ونحوها ﴿ **فاعْدِلُوا** ﴾ فلا تقولوا إلَّا الحقَّ ﴿ **ولوْ كانَ** ﴾ القول له أو عليه ﴿ **ذَا قُرْبَى** ﴾ منكم ﴿ **وبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا** ﴾ ما عهد إليكم من الأمور المذكورة ، أو أي عهد كان ﴿ **ذٰلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ** ﴾ أي : أمركم بالعمل به في الكتاب ﴿ **لعلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ أي : تتعظون . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنـزل الله : ﴿ ولا تقربـوا مـال اليتيم إلا بـالتي هي أحسن ﴾ و﴿ إن الـذين يأكلـون أموال اليتـامى ظلماً ﴾ الآيـة ، انطلق من كـان عنـده يتيم فعـزل طعـامـه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فـاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لـرسـول الله ﷺ فأنـزل الله : ﴿ ويسألـونك عن اليتـامى قل إصـلاح لهم خير وإن تخالطـوهم فإخوانكم ﴾ ، قـال : فخلطوا طعـامهم بطعـامهم وشرابهم بشرابهم ـ ابن كثير] .

[١٥٣] ﴿ **وأَنَّ هَذا صِراطِي مستقيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ** ﴾ يعني الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات ﴿**فتفرَّقَ بكُمْ عن سَبِيلِهِ**﴾ وهو دين الإسلام ﴿**ذٰلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ لعلَّكُمْ تتَّقُونَ**﴾ . عن ابن مسعود رضي الله عنه قـال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال (هـذا سبيل الله) ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شمالـه ثم قال (هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) ثم قرأ ﴿وأن هذا صراطي مستقيما . . . ﴾ الآية رواه الإمام أحمد .

[١٥٤] ﴿ **ثُمَّ آتَيْنا** ﴾ أعطينا ﴿ **مُوسَى الكِتابَ** ﴾ يعني التوراة ﴿ **تَـماماً عَلَى الَّذِي أحسن** ﴾ أي : تماماً للكرامة والنعمة على من كان محسناً صالحاً ﴿ **وتفصيلاً لكلّ شيءٍ** ﴾ وبياناً مفصَّلاً لكل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في الدين ﴿ **وهُدىً** ﴾ لهم إلى ربهم ﴿ **وَرَحْـمَـةً** ﴾ عليهم ﴿ **لعلَّهُمْ** ﴾ أي : أهل الكتاب ﴿ **بلقاءِ ربِّهِم يُؤْمِنُونَ** ﴾ يؤمنون بيوم الحساب .

[١٥٥] ﴿**وهذَا**﴾ القرآن ﴿ **كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ** ﴾ أكثـر نفعاً من التـوراة ديناً ودنيـا ﴿ **فاتَّبِعُوه** ﴾ فاعملـوا بها فيه من الأوامـر والنواهي والأحكام ﴿ **واتَّـقُوا** ﴾ مخالفته ﴿ **لعلَّكم تُرحَـمُونَ** ﴾ .

[١٥٦] ﴿ **أنْ تقولُوا** ﴾ أي : كراهـة أن تقولـوا يوم القيـامة ﴿ **إنَّـمَا أُنْـزِلَ الكِتابُ على طـائفتينِ من قَبْـلِنَا** ﴾ وهـم اليهـود والنّصارى ﴿ **وإنْ كُنَّا عنْ دِراسَتِهِمْ** ﴾ عن تلاوة كتابهم ﴿ **لَغَافِلِينَ** ﴾ لا علم لنا بشيء منهـا لأنها ليست بلغتنا . [١٥٧]﴿ **أوْ تَقُولُوا : لَوْ أَنَّـا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الكِتَابُ** ﴾ كما أُنْزِلَ عليهم ﴿ **لكُنَّا أَهْدَى منْهُمْ** ﴾ إلى الحقّ ﴿ **فقدْ جاءَكُمْ بيِّـنَةٌ** ﴾ كتاب وحجة واضحة ﴿ **مِنْ ربِّكُمْ وهُـدى ورحمةٌ فمنْ أَظْلَمُ ممَّنْ كذَّبَ بآياتِ اللَّهِ وصَدَفَ عنها** ﴾ أي : صَرَفَ النَّاس وصدَّهم عنها ﴿ **سَنَجْزِي الذين يَصْدِفونَ** ﴾ يصرفون النَّاس ﴿ **عنْ آياتنا سُوءَ العذابِ بِمَا كانُوا يَصْدِفُونَ** ﴾ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ** ﴾ فما ينظر هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن وصدّهم عن آيات الله ﴿ **إلاّ أنْ تأتيَهُـمُ الملائكةُ أو يأتـيَ ربُّـكَ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **أوْ يأتيَ بعضُ آياتِ ربِّكَ** ﴾ وذلك قبل يوم القيامة من علامات الساعة ﴿ **يوْمَ يأتي بعْضُ آياتِ ربِّـكَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها لمْ تكُـنْ آمَنَـتْ منْ قبـلُ ، أو كَسَبَـتْ في إيمانِها خيراً** ﴾ والمعنى أنه لا ينفع من كان مشركاً إيمانُه ، ولا تقبل توبة فـاسق عنـد ظهـور بعض عـلامـات السـاعـة كطلـوع الشمس من مغـربها لاضطرارهم إلى الإيمان والتوبـة ، وذلك لـذهـاب زمن التكليف . روى الترمـذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قـال : (من تاب قبل طلوع الشمس من مغـربها تـاب الله عليـه) ﴿ **قُلِ انتظِرُوا** ﴾ أي : قل لهؤلاء الكافرين ، على وجه التهديد : انتظروا لتروا أي شيءٍ تنتظرون ﴿ **إنَّا مُنْـتَظِرُونَ** ﴾ لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة .

[١٥٩] ﴿ **إنَّ الـذينَ فـرّقُوا دينَـهُمْ** ﴾ فـاختلفوا فيـه وجعلـوه أهـواء مختلفـة ﴿ **وكانُوا شِيَعاً** ﴾ أي : فـرقـاً متنـاحرة فلم يتعبـدوا إلا بعـادات وبدع ولم ينقـادوا إلا لأهواء وخدع ﴿ **لَسْتَ مِنْهُمْ في شيءٍ** ﴾ أنت بريء منهم ﴿ **إنَّما أمرُهُم إلى اللّهِ** ﴾ هو الذي يجازيهم على تفرقهم ، لا أنـت ﴿ **ثمّ ينبّـئُـهُمْ** ﴾ يـوم القيامـة ﴿ **بِمَا كانُـوا يَفْعلُونَ** ﴾ من السيئات والتفرقة ويجازيهم عليها .

[١٦٠] ﴿ **مَنْ جاءَ بـالحسنةِ** ﴾ أي : من جـاء يـوم القيـامـة بـالأعمال الحسنـة ﴿ **فَلَـهُ عَشْرُ أمْثـالِهَا** ﴾ في الحُسن ، وقيل : المراد بـذكـر العشر بيـان الكثـرة لا الحصر في العدد الخاص ﴿ **وَمَنْ جاءَ بالسيِّئَـةِ** ﴾ أي : بالأعمال السيئة ﴿ **فلا يُجْزَى إلاّ مِثْـلَهَا** ﴾ في القُبح ﴿ **وهُمْ لا يُظْـلَـمُونَ** ﴾ بنقص الثواب أو زيادة العقاب .

[١٦١] ﴿ **قُلْ إنَّني هداني ربِّي إلى صراطٍ مُسْتقيم** ﴾ هو دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده المخلصين ﴿ **ديناً** ﴾ أي عرّفني ديناً ﴿ **قِـيَماً** ﴾ ثابتاً لا تغيره الملل ولا النحل ﴿ **مِـلّـةَ إبْراهيمَ حنيفاً** ﴾ أي : مـائـلاً عن كل دين وطريق باطل فيه شرك ﴿ **وَمَا كانَ مِنَ المُشْركِينَ** ﴾ .

[١٦٢] ﴿ **قُلْ : إنَّ صَلاَتي وَنُـسُكِي** ﴾ أي : طوافي وشعائر الحج ، أو عبـادتي كلها ﴿ **ومَحْيايَ ومماتي** ﴾ كل ما آتيـه في حياتي ، وما أمـوت عليه من الإيمان والعمل الصالـح ﴿ **للّهِ ربِّ العالمينَ** ﴾ . [١٦٣] ﴿ **لا شَريكَ لَـهُ ، وبذَلِكَ أُمِرْتُ وأنَا أوَّلُ المُسْلمينَ** ﴾ أي : من هذه الأمة ، فإسلام كل نبيٍّ متقدم على إسلام أمته . [١٦٤] ﴿ **قُلْ أغَيْـرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً** ﴾ فأُشْرِكَهُ في عبادته ﴿ **وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شيءٍ** ﴾ وكل ما سواه عبدٌ له ﴿ **وَلا تَـكْسِبُ كُلُّ نفْسٍ إلاَّ عَلَيْهَـا ، وَلاَ تَـزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى** ﴾ فـلا يحمل أحـد من خطيئـة غيره ﴿ **ثُمَّ إلى ربِّـكُمْ مـرجِعُكُمْ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **فيُـنَـبِّـئُكُم بِمَا كُنْـتُمْ فيـهِ تَـخْـتَـلِفُونَ** ﴾ بتمييز الحق من الباطل . [١٦٥] ﴿ **وَهُوَ الذي جَعَلَـكُمْ خَلاَئِفَ الأرْضِ** ﴾ جمع خليفة ، أي : يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ **ورفَعَ بعضَكُمْ فوْقَ بعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾ أي : فاوت بينكم في : الأرزاق والأخـلاق والمحاسن والمساوىء والمناظر والأشكال والألوان ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتاكُمْ** ﴾ ليختبركم فيما أنعم بـه عليكم ، فيختبر الغنيّ في غناه ويسألـه عن شكره ، والفقيرَ في فقره ويسأله عن صبره ﴿ **إنَّ ربَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ** ﴾ لمن عصاه وخالف رُسُلَه ﴿ **وإنَّـهُ لغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ لمن والاه واتبع رُسُلَه .

سورة الأعراف

ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

[سورة الأعراف]

مكية إلا الآيات ١٦٣ ـ ١٧٢ ، وآياتها مائتان وست آيات .



[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾ وتقرأ : ألف . لام . ميم . صاد . وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة .

[٢] ﴿ **كتابٌ** ﴾ أي : هذا كتاب ﴿ **أُنزلَ إليكَ فلا يكنْ في صَدْرِكَ حَرَجٌ منه** ﴾ لا يضيق صدرك من تبليغه مخافة أن يكذبوك أو مخافة تقصيرك في حمله ﴿ **لِتُنْذِرَ به** ﴾ أي بالقرآن ، المشركين ﴿ **وذِكْرى للمُؤْمِنِينَ** ﴾ عظة لهم .

[٣] ﴿ **اتَّبِعُوا** ﴾ الخطاب للناس جميعاً ﴿ **مَا أُنْزِلَ إليكم منْ ربِّكم** ﴾ القرآن والسنة ﴿ **ولا تَتَّبِعُوا من دونه أولياءَ** ﴾ من الجن والإنس ﴿ **قليلاً مَا تذكَّرونَ** ﴾ ما تتعظون إلا قليلاً .

[٤] ﴿ **وكمْ منْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا** ﴾ أردنا إهلاكها بسبب مخالفة أهلها لرسلهم ﴿ **فجاءَهَا بأْسُنا** ﴾ عذابنا ﴿ **بَيَاتاً** ﴾ أي : ليلاً قبل أن يصبحوا ﴿ **أوْ هُمْ قائِلُونَ** ﴾ من القيلولة ، وهي النوم ظهراً ، والمقصود أنه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم .

[٥] ﴿ **فَما كانَ دَعْواهُمْ إذْ جاءَهم بأسُنَا إلاَّ أنْ قَالُوا: إنَّا كنَّا ظَالمينَ** ﴾ أي فاعترفوا بذنوبهم . [قال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ قال : (ما هلكَ قومٌ حتى يعذروا من أنفسهم) ـ ابن كثير] .

[٦] ﴿ **فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إليهِمْ** ﴾ وهم الأمم المدعوّة ﴿ **ولَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ** ﴾ عما أُجيبوا به . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راعٍ يسأل عن رعيته ، والرجل يسأل عن أهله ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والعبد يسأل عن مال سيده) ثم قرأ : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ رواه ابن مردويه . [٧] ﴿ **فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ** ﴾ على الرسل وعلى أممهم ﴿ **بِعِلْمٍ** ﴾ نخبرهم ما حصل منهم ﴿ **وما كُنَّا غائِبِينَ** ﴾ عنهم وعن أعمالهم . [قال ابن عباس : أي يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون ـ قاله ابن كثير] .

[٨] ﴿ **والوَزْنُ يومَئِذٍ الحَقُّ** ﴾ وزن الأعمال والتمييز بينها ، يوم القيامة ، العَدْلُ ﴿ **فمن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ** ﴾ فمن كثرت حسناته في الميزان ﴿ **فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ الناجون من العذاب . [والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل : الأعمال وإن كانت أعراضاً ، إلا أن الله يقلبها يوم القيامة أجساماً ، يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وفي مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (أتعجبون من دقة ساقيه ؟ والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحُد) ـ ابن كثير] .

[٩] ﴿ **ومنْ خفَّتْ موازِينُهُ** ﴾ قلّت حسناته في الميزان ﴿ **فأولئك الذين خسِرُوا أنفُسَهُمْ بما كانُوا بآياتِنا يَظْلِمُونَ** ﴾ أي : بسبب كفرهم .

[١٠] ﴿ **ولقدْ مكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً ﴿ **وجَعَلْنا لكم فيها مَعَايِشَ** ﴾ جمع معيشة وهو ما تقوم به الحياة كالطعام والشراب والمهن إلخ ﴿ **قليلاً مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ . [١١] ﴿ **ولَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** ﴾ على صورة أبيكم آدم ﴿ **ثمَّ قُلْنَا للملائِكَةِ اسْجُدُوا لآدمَ فَسَجَدُوا** ﴾ سجود طاعة لله لا عبادة لآدم ﴿ **إلاَّ إبْلِيسَ** ﴾ وهو من الجن وليس من جنس الملائكة ﴿ **لمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ لاستكباره وحسده .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿ **قال :** ﴾ سبحانه تعالى لإبليس ﴿ **ما مَنَعَكَ ألاّ تسجُدَ إذْ أمرْتُكَ قال :** ﴾ إبليس ﴿ **أنا خيرٌ منهُ** ﴾ أي : من آدم ﴿ **خَلَقْتَني من نارٍ وخَلَقْتَهُ منْ طِينٍ** ﴾ .
[في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) وقال الحسن : قاس إبليس وهو أول من قاس . وعن ابن سيرين قال : أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ـ ابن كثير] .

[١٣] ﴿ **قالَ :** ﴾ تعالى لإبليس ﴿ **فاهْبِطْ** ﴾ بسبب عصيانك لأمري ﴿ **منْهَا** ﴾ أي : من الجنة ﴿ **فَما يكونُ لكَ أنْ تتكبَّرَ فيهَا** ﴾ فما يصح ولا يستقيم ، لأنها مكان المطيعين الخاشعين ﴿ **فاخْرُجْ إنَّكَ منَ الصَّاغرينَ** ﴾ الأذلاء ، أهل الهوان .

[١٤] ﴿ **قالَ :** ﴾ إبليس ﴿ **أنْظِرْني** ﴾ أي : أمهلني ولا تُمتني ﴿ **إلى يومِ يُبْعَثُونَ** ﴾ أي : اليوم الذي يبعث فيه الله آدم وذريته من القبور وهو يوم القيامة .

[١٥] ﴿ **قالَ :** ﴾ الله له ﴿ **إنَّكَ من المُنْظَرينَ** ﴾ من المؤجَّلينَ إلى ذلك اليوم .

[١٦] ﴿ **قالَ :** ﴾ إبليس ﴿ **فَبِمَا أغْوَيْتَني** ﴾ أي : فبسبب حكمك عليَّ بالضلال عن الهدى ﴿ **لأقْعُدَنَّ لَهُمْ** ﴾ لأترصَّدَنَّ لآدم وبنيه كما يقعد قطّاع الطرق للمسافرين ﴿ **صِراطَكَ المُسْتَقِيم** ﴾ طريقك السويّ ، والمعنى أن إبليس قطع عهداً على نفسه أن لا يهدأ عن إفساد بني آدم .

[١٧] ﴿ **ثمَّ لأَتِيَنَّهُمْ منْ بينِ أيديهمْ ومنْ خلْفِهِمْ وعن أيْمانِهِمْ وعَنْ شَمائِلِهِمْ** ﴾ أي : من جميع الجهات الأربع ﴿ **ولا تجدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرينَ** ﴾ أي : عابدين لله .

[١٨] ﴿ **قالَ** ﴾ الله تعالى لإبليس اللعين ﴿ **اخرجْ منْهَا** ﴾ من الجنة ﴿ **مَذْؤُوماً** ﴾ من : ذَأَمَهُ ، إذا حقره وذمه ﴿ **مَدْحوراً** ﴾ مطروداً ﴿ **لَمَنْ تَبِعَكَ منْهُمْ لأمْلأَنَّ جهنَّمَ منكمْ أجْمعينَ** ﴾ أي : لأملأن جهنَّم من كفار الجن والإنس الذين أطاعوا إبليس .

[١٩] ﴿ **ويَا آدمُ** ﴾ وقلنا : يا آدمُ ﴿ **اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنَّةَ** ﴾ جنَّة الخلد ، أو جنة حددها لهم في الأرض ﴿ **فكُلاَ منْ حَيْثُ شِئْتُما ولا تقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فتَكُونَا منَ الظَّالمينَ** ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية .

[٢٠] ﴿ **فوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ** ﴾ أي : إبليس بأكل الشجرة التي نهاهما الله عنها ﴿ **ليُبْدِيَ لَهُمَا** ﴾ ليظهر لهما ﴿ **مَا وُورِيَ** ﴾ أي : ستر ﴿ **عَنْهُمَا منْ سَوْآتِهِمَا** ﴾ أي : عوراتها ﴿ **وَقَالَ** ﴾ لهما إبليس لتحقيق ذلك ﴿ **ما نَهاكُمَا رَبُّكُما عَنْ هذهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أنْ تَكُونَا** ﴾ أي : إلا كراهة أن تكونا ﴿ **مَلَكَيْنِ** ﴾ من جنس الملائكة ﴿ **أوْ تكونَا منَ الخَالِدِينَ** ﴾ الذين لا يموتون ويبقون في الجنة . [٢١] ﴿ **وَقَاسَمَهُمَا** ﴾ أي : أقسم لهما ﴿ **إنّي لكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾ في هذا الأمر . [٢٢] ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بغُرُورٍ** ﴾ أي : أطمعهما ، وقيل معنى دلاّهما : جرّأهما بغروره ﴿ **فلمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ** ﴾ أي : أكلا منها شيئاً قليلاً ﴿ **بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا** ﴾ ظهرت عوراتها ﴿ **وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا منْ وَرَقِ الجنَّةِ** ﴾ أي : أخذا يلصقانه ليسترا به عورتيهما ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا : أَلَمْ أَنْهَكُمَا عنْ تِلكُمَا الشَّجَرَةِ** ﴾ أي : عن الأكل منها ﴿ **وأقُلْ لكُمَا إنَّ الشَّيْطَانَ لكُمَا عدوٌّ مبينٌ** ﴾ .

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ قالاَ : ربَّنا ظَـلَمْنَا أنفسَنَا ﴾ أي : أضررناها بالمعصية ﴿ وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَـنا ﴾ ما سلف ﴿ وترْحَمْنا ﴾ بالتوبة وقبولها ﴿ لنكونَنَّ منَ الخَاسِرِينَ ﴾ أي : لنصيرن من الذين خسروا الدنيا والآخرة .

[٢٤] ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ اهْبِطُواْ ﴾ من الجنة ، والخطاب لآدم وحواء وإبليس ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ولَـكُمْ فِي الأرضِ مستقرٌّ ومتاعٌ ﴾ أي : تمتع ومعيشة ﴿ إلى حِينٍ ﴾ وهو موعد الأجل .

[٢٥] ﴿ قال : فيها ﴾ أي في الأرض ﴿ تَحْيَوْنَ ﴾ تعيشون ﴿ وفيها تموتونَ ومِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ يوم القيامة للحساب .

[٢٦] ﴿ يا بَني آدَمَ قدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِبَاساً ﴾ يعني ما يلبس من الثياب وغيره ﴿ يُوارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ يستر عوراتكم ﴿ وَرِيشاً ﴾ والريش هنا بمعنى الزينة لأنه زينة الطير فاستعير منه ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ أي : خشية الله أو الإيمان ﴿ ذلِكَ خَيْرٌ ﴾ ولباس التقوى المشار إليه خيرٌ ﴿ ذلِكَ ﴾ اللباس الذي أنعم الله به على الإنسان ﴿ مِنْ آياتِ اللَّهِ ﴾ الدالة على فضله ورحمته على عباده ﴿ لعلَّهُمْ يذَّكَّرُونَ ﴾ نعمته عليهم فيعرفون عظمتها فيشكرونها . [عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : (من استجد ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته : الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي ، وأتجمل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الخلق ـ البالي ـ فتصدق به ، كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً) ـ ابن كثير] .

[٢٧] ﴿ يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّـكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ لا يخدعنَّكم عن دخول الجنة بنزع لباس الشريعة والتقوى عنكم ﴿ كَمَا أخرجَ أبَـوَيْكُم ﴾ آدم وحواء ﴿ منَ الجَنَّةِ ، ينزِعُ عَنْـهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيهُمَا سَوْءاتِـهِمَا ﴾ الظاهرة الدالة على السّوأة الباطنة ﴿ إنَّهُ ﴾ إبليس ﴿ يراكُمْ هُوَ وقبيلُـهُ ﴾ جنوده من الشياطين ﴿ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ من مكان لا ترونهم فيه ﴿ إنَّا جَعَلْنا الشياطين أَوْلِيَـاءَ للَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ فللشياطين سلطان على الكافرين يزيدونهم غياً وإضلالاً .

[٢٨] ﴿ وإذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ الفاحشة : أقبح الذنوب كالشرك بالله ﴿ قالوا : وجَدْنَا عليها آباءَنا ، واللَّهُ أمرنَا بها ، قل : إنَّ اللَّهَ لا يأْمُرُ بالفحشاءِ ﴾ فالله يأمر بمحاسن الأفعال ويحث على مكارم الأخلاق ﴿ أَتَـقُولُونَ على اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ وفي هذا نهي عن الافتراء عليه سبحانه .

[٢٩] ﴿ قُلْ : أَمرَ ربِّي بالقِسْطِ ﴾ أي : بالعدل ، وقال علماء السلف : إن القسط هو التوحيد ، أو كلمة الإخلاص ﴿ وأقِيمُوا وجوهَكُمْ عندَ كلِّ مسْجِدٍ ﴾ وجّهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة . وقيل : معناه اجعلوا سجودكم خالصاً لله ﴿ وادْعُوهُ ﴾ أي : اعبدوه ﴿ مُخْلِصِينَ لهُ الدينَ ﴾ فإنه ﴿ كما بَدَأَكُمْ تَـعُودُونَ ﴾ أي : يعيدكم إليه أحياء ، فيجازيكم على أعمالكم . [٣٠] ﴿ فريقاً هَدَى ﴾ للإيمان ﴿ وفريقاً حقَّ عليهمُ الضلالَةُ ﴾ وهم الكافرون ﴿ إنَّهمُ اتَّخَـذُوا الشياطينَ أَوْلِياءَ ﴾ أي : أنصاراً وأرباباً ﴿ من دُونِ اللَّهِ ، ويَحْسَبُـونَ أنَّهم مُهْتَـدُونَ ﴾ .[قال ابن جرير: إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق، وأن الصواب ما أتوه وركبوا .]

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ١٦

[٣١] ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم** ﴾ من اللباس ﴿ **عندَ كلِّ مَسْجِدٍ** ﴾ المسجد : كل بيت بني للعبادة ، وإما بمعنى : الصلاة والعبادة نفسها . وكان الجاهليون يطوفون حول الكعبة عراة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بستر عوراتهم وسمى ذلك : زينة . وفي الحديث (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده) رواه أحمد ﴿ **وكُلُوا واشربُوا** ﴾ أيام الحج للتقوي على العبادة ﴿ **ولا تُسْرِفُوا** ﴾ إسرافاً يشغل عن العبادة ، أو : لا تحرموا الطيبات من الرزق واللحم ﴿ **إنَّــــهُ لا يحبُّ المُسْرِفِينَ** ﴾ المعتدين والمتجاوزين لحدودهم .

[٣٢] ﴿ **قُلْ : منْ حرّمَ زينةَ اللّهِ** ﴾ من الثياب وسائر ما يُتجمَّل به ﴿ **التي أخرجَ لعبادِهِ** ﴾ من النبات كالقطن والكتان ، والحيوان كالحرير والصوف ، والمعادن كالدروع ﴿ **والطيّباتِ منَ الرِّزْقِ** ﴾ المستلذات من الطعام والشراب ﴿ **قلْ : هي** ﴾ أي : زينة الله والطيبات ﴿ **للَّذينَ آمَنُوا في الحياةِ الدُّنْيا** ﴾ بالأصالة ، يشاركهم الكفار فيها ﴿ **خالصةً يَوْمَ القيامَةِ** ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم ، لأن الله حرّم الجنة على الكافرين ﴿ **كَذلِكَ نُفصِّلُ الآياتِ لقوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ الحكمة في خلق الأشياء واستعمالها فيما ينفع ولا يضرّ .

[٣٣] ﴿ **قُلْ : إنَّما حرَّم ربِّـيَ الفواحِشَ** ﴾ ما زاد قبحه من الذنوب ، وهي الكبائر المتعلقة بالفروج ﴿ **ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ** ﴾ ما جاهر به بعضهم بعضاً ، وما ستره بعضهم عن بعض ﴿ **والإِثْمَ** ﴾ أي : ما يوجب الإثم ، وقيل : الإثم : الخمر ﴿ **والبَغْيَ بغيرِ الحقِّ** ﴾ أي : ظلم الناس ﴿ **و** ﴾ قد حرّم ﴿ **أن تُشْرِكُوا باللّهِ ما لمْ يُنَزِّلْ به سُلْطَاناً** ﴾ أي : برهاناً ، وهو ما لم يقم عليه حجة ﴿ **و** ﴾ قد حرَّم عليكم ﴿ **أنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ** ﴾ في التحليل والتحريم ، أو في الشرك . قال الجشميّ : الآية جامعة في المحرّمات كما أن قبلها جامعة في المباحات .

[٣٤] ﴿ **ولكلِّ أمَّةٍ أجَلٌ** ﴾ أي : مدة ، أو وقت ، لنزول العذاب بهم ﴿ **فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ** ﴾ أي : ميقاتهم المقدّر لهم ﴿ **لا يستأخرُونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ لا يُتركون بعد الأجل ولو قليلاً من الزمان ، ولا يهلكون قبله كذلك .

[٣٥] ﴿ **يا بَني آدَمَ إمَّا يأتينَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عليكمْ آياتي** ﴾ المراد ببني آدم جميع الأمم ﴿ **فمن اتَّقَى** ﴾ تكذيب الرسل ﴿ **وأصْلَحَ** ﴾ عمله ﴿ **فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ** ﴾ من العذاب ﴿ **ولا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ في الآخرة .

[٣٦] ﴿ **والَّذينَ كذَّبُوا بآياتنا واسْتَكبَرُوا** ﴾ أي : تكبّروا ﴿ **عَنْهَا** ﴾ فلم يُؤمنوا بها ﴿ **أولئكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ** ﴾ .

[٣٧] ﴿ **فمنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً** ﴾ بالتحليل والتحريم ، أو بنسبة الولد والشريك ﴿ **أو كذَّبَ بآياتِهِ** ﴾ المنزلة ﴿ **أولئكَ ينالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكتابِ** ﴾ أي : مع ظلمهم وافترائهم وتكذيبهم ، ولا يُحْرَمُونَ ما قدّر لهم من العمر والرزق إلى انقضاء آجالهم ﴿ **حتَّى إذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يتَوَفَّوْنَهُمْ** ﴾ أي : تقبض ملائكة الموت أرواحهم ﴿ **قالوا : أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ** ﴾ أي الآلهة التي كنتم تعبدونها ليكونوا لكم شفعاء ﴿ **قالوا ضَلُّوا عَنَّا** ﴾ أي : غابوا عنا فلم يخلّصونا من شيء ﴿ **وشَهِدُوا عَلَى أنفُسِهِمْ أنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ** ﴾ أي : عابدين لما لا يستحق العبادة .

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ
فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا
جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ
عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿**قال**﴾ الله سبحانه في الآخرة ﴿**ادْخُلُوا في أُمَمٍ قدْ خَلَتْ**﴾ أي : في جملة أمم قد مضت ﴿ **منْ قبلِكُمْ مِنَ الجنِّ والإنسِ** ﴾ يعني كفار الأمم الماضية من النوعين ﴿ **في النَّارِ ، كُلَّما دَخَلَتْ أمَّةٌ** ﴾ في النّار ﴿ **لَعَنَتْ أُخْتَهَا** ﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿ **حتّى إذَا ادّاركُوا فيهَا جميعاً** ﴾ أي : تلاحقوا واجتمعوا في النّار ﴿ **قالتْ أُخْراهُمْ** ﴾ وهم الأتباع ﴿ **لأولاهُمْ** ﴾ وهم المتّبَعُون ﴿ **ربَّنا هؤلاءِ أَضَلُّونا** ﴾ أي : دعونا إلى الضلال فاقتدينا بهم ﴿ **فآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ** ﴾ لأنهم ضلوا وأضلُّوا ﴿ **قالَ** ﴾ تعالى ﴿ **لكُلٍّ ضِعْفٌ** ﴾ أي : عذاب مضاعف ﴿ **ولكِنْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ نصيبكم من العذاب .

[٣٩] ﴿ **وَقالَتْ أولاهم لأُخْراهُمْ : فَما كانَ لكمْ علينْا منْ فَضْلٍ** ﴾ أي : لا فضل لكم عَلَيْنَا في ترك الكفر والضلال حتى يكون عذابنا مضاعفاً دونكم ، فقد ضللتم كما ضللنا ، فنحن وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب ﴿ **فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كنتمْ تَكْسِبُونَ** ﴾ وهو حكم الله عليهم جميعاً .

[٤٠] ﴿ **إنَّ الَّذينَ كذَّبُوا بآياتِنا واسْتَكْبَرُوا عنْهَا لا تُفتَّحُ لَهُمْ أبْوابُ السَّماءِ** ﴾ أي : لا تفتح لأعمالهم ، ولا لدعائهم ، ولا يقبل منهم ذلك ، لأنه ليس صالحاً ولا طيّباً ، وقيل : لا تفتح لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين ﴿ **ولا يدخُلُونَ الجنَّةَ حتّى يَلِجَ** ﴾ أي : يدخل ﴿ **الجمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ** ﴾ أي : ثقب الإبرة ﴿ **وكذلكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ** ﴾ وحاصله أن الجمل لما كان مثلاً في عِظَم الجسم ، لأنه أكبر الحيوانات جسماً عند العرب ، وخرق الإبرة مثلاً في الضيق ، ظهر التناسب ، على أن في إيثار الجمل وهو مما ليس من شأنه الولوج في سمِّ الإبرة مبالغة في استبعاد دخولهم الجنة . [قال الحسن البصري : حتى يدخل البعير في خرق الإبرة . وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : بضم الجيم وتشديد الميم ، يعني الحبل الغليظ في خرق الإبرة وهذا اختيار سعيد بن جبير رضي الله عنه . وفي رواية أنه قرأ ﴿حتى يلج الجُمَّلُ﴾ يعني قلوس السفن ، وهي الحبال الغلاظ ـ ابن كثير] .

[٤١] ﴿ **لَهُمْ مِنْ جهنَّمَ مِهادٌ** ﴾ فرش من تحتهم ﴿ **ومِنْ فوقِهِمْ غَواشٍ** ﴾ أغطية ، إذ أحاطت بهم الخطيئة ﴿ **وكذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمينَ** ﴾ أي : الكافرين . [٤٢] ﴿ **والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ الوسع : ما يقدر عليه الإنسان بسهولة واستمرار ﴿**أولئِكَ أصحابُ الجنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ . [٤٣] ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا في صُدُورهم منْ غِلٍّ** ﴾ أخرجنا من قلوبهم أسباب الحقد والحسد والعداوة حتى لا يكون بينهم إلا المودة والتعاطف ﴿ **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهارُ وَقَالُوا : الحمدُ للَّهِ الذي هَدَانا لهذَا** ﴾ بإرسال الرسل والتوفيق للعمل ﴿ **وَمَا كُنَّا لنهتديَ لولا أنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ ما كنا لنرشد لذلك العمل لولا توفيق الله سبحانه ﴿**لَقَدْ جاءتْ رُسُلُ ربِّنا بالْحَقِّ**﴾ فاهتدينا بإرشادهم ﴿**ونُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجنَّةُ أُورِثْتُموها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ أي : أعطيتم الجنة بسبب أعمالكم في الحياة الدنيا . وفي الحديث : (إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ نادى منادٍ : إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً) فذلك قوله عز وجل : ﴿ **ونُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجنَّةُ . . .** ﴾ الآية . رواه مسلم .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الجنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ توبيخاً لهم ﴿ أَنْ قد وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا ربُّنا حَقًّا ﴾ بنيلنا هذه المراتب العالية ﴿ فهل وَجَدْتُم مَا وَعَدَ ربُّكُمْ حَقًّا ﴾ من تنزيلكم إلى أسفل سافلين ﴿ قَالُوا : نَعَمْ ﴾ وجدناه حقّاً ﴿ فأذّن ﴾ فنادى ﴿ مُؤَذِّنٌ بينهم ﴾ بين الفريقين ليسمعهم : ﴿ أنْ لعنَةُ اللّهِ على الظَّالِمِينَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ الَّذينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يمنعون أنفسهم وغيرهم عن دينه القويم ﴿ ويَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي : يبغون لها زيغاً وميلاً عما هي عليه ﴿ وهُمْ بالآخِرَة كَافِرُونَ ﴾ فيأتون المنكر من القول والعمل لأنهم لا يرجون حساباً عليه ولا عقاباً .

نصف الحزب ١٦

[٤٦] ﴿ وبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ وبين الفريقين سور وستر ﴿ وَعَلَى الأَعْرافِ رجالٌ ﴾ الأعراف : جمع عرف ، وهو كل ما ارتفع من الأرض ، والمعنى : على شرفات السور الذي يفصل بين أهل الجنة وأهل النار وأعاليه ، رجالٌ من فضلاء المؤمنين ، وقيل : هم من الشهداء ، أو الأنبياء ، أو قوم أوذوا في سبيل اللّه ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاً ﴾ من أهل الجنّة والنّار ﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ أي : بعلامتهم التي أعلمهم الله بها ، كبياض الوجه وسواده ﴿ ونَادَوْا ﴾ أي : رجالُ الأعراف ﴿ أَصْحَابَ الجَنَّةِ ﴾ حينَ رأوهم من أماكنهم ، وقد عرفوهم من سيماهم أنهم أهل الجنّة ﴿ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ، لم يدْخُلوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ أي : بشروهم بها قبل دخولهم إياها وهم طامعون في دخولها مترقبين ذلك .

[٤٧] ﴿ وَإذَا صُرِفَت أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي : أبصار أهل الأعراف أو أهل الجنّة ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ أي : إلى جهتهم ﴿ قَالُوا ﴾ من شدّة خوفهم تعوّذاً بالله ﴿ رَبَّنَا لا تجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ في النّار . [٤٨] ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأعْرافِ رِجَالاً ﴾ من كبار وعظماء الضّالين ﴿ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ التي تدل عليهم وإن تغيرت صورهم ﴿ قَالُوا : ما أَغْنَى عنكم جَمْعُكُمْ ﴾ أي : كثرتكم أو جمعكم للأموال التي تدفع بها الآفات ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تستكبرونَ ﴾ عن الحقّ ، أو على الخلق . [٤٩] ﴿أهْؤلاءِ ﴾ الضعفاء من المؤمنين ﴿ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ برفع درجاتهم في الآخرة ، فها هم في الجنة يتمتعون ويتنعمون ﴿ ادْخُلُوا الجنَّةَ لا خَوْفٌ عليْكُمْ ولا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ لا خوفٌ عليكم من العذاب النازل بالكفار ، ولا تحزنون كحزنهم . [٥٠] ﴿ ونادى أَصْحابُ النَّار أصْحَابَ الجنَّةِ أنْ أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ ﴾ الذي رحمكم الله به ليسكن حرارة النّار والعطش ﴿ أَوْ ممَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ من الأطعمة والفواكه ﴿ قَالُوا: إنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكافِرِينَ ﴾ لأنه أنعم عليهم في الدنيا ، فلم يشكروه فمنعهم نعمه في الآخرة . فالتحريم هنا تحريم منع ، لا تحريم تعبّد . [٥١] ﴿ الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً ﴾ اللهو : كل ما صدّ عن الحق ، واللعب : كل أمر باطل ﴿ وغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا ﴾ بزخارفها العاجلة ، فلم يعملوا للآخرة ﴿ فاليومَ ننساهُمْ ﴾ أي : نتركهم ترك المنسيّ لأن النسيان لا يجوز على الله تعالى ، والمعنى : لا نرحمهم بما نرحم به من عمل للآخرة ﴿ كما نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ ولم يهتموا به ﴿ وَمَا كَانُوا بآيَاتِنا يَجْحَدُونَ ﴾ منكرين أنها من عند الله .

وفي الحديث : (يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ، وسخّرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ قال ، فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني) رواه الترمذي .

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ
وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٢] ﴿ **ولقدْ جِئْناهُمْ بكتابٍ فصَّلْناه على عِلْمٍ** ﴾ أي: عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه، حتى جاء محكماً قيِّماً غير ذي عوج ﴿ **هُدىً** ﴾ دلالة ترشدهم إلى الحق وتنجيهم من الضلالة ﴿ **وَرَحْمَةً** ﴾ ينجيهم من العذاب لما فيه من الدلائل ﴿ **لقوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾.

[٥٣] ﴿ **هلْ يَنظُرُونَ إلاّ تأْويلَهُ** ﴾ أي: ما ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمره. والتأويل: بمعنى العاقبة ﴿ **يومَ يأتي تأْويلُهُ** ﴾ يعني يوم القيامة لأنه يوم الجزاء، وما تؤول إليه أمورهم ﴿ **يقولُ الذينَ نَسُوهُ منْ قبْلُ** ﴾ أي: تركوه ترك المنسيّ حين كان ينفعهم الذكر ﴿ **قَدْ جاءت رُسُلُ ربِّنا بالحقِّ** ﴾ بما هو واقع من الاعتقاد والوعد والوعيد ﴿ **فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لنا** ﴾ في إزالة العذاب ﴿ **أوْنُرَدُّ** ﴾ إلى مكان العمل ﴿ **فنعمَلَ غيرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾ من الجحود واللهو واللعب وأعمال الدنيا ﴿ **قَدْ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وضلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يفْتَرُونَ** ﴾ أي: ذهب عنهم ما كانوا يفترون من أن ما عبدوه سيشفع لهم عند اللّه، وعلموا الآن أنهم كانوا كاذبين في دعواهم.

[٥٤] ﴿ **إنَّ ربَّكُمُ** ﴾ إن سيدكم ومالككم ومدبركم الذي يجب أن تعبدوه أيها النّاس هو ﴿ **اللّهُ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيامٍ ثمَّ استوى على العَرْشِ** ﴾ استوى: علا وارتفع، وعن الإمام مالك رضي اللّه عنه: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ﴿ **يُغْشِي الليلَ النَّهارَ** ﴾ أي: يغطيه به حتى يذهب بنوره، ويصير الجو مظلماً بعدما كان مضيئاً ﴿ **يَطْلُبُهُ حَثيثاً** ﴾ أي: يعقبه سريعاً لا يفصل بينهما بشيء ﴿ **والشَّمْسَ والقمرَ والنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِه** ﴾ أي: مذللات لما يُراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع بقضائه وتصريفه ﴿ **ألا لهُ الخَلْقُ والأَمْرُ** ﴾ أي: هو الذي خلق الأشياء كلها، وفُسِّر الأمر: بالقضاء والحكم ﴿ **تَبارَكَ اللّهُ ربُّ العالَمِينَ** ﴾ أي: تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم.

[٥٥] ﴿ **ادْعُوا ربَّكُمْ تَضَرُّعاً** ﴾ التضرُّع من الضراعة، وهو الذل ﴿ **وخُفْيَةً** ﴾ مصدر خَفِيَ، أي: استتر وتوارى، والدعاء بهاتين الحالتين أقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء ﴿ **إنّه لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ** ﴾ لا يحب دعاء المتجاوزين لما أُمِرُوا به في كل شيءٍ، كترك التضرع والإخفاء، أو الدعاء على المسلمين. وروى الإمام أحمد وأبو داود أن عبد الله بن مغفّل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: يا بني سل الله الجنة وعُذْ به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور).

[٥٦] ﴿ **ولا تُفْسِدُوا في الأرْضِ بَعْدَ إصْلاحِهَا** ﴾ بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ﴿ **وادْعُوهُ خَوْفاً** ﴾ من سوء العقاب ﴿ **وطَمَعاً** ﴾ فيما عنده من الثواب ﴿ **إنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قريبٌ من المُحْسِنِينَ** ﴾ الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره ونواهيه.

[٥٧] ﴿ **وَهُوَ الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ﴾ يعني برحمته: المطر، الذي تحمله الغيوم وتساق بواسطة الريح من مكان إلى آخر ﴿ **حتّى إذا أقلَّتْ** ﴾ حملت ﴿ **سَحاباً ثِقالاً** ﴾ من كثرة ما فيها من الماء ﴿ **سُقْناهُ** ﴾ أرسلنا السحاب ﴿ **لِبَلَدٍ مَيِّتٍ** ﴾ لا زرع فيه ﴿ **فأَنْزَلْنا به الماءَ فأخرجنا به من كُلِّ الثَّمراتِ كَذَلِكَ** ﴾ أي: مثل ذلك الإخراج ﴿ **نُخْرِجُ المَوْتى** ﴾ أي: نحييها يوم القيامة ﴿ **لعلَّكُمْ تَذَكَّرُون** ﴾ أن القادر على إحياء الأرض الميتة قادر على إحياء الموتى من الناس بلا شك.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ** ﴾ الأرض الكريمة التربة ﴿ **يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ** ﴾ وافياً حسناً غزير النفع بمشيئة الله وتيسيره ﴿ **والذي خَبُثَ** ﴾ كالأرض السبخة وهي الأرض ذات الملح ﴿ **لا يخرجُ** ﴾ نباته ﴿ **إلاَّ نكداً** ﴾ قليلاً عديم النفع . قال ابن عباس في الآية : مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ﴿ **كذلك نصرِّفُ الآياتِ** ﴾ نبين وجوه الحجج ونرددها ونكررها ﴿ **لقوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ وخص الشاكرين بالذكر لأنهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن . في الصحيحين (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به) .

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

[٥٩] ﴿ **لقدْ أرسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ ، فقال : يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ من إلـهٍ غَيْرُهُ** ﴾ مستحق للعبادة في الوجود ﴿ **إِنّي أخاف عَلَيْكُمْ** ﴾ إن تركتم عبادته أو عبدتم غيره ﴿ **عَذَابَ يوْمٍ عظِيمٍ** ﴾ هو يوم القيامة ، إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به ، أو يوم نزول العذاب عليهم ، وهو الطوفان .

[٦٠] ﴿ **قـالَ الملأُ مِنْ قَوْمِهِ** ﴾ أي : الأشراف ، أوالجماعة ﴿ **إِنَّا لَنَرَاكَ** ﴾ في دعوتك هذه إلى التوحيد ﴿ **في ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ لكونها خلاف ما وجدنا عليه آباءَنا .

[٦١] ﴿ **قالَ : يا قَوْمِ ليسَ بي ضلالَةٌ** ﴾ كما تدّعون ﴿ **ولكنّي رسولٌ** ﴾ إليكم ﴿ **منْ ربِّ العالَمِينَ** ﴾ . [٦٢] ﴿ **أُبلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي** ﴾ أي : ما أوحي إليّ من الأوامر والنواهي ﴿ **وأَنْصَحُ لَكُمْ** ﴾ وأقصد صلاحكم بإخلاص ﴿ **وأعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ** ﴾ منَ الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا من طريق الوحي . [٦٣] ﴿ **أوَعَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ** ﴾ موعظة ﴿ **من ربِّكُمْ على رَجُلٍ منكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ** ﴾ من العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ **ولِتَتَّقُوا** ﴾ التقوى : الخشية بسبب الإنذار ﴿ **ولعلّكم تُرحَمُونَ** ﴾ ولتُرحموا بالتقوى إن اتقيتم . [٦٤] ﴿ **فكذَّبُوهُ** ﴾ فأصَرُّوا على تكذيبه مع طول مدة إقامته فيهم ولم يؤمن معه منهم إلا قليل ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ والَّذِينَ مَعَهُ في الفُلْكِ** ﴾ وهي السفينة وقصتها معروفة مشهورة ﴿ **وأغْرَقْنَا الذِينَ كذَّبُوا بآياتنا إنّهم كانُوا قوْماً عَمِينَ** ﴾ عموا عن الحق ولم يستنيروا بنور الوحي ولا بظهور الآيات . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما عذّب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم ، وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز . [٦٥] ﴿ **وإلى عَادٍ** ﴾ وأرسلنا إلى قبيلة عادٍ ، وكانوا مشركين يعبدون الأصنام وذوي بأس وقوة ، قهروا الناس واستكبروا عليهم ﴿ **أخَاهُمْ هُوداً** ﴾ أي : أخاهم في النَّسب ، وإنما أرسل منهم لأنهم أفهم لقوله من قول غيره ، وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وشرف أصله ﴿ **قالَ** ﴾ هود ﴿ **يا قوْمِ اعبُدُوا اللَّهَ** ﴾ وحدَه ﴿ **ما لكُمْ من إلهٍ غيرُهُ أفلا تَتَّقُونَ** ﴾ أفلا تخافون عذابه ؟ [٦٦] ﴿ **قالَ الملأ الذينَ كفَرُوا منْ قوْمِهِ : إنَّا لَنَرَاكَ في سَفَاهَةٍ** ﴾ أي : سخافة عقل إذ تهجر دين قومك إلى دين آخر ﴿ **وإنَّا لنظنُّكَ منَ الكَاذِبينَ** ﴾ في ادعائك الرسالة ، إذ استبعدوا أن يُرسلَ الله أحداً من أهل الأرض إليهم . [٦٧] ﴿ **قال : يا قوم ليسَ بي سفاهةٌ ولكنّي رسولٌ من ربِّ العالمينَ** ﴾ إليكم .

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

[٦٨] ﴿ **أبلِّغُكُمْ رِسَالاتِ ربِّي وأنا لكم ناصحٌ** ﴾ فيما آمركم به من عبادته تعالى وحده ﴿ **أمينٌ** ﴾ على تبليغ الرسالة ، لا أكذب فيه .

[٦٩] ﴿ **أوَعَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن ربِّكُمْ على رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ** ﴾ أيامَ الله ولقاءَه . والمعنى : لا تعجبوا واحمدوا الله على ذلكم ﴿ **واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** ﴾ خلفتموهم في مساكنهم أو أن جعلكم ملوكاً بعدهم ﴿ **وزادكُمْ في الخلْق بَسْطَةً** ﴾ أي : قامة وقوّة ﴿ **فَاذْكُروا آلاءَ اللَّهِ** ﴾ الآلاء : النعم ، أي : في استخلافكم ، وبسطة أجرامكم وما سواها من عطاياه لتخصصوه بالعبادة ﴿ **لعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ أي : تفوزون بالنَّعيم .

[٧٠] ﴿ **قالُوا : أجئتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وحْدَهُ ونَذَرَ مَا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فأتِنا بِمَا تَعِدُنا** ﴾ من العذاب ﴿ **إنْ كُنْتَ من الصَّادقينَ** ﴾ أي في الإخبار بنزول العذاب .

[٧١] ﴿ **قالَ : قدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ من ربِّكُمْ رِجْسٌ** ﴾ العذاب ﴿ **وغَضَبٌ** ﴾ سخط ﴿ **أتُجادِلُونني في أسْماءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أنْتُمْ وآباؤُكُمْ** ﴾ أي : في أشياء ما هي إلا أسماء لا حقيقة لها ، فأنتم تسمونها : آلهة ، وما هي كذلك ﴿ **مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِها من سُلْطَانٍ** ﴾ أي : حجة ودليل على هذه التسمية ﴿ **فانْتَظِرُوا** ﴾ نزول العذاب الذي طلبتموه لأنكم مصرّون على العناد ﴿ **إنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرينَ** ﴾ لما يحل بكم .

[٧٢] ﴿ **فَأَنْجَيْناهُ والَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ ممن آمن به ﴿ **برَحْمَةٍ مِنَّا وقَطَعْنا دابِرَ الذين كذَّبُوا بآياتِنا** ﴾ أي : أستأصلناهم ، والدابر بمعنى : الآخر ﴿ **وَمَا كانُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ قال الطيبيّ : يعني إذا سمع المؤمن أن الهلاك اختص بالمكذبين ، وعلم أن سبب النجاة هو الإيمان لا غير تزيد رغبته فيه ويعظم قدره عنده .

[٧٣] ﴿ **وإلى ثمودَ** ﴾ وأرسلنا إلى قبيلة ثمود ، وهي من قبائل العرب ومساكنهم بين الحجاز والشام . [قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح ، أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكانت ثمود بعد عاد ، ومساكنهم مشهورة بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ، وقد مرَّ رسول الله ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع . قال الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما نزل رسول الله ﷺ بالناس في تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور ، فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا ، وقال ﷺ : (إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم) . وقال أحمد أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم) ـ ابن كثير] ﴿ **أخاهُمْ صَالحاً** ، قال : **يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ ، قدْ جاءَتْكُمْ بيِّنَةٌ من ربِّكُمْ** ﴾ أي حجّة ظاهرة للدلالة على صحة نبوّتي ﴿ **هذهِ ناقَةُ اللَّهِ لكُمْ آيةً** ﴾ خلقها حجة وعلامة على رسالتي ﴿ **فَذَرُوهَا** ﴾ فاتركوها ولا تمنعوها ﴿ **تأْكُلْ في أرضِ اللَّهِ ولا تمسُّوها بِسُوءٍ** ﴾ فلا تضربوها ولا تطردوها ولا تصيبوها بشيء من الأذى ﴿ **فَيأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾ في الدنيا والآخرة .

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿ واذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ من بَعْدِ عَادٍ وبَوَّأَكُمْ في الأَرْضِ ﴾ أي : أنزلكم في أرض الحجر . والمباءة : المنزل ﴿ تتَّخِذُونَ من سُهُولِهَا قُصُوراً ﴾ تبنونها لتسكنوها أيام الصيف ﴿ وتنحتُونَ الجبالَ بُيُوتاً ﴾ لتسكنوها أيام الشتاء ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ ﴾ أي : نعمه عليكم ﴿ ولاَ تَعْثَوْا ﴾ عاث : أفسد ، والعيث : الإفساد ﴿ في الأَرضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالمعاصي وعبادة غيره تعالى .

[٧٥] ﴿ قَالَ المَلأُ الذينَ استكبَرُوا ﴾ عن الإيمان بعد ظهور آية النّاقة والكلمات الناصحة ﴿ منْ قَوْمِهِ للذينَ استُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي : قالوا للمؤمنين الذي استضعفوهم واسترذلوهم ﴿ أتَعْلَمُونَ أن صالحاً مُرْسَلٌ من ربِّه ﴾ قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ﴿ قَالُوا : ﴾ أي : المستضعفون ﴿ إنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٧٦] ﴿ قَالَ الذينَ اسْتَكْبَرُوا إنَّا ﴾ غلوّاً في الإصرار ﴿ بالَّذي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ .

[٧٧] ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ قطعوا قوائمها بالسيف وهي قائمة ثم نحروها ، وفي الحديث : (لا عقر في الإسلام) أخرجه أبو داود ﴿ وعَتَوْا عن أمرِ ربِّهِمْ ﴾ واستكبروا عن طاعته وعبادته وحده ، وزادوا في الاستهزاء ﴿ وَقَالُوا : يا صَالِحُ ائتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب على عقر الناقة ﴿ إنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾ .

[٧٨] ﴿ فَأَخذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ ﴾ أي : الصيحة التي يحصل منها الزلزلة الشديدة ، بدل صوت الناقة عند عقرها ، وبدل حركتها عند نزع الروح ﴿فأَصْبَحُوا في دارِهِمْ﴾ في بلادهم أو مساكنهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ ساقطين على وجوههم، هامدين لا يتحركون، ميتين بدل موت الناقة وسقوطها .

[٧٩] ﴿فَتَولّى﴾ فأعرض صالح ﴿عَنْهُمْ، وقال: يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لكُمْ﴾ فأمرتكم بكل خير، ونهيتكم عن كل شرّ ﴿ولكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ من الرسل والأنبياء العلماء. [ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ وقف على القليب ـ قليب بدر ـ يقول (يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، ويا فلان ويا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ما تكلم من أقوام قد جيفوا! فقال ﷺ: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، لكن لا يجيبون). وهكذا قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ الآية ـ ابن كثير] .

[٨٠] ﴿ وَلُوطاً ﴾ وأرسلنا لوطاً ، ومعناه في العربية : ملفوف أو مُرّ ، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام ، سكن مدينة سدوم فبعثه الله إلى أهلها وإلى ما جاورها من القرى فصار يدعوهم إلى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والفواحش التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين وهي إتيان الذكور بدل الإناث ﴿ إذْ قالَ لِقَوْمِهِ : أتأتُونَ الفَاحِشَةَ ﴾ أي : الفعلة المتناهية في القبح ﴿ ما سبقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ ﴾ ما عملها أحد قبلكم . [٨١] ﴿ إنّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ الذين خلقهم الله ليأتوا النساء لا ليأتيهم الرجال ﴿ شَهْوَةً من دُونِ النِّسَاءِ ﴾ اللواتي خلقن لذلك ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد .

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٢] ﴿ **وَمَا كانَ جَوابَ قَوْمِهِ** ﴾ المستكبرين ﴿ **إلاّ أن قالوا: أخرِجُوهُمْ** ﴾ أي: لوطاً والمؤمنين معه ﴿ **مِنْ قَرْيَتِكُمْ** ﴾ بلدكم ﴿ **إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ سخرية بهم وبتطهرهم عن الفواحش، وافتخار بما كانوا فيه من القذارة. ولمّا همّ قوم لوط بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم أخرجه الله تعالى سالماً، وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين.

[٨٣] ﴿ **فَأَنْجَيْناهُ وأَهْلَهُ** ﴾ قال ابن كثير: ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط ﴿ **إلاّ امْرَأَتَهُ** ﴾ فإنا لم ننجها لخبثها، كانت على دين قومها وتمالئهم عليه، وتُعْلِمُهم بمن يقدم عليه من الضيوف بإشارات بينها وبينهم ﴿ **كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ** ﴾ الذين غبروا في ديارهم، أي: بقوا فهلكوا.

[٨٤] ﴿ **وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً** ﴾ وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً غير معروف من ذي قبل وهو مبين في قوله تعالى: ﴿وأَمْطَرْنا عليهم حِجارةً من سِجِّيلٍ﴾ [سورة الحجر، الآية ٧٤] أي طين متحجر ﴿ **فانْظُرْ كيفَ كانَ عَاقِبَةُ المُجْرِمِينَ** ﴾ الذين أجرَموا بالكفر وعمل الفواحش، كيف أهلكناهم. [وذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فُعل بقوم لوط. وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجم سواءٌ كان محصناً أو غير محصن، وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله، والحجة ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال آخرون: هو كالزاني فإن كان محصناً رجم، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة، وهو القول الآخر للشافعي. وأما إتيان النساء في الأدبار فهو اللوطية الصغرى، وهو حرام بإجماع العلماء إلا قولاً شاذاً لبعض السلف ـ ابن كثير].

[٨٥] ﴿ **وإلى مَدْيَنَ** ﴾ وأرسلنا إلى مَدْين وهم من سلالة مدين بن إبراهيم، وهم أصحاب الأيكة ﴿ **أخاهُمْ شُعَيْباً، قالَ: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بيِّنَةٌ منْ ربِّكُمْ** ﴾ أي: ما تبيّن به الحق من الباطل، يعني دعوته وإرشاده ﴿ **فَأَوْفُوا الكَيْلَ والميزانَ** ﴾ فأتمّوها للنّاس بإعطائهم حقوقهم ﴿ **ولا تَبْخَسُوا النّاسَ أشْياءَهُمْ** ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم ﴿ **وَلا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ** ﴾ بالكفر والظلم ﴿ **بَعْدَ إصْلاحِها** ﴾ بعدما أصلح الأنبياء وأتباعهم الصالحون أمرها بالتزامهم بشرع الله ﴿ **ذلِكُمْ خيرٌ لكُمْ إن كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ** ﴾ مصدِّقين قولي.

[٨٦] ﴿ **ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ** ﴾ لا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس الغرباء، تضربونهم وتخوفونهم، وتأخذون ثيابهم، وتتوعّدونهم بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم ﴿ **وَتَصُدُّونَ عن سَبيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وتَبْغُونَها عِوَجاً** ﴾ أي: تصرفون عن دين الله وطاعته من آمنَ بشُعَيْب وتطلبون لها عوجاً بإلقاء الشبهات، ووصفها بما ينقصها لتغييرها ﴿ **واذْكُرُوا إذْ كُنْتُمْ قليلاً فكَثَّرَكُمْ** ﴾ بالعدد والعُدَّة، فاشكروا نعمة الله عليكم ﴿ **وانظُرُوا كيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ** ﴾ من الأمم الخالية والقرون الماضية وما حلّ بهم من العذاب.

[٨٧] ﴿ **وإنْ كانَ طائفةٌ منكُمْ آمَنُوا بالّذِي أُرْسِلْتُ به وطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا** ﴾ فصرتم فريقين، مؤمن وكافر ﴿ **فَاصْبِرُوا حتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنا** ﴾ بنصر أهل الحق على أهل الباطل ﴿ **وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ** ﴾ لأنه منزه عن الجور في حكمه.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

(الجزء ٩) (الحزب ١٧)

[٨٨] ﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ عن الإيمان ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ والذينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أو لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنَا ﴾ أي : مِلَّة المشركين . والمِلَّة : الديانة ﴿ قالَ ﴾ شعيب ﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ ﴾ أي : أتجبروننا على ذلك ، وإن كنّا كارهين له ؟

[٨٩] ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا على اللَّهِ كَذِباً ﴾ أي : اختلقنا عليه باطلاً بأنَّ له شريكاً ﴿ إنْ عُدْنا في مِلَّتِكُم بَعْدَ إذْ نجَّانا اللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ ﴾ وما ينبغي ﴿ لَنا أنْ نَعُودَ فيها ﴾ في ملّة الشرك ﴿ إلاّ أنْ يشاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كلَّ شيءٍ عِلْماً ﴾ فعلم استعداد كل واحد في كل وقت ﴿عَلى اللَّهِ توكَّلنا ﴾ ليحفظنا عن المصير إليها ﴿ ربَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وبيْنَ قَوْمِنا بالحقِّ ﴾ فانصرنا عليهم ﴿ وأنتَ خَيْرُ الفاتِحِينَ ﴾ أي : خير الحاكمين .

[٩٠] ﴿ وقالَ المَلأُ الذينَ كفروا منْ قومِه لئِنِ اتَّبعتُم شُعَيْباً ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ إنّكم إذاً لخَاسِرُونَ ﴾ أي : لجاهلون مغبونون .

[٩١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ أي : الزلزلة الشديدة ﴿ فأَصْبَحُوا في دارِهِمْ ﴾ في مدينتهم ﴿ جاثِمينَ ﴾ ساقطين ميّتين .

[٩٢] ﴿ الذينَ كذَّبُوا شُعَيْباً كأن لمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي : استؤصلوا بالمرة ، صاروا كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها ﴿ الذينَ كذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الخاسِرين ﴾ ديناً ودُنيا .

[٩٣] ﴿ فَتولَّى عنهم ﴾ فأعرض عن شفاعتهم والحزن عليهم ﴿ وقَالَ : يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي ونَصَحْتُ لكُمْ ﴾ حذّرتكم من عذاب الله ، ودعوتكم إلى التوبة والإيمان لكنكم كفرتم ﴿ فكيف آسى ﴾ أحزن حزناً شديداً ﴿ على قَوْمٍ كافِرِينَ ﴾ بالله إن هلكوا ، فضلاً عن أن أشتغل بشفاعتهم . يعني لا يأسى عليهم ، لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى .

[٩٤] ﴿ وَمَا أرسَلْنَا في قَرْيَةٍ من نبيٍّ ﴾ كذّبه أهلُها ﴿ إلاّ أخَذْنا أهْلَها ﴾ قبل الإهلاك الكلّي ﴿ بالبَأْسَاءِ ﴾ شدة الفقر ﴿ والضَّرَّاءِ ﴾ المرض ﴿ لعلَّهُمْ يضَّرَّعُونَ ﴾ ليتضرَّعوا ويتذللوا ، فيؤمنوا .

[٩٥] ﴿ ثُمَّ بدَّلْنا مكان السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ ﴾ أي : أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء كالشدة والمرض السعةَ والصحةَ ﴿ حتَّى عَفَوْا ﴾ أي : كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم ﴿ وَقَالُوا : قَدْ مسَّ آباءَنا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ ﴾ والمعنى : أن الله تعالى ابتلاهم بالسيئة لينيبوا إليه ، فما فعلوا ، ثم أكرمهم بالحسنة ليشكروا فما فعلوا ، فلما لم ينجح فيهم هذا ولا ذاك أخذهم بالعذاب ﴿ فأَخَذْنَاهُمْ بغتَةً وهم لا يَشْعُرونَ ﴾ وأشد الأخذ وأفظعه أخذ الفجأة من غير شعور منهم [وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين : (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له) . فالمؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضرّاء والسرّاء ، ولهذا جاء في الحديث : (لا يزالُ البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً من ذنوبه ، والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيم ربطه أهله ولا فيم أرسلوه) ، أو كما قال ـ ابن كثير] .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

[٩٦] ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهلَ القُرى** ﴾ المُهْلَكة ﴿ **آمَنوا** ﴾ بالله ورسله ﴿ **واتَّقَوْا** ﴾ وابتعدوا عن الكفر والمعاصي ﴿ **لَفتحْنَا عليهم بركاتٍ من السَّماءِ والأرْضِ** ﴾ لوسَّعنا عليهم الخير ويسّرناه لهم من كل جانب ﴿ **ولكنْ كذَّبُوا** ﴾ الرسل ﴿ **فَأَخَذْناهُمْ** ﴾ عاقبناهم ﴿ **بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ من الكفر والمعاصي .

[٩٧] ﴿ **أفأمِنَ أهْلُ القُرى** ﴾ المذكورة سابقاً ﴿ **أن يأتيَهُمْ بأسُنا** ﴾ عذابنا ﴿ **بَيَاتاً** ﴾ ليلاً ﴿ **وَهُمْ نائِمُونَ** ﴾ .

[٩٨] ﴿ **أوَأمِنَ أهْلُ القُرى أنْ يأتيَهم بَأْسُنا ضُحىً وهُمْ يلْعَبُونَ** ﴾ يخوضون في الباطل ويلهون من فرط الغفلة .

[٩٩] ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ** ﴾ وهو أخذه العبد من حيث لا يحتسب ﴿ **فَلَا يأْمَنُ مَكْرَ اللَّـهِ إلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ** ﴾ الذي خَسِرُوا عقولهم ، وأضاعوا فطرة الله التي فطر النّاس عليها . قالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها : ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام ؟ فقال : يا بنتاه إن أباك يخاف البيات . أراد قوله ﴿ أن يأتيهم بأسنا بياتاً ﴾ . وقال الحسن البصري : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن .

[١٠٠] ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ** ﴾ يتبين ﴿ **للذينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بعْدِ أَهْلِهَا** ﴾ الذين أهلكهم الله بذنوبهم ﴿ **أنْ لوْ نشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنوبِهِمْ** ﴾ كما أصبنا مَنْ قبلهم فأهلكناهم مثلهم ﴿ **ونطبعُ على قُلوبِهم فهُمْ لا يَسْمَعُونَ** ﴾ نختم عليها فلا يقبلون موعظة ولا إيماناً .

[قال ابن عباس رضي الله عنهما : المعنى أولم يتبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، وقال ابن جرير في تفسيرها : أولم يتبين للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وعتوا على ربهم - ابن كثير] .

[١٠١] ﴿ **تلكَ القُرى** ﴾ المذكورة وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب ﴿ **نَقُصُّ عَلَيْكَ من أَنْبائِهَا** ﴾ مما يدل على مؤاخذتهم بذنوبهم، لإصرارهم عليها ﴿ **ولقدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا** ﴾ عند مجيء الرسل بالبيّنات والدلائل ﴿ **بِمَا كذَّبُوا من قبلُ** ﴾ أي : بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم [قال أُبيّ بن كعب : كان في علمه يوم أقروا له بالميثاق، وقال ابن جرير: وذلك أن من سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه من لا يؤمن به، فلن يؤمن أبداً، وقد كان سبق في علم الله تبارك وتعالى لمن هلك من الأمم التي قصّ نبأهم في هذه السورة أنه لا يؤمن أبداً، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم] ﴿ **كَذلِكَ يطبعُ اللَّهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ** ﴾ من المذكورين وغيرهم ، لما علم أنهم يختارون الثبات على الكفر .

[١٠٢] ﴿ **وَمَا وجدْنَا لأكثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ** ﴾ أي : من وفاء عهد ﴿ **وإن وَجَدْنا أكثرَهُمْ لفاسِقِينَ** ﴾ خارجين عن الطاعة ، فلذلك أخذناهم .

[١٠٣] ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِم** ﴾ أي : من بعد الرسل المتقدم ذكرهم ﴿ **مُوسَى بآياتِنا** ﴾ بدلائل النبوة والمعجزات ﴿ **إلى فِرْعَوْنَ** ﴾ وهو لقب لملك مصر في عهد موسى ﴿ **ومَلئِهِ** ﴾ أي : قومه ﴿ **فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾ فكفروا بها ﴿ **فانظرْ كيفَ كانَ عاقبةُ المُفْسِدِينَ** ﴾ أغرقهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه . [١٠٤] ﴿ **وقالَ مُوسَى : يا فِرْعَوْنُ إنّي رسولٌ من ربِّ العالَمِينَ** ﴾ أرسلني إليكَ خالقُ كل شيءٍ وربُّه .

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

[١٠٥] ﴿ حقيقٌ على أنْ لا أقولَ عَلَى اللَّهِ إلَّا الحقَّ ﴾ أي : جدير بذلك وحريّ به ﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ ببيِّنَةٍ مِنْ ربِّكُمْ ﴾ أي : آية منه تشهد على صدقي فيما جئتكم به ﴿ فأرْسِلْ مَعِيَ بني إسرائيلَ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ قالَ ﴾ فرعون لموسى ﴿ إنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فأْتِ بِهَا إن كنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

[١٠٧] ﴿ فألْقَى عَصَاهُ فإذَا هي ثُعْبَانٌ ﴾ حية كبيرة هائلة ﴿ مُبِينٌ ﴾ ظاهر ليس خيَالاً .

[١٠٨] ﴿ ونَزَعَ يَدَهُ ﴾ أي : أخرجها من درعه بعدما أدخلها فيه ﴿ فَإذَا هيَ بَيْضَاءُ للنَّاظِرِينَ ﴾ بياضاً نورانيًّا خَارجاً عن العادة .

[١٠٩] ﴿ قالَ الملأُ من قوم فِرْعَوْنَ ﴾ وهم الأشراف الذين يكرهون شرف الغير عليهم ، في دفع هذه الآيات الظاهرة عن خواطر الخلق ﴿ إنَّ هـذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ماهرٌ في فن السحر .

[١١٠] ﴿ يُريدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ ﴾ من أرض مصربسحره، قال فرعون ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ فبم تشيرون في أمره .

[١١١] ﴿ قَالُوا : أرْجِهْ وأخاهُ ﴾ أخِّر أمرهما وتدبر شأنهما . وأصلُ أرْجِه : أرجئه ﴿ وأرسِلْ في المدائِنِ ﴾ مدائن الصعيد في مصر ﴿ حَاشِرِينَ ﴾ من يحشر لك السحرة ويجمعهم . [وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهراً ، واعتقد من اعتقد منهم ، وأوهم منهم أن ما جاء موسى به عليه السلام من قبيل ما تشعبذه سحرتهم ، فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات ، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال : ﴿ أجِئتَنا لتُخرجَنا من أرضنا بسحرِكَ يا موسى ۞ فلنأتينّك بسحرٍ مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى ﴾ ، سورة طه الآيتان رقم : ٥٧ و٥٨ ـ ابن كثير].

ربع الحزب ١٧

[١١٢] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم ﴾ ماهرٍ في السحر . ثم تسابقت شُرطُ فرعون فحشروهم .

[١١٣] ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ، قالوا : إنَّ لَنا لأَجْراً إن كنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ ﴾ .

[١١٤] ﴿ قالَ ﴾ فرعونُ ﴿ نَعَمْ ، وإنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ ﴾ .

[١١٥] ﴿ قَالُوا : يا مُوسَى إمَّا أنْ تُلْقِيَ وإمَّا أنْ نكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ ﴾ أي : أول من ألقى .

[١١٦] ﴿ قالَ ﴾ موسى لهم ﴿ ألْقُوا ﴾ ما أنتم مُلقونَ ﴿ فَلَمَّا ألْقَوْا سَحَرُوا أعْيُنَ النَّاسِ ﴾ أي : خيَّلُوا لهم ما ليس في الواقع ﴿ واسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ وخوَّفُوهم وأفزعوهم بما فعلوا من السحر ﴿ وجاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم ﴾ .

[١١٧] ﴿ وَأَوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ ألْقِ عَصَاكَ فَإذَا هيَ تَلْقَفُ ﴾ أي : تبتلع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يلقونه ويوهمون أنه حق ، وهو باطل .

[١١٨] ﴿ فَوَقَعَ الحَقُّ ﴾ أي : ثبت الإعجاز بما صنع موسى ﴿ وبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من السحر .

[١١٩] ﴿ فَغُلِبُوا هُنالِكَ ﴾ في المكان الذي اجتمع فيه أهل مصر ﴿ وانْقَلَبُوا ﴾ ورجعوا ﴿ صَاغِرِينَ ﴾ أذلاّء .

[١٢٠] ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ بما عرفوا من الحق .

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

[١٢١] ﴿ **قالُوا : آمنَّا بربِّ العَالَـمِينَ** ﴾ .

[١٢٢] ﴿ ربِّ مُـوسَى وهَـارُونَ ﴾ [قال محمـد بن إسحـاق : جعلت تتبع تلـك الحبـال والعصي واحـدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذهـا موسى فإذا هي عصا في يـده كما كانت ، ووقع السحرة سجَّداً ، قالـوا : ﴿ آمنا بـرب العالمين * رب موسى وهـارون ﴾ لو كان هـذا ساحراً ما غلبنـا . وقال القاسم بن أبي برة : أوحى الله إليه أن ألقِ عصاك فألقى عصـاه فإذا هي ثعبان مبين فـاغـرٌ فاه ، يبتلع حبـالهم وعصيِّهم ، فألقي السحـرة عنـد ذلك سجَّداً فما رفعـوا رؤوسهم حتـى رأوا الجنـة والنـار وثـواب أهلها ـ ابن كثير].

[١٢٣] ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ : آمَنْـتُمْ بِهِ قَبْلَ أن آذَنَ لَكُمْ ، إنَّ هَذَا** ﴾ الـذي صنعتمـوه من السحـر ﴿ **لَـمَكْرٌ مكرتُـمُوهُ** ﴾ أي : حيلـة دبـرتموهـا أنتم ومـوسى ﴿ **في المدينة** ﴾ أي : مصر ﴿ **لِتُخْرِجُـوا مِنها أهْلَهَـا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ أي : يهددهم ويتوعدهم بما يلي :

[١٢٤] ﴿ **لأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُمْ وَأرْجُلَـكُم مِنْ خِلافٍ** ﴾ أي : من كل جـانب بشكل متعـاكس كـاليـد اليمنى والـرجل اليسرى أو بـالعكس ﴿ **ثُمَّ لأُصَلِّبَـنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ تنكيـلاً لكم وبأمثالكـم . قال ابن عبـاس : وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون .

[١٢٥] ﴿ **قالُوا إنَّا إلى رَبِّنا مُنقلبونَ** ﴾ أي : راجعون إليه يوم القيامة ، فلا نبالي بما تهددنا به .

[١٢٦] ﴿ **وما تَنْقِمُ مِنَّـا إلاَّ أنْ آمنَّا بآياتِ ربِّـنا لمَّا جاءَتْنا** ﴾ أي : ما تعيب علينا إلا الإيمان بـآيات الله ﴿ **ربَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنَاصَبْراً** ﴾ لنثبت على دينك ﴿ **وتوفَّنا مُسْلِمِينَ** ﴾ ثابتين على الإسلام .

[١٢٧] ﴿ **وقالَ الملأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ** ﴾ خوفاً من انقلاب الناس عليهم حين رأوا إسلام السحرة وعدم مبالاتهم بالتهديد ﴿ **أتَذَرُ مُوسى وقومَه لِيُفْسِدوا في الأرضِ** ﴾ أي : أتتركهم يـدلون عقيـدة النـاس فيك في مملكتك ﴿ **ويَذَرَكَ وآلِهَـتَك** ﴾ وكـان للمصريين آلهة كثيرة ﴿ **قالَ** ﴾ فرعون ﴿ **سنُـقَـتِّـلُ أبناءَهُمْ** ﴾ من الذكور ﴿ **ونَسْتَحْيي نِساءَهُمْ** ﴾ نبقي عليهن للاستخدام ﴿ **وإنَّا فوْقَهُمْ قَاهِرُونَ** ﴾ غالبون وقادرون .

[١٢٨] ﴿ **قالَ موسى لقومه : استعينوا باللَّهِ واصبِرُوا** ﴾ على أذاهم ﴿ **إنَّ الأرضَ لله يُورِثُها** ﴾ يعطيها ﴿ **من يشاءُ من عبادِهِ ، والعاقبةُ للمتَّقينَ** ﴾ يعني أن النصر والظفر للمتقين على عدوّهم .

[١٢٩] ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي : قوم موسى ﴿ **أُوذِينا** ﴾ أي : وقع علينا الإذلال من فرعون وجنوده ﴿ **مِنْ قبلِ أنْ تأتِينا** ﴾ بالرسالة ﴿ **ومِنْ بعد ما جئتنا** ﴾ بها ﴿ **قال : عسى ربُّـكم أن يُهلِكَ عَدُوَّكم** ﴾ فرعون وجنوده ﴿ **ويستخلِفَكُمْ في الأرْضِ فينظرَ كيفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ ليجازيكم على حسب عملكم .

[١٣٠] ﴿ **ولقدْ أخذْنا آلَ فِـرْعَونَ بالسِّنينَ** ﴾ أي بالجدب والقحط ﴿ **ونقْصٍ مِنَ الثَّمراتِ لعلَّهم يـذَّكَّرون** ﴾ يتَّعظون فيرجعوا عما هم فيـه من الكفر ويطيعون موسى .

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿ **فإذا جاءتْهُمُ الحَسَنَةُ** ﴾ أي : الصحة والخصب ﴿ **قالوا : لنا هذِهِ** ﴾ أي نحن نستحقها ، ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم ، فيشكروه ﴿ **وإن تُصبهم سيِّئةٌ** ﴾ أي : شدة ﴿ **يطَّيَّرُوا بموسى ومنْ معَه** ﴾ أي : يتشاءموا منهم ﴿ **أَلا إنَّما طائرهم عندَ اللَّهِ ، ولكنَّ أكْثرَهم لا يَعْلَمُونَ** ﴾ أن ما أصابهم من الله تعالى .

[١٣٢] ﴿ **وقالوا** ﴾ أي : قوم فرعون ﴿ **مهما تأتنا به منْ آيةٍ لتسْحَرَنَا بها فما نحنُ لكَ بمؤمنين** ﴾ بمصدقين بالرسالة .

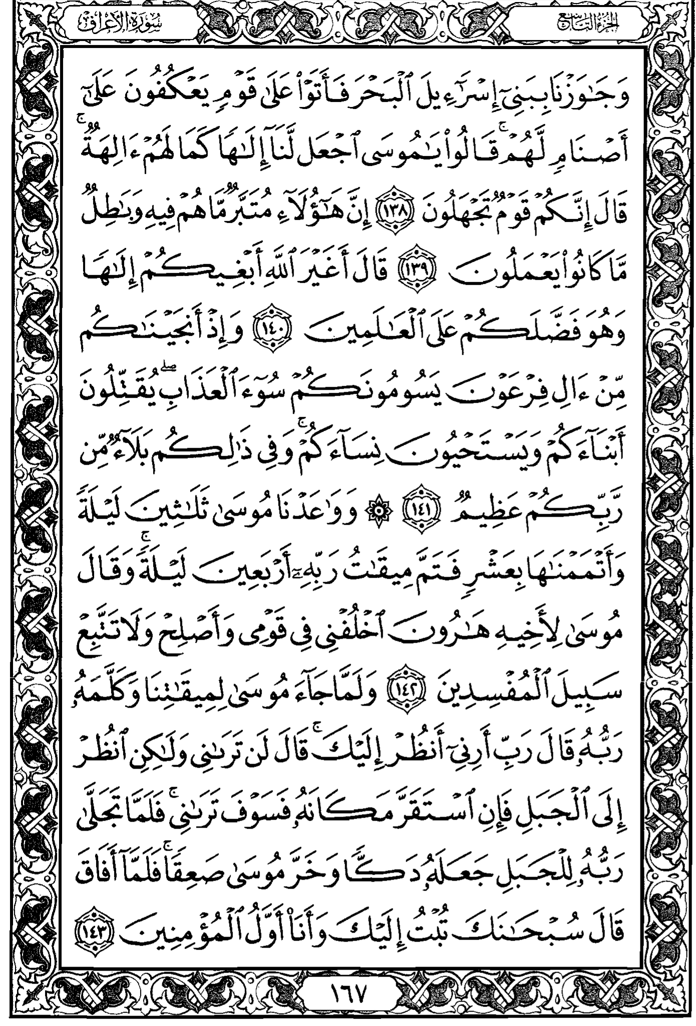
[١٣٣] ﴿ **فأرْسَلْنَا عليهمُ** ﴾ على آل فرعون ﴿ **الطُّوفَانَ** ﴾ الذي أتلف المزروعات ﴿ **والجَرادَ** ﴾ فأكل ما تركه الطوفان من العشب والثمر ﴿ **والقُمَّلَ** ﴾ وهو الحشرات المعروفة ﴿ **والضَّفَادِعَ** ﴾ التي خرجت من أماكن إقامتها وعمت أرض مصر ﴿ **والدَّمَ** ﴾ فصارت مياه مصر جميعها دماً ، ومات السمك فيها ، وأنتنت الأنهار ، ولم يستطع المصريون الشرب منها ﴿ **آياتٍ مفصَّلاتٍ** ﴾ علامات مبينات لا يخفى على عاقل أنها نقمة الله عليهم ، أو أنها توالت عليهم متفرقات بعضها إثر بعض ﴿ **فاستَكْبَرُوا** ﴾ عن الإيمان ، فلم يؤمنوا لموسى ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ﴿ **وكانوا قوماً مُجْرِمينَ** ﴾ عاصين كافرين . [روى ابن ماجه عن أنس وجابر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا دعا على الجراد قال : (اللهم أهلك كِباره ، واقتل صغاره ، وأفسد بيضه ، واقطع دابره ، وخذ بأفواهه عن معايشنا وارزقنا إنك سميع الدعاء) ـ ابن كثير] .

[١٣٤] ﴿ **ولما وقعَ عليهم الرِّجزُ** ﴾ أي : نزل بهم العذاب المفصل في الآية السابقة ﴿ **قَالُوا : يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّك بِمَا عَهِدَ عِندَكَ** ﴾ أي : بعهده عندك وهو النبوّة ﴿ **لئن كَشَفْتَ عنَّا الرِّجْزَ** ﴾ العذاب المذكور ﴿ **لنُؤْمِنَنَّ لكَ ولَنُرْسِلَنَّ مَعَك بني إسْرائيلَ** ﴾ ليعبدوا ربهم تعالى .

[١٣٥] ﴿ **فلمَّا كَشَفْنَا عنهُمُ الرِّجْزَ إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ** ﴾ يعني إلى الوقت الذي أُجِّل لهم ، وهو وقت إهلاكهم بالغرق في اليمّ ﴿ **إذا همْ ينكُثُونَ** ﴾ ينقضون العهد الذي التزموه ولا يفون به ، فإن فرعون كان كلما حلّ بمصر نقمة مما تقدم يدعو موسى ويطلب منه أن يشفع إلى الله تعالى بكشفها ويعده أنها إذا كشفت أطلق شعبه لعبادته تعالى حتى إذا كشفت أخلف ما وعد وقسا قلبه ، ولما لم يتعظوا بما شاهدوه مما تقدم أتتهم النقمة القاضية .

[١٣٦] ﴿ **فانتَقمنَا منْهُم فأَغْرَقْناهُم في اليَمِّ** ﴾ أي : البحر ﴿ **بأنَّهم كذَّبُوا بآياتنا وكانُوا عَنْها غَافِلينَ** ﴾ كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى وإعراضهم وعدم تفكرهم ومبالاتهم بها .

[١٣٧] ﴿ **وأَوْرَثْنا القوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ** ﴾ بالاستعباد وقتل الأبناء ﴿ **مَشَارِقَ الأرضِ ومغارِبَها** ﴾ أي : جوانب الأرض المقدسة الشرقية والغربية ﴿ **التي باركنا فيها** ﴾ بالخصب والسعة ﴿ **وتَمَّتْ كلمةُ ربِّكَ الحُسْنى على بني إسرائيل** ﴾ أي مضت واستمرت عليهم ، وهي وعده إياهم بالنصر والتمكين ﴿ **بِمَا صَبَرُوا** ﴾ بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من فرعون وقومه ﴿ **ودمَّرْنَا** ﴾ خربنا وأهلكنا ﴿ **مَا كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وقَوْمُهُ** ﴾ من العمارات والقصور ﴿ **وَمَا كانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾ من الجنّات ، أو يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء ، كصرح هامان .


الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

١٦٧

[١٣٨] ﴿ **وجَاوَزْنا ببني إسرائيلَ البَحْرَ** ﴾ الذي أُغرق فيه أعداؤهم ، وهو البحر الأحمر ﴿ **فأتوْا على قوْمٍ يعكُفُون على أصنامٍ لهم** ﴾ يواظبون على عبادتها ويلازمونها ﴿ **قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً** ﴾ أي : صنماً نعكف عليه ﴿ **كما لَهُمْ آلهةٌ** ﴾ أصنام يعكفون عليها ﴿ **قالَ : إنّكم قومٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ شأن الألوهية وعظمتها ، وأنه لا يستحقها إلا الله وحده .

[١٣٩] ﴿ **إنَّ هؤلاَء** ﴾ عبدة تلك التماثيل ﴿ **مُتَبَّرٌ** ﴾ هالك ﴿ **ما هم فيهِ** ﴾ من الشرك ﴿ **وباطلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ من عبادة الأصنام . عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين مرّ بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : (سبحان الله هذا كما قال قوم موسى ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير وغيرهم .

نصف الحزب ١٧

وقال عيسى بن يونس : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعت ، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلُّون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة .

[١٤٠] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **أغيرَ اللّهِ أبغيكُم إلهاً** ﴾ أي : أطلب لكم معبوداً ، والاستفهام في الآية للإنكار والتعجب والتوبيخ ﴿ **وَهُوَ فضّلَكم على العَالَمِينَ** ﴾ خصكم بنعم لم يعطها غيركم .

[١٤١] ﴿ **وإذْ أنجيناكُم منْ آلِ فِرْعَوْنَ** ﴾ من فرعون وقومه ﴿ **يسومونكم سُوءَ العَذَابِ** ﴾ يقال : سامه الأمر يسومه ، كلفه إياه وألزمه ﴿ **يُقَتِّلُونَ أبناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وفي ذلِكُم بَلاءٌ من ربِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ .

[١٤٢] ﴿ **وواعَدْنا مُوسَى ثلاثين ليلةً وأتْمَمْنَاهَا بعشْرٍ فتمَّ ميقاتُ ربه أربعينَ ليلةً** ﴾ أمر الله تعالى موسى أن يصعد إلى جبل الطور ليؤتيه الشرائع التي كتبها على قومه ، فصعد موسى الجبل وأقام فيه أربعين يوماً أوتي فيها الألواح التي كتبت فيها شرائعهم ﴿ **وقالَ موسى لأخيه هارُونَ** ﴾ حين توجه للمناجاة ﴿ **اخْلُفْني في قوْمي** ﴾ كن خليفتي فيهم ﴿ **وأصْلِحْ ولا تتّبعْ سبيلَ المُفْسِدِينَ** ﴾ .

[١٤٣] ﴿ **ولمّاجَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنا** ﴾ في الوقت الذي وقّتناه له وحددناه لصعوده الجبل ﴿ **وكلّمَهُ ربُّهُ** ﴾ أي : خاطبه من غير واسطة مَلَك ﴿ **قال : ربِّ أرِني أنْظُرْ إليْكَ قالَ لن تَراني** ﴾ أي : لن تطيق رؤيتي ، لأن هذه البنية الآدمية في هذه النشأة الدنيوية ، لا طاقة لها بذلك ، لعدم استعدادها له ﴿ **ولكنْ انظر إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوف تراني** ﴾ أي : فإن ثبت مكانه حين أتجلى له ، ولم يتزلزل فسوف تراني ﴿ **فلمّا تجلّى ربُّهُ للجبلِ** ﴾ أي : ظهر وبَانَ له ﴿ **جَعَلَهُ** ﴾ التجلّي ﴿ **دكّاً** ﴾ مفتتاً ، فلم يستقر مكانه ﴿ **وخرَّ مُوسى صَعِقاً** ﴾ وقع مغشياً عليه من هول ما رأى ﴿ **فلمّا أفاقَ قال : سُبْحَانَكَ تُبتُ إليْكَ** ﴾ من الإقدام على سؤالي الرؤية ، لما تبين له من استحالة وقوعها في الدنيا ﴿ **وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ** ﴾ . [روى ابن جرير عن أبي العالية قال : كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة] .

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ
بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ
سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ
سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا
رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[١٤٤] ﴿ قالَ ﴾ المولى سبحانه ﴿ يا موسى إنّي اصطفيتُك على النَّاسِ ﴾ أي : اخترتك على أهل زمانك ، وآثرتك عليهم ﴿ برسالاتي وبكلامي ﴾ أي : وبتكليمي إياك ﴿ فخُذْ ما آتَيْتُكَ ﴾ ما أعطيتك من شرف النبوة والمناجاة ﴿ وكُن منَ الشَّاكِرِينَ ﴾ على النعمة في ذلك .

[١٤٥] ﴿ وكتبنا له في الألواحِ من كلِّ شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لكل شيءٍ ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فَخُذْها بقوَّةٍ ﴾ بعزم على العمل بما فيها ﴿ وأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ أي : بما أمروا به دون ما نهوا عنه [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه] ﴿ سَأُوريكُمْ دارَ الفَاسِقِينَ ﴾ هي الأرض التي وُعِدُوا بها من فلسطين . [وقال ابن جرير: سأوريه في الآخرة عند مصيره إليّ ﴿دار الفاسقين﴾ وهي نار الله التي أعدها لأعدائه] .

[١٤٦] ﴿ سأصرفُ عنْ آياتِ الَّذينَ يتكبرّونَ في الأَرْضِ ﴾ سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي ، عن قلوب المتكبرين عن طاعتي ، والمتكبرين على الناس ﴿ بغيرِ الحقِّ ﴾ يتكبرون بما ليس بحق ﴿ وإنْ يَرَوْا كُلَّ آيةٍ ﴾ من الآيات والبراهين المنزلة عليهم ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ تكبراً عليها ﴿ وإن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ يعني طريق الحق والهدى والاستقامة واضحاً ظاهراً ﴿ لا يتّخِذُوهُ سبيلاً ، وإن يَرَوْا سبيلَ الغيِّ ﴾ أي : الضلال عن الحق ﴿ يتَّخِذُوه سَبِيلاً ، ذلكَ بأنّهم كذَّبُوا بآياتنا وكانُوا عَنهَا غافِلِينَ ﴾ لاهين لا يتفكرون فيها ، ولا يتعظون بها .

[١٤٧] ﴿ والذينَ كذَّبُوا بآياتنا ولقاءِ الآخِرَةِ ﴾ أي : القيامة ﴿ حَبِطَتْ أَعْمالُهُم ﴾ أي : بطلت ﴿ هلْ يُجْزَوْنَ إلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي .

[١٤٨] ﴿ واتّخذ قوْمُ مُوسَى منْ بَعْدِهِ منْ حُليِّهِمْ عجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ ﴾ وهو العجل الذي صنعه لهم السامري مما استعاروه من حليّ المصريين وقد احتال بإدخال الريح في جوفه حتى صار يُسمع له خور كصوت البقر ، وكان ذلك كله بعد ذهاب موسى لميقات ربه ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يكلِّمُهُمْ ولا يهديهِمْ سبيلاً ﴾ فهو جماد لا ينفع ولا يضر ، فكيف يكون إلهاً؟ ﴿ اتّخذوهُ ﴾ إلهاً وعبدوه ﴿ وكانُوا ظالمينَ ﴾ لوضعهم الأشياء في غير مواضعها . [يخبر تعالى عن ضلال من ضلَّ من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حليّ القبط الذي كانوا استعاروه منهم ، فشكل لهم منه عجلاً ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلاً جسداً له خوار ، والخوار صوت البقر ، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى ، فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور . . . واختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحماً ودماً له خوار ، أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوّت كالبقر؟ على قولين ، والله أعلم ـ ابن كثير] .

[١٤٩] ﴿ ولمَّا سُقِطَ في أيْدِيهِمْ ﴾ أي : ندموا على عبادة العجل ﴿ ورأَوْا ﴾ أي : علموا وأيقنوا ﴿ أنَّهُمْ قد ضَلُّوا ﴾ عن الحق والهدى ﴿ قَالُوا : لئن لمْ يَرْحَمْنا ربُّنا ﴾ بقبول توبتنا ﴿ ويغفرْ لنا ﴾ ما قدّمنا من عبادة العجل ﴿ لنكونَنَّ من الخَاسِرِينَ ﴾ الذين خسروا أعمالهم وأعمارهم .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿ ولمَّا رَجَعَ موسى إلى قومِهِ غضبانَ أَسِفاً ﴾ شديد الغضب عليهم لعبادتهم العجل ﴿ قالَ : بِئسَما خَلَفْتُمُوني من بَعْدِي ﴾ أي : بئسما فعلتم في غيابي ومن خلفي . والخطاب إمّا لعبدة العجل من السامريّ وأتباعه ، أو لأخيه هارون والمؤمنين معه ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ ربِّكُمْ ﴾ أي : ميعاده فلم تصبروا لأتم الأربعين ، واستبطأتم نزولي من الجبل فصنعتم هذا الوثن ؟ ﴿ وألقى الألواحَ ﴾ من شدة الغضب فتكسرت ، وهي ألواح من الحجر كتب عليها الشرائع والوصايا الربانية .

[عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يرحم الله موسى ، ليس المعاين كالمخبر ، أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح ، فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح) ـ ابن كثير] . ﴿ وأخذَ برأسِ أخيهِ ﴾ أي : بشعره ﴿ يجرُّه إليهِ ﴾ ظنّاً منه أنه قد يكون قصر في نهيهم ﴿ قالَ : ﴾ هارون لموسى ﴿ ابنَ أُمَّ ﴾ وأصله : يا ابن أمي ، وذكر الأم ليرققه عليه ﴿ إنَّ القومَ استضعفوني وكادُوا يقْتُلونني ﴾ والمعنى : بذلت وسعي في نهيهم عن ضلالهم حتى تغلبوا عليَّ وكادوا يقتلونني ﴿ فَلاَ تُشْمِتْ بيَ الأعداءَ ﴾ بالإساءة إليّ ﴿ ولا تجْعلْني مَعَ القومِ الظّالمينَ ﴾ ولا تعتقد أني منهم فتعاملني مثلهم .

[١٥١] ﴿ قالَ ﴾ موسى متضرّعاً إلى ربه ﴿ ربِّ اغفرْ لي ولأخي وأدْخلْنا في رحمتِكَ وأنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ ﴾ . وقال الزمخشري : لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء قال ﴿رب اغفر لي ولأخي ﴾ ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم ، واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ، ولأخيه أن عسى فرّط في حسن الخلافة وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته .

[١٥٢]﴿ إنَّ الذينَ اتَّخذُوا العجلَ سينالهُمْ غَضَبٌ من رَبِّهِمْ وذِلّةٌ في الحياةِ الدُّنيا وكذلك نجزي المُفْتَرِينَ ﴾ كل صاحب بدعة ذليل ، فالافتراء هنا : البدعة ، وهي كل أمر يحدثه الناس في الدين مما لا أصل له في الشرع .

[١٥٣] ﴿ والذينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثمَّ تابُوا منْ بَعْدِهَا ﴾ إلى الله ﴿ وآمَنُوا ﴾ إيماناً خالصاً ﴿ إنَّ ربَّكَ مِن بعْدِهَا لغفورٌ رَحيمٌ ﴾ يمحو عنهم ذنوبهم وينعم عليهم بالجنة .

[١٥٤] ﴿ ولمَّا سكتَ ﴾ سكن ﴿ عن موسى الغضبُ أخذَ الألواحَ ﴾ التي ألقاها من شدة الغضب فتكسرت ﴿ وفي نُسْخَتِهَا هُدىً ورحمةٌ ﴾ بالشرائع والوصايا الربانية ﴿ للذينَ هُمْ لربِّهم يرهَبُونَ ﴾ أي : يخشون .

[١٥٥] ﴿ واختارَ مُوسى قومَه سبعينَ رَجُلاً لميقاتِنا ﴾ اختار من بني إسرائيل سبعين رجلاً هم خيرهم وأصلحهم ، وانطلق بهم إلى طور سيناء ليسألوا الله التوبة على ما فعل قومهم ، وذلك في وقت حدده له رب العزة ﴿ فلمّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ وهي الصاعقة التي أدت إلى موتهم جميعاً ، لأنهم تجرؤوا على الله بطلب الرؤية على سبيل التحدي ﴿ قالَ : ربِّ لَوْ شِئْتَ أهلكتَهُمْ منْ قبلُ وإيّايَ ﴾ والمعنى : لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا ، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني ﴿ أَتُهْلِكُنا بِمَا فعلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ والسفهاء هنا عبدة العجل ﴿ إنْ هيَ إلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا من تشاءُ وتهدي من تشاءُ ﴾ الفتنة : الاختبار والامتحان ﴿ أنتَ وليُّنَا ﴾ متولي أمورنا القائم بها ﴿ فاغفرْ لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الغافِرينَ ﴾ .

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا
هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي
وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ
عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

[١٥٦] ﴿ واكتبْ لنا في هذهِ الدُّنيا حَسَنَةً ﴾ كالعافية والحياة الطيبة والتوفيق للطاعة ﴿ وفي الآخِرَة ﴾ حسنة أيضاً ، وهي المثوبة الحسنى والجنة ﴿ إنَّا هُدْنَا إليْكَ ﴾ أي : تبنا إليك ﴿قالَ﴾ تعالى ﴿ عذابي أُصيبُ بهِ منْ أشاءُ ﴾ من العصاة ﴿ ورحمتي وسِعَتْ كلَّ شيْءٍ فسأكْتُبُها للذينَ يتَّقونَ ﴾ الكفرَ والشركَ والفواحش ﴿ ويُؤتونَ الزّكاةَ ﴾ ويعطون زكاة أموالهم ﴿ والذينَ هُم بآياتِنَا ﴾ بكتابنا ورسولنا ﴿ يُؤمنونَ ﴾ [عن الإمام أحمد ، عن سلمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (إن لله عز وجل مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، وبها تعطف الوحوش على أولادها ، وأخّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة) . وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لله مائة رحمة فقسم منها جزءاً واحداً بين الخلق ، به يتراحم الناس والوحش والطير) ـ ابن كثير] .

[١٥٧] ﴿ الذينَ يتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيَّ الأُمّيَّ ﴾ الذي لم يتلق علماً من بشر ، ولم يتعلم القراءة ولا الكتابة ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ باسمه وصفاته ﴿ يأمُرُهُمْ بالمَعْرُوفِ ﴾ يعني الإيمان بالله ووحدانيته والشرائع ومكارم الأخلاق ﴿ ويَنْهاهُم عنِ المُنْكرِ ﴾ يعني الكفر والشرك والمعاصي ومساوىء الأخلاق ﴿ ويُحِلُّ لهُمُ الطيّباتِ ﴾ التي حرمت عليهم من قبل ﴿ ويُحَرِّمُ عليهمُ الخبائثَ ﴾ التي كانوا يتناولونها كالخنزير والميتة والدم ﴿ ويضعُ عنْهُمْ إصْرَهُمْ ﴾ أي : التكاليف الشاقة ﴿ والأغلالَ التي كانت عَلَيْهِم ﴾ فيخفف عنهم ما كُلِّفوه من العبادات ﴿ فالذيـن آمنوا به ﴾ بالنبي الأمي محمد ﷺ ﴿ وعزَّروه ﴾ وعظموه ووقروه ﴿ ونَصَرُوه ﴾ على أعدائه في الدين ﴿ واتّبَعُوا النُّورَ الذي أُنزِلَ معه ﴾ وهو القرآن ، فأحلوا حلاله وحرَّموا حرامه ﴿ أولئك هُمُ المفلحون ﴾ الفائزون بالرحمة والناجون من النقمة . [عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إذا سمعتم الحديث عني مما تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه) رواه أحمد ـ ابن كثير] .

[١٥٨] ﴿ قُلْ : يا أيها النّاسُ إنّي رسولُ اللّهِ إليكم جميعاً ، الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ لا إلهَ إلاّ هُوَ يُحيي ويُميتُ ، فآمِنُوا باللّهِ وَرَسُولِـهِ النّبيِّ الأُمّيِّ الذي يُؤْمِنُ باللّهِ وكلماتِه ﴾ أي : ما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل ومن كتبه ووحيه ﴿ واتّبِعُوهُ لَعلّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ، يهوديّ ولا نصرانيّ ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النّار) رواه أحمد ومسلم واللفظ لأحمد . [وقال الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخراً : بعثت للناس كافة الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي يوم القيامة ، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً) ـ ابن كثير] . [١٥٩] ﴿ ومن قوم مُوسى أُمّـةٌ يَهْدونَ بالحقِّ ﴾ يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم ﴿ وبه يَعْدِلُونَ ﴾ وبالحق يعدلون بينهم في الحكم ، لا يظلمون .

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

[١٦٠] ﴿ **وقطَّعناهُمُ** ﴾ أي : قوم موسى ﴿ **اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً** ﴾ والأسباط : أولاد الولد ، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة ، من اثني عشر ولداً ، من ولد يعقوب عليه السلام ﴿ **أُمَماً** ﴾ جماعة كثيفة العدد ﴿ **وأوْحينا إلى موسى إذِ استسقاه قومُه** ﴾ في التيه ﴿ **أنِ اضرب بعصاكَ الحجرَ** ﴾ فضربه ﴿ **فانْبَجَسَتْ** ﴾ فانفجرت ﴿ **منه اثنتَا عَشْرَةَ عيناً** ﴾ بعدد الأسباط ﴿ **قدْ علِمَ كلُّ أُناسٍ** ﴾ كل سبط منهم ﴿ **مَشْرَبَهم وظلَّلنا عليهمُ الغَمَامَ** ﴾ أظلهم الله في التيه بالغيوم من حرّ الشمس ﴿ **وأنزلنا عليهمُ المنَّ والسَّلْوى** ﴾ نوع من الطعام ـ راجع سورة البقرة الآية ٥٧ ـ ﴿ **كُلُوا من طيِّبَاتِ ما رزقناكُمْ ومَا ظلمونَا ولكن كانُوا أنفُسَهم يظْلِمُونَ** ﴾ بمعاصيهم وكفرهم . [قال ابن جرير: وما أدخلوا علينا نقصاً في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا وفعلهم ما فعلوا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأذى بالخير، والأرذل بالأفضل] .

[١٦١] ﴿ **وإذْ قيلَ لهمُ اسكنُوا هـذه القريةَ** ﴾ يعني : بيت المقدس ، والقائل هو موسى عليه السلام دعاهم لدخول بيت المقدس ، أو يوشع فإنه دعاهم بعد وفاة موسى إلى غزو بيت المقدس ﴿ **وكُلُوا منْهَا حيث شئتُم وقُولوا : حِطَّـةٌ** ﴾ أي : قولوا : حُطَّ عنا ذنوبنا ﴿ **وادْخُلُوا البابَ** ﴾ أي : باب القرية ﴿ **سُجَّداً** ﴾ ساجدين أو خاضعين إظهاراً للتواضع وكان ذلك شرطاً في قبول فعلهم ﴿ **نغفرْ لكُمْ خطيئاتكم، سنزيد المُحسنينَ** ﴾ .

[١٦٢] ﴿ **فبدَّلَ الذينَ ظَلَمُوا منهم قوْلاً غيرَ الـذي قيلَ لهُم فَأَرْسَلْنَا عليهم رِجْزاً** ﴾ عذاباً ﴿ **منَ السَّماءِ بِمَا كانُوا يَظْلِمُونَ** ﴾ وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة الآية ٥٩ .

[١٦٣] ﴿ **واسْأَلْهم** ﴾ أي : واسأل اليهود المعاصرين لك ﴿ **عنِ القريةِ التي كانت حاضِرَةَ البحرِ** ﴾ قريبة منه ، اسأل هؤلاء اليهود عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة ، وحذِّر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم ﴿ **إذْ يَعْدون في السبتِ** ﴾ يتجاوزون حد الله فيه ، وهو اصطيادهم في يوم السبت ، وقد نهوا عن العمل فيه ﴿ **إذْ تأتيهِمْ حيتانُهم** ﴾ أي : رزقهم من السمك ﴿ **يومَ سبتهم شُرَّعاً ، ويومَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتيهم** ﴾ في يوم السبت يأتي السمك ظاهراً على وجه الماء ، قريباً من الساحل ، ولا يعود السمك إلى الظهور إلى السبت المقبل ﴿ **كذلكَ نبْلُوهُم بما كانُوا يَفسُقُونَ** ﴾ نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء ، في اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم في اليوم الحلال لهم صيده . أي نعاملهم معاملة من يختبرهم بسبب فسقهم ، فيظهر عدوانهم ، فيستحقون المؤاخذة . [وهذه القرية هي «أيلة» وهي على شاطىء بحر القلزم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هي قرية يقال لها «أيلة» بين مدين والطور . وقيل هي مدين ، وهو رواية عن ابن عباس . وأهلها قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) ـ ابن كثير] .

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿ **وإذْ قالتْ أُمَّةٌ مِنْهُم** ﴾ أي : جماعة من صالحي بني إسرائيل ﴿ **لِمَ تَعِظُونَ قوماً اللّهُ مُهلِكُهم** ﴾ ومطهِّرُ الأرض منهم ﴿ **أوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شديداً** ﴾ بل هو معذبهم عذاباً شديداً ﴿ **قالوا** ﴾ أي : الوعاظ ﴿ **مَعْذِرَةً إلى ربِّكُمْ** ﴾ نعظهم لئلا ينسب إلينا التفريط في وصيته سبحانه بالنهي عن المنكر ﴿**ولعلهم يتّقون**﴾ ورجاء أن يتوبوا فينجوا من الهلاك . [قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق : فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم ، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة ﴿ لم تعظون قوماً ﴾] .

[١٦٥] ﴿ **فلمَّا نَسُوا ما ذكّرُوا به** ﴾ فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ، ولم يخطر ببالهم شيء منه ﴿ **أنجَيْنا الذينَ ينهوْن عنِ السُّوءِ وأخذْنَـا الذينَ ظَلَمُوا** ﴾ الذين ارتكبوا بفعلهم المنكر ﴿ **بعذابٍ بئيسٍ** ﴾ شديد ﴿ **بمَا كانُـوا يفسقون** ﴾ بفعلهم ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم : هل كانوا من الهالكين ، أو من الناجين ؟ على قولين .

[١٦٦] ﴿ **فلمَّا عَتَوْا عن مَّا نُهُوا عنْهُ** ﴾ أي : تكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه ﴿ **قُلْنا لَـهُم : كونوا قِرَدةً خاسِئِينَ** ﴾ صاغرين أذلاّء . وظاهر الآية يقتضي أن الله تعالى عذبهم أوّلاً بعذاب شديد ، فعتوا ، فمسخهم . وقال ابن كثير : وسكت عن الساكتين ، لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا .

[١٦٧] ﴿ **وإذْ تأذَّنَ ربُّكَ** ﴾ أي : آذن ، من الإيذان ، بمعنى : الإعلام ﴿ **لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ** ﴾ والمعنى : وإذ حتَّم ربك وحكم ، ليسلطن على اليهود ﴿ **إلى يوم القيامةِ منْ يسُومُهُم سُوءَ العذابِ** ﴾ كالإذلال وضرب الجزية وغير ذلك بسبب عصيانهم واحتيالهم ﴿ **إنَّ ربَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ** ﴾ لمن أقام على كفره ﴿ **وإنّه لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

[١٦٨] ﴿ **وقطَّعْناهُمْ في الأرضِ أُمَماً** ﴾ فرقنا بني إسرائيل في الأرض ، وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها ﴿ **منهمُ الصَّالحونَ ومنهمْ دونَ ذلكَ** ﴾ ممن ينحط عن درجة الصلاح لكفرٍ أو فسق ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسَّيِّئاتِ** ﴾ أي : بالنعم والنقم التي هي أمثلة جزاء الصلاح والفسق ﴿ **لعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ عن أسباب السيئات إلى الحسنات .

[١٦٩] ﴿ **فخلفَ منْ بعدِهمْ** ﴾ أي : من بعد هـؤلاء المذكورين ﴿ **خلْفٌ** ﴾ أهل سوء من ذريتهم ، والمراد بهم : الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ ﴿ **ورثُوا الكِتَابَ** ﴾ أي : التوراة ﴿ **يأْخذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى** ﴾ أي : حطام الدنيا ، وما يتمتع به منها ﴿ **ويقولونَ سيُغْفَرُ لنَا ، وإن يأتِـهِمْ عَرَضٌ مثلُـهُ** ﴾ من متاع وحطام الحياة الدنيا ﴿ **يأخُذُوهُ** ﴾ أي : يرجون المغفرة ، وهم مصرّون على فعلهم ، غير تائبين ﴿ **ألَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ ميثَاقُ الكِتَابِ** ﴾ أي : العهد الوارد فيه ﴿ **أن لا يَقُولُوا على اللّهِ إلاّ الحَقَّ ودَرَسُـوا مَا فيهِ** ﴾ أي : قرأوا ما في الكتاب من الميثاق مرة بعد مرة ﴿ **والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ** ﴾ من ذلك العرض الخسيس ﴿ **للَّذِينَ يتّقونَ ، أفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ . [١٧٠] ﴿ **والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكتَابِ** ﴾ يتمسكون به في أمور دينهم ﴿ **وأقامُوا الصَّلاةَ إنَّا لا نُضيعُ أجْرَ المُصْلِحِينَ** ﴾ إذ الإصلاح كالمانع من التضييع وخص الصلاة إظهاراً لمزيتها لكونها عماد الدين ، وفارقةبين الكفر والإيمان .

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

الحزب ١٨

[١٧١] ﴿ وإذْ نتقْنا الجبلَ فوْقهُمْ ﴾ أي: رفعناه ﴿ كأنَّه ظُلَّةٌ ﴾ أي: سحابة ﴿ وظنُّوا أنَّه واقعٌ بهِمْ ﴾ أي: ساقط عليهم، لأن الجبل لا يثبت في الجو ﴿ خُذُوا ما آتَيْناكُم ﴾ قائلين: خذوا ما آتيناكم من أحكام التوراة ﴿ بقُوَّةٍ ﴾ بعزيمة وجدٍّ ﴿ واذكُرُوا ما فِيهِ ﴾ بالعمل ولا تتركوه كالمنسيّ ﴿ لعلَّكم تتقونَ ﴾ مساوىء الأعمال.

[١٧٢] ﴿ وإذْ أخذَ ربُّكَ منْ بني آدَمَ من ظهورهم ذُرِيتَهُمْ ﴾ أي: أخرج من أصلابهم نسلهم، فجعلهم يتوالدون جيلاً بعد جيل ﴿ وأشْهَدَهُمْ على أنفسهم: ألستُ بربِّكمْ ﴾ أي: قال لهم: ألست بربكم ﴿ قَالُوا: بلى، شهدنا ﴾ على أنفسنا بأنك ربنا وإلٰهنا لا رب غيرك. وفي الصحيحين: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟) جمعاء: سالمة الأذن، والجدعاء: مقطوعتها. أما الأخبار المروية في إخراج الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتكليمه إياهم ونطقهم، ثم إعادتهم إلى صلب أبيهم، فغير صحيحة الإسناد، وما حَسُنَ إسناده منها فغير صريح في ذلك، بل هو أقرب إلى ألفاظ الآية، كما بيّنه الحافظ ابن كثير ﴿ أنْ تقُولُوا ﴾ كراهة أن تقولوا ﴿ يومَ القيامةِ: إنّا كُنَّا عن هٰذا ﴾ أي: عن ربوبيته وتوحيده ﴿ غَافِلِينَ ﴾ فلا سبيل لأحد إنكار الفطرة السليمة.

[١٧٣] ﴿ أوْ تَقُولُوا: إنَّمَا أَشركَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ من قبل زماننا ﴿ وكُنَّا ذريَّةً مِنْ بعدِهِمْ ﴾ فنشأنا على طريقتهم وقلدناهم ﴿ أَفَتُهْلِكُنا بما فعلَ المُبطِلُونَ ﴾ أتؤاخذنا بما فعل آباؤنا من الشرك؟.

[١٧٤] ﴿ وكذلك نُفَصِّلُ الآياتِ ﴾ نبيّنُ الأدلة والحجج ﴿ ولَعَلَّهُمْ يرجِعُونَ ﴾ إلى الحق.

[١٧٥] ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ على قومك، أو على اليهود ﴿ نبأَ الذي آتيناهُ آياتنا ﴾ أي: علم الكتاب ﴿ فانْسَلَخَ منها ﴾ فكفر بها ﴿ فأتْبَعَهُ الشيْطَانُ ﴾ فلحقه وأدركه وصار قريناً له حتى أضلَّه ﴿ فكانَ منَ الغاوِينَ ﴾ قال ابن كثير: هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء، وقال قتادة عن ابن عباس هو صيفي بن الراهب، وقال عبد الله بن عمرو هو أمية بن أبي الصلت. والمشهور في سبب نزول هذه الآية إنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل وكان يعلم اسم الله الأكبر وكان مجاب الدعوة ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، ثم كفر.

[١٧٦] ﴿ ولَوْ شِئْنا لرفعناهُ بها ﴾ لعظمناه بالعمل بها ﴿ ولكنَّه أخلَدَ إلى الأرْضِ ﴾ أي: مالَ إلى الدنيا، ورغب فيها ﴿ واتّبَعَ هواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلبِ إنْ تَحْمِلْ عليه يَلْهثْ أوْ تتركْهُ يلهثْ، ذلكَ مثلُ القوْمِ الذينَ كذَّبُوا بآياتِنا ﴾ من التوراة أو غيرها ﴿ فاقْصُصِ القَصَصَ لعَلَّهم يتفكرونَ ﴾.

[روى ابن جرير عن سالم بن أبي النضر قال: يعني بني إسرائيل، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك ﴿لعلهم يتفكرون﴾ فيعرفون أنه لم يأتِ بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء].

[١٧٧] ﴿ ساءَ مثلاً القومُ الذينَ كذَّبُوا بآياتِنا ﴾ حيث شُبهوا بالكلاب ﴿ وأنفُسَهُمْ كانوا يظلِمُونَ ﴾.

[١٧٨] ﴿ منْ يهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِي ومنْ يُضْلِلْ فأولئكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ خلقنا ﴿ لجهنَّم ﴾ لدخولها والتعذيب بها ﴿ كثيراً مِنَ الجنِّ والإنْسِ ﴾ وهم الكفار من الفريقين ﴿ لهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهونَ بها ، ولهُمْ أعينٌ لا يُبصرونَ بهَا ، ولهم آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بها ﴾ يعني أنهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية ﴿ أولئكَ كالأَنْعَام ﴾ أي : البهائم السارحة ﴿ بلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ من الأنعام ﴿ أولئك هُمُ الغَافِلُونَ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ ولله الأسماءُ الحُسْنَى ﴾ التي هي أحسن الأسماء وأجلُّها ، وفي الحديث : (إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة ، والله وتر يحب الوتر) رواه الشيخان ﴿ فادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمائِهِ ﴾ أي : يميلون عن الإقرار بها ويجحدونها ﴿ سَيُجْزَوْنَ ﴾ يوم القيامة ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[١٨١] ﴿ وممَّنْ خَلَقْنَا ﴾ لندخله الجنة ﴿ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحقِّ ﴾ يدعون إليه ﴿ وبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ يعملون ويقضون . وفي الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة) .

[١٨٢] ﴿ والَّذينَ كذَّبُوا بآياتِنَا سنستدرجُهُم منْ حيثُ لا يعْلَمُونَ ﴾ أي : سنأخذهم بالعذاب من طريق لا يعلمونها .

[١٨٣] ﴿ وأُمْلي لَهُمْ ﴾ أمهلهم ليزدادوا إثماً ﴿ إنَّ كيْدي متينٌ ﴾ قوي شديد ، والمعنيّون بهذا الخطاب كفار قريش . [١٨٤] ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِن جِنَّةٍ ﴾ المقصود بصاحبهم : محمد ﷺ ، والجنَّة مصدر بمعنى : الجنون ، وليس المراد به الجن ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ نَذيرٌ مبينٌ ﴾ أي : رسول واضح الإنذار .

[١٨٥] ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا في ملكُوتِ السَّماواتِ والأَرْضِ ﴾ والملكوت : الملك العظيم ﴿ وَمَا خلَقَ اللَّهُ من شيءٍ ﴾ من أجناس لا يحصرها العدد ﴿ وأَنْ عَسَى أن يكُونَ قدِ اقتربَ أجَلُهُمْ ﴾ فيهلكون عما قريب ، وهم على أتعس الأحوال ﴿ فبأيِّ حديثٍ بعدَهُ ﴾ أي : بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به ؟ . [١٨٦] ﴿ مَن يُضْللِ اللَّهُ فلا هاديَ لَهُ ويَذَرُهُمْ في طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي : في كفرهم يتحيرون .

[١٨٧] ﴿ يسألُونَكَ عنِ السَّاعَةِ ﴾ أي : عن وقتها ﴿ أيانَ مُرْسَاهَا ﴾ وقت إرسائها وإقرارها ﴿ قُلْ : إنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ربِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلاَّ هُوَ ﴾ لا يظهرها في وقتها إلا هو ﴿ ثَقُلَتْ في السَّماوَاتِ والأَرْضِ ﴾ أي : عظمت وكبرت على أهل السموات والأرض هولها ﴿ لا تأتيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً ﴾ فجأة على حين غفلة منكم ﴿ يَسْأَلُونَكَ كأنَّكَ حفيٌّ عنها ﴾ أي : عالم بها ﴿ قُلْ : إنَّمَا عِلْمُهَا عندَ اللَّهِ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ فعلمها عند الله ، لم يؤته أحداً من خلقه [عن أبي موسى : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا أشاهد ، فقال : (لا يعلمُها إلا الله ﴿لا يجلّيها لوقتها إلا هو﴾ ولكن سأحدثكم بأشراطها وما بين يديها ، إن بين يديها ردماً من الفتن وهرجاً) . فقيل : وما الهرج يا رسول الله ﷺ ؟ قال : (هو بلسان الحبشة القتل ، وأن تجف قلوب الناس ، وأن يلقى بينهم التناكر فلا يكاد أحدٌ يعرف أحداً ، ويرفع ذوو الحجى ، وتبقى رجاجة من الناس لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً) ـ النيسابوري] .

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

[١٨٨] ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **لا أملكُ لِنفْسي نَفْعاً ولا ضَرًّا إلاّ ما شاءَ اللّهُ ولَوْ كنتُ أعلمُ الغَيْبَ لاسْتكثَرْتُ مِنَ الخيْرِ** ﴾ أي : النفع ﴿ **وَمَا مسَّنِيَ السُّوءُ** ﴾ أي : الضرُّ ﴿ **إنْ أنَا إلاَّ نَذيرٌ وبَشِيرٌ لقوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ فما أنا إلا رسول ولست عالماً للغيب، قال الكلبي : إن أهل مكة قالوا : يا محمد ألا أخبرك ربُّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري فتربح ؟ وبالأرض التي يريد أن تجدب فترحل عنها إلى ما قد أخصب ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ربع الحزب ١٨

[١٨٩] ﴿ **هُوَ الذي خَلَقَكُم من نفسٍ واحدةٍ** ﴾ فالخلق كلهم من بني آدم عليه السلام ﴿ **وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ أي : من جنسها ﴿ **لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ أي ليطمئن إليها ويميل ﴿ **فلمَّا تغشَّاهَا** ﴾ أي : وطئها ﴿ **حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً** ﴾ ففي أول وقت الحمل لا تجد المرأة ألماً ﴿ **فمرّت به** ﴾ فاستمرت به خفيفة ، وقامت وقعدت ﴿ **فلمَّا أثْقَلَتْ** ﴾ صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ﴿ **دَعَوا اللَّهَ رَبَّهُما : لئن آتيتَنَا صَالحاً** ﴾ أي : ولداً سويّاً قد صلح بدنه ، أو غلاماً ذكراً ﴿ **لنكونَنَّ من الشاكرينَ** ﴾ على نعمائك .

[١٩٠] ﴿ **فلمَّا آتاهُمَا صَالحاً** ﴾ والكلام هنا عن المشركين أولاد آدم ، رزقهما الله ولداً سوياً صحيح البدن كما طلبا ﴿ **جَعَلا له شُرَكَاءَ فيمَا آتاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ أي : جعلا أولادهما له شركاء [قال الإمام أحمد رحمه الله عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سمه «عبد الحارث» فإنه يعيش . فسمته عبد الحارث فعاش . وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) . وعن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصّروا ـ ابن كثير] .

[١٩١] ﴿ **أيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ فكيف يعبدونهم وهم مخلوقون ؟ .

[١٩٢] ﴿ **ولا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ** ﴾ ولا تملك هذه المعبودات لعابديها ﴿ **نصراً ولا أنفُسَهُمْ ينصُرُونَ** ﴾ .

[١٩٣] ﴿ **وإنْ تَدْعُوهُمْ** ﴾ أيها المشركون ﴿ **إلى الهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكم أدعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** ﴾ فهذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها .

[١٩٤] ﴿ **إنَّ الذينَ تَدْعُونَ منْ دُونِ اللّهِ** ﴾ أي : تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿ **عِبادٌ أمْثَالُكُمْ** ﴾ أي : مخلوقات مماثلة لكم ﴿ **فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إن كنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [أنها تضر وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لندائكم إذا دعوتموهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر، لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكي إليه من شيء سمع، فضر من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضر ـ ابن جرير] .

[١٩٥] ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بها ، أمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها ، أمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بها ، أمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بها ، قُلْ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **ادْعُوا شركاءَكُمْ** ﴾ أي : استنصروا بها عليَّ ﴿ **ثُمَّ كِيدُونِ** ﴾ الكيد : التدبير السيء بالخفاء ﴿ **فَلاَ تُنْظِرُونِ** ﴾ فلا تمهلوني مدة أطلع فيها على كيدكم .

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

١٧٦

سجدة

[١٩٦] ﴿ إِنَّ وليِّيَ اللَّهُ الذي نزَّل الكِتَابَ ﴾ فالذي يتولى حفظي ونصرتي هو الله الذي أنزل القرآن الكريم ﴿ وهو يتولَّى الصَّالِحِينَ ﴾ ينصرهم ولا يخذلهم .

[١٩٧] ﴿ والذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي : الأصنام ﴿ لا يستطيعونَ نصْرَكُمْ ولا أنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ .

[١٩٨] ﴿ وإن تدْعُوهُمْ ﴾ أي : وإن تدعوا الأصنام ﴿ إلى الهُدَى لا يَسْمَعُوا ، وتراهم ينظُرُونَ إليْكَ ، وهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ لأنهم جماد .

[١٩٩] ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ بدل الغضب ﴿ وأْمُرْ بالعُرْفِ ﴾ بالجميل المستحسن من الأفعال ﴿ وأَعْرِضْ عنِ الجَاهِلِينَ ﴾ المُصرِّين على جهلهم ، فلا تكافىء السفهاء بمثل سفههم .

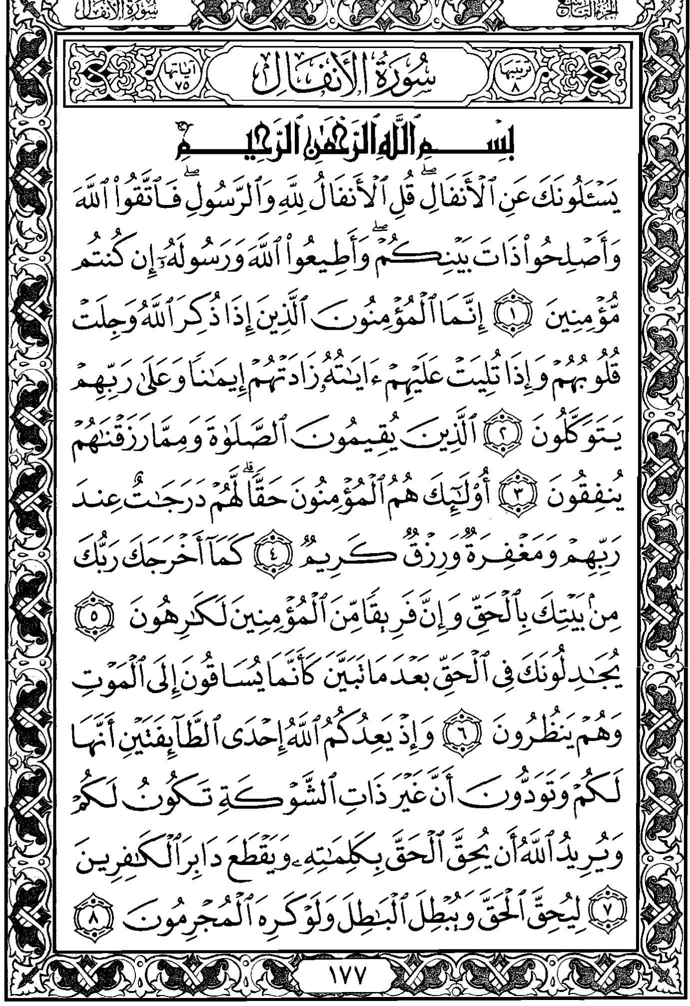
[٢٠٠] ﴿ وَإِمَّا ينزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ وإمَّا يصيبنَّك من الشيطان وسوسة تثير غضبك على جهلهم وإساءتهم ﴿ فاسْتَعِذْ باللَّهِ ﴾ أي : استجرْ به ﴿ إنَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لدعائك ﴿ عليمٌ ﴾ باستعاذتك [في هذه الآية دليل على استحباب التعوذ عند الغضب والوسوسة . روى الشيخان عن سليمان بن صُرَد الخزاعي رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان ، وأحدهما قد احمر وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله ﷺ : (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد) ـ قرة العينين على تفسير الجلالين] .

[٢٠١] ﴿ إنَّ الذينَ اتَّقَوْا إذا مسَّهُمْ ﴾ أصابهم ﴿ طائِفٌ منَ الشيْطانِ ﴾ أي : وسوسة وخاطر منه ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ أي : الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه ﴿ فَإذَا هُمْ ﴾ بسبب ذلك التذكر ﴿ مُبْصِرُونَ ﴾ مواقعَ الخطأ ومكائدَ الشيطان . [٢٠٢] ﴿وإخوانُـهُمْ﴾ يعني : وأمـا إخوان الشياطين من شياطين الإنس ﴿يَمُدُّونهم في الغيِّ﴾ يعني تساعدهم الشياطين على المعاصي ﴿ثمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ ولا يسأمون من إمدادهم من الشر.

[٢٠٣] ﴿وإذا لم تأْتِـهِم بآيَةٍ﴾ مما اقترحوه ﴿قالوا: لَوْلا اجْتَبَيْتَها﴾ أي: هلاَّ تكلفتها وأنشأتها من عندك ﴿قُلْ: إنَّما أَتَّبِعُ مَا يُوحى إليَّ من ربِّي﴾ أي: فلست بمفتعل للآيات من تلقاء نفسي ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائرُ من ربِّكُمْ﴾ بمنزلة البصائر للقلوب ، بها يبصر الحق ﴿ وهُدىً ﴾ من الضلالة ﴿ ورحْـمَـةٌ ﴾ من العذاب ﴿ لقوم يُؤْمِنُونَ ﴾ به ويتفكرون في حقائقه .

[٢٠٤] ﴿ وإذا قُرِىءَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَـهُ وأَنْصِتُوا ﴾ عن حديث النفس وغيره ﴿ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

[٢٠٥] ﴿ واذْكُرْ ربَّكَ ﴾ الخطاب هنا للنبي ﷺ ﴿ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً ﴾ التضرع : التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير ﴿ وخِيفَةً ﴾ الخيفة : الخوف والخشية من سلطان الربوبية ﴿ ودونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ ﴾ قال ابن كثير : فلهذا يستحب أن لا يكون الذكر نداءً ولا جهراً بليغاً ﴿ بالغُدُوِّ والآصَالِ ﴾ في الصباح والمساء . والأمر بالذكر عـام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ﴿ ولا تكُن منَ الغَافِلِينَ ﴾ الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه . [٢٠٦] ﴿ إنَّ الذينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني : الملائكة الذين هم في أعلى مقـامات القرب ﴿ لا يَسْتكبِرُونَ عن عِبَادَتِهِ ويسبّحُونَـهُ ولَـهُ يَسْجُدُونَ ﴾ فإذا كان هؤلاء وهم من هم في قرب المنزلة والعصمة على هذه الحالة من العبادة فكيف ينبغي أن يكون غيرهم ؟ .


الجزء التاسع سورة الأنفال

سورة الأنفال ترتيبها ٨ آياتها ٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ (٥) يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨)

١٧٧

[سورة الأنفال]

نصف الحزب ١٨

مدنية ، إلا الآيات ٣٠ ـ ٣٧ فمكية ، وآياتها ٧٥ آية ، سميت الأنفال لما ذكر فيها من أمر الحرب وأنفالها ـ غنائمها ـ وروى البخاري عن ابن عباس أنها نزلت في معركة بدر في العام الثاني للهجرة .

[١] ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ أي : يسأل الصحابة الذين اشتركوا في معركة بدر الرسول ﷺ ﴿ عن الأنفالِ ﴾ جمع نفل وهو غنيمة الحرب . وروى أبو داود عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : (من صنع كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا) فتسارع في ذلك شبان القوم ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم . فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فإنّا كنّا ردءاً لكم ، لو انكشفتم لَثُبْتُم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَك عَنِ الأنفالِ ﴾ الآية . ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ الأنفالُ للَّهِ والرَّسُولِ ﴾ يعطيها ﷺ من يشاء من المسلمين بما أراده الله تعالى ، وفي بدر قسمها بين الصحابة بالتساوي ، ووهب من استوهبه ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ أي : لا تختلفوا بسبب هذه الغنائم التي حكمها إلى الله ورسوله ﴿ وأطيعُوا اللَّهَ ورسولَه ﴾ في قسمه بينكم على ما أراه الله تعالى ﴿ إنْ كُنْتُمْ مُؤمنين ﴾ كاملي الإيمان .

[٢] ﴿ إنّما المؤمنون ﴾ الكاملون المخلصون في إيمانهم ﴿ الذينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ ، وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي : فزعت لذكره ، تهيباً من جلاله وعزة سلطانه ﴿ وَإذَا تُلِيَتْ عليْهِمْ آياتُهُ ﴾ أي : حججه وهي القرآن ﴿ زادَتْهُمْ إيماناً ، وَعَلَى ربِّهِم يَتَوكَّلونَ ﴾ لا يرجون سواه .

[٣] ﴿ الذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ ﴾ المفروضة في أوقاتها ﴿ ومما رزقناهُم يُنْفِقُونَ ﴾ سواء الزكاة المفروضة أو ما عداها من الصدقات .

[٤] ﴿ أُولئكَ هُمُ المُؤمنونَ حقًّا ﴾ لا شك في إيمانهم ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ربِّهم ﴾ أي : منازل ومقامات عاليات في الجنة ﴿ ومغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ ﴾ والرزق هنا ما أُعدّ لهم من نعيم الجنة .

[٥] ﴿ كما أَخْرَجَكَ ربُّكَ منْ بَيْتِكَ ﴾ بالمدينة المنورة إلى غزوة بدر ﴿ بالحقِّ ، وإنَّ فريقاً منَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ ﴾ الخروج لملاقاة العدو .

[٦] ﴿ يُجادِلُونَكَ في الحقِّ ﴾ وهو الجهاد ﴿ بعدمَا تبيَّنَ ﴾ بعدما ظهر لهم أنهم يُنْصَرُونَ فيه ﴿ كأنّما يُساقونَ إلى الموتِ وهُمْ ينظُرونَ ﴾ يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت ، وهو ناظر إلى أسبابه .

[٧] ﴿ وإذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾ القافلة التجارية العائدة من بلاد الشام بقيادة أبي سفيان ، أو جيش قريش القادم لنجدتها من مكة بقيادة أبي جهل ﴿ أنَّها لَكُمْ ﴾ أي : إما الاستيلاء على قافلة قريش التجارية من غير قتال ، أو النصر على جيش قريش مع القتال ﴿ وتَوَدُّونَ أنَّ غيرَ ذاتِ الشوكةِ تكونُ لكُمْ ﴾ تحبون الغنيمة من غير قتال . والشوكة : السلاح أو حدّته ﴿ ويُرِيدُ اللَّهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ ﴾ أي : يثبته ويعليه ، وهو دعوة رسوله ﷺ ﴿ بِكَلِماتِهِ ﴾ بآياته المنزلة ﴿ ويقطعَ دابرَ الكافِرِينَ ﴾ يستأصلهم ، فلا يبقي منهم أحداً .

[٨] ﴿ لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبْطِلَ البَاطِلَ ﴾ ليثبت الدين الحق ، ويمحق الدين الباطل ﴿ ولَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ أي : المشركون .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

[٩] ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ربَّكُمْ ﴾ تطلبون منه التخلص من الشدة ، والنصر على المشركين ﴿ فاستجابَ لكُمْ أنِّي مُمِدُّكُمْ بألفٍ مِنَ الملائكةِ مُردِفينَ ﴾ متتابعين ، بعضهم على أثر بعض . وفي البخاري عن رافع الزرقيّ عن أبيه ـ وكان ممن شهد بدراً ـ قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . [لمّا كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً) . قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّاه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذ تَستغيثُون ربَّكم فاستجاب لكم . . . ﴾ ـ ابن كثير] .

[١٠] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴾ أي : هذا الإمداد ﴿ إلاَّ بُشْرى ﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿ ولِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إلاَّ من عِنْدِ اللَّهِ ، إنَّ اللَّهَ عزيزٌ حَكيمٌ ﴾ .

[١١] ﴿ إذْ يُغشِّيكُمُ النُّعاسَ أمَنَةً منه ﴾ أي : يلقي عليكم النوم ليمن عليكم بأمن وطمأنينة من عنده سبحانه ﴿ ويُنزِّل عليكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً ليطهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ وهو تطهير الظاهر ﴿ ويُذْهِبَ عنكُمْ رِجْزَ الشيطانِ ﴾ أي : وسوسته ، وهو تطهير الباطن ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ يقويها ﴿ ويُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ ﴾ على الرمل ؛ بعد أن تلبدت الأرض بالمطر .

قال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر ، فأطفأ به الغبار ، وتلبدت به الأرض وطابت نفوسهم ، وثبتت أقدامهم .

[١٢] ﴿ إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلى الملائكَةِ ﴾ الذين أمدَّ بهم المسلمين ﴿ أنِّي مَعَكُمْ ﴾ بالعون والنصر ﴿ فثبِّتُوا الذينَ آمَنُوا ﴾ بدفع الوسواس عنهم وبالقتال إلى جانبهم ﴿ سأُلْقي في قلوبِ الذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ أي : الخوف ﴿ فاضربوا ﴾ الأمر للمؤمنين أو للملائكة ﴿ فَوْقَ الأعناقِ ﴾ أي : أعالي الأعناق وهي مواضع الذبح أو الرؤوس ﴿ واضْربُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ البنان : الأصابع ، والمعنى : اضربوهم كيفما اتفق .

[١٣] ﴿ ذلك بأنّهم شاقُّوا اللَّهَ ورسولَهُ ﴾ أي : خالفوهما فيما شرعا ﴿ ومنْ يُشاقِقِ اللَّهَ ورسولَهُ فإنَّ اللَّهَ شديدُ العِقَابِ ﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٤] ﴿ ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ الخطاب للكفّار : أي ذلك العذاب لكم في الدنيا ﴿ وأنَّ للكافِرينَ عذابَ النَّارِ ﴾ في الآخرة .

[١٥] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إذا لقيتُمُ الذينَ كَفَرُوا زحفاً ﴾ الزحف : الجيش الكبير ﴿ فلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ ﴾ فلا تفروا وتديروا ظهوركم للعدو بل قابلوهم وقاتلوهم .

[١٦] ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهم يومئِذٍ ﴾ أي : يوم اللقاء ﴿ دُبُرَهُ إلا متحرِّفاً لِقِتَالٍ ﴾ أي : مائلاً له ، إما بالتوجه إلى قتال فريق آخر أهم من الذي أمامه ، وإما بالفرّ للكرّ مرة أخرى ﴿ أو مُتحيِّزاً إلى فئةٍ ﴾ منضماً إلى جماعة أخرى من المسلمين ليعينهم أو يستعين بهم ﴿ فقدْ باءَ ﴾ رجع ﴿ بغضبٍ مِنَ اللَّهِ ومأْوَاهُ جهنَّمُ ، وبئسَ المصيرُ ﴾ عذابُ النار .

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿ فلمْ تقتلوهُمْ ﴾ بقوتكم ﴿ ولكنَّ اللَّهَ قتلهُمْ ﴾ أي : سبَّب في قتلهم ﴿ وَمَارَمَيْتَ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ إذْ رَمَيْتَ ﴾ الحصباءَ ـ قبضـة من تراب ـ قبـل بدء المعـركة ﴿ ولكنَّ اللَّـهَ رَمى ﴾ بإيصـال ذلك إليهم ليقهـرهم ﴿ وَلِيُبْلِيَ المُؤْمنِينَ منْـهُ ﴾ ليمنحهم من فضلـه ﴿ بلاءً حَسَناً ﴾ أي : منحاً جميـلاً بالنصر ثم بـالأجر والمثوبة ﴿ إنّ اللَّهَ سميعٌ ﴾ لدعائهم واستغاثتهم ﴿ عليمٌ ﴾ بمن يستحق النصر . وقد روي عن غير واحد أنها نـزلت في شأن القبضة من التراب التي رمى بها النبي ﷺ في وجوه القـوم وقـال : (شـاهت الـوجـوه) فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين ، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ، وانهزموا .

[١٨] ﴿ذلكُمْ وأنَّ اللَّـهَ مُـوهنُ كيْـدِ الكافِرينَ ﴾ أي : مضعف بأس الكـافـرين وحيلهم بنصركم وخذلانهم .

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

[١٩] ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحوا فقـدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ ﴾ الخطاب هنا للمشركين ، والمعنى : إن تطلبوا القضـاء والفصلَ بينكم وبين أعدائكم المؤمنين ، فقـد جاءكم القضاء بما سألتم ، وفي هذا الخطاب تهكم بهم لأن ما حلّ بهم هو الهلاك والذلـة ﴿ وإنْ تَنْتَـهُوا ﴾ عن الكفـر وعـداوة الرسول ﴿ فَهُوَ خَيْـرٌ لَـكُمْ ﴾ في الدنيـا والآخرة ﴿ وإنْ تَعُودُوا ﴾ لمحـاربة الـرسـول ﴿ نَـعُدْ ﴾ لنصره عليكـم ﴿ ولَنْ تُغْنِيَ ﴾ تدفع ﴿ عنكمْ فئتكم شيئاً ولوْ كثُرتْ ، وأنَّ اللَّهَ معَ المُؤْمنِينَ ﴾ ينصرهم على عدوهم .

[٢٠] ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ ورسولَـهُ ولا تَولَّوْا عنْـهُ ﴾ أي : تُعرضوا عنه بمخالفة أمره ﴿ وأنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ القرآن الآمر بوجوب طاعته ﷺ .

[٢١] ﴿ ولا تكونُوا كالذينَ قَالُوا : سَمِعْنَا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ وهم المنافقون أو المشركون .

[٢٢] ﴿ إنَّ شَرَّ الدَوابِّ ﴾ كل ما يدب على الأرض ﴿ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ ﴾ عن سماع الحق ﴿ البُكْمُ ﴾ عن النطق به ﴿ الذينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ .

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴾ أي : في هؤلاء الصم البكم ﴿ خيراً ﴾ صدقاً ورغبة ﴿ لأَسْمَعَهُمْ ﴾ الحجج والمواعظ سماعَ تفهُّم وتدبُّر ﴿ ولوْ أسْمَعَهُمْ لَـتَولَّوْا ﴾ عما سمعوه عن الحق ﴿ وهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ عن قبوله جحوداً وعناداً . [٢٤] ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا استجيبُوا للَّهِ وللرَّسُولِ ﴾ أي : أطيعوه فيما أمر ونهى ﴿ إذا دَعَاكُمْ لما يُحْييكُم ﴾ أي : للحرب التي أعزكم اللَّه تعالى بها بعد الذل ، وقوّاكم بها بعد الضعف ، وسمى الجهاد حياة ، لما يترتب عليه من العزة والكرامة في الدنيا والآخرة ﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ يحولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ ﴾ فهو تعالى يملك قلب الإنسان فيصرفه كيف يشاء ، يحول بينه وبين الكفر إن أراد هدايته ، وبينه وبين الإيمان إن أراد ضلالته ، وقيل : إنه حث على المبادرة إلى الطاعة قبل حلول المنيّة ، وفي الآية تنبيه على أنه تعالى مطلع على ما في القلوب ﴿ وأنَّـهُ إليه تُـحْشَرُونَ ﴾ أي : تُجمعون يوم القيامة ، فيجزيكم بأعمالكم . [٢٥] ﴿ واتَّقُوا فِتْنَـةً ﴾ الفتنة : إما بمعنى الـذنب ، وإما بمعنى العذاب ﴿ لا تُصِيبَنَّ الذينَ ظَلَمُـوا مِنْكُمْ خاصَّةً ﴾ لا تُصيبَنَّ : جـواب للأمر أي : إن إصابتكم لا تختص بمن يبـاشر الظلم منكم ، بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم ، وتعدي رذيلتهم إلى من يخالطهم . وفي الحديث : (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروه إلاّ عمّهم الله بعقاب) رواه الإمام أحمد ﴿ واعْلموا أنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ لمن يخالف أوامره .

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا
اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ
أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿ **وَاذْكُرُوا** ﴾ يا معشر المهاجرين ﴿ **إِذْ أَنْتُم قليلٌ** ﴾ في العدد ﴿ **مُسْتَضْعَفُونَ في الأرضِ** ﴾ مقهورون في أرض مكة قبل الهجرة، تستضعفكم قريش ﴿ **تخافونَ أنْ يتخطَّفكم النَّاسُ** ﴾ أي: أهل مكة. وتَخَطَّفه واختطفه بمعنى: استلبه وأخذه بسرعة ﴿ **فآوَاكُمْ** ﴾ إلى المدينة ﴿ **وأَيَّدَكُمْ بنصْرِهِ** ﴾ أعانكم وقواكم يوم بدر بنصره ﴿ **ورزقَكُمْ منَ الطيِّباتِ** ﴾ أي: الغنائم ﴿ **لعلَّكم تَشْكُرُونَ** ﴾ نعمَ اللَّه عليكم.

[٢٧] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ** ﴾ ويدخل في خيانة الله تعطيل فرائضه ﴿ **والرَّسُولَ** ﴾ وفي خيانة رسوله رفض سنته ﴿ **وتَخُونُوا أمَانَاتِكُمْ** ﴾ وهي كل ما يؤتمن عليه الناس من مال أو أهل أو سر ﴿ **وأنتم تعلمونَ** ﴾ تَبِعة ذلك ووباله وفي ذلك دليل على أن ذنب العالم بالخطيئة أعظم من ذنب الجاهل. [نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوه الصلح فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة ـ وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله وولده عندهم ـ فبعثه ﷺ فسألوه فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه إنه الذبح فلا تفعلوا ـ النيسابوري].

[٢٨] ﴿ **واعْلَمُوا أنَّما أَمْوَالُكُمْ وأولادكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ أي: محنة من الله ليبلوكم، هل تقعون بها في الخيانة ﴿ **وأنَّ اللَّهَ عندَه أجرٌ عظيمٌ** ﴾ لمن آثر رضاه على جمع المال وحب الولد.

[٢٩] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إنْ تتَّقُوا اللَّهَ يجعلْ لكُمْ فُرْقاناً** ﴾ أي: نصراً، لأنه يفرق بين الحق والباطل، وقيل: فصلاً بين الحق والباطل ومخرجاً من الشبهات ﴿ **ويُكفِّرْ عنكُمْ سيِّئاتِكُمْ ويغفِرْ لكمْ واللَّهُ ذو الفضْلِ العظيم** ﴾.

[٣٠] ﴿ **وإذْ يمْكُرُ بكَ الذينَ كفَرُوا** ﴾ أي يتشاورون فيما يتخذونه بحقك ﴿ **ليُثْبِتُوكَ** ﴾ يحبسونك ليحولوا بينك وبين دعوة الناس ﴿ **أوْ يَقْتُلُوكَ** ﴾ كما اقترح أبو جهل بأن يجمعوا من كل قبيلة غلام ويشترك الغلمان في قتله فيضيع دمه بين العرب، ولا تقوى بنو هاشم على الثأر له ﴿ **أو يُخْرِجُوكَ** ﴾ من بلدك مكة ﴿ **ويمكُرُونَ ويمكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خيرُ الماكرينَ** ﴾ أي: يدبر ما يبطل مكرهم.

[٣١] ﴿ **وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنَا قالوا** : **قدْ سَمِعْنَا** ﴾ مثل هذا ﴿ **لوْ نَشَاءُ لقُلْنَا مثلَ هذا** ﴾ القرآن ﴿ **إنْ هٰذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ** ﴾ أي: ما سطروه وكتبوه من القصص، وقيل: هو جمع أسطورة. [٣٢] ﴿ **وإذْ قَالُوا** ﴾ أي: المشركون ﴿ **اللهُمَّ إنْ كان هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ والمعنى: إن كان هذا القرآن حقًّا منزلاً، فعاقبنا على إنكاره بالسِّجِّيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ﴿ **أوِ ائْتِنَا بعذابٍ أليم** ﴾ استعجلوا تقديم العقوبة لشدة جهلهم وعنادهم. وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك! قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة، ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه. [٣٣] ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهم وأَنْتَ فيهِمْ** ﴾ لأن سنته تعالى وحكمته ألاَّ يعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها ﴿ **ومَا كانَ اللَّهُ مُعذِّبَهُمْ وهُمْ يستغفرُونَ** ﴾ قد يكون المراد: استغفار من بقي بينهم من المسلمين المستضعفين، أو: دعاء الكفار بالمغفرة، أو أن المراد بالاستغفار: التوبة.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿ **وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عن المَسْجِدِ الحَرام** ﴾ أي : يمنعون الحجاج والمعتمرين من دخوله ، والمشرك لا يستحق ولاية أمر المسجد ﴿ **وما كانُوا أَوْلياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ المُتَّقُون** ﴾ المؤمنون البعيدون عن الشرك ، يحق لهم أن يصدوا المفسدين عن المسجد ﴿ **ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ أنهم لا ولاية لهم عليه .

[٣٥] ﴿ **وَمَا كانَ صلاتُهُمْ عنْدَ البيتِ إِلاَّ مُكاءً** ﴾ أي : تصفيراً ﴿ **وتصْدِيَةً** ﴾ أي : تصفيقاً بالأكفّ . وعن ابن عباس أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة ، ويصفرون ويصفقون ﴿ **فَذُوقُوا العذابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ والعذاب المذكور هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي .

[٣٦] ﴿ **إِنَّ الذينَ كَفَرُوا يُنفقُونَ أَموالَهُمْ لِيَصُدُّوا عنْ سبيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تكُونُ عَلَيْهِمْ حسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ** ﴾ نزلت فيمن ينفق على حرب النبي ﷺ من المشركين ﴿ **والذينَ كَفَرُوا إلى جهنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ . [قال مقاتل والكلبي : نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً : أبو جهل بن هشام ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ونُبَيه ومُنبّه ابنا حجاج ، وأبو البحتري بن هشام ، والنضربن نوفل ، وحكيم بن حزام ، وأبيّ بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، والحرث بن عامر بن نوفل ، والعباس بن عبد المطلب ، وكلهم من قريش ، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر ـ النيسابوري] .

[٣٧] ﴿ **ليميز اللَّهُ الخبيثَ منَ الطيِّبِ** ﴾ أي : الكافر من المؤمن ﴿ **ويجعلَ الخبيثَ بعضَهُ على بعض فيركُمَهُ جميعاً فيجعَلَهُ في جهنَّمَ** ﴾ أي : فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض ، حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم ﴿ **أولئكَ همُ الخاسِرُونَ** ﴾ خسروا أنفسهم وأموالهم .

[٣٨] ﴿ **قُلْ للذينَ كَفَرُوا** ﴾ يعني : أبا سفيان وأصحابه ﴿ **إِنْ ينْتَهُوا** ﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿ **يُغفرْ لَهُمْ ما قدْ سلفَ** ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ **وإِنْ يَعُودُوا** ﴾ إلى قتاله ﴿ **فقدْ مضتْ سنَّةُ الأوّلينَ** ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء ، دمّرهم الله ، أو هزمهم يوم بدر .

[٣٩] ﴿ **وقاتلُوهُمْ حتّى لا تكونَ فتنةٌ** ﴾ أي : شرك أو إضلال لغيرهم ﴿ **ويكونَ الدينُ كلُّهُ للّهِ** ﴾ فلا يعبد غيره ﴿ **فإنِ انْتَهَوْا** ﴾ عن الكفر والمعاصي ﴿ **فإنَّ اللَّهَ بِمَا يعْمَلُونَ** ﴾ أي : ببواطنهم ﴿ **بَصيرٌ** ﴾ فيحاسبهم ويجازيهم به . [ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل) ـ ابن كثير] .

وفي الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف ، فقال : لا إله إلا الله ، فضربه فقتله ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال لأسامة : (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟) فقال : يا رسول الله إنما قالها تعوُّذاً . قال : (هلا شققت عن قلبه) . وجعل يقول ويكرر عليه : (من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟) قال أسامة : حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ـ ابن كثير] .

[٤٠] ﴿ **وإنْ تولّوْا** ﴾ أي : أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا ﴿ **فاعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مولاكُمْ** ﴾ أي : ناصركم ومعينكم ﴿ **نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصيرُ** ﴾ .

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾

الجزء ١٠ الحزب ١٩

[٤١] ﴿ واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ منْ شيءٍ ﴾ سواء قلّ أو كثر ﴿ فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ ﴾ شكراً له على نصره وإعطائه الغنيمة ﴿ وللرَّسُولِ ولذي القُرْبى ﴾ وهم : بنو هاشم والمطّلب ﴿ واليَتامَى والمساكينِ ﴾ الفقراء ﴿ وابنِ السَّبيلِ ﴾ وهو المسافر الذي قطع عليه الطريق ويريد الرجوع إلى بلده ، ولا يجد نفقات السفر ﴿ إنْ كُنْتُم آمَنْتُمْ باللّهِ وما أَنْزَلْنا على عبدِنا ﴾ محمد ﷺ من الآيات والملائكة والنصر ﴿ يومَ الفُرقانِ ﴾ يوم بدر ، فإنه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يومَ التقى الجَمْعَانِ ﴾ يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين ﴿ واللّهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر .

[٤٢] ﴿ إذْ أَنْتُمْ ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿ بالعُدْوَةِ الدُّنْيا ﴾ يعني بشفير الوادي الأدنى من المدينة ﴿ وهُمْ ﴾ يعني مشركي قريش ﴿ بالعُدْوَةِ القُصْوَى ﴾ أي : البعيدة عن المدينة ، مما يلي مكة ﴿ والرَّكْبُ أسفلَ منكُمْ ﴾ أي : العير وهي قافلة التجارة بقيادة أبي سفيان ﴿ ولوْ تواعدْتُم لاختلفْتُمْ في الميعَادِ ﴾ وفي حديث كعب بن مالك قال : إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد . وروى ابن جرير عن عمير بن إسحٰق قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ﷺ وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ، ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقى السقاة ، وشهد الناس بعضهم إلى بعض ﴿ ولكنْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أمراً كانَ مَفْعُولاً ﴾ ليقضي ما أراد من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ﴿ لِيَهْلِكَ منْ هلَكَ عن بيّنةٍ ويحيىٰ من حيَّ عن بيّـنَـةٍ ﴾ إنما جمعكم مع عدوّكم في مكان واحد على غير ميعاد ، لينصركم عليهم ، ليصير الأمر ظاهراً ، والحجة قاطعة والبراهين ساطعة ، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة ﴿ وإنَّ اللّهَ لَسَميعٌ عليمٌ ﴾ بكفر من كفر وعقابه ، وإيمان من آمن وثوابه .

[٤٣] ﴿ إذْ يُريكَهُمُ اللّهُ في مَنَامِكَ قليلاً ﴾ وذلك أن الله عز وجل أراه إياهم في رؤياه قليلاً ، فأخبر بذلك أصحابه ، فكان تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوّهم ﴿ ولَوْ أراكَهُم كثيراً لَفَشِلْتُمْ ﴾ أي : لجبنتم وهبتم الإقدام ﴿ ولتنازعْتُم في الأمرِ ﴾ فتفرقت كلمتكم تقدمون أم تحجمون ﴿ ولكنَّ اللّهَ سلَّمَ ﴾ أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع بتأييده وعصمته ﴿ إنّه عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وإذْ يُريكُمُوهُمْ إذِ التقيتُم في أعيُنِكُمْ قليلاً ﴾ وذلك تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ ﴿ ويُقَلِّلُكُم في أعيُنِهِم ﴾ قبل اللقاء ، ثمَّ كثَّرهم فيها بعده ، لتفجؤهم الكثرة فيُبهتوا ويهابوا ، حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم ﴿ ليقضيَ اللّهُ أمْراً كانَ مفعولاً ﴾ من إظهار الخوارق الدالة على صدق دين الإسلام ، وكذب دين الكفر ﴿ وإلى الله تُرجَعُ الأُمورُ ﴾ يوم القيامة .

[٤٥] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إذا لقيتُمْ فئةً فَاثْبُتُوا ﴾ أي : إذا حاربتم جماعة فاثبتوا للقائهم ، ولا تفروا ولا تجبنوا ﴿ واذكرُوا اللّهَ كثيراً لعلَّكُمْ تُفلِحُونَ ﴾ بالنصر والجزاء .

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿ **وأَطِيعُوا اللَّهَ ورسُولَهُ** ﴾ في كل ما يأمران به وينهيان عنه ﴿ **ولا تَنَازَعُوا** ﴾ باختلاف الآراء ﴿ **فَتَفْشَلُوا** ﴾ إذ لا يتقوى بعضكم ببعض ﴿ **وتذهبَ رِيحُكُمْ** ﴾ أي : قوتكم وغلبتكم ﴿ **واصبِرُوا** ﴾ على شدائد الحرب ﴿ **إنَّ اللَّهَ معَ الصَّابِرينَ** ﴾ أي : بالنصر.

[٤٧] ﴿ **ولا تكونوا كالذين خَرَجُوا من ديارِهم بطراً** ﴾ أي : فخراً بالشجاعة ﴿ **وَرِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ أي : طلباً للثناء من الناس ﴿ **ويصُدُّون عنْ سبيلِ اللَّهِ واللَّهُ بما يَعْمَلُونَ مُحيطٌ** ﴾ أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه ، وقد أتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة : أن ارجعوا ، فقد سلمت عيركم ، فأبوا وقالوا : لا نرجع حتى نأتي بدراً فننحر الجُزُرَ ، ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا فيه القيان وتسمع بنا العرب . [قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما : هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر . وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله : ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ﴾ ـ ابن كثير] .

[٤٨] ﴿ **وإذْ زَيَّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالَهم** ﴾ في معاداة الرسول والمؤمنين ، بأن وسوس إليهم ﴿ **وقالَ : لا غالبَ لكُمُ اليومَ من النَّاسِ** ﴾ أي : من النبي ﷺ وأصحابه ﴿ **وإنِّي جارٌ لكُمْ** ﴾ أي : مجير ومعين لكم ، وجمهور المفسرين أن الشيطان تمثل في صورة سراقة الكناني ، وقال : أنا جاركم من بني كنانة ، فلا يصل إليكم مكروه منهم ﴿ **فلمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ** ﴾ فلما تلاقتا ﴿ **نَكَصَ على عَقِبَيْهِ** ﴾ ولىّ هارباً على قفاه ﴿ **وقالَ : إنِّي بَرِيءٌ منكم إنِّي أرَى** ﴾ من الملائكة النازلة لإمداد المؤمنين ﴿ **مَا لا تَرَوْنَ إنِّي أخافُ اللَّهَ** ﴾ أن يعذبني قبل يوم القيامة ﴿ **واللَّهُ شديدُ العِقَابِ** ﴾ . [قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه ، رايته في صورة رجل من بني مدلج فقال للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم . فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين ـ ابن كثير] .

[٤٩] ﴿ **إذْ يقولُ المُنافِقُونَ** ﴾ بالمدينة ﴿ **والذينَ في قُلُوبهم مرضٌ** ﴾ من ضعاف الإيمان ﴿ **غرَّ هؤلاءِ** ﴾ يعنون المؤمنين ﴿ **دينُهم ، ومن يتوكَّلْ عَلَى اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ من يعتمد عليه سبحانه وتعالى فإنه ينصره على أعدائه مهما بلغ عددهم .

[٥٠] ﴿ **ولَوْ تَرَى إذْ يَتَوفَّى الذينَ كَفَرُوا** ﴾ أي : بقبض أرواحهم ﴿ **الملائِكَةُ** ﴾ ملائكة العذاب ﴿ **يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدْبَارَهُمْ وذُوقُوا عذابَ الحَرِيقِ** ﴾ أي : ويقولون : ذوقوا عذاب جهنم .

[٥١] ﴿ **ذلكَ** ﴾ الضرب والعذاب ﴿ **بما قدَّمَتْ أيْدِيكُمْ** ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ **وأنَّ اللَّهَ ليس بظلَّامٍ للعبيدِ** ﴾ وفي الحديث : (إن الله تعالى يقول : إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه) ـ رواه مسلم . [٥٢] ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ وهو عملهم الذي دأبوا ، أي استمروا عليه ﴿ **كفروا بآياتِ اللَّهِ فأخَذَهُمُ اللَّهُ** ﴾ قبل يوم القيامة ﴿ **بِذُنُوبِهِمْ** ﴾ كما أخذ هؤلاء ﴿ **إنَّ اللَّهَ قويٌّ شديدُ العِقَابِ** ﴾ .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[٥٣]﴿ **ذلكَ** ﴾ التعذيب ﴿ **بأنَّ اللَّهَ لم يَكُ مُغيِّراً نِعْمَةً أنْعَمَهَا على قَوْمٍ** ﴾ بتبديله إياها بالنقمة ﴿ **حتّى يُغيِّرُوا ما بأنْفُسِهِمْ** ﴾ من موجبات تلك النعم من اعتقاد أو قول أو عمل ﴿ **وأنَّ اللَّهَ سميعٌ عليمٌ** ﴾ .

[٥٤] ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَّبُوا بآياتِ رَبِّهِمْ فأهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِم وأغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وكُلٌّ** ﴾ من الفرق المكذبة الكافرة ، أو من آل فرعون ، ومن قبلهم ، وكفار قريش ﴿ **كانُواظَالِمِينَ** ﴾ .

[٥٥] ﴿ **إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عندَ اللَّهِ الذينَ كَفرُوا** ﴾ أي : أصرُّوا على كفرهم ورسخوا فيه ﴿ **فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ فلا يُتوقع منهم إيمان .

[٥٦]﴿ **الذينَ عاهدْتَ منْهُمْ ثمَّ ينقُضُونَ عهدَهم في كلِّ مرَّةٍ وهمْ لا يتَّقُونَ** ﴾ أي : لا يخافون عاقبة الغدر .

[٥٧] ﴿ **فإمَّا تَثْقَفنَّهم في الحربِ** ﴾ فإما تصادفنهم وتظفرنَّ بهم ﴿ **فشرِّدْ بهمْ مَنْ خَلْفَهُمْ** ﴾ بأن تغلظ لهم العقوبة ، ما يشرّد غيرهم خوفاً ، فيصيروا لهم عبرة ﴿ **لعلَّهم يذَّكَّرُونَ** ﴾ فيرتدعوا عن النقض أو عن الكفر.

[٥٨]﴿ **وإمَّا تخافَنَّ مَنْ قوْمٍ خِيَانَةً** ﴾ الخوف : مستعار هنا للعلم ، أي : وإما تعلَمن من قوم من المعاهدين نقضَ عهد فيما سيأتي ، بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ﴿ **فانبِذْ إلَيْهِمْ** ﴾ فاطرح إليهم عهدهم ﴿ **على سَواءٍ** ﴾ على طريق مستوٍ قصدٍ ، بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بقطعك لكل صلة بينك وبينهم ﴿ **إنَّ اللَّـهَ لا يُحِبُّ الخائنينَ** ﴾ . [ولو في حقِّ الكفار لا يحبها أيضاً ، عن سليم بن عامر قال : كان معاوية رضي الله عنه يسير في أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى الأمد غزاهم ، فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، إن رسول الله ﷺ قال : (ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء) ، فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه فإذا بالشيخ عمرو بن عنبسة رضي الله عنه - ابن كثير] .

ربع الحزب ١٩

[٥٩] ﴿ **ولا يَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا سَبَقُوا** ﴾ أي : أفلتوا من العقوبة ﴿ **إنَّهم لا يُعجزونَ** ﴾ فالله قادر على الانتقام منهم ، إما في الدنيا بالقتل ، وإما في الآخرة بعذاب النار .

[٦٠]﴿ **وأعِدُّوا لَهُمْ** ﴾ أي : لقتال الكفار ﴿ **ما استطعتم منْ قُوَّةٍ** ﴾ من كل ما يُتقوّى به في الحرب ﴿ **ومنْ رِباطِ الخَيْلِ** ﴾ التي تربط في سبيل الله ﴿ **تُرهِبُونَ بهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ** ﴾ وترهبون قوماً آخرين ﴿ **منْ دُونِهِمْ** ﴾ وهم المنافقون ﴿ **لا تَعْلَمُونَهُمْ** ﴾ أي : لا تعلمون أنهم يعادونكم ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ أنهم أعداؤكم ﴿ **وَمَا تنفقوا منْ شيءٍ في سبيل اللَّهِ يُوفَّ إليكمْ** ﴾ في الدنيا من الفيء والغنيمة والجزية والخراج ، وفي الآخرة بالثواب المقيم ﴿ **وأنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ .

[٦١]﴿ **وإنْ جَنَحُوا** ﴾ أي : مالوا وانقادوا ﴿ **للسَّلْمِ** ﴾ أي : الصلح والاستسلام ﴿ **فاجْنَحْ لها** ﴾ فمل إلى موافقتهم وصالحهم وعاهدهم لأن ذلك أدعى لهم إلى الإيمان ﴿ **وتوكَّلْ على اللَّهِ** ﴾ فلا تخف مكرهم ﴿ **إنَّهُ هُوَ السَّميعُ** ﴾ لأقوالهم ﴿ **العليمُ** ﴾ بأحوالهم ، ويردّ كيدهم في نحرهم .

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا
غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿ **وإن يُريدوا أنْ يَخْدَعُوكَ** ﴾ بالصلح ظاهراً وفي نيتهم الغدرُ ﴿ **فإنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ** ﴾ أي: هو سبحانه كافيك بنصره ومعونته ﴿ **هُوَ الَّذي أيَّدَكَ بنَصْرِهِ** ﴾ يومَ بدر من غير إعدادِ قوة ولا رباط خيل ﴿ **وبالمؤمنينَ** ﴾ .

[٦٣] ﴿ **وألَّفَ بَيْنَ قُلوبِهم** ﴾ بالهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿ **لو أنْفَقْتَ ما في الأرضِ جميعاً** ﴾ من الذهب والفضة ﴿ **ما ألَّفتَ بيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكنَّ اللَّهَ ألَّفَ بيْنَهم ، إنَّهُ عزيزٌ** ﴾ غالبٌ على كل ظاهر وباطن ﴿ **حَكيمٌ** ﴾ أي فاقتضت كلمته ذلك .

[٦٤] ﴿ **يا أيُّها النَّبيُّ حسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمنينَ** ﴾ أي: كفاك أن الله مؤيدك وكذلك المؤمنون الذين اتبعوك . [عن سعيد بن جبير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً ، ثم إن عمر رضي الله عنه أسلم فصاروا أربعين ، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ أخرجه ابن أبي حاتم ـ السيوطي] .

[٦٥] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ حرِّضِ المُؤْمِنينَ** ﴾ أي: حثهم ﴿ **على القتال ، إنْ يكُنْ منكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلبُوا مائَتَيْنِ ، وإنْ يكُنْ منكمْ مائةٌ يغلبُوا ألفاً منَ الذينَ كفرُوا بأنَّهم قوْمٌ لا يفقهُونَ** ﴾ فالكافر يقاتل حمية جاهلية واتباعاً لخطوات الشيطان ، بينما المؤمن يقاتل احتساباً وامتثالاً لأمر الله تعالى .

[٦٦] ﴿ **الآنَ خفَّفَ اللَّهُ عنكُمْ وعَلِمَ أنَّ فيكمْ ضعْفاً ، فإنْ يكُن مِنكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وإن يكُن منكم ألفٌ يغلِبوا ألفينِ بإذنِ الله واللهُ مَعَ الصابرينَ** ﴾ شق على المسلمين أن يتصدى المسلم لعشرة من الكافرين فنزلت هذه الآية تخفيفاً عنهم .

[٦٧] ﴿ **مَا كَانَ لنبيٍّ أنْ يكُونَ لَهُ أسْرى حتَّى يُثْخِنَ في الأرضِ** ﴾ يُكثر القتل ويبالغ فيه ، حتى يذل الكفر وأهله ﴿ **تُريدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا** ﴾ متاعها الزائل بأخذ الفداء من الأسرى ﴿ **واللَّهُ يُريدُ الآخِرَةَ** ﴾ أي: يريد لكم ثوابها ﴿ **واللَّهُ عزيزٌ** ﴾ غالب على ما أراد ﴿ **حكيمٌ** ﴾ فيما يأمر به عباده . قال ابن عمر رضي الله عنهما: استشار رسول الله ﷺ في الأسرى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك ، خلّ سبيلهم . واستشار عمر فقال: اقتلهم ، ففاداهم رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ ، قال: فلقي النبي ﷺ عمر رضي الله عنه فقال: (كادَ أن يصيبنا في خلافك بلاء) ـ النيسابوري] .

[٦٨] ﴿ **لولا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ** ﴾ وهو: حكمه في الأزل بالعفو عن هذه الواقعة ، لأنه كتب على نفسه الرحمة ، وسبقت رحمتُهُ غضبَهُ ﴿ **لمَسَّكُمْ** ﴾ لأصابكم ﴿ **فيمَا أخَذْتُمْ** ﴾ أي: بسبب أخذكم الفِداء ﴿ **عذابٌ عظيمٌ** ﴾ . [روى الإمام أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة . وقد استمر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام مخيَّر فيهم ، إن شاء قتل كما فعل ببني قريظة ، وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر ، أو بمن أسر من المسلمين ، وإن شاء استرق من أسر . هذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وطائفة من العلماء . وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه ـ ابن كثير] .

[٦٩] ﴿ **فكُلُوا ممَّا غنمتُمْ حلالاً طيِّباً** ﴾ بعد إخراج الخمس ﴿ **واتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿ **إنَّ اللَّهَ غفورٌ رَحيمٌ** ﴾ إذا اتقيتموه .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

[٧٠] ﴿ **يا أيها النبيُّ قُل لِمَنْ في أيديكُمْ من الأَسْرَى : إنْ يعلم اللَّهُ في قُلُوبِكُمْ خيراً** ﴾ أي : قوة إيمان وإخلاصاً فيه ﴿ **يُؤْتكمْ خيراً مما أُخِذَ مِنكُمْ** ﴾ من الفداء . روى ابن هشام ـ في السيرة ـ أن فداء المشركين يوم بدر كان أربعة آلاف درهم بالرجل إلى ألف درهم ، إلا من لا شيء له فمنَّ رسول الله ﷺ عليه ﴿ **ويغفِرْ لكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رحيمٌ** ﴾ . [قال الكلبي نزلت في العباس بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب وكان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس ، وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر ، ولم يكن بلغته النوبة ـ أي لم يصل دوره في الإطعام ـ حتى أسر ، فأخذت منه وأخذها رسول الله ﷺ منه . قال : فكلمت رسول الله أن يجعل لي العشرين أوقية الذهب التي أخذها منه فداء ، فأبى عليّ وقال : (أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا) ، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضة ـ ابن كثير] .

[٧١] ﴿ **وإنْ يُريدوا** ﴾ أي : الأسرى ﴿ **خِيانَتَكَ فقدْ خانُوا اللَّهَ منْ قبْلُ** ﴾ أي : من قبل معركة بدر ﴿ **فأمْكَنَ منْهُمْ** ﴾ أي : أظفرك عليهم قتلاً وأسراً ﴿ **واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ** ﴾ .

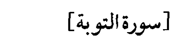
[٧٢] ﴿ **إنَّ الذينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا** ﴾ من مكة إلى المدينة لنصر الله ورسوله ﴿ **وجَاهَدُوا بأمْوالِهِمْ وأنفُسِهِمْ في سبيلِ اللَّهِ ، والذينَ آوَوْا ونَصَرُوا** ﴾ وهم الأنصار الذين آثروا المهاجرين على أنفسهم ونصروهم على أعدائهم وأسكنوهم في منازلهم ﴿ **أولئِكَ بعضُهُمْ أوْلياءُ بعْضٍ** ﴾ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ﴿ **والذينَ آمَنُوا ولمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ منْ ولايتِهِمْ منْ شيء حتَّى يُهاجِرُوا** ﴾ إلى المدينة ﴿ **وإن اسْتَنْصَرُوكُمْ في الدِّينِ فعليْكُمُ النَّصْرُ** ﴾ فيجب عليكم أن تنصروهم على أعدائهم المشركين ، لأنهم إخوانكم في الدين ﴿ **إلَّا على قوْمٍ بيْنَكُمْ وبيْنَهُمْ مِيثاقٌ** ﴾ أي : عهد ومهادنة إلى مدة ، فلا تعينوهم عليهم ، وتنقضوا عهدكم ﴿ **واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ فلا تخالفوا أمره .

[٧٣] ﴿ **والذينَ كفرُوا بعضُهُمْ أوْلياءُ بعْضٍ** ﴾ فلا يتولاهم إلاَّ من كان منهم ﴿ **إلَّا تفعَلُوهُ تكُنْ فِتْنَةٌ في الأرْضِ وفَسَادٌ كبيرٌ** ﴾ أي : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التواصل ، وتولّي بعضكم بعضاً ، ومن قطع العلاقات بينكم وبين الكفار ، تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك ، كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً في الاعتقادات والأعمال .

[٧٤] ﴿ **والذينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا في سبيلِ اللَّهِ** ﴾ أي : المهاجرون ﴿ **والذينَ آوَوْا ونَصَرُوا** ﴾ أي : الأنصار ﴿ **أُولئِكَ همُ المؤْمِنُونَ حقّاً لَهُمْ مغفِرَةٌ ورزْقٌ كريمٌ** ﴾ وهو الثواب الرفيع الشريف . [٧٥] ﴿ **والذينَ آمَنُوا من بعد** ﴾ اللفظ عام ويمكن أن يكون بعد الهجرة الأولى أو الثانية أو غزوة بدر ﴿ **وهاجَرُوا وجَاهَدُوا مَعَكُمْ فأولئِكَ منكمْ** ﴾ في كمال الإيمان والمغفرة والرزق الكريم ﴿ **وأُولُوا الأرْحَامِ بعضُهُمْ أَوْلَى ببعْضٍ في كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ أي : في حكمته وقسمته ، أو في اللوح ، أو في القرآن ﴿ **إنَّ اللَّهَ بكُلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ . قال ابن كثير : إن الآية عامة تشمل جميع القرابات كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد ، وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص .

ترتيبها ٩ سُورَةُ التَّوْبَة آياتها ١٢٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ
شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ
فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ
وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾
وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾



[سورة التوبة]



مدنية وآياتها ١٢٩ آية ، لها أسماء كثيرة أشهرها : براءة ، وللسلف في ترك كتابة البسملة في أولها والتلفظ بها أقوال .

[١] ﴿ **براءةٌ منَ اللَّهِ ورسولِه إلى الذينَ عاهدتُم منَ المُشْركينَ** ﴾ البراءة في اللغة : انقطاع العصمة ، وبراءة نزلت في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم .

[٢] ﴿ **فَسِيحُوا في الأرضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** ﴾ أي : فقولوا لهم : سيروا في الأرض بعد نبذنا العهد آمنين من القتل والقتال مدة أربعة أشهر ﴿ **واعْلَمُوا أنكم غيرُ مُعْجِزِي اللَّهِ** ﴾ يعني أن هذا الإمهال ليس لعجز عنكم ، ولكن لحكمة ولطف بكم ﴿ **وأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكافِرِينَ** ﴾ أي : مُذِلُّهم بالقتل في الدنيا ، والعذاب في الآخرة .

[٣] ﴿ **وَأَذَانٌ منَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ الأذان بمعنى الإعلام ﴿ **إلى النَّاس** ﴾ فالإعلام عام لجميع الناس ﴿ **يَوْمَ الحجِّ الأَكْبَرِ** ﴾ قيل هو يوم عرفة ، وقيل يوم النحر ﴿ **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ منَ المُشْرِكينَ وَرَسُولُه ، فإنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خيرٌ لكُمْ** ﴾ أي : فإن تبتم أيها المشركون ، من كفركم ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له فهو خير لكم من الإقامة على الشرك ﴿ **وإن تولَّيْتُمْ** ﴾ عن الإيمان وأبيتم إلا الإقامة على ضلالكم وشرككم ﴿ **فاعْلَمُوا أنكم غيرُ مُعْجِزي اللَّهِ ، وبشِّرِ الذينَ كفروا** ﴾ أي : أنكروا نبوتك يا محمد ﷺ وخالفوا أمر ربهم ﴿ **بعذابٍ أليم** ﴾ مُعَدٍ لهم يوم القيامة . وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة بـ ﴿براءة﴾ فقال : ما كنتم تنادون؟ قال : كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله ـ أو أمده ـ إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسولُه ، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك ، قال : فكنت أنادي حتى صَحِلَ صوتي ـ أي بحّ ـ .

[٤] ﴿ **إلاَّ الذينَ عَاهَدْتُمْ منَ المُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شيئاً** ﴾ من شروط الميثاق ، فلم يقتلوا منكم أحداً ولم يضروكم قط ﴿ **ولَمْ يُظَاهِرُوا** ﴾ ولم يعاونوا ﴿ **عليكم أحداً** ﴾ من أعدائكم ﴿ **فأتمُّوا إليهمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ ، إنَّ الله يُحِبُّ المُتَّقينَ** ﴾ أي فاتقوه في إتمام الوفاء .

[٥] ﴿ **فإذَا انْسَلَخَ** ﴾ أي : انقضى ﴿ **الأَشْهُرُ الحُرُمُ** ﴾ التي أُبيح للذين عُوهدوا فيها أن يسيحوا في الأرض وحُرِّم فيها قتالهم ﴿ **فاقْتُلوا المُشْركينَ حيثُ وجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ سواء في الحل أو في الحرم ﴿ **وَخُذُوهم** ﴾ أسرى ﴿ **واحْصُرُوهم** ﴾ واحبسوهم في المكان الذي تجدونهم فيه ﴿ **واقْعُدُوا لَهُمْ** ﴾ أي : لقتالهم ﴿ **كلَّ مَرْصَدٍ** ﴾ كل طريق وممر ﴿ **فإنْ تابُوا** ﴾ عن الكفر ﴿ **وأَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر .

[٦] ﴿ **وإنْ أحدٌ منَ المُشْركينَ استجارك** ﴾ أي : استأمنك بعد انقضاء أشهر العهد ﴿ **فأَجِرْهُ حتَّى يسمعَ كلامَ اللَّهِ** ﴾ أي : القرآن الذي تقرؤه عليه ويطلع على حقيقة الأمر ، وتقوم عليه حجة الله به ، فإن أسلم ثبت له ما للمسلمين ﴿ **ثمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** ﴾ وإن أبى الإسلام فإنه يُردُّ إلى مأمنه وداره التي يأمن فيها ﴿ **ذلكَ بأنَّهُمْ قومٌ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق ، ولا يبقى لهم معذرة .

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا
ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[٧] ﴿ **كيْفَ يكونُ للمُشْرِكِينَ عَهْدٌ** ﴾ أي : أمان ﴿ **عِنْدَ اللَّهِ وعنْدَ رسُولِهِ** ﴾ لكفرهم بهما ﴿ **إلاّ الذينَ عَاهَدْتُمْ عندَ المسجدِ الحَرامِ** ﴾ يعني أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ﴿ **فما استقامُوا لكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ** ﴾ فما داموا مستقيمين على عهدهم ملتزمين بواجباتهم ، فاستقيموا لهم وأدّوا إليهم حقهم ﴿ **إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ** ﴾ . [استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد ومالأوا حلفاءهم ، وهم بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ فقتلوهم معهم في الحرم أيضاً ، فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم ـ ابن كثير] .

[٨] ﴿ **كيْفَ وإنْ يظْهَرُوا عَلَيْكُمْ** ﴾ أي : يظفروا بكم ﴿ **لا يَرْقُبُوا فيكُمْ إلاًّ** ﴾ أي : قرابة ويميناً ﴿ **ولا ذِمَّةً** ﴾ أي : عهداً ﴿ **يُرْضُونَكُمْ بأفْواهِهِمْ وتأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾ يقولون خلاف ما يخفون في أنفسهم ﴿ **وأكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ** ﴾ متمردون لا عقيدة تردعهم ولا مروءة . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : الإل القرابة والذمة العهد . وقال مجاهد : الإل الله ، أي لا يرقبون إلا الله لا غيره . وقال قتادة : الإل الحلف . والقول الأول أشهر وعليه الأكثر ـ ابن كثير] .

[٩] ﴿ **اشْتَرَوْا بآياتِ اللَّهِ** ﴾ أي : استبدلوا بها ﴿ **ثَمَناً قليلاً** ﴾ من متاع الدنيا ﴿ **فَصَدُّوا عن سبيلِهِ** ﴾ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم ﴿ **إنَّهُمْ سآءَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .

[١٠] ﴿ **لا يَرْقُبُونَ في مُؤْمِنٍ إلاًّ** ﴾ قرابة ﴿ **ولاَ ذِمَّةً** ﴾ ولا عهداً ﴿ **وأولئكَ هُمُ المُعْتَدونَ** ﴾ .

[١١] ﴿ **فإنْ تَابُوا** ﴾ عمّا هم عليه من الكفر ﴿ **وأقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزكاةَ فإخوانُكم في الدينِ** ﴾ لهم ما لكم ، وعليهم ما عليكم ﴿ **ونفصِّلُ الآياتِ** ﴾ نبيّنها ونوضحها ﴿ **لقوم يعلمونَ** ﴾ .

[١٢] ﴿ **وإنْ نكَثُوا** ﴾ أي : نقضوا ﴿ **أيْمانَهم** ﴾ جمع يمين والمقصود : عهودهم ﴿ **من بعْدِ عهدِهم وطعنُوا في دينِكم فقاتلوا أئمَّةَ الكُفْرِ** ﴾ أي : رؤساءهم وصناديدهم [قال ابن كثير: قال ابن مردويه : مرّ سعد بن أبي وقّاص برجل من الخوارج ، فقال الخارجي : هذا من أئمة الكفر ، فقال سعد : كذبت بل أنا قاتلت أئمة الكفر . والآية عامة وإن كان سبب نزولها في مشركي قريش . والله أعلم] ﴿ **إنَّهم لا أيْمانَ لَهُمْ** ﴾ لا عهود لهم ﴿ **لعلَّهم ينتهونَ** ﴾ عن الكفر والطعن ويعودون إلى الإيمان . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد ، وهم الذين هموا الرسول ﷺ ـ النيسابوري] .

[١٣] ﴿ **ألاَ تُقَاتِلونَ قوماً نكَثُوا أيْمَانَهُمْ** ﴾ أي : أبطلوها ﴿ **وهَمُّوا بإخْرَاجِ الرَّسُولِ** ﴾ من مكة ، حين ائتمروا به في دار الندوة ﴿ **وهُمْ بَدَؤوكُمْ أوَّلَ مرَّةٍ** ﴾ بالقتال يوم بدر ، وقيل : بنقضهم العهد بعد الحديبية وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ﷺ ﴿ **أتخشَوْنَهُمْ** ﴾ أي : أتخافون أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم ؟ ﴿ **فاللَّهُ أحقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كنتمْ مؤمنينَ** ﴾ يعني أن الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلاّ ربه ، ولا يخاف سواه .

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

[١٤] ﴿ **قاتلوهُم يُعذِّبْهُمُ اللَّهُ بأَيْديكم ويُخزِهم** ﴾ بالأسر والاسترقاق ﴿ **وينصُركم عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمنينَ** ﴾ ممن لم يشهد القتال .

[١٥] ﴿ **ويُذْهِبْ غيْظَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ بما كابدوا من المكاره والمكايد ﴿ **وَيَتُوبُ اللَّهُ على مَنْ يَشَاءُ واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ** ﴾ .

[١٦] ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا** ﴾ على ما أنتم عليه ، ولا تؤمروا بالجهاد ﴿ **ولمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الذينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يتَّخِذُوا منْ دُونِ اللَّهِ ولا رسُولهِ ولا المُؤمنينَ وَليجَةً** ﴾ أي : بطانة يفشون إليهم أسرارهم ، والمعنى : لابد أن تُختبروا ، حتى يظهر المخلصون منكم ، وهم الذين جاهدوا في سبيل الله ، لوجه الله ﴿ **والله خَبيرٌ بِمَا تعْمَلُونَ** ﴾ .

[١٧] ﴿ **مَا كانَ للمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مساجِدَ اللَّهِ** ﴾ سواء بحفظ بنائها أو زيارتها والإقامة فيها ﴿ **شاهدينَ على أَنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ ، أولئكَ حبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وفي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ** ﴾ .

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

[قال المفسرون : لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم ، وأغلظ عليّ رضي الله عنه له القول ، فقال العباس : ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا ؟ فقال له عليّ رضي الله عنه : ألكم محاسن ؟ قال : نعم ، إنا لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ، ونسقي الحاج ، ونفك العاني . فأنزل الله عز وجل ردّاً على العباس : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا ﴾ الآية ـ النيسابوري] .

[١٨] ﴿ **إنَّما يَعْمُرُ مساجدَ اللَّهِ من آمن باللَّهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاة وآتى الزَّكاةَ ولم يَخْشَ إلَّا اللَّهَ** ﴾ أي : يعمرها الذي يعبد الله فيها ﴿ **فعسى أولئكَ أنْ يكونُوا منَ المهتدينَ** ﴾ إلى الجنة . وفي الحديث : (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح) رواه البخاري ومسلم ، وعنهما أيضاً (من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة) .

[١٩] ﴿ **أجعلتُم سقايةَ الحاجِّ** ﴾ سقاية الحاج : ما كانت قريش تسقيه للحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها العباس رضي الله عنه في الجاهلية والإسلام ﴿ **وعِمَارَةَ المسجدِ الحرام** ﴾ فالمشركون كانوا يفخرون أنهم أهله وعماره ﴿ **كَمَنْ آمنَ باللَّهِ واليوم الآخرِ وجاهدَ في سبيلِ اللَّهِ، لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ، واللَّهُ لا يهدي القومَ الظَّالمينَ** ﴾ . [قال الحسن والشعبي والقرظي : نزلت الآية في عليّ والعباس وطلحة بن شيبة ، وذلك أنهم افتخروا ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بتّ فيه وإليّ ثياب بيته . وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها . وقال عليّ رضي الله عنه : ما أدري ما تقولان ، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد . فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٢٠] ﴿ **الذينَ آمنُوا** ﴾ صدّقوا بوحدانية الله ﴿ **وهاجَرُوا** ﴾ وهجروا أوطانهم ﴿ **وجاهدوا في سبيلِ اللَّهِ بأموالِهم وأنفُسِهِم أعْظَمُ درجةً عندَ اللَّهِ** ﴾ من أهل السقاية والعمارة من المشركين ﴿ **وأولئكِ همُ الفائزونَ** ﴾ أي : الظافرون بالجنة الناجون من النار . [قال علي للعباس رضي الله عنهما : ألا تهاجر ؟ ألا تلحق بالنبي ﷺ ؟ قال : ألستُ في شيء أفضل من الهجرة ؟ ألست أسقي حاجّ بيت الله وأعمر المسجد الحرام ؟ فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا** ﴾ الآية ـ النيسابوري] .

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢١] ﴿ يُبَشِّرُهُم ربُّهم برحمةٍ منهُ ورضوانٍ ﴾ وفي الحديث الصحيح (أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) ﴿ وجنَّاتٍ ﴾ بساتين ناضرة ﴿ لهمْ فيها نعيمٌ مُقيمٌ ﴾ ثابت دائم لا يزول ولا يفنى .

[٢٢] ﴿ خالِدِينَ فيهَا أبداً ﴾ ماكثين في تلك الجنات إلى ما لا نهاية ﴿ إنَّ اللّهَ عندَهُ أجرٌ عظيمٌ ﴾ يثيب المؤمنين يوم القيامة على طاعتهم له وعملهم الصالح في سبيله .

[٢٣] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تَتَّخِذوا آباءَكُم وإخوانَكم أَوْلياءَ ﴾ أي بطانة وأصدقاء ، تفشون إليهم أسراركم ، وتمدحونهم وتذبُّون ـ تدافعون ـ عنهم ﴿ إن استحبُّوا ﴾ أي اختاروا ﴿ الكُفْرَ على الإيمانِ ، ومنْ يتولَّهم منكمْ فأولئكَ هُمُ الظَّالمونَ ﴾ لوضعهم الموالاة في غير موضعها الذي أمر الله به . [قال الكلبي : لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته : إنا قد أمرنا بالهجرة . فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده ، فيقولون : ناشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع . فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم ﴾ الآية ـ النيسابوري] .

[٢٤] ﴿ قُلْ : إنْ كانَ آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكُمْ وأزواجُكم وعشيرتُكُمْ ﴾ أي : أقاربكم الأدنون ، أو قبيلتكم ﴿ وأموالٌ اقترفتُمُوهَا ﴾ أي : اكتسبتموها ﴿ وتجارةٌ تخشَوْنَ كسادَها ، ومَساكِنُ ترْضوْنَها ﴾ من الدور والبساتين ﴿ أحبَّ إليْكم من اللّهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصُوا ﴾ فانتظروا ﴿ حتَّى يأتيَ اللّهُ بأمرِه ﴾ أي : بقضائه ، وهو عذاب عاجل ، أو عقاب آجل ، وربما كان المراد فتح مكة ﴿ واللّهُ لا يهْدِي القوْمَ الفاسقينَ ﴾ الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين . [عن زهرة بن معبد عن جده قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي . فقال رسول الله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) فقال عمر رضي الله عنه : فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي . فقال رسول الله ﷺ : (الآن يا عمر) ـ ابن كثير] .

[٢٥] ﴿ لقدْ نصرَكُمُ اللّهُ في مواطنَ كثيرةٍ ﴾ في حروب كثيرة ﴿ ويوْمَ حُنيْنٍ ﴾ غزوة حنين ، بعد فتح مكة ﴿ إذْ أعْجَبَتكُمْ كثْرَتُكم ﴾ أي : فاعتمدتم عليها وقلتم : لن نُغلب اليوم من قلَّة ﴿ فلمْ تُغْنِ عنكمْ شيئاً ﴾ من أمر العدو ، مع كثرتكم وقلَّتهم ﴿ وضاقتْ عليكُمُ الأرضُ بما رحُبَتْ ﴾ أي : ضاقت ، مع سعتها عليكم ﴿ ثمَّ ولَّيْتُمْ مُدْبِرينَ ﴾ أي : منهزمين .

[٢٦] ﴿ ثمَّ أنزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ أي : ما تسكنون به ، وتثبتون من رحمته ونصره ﴿ على رسُولِهِ وعلَى المُؤْمنِينَ ، وأنْزَلَ جُنُوداً لمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني : الملائكة [روى ابن جرير عن رجل كان في المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ـ أي لم يصمدوا أمامنا مقدار حلب شاة ـ قال : فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله ﷺ ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا . قال : فانهزمنا ، وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها] ﴿ وعذَّبَ الذينَ كَفَرُوا ﴾ بالقتل والأسر والسبي ﴿ وذلكَ جزاءُ الكافرينَ ﴾ في الحياة الدنيا .

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

[٢٧] ﴿ **ثمّ يتُوبُ اللَّهُ مِنْ بعـدِ ذلكَ على منْ يشاءُ** ﴾ أي : يوفقه للإسلام ﴿ **واللَّهُ غفورٌ** ﴾ يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي ﴿ **رحيمٌ** ﴾ يتفضل عليهم بالثواب .

[٢٨] ﴿ **يا أيُّها الـذينَ آمَنُوا إنَّما المُشركُـونَ نَجَسٌ** ﴾ من المفسرين والفقهاء من اعتبر نجاستهم نجاسة معنوية ، ومنهم من قـال إنها نجاسـة عينيـة فيهم ﴿ **فَلا يقْربُوا المسجدَ الحرامَ** ﴾ لحج أو عمـرةٍ كما كـانـوا يفعلون في الجاهلية﴿ **بعْدَ عامِهِمْ هَذَا** ﴾ وهو عام تسع من الهجرة ﴿ **وإنْ خِفْتُم عَيْلَةً** ﴾ أي : فقراً بسبب منعهم من الحرم في مكة لما ينفقونه عند حضورهم ﴿ **فسوْفَ يُغنيكُمُ اللَّهُ منْ فضْلِهِ إنْ شاءَ** ﴾ من فتح البلاد ، وحصول المغانم ، وأخذ الجزية ، وتوجـه الناس إلى مكة من أقطار الأرض ﴿ **إنَّ اللَّهَ عليمٌ** ﴾ بما يصلحكم ﴿ **حكيمٌ** ﴾ فيما يأمر. [لمّا نـزلت هذه الآيـة بعث رسـول الله ﷺ علياً صحبـة أبي بكر رضي الله عنهما وأمره أن ينادي في المشركين أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . وكتب عمربن عبد العزيز رضي الله عنه أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين ـ ابن كثير] .

[٢٩] ﴿ **قَاتِلُوا الذينَ لا يُؤمِنـونَ باللَّهِ ولا باليوم الآخِرِ ولا يُحرِّمونَ ما حرَّم اللَّهُ ورسولُـهُ ، ولا يدينونَ دينَ الحَقِّ منَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ حتَّى يُعْطُوا الجزْيَةَ** ﴾ الجزية : هي المال المقرر على غير المسلمين لقـاء حمايـة الـدولـة المسلمـة لهـم . وهذه الآيـة أول أمر نـزل بقتال أهـل الكتـاب ـ اليهود والنصـارى ـ وكان ذلك في سنة تسع للهجرة ، ولهذا تجهـز رسول الله ﷺ لقتال الروم ، ودعـا الناس إلى ذلك ﴿ **عَنْ يَدٍ** ﴾ اليد : هنـا إمَّا بمعنى الاستسلام والانقياد وإما بمعنى نقداً لا نسيئة وإما بمعنى الجارحة الحقيقية : يؤدون الجزية بيدهم لا بيد غيرهم ﴿ **وهمْ صاغرونَ** ﴾ أي : أذلاَّء .

[٣٠]﴿ **وقالتِ اليهودُ : عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ ، وقالتِ النَّصارى : المسيحُ ابنُ اللَّهِ** ﴾ والذي دعا الفريقين إلى هذا القول هو الغلوّ في التعظيم . وقيل عزيرٌ يهودي نبغ بينهم وعاد من بابل بمن بقي من اليهود إلى بيـت المقدس ، وجدد ما اندثر من الشريعة الموسويـة ، ويعرف باسم : عزرا ﴿ **ذلكَ قوْلُـهُم بأفْواهِهِمْ ، يُضَاهِئُونَ قولَ الذينَ كفرُوا من قبْلُ** ﴾ المضاهاة : المشابهة ، والمراد : عراقتهم في الكفر ، أي أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث ﴿ **قاتَلَهُمُ اللَّهُ** ﴾ أي : لعنهم أو قتلهم ﴿ **أنّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ أي : كيف يصرفون عن الحق إلى البـاطل .[روى ابن جرير عن ابن عباس قـال : أتى رسول الله ﷺ سلاّم بن مِشْكَم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصَّيِّف، فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت قِبْلَتنَا ، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ إلى ﴿أنى يؤفكون﴾] .

[٣١] ﴿ **اتّخذوا أحْبارَهُمْ** ﴾ الأحبار : علماء اليهود ﴿ **ورُهبانَـهُمْ** ﴾ الرهبـان : جمع راهب بمعنى المتعبد الخاشع الزاهـد وأصلها عند النصـارى ترك أشغال الدنيا وملذاتها والعـزلة عن الناس للتعبد ﴿ **أرباباً منْ دونِ اللَّهِ** ﴾ وليس المراد من الأربـاب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العـالم ، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم ﴿ **والمسيحَ ابنَ مريمَ** ﴾ عبدوه كذلك ﴿ **ومَا أُمِرُوا** ﴾ في كتابهم ﴿ **إلاّ لِيَعْبُدُوا إلهاً واحداً** ﴾ يطيعون أوامره ولا يطيعون أمر غيره ﴿ **لا إلهَ إلاّ هُوَ سبحانَـهُ عمّا يُشْرِكُونَ** ﴾ به في العبادة والطاعة .

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿ **يُريدُونَ أنْ يُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بأفْواهِهِمْ** ﴾ أي : يخمدوا حجته الدالة على وحدانيته ﴿ **ويأْبى اللَّهُ إلاّ أنْ يُتِمَّ نورَهُ** ﴾ بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام ﴿ **ولَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ** ﴾ .

الحزب ٢٠

[٣٣] ﴿ **هوَ الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى** ﴾ أي : بالقرآن الذي هو هدى للمتقين ﴿ **ودينِ الحقِّ** ﴾ التوحيد الثابت الذي لا يزول ﴿ **ليُظْهِرَهُ على الدينِ كلِّه** ﴾ على سائر الأديان ﴿ **ولوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ** ﴾ .

[٣٤] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنُوا إنَّ كثيراً منَ الأحبارِ والرُّهبانِ ليَأْكُلُونَ أموالَ النَّاسِ بالباطِلِ** ﴾ يأخذونه بالطريق المنكر. [نزلت في العلماء والقراء من أهل الكتاب كانوا يأخذون الرشاء من سفلتهم ، وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من عوامهم ـ ابن كثير] ﴿ **ويصدُّونَ عنْ سبيلِ اللَّهِ** ﴾ وهو دين الإسلام وحكمه ﴿ **والذينَ يكْنِزُونَ الذهبَ والفِضَّةَ** ﴾ أي : يجمعونها ﴿ **ولاَ يُنْفِقُونَها في سَبيلِ اللَّهِ** ﴾ بالزكاة . [عن ثوبان رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه﴾ قال رسول الله ﷺ : (تباً للذهب والفضة) قالوا : يا رسول الله فأيّ المال نكنز؟ قال : (قلباً شاكراً ذاكراً وزوجة صالحة) رواه أحمد ـ ابن كثير] . روى الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة ، فلما رآني قال (هم الأخسرون ورب الكعبة) قال : فجئت حتى جلست ، فلم أتقارّ حتى قمت فقلت : يا رسول الله فداك أبي وأمي ، من هم ؟ قال : (هم الأكثرون أموالاً ، إلاّ من قال هكذا وهكذا ، من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله وقليل هم) ﴿ **فبشِّرْهُمْ بعذابٍ أليمٍ** ﴾ .

[٣٥] ﴿ **يوْمَ يُحْمى علَيْهَا** ﴾ أي : يوقد عليها ﴿ **في نارِ جهنَّمَ فتُكْوَى بِها جِباهُهُم وجُنوبُهُمْ وظهُورُهُمْ** ﴾ ويُقال لهم : ﴿ **هذا ما كنَزْتُم لأنْفُسِكُمْ** ﴾ لتتلذذوا به ، فكان سبب تعذيبهم ﴿ **فذوقوا ما كُنْتُم تكنزونَ** ﴾ أي : فذوقوا ألمه وشدّته بالكيّ .

[٣٦]﴿ **إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عندَ اللَّهِ** ﴾ أي عددها في حكمه ﴿ **اثنا عَشَر شهْراً** ﴾ وهي الأشهر القمرية ﴿ **في كتابِ اللَّهِ** ﴾ أي : في اللوح المحفوظ ﴿ **يوْمَ خلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ ، منها** ﴾ أي : من تلك الشهور الاثني عشر ﴿ **أرْبعةٌ حرُمٌ** ﴾ ثلاثة متتابعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو : رجب ﴿ **ذلكَ** ﴾ التحريم للأشهر الأربعة المذكورة ﴿ **الدِّينُ القيِّمُ** ﴾ المستقيم ﴿ **فلا تظلِمُوا فيهنَّ أنْفُسَكم** ﴾ بهتك حرمتها بالقتال فيها [قال ابن جرير: فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا ما حرم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قِبَلَ لها به من سخط الله وعقابه . . . وقال بعضهم: فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم، وقال آخرون: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم، وقال آخرون: فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالاً، وحلالها حراماً، أنفسكم. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم باستحلال حرامها فإن الله عظّمها وعظّم حرمتها]﴿ **وقاتِلوا المُشْركينَ كافةً كما يقاتلونكم كافةً** ﴾ أي : جميعاً ﴿ **واعْلَمُوا أنَّ اللّهَ مع المُتَّقينَ** ﴾ ينصرهم ويمدهم بتأييده .

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٧] ﴿ **إنّما النَّسيءُ** ﴾ أي : تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر ﴿ **زيادةٌ في الكُفْـرِ** ﴾ لأنـه تحليل مـا حرمـه الله ، وتحريم مـا حلله ﴿ **يُضَـلُّ بهِ الـذينَ كفَـرُوا يُحِلّونـه عاماً** ﴾ أي : يحلـون النسيء من الأشهـر الحرم سنـة ، ويحرمون مكـانه شهـراً آخر ﴿ **ويُحرِّمونَه عـاماً** ﴾ أي : يتركونه على حرمته القديمة ويحافظون عليها سنة أخرى ﴿ **ليُوَاطِئوُا عِدّةَ ماحرّمَ اللّهُ** ﴾ ليوافقـوا العدة التي هي الأربعة ، ولا يخالفـوها ، وربما زادوا في عـدد الشهور ، فيجعلـونها ثـلاثـة عشر ، أو أربعـة عشر ، ليتسع لهم الوقت ﴿ **فيُحلُّوا ما حـرّمَ اللّـهُ** ﴾ بتركهم التخصيص للأشهر بعينها ﴿ **زُيِّنَ لَهُمْ سُـوءُ أعْمالِهِم** ﴾ فاعتقدوا قبيحها حسناً ﴿ **واللّهُ لا يهدي القومَ الكـافرِينَ** ﴾ وقال ابن عبـاس فيما رواه عنه علي بن أبي طلحـة : إنه تعـالى اختص من الأشهر أربعة أشهر جعلهن حراماً ، وعظّم حرماتهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم والأجر أعظم .

[٣٨] ﴿ **يا أيها الذينَ آمنُوا مَا لكُمْ إذَا قيلَ لكُمُ انفرُوا في سبيلِ اللّهِ** ﴾ وكان ذلك في غزوة تبـوك في سنة عشر بعد رجـوعهـم من الطـائف . [نـزلت في الحث على غـزوة تبـوك ، وذلك أن رسـول الله ﷺ لما رجع من الطـائف وغـزوة حنين أمر بـالجهاد لغـزو الروم ، وذلك في زمـان عسرة من النـاس وجـدب من البـلاد وشـدة من الحر ، حين أخرفـت ـ دنا جَنْيُها ـ النـخل وطـابت الثمـار ، فعظم على النـاس غزوة الـروم وأحبوا الظـلال والمقام في المسـاكن والمال ، وشق عليهم الخروج إلى القتـال ، فلما علم الله تثاقل النـاس أنزل هذه الآية ــ النيسابوري] .

﴿ **اثّاقلتُمْ إلى الأرْضِ** ﴾ أي : تثاقلتم وتباطأتم مائلين إلى الـدنيا وشهواتها الفانية ﴿ **أرَضِيتُم بالحياةِ الدُّنْيا** ﴾ الحقيرة الفانية ﴿ **منِ الآخِرَةِ** ﴾ ونعيمها الدائم ﴿ **فَمَا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا في الآخرة** ﴾ أي : في جنب الآخرة إذا قيست إليها ﴿ **إلاّ قَليلٌ** ﴾ مستحقرٌ لا يُؤْبَهُ له . قال رسول الله ﷺ : (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم ، فلينظر بم ترجع) ـ وأشار بالسبّابة ، رواه أحمد ومسلم .

[٣٩] ﴿ **إلاّ تنفرُوا يُعذِّبكم عذاباً أليماً ويستبدلْ قوْماً غيرَكم** ﴾ لنصرة نبيه و إقامة دينه ﴿ **ولاَ تضرُّوهُ شيئاً** ﴾ و إنما تضرُّون أنفسكم ﴿ **واللّهُ على كلِّ شيءٍقديرٌ** ﴾ .

[٤٠] ﴿ **إلاّ تنصُرُوهُ** ﴾ بالخروج معه إلى تبوك ﴿ **فقدْ نصرَهُ اللّهُ إذْ أخْرَجَهُ الذينَ كفَرُوا** ﴾ يعني كفار مكة حين مكروا به ﴿ **ثانيَ اثْنَيْنِ** ﴾ وهما الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يوم هجرتها ﴿ **إذْ هُما في الغارِ** ﴾ وهو غار جبل ثور في الجهة اليمنى من مكة ، مكثـا فيه عند هجرتها إلى المدينة ثلاث ليال ثم سارا إلى المدينة ﴿ **إذْ يقولُ** ﴾ رسول الله ﷺ ﴿ **لصاحبِهِ** ﴾ أبي بكر ، أخرج الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : (أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار) ﴿ **لا تحزنْ** ﴾ وذلك لخوف أبي بكر على رسول الله ﷺ من أذى المشركين وقد رأى أقدامهم أمام باب الغار ﴿ **إنَّ اللّهَ معنَا** ﴾ ينصرنا ويحفظنا ﴿ **فأنزلَ اللّهُ سَكِينَتَـهُ** ﴾ أي : طمأنينته التي تسكن عندها القلوب ﴿ **عَلَيْهِ** ﴾ أي : على النبي ﷺ ، وقيل على أبي بكر ، لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة ﴿ **وأيَّدَهُ بجنُودٍ لمْ تَرَوْهَا** ﴾ يعني : الملائكة ﴿ **وجَعَلَ كلمةَ الذينَ كَفَرُوا السُّفْلَى** ﴾ المغلوبة المقهورة ﴿ **وكلمةُ اللّهِ هي العُلْيا** ﴾ يعني : التوحيد ﴿ **واللّهُ عزيزٌ** ﴾ غالب على ما أراد ﴿ **حكيمٌ** ﴾ في حكمه وتدبيره .

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٤١﴾ لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ﴿٤٢﴾ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴿٤٣﴾ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴿٤٤﴾ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴿٤٥﴾ ۞ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴿٤٦﴾ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿ انفرُوا خفافاً وثقالاً ﴾ أي : على أي حال كنتم ، سواء كان القتال في حالة العسر أو اليسر ، والقوة أو الضعف ﴿ وجاهِدُوا بأموالكمْ وأنفُسِكُمْ ﴾ ببذلها والتضحية بها ﴿ في سبيل اللّهِ ذلكم خيرٌ لكم إنْ كُنتُم تَعْلَمُونَ ﴾ [نزلت في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل وانتشار الأمر ، فأبى الله تعالى أن يعذرهم دون أن ينفروا على ما كان منهم . وعن ابن جدعان عن أنس رضي الله عنه قال : قرأ أبو طلحة : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ فقال : ما أسمع الله عذراً أحداً . فخرج مجاهداً إلى الشام حتى مات . وقال السّديّ : جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله ﷺ وكان عظيماً سميناً ، فشكا إليه وسأله أن يأذن له ، فنزلت : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ فلما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس ، فنسخها تعالى وأنزل : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ الآية ـ النيسابوري].

ربع الحزب ٢٠

[٤٢] ﴿ لوْ كانَ ﴾ ما تدعوهم إليه ﴿ عَرَضاً قريباً ﴾ أي : نفعاً سهل المأخذ ﴿ وسفراً قاصداً ﴾ أي : وسطاً ﴿ لاتَّبَعُوكَ ، ولكنْ بَعُدَتْ عليهمُ الشُّقَّةُ ﴾ أي : الناحية التي نُدِبُوا إليها ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ ﴾ المتخلفون عن غزوة تبوك ﴿ باللّهِ ﴾ معتذرين بالعجز ﴿ لو استطعنا لخرجْنَا معَكُمْ ﴾ إلى تلك الغزوة ﴿ يُهلِكون أنفسَهم ﴾ بهذا الحلف ودعوى العجز ﴿ واللّهُ يعلمُ إنَّهم لكاذِبُونَ ﴾ لأنهم كانوا يستطيعون الخروج مع رسول الله ﷺ .

[٤٣] ﴿ عَفَا اللّهُ عنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُم ﴾ أي : لهؤلاء المنافقين بالتخلف حين اعتلُّوا بعللهم ، وقال القاضي عياض : وهذا أمر لم يتقدم للنبيّ ﷺ فيه من الله نهي فيعد معصية ، ولا عدّه الله عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة ، وغلّطوا من ذهب إلى ذلك . قال نفطويه : وقد حاشاه الله من ذلك ، بل كان مخيّراً في أمرين ، فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم ، أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه فيما فعل ، وليس عفا هنا بمعنى غفر ، بل كما قال النبي ﷺ : (عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق) رواه ابن ماجه ، أي تجاوز لكم ، وقال القشيري : لم يلزمك ذنباً ﴿ حتّى يتبيَّنَ لكَ الذينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾ . [٤٤] ﴿لا يستأذِنُكَ الذينَ يُؤمنونَ باللّهِ واليوم الآخِرِ أنْ يُجَاهِدُوا بأمْوالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ واللّهُ عليمٌ بالمُتَّقينَ﴾ أي : فيعطيهم من الأجر ما يناسب تقواهم . [٤٥] ﴿إنّما يستأذِنُكَ﴾ في ترك الجهاد ﴿الذينَ لا يُؤمنونَ باللّهِ واليومِ الآخِرِ﴾ وهم المنافقون ﴿وارتابتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي : شكّوا فيما تدعوهم إليه ﴿فهُمْ في رَيْبِهِم يتردَّدونَ﴾ فهم قوم حيارى ، لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء .

[٤٦] ﴿ ولوْ أرادُوا الخُرُوجَ لأَعَدُّوا لهُ عُدَّةً ﴾ أي : قوةً من مال وسلاح وزادٍ ونحوها ﴿ ولكنْ كَرِهَ اللّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ أي : نهوضهم للخروج ﴿ فثبَّطَهُمْ ﴾ فكسَّلهم وضعَّف رغبتهم ﴿ وقيلَ اقْعُدُوا معَ القاعدينَ ﴾ من النساء والصبيان .

[٤٧] ﴿ لوْ خَرَجُوا فيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إلاّ خَبَالاً ﴾ أي : فساداً وشراً ﴿ ولأوْضَعُوا خِلالَكُمْ ﴾ ولأسرعوا السير بينكم بالفساد ﴿ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ ﴾ يطلبون لكم ما تفتنون ، بإيقاع الخلاف فيما بينكم ، وإلقاء الرعب في قلوبكم ﴿ وفيكم سمّاعُونَ لَهُمْ ﴾ أي : منقادونَ لقولهم مستحسنون لحديثهم ، فيتوهمون منهم النصح والإعانة ، وهم يريدون التخذيل والفتنة ﴿ والله عَليمٌ بالظَّالِمينَ ﴾ .

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ
إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٨] ﴿ **لقد ابْتَغَوُا الفِتْنَـةَ منْ قَبْلُ** ﴾ أي : طلبوا الشر بتشتيت شملك ، وتفريق صحبك عنك من قبل غزوة تبوك ، كما فعل عبد الله بن أبيّ بن سلول حين انصرف بأصحابه يوم أُحُد وترك رسول الله ﷺ والمسلمين يواجهون المشركين وحدهم ﴿ **وقلّبوا لكَ الأُمورَ** ﴾ ودبروا لك الحيل والمكايد ﴿ **حتّى جاءَ الحقُّ** ﴾ وهو تأييدك ونصرك وظفرك ﴿ **وظَهَرَ أمْرُ اللَّهِ** ﴾ أي : علا دينهُ ﴿ **وهُمْ كارِهونَ** ﴾ أي : على رغم منهم . قال ابن كثير : لما قَدِم النبي ﷺ المدينة رمته العرب عن قوس واحدة ، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته قال ابن أبيّ وأصحابه : هذا أمر قد توجه ـ أي أقبل ـ فدخلوا في الإسلام ظاهراً ، ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله أغاظهم ذلك وساءهم .

[٤٩] ﴿ **ومِنهُم مَن يقولُ ائذَنْ لي** ﴾ في القعود ﴿ **ولا تَفْتنّي** ﴾ ولا توقعني في الفتنة ﴿ **ألَا في الفِتنةِ سَقَطُوا ، وإنَّ جهنَّم لَمُحِيطَةٌ بالكافِرينَ** ﴾ يوم القيامة . [نزلت الآية في «جدّ بن قيس» المنافق وذلك أن رسول الله ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال له : (يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر ـ الروم ـ تتخذ منهم سراري ووصفاء؟) فقال : يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء ، وأني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهم فلا تفتني بهم وائذن لي في القعود عنك وأعينك بمالي . فأعرض عنه النبي ﷺ وقال (قد أذنت لك) فأنزل الله هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٥٠] ﴿ **إنْ تُصِبكَ حَسَنَـةٌ** ﴾ من فتح وظفر وغنيمة ﴿ **تَسُؤْهُمْ** ﴾ لفرط عداوتهم ﴿ **وإنْ تُصبْكَ مُصيبَـةٌ** ﴾ من نوع شدة ﴿ **يقولوا قدْ أخذْنَا أمْرَنَا** ﴾ في القعود ﴿ **منْ قبلُ** ﴾ أي : من قبل إصابة المصيبة ﴿ **ويتولَّوْا** ﴾ ويخرجون من مجالسهم ﴿ **وهمْ فرِحُونَ** ﴾ برأيهم وبما أصابكم وبما سلموا .

[٥١] ﴿ **قلْ لنْ يُصيبَنَا إلاَّ مَا كتبَ اللَّهُ لنَا** ﴾ لمصلحتنا الدنيوية أو الأخروية ﴿ **هوَ مولانَا** ﴾ يتولى أمورنا ، فيعطينا من الأجر ما هو خير منها ﴿ **وعلى اللَّهِ فلْيتوكَّلِ المُؤْمنُونَ** ﴾ لأنه لا ناصر ولا متولّي لأمرهم غيره .

[٥٢] ﴿ **قُلْ هلْ تربّصونَ** ﴾ أي : تنتظرون ﴿ **بنا إلا إحدى الحُسْنَيَيْنِ** ﴾ وهما النصر والشهادة ﴿ **ونحنُ نتربَّصُ بكم ، أنْ يصيبَكُمُ اللّـهُ بعذابٍ مِنْ عندِهِ** ﴾ كما أصاب من قبلكم من الأمم ﴿ **أوْ** ﴾ بعذابٍ ﴿ **بأيْدينا** ﴾ وهو القتل على الكفر ﴿ **فتربّصوا** ﴾ بنا عواقبنا المذكورة ﴿ **إنَّا معكم متربِّصونَ** ﴾ منتظرون عاقبتكم .

[٥٣] ﴿ **قلْ أنْفقُوا** ﴾ أموالكم في سبيل الله ووجوه البرّ ، والمقصود بالخطاب المنافقون ﴿ **طوْعاً أو كَرهاً لنْ يُتقبَّلَ منكم** ﴾ ذلك الإنفاق ﴿ **إنكم كنتم قوماًفاسقينَ** ﴾ أي كنتم وما زلتم عاتين متمردين .

[٥٤] ﴿ **ومَا منعهمْ أنْ تُقبلَ منْهُمْ نفقاتُهم إلاَّ أنّهم كفروا باللّهِ وبرسولِهِ ولا يأْتُونَ الصلاةَ إلاّ وهمْ كُسَالى** ﴾ جمع كسلان ، أي متثاقلين إذ لايرجون على فعلها ثواباً ، ولا يرهبون من تركها عقاباً ﴿ **ولا ينفقونَ إلاّ وهمْ كارِهونَ** ﴾ . وفي الحديث عن النبي ﷺ : (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتغي به وجهه) .

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿ **فلاَ تُعْجِبْكَ أموالُهم ولا أولادُهم إنّما يـريدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهم بها في الحياة الدُّنْيا** ﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ﴿ **وتزهقَ أنفسُهم وهُمْ كافِرونَ** ﴾ فيموتوا كافرين .

[٥٦] ﴿ **ويَحْلِفُونَ باللَّهِ** ﴾ يعني : المنافقين ﴿**إنّهم لمِنْكُمْ وما هُمْ مِنْكُمْ ولكنَّهم قومٌ يَفْرَقُونَ**﴾ أي : يخافون القتل فيتظاهرون بالإسلام تقية .

[٥٧] ﴿ **لـوْ يجدونَ مَلْجَأً** ﴾ أيْ حصناً يلتجئون إليه ﴿ **أوْ مَغَاراتٍ** ﴾ في الجبال يسكن كل واحد منهم غاراً ﴿ **أو مُدَّخـلاً** ﴾ وهـو السرداب في الأرض ، ﴿ **لَـوَلَّوْا إليهِ** ﴾ لأقبلوا نحـوه ﴿ **وهُمْ يَجْمَحُـونَ** ﴾ يسرعـون إسراعاً ، لا يردهم شيء ، كـالفرس الجموح لشدة خـوفهم وكراهتهم للمسلمين وغمِّهم بعزِّ الإسلام ونصر أهله .

نصف الحزب ٢٠

[٥٨] ﴿ **ومنْهُم منْ يلْمِزُكَ** ﴾ أي : يعيبك ﴿ **في الصَّدَقَـاتِ** ﴾ أي : في قسمتها ﴿ **فإنْ أُعْطُوا مِنْهَا** ﴾ قدر ما يريدون ﴿ **رَضُوا** ﴾ فجعلوه عدلاً ﴿ **وإنْ لمْ يُعْطَوْا مِنْهـا إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** ﴾ فيجعلـونـه غير عدل . روى الشيخـان عن أبي سعيـد الخدري قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم فيئاً ، أتاه ذو الخويصرة ـ رجل من بني تميم ـ فقال : يا رسول الله اعدل : فقال رسول الله ﷺ : (ويلك ، من يعدل إذا لم أعدل؟) فقـال عمربن الخطاب : إئذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : (دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة) . [٥٩] ﴿ **ولَوْ أنّهمْ** ﴾ أي : الذين عابوا عليك قسمة الصدقة ﴿ **رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ ورَسُولُـه** ﴾ والأصل بالمؤمن أن يسلِّم بحكم الله ورسوله في أمره كله ﴿ **وقالوا حسبنا الله** ﴾ كفانا وأفاض علينا بما رزقنا ﴿ **سَيُؤْتينا اللَّهُ من فضله** ﴾ من رزقه ﴿ **ورَسُولُـهُ** ﴾ يقسم بيننا بالحق بما أراه الله ﴿ **إنَّا إلى الله راغبون** ﴾ في الغنيمة والرزق والفيء ومـا سواها . [٦٠] ﴿ **إنّما الصَّدقاتُ للفُقَراءِ** ﴾ جمع فقير وهـو من لا مال عنـده ﴿ **والمسَاكِينِ** ﴾ والمسكين أحسن حالاً من الفقير ﴿ **والعاملينَ عليْهَا** ﴾ أي : الساعين في تحصيلها ، وهم القابض والوازن والكيّال والكاتب ، يُعطَونَ أجورهم منها ﴿ **والمؤلَّفةِ قُلُوبُهم** ﴾ وهم قوم ضعفت نيتهم في الإسلام ، فيحتاج الإمام إلى تأليف قلوبهم بالعطاء ، تقويةً لإسلامهم ﴿ **وفي الرِّقَابِ** ﴾ أي : وللإعانة في فك الـرقاب وهو إعتاق العبيد ﴿ **والغارمينَ** ﴾ وهم الذين ركبتهم الـديون لأنفسهم في غير معصيـة ، ولم يجدوا وفاءً ﴿ **وفـي سبيـلِ اللَّهِ** ﴾ للإنفاق على المجاهدين وتسليحهم ، وجميع وجوه الخير ﴿ **وابنِ السبيلِ** ﴾ فيعطى المجتاز في بلدٍ ما يستعين بـه على بلوغه بلده ﴿ **فريضةً منَ اللَّهِ** ﴾ أي : فرض الله ذلك فريضة ﴿ **واللَّهُ عليمٌ** ﴾ بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم ﴿ **حكيمٌ** ﴾ لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمـة من الأمور الحسنة التي منها سَوْق الحقوق إلى مستحقيها . [٦١] ﴿ **ومنهم** ﴾ أي : من الذين يحلفـون بالله إنهم لمنكم ﴿ **الذينَ يؤذُونَ النبيَّ ويقـولونَ هُوَ أُذُنٌ** ﴾ أي : يسمع كل ما يقال له ويصدقـه ، يعنون إنه سريع الاغترار بكل ما يسمع ﴿ **قلْ : أُذُنُ خيرٍ لكم** ﴾ أي : هو أُذُن في الخير والحق ، وفيما يجب سماعـه وقبوله ﴿ **يُؤمنُ باللَّهِ** ﴾ والإيمان لا يكـون إلا مع سلامـة القلب ﴿ **ويُؤمنُ للمؤمنينَ** ﴾ **أي** : يصدق قـولهم في الخيرات ﴿ **ورحمةٌ للذينَ آمنوا منكم** ﴾ يعطف عليهم ، ويرقّ لهم ﴿ **والذينَ يُؤذونَ رسولَ اللَّهِ** ﴾ بما نقل عنهم من قولهم هو أُذُنٌ ونحوه ﴿ **لهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

[٦٢] ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ** ﴾ يعني المنافقين ﴿ **لكم ليُرْضُوكم** ﴾ الخطاب للمسلمين [أنهم ما فعلوا ذلك، وأنهم لعلى دينكم، ومعكم على من خالفكم، يبتغون بذلك رضاكم ـ ابن جرير] ﴿ **واللَّهُ ورسولُه أحقُّ أنْ يُرْضوه إنْ كانوا مُؤمنين** ﴾ بتوحيد الله، مقرين بوعده ووعيده .

[٦٣] ﴿ **ألمْ يعلموا** ﴾ أي : المنافقون ﴿ **أنَّه منْ يُحادِدِ اللَّهَ ورسولَه** ﴾ أي : يخالف أمرهما ﴿ **فأنَّ له نارَ جهنَّمَ خالداً فيها ، ذلكَ الخزيُ العظيمُ** ﴾ الذل والهوان الدائم .

[٦٤] ﴿ **يحذرُ المنافقونَ أنْ تُنزَّل عليهم** ﴾ أي : في شأنهم ﴿ **سورة تنبِّئُهم بما في قلوبهم** ﴾ من الأسرار الخفية ، فتنتشر فيما بين الناس ﴿ **قُلِ : استهزئوا** ﴾ بالله وآياته ورسوله ، وهو أمر تهديد ﴿ **إنَّ اللَّهَ مخرجٌ ما تحْذَرُونَ** ﴾ أي : مظهر بالوحي ما تحذرون خروجه من إنزال السورة [قال السّديّ : قال بعض المنافقين : والله لوددت أني قُدِّمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا . فأنزل الله هذه الآية . وقال مجاهد : كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون : عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا ـ النيسابوري] .

[٦٥] ﴿ **ولئن سألتَهم** ﴾ عن استهزائهم بالله وآياته ورسوله ﴿ **ليقولُنَّ : إنَّما كنَّا نخوضُ** ﴾ في هذا الكلام لترويح النفس ﴿ **ونلعبُ** ﴾ أي : نمزح ﴿ **قُلْ : أباللَّهِ وآياتِه ورسولِه كنتم تستهزئونَ** ﴾ قال الرازي : لأن الاستهزاء يدل على الاستخفاف ، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيمُ الله تعالى بأقصى الإمكان والجمع بينهما محال . [قال قتادة : بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا : يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ! هيهات له ذلك . فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال نبي الله : (احبسوا عليّ الركب) . فأتاهم فقال(قلتم كذا وكذا ؟) فقالوا : يا رسول الله ﴿ إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ . فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ ابن جرير] .

[٦٦] ﴿ **لا تعتذِروا** ﴾ باعتذاراتكم الكاذبة ﴿ **قدْ كفَرْتُم** ﴾ أي : أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول ﷺ والطعن فيه ﴿ **بعْدَ إيمانِكم** ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿ **إنْ نعْفُ عنْ طائفةٍ منكم** ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم ﴿ **نُعذِّبْ طائفةً بأنهم كانوا مجرمينَ** ﴾ مُصرِّين على النفاق .

[٦٧] ﴿ **المنافقونَ والمنافقاتُ بعضُهم من بعضٍ** ﴾ متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان ﴿ **يأمرونَ بالمنكر** ﴾ كالكفر والمعاصي ﴿ **وينهَوْنَ عنِ المعروفِ** ﴾ كالإيمان والطاعات ﴿ **ويقبضونَ أيديَهُمْ** ﴾ قبض اليد كناية عن الشُّح والبخل ، كما أن بسطها كناية عن الجود [قال ابن جرير: يمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ، ويكفونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم] ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ أي : أغفلوا ذكره وطاعته ، فتركهم من رحمته وفضله ﴿ **إنَّ المنافقين هُمُ الفاسِقونَ** ﴾ الفسق : التمرد في الكفر ، والانسلاخ عن كل خير .

[٦٨] ﴿ **وعدَ اللَّهُ المنافقينَ والمنافقاتِ والكفَّار** ﴾ بالله ﴿ **نارَ جهنَّم** ﴾ أن يصليهموها جميعاً ﴿ **خالدينَ فيها ، هي حَسْبُهم** ﴾ أي : عقاباً وجزاء ﴿ **ولعنَهُمُ اللَّهُ ، ولهم عذابٌ مقيمٌ** ﴾ لا ينقطع .

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٦٩] ﴿ **كالذينَ مِن قبلِكُم كانُوا أشدَّ منكم قوةً** ﴾ في أنفسهم ﴿ **وأكثرَ أموالاً وأولاداً فاستمتَعُوا بِخلاقِهِمْ** ﴾ أي : انتفعُوا بنصيبهم من الحياة الدنيا وملذاتها ﴿ **فاستمتعتم بخلاقِكم كما استمتعَ الذينَ من قبلِكم بخلاقِهم وخُضْتُم كالَّذي خاضُوا** ﴾ أي : دخلتم في الباطل كما فعلوا ﴿ **أولئك حبِطَتْ أعمالُهم في الدُّنيا** ﴾ لما يصيبهم من الذل والهوان وغير ذلك ﴿**والآخرة**﴾ لم يستحقوا عليها الثواب ﴿**وأولئكَ هُمُ الخاسرونَ**﴾ خسروا الدارَيْن [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما أشبه الليلة بالبارحة ﴿ كالذين من قبلكم ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضَبٍّ لدخلتموه . وفي الحديث : (والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ أهل الكتاب ؟ قال : (فمن ؟) قال أبو هريرة : الخلاَق الدِّين ـ ابن كثير] .

[٧٠] ﴿ **ألمْ يأتِهِمْ نبأُ الذينَ منْ قبلِهم** ﴾ وهو إهلاكهم بعد ما أنعم الله عليهم بسبب كفرهم ﴿ **قوم نوحٍ** ﴾ أنعم الله عليهم بطول العمر ثم أهلكهم بالطوفان ﴿ **وعادٍ** ﴾ قوم هود أُهلكوا بالريح ﴿ **وثَمُودَ** ﴾ قوم صالح أُهلكوا بالرجفة ﴿ **وقوم إبراهيمَ** ﴾ أهلكوا بالهدم ﴿ **وأصحابِ مدْيَنَ** ﴾ قوم شعيب ﴿ **والمُؤْتَفِكاتِ** ﴾ وهي قرى قوم لوط ، ائتفكت بهم ، أي : انقلبت بهم فصار عاليها سافلها ، وأُمطروا حجارة من سجِّيل ﴿ **أتتهم رُسُلُهم بالبيّناتِ** ﴾ بالآيات الدالة على رسالتهم ﴿ **فما كانَ اللَّهُ ليظْلِمَهُمْ** ﴾ بإهلاكه إياهم ، لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل ﴿ **ولكنْ كانُوا أنفسَهُم يظْلمونَ** ﴾ بالكفر والتكذيب .

[٧١] ﴿ **والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعْضٍ** ﴾ [قال ابن كثير : أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وشبك بين أصابعه ، وفي الصحيح أيضاً (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ﴿ **يأمرونَ بالمعروف وينهَوْنَ عنِ المنكرِ ، ويُقيمونَ الصَّلاةَ ، ويؤتونَ الزكاة ، ويطيعونَ اللَّهَ ورسولَـهُ** ﴾ في كل أمر ونهي ﴿ **أولئكَ سيرحَمُهُمُ اللَّهُ ، إنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ .

[٧٢] ﴿ **وعَدَ اللَّهُ المُؤمنينَ والمُؤمناتِ جنَّاتٍ تجري من تَحْتِهَا الأنْهارُ** ﴾ أي : من تحت شجرها ومساكنها ﴿ **خالدينَ فيهَا ، ومساكنَ طيبةً** ﴾ منازل حسنة يطيب فيها العيش ﴿ **في جنَّاتِ عدْنٍ** ﴾ أي : إقامة وثبات ، وقيل : عدْن ، اسم علم لموضع في الجنَّة ﴿ **ورِضْوَانٌ منَ اللَّهِ أكبرُ ، ذلكَ هُوَ الفوْزُ العظيمُ** ﴾ [وفي الحديث : (إن الله عزّ وجلّ يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ؟ فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ؛ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً) رواه مالك والشيخان . وقال ﷺ : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن) أخرجه الشيخان ـ ابن كثير] .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

[٧٣] ﴿ يـا أيُّـهَا النبيُّ جـاهِدِ الكفَّـارَ والمُـنافِقِينَ ﴾ والجهاد : بذل الجهد ، سواء كان بالقتال أو بالحجة أو غيرهما ﴿ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : اشدد على كلا الفريقين بالقول والفعل ﴿ ومـأْواهُمْ جهنَّمُ وبئسَ المَصِيرُ ﴾ [قال الضحاك : خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك ، وكـانـوا إذا خـلا بعضهـم ببعض سبّـوا رسـول الله ﷺ وأصحابـه وطعنوا في الدين ، فنقل مـا قالوا حُـذيفةُ إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ : (يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم ؟) فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك فأنـزل الله تعـالى هـذه الآيـة إكذاباً لهم ـ النيسابوري] .

[٧٤] ﴿ يَحْلِفُونَ باللَّهِ مَـا قالُوا ﴾ شيئاً يسوءُكَ ﴿ ولقدْ قـالُـوا كلمـةَ الكُفْـرِ وكفـروا بعْـدَ إسـلامِهِم وهمُّوا بمَا لَمْ ينَالُوا ﴾ أي : دبروا أمراً ولم يوفَّقـوا في تنفيذه ، وقد ورد أن نفراً من المنافقين هموا بـالفتك بالنبي ﷺ ، وهـو في غزوة تبوك ولم يفلحوا ﴿ ومَا نَقَمُوا ﴾ وما حملهم على هذا التدبير السيء ﴿ إلاّ أنْ أغنـاهُمُ اللَّـهُ ورسولُـهُ منْ فضْلِهِ ﴾ والمعنى : أن المنـافقين عملوا بضد الـواجب ، فقـابلـوا إحسـان النبي ﷺ وتفضلـه عليهم بـالـدعـوة والهداية أن هموا بقتلـه فكانـوا من الذيـن قابلـوا الحسنةَ بالسيئة ﴿ فإنْ يتوبُوا ﴾ من الكفـر والنفاق ﴿ يكُ خيراً لَـهُمْ ، وإنْ يتولَّـوْا ﴾ يُعـرِضـوا ويصرُّوا على النفـاق ﴿ يُعذِّبْهُمُ اللَّهُ عذاباً أليماً في الدنيا ﴾ بالقتل والهم والغم ﴿ والآخرةِ ﴾ بالنار وغيرها ﴿ ومَـا لَـهُمْ في الأرضِ من وليٍّ ﴾ يشفع لهم في دفع العذاب ﴿ ولا نصيرٍ ﴾ يعينهم بقوته .

[٧٥] ﴿ ومنْهُمْ من عاهدَ اللَّهَ ﴾ أي : حلف به ﴿لئنْ آتانا منْ فضْلِهِ لنصَّدَّقَنَّ ﴾ بإعطاء كل ذي حقٍ حقه ﴿ ولنكونَنَّ من الصَّالحينَ ﴾ .

[٧٦] ﴿ فلمَّا آتاهُمْ من فضلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتولَّوْا ﴾ من العهد ﴿ وهم مُعْرِضُونَ ﴾ .

[٧٧] ﴿ فأعقَبَهم ﴾ أي : فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك ﴿ نِفاقاً في قُلُوبِهِم إلى يوم يلقَوْنَـهُ ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ بمَا أخْلَفُوا اللَّهَ ﴾ الإخلاف : نكث العهد ﴿ ما وَعَدُوه ﴾ من التصدق والصلاح ﴿ وَبِمَا كانُوا يكْذِبُونَ ﴾ في العهد

[٧٨] ﴿ أَلَمْ يعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يعْلَمُ سِرَّهُمْ ونَجْواهُمْ ﴾ أي : ما أسرُّوه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجَـوْن به فيما بينهم من الاستهزاء والطعن في الدين ﴿ وأنَّ اللَّهَ عـلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ .

[٧٩] ﴿ الذينَ يلْمِزُون ﴾ يعيبون ﴿ المُطَّوِّعينَ ﴾ المتبرعين ﴿ منَ المُؤْمنينَ في الصَّدَقاتِ ﴾ فيزعمون أنهم تصدقوا رياءً ﴿ والَّذينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهم ﴾ لا يجدون ما يتصدقون به إلا قليـلاً ، وهو مقدار طاقتهم ﴿ فَيَسْخَرُونَ منْهُمْ ﴾ يهزؤون بهم ويقولون إن اللَّهَ غنيٌ عن صدقتهم ﴿ سَخِرَ اللَّهُ منهم ﴾ أي : جازاهم على سخريتهم ﴿ ولهم عذابٌ أَليمٌ ﴾ . وروى الإمـام أحمد عن أبي السليل عن رجل حدثـه عن أبيه أو عمـه أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول : (من يتصدق بصدقة أشهـد له بها يـوم القيامة؟) فجـاء رجل لم أر رجلاً أشدّ منـه سواداً ولا أصغـر منه ولا أدمّ ، بناقـة لم أر أحسن منها . فقال : يا رسول الله دونك هذه الناقة ، قال : فلمزه رجل فقال : هذا يتصدق بهذه فوالله لهي خير منه! فسمعها رسول الله ﷺ فقال : (كذبت! بل هو خير منك ومنها) ثلاث مرات ، ثم قال : (ويل لأصحابك إلاّ من قال بالمال هكذا وهكذا) وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله .

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ
فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ
بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿ **استغفرْ لهم** ﴾ أي : لهؤلاء المنافقين ﴿ **أوْ لا تستغفرْ لهمْ ، إنْ تستغفرْ لهم سبعينَ مـرَّةً فلنْ يغفرَ اللَّهُ لـهـمْ ، ذلك** ﴾ أي : عدم الغفران لهم ﴿ **بأنَّهم كفروا باللَّـهِ ورسولـهِ ، واللَّهُ لا يهدي القـومَ الفاسقينَ** ﴾ أي الخارجين عن حدوده سبحانه .

[٨١] ﴿ **فَرِحَ المُخَلَّفونَ** ﴾ الذين استأذنوا رسول الله ﷺ من المنافقين ، فأذن لهم في التخلف في المدينة عن غزوة تبوك ﴿ **بمقعدِهم** ﴾ أي : بقعودهم عن غـزوة تبوك في المدينة ﴿ **خلافَ رسولِ اللَّهِ** ﴾ أي : خلفه وبعد خروجه ﴿ **وكـرهُـوا أنْ يُجاهـدوا بأمـوالِهم وأنفُسِهم في سَبيلِ الله وقالوا** ﴾ لإخوانهم ﴿ **لا تنفِرُوا في الحرِّ** ﴾ وذلك أن الخروج للجهـاد في غـزوة تبـوك كـان في شـدة الحر عنـد طيب الظلال والثمار ﴿ **قُلْ** ﴾ ردّاً عليهم وتجهيـلاً لهم ﴿ **نارُ جهنَّمَ** ﴾ التي ستدخلونها بما فعلتم ﴿ **أشدُّ حرّاً** ﴾ مما تحذرون من الحرّ المعهود ﴿ **لو كانـوا يفقهونَ** ﴾ أي لو كـانــوا يـدركـون أنها كـذلـك . وروى الشيخـان عن النعمان بن بشير قال : قـال رسول الله ﷺ : (إن أهون أهل النار عـذاباً يوم القيـامة كَمَنْ له نعـلان وشراكان ـ الشِّراك : ربـاط الحـذاء ـ من نار ، يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرْجل لا يـرى أن أحداً من أهل النـار أشد عـذاباً منه وإنه أهونهم عذاباً) .

[٨٢] ﴿ **فَلْيضحكُوا قليلاً** ﴾ أي : ضحكاً قليـلاً ، أو زماناً قليلاً ﴿ **ولْيبكوا كثيراً** ﴾ بعد الموت إلى أبد الآبدين ﴿ **جـزاءً بمَا كانـوا يكسِبُـونَ** ﴾ بفـرحهم بمخـالفـة الله ورسوله ، من الكفر والمعاصي .

[٨٣] ﴿ **فإنْ رجَعَكَ اللَّهُ** ﴾ أي : ردَّك من غزوة تبوك ﴿ **إلى طائفةٍ منهمْ** ﴾ أي : من المنافقين المتخلفين في المدينة ﴿ **فاستأذنوكَ للخروجِ** ﴾ معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك ، دفعاً للعار السابق ﴿ **فقُلْ : لنْ تَخْرُجُوا معيَ أبـداً ولنْ تُقَاتِلُـوا معي عَدُوّاً ، إنّكم رضيتُم بالقُعُـودِ أوّلَ مرَّةٍ** ﴾ فخذلكم الله ، وغضب عليكم وألزمكم العارَ ﴿ **فاقْعُدُوا معَ الخالِفِينَ** ﴾ من النساءِ والصبيانِ دائماً .

[٨٤] ﴿ **ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً** ﴾ لأن صلاة النبي ﷺ على الميت شفاعة ، ولا شفاعة في حقهم ﴿ **ولا تَقُمْ على قبره** ﴾ أي : لا تقف عليه للدفن أو للزيارة والدعاء ﴿ **إنّهم كَفَرُوا باللّهِ وَرَسُولِـهِ** ﴾ في الحياة في الباطن ﴿ **وماتُوا وهم فاسِقُونَ** ﴾ أي : خارجون عن الإيمان الظاهر ، الذي كانوا به في حكم المؤمنين . وقـد روى الإمام أحمد عن أبي قتادة قـال : كان رسول الله ﷺ إذا دعي إلى جنـازة سأل عنها فإن أُثنيَ عليها قـام فصلى عليها ، وإن كان غير ذلك قال لأهلها (شأنكم بها) ولم يصلِّ عليها .

[٨٥] ﴿ **ولا تُعجِبْكَ أموالُهم وأولادُهم** ﴾ لأن إنعـام الله عليهم بها ، لا يدل على رضـاه عنهم ، بل الانتقـام منهم ﴿ **إنّما يُريدُ اللّـهُ أنْ يُعذِّبَهم بها في الدُّنْيا** ﴾ بالمشقة في تحصيلها وحفظها والحزن عليها ﴿ **وتَزهَقَ أنفُسهم** ﴾ أي : يموتون ﴿ **وهُمْ كافِرُونَ** ﴾ .

[٨٦] ﴿ **وإذا أُنزِلَتْ سُورَةٌ** ﴾ من القرآن الكـريم ﴿ **أنْ آمِنُوا بـاللّهِ ، وجَاهِـدُوا مع رَسُولِـه ، استَأْذَنكَ أُولُـوا الطَّوْلِ منهم** ﴾ أي : أصحاب القدرة البدنية والمالية على الجهاد ﴿ **وقالوا : ذرْنا نكُنْ معَ القَاعدينَ** ﴾ .

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

[٨٧] ﴿ رَضُوا بِأَنْ يكُونُوا معَ الخَوالِفِ ﴾ جمع خالفة ، وهي المرأة المتخلفة عن الجهاد مع الرجال ﴿ وطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ خُتِمَ عَلَيْهـا ﴿ فَهُمْ لا يَفْقَهُـونَ ﴾ فهـم لا يعلمون مـا في حب الله والتقرب إليه بالجهاد من الفوز والسعادة ، وما في التخلف من الشقاء والهلاك .

[٨٨] ﴿ لكنِ الرَّسولُ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بأمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِم ﴾ في سبيـل الله ﴿ وأولئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ ﴾ من النصر والغنيمة في الدنيا ، والجنَّة والكرامةِ في الآخرة ﴿ وأُولئِكَ همُ المُفْلِحُونَ ﴾ أي : الفائزون .

[٨٩] ﴿ أعدَّ اللَّهُ لَهُمْ جنَّاتٍ تجري منْ تحتِهَا الأنْهَارُ خالدينَ فيها ذلكَ الفَوْزُ العظيمُ ﴾ .

[٩٠] ﴿ وجاءَ المُعَذِّرونَ ﴾ المقصِّرونَ في الجهادِ ﴿ منَ الأعْرابِ ﴾ الذين يقيمون حول المدينة ﴿ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ في ترك الجهـاد [روى ابن جرير عن مجاهد أنهم : نفر من بني غفار، جاءوا فـاعتذروا، فلم يعذرهم الله] ﴿ وقَعَدَ الذينَ كَذَبُوا اللَّهَ ورَسُولَـهُ ﴾ وهم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ، ولم يعتـذروا ، بل قعدوا من قلة المبالاة بالله ورسوله ﴿سيُصيبُ الذينَ كفرُوا منْهُمْ عذابٌ أليم﴾ .

(الجزء ١١ الحزب ٢١)

[٩١] ﴿ ليسَ على الضُّعفاءِ ﴾ [قال ابن كثير : بيّن تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال ، فـذكر منها مـا هو لازم لشخص لا ينفك عنه ، وهـو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهـاد] وهؤلاء هم العـاجزون كـالشيخ والصبي والمرأة والنحيف ﴿ ولا على المرضى ﴾ ومنها ما هو عارض بسبب مرض يقعدهم عن الجهاد ﴿ ولا على الذينَ لا يجدونَ ما يُنفِقُونَ ﴾ ولو كانوا أقوياء أصحاء كالفقراء ﴿ حَرَجٌ ﴾أي : إثم في القعود ﴿ إذَا نَصَحُوا للَّهِ ورسُولِـهِ ﴾ أي : أخلصوا الإيمان والعمل الصالـح ، ولم يثيروا الفتن وقاموا بمصالح بيوت المجاهدين حال خروجهم للقتال ﴿ مَا على المُحْسِنينَ منْ سَبِيلٍ ﴾ فصاحب العذر المشروع في ترك الجهـاد يُعتبر محسناً بسبب صدقه ﴿ واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾ . [٩٢] ﴿ ولا على الذينَ إذَا مَا أتوْكَ لتَحْمِلَهُمْ ﴾ على دابة يخرجون بها للجهاد ﴿ قُلْتَ ﴾ لهم ﴿ لا أجدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عليهِ ﴾ إلى الجهاد ﴿ تولَّوْا ﴾ أي : خرجوا من عندك ﴿ وأعيُنُهم تفيضُ منَ الدَّمعِ حزَناً ألاّ يجدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾ فهؤلاء وإن كانت لهم قدرة على تحمل المشاق ، فما عليهم من سبيل أيضـاً ، لعدم تـوفر الأسباب لهم [نـزلت في البكّـائين وكانـوا سبعـة : معقل بن يسار ، وصخـربن خنيس ، وعبـد الله بن كعب الأنصاري ، وعُلبـة بن زيد الأنصاري ، وسالم بن عمير ، وثعلبـة بن غنمة ، وعبد الله بن مغفّل . أتـوا رسول الله ﷺ فقالوا : يـا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك ، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك ، فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه) ، فتولوا وهم يبكون ـ النيسابوري] .[٩٣]﴿ إنَّما السَّبيلُ ﴾ بالعتاب والعقاب ﴿ على الذينَ يستأذِنُوكَ وهُمْ أغنياءُ ﴾ قادرون على تحصيل الأهبة [قال أبـو جعفر: ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ولكنها على الذين يستأذنوك في التخلف خِلافَك ، وترك الجهاد معك وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقاً وشكاً في وعـد الله ووعيده] ﴿ رَضُوا بأنْ يكـونُوا معَ الخَوالِفِ ﴾ من النساء والصبيـان وسائر العاجزين عن القتال ﴿ وطَبَعَ اللَّهُ على قُلُـوبِهِم فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ما يترتب عليه من المصائب الدينية والدنيوية .

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

[٩٤] ﴿ **يعتـذرونَ إليكم إذا رَجَعْتُمْ إليهم قُلْ : لا تَعْتَذِرُوا** ﴾ لظهور كذبكم ، إذ لم يمنعكم عـذر شرعي عن الجهاد ، فلا يفيـدكم الاعتذار ﴿ **لنْ نُؤْمِنَ لكُمْ** ﴾ لن نصـدق قـولكم ﴿ **قـدْ نَـبَّأَنا اللّـهُ من أخْبَـارِكُمْ** ﴾ أعلمنا بالوحي من أسراركم ونفـاقكم وفسادكم ما ينافي التصديق ﴿ **وسيَـرَى اللَّهُ عملكم ورسولُـهُ** ﴾ من الرجوع عن الكفر ، أو الثبات عليه ﴿ **ثُمَّ تُـرَدُّونَ** ﴾ ترجعون بعد مماتكم ﴿ **إلى عالِـمِ الغيْبِ والشَّهَادَةِ** ﴾ للجزاء . والمراد بالغيب : ما غاب عن العباد ، أو ما لم يعلموه ، أو ما سيقع مستقبلاً ، وبالشهادة : ما علمه العباد أو ما وقع في الماضي ﴿ **فَيُنَبِّئُكُمْ** ﴾ أي : يخبركـم ﴿ **بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ في الدنيا .

[٩٥] ﴿ **سَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لكم إذَا انْقَلَبْتُمْ إليهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ** ﴾ أي : حتى لا تـوبخـوهـم ولا تعـاتبـوهم ﴿ **فأعْرِضُـوا عَنْهُمْ** ﴾ فأعطـوهم مـا يطلبـون ﴿ **إنّهم رِجْسٌ** ﴾ يعني أن المعـاتبـة لاتنفـع فيهم ولا سبيل إلى تطهيرهــم ﴿ **ومَـأْوَاهُـمْ جهنَّمُ ، جـزاءً بمَا كـانُـوا يَكْسِبُونَ** ﴾ .

[٩٦] ﴿ **يَحْلِفُـونَ لكمْ** ﴾ أي : يحلفـون بـه تعـالى ﴿ **لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ** ﴾ باعتقاد طهارة ضمائرهم وإخلاصهم ﴿ **فإنْ تـرْضَـوْا عَنْهُمْ فإنَّ اللّـهَ لا يَـرْضَى عـنِ القـومِ الفَاسِقِينَ** ﴾ . [يعني أنهم الخارجـــون من الإيمان إلى الكفر بالله، ومن الطاعة إلى المعصية ـ ابن جرير] .

[٩٧] ﴿ **الأعْرابُ** ﴾ وهم البـدو ﴿ **أَشَدُّ كُفْراً ونِفَاقاً** ﴾ من أهل الحضر ، لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم وبعدهم عن العلماء ، ومعرفة الكتاب والسنة ﴿ **وأَجْدَرُ أَلاَّ يعْلَمُوا حُدُودَ مَا أنزلَ اللَّهُ على رسُولِـهِ** ﴾ أي وأحق بجهل حدود الديـن ، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ﴿ **واللَّهُ عليمٌ** ﴾ يعلم حـال كل واحد من أهل البـدو والحضر ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ فيما يصيب بـه من عقابه وثـوابه [وفي الحديث عن ابـن عباس رضي الله عنهما : (من سكن البادية جَفَا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ـ ابن كثير] .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنهـا قالت : قدم ناس من الأعراب على رسـول الله ﷺ فقالوا : أتُقبّلون صبيانكم ؟ قالـوا : نعم ، قالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال رسول الله ﷺ : (وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة ؟) ـ ابن كثير] .

[٩٨] ﴿ **ومِنَ الأعْرابِ مَنْ يتَّخذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً** ﴾ أي : يعدّ ما يصرفه في سبيل الله ، ويتصدق به صورةً ، غرامة وخسراناً ﴿ **ويتربَّصُ بِكُمُ الدَّوائِـرَ** ﴾ أي : ينتظرون بكم حلول المصائب والنكبـات لينقلب الأمر ويتخلصوا من المسلمين ﴿ **عَلَيْهِمْ دائرةُ السَّوْءِ** ﴾ دعاءٌ عليهم ﴿ **واللَّهُ سميعٌ عليمٌ** ﴾ بما يضمرونه من الأمور الفاسدة التي منها تربصهم الدوائر .

[٩٩] ﴿ **ومِنَ الأعْرابِ مَنْ يُـؤْمِنُ باللَّهِ والـيـومِ الآخِرِ ويتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُـرُباتٍ عندَ اللهِ** ﴾ والقربـات جمع قربة وهي : ما يتقـرب به إلى الله ﴿ **وَصَلواتِ الـرَّسُولِ** ﴾ استغفار النبي عليـه السلام ﴿ **أَلاَ إِنَّها قُـرْبَةٌ لَهُمْ، سيُـدْخِلُهُمُ اللَّهُ في رحْمَتِـهِ** ﴾ أي : جنّته ﴿ **إنَّ اللّـهَ غفـورٌ رحيمٌ** ﴾ يقبل الصـدقة مهما قلّت . [روى ابن جرير عن عبد الرحمن بن معقل قال : كنا عشرة ولد مقرّن . فنزلت فينا] .

وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[١٠٠] ﴿ **والسَّابِقُونَ الأوَّلُونَ منَ المُهَاجِرينَ والأنصَارِ ، والذينَ اتَّبَعُوهُم بإحْسَانٍ** ﴾ أي : سلكوا سبيلهم بالإيمان والطاعة ﴿ **رضيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضُوا عَنْهُ** ﴾ بما وفقهم إليه من الإيمان والإحسان ، وما آتاهم من الثواب والكرامة ﴿ **وأعَدَّ لَهُمْ جنَّاتٍ تجري تَحْتَها الأنْهارُ خالدينَ فيها أبَداً ، ذلكَ الفوْزُ العظيمُ** ﴾ [قال الشعبي : السابقون الأولون من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبيَّة ، وقال الحسن وقتادة : هم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ ـ ابن كثير].

[١٠١] ﴿ **ومِمَّنْ حَوْلَكم** ﴾ يعني حول المدينة ﴿ **منَ الأعْرابِ مُنافِقُونَ ومنْ أهْلِ المدينةِ مَرَدُوا على النِّفَاقِ** ﴾ أي : مرنوا ومهروا فيه ﴿ **لا تعْلَمُهُم** ﴾ أي : يخفون عليك ﴿ **نحن نعلَمُهُمْ** ﴾ أي : لا يعلمهم إلا الله ، ولا يطلع على سرهم غيره ﴿ **سنُعَذِّبُهُمْ مرَّتيْنِ** ﴾ في الدنيا ، الأولى : بالمصائب والفضيحة ، والأخرى : عذاب القبر ﴿ **ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عظيم** ﴾ يوم القيامة .

[١٠٢] ﴿ **وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بذنوبِهِمْ** ﴾ أقرّوا بها ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالحاً** ﴾ كالندم وما سبق من طاعتهم ﴿ **وآخرَ سيِّئاً** ﴾ كالتّخلف عن الجهاد ﴿ **عَسَى اللَّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ أي : يقبل توبتهم ﴿ **إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ .

[١٠٣] ﴿ **خُذْ منْ أمْوالِهِمْ** ﴾ بعضها ﴿ **صدَقَةً** ﴾ لتصدق توبتهم ﴿ **تُطَهِّرُهُمْ** ﴾ عن حب المال الذي كان التخلف بسببه ﴿ **وتُزَكِّيهِمْ بها** ﴾ عن سائر الأخلاق الذميمة التي حصلت عن المال ﴿ **وَصَلِّ عليْهِمْ** ﴾ بالدعاء لهم ﴿ **إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** ﴾ تسكن نفوسهم إليها ، وتطمئن قلوبهم بها ﴿ **واللَّهُ سميعٌ** ﴾ يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم ﴿ **عليمٌ** ﴾ بما في ضمائرهم من الندم والغم .

[١٠٤] ﴿ **أَلَمْ يعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ هُوَ يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ ويأخُذُ الصَّدَقاتِ وأنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ . [روى ابن جرير عن ابن زيد قال : قال الآخرون ، يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين : هؤلاء ، يعني الذين تابوا ، كانوا بالأمس معنا لا يكلّمون ولا يجالسون ، فما لهم؟ فقال الله ﴿أن الله هو يقبل التوبة﴾ الآية].

[١٠٥] ﴿ **وقُلِ** ﴾ لأهل التوبة والتزكية ، والصلاة لا تكتفوا بها بل ﴿ **اعمَلُوا** ﴾ جميع ما تُؤمرونَ به ﴿ **فسيَرَى اللَّهُ عَمَلَكم** ﴾ فيزيدكم قرباً على قرب ﴿ **ورسولُه** ﴾ فيزيدكم صلوات ﴿ **والمؤمنونَ** ﴾ فيتبعونكم ﴿ **وستُرَدُّونَ** ﴾ بالموت ﴿ **إلى عالمِ الغيْبِ والشَّهادَةِ** ﴾ وعن ابن عباس : الغيب ما يُسرُّونه من الأعمال ، والشهادة ما يظهرونه ﴿ **فينبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تعْمَلُونَ** ﴾ فيجازيكم عليه .

[١٠٦] ﴿ **وآخَرُونَ** ﴾ من المتخلفين ﴿ **مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ** ﴾ أمرهم إليه تعالى ﴿ **إمَّا يُعَذِّبُهُمْ** ﴾ لتخلفهم عن غزوة تبوك ﴿ **وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ، واللَّهُ عَلِيمٌ** ﴾ بأحوالهم ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ فيما يحكم عليهم[نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع أحد بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية من بني واقف ، تخلفوا عن غزوة تبوك ، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلفوا ﴾ الآية ـ النيسابوري . وروي عن ابن جرير قوله : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه ، والخروج لغزو الروم حين شخصَ إلى تبوك ، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة].

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

[١٠٧] ﴿ **والذينَ** ﴾ ومن المنافقين الذين ﴿ **اتَّخذُوا** ﴾ أي بَنَوْا ﴿ **مسجداً ضِراراً** ﴾ أي : مضارة لأهل مسجد قباء ﴿ **وكُفْراً** ﴾ أي : تقوية للكفر الذي يضمرونه ﴿ **وتفريقاً بينَ المُؤْمنِينَ** ﴾ الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء اجتماعاً واحداً ﴿ **وإرْصَاداً** ﴾ أي : إعداداً وترقباً وانتظاراً ﴿ **لِمَنْ حاربَ اللَّهَ ورسولَهُ منْ قبْلُ** ﴾ وهو أبو عامر الراهب الذي كفر بالله ورسوله من قبل ، وسماه النبي ﷺ فاسقاً ، وكانوا قد أعدُّوه ليصلي بمسجد ضِرار ﴿ **وَلَيَحْلِفُنَّ** ﴾ بعد ظهور نواياهم ومقاصدهم السيئة ﴿ **إنْ أرَدْنَا إلاَّ الحُسْنَى** ﴾ أي : ما أردنا ، ببناء المسجد إلا الصلاة ، وذكر الله ، والتوسعة على المصلين ﴿ **واللَّهُ يشْهَدُ إنَّهُمْ لكاذِبُونَ** ﴾ .

[١٠٨] ﴿ **لا تَقُمْ فيهِ** ﴾ لا تصلِّ في مسجد الشقاق ﴿ **أبداً** ﴾ ولا في أي وقت من الأوقات ، ولذلك أمر بهدمه وإحراقه كما يأتي في الآية ١١٠ ﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى** ﴾ أي : بنيت قواعده على طاعة الله وذكره وهو مسجد قباء ، (كان رسول الله ﷺ يزوره راكباً وماشياً ويصلي فيه ركعتين) أخرجه الشيخان ﴿ **منْ أوَّلِ يوْمٍ** ﴾ من أيام وجوده ﴿ **أحَقُّ أنْ تقومَ فيه** ﴾ أن تصلي فيه لأن ﴿ **فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يتطهَّروا ، واللَّهُ يُحبُّ المُطَّهِّرينَ** ﴾ المبالغين في الطهارة الظاهرة والباطنة . روى أصحاب السنن والإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه أن النبي ﷺ قال لأهل قباء : (قد أثنى الله عليكم في الطهور ، فماذا تصنعون ؟) فقالوا : نستنجي بالماء .

ربع الحزب ٢١

[١٠٩] ﴿ **أفمنْ أسَّسَ بُنْيَانَهُ على تقوى منَ اللَّهِ** ﴾ أي : مخافة منه ﴿ **ورضْوانٍ** ﴾ أي : طلب رضاه ﴿ **خيرٌ أمْ مَنْ أسَّسَ بُنْيانَهُ على شَفَا** ﴾ أي : طرف ﴿ **جُرُفٍ** ﴾ هاوية ﴿ **هارٍ** ﴾ مشرف على السقوط ﴿ **فانْهَارَ بِهِ** ﴾ فسقط معه ﴿ **في نارِ جهنَّمَ ، واللَّهُ لا يهدي القومَ الظالمينَ** ﴾ . [قال أبو جعفر: أي هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم؟ الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم في بنائه، وأداء فرائضه ورضىً من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك وفعلهم ما فعلوه خير، أم الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على شفا جرف هارٍ؟].

[١١٠] ﴿ **لا يزالُ بُنْيَانُهُمُ الذي بَنَوْا ريبَةً في قُلُوبِهِمْ** ﴾ أي : لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم ﴿ **إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قلوبُهم** ﴾ قِطَعاً ، وتتفرق أجزاءً بالموت ، أو بعذاب النّار ﴿ **واللَّهُ عَليمٌ** ﴾ بنيَّاتهم ﴿ **حكيمٌ** ﴾ فيما أمر بهدم بنيانهم لحفظ المسلمين وسلامة مجتمعهم عن فساد المنافقين .

[١١١] ﴿ **إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى منَ المُؤْمنينَ أنفسَهم وأموالَهم بأنَّ لهمُ الجنَّة ، يُقَاتِلُونَ في سبيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ ، وعْداً عليْهِ حَقّاً في التَّوراةِ والإنْجيلِ والقرآنِ ، ومَنْ أوْفَى بعهدِهِ منَ اللَّهِ فاستبشروا ببيعِكُمُ الذي بايَعْتُمْ بِهِ ، وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العظيمُ** ﴾ فالآية ترغيب في الجهاد ببيان فضيلته بعد ما سبق بيان حال المتخلفين عنه [قال محمد بن كعب القرظي : لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة ، وهم سبعون نفساً ، قال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم) . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟ قال : (الجنة) . قالوا : ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل . فنزلت رواه ابن جرير].

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

[١١٢] ﴿ **التَّائبونَ** ﴾ عن المعاصي ﴿ **العابِدُونَ** ﴾ الذين عبدوا الله وحده ﴿ **الحامِدُونَ** ﴾ لله على نعمائه ، أو على ما نابهم من السرَّاء والضرَّاء ﴿ **السائحونَ** ﴾ أي : الصائمون ، أو الضاربون في الأرض تدبراً واعتباراً ﴿ **الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ** ﴾ المصلُّون ﴿ **الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عنِ المُنْكَرِ والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ** ﴾ أي : في تحليله وتحريمه ﴿ **وبشِّرِ المُؤْمنِينَ** ﴾ الموصوفين بالصفات المذكورة .

[١١٣] ﴿ **مَا كانَ للنَّبيِّ والذينَ آمَنُوا أنْ يستَغْفِرُوا للمُشْرِكينَ** ﴾ من الأموات ﴿ **ولَوْ كانُوا أُولي قُرْبَى** ﴾ كآمنة وأبي طالب ﴿ **مِنْ بعْدِ مَا تبيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ** ﴾ . [قال ابن كثير : وقال ابن أبي حاتم ، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى المقابر فاتبعناه ، فجاء حتى جلس إلى قبر منها ، فناجاه طويلاً ، ثم بكى ، فبكينا لبكائه ، ثم قام إليه عمر بن الخطاب ، فدعاه ، ثم دعانا ، فقال (ما أبكاكم ؟) فقلنا : بكينا لبكائك ، قال : (إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة ، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل عليّ ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا﴾ الآية ، فأخذني ما يأخذ الولد للوالد ، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكرة الآخرة)] . [وروى النيسابوري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال : (أي عمّ قل معي لا إله إلا الله أحاجُّ لك بها عند الله) ، فقال أبو جهل وابن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب ، فقال النبي ﷺ : (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) ، فنزلت : ﴿ ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبيَّن لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ . وروى ابن كثير قال : قال الثوري عن ابن عباس رضي الله عنهما : مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس ، فقال : فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ويدعو له بالصلاح ما دام حيّاً ، فإذا مات وكَلَه إلى شأنه] .

[١١٤] ﴿ **وَمَا كانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيهِ إلاَّ عنْ مَوْعِدَةٍ وعدَها إيَّاهُ** ﴾ أي : سبق لإبراهيم أن وعد أباه بالاستغفار له ﴿ **فلمَّا تبيَّنَ لهُ أنَّهُ عدوٌ للَّهِ تبرَّأَ منهُ ، إنَّ إبراهيمَ لأوَّاهٌ** ﴾ كثير التأوه من فرط الرحمة ورقة القلب ﴿ **حليمٌ** ﴾ أي : صبور على ما يعترضه من الإيذاء .

[١١٥] ﴿ **وما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قوْماً بعْدَ إذْ هداهُمْ حتَّى يُبيِّنَ لهم ما يتَّقُون** ﴾ لأنهم حقت عليهم الكلمة ، حيث قامت عليهم الحجة ﴿ **إنَّ اللَّهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ .

[١١٦] ﴿ **إنَّ اللَّهَ لهُ مُلْك السَّمٰواتِ والأرْضِ ، يحيي ويُميت ، ومَا لَكُمْ منْ دونِ اللَّهِ منْ وليٍّ ولا نصيرٍ** ﴾ ففي هذه الآية إرشاد للمؤمنين بأن يتكلوا على ربهم ، ولا يرهبوا أحداً سواه .

[١١٧] ﴿ **لقدْ تابَ اللَّهُ على النَّبيِّ والمُهاجِرينَ والأنصارِ الذينَ اتَّبعوهُ في ساعةِ العُسْرَةِ** ﴾ في غزوة تبوك ﴿ **منْ بعدِ ما كادَ يزيغُ قُلُوبُ فريقٍ منْهُمْ** ﴾ ينحرف عن الحق ، أو الثبات لما نالهم من المشقة والشدة في سفرهم ﴿ **ثمَّ تابَ عليهِمْ** ﴾ قَبِل توبتهم ، وعفا عنهم ﴿ **إنَّه بهم رؤوفٌ رحيمٌ** ﴾ .

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

[١١٨] ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثةِ الذينَ خُلِّفوا** ﴾ وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم من الأنصار ، لم يقبل النبي ﷺ توبتهم حتى نزل القرآن بتوبتهم ﴿ **حتَّى إذا ضاقتْ عليهمُ الأرضُ بما رحُبَتْ** ﴾ مع سعتها ﴿ **وضاقتْ عليهمْ أنفُسُهم** ﴾ أي : قلوبهم من فرط الوحشة والجفوة والغمّ ﴿ **وظنُّوا** ﴾ أي : علموا ﴿ **أنْ لا ملْجأَ منَ اللّهِ** ﴾ لا مفر من غضبه ﴿ **إلاَّ إليهِ** ﴾ إلاَّ إلى استغفاره ﴿ **ثمَّ تابَ عليهمْ ليتُوبُوا** ﴾ ليستقيموا على توبتهم ويستمروا عليها ﴿ **إنَّ اللّهَ هوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ** ﴾.

[١١٩] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا اللّهَ وكونُوا مَعَ الصَّادقينَ** ﴾ في إيمانهم ومعاهدتهم لله ولرسوله على الطاعة [عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : الكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ . وقال الحسن البصري : إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة - ابن كثير] .

نصف الحزب ٢١

[١٢٠] ﴿ **مَا كانَ لأهلِ المدينةِ** ﴾ المتيسر لهم ملازمة رسول الله ﷺ وصحابته ﴿ **ومَنْ حوْلَهُمْ منَ الأعْرابِ أنْ يتخلَّفُوا عنْ رسولِ اللّهِ** ﴾ عند توجهه إلى الغزو ﴿ **ولا يرغبوا بأنفُسِهم عنْ نفسِهِ** ﴾ أي : لا يختارون أنفسهم على نفسه في الشدائد ﴿ **ذلكَ بأنَّهم** ﴾ أي : بسبب أنهم ﴿ **لا يُصيبُهُم ظَمَأٌ** ﴾ شيء من العطش ، روى ابن هشام أن أبا ذر رضي الله عنه أبطأ به بعيره ، فحمل متاعه على ظهره ، واتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ، فقال رسول الله ﷺ لمّا رأى سواده (كن أبا ذر) فقال الناس : هو ذاك ، فقال : (رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبيت وحده) ﴿ **وَلاَ نَصَبٌ** ﴾ تعب من السير لا سيما مع العطش ﴿ **ولا مَخْمَصةٌ** ﴾ مجاعة تضعفهم عن السير ﴿ **في سبيلِ اللّهِ ولا يَطَؤُنَ موْطِئاً** ﴾ أي : لا يدوسون مكاناً ﴿ **يَغيظُ الكُفَّارَ** ﴾ ففي إغضابهم رضا الله تعالى ﴿ **ولا ينالُونَ من عدوٍّ نيْلاً** ﴾ أي : قتلاً أو هزيمة أو أسراً ﴿ **إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عملٌ صالحٌ ، إنَّ اللّهَ لا يُضيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ** ﴾.

[١٢١] ﴿ **ولا يُنفقونَ نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعونَ وادياً إلاَّ كُتِبَ لهمْ** ﴾ أي : أُثبت لهم به عملٌ صالحٌ ﴿ **ليَجزيَهُمُ اللّهُ أحسنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ . [١٢٢] ﴿ **وَمَا كانَ المُؤمنونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً** ﴾ أي : ليس لهم ذلك ولا استقام ، بحيث تخلو بلدانهم عن الناس ﴿ **فلوْلاَ نفَرَ من كلِّ فِرقةٍ منهم طائفةٌ** ﴾ من كل جماعة كثيرة ، جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿ **لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّينَ** ﴾ ليتعلموا أمر الدين من النبي ﷺ . قال الغزاليّ رحمه الله : كان اسم الفقه في العصر الأول اسماً لعلم الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدة الأعمال ، والإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ﴿ **وَلِيُنْذِرُوا قوْمَهُمْ** ﴾ أي : يعلموهم ويخبروهم ما أُمروا به ، وما نُهوا عنه ﴿ **إذَا رَجَعُوا إليْهِم** ﴾ من غزوتهم ﴿ **لعلَّهم يَحْذَرُونَ** ﴾ فيصلحون أعمالهم [قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي : لما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية أبداً ، فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ - النيسابوري] .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

[١٢٣] ﴿ **يا أيها الذينَ آمنُوا قاتِلوا الذينَ يَلُونكم منَ الكفَّارِ** ﴾ أي : أقربهم منازل منكم ، وهم مشركو جزيرة العرب ﴿ **ولْيَجِدُوا فيكُمْ غِلْظةً** ﴾ قالوا : إنَّها كلمة جامعة للجرأة والصبر على القتال ، وشدة العداوة ، والعنف في القتل والأسر ﴿ **واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ معَ المُتَّقينَ** ﴾ أي بالنصر والمعونة [في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : (أنا الضحوك القتّال) يعني أنه ضحوك في وجه وليّه ، قتّالٌ لهامةِ عدوه ـ ابن كثير] .

[١٢٤] ﴿ **وإذَا ما أُنزلتْ سورةٌ** ﴾ أي : طائفة من القرآن ﴿ **فمنْهم** ﴾ أي : من المنافقين ﴿ **مَنْ يقولُ** ﴾ بعضهم لبعض ﴿ **أيُّكم زادتهُ هذهِ** ﴾ السورة ﴿ **إيماناً** ﴾ يقولون ذلك إنكاراً واستهزاءً بالمؤمنين ﴿ **فأمَّا الذينَ آمنُوا فزادَتْهُمْ إيماناً** ﴾ لأنها أزيد لليقين والثبات ﴿ **وهم يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ بنزولها .

[١٢٥] ﴿ **وأمَّا الذينَ في قُلُوبِهم مرضٌ** ﴾ أي : كفر وسوء عقيدة ﴿ **فزادَتْهُم رِجْساً إلى رِجْسِهم** ﴾ أي : كفراً بها مضموماً إلى الكفر بغيرها ﴿ **وماتُوا وهم كافرونَ** ﴾ .

[١٢٦] ﴿ **أَوَلاَ يَرَوْنَ** ﴾ يعني المنافقين ﴿ **أنَّهم يُفْتَنُونَ** ﴾ أي : يُبتلون بإظهار مكرهم وخيانتهم ، أو بنقض عهدهم ﴿ **في كُلِّ عامٍ مرَّةً أوْ مرَّتينِ ثمَّ لا يَتُوبُونَ** ﴾ من صنيعهم ونقض عهدهم ﴿ **ولا هُمْ يذَّكَّرونَ** ﴾ أي : يتعظون بأنها آيات قاطعة . [قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصحة أن يقال : إن الله عجَّب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبخ المنافقين في أنفسهم بقلة تذكرهم ، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها ، وقال: أَوَلا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين بما يكون زاجراً لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون؟] .

[١٢٧] ﴿ **وإذَا ما أُنزلتْ سورةٌ نظرَ بعضُهم إلى بعضٍ: هل يراكُمْ منْ أحدٍ** ﴾ يعني : تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي ، وسخرية به ، قائلين : هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف ﴿ **ثمَّ انْصَرَفُوا** ﴾ عن محفل الوحي خوفاً من الافتضاح ﴿ **صرفَ اللَّهُ قُلُوبَهم** ﴾ عن الإيمان حسب انصرافهم عن حضرته عليه السلام ﴿ **بأنَّهم** ﴾ أي : بسبب أنهم ﴿ **قومٌ لا يَفْقَهُونَ** ﴾ لا يتدبرون أمر الله ولا يفهمونه .

[١٢٨] ﴿ **لقدْ جاءَكُمْ رسُولٌ منْ أنفسِكم** ﴾ أي : من جنسكم ومن نسبكم عربيّ قرشيّ مثلكم ﴿ **عزيزٌ عليه ما عنتّم** ﴾ شديدٌ عليه ـ شاق ـ ، عَنَتُكم ولقاؤكم المكروه ، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة ، والوقوع في العذاب ﴿ **حريصٌ عليكم** ﴾ أي : على هدايتكم ، أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله ﷺ : (إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ، ألا وإني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش والذباب) ﴿ **بالمؤمنينَ رؤُوفٌ رحيمٌ** ﴾ إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب .

[١٢٩] ﴿ **فإنْ تولَّوْا** ﴾ أي : أعرضوا عن الإيمان بك ﴿ **فقُلْ : حسبيَ اللَّهُ** ﴾ فاستعن بالله ، فهو كافيك وناصرك عليهم ﴿ **لا إله إلاَّ هوَ عليهِ توكَّلتُ** ﴾ أي : فوضت أمري إليه ، وبه وثقت ﴿ **وهُوَ ربُّ العَرْشِ العظيمِ** ﴾ المحيط بكل شيء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

[سورة يونس]

سميت « سورة يونس » ، لورود قصة يونس وقومه فيها ، وهي مكية إلا الآيات ٤٠ ، ٩٤ ، ٩٥ فمدنية ، وعدد آياتها ١٠٩ آيات .

[١] ﴿ **الر** ﴾ تقرأ : ألف . لام . را ، وهي من الحروف في أوائل السور ، وقد ورد بحث هذه الأحرف في تفسير أول سورة البقرة ، وقيل : هي اسم للسورة ﴿ **تلك آياتُ الكتابِ الحكيم** ﴾ القرآن ذي الحكمة .

[٢] ﴿ **أكانَ للنَّاسِ عَجَباً أنْ أوْحَيْنَا إلى رجلٍ منْهم أنْ أنْذِرِ النَّاسَ وبشِّرِ الذينَ آمَنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صدْقٍ عنْدَ ربِّهِمْ** ﴾ القدم بمعنى السبق ، أو بمعنى : المقام ﴿ **قالَ الكافرونَ** : **إنَّ هذا** ﴾ الكتاب الحكيم ﴿ **لسحرٌ مُبينٌ** ﴾ أي : ظاهر [قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولاً أنكرت عليه الكفار ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد . فأنزل الله تعالى : ﴿ أكان للناس عجباً . . . ﴾ ـ النيسابوري . وقال مجاهد : الأعمال الصالحة ، صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم ، قال : ومحمد ﷺ يشفع لهم . وقال قتادة : سلف صدق عند ربهم . واختار ابن جرير قول مجاهد : إنها الأعمال الصالحة التي قدموها ، كما يقال : له قدم في الإسلام ـ ابن كثير] .

[٣] ﴿ **إنَّ ربَّكُمُ اللَّهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيامٍ** ﴾ قيل : هي أيام كأيامنا ، وقيل : كل يوم كألف سنة ﴿ **ثمَّ استوى على العرْشِ** ﴾ قال مجاهد بن جبر [المتوفى ١٠٤ هـ ، وهو أحد التابعين ، أخذ التفسير عن ابن عباس] : استوى على العرش : علا ، أي بلا تمثيل ولا تكييف ﴿ **يُدبِّرُ الأمرَ** ﴾ أي : يقضي ويقدر ، على حسب مقتضى الحكمة ، أمرَ الخلق كله ﴿ **مَا مِنْ شفيعٍ إلا من بعدِ إذْنِهِ ، ذلكُمُ اللَّهُ ربُّكم فاعبُدُوهُ** ﴾ أي : وحِّدوه بالعبادة ﴿ **أفلا تذكَّرونَ** ﴾ أفلا تتفكَّرون .

[٤] ﴿ **إليهِ مَرْجِعُكُمْ جميعاً** ﴾ بالموت أو النشور ﴿ **وعْدَ اللَّهِ حقّاً** ﴾ أي : صدقاً ﴿ **إنَّهُ يبدأُ الخلْقَ** ﴾ من النّطفة ﴿ **ثُمَّ يُعيدُهُ** ﴾ **بعد الموت** ﴿ **لِيَجزيَ الذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصالحاتِ بالقِسْطِ** ﴾ أي : بعدله سبحانه ، أو بسبب قيامهم على العدل في أمورهم وعلى رأسها الإيمان الذي هو العدل القويم ﴿ **والذينَ كَفَروا لَهُمْ شرابٌ مِّنْ حَمِيم** ﴾ من ماء حار قد وصل حره إلى منتهاه ﴿ **وعذابٌ أليمٌ** ﴾ يخلص ألمه إلى قلوبهم ﴿ **بِمَا كانُوا يكْفُرُونَ** ﴾ أي : بسبب كفرهم .

[٥] ﴿ **هُوَ الذي جعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ، والقَمَرَ نُوراً** ﴾ والضياء أقوى من النور ﴿ **وقدَّرهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا** ﴾ من دورة الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار ومنازل القمر ﴿ **عدَدَ السنينَ والحِسَابَ** ﴾ أي : حساب الشهور والأيام ﴿ **مَا خَلَقَ اللهُ ذلكَ إلاّ بالحقِّ** ﴾ : أي : بالحكمة البالغة ﴿ **يُفصِّلُ الآياتِ** ﴾ يُبيِّن الآيات التكوينية ﴿ **لِقوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ .

[٦] ﴿ **إنَّ في اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ** ﴾ أي : في تعاقبهما وكون كل منهما خِلفة للآخر ﴿ **وَمَا خَلَقَ اللهُ في السَّمٰوات والأرض** ﴾ من الشمسِ والقمر والنجوم والشجر والدواب والجبال والبحار وغير ذلك ﴿ **لآياتٍ لقومٍ يتَّقُون** ﴾ أي : لآيات عظيمة دالَّة على وحدة مُبدعها ، وكمال قدرته ، وبالغ حكمته .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿ **إِنَّ الذينَ لا يَرْجُونَ لقاءَنا** ﴾ فلا يتوقعون الجزاء ﴿ **وَرَضُوا بالحياةِ الدُّنيا واطمأنُّوا بها ، والذينَ هُمْ عنْ آياتنا غافِلُونَ** ﴾ لا يتفكرون فيها .

[٨] ﴿ **أُولئكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِمَا كانُوا يكْسِبُونَ** ﴾ أي : أُدْخِلوا النار بسبب عملهم .

[٩] ﴿ **إِنَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ يَهْدِيهِمْ ربُّهُمْ بإيمانِهِمْ** ﴾ أي : بسببه إلى مأواهم ، وهي الجنة ﴿ **تجري من تحتِهِمُ الأنهارُ في جنَّاتِ النَّعيمِ** ﴾ من تحت منازلهم أو من بين أيديهم . [قال ابن جريج : في الآية يمثل له عمله في صورة حسنة إذا قام من قبره يبشره بكل خير ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك . فيجعل له نوره من بين يديه حتى يدخله الجنة ـ ابن كثير] .

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

[١٠] ﴿ **دَعْواهُمْ فِيهَا : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ** ﴾ ومعناه : اللهم إنّا نسبّحك ﴿ **وتحيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ** ﴾ ما يحيّي به بعضهم بعضاً ، أو تحية الملائكة إياهم ، أو تحية الله عزّ وجلّ لهم ، والسلام : بمعنى السلامة من كل مكروه ﴿ **وآخِرُ دَعْواهُمْ** ﴾ وخاتمة دعائهم ﴿ **أنِ الحمدُ للّه ربِّ العَالَمِينَ** ﴾ . [وفي الحديث : (إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس) وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم ، فتكرر وتعاد وتزداد ، فليس لها انقضاء ولا أمد ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه ـ ابن كثير] .

[١١] ﴿ **ولَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ للنَّاسِ** ﴾ الذين لا يرجون لقاءه تعالى لكفرهم ﴿ **الشَّرَّ** ﴾ الذي كانوا يستعجلون به ﴿ **استِعْجَالَهُمْ بالخَيْرِ** ﴾ مثل استعجالهم الدعاء بالخير ﴿ **لقُضِيَ إليْهِمْ أَجَلُهُمْ** ﴾ أي : لأُميتوا وأُهلكوا ﴿ **فنَذَرُ** ﴾ نترك ﴿ **الذينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا في طُغْيانِهِم يَعْمَهُونَ** ﴾ أي : يترددون في ضلالهم وشركهم .

[١٢] ﴿ **وإِذَا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دَعَانَا** ﴾ أي : دعا الله لكشفه وإزالته ﴿ **لِجَنْبِهِ** ﴾ أي : مضطجعاً على جنبه ﴿ **أو قَاعِداً أو قائماً ، فلمَّا كَشَفْنَا عنهُ ضُرَّهُ مرَّ** ﴾ مضى على طريقته الأولى ﴿ **كأنْ لمْ يدْعُنا إلى ضُرٍّ مسَّهُ ، كذلكَ زُيِّنَ للمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات ، والمسرفون هنا المشركون . [قال ابن كثير : فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد فإنه مستثنى من ذلك ، وفي الحديث : (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء كان خيراً له وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن) رواه أحمد] .

[١٣] ﴿ **ولقدْ أهلكنا القرونَ** ﴾ الأجيال السابقة ﴿ **مِنْ قبلِكم لمَّا ظَلَمُوا** ﴾ بأنّهم كذّبوا وكفروا ﴿ **وجاءَتهمْ رُسُلُهم بالبيّناتِ ومَا كانُوا ليُؤْمِنُوا** ﴾ بتلك البيّنات من الحجج والبراهين المعجزات ولا بغيرها ﴿ **كذلكَ نجزي القومَ المُجْرمينَ** ﴾ بالإهلاك .

[١٤] ﴿ **ثمَّ جعلناكمْ خلائفَ في الأرضِ منْ بعدِهم** ﴾ أي : استخلفناكم في الأرض بعد إهلاك الأمم الكافرة السابقة ﴿ **لِننظُرَ كيفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ من خير أو شر فنعاملكم حسب عملكم .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿ وإذَا تُتلى عليهم آياتُنا بيِّناتٍ ﴾ واضحات ﴿ قالَ الذينَ لا يَرْجُونَ لقاءَنا ﴾ لا يؤمنون بالآخرة ﴿ ائتِ بقُرآنٍ غير هذا أو بدِّلْهُ ، قُلْ : مَا يكونُ لي أنْ أُبدِّلَهُ منْ تلقاءِ نفسي إنْ أتَّبعُ إلاَّ مَا يُوحَى إليَّ إنِّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربِّي ﴾ بالتبديل والنسخ من عند نفسي ﴿ عذابَ يوم عظيم ﴾ هو يوم الحساب. [قال مجاهد : نزلت في مشركي مكة . قال مقاتل : وهم خمسة نفر : عبد الله بن أبي أمية المخزومي ، والوليد بن المغيرة ، ومكرز بن حفص ، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري ، والعاص بن عامر ، قالوا للنبي ﷺ : إئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزّى . وقال الكلبي : نزلت في المستهزئين ، قالوا : يا محمد إئت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك ـ النيسابوري] .

[١٦] ﴿ قُل : لوْ شاءَ اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عليكُمْ ﴾ وقد أقام ﷺ أربعين سنة قبل النبوة لم يُسْمَع منه شيءٌ كالقرآن ولا ما يمت إلى القراءة بسبب ﴿ ولا أدْراكُمْ بِهِ ﴾ أي : ولا أعلمكم به على لساني ﴿ فقدْ لبثتُ فيكم عُمُراً من قبلِهِ ﴾ أي : من قبل نزوله ، لم أتصف فيها لا بعلم ولا ببيان فتتهموني باختراعه ﴿ أفلا تَعْقِلُونَ ﴾ فتعلموا أنه من الله تعالى . [قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة : بعث الله فينا رسولاً نعرف صدقه ونسبه وأمانته ، وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة ـ ابن كثير] .

[١٧] ﴿ فَمَنْ أظلمُ ممَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كذِباً أو كذَّبَ بآياتِهِ ﴾ والسؤال الإنكاري هنا لتقريع المشركين والجاحدين الذين يتقوّلون على الله تعالى ، ويزعمون أنه أوحى إليهم ، أو يكفرون بآياته ﴿ إنَّهُ لا يُفلحُ المُجْرِمُونَ ﴾ . [وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل ، وقامت به الحجج ، لا أحد أظلم منه كما في الحديث : (أعتى الناس على الله رجل قتل نبياً أو قتله نبي) ـ ابن كثير] .

[١٨] ﴿ ويعبُدُونَ منْ دونِ اللّهِ ما لا يضُرُّهُمْ ولا ينفعُهُم ﴾ كالأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضرّ ﴿ ويقولونَ : هؤلاءِ شُفَعَاؤُنا عِنْدَ اللّهِ ، قل : أتُنبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ في السَّمٰواتِ ولا في الأرْضِ ﴾ وذلك لتأكيد نفي شفاعتهم ﴿ سُبْحَانَهُ وتعالى عمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَمَا كانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً واحدةً ﴾ متفقين على ملّة واحدة ، هي فطرة الإسلام والتوحيد ﴿ فاختَلَفُوا ﴾ باتباع الهوى وعبادة الأصنام . [قال ابن كثير : قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان ، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ﴿ لِيَهْلِكَ من هَلَكَ عن بيِّنةٍ ويَحْيى من حَيَّ عن بينةٍ ﴾ سورة الأنفال : الآية رقم ٤٢] ﴿ ولَوْلا كلمةٌ سَبَقَتْ منْ ربِّكَ ﴾ بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿ لقُضِيَ بيْنَهُمْ ﴾ عاجلاً ﴿ فيمَا فيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

[٢٠] ﴿ويَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ منْ ربِّهِ ﴾ من الآيات التي اقترحوها تعنتاً وعناداً ﴿فَقُلْ إنَّمَا الغَيْبُ للّهِ﴾ يعني : أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيّب لا يعلمه إلا هو سبحانه ﴿ فانتظِرُوا إنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ ﴾ فيما يقضيه الله تعالى في عاقبة تعنّتكم وعنادكم .

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

[٢١] ﴿ وإذا أذقنا النّاسَ رحمةً من بَعْدِ ضرّاءَ مسَّتْهُمْ ﴾ وإذا رفع الله الأذى عن إنسان دعاه وأنزل رحمته عليه، كما ورد في الآية رقم ١٢ ﴿ إذا لَهُمْ مكرٌ في آياتنا ﴾ يظهر شركهم الكامن فيهم، بعدما أظهروا الإيمان وقت الشدّة ﴿ قُلِ: اللّهُ أسْرَعُ مكراً ﴾ أي: عقوبة ﴿ إنّ رُسُلَنا ﴾ الذين يحفظون أعمالكم ﴿ يكتبونَ ما تمكرونَ ﴾ فالله لا يخفى عليه شيء.

[٢٢] ﴿ هُوَ الذي يُسيِّرُكم في البرِّ والبَحْرِ حتّى إذا كُنْتُمْ في الفُلْكِ ﴾ أي: السفن ﴿ وجَرَيْنَ بِهِمْ بريحٍ طيِّبةٍ ﴾ أي: سارت السفن بركّابها بريح لينة الهبوب وموافقة للمرغوب ﴿ وفَرِحُوا بها، جاءَتْها ريحٌ عاصفٌ وجاءَهُمُ الموْجُ من كلِّ مكانٍ وظنُّوا أنَّهُمْ أُحيطَ بِهِم ﴾ أي: أحاط بهم أسباب الهلاك ﴿ دَعَوُا اللّهَ مُخلصينَ له الدِّينَ ﴾ لأنهم حينئذ لا يدعون معه غيره ﴿ لئِنْ أنْجَيْتَنا منْ هذهِ لنكونَنَّ مِنَ الشّاكرينَ ﴾ أي العابدين لك الموحّدين بك.

[٢٣] ﴿ فلمّا أنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ في الأرضِ بغيْرِ الحقِّ ﴾ أي: يفسدون فيها ﴿ يا أيُّها النّاسُ ﴾ النّاسين نِعَمَ الله عليكم ﴿ إنّما بَغْيُكُمْ عَلى أنْفُسِكُمْ ﴾ فإفسادكم يرتد عليكم [أي إنما يذوق وبال البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحداً غيركم، كما جاء في الحديث: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) ـ ابن كثير] ﴿ متاعُ الحياةِ الدُّنيا ﴾ أي: نمتعكم في الحياة الدنيا ﴿ ثمَّ إلينا مَرْجِعُكُمْ ﴾ يوم القيامة، وفي الحديث: (الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم ﴿ فننبِّئُكُمْ بِما كُنْتُم تعملونَ ﴾ في الدنيا، وهو وعيد لهم.

[٢٤] ﴿ إنَّما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ منَ السَّماءِ فاختلطَ بِهِ نباتُ الأرْضِ ممّا يأكلُ النّاسُ والأنعامُ ﴾ من الزروع والثمار والكلأ والحشيش ﴿ حتّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَها ﴾ أي: حسنها وبهجتها ﴿ وازَّيَّنَتْ ﴾ بأصناف النبات ﴿ وظنَّ أهلُها أنَّهم قادِرُونَ عَلَيْها ﴾ متمكنون من تحصيل حبوبها وثمارها وحصدها ﴿ أتاهَا أمرُنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ ليلاً أوْ نهاراً ﴾ أخرج ابن ماجه عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: (أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرَّحم وأسرع الشرِّ عقوبة البغي وقطيعة الرَّحم) ﴿ فجعلْناهَا حصيداً ﴾ كالمحصود من أصله ﴿ كأنْ لمْ تَغْنَ ﴾ لم تنبت ﴿ بالأمْسِ ﴾ قبيل ذلك الوقت ﴿ كذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ ﴾ بالأمثلة ﴿ لقوم يتفكّرونَ ﴾ في معانيها.

[٢٥] ﴿ واللّهُ يدْعُو إلى دارِ السَّلامِ ﴾ يدعو الخلق بتوحيده إلى جنته ﴿ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستَقيم ﴾ دينٍ قيّم يرضاه، وهو الإسلام. [روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: (إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً. فقال: إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها) أخرجه ابن جرير ـ ابن كثير].

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

[٢٦] ﴿ لِلذينَ أَحْسَنُوا ﴾ وتوجهوا إلى الله تعالى، فعبدوه كأنهم يرونه ﴿ الحُسْنى ﴾ أي: الجنة ﴿ وزيادةٌ ﴾ وأعظم أنواع الفضل: النظر إلى وجهه تعالى الكريم ﴿ ولا يَرْهَقُ وجوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ لا يغشاها غبرة سوداء من أثر حب الدنيا وشهواتها ﴿ولا ذِلَّةٌ ﴾ أي: أثر هوان ﴿ أولئكَ ﴾ الذين أحسنوا هم ﴿ أصحابُ الجنةِ هُمْ فيهَا خَالِدُونَ ﴾ [روى الإمام أحمد عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وقال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه. فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم) وهكذا رواه مسلم ـ ابن كثير].

[٢٧] ﴿ والذينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ ﴾ أي: الشرك والمعاصي ﴿ جزاءُ سيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وتَرْهَقُهُم ذِلَّةٌ ﴾ يغشاهم الهوان ﴿ ما لهم منَ اللَّهِ منْ عَاصمٍ ﴾ أي: واق يقيهم العذاب ﴿ كأنَّما أُغْشِيَتْ ﴾ أُلبِسَتْ ﴿ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً ﴾ أي: أجزاء ﴿ منَ الليلِ مُظْلِماً ﴾ لسوادها وظلمتها ﴿ أولئكَ أصْحابُ النَّارِ هُمْ فيهَا خالِدُونَ ﴾.

[٢٨] ﴿ ويومَ نحشُرُهُم جميعاً ﴾ يعني: المشركين وما يعبدون من الأصنام ﴿ ثمَّ نقولُ للذينَ أشركُوا: مكانَكم أنتم وشركاؤُكُمْ ﴾ أي: الزموا مكانكم، لا تبرحوا حتى تنظروا ما يُفعل بكم ﴿ فزيّلنا بينهم ﴾ ففرّقنا بين المشركين وشركائهم ﴿ وقالَ شركاؤهم: ما كُنتم إيّانا تعبُدونَ ﴾. [وذلك حين تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتُّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، لما قيل للمشركين: اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله، ونصبت لهم آلهتهم، قالوا: كنا نعبد هؤلاء، فقالت الآلهة لهم ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ ـ ابن جرير].

[٢٩] ﴿ فكفى باللَّهِ شهيداً بيننا وبينَكم إنْ كُنَّا عنْ عبادَتِكم لغافلينَ ﴾ فالله يعلم أنا ما أمرناكم بذلك وما أردنا أن تعبدونا.

[٣٠] ﴿ هنالِكَ ﴾ في ذلك المقام ﴿ تَبْلُو كلُّ نفسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ أي: تختبر وتذوق كل نفس ما أسلفت من العمل ﴿ وردُّوا إلى اللَّهِ مولاهُمُ الحقِّ ﴾ الذي يحكم بينهم بالعدل والقسط ﴿ وضلَّ عنهم مَا كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: ظهر ضلال توهماتهم الباطلة في الشرك والشفاعة.

[٣١] ﴿ قُلْ مَنْ يرزقُكم منَ السَّماءِ والأَرْضِ ﴾ بالمطر والنبات ﴿ أمْ مَنْ يملكُ السَّمْعَ والأبصارَ ﴾ أي: من يستطيع خلقها وتسويتها ﴿ ومنْ يُخرِجُ الحيَّ منَ الميِّتِ، ويخرجُ الميِّتَ من الحيِّ، ومنْ يُدَبِّرُ الأمْرَ ﴾ أمر العالَمَ كلِّه ﴿ فسيقولونَ: اللَّهُ ﴾ إذ لا مجال للمكابرة ﴿ فقُلْ: أفلاَ تتَّقونَ ﴾ أفلا تخافون من غضبه لعبادتكم سواه بغير حق.

[٣٢] ﴿ فذلكُمُ اللَّهُ ربُّكمُ الحقُّ ﴾ الذي لا شك في وحدانيته ﴿ فماذَا بعدَ الحقِّ إلاَّ الضَّلالُ ﴾ فلا واسطة بين الحق والضلال، فإما التوحيد وإما الشِّرك ﴿ فأنّى تُصْرَفُونَ ﴾ عن الحق وأنتم تعترفون بأنه خالق كل شيء سبحانه.

[٣٣] ﴿ كذلكَ حقَّتْ كلمةُ ربِّكَ على الذينَ فَسَقُوا أنّهم لا يُؤمنونَ ﴾ ثبت حكمه وقضاؤه على الذين تمردوا في كفرهم، وعلم الله منهم ذلك.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿ قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكم من يبدأُ الخلقَ ثمَّ يُعيدُه ﴾ يبدؤه من النطفة ويجعل فيه الروح ، ثم يحييه يوم القيامة ﴿ قُلِ: اللَّهُ يبدأ الخلق ثمَّ يُعيدُهُ فأنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تُصرفون إلى عبادة غيره .

[٣٥] ﴿ قُلْ: هلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ منْ يهدي إلى الحقِّ ﴾ كبعث الرسل ، وإيتاء العقل ﴿ قُلِ: اللَّهُ يَهدي للحقِّ ، أفمنْ يهدي إلى الحقِّ ﴾ وهو الله تبارك وتعالى ﴿ أحقُّ أنْ يُتَّبَعَ ﴾ أي : يعبد ويطاع ﴿ أمَّن لا يَهِدِّي ﴾ كالأصنام التي لا تملك لنفسها شيئاً ﴿ إلاَّ أنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ ﴾ الاستفهام هنا للإنكار والتعجب ﴿ كيف تحكُمُونَ ﴾ بالباطل ، حيث تزعمون أن الأوثان أنداد لله .

[٣٦] ﴿ ومَا يتَّبعُ أكثرُهُم ﴾ في اعتقادهم ألوهية الأصنام ، والمراد بالأكثر : جمع المشركين ﴿ إلا ظناً ﴾ غير مستند لبرهان ﴿ إنَّ الظنَّ لا يُغنِي من الحقِّ شيئاً ﴾ أي : من العلم والاعتقاد الحق ﴿ إنَّ اللَّهَ عليمٌ بما يفعلُونَ ﴾ .

[٣٧] ﴿ ومَا كانَ هذا القرآنُ أنْ يُفترى منْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فإعجازه يمتنع أن يكون من صنع البشر ﴿ ولكنْ تصديقَ الذي بين يَدَيْهِ ﴾ أي : مصدِّقاً للتوراة والإنجيل والزبور بالتوحيد ، وصفة النبي ﷺ ﴿ وتفصيل الكتابِ ﴾ وتبيين ما كُتب وفُرض من الأحكام والشرائع ﴿ لا ريْبَ فيهِ مِنْ ربِّ العالمينَ ﴾ لا شك فيه وأنه منزل من رب العالمين .

[٣٨] ﴿ أمْ يقولونَ: افْتَرَاهُ ﴾ أي : أيقرّون به بعد ما بيّنا حقيقته أم يصرّون على أنه افتراء ، والافتراء : الكذب والاختلاق ﴿ قُلْ: فأْتوا بسُورةٍ مثلِهِ ﴾ إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله في البلاغة وأنتم أهل اللغة والفصاحة ﴿ وادْعُوا منِ استطعتُم مِن دُونِ اللَّهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي : واستعينوا بمن شئتم على ذلك ، وهذا القول من باب التحدي لاستحالة إتيانهم بمثل القرآن الكريم .

[٣٩] ﴿ بلْ كذَّبوا بِمَا لم يُحيطُوا بِعلْمِهِ ﴾ أي : سارعوا إلى التكذيب به قبل أن يفقهوه ويعلموا حقيقة أمره ﴿ ولمَّا يأتِهِمْ تأويلُهُ ﴾ أي : بيان ما يؤول إليه ، مما توعَّدهم فيه ، لأنه إذا ظهرت حقائقه لا يمكن لأحد تكذيبه ﴿ كذلك كذَّبَ الذينَ منْ قبلِهِمْ ﴾ بآيات الرسل ، قبل التدبر في معانيها ﴿ فانْظُرْ كيفَ كانَ عاقبةُ الظَّالمينَ ﴾ من هلاكهم بسبب تكذيبهم .

[٤٠] ﴿ ومنْهُم مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ يصدِّق به في نفسه ، ولكن يكابر بالتكذيب ﴿ ومنهم مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ ، وربُّكَ أعْلَمُ بالمُفْسِدِينَ ﴾ أي : الكافرين ، وفيها تهديد لهم .

[٤١] ﴿ وإنْ كذَّبُوكَ فقُلْ : لِي عملي ولكُمْ عملُكُمْ ﴾ أي : لكلٍ جزاء عمله ﴿ أنتم بريئونَ ممَّا أعملُ وأنا بريءٌ ممَّا تعملُونَ ﴾ أي : إن أصروا على تكذيبك ، فتبرأ منهم ، فقد أُعذرت .

[٤٢] ﴿ ومنهم من يستمعونَ إليكَ ﴾ إذا قرأت القرآنَ ﴿ أفأنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ولوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ ﴾ أي : أتطمع بهدايتهم ، وقد اجتمع عليهم الصمم وذهاب العقل ؟ .

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٣] ﴿ ومنهم من ينظُرُ إليكَ ، أفأنْتَ تَهْدِي العُمْيَ ولوْ كانُوا لا يُبصِرُونَ ﴾ يعني : أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا ، كالصم والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول .

[٤٤] ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يظْلِمُ النَّاسَ شيئاً ﴾ بتعذيبهم من غير أن تقوم الحجة عليهم من الرسل والعقل واستعمال الحواس السليمة ﴿ ولكنَّ النَّاسَ أنفُسَهُمْ يظْلِمُونَ ﴾ بالكُفرِ والتكذيب وتعطيل التفكير والحواس .

[٤٥] ﴿ ويوْمَ يحشُرُهُمْ كأنْ لمْ يلْبَثُوا إلَّا ساعةً منَ النَّهارِ ، يَتَعارفُونَ بينَهُمْ ﴾ فيعرف بعضهم بعضاً ، كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً ﴿ قدْ خَسِرَ الذينَ كذَّبُوا بلقاءِ اللَّهِ ﴾ أي : كذبوا بالبعث بعد الموت ﴿ ومَا كانُوا مُهْتَدِين ﴾ من الكفر والضلال .

[٤٦] ﴿ وإمَّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب ﴿ أوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك ﴿ فإلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شهيدٌ على مَا يَفْعَلُونَ ﴾ من مساويء الأفعال .

[٤٧] ﴿ ولكلِّ أُمَّةٍ رسولٌ ﴾ أُرسل لهدايتهم ، وتزكيتهم بما يصلحون ﴿ فَإذَا جاءَ رسُولُهُمْ ﴾ فبلَّغهم ما أُرسل به فكذبوه ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم ، لأنه من نتائج أعمالهم . [قال ابن كثير : فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها ، وكتاب أعمالها من خير وشر شاهد عليها وحفظتهم من الملائكة شهود أيضاً . . . . وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضي لهم قبل الخلائق)] .

ربع الحزب ٢٢

[٤٨] ﴿ ويقولونَ : متى هذا الوعدُ ﴾ استبعاداً له ، واستهزاء به ﴿ إن كُنتُمْ صادقين ﴾ في وقوعه .

[٤٩] ﴿ قُلْ : لا أملكُ لنفسي ضرّاً ولا نفعاً ، إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ والمعنى : لا أملك شيئاً ما ، لي ولا لكم ، وإنّما الأمر كلُّه بيد الله إن شاء عجّل لكم العقوبة أو أجّلها ﴿ لكلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ ، إذَا جَاءَ أجَلُهُم فلا يستأخِرونَ ساعةً ولا يستقدمونَ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قُلْ : أرأيتُمْ ﴾ أي : أخبروني ﴿ إنْ أتاكُمْ عَذَابُهُ ﴾ الذي تستعجلون به ﴿ بَياتاً ﴾ ليلاً ﴿ أو نَهاراً ، ماذا يَسْتَعْجِلُ منهُ المُجْرِمُونَ ﴾ .

[٥١] ﴿ أثُمَّ إذا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ أبعدَ ما وقع العذابُ آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان ؟ ﴿ الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ فمثل هذا الاستعجال لا يصدر ممن له عقل ، إذ لا يستعجل إلا ما يرجى خيره . [٥٢] ﴿ ثمّ قيلَ للذينَ ظَلَمُوا ﴾ أي : أشركوا ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ ﴾ من الخلود وهو ما لا نهاية له ﴿هل تُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إلَّا بِمَا كُنْتُمْ تكسِبون﴾ أي : إلاَّ جزاء ما كنتم تقولون وتعملون في الدنيا .

[٥٣] ﴿ويستنبِئُونَكَ﴾ أي : يستخبرونك ﴿ أحقٌّ هُوَ ﴾ أي : الوعد بعذاب الخلد ، أو ادعاء النبوة أو القرآن ﴿ قُلْ : إي وربِّي إنَّه لحقٌّ ومَا أنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ فالعذاب واقع بكم ، لا يُعجز من يوقعه بكم عن إدراككم . [وقال ابن كثير : هذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلاّ آيتان أخريان ، يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد : في سورة سبأ ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ﴾ الآية رقم : ٣ ، وفي التغابن ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ الآية رقم : ٧] .

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿ ولو أن لِكُلِّ نفسٍ ظَلَمَتْ ﴾ بالشرك بالله ، أو التعدي على الغير ﴿ مَا في الأرضِ ﴾ من الأموال ﴿ لافتَدَتْ بِهِ ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب ﴿ وأسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ أخفوها أسفاً على ما فعلوا من الظلم ﴿ لمَّا رأَوُا العَذابَ وقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ فيما فعل بهم من العذاب ، لأنه جزاء ظلمهم.

[٥٥] ﴿ ألاَ إنَّ للَّهِ مَا في السَّمٰواتِ والأرْضِ ، ألاَ إنَّ وعْدَ اللَّهِ ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ حقٌّ ﴾ أي : ثابت ﴿ ولٰكِنَّ أكثرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

[٥٦] ﴿ هُوَ يُحْيِي ويُميتُ وإليهِ تُرْجَعُونَ ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم . [قال ابن جرير: إن الله هو المحيي المميت ، لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه].

[٥٧] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ قدْ جاءَتْكُم موعِظَةٌ منْ ربِّكُمْ ﴾ أي : جاءكم القرآن الكريم ﴿ وشِفَاءٌ لِمَا في الصُّدُورِ ﴾ وفيه شفاء القلوب من أمراضها كالشك والنفاق ، والغلّ والغش ﴿ وهُدىً ﴾ لنفوسكم من الضلالة ﴿ ورحمةٌ للمؤمِنِينَ ﴾ رحمة المؤمنين بالقرآن : النجاة من العذاب ، والارتقاء في درجات النعيم .

[٥٨] ﴿ قُلْ : بفضلِ اللَّهِ ﴾ يعني بالفضل : القرآن ﴿ وبرحمتِهِ ﴾ يعني : الإسلام ﴿ فبذلِكَ ﴾ أي : فبمجيئهما ﴿ فلْيَفْرَحُوا ، هوَ خيرٌ ممَّا يجمعُونَ ﴾ من الأموال وأسباب الشهوات .

[٥٩] ﴿ قُلْ : أرأيتُمْ مَا أنزلَ اللَّهُ لكُمْ منْ رزْقٍ فَجَعَلْتُمْ منه حراماً وحَلالاً ﴾ أي : أنزله تعالى رزقاً حلالاً كله ، فحلَّلتم وحرَّمتم من عند أنفسكم ﴿ قُلْ : آللَّهُ أذِنَ لكُمْ ﴾ في الحكم بالتحريم والتحليل ﴿ أمْ على اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ أي : تختلقون الكذب . [قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما : نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصايل كقوله تعالى : ﴿ وجعلوا للَّه مما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيباً ﴾ سورة الأنعام الآية رقم : ١٣٦ ـ ابن كثير] .

[٦٠] ﴿ ومَا ظنُّ الذينَ يفترونَ على اللَّهِ الكَذِبَ يومَ القيامةِ ﴾ فيما يُفعل بهم ﴿ إنَّ اللَّهَ لَذُو فضلٍ على النَّاسِ ﴾ في إنزال الوحي وتعليم الحلال والحرام ﴿ ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعمة ، ولا يتبعون ما هُدُوا إليه . [قال ابن جرير: إن الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا ، وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة ، ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك وبغيره من سائر نعمه] .

[٦١] ﴿ ومَا تكونُ في شأْنٍ ﴾ أي : أمرٍ ما ﴿ ومَا تَتْلُوا مِنْهُ ﴾ مما أنزل الله ﴿ مِنْ قُرآنٍ ﴾ من سورة أو آية ﴿ ولا تعملونَ من عملٍ إلاّ كُنَّا عليكُمْ شُهُوداً إذْ تُفيضُونَ فيه ﴾ تخوضون وتندفعون فيه ﴿ ومَا يَعْزُبُ ﴾ وما يغيب ﴿ عنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذرَّةٍ ﴾ أي : نملة أو هباء ـ واحدة الغبار ـ ﴿ في الأرضِ ولا في السَّماءِ ولا أصغرَ من ذلكَ ولا أكبرَ إلاّ في كتابٍ مُبِينٍ ﴾ والمراد بالآية : البرهان بأن من لا يغيب عن علمه شيء كيف لا يعرف حال أهل الأرض وما هم عليه مع نبيه ﷺ ؟ .

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿ **ألَا إنَّ أَوْلياءَ اللَّهِ** ﴾ جمع ولي بمعنى المُحِب أو الذين يتولونه بالطاعة ﴿ **لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ** ﴾ من الفزع الأكبر يوم القيامة . [قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله . وقال رسول الله ﷺ : (إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء) قيل : من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم ؟ قال : (هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس) ثم قرأ : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ أخرجه ابن جرير ورواه أبو داود ـ ابن كثير] .

[٦٣] ﴿ **الذينَ آمَنُوا** ﴾ بكل ما جاء من عند الله تعالى ﴿ **وكانُوا يتَّقُونَ** ﴾ أي : يخافون ربهم ، فيفعلون أوامره ، ويتجنبون نواهيه . وأولياء الله على طبقتين : سابقون ومقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، فالأبرار أصحاب اليمين ، هم المتقربون إلى الله بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات . وأما السابقون المقربون ، فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات . فأولياء الله يعتبرون بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلّ عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام .

[٦٤] ﴿ **لَهُمُ البُشرى في الحياة الدُّنيا وفي الآخرةِ** ﴾ لهم البشارة فيهما بالجنة ﴿ **لا تبديلَ لكلماتِ اللَّهِ** ﴾ أي : لمواعيده ﴿ **ذلكَ هو الفوْزُ العظيمُ** ﴾ الجنة ونجاتهم من النار .

[٦٥] ﴿ **ولا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ** ﴾ لا تتأثر بقولهم ﴿ **إنَّ العزَّةَ للَّهِ جميعاً** ﴾ فهو يغلبهم وينصرك عليهم ﴿ **هو السَّميعُ** ﴾ لأقوالهم فيك فيجازيهم ﴿ **العَليمُ** ﴾ لما ينبغي أن يفعل بهم . [٦٦] ﴿ **ألا إنَّ للَّهِ منْ في السَّمٰواتِ وَمَنْ في الأرضِ** ﴾ لا يقدرون على شيء بغير إذنه ومشيئته ﴿ **وَمَا يتَّبعُ الذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ** ﴾ سموها شركاء لجهلهم ﴿ **إنْ يتَّبعونَ إلَّا الظَّنَّ** ﴾ الباطل ﴿ **وإنْ هُمْ إلَّا يخْرُصُونَ** ﴾ يختلقون ويفترون . [٦٧] ﴿ **هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُمُ اللَّيلَ لِتَسْكُنُوا فيهِ** ﴾ خلقه لكم لترتاحوا فيه بعد تعبكم ﴿ **والنَّهارَ مُبْصِراً** ﴾ مضيئاً ، تبصرون فيه مطالب رزقكم وكسبكم ﴿ **إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يَسْمَعُونَ** ﴾ سماع تدبّر واعتبار. [٦٨] ﴿ **قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ ولداً ، سُبْحَانَهُ** ﴾ تنزيه له عن أن يجانس أحداً ، أو يحتاج إليه ، وتعجُّب من كلمتهم الحَمقاء ﴿ **هُوَ الغنيُّ ، له ما في السَّمٰواتِ ومَا في الأرضِ ، إنْ عندكُمْ من سُلطانٍ بهذا** ﴾ ما عندكم من حجة بهذا القول الباطل وهو ادعاؤهم أن اللَّه اتخذ ولداً وهو المستغني عن كل ما عداه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ **أتقولونَ على اللَّهِ ما لا تَعْلَمونَ** ﴾ توبيخ وتقريع لهم على جهلهم .

[٦٩] ﴿ **قُلْ : إنَّ الذينَ يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ** ﴾ باتخاذ الولد ، وإضافة الشركاء ﴿ **لَا يُفْلِحُونَ** ﴾ لا يفوزون .

[٧٠] ﴿ **مَتَاعٌ في الدُّنْيا** ﴾ لهم تمتع قليل في الدنيا ﴿ **ثُمَّ إلينا مَرْجِعُهُم** ﴾ بالموت ﴿ **ثمَّ نذيقُهُمُ العذابَ الشَّديدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** ﴾ بسبب كفرهم .

۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم
مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَى
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

نصف الحزب ٢٢

[٧١] ﴿ واتْلُ عليهِمْ نبأَ نُوحٍ ﴾ أي: مع قومه المغترين بعزة الأموال والأعوان، فلعلهم يكفّون عن كفرهم، وتلين أفئدتهم، ويستيقنون صحة نبوّتك ﴿ إذْ قالَ لقَوْمِهِ: يا قَوْمِ إنْ كانَ كَبُرَ ﴾ أي: شق وثَقُل ﴿ عليكم مَقَامي ﴾ مكاني، أو مدة دعوتي إياكم ﴿ وتذكيري بآياتِ اللّهِ ﴾ بحججه وبراهينه ﴿ فعَلى اللّهِ توكّلتُ ﴾ اعتمدت في دفع ما قصدتموني به ﴿ فأجْمِعوا أمرَكُم ﴾ شأنكم في إهلاكي ﴿ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ يعني آلهتهم، وهو تهكم بهم، أو نظراءهم في الشرك ﴿ ثُمَّ لا يَكُنْ أمرُكُمْ عَلَيكُمْ غُمَّةً ﴾ أي: مستوراً ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إليَّ ﴾ أي: أدُّوا إليَّ ذلك الأمر الذي تريدون بي ﴿ وَلاَ تُنْظِرُونِ ﴾ ولا تمهلوني. [قال ابن جرير: وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه: إنه بنصرة الله له عليهم واثق، ومن كيدهم وبوائقهم غير خائف، وإعلام منه لهم أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع. وقال ابن كثير: والمراد أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة وأنجى من آمن برسله من بعد نوح عليه السلام، فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام، إلى أن أخذت الناس عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام].

[٧٢] ﴿ فإنْ تولَّيْتُم ﴾ عن الإيمان بما جئتكم به ﴿ فما سألتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ، إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللّهِ ﴾ هو يثيبني على تذكيري إياكم ﴿ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمينَ ﴾ المستسلمين له وحده بالإيمان به.

[٧٣] ﴿ فكذَّبُوهُ ﴾ يعني: نوحاً، وأُرسِلَ عليهم الطوفانُ ﴿ فنجَّيناهُ ﴾ من الغرق ﴿ وَمَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ وجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ ﴾ أي: خلفاء الذين أُغرقوا ليعمروا الأرض ﴿ وأغْرَقْنا الذينَ كذَّبوا بآياتنا فانظُرْ كَيْفَ كانَ عَاقِبَةُ المُنْذَرِينَ ﴾ أي: منتهى أمرهم.

[٧٤] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد نوح ﴿ رُسُلاً إلى قَوْمِهِمْ ﴾ يعني: هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً ﴿ فجاؤوهم بالبيّناتِ ﴾ الآيات الدالة على صدقهم ﴿ فما كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ من قَبْلُ ﴾ بسبب تعوّدهم تكذيب الحق ﴿ كذلكَ نَطْبَعُ ﴾ نختم ﴿ على قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾ الذين كذبوا رسلهم واعتدوا عليهم.

[٧٥] ﴿ ثُمَّ بعثنا منْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿ مُوسَى وهرُونَ إلى فِرعونَ ومَلَئِهِ بآياتنا ﴾ إلى فرعون وقومه بالبراهين والمعجزات ﴿ فاسْتَكْبَرُوا وكانُوا قَوْماً مُجْرِمينَ ﴾ كفاراً ذوي آثام كبيرة.

[٧٦] ﴿ فلمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ والحق: الآيات والبراهين الواضحة ﴿ قالُوا ﴾ من فرط التمرد ﴿ إنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾.

[٧٧] ﴿ قالَ مُوسَى: أتقولونَ للحقِّ لمَّا جاءَكُمْ أَسِحْرٌ هذا ﴾ استفهام إنكاري من موسى، ذلك لأن معجزاته من الله، وهي حقٌّ وليست من أوهام السحر ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ وهذا تأكيد من موسى على بطلان السحر.

[٧٨] ﴿ قَالُوا ﴾ لموسى ﴿ أجئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾ لتصرفنا ﴿ عمَّا وَجَدْنَا عليهِ آباءَنَا ﴾ يعنون عبادة الأصنام ﴿ وتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ ﴾ الملك والسلطان ﴿ في الأرْضِ ﴾ يعنون: أرض مصر ﴿ ومَا نحنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ حفظاً لسلطانه وملكه ﴿ ائتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ ماهر في فن السحر .

[٨٠] ﴿ فلمّا جَاءَ السَّحَرَةُ قال لهم مُوسَى : أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ مِنْ أصناف السحر .

[٨١] ﴿ فلمّا أَلْقَوْا ﴾ عصيّهم وحبالهم ليضاهوا معجزة موسى بعصاه ﴿ قَالَ مُوسَى : مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ﴾ أي : هو السحر ، لا ما جئتكم به مما سميتموه سحراً ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ بمعجزتي ، فلا يبقى له أثر ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ ﴾ بل يسلّط عليه الدمار .

[٨٢] ﴿ ويُحِقُّ اللَّهُ الحَقَّ بكلماتِه ﴾ يثبته ويقوّيه بها ﴿ ولوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب ﴿ عَلَى خوْفٍ منْ فِرْعَوْنَ ﴾ حاكم مصر ﴿ وَمَلَئِهِمْ ﴾ أهلهم وآبائهم ﴿ أنْ يَفْتِنَهُم ﴾ يعذبهم ﴿ وإنَّ فِرعَوْنَ لعالٍ ﴾ مستكبر ﴿ في الأرضِ ﴾ أرض مصر ﴿ وإنّه لَمِنَ المُسْرِفينَ ﴾ المتجاوزين الحد بالظلم والفساد ، وادعاء الربوبية .

[٨٤] ﴿ وقالَ مُوسَى ﴾ تطميناً لِقُلُوبهم ، وإزالة للخوف عنهم ﴿ يا قَوْمِ إنْ كُنْتُمْ آمنتم باللَّهِ فَعَلَيْهِ توكّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ مخلصينَ له سبحانه . قال القاشاني : جعل التوكل من لوازم الإسلام ، وهو إسلام الوجه لله تعالى ، أي إن كمل إيمانكم ويقينكم ، بحيث أثر في نفوسكم وجعلها خالصة لله ، لزم التوكل عليه . وإن أريد الإسلام بمعنى الإنقياد ، أي إن صح إيمانكم يقيناً فعليه توكلوا بشرط أن تكونوا منقادي الإرادة له .

[٨٥] ﴿ فقالُوا : على اللَّهِ تَوَكَّلنا ، ربَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً للقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا .

[٨٦] ﴿ ونجّنا برَحْمَتِكَ مِنَ القَوْمِ الكافِرِينَ ﴾ ونجنا من كيدهم .

[٨٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً ﴾ اتخذوا بها بيوتاً ﴿ واجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قِبْلَةً ﴾ مُصَلًّى ، مكاناً للصلاة ﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاة ﴾ فيها ﴿ وبشِّرِ المُؤْمِنينَ ﴾ بالنصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة . [اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ فقال ابن عباس رضي الله عنهما : أمروا أن يتخذوها مساجد . وقال الثوري عن إبراهيم : كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم ، وأمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ، وفي الحديث : (كان رسول الله ﷺ إذا حزّ به أمر صلى) أخرجه أبو داود . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال : قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة ـ ابن كثير] . [٨٨] ﴿ وقالَ مُوسَى : رَبَّنَا إنَّكَ آتيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً ﴾ من اللباس والمراكب والحليّ ﴿ وأموالاً في الحياة الدُّنيا ، ربَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ على أمْوالِهِم ﴾ أهلكها ، لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك ﴿ واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ اجعلها قاسية ، واطبع عليها ، حتى لا تنشرح للإيمان ﴿ فلا يُؤْمِنُوا حتّى يَرَوُا العذابَ الأليمَ ﴾ يعاينوه ويوقنوا به . قال ابن كثير : هذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام ، غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنه لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء .

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٢

[٨٩] ﴿ قال ﴾ تعالى ﴿ قد أُجيبَتْ دَعْوَتُكُما ﴾ الخطاب لموسى وهارون ﴿ فاستقيما ولا تتَّبِعَانِّ ﴾ في الاستعجال ، أو عدم الوثوق بوعده تعالى. قال ابن عباس : فاستقيما فامضيا لأمري وهي الاستقامة . قال ابن جريج : يقولون إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة . وقيل : أربعين يوماً ﴿ سبيلَ الذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : طريق فرعون وقومه وكل مشرك بالله مستعجل للعقوبة وجاحد بوعده تعالى .

[٩٠] ﴿ وَجَاوَزنَا بِبَني إسْرائِيلَ البَحْرَ ﴾ فرقناه لهم حتى ظهرت اليابسة ليتجاوزوه ويسلكوه هرباً من فرعون وقومه ﴿ فأَتْبَعَهُمْ ﴾ فلحقهم ﴿ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ لأجل البغي عليهم والاعتداء ﴿ حتى إذَا أدْرَكَهُ الغَرَقُ ﴾ حيث أعاد الله البحر على هيأته ﴿ قالَ ﴾ فرعونُ يرجو النجاة من الغرق ﴿ آمَنْتُ أنَّه لاَ إلَه إلاّ الذي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيلَ ، وأنَا مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : (لمّا قال فرعون آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال لي جبريل : لو رأيتني وقد أخذت من حال البحر ـ طينه الأسود ـ فدسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة) رواه أحمد .

[٩١] ﴿ الآنَ ﴾ تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق ﴿ وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ كفرت بالله من قبل الغرق ﴿ وكُنْتَ مِنَ المُفْسدينَ ﴾ بالضلال والإضلال ، والظلم .

[٩٢] ﴿ فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ نخرجك من البحر بجسدك الذي لا روح فيه ، فرآه بنو إسرائيل ملقى على شاطىء البحر ميتاً [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر عليهم ـ يعني على فرعون وقومه ـ فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ، ولا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه فأخرجه ، فنبذه حتى استيقنوا بهلاكه] ﴿ لِتكونَ لمنْ خَلْفَكَ ﴾ من الأمم الكافرة ﴿ آيَةً ﴾ عبرة من الطغيان والتمرد على أوامره تعالى ﴿ وإنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ عنْ آيَاتنَا لَغَافِلُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

[٩٣] ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأنَا بني إسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ أنزلناهم منزل تكريم في مصر والشام ﴿ ورزقناهُم منَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ وهي المنّ والسلوى في التيه وبعده ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ العِلْمُ ﴾ فما تفرقوا على مذاهب شتى في أمر دينهم إلا من بعد ما جاءهم ما بين أيديهم من الوحي الذي يتلونه ﴿ إنَّ رَبَّكَ يقضي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فيمَا كَانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يميّز المحق من المبطل .

[٩٤] ﴿ فإنْ كُنْتَ في شكٍّ مِمَّا أنْزَلْنَا إلَيْكَ ﴾ من قصص موسى وفرعون وبني إسرائيل ﴿ فاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرأُونَ الكِتَابَ ﴾ أي : التوراة ﴿ مِنْ قَبْلِكَ لقد جاءَكَ الحَقُّ منْ ربِّكَ ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿ فلا تكُونَنَّ منَ المُمْتَرينَ ﴾ الشاكّين في أنه منزل من عنده سبحانه ، وقد روي أنه ﷺ قال حين نزول الآية : (لا أشك ولا أسأل) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير. وقيل : الخطاب له ﷺ والمراد غيره . [٩٥] ﴿ ولا تَكُونَنَّ منَ الَّذين كَذَّبوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ منَ الخَاسِرينَ ﴾ المقصود بهذا الخطاب التهييج والإلهاب . [٩٦] ﴿ إنَّ الذينَ حقَّتْ عَلَيْهِمْ كلمةُ ربِّكَ ﴾ أي : وجب أمره بعذابهم ﴿ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ . [٩٧] ﴿ وَلَوْ جاءَتْهُم كُلُّ آيةٍ حتَّى يَرَوُا العذابَ الأَلِيمَ ﴾ وعند رؤية العذاب ـ بدء الانتقام ـ لا ينفعهم إيمانهم .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

[٩٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاَّ ﴿ كانتْ قَرْيَةٌ ﴾ من القرى المُهلكة بالعذاب ﴿ آمنتْ ﴾ قبل نزول العذاب بها ولم تؤخر إيمانها إلى حين معاينته ، كما فعل فرعون ﴿ فنفعَهَا إيمانُها ﴾ بأن قبل الله منهـا إيمانها ﴿ إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لمَّا آمَنُوا ﴾ أي : صدَّقوا إنذار يونس لهم فآمنوا وتابوا واستغفروا وأظهروا الندم بعد رحيله عنهم قبل بدء عذابهم ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عذابَ الخِزْيِ في الحياةِ الدُّنْيَا ومتَّعْنَاهُمْ إلى حين ﴾ أي : إلى انقضاء آجالهم . [والغرض، قال ابن كثير: إنه لم توجد قرية آمنت بكاملها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس وهم أهل نينوى ، وما كان إيمانهم إلا تخوّفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم . وروى ابن جرير عن قتادة قوله : لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتُركت إلاّ قوم يونس ، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ، ولبسوا المسوح ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجّوا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة على ما مضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم] .

[٩٩] ﴿ولو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرضِ كُلُّهُمْ جميعاً﴾ لكان الناس جميعهم مؤمنين ، لا يختلفون ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ ﴾ على ما لم يشأ الله منهم ﴿ حتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي : ليس لك ذلك ولا عليك وفي ذلك ترويح لقلبه مما كان يحرص عليه من إيمانهم .

[١٠٠] ﴿ ومَا كانَ لنفسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلاَّ بإذْنِ اللَّهِ ﴾ إلا بإرادته وتوفيقه ﴿ ويَجْعَلُ الرِّجْسَ ﴾ الخذلان ﴿ على الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ لا يفقهون الحجج والبراهين .

[١٠١] ﴿ قُلِ انْظُرُوا ﴾ تفكروا ﴿ ماذَا في السَّمٰوات والأرضِ ﴾ من الآيات الدالة على توحيده وكمال قدرته ﴿ وَمَا تُغْني الآيَاتُ ﴾ وما تنفع الآيات ﴿ والنُّذُرُ ﴾ أي : الرسل المُنْذِرونَ ﴿ عن قوم لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ فَهَلْ ينتظرون إلاَّ مِثْلَ أيامِ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلهم ﴾ ما وقع للأمم الكافرة السابقة ﴿ قُلْ ﴾ تهديداً لهم ﴿ فانْتَظِرُوا ﴾ لتروا عاقبتكم ﴿ إنِّي معكم من المُنْتَظِرِينَ ﴾ .

[١٠٣] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا والَّذينَ آمَنُوا ﴾ أي : نهلك الأمم الكافرة ، ثم ننجي رسلنا إليهم ومن آمن بهم منهم ﴿ كذلك ، حقّاً علينا نُنْجِ المُؤْمنينَ ﴾ من كل شدة وعذاب .

[١٠٤] ﴿ قُلْ : يا أيها النَّاسُ إنْ كنتُمْ في شكٍّ من ديني فلا أعبدُ الذين تعبدونَ من دونِ اللَّهِ ، ولكنْ أعبدُ اللَّهَ الذي يتوفّاكُمْ ﴾ يميتكم ﴿ وأُمرتُ أَن أكونَ من المُؤْمنين ﴾ الموحدين .

[١٠٥] ﴿ وأنْ أَقِمْ وجْهَكَ للدِّينِ ﴾ كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادته تعالى ﴿ حنيفاً ﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة ﴿ ولا تكونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ . [١٠٦] ﴿ ولا تَدْعُ ﴾ لا تعبد ﴿ من دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكَ ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ ولا يَضُرُّكَ ﴾ إن لم تعبده ﴿ فإنْ فَعَلْتَ ﴾ أي : عبدته ﴿ فإنَّكَ إذاً من الظَّالمينَ ﴾ الذين يضرُّون أنفسهم ، ويضعون الأمر في غير موضعه .

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ — ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

[١٠٧] ﴿ **وإنْ يمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فلا كاشِفَ لـه إلاَّ هُـوَ وإن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فـلا رادَّ لِفَضْلِـهِ** ﴾ لما نهى الله عـن عبـادة الأوثـان بَيَّـنَ سبحانـه أنـه إن أصـاب بضرٍّ لا يكشفه غيره وإن أراد بخير فـلا يستطيع أحـد أن يمنعه ﴿ **يُصيبُ به مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وهو الغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ فهو وحده جدير بـالعبادة لا سواه من الشركاء الذين لا يملكون نفعاً ولا ضرّاً .

[١٠٨] ﴿ **قُلْ** ﴾ للكافرين بعد إقامة الحجّة عليهم ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ قدْ جاءَكُمُ الحقُّ منْ ربِّكُمْ** ﴾ يعني : القرآن الكريم ﴿ **فَمَنِ اهتدى** ﴾ بـالإيمان بـه ﴿ **فإنَّما يهتَدِي لِنَفْسِهِ** ﴾ ينفعهـا بـذلك ﴿ **ومَنْ ضَلَّ** ﴾ بـالكفر بـه ﴿ **فإنَّما يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾ فما ضرَّ إلا نفسه ﴿ **ومَا أنا عليكم بوكيلٍ** ﴾ بحفيظ ، مـوكول إليَّ أمـركم ، وإنما أنـا بشير ونذير .

[١٠٩] ﴿ **واتَّبعْ ما يُوحَىٰ إليكَ** ﴾ في التبليغ ، وإن لم يهتدوا به ﴿ **واصْبِرْ** ﴾ على أذاهم في الـدعـوة ﴿ **حتَّى يحكُمَ اللَّهُ** ﴾ لك بـالنصرة عليهـم والغلبـة ﴿ **وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ** ﴾ وقد حكم بهزيمة مشركي قريش يوم بدر .

[سورة هود]

مكيـة إلا ثـلاث آيـات : ١٢ و١٧ و١١٤ ، أنـزلت بالمدينة فألحقت بها ، وآياتها ١٢٣ آية . وفي الحديث : (شيبتني هود وأخواتها ، وما فُعل بالأُمم) رواه الحاكم .

[١] ﴿ **الَـر** ﴾ تقدم الكلام على الأحـرف المقطعة في أول ســورة البقـرة ، وتقـرأ : ألف ، لام ، را ﴿ **كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُـهُ** ﴾ أي : نظمت نظماً رصيناً محكماً معجزاً محفوظاً عن كل نقص وآفة ﴿ **ثمَّ فُصِّلَتْ** ﴾ فُصِّلَ فيها ما يحتاج إليه العباد ، أي : بُيِّن وخُصّص ﴿ **من لَـدُنْ حكيمٍ خَبيرٍ** ﴾ بيَّنها وشرحهـا خبيرٌ عالم بكيفيات الأمور . [روى ابن جـرير عن الحسن قولـه : أحكمت بالأمر والنهي وفصلت بـالثواب والعقاب] .

[٢] ﴿ **ألاَّ تَعْبُـدُوا إلاَّ اللَّهَ** ﴾ لا تشركوا بالله في عبادته ، وخصُّوه وحده بها ﴿ **إنَّني** ﴾ الكلام على لسان الرسول ﷺ ﴿ **لكم منه نذيرٌ وبشيرٌ** ﴾ أنذركم من عاقبة الشرك وأبشركم بثواب التوحيد وفائدته .

[٣] ﴿ **وأنِ استغفروا ربَّكم** ﴾ من الشرك ﴿ **ثُمَّ تُوبُوا إليه** ﴾ بالطاعة ﴿ **يُمتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إلى أجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة إلى وقت وفاتكم ﴿ **ويُؤتِ كُلَّ ذِي فضْلٍ فضْلَهُ** ﴾ ويعطي كل ذي فضل في العمل الصالح في الدنيا أجـره ، وثواب فضله في الآخرة ﴿ **وإنْ تَوَلَّوْا** ﴾ عن التوحيد والتوبة إليه ، والتولي : الإعراض ﴿ **فإنِّي أخافُ عليكُمْ عذابَ يوم كبيرٍ** ﴾ هو يوم القيامة .

[٤] ﴿ **إلى اللَّهِ مَرْجِعُـكُمْ** ﴾ في الآخرة ﴿ **وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ** ﴾ كالبعث بعد الموت .

[٥] ﴿ **ألاَ إنَّـهُم يثنُونَ صُدُورَهُمْ** ﴾ يَزْوَرُّونَ عن الحق واستماعـه بصدورهم ﴿ **لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، ألاَ حينَ يسْتَغْشـون ثِيابَهُمْ** ﴾ يتغطون بها ﴿ **يعْلَمُ ما يُسِرُّونَ** ﴾ في قلوبهم ﴿ **وَمايُعْلِنُونَ** ﴾ بأفواههم ﴿ **إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ بما في القلوب .

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

[٦] ﴿ وَمَا مِنْ دابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ على اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ وهو ما تحتاجه لعيشها ﴿ ويَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ مسكنها في الدنيا ، أو في الصُّلْب ﴿ ومُسْتَوْدَعَها ﴾ بعد الموت ، أو في الرحم ﴿ كُلٌّ ﴾ من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ﴿ في كتابٍ مبينٍ ﴾ مسطور في كتاب عنده تعالى ، مبين عن جميع ذلك . وفي الحديث : (إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) رواه مسلم .

[٧] ﴿ وهوَ الذي خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ في ستةِ أيام ﴾ من الأحد إلى الجمعة ﴿ وكان عرشُهُ على الماءِ ﴾ فالعرش والماء كانا مخلوقين قبل السَّمٰوات والأرض [وفي الحديث (كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر قبل كل شيء، ثم خلق سبع سموات) أخرجه ابن جرير] ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أيكُمْ أحسنُ عملاً ﴾ الابتلاء : الاختبار ، والمعنى : أن الله تعالى خلق السَّمٰوات والأرض وما فيهن ، وأنعم النعم كلها على الإنسان وكلفه بتكاليف وشرائع في الحياة الدنيا ليختبر المؤمن من الكافر ، والمطيع من العاصي ، والمخلص من المنافق ﴿ولَئِنْ قُلْتَ ﴾ لأهل مكة ﴿ إنّكم مبعوثون منْ بعدِ الموت ليقولنَّ الذين كَفَرُوا : إنْ هذا ﴾ القول بالبعث ، أو القرآن المتضمن لذكره ﴿ إلاّ سِحْرٌ مبين ﴾ أي : باطل مخادع كالسحر .

[٨] ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ العَذابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ إلى وقت محدد ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ استهزاء ﴿ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ عنا [أي : أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به؟ تكذيباً منهم به ـ ابن جرير] ﴿ ألاَ يوْمَ يأتيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عنهم وحاقَ بِهِمْ ﴾ أي : دار ونزل بهم ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يسْتَهْزِئُونَ ﴾ من العذاب الذي كانوا به يستعجلون .

[٩] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنا الإنْسَانَ منَّا رَحْمَةً ﴾ أي : نعمة ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا منْهُ ، إنَّهُ لَيَؤُوسٌ ﴾ قنوط ، قاطع الرجاء من فضل الله ، بلا صبر ولا تسليم لقضائه ﴿ كَفُورٌ ﴾ عظيم الكفران ، كأنه لم ير خيراً .

[١٠] ﴿ ولئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضرَّاءَ مسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ : ذهبَ السَّيِّئاتُ عنِّي ﴾ أي : المصائب التي ساءتني ﴿ إنَّهُ لَفَرِحٌ ﴾ أشِرٌ بَطِرٌ ﴿ فَخُورٌ ﴾ على الناس بما أذاقه الله من نعمائه ، يشغله الفرح والفخر عن الشكر .

[١١] ﴿ إلاّ الذينَ صَبَرُوا ﴾ على الضَّرَّاء ، إيماناً بالله ، واستسلاماً لقضائه ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ في الرخاء والشدة ﴿ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ كبيرٌ ﴾ على الصبر والأعمال الصالحة .

[١٢] ﴿ فلعلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ ما يُوحَى إليكَ ﴾ من القرآن ﴿ وضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ بتلاوته عليهم ﴿ أنْ يقولوا ﴾ مخافة أن يقولوا تمادياً في العناد ﴿ لوْلاَ أُنْزِلَ عليهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ أي : هلاَّ أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز للإنفاق على أتباعه ، أو جاء معه مَلَكٌ يصدق رسالته ﴿ إنَّما أنتَ نذيرٌ ﴾ يقول تعالى : ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك ، ولا تبالِ بما صدر من المشركين من اقتراحات ﴿ واللَّهُ عَلَى كلِّ شيءٍ وكيلٌ ﴾ يحفظ ما يقولون ويجازيهم عليه ، فبلِّغ وحيه ولا تلتفت إليهم .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

[١٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ : افْتَرَاهُ ﴾ أم يقولون إن القرآن من عندك وليس من عند الله ﴿ قُلْ ﴾ لهم متحدياً ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وادْعُوا ﴾ أي : واستعينوا بـ ﴿ مَنِ استطعتُمْ ﴾ من الإنس والجن ﴿ من دونِ اللّهِ ﴾ متجاوزينه تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في دعواكم أن القرآن من افتراء النبي ﷺ .

[١٤] ﴿ فإِنْ لم يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ [قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سورٍ مثل هذا القرآن مفترياتٍ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك] ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ ﴾ أي : القرآن الكريم ﴿ بِعِلْمِ اللّهِ ﴾ أي : بما لا يعلمه غيره ، من الخلق ، والإخبار بالغيب ﴿ وأنْ لا إلـه إلاّ هُوَ ﴾ والشرك ظلم عظيم ﴿ فهلْ أنتمُ مُسْلِمُونَ ﴾ منقادون لتوحيد الله وتصديق رسوله ؟ [قال ابن جرير: وكان مجاهد يقول: عني بهذا القول أصحاب محمد ﷺ].

[١٥] ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ الحياةَ الدُّنْيا وزينَتَهَا ، نُوَفِّ إليهم أعْمالَهم فيهَا وهُمْ فيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴾ نوصل إليهم جزاء أعمالهم فيها من الصحة والرزق . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً ، يقول : من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة لا يعمله إلا التماس الدنيا ، أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله وهو في الآخرة من الخاسرين ـ ابن كثير] .

[١٦] ﴿ أولئك الذينَ ليسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إلاّ النّارُ وَحبطَ ﴾ في الآخرة ﴿ما صَنَعُوا فيهَا﴾ أي : في الدنيا ﴿ وباطِلٌ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لأنه لم يعمل لغرض صحيح .

[١٧] ﴿ أفمنْ كانَ على بيِّنَةٍ من ربِّه ﴾ أي : برهان نيّر، وهو القرآن [قال ابن جرير: قيل هو النبي ﷺ وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب وقال آخرون : هو جبريل، وقال آخرون: هو ملك يحفظه، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : هو جبريل . ذلك لأن النبي ﷺ لم يتل قبل القرآن كتاب موسى] ﴿ ويَتْلُوهُ ﴾ أي : يتبعه ﴿ شاهدٌ منهُ ﴾ وإعجاز القرآن نفسه يشهد له بكونه من عند الله ﴿ ومنْ قَبْلِهِ ﴾ ومن قبل القرآن ﴿ كِتابُ مُوسَى ﴾ وهو التوراة ﴿ إِمَاماً ﴾ يقتدى به في الدين ﴿ ورَحْمَةً ﴾ نعمة عظيمة على الذين أُنزل إليهم ، تهديهم وتعلمهم الشرائع ﴿ أولئكَ يُؤْمِنُونَ بهِ ﴾ يؤمنون بالقرآن ﴿ ومنْ يكفُرْ بِهِ مِنَ الأحزابِ ﴾ يعني أهل مكة وأنصارهم من المشركين المتحزبين على رسول الله ﷺ ﴿ فالنّارُ مَوْعِدُهُ ، فلاَ تَكُ في مِرْيةٍ منهُ ﴾ أي : لا تكن في شك من القرآن أو من الموعد ﴿ إنَّه الحقُّ منْ ربِّكَ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ به .

[١٨] ﴿ ومَنْ أظْلَمُ ممَّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً ﴾ كقوله : الملائكة بنات الله ، والأصنام : شُفعاءُ عند الله ﴿ أولئكَ يُعْرَضُونَ على ربِّهِمْ ﴾ أي : يُساقون إليه سوق العبيد المفترين على ملوكهم ﴿ ويقولُ الأشْهادُ ﴾ من الملائكة والنبيين والجوارح ﴿ هؤلاءِ الذينَ كَذَبُوا على ربِّهم ، ألا لَعْنَةُ اللّهِ على الظّالمينَ ﴾ الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وعلى كتابه . [١٩] ﴿ الذينَ يَصُدُّونَ عنْ سَبيلِ اللّهِ ﴾ أي : الذين يمنعون الناس عن دينه القويم ﴿ ويَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ يطلبونها معوجّة بالكفر ﴿ وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ ﴾ .

أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿ أولئكَ لَمْ يَكُونُـوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ ﴾ أي لا يستطيعون منعه من عقابهم ﴿ وَمَا كَـانَ لَـهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ يمنعونهم من عقابه ﴿ يُضَاعَفُ لَـهُمُ العـذابُ مـا كانُـوا يَسْتَطِيعُـونَ السَّمْعَ ﴾ أي: سماع الحق ، لبغضهم إياه ﴿ وَمَا كَانُوا يُبصِرُونَ ﴾ لتعاميهم عن آيات الله .[قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما قالـه ابن عباس وقتادة من أن الله تعالى ذكره وصفهم بأنهم لا يستطيعـون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ولا يبصرونـه إبصـار مهتـدٍ لاشتغالهم بالكفر الـذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جـوارحهم في طـاعـة الله وقـد كـانت لهم أسماع وأبصار] .

ربع الحزب ٢٣

[٢١] ﴿ أولئكَ الـذيـنَ خَسِروا أَنْـفُسَهُمْ ﴾ بعبـادتهم الأوثان ﴿ وضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَـرُونَ ﴾ أي : غاب عنهم الآلهة وشفاعتها ، ولم تنفعهم شيئاً .

[٢٢] ﴿ لا جَرَمَ ﴾ أي : حقاً ، أو : لا محالة ﴿ أَنَّهمْ في الآخرة هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ .

[٢٣] ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا وعمِلُـوا الصَّالِحَاتِ وأخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ ﴾ أي : خشعوا له وحده ﴿ أولئِكَ أصحَابُ الجنَّةِ هُمْ فيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

[٢٤] ﴿ مَثَلُ الفريقَيْنِ ﴾ الكفـار والمؤمنين ﴿ كالأعْمى والأصَمِّ ﴾ وهو مَثَلٌ للكـافر ﴿ والـبصِيرِ والسَّمِيـعِ ﴾ مَثَـلٌ للمـؤمنين ﴿ هلْ يَسْتَـويَـانِ مثلاً ﴾ حـالاً ﴿ أفَلاَتـذَكَّرُونَ ﴾ بتدبر هذه الأمثال .

[٢٥] ﴿ ولَـقَدْ أَرسَلْنَـا نُوحاً إلى قَوْمِـهِ ، إنِّي لكُمْ نَـذيرٌ مُبينٌ ﴾ أي : فقال : إنّي لكم نذير أبين لكم موجبات العذاب ، ووجه الخلاص منه .

[٢٦] ﴿ أنْ لاَ تَعْبُدُوا إلاّ الله ، إنِّي أخَافُ عَلَيْـكُمْ ﴾ إن عبدتم غيره ﴿ عَـذَابَ يـوْمٍ أليمٍ ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة .

[٢٧] ﴿ فقالَ المَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا منْ قَوْمِهِ ﴾ السادة والكبراء ﴿ مَا نَراكَ إلاَّ بَشَراً مِثْلَنا ﴾ فكيف أوحي إليك من دوننا ؟ ﴿ ومَا نَراكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الذينَ هُمْ أرَاذِلُنا ﴾ أي : فقراؤنا الأدنونَ منا رتبة ﴿ بادِيَ الرَّأْيِ ﴾ بمعنى أنهم آمنوا من غير رويّـة وتأمّل ، أوّلَ وهلة ﴿ وَمَا نَرى لَـكُمْ ﴾ الخطاب لنوح وأتباعه ﴿ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ ﴾ أي : تقدّم يؤهلكم للنبوة ، لأن الفضل محصور عندهم بالغنى والمال ﴿ بَلْ نَظُنُّـكُمْ كاذِبينَ ﴾ فيما تدعونه من الإصلاح . [وهذا اعتراض الكافـرين على نوح عليه السلام وأتبـاعه ، وهو دليل على جهلهم وقلـة علمهم وعقلهم ، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعـه ، سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل ، بل الحق الـذي لا شك فيه أن أتبـاع الحق هم الأشراف ولو كـانوا فقـراء ، والذين يأبـونه هم الأراذل ولـو كانـوا أغنياء . والغالب على الأشراف والكبراء مخالفة الحق ـ ابن كثير] .

[٢٨] ﴿ قالَ ﴾ نوح ﴿ يا قوم أرأيْتُمْ ﴾ أي : أخبروني ﴿ إنْ كُنْتُ على بيِّـنَـةٍ ﴾ برهان ﴿ مِنْ ربّي وآتاني رحمةً مـن عندِهِ ﴾ من العلوم اللدنيّـة ، ومقام النبوة ﴿ فَعُمِّيَتْ عليكم ﴾ لاحتجابكم بـالظاهـر عن الباطن. ﴿ أنُـلْزِمُـكُمُوها وأنتُمْ لها كـارهونَ ﴾ يعني : أنكـرهكم على قبولها والاهتـداء بها ، فالاستفهـام للإنكار ، والمقصـود ، لا نقدر على إلزامكم كُـرهاً ، وسبيلنا دعوتكم إلى الله والاختيـار لكم .[قال ابن جريـر: قال قتادة: أمـا والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه].

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

[٢٩] ﴿وَيَا قوْمِ لا أسْألُكُمْ عليهِ﴾ على تبليغ التوحيد ﴿مالاً، إن أجْرِيَ إلاّ عَلَى اللَّهِ﴾ [قال ابن جرير: أي: فإنه هو الذي يجازيني ويثيبني عليه، ولما كان قومه قالوا لـه: يا نـوح إن أحببت أن نتبعك فاطـردهم وإلاّ فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء، قال:] ﴿ومَا أنَا بطارِدِ الذيـنَ آمَنُوا، إنَّهم مُلاقوا ربِّهم﴾ فيخاصمون طاردهـم عنده ﴿ولكنِّي أراكُمْ قـوْمـاً تَجْهَلُـونَ﴾ ولا تعرفـون الله ولا لقـاءه، كما تجهلـون أن المؤمنين خير منكم.

[٣٠] ﴿وَيَـا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرني مِـنَ اللَّهِ إنْ طَرَدْتُـهُمْ﴾ وهو ناصر المظلومين سبحانه ﴿أفَلاَ تَذَكَّرونَ﴾ تتعظون فتنتهوا عما تقولون؟

[٣١] ﴿وَلا أقُولُ لَـكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ﴾ أي: رزقه وأمواله ﴿وَلا أَعْلَمُ الغَيْبَ﴾ ولا أدّعي معرفتي بما تأتي به الأيام ﴿ولا أقُـولُ إني مَلَكٌ﴾ فأنـا بشر مثلكم ﴿ولا أقُولُ للذينَ تَزْدَرِي أعيُـنُـكمْ﴾ أي: تحتقرهم، وهـم الفقراء المؤمنـون ﴿لَنْ يُؤْتِيَـهُـمُ اللَّـهُ خَيْراً﴾ في الدنيـا والآخـرة، إن الخير عندكم المال وأنـا أرى الخير ما عنـد الله سبحانه ﴿اللَّـهُ أعلمُ بِـمَا في أنفُسِهِمْ﴾ مـن الخير ﴿إنِّي إذاً﴾ إذا قلـت ذلـك ﴿لَـمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: أكـون من الظـالمين إذا ازدريتهم أو بخستهم حقهم.

[يخبرهم أنه رسـول من الله يدعو إلى عبـادة الله وحده، ولا يسألهم على ذلك أجراً، ثم هـو يـدعـو الشريف والوضيـع فمن استجاب لـه فقد نجا، ويخبرهـم أنه لا قـدرة لـه على التصرف في خـزائن الله، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل هو بشرٌ مرسل مؤيد بالمعجزات ـ ابن كثير].

[٣٢] ﴿قالوا﴾ قال قومه له ﴿يا نُوحُ قدْ جادَلْتَنَـا فَأكْثَرْتَ جِدَالَنا﴾ أطلته، ونوّعته ﴿فأْتِنا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وقولهم هذا من باب الاستهزاء لكفرهم بنبوته.

[٣٣] ﴿قال﴾ نوحُ ﴿إنَّما يأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إنْ شَاءَ﴾ إنما يتولى عذابكم اللَّهُ الذي كفرتم به ﴿وَمَا أنْتُمْ بمعجزينَ﴾ بالهرب منه أو بدفعه عنكم.

[٣٤] ﴿وَلا ينفعكم نُصْحِي إنْ أرَدْتُ أنْ أنْصحَ لَـكُمْ إنْ كانَ اللَّهُ يُريدُ أنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أن يدمِّركم بسبب كفركم ﴿هُوَ ربُّكُم﴾ مالك أمركم ﴿وإليهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم. [٣٥] ﴿أمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قوم نـوح ﴿افْـتَرَاهُ﴾ أي افترى النصح، وربما انصرف المعنى إلى قـوم النبي ﷺ انهم يعنون افتراءه ﷺ لنبأ نوح ﴿قُلْ: إنِ افْتَرَيْتُـهُ فعلـيَّ إجرامي﴾ أي: إثم ذنبي ﴿وأنَا بَرِيءٌ مِمّا تُـجْرِمُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَأُوحِيَ إلى نُوحٍ﴾ بعدما بذل الوسع في النصح ﴿أنَّهُ لنْ يُؤمِنَ مِنْ قومِـكَ إلاَّ من قَدْ آمَنَ فلا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من التكذيب والإيذاء فقد انتهى أمرهم، وحان وقت الانتقام منهم. [قال ابن جرير: وأوحى الله ذلك إليه بعدما دعا عليهم نوح بالهلاك فقال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً﴾ ـ سورة نوح: الآية رقم ٢٦].

[٣٧] ﴿واصْنَـعِ الفُلْكَ﴾ الفلك: السفينة، للتخلص من عذابهم ﴿بِأعْيُـنِنا﴾ بحفظنـا ﴿وَوَحْينا﴾ إليك وإلهامكَ وتعليمك كيف تصنعهـا ﴿وَلا تُـخاطِبْنِي في الذينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تشفعْ للكافريـن ﴿إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ محكوم عليهم بالطوفان.

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

نصف الحزب ٢٣

[٣٨] ﴿ وَيَصْنَعُ ﴾ نوح ﴿ الْفُلْكَ ﴾ كما ألهمه الله ﴿ وكُلَّمَا مَرَّ عليهِ ملأ من قومهِ ﴾ والملأ هم أشراف الناس وكبراؤهم ﴿ سَخِرُوا منه ﴾ هزؤا به فـ ﴿ قَالَ : إنْ تسْخَرُوا مِنَّا ﴾ في صنع السفينة ﴿ فَإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ﴾ لجهلكم ﴿ كما تَسْخَرُونَ ﴾ أنتم منا ، يستهزىء بهم .

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأتيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ في الدنيا فيجعله محلاً للسخرية ﴿وَيَحِلُّ عليهِ عَذَابٌ مُقيمٌ﴾ في الآخرة، يدوم الخزي معه .

[٤٠] ﴿ حتَّى إذَا جاءَ أمرُنَا ﴾ بإهلاك قوم نوح ﴿ وفارَ التَّنُّورُ﴾ والتنور : وجه الأرض ، أو عين ماء معروفة ، أو الكانون ، أو تنوير الفجر ، على اختلاف أقوال العلماء ، وهو كناية عن اشتداد الأمر كما يقال : حمي الوطيس [قال ابن جرير: وقد جعل التنور آية بينه وبينه] ﴿ قُلْنَا : احْمِلْ فيها ﴾ أي : في السفينة ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ﴾ أي : صنفين من البهائم ، والطيور ، وما يدب على وجه الأرض ﴿ اثْنَيْنِ ﴾ ذكراً وأنثى ﴿ وأهْلَكَ ﴾ وهم من يتصل بك في دينك وسيرتك من أقاربك ﴿ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عليهِ ﴾ أي : وجب عليه ﴿ القَوْلُ ﴾ بالإغراق بسبب ظلمه ﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ احمله معك فيها ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قليلٌ ﴾ عدد ضئيل .

[٤١] ﴿ وقَالَ ﴾ نوحُ عليه السلام لمن معه من المؤمنين ﴿ اركبُوا فِيهَا ﴾ في السفينة ﴿ بسمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا ومُرْسَاهَا ﴾ اذكروا الله عند مجراها وعند رسوّها ، أو المعنى : إنها تجري وترسو بأمر الله وحفظه ﴿ إنَّ ربِّي لغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل قومكم .

[٤٢] ﴿ وهيَ تَجْري بِهِمْ في مَوْجٍ كالْجِبَالِ ، ونَادَى نوحٌ ابْنَهُ ، وكانَ في مَعْزِلٍ ﴾ في متنحى عن أبيه والمؤمنين ﴿ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ أي : ادخل في ديننا ، واصحبنا في السفينة ﴿ وَلا تَكُنْ مَعَ الكَافِرِينَ ﴾ في الدين والانعزال ، الهالكين .

[٤٣] ﴿ قَالَ ﴾ ابن نوح ﴿ سَآوي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ ﴾ فلا أغرق ﴿ قَالَ ﴾ نوح له ﴿ لا عاصِمَ اليومَ مِنْ أمْرِ اللَّهِ ، إلاَّ مَنْ رَحِمَ ﴾ فالطوفان سيصيب الخلق إلا من رحم الله تعالى ﴿ وحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ ﴾ صار الموج حائلاً بين نوح وابنه ﴿ فكانَ ﴾ ابنه مع كونه فوق الجبل ﴿ مِنَ المُغْرَقِينَ ﴾ الهالكين بالغرق .

[٤٤] ﴿ وقيلَ ﴾ والآمر هو الله تعالى ﴿ يا أرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ويَا سَمَاءُ أقْلِعِي ﴾ توقفي عن المطر ﴿ وغيضَ المَاءُ ﴾ نضب ﴿ وقُضِيَ الأمرُ ﴾ نجا من نجا ، وهلك من هلك . [قال محمد بن إسحاق : لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض فسكن الماء ، وانسدت ينابيع الأرض وأبواب السماء ـ ابن كثير] ﴿ واسْتَوَتْ على الجوديِّ ﴾ استقرت السفينة على جبل اسمه : الجودي ﴿ وقيلَ : بُعداً ﴾ وهو دعاء سوء كالهلاك والموت ﴿ للقوْمِ الظَّالمينَ ﴾ الكافرين .

[٤٥] ﴿ وَنَادَى نوحٌ ربَّه ، فَقَالَ : ربِّ إنَّ ابني مِنْ أَهْلِي ﴾ حمله على ذلك عاطفة الأبوّة ﴿ وإنَّ وَعْدَكَ الحقُّ ﴾ ظناً من نوح أن وعد الله بإنقاذ أهله يشمل ولده ﴿ وأنْتَ أحْكَمُ الحَاكِمِينَ ﴾ الذي لا يخلف وعده .

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿ قالَ ﴾ الله تعالى ﴿ يا نُوحُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الموعود إنجاؤهم ، ولا علاقة بين المؤمن والكافر ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فابن نوح لم يكن من الصالحين ليدخل في أهل نوح الذين هم أهل دينه وشريعته ، ومن لا صلاح له لا نجاة له ﴿ فلا تَسْأَلْنِ مَا ليسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ لا تعلم أصواب هو أم غير صواب ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تكُونَ منَ الجَاهلينَ ﴾ أي : أنهاك أن تكون منهم بسؤالك إياي ما لم تعلم .

[٤٧] ﴿ قَالَ : ﴾ نوح ﴿ ربِّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ أنْ أسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لي بِهِ عِلْمٌ ، وإلاَّ تَغْفِرْ لي ﴾ ما فرط مني ﴿ وترْحَمْني ﴾ بالوقوف على ما تحب وترضى ﴿ أكُنْ مِنَ الخَاسِرينَ ﴾ الذين خسروا أنفسهم ، بالاحتجاب عن علمك وحكمتك .

[٤٨] ﴿ قيل : يا نوحُ اهْبِطْ ﴾ جاء أمر الله بنزوله ومن معه من السفينة ﴿ بِسَلامٍ مِنَّا ﴾ أي : سلامة ، بعدما قضي الأمر ﴿ وَبَركاتٍ عليكَ وعلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾ في السفينة على دينك وطريقتك ﴿ وأُمَمٌ ﴾ ومنهم أمم ﴿ سَنُمتِّعُهُم ﴾ في الحياة الدنيا لاحتجابهم بها ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما .[روى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ، ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة] .

[٤٩] ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ ولا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ من قبل إخبارك بها ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ على تبليغ الرسالة ، وأذى قومك ، كما صبر نوح ﴿ إِنَّ العاقِبَةَ ﴾ في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالنعيم الأبديّ ﴿ للمُتَّقِينَ ﴾ عن الشرك والمعاصي .

[٥٠] ﴿ وَإِلى عَادٍ ﴾ أي : وأرسلنا إلى عاد ﴿ أَخَاهُمْ ﴾ بمعنى : واحداً منهم ﴿ هُوداً ﴾ عليه السلام ﴿ قَالَ : يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غيرُهُ إِنْ أَنْتُـمْ إِلاَّ مُفْتَرونَ ﴾ باتخاذ الأوثان شركاء لله ، وجعلها شفعاء عنده .

[٥١] ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عليهِ أجْراً ، إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ على الَّذِي فَطَرَني ﴾ فهو كذلك نبي ورسول ، لا يبتغي سوى وجه الله في دعوته ولا يسعى لتحقيق أي نفع مادي شخصي له ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ أفلا تتفكرون ، أو تتدبرون الصواب من الخطأ .

[٥٢] ﴿ وَيَا قَومِ اسْتَغْفِرُوا ربَّكُمْ ﴾ من شرككم به ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إليـهِ ﴾ من عبادة غيره ﴿ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ﴾ كثير الأمطار ﴿ ويَزِدْكُمْ قوَّةً إِلى قوَّتِكُمْ ﴾ أي : شِدَّة إلى شِدَّتكم ، بالقوة البدنية ، أو بالمال والبنين [روى ابن جرير عن ابن زيد قال : إنه كان قد انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحيى الله بلادكم ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوة] ﴿ وَلاَ تَـتَوَلَّوْا ﴾ ولا تُعرضوا عما أدعوكم إليه ﴿ مُجْرِمِينَ ﴾ مصرّين على إجرامكم وآثامكم .

[٥٣] ﴿ قالوا : ياهُودُ ما جئتنا ببيِّـنَـةٍ ﴾ نفوْا أن يكون قد أتاهم بحجة تدل على صحة دعواه ، وذلك من قصور فهمهم وعمي بصيرتهم ﴿ وَمَا نَحْنُ بتارِكي آلِهَتِنا ﴾ ولن نترك عبادة الأصنام ﴿ عنْ قَوْلِكَ ﴾ نزولاً عن قولك ﴿ وما نَحْنُ لك بمؤمنينَ ﴾ بمصدِّقين .

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

[٥٤] ﴿ إِنْ نقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ ﴾ أي مسّك ﴿ بَعْضُ آلِهَتِنا بسوءٍ ﴾ بجنون ﴿ قَالَ : إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ ﴾ عليَّ ﴿ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ يبرأ هود عليه السلام من شركهم بغير الله .

[٥٥] ﴿ مِنْ دونِهِ ﴾ من دون الله ﴿ فَكِيدُونِي جميعاً ﴾ أي : احتالوا في إهلاكي أنتم وآلهتكم المزعومة ﴿ ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ ﴾ ولا تمهلوني إن كنتم تستطيعون الكَيْدَ لي وإهلاكي ـ قال ذلك متحدياً ـ .

[٥٦] ﴿ إِنِّي توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وربِّكُمْ ﴾ وهو يحفظني من شركم ﴿ مَا مِنْ دابَّةٍ إِلاَّ هو آخذٌ بناصِيَتِهَا ﴾ أي : مالك لها ، قادر عليها ﴿ إِنَّ رَبِّي على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ على طريق الحق والعدل في ملكه ، فلا يسلطكم عليّ .

[٥٧] ﴿ فإنْ تَوَلَّوْا ﴾ فإن تتولوا ، والخطاب لقوم هود ﴿ فقدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ فقامت الحجة عليكم ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ ربِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ فيهلككم ، ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿ ولا تَضُرُّونَهُ شيئاً ﴾ بل تَضُرُّونَ أنفسكم ﴿ إِنَّ ربِّي على كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ رقيب عليه ، مهيمن ، لا تخفى عليه خافية .

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

[٥٨] ﴿ ولمَّا جاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي : عذابنا ، أو أمرنا بالعذاب ﴿ نَجَّيْنَا هُوداً والذينَ آمنوا معه برحمةٍ مِنَّا ونَجَّيْنَاهُم مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ إذ نجّاهُمُ الله تعالى مما ابتلى به قومهم من الريح المهلكة التي سخَّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّام فأهلكتهم عن آخرهم .

[٥٩] ﴿ وتلْكَ عَادٌ ﴾ قبيلة عاد ﴿ جَحَدُوا بآياتِ ربِّهِمْ ﴾ كفروا بالله ، وأنكروا آياته الدالة على وحدانيته ، في الأنفس والآفاق ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾ جمع (الرسُل) مع أنه سبحانه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام ، إظهاراً لكفرهم وعنادهم ، وأن تكذيبهم وعصيانهم له ، تكذيب وعصيان لجميع الرسل السابقين ، لأن دعوتهم واحدة ﴿ واتَّبَعُوا ﴾ أطاعوا في الشِّرك ﴿ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ ﴾ المقصود : رؤساءهم وكبراءهم ، ودعاتهم إلى تكذيب الرسل .

[٦٠] ﴿ وَأُتْبِعُوا في هذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ويَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ أي : لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴿ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾ بعبادتهم غيره ﴿ أَلا بُعْداً لعادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ دعاء عليهم بالهلاك واللعنة .

[٦١] ﴿ وإلى ثَمُودَ ﴾ وأرسلنا إلى القبيلة العربية ثمود ﴿ أَخَاهُمْ صَالِحاً ﴾ واحداً منهم وهو : صالح ، عليه السلام ﴿ قالَ : يا قَوْمِ اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ ﴾ أي : كوّنكم منها ﴿ واسْتَعْمَرَكُمْ فيها ﴾ جعلكم قادرين على عمارتها ﴿ فاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ من الشِّرْكِ ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إليهِ ﴾ بالتوحيد ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ قريب الرحمة لمن استغفره ، مجيب دعاءه .

[٦٢] ﴿ قَالُوا : يَا صَالِحُ قَدْ كنتَ فينا مَرْجُوّاً قبلَ هذا ﴾ أي : كانت تلوح فيك مخايل الخير ، فكنا نرجوك لننتفع بك ، فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك ، وعلمنا أن لا خير فيك ﴿ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ ما يعبُدُ آباؤُنا ﴾ من الأوثان ﴿ وإِنَّنا لفي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إليه ﴾ من التوحيد ﴿ مُرِيبٍ ﴾ الريبة : قلق النفس ، وانتفاء الطمأنينة .

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

[٦٣] ﴿ **قالَ** ﴾ صالحُ عليه السلام ﴿ **يا قوْمِ أرأيْتُمْ** ﴾ أي : أخبروني ﴿ **إنْ كُنتُ عَلَى بيِّنَةٍ** ﴾ حجة ظاهرة ، وبرهان ، وبصيرة ﴿ **مِنْ ربِّي وآتاني منْهُ رَحْمَةً** ﴾ أي : هداية ونبوة ﴿ **فَمَنْ يَنْصُرُني مِنَ اللَّهِ** ﴾ أي : ينجيني من عذابه ﴿ **إنْ عَصَيْتُهُ** ﴾ بمجاراتكم في أهوائكم ﴿ **فَمَا تَزيدُونَني** ﴾ إنِ اتبعتُكم في ضلالكم ﴿ **غَيْرَ تَخْسِيرٍ** ﴾ أن تجعلوني خاسراً بتعريضي لسخط الله . [وقال ابن جرير عن مجاهد : ما تزدادون أنتم إلاَّ خساراً] .

[٦٤] ﴿ **ويَا قَوْمِ هذهِ ناقَةُ اللَّهِ** ﴾ وقد أضافها إليه سبحانه ليبيِّن أنها تختلف عما سواها من الأنعام بخَلقها وخُلُقِها ﴿ **لكُمْ آيَةً** ﴾ معجزة دالة على صدق نبوّتي ﴿ **فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أرضِ اللَّهِ ولا تَمَسُّوها بسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عذابٌ قريبٌ** ﴾ من فرط غضب الله عليكم ، لاجترائكم على آياته المنسوبة إليه .

[٦٥] ﴿ **فَعَقَرُوهَا** ﴾ فقتلوها ﴿ **فقالَ** ﴾ صالحُ عليه السلام ﴿ **تَمَتَّعُوا في دارِكُمْ ثلاثةَ أيّام** ﴾ أمهلهم هذه المدة [وروى ابن جرير عن قتادة قوله : هي بقية آجالهم] ﴿ **ذلك وعْدٌ غيرُ مَكْذُوبٍ** ﴾ غير مردود .

[٦٦] ﴿ **فلمَّا جاءَ أمْرُنَا** ﴾ أي : عذابنا ، وهو الصَّيحة التي ذهبت بهم ﴿ **نَجَّيْنَا صَالِحاً والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ برحمةٍ منَّا** ﴾ بسبب رحمة عظيمة منا ﴿ **ومِنْ خِزْيِ يومئِذٍ** ﴾ وهو هلاكهم بالصيحة ﴿ **إنَّ ربَّكَ هو القويُّ العزيزُ** ﴾ القادر على كل شيء والغالب عليه .

[٦٧] ﴿ **وأخذَ الذينَ ظلمُوا الصَّيْحَةُ** ﴾ التي جاءتهم من جهة السماء ، فرجفوا لها رجفة الهلاك ﴿ **فأصْبَحُوا في ديارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ هامدين موتى لا يتحركون . [٦٨] ﴿ **كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها** ﴾ كأنّهم لم يقيموا في مساكنهم ﴿ **ألا إنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا ربَّهُمْ** ﴾ فأهلكهم ﴿ **ألا بُعْداً لِثَمُودَ** ﴾ أي : هلاكاً ولعنة ، لبُعدهم عن صراط الله .

[٦٩] ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنا** ﴾ من الملائكة الذين أرسلناهم لإهلاك قوم لوط ﴿ **إبْراهيمَ بالبُشْرى** ﴾ بولدٍ وأحفاد ﴿ **قَالُوا: سَلاماً ، قالَ : سَلامٌ ، فما لَبِثَ أنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنيذٍ** ﴾ مشويٍّ ، أو سمين [مشوي على الرضف ، وهي الحجارة المحماة . هذا معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغير واحد ـ ابن كثير] .

[٧٠] ﴿ **فلمَّا رأى أيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إلَيْهِ** ﴾ لا يمدون أيديهم إلى الطعام ﴿ **نَكِرَهُمْ** ﴾ أي : أنكرهم ﴿ **وأوْجَسَ منهم خيفةً** ﴾ أحسَّ منهم خوفاً ، لظنه أنهم بشر أرادوا به مكروهاً ، وعادة الضيف عندهم إن أراد شراً أن لا يأكل من الطعام ﴿ **قَالُوا** ﴾ له لما رأوا منه الخوف ﴿ **لا تَخَفْ** ﴾ إنَّا لا نأكل لأنا ملائكة ، ولم ننزل بالعذاب عليكم ﴿ **إنَّا أُرْسِلْنَا إلى قوم لُوطٍ** ﴾ لإهلاكهم .

[٧١] ﴿ **وامْرَأَتُهُ قائمةٌ فَضَحِكَتْ** ﴾ سروراً بزوال الخيفة ، أو بهلاك أهل الخبائث من قوم لوط ﴿ **فبشَّرْنَاهَا بإسْحٰقَ ومِنْ وراءِ إسْحٰقَ يَعْقُوبَ** ﴾ يولد الأول ثم يخلفه الآخر . [ومن هنا استدل من استدل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد الله حق لا خلف فيه؟ـ ابن كثير] .

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

[٧٢] ﴿ **قَالَتْ** : ﴾ امرأة إبراهيم ﴿ **يا وَيْلَتا** ﴾ يا عجبي ﴿ **أألِدُ وأنا عجوزٌ** ﴾ امرأة مسنّة ﴿ **وهذَا بَعْلِي شيخاً** ﴾ وزوجي شيخ كبير ﴿ **إنَّ هذَا** ﴾ أي : التولّد من هرمين ﴿ **لشيءٌ عجيب** ﴾ غريب ، لم تجْرِ به العادة .

[٧٣] ﴿ **قَالُوا** ﴾ الملائكة ﴿ **أتعجبينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ** ﴾ أتستبعدين من شأنه وقدرته سبحانه أن يخلق الولد من شيخ وعجوز؟ ﴿ **رحمةُ اللّهِ وبركاتُهُ عليكُمْ أهْلَ البيت** ﴾ ما هذه المعجزة إلا من رحمته وبركاته عليكم يا آل إبراهيم ﴿ **إنَّه حميدٌ** ﴾ مستحق للمحامد ﴿ **مجيدٌ** ﴾ كريم واسع الإحسان .

[٧٤] ﴿ **فلمَّا ذهبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ** ﴾ فلما ذهب خوفه من الملائكة بعدما بيَّنوا له هويتهم الملائكية ﴿ **وجَاءَتْهُ البُشْرَى** ﴾ بدل الروع ﴿ **يُجَادِلُنا في قومِ لُوطٍ** ﴾ أي : يستعطفنا لدفع الهلاك عنهم .

[٧٥] ﴿ **إنَّ إبراهيمَ لَحَلِيمٌ** ﴾ غير عجول على الانتقام من المسيء ﴿ **أوَّاهٌ** ﴾ كثير التأسف ﴿ **مُنيبٌ** ﴾ راجع إلى الله في كل ما يحبه ويرضاه .

[٧٦] ﴿ **يا إبراهيمُ** ﴾ أي : قيل له : يا إبراهيم ﴿ **أعْرِضْ عنْ هذا** ﴾ الجدال ﴿ **إنَّهُ قدْ جاءَ أمرُ ربِّكَ** ﴾ وهو حكمه بهلاك قوم لوط ﴿ **وإنَّهم آتِيهِمْ عَذَابٌ غيرُ مَرْدُودٍ** ﴾ بجدال ولا بدعاء ، ولا بغيرهما .

[٧٧] ﴿ **ولمَّا جَاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً ، سِيءَ بهم** ﴾ أي : ساءه مجيئهم ، لأنهم أتوْه على صورة مُرْدٍ ، حسان الوجوه ، فخاف أن يقصدهم قومه ، لظنهم أنهم بشر ﴿ **وضَاقَ بِهِمْ ذرْعاً** ﴾ أي : ضعفت طاقته ، ولم يجد من المكروه ، الذي ظن وقوعه ، مخلصاً ﴿ **وقالَ : هذا يومٌ عَصِيبٌ** ﴾ شديد .

[٧٨] ﴿ **وجاءَهُ قومُهُ يُهْرَعُونَ إليهِ** ﴾ يُسرعون كأنما يُدفعون دفعاً ﴿ **ومِنْ قَبْلُ** ﴾ أي : قبل مجيء الملائكة ﴿ **كانوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ** ﴾ كانوا يعملون الفواحش ويكثرون منها ﴿ **قالَ** ﴾ لوط ﴿ **يا قومِ هؤلاءِ بَناتي هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ** ﴾ أراد أن يقي ضيوفه بتزويج بناته للمعتدين من بني قومه ﴿ **فاتَّقُوا اللّهَ** ﴾ أن تعصوه بما هو أشد من الزنى خبثاً ﴿ **ولا تُخْزُونِ في ضَيْفي** ﴾ ولا تُهينوني وتفضحوني في شأنهم ﴿ **أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشيدٌ** ﴾ فيرعوي عن القبيح ، ويهتدي إلى الصواب؟ . .

[٧٩] ﴿ **قالوا** ﴾ أي : قومه ﴿ **لقدْ عَلِمْتَ ما لَنا في بَناتِكَ مِنْ حقٍّ** ﴾ من حاجة ، إذ لا نريدهن ﴿ **وإنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ** ﴾ .

[٨٠] ﴿ **قَالَ** ﴾ لوط ﴿ **لَوْ أنَّ لي بكُمْ قوَّةً ، أوْ آوِي إلى رُكْنٍ شديدٍ** ﴾ أي : عشيرة كثيرة ، لأنه كان غريباً عنهم . وهذا التمني ليرد شرهم عنه وعن ضيوفه .

[٨١] ﴿ **قالُوا** ﴾ أي الملائكة ﴿ **يا لوطُ إنَّا رُسُلُ ربِّكَ لنْ يَصِلُوا إليْكَ** ﴾ لن يتمكن قومك من الإضرار بك وبنا ﴿ **فَأَسْرِ بأهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيلِ** ﴾ أخرج بأهلك آخر الليل وقت استغراق قومك في النوم ﴿ **ولا يلتفتْ منكم أحدٌ** ﴾ إلى ورائه كي لا يصيبه ما يصيبهم ﴿ **إلاَّ امْرَأَتَكَ إنَّهُ مُصيبُها ما أَصَابَهُمْ** ﴾ منَ العذاب ﴿ **إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ** ﴾ أي : موعد إهلاكهم وقت الصُّبح ﴿ **أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾ وكأنه يُجيب لوطاً لاستعجاله عذابهم أو يحثه على المسير لاقتراب الصبح .

الجزء الثاني عشر — سورة هود

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿ فلمَّا جاءَ أمْرُنا ﴾ أي : عذابنا ﴿ جعلنا عاليَها سافِلَها ﴾ فقلبت تلك المدن بسكانها ﴿ وأمْطَرْنا عَلَيْها حِجارةً منْ سجِّيلٍ ﴾ طين متحجر ﴿ منضودٍ ﴾ يُرسل بعضه في إثر بعض متتابعاً.

[٨٣] ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ معلَّمة عنده [قال ابن كثير: أي معلَّمة كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه ، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره ، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم ، فلم يبق منهم أحد . وقال مجاهد : أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم كفأهم ، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن ، ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرفاتها] ﴿ وماهيَ ﴾ تلك الحجارة ﴿ مِنَ الظَّالِمينَ ﴾ بالشرك وغيره ﴿ ببعيدٍ ﴾ فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها .

الحزب ٢٤

[٨٤] ﴿ وإلى مَدْيَنَ ﴾ أي : وأرسلنا إلى مَدْين وهي بلد بين الحجاز والشام ﴿ أَخاهُمْ شُعَيْباً ﴾ وأخاهم هنا : لأنه واحد منهم ﴿ قالَ : يا قوْمِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لكم من إلهٍ غَيْرُهُ ولا تَنْقُصُوا المكْيالَ والميزانَ ﴾ لتبخسوا الناس أشياءهم بالباطل ﴿ إني أراكُمْ بخيرٍ ﴾ بنعمة وثروة في رزقكم ومعيشتكم ﴿ وإنّي أخافُ عليكُمْ عذابَ يومٍ محيطٍ ﴾ مهلك ، لا يشذ منه أحد .

[٨٥] ﴿ ويا قوْمِ أوْفُوا المكْيالَ والميزانَ بالقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم بطريق من الطرق ﴿ ولا تَعْثَوْا في الأرْضِ مُفْسِدينَ ﴾ أي : لا تعملوا فيها بالفساد .

[٨٦] ﴿ بقيَّةُ اللَّهِ ﴾ ثوابه الباقي على وفاء الكيل والميزان ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ في دينكم ودنياكم ﴿ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فإن المؤمن يبارك له ، عندما يتحرى الحلال ويبتعد عن الحرام ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ برقيب ، إنما أنا مبلغ نذير.

[٨٧] ﴿ قالُوا: يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تأمُرُكَ أَنْ نترك ما يَعْبُدُ آباؤُنا ﴾ من الأصنام ﴿ أوْ أنْ نَفْعَلَ في أَمْوالِنا ما نَشاءُ ﴾ من نقص ونحوه ﴿ إنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ أي : الموصوف بالحلم والرشد في قومك ، أو قالوا ذلك تهكماً به .

[٨٨] ﴿ قالَ ﴾ شُعَيْبٌ ﴿ يا قومِ أرأيْتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بيِّنةٍ مِنْ ربِّي ﴾ أي : أخبروني إن كنت على برهان يقينيّ مما آتاني ربي من العلم والنبوة ﴿ ورزقني منه رزقاً حَسَناً ﴾ مالاً حلالاً مكتسباً بلا بخس وتطفيف ، أو المقصود : حكمة ونبوّة ، هل يصح لي أن أخون الوحي ﴿ وَمَا أُرِيدُ أنْ أُخالِفَكُمْ إلى مَا أنْهاكُمْ عَنْهُ ﴾ أي : وما أريدُ أن آتي ما أنهاكم عنه ، لأستبدّ به دونكم ﴿ إنْ أُريدُ إلاّ الإصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ ﴾ أي إصلاح نفوسكم بالتزكية ﴿ ومَا توفيقي إلاّ باللَّهِ ، عليهِ توكّلْتُ ﴾ اعتمدت ﴿ وإليه أُنيبُ ﴾ أرجع في السرَّاء والضرّاء . [روى الإمام أحمد أنه ﷺ قال : (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه) ـ ابن كثير] .

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

[٨٩] ﴿ ويَا قوم لا يجرمَنَّكُمْ شِقَاقي ﴾ أي: لا يكسبنكم عداوتي ﴿ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ الغرق بالطوفان ﴿ أَوْ قَوْمَ هُودٍ ﴾ الريح العاتية ﴿ أَوْ قومَ صَالحٍ ﴾ الصيحة ﴿ وَمَا قَوْمُ لوطٍ منكم ببعيدٍ ﴾ فإن منازلهم قريبة منكم، وقد علمتم ما نزل بهم من قلب الأرض، وإمطار الحجارة. [لما أحاط الناس بعثمان بن عفان رضي الله عنه أشرف عليهم من داره فقال: ﴿ يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴾ يا قوم لا تقتلوني، إنكم إن قتلتموني كنتم هكذا. وشبك بين أصابعه ـ ابن كثير].

[٩٠] ﴿ واسْتَغْفِرُوا ربَّكُمْ ﴾ من عبادة الأصنام ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إليهِ ﴾ بالتوحيد ﴿ إنَّ ربِّي رحيمٌ ﴾ للمستغفرين التائبين ﴿ وَدُودٌ ﴾ مبالغ في المحبة لهم.

[٩١] ﴿ قَالوا: يا شُعَيْبُ ما نفقهُ ﴾ ما نفهم ﴿ كثيراً ممَّا تقولُ ﴾ كالتوحيد وحرمة النجس ﴿ وإنَّا لَنَرَاكَ فينا ضَعيفاً ﴾ لا قوة لك إن أردنا بك سُوءاً. [روى ابن جرير عن سعيد بن جبير من طرق قال: كان ضرير البصر] ﴿ ولوْلاَ رَهْطُكَ ﴾ أي: قومك، وأنهم على ملّتنا ﴿ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ لقتلناك رمياً بالحجارة ﴿ ومَا أنتَ علينا بعزيزٍ ﴾ حتى نكرمك ونمنعك من الرجم.

[٩٢] ﴿ قالَ ﴾ شعيب ﴿ يَا قوم أرَهْطي أعزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ من أمره ووحيه ودينه ﴿ واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ أي: نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر ﴿ إنَّ ربِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ عالم، لا يخفى عليه عملكم، فيجازيكم به.

[٩٣] ﴿ ويَا قوم اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: غاية تمكنكم واستطاعتكم ﴿ إنِّي عامِلٌ ﴾ على مكانتي التي كنت عليها من الثبات على الإسلام والمصابرة ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [أينا الجاني على نفسه والمخطىء عليها والمصيب في فعله المحسن إلى نفسه ـ ابن جرير] ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ومَنْ هُوَ كاذِبٌ ﴾ [الذي يأتيه منا ومنكم أيها القوم عذاب يذله ويهينه، ويجزي أيضاً الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم ـ ابن جرير] ﴿ وارْتَقِبُوا إنِّي مَعَكُمْ رقيبٌ ﴾ منتظر لهلاككم.

[٩٤] ﴿ ولمَّا جاءَ أمْرُنا ﴾ بإهلاك الكافرينَ ﴿ نجَّيْنَا شُعَيْباً والذينَ آمَنُوا معهُ برحمةٍ مِنَّا، وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ بالعذاب [قيل إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم ـ ابن جرير] ﴿ فأصْبَحُوا في ديارهم جاثِمِينَ ﴾ أي: ميِّتين.

[٩٥] ﴿ كَأَن لَمْ يَغْنَوْا فيها ﴾ أي: يقيموا فيها ﴿ ألَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ شبههم بهم، لقرب منازلهم، وارتكابهم للجرائم نفسها.

[٩٦] ﴿ ولَقَدْ أرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتِنَا ﴾ بالبراهين والمعجزات [التي تدل على توحيد الله، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه، ويطول قول من أشرك معه الألوهية غيره ـ ابن جرير] ﴿ وسُلْطَانٍ مُبينٍ ﴾ وهو معجزة العصا، وكانت أبهر معجزاته عليه السلام.

[٩٧] ﴿ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ الملأ: الأشراف والكبراء، وهنا المقصود: قومه ﴿ فاتَّبَعُوا ﴾ أي: ملأ فرعون ﴿ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ بالكفر بموسى ﴿ ومَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ وإنما هو غيّ وضلال.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

ربع الحزب ٢٤

[٩٨] ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ يتقدمهم إلى النار ﴿ فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ ﴾ لأن الورد هو النصيب من الماء ، إنما يراد لتسكين الظمأ ، والنار على الضد من ذلك .

[٩٩] ﴿ وأُتْبِعُوا في هذِهِ ﴾ الدنيا ﴿ لَعْنَةً ويَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ والمقصود أنهم يُلعنون في الدنيا والآخرة ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ ﴾ بئس العطاء المعطى وهي اللعنة في الدارين .
[قال مجاهد : زيدوا لعنة يوم القيامة فتلك لعنتان .
وقال ابن عباس : لعنة الدنيا والآخرة ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ ـ ابن كثير] .

[١٠٠] ﴿ ذلكَ مِنْ أنباءِ القُرَى ﴾ أي المهلكة ﴿ نقُصُّهُ عليكَ ﴾ بالوحي ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ باق ينظر إليها ، قد باد أهلها ﴿ وحَصِيدٌ ﴾ ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود .

[١٠١] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿ ولكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بتعريضها لما أوجبه من الشرك وعبادة الأوثان والظلم ﴿ فما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ التي يدْعُونَ من دون اللّـهِ من شيءٍ ﴾ [فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعون دون الله ويدعونها أرباباً من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربهم ولا ردت عنهم شيئاً منه ـ ابن جرير] ﴿ لمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [لما جاء قضاء ربك بعذابهم فحق عليهم عقابه ونزل بهم سخطه ـ ابن جرير] ﴿ وَمَا زادُوهم غيرَ تَتْبِيبٍ ﴾ إهلاك وتخسير .

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وهيَ ظالمةٌ ، إنَّ أَخْذَهُ أليمٌ شديدٌ ﴾ وفي ذلك أشد التهديد والإنذار لكل ظالم ظلم نفسه أو ظلم غيره ، فرداً كان أم جماعة ، من سوء العاقبة .

[١٠٣] ﴿إنَّ في ذلكَ لآيَةً ﴾ لعبرة ﴿لِمَنْ خافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذلِكَ يَوْمٌ مجموعٌ لهُ النَّاسُ وذلكَ يومٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده الأولون والآخرون وأهل السماء والأرض .

[١٠٤] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ ﴾ أي : ذلك اليوم ﴿ إلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴾ لمدة محدودة .

[١٠٥] ﴿ يوْمَ يأْتِ ﴾ يوم القيامة ﴿ لاتكلَّمُ نفسٌ إلاَّ بإِذْنِـهِ ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ فَمِنْهُمْ شقيٌّ ﴾ وهم أهل النار ﴿ وسَعِيدٌ ﴾ وهم أهل الجنة .

[١٠٦] ﴿ فأمَّا الذينَ شَقُوا ففي النَّارِ لَهُمْ فيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ ﴾ الزفير : إخراج النَّفَس مع صوت ممدود ، والشهيق : ردّه ، وذلك كناية عن الغم والكرب .

[١٠٧] ﴿ خالدينَ فيهَا ﴾ أي : في النار ﴿ مَا دَامَتِ السَّمواتُ والأَرْضُ ﴾ ربما المقصود سماوات الآخرة وأرضها ، ذلك لأن النصوص دالة على تأبيد أهل النار فيها ﴿ إلاَّ مَا شَاءَ ربُّكَ ﴾ ولا رادّ لمشيئته ، والاستثناء بالمشيئة قد استعمل في أسلوب القرآن ، للدلالة على أن هذه الأمور الثابتة الدائمة إنما كانت كذلك بمشيئة الله تعالى لا بطبيعتها في نفسها ، ولو شاء تعالى أن يغيرها لفعل ﴿ إنَّ ربَّكَ فعَّالٌ لمَا يُرِيدُ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ وأمَّا الذينَ سُعِدُوا ففي الجنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمواتُ والأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ ربُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ غير مقطوع .

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

[١٠٩] ﴿ فلا تَكُ في مِرْيَةٍ ﴾ في شكٍّ ﴿ مما يَعْبُدُ هؤلاءِ ﴾ أي: المشركون، وإنهم في ضلال يؤدي إلى مثل ما حل فيمن سبقهم من المشركين وأهل الضلال ﴿ ما يَعْبُدُونَ إلَّا كما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ فهم في الشرك سواء ﴿ وإنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ قسطهم من العذاب ﴿ غيرَ مَنْقُوصٍ ﴾ .

[١١٠] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ ﴾ أي: التوراة ﴿ فاختُلِفَ فيه ﴾ آمن به قوم وكفر به آخرون، كما اختلف أهل مكة في القرآن ﴿ ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ ربِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ وهي قوله تعالى في الأنفال ﴿ وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وأنْتَ فيهم ﴾ ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ باسْتِئْصالِهِمْ ﴿ وإنَّهُمْ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ لفي شكٍّ مِنْهُ ﴾ من القرآن ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع للناس في ريبة .

[١١١] ﴿ وإنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ ﴾ وسيجزيهم عليها، وكُلًّا: تعود على الفريقين اللذين اختصما بالقرآن: المؤمنون والكافرون [قال ابن جرير: وإن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم في هذه السورة لمن ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بالشديد من العقاب] ﴿ إنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خبيرٌ ﴾ فلا يخفى عليه شيء منه .

[١١٢] ﴿ فَاسْتَقِمْ ﴾ على العمل بأمر ربك والدعوة إليه ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ في القرآن ﴿ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ من الشرك وهم المؤمنون ﴿ ولا تَطْغَوْا ﴾ ولا تتجاوزوا حدود الله ﴿ إنَّه بما تعملُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم به .

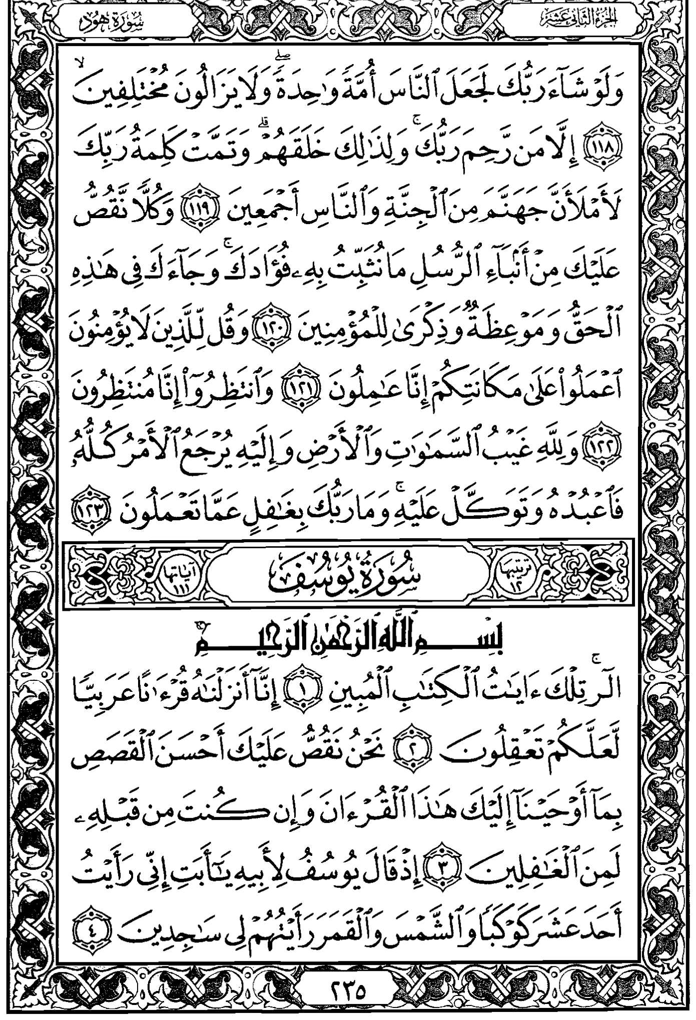
[١١٣] ﴿ ولا تَرْكَنُوا ﴾ ولا تطمئنوا ﴿ إلى الذينَ ظَلَمُوا ﴾ أنفسهم بالشرك والمعاصي ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، ومَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ﴾ من أنصار يمنعون عذابه عنكم ﴿ ثُمَّ لا تُنْصَرونَ ﴾ فلا تُمنعون مما يُراد بكم .

[١١٤] ﴿ وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ ﴾ أي: غدوة وهي الفجر، وعشية وهي الظهر والعصر ﴿ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾ وساعات منه، وهي ساعاته القريبة من آخر النهار، وصلاة الزلف: المغرب والعشاء ﴿ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ﴾ والصلوات من جملة الحسنات التي تكفِّر الخطايا ﴿ ذلكَ ﴾ أي: إقامة الصلوات في الأوقات المذكورة ﴿ ذِكْرَى للذَّاكِرِينَ ﴾ أي: تذكرة ذكرت بها قوماً يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه، ووعيده فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه فلا يجيب داعياً ولا يسمع زاجراً ـ قاله ابن جرير .

[١١٥] ﴿ واصْبِرْ ﴾ على ما يصيبُكَ في سبيل اللَّهِ من الدعوة أو العبادة أو التبليغ ﴿ فَإنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾ .

[١١٦] ﴿ فَلَوْلَا كانَ ﴾ فهلاً وجد ﴿ من القُرونِ ﴾ الأمم السابقة ﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بقيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ في الأَرْضِ ﴾ فلو كان منهم ناهون لما أُخِذ الباقون ﴿ إلَّا قليلاً مِمَّنْ أنْجَيْنا مِنْهُمْ ﴾ والاستثناء هنا منقطع، أي: لكنَّ قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد ﴿ واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فيه ﴾ ما صاروا منعّمين فيه من الشهوات ﴿ وكانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: كافرين .

[١١٧] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ ﴾ فالله تعالى ليس بظلّامٍ للعبيد، وقيل المراد: إن الله تعالى لا يهلك القرى بسبب الشرك وحده، إن كان أهلها يتعاطون العدل والإصلاح فيما بينهم، وذلك لفرط رحمته سبحانه ﴿ وأَهْلُها مُصْلِحُونَ ﴾ أي: يأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر .



[١١٨] ﴿ ولَوْ شاءَ ربُّكَ لجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً ﴾ مجتمعة على الحق والإيمان والإصلاح ﴿ ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ في الحق ، منهم المؤمن ، ومنهم الكافر .

[١١٩] ﴿ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ فهداهم إلى التوحيد ﴿ ولذلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ الضمير يعود إلى النَّاس ، أي : خلقهم سبحانه ليبتليهم في اختلافهم على الحق ﴿ وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي : أُحكمت وأُبرمت وثبتت ، وهي : ﴿ لأَمْلأَنَّ جهنَّمَ منَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ من عصاة الجن والإنس .

[١٢٠] ﴿ وكُلاًّ نَقُصُّ عليكَ منْ أنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ ﴾ ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك ، وتعلم أن العاقبة لك ، كما كانت للرسل من قبلك ﴿ وجاءَكَ في هذِهِ ﴾ السورة ﴿ الحَقُّ ﴾ أي : القصص الحق الثابت ﴿ ومَوْعِظَةٌ وذكرى للمُؤْمِنِينَ ﴾ عبرة وتذكير لهم لما ينبغي عليهم اتباعه .

[١٢١] ﴿ وقُل للذينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ بهذا الحق ، ولا يتعظون ولا يتذكرون ﴿ اعْمَلُوا على مكانَتِكُم ﴾ على حالكم من اتباع الأهواء ﴿ إنَّا عاملونَ ﴾ على حالنا من اتباع ما أنزل الله تعالى .

[١٢٢] ﴿ وانْتَظِرُوا ﴾ العواقب ﴿ إنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ ما وُعدنا به من الفتح ، والنصر .

[١٢٣] ﴿ ولِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ فلا تخفى عليه خافية مما يجري فيها ﴿ وإليهِ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّهُ ﴾ في الآخرة ، فيجازي العباد بأعمالهم ﴿ فاعْبُدْهُ وتوكَّلْ عليهِ ، وَمَا ربُّكَ بغافلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أنت وقومك ، وهو يجازي كلاًّ منكم بما يستحق .

[سورة يوسف]

سميت السورة باسمه عليه السلام لأن معظم قصته مذكورة فيها . وهي سورة مكية وآياتها ١١١ آية . وقد روى البيهقي في كتابه دلائل النبوة أن طائفة من اليهود ، حين سمعوا رسُول اللَّه ﷺ يتلو هذه السورة أسلموا ، لموافقتها ما عندهم .

[١] ﴿ الر ﴾ وقد سبق الكلام عنها في أول سورة البقرة ، وتلفظ : ألف ، لام ، را ﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتابِ ﴾ القرآن الكريم أو السورة نفسها ﴿ المُبِينِ ﴾ بمعنى : الظاهر أمْرُها وإعجازها .

[٢] ﴿ إنَّا أنزَلْناهُ ﴾ أي : الكتاب ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأكثرها تأدية للمعنى ﴿ لعلكم تَعْقِلُونَ ﴾ لكي تفهموه .

[٣] ﴿ نحنُ نقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ ﴾ أي أبدعه أسلوباً ، وأصدقه أخباراً ، وأجمعه حكماً وعبراً ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذا القُرْآنَ وإنْ كُنْتَ مِنْ قبلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ ﴾ عنه ، ولم يخطر ببالك .

[٤] ﴿ إِذْ قالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ ﴾ يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم عليهم السلام ﴿ يا أَبَتِ إنِّي رَأَيْتُ ﴾ أي : في المنام ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتُهُمْ لي ساجدينَ ﴾ .

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

نصف الحزب ٢٤

[٥] ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ ليوسف عليهما السلام ﴿ يا بُنيَّ لا تقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾ الكيد : التدبير السيء ﴿ إِنَّ الشَّيطانَ للإنسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ أي : ظاهر العداوة ، ومن عداوته إغواء إخوتك وحملهم على ما لا خير فيه . [ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدِّث به ، وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر ، وليتفل عن يساره ، وليستعذ بالله من شرها ، ولا يحدِّث بها أحداً فإنها لن تضره) . وفي الحديث الآخر : (الرؤيا على رِجل طائر ما لم تُعبَّر ، فإذا عُبِّرت وقعت) ـ ابن كثير] .

[٦] ﴿ وكذلِكَ يجتبيك ربُّكَ ﴾ يصطفيك ﴿ ويُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ أي : تعبير المنامات ﴿ ويُتِمُّ نعمتَهُ عَلَيْكَ وعلى آلِ يَعْقُوبَ كما أتمَّها على أبَوَيْكَ مِنْ قبلُ إبراهيمَ وإسحٰقَ ، إنَّ ربَّكَ عليمٌ ﴾ بمن يستحق الاجتباء والاصطفاء ﴿ حكيمٌ ﴾ في صنعه .

[٧] ﴿ لَقَدْ كان في ﴾ قصة ﴿ يوسفَ وإخْوَتِهِ آياتٌ ﴾ دلائل على قدرته تعالى ، وحكمته في كل شيءٍ ﴿ للسَّائلينَ ﴾ لمن سأل عن نبئهم .

[٨] ﴿ إذْ قالُوا ﴾ أي إخوة يوسف عليه السلام ﴿ لَيُوسُفُ وأَخُوه ﴾ بنيامين شقيقه من أبيه وأمه ـ راحيل ـ ﴿ أحبُّ إلى أبينَا منَّا ونحنُ عصبةٌ ﴾ إنَّا جماعة أقوياء ، أحق بالمحبة منهما وهما صغيران لا يعينان والدهما ﴿ إنَّ أبانا لفي ضلالٍ مُبينٍ ﴾ لتفضيله يوسفَ وأخيه علينا .

[٩] ﴿ اقْتُلُوا يوسفَ أو اطرحوه أرضاً ﴾ تآمروا فيما بينهم على قتله أو إلقائه في أرض مجهولة لا يعرفها الأب ، ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريقها ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أبيكم ﴾ كناية عن استئثارهم بمحبته بعد أن يفقد ولده المفضل يوسف ﴿ وتكونوا من بَعْدِه ﴾ أي : من بعد الفراغ من قتله أو تركه في فلاة من الأرض مضلة ﴿ قوماً صالحين ﴾ تائبين إلى اللّه .

[١٠] ﴿ قال قائلٌ منهم : لا تقتلوا يوسف وأَلْقوه في غَيَابَةِ الجُبِّ ﴾ أي : في غور البئر ـ وهو بئر ببيت المقدس ـ ﴿ يَلْتَقِطهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ أي : بعض الأقوام الذين يسيرون في تلك الجهة من الأرض [قال ابن كثير : قال محمد بن إسحٰق : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له ، وليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ، ورقة عظمه ، مع مكانه ممن أحبه طفلاً صغيراً ، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه] ﴿ إنْ كُنتم فَاعِلين ﴾ أي : عازمين مصرّين على أن تُفرِّقوا بينه وبين أبيه .

[١١] ﴿ قالوا ﴾ لأبيهم ﴿ يا أبانا ما لك لا تأمنَّا على يوسف ﴾ لِمَ تخافنا عليه ﴿ وإنَّا لهُ لَناصِحُونَ ﴾ ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه .

[١٢] ﴿ أَرْسِلْه معنا غداً يَرْتَعْ وَيَلْعَب ﴾ يأكل ويشرب ﴿ وإنَّا له لحَافِظُونَ ﴾ من كل مكروه . [قال ابن جرير : أرسله معنا غداً نلهو ونلعب وننعم وننشط في الصحراء ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه] .

[١٣] ﴿ قالَ ﴾ يعقوب لبنيه ﴿ إنِّي لَيَحْزُنُني أنْ تَذْهَبُوا به ، وأخاف أن يأكُلَهُ الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ مشغولون أو لاهون .

[١٤] ﴿ قالوا لئن أكله الذئبُ ونحنُ عصبةٌ ﴾ أي : جماعة أقوياء ﴿ إنَّا إذاً لخَاسِرُون ﴾ أي : هالكون ضَعْفاً وجُبناً .

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿ فلمّا ذَهبُوا بِـه ﴾ بعد مراجعة أبيهم في شأنـه ﴿ وأجْمَعُوا أن يجعَلُوه في غَيَابَـةِ الجُبِّ ﴾ في قعر البئر ﴿ وأَوْحَيْنَا إليْـهِ ﴾ بواسطة مَلَك ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا ﴾ وتحدِّثهم بما فعلوا بك ﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أنك يوسف . [يقال إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقبّله ودعا له ، فذكر السدي وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى لـه إلا أن غابـوا عن عين أبيه ، وتـواروا عنه ، ثم شرعوا يـؤذونه بـالقول من شتم ونحوه ، والفعل من ضرب ونحـوه ، ثم جاؤوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيـه فربطوه بحبل ودلوه فيه ، فسقط في الماء فغمره فصعد إلى صخرة تكون في وسطه فقام فوقها ـ ابن كثير] .

[١٦] ﴿ وجاؤوا أبـاهم عِشاءً يبكون ﴾ رجعوا مساء وقت الظلمة يتظاهرون بالبكاء معتمدين على الظلام في إخفاء انفعالات وجوههم .

[١٧] ﴿ قالـوا : يا أبـانا إنّـا ذَهَبْنَـا نَسْتَبِقُ ﴾ نتبارى في الركض والـرمي ﴿ وتَرَكْنَـا يُوسُـفَ عِنْدَ مَتَـاعِنَا ﴾ من الثيـاب والـزاد ليحفظـه ﴿ فَأَكَلَـهُ الـذِّئْبُ ، وَمَـا أنتَ بِمُؤْمِنٍ لَـنَا ﴾ بمصدقنا ﴿ ولو كنّا صَادِقِينَ ﴾ فكيف وأنت تتهمنا ، وغير واثق بقولنا؟ .

[١٨] ﴿ وجَاؤُوا على قَمِيصِهِ بـدم كَذِبٍ ﴾ يُقال إنهم أخذوا قميصَه وغمسوه بدم مَعزٍ ﴿ قَالَ ﴾ لهُم يَعقُوبُ ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَـكُم أنفُسُكُم أمـراً ﴾ بل زيّنتْ لكم أنفسكم أمـر إبعاد يـوسف عني والكـذب عليّ في ذلك ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ على احتمال هــذه المصيبـة ﴿ واللَّهُ المُسْتَعانُ على مَا تَصِفُونَ ﴾ من هلاك يوسف .

[١٩] ﴿ وجاءتْ سيَّارةٌ ﴾ أي : مجموعة من النّاس تسير في الأرض ﴿ فأرْسَلُوا وارِدَهُمْ ﴾ الذي يَرِدُ الماءَ ويستقي لهم ﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ أرسلها في البئر ليمـلأها ، فتعلّق بها يـوسف للخـروج ، فلمّا رآه ﴿ قَالَ : يـا بُشْرَى هَذَا غُـلَامٌ ، وأسَرّوهُ بضاعـةً ﴾ أي : أخفوه بضاعـة للتجارة ﴿ واللَّهُ عليمٌ بِما يَعْمَلُونَ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْسٍ ﴾ باعوه بثمن قليل ﴿ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ قيل : عشرين درهماً من الفضة ﴿ وكانوا فيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ الرغبة عنه .

[٢١] ﴿ وقَالَ الذي اشْتَرَاهُ من مصر لامرأتِهِ أكْرِمي مَثْواهِ ﴾ اجعلي مقامه حسناً مرضيّاً ﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أو نتّخِذَهُ ولداً ﴾ ويقال إن الذي اشتراه رئيس الشرطة عند ملك مصر [قال ابن كثير: وقال عبد الله بن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر حين قال لامرأته ﴿أكرمي مثواه﴾ والمرأة التي قالت لأبيها ﴿يا أبت استأجره﴾ الآية، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر رضي الله عنه] ﴿ وَكَذَلِكَ مكّنّا ليُوسفَ في الأرضِ ﴾ جعلنا له مكانةً رفيعةً في أرض مصر ﴿ ولنعلِّمَه من تأويلِ الأحاديثِ ﴾ تأويلِ الرؤيا ﴿ واللَّهُ غالبٌ على أمْرِه ﴾ لا يُمْنَعُ عمّا يشاء ﴿ ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمونَ ﴾ أنّ الأَمرَ كلَّه بيده سبحانه .

[٢٢] ﴿ ولمّا بلغ أَشُدَّهُ ﴾ أي : وقت اشتداد جسمه وقوّته ﴿ آتيناهُ حُكْماً ﴾ إما بمعنى : الحكمة ، أو : الحكم بين النّاس ﴿ وعِلْماً ، وَكَذَلِكَ نَجْزي المُحْسِنينَ ﴾ وعن الحسن : من أحسن عبادة ربّه في شبيبته ، آتاه اللَّهُ الحكمة في اكتهاله .

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ وَراوَدَتْهُ ﴾ طلبتْ منه أن يُواقِعَها مواقعة الرجل لامرأته ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها ﴾ وهي امرأة العزيز ﴿ عَنْ نَفْسِه ﴾ وهو رافض لذلك كاره له ﴿ وغلّقتِ الأبوابَ ﴾ زيادة في الإغراء والمطاردة ﴿ وقالت: هَيْتَ لَكَ ﴾ هيت: اسم فعل بمعنى: تعال ﴿ قَالَ: مَعَاذَ اللّهِ ﴾ استعاذ يوسف عليه السلام من الزنى الذي دعته إليه ﴿ إنّهُ ربِّي ﴾ يقصد العزيز الذي يسكن داره، وهو هنا بمعنى سيدي ﴿ أحْسَنَ مَثْوايَ ﴾ أكرمني وتعهدني برعايته ﴿ إنّه لا يُفلِحُ الظّالِمُونَ ﴾ وكلُّ عاصٍ للّه أو منكر للجميل: ظالم.

[٢٤] ﴿ ولقدْ همَّتْ بهِ ﴾ قصدت إلى ما دعته إليه بعزيمة وإصرار ﴿ وهمَّ بها لولا أن رأى بُرهانَ ربّهِ ﴾ ولولا أن رأى برهان ربه لكان هم بها كما همت به. واختلف المفسرون: ببرهان ربه، واختار القاسمي أن الهمَّ هنا، عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان: جواذب الحكمة. وبرهان ربه: حجته الدالة على قبح الزنى وسوء سبيله ﴿ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ المنكر والفجور والمكروه ﴿ والفَحْشَاءَ ﴾ وهو كل ما تناهى قبحه ﴿ إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُخْلَصِينَ ﴾ الذين عصمهم اللّه ليخلصوا له العبادة والطاعة.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

[٢٥] ﴿ واسْتَبَقَا البَابَ ﴾ قصد كلّ منهما سبق الآخر إلى الباب، فيوسف عليه السلام ليخرج، وهي لتمنعه من الخروج ﴿ وقدّتْ قميصَهُ من دُبُرٍ ﴾ اجتذبته من خلفه فانشقّ قميصُه ﴿ وألْفَيا سيِّدَهَا لدى البابِ ﴾ صَادَفَا زَوْجَها قادماً ﴿ قالت: ما جَزاء من أرادَ بأهلِكَ سُوءاً إلاّ أنْ يُسْجَنَ أوْ عَذَابٌ أَليمٌ ﴾ قالت ذلك افتراء على يوسف وتبرئة لساحتها وتحريضها له على الزنى.

[٢٦] ﴿ قالَ ﴾ يوسف عليه السلام ﴿ هي راودتني عن نَفْسِي ﴾ دعتني إلى الفاحشة فهربت منها إلى الباب ﴿ وشهد شاهدٌ مِنْ أَهْلِهَا؛ إنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ﴾ إن كانَ قميصُه انشق من أمام ﴿ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ لأن ذلك علامة على أن يوسف هو الذي أراد الاعتداء عليها واضطرت هي الدفاع عن نفسها.

[٢٧] ﴿ وإنْ كانَ قميصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾ من خلف ﴿ فكَذَبَتْ وهُوَ منَ الصّادقين ﴾ لأن ذلك علامة إدباره عنها وفراره منها.

[٢٨] ﴿ فَلَمَّا رأى قميصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾ فلما رأى العزيز قميص يوسف ممزقاً من خلف أدرك براءته فخاطب زوجه ﴿ قالَ: إنَّهُ من كَيْدِكُنَّ، إنَّ كيدَكُنَّ عظيمٌ ﴾ الكيد: الحيلة والمكر.

[٢٩] ﴿ يُوسُفُ أعْرِضْ عنْ هذا ﴾ أي: خاطبه: يا يوسف أعرض عن هذا الأمر واكتمه، ولا تحدَّث به، وقال لزوجه ﴿ واستغفري لِذَنْبِكِ ﴾ الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ﴿ إنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ ﴾ المتعمِّدين للذنب.

[٣٠] ﴿ وقالَ نِسْوَةٌ في المدينة ﴾ مدينة مصر بعدما انتشر الخبر فيها ﴿ امرأة العزيزِ تُراوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ تدعوه لمواقعتها ﴿ قدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ خرق حبه شَغَاف قلبها ـ حجابه ـ حتى وصل إلى الفؤاد ﴿ إنَّا لَنَرَاهَا في ضلالٍ مُبِينٍ ﴾ في خطأ عن طريق الرشد والصواب.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿ فلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ أي : قولهن هذا على سبيل الغيبة ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ تدعوهن للضيافة مكراً بهن ﴿ وأعْتَدَتْ ﴾ أحضرت وهيأت ﴿ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ ما يتكئن عليه من الوسائد ﴿ وآتَتْ كُلَّ واحدةٍ منهُنَّ سِكِّيناً ﴾ يستعملنها لما يأكلن من الفواكه ونحوها ﴿ وَقَالتِ ﴾ ليوسف ﴿ اخْرُجْ عليهنَّ ﴾ أي : ابرز إليهن ﴿ فلمَّا رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ ﴾ أي : أعْظَمْنَهُ ﴿ وقَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ ﴾ جرحنها [فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن، فقالت : أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا، فكيف ألام أنا؟ ـ ابن كثير] ﴿ وقُلْنَ : حَاشَ للَّه ﴾ تنزيهاً له سبحانه عن صفات النقص والعجز ، وتعجباً من قدرته على مثل هذا الخلق البديع ﴿ مَا هَذَا بَشَراً ﴾ لغرابة جماله ﴿ إنْ هذا إلاَّ مَلَكٌ كريمٌ ﴾ [فإنه عليه السلام كان قد أُعطي شطرَ الحسن ، كما ثبت في الحديث الصحيح في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مرَّ بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال : (فإذا هو أعطي شطر الحُسن) ـ ابن كثير].

[٣٢] ﴿ قالتْ : فذلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه ﴾ في الافتتان به ﴿ ولقدْ راوَدْتُهُ عنْ نفسهِ فاسْتَعْصَمَ ﴾ فامتنع ، طالباً للعصمة ﴿ ولئِنْ لمْ يفعلْ ما آمُرُهُ ليُسْجَنَنَّ ﴾ ليعاقبنَّ بالسجن والحبس ﴿ وليكوناً من الصَّاغرينَ ﴾ الأذلاء المهانين ، ويظهر أن بعض النسوة قُلن له : أطع مولاتك .

[٣٣] ﴿ قالَ ﴾ يوسف عليه السلام ﴿ ربِّ السِّجنُ أحبُّ إليَّ ممَّا يدْعُونَني إليه ﴾ وهو الزنى ﴿ وإلاَّ تَصْرِفْ عنّي كيدَهُنَّ ﴾ وهو ما يطلبنه مني ويغوينني به ﴿ أَصْبُ إليهنَّ ﴾ أي : أمِلْ إلى إجابتهن بمقتضى طبيعتي البشرية ﴿ وأكُنْ مِنَ الجاهلينَ ﴾ بسبب ارتكاب ما يدعونني إليه من الفعل القبيح .

[٣٤] ﴿ فاسْتجابَ لَهُ ربُّهُ ﴾ دعاءه ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كيْدَهُنَّ ﴾ دفع عنه مكرهن ﴿ إنَّه هُوَ السَّميعُ ﴾ لدعاء المتضرِّعين إليه ﴿ العليمُ ﴾ بما يصلحهم .

[٣٥] ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ ﴾ ظهر للعزيز وأهله ﴿ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ ﴾ الشواهد على براءته ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حينٍ ﴾ إلى مدة لتختفي الشائعات وينسى الناس . [٣٦] ﴿ ودخلَ معَهُ السِّجنَ فَتَيانِ ﴾ أحدهما رئيس سقاة فرعون مصر والآخر رئيس طبّاخيه [قال السدي : كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمه في طعامه وشرابه ـ ابن كثير] ﴿ قالَ أحدُهُمَا : إنّي أراني ﴾ أي : في المنام ﴿ أعْصِرُ خَمْراً ﴾ أي : عنباً ﴿ وقالَ الآخرُ : إنّي أراني أحْمِلُ فوق رأسي خُبزاً تأكُلُ الطَّيْرُ منْهُ ، نبِّئْنا بتأْويلهِ ﴾ أي : أخبرنا بتفسير ما رأينا ﴿ إنَّا نراكَ مِنَ المُحْسِنينَ ﴾ أي : الذين يحسنون تأويل الرؤيا ، أو من المحسنين إلى أهل السجن ، فأحسن إلينا بكشف غمتنا إن كنت قادراً على ذلك .

[٣٧] ﴿ قالَ ﴾ لهما يوسف عليه السلام ﴿ لا يأْتيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إلاَّ نبَّأْتُكُمَا بتأْويلِهِ قبْلَ أنْ يأْتِيَكُمَا ﴾ أي : يخبرهما عنه قبل وصوله ، والمراد بالطعام ما يُبعث إلى المسجونين ﴿ذلِكُمَا ممَّا علَّمَني ربِّي ﴾ بالوحي والإلهام ، لا من التكهن والتنجيم ﴿ إنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قوْمٍ لا يُؤْمِنونَ باللَّهِ وهُمْ بالآخرةِ هُمْ كافِرُونَ ﴾ المِلَّة : الدين .

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿ واتَّبعْتُ مِلَّةَ ﴾ سلكت طريق ﴿ آبائي إبراهيمَ وإسْحٰقَ ويعقوبَ ﴾ ودينهم الإسلام والإخلاص للّه تعالى ﴿ مَا كانَ لنا أنْ نُشْرِكَ باللّهِ مِنْ شيءٍ ﴾ فالشرك من أكبر الكبائر ﴿ ذلكَ مِنْ فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنا وعَلَى النَّاسِ ﴾ لما في التوحيد وترك الشرك والوثنية من فوائد في الدنيا والآخرة ﴿ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ والشكر للّه توحيده واتباع أمره ، والإيمان برسله . وهنا استغل يوسف انفتاح عقلي السجينين وتلهفهما لمعرفة تأويل رؤياهما فأراد أن يبلغهما رسالة ربِّه .

[٣٩] ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أأرْبابٌ مُتفرِّقُونَ خيرٌ ﴾ وكان المصريون وثنيين مشركين يعبدون آلهة متعددة بزعمهم ﴿ أم اللّهُ الواحدُ القهّارُ ﴾ .

[٤٠] ﴿ مَا تَعْبُدُونَ من دُونِهِ ﴾ أي : من دونِ اللّهِ ﴿ إلاَّ أسْماءً سَمَّيْتُمُوها أنتُمْ وآباؤُكُمْ ﴾ سميتم ، ما لا يستحق الإلهية ، آلهة ﴿ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطانٍ ﴾ أي : حجة تدل على صحتها ﴿ إنِ الحُكْمُ ﴾ في أمر العبادة والدين ﴿ إلاَّ للّهِ ، أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ، ذلكَ ﴾ التوحيد الدال على كمال عظمة اللّه ﴿ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ الحق المستقيم الثابت ﴿ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ لجهلهم ، ولذا كان أكثرهم مشركين .

[قال ابن كثير: وقد قال ابن جريج : إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأحب أن يشغلهما بغير ذلك لئلا يعاودوه فأعاد عليهما الموعظة ، وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما أولاً بتعبيرها ، ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه ، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال :]

[٤١] ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ، أمَّا أحَدُكُما فَيَسْقِي ربَّهُ خَمْراً ﴾ يخرج من السجن ويعود إلى عمله السابق عند فرعون يسقيه الخمر ﴿وأمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ من لحم رأسه ﴿قُضِيَ الأمْرُ الذي فيهِ تَسْتَفتِيَانِ﴾ تَمَّ ما تسألان عنه .

[٤٢] ﴿ وقالَ للذي ظنَّ ﴾ أي : علم ﴿ أنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذكُرْني عنْدَ ربِّكَ ﴾ أي : عند الملك ﴿ فأنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ يعني : تحقق تفسير يوسف للرؤيا وخرج السجين وعاد إلى العمل عندَ الملك ، ولكن الشيطان شغله حتى نسيَ ذكر يوسف عند سيّده ﴿ فلبِثَ ﴾ يوسُفُ عليه السلام ﴿ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ والبضع : ما بين الثلاث إلى التسعة [قال ابن كثير: ﴿ فأنساهُ الشيطانُ ذِكرَ ربه ﴾ عائدٌ على الناجي ، كما قاله مجاهد وغير واحد . ويقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام ، رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد أيضاً . قال وهب بن منبه : مكث أيوب في البلاء سبعاً ، ويوسف في السجن سبعاً] .

[٤٣] ﴿ وقالَ المَلِكُ ﴾ في أحد الأيام لحاشيته وأمرائه ﴿ إنِّي أرَى ﴾ أي في المنام ﴿ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمَانٍ يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ جمع : عجفاء ، وهي ضد السمينة ﴿ وسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ فابتلعت السنابل اليابسة السنابل الخضراء المختلفة ﴿ يا أيُّها المَلأُ أفْتُوني في رُؤْيَايَ إنْ كُنْتُمْ للرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ خطاب للأشراف من قومه ليؤوّلوا له هذا المنام .

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٤] ﴿ **قَالُوا** : ﴾ للملك ﴿ **أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ** ﴾ جمع : ضغث ، وهو : حديث النفس ووسوسة الشيطان ، والحلم : ما يراه النائم ﴿ **وما نَحنُ بتأويلِ الأحْلَامِ بِعَالِمِينَ** ﴾ وتأويل الأحلام : تفسيرها .

[٤٥] ﴿ **وقَالَ** ﴾ السّاقي ﴿ **الذي نَجَا مِنْهُمَا** ﴾ من صاحِبَيْ السجن ﴿ **وادَّكَرَ بعْدَ أُمَّةٍ** ﴾ أي : تذكر بعد هذه المدة من السنين ﴿ **أنا أُنَبِّئُكُمْ بتأْويلِهِ** ﴾ أخبركم به بسؤالي من يعلمه ﴿ **فأَرْسِلُونِ** ﴾ فابعثوني إلى يوسف .

[٤٦] ﴿ **يُوسُفُ أيُّها الصِّدِّيقُ** ﴾ أي : فأتاه فقال : يا يوسف ، ووصفه بالمبالغة في الصدق ﴿ **أَفْتِنا في** ﴾ أي : فسر لنا رؤيا ﴿ **سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إلى النَّاسِ** ﴾ أي : إلى الملك ومن عنده ﴿ **لعلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ أي : تفسير الرؤيا فيعملون بمقتضاه ، أو يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك .

[٤٧] ﴿ **قالَ** ﴾ يوسف ﴿ **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سنينَ دَأَباً** ﴾ دائبين مواظبين كل عام منها ﴿ **فما حَصَدْتُمْ** ﴾ من الزرع ﴿ **فَذَرُوهُ في سُنْبُلِهِ** ﴾ واتركوه في سنبله ولا تدرسوه ﴿ **إلّا قليلاً مِمّا تأْكُلُونَ** ﴾ يعني بقدر ما تأكلون في تلك السنين .

[٤٨] ﴿ **ثمَّ يَأْتي منْ بعْدِ ذلِكَ** ﴾ السبع المذكورات ﴿ **سَبْعٌ شِدَادٌ** ﴾ أي : سبع سنين صعاب على الناس ، لقوة القحط ﴿ **يأْكُلْنَ ما قدَّمْتُمْ لهُنَّ** ﴾ يأكل الناس فيها ما سبق ادّخاره ﴿ **إلّا قليلاً مِمّا تُحْصِنُونَ** ﴾ تُخبِّئُونَ للزراعة .

[٤٩] ﴿ **ثُمَّ يَأْتي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَامٌ فيهِ يُغَاثُ النَّاسُ** ﴾ يُمطَرون من الغيث أو يُغاثون من القحط ﴿ **وفيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ ما كانوا يعصرونه على عادتهم من عنب وزيتون ونحوهما .

[٥٠] ﴿ **وقالَ المَلِكُ : ائتُوني بهِ** ﴾ أخرجوا يوسف من السجن وأحضروه ﴿ **فلمّا جاءَهُ الرَّسُولُ** ﴾ يستدعيه إلى الملك ﴿ **قالَ** ﴾ يوسف له ﴿ **ارْجِعْ إلى ربِّكَ** ﴾ سيدك الملك ﴿ **فاسْأَلْهُ : مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاّتي قطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ** ﴾ وقدَّم سؤال النسوة ليُظهر براءة ساحته عما اتهم به باطلاً وسُجن بسببه ﴿ **إنَّ ربِّي** ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿ **بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ . وقد روي في المسند والصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) .

[٥١] ﴿ **قَالَ** ﴾ الملكُ ﴿ **مَا خَطْبُكُنَّ** ﴾ ما شأنكن ﴿ **إذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ يعني : هل وجدتن منه ميلا إليكنَّ ؟ ﴿ **قُلْنَ : حَاشَ للّهِ ، ما عَلِمْنَا عليهِ مِنْ سُوءٍ** ﴾ أي : قبيح ﴿ **قالَتْ امْرأَةُ العَزيزِ : الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ** ﴾ ثبت واستقر وظهر بعد خفائه ﴿ **أَنا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وإنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ في قوله : هيَ راودتني عَنْ نَفْسي .

[٥٢] ﴿ **ذلِكَ** ﴾ تقولُ امرأةُ العزيز : ذلكَ الذي اعترفت به على نفسي ﴿ **لِيَعْلَمَ أنّي لمْ أَخُنْهُ بالغَيْبِ** ﴾ ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال الغيبة ﴿ **وأنَّ اللّهَ لا يَهْدي كَيْدَ الخائِنِينَ** ﴾ لا يرضاه ولا يسدّده .

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

(الجزء ١٣ الحزب ٢٥)

[٥٣] ﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي ﴾ فإن النفس تتمنى، أو ما أبرىء نفسي من الخيانة بإيداعه السجن ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ ربِّي ، إنَّ ربيِّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

[٥٤] ﴿ وقالَ المَلِكُ ائْتُوني بهِ ﴾ أي : بيوسف ﴿ أسْتَخْلِصْهُ لنَفْسِي ﴾ أخصّه بها ، وأستأثرها به ﴿ فلمَّا كلَّمهُ ﴾ أي : فلما أتوا به وخاطبه الملك وعرفه وشاهد فضله وحكمته وبراءته ﴿ قَالَ : إنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مكينٌ ﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿ أمينٌ ﴾ مؤتمن على كل شيء .

[٥٥] ﴿ قالَ ﴾ يوسف للملك ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خزائِنِ الأَرْضِ ﴾ أي : ولّني خزائن جميع غلاّت الأرض ﴿ إنّي حفيظٌ عليمٌ ﴾ أي : أمين ، عالم بوجوه التصرف فيه .

[٥٦] ﴿ وكَذلك مكَّنَّا لِيُوسُفَ في الأَرْضِ ﴾ أي : أرض مصر ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا ﴾ ينزل من بلادها ﴿ حَيْثُ يَشَاءُ ، نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نشاءُ ولا نُضيعُ أجْرَ المُحْسِنينَ ﴾ الذين أحسنوا عملاً .

[٥٧] ﴿ ولأَجْرُ الآخرةِ خيرٌ للذينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ ﴾ أي : ثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا للمؤمنين المتقين .

[٥٨] ﴿ وجاءَ إخوَةُ يُوسُفَ ﴾ عندما حل القحط واحتاجوا إلى الطعام ﴿ فدَخلُوا عليهِ ﴾ حيث قصدوا مصر للحصول على الطعام ، إشارة إلى ما وقع من مصداق رؤيا يوسف ، وذلك أن الأرض أخصبت سبع سنين وأخرجت من بركاتها ما يعادل رمل البحر كثرة ، فجمع يوسف غلالها ، وجعل في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول ، ولما مضت هذه السبع ودخلت السنون المجدبة فعم القحط مصر والشام ونواحيها ﴿ فَعَرَفَهُمْ وهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ لم يعرفوه بعد فراقه تلك السنين الطويلة . ويظهر أن يوسف سألهم عن عددهم فأبلغوه أن لديهم شقيقاً من أبيهم لم يحضر معهم إلى مصر واسمه بنيامين .

[٥٩] ﴿ ولمَّا جهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ﴾ أي : أعطاهم طلَبَهم من الطعام تحمله ركائبهم ﴿ قَالَ : ائتُوني بأخٍ لكُمْ مِنْ أبيكُمْ ﴾ وهو أخوه بنيامين ﴿ أَلاَ تَرَوْنَ أنّي أُوفي الكَيْلَ ﴾ أي : أتمه ﴿ وأنا خَيْرُ المُنْزِلِينَ ﴾ المُضيِّفينَ .

[٦٠] ﴿ فإنْ لَمْ تأتُوني بهِ فلا كَيْلَ لكُمْ عِنْدِي ﴾ في المستقبل ﴿ ولا تَقْرَبُونِ ﴾ ولا تقربوني بدخول بلادي مرة ثانية .

[٦١] ﴿ قَالُوا : سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أباهُ ﴾ أي : سنحاول إقناع أبيه في إرساله معنا ، ونجتهد في ذلك ﴿ وإنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ذلك .

[٦٢] ﴿ وقالَ لفِتْيانِهِ ﴾ لخدامه الكيّالين ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ في رِحَالِهِمْ ﴾ يعني : المال الذي اشتروا به الطعام من فضة أو غيرها ﴿ لعلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ لكي يعرفونها ﴿ إذا انْقَلَبُوا إلى أهلِهِمْ ﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿ لعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ حسبما أمرتهم به ، فأعطاهم الطعام وردَّ ثمنه عليهم إغراء لهم بالعودة مع أخيهم بنيامين .

[٦٣] ﴿ فلمَّا رَجَعُوا إلى أبيهِمْ قَالُوا : يا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ ﴾ أي : أُنْذِرْنَا بمنعه بعد هذا إن لم نأت بأخينا ﴿ فأَرْسِلْ مَعَنَا أخانَا نَكْتَلْ ﴾ نرفع المانع من الكيل ﴿ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ من ألا يناله مكروه .

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

[٦٤] ﴿ قَالَ ﴾ يعقوب لهم ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ على أخيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ والمعنى : لا أثق بكم ، ولا بحفظكم [قال ابن كثير: أي هل أنتم صانعون به إلاّ كما صنعتم بأخيه من قبل؛ تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه؟] وإنّما أفوّض الأمر إلى الله ﴿ فاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً ﴾ منكم ومن سواكم ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

[أي هو أرحم الراحمين بي وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي، وأرجو من الله أن يرده علي ويجمع شملي به إنه أرحم الراحمين ـ ابن كثير] .

[٦٥] ﴿ ولمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إلَيْهِمْ ﴾ وجدوا دراهمهم في متاعهم ﴿ قَالُوا يا أَبانَا مَا نَبْغي ﴾ ماذا نبتغي من طلبنا ؟ أي : فلا مزيد على ما فعل ، لأنه أكرمنا ، وأحسن مثوانا ، وردّ الثمن علينا ﴿هذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلَيْنَا ﴾ كيف لا ، وهذه دراهمنا رُدَّت تفضلاً من حيث لا ندري ﴿ ونَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ نأتيهم بطعام [أي إذا أرسلت أخانا معنا] ﴿ ونَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ فلا يصيبه شيء مما تخافه ﴿ ونَزْدَادُ كَيْلَ بعيرٍ ﴾ هو حصة أخيهم ﴿ ذلك كَيْلٌ يسيرٌ ﴾ سهلٌ على هذا المحسن لسخائه .

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾ لهم أبوهم ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : أن تحلفوا بالله سبحانه ، والموثق : العهد ﴿ لتأْتُنَّني بهِ ﴾ لتردنّهُ عليّ ﴿ إلاّ أنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ تُغلبوا كلكم ، فلا تقدرون على تخليصه ﴿ فلمّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ، قال : اللَّهُ على ما نقولُ وكيلٌ ﴾ شهيد ورقيب . [قال ابن اسحٰق : وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدّاً من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنى لهم عنها فبعثه معهم] .

[٦٧] ﴿ وقالَ ﴾ أبوهم يعقوب ﴿ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ وادخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ نهاهم عن ذلك لئلا تُصيبهم العين إذا دخلوا كوكبة واحدة ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فإن الحذر لا يمنع القدر ﴿ إِنِ الحُكْمُ إلاّ للَّهِ ﴾ لا يشاركه أحد ﴿ عليهِ توكَّلْتُ ، وعليهِ فلْيتوكَّلِ المُتَوَكِّلونَ ﴾ . [قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وغير واحد : خشي عليهم العين ، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء ، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم ، فإن العين حقٌّ تستنزل الفارس عن فرسه ـ ابن كثير] .

[٦٨] ﴿ ولمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ﴾ من الأبواب المتفرقة ﴿ مَا كَانَ ﴾ ذلك الدخول ﴿ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شيءٍ إلاّ حاجةً في نَفْسِ يَعْقوبَ قضاها ﴾ أي : أبداها ﴿ وإنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا علَّمْنَاهُ ﴾ لتعليمنا إيّاه بالوحي . قال قتادة : لذو علم يعلمه . وقال ابن جرير : لذو علم لتعليمنا إياه . ﴿ ولكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[٦٩] ﴿ ولمَّا دَخَلُوا على يوسفَ آوَى إليهِ أخاهُ ﴾ ضمّه إليه [قال ابن كثير: واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له] ﴿ قالَ : إنّي أنا أخوكَ فلا تَبْتَئِسْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى ، فإنّ الله تعالى قد أحسن إلينا ، وجمعنا بخير .

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿ **فلمَّا جهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ** ﴾ [قال قتادة: لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم] من الطعام ﴿ **جَعَلَ السِّقَايَةَ في رَحْلِ أخيهِ** ﴾ وهي إناء فضة يشرب به يوسف ، أمر فتيانه بوضعه خلسة مع أغراض أخيه ـ من أمه وأبيه وهو ـ بنيامين ﴿ **ثمَّ** ﴾ بعد خروجهم من المدينة ﴿ **أذَّنَ مُؤَذِّنٌ** ﴾ أي : نادى منادٍ ـ قبل أن ترتحل العير ـ ﴿ **أيَّتُها العيرُ** ﴾ القافلة ﴿ **إنَّكم لسارِقُونَ** ﴾ .

[٧١] ﴿ **قَالُوا** ﴾ إخوة يوسف ﴿ **وأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ** ﴾ على فتيانه ﴿ **ماذا تَفْقِدُونَ** ﴾ .

[٧٢] ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي : المؤذن وفتيان يوسف ﴿ **نَفْقِدُ صُواعَ المَلِكِ** ﴾ الإناء الذي يشرب به ـ الصواع والسقاية هما شيء واحد ـ ﴿ **ولِمَنْ جاءَ بِهِ** ﴾ مكافأة هي : ﴿ **حِمْلُ بَعِيرٍ** ﴾ حِمْلٌ من الطعام ﴿ **وأنَا بِهِ زَعِيمٌ** ﴾ كفيل وضامن .

[٧٣] ﴿ **قَالُوا** ﴾ ـ أي إخوة يوسف ـ مُقْسمين ﴿ **تَاللَّهِ لقدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ في الأرْضِ** ﴾ أرض مصر ﴿ **وَمَا كُنَّا سارِقِينَ** ﴾ .

ربع الحزب ٢٥

[٧٤] ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي : فتيان يوسف لإخوته ﴿ **فَمَا جزاؤُهُ** ﴾ سألوهم عن حكم السارق في شريعة يعقوب ﴿ **إنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ** ﴾ وتبيَّن أن السَّارق منكم ؟ .

[٧٥] ﴿ **قَالُوا** ﴾ لثقتهم ببراءتهم ﴿ **جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ** ﴾ أي : يؤخذ السارق الذي يوجد معه هذا الإناء رقيقاً لخدمة الملك ﴿ **كَذلِكَ نَجْزي الظَّالمِينَ** ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالسَّرقة .

[٧٦] ﴿ **فَبَدَأَ** ﴾ فتى يوسف ﴿ **بأوعيتهم** ﴾ ففتشها ﴿ **قبلَ وعاءِ أخيهِ** ﴾ بنيامين ﴿ **ثمَّ استخرجَهَا** ﴾ أي : وعاء السقاية ﴿ **مِنْ وِعاءِ أخيهِ ، كذلك كِدْنَا ليُوسُفَ** ﴾ أي : دبّرنا لتحقيق هدفه ﴿ **ما كانَ ليأخذَ أخاهُ في دينِ الملكِ** ﴾ في شرعه وقانونه إذ أن الحكم في قانون مصر على السارق أن يؤخذ منه ضعفي المسروق ويُضرب لا أن يُسْتَرَقَّ ﴿ **إلاَّ أنْ يشاءَ اللَّهُ** ﴾ [قال ابن جرير: قال مجاهد: إلاّ فعلة كادها الله، فاعتل بها يوسف] إذ سأل أخوته عن حكم السارق في شريعة يعقوب ، فأجابوه : إنه يؤخذ رقيقاً ﴿ **نرفعُ درَجَاتٍ** ﴾ بالعلم ﴿ **من نشاءُ** ﴾ كما رفعنا يوسف ﴿ **وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ** ﴾ أرفع درجة منه . [قال الحسن البصري : ليس عالمٌ إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل . عن سعيد بن جبير قال : كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما فحدَّث حديثاً ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ، ﴿فوق كل ذي علم عليم ﴾ . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : بئس ما قلت ، الله العليم وهو فوق كل عالم . يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم ـ ابن كثير] .

[٧٧] ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي : إخوة يوسف [لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين] ﴿ **إنْ يسرِقْ فقدْ سَرَقَ أخٌ لهُ مِنْ قَبْلُ** ﴾ يعنون يوسف [وذكر أن يوسف سرق صنماً لجده أبي أمه ، كسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك ـ ابن جرير] ﴿ **فأسرَّها** ﴾ فكتمها ﴿ **يوسفُ في نفسِهِ ولمْ يُبْدِها لَهُمْ** ، قال : **أنْتُمْ شَرٌّ مكاناً** ﴾ أي : منزلة ، لافترائهم على يوسف وأخيه ﴿ **واللَّهُ أعلمُ بما تَصِفُونَ** ﴾ من أمرِ يوسف واتهامه بالسرقة .

[٧٨] ﴿ **قَالُوا : يا أيُّها العزيزُ** ﴾ وهو من ألقاب حكّام مصر يومها ﴿ **إنَّ لهُ أباً شيْخاً كبيراً فخُذْ أحدَنا مكانَهُ ، إنَّا نراكَ منَ المُحْسِنِينَ** ﴾ والذي حملهم على ذلك العهدُ والميثاق بينهم وبين أبيهم يعقوب .

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٩] ﴿ **قالَ** ﴾ يوسفُ ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَـأْخُذَ إلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنا عِنْدَهُ** ﴾ إلا مَنْ سرق الوعـاء المذكور ﴿ **إِنَّا إذاً لظالِمُونَ** ﴾ إن أخذنـا بريئـاً بمذنب[روى ابن جـرير عن السـدي قال: قـال يـوسف إذا أتيتم أباكم فأقـرأوه السلام وقولوا لـه: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى تـرى ابنك يـوسف، حتى يعلم أن في أرض مصر صدِّيقين مثله].

[٨٠] ﴿ **فلمَّا استَيْأَسُوا مِنْهُ** ﴾ أي: يئسوا من استجابة يوسف لمطلبهـم أشد يأس ﴿ **خَلَصُوا نجيّاً** ﴾ بمعنى: اعتزلـوا وانفردوا عن النـاس يتشاورون في أمـرهم ﴿ **قالَ كبيرُهُمْ** ﴾ في السن ـ روبيل ـ ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْـكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ** ﴾ في ردِّ أخيكـم ﴿ **ومِنْ قَبْلُ** ﴾ وقبل هذا ﴿ **ما فَرَّطْتُمْ في يُوسُفَ** ﴾ أي: قصَّرتم في شأنه، ولم تحفظوا عهد أبيكم ﴿ **فلنْ أَبْرَحَ الأرْضَ** ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿ **حتَّى يَأْذَنَ لي أبي** ﴾ في الرجوع ﴿ **أوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لي** ﴾ بالخروج مـن مصر، أو بخلاص أخي بسببٍ ما ﴿ **وهُوَ خَيْـرُ الحاكمينَ** ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل سبحانه.

[٨١] ﴿ **ارْجِعُـوا إلى أبيكُمْ** ﴾ والقـائل أخـوهم الكبير ﴿ **فَقُولُوا: يا أَبانَا إنَّ ابْنَـكَ سَرَقَ** ﴾ صُواع الملك ﴿ **ومَا شَهِدْنَـا إلاَّ بِمَا عَلِمْنَا، ومَـا كُنَّا للغيـبِ حافِظِينَ** ﴾ وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق.

[٨٢] ﴿ **واسْأَلِ القريَـةَ التي كُنَّا فيهـا** ﴾ يعنـون أهل مصر ﴿ **والعِيرَ التـي أَقْبَـلْنَا فِيها** ﴾ القافلـة التي جئنا معها ﴿ **وإنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ فيما أخبرناك.

[٨٣] [قال ابن جرير: في الكلام متروك، وهو: فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم وتخلف روبيل، فأخبروه خبره، فلما أخبروه أنه سرق] ﴿ **قالَ** ﴾ يعقوب ﴿ **بَلْ سوَّلَتْ لكُمْ أنفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾ أي: زينت وسهَّلت أنفسُكم أمراً، ففعلتموه ﴿ **فصبرٌ جميلٌ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يأْتِيَـني بِهِمْ جميعاً** ﴾ يوسف وأخيه وروبيل ﴿ **إنَّـهُ هُوَ العَليمُ الحَكِيمُ** ﴾.

[٨٤] ﴿ **وتولَّى** ﴾ وأعرض ﴿ **عَنْـهُمْ** ﴾ عن بنيه كارهاً لما أنبؤوه به ﴿ **وقالَ يا أَسَفَى على يُوسُفَ** ﴾ أي: يا حُزني الشديد ﴿ **وابْيَـضَّتْ عيناهُ** ﴾ غشيت عيناه وضعف بصره ﴿ **مِنَ الحُزْنِ** ﴾ لكثرة بكائه ﴿ **فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ولم يتكلم بسوء.

[٨٥] ﴿ **قالُوا** ﴾ قال له أولاده شفقة عليه ﴿ **تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتَّى تكونَ حَرَضاً** ﴾ مريضاً ﴿ **أوْ تَكُونَ مِنَ الهالِكِينَ** ﴾ بالموت.

[٨٦] ﴿ **قالَ** ﴾ يعقوب ﴿ **إنَّـمَا أَشْكُوا بثِّي** ﴾ غمّي وحالي ﴿ **وحُزْنِي إلى اللَّهِ** ﴾ [روى ابن جـرير عن عبيـد الله بن أبي جعفر قـال: دخل جبريل على يوسف في البئر أو في السجن، فقـال له يوسف: يا جبريل ما بلغ حـزن أبي؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره من الله؟ قـال: أجر مائة شهيد] ﴿ **وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تعلَمُونَ** ﴾ من رحمته بعباده واستجـابته لدعاء المظلوم والمكروب، وقرب الفـرج إذا اشتد البلاء مع الصبر. [وروى ابن جرير عن السدي قال: لما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقـوب وقال: ما يكون في الأرض صدِّيقين إلاّ نبي، فطمع، قال: لعلـه يوسف] و [عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية معنى رؤيا يوسف أنها صدق، وأن الله لا بد أن يظهرها، وقال العوفي عنه: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له ـ ابن كثير].

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ﴿ يا بَنِيَّ اذْهَبُوا ﴾ [قال أبو جعفر: حين طمع يعقوب في يوسف قال لبنيه: اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به] ﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخيهِ ﴾ أي: تعرّفوا من نبئهما ﴿ ولا تيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ ﴾ من فرجه ورحمته ﴿ إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إلاّ القَوْمُ الكافِرُونَ ﴾. [قال ابن جرير: وفي الكلام متروك قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف، وذلك: فخرجوا راجعين الى مصر حتى صاروا إليها فدخلوا على يوسف].

[٨٨] ﴿ فلمَّا دَخَلُوا عَلَيهِ قَالُوا: يا أيُّها العزيزُ ﴾ الملك القادر المتمنع ﴿ مسَّنا وأَهْلَنا الضُّرُّ ﴾ الشدة من الجدب ﴿ وجِئْنا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾ بدراهم قليلة في مقابل ما نأخذه من التموين [قال ابن جرير: بدراهم، أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها] ﴿ فَأَوْفِ لنَا الكَيْلَ ﴾ أتمه ووفّره بهذه البضاعة المزجاة القليلة ﴿ وتَصَدَّقْ عَلَيْنا ﴾ بردِّ أخينا، أو بالمسامحة وقبول ما لا يعدّ عوضاً ﴿ إنَّ اللّهَ يَجْزِي المتصدِّقينَ ﴾ يثيبهم أحسن الثواب.

[٨٩] ﴿ قالَ ﴾ يوسفُ ﴿ هلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إذْ أنْتُمْ جاهِلُونَ ﴾ ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم في حق يوسف، وما أقبح ما أقدمتم عليه.

[٩٠] ﴿ قَالُوا ﴾ استغراباً وتعجباً لأن هذا لا يعلمه إلا يوسف ﴿ أإنَّك لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ: أنا يُوسُفُ، وهذَا أخي، قدْ منَّ اللّهُ عَلَيْنا ﴾ بالخلاص مما ابتلينا به ﴿ إنّه مَنْ يتَّقِ ﴾ اللّهَ في جميع أحواله ﴿ ويَصْبِرْ ﴾ على الضرّاء ﴿ فإنَّ اللّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾ أي: المتقين الصابرين.

[٩١] ﴿ قالوا تاللّهِ لقدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنا ﴾ أي: فضّلك ﴿ وإن كنّا لخاطِئِينَ ﴾ متعمِّدين للذنب.

[٩٢] ﴿ قالَ ﴾ يوسف ﴿ لا تثْرِيبَ ﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع ﴿ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ، وهو أرْحَمُ الرّاحمِينَ ﴾.

[٩٣] ﴿ اذْهَبُوا بقَميصِي هَذَا فأَلْقُوهُ على وَجْهِ أبي يأْتِ بَصِيراً ﴾ يردُّ اللّه عليه بصره ﴿ وأْتُونِي بأهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ طلب إليهم إحضار عشيرتهم ليقيموا معه في مصر ويتمتعوا بخيراتها بدل إقامتهم في البادية الجدباء.

[٩٤] ﴿ ولمَّا فَصَلَتِ العيرُ ﴾ أي: خرجت قافلتهم من مصر ﴿ قالَ أَبُوهُمْ ﴾ لمن حوله من قومه [أو لأولاده الذين لم يذهبوا الى مصر وبقوا معه] ﴿ إنّي لأَجِدُ ريحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ أي: لأتنسَّم رائحته مقبلة إليّ، وفنّده: نسبه إلى الفَنَد، وهو ضعف الرأي والعقل من الهرم وكبر السن. وإضافة الريح إلى الولد معروفة في كلامهم، وفي حديث عند الطبراني (ريح الولد من ريح الجنة).

[٩٥] ﴿ قَالُوا ﴾ ليعقوب ﴿ تَاللّهِ إنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيم ﴾ في إفراطك في محبّة يوسف [قال ابن عباس رضي الله عنهما: لفي خطئك القديم. وقال قتادة: أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله عليه السلام، وكذا قال السدي وغيره ـ ابن كثير].

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٦] ﴿ فلمّا أنْ جاءَ البَشِيرُ ﴾ المخبر بأمر يوسف وأخيه - قال مجاهد وابن جريج : هو يهوذا بن يعقوب - ﴿ ألْقاهُ على وجْهِهِ ﴾ طرح القميص على وجه يعقوب ﴿ فارتَدَّ بصيراً ، قالَ : ألَمْ أقُلْ لكُمْ إنّي أعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ من إنزال الفرج بعد الشِّدَّة .

[٩٧] ﴿ قالُوا ﴾ أي : أبناء يعقوب ﴿ يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إنَّا كُنَّا خاطِئِينَ ﴾ .

[٩٨] ﴿ قالَ ﴾ يعقوب ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لكُمْ رَبّي ، إنَّهُ هُوَ الغفورُ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه هو المتجاوز عن السيئات ، الرحيم لمن تاب [قال ابن مسعود رضي الله عنه : أرجأهم إلى وقت السحر . وقال ابن جرير عن محارب بن دثار قال : كان عم لي يأتي المسجد فيسمع إنساناً يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت ، وهذا السحر فاغفر لي . قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فسأل عبد الله عن ذلك فقال : إن يعقوب أخّر بنيه إلى السحر بقوله : ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾ - ابن كثير] .

نصف الحزب ٢٥

[٩٩] ﴿ فلمّا دَخَلُوا على يُوسُفَ ﴾ إشارة إلى استجابة أهله دعوته لهم للسكن في مصر ﴿ آوَى إليهِ أبَوَيْهِ ﴾ أي : ضمهما وعانقهما ﴿ وقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ من القحط وأصناف المكاره .

[١٠٠] ﴿ ورَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ ﴾ أي : أجلسهما معه على سريره تكريماً لهما ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾ أي : سجد له أبوه وإخوته الباقون ، وكانوا أحدَ عَشَر ، تحية وتكريماً له ﴿ وقالَ ﴾ يوسفُ ﴿ يا أبَتِ ، هذا ﴾ السجود ﴿ تأْوِيلُ ﴾ تعبير ﴿ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ التي رأيتها أيام الصبا ، وهي سجود أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ﴿ قدْ جَعَلَها ربّي حقّاً ﴾ مطابقاً للواقع ﴿ وقدْ أحْسَنَ بي إذْ أخْرَجَني مِنَ السِّجْنِ ﴾ أي : نجّاني من العبودية ﴿ وجاءَ بكُمْ مِنَ البَدْوِ ﴾ أي : البادية ﴿ مِنْ بعْدِ أنْ نَزَغَ ﴾ أفسد ﴿ الشيطانُ بَيْني وبَيْنَ إخْوَتي ﴾ بالحسد ﴿ إنَّ رَبِّي لطيفٌ لِمَا يَشاءُ ، إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحكيمُ ﴾ في أفعاله وقضائه .

[١٠١] ﴿ ربِّ قدْ آتَيْتَني مِنَ المُلْكِ ﴾ وهو التصرف بخزائن مصر ﴿ وعلَّمتني مِنْ تأْويلِ الأحَادِيثِ ﴾ من تعبير الرؤى والأحلام ﴿ فاطِرَ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ مبدعهما وخالقهما ﴿ أنتَ وَلِيِّي ﴾ مالك أموري ﴿ في الدُّنيا والآخرَةِ ، تَوَفَّني مُسْلِماً وألْحِقْني بالصَّالِحِينَ ﴾ من النبيين والمرسلين . والمحسن من ذكر الله في الرخاء .

[١٠٢] ﴿ذلِكَ ﴾ أي : كل ما ورد من قصة يوسف عليه السلام ﴿ مِنْ أنباءِ الغَيْبِ ، نوحِيهِ إلَيْكَ ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿ إذْ أجْمَعُوا أمرَهُمْ ﴾ على إلقائه في البئر ﴿ وهُمْ يمكُرُونَ ﴾ بيوسف ويكيدون له ، والمقصود : البرهان على كون ذلك وحياً من الله تعالى على النبي ﷺ الأمي الذي لم يقرأ في كتاب ولم يطلع على التاريخ .

[١٠٣] ﴿ومَا أكْثَرُ النَّاسِ ، ولوْ حَرَصْتَ ﴾ في دعوتهم وإظهار براهينك ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بالكتب والرسل .

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن الكريم ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي : عظة لهم .

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تدل على وحدانية الخالق سبحانه ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليها .

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي : بكونه الخالق الذي لا شريك له ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بعبادتهم لغيره . [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) . وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) ـ ابن كثير] .

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ المقصود : المشركون ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ أي : عقوبة تغمرهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها .

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿هٰذِهِ سَبِيلِي﴾ وهي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، طريقي ومسلكي وسُنَّتي ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى دينه وتوحيده ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ مع حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ من المؤمنين ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ وأنزِّهه وأُجلّه وأُقدِّسه عن الشريك والولد والصاحبة ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني ـ ابن جرير] .

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي ذكوراً ، لا نساء ولا ملائكة ، فالأنبياء من البشر أنفسهم ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ المدن دون سواها من مواطن اجتماع الناس ـ لأنهم كانوا أعلم وأحلم ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي : هؤلاء المكذِّبون من أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ نظر تفكُّر ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم المكذِّبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عن الشرك والفواحش ، وآمنوا بالله ورسله وكُتُبه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي : تستعملون عقولكم ، فتعلموا أن الآخرة خير ، أو : تعلموا كيف كانت عاقبة أولئك المكذبين .

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ من إجابة قومهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ كذبهم قومهم بما جاؤوا به ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ الذي وعدناهم به ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ وهم الرسل والمؤمنون بهم ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي : قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول الراجحة [قال ابن جرير: وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن أُلقي يوسف في الجب ليهلك ، ثم بيعَ بَيْع العبيد بالخسيس من الثمن ، وبعد الإسار والحبس الطويل ، وملَّكه مصر ، ومكَّن له في الأرض ، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته ، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدة الطويلة ، وجاء بهم إليه من الشقة النائية البعيدة ، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش]: ﴿مَا كَانَ﴾ القرآن الكريم ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يُختلَق ﴿وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من حقائق الكتب المنزلة ، من دون الانحرافات التي افْتَرَوْها ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تبيان لكل ما يُحتاج إليه من أحكام الحلال والحرام ، والآداب والأخلاق ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدّقون به ، ويعملون بأوامره ، فالإيمان قولٌ وعملٌ .

سورة الرعد

ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٥

[سورة الرعد]

سميت « سورة الرعد » لذكر الرعد فيها : الآية ١٣ ، ويقال إنها مدنية إلاّ الآية ٣١ ، ويقال من أوّلها إلى آخر الآية ٣١ مدنيّ وباقيها مكي ، وآياتها ٤٣ آية .

[١] ﴿ **الـمر** ﴾ تلفظ : ألِف ، لام ، ميم ، را . وهي من الأحرف المقطعة ، التي ورد تفسيرها في أول سورة البقرة ، وقيل : هي اسم للسورة ﴿ **تلكَ آياتُ الكِتَابِ** ﴾ القرآن الكريم ﴿ **والَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ** ﴾ من الكتاب المذكور بكماله ﴿ **الحَقُّ** ﴾ الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به ﴿ **ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ بذلك الحق .

[٢] ﴿ **اللَّهُ الذي رَفَعَ السَّمٰواتِ** ﴾ أي : خلقهن مرتفعات عن الأرض ﴿ **بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾ عمد : جمع عماد أو عمود ، المقصود : أنها رفعت من غير عمد ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ** ﴾ - راجع سورة الأعراف الآية ٥٤ - ﴿ **وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ** ﴾ ذلّلها لنفع العالم ﴿ **كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ لغاية معينة ، وهي قيام الساعة ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾ أمر العالم العلويّ والسفليّ ، ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الأحوال ﴿ **يُفَصِّلُ الآياتِ** ﴾ يبيّنها في كتبه المنزلة ﴿ **لعلَّكُمْ بِلِقَاءِ ربِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾ تُصدِّقون بالبعث بعد الموت . [وفي الحديث : (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة) . وفي رواية : (العرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل) - ابن كثير] .

[٣] ﴿ **وَهُوَ الذي مدَّ الأَرْضَ** ﴾ أي : جعلها متسعة ممتدّة في الطول والعرض ﴿ **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ** ﴾ جبالاً ثوابت ، أوتاداً لها ﴿ **وأنهاراً ، ومِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جعلَ فيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ صنفين اثنين كالحلو والحامض ، والأسود والأبيض ، والصغير والكبير ﴿ **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ** ﴾ أي : يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعدما كان أبيض منيراً ﴿ **إِنَّ في ذلِكَ** ﴾ أي : في مدّ الأرض وما بعده ﴿ **لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ فيستدلون على قدرة الخالق وحكمته مما يَرَوْنه في الكون من آيات واضحة .

[٤] ﴿ **وفي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ** ﴾ متقاربات مختلفة الطبائع ، من صلبة إلى رخوة ، ومن طيّبة إلى سبخة لا تصلح للزراعة ﴿ **وجنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وزرْعٌ ونخيلٌ صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ** ﴾ جمع صنو : وهي نخلة أصلها واحد وفروعها كثيرة ﴿ **يُسْقَى بِماءٍ وَاحِدٍ** ﴾ بماء المطر أو بماء النهر ﴿ **ونُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ في الأُكُلِ** ﴾ فتتفاضل قدراً وشكلاً ورائحة وطعماً ﴿ **إِنَّ في ذلِكَ لآياتٍ** ﴾ تدل على وحدانيته تعالى وباهر قدرته ﴿ **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ .

[٥] ﴿ **وإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ : أَإِذَا كُنَّا تُراباً أَإِنَّا لَفي خَلْقٍ جديدٍ** ﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي : إن تعجب من شيء فقولهم عجيب لأن من شاهد قدرة الله في بداية الخلق يجب أن يدرك أن الإعادة أهون عليه ﴿ **أُولئِكَ** ﴾ المنكرون لقدرته على البعث ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وأُولئِكَ الأَغْلالُ في أَعْناقِهِمْ** ﴾ أي : السلاسل في أيمانهم مشدودة إلى أعناقهم يوم القيامة ﴿ **وأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ** ﴾ .

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن
قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ
أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ
وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ
ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ
مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

[٦] ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ** ﴾ يستعجلونك بالعقوبة قبل العافية والسلامة منها ﴿ **وقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم المَثُلاتُ** ﴾ أي : عقوبات أمثالهم من المكذبين ، والمَثُلات : جمع مَثُلَة ، وهي العقوبة الفاضحة ﴿ **وإنَّ ربَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ** ﴾ إنه ذو صفح عظيم لا يُعاجِلُ بالعقوبة ﴿ **وإنَّ ربَّكَ لشديدُ العِقَابِ** ﴾ لمن يستحق ولمن يشاء .

[٧] ﴿ **ويَقُولُ الذينَ كَفَرُوا** ﴾ وهم المستعجلون بالسَّيِّئة ﴿ **لَوْلا أُنزِلَ عليهِ آيَةٌ مِنْ ربِّهِ** ﴾ مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام ﴿ **إنَّما أَنتَ مُنْذِرٌ** ﴾ مُرسَلٌ للإنذار والتخويف من سوء العقاب لمن كفر ، وناصح كغيرك من الرسل ، فما عليك إلاَّ البلاغ ﴿ **ولكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ أي : نبي داعٍ إلى الحق مرشد بالآية التي تناسب زمنه ـ وقيل المنذر محمد ﷺ والهادي الله عز وجل ـ .

[٨] ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ، ومَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ** ﴾ أي : تنقص من الحمل ﴿ **وَمَا تَزْدَادُ** ﴾ وما تأخذه زائداً ﴿ **وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بمقدارٍ** ﴾ بقدرٍ وحدٍّ لا يجاوزه حسب قابليته .

[٩] ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ** ﴾ أي : ما غاب عن الحس ﴿ **والشَّهَادَةِ** ﴾ أي : ما شهده الحس ﴿ **الكَبِيرُ** ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ﴿ **المُتَعَالِ** ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته .

[١٠] ﴿ **سواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ** ﴾ في نفسه ﴿ **وَمَنْ جَهَرَ بِهِ** ﴾ لغيره ﴿ **ومَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ باللَّيْلِ** ﴾ طالب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ﴿ **وسَارِبٌ بالنَّهَارِ** ﴾ ذاهب في سربه ، أي : في طريقه يبصره الآخرون .

[١١] ﴿ **لَهُ** ﴾ أي : للإنسان ﴿ **مُعَقِّبَاتٌ** ﴾ ملائكة يتعاقبون عليه ﴿ **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ** ﴾ أي : من جوانبه كلها ﴿ **يحفظونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ يراقبون ما يلفظ من قول وما يأتي من عمل ، خيراً أو شراً بأمره وإذنه ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ** ﴾ من العافية والنعمة ﴿ **حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأَنْفُسِهِمْ** ﴾ من الأعمال الصالحة ﴿ **وإذا أرادَ اللَّهُ بقوْمٍ سُوءاً** ﴾ لاستحقاقهم لذلك ﴿ **فَلاَ مَرَدَّ لَهُ** ﴾ فلا رَدَّ لقضائه فيهم ﴿ **وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ﴾ يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء الذي أراده الله بهم .

[١٢] ﴿ **هو الَّذي يُرِيكُمُ البَرْقَ خوفاً** ﴾ من الصواعق ـ للمسافر ـ ﴿ **وَطَمَعاً** ﴾ بالمطر ـ للمقيم ـ ﴿ **وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ** ﴾ بالماء .

[١٣] ﴿ **ويُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ** ﴾ أي : يسبِّح سامعوه من العباد الراجين للمطر [روى ابن جرير عن جعفر قال : بلغنا أن النبي كان إذا سمع صوت الرعد قال : (اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك)] أو : يسبح الرعد نفسه ، بمعنى : دلالته على قدرة الله سبحانه ووحدانيته ﴿ **والملائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ** ﴾ وتسبح الملائكة من خوف الله تعالى وخشيته ﴿ **ويُرسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بها من يَشاءُ** ﴾ فيُهْلك بها من يشاء ﴿ **وهُمْ** ﴾ أي : الكفار ﴿ **يُجادلون في الله** ﴾ بإنكار البعث واستعجال العذاب ، والجدال : أشد الخصومة ﴿ **وَهُوَ** ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ **شديدُ المِحَالِ** ﴾ شديد الكيد لأعدائه . [وروى ابن جرير عن عبد الرحمن بن صُحار العبدي أنه بلغه أن نبي الله بعث إلى جبار يدعوه ، فقال : أرأيتم ربكم؟ أذهب هو ، أم فضة هو ، أم لؤلؤ هو؟ فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سحابة فرعدت فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله هذه الآية] .

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ
نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ
عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ
لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

سجدة

[١٤] ﴿ **لهُ دَعْوَةُ الحَقِّ** ﴾ أي : الدعاء الحق بالعبادة والتضرع والإنابة ﴿ **والَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ** ﴾ أي : الأصنام التي يعبدها المشركون ﴿ **لا يستجيبُونَ لَهُمْ بشيءٍ** ﴾ يريدونه من نفع أو دفع أو ضرٍّ ﴿ **إلاّ كَبَاسِطِ كفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وما هُوَ ببالِغِهِ** ﴾ إلا كاستجابة الماء لمن مدّ يديه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بظمئه وحاجته إليه ﴿ **وما دُعَاءُ الكافِرِينَ** ﴾ أي : عبادتهم والتجاؤهم لآلهتهم ﴿ **إلاّ في ضَلاَلٍ** ﴾ في ضياع لا منفعة فيه . [قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يناله أبداً بيده ، فكيف يبلغ فاه ؟ وقال مجاهد : ﴿ كباسط كفيه ﴾ يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبداً . وقيل المراد كقابض يده على الماء ، فإنه لا يحكم منه على شيء ـ ابن كثير] .

[١٥] ﴿ **ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّمواتِ والأرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً وظِلاَلُهُم** ﴾ جمع : ظل ، والمعنى : كل ما في الوجود حتى ظل الأشياء ، يسجد لله سبحانه ـ فأما المؤمن طائعاً ، وأما الكافر فيسجد كارهاً ـ ﴿ **بالغُدُوِّ والآصَالِ** ﴾ صباح مساء .

[١٦] ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **مَنْ رَبُّ السَّمواتِ والأرْضِ** ﴾ أي : خالقهما ﴿ **قُلِ اللَّهُ** ﴾ ولا ريب في ذلك ﴿ **قُلْ** ﴾ إلزاماً لهم وتبكيتاً ﴿ **أفاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأنْفُسِهِم نَفْعاً ولا ضَرّاً** ﴾ أي أعبدتم غيْرَه ما لا يقدر على نفع نفسه ولا على دفع الضرّ عنها ، فكيف يستطيعه لغيره ﴿ **قُلْ : هَلْ يَسْتوِي الأعْمَى والبَصِيرُ، أمْ هلْ تستوي الظُّلُماتُ والنُّورُ** ﴾ شبه الجهل بالعمى ، والعلم بالبصر والنور ﴿ **أمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ** ﴾ والمعنى : أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق ، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على شيء ﴿ **قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شيءٍ ، وَهُوَ الواحِدُ القَهَّارُ** ﴾ الله أوجد كل شيء وكل ما عداه مقهور لا يملك شيئاً .

[١٧] ﴿ **أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً** ﴾ مطراً من السحاب ﴿ **فَسَالَتْ أوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾ أي : استوعب كل وادٍ بحسب وُسعه أو ضيقه ﴿ **فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً** ﴾ فحمل ورفع ، من قوة الجيشان ، زبداً عالياً على وجه الماء ﴿ **ومِمَّا يُوقِدُونَ عليهِ في النَّارِ** ﴾ من نحو الذهب والفضة والنّحاس ، مما يسبك في النار ﴿ **ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ** ﴾ طلب زينة ﴿ **أوْ مَتَاعٍ** ﴾ كالأواني وآلات الحرب والحرث ﴿ **زَبَدٌ مِثْلُهُ** ﴾ مثل زبد السيل ، وهو ما يطفو على وجه المعادن المصهورة ﴿ **كذلكَ يَضْرِبُ اللَّهُ** ﴾ مَثَل ﴿ **الحقَّ والبَاطِلَ : فأمَّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفَاءً** ﴾ أي : مقذوفاً مرمياً به ، فلا يُنْتَفَعُ به ﴿ **وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأرْضِ** ﴾ يُنْتَفَعُ به ﴿ **كذلكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأمْثَالَ** ﴾ أمثال الحق والباطل .

[١٨] ﴿ **للَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى** ﴾ للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسولَه المَثُوبةُ الحُسْنَى ﴿ **والذينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ** ﴾ وهم الكفّار ﴿ **لَوْ أنَّ لَهُمْ مَا في الأرْضِ جميعاً** ﴾ من الأموال ﴿ **ومِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ** ﴾ ليتخلّصوا عمّا بهم ﴿ **أُولئكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ** ﴾ في الدار الآخرة ﴿ **ومأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهَادُ** ﴾ أي : المستقر.

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ
﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٦

[١٩] ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ ﴾ يصدِّقُ ﴿ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ ﴾ يعني : القرآن الكريم ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمى ﴾ كمن لا يعلم ذلك ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ ﴾ أصحاب العقول السليمة .

[٢٠] ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ مما كلَّفهم به ﴿ وَلا يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ ﴾ أي : ما قبلوه من الإيمان وثقوه على أنفسهم وغيره من المواثيق بينهم وبين العباد .

[٢١] ﴿ والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ من الإحسان إلى ذوي القُرْبَى والأرحام ﴿ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ يخافون وعيده فلا يَعْصَوْنَهُ ﴿ ويَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ﴾ يوم القيامة .

[٢٢] ﴿ والذينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فأخلَصوا النيَّة له سبحانه ﴿ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وعلانيةً ﴾ في السر إخلاصاً لله وستراً على المحتاج ، وفي العلن تشجيعاً لغيرهم ﴿ ويَدْرَؤُونَ ﴾ يدفعون ﴿ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ فلا يردون على السَّيِّئة بالسَّيِّئة ﴿ أولئكَ لَهُم عُقْبى الدَّارِ ﴾ أي : عاقبة الدنيا وهي الجنَّة .

[٢٣] ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ جنات إقامة وخلود ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ هم ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ أي : من آمن وعمل صالحاً ﴿ مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وذرِّيَّاتِهِمْ ﴾ فالأنساب لا تنفع من غير الإيمان والعمل الصالح ﴿ والملائكةُ يدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ باب ﴾ .

[٢٤] ﴿ سلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ على مواجهة المشركين ، وتكاليف العبادة ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ وهو دخول جنات عدن .

[٢٥] ﴿ والذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ينكثون الأيمان ويرتدُّون عن الدِّين ﴿ ويَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ من علاقات ذوي القُرْبَى والرَّحِم ﴿ ويُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ بمختلف أنواع الفساد ﴿ أُولئكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ أي : عذاب جهنم .

[٢٦] ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ يعطي من غير حساب ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ، ويَقْدِرُ ﴾ ويمسك عليه الرزق أو يجعله محدوداً ﴿ وفَرِحُوا بالحَياةِ الدُّنْيَا ﴾ إذْ حَسِبُوا أن الرزق فيها وحدها هو الخير والرِّضا ﴿ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ وهو متاعٌ زائل أمام نعيم الآخرة .

[٢٧] ﴿ ويَقُولُ الذِينَ كَفَرُوا : لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي معجزة حسيّة كالمعجزات التي طلبوها من الرسول ﷺ من إنزال الملائكة ، ورؤيتهم لعروجه في السَّماء ، أو استعجال العذاب إلى آخر ما هنالك من مقترحات وردت في آيات سابقة ﴿ قُلْ : إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي ممن يستحق الضلالة كما قال في سورة مريم : ﴿ قُلْ مَن كانَ في الضَّلالة فليمدد له الرحمن مدّاً ﴾ ﴿ ويهْدِي إليه مَنْ أَنَابَ ﴾ أي : من أقبَلَ إلى الحقِّ وتفكَّرَ في الآيات الكونية والمنزلة .

[٢٨] ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالله ورسوله وكتابه ﴿ وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي : تسكن وتخشع عند ذكره ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾ أُنساً به ، واعتماداً عليه سبحانه ، وقيل : ذكر الله القرآن الكريم .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

[٢٩] ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لهم** ﴾ بُشرى وزُلْفى ﴿ **وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾ ومآبهم الجنة.

[٣٠] ﴿ **كَذلِكَ أرسَلْناكَ في أمَّةٍ قدْ خَلَتْ** ﴾ قد مضت ﴿ **مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الذي أوْحينا إلَيْكَ** ﴾ لتبلغهم هذا الوحي العظيم والذكر الحكيم ﴿ **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرحْمنِ** ﴾ الذي وسعت رحمته كلَّ شيء ﴿ **قُلْ هُوَ** ﴾ أي: الرحمٰن سبحانه وتعالى ﴿ **رَبِّي لا إله إلاَّ هُوَ عَلَيهِ توكَّلْتُ وإليهِ مَتَابِ** ﴾ أي: إليه توبتي وإنابتي.

[٣١] ﴿ **ولوْ أنَّ قرآناً** ﴾ أيَّ قرآناً ما ﴿ **سُيِّرَتْ بِهِ** ﴾ أي: بإنزاله أو بتلاوته ﴿ **الجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ** ﴾ شُقِّقَتْ حتى تتصدّع وتصير قطعاً ﴿ **أَوْ كُلِّمَ بِهِ الموتى** ﴾ خوطبت بعد أن أُحْيِيَتْ بتلاوته عليها، لكان هذا القرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ لعظم شأنه ﴿ **بلْ للهِ الأمْرُ جميعاً** ﴾ أي: له الأمر يفعل ما يشاء [روى ابن جرير عن قتادة أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: أذهب عنا جبال تهامة حتى نتخذها زرعاً فتكون لنا أرضين، أو أحيي لنا فلاناً وفلاناً يخبروننا: حقٌّ ما تقول! فقال الله ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآية، يقول: لو كان فعلَ ذلك بشيء من الكتب فيما مضى، كان ذلك] ﴿ **أَفَلَمْ يَيْأَس** ﴾ أفلم يعلم ويتبيَّن ﴿ **الذينَ آمَنُوا أنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ أي لطبعهم على الهداية كالملائكة ﴿ **ولا يزالُ الَّذِينَ كفروا** ﴾ من أهل مكة ﴿ **تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ** ﴾ وهي الداهية التي تقرع وتقلق، يعني: ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والنهب والسلب ﴿ **أَوْ تَحُلُّ** ﴾ تلك القارعة ﴿ **قريباً من دَارِهِمْ ، حتَّى يَأتِيَ وعْدُ اللَّهِ** ﴾ أي: فتح مكة ـ وقال آخرون: هو يوم القيامة ـ ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ** ﴾ لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة.

[٣٢] ﴿ **ولقدِ استُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ للَّذينَ كَفَرُوا** ﴾ أي: أمهلتهم وتركتهم مدة من الزمن ﴿ **ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فكَيْفَ كانَ عِقَابِ** ﴾ أي: عقابي إياهم. [٣٣] ﴿ **أفمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ أي: مراقب لأحوالها ومشاهد لها، لا يخفى عليه ما تكسبه من خير أو شرّ، كمن ليس كذلك ﴿ **وَجَعَلُوا للَّهِ شُرَكَاءَ** ﴾ عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان ﴿ **قُلْ سَمُّوهم** ﴾ والمعنى: سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به، فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها ﴿ **أم تـنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ في الأَرْضِ** ﴾ أي: بشركاء لا يعلمهم سبحانه، وهو عالم بكل شيء مما كان ومما سيكون، فهم لا حقيقة لهم ﴿ **أم بظاهِرٍ منَ القَوْلِ** ﴾ أي: أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة، وقيل: إنّ الظاهر هنا بمعنى: الباطل ﴿ **بَلْ زُيِّنَ للَّذِينَ كَفَرُوا مَكرُهُمْ** ﴾ لأنَّه زين لهم كفرهم ومكرهم فلا ينتفعون بهذه الدلائل ﴿ **وصُدُّوا عنِ السبيلِ** ﴾ عن سبيل الله ﴿ **ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ من هَادٍ** ﴾ فما له من أحد يهديه.

[٣٤] ﴿ **لهم عذابٌ في الحياة الدُّنْيَا** ﴾ وهو ما أصابهم على أيدي المؤمنين [قال ابن جرير: لهؤلاء الكفار الذين وصف صفتهم في هذه السورة عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والإسار والآفات التي يصيبهم الله بها، ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا] ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ** ﴾ من عذاب الدنيا كمّاً وكيفاً ﴿ **ومَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ** ﴾ من حافظ يعصمهم من عذابه سبحانه.

۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢

ربع الحزب ٢٦

[٣٥] ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾ باستجابتهم لأوامر الله وانتهائهم عن معصيته ﴿ تجري من تحتها الأنهارُ ﴾ من تحت شجرها ﴿ أُكُلُها دائمٌ ﴾ فثمر الجنة لا ينتهي ولا يتقيد بزمن معين ، فهو حاضر دائماً للأكل ﴿ وظِلُّها ﴾ وكذلك ظلها دائم لا حرّ فيها ﴿ تلك عُقْبَى الذينَ اتَّقَوْا ﴾ الجنَّة ونعيمها ثمرة التقوى ﴿ وعُقْبَى الكافرينَ النَّارُ ﴾ .

[٣٦] ﴿ والَّذينَ آتيْناهُمُ الكِتابَ ﴾ هم الذين آمنوا بالنبي ﷺ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلاَّم ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إليكَ ﴾ من القرآن ﴿ ومِنَ الأحزابِ ﴾ يعني بقية أهل الكتاب والمشركين ﴿ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ وهو ما يُخالِفُ معتقدهم وبخاصة التوحيد ﴿ قُلْ : إنَّما أُمِرْتُ أنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ولا أُشْرِكَ بِهِ ، إليهِ أدْعُو وإليه مآبِ ﴾ مصيري.

[٣٧] ﴿ وكذلكَ أنزلناهُ حُكْماً عربيّاً ﴾ كذلك أيضاً أنزلنا الحكم والدين ، حكماً عربياً ، وجعل ذلك ﴿عربياً﴾ ووصفه به لأنه أنزل على محمد ﷺ وهو عربي ، فنسب الدين إليه ـ قاله ابن جرير ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أهْواءَهُمْ بعْدَ مَا جاءَكَ منَ العلم ، مَا لكَ منَ اللَّهِ منْ وليٍّ ﴾ فلا ينصرك ناصر ﴿ وَلاَ واقٍ ﴾ ولا يقيك ـ يحفظك ـ واق .

[٣٨] ﴿ ولقَدْ أرسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وجَعَلْنا لَهُمْ أزْوَاجاً وذُرِّيَّةً ﴾ مثل إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ، عليهم السلام ، وغيرهم ﴿ ومَا كانَ لِرَسُولٍ أنْ يأتيَ بآيةٍ ﴾ أي : بمعجزة ﴿ إلاَّ بإذْنِ اللَّهِ ﴾ فأمر الآيات منوط بمشيئته تعالى ﴿ لِكُلِّ أجَلٍ كتابٌ ﴾ لكل وقت من الأوقات أمر مكتوب مقدّر معيّن أو معجزة تناسب أحوال الناس ، والقرآن هو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة . [قال الكلبي : عيّرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت : ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ـ النيسابوري].

[٣٩] ﴿ يَمْحُو اللَّهُ ما يَشَاءُ ﴾ ينسخ ما يشاء نسخه من الشرائع السابقة لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ﴿ ويُثْبِتُ ﴾ أي : يبقيه على حاله ﴿ وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ أي : أصله . [٤٠] ﴿وإن مَّا نُرِيَنَّكَ بعْضَ الذي نَعِدُهُمْ ﴾ من إنزال العذاب في حياتك ﴿ أوْنَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك ﴿ فإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ ﴾ تبليغ الوحي فقط ﴿ وَعَلَيْنا الحِسَابُ ﴾ أي : حسابهم وجزاؤهم .

[٤١] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ ﴾ أي : أرض الكافرين ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرافِهَا ﴾ بما يفتحه الله على المسلمين فتزداد أرضهم وتنقص أرض أعدائهم ﴿ واللَّهُ يَحْكُمُ ﴾ ما يشاء كما يشاء ﴿ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ لا رادَّ لحكمه ولا مبطل لقضائه ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ فعمَّا قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا بالقتل والأسر .

[٤٢] ﴿ وقدْ مَكَرَ الذين مِنْ قبلِهم ﴾ من الكفّار لإيقاع المكروه بأنبيائهم والمؤمنين كما مكر هؤلاء ﴿ فلِلَّهِ المَكْرُ جَميعاً ﴾ إشارة إلى ضعف مكرهم وكيدهم أمام قضاء الله مما لا يخطر لهم على بال ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ فيحاسبها على ما كسبت من المعاصي ﴿ وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أي : العاقبة الحسنة أو السيّئة .

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إبراهيم — ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[٤٣] ﴿ ويقولُ الذينَ كَفَرُوا ﴾ للرسول ﷺ ﴿ لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾ ينفون بعثه والوحي إليه من الله ﴿ قُلْ ﴾ تأنيباً لهم ﴿ كفى بالله شهيداً بيني وبَيْنَكُمْ ﴾ وهو الذي أيّده بمعجزة ﴿ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ ﴾ ومن هو من علماء أهل الكتاب فإنهم يجدون صفة النبي ﷺ ونعته في كتابهم من بشارات الأنبياء به . [قيل نزلت في عبد الله ابن سلاّم ، وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلاّم إنما أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة ، والأظهر في هذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما : هم من اليهود والنصارى ، وهو يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المقدمة من بشارات الأنبياء به - ابن كثير] .

[سورة إبراهيم]

سورة إبراهيم ، مكية ، إلا الآيتان ٢٨ و٢٩ ، وهي ٥٢ آية . سميت به لاشتمالها على دعوات لإبراهيم عليه السلام .

[١] ﴿ الر ﴾ تلفظ : ألف . لام . را . وقد ورد تفسير الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة ﴿ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي : من الضلال إلى الهدى ﴿ بإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي : بأمره سبحانه [قال ابن جرير: يعني بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم] ﴿ إلى صِراطِ العزيزِ الحَميدِ ﴾ الصراط : الطريق ، العزيز: القاهر القادر ، الحميد : المحمود في أمره ونهيه .

[٢] ﴿ اللَّهِ الذي لَهُ مَا في السَّمواتِ ومَا في الأَرْضِ ﴾ [قال ابن جعفر: يقول - الله - لنبيه محمد ﷺ أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادي إلى عبادة من هذه صنعته وَيَدَعُوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً من الآلهة والأوثان ، ثم توعد جل ثناؤه من كفر به ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له ، فقال :] ﴿ وَوَيْلٌ للكافِرينَ مِنْ عذابٍ شديدٍ ﴾ من عذاب يوم القيامة .

[٣] ﴿ الذينَ يستحِبُّونَ ﴾ يُؤْثِرونَ ﴿ الحَياةَ الدُّنْيا على الآخِرةِ ويصُدُّونَ عن سبيلِ اللَّهِ ﴾ بتعويق الناس عن الإيمان ﴿ ويَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي : يرغبون أن يروا فيها عوجاً ﴿ أُولئِكَ في ضلالٍ بعيدٍ ﴾ ضلُّوا عن طريق الحق .

[٤] ﴿ وَمَا أرسلنا من رَسُولٍ إلاّ بلسانِ قومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ليفقهوا ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حُجة على الله ﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ ﴾ له الضلالة ﴿ ويهدي مَنْ يَشاءُ ، وَهُوَ العزيزُ ﴾ غالب غير مغلوب ﴿ الحكيمُ ﴾ فيما يحكم ويقضي .

[٥] ﴿ ولقدْ أَرْسَلْنَا موسى بآياتِنا ﴾ بمعجزاتنا ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النّورِ ﴾ من الضلال إلى الهدى ﴿ وذكِّرْهُم بأيّامِ اللَّهِ ﴾ أنذرهم بما وقع على الأمم الضّالة قبلهم كقوم نوح ولوط ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ التذكير ﴿ لآياتٍ لكلِّ صبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه ، لأن الشكر والصبر عنوان المؤمن . [وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن أمْرَ المؤمن كله عجب ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له) - ابن كثير] .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

[٦] ﴿ وإذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : اذكرُوا نعمةَ اللَّه عليكم إذْ أنجَاكم منْ آلِ فرعونَ يسُومُونَكُمْ سُوءَ العذابِ ﴾ أي : يبغونكم إيّاه ﴿ ويُذبّحُونَ أبناءَكُمْ ﴾ الذكور المولودين صغاراً ﴿ ويَسْتَحْيُونَ نِساۤءَكم ﴾ يبقونهن في الحياة ﴿ وفي ذٰلِكُم بلاءٌ منْ ربِّكم عظيمٌ ﴾ . [قال ابن جرير: فيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب، بلاء لكم من ربكم عظيم، أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم].

[٧] ﴿ وإذْ تأذّنَ ربُّكُمْ ﴾ أي : آذن وأعلم إعلاماً بليغاً ﴿ لئنْ شَكرْتُمْ ﴾ نِعَمَه ﴿ لأزيدَنّكم ﴾ منها ﴿ ولئِنْ كفرتُمْ ﴾ أي جحدتم النِعمة ﴿ إنَّ عـذَابي لَشَديدٌ ﴾ لأبدلنكم النعمة بالنقمة . [وقد جاء في الحديث : (إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) ـ ابن كثير].

[٨] ﴿ وقالَ مُوسَى ﴾ لقومه ﴿ إن تَكفُرُوا أنْتُم ومَنْ في الأرضِ جميعاً فإنَّ اللّهَ لغنيٌّ حميدٌ ﴾ غنيٌّ عن شكر عباده ، المحمود بأجلِّ المحامد .

نصف الحزب ٢٦

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجل أنه قال : (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان سألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر).

[٩] ﴿ ألَمْ يأْتِكُمْ نَبَأُ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ : قـوْم نُوح ﴾ مع كثرتهم ﴿ وَعَادٍ ﴾ معَ غاية قوّتهم ﴿ وثَمُودَ ﴾ مع كثرة حصونهم ﴿ والذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللّهُ ، جاءَتْهم رُسُلُهم بالبيِّنات فَرَدُّوا أيْديَهُمْ في أفواهِهِمْ ﴾ فعضُّوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل ، أو وضعوها على أفواههم ضحكاً واستهزاء كمن غلبه الضحك ، أو إشارة إلى الرسل: أن اسكتوا [قال ابن جرير: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية: أنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، فعضوا عليها ، غيظاً على الرسل] ﴿ وقَالُوا : إنّا كفرْنا بِما أُرسِلْتُمْ به ، وإنَّا لفي شَكٍّ ممَّا تدْعُونَنا إليه مُرِيبٍ ﴾ أي : ذي ريبة .

[١٠] ﴿ قالتْ رُسُلُهم : أفي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِالسَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ أي : الذي خلقها وابتدعها على غير مثالٍ سابق ﴿ يدْعُوكُمْ ﴾ إلى الإيمان ﴿ لِيَغْفِرَ لكُمْ مِنْ ذنُوبِكُمْ ، ويُؤخِّركُم إلى أَجَلٍ مُسَمَّى ﴾ ويمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل محدّد ﴿ قالُوا : إنْ أنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُريدُونَ أنْ تَصُدُّونا عمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فأْتُونا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ بآية مما نقترحه تدل على فضلكم علينا بالنبّوة [قال ابن كثير ﴿ أفي الله شك ﴾ أفي وجوده شك ؟ فإن الفِطَر شاهدةٌ بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفِطَر السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطرار ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ، ولهذا قالت الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ والمعنى الثاني : أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ؟ وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلاّ هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى].

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

[١١] ﴿ **قالت لهم رسلهم إن نحنُ إلّا بَشَرٌ مثلُكم ولكنّ اللّه يَمُنُّ على من يشاء من عبادِه** ﴾ بالرسالة والنبوّة ﴿ **وما كانَ لنا أنْ نأتيَكُم بِسُلْطانٍ** ﴾ بآية معجزة وبرهان ﴿ **إلّا بإذنِ اللّهِ** ﴾ إلا بأمره وإرادته ﴿ **وعلى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ** ﴾ في أمرهم كُلّه ، فليسلم المؤمنون أمرهم كله لله ويتوكلون عليه .

[١٢] ﴿ **وما لنا ألّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ** ﴾ ومعناه : وأيّ عذر لنا في عدم توكّلنا عليه ﴿ **وقدْ هَدَانا** ﴾ أرشدنا ﴿ **سُبُلَنا** ﴾ أي : ما ينبغي على كلٍّ منا سلوكه من سبيله ومنهاجه ـ سبحانه وتعالى ـ الذي شرع له ﴿ **ولَنَصْبِرَنَّ على ما آذَيْتُمُونا** ﴾ من الكلام والأفعال ﴿ **وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ** ﴾ . [قال ابن جرير: وعلى الله فليتوكل من كان به واثقاً من خلقه، فأما من كان به كافراً فإن وليه الشيطان] .

[١٣] ﴿ **وقالَ الذينَ كفرُوا بِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِنْ أرْضِنا أوْ لتعودُنَّ في مِلَّتِنا** ﴾ عاد هنا بمعنى : صار، لأن الأنبياء لم يكونوا قط في ملّةِ المشركين ﴿ **فَأَوْحَى إليهمْ رَبُّهُمْ** ﴾ أوحى إلى الرسل ﴿ **لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمينَ** ﴾ الكافرين . [قال أبو جعفر: وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها، إذ كان ظلماً، سموا بذلك] .

[١٤] ﴿ **وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرْضَ منْ بَعْدِهِمْ ، ذلِكَ** ﴾ النصر المؤدي لوراثة الأرض وسكنها والتأييد ﴿ **لِمَنْ خَافَ مَقَامي وخاف وعيدِ** ﴾ وهم المؤمنون .

[١٥] ﴿ **واسْتَفْتَحُوا** ﴾ أي : سألوا الله النصر ـ الفتح ـ على أعدائهم ﴿ **وخابَ كُلُّ جَبّارٍ عنيدٍ** ﴾ الجبّار : المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته ، والعنيد : المعاند للحق .

[١٦] ﴿ **مِنْ ورائِهِ جهنَّمُ** ﴾ تنتظره وترصده [قال أبو جعفر: و«وراء» في هذا الموضع يعني : أمام، كما يقال: إن الموت من ورائك، أي قدامك] ﴿ **ويُسْقىٰ من مَاءٍ صَدِيدٍ** ﴾ وهو ما يسيل من جوف أهل النّار ، قد خالط القيح والدم . [قال مجاهد : الصديد من القيح والدم . وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده . وفي رواية عنه : الصديد ما يخرج من جوف الكافر فقد خالط القيح والدم . وفي حديث شهر بن جوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : قلت يا رسول الله : ما طينة الخبال ؟ قال ﷺ : (صديد أهل النار) . وفي رواية : (عصارة أهل النار) ـ ابن كثير] .

[١٧] ﴿ **يتجرَّعُهُ** ﴾ يتكلّف تجرّعه ﴿ **ولا يَكادُ يُسيغُهُ** ﴾ لخبثه ﴿ **ويأْتيهِ الموْتُ منْ كُلِّ مكانٍ وما هُوَ بميّتٍ** ﴾ تحيط به الأهوال وما هو بمستريح مما نزل به ﴿ **ومِنْ ورائِهِ عذابٌ غَليظٌ** ﴾ شديد متصل لا ينقطع . [وقال الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ يتجرعه قال : (يقرب إليه فتكرهه ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره) . ابن كثير] .

[١٨] ﴿ **مَثَلُ الذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بهِ الرِّيحُ في يومِ عَاصِفٍ** ﴾ كل أعمال الكفار الحسنة ، كالشهامة والكرم لا قيمة لها ، كرماد تذروه الرياح ولا يبقى له أثر ﴿ **لا يَقْدِرُونَ** ﴾ يوم القيامةِ ﴿ **مِمّا كَسَبُوا على شيءٍ** ﴾ لا يرَوْنَ له أثراً من ثواب ﴿ **ذلِكَ هو الضَّلالُ البَعيدُ** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ بالحَقِّ ﴾ بالحكمة المنزّهة عن العبث ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جديدٍ ﴾ [سواكم مكانكم].

[٢٠] ﴿ وَمَا ذلِكَ ﴾ الإذهاب والإبدال بخلق جديد ﴿ على اللَّهِ بعزيزٍ ﴾ فهو سبحانه قادر على كل شيء ولا يعجز عن تنفيذ إرادته لو شاء .

[٢١] ﴿ وبَرَزُوا للَّهِ جَمِيعاً ﴾ اجتمعوا لحسابه وقضائه يوم القيامة ﴿ فَقَالَ الضُّعَفَاءُ ﴾ وهُمُ الأتباع ﴿ للذينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ على الرسل ، وهم قادتهم ﴿ إِنّا كنّا لكم تَبعاً ﴾ تابعين ننفذ ما تأْمُرُوننا به ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شيءٍ ، قَالُوا : ﴾ أي : المستكبرون ﴿ لَوْ هَدَانا اللَّـهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ، سَواءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا ﴾ جَزِعَ : لم يصبر على ما حلَّ به ﴿ أَمْ صَبَرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ من منجى ومهرب من العذاب .

[٢٢] ﴿ وقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ بنجاة السعداء وهلاك الأشقياء ﴿ إِنَّ اللَّـهَ وَعَدَكُمْ وعْدَ الحَقِّ ﴾ على ألسنة الرسل ﴿ ووعدتُكم فأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ ووعدتكم وعدَ الباطل ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ ﴾ من حجة وبرهان ﴿ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لي ﴾ أسرعتم لطاعتي بمجرد دعوتي لكم ﴿ فَلاَ تَلُومُوني وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ بمغيثكم ومنجيكم من العذاب ﴿ وما أَنْتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ مما أنا فيه ﴿ إِنّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ تبرأْتُ منه ومنكم ، فلم يبقَ بيني وبينكم علاقة ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [روى ابن جرير عن الشعبي قال : خطيبان يقومان يوم القيامة ، إبليس، وعيسى ابن مريم، فأما إبليس فيقوم في حزبه ، فيقول هذا القول . وأمّا عيسى عليه السلام فيقول ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ ـ المائدة ١١٧] قال الزمخشريّ : وإنما حكى الله عزّ وعلا ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بدّ لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول ، فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجّيهم .

[٢٣] ﴿ وأُدْخِلَ الذينَ آمَنُوا ﴾ باللّهِ ورسوله وكتابه ﴿ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي : الطاعات ﴿ جنَّاتٍ تجري مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ من تحت مساكنها وشجرها ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ، تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ تحييهم الملائكة بالسلام عليهم.

[٢٤] ﴿ أَلَمْ تَرَ كيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً ، كلمةً طيّبةً ﴾ [قال ابن جرير: وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة، فقال بعضهم: عنى بها إيمان المؤمن، وقال آخرون: بل عنى بها المؤمن نفسه] ﴿كشجرةٍ طيّبة أصْلُهَا ثابتٌ ﴾ في الأرض ضارب بعروقه فيها ﴿ وفَرْعُهَا ﴾ أعلاها ورأسها ﴿ في السَّماءِ ﴾ [قال البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : (أخبروني عن شجرة تشبه ـ أو ـ كالرجل المسلم ، لايتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) . قال ابن عمر رضي الله عنهما فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئاً ، قال رسول الله ﷺ : (هي النخلة) . فلما قمنا قلت لعمر رضي الله عنه : يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة ، قال : ما منعك أن تتكلم ؟ قلت : لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلمْ أو أقول شيئاً ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا ـ ابن كثير] .

تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

[٢٥] ﴿ **تُؤْتِي أُكُلَهَا** ﴾ ثمرها ﴿ **كلَّ حينٍ** ﴾ من البلح والتمر ﴿ **بإذْنِ رَبِّها ويضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ للنّاسِ لعلّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾.

[٢٦] ﴿ **وَمَثَلُ كلمةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرةٍ خَبيثَةٍ** ﴾ وهي شجرة الحنظل ﴿ **اجْتُثَّتْ** ﴾ استؤْصِلَت ﴿ **منْ فوْقِ الأرْضِ مَا لَها مِنْ قَرَارٍ** ﴾ أي : استقرار. [روى ابن جرير عن ابن عباس قوله : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول : الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت في الأرض، ولا فرع في السماء، يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة].

[٢٧] ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا بالقوْلِ الثَّابِتِ** ﴾ وهو الكلمة الطيبة المذكورة في الآية السابقة ﴿ **في الحَياةِ الدُّنْيا** ﴾ لا يشكّونَ في إيمانهم ﴿ **وفي الآخِرَةِ** ﴾ يثبتون على كلمة التوحيد عند سؤال القبر ﴿ **ويُضِلُّ اللَّهُ الظّالمينَ** ، **ويفعلُ اللّهُ ما يشاءُ** ﴾ من التثبيت والإضلال حسبما تقتضيه حكمته البالغة. [روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾). وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا في جنازته ، ثم صلوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقال له : من رسولك ؟ فيقول : محمد ﷺ . فيقال له : شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فيوسع له في قبره مد بصره ـ ابن كثير].

[٢٨] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الذينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً** ﴾ فكفروا برسولهم بدل أن يُؤمنوا به وهو الذي دعاهم إلى نعمة الإيمان بالله وتوحيده ﴿ **وأَحلُّوا قَوْمَهُمْ** ﴾ الذين أَضَلُّوهُمْ مَعَهُمْ ﴿ **دارَ البَوَارِ** ﴾ أي : الهلاك. [٢٩] ﴿ **جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا** ﴾ فجهنّم هي دار البوار التي تصيبهم بنارها ﴿ **وبِئْسَ القَرارُ** ﴾ أي : المستقر. [٣٠] ﴿ **وَجَعَلُوا للهِ أنداداً** ﴾ من الأوثان فعبدوها ﴿ **لِيُضِلُّوا عَنْ سَبيلِهِ** ﴾ عن عبادته وحده ﴿ **قُلْ** ﴾ تهديداً للضالّين المضلّين ﴿ **تَمَتَّعُوا** ﴾ بشهوات الحياة الدنيا ﴿ **فإنَّ مَصِيرَكُمْ إلى النّارِ** ﴾. [٣١] ﴿ **قُلْ لِعبادِيَ الذينَ آمَنُوا: يُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وعلانيةً منْ قَبْلِ أن يأْتِيَ يومٌ** ﴾ هو يوم القيامة ﴿ **لا بَيْعٌ فيهِ ولا خِلالٌ** ﴾ المُخَالَّة ، بمعنى : المصاحبة ، والمقصود : أن القيامة هي دار الحساب فلا عمل يُستأنف فيها لِيُتَدارك به التقصير الذي وقع في الدنيا ، ولا صحبة أحدٍ ، كائنٍ مَنْ كان ، تشفع لأحدٍ إلاّ بإذن الله.

[٣٢] ﴿ **اللّهُ الذي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ** ﴾ من السحاب ﴿ **ماءً** ﴾ هو ماء المطر ﴿ **فأَخْرَجَ بهِ منَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لكُمْ** ﴾ تعيشون به ﴿ **وسخَّرَ لكُمُ الفُلْكَ** ﴾ السفن ﴿ **لِتَجْرِيَ في البَحْرِ بأمْرِهِ** ﴾ بإرادته ﴿ **وسخَّرَ لكُمُ الأنْهارَ** ﴾ للشرب والسقي وسواهما.

[٣٣] ﴿ **وسخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَر دائِبَيْنِ** ﴾ مستمران في سيرهما وإنارتها والقيام بما سخرهما الله إليه ﴿ **وسخَّرَ لكُمُ الليلَ والنَّهارَ** ﴾ يتعاقبان لمعاشكم وسباتكم.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿ وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ ﴾ ما طلبتم منه مما تحتاجون إليه لتُصلحوا أحوالكم به ﴿ وإنْ تَعُدُّوا نعمتَ اللّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ لكثرتها وعدم تناهيها ﴿ إنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ بتلك النِّعم التي لا تُحصى . [وفي صحيح البخاري رحمه الله أن رسول الله ﷺ كان يقول : (اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا) . وقد روي في الأثر أن داود عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك عليّ ؟ فقال الله تعالى : الآن شكرتني يا دواد . أي حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم ـ ابن كثير] .

[٣٥] ﴿ وإذْ قالَ إبْراهيمُ : ربِّ اجْعَلْ هذا البلدَ ﴾ يعني مكة المكرمة ﴿ آمِناً ﴾ من كل أذى ﴿ واجْنُبْني ﴾ بعِّدني ﴿ وبَنِيَّ ﴾ وكذلك ذريتي ﴿ أن نَّعْبُدَ الأصنامَ ﴾ . [عن مجاهد قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، قال : فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته ، قال : واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات ، وجعله إماماً ، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة ، وتقبّل دعاءه ، فأراه مناسكه وتاب عليه ـ ابن جرير] .

[٣٦] ﴿ ربِّ إنَّهُنَّ ﴾ أي الأصنام ﴿أضْلَلْنَ كثيراً من النَّاسِ ﴾ كانت الأصنام سبباً في إضلالهم ﴿ فَمَنْ تَبِعَني ﴾ وكان حنيفاً مسلماً مثلي ﴿ فإنَّهُ منِّي ، ومَنْ عَصَاني ، فإنَّكَ غفورٌ رَحِيمٌ ﴾ [تعفو عمّن تشاء منهم] .

[٣٧] ﴿ ربَّنَا إنِّي أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتي ﴾ وهم إسماعيل وذريته ﴿ بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ ﴾ بوادي مكة القاحل ﴿ عند بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ﴾ الذي حرّمت التعرض له والتهاون به ﴿ ربَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ ليعمروه بذكرك وعبادتك وحدك ﴿ فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إلَيْهِم ﴾ تسرع إليهم شوقاً [روى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : لو قال : أفئدة الناس تهوي إليهم لحجّت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوي إليهم ، فهم المسلمون] ﴿ وارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لعلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ وشكرهم توحيد الله وعبادته .

[٣٨] ﴿ ربَّنا إنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي ومَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفى عَلى اللهِ مِنْ شيءٍ في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ ﴾ فالله أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا ، منا ، وهو أرحم بنا منا بأنفسنا . [٣٩] ﴿ الحمدُ للهِ الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ ﴾ بعد أن بلغت عمراً لا يقع منه حمل ولا ولادة ﴿ إسماعيلَ و إسْحَقَ ﴾ ليقوما مقامي في الدعوة إليه تعالى ﴿ إنَّ ربِّي لَسَميعُ الدُّعاءِ ﴾ أي : مُجيبه .

[٤٠] ﴿ ربِّ اجْعَلْني مُقِيمَ الصَّلاَةِ ﴾ مستمرا ثابتاً على عبادتك ﴿ ومِنْ ذرِّيَّتي ﴾ كذلك ﴿ رَبَّنا وتقبَّلْ دُعَاءِ ﴾ وتقبل تلك العبادة والدعاء .

[٤١] ﴿ ربَّنا اغْفِرْ لي ولوالديَّ وللمُؤْمِنِينَ يومَ يَقُومُ الحِسَابُ ﴾ وكان هذا الدعاء وقع من إبراهيم عليه السلام قبل تبيّن أمر والده له وتأكده من كفره . [وللمؤمنين بك ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه ، فأطاعك في أمرك ونهيك ـ وذلك يوم يقوم الناس للحساب ـ قاله ابن جرير] .

[٤٢] ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ يعني مشركي أهل مكة ﴿ إنَّما يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ بإمهالهم متمتعين بشهواتهم ، ولا يعجّل عقوبتهم ﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فيهِ الأبْصَارُ ﴾ ترتفع فيه أبصار أهل الموقف ، لهول ما يرَوْنَ يوم القيامة .

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٣] ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مُسرعين إلى الداعي الذي يدعوهم إلى المحشر [أو مديمي النظر في غير طَرْف، والأول أشهر] ﴿ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ ﴾ رافعيها إلى السماء ﴿ لا يَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ عيونهم مفتوحة من غير تحريك للأجفان ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ لا قوّة فيها، ولا ثبات لشدّة الفزع.

[٤٤] ﴿ وأنذرِ النَّاسَ يَوْمَ يأتيهمُ العَذَابُ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَيَقُولُ الذينَ ظَلَمُوا: رَبَّنَا أَخِّرْنَا ﴾ أي: ردَّنا إلى الدنيا وأمهلنا ﴿ إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أمد من الزمان قريب ﴿ نُجِبْ دَعْوَتَكَ ﴾ إلى الإقرار بتوحيدك وأسمائك الحسنى ﴿ ونتَّبِع الرُّسُلَ ﴾ فيما دعونا إليه من الشرائع ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ ﴾ أي: فيقال لهم توبيخاً وتبكيتاً: أَوَلَمْ تكونوا تحلفون ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني: في الدنيا ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ من دار الدنيا إلى دار أخرى للجزاء.

[٤٥] ﴿ وَسَكَنْتُمْ في مساكنِ الذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ كعاد وثمود ﴿ وتبيَّنَ لكم كيْفَ فَعَلْنَا بهمْ ﴾ بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم ﴿ وضَرَبْنا لكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ أي: صفات ما فعلوا وما فُعِل بهم، ومع ذلك فلم يكن لكم فيهم معتبر ولا مزدجر.

[٤٦] ﴿ وقَدْ مَكَرُوا ﴾ بالنبي ﷺ ﴿ مكرَهُمْ ﴾ عملوا جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل ﴿ وعندَ اللهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: جزاء مكرهم ﴿ وإنْ كانَ مَكْرُهُمْ ﴾ في العظم والشِّدَّة ﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ ﴾ تنقلع من أماكنها [قال ابن جرير: وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال، بل ما ضروا بذلك إلا أنفسهم ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم].

[٤٧] ﴿ فلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ وهو نصرهم، وتعذيب أعدائهم ﴿ إنَّ اللَّهَ عزيزٌ ﴾ غالبٌ ﴿ ذو انتقام ﴾ من أعدائه.

[٤٨] ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمٰواتُ ﴾ بما يحدث فيها من تبديل وآيات كونية من سير الجبال وتفجير البحار وتشقق السماء ﴿ وبَرَزُوا ﴾ خرجوا من قبورهم، وذلك يشمل جميع الخلائق، يخرجها الله بقدرته ﴿ للهِ الواحِدِ القهَّارِ ﴾ يحاسبهم ويجزيهم.

[٤٩] ﴿ وتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ ﴾ أي: مربوط بعضهم مع بعض حسب جرائمهم وإفسادهم، فيجمع كل صنف إلى صنف، أو: قُرِنُوا مع الشياطين، أو: قُرِنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿ في الأَصْفَادِ ﴾ القيود.

[٥٠] ﴿ سَرَابِيلُهُم مِنْ قَطِرانٍ ﴾ السربال: القميص، وهنا يشبههم بأكره الأشياء إلى قلوبهم: الإبل الجربى التي تُطلى بالقطران ﴿ وتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ تعلوها وتحيط بها النّار التي تمسّ جسدهم المسربل بالقطران.

[٥١] ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ لا يشغله شأن عن شأن، فهو سريع في محاسبة الخلائق يوم القيامة.

[٥٢] ﴿ هذَا ﴾ إشارة إلى القرآن الكريم أو السورة نفسها ﴿ بَلاغٌ للنَّاسِ ﴾ كفاية لهم لما فيه من العظة والتذكير ﴿ ولِيُنْذَرُوا بِهِ ﴾ لِيُخوَّفوا وليُوعَظُوا به عن الجرائم التي ارتكبها السابقون ﴿ ولِيَعْلَمُوا أنَّما هُوَ إلهٌ واحدٌ ﴾ لا إله إلا هو ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ أي: ليتعظ به ذوو العقول.


الجزء الرابع عشر — سورة الحجر

سورة الحجر — ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

٢٦٢

[سورة الحجر]

سميت هذه السورة بالحجر لقوله تعالى ﴿ ولقدْ كذَّبَ أصحابُ الحِجْرِ المُرْسَلين ﴾ وهي مكّية ، وآياتها ٩٩ آية .

(الجزء ١٤ — الحزب ٢٧)

[١] ﴿الٓر﴾ تلفظ : ألف . لام . را ، وقد تقدم الكلام على الأحرف المقطّعة في أول سورة البقرة ﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ ﴾ الإشارة إلى آيات الكتاب الكامل ، وآيات قرآن عظيم الشأن ﴿ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ مبين للحكم والأحكام ولسبيل الرشد والغيّ .

[٢] ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الذينَ كَفَرُوا لوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ تبشير للنبي ﷺ بظهور دينه ، وأنه سوف تأتي أيام يتمنى الكافرون بها ، أن لو سبق لهم الإسلام فكانوا من السابقين .

[٣] ﴿ ذَرْهُمْ يأْكُلوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ﴿ ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ ﴾ يشغلهم تمنيهم لحسن العاقبة ، مع كفرهم ، عن التوبة والتذكر ﴿ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ ﴾ لمن تكون له العُقبى .

[٤] ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إلاَّ ولَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ أجل مقدّر .

[٥] ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ لا تهلك قبله ﴿ وما يَسْتأْخِرُونَ ﴾ عنه .

[٦] ﴿ وقَالُوا : يَا أيُّها الذي نُزِّلَ عليهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ اتّهم المشركون محمداً ﷺ بالجنون استهزاء وتهكّماً .

[٧] ﴿ لَوْ مَا تأْتِينا بالملاَئكَةِ إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أي : هلاَّ تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ؟ [في أن الله بعثك إلينا رسولاً وأنزل عليك كتاباً ، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا وآية لك على نبوتك وصدق مقالتك] .

[٨] ﴿ مَا نُنَزِّلُ الملائِكَةَ ﴾ عليهم فيَأْتُونهم ويشاهدونهم ﴿ إلاَّ بالحَقِّ ﴾ وهو العذاب الذي قضى به الله على المكذّبين بالرسل ﴿ ومَا كانُوا إذاً مُّنْظَرِينَ ﴾ مُؤَخَّرينَ .

[٩] ﴿ إنَّا نَحْنُ نزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا له لَحافِظُونَ ﴾ فالله تعالى أنزل القرآن الكريم وهو يحفظه من كل مَنْ بغى له كيداً .

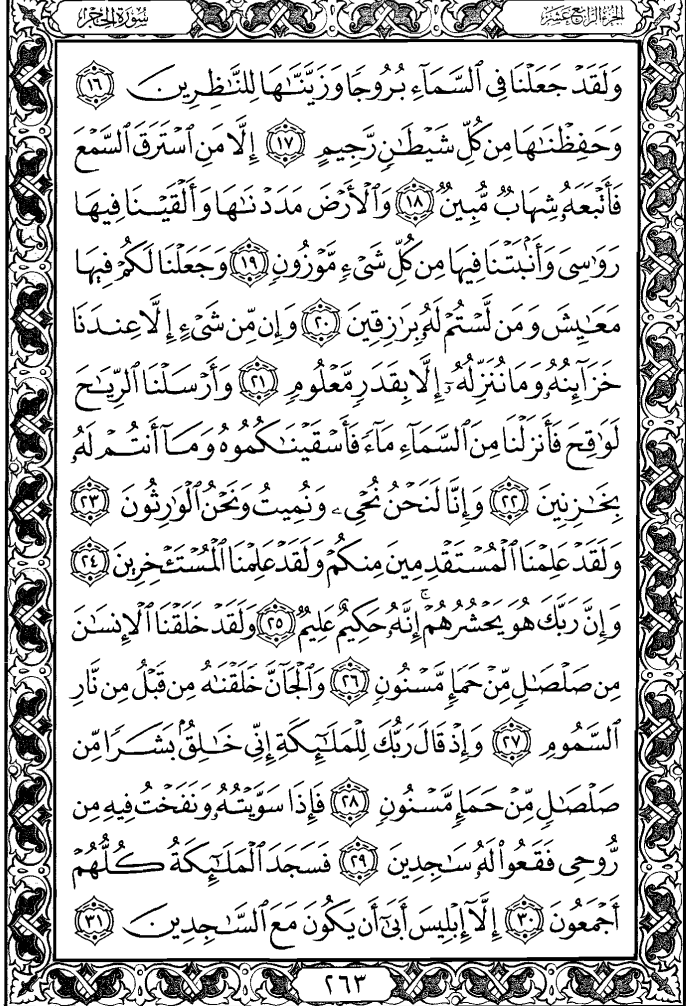
[١٠] ﴿ ولقدْ أرْسَلْنَا ﴾ رُسُلاً ﴿ منْ قبلِكَ في شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ في فرق وطوائف الأمم السابقة .

[١١] ﴿ ومَا يأتِيهِمْ من رسولٍ إلاَّ كانُوا بِهِ يستهزِئُون ﴾ كما يفعل مشركو قريش .

[١٢] ﴿ كذلكَ نسْلُكُهُ ﴾ أي : التكذيب والشرك ﴿ في قُلُوبِ المجرمينَ ﴾ الكافرين ، فهم لا يُؤمنون بما أنزل الله .

[١٣] ﴿ لا يؤمنونَ بِهِ ﴾ أي : بالذكر المنزل ﴿ وقدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ قد مضت السُّنَّة فيهم من هلاكهم ، وزهوق باطلهم ، ونصر الرسل وجنود المؤمنين عليهم . [١٤] ﴿ ولو فَتَحْنَا عليهم ﴾ أي : على هؤلاء المستهزئين ﴿ باباً من السَّماءِ فظلُّوا ﴾ فصاروا طول نهارهم ﴿ فيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ يصعدون مستوضحين لما يرونه فيها من العجائب .

[١٥] ﴿ لقالُوا : إنَّما سُكِّرَتْ أبْصارُنَا ﴾ أي : حُيِّرت أو حُبست من الإبصار ، وما نراه شيء نتخيله لا حقيقة له ﴿ بلْ نحنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ .



وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

[١٦] ﴿ **ولقدْ جَعَلْنَا في السَّماءِ بُـرُوجاً** ﴾ جمع : برج ، والمراد في الآيـة : النجـوم ومنـازل الشمس المعروفـة ﴿ **وزيَّنَّاهَا** ﴾ وزيَّنَّـا السماء بتلك البروج ﴿ **للنَّاظِرينَ** ﴾ المستدلين بها على قدرة خالقها ووحدانيته .

[١٧] ﴿ **وحَفِظْنَاهَا من كُلِّ شيطانٍ رَجِيمٍ** ﴾ مطرود من رحمة الله .

[١٨] ﴿ **إلاَّ مـن استَرَقَ** ﴾ اختلس ﴿ **السَّمْعَ** ﴾ من الشياطين الذين يسترقـون السمع من الملائكة السماوية ﴿ **فَأَتْبَعَهُ** ﴾ تبعه ولحقـه ﴿ **شِهَابٌ مُبِينٌ** ﴾ لهب محرق ظاهر ، فيرجع أو فيحترق .

[١٩] ﴿ **والأرضَ مَدَدْنَاهَا** ﴾ بسطناهـا ﴿ **وألْقَيْنَا فيهَا رَوَاسِيَ** ﴾ جبالاً ثـوابت ﴿ **وأنبتنا فيهـا من كلِّ شيءٍ مَوْزُونٍ** ﴾ وزن بميزان الحكمة ، وقُدِّر بمقدار لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان .

[٢٠] ﴿ **وجعلْنا لكم فيهَا معايِشَ** ﴾ ما تعيشون به من المطاعم والملابس مما تقتضيه ضرورة الحياة ﴿ **ومَنْ لستمْ لهُ برازِقينَ** ﴾ من الأنعام والدواب وما أشبهها .

[٢١] ﴿ **وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ عنـدَنَا خـزائِنُهُ ومـا نُنَزِّلُـهُ** ﴾ نوجـده ونخرجه في عـالم الشهادة ﴿ **إلاَّ بِقَدَرٍ مَعلُومٍ** ﴾ القـدر المعلوم : الأجل المعيّن لـه ، حسبما تقتضيـه الحكمة .

[٢٢] ﴿ **وأرسَلْنَا الرِّيَـاحَ لواقِـحَ** ﴾ تلقح السحـاب ، أي : تجعلهـا حـوامل بـالماء ﴿ **فأنْـزَلنَا مِـنَ السماءِ ماءً فأسْقَيْنَـاكُمُوهُ ومَـا أنتُمْ لَـهُ بِخَـازِنِينَ** ﴾ بقـادرين على إيجاده وإنزاله .

[٢٣] ﴿ **وإنَّا لنحنُ نُحيي ونُميتُ ونَحْنُ الوارِثُونَ** ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كله .

[٢٤] ﴿ **ولقدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمينَ مِنكُمْ ، ولقدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ أي : من تقدم ولادةً وموتاً ، ومن تأخـر من الأوّلين والآخرينَ . أو : من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخّر .

[٢٥] ﴿ **وإنَّ ربَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ** ﴾ يحشر الأوّلين والآخرين على كثرتهم ﴿ **إنّه حكيمٌ** ﴾ يدبر أمرهم في الحشر على وفق الحكمة ﴿ **عليمٌ** ﴾ بكل ما فيهم من خفايا الصفات الذميمة .

[٢٦] ﴿ **ولقدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ** ﴾ يعني آدم ﴿ **منْ صَلْصَالٍ** ﴾ من طين يابس مصوّت : يُسمع لـه صلصلة إذا نُقر ﴿ **منْ حَمإٍ** ﴾ من طين متغير مسودّ ﴿ **مسْنُونٍ** ﴾ مصوّر ، أو : مصبوب ، أي : مفرّغ على هيئة الإنسان .

[٢٧] ﴿ **والجانَّ خَلَقْنَاهُ منْ قبْلُ** ﴾ من قبل الإنسان ﴿ **من نارِ السَّمُومِ** ﴾ من نار الريح الشديدة الحرّ .

[٢٨] ﴿ **وإذْ قالَ رَبُّكَ للملائكةِ : إنِّي خالقٌ بشراً منْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمإٍ مسْنُونٍ** ﴾ ـ ورد تفسير هذه الألفاظ في الآية رقم ٢٦ السابقة ـ .

[٢٩] ﴿ **فَإذَا سَوَّيْتُهُ** ﴾ عدلت خلقته وأكملتها ﴿ **ونَفَخْتُ فيهِ من رُوحي فَقَعُوا له سَاجِدِينَ** ﴾ تحية له وتعظيماً .

[٣٠] ﴿ **فسجدَ الملائكةُ كُلُّهمْ أجْمَعُونَ** ﴾ بلا استثناء ، وهم الذين لا يعصون الله قط .

[٣١] ﴿ **إلاَّ إبْليسَ أَبى** ﴾ رفض وعصى وتمرّد ، وهو ليس من الملائكة ﴿ **أنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ** ﴾ .

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ يا إبليسُ ، ما لكَ ألاّ تكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ وقد أمرتك بذلك ؟

[٣٣] ﴿ قَالَ ﴾ إبليس ﴿ لمْ أكُنْ لأسْجُدَ لِبَشرٍ خَلَقْتَهُ من صَلْصَالٍ من حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ يعني : وقد خلقتني من نار ، فأنا خير منه ، لأن النّار خير من الطين .

[٣٤] ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ فاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ من زمرة الملائكة المعززين ﴿ فإنَّك رَجِيمٌ ﴾ مطرود من كل خير وكرامة .

[٣٥] ﴿ وإنَّ عَلَيْكَ اللعنةَ إلى يومِ الدينِ ﴾ وهو يوم القيامة .

[٣٦] ﴿ قالَ ﴾ إبليس ﴿ ربِّ فأنْظِرْني ﴾ أمهلني ﴿ إلى يوْمِ يُبعَثُونَ ﴾ يوم القيامة .

[٣٧] ﴿ قالَ ﴾ تعالى ﴿ فإنَّكَ منَ المُنظَرينَ ﴾ كما طلبت .

[٣٨] ﴿ إلى يوْمِ الوقْتِ المَعْلُومِ ﴾ وهو يوم البعث .

[٣٩] ﴿ قالَ ﴾ إبليس ﴿ربِّ بما أغْوَيْتَني﴾ بسبب غوايتي ﴿ لأزيِّنَنَّ لَهُمْ ﴾ المعاصي ﴿ في الأرْضِ ، ولأغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعِينَ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إلاّ عبادَكَ منهُمُ المُخْلَصِينَ ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وجردتهم بالتوجه إليك .

[٤١] ﴿ قالَ ﴾ تعالى ﴿ هذا صراطٌ عليَّ مُسْتقيمٌ ﴾ [أي : هذا طريق مرجعه إليَّ فأجازي كلاًّ بأعمالهم] .

ربع الحزب ٢٧

[٤٢] ﴿ إنَّ عبادي ليسَ لكَ عليْهِمْ سُلطانٌ ﴾ قوة على الإغراء والإغواء أي : أن لا سلطان لك على عبادي المخلصين ، إلا الذين يناسبونك في الغواية والبعد عن صراطي ﴿ إلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ المطبوعين على الغواية .

[٤٣] ﴿ وإنَّ جَهَنَّمَ لَـموْعِدُهُمْ أجْمَعِينَ ﴾ فجهنم جزاء عادل لمن قدم الغواية على الهدى .

[٤٤] ﴿ لَـهَا سَبْعَةُ أبوابٍ ﴾ [روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلىء الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث حتى تملأ كلها] ﴿ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ ﴾ من الغواة ﴿ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ حزب معين مفرز من غيره ، حسبما يقتضيه استعداده .

[٤٥] ﴿ إنَّ المُتَّقِينَ ﴾ من أهل الإيمان والطاعة ﴿ في جنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

[٤٦] ﴿ ادْخُلُوهَا ﴾ يقال لهم : ادخلوها ﴿ بِسَلامٍ ﴾ سالمين ، أو مُسَلَّماً عليكم ﴿ آمِنِينَ ﴾ من الآفات والزّوال .

[٤٧] ﴿ ونَزَعْنَا مَا في صُدُورِهم من غِلٍّ ﴾ من كل حقد كان في الدنيا ، لبعضهم على بعض ﴿ إخواناً ﴾ يدخلونها إخواناً متحابّين ﴿ على سُرُرٍ ﴾ مراتب عالية ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ لتساوي درجاتهم وتقارب مراتبهم .

[٤٨] ﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ تعب ﴿ وَمَا هُمْ منْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ يقيمون في الجنة إلى الأبد .

[٤٩] ﴿ نبِّىءْ عبادي أنِّي أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً . [٥٠] ﴿ وأنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ لمن لم يتب من كفره أو من عصيانه . [٥١] ﴿ونبِّئْهُمْ عنْ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ ﴾ والضيف : يقع على الواحد والجمع [قال ابن جرير: وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم، يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم] .

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

[٥٢] ﴿ **إذْ دَخَلُوا عليهِ فَقَالُوا** : سَلاماً ، قَالَ : إنَّا منكم وَجِلُونَ ﴾ خائفون ، وذلك لمَّا رأى أيديهم لا تمتد إلى طعامه ، وكان ذلك يعني عندهم أن الضيف سيغدر بصاحب البيت .

[٥٣] ﴿ **قَالُوا لا توْجَلْ** ﴾ لا تخف ﴿ **إنَّا نبشِّرُك بغُلام عليم** ﴾ بشَّروه ، بعدما بيّنوا له أنهم ملائكة على صورة البشر.

[٥٤] ﴿ قالَ ﴾ إبراهيم ﴿ **أَبَشَّرْتُموني على أنْ مسَّنِيَ الكِبَرُ** ﴾ والكبر من قبل الزوج والزوجة ـ بالإضافة إلى أن الزوجة عقيم كما في سورة الذاريات (٢٩) ـ مانع من الحمل ﴿ **فَبِمَ تُبشِّرونِ** ﴾ استغرب البشرى وكأنّه قال : ما هذه البشرى ؟ .

[٥٥] ﴿ **قَالُوا** : بشّرناك بالحقِّ فلا تكُنْ مِنَ القانِطِينَ ﴾ الآيسين من ذلك .

[٥٦] ﴿ **قالَ** : ومنْ يَقْنَطُ من رحمةِ ربِّهِ إلَّا الضَّالُّونَ ﴾ يعني : لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمته ، ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله تعالى ، وهو أن يلد للعجوزيْن الكبيريْن ولد .

[٥٧] ﴿ **قالَ** ﴾ إبراهيم بعد أن ذهب عنه الروع ﴿ **فما خطبُكُمْ** ﴾ أمركم الخطير ﴿ **أيُّها المُرسَلُونَ** ﴾ وما الذي أُرسلتُم لأجله .

[٥٨] ﴿ **قالُوا** : **إنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمٍ مُجْرمِينَ** ﴾ أرسلنا الله لإهلاكهم ، يعنون : قوم لوط .

[٥٩] ﴿ **إلَّا آل لُوطٍ إنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ إلا لوط ومن آمن معه فإنهم ناجين .

[٦٠] ﴿ **إلَّا امرأَتَهُ** ﴾ أي : امرأة لوط ﴿ **قدَّرْنَا** ﴾ والله تعالى هو الذي قدّر ودبّر ﴿ **إنَّها لمنَ الغابِرينَ** ﴾ الباقين مع الكفار من قومه لتهلك معهم .

[٦١] ﴿ **فلَمَّا جاءَ آلَ لُوطِ المُرْسَلُونَ** ﴾ لتنفيذ أمر الله بإهلاك قومه .

[٦٢] ﴿ **قالَ** : **إنكم قوْمٌ مُنْكَرُونَ** ﴾ قال لهم لوط : لا أعرفكم ولا أدري من أي الأقوام أنتم وما غايتكم .

[٦٣] ﴿ **قَالُوا** : **بلْ جئنَاكَ بِمَا كَانُوا فيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾ جئناك بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به ، ويكذّبونك لأجله .

[٦٤] ﴿ **وأتيْنَاكَ بالحقِّ** ﴾ باليقين مع هلاكهم ﴿ **وإنَّا لَصادِقُونَ** ﴾ .

[٦٥] ﴿ **فأسْرِ بأَهْلِكَ** ﴾ فاذهب بهم في الليل ﴿ **بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ** ﴾ في فترة منه وهي آخره ﴿ **واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ** ﴾ وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطّلع على حالهم ﴿ **ولا يلتفتْ مِنْكُمْ أحدٌ** ﴾ لينظر ما وراءه ، فيرى من الهول ما لا يطيقه ﴿ **وامْضُوا حيْثُ تُؤْمَرُونَ** ﴾ .

[٦٦] ﴿ **وقَضَيْنَا إليه ذلكَ الأمرَ** ﴾ قضينا : حكمنا ﴿ **أنَّ دابِرَ هؤلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبحِينَ** ﴾ لا يصبح عليهم الصباح حتى يُسْتَأْصَلُوا عن آخرهم .

[٦٧] ﴿ **وجاءَ أهْلُ المدِينَةِ** ﴾ مدينة لوط ﴿ **يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ بضيوفه طمعاً بهم .

[٦٨] ﴿ **قالَ** ﴾ لوط عليه السلام ﴿ **إنَّ هؤلاءِ ضَيْفِي فلا تفضحُونِ** ﴾ بالإساءة إليهم بفحشائكم .

[٦٩] ﴿ **واتّقوا اللّهَ ولا تُخْزُونِ** ﴾ الخزي : العار.

[٧٠] ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي : قوم لوط ﴿ **أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَـمِينَ** ﴾ أن تجير أحداً من النّاس أو تدافع عنه ، وكانوا لعنهم الله لا يتركون أحداً من شرِّهم .

سُورَةُ الحِجْرِ — الجزء الرابع عشر

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ هؤلاءِ بناتي ﴾ أي : عرض عليهم الزواج من بناته ﴿ إن كُنتُمْ فاعِلِينَ ﴾ .

[٧٢] ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسمٌ بحياة النبي ﷺ ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ﴾ غفلتهم التي ذهبت معها أحلامهم ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون فلا يفهمون ما يقال لهم .

[٧٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي : صيحة العذاب ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس .

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا﴾ من تلك الصيحة ﴿عالِيَهَا سافِلَهَا﴾ انقلبت المدينة رأساً على عقب بأهلها ﴿وأمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِن سِجّيلٍ﴾ طين متحجر، لرجمهم على لواطهم .

[٧٥] ﴿إِنَّ في ذَٰلِكَ لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ﴾ النّاظرين في الآيات . [٧٦] ﴿وإنّها﴾ يعني : مدينة قوم لوط المدمَّرة ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ في طريق يسلكه الناس فيتعظون بهم .

[٧٧] ﴿إِنَّ في ذَٰلِكَ لآيةً للمُؤمِنِينَ﴾ إن في هلاكهم لعبرة لهم .

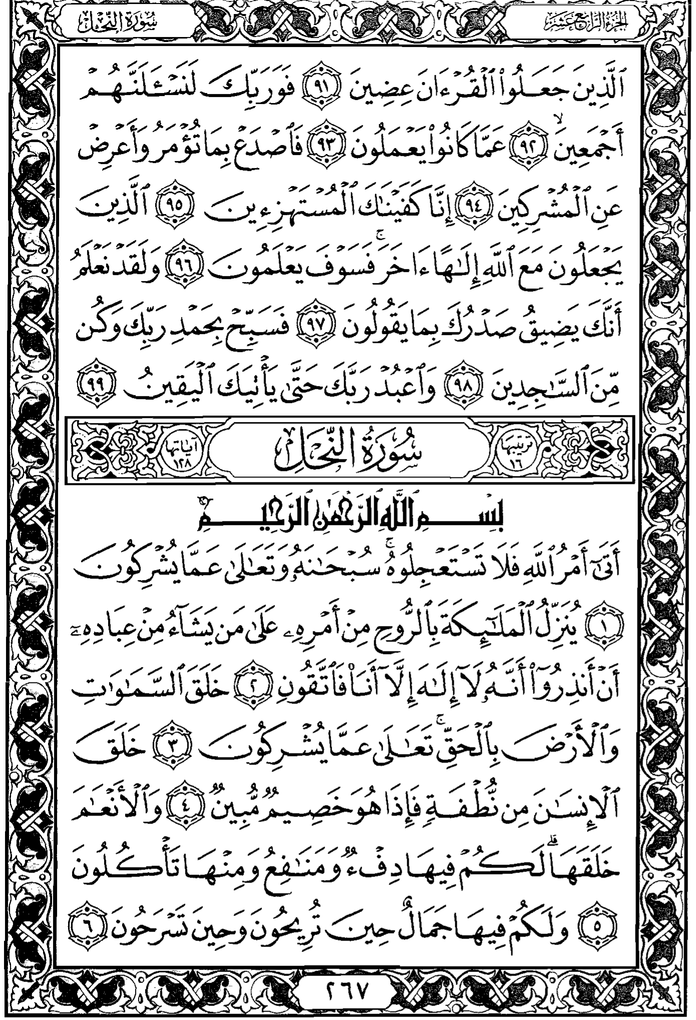
[٧٨] ﴿ وإن كانَ أَصْحَابُ الأيكَةِ ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام ، كانوا يسكنون أيكة ، وهي بقعة كثيرة الأشجار ﴿ لَظَالِمِينَ ﴾ بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان .

[٧٩] ﴿ فانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بعذاب الظُّلّة ، وهي سحابة أظلتهم بنار تقاذفت منها فأحرقتهم ﴿ وإِنَّهُمَا ﴾ يعني قرى قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿ لبإمامٍ مُبِينٍ ﴾ طريق واضح ، وقد كانوا قريباً من قوم لوط ، بعدهم في الزمان ومجاورين لهم في المكان .

[٨٠] ﴿ ولقد كذَّبَ أصْحَابُ الحِجْرِ ﴾ يعني : ثمود ، والحجر : واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه ﴿ المُرْسَلِينَ ﴾ كذبوا صالحاً عليه السلام ، ومن كذب واحداً من الأنبياء ، فقد كذب الجميع . [٨١] ﴿ وآتيناهُمْ آياتنا فَكَانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ ﴾ وهي الدلائل على صدق دعوى نبيّهم ، كالنّاقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صمّاء . [٨٢] ﴿ وكانوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ﴾ من حوادث الدهر . [٨٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ وقت الصباح من اليوم الرابع لعقرهم الناقة . [٨٤] ﴿ فما أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ مَا كَانُوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة ، حتى عقروها لئلا تضيّق عليهم في المياه . [٨٥] ﴿ ومَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ والأرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إلّا بالحَقِّ ﴾ والحكمة الثابتة التي لا تقبل التغير ، وهي الاستدلال بها على الصانع وصفاته ﴿ وإنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ ﴾ أي : فيجزي كلّاً بما كانوا يعملون ﴿ فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ ﴾ [قال قتادة : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد ـ ابن جرير] . [٨٦] ﴿ إنَّ ربَّكَ هُوَ الخلّاقُ العَلِيمُ ﴾ وإنه تعالى قادر على إقامة الساعة .

[٨٧] ﴿ ولقدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ ﴾ السبع المثاني : هو القرآن كله كما قاله ابن عباس في رواية طاوس ، والسبع : يراد بها الكثرة ، والمثاني : جمع مثنى بمعنى التثنية أو الثناء . [٨٨] ﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما متَّعْنَا بِهِ أزواجاً مِنْهُمْ ﴾ أصنافاً من الكفّار متمنّياً لها ، فإنه مستحقر بالنسبة إلى ما أوتيته ﴿ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ لعدم إيمانهم ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَكَ للمُؤْمِنِينَ ﴾ تواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم .

[٨٩] ﴿ وقُلْ : إنّي أنا النَّذيرُ المُبِينُ ﴾ المنذر المظهر للعذاب لمن لم يُؤمن . [٩٠] ﴿ كما أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ ﴾ مثل ما أنزلنا من العذاب على أصحاب صالح عليه السلام ، الذين تقاسموا بالله لَنُبَيِّتَنّهُ وأهله ، فأخذتهم الصيحة فالاقتسام من : القَسَم ، لا من القِسْمَة .



[٩١] ﴿ الذينَ جَعَلُوا القرآنَ عِضِينَ ﴾ أي : أجزاء ، جمع : عِضَة ، والمعني : كفار مكة ، قالوا : سحر ، وقالوا : كهانة ، وقالوا : أساطير الأولين .

[٩٢] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ كُلٌّ بحسب ذنبه .

[٩٣] ﴿ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من التقسيم فيجازيهم عليه [قال ابن جرير: فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان].

[٩٤] ﴿ فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ الصدع : بمعنى الإظهار والجهر ، أي : افرق بين الحق والباطل ﴿ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ ﴾ الذين يرومون صدّك عن التبليغ ، فلا تبال بهم .

نصف الحزب ٢٧

[٩٥] ﴿ إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ ﴾ إنا حفظناك من شرّهم ، فلا ينالك منهم سوء .

[٩٦] ﴿ الذينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخرَ ﴾ والشرك جريمة عظمى وهي أكبر الكبائر ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة أمرهم ومصيرهم .

[٩٧] ﴿ ولقدْ نَعْلَمُ أنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ من كذبهم وافترائهم عليك وعلى دعوتك .

[٩٨] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وكُنْ من السَّاجِدِينَ ﴾ من المصلّين ، من باب إطلاق الجزء على الكل .

[٩٩] ﴿ واعبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأتِيك اليقينُ ﴾ اليقين : الموت ، والمعنى : دُمْ على العبادة ما دمت حيّاً .

[سورة النحل]

سميت هذه السورة بالنحل لورود قصته فيها ، الآية : ٦٨ . وهي مكية ، واستثنى ابن عباس آخرها ، وآياتها ١٢٨ آية . وعن قتادة : تُسمى سورة النِّعم ، وذلك لما عدد الله فيها من النِّعم على عباده .

[١] ﴿ أتى أَمْرُ الله ﴾ أي : الساعة ، وجاء بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ﴿ فلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وكان المشركون يستعجلون العذاب من باب الاستهزاء ﴿ سُبحانَهُ وتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ من الأنداد والشركاء التي يدَّعون أنها ستشفع لهم .

[٢] ﴿ يُنَزِّلُ الملائكة بالرُّوحِ ﴾ الروح : هو الوحي، الذي من جملته القرآن ﴿ من أمرِهِ على مَنْ يشاء مِن عِبادِه: أنْ أنْذِرُوا أنَّه لا إله إلا أنا فاتَّقُونِ ﴾ .

[٣] ﴿ خلقَ السَّمواتِ والأرْضَ بالحقِّ ﴾ أي : بالحكمة ﴿ تعالى عمّا يُشركون ﴾ به غيره .

[٤] ﴿ خلقَ الإنسانَ من نُطْفَةٍ ﴾ مهينة ضعيفة ﴿ فإذَا هُوَ ﴾ بعد تكامله بشراً ﴿ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ مخاصم لخالقه مجادل يجحد وحدانيته ويحارب رسله .

[٥] ﴿ والأنْعَامَ ﴾ وهي الأزواج الثمانية المفصّلة في سورة الأنعام ، قال الزمخشري : وأكثر ما تقع على الإبل ﴿ خَلَقها لَكُم ﴾ لمصالحكم ﴿ فيها دِفْءٌ ﴾ ما يقي البرد من الصوف أو الوبر أو الشعر ﴿ ومنافعُ ﴾ من نسلها ولبنها وركوبها ﴿ ومنها تأكلونَ ﴾ اللحم المباح .

[٦] ﴿ ولكم فيها جَمَالٌ ﴾ أي : زينة ﴿ حين تُرِيحُونَ ﴾ حين تردّونها من مراعيها إلى مُراحها ﴿ وحين تسْرَحون ﴾ تخرجونها إلى المراعي .

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿ **وتحمل أثقالكم** ﴾ أحمالكم ﴿ **إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشِقّ الأنفُس** ﴾ لم تكونوا بالغيه بأنفسكم إلا بجهد ومشقّة ﴿ **إنَّ ربَّكم لرؤوف رَحيمٌ** ﴾ حيث سَخَّرها لمنافعكم.

[٨] ﴿ **والخيلَ والبِغالَ والحميرَ** ﴾ خلقها وسخّرها لكم، وقد ورد في حل أكل لحوم الخيل أحاديث منها ما في الصحيحين وغيرهما من حديث أسماء قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه. وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن جابر قال: أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر الأهلية ﴿ **لِتَركَبُوهَا وَزينَةً** ﴾ كالأنعام ﴿ **ويخلُقُ ما لا تَعْلمونَ** ﴾ من المخلوقات في القِفار والبحار.

[٩] ﴿ **وعلى اللّهِ قَصْدُ السَّبيل** ﴾ أي: حقٌّ عليه سبحانه وتعالى، بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحقِّ الذي هو التوحيد، بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة النّاس إليه ﴿ **ومنها جائرٌ** ﴾ وبعض السبل مائل عن الحق منحرف عنه، لا يوصل سالكه إليه، وهو طريق الضلالة التي لا يكاد يحصى عددها ﴿ **ولو شَاءَ لهداكُم أجْمَعِينَ** ﴾ لم يلزم سبحانه أحداً بطريق يطرقه، لا بطريق الاستقامة ولا بطريق الضلالة، وجعل لكل إنسان مكلّف إرادة حرّة في اختيار سبيله، ليهلك من هلك عن بيّنة وينجو من نجا عن بيّنة.

[١٠] ﴿ **هُوَ الّذي أنزل من السَّماء** ﴾ أي: من السحاب ﴿ **ماء لَكم منه شرابٌ** ﴾ يسكّن حرارة العطش ﴿ **ومنه شَجَرٌ** ﴾ والمراد به كل ما ينبت من الأرض بسبب المطر ﴿ **فيه تُسِيمُونَ** ﴾ ترعون أنعامكم.

[١١] ﴿ **يُنبتُ** ﴾ الله عز وجل ﴿ **لَكُم به الزَّرْعَ** ﴾ الذي فيه قوت الإنسان ﴿ **والزَّيْتُونَ** ﴾ الذي فيه إدامه ﴿ **والنخيلَ والأعْنَابَ** ﴾ اللذين فيهما غذاء ولذة ﴿ **ومن كُلِّ الثَّمَراتِ** ﴾ يخرجها بهذا الماء الواحد، على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها ﴿ **إنَّ في ذَٰلِكَ** ﴾ في إنزال الماء وإنبات النبات المختلف الألوان والطعم كما ورد ﴿ **لآيَةً لقوم يتفكَّرُونَ** ﴾ لَدَلالَةً وحُجَّةً على وحدانيته تعالى.

[١٢] ﴿ **وسخَّر** ﴾ بمعنى: نفع، لأن النفع من لوازم التسخير ﴿ **لَكُمُ اللّيلَ والنَّهارَ** ﴾ لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ﴿ **والشَّمسَ والقمرَ، والنُّجومُ مُسخَّراتٌ بأمره إنَّ في ذَٰلِكَ** ﴾ التسخير ﴿ **لآياتٍ لقوم يعقلون** ﴾.

[١٣] ﴿ **وَمَا ذَرَأَ** ﴾ وما خلق ﴿ **لَكُم في الأرضِ** ﴾ من حيوانٍ ونبات ﴿ **مختلفاً ألوانُه إن في ذلك لآيـةً لقوم يذَّكَّرونَ** ﴾ [قال قتادة: وما خلق لكم مختلفاً ألوانه من الدواب، ومن الشجر والثمار، نِعَم من الله متظاهرة فاشكروها لله ـ ابن جرير].

[١٤] ﴿ **وهُو الَّذي سخَّرَ البحرَ لتأكلوا منه لحماً طريّاً** ﴾ هو السمك ﴿ **وتستخرجوا منه حِلْيَةً** ﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿ **تَلْبَسُونَهَا** ﴾ أي: تلبسها نساؤكم ﴿ **وتَرَى الفُلْكَ** ﴾ السفن ﴿ **مَوَاخِرَ فِيهِ** ﴾ تجري في البحر ﴿ **ولتبتغوا من فضلِهِ** ﴾ لتنتفعوا من سعة رزقه، بركوبها للتجارة ﴿ **ولعلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ فتصرفون ما أنعم به عليكم إلى ما خلق لأجله.

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

[١٥] ﴿ **وألقى في الأرضِ رواسيَ** ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ **أنْ تَميدَ بكم** ﴾ كيلا تميد ، تضطرب ، بكم الأرض ﴿ **وأنهاراً** ﴾ وجعل في الأرض أنهاراً رزقاً للعباد ﴿ **وَسُبُلاً** ﴾ طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى غيرها حتى في الجبال ﴿ **لَعَلَّكُم تهتدونَ** ﴾ بها إلى مآربكم .

[١٦] ﴿ **وعلاماتٍ** ﴾ دلائل يستدل بها المسافرون من جبل ومنهل وغيرهما ، براً وبحراً ، إذا ضلّوا الطريق ﴿ **وبالنَّجْم هم يَهْتَدُونَ** ﴾ في الظلام براً وبحراً .

[١٧] ﴿ **أفمن يخلُقُ** ﴾ لا سيما تلك المخلوقات العظيمة المذكورة ﴿ **كَمَن لا يَخْلق** ﴾ شيئاً ﴿ **أفلا تَذَكَّرون** ﴾ فتعرفوا فسادَ ذلك .

[١٨] ﴿ **وإنْ تَعُدُّوا نعمةَ اللّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ لا تضبطوا عددها ولا تطيقوا القيام بحقّها من أداء الشكر ﴿ **إنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ يتجاوز عن التقصير في أداء شكرها ، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها .

[١٩] ﴿ **واللّهُ يعلمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ** ﴾ من أعمالكم وسيجزيكم عليه .

[٢٠] ﴿ **والَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَخْلُقُونَ شيئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ فالأصنام التي يعبدها المشركون يصنعونها بالنحت والتصوير ، وهم لا يقدرون على نحو ذلك ، فهم أعجز من الذين يعبدونهم من النّاس .

[٢١] ﴿ **أمْواتٌ غيرُ أحْيَاءٍ** ﴾ جمادات لا أرواح فيها ، فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ﴿ **ومَا يَشْعرونَ** ﴾ أي : تلك الأَصْنَامُ المعبودة ﴿ **أيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ متى يكون بعثها ، وقد رُوِي أنها تُبعث ، ويُجعل فيها حياة ، فتبرأ من عابديها ، ثم يُؤمر بها وبهم جميعاً إلى النّار .

[٢٢] ﴿ **إلـٰهُكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ** ﴾ لا إلهَ إلا هو سبحانه وتعالى ﴿ **فالَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ** ﴾ لوحدانيّته تعالى ، جاحدة لها ﴿ **وهم مُسْتَكْبِرُونَ** ﴾ عن عبادته تعالى .

[٢٣] ﴿ **لا جَرَمَ** ﴾ أي : حقاً ﴿ **أنَّ اللّهَ يعلمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُونَ ، إنه لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ عن التوحيد وهم المشركون .

[٢٤] ﴿ **وإذَا قيلَ لَهُمْ : مَاذَا أنْزَلَ رَبُّكم ، قَالُوا : أسَاطِيرُ الأَوّلِينَ** ﴾ أي : لم ينزل شيئاً ، إنّما هذا الذي يُتْلَى علينا أحاديثُ الأوّلينَ اسْتَمَدَّهَا مِنْهَا .

[قال قتادة : أحاديث الأولين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله ﷺ ، فإذا مر بهم أحد من المؤمنين يريد نبي الله ﷺ ، قالوا لهم : أساطير الأولين ، يريد : أحاديث الأولين وباطلهم ـ ابن جرير] .

[٢٥] ﴿ **لِيَحْمِلُوا أوْزَارَهُمْ كاملةً يومَ القِيَامَةِ ومِنْ أوْزارِ الذينَ يُضِلُّونَهُمْ بغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ أي : قالوا ذلك ليحملوا أوزارهم الخاصة بهم ، وهي أوزار ضلالهم في أنفسهم ، وبعض أوزار من أضلّوهم ﴿ **ألاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾ ألا بئس ما يحملون ، وفيه وعيد وتهديد .

[٢٦] ﴿ **قدْ مَكَرَ** ﴾ المكر : الكيد السيىء ﴿ **الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ بأنبيائهم ﴿ **فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القواعِدِ فخرَّ عليهمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ** ﴾ فهدمه عليهم حتّى أهلكهم ﴿ **وَأَتَاهُمُ العَذَابُ** ﴾ أي : الهلاك والدمار ﴿ **مِن حيث لا يَشْعُرُونَ** ﴾ لا يحتسبون .

ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ
ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي
هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٧] ﴿ ثمَّ يومَ القِيامَة يُخْزِيهِمْ ﴾ يُذِلُّهم ويُهينهم بعذاب الخزي ﴿ ويقولُ: أينَ شُركائِيَ الذينَ كُنتم تُشاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ أي: تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ﴿ قالَ الذينَ أُوتُوا العلمَ ﴾ وهم الأنبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم إلى الحقّ فيشاقّونهم ﴿ إنَّ الخِزْيَ اليومَ والسُّوءَ ﴾ أي: الفضيحة والعذاب ﴿ على الكافرينَ ﴾ المشركين به تعالى ما لا يضرّهم ولا ينفعهم.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

[٢٨] ﴿ الذينَ تتَوَفَّاهُمُ الملائكةُ ظَالِمِي أنْفُسِهِمْ ﴾ هذا إخبارٌ عن حال المشركين ظالمي أنفسهم بتبديل فطرة الله، عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم ﴿ فَألْقَوُا السَّلَمَ ﴾ ينقادون ويسالمون ويتركون المشاقّة ويقولون ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ ينكرون أفعالهم في الحياة الدنيا فتُجيبُهُمُ الملائكةُ ﴿ بَلَى إنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان) ـ ابن كثير].

[٢٩] ﴿ فادْخُلُوا أبوابَ جهنَّم خَالِدينَ فِيهَا ﴾ لا يُقْضَى عَلَيْهِم فَيَمُوتُوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عَذَابِهَا ﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ ﴾ بئس المقام لمن كان متكبّراً عن آيات الله واتّباع رسله.

[٣٠] ﴿ وقيلَ للذينَ اتَّقَوْا ﴾ وهم المؤمنون ﴿ مَاذَا أنزل ربُّكم قالوا: خيراً ﴾ أنزل رحمة وبركة لمن اتّبعه وآمن به ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدُّنيا حسنةٌ ولَدارُ الآخرةِ خَيْرٌ ﴾ ولهم في الآخرة ما هو خير منها ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ ﴾ وهي جنّة عدن.

[٣١] ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤونَ ﴾ فيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين ﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ ﴾.

[قال ابن جرير: كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه].

[٣٢] ﴿ الذينَ تَتَوفَّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبِينَ ﴾ أي: طاهرينَ من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي وكل سوء ﴿ يقولون ﴾ أي: الملائكة ﴿ سلامٌ عليكم، ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة، بشارة تبشرهم بها الملائكة ـ ابن جرير].

[٣٣] ﴿ هَل ينظرون إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ الملائكةُ ﴾ لقبضِ أرواحهم بالعذاب ﴿ أوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: العذاب المستأصل، أو يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال ﴿ كذلكَ ﴾ مثل فعل هؤلاء من الشرك والاستهزاء ﴿ فَعَلَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ فتمادَوْا في ضلالهم حتى ذاقُوا بأسَ اللَّهِ ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ لأنه تعالى أعذر إليهم وأقامَ حُجَجَهُ عليهم بإرْسَالِ رُسُلِهِ وإنْزَالِ كُتُبِه ﴿ ولكنْ كَانُوا أنْفُسَهُمْ يظلمونَ ﴾.

[٣٤] ﴿ فَأَصَابَهُم سيئاتُ ما عَمِلُوا ﴾ جزاء سيئات أعمالهم من الشرك وإنكار الوحدانية وتكذيب الرسل ونحوها من المعاصي ﴿ وحاقَ بهمْ ﴾ أحاط بهم ﴿ ما كَانُوا به يَسْتهزئونَ ﴾ من العذاب الذي توعّدتهم به الرسل.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿ **وقَالَ الذينَ أشْرَكُوا** ﴾ غروراً وطعناً في الرِّسالة ﴿ **لـو شاءَ اللَّـهُ مَـا عَبَدْنـا مِنْ دُونِـهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ ولا آبـاؤنَـا ولا حـرَّمْنَـا من دُونِـهِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ وهذا تفسير خاطىء لمعنى القضاء والقدر قائم على الظن مما ابتدعوه واخترعوه من التشريع والتحـريم والتحليل ﴿ **كَذَلِكَ فَعَلَ الَّـذينَ مِنْ قَبْلِـهِـم** ﴾ من الشرك والتحـريم ، متمسكين بمثل هـذه الشبهة ﴿ **فَهَلْ عَلَى الـرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ** ﴾ ليس الأمر كما تزعمـون من أنه لم ينكـره عليكم ، بل قد أنكره عليكم أشـد الإنكار ونهاكم عنه وبعث في كل أمة رسولاً يـدعو إلى عبادة اللهِ وينهى عن عبادة ما سواه .

[٣٦] ﴿ **ولَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً ، أنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ وهـو ما يعبد من دونـه سبحانـه ﴿ **فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ** ﴾ لأنهم آمنوا به كما قال تعالى في سورة التغابن ﴿ ومَن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ والاحتجاج بالقـدر حجة بـاطلة داحضـة ، باتفـاق كل ذي عقل ودين ، وفي الصحيحين عـن معـاذ بـن جبل رضي الله عنه : أنَّ النبي ﷺ قال : (يا معاذ بن جبل ، أتدري ما حقُّ الله على عباده ؟ حقـه على عباده أن يعبـدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتـدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ حقهم عليه أن لا يعذّبهم) ﴿ **ومِنْهم من حقَّت عليـه الضَّلالـةُ** ﴾ لأنهم كما أوضح سبحـانـه اتخذوا الشَّياطين أولياء من دون الله ﴿ **فَسِيرُوا في الأرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَـةُ المُكَذِّبِينَ** ﴾ .

[٣٧] ﴿ **إنْ تَحْرِصْ عَلَى هُـدَاهُمْ فَـإنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ** ﴾ أي : من يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره ﴿ **وَمَا لَهُمْ من نَاصِرِينَ** ﴾ ينصرونهم في الهداية ، أو يدفعون العذابَ عنهم .

[٣٨] ﴿ **وَأَقْسَمُوا باللهِ ، جَهْدَ أَيْمَانِـهِمْ** ﴾ جاهدين فيها ﴿ **لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ** ﴾ لا يعيده إلى الحياة يوم القيامة ﴿ **بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ أنهم يبعثون للحساب يوم القيامة[قال قتادة: إن الناس صـاروا في البعث فريقين: مكذب ومصدق، ذكر لنا أن رجلاً قال لابن عباس : إن ناساً بهذا العراق يزعمون أن علياً مبعـوث قبل يوم القيامة ، ويتأولون هـذه الآية ، فقال ابن عباس : كذب أولئك ، إنما هـذه الآية للناس عامة ، ولعمري لو كان علي مبعوثاً قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ـ ابن جرير] .

[٣٩] ﴿ **لِيُبَيِّنَ لَـهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ** ﴾ وهو الحق ، وأنهم كانوا على الضَّلالة قبله ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ** ﴾ في باطلهم لا سيما في فهمهم الخاطىء لمعنى القدر وفي إنكارهم البعث .

[٤٠] ﴿ **إنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَـهُ : كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له : احدُث ، فهو يحدث مباشرة .

[٤١] ﴿ **والذينَ هَاجَرُوا في اللهِ** ﴾ مخلصين لـوجهه ، أو في حقّـه ، وهم إما مهـاجرة الحبشـة الذين اشتـدّ أذى قومهم لهم بمكـة فأذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة ، أو هم مهاجرة المدينة ﴿ **مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾ أي : أوذوا وأريد فتنتهم عن الدين ﴿ **لَـنُبَوِّئَـنَّـهُمْ في الدُّنيا حسنةً** ﴾ يعني : بالغلبة على من ظلمهم ﴿ **وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَـرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ يعني : مضطهديهم وظالميهم .

[٤٢] ﴿ **الذين صَبَرُوا** ﴾ على ما أوذوا في سبيل الله ﴿ **وعلى رَبِّهم يتوكّلُونَ** ﴾ فلا يخشون أحداً إلا الله .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٣] ﴿ وما أرسلنا من قَبْلِكَ إلَّا رجَالاً نُوحي إليهم ، فاسْألوا أهْلَ الذِّكرِ إنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني : أهل الكتاب أو علماء الأخبار ، وفي الآية دليل على وجوب الرجوع إلى العلماء فيما لا يُعْلَم [قال ابن جرير: يقول لمشركي قريش : وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد ﷺ وقلتم : هم ملائكة ـ أي : ظننتم أن الله كلمهم قبلاً ـ فاسألوا أهل الذكر، وهم الذين قد قرأوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده] .

[٤٤] ﴿ بالبيِّناتِ والزُّبُرِ ﴾ أرسلناهم بالآيات المبرهنة على صدقهم والكتب المرشدة إلى مصالح الخلق ﴿ وأنزَلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ لِتُبيِّنَ للنّاس ما نُزِّلَ إلَيهم ﴾ ما أُمِرُوا به وما نهوا عنه وما وعدوا به أو أُوعدوا ﴿ ولعَلَّهُمْ يَتفَكَّرونَ ﴾ يتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأوّلين .

الحزب ٢٨ سجدة

[٤٥] ﴿ أفأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأرْضَ أو يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ من حيثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ من جهة لا يعلمون بها .

[٤٦] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ في تقلُّبِهِم ﴾ أي : في سعيهم في المعايش واشتغالهم بها ﴿ فَما هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ لا يعجزون ربهم على أية حال كانوا .

[٤٧] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ ﴾ توقّع للهلاك ومخافة له ، أو تنقّص في أبدانهم وأموالهم وثمارهم حتى يهلكوا ، يقال : تخوّفه : تنقّصه وأخذ من أطرافه ﴿ فَإنَّ ربَّكُمْ لرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم بالعقوبة .

[٤٨] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللَّهُ من شيءٍ ﴾ من جسم قائم له ظلّ ﴿ يتفيّؤوا ظِلَالُهُ ﴾ يرجع شيئاً فشيئاً ﴿ عنِ اليمينِ والشَّمائِلِ ﴾ عن جانبي كل واحد منها ، بُكْرَةً وعَشِيّاً ﴿ سُجَّداً للهِ ﴾ منقادة له على حسب مشيئته في الامتداد والتقلص وغيرهما ﴿ وهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ صاغرون .

[٤٩] ﴿ وللهِ يَسْجُدُ مَا في السَّمٰوَاتِ ومَا في الأرْضِ من دابَّةٍ ، والملائكَةُ ، وَهُمْ ﴾ أي : الملائكة ، مع علوّ شأنهم ، وكذلك المتقين ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادته والسجود له . [٥٠] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ العلماء متّفقون على أنه علوٌّ بلا تشبيه ولا تمثيل ﴿ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ من الطاعات والتدبير. [٥١] ﴿ وقالَ اللَّهُ : لا تَتَّخِذُوا إلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ خصّص هذا العدد لأنه الأقل ، فيعلم انتفاء ما فوقه بالدلالة ﴿ إنَّما هُوَ إلهٌ واحدٌ ﴾ لا إله إلا هو ﴿ فإيّايَ فارْهَبُونِ ﴾ مبالغة في الترهيب . [٥٢] ﴿ ولهُ ما في السَّمٰواتِ والأرضِ ، ولهُ الدِّينُ وَاصِباً ﴾ أي : العبادة لازمة له وحده ، وذلك يقتضي تخصيصه تعالى بالرهبة والخشية ﴿ أفغَيْرَ اللهِ تتَّقُونَ ﴾ وهو مالك النفع والضر.

[٥٣] ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فمِنَ اللهِ ﴾ فمن فضله وإحسانه ﴿ ثُمَّ إذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فإليهِ تَجْأَرُونَ ﴾ لا تتضرعون إلا إليه ، لعلمكم أنه لا يقدر على كشفه إلا هو سبحانه ، والجؤار: رفع الصوت . وجأر: أفرط في الدعاء والتضرع .

[٥٤] ﴿ ثُمَّ إذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ ﴾ استجابة منه لدعائكم ﴿إذا فريقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكونَ﴾ نسبته النعمة إلى غيره ورؤيتها منه ، وكذا بنسبة الضُّرِّ إلى الغير، وإحالة الذنب في ذلك عليه .

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

[٥٥] ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ من نعمة الكشف عنهم ﴿ فَتَمَتَّعُوا ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وبال ذلك الكفر في الآخرة.

[٥٦] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد ﴿ نَصِيباً مِمَّا رزقْناهُمْ ﴾ من الزرع والأنعام وغيرهما تقرباً إليها ﴿ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ ﴾ يوم القيامة ﴿ عَمَّا كُنْتُم تَفْتَرُونَ ﴾ من أنها آلهة يُتقرب إليها، والافتراء: الكذب.

[٥٧] ﴿ وَيَجْعَلُونَ للهِ البناتِ ﴾ الملائكة الذين هم عباد الرحمن ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ وذلك تنزيه له سبحانه عن هذه الفرية ﴿ ولهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ وهم لا يرضونها لأنفسهم لأنهم يشتهون الذكور.

[٥٨] ﴿ وإذَا بُشِّرَ أحَدُهُمْ بالأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ ﴾ صار أو دام النهار كله ﴿ مُسْوَدّاً ﴾ متغيراً مائلاً إلى السواد والاحتقان من الغم والحزن والغيظ والكراهة ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مشتد الغيظ على امرأته.

[٥٩] ﴿ يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ ﴾ يستخفي منهم ﴿ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ من أجله وخوف التعيير به ﴿ أيُمْسِكُهُ على هُونٍ ﴾ محدِّثاً نفسه مُتفكراً في أن يتركه ـ أي مولوده الأنثى ـ على هوان وذلّ ﴿ أمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ ﴾ يدفنه حياً على عادتهم في وأد البنات ﴿ ألَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيث يجعلون مخلوق الله الأنثى بهذه الحقارة والذل والهوان عندهم لله، تعالى وتقدس.

[٦٠] ﴿ للذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ ﴾ مثل الذين ذُكِرت مساوئهم ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ صفات الذل من الحاجة إلى الأولاد الذكور، وكراهة الإناث ووأدهن ﴿ وللهِ المَثَلُ الأعْلَى ﴾ الوصف العالي الشأن، والكمال المطلق ﴿ وهُوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾.

[٦١] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم ﴿ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ على الأرض ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ لأهلك كل ما على وجه الأرض بسبب ظلم الظالمين ﴿ ولكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ إلى وقت معين تقتضيه الحكمة، يستغفر منهم من يستغفر فيغفر له، ويصرّ من يصرّ فيزداد عذاباً ﴿ فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ ﴾ المسمى ـ المحدد ـ ﴿ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعةً ولا يستَقْدِمُونَ ﴾ أي: يموتون في الوقت الذي كتبه الله بدون تقديم أو تأخير.

[٦٢] ﴿ وَيَجْعَلُونَ للهِ ﴾ أي: ينسبون إليه ﴿ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ من البنات ومن الشركاء، وهم يأنفون من الأولى كما يكرهون مشاركة أحد لهم في مالهم ﴿ وتَصِفُ ألسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أنَّ لَهُمُ الحُسْنَى ﴾ يجعلون لله ذلك، مع دعواهم أن لهم العاقبة الحسنى عند الله، إن كان ثَمَّ مَعَادٌ ﴿ لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّارَ وأنَّهُم مُفْرَطُونَ ﴾ أي: مُعَجَّلون إليها ومُقدَّمون. من: الفرط، وهو السابق إلى الورد. أو: متروكون منسيّون في النّار، من: أفرطته، بمعنى تركته ونسيته.

[٦٣] ﴿ تاللهِ لقدْ أرْسَلْنَا إلى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهم ﴾ من الكفر والتكذيب والعناد ﴿ فهُوَ وليُّهُمُ اليومَ ﴾ أي: قرينهم، يُغويهم. أو المراد باليوم: يوم القيامة، والوليّ بمعنى: النّاصر ﴿ ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾.

[٦٤] ﴿ وما أنزلنا عَلَيْكَ الكِتَابَ إلاّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الذي اختلَفُوا فيهِ ﴾ فالقُرْآنُ هو الفُرْقَانُ الفاصل بين الحق والباطل ﴿ وهُدًى ﴾ للقلوب ﴿ ورحمةً لقومٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿ **واللّهُ أنزلَ منَ السَّماءِ** ﴾ من المزن ، أي : السحاب ﴿ **ماءً فأحيَا بهِ الأرضَ بعْدَ موْتِهَا** ﴾ بالنبات والزرع ، بعد جدبها ويبسها ﴿ **إنَّ في ذلِكَ لآيةً لقوْمٍ يسْمَعُونَ** ﴾ هذا التذكير ويعقلونه .

[٦٦] ﴿ **وإنَّ لكُمْ في الأنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقيكُم ممَّا في بُطُونـهِ مِنْ بَيْنِ فرْثٍ** ﴾ وهو ما في الكَرِش من الثّفل ﴿ **ودَمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشَّاربِينَ** ﴾ أي : سهل المرور في حلوقهم .

[٦٧] ﴿ **ومن ثَمراتِ النَّخيلِ والأعْنابِ تتَّخِذُونَ منْهُ سَكَراً** ﴾ السَّكَرُ : مصدر سُمِّيَ به الخمر ﴿ **ورزْقاً حَسَناً** ﴾ كالزبيب والتمر وما أشبهها ﴿ **إنَّ في ذلكَ لآيةً** ﴾ دلائل وبيّنات ﴿ **لقوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ فالعقل أشرف ما في الإنسان ، ولهذا حرَّم اللهُ المسكرات صيانة للعقول .

[٦٨] ﴿ **وأوْحى ربُّكَ** ﴾ المراد من الوحي : الإلهام والهداية ﴿ **إلى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذي منَ الجِبالِ بُيُوتاً ومنَ الشَّجَرِ ومِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾ أي : يبنون العروش ، جمع : عرش ، وهو البيت الذي يستظل به كالعريش .

[٦٩] ﴿ **ثمَّ كُلي من كُلِّ الثَّمراتِ** ﴾ من كل ثمرة تشتهيها ، حلوها ومرّها ﴿ **فاسْلُكي سُبُلَ ربِّكِ** ﴾ الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل ﴿ **ذُلُلاً** ﴾ مذلّلة ذلّلها الله لك وسهّلها ﴿ **يَخْرُجُ من بُطُونِهَا شرابٌ** ﴾ سمى العسلَ شراباً ، لأنه يُشرَب مع الماء وغيره ﴿ **مُخْتَلِفٌ ألوانُهُ** ﴾ فمنه أبيض وأصفر وأحمر ﴿ **فيهِ شِفاءٌ للنَّاسِ** ﴾ لأنَّه من جملة الأدوية في بعض الأمراض ﴿ **إنَّ في ذلكَ لآيةً لقوْمٍ يتفكَّرونَ** ﴾ فيعتبرون ويستدلّون على وحدانيّته سبحانه ، وانفراده بألوهيته . [قال البخاري رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شَرطَةِ مِحجَم ، أو شربةِ عسل ، أو لذعة بنار توافق الدواء ، وما أحب أن أكتوي) ـ ابن كثير] .

[٧٠] ﴿ **واللّهُ خَلَقَكُمْ** ﴾ أنشأكم من العدم ﴿ **ثمَّ يتوفَّاكُمْ** ﴾ بالموت ﴿ **ومنكُم مَنْ يُردُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ** ﴾ أي : أضعفه وأردئه وهو الهرم ﴿ **لكيْ لا يَعْلَمَ بعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً** ﴾ حيث يصير جاهلاً بعدما كان عالماً ﴿ **إنَّ اللَّهَ عَليمٌ قديرٌ** ﴾ .

[٧١] ﴿ **واللّهُ فضَّلَ بعضَكُمْ على بعْضٍ في الرِّزْقِ** ﴾ أي : جعلكم متفاوتين فيه ﴿ **فَما الَّذينَ فُضِّلُوا** ﴾ في الرزق ﴿ **برادّي رِزقِهِمْ على ما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ** ﴾ فالمُلّاك لا يعطون عبيدَهم مالَهُمْ ﴿ **فهُمْ فيه سواءٌ** ﴾ فيستووا مع عبيدهم في الرزق . والآية مَثَلٌ ضُرِب للذين جَعَلُوا له تعالى شركاء ، أي : أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمتُ بِهِ عليكم ، ولا تجعلونهم فيه شركاء ، ولا ترضون ذلك لأنفسكم ، فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء في الألوهية والتعظيم ؟ ﴿ **أفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ فَيُشْرِكونَ معهُ غيرَهُ ، وهو المنعم عليهم ؟ .

[٧٢] ﴿ **واللّهُ جعلَ لكُمْ منْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً** ﴾ من جنسكم وشكلكم إناثاً أزواجاً لتأنسوا بها وتحصل المودة والألفة والرحمة ﴿ **وجَعَلَ لكمْ مِنْ أزْواجِكُم بنينَ وحَفَدَةً** ﴾ أولاد وأولاد أولاد ﴿ **ورزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أفبالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ** ﴾ وهو منفعة الأصنام وشفاعتها ﴿ **وبنعمةِ اللّهِ هُمْ يكْفُرونَ** ﴾ في إضافة نعمه إلى الأصنام ، أو في تحريم ما أحلّ لهم .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ربع الحزب ٢٨

[٧٣] ﴿ ويَعبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِن السَّمٰواتِ والأرضِ شَيْئاً ﴾ من مطر أو نبات ﴿ ولا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لا استطاعة لهم أصلاً .

[٧٤] ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا للَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ فلا تجعلوا له أنداداً وأمثالاً ﴿ إنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ ﴾ قُبحَ ما تُشركُونَ ﴿ وأنتم لا تَعْلَمُونَ ﴾ ولو علمتموه لما جرأتم عليه .

[٧٥] ﴿ ضربَ اللَّهُ مثلاً ﴾ يعني : أن مَثَل هـؤلآءِ في إشراكهم ﴿ عَبْداً مَمْلُوكاً لا يقْدِرُ على شيءٍ ومَنْ رزقناهُ منَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُـوَ يُنْفِقُ منْهُ سِرًّا وجَهْراً ﴾ مثَلُ من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف ، وبين حرٍّ مالكٍ يتصرف في ماله كيف يشاء ﴿ هلْ يَسْتَوُونَ ﴾ مع أنهما سيّان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى ﴿ الحمدُ للَّهِ ﴾ على ما هدى أولياءَه وأنعم عليهم من التوحيد ﴿ بلْ أكثرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ هذه الحجة بهذا المثل مع ظهورها ووضوحها . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافرِ والمؤمن ، وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير ، فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر ، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سراً وجهراً هو المؤمن . وقال مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى ، فهل يستوي هذا وهذا ؟ ـ ابن كثير] .

[٧٦] ﴿ وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً ﴾ آخر ، يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح ﴿ رَجُلَيْنِ أحدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ أخرس ﴿ لا يَقْدِرُ على شيءٍ ﴾ مما يقدر عليه المتكلم الفصيح ﴿ وَهُوَ كَـلٌّ على مَوْلاهُ ﴾ ثقيل على من يلي أمره ﴿ أَيْنَمَا يُوجِّههُ لا يأْتِ بخيرٍ ﴾ حيث يرسله في أمر لا ينجح في عمله لعاهته ﴿ هل يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يأمُرُ بالعَدْلِ ﴾ ومن هو بليغ ذو كفاية ورشد لينفع النّاس ﴿ وَهُوَ ﴾ في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام ﴿ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ على سيرةٍ صالحة ودين قويم ، كأنه قال : لا تسووا بين الصنم الكَلِّ وبين الخالق جل جلاله .

[٧٧] ﴿ وللَّهِ غَيْبُ السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه ، أو المقصود عِلْمُ يوم القيامة ﴿ وَمَا أمرُ السَّاعةِ إلاَّ كلمحِ البَصَرِ ﴾ الساعة : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، واللمح : النظر بسرعة ، أي : كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ﴿ أوْ هُوَ أقربُ ﴾ من ذلك ، أي : أسرع زماناً ﴿ إنَّ اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ .

[٧٨] ﴿ واللَّهُ أخْـرَجَكُمْ من بُطُـونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُـونَ شيئاً ﴾ من حق النعم وغيره ، بل أنتم لا تعلمون شيئاً أصلاً ﴿ وجعلَ لكُمُ السَّمْـعَ ﴾ فتدركون به الأصوات ﴿ والأبصَارَ ﴾ فتحسُّون المرئيّات ﴿ والأفئِدَةَ ﴾ أي : العقول ﴿ لعلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لتصرفوها فيما خُلقت له من التوحيد والاعتبار بها والمشي على السنن الكونيّة .

[٧٩] ﴿ أَلَـمْ يـرَوْا إلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ ﴾ مُذَلّلات ﴿ في جوِّ السَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ اللَّهُ ﴾ فهو سبحانه جعل فيها خاصية الطيران في الجوّ من غير تعلّق بمادّة ولا اعتماد على جسم ثقيل ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقوْمٍ يُؤْمنُونَ ﴾ .

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] ﴿ واللَّهُ جَعَلَ لكُم من بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾ موضعاً تسكنون فيه وتأوون إليه ﴿ وجَعَلَ لكُمْ مِنْ جُلُودِ الأنْعَام بُيُوتاً ﴾ وهي الخيام والفساطيط والقباب المتخذة من الجلود نفسها ، أو من الوبر والصوف ﴿ تستخفُّونها يوْمَ ظعْنِكُمْ ويوْمَ إقـامَتِكُمْ ﴾ تجدونها خفيفـــة عليكم في أوقات السفـر والحضر جميعاً ﴿ ومِنْ أصْوافِها وأوْبَارِها وأشعَارِهَا ﴾ أي : الأنعـام ﴿ أثاثاً ومتَاعاً إلى حينٍ ﴾ الأثاث : ما يُتخذ للاستعمال بلبس أو فرش ، والمتاع : ما يتخذ للتجارة .

[٨١] ﴿ واللَّهُ جعَلَ لكُم مِمَّا خلقَ ﴾ من الشجر والجبال والأبنية وغيرها ﴿ ظِلالاً ﴾ تستظلُّونَ بها من حر الشمس ﴿ وجعلَ لكُم مِنَ الجِبَـالِ أكْناناً ﴾ ومعاقل وحصوناً تستترون بها ﴿وجَعَلَ لَـكُمْ سَرَابِيلَ تقيكُمُ الحرَّ ﴾ جمع سربال : وهو كل ما يلبس من القطن والكتان والصوف ونحوها . وخصّ الحرّ ، اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر ﴿وسرابيلَ تقِيكُم بـأْسَكُمْ﴾ كالدّروع من الحديد والزرد ونحوهـا ، التي يتقى بها سلاح العدوّ في الحرب ﴿ كذلِكَ يُـتِمُّ نِعمَتَـهُ عَلَيْكُمْ لعلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ وجوهَكم إليه تعالى ، وتؤمنوا به وحده .

[٨٢] ﴿ فإنْ تَوَلَّوْا ﴾ بعـد هذا البيـان وهذا الامتنـان ﴿ فإنَّـمَا عليكَ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ البَلاغُ المُبِينُ ﴾ .

[٨٣] ﴿ يَعْرِفُـونَ نِعْمَةَ اللَّـهِ ﴾ التي عُـــدِّدت ﴿ ثُمَّ يُنكِرونَها﴾ بعبادتهم غير المُنْعِم بهَا ، وقـولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ﴿ وأكْثرُهُمُ الكافِرُونَ ﴾ [قال ابن جرير: معنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بِك ، ثم ينكرونكَ ويجحدون نبوتك ، وأكثر قومك الجاحدون نبوتك لا المقرون بها] .

[٨٤] ﴿ ويومَ نَـبْعَثُ من كلِّ أُمَّةٍ شهيداً ﴾ وهو نبيّها ، يشهد عليها بما أجابته من إيمان وكفر فيما بلّغها ﴿ ثُمَّ لا يُؤْذَنُ للذينَ كَفَرُوا ﴾ في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه ﴿ ولا هُمْ يُسْتعْتَبُونَ ﴾ لا يُطلب منهم إزالة عتَب ربهم وغضبـه ، والعُتبى : بالضم : الرضـا وهو الرجوع عن الإسـاءة إلى ما يرضي العاتب ، فإذا لم يَطلب العتاب منه ، دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه .

[٨٥] ﴿ وإذَا رأى الذينَ ظلموا العـذابَ فلا يُخفَّفُ عنهم ولا هم يُنْظَرونَ ﴾ ولا يؤخَّرون [لأن وقت التـوبة والإنابة قـد فات ، فليس ذلك وقتاً لهما ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة ـ ابن جرير] .

[٨٦] ﴿ وإذَا رأى الذينَ أشركوا شُركاءَهُم ﴾ يعني : أوثانهم التي عبدوها ﴿ قَالُوا : ربَّنا هؤلاءِ شُرَكَاؤُنَا الذينَ كُنَّا ندْعُو من دُونِـكَ ﴾ أي : نعبدها ﴿ فألْقَوْا إليهِمُ القوْلَ : إنَّـكم لكاذِبُونَ ﴾ أجابوهم بالتكذيب في تسميتهم شركاء وآلهة ، تنزيهاً لله عن الشرك ، أو بالتكذيب في دعواهم أنهم حملوهم على عبادتهم .

[٨٧] ﴿ وَأَلْقَوْا ﴾ وألقى الذين ظلموا ﴿ إلى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ﴾ الاستسلام لحكمه بعد إبائهم في الدنيا ﴿ وضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يفْتَرونَ ﴾ من أنَّ لِلَّهِ شركاء ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

[٨٨] ﴿ **الذينَ كَفَرُوا وصدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ** ﴾ الذين لم يكتفوا بكفرهم بل عملوا على حمل الآخرين على الكفر ﴿ **زِدْنَاهُم عَذَاباً فَوْقَ العذابِ بمَا كانُوا يُفْسِدُونَ** ﴾ ضاعف الله لهم العذاب كما ضاعفوا كفرهم بصدّهم غيرَهم عن الإيمان .

نصف الحزب ٢٨

[٨٩] ﴿ **ويومَ نبعثُ في كلِّ أمَّةٍ شَهيداً عليهِمْ منْ أنفُسِهِمْ** ﴾ وهو نبيّهم ﴿ **وجِئْنا بكَ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **شهيداً على هؤلآءِ** ﴾ اذكر ذلك اليوم ، وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع ، وما يلحق الكافرين فيه من تمني كونهم تراباً ﴿ **ونزّلْنَا عليْكَ الكتابَ** ﴾ القرآن الكريم ﴿ **تِبْياناً لكلِّ شيءٍ** ﴾ لكل علم نافع ﴿ **وهُدىً** ﴾ هداية لمن استسلم وانقاد لسلامة فطرته ﴿ **ورحمةً** ﴾ نجاته من العذاب وبشارة له بالسعادة الأبدية إن اتّبع الكتاب المنزل والنبي المرسل ﴿ **وبُشْرى للمسلمينَ** ﴾ .

[٩٠] ﴿ **إنَّ اللَّهَ يأمُرُ** ﴾ فيما نزله في القرآن ﴿ **بالعدْلِ** ﴾ ترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه ﴿ **والإحْسَانِ** ﴾ التفضل بأن يقابل الخير بأكثر منه ، والشر بأن يعفو عنه ﴿ **وإيتاءِ ذِي القُرْبى** ﴾ إعطاء القرابة ما يحتاجون إليه ﴿ **وينْهىٰ عن الفَحْشَاءِ** ﴾ عما فحش من الذنوب كالزنى ﴿ **والمُنكَرِ** ﴾ كل ما أنكره الشرع ﴿ **والبَغْي** ﴾ العدوان على الناس ﴿ **يعظُكُمْ** ﴾ بما يأمركم وينهاكم ﴿ **لعلَّكُمْ تذكَّرُونَ** ﴾ لعلكم تتّعظون بمواعظ الله ، فتعملون بما فيه رضاه . وعن ابن مسعود : إنّ أجمعَ آية في القرآن ، لخير وشر ، هذه الآية .

[٩١] ﴿ **وأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ** ﴾ نزلت في بيْعة النبي ﷺ . كان من أسلم بايع النبي ﷺ على الإسلام ، فأُمِروا بالوفاء بهذه البيعة وأن لا ينقضوها بعد توكيدها بالأيمان ﴿ **وَلاَ تَنْقُضُوا الأيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وقد جعلتُمُ اللَّهَ عَلَيكم كفيلاً** ﴾ شهيداً ورقيباً ﴿ **إنَّ اللَّهَ يعلمُ ما تَفْعَلونَ** ﴾ فيه ترغيب بثوابه وترهيب من عقابه .

[٩٢] ﴿ **ولا تكُونُوا كالتّي نَقَضَتْ غزْلَهَا منْ بعدِ قوَّةٍ أنكاثاً** ﴾ فجعلته أنقاضاً ، جنوناً منها وحمقاً . تأكيد لوجوب الوفاء وتحريم النقض ﴿ **تتَّخِذُونَ أيمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ** ﴾ مفسدة بينكم ﴿ **أنْ تكونَ أُمَّةٌ هيَ أرْبَى منْ أُمَّةٍ** ﴾ أي : بسبب أن تكون جماعة كقريش ، هي أزْيَد عدداً وأوفر مالاً من جماعة كالمؤمنين ﴿ **إنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ** ﴾ يعاملكم معاملة من يختبركم لينظر أتتمسّكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكّدتم من أيمان البيْعة لرسول الله ﷺ ، أم تغترّون بكثرة قريش وثروتهم وقوّتهم ، وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم ؟ ﴿ **ولَيُبَيِّنَنَّ لكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ فيتميز المحق من المبطل ، بما يظهر من درجات الثواب والعقاب .

[٩٣] ﴿ **ولو شاءَ اللَّهُ لجعلكُمْ أمَّةً واحدةً** ﴾ حنيفة مسلمة ﴿ **ولكن يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ ولَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ في الدنيا ، سؤال تبكيت ومجازاة ، لا استفسار وتفهم .

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

[٩٤] ﴿ ولا تتَّخذوا أيمانَكُم دَخَلاً بَيْنَكُم ﴾ لا تجعلوا الحلف للإفساد بينكم ﴿ فتزلَّ قدمٌ بَعْدَ ثبوتِها ﴾ فتزل أقدامكم عن الحق ، بعد رسوخها فيه ﴿ وتَذُوقُوا السُّوءَ ﴾ في الدنيا ﴿ بِمَا صددتُّم ﴾ بصدودكم عن الوفاء ، أو بصدّكم غيركم ﴿ عنْ سَبيلِ اللهِ ، ولكمْ عذابٌ عظيمٌ ﴾ في الآخرة .

[٩٥] ﴿ ولا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قليلاً ﴾ لا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله عرضاً من الدنيا يسيراً ، وهو ما كانت قريش يَعِدونهم ويمنّونهم إن ارتدّوا ﴿ إنَّما عندَ اللهِ هُوَ خيرٌ لكُمْ ﴾ من نصركم في الدنيا وإثابتكم في الآخرة ﴿ إن كنتم تعلَمونَ ﴾ إن كنتم من ذوي العلم والتمييز.

[٩٦] ﴿ مَا عندَكُمْ ينفَدُ وما عِندَ اللهِ باقٍ ﴾ ثوابه لكم في الجنّة باق لا انقطاع له ﴿ ولَنَجْزِيَنَّ الذينَ صَبَرُوا أجْرَهُمْ ﴾ على أذى المشركين ومشاقّ الإسلام ﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بجزاء أحسن من أعمالهم .

[٩٧] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالحاً ﴾ وهو العمل التابع لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ﴿ منْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُو مُؤمنٌ ﴾ ثابت على إيمانه إلى أن يموت ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيِّبةً ﴾ فالمؤمن الصالح يتمتع في الحياة الدنيا كأحسن ما يكون التمتع ، ويطمئن فيها بلذة اليقين ، وحلاوة الإيمان ، والرغبة في الموعود ، والرِّضا بالقضاء ﴿ ولَنَجزِينّهم أجرَهُم بأحْسَنِ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وكذلك يوم القيامة .

[٩٨] ﴿ فإذا قَرَأْتَ القرآنَ فاسْتَعِذْ باللهِ منَ الشَّيْطَانِ ﴾ الذي يسعى جهده للوسوسة والتشويش على المؤمن وإثارة الشبهات ، خاصة عند تلاوة القرآن الكريم وعند الصلاة ﴿ الرَّجيم ﴾ الملعون المرجوم باللعنة ، أو المطرود .

[٩٩] ﴿ إنَّهُ ﴾ أي الشيطان ﴿ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ على الذِينَ آمَنُوا وعلى ربِّهم يتوكّلُونَ ﴾ بصبرهم على المكاره ، وعدم مبالاتهم بما يلقون في سبيل الجهاد بالحق من العثرات .

[١٠٠] ﴿ إنَّما سُلْطَانُه على الذينَ يتولَّوْنَهُ والذينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي : بسبب إغواء الشيطان لهم وغروره ووسوسته هم مشركون .

[١٠١] ﴿ وإذا بدَّلْنا آيةً مكانَ آيَةٍ ﴾ المعنى : تبديل آية من آيات الأنبياء المتقدمين ، كآية موسى وعيسى وغيرهما من الآيات الكونية الآفاقية ، بآية أخرى نفسية علمية كالقرآن الكريم ، وهي كون المنزل هدى ورحمة وبشارة يدركها العقل إذا تنبّه لها وجرى على نظامه الفطريّ ﴿ واللَّهُ أعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ وذلك لاستعداد الإنسان وقتئذ ، لأن يخاطب عقله ويستصرخ فهمه ولبه ، فلم يؤت من قِبَلِ الخوارق الكونية ويدهش بها كما كان لمن سلف ﴿ قالوا : إنَّما أنتَ مُفْتَرٍ ﴾ وما ذاك إلا لجهلهم المتناهي ، إذ حسبوا أن المعجزة لا تكون عقلية وإنما ماديّة فقط ﴿ بلْ أكثرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي أكثر الكفار جاهلون وفي ذلك توبيخ للكفار وتنبيه على فساد رأيهم .

[١٠٢] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ أي : القرآن الكريم ﴿ رُوحُ القُدُسِ ﴾ يعني : جبريل عليه السلام . أُضيف إلى : القُدُس ، وهو الطهر ، والمقدس : المطهر من الأدناس البشرية ﴿ مِنْ ربِّكَ بالحقِّ ﴾ بالحق الثابت الموافق للحكمة التي اقتضاها دور عصره ﴿ لِيُثبّتَ الذينَ آمَنُوا ﴾ على الحق ونبذ وساوس الشياطين ﴿ وهُدىً وبُشْرى للمُسْلِمِينَ ﴾ .

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

[١٠٣] ﴿ **ولقدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إنَّما يُعَلِّمه بشرٌ** ﴾ أي : نعلم أن المشركين يدعون أن الذي يعلم الرسول ﷺ هو رجل أعجمي كان بين أظهرهم يقرأ في الكتب المتقدمة ، ولم يصرِّح باسمه للإيذان بأن مدار خطئهم ليس بنسبته ﷺ إلى التعلم من شخص معين بل من البشر كائناً مَنْ كان ﴿ **لِسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إليهِ أعْجَمِيٌّ ، وهذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ ومن أين للأعجميّ أن يذوق بلاغة هذا التنزيل ، وما حواه من العلوم .

[عن عبد الله بن مسلم قال : كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر ، اسم أحدهما «يسار» والآخر «جبر» ، وكانا صيْقلين يقرآن كتباً لهما بلسانهما ، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما ، وكان المشركون يقولون : يتعلم منهما . فأنزل الله تعالى فأكذبهم : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربيّ مبين ﴾ - النيسابوري] .

[١٠٤] ﴿ **إنَّ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بآياتِ اللهِ لا يهديهِمُ اللَّهُ ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ** ﴾ تهديد لهم على كفرهم بالقرآن الكريم .

[١٠٥] ﴿ **إنَّما يَفْتَرِي الكَذِبَ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بآياتِ اللهِ** ﴾ لأن المؤمن أبعد الناس عن الكذب والافتراء ﴿ **وأولئكَ هُمُ الكاذِبُونَ** ﴾ ولا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى ، والطعن فيها . وروي أنه قيل للنبي ﷺ : هل يكذب المؤمن ؟ قال : (لا) ، ثم قرأ هذه الآية .

[١٠٦] ﴿ **مَنْ كفرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانِه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وقلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ** ﴾ استثنى المُكْره المطمئن القلب بالإيمان بالله ورسوله ﷺ ، فإنه إذا وافق المشركين بلفظ ، لإيلام قوي وإيذاء شديد أو تهديد بقتل ، فلا جناح عليه . وروى ابن عباس أنها نزلت في عمار بن ياسر حين عذّبه المشركون حتى يكفر بالنبي ﷺ فوافقهم مُكْرَهاً ، ثم جاء معتذراً ، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال له : (كيف تجد قلبك ؟) قال : مطمئناً بالإيمان ، قال ﷺ : (إن عادوا فعُدْ) ﴿ **ولكنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْراً** ﴾ أي : طاب به نفساً واعتقده استحباباً للحياة الدنيا الفانية ، أي إيثاراً لها على الآخرة الباقية ﴿**فعليهم غضبٌ من اللهِ ولهمْ عذابٌ عظيمٌ**﴾ .

[١٠٧] ﴿**ذلِكَ**﴾ سبب غضب الله عليهم ودخولهم العذاب العظيم ﴿**بأنَّهُمُ استحبُّوا الحياةَ الدُّنيا على الآخِرَةِ**﴾ فباعوا دينهم بدنياهم ﴿**وأنَّ اللَّهَ لا يهدي القوْمَ الكافِرِينَ**﴾ .

[١٠٨] ﴿**أولئكَ الذينَ طبعَ اللَّهُ على قُلُوبهم وسَمْعِهِمْ وأبْصَارِهِمْ**﴾ فهم لا يستفيدون منها في فهم الحق كما يفعل المؤمن ﴿ **وأولئكَ هُمُ الغَافِلُونَ** ﴾ عن الحق وطريقه .

[١٠٩] ﴿**لا جَرَمَ**﴾ حقاً ﴿**أنّهم في الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ لأن العذاب مثواهم .

[١١٠] ﴿**ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للذينَ هاجَرُوا من بعْدِ مَا فُتِنُوا**﴾ الذين كانوا مستضعفين بمكة ، مهانين في قومهم ، وافقوهم على الفتنة ظاهراً ، ثم أمكنهم الخلاص بالهجرة ، بعد ذلك ، فتركوا بلادهم وأهاليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه ﴿**ثمَّ جاهَدُوا وصَبَرُوا**﴾ وجاهدوا الكافرين وصبروا على مشاقّ الجهاد ﴿**إنَّ ربَّكَ مِنْ بَعْدِها لغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ .

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٨

[١١١] ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عن نَفْسِهَا** ﴾ تحاجّ وتسعى في خلاصها لا يهمها إلا ذاتها وشأنها ﴿ **وتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ** ﴾ من خير وشرّ ﴿ **وهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ في ذلك .

[١١٢] ﴿ **وضربَ اللَّهُ مثلاً قريةً** ﴾ قال ابن كثير : هذا مثل أُريد بـه أهل مكـة ﴿ **كانتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً** ﴾ لا يزعجها خوف ﴿ **يأتيها رِزْقُها رَغَداً** ﴾ واسعاً ﴿ **مِنْ كُلِّ مكانٍ فَـكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ** ﴾ الأنعم : جمع نعمـة ، والمعنى : أن أهل هذه القريـة جحدت آلاءَ الله عليها ، وأعظمُها بعثـة محمـد ﷺ إليهم ﴿ **فأذاقَها اللَّهُ لِبَاسَ الجوعِ** ﴾ بعد أن دعا عليهم رسول الله ﷺ بسنين كسني يـوسف عليـه السـلام [وذلك أنهم استعصـوا على رسـول الله ﷺ وأبـوا إلا خـلافه ، فـدعا عـليهم بسـبع كسبع يوسف عليه السلام ـ أي سبع السنوات العجاف ـ فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم ، فأكلوا العِلْهِزَ ـ وهـو طعـام من الدم والـوبـر كان يتخـذ في المجاعـة ـ ابن كثير] ﴿ **والخَوْفِ** ﴾ من سرايا النبي ﷺ وغزواتـه ﴿ **بما كـانـوا يصنعـونَ** ﴾ بسبـب صنيعهـم بالرسول ﷺ والمؤمنين وكفرهم بدعوته .

[١١٣] ﴿ **ولَقَدْ جاءَهُمْ رسولٌ منهمْ** ﴾ وهو محمد ﷺ يعرفونه حق المعرفـة وهم الذين وصفوه بالصادق الأمين ﴿ **فكذّبُوهُ** ﴾ وأنكـروا نبـوتـه ﴿ **فأخَذَهُـمُ العذابُ** ﴾ [فأخذهـم الله بالجوع والخوف والقتل] ﴿ **وهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ لأنفسهم بكفرهم .

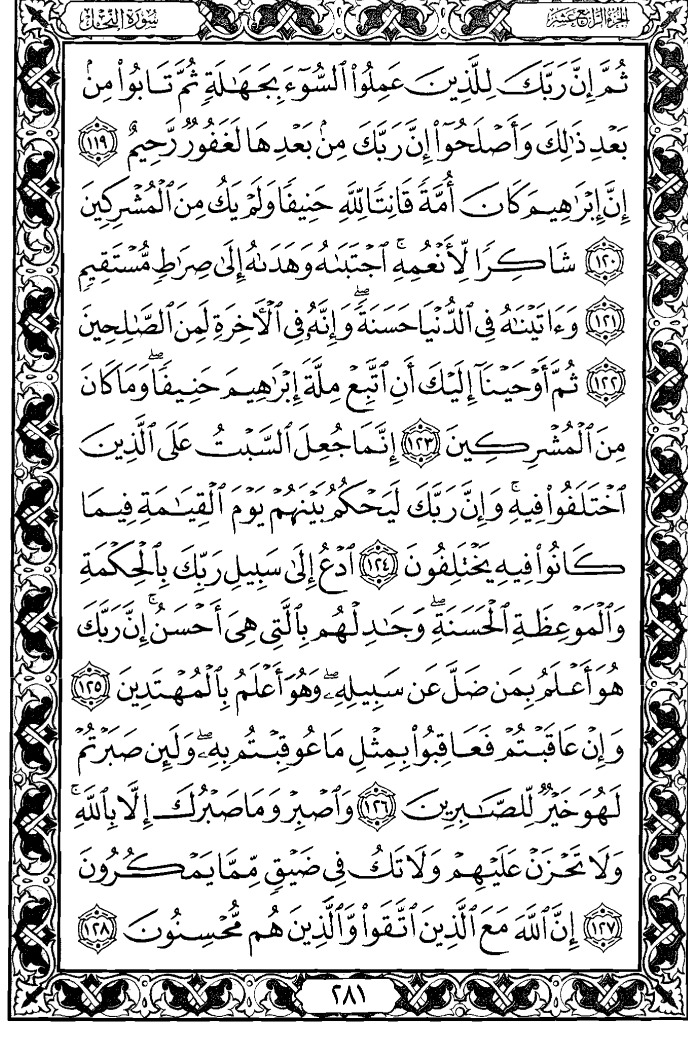
[١١٤] ﴿ **فـكُلُوا مِمَّا رزقكُمُ اللَّهُ** ﴾ من الحرث والأنعام ﴿ **حلالاً طيّباً واشكُرُوا نِعمةَ اللَّهِ** ﴾ فإنه المنعم المتفضل بذلك وحده ﴿ **إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدونَ** ﴾ أي : إن كنتم تريدون عبادته فاستحلوها .

[١١٥] ﴿ **إنَّما حرَّم عليكُمُ المَيْتَةَ والدَّمَ ولَـحْمَ الخِنزيرِ وما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بهِ** ﴾ ما ذُبح على اسم غيره سبحانه ﴿ **فمنِ اضْطُـرَّ** ﴾ إلى ما حرَّم الله ﴿ **غَيْرَ باغٍ ولا عَادٍ** ﴾ أي : غير متعدّ قدر الضرورة وسدّ الرمق ﴿ **فإنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ لا يُؤاخذه بذلك .

[١١٦] ﴿ **ولا تقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَـتُكُمُ الكَـذِبَ : هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حرامٌ** ﴾ من غير استنـاد ذلك الوصـف إلى وحي من الله ، فهو إشـارة إلى أنّهم لتمرّنهم على الكذب ، اجترؤوا على الكذب على الله ، فنسبوا ما حلّلوه أو حرّموه إليه ﴿ **لِتَفْتَرُوا على اللَّهِ الكَذِبَ ، إنَّ الذينَ يَفْتَرُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ لايُفْلِحُونَ** ﴾ [قال ابن كثير: ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس فيها مستنـد شرعي ، أو حلل شيئاً مماحرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه] .

[١١٧] ﴿ **مَتَاعٌ قليلٌ** ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ **ولَـهُمْ** ﴾ يوم القيامة ﴿ **عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

[١١٨] ﴿ **وعَلَى الذينَ هَادُوا** ﴾ اليهود ﴿ **حرَّمْنَا ما قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ وهو المذكور في سورة الأنعام الآية : ١٤٦ ﴿ **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ** ﴾ فيما حرّمنا عليهم ﴿ **ولَكِنْ كانُوا أنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ فاستحقُّوا ذلك التحريم . وفي الآية تنبيـه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ، فإن هذه الأمة لم يحرم عليها إلاّ ما فيه مضرّة لها ، وغيرهم قد يحرم عليهم ما لا ضرر فيه ، عقوبة لهم بالمنع ، كاليهود .


الجزء الرابع عشر — سورة النحل

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

٢٨١

[١١٩] ﴿ **ثُمَّ إِنَّ ربَّكَ للَّذينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وأَصْلَحُوا** ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿ **إنَّ ربَّكَ مِنْ بَعْدِهَا** ﴾ من بعد التوبة ﴿ **لغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ .

[١٢٠] ﴿ **إِنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً** ﴾ إماماً يُقتدى به أو كان أمة وحده بما اجتمع فيه من صفات الكمال ﴿ **قَانِتاً للَّهِ** ﴾ خاشعاً مطيعاً له ، قائماً بما أمره ﴿ **حَنِيفاً** ﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق ﴿ **ولمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ** ﴾ .

[١٢١] ﴿ **شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ** ﴾ قائماً بشكر نعم الله عليه ، مستعملاً لها على الوجه الذي ينبغي ﴿ **اجْتَبَاهُ** ﴾ اختاره واصطفاه للنُّبُوَّة ﴿ **وهَدَاهُ إلى صراطٍ مُستَقيمٍ** ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

[١٢٢] ﴿ **وآتَيْنَاهُ في الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾ من الذكر الجميل ومن الصلاة والسلام عليه ﴿ **وإنَّهُ في الآخِرَةِ** ﴾ في عالم الأرواح ﴿ **لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ الذين لهم الدرجات العليا في الجنّة .

[١٢٣] ﴿ **ثمَّ أوحَيْنَا إليكَ أنِ اتّبعْ ملَّةَ إبراهيمَ** ﴾ في التوحيد وأصول الدين التي لا تتغير في الشرائع ﴿ **حنيفاً** ﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿ **ومَا كانَ منَ المُشْرِكِينَ** ﴾ .

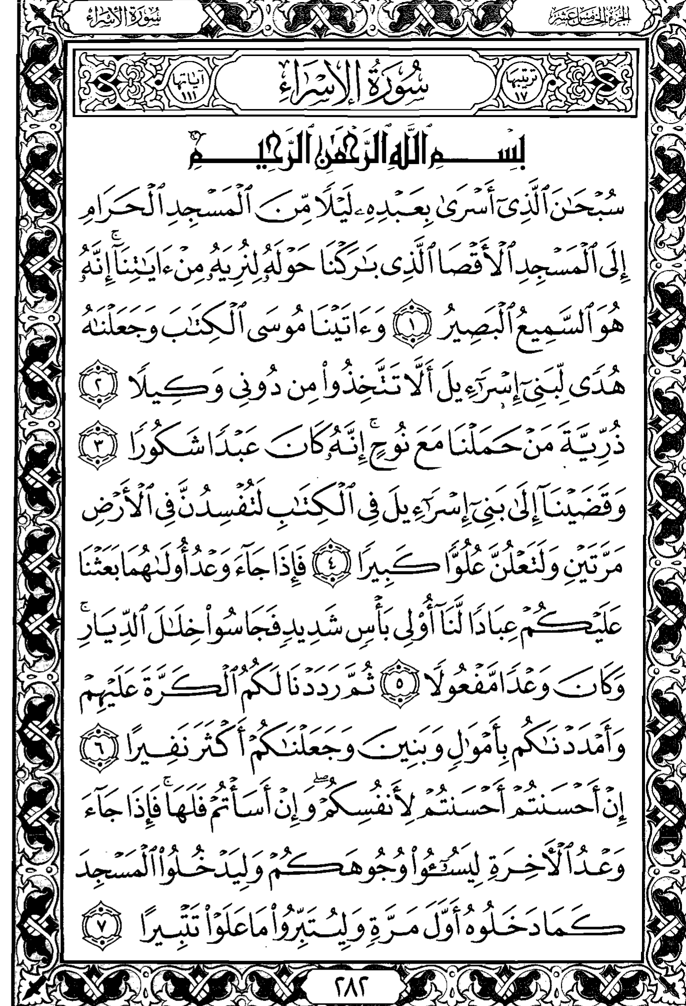
[١٢٤] ﴿ **إنّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلى الذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ** ﴾ يعني اليهود ، فرض عليهم تقديس يوم السبت وإراحة أنفسهم ودوابّهم فيه من الأعمال ، فاعتدوا فيه واحتالوا لحِلّه ﴿ **وإنَّ ربَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فيما كَانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ يعني : إفسادهم وزيغهم عن طريق الحق .

[١٢٥] ﴿ **ادْعُ إلى سَبِيلِ ربّكَ بالحِكْمَةِ** ﴾ بالدليل الموضح للحق ، المزيح للشبهة ﴿ **والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ** ﴾ العِبَر اللطيفة والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى ﴿ **وجَادِلْهُمْ بالتي هيَ أحسنُ** ﴾ جادل المعاندين بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة ، من الرفق واللين وحسن الخطاب ، من غير عنف ﴿ **إنَّ ربَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عن سَبِيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ** ﴾ عليك البلاغ والدعوة بالصِّفة المبيَّنة فلا تذهَبْ نفسُك على مَنْ ضلَّ منهم حسرات ، فإنّه ليس عليكَ هُدَاهُمْ والله أعلم بحال من لا يرعوي وبحال من يهتدي .

[١٢٦] ﴿ **وإنْ عاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ** ﴾ أي : الزموا سيرة العدالة ، لا تجاوزوها ، فإنها أقل درجات كمالكم ﴿ **ولئنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خيرٌ للصّابِرينَ** ﴾ فاتركوا الانتقام ممن جنى عليكم وعارِضوه بالعفو مع القدرة ، واصبروا على الجنايَة . ويُقال : إنّها نزلت بعد أُحُد حين قُتل حمزة رضي الله عنه ومُثِّل به ، فأقسم ﷺ أن يُمثِّلَنَّ بثلاثين رجلاً من المشركين ، فأنزل الله هذه الآية ، فكفَّر النبي ﷺ عن يمينه ، وقال ابن كثير بتضعيف هذه الروايات .

[١٢٧] ﴿ **واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاّ باللّهِ** ﴾ بمعونته وتوفيقه ﴿ **ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ** ﴾ أي : على الكافرين ، لكفرهم وعدم هدايتهم ﴿ **ولا تَكُ في ضَيْقٍ مما يَمْكُرُونَ** ﴾ من فنون المكايد .

[١٢٨] ﴿ **إنَّ اللَّهَ مَعَ الذينَ اتَّقَوْا والذينَ هُم مُحْسِنُونَ** ﴾ فإنه تعالى كافيك وناصرك ومؤيِّدُكَ ، لأنه تعالى مع المتَّقين والمحسنين .



[سورة الإسراء]

وتسمى : سورة بني إسرائيل ، وسورة سبحان ، وهي مكيّة ، وآياتها (١١١) آية .

[١] ﴿ سُبْحَانَ ﴾ يمجد تعالى نفسه ، وينزّه ذاته العليّة عما لا يليق بجلاله ﴿ الَّذِي أَسْرَى بعبدِهِ لَيْلاً ﴾ الإسراء : سير الليل ، بعبده : خاتم أنبيائه محمد ﷺ ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ ﴾ يعني : مسجد مكة المكرمة ، سُمي حراماً لكونه لا يحل انتهاكه بقتال فيه ، ولا بصيد صيده ، ولا بقطع شجره أو عشبه ﴿ إلى المسجد الأقْصَى ﴾ مسجد بيت المقدس ، والأقصى : بمعنى الأبعد : سمي بذلك لبعده عن مكة ﴿ الذي باركنا حَوْلَهُ ﴾ أي : جوانبه ببركات الدِّين والدُّنيا ، وهو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلاَّ إليه ﴿ لنُرِيَهُ من آياتنا ﴾ لكي نُريَ محمداً ﷺ من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ﴿ إنَّهُ هُوَ السميعُ البصيرُ ﴾ فالله تعالى لا يخفى عليه شيء .

[٢] ﴿ وآتينا موسى الكِتَابَ ﴾ فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام ، وبين ذكر التوراة والقرآن ﴿ وجعلناهُ ﴾ الضمير للكتاب أو لموسى ﴿ هُدىً لِبَنِي إسرائيلَ ألاَّ تَتَّخِذُوا من دُونِي وكيلاً ﴾ وليّاً معبوداً تكلون إليه أُموركم .

[٣] ﴿ ذرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ فيه تنبيه على المنّة والإنعام عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة ﴿ إنَّهُ كانَ عبداً شَكُوراً ﴾ لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذي ينبغي . [قال ابن كثير: وفي الحديث (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها) رواه مسلم وأحمد والترمذي وا لنسائي] .

[٤] ﴿ وقضيْنَا إلى بني إسرائيلَ في الكتابِ ﴾ وحكمنا على بني إسرائيل في اللوح المحفوظ ﴿ لَتُفْسِدُنَّ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ في الأرْضِ مرَّتَيْنِ ﴾ يعني : أرض ـ فلسطين ـ بيت المقدس التي بارك الله حولها ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾ ولتستكبرنّ عن طاعة الله تعالى ، أو لتظلمنّ النّاس .

[٥] ﴿ فإذَا جاءَ وعْدُ أُولاهُمَا ﴾ يعني : وعد المؤاخذة على أولى المفسدتين ﴿ بَعَثْنَا عليكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولي بأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب ﴿ فجاسُوا خلالَ الدِّيارِ ﴾ ترددوا خلال أماكنكم ومحالكم للقتل والسبي والنهب ﴿ وكانَ وعْداً مَفْعُولاً ﴾ أي : مقضيّاً لا صارف له .

[٦] ﴿ ثُمَّ رددْنَا لكُمُ الكرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ عند توبتكم ﴿ وأمدَدْناكم بأموالٍ وبنينَ وَجَعَلْناكم أكْثَرَ نفيراً ﴾ جمع : نفر ، وأصله : مَنْ ينفر مع الرجل من قومه .

[٧] ﴿ إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُم لأنْفُسِكُمْ وإنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ أي فعلنا ذلك لتعلموا أنكم إن أحسنتم تصير لكم الغلبة وإن أسأتم فإساءتكم ضارة لكم بغلبة الأعداء وسلب الأموال والبنين والنفير ﴿ فإذَا جاءَ وعْدُ الآخِرَةِ ﴾ أي : مؤاخذة المرة الآخرة وعقوبتها ﴿ لِيَسُوؤُا وجوهَكم ﴾ أي : بعثناهم ليسوؤا وجوهكم بالإذلال والقهر ﴿ وَلِيَدْخُلوا المَسْجِدَ ﴾ الأقصى ﴿ كما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ﴾ يدمّروا ﴿ ما عَلَوْا تتبيراً ﴾ تدميراً عظيماً فظيعاً .

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

[٨] ﴿ **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ** ﴾ إذا أخلصتم وأحسنتم الأعمال ﴿ **وإنْ عُدْتُمْ** ﴾ بعد هذه التوبة والإنابة إلى الاستكبار ﴿ **عُدْنا** ﴾ إلى تسليط الأعداء وسلب الأموال والأولاد في الدنيا ﴿ **وجَعَلْنَا** ﴾ يوم القيامة ﴿ **جهنّم للكافرينَ حَصِيراً** ﴾ محبساً وسجناً يحصرهم في العذاب والحرمان عن الثواب ، وقيل : حصيراً ، أي : بساطاً كما يبسط الحصير .

[٩] ﴿ **إنّ هـذا القرآن يهدي للّتي هيَ أقْوَمُ** ﴾ للطريقة التي هي أقوم الطرق ﴿ **ويُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ الذين يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أنّ لهم أجْراً كبيراً** ﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٠] ﴿ **وأنّ الذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ** ﴾ أي : بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿ **أعْتَدْنَا لَهُمْ عَذاباً أليماً** ﴾ في الآخرة وهو عذاب النّار .

[١١] ﴿ **ويدْعُ الإنسانُ بالشَّرِّ دُعَاءَهُ بالخَيْرِ** ﴾ مثل دعائه بالخير ﴿ **وكانَ الإنسانُ عَجُولاً** ﴾ غير متبصّر لا يتدبر في أموره حق التدبّر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شرّ جدير بالاستعاذة منه .

[١٢] ﴿ **وجعَلْنَا اللّيـلَ والنّهارَ آيَتَيْنِ** ﴾ علامتين تدلّان على أنّ لهما خالقاً حكيماً ﴿ **فَمَحَوْنَا آيَةَ اللّيلِ** ﴾ بجعلها مظلمة ﴿ **وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً** ﴾ مضيئة لتمييز الأشياء المحسوسة ﴿ **لتَبْتَغُوا فضْلاً مِنْ ربّكم** ﴾ لتطلبوا في النهار رزقاً منه سبحانه بالعمل والسفر ﴿ **ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ** ﴾ الحساب المتعلّق بها في ضمن السنين من الأشهر والليالي والأيام ، أو الحساب الجاري في المعاملات ، كالبيوع والإجارات ، أي لتعرف الآجال المضروبة لذلك ﴿ **وكُلَّ شيءٍ** ﴾ مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم ﴿ **فصَّلناهُ تفصيلاً** ﴾ بيّناه في القرآن بياناً بليغاً لا التباس معه .

[١٣] ﴿ **وكُلَّ إنسانٍ ألزَمْنَاهُ طائرَهُ في عُنُقِهِ** ﴾ ألزمناه عمله الصادر منه باختياره خيراً وشرّاً ، بحيث لا يفارقه أبداً كالطّوق في العنق ﴿ **ونُخرِجُ له** ﴾ أي : نظهر له ﴿ **يومَ القيامةِ** ﴾ يوم البعث للجزاء على الأعمال ﴿ **كتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً** ﴾ يجده مفتوحاً فيه حسناته وسيّئاته .

[١٤] ﴿ **اقرأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾ أي : شهيداً بما عملت .

[١٥] ﴿ **مَنِ اهْتَدَى فإنَّما يَهْتَدِي لنفسِهِ** ﴾ فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه ، لا تتخطاه إلى غيره ممن لا يهتدي ﴿ **ومَنْ ضَلَّ** ﴾ عن الطريقة التي يهديه إليها ﴿ **فإنّما يَضِلُّ عَلَيْها** ﴾ وبال ضلاله عليها ، لا على من عداه ممن لم يباشره ﴿ **ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ لا تحمل نفس حاملة للوزر ـ الإثم ـ، وزر نفس أخرى ﴿ **ومَا كُنّا مُعَذِّبينَ حتّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ يهديهم إلى الحق ، ويردعهم عن الضلالة ، لإقامة الحجة وقطعاً للعذر .

[١٦] ﴿ **وإذَا أرَدْنا أنْ نُهْلِكَ قَرْيةً** ﴾ إذا أردنا أن نعذّب قوماً عذاب استئصال ﴿ **أمرنا مُتْرَفِيهَا** ﴾ يعني : متنعّميها بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إليهم ﴿ **فَفَسَقُوا فيها** ﴾ بمخالفة أمره تعالى والخروج عن طاعته ﴿ **فحقَّ عليها القول** ﴾ فوجب عليها ، بمعصيتهم وفسقهم وطغيانهم ﴿ **فدمَّرناها تدميراً** ﴾ وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً هائلاً .

[١٧] ﴿ **وكمْ أهْلَكْنَا منَ القُرونِ من بعدِ نُوحٍ** ﴾ القرون ، جمع : قرن ، يطلق على الزمن المعيّن وعلى أهله المقترنين فيه ، وعلى كل أمّة ، ففيه تهديد وإنذار للمشركين ﴿ **وكَفَى بربِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خبيراً بَصيراً** ﴾ لا يخفى عليه شيء منها .

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ربع الحزب ٢٩

[١٨] ﴿ **مَنْ كانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عجَّلْنا له فيها ما نشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ** ﴾ مِنْ بسط الدنيا - العاجلة - عليه ، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل به ذلك ، أو من إهلاكه بما يشاء تعالى من عقوباته المعجلة ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً** ﴾ مطروداً من الرحمة ، مُبْعَداً مقصيًّا في النّار .

[١٩] ﴿ **ومنْ أرادَ الآخِرَة وسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كان سَعْيُهُم مَشْكُوراً** ﴾ بحسن الجزاء .

[٢٠] ﴿ **كُلاًّ نُمِدُّ** ﴾ كل واحد من الفريقين ﴿ **هؤلآءِ وهؤلآءِ من عَطَاءِ رَبِّكَ** ﴾ فيرزقهما جميعاً من رزقه إلى بلوغهما الأمد ، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات ، ففريقُ مريدي العاجلة ، إلى جهنّم مصيرهم ، وفريقُ مريدي الآخرة مآبهم إلى الجنّة ﴿ **وما كانَ عطاءُ رَبِّكَ محظوراً** ﴾ ممنوعاً ، لا يمنعه من عاصٍ لعصيانه .

[٢١] ﴿ **انظُرْ كيفَ فضَّلْنَا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ** ﴾ في الرزق في الدنيا ﴿ **ولَلآخِرَةُ أكبرُ دَرَجَاتٍ وأكبرُ تَفْضِيلاً** ﴾ لأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

[٢٢] ﴿ **لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً** ﴾ لا تجعل معه شريكاً في عبادته فتصير مذموماً ملوماً على الشرك ، مخذولاً من الله ، يكلك إلى ذاك الشريك ولا ينصرك .

[٢٣] ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ** ﴾ أي : أمرَ أمراً مقطوعاً به ﴿ **ألاّ تعبُدُوا إلاّ إيّاهُ وبالوالدَيْنِ إحْسَاناً** ﴾ وبأن تُحسنوا إلى الوالدين إحساناً ﴿ **إمّا يبلُغَنّ عندَكَ الكِبَرَ** ﴾ هو أن يكبرا ويعجزا ﴿ **أحدُهما أو كلاهُما فلا تَقُلْ لَهُمَا : أُفٍّ ولاَ تَنْهَرْهُمَا** ﴾ لا تزجرهما عما لا يعجبك بغلظة ﴿ **وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً** ﴾ حَسَناً كما يقتضيه حسن الأدب معهما .

[٢٤] ﴿ **واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ منَ الرَّحْمَةِ** ﴾ تذلّل لهما وتواضع ﴿ **وقُلْ : ربِّ ارْحَمْهُمَا كما رَبَّيَاني صَغِيراً** ﴾ أي : رب تعطّفْ عليهما برحمتك ومغفرتك كما تعطّفا عليّ في صِغَري ، فرحماني وربّياني صغيراً حتى استقللت بنفسي واستغنيت عنهما .

[٢٥] ﴿ **ربُّكُمْ أعْلَمُ بِمَا في نُفُوسِكُمْ** ﴾ بما في ضمائركم من قصد البرّ إلى الوالدين والعقوق ﴿ **إنْ تكونُوا صَالِحِينَ** ﴾ قاصدين للصلاح والبرّ دون العقوق ﴿ **فإنّهُ كان للأوّابين** ﴾ التوابين الرجّاعين إليه تعالى بالندم عما فرط منهم ﴿ **غَفُوراً** ﴾ لذنوبهم .

[٢٦] ﴿ **وآتِ ذا القُرْبَى حقَّهُ** ﴾ من صلته وحسن المعاشرة ، والبرّ لَهُ بالإنفاق عليه ﴿ **والمِسْكِينَ** ﴾ الفقير من الأباعد والأقارب ، مع الصدقة صلة رحم ﴿ **وابنَ السّبيلِ** ﴾ المسافر المنقطع ﴿ **ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً** ﴾ بوجه من الوجوه ، بالإنفاق في محرّم أو مكروه ، أو على من لا يستحق ، فتحسبه إحساناً إلى نفسك أو غيرك .

[٢٧] ﴿ **إنَّ المبذّرينَ كانُوا إخوانَ الشّياطينِ** ﴾ أي : أمثالهم في كفران نعمة المال بصرفه فيما لا ينبغي ، أو هم قرناؤهم في النّار ﴿ **وكانَ الشّيطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴾ مبالغاً في كفران نعمته تعالى .

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

[٢٨] ﴿ **وإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُم** ﴾ وإن أعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل ﴿ **ابتغاءَ رحمةٍ من ربِّكَ ترْجُوهَا** ﴾ حياءً من الردّ، لانتظار الرزق من الله، ترجوه أن يأتيك فتعطيه ﴿ **فقُل لهُمْ قولاً ميْسُوراً** ﴾ عِدْهم وعداً جميلاً .

[٢٩] ﴿ **ولا تجْعَلْ يدَكَ مَغْلُولةً إلى عُنُقِكَ** ﴾ لا تمسك يدك عن النفقة والعطية لمن له حق ممن تقدّم ذكرهم ﴿ **وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ** ﴾ بالتبذير والإسراف ﴿ **فَتَقْعُدَ** ﴾ فتبقى ﴿ **مَلُوماً** ﴾ يلومك الفقراء وذوو القرابة ﴿ **محْسُوراً** ﴾ نادماً، أي منقطعاً بك لا شيء عندك تنفقه .

[٣٠] ﴿ **إنَّ ربَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ** ﴾ أي : يوسعه ﴿ **ويقْدِرُ** ﴾ ويضيّقه حسب مشيئته وحكمته ﴿ **إنَّهُ كان بعباده خَبيراً بَصيراً** ﴾ .

[٣١] ﴿ **ولا تقْتُلُوا أولادكُمْ** ﴾ نهيٌ عمّا كانوا يفعلونه من وأْدِ بناتهم ـ دفنهن في الحياة ـ على أيّام الجاهلية ﴿ **خَشْيَةَ إمْلاَقٍ** ﴾ كانوا يئدونهن خشية الفقر، بالإنفاق عليهن ﴿ **نحنُ نرزُقُهُمْ وإيّاكُم ، إنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطأً كبيراً** ﴾ وأي إثم أكبرُ من ذلك . والخِطْءُ : كالإثم ، لفظاً ومعنى .

[٣٢] ﴿ **ولاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إنَّهُ كانَ فَاحِشَةً** ﴾ فعلة قبيحة متناهية في القُبح ﴿ **وساءَ سَبيلاً** ﴾ .

[٣٣] ﴿ **ولا تقتُلُوا النَّفْسَ التي حرَّمَ اللَّهُ** ﴾ قتلها، وهي نفس الإنسان ـ مطلق إنسان ـ ﴿ **إلاّ بالحَقِّ** ﴾ إلاّ بحكم الشرع كالقَوَد بالنفس ـ قتل القاتل ـ ﴿ **ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً** ﴾ بغير حق ﴿ **فقدْ جعَلْنا لِوَلِيِّهِ** ﴾ الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه ﴿ **سُلْطَاناً** ﴾ أي : تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه ﴿ **فَلاَ يُسْرِف في القَتْلِ** ﴾ فلا يقتل غير القاتل، كعادة الجاهلية ﴿ **إنَّه كَانَ منصوراً** ﴾ حسبه أن الله قد نصره بأنْ أوْجَبَ له القصاص ، فلا يستزد على ذلك .

[٣٤] ﴿ **ولا تَقْرَبُوا مالَ اليتيمِ إلاّ بالتي هي أحسنُ** ﴾ لا تتصرّفوا في ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن ، وهي حفظه عليه وتثميره وإصلاحه ﴿ **حتّى يَبْلُغَ أشُدَّهُ** ﴾ حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل وتدبير ماله وصلاح حاله في دينه ﴿ **وأوْفُوا بالعَهْدِ** ﴾ بالعقد الذي تعاقدون به النّاس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضاً ﴿ **إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْؤُولاً** ﴾ مطلوباً .

[٣٥] ﴿ **وأوْفُوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ** ﴾ أتمّوه إذا كلتم لغيركم ولا تبخسوه ﴿ **وزِنُوا بالقِسْطَاسِ المُسْتقِيم** ﴾ بالميزان السويّ ﴿ **ذلِكَ خيرٌ** ﴾ لكم في معاشكم لانتظام أموركم بالعدل ﴿ **وأحْسَنُ تأْويلاً** ﴾ عاقبة ومآلاً ، إذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة .

[٣٦] ﴿ **ولا تَقْفُ** ﴾ ولا تتبع ﴿ **ما ليسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ تسنده إلى سمع أو بصر أو عقل ﴿ **إنَّ السَّمعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كانَ عنهُ مسؤولاً** ﴾ كان صاحبها مسؤولاً عما نسب إليها يوم القيامة ، أو تُسأل نفس الأعضاء لتشهد على صاحبها .

[٣٧] ﴿ **ولا تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحاً** ﴾ مِشية المعجب المتكبر ﴿ **إنَّك لنْ تَخْرِقَ الأرْض** ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بِدَوْسِك لها ، وشدّة وطأتك ﴿ **ولنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً** ﴾ لن تحاذيها بتطاولك ومدّ قامتك .

[٣٨] ﴿ **كُلُّ ذلِكَ** ﴾ المنهيّ عنه ، المذكور في الآيات السابقة ﴿ **كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ ربِّكَ مكْرُوهاً** ﴾ .

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

[٣٩] ﴿ **ذلكَ مِمَّا أوحى إليكَ ربُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ** ﴾ مما يحكم العقل بصحته ، وتصلح النفس بأسوته ﴿ **ولا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ فَتُلْقَى في جهنَّمَ مَلُوماً** ﴾ بالجهل العظيم ﴿ **مَّدْحُوراً** ﴾ مُبْعَداً مطروداً من الرحمة .

[٤٠] ﴿ **أفأصْفَاكم ربُّكُم بالبنينَ واتَّخَذَ مِنَ الملائكَةِ إنَاثاً** ﴾ خطاب للذين قالوا من مشركي العرب : الملائكة بنات الله ﴿ **إنَّكم لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً** ﴾ بإضافة الأولاد إليه ، وما كان لله والد ولا ولد ، ثم بإيثاركم أنفسكم عليه ، حيث تجعلون له ما تكرهون .

[٤١] ﴿ **وَلَقَدْ صرَّفنَا في هَذَا القرآنِ** ﴾ كررنا للنّاس البيان بوجوه كثيرة ، وبيّنا فيه من كل مثل ﴿ **ليذَّكَّروا** ﴾ ليتّعظوا ويعتبروا ويطمئنُّوا إلى ما يُحْتَجُّ به عليهم ﴿ **وَمَا يَزِيدُهُمْ** ﴾ التصرّف المذكور ﴿ **إلاَّ نُفُوراً** ﴾ عن الحق وبُعداً عنه .

[٤٢] ﴿ **قُلْ : لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كما يَقُولُونَ إذاً لابْتَغَوْا إلى ذي العَرْشِ سبيلاً** ﴾ لو كان الأمر كما تقولون ، وأن معهُ آلهة تُعبد لتقرّب إليه وتشفع لديه ، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقرّبون إليه ، ويبتغون الزلفى والطاعة لديه ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه .

[٤٣] ﴿ **سُبْحَانَهُ وتَعالى عمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً** ﴾ تعاظم عن ذلك ـ ما يقولون ـ تعاظماً كبيراً .

[٤٤] ﴿ **تُسبِّحُ لَه السَّمٰواتُ السَّبْعُ والأرْضُ ومَنْ فيهنَّ ، وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدِهِ ولكنْ لا تفقهونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ لأنها بخلاف لغاتكم ، وقال ابن كثير : وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات ﴿ **إنَّهُ كانَ حَليماً غَفُوراً** ﴾ لم يعاجلهم بالعقوبة ، مع كفرهم وقصور نظرهم ، ولو تابوا لغفر لهم ذنوبهم .

[٤٥] ﴿ **وإذَا قرأْتَ القُرْآنَ** ﴾ على هؤلاء المشركين ﴿ **جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبيْنَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ** ﴾ لا يصدّقون بالبعث ولا يقرّون بالثواب والعقاب جزاء على الأعمال ﴿ **حِجَاباً مَسْتُوراً** ﴾ من الجهل وعمى القلب ، فيحجب قلوبهم على أن يفهموا ما تقرؤه عليهم فينتفعوا به .

[٤٦] ﴿ **وجعلْنا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً** ﴾ جمع : كنان ، أي : أغطية كثيرة ﴿ **أنْ يَفْقَهُوهُ** ﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿ **وفي آذانِهِمْ وقْراً** ﴾ صمماً يمنعهم من استماعه ﴿ **وإذَا ذكرْتَ ربَّكَ في القرآنِ وحْدَهُ** ﴾ غير مشفوع بذكر شيء من آلهتهم ﴿ **ولَّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُوراً** ﴾ هرباً من استماع التوحيد .

[٤٧] ﴿ **نحنُ أعْلَمُ بمَا يَسْتَمِعُونَ به** ﴾ أي : بسببه أو لأجله من الهزء والاستخفاف واللغو ﴿ **إذْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ وإذْ هُمْ نَجْوى** ﴾ يتناجَوْنَ فيما بينهم ﴿ **إذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إنْ تتبعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً** ﴾ أي : سُحِر ، فَجُنَّ فاختلط كلامه .

[٤٨] ﴿ **انظُرْ كيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ** ﴾ أي : مثّلوك بالشاعر والساحر والمجنون ﴿ **فضلُّوا** ﴾ عن الحق والهداية بك ﴿ **فلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً** ﴾ فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم منه .

[٤٩] ﴿ **وَقَالُوا : أإذا كُنَّا عِظَاماً ورُفَاتاً** ﴾ وهو ما بلي وتفتّت ﴿ **أإنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جديداً** ﴾ [قال الطبري : قالوا إنكاراً منهم للبعث بعد الموت، أنبعث بعد تحولنا في القبور إلى رفات ثم تراب، ونعاد كما كنا قبل الممات؟] .

قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

نصف الحزب ٢٩

[٥٠] ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد: ﴿ **كونوا حجارةً أو حديداً** ﴾.

[٥١] ﴿ **أوْ خلقاً ممَّا يكبُرُ في صُدُورِكم** ﴾ أي: يعظم في نفوسكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه، فإنه يُحييكم ولا يُعجزه بعثكم، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت موصوفة بالحياة قَبْلُ؟ ﴿ **فَسَيَقُولُونَ** ﴾ بعدَ لزوم الحجة عليهم ﴿ **مَنْ يُعِيدُنا، قُلِ: الذي فَطَرَكُمْ أوّلَ مرَّةٍ، فسيُنْغِضُونَ إليك رُؤُوسَهُم** ﴾ أي: يحركونها برفع وخفض، تعجّباً واستهزاء ﴿ **ويقُولُونَ: متى هُوَ** ﴾ أي: ما ذكرته من الإعادة ﴿ **قُلْ: عَسَى أنْ يكُونَ قريباً** ﴾.

[٥٢] ﴿ **يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ** ﴾ يوم يبعثكم فتنبعثون، والمقصود: الإحضار للمحاسبة والجزاء ﴿ **بِحَمْدِهِ** ﴾ وله الحمد على إحضاركم للمحاسبة وتحقق وعده الصدق ﴿ **وتظنُّونَ إن لَبِثْتُمْ إلاَّ قليلاً** ﴾ تستقصرون مدة لبثكم في القبور والمضاجع، لذهولكم عن ذلك الزمان.

[٥٣] ﴿ **وقُلْ لِعِبَادِي** ﴾ الذين آمنوا معك، يا محمد ﷺ ﴿ **يَقُولُوا** ﴾ في النصيحة، وفي الحوار والجدال الكلمةَ ﴿ **التي هيَ أحسَنُ** ﴾ فلا يخاشنوا أحداً ولا يُغلظوا له بالقول ﴿ **إنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ يفسد ويهيج الشَّرَّ والمِراءَ، لتقع بينهم المضارّة ﴿ **إنّ الشيطانَ كان للإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبيناً** ﴾.

[٥٤] ﴿ **ربُّكُمْ أعْلَمُ بكُمْ** ﴾ الخطاب لمشركي قريش ﴿ **إنْ يَشَأْ يرْحَمْكُمْ** ﴾ فيتوب عليكم برحمته وتنيبوا إليه ﴿ **أو إنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ** ﴾ إذا لم تستجيبوا فتموتوا على الشرك فيعذبكم عليه يوم القيامة ﴿ **وَمَا أرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكيلاً** ﴾ أي: موكولاً إليكَ أمرهم، وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً تبلّغهم الرسالة.

[٥٥] ﴿ **وربُّكَ أعْلَمُ بمن في السَّمٰواتِ والأرْضِ** ﴾ فلا يخفى عليه شيءٌ فيهما ﴿ **ولقدْ فضَّلْنَا بعْضَ النَّبِيِّينَ على بَعْضٍ** ﴾ لاقتضاء علمه وحكمته ذلك فآتى موسى التوراة وكلّمه، وعيسى الإنجيل، وداود الزّبور، فضّلهم بما آتاهم على غيرهم، وقد آتى محمداً ﷺ القرآن ففضّله به على الأنبياء كافّة ﴿ **وآتَيْنا داوود زَبُوراً** ﴾ يشتمل على الحكمة وفصل الخطاب، ففضّلناه به.

[٥٦] ﴿ **قُلِ** ﴾ لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله مِنْ خلقه ﴿ **ادْعُوا الذين زعمتُم من دُونِه** ﴾، ادعوا من زعمتموهم أرباباً وآلهة من دونه، عند ضرّ ينزل بكم، وانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعونهم آلهة؟ ﴿ **فلا يملكون كشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ ولا تَحْويلاً** ﴾ فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم.

[٥٧] ﴿ **أُولئِكَ الذينَ يدْعُونَ** ﴾ يدعونهم آلهة ﴿ **يبتغُونَ إلى ربِّهِمُ الوَسِيلَةَ** ﴾ القربة والطاعة ﴿ **أيُّهُمْ أقْرَبُ ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخَافُونَ عَذَابَهُ** ﴾ إشارة إلى أن العبادة لا تتم إلا بالرجاء والخوف، فبالرجاء تكثر الطاعات وبالخوف تقلّ السّيئات ﴿ **إنَّ عذاب ربِّكَ كانَ مَحْذُوراً** ﴾ ينبغي أن يُحذر منه ويُخاف من حلوله، عياذاً بالله منه. [٥٨] ﴿ **وإنْ مِنْ قَرْيَةٍ** ﴾ يتمرد أهلها على نبيهم ﴿ **إلاَّ نَحنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ** ﴾ إلا ويبيدهم الله ﴿ **أو مُعَذِّبوها عَذَاباً شَدِيداً** ﴾ بسبب ذنوبهم وخطيئاتهم وعدم استجابتهم لنبيّهم ﴿ **كانَ ذلِكَ في الكِتابِ مَسْطُوراً** ﴾ إخبار بأنه حتم وقضاء.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآياتِ﴾ التي يقترحها مشركو قريش ﴿إلاَّ أن كذَّبَ بِهَا الأوَّلونَ﴾ كعاد وثمود ﴿وآتينا ثَمُودَ النّاقةَ﴾ أعطينا قوم صالح الناقة بسؤالهم ﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة ، تبصر الغَيْرَ برهانها ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فكفروا بها وظلموا أنفسهم بسبب عقرها ، فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم ﴿وَمَا نُرْسِلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفاً﴾ وما نرسل الآيات المقترحة إلا تخويفاً للناس ليعلموا السُّنّة الإلهية مع العاتين ، فيتذكّروا ويتوبوا.

[٦٠] ﴿وإذْ قُلْنَا لكَ إنَّ ربَّكَ أَحاطَ بالنَّاسِ﴾ علماً ، فلا يخفى عليه شيء من كفرهم ﴿وَمَا جعلنا الرُّؤيا التي أَرَيْناكَ إلاَّ فتنةً للنَّاسِ﴾ يعني : ما رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء من الآيات ، فلما ذكرها ﷺ للناس ، أنكر بعضهم ذلك وكذّبوا ، وجعل الله ذلك ثباتاً ويقيناً للمخلصين ، فكانت فتنة ، أي : اختباراً وامتحاناً ﴿والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ﴾ شجرة الزّقوم المذكورة في سورة الصّافات : ٦٢ ـ ٦٥ ﴿ونخوِّفُهُم﴾ بذلك وبنظائره من الآيات ﴿فَما يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إلاَّ طُغْيَاناً كبيراً﴾ تمادياً فيما هم فيه من الضلال والكفر.

[٦١] ﴿وإذْ قُلْنَا للملائكةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ تحية وتكريماً ﴿فَسَجَدُوا إلاَّ إبْليسَ قال : أأسجُدُ لمنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ يعني أن النّارَ خيرٌ من الطين ، وأنه خير من آدم.

[٦٢] ﴿قالَ﴾ جرأة على الله سبحانه وكفراً به ﴿أرأيْتَكَ هَذَا الذي كرَّمْتَ عليَّ﴾ أي : أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له ، لِمَ كرّمته عليّ ؟ ﴿لَئِن أخَّرْتَنِ إلى يوم القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذرِّيَّتَهُ إلاَّ قليلاً﴾ لأهلكنّهم بالإغواء ، إلا المخلصين.

[٦٣] ﴿قالَ﴾ تعالى ﴿اذهبْ﴾ امض لِشأْنِكَ الذي اخترته ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فإنَّ جَهَنَّم جزاؤكم جزاءً مَوْفُوراً﴾ أي : جزاء مكتملاً وافراً.

[٦٤] ﴿واسْتَفْزِزْ﴾ واستخف وأزعج ﴿مَنِ استطعتَ منهم﴾ أن تستفزه فتخدعه ﴿بصوتِكَ﴾ بدعائك إلى الفساد ﴿وأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ من الجلَبة وهي الصياح ، والخيل : الخيالة ، أي : ركبان الخيل ، والرَّجل : اسم جمع للراجل وهو خلاف الفارس ، والمراد : الأتباع والأعوان مطلقاً ﴿وشارِكْهُمْ في الأموالِ﴾ بحمله إياهم على إنفاقها في المعاصي وجمعها من حرام ﴿والأولادِ﴾ بالتفاخر فيهم وتضليلهم بصبغهم بغير صبغة الدين ﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيد الباطلة والأمانيّ الكاذبة من سلامة العاقبة ودوام الغلبة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشّيطانُ إلاَّ غُرُوراً﴾ وهو تزيين الباطل بزينة الحق.

[٦٥] ﴿إنّ عبادي﴾ المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط بالإغواء ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ كفيلاً لهم يتوكّلونَ عليه ولا يلجؤون في أمورهم إلا إليه.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمُ الذي يُزْجِي لكُمُ الفُلْكَ في البَحْرِ﴾ يُسَيِّرُ لكم السفن في البحر ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ من رِزْقِهِ ﴿إنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ حيث سهّل لكم أسباب ذلك.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

[٦٧] ﴿ وإذَا مسَّكُمُ الضُّرُّ في البحرِ ﴾ خوف الغرق ﴿ ضَلَّ منْ تدْعُونَ إلاَّ إيَّاهُ ﴾ أي : ذهب عن أوهامكم وخواطِرِكم كل من تدعونه وتعبدونه ، إلاَّ إيّاه وحده ، فإنكم لا تذكرون سواه : فطرةً فطر اللّهُ الخلقَ عليها ﴿ فلمّا نجّاكم ﴾ من الغرق ﴿ إلى البرِّ أعْرَضْتُمْ ﴾ عن التوحيد ﴿ وكانَ الإنْسَانُ كَفُوراً ﴾ بأنْعُم اللّهِ .

[٦٨] ﴿ أفأمِنتُم أنْ يَخْسِفَ بكُمْ جَانبَ البَرِّ ﴾ يغوّره بكم ﴿ أوْ يُرسِلَ عليكُمْ حاصباً ﴾ أي : ريحاً ترمي بالحصباء يرجمكم بها ، فيكون أشدَّ عليكم من الغرق ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لكُم وكيلاً ﴾ من يتوكل بصرف ذلك عنكم .

[٦٩] ﴿ أمْ أَمِنْتُمْ أن يُعيدَكُمْ فيه تارةً أخرى ﴾ أي : يقوّي دواعيكم لركوب البحر ﴿ فيُرسِلَ علَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيح ﴾ ريحاً شديدة لا تمرّ بشيء إلا قصفته ، فتكسر السفينة وسط البحر ﴿ فيُغْرِقَكُمْ بمَا كَفَرْتُم ثمّ لا تَجِدُوا لكُمْ عَلَيْنَا به تَبِيعاً ﴾ مطالباً بما فعلناه .

[٧٠] ﴿ ولقدْ كرَّمنَا بني آدَمَ ﴾ بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة والصورة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به ﴿ وحَملناهُم في البرِّ والبحْرِ ﴾ أي : يسَّرْنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيهما ﴿ ورزقناهُمْ من الطَّيِّباتِ ﴾ التي لم يرزقها غيرهم من المخلوقات ﴿ وفضَّلناهم على كثيرٍ ممَّنْ خَلَقْنَا تفضيلاً ﴾ ميزناهم عنهم .

[٧١] ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ بمن ائتموا به من نبيّ ، أو مقدّم في الدين ، أو كتاب ، أو دين ، ورجّح ابن كثير القول بأن الإمام هو كتاب الأعمال ﴿ فمنْ أوتِيَ ﴾ من هؤلاء المدعوّين ﴿ كِتَابَهُ ﴾ كتاب أعماله ﴿ بِيَمِينِهِ فأُولئِكَ يقرؤونَ كِتَابَهُمْ ﴾ فرحاً وابتهاجاً بما فيه من العمل الصالح ﴿ ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ لا يُنقصون من أجورهم قدر فتيل ، وهو ما في شق النّواة ، أو ما تفتله بين أصبعيك ، أو هو أدنى شيء .

[٧٢] ﴿ وَمَنْ كانَ في هذهِ أعْمَى فهوَ في الآخِرَةِ أَعْمَى وأَضَلُّ سَبيلاً ﴾ ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن الاهتداء إلى الحق ، فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ، وأضل سبيلاً منه في الدنيا .

[٧٣] ﴿ وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عنِ الذي أوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ فإن المشركين ، لكثرة تفننهم في ضروب الأذى وشدّة تعنّتهم وقوة شكيمتهم ، كادوا أن يفتنوك ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غيرَهُ ، وإذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ أي : لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك صاحباً وأظهروا للنّاس أنّك موافق لهم على كفرهم ، وراض بشركهم . والخليل : الصاحب المقرّب .

[٧٤] ﴿ ولوْلا أنْ ثبَّتْنَاكَ ﴾ على الحق بعصمتنا إيّاك ﴿ لقدْ كِدْتَ ترْكَنُ إليْهِم شيئاً قَليلاً ﴾ تميل إليهم ، [ولكن عناية الله وحفظه ، ثبت قدمه في مقام لا يثبت فيه أحد غيره] ، وعن قتادة : لمّا نزلت هذه الآية ، قال النبي ﷺ : (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) رواه ابن جرير.

[٧٥] ﴿ إذاً لأذَقْناكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ ، وضِعْفَ المَمَاتِ ﴾ أي : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الآخرة ﴿ ثمَّ لا تجِدُ لكَ علينا نَصيراً ﴾ ينصرك .

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

[٧٦] ﴿ وإن كادُوا ﴾ أي : أهل مكة ﴿ **لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ** ﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿ **لِيُخرِجُوكَ مِنـهَا** ﴾ من مكة ﴿ **وإذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ** ﴾ ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك ﴿ **إلاَّ قليلاً** ﴾ إلاَّ زماناً قليلاً .

[٧٧] ﴿ **سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنا** ﴾ يعني : إن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم ، فسنّة الله أن يُهلكهم ﴿ **ولا تجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً** ﴾ تغيراً .

[٧٨] ﴿ **أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ** ﴾ أي : لزوالها ﴿ **إلى غَسَقِ اللَّيْلِ** ﴾ وهو اجتماع الليل وظلمته ﴿ **وقُرآنَ الفَجْرِ** ﴾ صلاة الصبح ، سمّيت قرآناً لأنه ركنها ، كما سُمّيت ركوعاً وسجوداً ﴿ **إنَّ قرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً** ﴾ يشهده ملائكة الليل والنّهار .

[٧٩] ﴿ **وَمِنَ الليلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ** ﴾ أمرٌ له ﷺ بصلاة الليل ، والتهجّد : القيام إلى الصلاة من النوم ﴿ **نَافِلَةً لكَ** ﴾ عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ﴿ **عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ ربُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً** ﴾ والمشهور أنه مقام الشفاعة العظمى .

[٨٠] ﴿ **وقُلْ** : رَبِّ أَدْخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ مدخلاً حسناً مرضيّاً بلا آفة الرياء والعجب ﴿ **وأخْرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ** ﴾ مُخرجاً حسناً مرضيّاً من غير آفة الميل إلى النفس ، ولا الضلال بعد الهدى ﴿ **واجْعَلْ لي مِنْ لدُنكَ سُلْطَاناً نصيراً** ﴾ عزّاً ناصراً للإسلام على الكفر .

[٨١] ﴿ **وقُلْ** ﴾ استبشاراً بقرب الظفر والنصر ، وترهيباً للمشركين ﴿ **جاءَ الحَقُّ** ﴾ وهو الوعد بالسلطان النصير والإسلام ودولته ﴿ **وزهَقَ البَاطِلُ** ﴾ ذهبَ الشِّرك وهلك ﴿ **إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقاً** ﴾ مضمحلاً غير ثابت في كل وقت .

[٨٢] ﴿ **ونُنَزِّلُ مِنَ القرآنِ ما هُوَ شِفَاءٌ** ﴾ ما يُستشفى به من الجهل والضلالة ﴿ **وَرَحْمَةٌ للمُؤمنينَ** ﴾ ببيان الحقائق وإقامة البراهين للمؤمنين به ﴿ **ولا يزيدُ الظَّالمينَ إلاَّ خَسَاراً** ﴾ أي : إهلاكاً ، لأنهم كلما جاءهم أمر من الله أو نهي ، كفروا به ، فزادهم خساراً إلى ما كانوا فيه .

[٨٣] ﴿ **وإذَا أنْعَمْنَا على الإنسانِ** ﴾ بالرزق والصحة والغنى في الحياة الدنيا ﴿ **أعْرَضَ** ﴾ عن ذكر الله وعبادته إن كان من الضّالين المنصرفين للدنيا ، المعرضين عن شكر المولى سبحانه ﴿ **وَنَأَى بجانِبِهِ** ﴾ النأي بالجانب : أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ، أو أراد الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين ﴿ **وإذا مسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُوساً** ﴾ واليأس عند الشِّدَّة مما ينافي الإيمان .

[٨٤] ﴿ **قُلْ : كُلٌّ يَعْمَلُ على شَاكِلَتِهِ** ﴾ على مذهبه وطريقته وخليقته وملكته الغالبة عليه ﴿ **فربُّكُمْ أعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أهْدَى سبيلاً** ﴾ .

[٨٥] ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ منْ أمْرِ ربِّي** ﴾ فلا يمكنكم إدراكه أيها المحجوبون بالكون ، لقصور إدراككم وعلمكم ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إلا قَلِيلاً** ﴾ هو علم المحسوسات . ويرجّح القاسمي أن المراد بالروح : الوحي بالقرآن ، لقوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً منْ أمْرِنا ﴾ [الشورى : ٥٢] ولقوله : ﴿ يُلقي الرُّوحَ من أمرِهِ على مَنْ يشاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [غافر : ١٥] .

[٨٦] ﴿ **ولَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالذي أوْحَيْنَا إلَيْكَ** ﴾ من القرآن الذي هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ﴿ **ثُمَّ لا تجدُ لكَ بهِ عَلَيْنَا وَكيلاً** ﴾ أي : من يتوكل علينا بردّه .

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

[٨٧] ﴿ **إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** ﴾ وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً ﴿ **إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً** ﴾ أي : تفضّله بالإيحاء والتعليم الرّبّاني ، والاصطفاء للرسالة ثم حفظ القرآن .

[٨٨] ﴿ **قُلْ : لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ** ﴾ أي : اتفقت ﴿ **على أن يأْتُوا بِمِثْلِ هذا القرْآنِ لا يأتُونَ بِمِثْلِهِ ولوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيراً** ﴾ أي : مُعيناً . [ذكر ابن جرير أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتيهم بآية غيرها شاهدة له نبوته ، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به] .

[٨٩] ﴿ **ولقدْ صرَّفْنا** ﴾ ردّدنا وكرّرنا وبيّنّا ﴿ **للنّاسِ في هذا القرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ من كل معنى ، هو كالمثل في غرابته وحسنه ، ليتقرر ويرسخ في نفوسهم ، ويزدادوا تدبراً وإذعاناً ﴿ **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً** ﴾ أي : جحوداً .

[٩٠] ﴿ **وقالُوا : لنْ نُؤمنَ لكَ حتّى تَفْجُرَ لنا منَ الأرْضِ يَنْبُوعاً** ﴾ أي : تشقق لنا من أرض مكة عيوناً .

[٩١] ﴿ **أوْ تكونَ لكَ جَنَّةٌ من نخيلٍ وعنَبٍ** ﴾ أي : بستان منهما ﴿ **فَتُفَجِّرَ الأنْهارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً** ﴾ على غرار ما يرونه في بلاد الشام والعراق .

[٩٢] ﴿ **أوْ تُسْقِطَ السَّمآءَ كما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً** ﴾ قطعاً بالعذاب ﴿ **أوْ تأتِيَ باللَّهِ والملائكةِ قَبيلاً** ﴾ ـ نعاينهم معاينة : أو ـ كفيلاً بما تقول ، شاهداً بصحته .

[٩٣] ﴿ **أو يكونَ لكَ بيتٌ منْ زُخْرُفٍ** ﴾ من ذهب ﴿ **أوْ تَرقى في السَّماءِ** ﴾ تصعد إلى السماء ﴿ **ولن نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ** ﴾ وحده ﴿ **حتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كتاباً نَقْرَؤُهُ** ﴾ أي : كتاباً من السماء فيه تصديقك [قال عبد الله بن أمية المخزومي ، وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ : لا أؤمن بك أبداً حتى تتّخذ إلى السماء سلّماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً بما فاته من متابعة قومه ، ولما رأى من مباعدتهم منه ، فأنزل تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ الآيات ـ النيسابوري] ﴿ **قُلْ : سُبْحانَ ربّي** ﴾ تنزيهاً له ، والمراد به التعجّب من اقتراحاتهم ﴿ **هَلْ كُنْتُ إِلَّا بشراً رَسولاً** ﴾ كسائر الرسل ، وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يُظهره عليهم من الآيات حسبما يلائم حال قومهم .

[٩٤] ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ** ﴾ الذين تعنّتوا في مسألة الإيمان ﴿ **أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَبَعَثَ اللَّهُ بشراً رَسُولاً** ﴾ بمعنى : إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البَشَر .

[٩٥] ﴿ **قُلْ : لوْ كَانَ فِي الأَرْضِ ملائكةٌ يَمْشُونَ** ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنس ﴿ **مُطْمَئِنِّينَ** ﴾ ساكنين في الأرض ﴿ **لنزَّلْنا عَلَيْهِم مِنَ السَّماءِ ملَكاً رسُولاً** ﴾ من جنسهم ، ولمّا كنتم أنتم بشراً ، بعثنا فيكم رسلاً منكم .

[٩٦] ﴿ **قُلْ : كفى باللهِ شَهيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ** ﴾ على أني بلّغت ما أُرسلت به إليكم وإنكم كذّبتم وعاندتم ﴿ **إِنَّهُ كانَ بعبادِهِ خبيراً بصيراً** ﴾ عالماً بأحوالهم ، فهو مجازيهم ، وهذا تثبيت لرسول الله ﷺ ووعيد للكفّار .

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

[٩٧] ﴿ **ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ** ﴾ إلى الحق ﴿ **فَهُوَ المُهْتَدِ ومَنْ يُضْلِلْ** ﴾ يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره ، كهؤلاء المعاندين ﴿ **فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ** ﴾ أي : أنصاراً يهدونهم ويحفظونهم من قهره ﴿ **ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ على وُجُوهِهِمْ** ﴾ أي : يُسحبون عليها ﴿ **عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً** ﴾ كما كانوا في الدنيا لا يُبصرون ولا ينطقون بالحق ، ويتصامّون عن استماعه ﴿ **مأواهُمْ جهنَّم كُلَّما خَبَتْ** ﴾ كلما سكن لهيبها ، بأن أكلت جلودَهم ولحومَهم ﴿ **زِدْنَاهُمْ سَعِيراً** ﴾ توقداً ، بأن نبدّل جلودهم ولحومهم ، فتعود ملتهبة مستعرة .

الحزب ٣٠

[٩٨] ﴿ **ذلِكَ** ﴾ العذاب المذكور ﴿ **جزاؤُهُم بأنَّهم كَفَرُوا بآياتِنَا** ﴾ بسبب كفرهم بآيات الله ﴿ **وقَالُوا: أإذا كُنَّا عِظاماً ورُفَاتاً أإنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جديداً** ﴾ لَمُحْيَوْنَ خلقاً جديداً ، بإعادة الروح فينا ، إذا تلف لحمنا وبقينا عظاماً ، بل رقّت عظامنا فصارت رفاتاً .

[٩٩] ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا** ﴾ يعلموا ﴿ **أنَّ اللَّهَ الذي خَلَقَ السمٰواتِ والأرْضَ قَادِرٌ على أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ** ﴾ يوم القيامة . والمعنى : قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السمواتِ والأرض ، فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس ، لأنهم ليسوا بأصعب خَلقاً منهم ﴿ **وجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فيهِ** ﴾ جعل لبعثهم وإقامتهم من قبورهم مدّة مقدّرة لا بد من انقضائها ﴿ **فَأَبى الظَّالِمُونَ** ﴾ بعد قيام الحجّة عليهم ووضوح الدليل ﴿ **إلاَّ كُفُوراً** ﴾ أي: جحوداً وتمادياً في باطلهم .

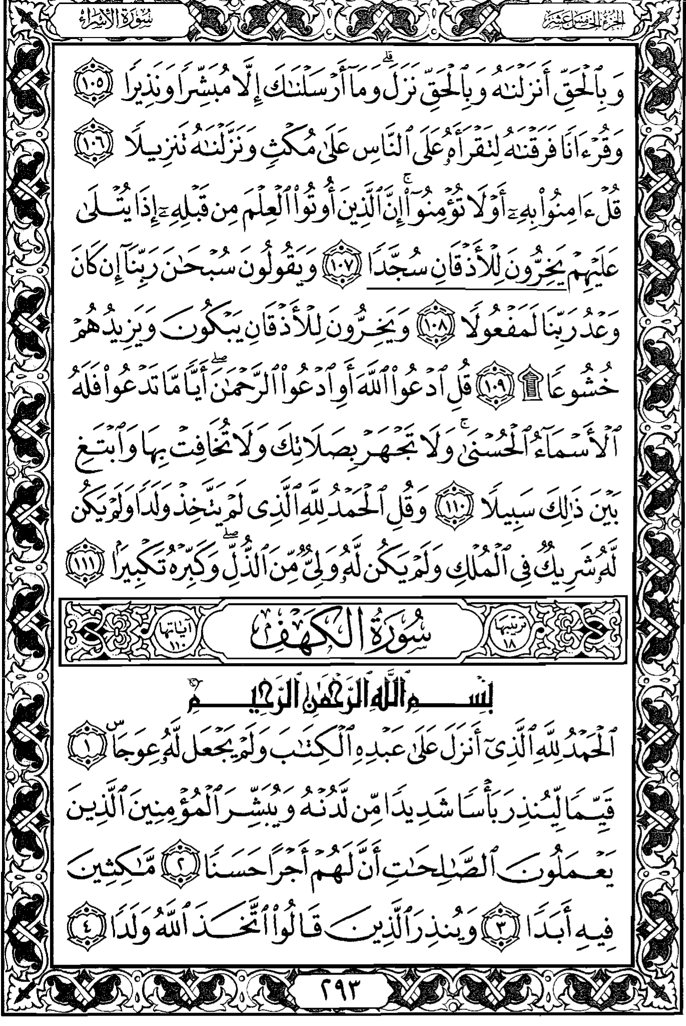
[١٠٠] ﴿ **قُلْ: لو أنْتُم تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي** ﴾ أي : رزقه وسائر نعمه على خلقه ﴿ **إذاً لأمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفاقِ** ﴾ لبخلتم بها مخافة نفادها بالإنفاق ، مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبداً ، وهذا البخل من طباعكم وسجاياكم ﴿ **وكانَ الإنسانُ قَتُوراً** ﴾ أي : بخيلاً .

[١٠١] ﴿ **ولقدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بيِّناتٍ** ﴾ واضحات الدلالة على صحة ما أرسله الله به ـ راجع سورة الأعراف ، الآية ١٣٣ ـ ﴿ **فَاسْأَلْ بني إسرائيلَ** ﴾ عنها ، فإنهم يعلمونها مما لديهم من التوراة ﴿ **إذْ جاءَهُمْ فقالَ له فِرعَوْنُ : إنّي لأظُنُّكَ يا مُوسَى مَسْحوراً** ﴾ بمعنى : سُحِرْتَ : فخولط عقلك ، أو بمعنى : ساحر.

[١٠٢] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى عليه السلام ﴿ **لقدْ عَلِمْتَ** ﴾ يا فرعون ﴿ **ما أنْزَلَ هؤلاءِ** ﴾ الآيات التسع الواردة ﴿ **إلاَّ ربُّ السَّمٰواتِ والأرضِ بَصَائِرَ** ﴾ بيّنات مكشوفات لا سحر ولا تخيّل ﴿ **وإنّي لأظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً** ﴾ هالكاً .

[١٠٣] ﴿ **فأرادَ** ﴾ فرعون ﴿ **أنْ يَسْتَفِزَّهُم منَ الأرْضِ** ﴾ يفزعهم ويزعجهم بما يحملهم على خفة الهرب فَرَقاً ـ خوفاً ـ منه ، أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال ، والأرض المقصودة : أرض مصر ﴿ **فأغرقناه ومَنْ مَعَهُ جميعاً** ﴾ فدمّره الله تعالى وجنودَه بالإغراق .

[١٠٤] ﴿ **وقُلْنَا من بَعْدِهِ** ﴾ من بعد إغراقه ﴿ **لبني إسرائيلَ اسْكُنُوا الأرْضَ** ﴾ وهي أرض كنعان ﴿ **فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ** ﴾ أي : قيام الساعة ﴿ **جِئْنَا بكم لَفِيفاً** ﴾ جمعاً مختلطين أنتم وعدوّكم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم .



[١٠٥] ﴿ وبالحقِّ أنزلْناهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ وبالحقِّ نَزَلَ ﴾ وهو ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ومحاسن الأخلاق وكل ما خالف الباطل ﴿ وما أرسلناكَ إلَّا مبشِّراً وَنَذيراً ﴾.

[١٠٦] ﴿ وقُرْآناً فَرَقْناهُ ﴾ نزّلناه مفرّقاً منجّماً ﴿ لتقرَأَهُ على النّاسِ على مُكْثٍ ﴾ على مهل وتؤدة وتثبّت، فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم ﴿ ونزّلناهُ تنزيلاً ﴾ من لَدُنّا على حسب الأحوال والمصالح.

[١٠٧] ﴿ قُلْ: آمِنُوا بهِ أو لا تُؤْمِنُوا ﴾ أمر بالإعراض عنهم، واحتقارهم والازدراء بشأنهم، وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه ﴿ إنَّ الذينَ أُوتوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إذا يُتْلَى عَلَيهم يَخِرُّون للأذْقانِ سُجَّداً ﴾ أي: سقطوا على الوجوه سجّداً لله.

[١٠٨] ﴿ ويَقولُونَ: سُبْحَانَ ربنَا إن كانَ وعْدُ ربّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه.

[١٠٩] ﴿ ويَخِرُّونَ للأذْقانِ ﴾ كناية عن وضع وجوههم على الأرض ﴿ يَبْكُونَ ويزيدُهُم خُشُوعاً ﴾.

[١١٠] ﴿ قُلِ: ادْعُوا اللَّهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ ﴾ سمُّوه بهذا الاسم «الله» أو «الرحمن» ﴿ أيّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى ﴾ ومعنى كونها أحسن الأسماء، أنها مستقلة بمعاني الحمد والتقديس والتعظيم ﴿ ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ﴾ أي: بقراءة صلاتك [وقيل بدعائك] ﴿ وَلا تُخافِتْ بها ﴾ ولا تُسرّ وتُخفي ﴿ وابْتَغِ بينَ ذَلِكَ سَبيلاً ﴾ بين الجهر والمخافتة، أمراً وسطاً، فإن خير الأمور أوساطها.

[١١١] ﴿ وقُلِ: الحَمْدُ للهِ الذي لمْ يتَّخِذْ وَلَداً ﴾ لم يكُنْ علةً لموجود من جنسه ﴿ ولمْ يكُن لَهُ شريكٌ في المُلْكِ ﴾ يساويه في قوّة القهر والمملكة من الشريك في الملك، وإلا لكانا مشتركين في وجوب الوجود والحقيقة ﴿ ولمْ يكُنْ لهُ وليٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ لم يوال أحداً من أجل مذلّة به، ليدفعها بموالاته ﴿ وكبِّرْهُ تكْبيراً ﴾ عظّمه عن أن يلحقه شيء من هذه النقائص تعظيماً جليلاً.

[سورة الكهف]

ويقال لها: سورة أصحاب الكهف، لاشتمالها على قصتهم الجامعة فوائد الإيمان بالله، وهي مكية، وقيل إلا الآيات: ١ ـ ٨ و٢٨ و١٠٧ ـ ١١٠ فمدنية، وآياتها ١١٠ آيات. وقد روي في فضلها أحاديث كثيرة.

[١] ﴿ الحمدُ للهِ الذي أنزلَ على عَبْدِهِ ﴾ الرسول ﷺ ﴿ الكِتَابَ ﴾ وهو جميع القرآن ﴿ ولمْ يَجْعَلْ له عِوَجاً ﴾ باختلالٍ في نظمه وتنافٍ في معانيه.

[٢] ﴿ قَيِّماً ﴾ بمصالح العباد وما لابد لهم منه من الشرائع ﴿ لِيُنْذِرَ ﴾ مَنْ خالفه ولم يؤمن به ﴿ بأْساً شديداً مِنْ لدُنْهُ ﴾ البأس: القهر والعذاب، وخصّصه بقوله: من لدُنْهُ، إشارة إلى زيادة هَوْله ﴿ ويُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ ﴾ به ﴿ الذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴾ من الخيرات والفضائل ﴿ أنَّ لَهُمْ أجْراً حسناً ﴾ وهو الجنة. [٣] ﴿ مَاكِثِينَ فيهِ أبَداً ﴾ فهم خالدون في الجنة لا يُخرجون منها.

[٤] ﴿ ويُنْذِرَ الذينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ وهم مشركو العرب في قولهم: الملائكة بنات الله، والنصارى في دعواهم المسيح ابن الله.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

[٥] ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ما لهم بالولد ، أو باتخاذه ، أو بالقول ، من علمٍ ﴿ ولا لآبائِهِمْ ﴾ فقولهم إن الله اتخذ ولداً توهُّم كاذب وتقليد للآباء ، لا عن علم يقين ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾ ما أكبرها كلمة ﴿ تَخْرُجُ منْ أفْوَاهِهِمْ ﴾ وذلك لأن الولد مستحيل في حق الله تعالى الذي ليس كمثله شيء ﴿ إن يَقُولُونَ إلاّ كَذِباً ﴾ .

[٦] ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ ﴾ أي : مُهلكٌ ﴿ نَفْسَكَ على آثارِهِمْ إن لم يُؤْمِنُوا بهذا الحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَسَفاً ﴾ الأسف : فرط الحزن والغضب.

[٧] ﴿ إنَّا جَعَلْنَا ما على الأرْضِ ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿ زينةً لها لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ لنختبر الناس ﴿ أَيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً ﴾ .

[٨] ﴿ وإنَّا لَجَاعِلُونَ ما عَلَيْهَا صَعيداً جُرُزاً ﴾ أي : تراباً مستوياً لا نبات فيه ، بعدما كان يبهج النّظار.

[٩] ﴿ أمْ حَسِبْتَ أنَّ أَصْحابَ الكَهْفِ والرَّقيمِ ﴾ الرقيم : اسم كلبهم أو الوادي . قيل : لوح رُقم فيه حديثهم وجُعل على باب الكهف ﴿ كانوا من آياتِنا عَجَباً ﴾ أي : أنهم من بين آياتنا آية عجيبة.

[١٠] ﴿ إذْ أَوَى الفِتْيَةُ إلى الكهف ﴾ خوفاً من إيذاء الملك لهم على تركهم عبادة الأوثان ﴿ فَقَالُوا : ربَّنا آتِنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿ وهَيِّءْ لنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً ﴾ وهو توحيدك وعبادتك .

[١١]﴿ فَضَرَبْنَا على آذانِهِمْ في الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾ أي : أنمناهم نومة ثقيلة سنين كثيرة أو معدودة في الكهف الذي أووا إليه .

[١٢]﴿ ثُمَّ بعثناهُمْ ﴾ أيقظناهم إيقاظاً يشبه بعث الموتى ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ ﴾ المختلفين في مدة لبثهم ، أشد إحصاء ﴿ أَحْصَى لِما لَبِثُوا أَمَداً ﴾ أي : إحاطة وضبطاً لغاية مدة لبثهم فيعلموا قدر ما حفظهم الله بلا طعام ولا شراب ، وأمنهم من العدوّ .

[١٣]﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ الحق : الأمر المطابق للواقع ﴿ إنَّهم فِتيةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ أي : بوحدانيته إيماناً يقينياً علمياً ﴿ وزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴾ بترجيح جانب الله على جانب أنْفسِهم . قال ابن كثير : الفتية ـ وهم الشباب ـ أقبل للحق وأهدى للسبيل ، من الشيوخ الذين قد عَتَوْا وانغمسوا في دين الباطل .

[١٤]﴿ وَرَبَطْنَا على قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : قوّيناها بالصبر على المجاهدة فهي ثابتة راسخة مطمئنة إلى الحق الذي عرفت ، والقيام بكلمة التوحيد ﴿ إذْ قَامُوا ﴾ بين يديْ الملك الجبار غير مبالين به ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا ﴾ الذي نعبده ﴿ ربُّ السَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ بحيث يدخل تحت ربوبيته كل معبود سواه ﴿ لَنْ نَدْعُوَا ﴾ أي : نعبد ﴿ مِنْ دُونِه إلٰهاً ﴾ فهو واحد بلا شريك ﴿ لقدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً ﴾ أي : قولاً بعيداً عن الحق ، مفرطاً في الظلم .

[١٥]﴿هؤلاءِ قَوْمُنا اتَّخَذُوا من دُونِه إلٰهاً ﴾ وفي الإشارة تحقير لهم ﴿ لَوْلا يأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلطانٍ بَيِّنٍ ﴾ فهذا هو طريق الاعتقاد : أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه ، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول ، وإلاّ فهو الكذب الشنيع ، لأنه الكذب على الله ﴿ فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى على اللّهِ كَذِباً ﴾.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ربع الحزب ٣٠

[١٦] ﴿ وإذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وما يَعْبُدُونَ إلاّ اللّهَ ، فأْوُوا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ وإذا كانت الدعوة إلى الدين الحق تعرض على الناس من غير إكراه ، فإن في أصحاب دعوات الكفر والشرك من يكرهون الناس عليه ، فما على صاحب العقيدة الصحيحة إلاّ الهروب بعقيدته ﴿ ويُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾ أي : ما تنتفعون به .

[١٧] ﴿ وتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ ﴾ إذا صعدت عند طلوعها ﴿ تَزَاوَرُ ﴾ تميل ﴿ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾ عن بابه ﴿ ذاتَ اليَمِينِ ﴾ يمين الكهف ﴿ وإذا غَرَبت ﴾ هبطت للغروب ﴿ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمَالِ ﴾ تقطعهم وتعدل عن سمت رؤوسهم إلى جهة الشمال ﴿ وهُمْ في فَجْوَةٍ منه ﴾ أي : سعة من الكهف يصل إليهم الهواء من كل جانب دون أذى الشمس ﴿ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ ﴾ أي : إرشادهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياءً ، وشعاع الشمس والريح تدخل عليهم فيه ، لتبقى أبدانهم ، آية من آياته الدالة على عنايته وتوفيقه للمخلصين ﴿ من يَهْدِ اللّهُ ﴾ إلى الحق بالتوفيق له ﴿ فَهُوَ المُهْتَدِ ، ومَنْ يُضْلِلْ ﴾ أي : يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه ﴿ فَلَنْ تجدَ لهُ وليّاً ﴾ ناصراً يلي أمره فيحفظه من الضلال ﴿ مُرْشِداً ﴾ يهديه إلى ما ذُكر .

[١٨] ﴿ وتَحْسَبُهُمْ أيْقاظاً وهُمْ رُقُودٌ ﴾ تظنهم أيقاظاً لانفتاح أعينهم ، وهم رقود مستغرقون في النوم ، بحيث لا ينبّههم الصوت ﴿ ونُقَلِّبُهُمْ ﴾ في رقدتهم ﴿ ذاتَ اليَمِينِ وذاتَ الشِّمَالِ ﴾ لئلا تُتلف الأرضُ أجسادَهم ﴿ وكَلْبُهُمْ باسطٌ ذِراعَيْهِ بالوَصِيدِ ﴾ أي : بفناء الكهف أو الباب ، وقد شملت بركتهم كلبهم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فنظرت إليهم ، مع غاية قوتك ورباطة جأشك ﴿ لوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً ولَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ أي : خوفاً يملأ صدرك ، لما أُلبِسُوا من الهيبة ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم وخافهم .

[١٩] ﴿ وكَذلِكَ بَعَثْناهُمْ ﴾ وكما أنمناهم تلك النومة ، بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم ، لم يفقدوا من هيآتهم وأحوالهم شيئاً ، ادكاراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً ﴿ لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ أي : ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم ، فيعتبروا ، ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ، ويزدادوا يقيناً ، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكُرِّموا به ﴿ قالَ قائلٌ منْهُمْ كمْ لَبِثْتُمْ ﴾ أي : رقدتم ﴿ قالُوا : لَبِثْنا يوماً أو بَعْضَ يوْم ، قالوا : ربُّكُمْ أعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ ﴾ الله أعلم بمدة لبثهم ﴿ فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بوَرِقِكُمْ هذِهِ ﴾ الوَرِق : الفضّة ﴿ إلى المدينة ﴾ التي فررتم عنها ﴿ فَلْيَنْظُرْ أيُّهَا أزْكَى طَعَاماً ﴾ أي : أطيب ﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ منْهُ ولْيتلطَّفْ ﴾ في المبايعة واختيار الطعام ، أو في أمره بالتخفي ، حتى لا يُشعر بحالكم ودينكم ﴿ ولا يُشعِرَنَّ بكُمْ أحَداً ﴾ .

[٢٠] ﴿ إنَّهُمْ ﴾ أي أهل المدينة الكافرون ﴿ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ يطّلِعُوا على مكانكم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ أي : يقتلوكم ﴿ أوْ يُعِيدُوكم في ملّتِهِمْ ﴾ يدخلوكم فيها بالإكراه والعنف ﴿ ولن تُفْلِحُوا إذاً أبَداً ﴾ إذا صرتُمْ إلى ملّتهم .

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

[٢١] ﴿ وكذلِكَ أعْثَرْنَا عليهم ﴾ أطلعنا عليهم أهل المدينة حتى دخلها مَنْ بعثوه للطعام ، وأخرج ورقهم النقود التي كانت بحوزتهم المتقادمة العهد ﴿ لِيَعْلَمُوا ﴾ أي : ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿ أنَّ وعْدَ اللّهِ حقٌّ ﴾ أن وعد الله بالبعث حق ، لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث ﴿ وأنَّ السَّاعة ﴾ الموعود فيها بالبعث آتية ﴿ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ إذ لابد من الجزاء بمقتضى الحكمة ﴿ إذ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أمْرَهُمْ ، فَقَالوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً ﴾ على باب كهفهم ، بنياناً عظيماً ﴿ رَبُّهُمْ أعْلَمُ بهِمْ ، قالَ الذينَ غَلَبُوا على أمرِهم ﴾ من المتنازعين ، وهم أرباب الغلبة ونفوذ الكلمة ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عليهمْ مَسْجِداً ﴾ نصلي فيه ، تبركاً بهم وبمكانهم . وفي الحديث : (لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) رواه الشيخان .

[٢٢] ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ أي : الخائضون في قصتهم على عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب الذين لا علم لهم بالحقيقة ﴿ ثلاثةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ويقُولُونَ ﴾ أي : بعض آخر منهم ﴿ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بالغَيْبِ ﴾ أي : رمياً وتلفّظاً بالذي غاب عنهم ﴿ ويَقُولُونَ سَبْعَةٌ وثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ حكاية لقول فريق آخر ﴿ قُلْ : رَبِّي أعْلَمُ بعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَليلٌ ﴾ ممن أطلعه الله عليه ﴿ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِراءً ظاهِراً ﴾ أي : لا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف ، إلا جِدالاً ظاهراً ليِّناً غير متعمق فيه ، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿ ولا تَسْتَفْتِ فيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً ﴾ لا تسأل أحداً منهم عن نبئهم ، إذ لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه رجماً بالغيب .

[٢٣] ﴿ ولا تَقُولَنَّ لشيْءٍ إنّي فَاعِلٌ ذلِكَ غَداً ﴾ فلا ينبغي الجزم والبت على فعل أمر مستقبل مجهول ، لأن المستقبل بيد الله تعالى .

[٢٤] ﴿ إلاَّ أنْ يشاءَ اللَّهُ ﴾ فالمعنى : لا تقولن إلا وقت أن يشاء الله بأن يأذن لك في القول ، فتكون قائلاً بمشيئته ، فالمشيئة على هذا بمعنى الإذن ، أو المعنى : لا تقولن لما عزمت عليه من فعل : إني فاعل ذلك غداً إلا قائلاً معه : إن شاء الله ﴿ واذْكُرْ ربَّكَ إذَا نَسِيتَ ﴾ أي : نسي ما وصّى به ﴿ وقُلْ عسى أنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾ أي : خيراً ومنفعة ، والإشارة : للنبأ المتحاوَر فيه .

[٢٥] ﴿ ولَبِثُوا في كَهْفِهِمْ ﴾ على الحالة الموصوفة في الآيات السابقة ﴿ ثلاثَ مائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ .

[٢٦] ﴿ قُلِ اللَّهُ أعْلَمُ بمَا لَبِثُوا ، لهُ غيبُ السَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ هو وحده العالم به ﴿ أبْصِرْ به وأسْمِعْ ﴾ أي : ما أبصره لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه شيء ولا يحجب بصره وسمعه شيء ﴿ مَا لَهُمْ ﴾ أي : أهل السموات والأرض في خلقه ﴿ مِنْ دُونِهِ مِنْ وليٍّ ﴾ يتولى أمورهم ﴿ ولا يُشْرِكُ في حُكْمِهِ ﴾ أي : قضائه ﴿ أحداً ﴾ هو المنفرد بالحكم والقضاء في الوجود كله .

[٢٧] ﴿ واتْلُ مَا أُوحِيَ إلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ بتبليغ ما فيه ، ومنه ما أوحي إليك من نبأ الفتية ، فإنه الحق الذي لا يحتاج معه إلى استفتاء فيه ﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لا مغيّر لها ولا محرّف ولا مُزيل ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ أي : ملجأ .

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

[٢٨] ﴿ واصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ أي : احبسها وثبتها ﴿ مَعَ الذينَ يـدْعُونَ رَبَّهُمْ بـالغَدَاةِ والعَشِيِّ ﴾ مع أصحابك الذين يذكرونه سبحانه طرفي النهار ، بملازمة الصلاة فيهما ﴿ يُرِيدُونَ وجْهَهُ ﴾ طلباً لمرضاته وطاعته ﴿ وَلاَ تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ ﴾ لا تجاوز نظرك إلى غيرهم بالإعراض عنهم ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيـا ﴾ تطلب مجالسة الأشراف والأغنياء تألّفاً لقلوبهم ﴿ ولا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ جعلناه غافلاً لبطلان استعداده للذكر بالمرة ، وذلك لئلا يؤديك إلى الغفلة عنه ﴿ واتَّبَعَ هواهُ وكانَ أمْرُهُ فُرُطاً ﴾ لا تطعهم فيما يطلبون من تمييز بينهم وبين الفقـراء . وروى مسلم عن سعد بن أبي وقّاص قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . . . فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع ، فحدَّث نفسه ، فأنزل الله عزّوجل ﴿ ولا تطرد الّذين يدعون ربَّهم ﴾ سورة الأنعام ، الآية ٥٢ .

نصف الحزب ٣٠

[٢٩] ﴿ وقُلِ الحقُّ من ربِّكُمْ ﴾ أي : جاء الحق ، وهو ما أوحي إليّ منه تعالى ﴿ فمن شاءَ فليُؤْمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ فهي الحرية الفكرية لمن أراد الإيمان ، وهي الحرية الفكرية لمن لم يقتنع ، فإنما على الرسول البلاغ وعلى الله الحساب ﴿ إنّا أعْتَدْنَا للظّالِمِينَ ﴾ أي : هيـّأْنا للكافرين بالحق ، بعدما جاء من الله سبحانه ﴿ نَاراً أحاطَ بهم سُرادِقُهَا ﴾ أي : فسطاطها ، وهي الخيمة ، شبه به ما يحيط بهم من النّار ﴿ وإنْ يَسْتَغِيثُوا ﴾ من الظمأ ﴿ يُغَاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ ﴾ كالحديد المذاب وكعكر الزيت ، والمقصود : المياه المتعفِّنة التي تسيل من أبدان أهل النار ﴿ يَشْوِي الوُجُوهَ ﴾ إذا قدم إليه ليشرب ، من فرط حرارته ﴿ بئس الشراب وسَاءَتْ ﴾ أي : النار ﴿ مُرْتَفَقاً ﴾ أي : متّكأً .

[٣٠] ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إنّا لا نُضيعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً ﴾ .

[٣١] ﴿ أُولئِكَ لَهُمْ جنَّاتُ عَدْنٍ تجري من تَحْتِهِمُ الأنْهارُ يُحَلَّوْنَ فيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ ﴾ وهو ما رَقّ من الديباج ﴿ وإسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو ما كثف منه ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأرائِكِ ﴾ أي : السرر على هيئة المتنعّمين ﴿ نِعْمَ الثوابُ ﴾ أي : الجنات المذكورة ﴿ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ أي : متكأ ، وقيل المرتفق : المنزل والمستقر .

[٣٢] ﴿ واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً ﴾ للمؤمن والكافر ﴿ رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ منْ أعنابٍ وحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ وهي أعز ما يؤثره أولئك في تأزير كرومهم بالأشجار ﴿ وجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا ﴾ بين الجنّتين ، أو بين النخيل والأعناب ﴿ زرْعاً ﴾ فحصل منها الفواكه والأقوات ، فكانتا منشأ الثروة والجاه .

[٣٣] ﴿ كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ أي : ثمرها كاملاً ﴿ ولَمْ تَظْلِمْ ﴾ ولم تنقص ﴿ منْهُ شيئاً وفجَّرْنَا خِلالَهُمَا ﴾ فيما بينهما ﴿ نَهَراً ﴾ يسقي الأشجار والزروع ، ويزيد في بهجة مرآهما ، تتميماً لحسنهما .

[٣٤] ﴿ وكانَ لَهُ ﴾ أي : لصاحب الجنتين ﴿ ثَمَرٌ ﴾ أنواع من المال غير الجنتين من : ثمّـر ماله ، إذا كثّره ﴿ فقالَ لصاحبِهِ وهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ يراجعه الكلام ، تعييراً له بالفقر ، وفخراً عليه بالمال والجاه ﴿ أنَا أكْثَـرُ مِنْكَ مالاً وأَعَزُّ نَفَراً ﴾ أي : أنصاراً وحشماً .

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

[٣٥] ﴿ وَدَخَلَ جنَّتَهُ ﴾ أي : دخل الجنة بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها ﴿ وَهُوَ ظالِمٌ لنفسِهِ ﴾ بالكفر والعجب ﴿ قالَ : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ ﴾ أن تهلك وتفنى ﴿ هذِهِ ﴾ الجنّة ﴿ أبداً ﴾ لاعتقاده أبدية الدهر .

[٣٦] ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أي : كائنة ، آتية ﴿ ولئِن رُدِدْتُ إلى ربّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ تطمعاً وتمنياً على الله ، وادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده ، وإنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله .

[٣٧] ﴿ قالَ لهُ صاحبُهُ ﴾ الذي عيّره بفقره ، تعييراً له على كفره ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بالذي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ من نُطْفَةٍ ﴾ بجعل التراب نباتاً ثم جعله غذاء يتولد من النطفة ﴿ ثمّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ .

[٣٨] ﴿ لكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ معه من العلويات والسفليات .

[٣٩] ﴿ ولوْلا إذْ دَخَلْتَ جنَّتَكَ قُلْتَ : ما شاءَ اللَّهُ ﴾ أي : هلّا قلت عند دخولها ذلك ، اعترافاً بأنها وكل خير فيها ، إنما حصل بمشيئة الله وفضله ﴿ لا قُوَّةَ إلاّ باللَّهِ ﴾ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها ، إنما هو بمعونته وتأييده ﴿ إنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مالاً وولداً ﴾ .

[٤٠] ﴿ فَعَسَى رَبِّي أن يُؤْتِيَنِ ﴾ في الدنيا أيضاً ﴿ خَيْراً مِن جَنَّتِكَ ويُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً ﴾ أي : مقداراً قدره الله وحسبه ، وهو الحُكْم بتدميرها من صواعق وآفات ﴿ مِنَ السماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴾ أي : تراباً أملس لا تثبت فيها قدم لملاستها .

[٤١] ﴿ أوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً ﴾ أي : غائراً في الأرض ﴿ فلن تستطيعَ لَهُ طلباً ﴾ أي : حيلة تدركه بها ، بالحفر أو بغيره .

[٤٢] ﴿ وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ بإهلاكه فلم يبق له فيه شيء ﴿ فأصبحَ يُقَلِّبُ كفَّيْه على ما أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ فعيّر نفسه أكثر من تعييره صاحبه وتعيير صاحبه إياه ، وتقليب الكفين : كناية عن الندم والتحسّر ﴿ وهي خاويةٌ على عُرُوشِهَا ﴾ ساقطة عليها ، والعروش : جمع عرش ، وهو ما يصنع ليوضع عليه الشيء فإذا سقط سقط ما عليه ، والمعنى : سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم ﴿ ويقُولُ يا ليتني لمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بُستانه .

[٤٣] ﴿ ولَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ ﴾ قوم ﴿ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي : يقدرون على نصرته من دون اللّه ، كما افتخر بهم واستعز على صاحبه ﴿ وَمَا كانَ مُنْتَصِراً ﴾ أي : ممتنعاً بنفسه وقوته على انتقام الله .

[٤٤] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ في ذلك المقام وتلك الحال التي وقع فيها الإهلاك ﴿ الوَلاَيَةُ للَّهِ الحَقِّ ﴾ النصرة لله وحده ، لا يقدر عليها أحد غيره ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وخيْرٌ عُقْباً ﴾ لأوليائه ، فلا ينقص لمؤمن درجة لدناءته في الدنيا ، ولا يترك لكافر عقوبة لشرفه ، بل يعاقبه بذنبه ويظهر فضل المؤمن عليه .

[٤٥] ﴿ واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ اذكر لهم ما تشبهه في زهرتها وسرعة زوالها ﴿ كماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نباتُ الأَرْضِ ﴾ فالتفَّ بسببه وتكاثف ، حتى خالط بعضه بعضاً ، فشبّ وحسن وعلاه الزهر والنوْر والنضرة ﴿ فأصْبَحَ ﴾ بعد ذلك الزّهْو ﴿ هَشِيماً ﴾ جافّاً يابساً مكسوراً ﴿ تَذْرُوهُ الرِّياحُ ﴾ تفرّقه ذات اليمين وذات الشمال ﴿ وكانَ اللَّهُ على كُلِّ شيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ أي قادراً على الإنشاء والإفناء .

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿ المالُ والبَنُونَ زينةُ الحياةِ الدُّنْيا ﴾ وذلك لإعانتهما فيها ، ووجود الشرف بهما ﴿ والباقياتُ الصّالحَاتُ خيْرٌ عندَ ربِّكَ ثَواباً وخيْرٌ أمَلاً ﴾ .

[٤٧] ﴿ ويوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ ﴾ أي : اذكر يوم نقلعها من أماكنها ونسيّرها في الجوّ ، أو نسيّر أجزاءها بعد أن نجعلها هباءً منبثًا ﴿ وترى الأرْضَ بَارِزَةً ﴾ لبروز ما تحت الجبال حتى تبدو للعيان سطحاً مستوياً ، لا بناء ولا شجر ولا مَعْلَم ولا ما سوى ذلك ﴿ وحَشَرْنَاهُمْ ﴾ وجمعناهُم إلى موقف الحساب ﴿ فلمْ نُغَادِرْ ﴾ فلم نترك ﴿ منهم أحداً ﴾ لا صغيراً ولا كبيراً .

[٤٨] ﴿ وعُرِضُوا على ربِّكَ صَفًّا ﴾ مصطفين مترتبين في المواقف ، لا يحجب بعضهم بعضاً ، كُلٌّ في رتبته ﴿ لقدْ جِئْتُمُونَا كما خَلَقْنَاكُمْ أوّلَ مرّةٍ ﴾ بلا مال ولا بنين ، أو لقد بعثناكم كما أنشأناكم ﴿ بلْ زَعَمْتُمْ ﴾ بإنكاركم البعث ﴿ ألّن نجْعَلَ لكمْ مَوْعِداً ﴾ أي : وقتاً لإنجاز ما وعدناكم من البعث والنشور والحساب والجزاء .

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

[٤٩] ﴿ ووُضِعَ الكِتابُ ﴾ أي : صحائف الأعمال بين يدي الله بحضرة الخلائق ﴿ فَتَرَى المُجْرِمينَ مُشْفِقينَ ﴾ خائفين أن يفتضحوا ﴿ ممّا فيه ﴾ من أعمالهم السيئة المسطرة ﴿ ويقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا ﴾ أي : يا هلكتنا ويا حسرتنا على ما فرّطنا في أعمارنا ﴿ مَالِ هذا الكتابِ لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحْصَاهَا ﴾ أيُّ شأن حصل له ، فلا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا ضبطه وحفظه ، والاستفهام مجاز عن التعجب في إحصائه كل المعاصي وعدم تسامحه في شيءٍ منها ﴿ ووجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾ مكتوباً في الصحف تفصيلاً ، من خير وشر ﴿ ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً ﴾ فيكتب عليه ما لم يعمله ، أو يزيد في عقابه .

[٥٠] ﴿ وإذْ قُلْنَا للملائكةِ اسجُدُوا لآدمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبليسَ كانَ منَ الجنِّ ﴾ المردة الشياطين العتاة ﴿ فَفَسَقَ عنْ أمْرِ رَبِّهِ ﴾ أي : خرج عن طاعته ﴿ أفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَتَهُ أوْلِيَاءَ منْ دُوني وَهُمْ لكُمْ عدوٌّ ﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي ، وهذا تقريع وتوبيخ لهم ﴿ بئسَ للظالمينَ ﴾ الواضعين الشيء في غير موضعه ﴿ بَدَلاً ﴾ بئس البدل من الله إبليس ، لمن أطاعه بدل طاعته الله .

[٥١] ﴿ ما أشْهَدتُهُمْ خلق السَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ أي : ما أحضرت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ، حين خلقتهما ﴿ ولا خَلْقَ أنفُسِهِمْ ﴾ أي : وما أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ وما كنت متخذهم أعواناً لخلق ما ذُكر ، بل تفردتُ بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير ، وإذا لم يكونوا عضداً في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة ؟ .

[٥٢] ﴿ ويومَ يَقُولُ ﴾ أي : الحق تعالى ﴿ نَادُوا شُرَكَائيَ الذينَ زَعَمْتُمْ ﴾ في دار الدنيا أنهم شركاء لينقذوكم مما أنتم فيه ، يقال لهم ذلك على رؤوس الأشهاد تقريعاً لهم وتوبيخاً ﴿ فدعَوْهُمْ ﴾ فنادوهم للإعانة ﴿ فلم يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ فلم يُعينوهم ، لعجزهم ﴿ وجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ أي : بين الكفار وآلهتهم ﴿ مَوْبِقاً ﴾ أي : مهلكاً يشتركون فيه ، وهو : النار ، أو عداوة هي في الشدّة نفس الهلاك . [٥٣] ﴿ ورأى المُجْرِمُونَ النّارَ ﴾ أي : جهنّم المحيطة بأنواع الهلاك ﴿ فظَنُّوا أنّهم مُواقِعُوهَا ﴾ أيقنوا بأنهم واقعون فيها ﴿ ولمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾ أي : معدلاً ينصرفون إليه .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿ **ولقد صرّفنا في هذا القرآنِ للناسِ من كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ صرفنا : نوّعنا ، في هذا القرآن ، من كل مثل ينبه على مراقي السعادات ومهاوي الضلالات لِيُنْذَرُوا به ﴿ **وكانَ الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً** ﴾ أي : مجادلة ومخاصمة ومعارضة للحق بالباطل .

[٥٥] ﴿ **وما مَنَعَ النّاسَ** ﴾ أي : مشركي مكة وكل من كان على شاكلتهم ﴿ **أنْ يُؤْمنُوا** ﴾ بالله تعالى ويتركوا الشرك ﴿ **إذْ جاءَهُمُ الهُدَى** ﴾ أي : القرآن والحق الواضح النيّر ﴿ **ويَسْتَغْفِرُوا ربَّهُمْ** ﴾ عن المعاصي السالفة ﴿ **إلاّ أن تأتِيَهُمْ سُنّةُ الأوّلينَ** ﴾ وهي عذاب الاستئصال ﴿ **أوْ يأتِيَهُم العذابُ قُبُلاً** ﴾ يرونه عياناً ومواجهةً ، وهو عذاب الآخرة .

[٥٦] ﴿ **وما نُرسِلُ المُرْسَلينَ إلاّ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرينَ** ﴾ وما نرسلهم قبل إنزال العذاب إلا لتبشير من آمن ، وإنذار من كفر ﴿ **ويُجادِلُ الذينَ كَفَرُوا بالباطِلِ** ﴾ كاقتراح الآيات ﴿ **ليُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ** ﴾ ليزيلوا بالجدال الحقَّ الثابت عن مقره وليس ذلك بحاصل لهم ﴿ **واتّخَذُوا آياتي وما أُنذِرُوا هُزُواً** ﴾ اتخذوا آيات الله ، والذي أُنذروا به من العقاب استهزاء وسخرية ، وهو أشد التكذيب .

[٥٧] ﴿ **ومَنْ أظْلَمُ ممنْ ذُكِّرَ بآياتِ ربِّهِ فأعْرَضَ عنْهَا** ﴾ كناية عن عدم تدبرها والاتعاظ بها ﴿ **ونَسِيَ ما قدَّمتْ يَدَاهُ** ﴾ ما عمله من الكفر والمعاصي وصرف ما أنعم به ، إلى غير ما خلقت له ، فلم يتفكر في عاقبة ذلك ﴿ **إنّا جَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أكِنّةً أنْ يفْقَهُوهُ** ﴾ جعلنا على قلوبهم حجباً وأغطية كثيرة ، كراهة أن يقفوا على كنه ما خُلقت النعم من أجله ﴿ **وفي آذانِهِم وقْراً** ﴾ وجعلنا فيها ثقلاً يمنعهم من استماعه ﴿ **وإن تَدْعُهُمْ إلى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إذاً أبداً** ﴾ .

[٥٨] ﴿ **وربُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لوْ يُؤاخِذُهُم بِمَا كسبوا** ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ **لعجّلَ لَهُمُ العذابَ بل لهم موعدٌ** ﴾ هو يوم بدر ، أو الفتح المشار إليه في كثير من الآيات ، أو يوم القيامة ﴿ **لن يَجِدُوا من دونِهِ مَوْئلاً** ﴾ الموئل : الملجأ والمنجى ، أي : ليس لهم عنه محيص ولا مفر .

[٥٩] ﴿ **وَتِلْكَ القُرَى** ﴾ قرى عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأضرابهم ﴿ **أهْلَكْنَاهُمْ لمَّا ظَلَمُوا** ﴾ بالكفر والطغيان ﴿ **وجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً** ﴾ أي : وقتاً معيّناً لا محيد لهم عنه .[قال ابن جرير: فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبدا موعداً إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم ، سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم]. [٦٠] ﴿ **وإذْ قالَ مُوسَى لفتاه** ﴾ اذكر وقت قول موسى لخادمه ﴿ **لا أبْرَحُ حتّى أبلغَ مجمَعَ البَحْرَيْنِ** ﴾ لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو مكان ملتقاهما فأجد فيه الخضر ﴿ **أوْ أمضِيَ حُقُباً** ﴾ أو أسير زماناً طويلاً إن لم أجده حتى أتيقّن عدم لقائه . [٦١] ﴿ **فلمّا بلغَا مجمعَ بينهما** ﴾ أي : البحرين ﴿ **نَسِيَا حُوتَهُمَا** ﴾ أي : خبر حوتهما ـ الحوت مطلق السمك صغيراً كان أم كبيراً ـ وتفقُّدأمره ، وكانا تزوّداه ﴿ **فاتّخذَ سبيلَهُ** ﴾ طريقه ﴿ **في البَحْرِ سَرَباً** ﴾ مثل السرب ـ النفق الطويل الذي لا مخرج له ـ في الأرض ، واضح المسلك ، معجزة جُعلت علامة للمطلوب . [وفي الحديث (ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره . ثبت مكان الحوت الذي فيه ، فانجاب كالكوة ، حتى رجع إليه موسى ، فرأى مسلكه ، فقال : ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ ـ رواه ابن جرير] .

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

[٦٢] ﴿ **فلمّا جَاوَزَا** ﴾ المكان الذي نسيا فيه الحوت ﴿ **قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا** ﴾ أي : ما نتغدى به ﴿ **لقدْ لقينَا من سفرِنَا هذَا نَصَباً** ﴾ تعباً ومشقة .

[٦٣] ﴿ **قالَ : أرأيتَ إذْ أوينَا إلى الصَّخْـرةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ ومَا أنْسَانِيهُ إلاّ الشَّيْطَـانُ أنْ أذْكُرَهُ واتَّخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجباً** ﴾ أي : أمراً عجيباً ، إذ صار الماء عليه سرباً .

[٦٤] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **ذلكَ** ﴾ المكان الذي اتخذ فيه الحوت سبيله هرباً ﴿ **مَا كُنَّا نبْغِ** ﴾ أي : نطلب فيه الخضر ، لأنه أمارة المطلوب ﴿ **فارتـدَّا على آثارِهِمَا** ﴾ رجعا ماشيين على آثار أقدامهما يتبعانها ﴿ **قَصصاً** ﴾ اتباعاً لئلا يفوتهما الموضع ثانية .

[٦٥] ﴿ **فَوَجَدَا** ﴾ فأتيا الموضع المنسيّ فيه الحوت فوجدا ﴿ **عبْداً منْ عبادِنا** ﴾ والجمهور على أنه الخضر ﴿ **آتيناهُ رحْمَةً من عندِنَا** ﴾ آتيناه رحمة لدنيّة ، اختصصناه بها ﴿ **وعلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً** ﴾ أي : علماً جليلاً آثرناه به ، وهو علم لدنيّ ـ غيبي ـ يكون بتأييد ربّانيّ .

[٦٦] ﴿ **قالَ له مُوسَى : هَلْ أتَّبِعُكَ** ﴾ أصحبك ﴿ **على أنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ** ﴾ من لدن ربك ﴿ **رُشْداً** ﴾ أي : علماً ذا هدى وإصابة خير .

[٦٧] ﴿ **قالَ** ﴾ الخضر لموسى ﴿ **إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾ بوجه من الوجوه .

[٦٨] ﴿ **وكيفَ تَصْبِرُ على ما لمْ تُحِطْ بهِ خُبْراً** ﴾ من أمور ستراها ، إن صحبتني ، ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها علمك .

[٦٩] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى للخضر ﴿ **سَتَجِدُني إن شاءَ اللَّهُ صَابراً وَلا أعصي لكَ أمْراً** ﴾ لا أخالفك في شيء .

[٧٠] ﴿ **قالَ** ﴾ الخضر ﴿ **فإنِ اتَّبعْتَنِي فلا تَسْألْني عن شيءٍ حتّى أُحْدِثَ لكَ منْهُ ذِكْراً** ﴾ أي : لا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ، ولم تعلم وجه صحته ، حتى أبتدئك ببيانه .

[٧١] ﴿ **فانْطَلَقَا** ﴾ على ساحل البحر يطلبان سفينة ﴿ **حتّى إذَا رَكِبَا في السَّفِينَـةِ خَرَقَهَا** ﴾ بقلع بعض ألواحها من جهة الماء ﴿ **قالَ** ﴾ موسى عليه السلام ﴿ **أخرقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهلَهَا لقدْ جِئْتَ شيئاً إمْراً** ﴾ أي : عظيماً من إتلاف السفينة وقتل الجماعة الكثيرة بغير ذنب ، وإنكار الجميل بعد أن حملنا أهلُها من دون مُقابل .

[٧٢] ﴿ **قالَ** ﴾ الخضر ﴿ **ألمْ أقُلْ إنَّكَ لن تستطيعَ معيَ صَبْراً** ﴾ يعني : هذا الصنيع فعلته قصداً ، وهو من الأمور التي اشترطت معك أن لا تنكر عليّ فيها ، لأنك لم تحط بها خُبراً إذ لها سر لا تعلمه أنت .

[٧٣] ﴿ **قالَ** ﴾ **موسى** ﴿ **لا تُؤاخِذْني بِمَا نَسِيتُ** ﴾ من الشرط ﴿ **ولا تُرْهِقْني مِنْ أمْري عُسْراً** ﴾ لا تعسِّر عليَّ متابعتك ، بل يسِّرها عليَّ ، بالإغضاء وترك المناقشة .

[٧٤] ﴿ **فانْطَلَقَا** ﴾ بعد أن خرجا من السفينة إلى الساحل ﴿ **حتّى إذَا لَقِيَا غُلاماً فقتلَهُ ، قالَ** ﴾ موسى ﴿ **أَقَتَلْتَ نَفْساً زكيَّةً** ﴾ طاهرة غير مذنبة ﴿ **بغيرِ نفسٍ** ﴾ أي : أنها لم تَقتُل نفساً فتُقتَل ﴿ **لقدْ جئتَ شَيْئاً نُكْراً** ﴾ منكراً ، أو أنكرَ من الأول .

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

الحزب ٣١ / الجزء ١٦

[٧٥] ﴿ **قالَ** ﴾ الخضر ﴿ **أَلَمْ أَقُـلْ لَكَ إِنَّكَ لن تستطيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾ تأكيد في التذكار بالشرط الأول .

[٧٦] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **إن سألتُكَ عن شيءٍ بعدَهَا** ﴾ بعد هذه المرة ﴿ **فلا تُصاحِبْني قدْ بَلَغْتَ من لَدُنِّي عُذْراً** ﴾ أي : وجدت من جهتي عُذْراً فخالفتك ثلاث مرات . [ذكر ابن جرير أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال (استحيا في الله موسى)] .

[٧٧] ﴿ **فانطَلَقَا حتّى إذا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ** ﴾ اختلف في تسميتها ﴿ **اسْتَطْعَمَا أهْلَهَا فَأَبَوْا أنْ يُضيِّفوهُما** ﴾ أي : امتنعوا من أن يطعموهما الطعام الذي هو حق ضيافتهما عليهم ﴿ **فوَجَدا فِيهَا جِداراً يُريدُ أن ينقضَّ** ﴾ يكاد أن ينهدم ﴿ **فأقامَه** ﴾ عمَّره الخضر وأصلحه ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **لَوْ شِئتَ لاتَّخَذْتَ عليهِ أجْراً** ﴾ أي : لامه على ترك الأجرة ، مع مسيس الحاجة إليها .

[٧٨] ﴿ **قالَ** ﴾ الخضر ﴿ **هذَا فِراقُ بَيْني وبَيْنِكَ ، سأنبِّئُك بِتأْويلِ** ﴾ أي بتفسير ﴿ **مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عليهِ صَبْراً** ﴾ وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص أبويّ الغلام من شرّه ، مع الفوز بالبدل الأحسن ، واستخراج اليتيمين للكنز .

[٧٩] ﴿ **أمَّا السَّفينَةُ** ﴾ التي خرقتها ﴿ **فكانَتْ لمساكينَ يعملون في البحرِ** ﴾ أي : لفقراء يحترفون العمل في البحر ، لنقل الناس من ساحل إلى آخر ﴿ **فأردتُّ أنْ أعيبَهَا** ﴾ ثم بين الله السبب ﴿ **وكانَ وراءَهُمْ ملكٌ يأْخُذُ كُلَّ سفينةٍ غصْباً** ﴾ إنما خرقتها لأعيبها .

[٨٠] ﴿ **وأمَّا الغُلامُ** ﴾ الذي قتلته [فإنه كان كافراً] ﴿ **فكانَ أبواهُ مؤمِنَيْنِ فَخَشِينا** ﴾ لو تركناه ﴿ **أنْ يُرهِقَهُما طُغْيَاناً وكُفْراً** ﴾ أي : ينزل بهما طغيانه وكفره ويلحقه بهما ، فيجعل حياتهما شقاء .

[٨١] ﴿ **فَأَرَدْنَا** ﴾ بقتله ﴿ **أن يُبْدِلَهُما ربُّهُما خيْراً منهُ زكاةً** ﴾ أي : طهارة عن الكفر والطغيان ﴿ **وأقْرَبَ رُحْماً** ﴾ أي : رحمة بأبويه ، وبرًّا .

[٨٢] ﴿ **وأمَّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَيْنِ يتيمَيْنِ في المدِينَةِ ، وكانَ تَحْتَهُ كنزٌ لَهُما** ﴾ [قال الحسن : لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : عجبت لمن يؤمن كيف يحزن ، وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ـ رواه ابن جرير] ﴿ **وكانَ أبوهُما صالحاً ، فأرادَ ربُّكَ أنْ يبلُغَا أشُدَّهُما** ﴾ أي : قوتهما بالعقل وكمال الرأي ﴿ **ويستخرِجَا كنزَهُمَا** ﴾ ليتصرّفا فيه بعقل وحكمة ومصلحة ﴿ **رحمةً منْ ربِّكَ** ﴾ أي : تفضّل بها عليهما ﴿ **ومَا فَعَلْتُهُ عنْ أمْري** ﴾ ما فعلت كل ذلك باجتهادي ورأيي ، وإنما فعلته بأمر الله تعالى ﴿ **ذلِكَ تأْويلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عليهِ صَبْراً** ﴾ من الأمور التي رأيتها ، وتَسْطِعْ : مخفف تستطع ، بحذف التاء .

[٨٣] ﴿ **ويَسْألُونَكَ** ﴾ أي : اليهود يسألون رسول الله ﷺ ﴿ **عنْ ذي القَرْنَيْنِ** ﴾ [قيل] هو الإسكندر الكبير المقدوني ، وهذا اللقب من الكناية عن كل ذي قوّة وبأس وسلطان ، لأن ذا القرون من المواشي أقواها وأشدّها ، والكناية بالقرن عن القوة والسلطان معروفة عند اليهود ، الذين هم السائلون ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ منْهُ ذِكْراً** ﴾ أي : نبأً مذكوراً معجزاً ، أنزله الله عليّ .

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

[٨٤] ﴿ **إنـا مكّنّا لـه في الأرض** ﴾ بالقوّة والرأي والتدبير والسعة في المال والاستظهار بالعدد وعظم الصيت وكبر الشهرة ﴿ **وآتيْناهُ مِنْ كُلِّ شيءٍ سَبَباً** ﴾ أي : طريقاً موصلاً إليه ، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة .

[٨٥] ﴿ **فأتْبَعَ سَبَباً** ﴾ فأتبع سبباً سبباً آخر ، أو فأتبع أمره سبباً .

[٨٦] ﴿ **حتّى إذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمْسِ** ﴾ أي : أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب ، وهو مغرب الأرض ﴿ **وَجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ** ﴾ أي : ذات حمأة وهو الطين الأسود ﴿ **ووجدَ عندَها قوْماً** ﴾ أي : أمة ﴿ **قُلْنا يا ذا القرنينِ إمّا أنْ تُعَذِّبَ** ﴾ بالقتل وغيره ﴿ **وإمّا أنْ تتّخِذَ فيهم حُسناً** ﴾ بالعفو .

[٨٧] ﴿ **قالَ : أمّا مَنْ ظَلَمَ** ﴾ بالبغي والفساد في الأرض ﴿ **فسوفَ نُعذِّبُهُ ثمَّ يُردُّ إلى ربِّه** ﴾ في الآخرة ﴿ **فيُعذِّبُهُ عَذاباً نُكراً** ﴾ أي : منكراً لم يُعهد مثله .

[٨٨] ﴿ **وأمّا مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحاً فلَهُ** ﴾ في الدارين ﴿ **جزاءً الحُسنى** ﴾ أي : فله جزاء الخصلة الحسنة ﴿ **وَسَنقولُ لَهُ مِن أمرِنا يُسراً** ﴾ .

[٨٩] ﴿ **ثمَّ أتْبَعَ سَبَباً** ﴾ أي : طريقاً راجعاً من مغرب الشمس ، موصلاً إلى مشرقها .

[٩٠] ﴿ **حتّى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ على قوْمٍ لم نَجْعَلْ لهم مِنْ دُونِها سِتْراً** ﴾ من المباني والجبال .

[٩١] ﴿ **كذلِكَ وقدْ أحطْنا بِما لَديْهِ خُبْراً** ﴾ أي : علماً ، نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه ، لا يخفى علينا منها شيء .

[٩٢] ﴿ **ثمَّ أتْبَعَ سَبَباً** ﴾ أي : طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب .

[٩٣] ﴿ **حتّى إذا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ** ﴾ أي : بين الجبلين اللذين سدّ ما بينهما ﴿ **وَجَدَ مِن دُونِهِما قَوْماً** ﴾ وجد من ورائهما أُمّة من الناس ﴿ **لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قوْلاً** ﴾ لكون لغتهم غريبة مجهولة ولقلة فطنتهم .

[٩٤] ﴿ **قالُوا يا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ** ﴾ قال أبو البقاء : يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان وقال الرازي : واختلفوا في أنهما من أي الأقوام ؟ فقيل إنهما من الترك . . . ﴿ **مُفْسِدُونَ في الأرْضِ** ﴾ أي : في أرضنا بالقتل والإضرار ﴿ **فهلْ نَجْعَلُ لكَ خَرْجاً** ﴾ أي : ندفع لك مالاً جُعْلاً نخرجه من أموالنا ﴿ **على أنْ تجعلَ بيننا وبينهم سَدّاً** ﴾ حاجزاً يمنع خروجهم علينا .

[٩٥] ﴿ **قالَ** ﴾ ذو القرنين ﴿ **ما مكّنّي فيهِ ربّي خيْرٌ** ﴾ ما جعلني فيه مكيناً من المال والمُلْكِ أجلُّ مما تريدون بذله ، فلا حاجة بي إليه ﴿ **فأَعِينُوني بقُوّة** ﴾ أي : بِعَمَلَةٍ وصنّاع وآلات ﴿ **أجْعَلْ بيْنَكُمْ وبيْنَهُمْ رَدْماً** ﴾ أي : حاجزاً حصيناً .

[٩٦] ﴿ **آتُوني زُبَرَ الحَديدِ** ﴾ ناولوني قِطَعَهُ ﴿ **حتّى إذا ساوَى بيْنَ الصَّدَفيْنِ** ﴾ بين جانبي الجبلين ﴿ **قالَ انْفُخُوا** ﴾ في الأكوار والحديد ﴿ **حتّى إذا جَعَلَهُ ناراً** ﴾ أي : كالنار بالإحماء ﴿ **قال : آتوني أُفْرِغْ عليهِ قِطْراً** ﴾ أي : نحاساً مُذاباً ليلصق بالحديد ويتدعم البناء به ويشتد .

[٩٧] ﴿ **فما اسْطاعُوا** ﴾ يأجوج ومأجوج ﴿ **أن يَظْهَرُوهُ** ﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته ﴿ **وما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً** ﴾ لثخنه وصلابته .

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَآءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوٓا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

ربع الحزب ٣١

[٩٨] ﴿ قالَ ﴾ ذو القرنين ﴿ هذا ﴾ السد ﴿ رحمةٌ من ربِّي ﴾ على القاطنين عنده لأمنهم من شر يأجوج ومأجوج ﴿ فَإِذَا جاءَ وعْدُ ربّي ﴾ بدحره وخرابه ﴿ جَعَلَهُ دكّاءَ ﴾ أي: أرضاً مستوية ﴿ وَكَانَ وعْدُ ربّي حقّاً ﴾ أي: كائناً لا محالة.

[٩٩] ﴿ وتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم خروجهم ﴿ يموجُ في بعضٍ ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿ ونُفِخَ في الصُّورِ ﴾ النفخ في الصور: تمثيل لبعث الله الناس يوم القيامة بسرعة لا يمثلها إلا نفخة في بوق، فإذا هم قيام ينظرون ﴿ فجمعناهم جمعاً ﴾ فجمعناهم يوم القيامة للجزاء والحساب جمعاً عجيباً.

[١٠٠] ﴿ وعَرَضْنا جهنَّمَ ﴾ أي: أظهرناها وأبرزناها ﴿ يومئذٍ ﴾ يوم جمعنا الخلائق كافة ﴿ للكافِرِينَ ﴾ يرونها ويسمعون لها تغيُّظاً وزفيراً ﴿ عرْضاً ﴾ فظيعاً هائلاً.

[١٠١] ﴿ الذينَ كانتْ أعيُنُهم في غطاءٍ عن ذِكْرِي ﴾ لتعاميهم عن الآيات الدالة على توحيده، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصّرها ﴿ وكانوا لا يستطيعونَ سَمْعاً ﴾ لتصامّهم عن الحق واتباع الهدى.

[١٠٢] ﴿ أفَحَسِبَ الذينَ كَفَرُوا أنْ يتَّخذُوا عِبادِي من دُوني أوْلِيَاءَ ﴾ أي: أفحسبوا اتخاذهم العباد بدل الله نافعاً لهم؟ ﴿ إنَّا أعتَدْنا ﴾ هيّأنا ﴿ جهنّم للكافِرينَ نُزُلاً ﴾ شيئاً يتمتعون به عند ورودهم، والنُّزُل: ما يقام للنزيل أي الضيف، وفيه استعارة تهكمية، إذ جعل ما يُعذَّبون به في جهنّم كالزّقوم والغِسْلينَ ضِيَافةً لهم.

[١٠٣] ﴿ قُلْ هل نُنَبِّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أعْمالاً ﴾.

[١٠٤] ﴿ الذينَ ضلَّ سَعْيُهُمْ في الحياةِ الدُّنْيا ﴾ أي: ضاع وبطل ﴿ وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنعاً ﴾.

[١٠٥] ﴿ أُولئكَ الذينَ كَفَرُوا بآياتِ ربِّهِمْ ولقائِهِ ﴾ بالبعث والحساب والجزاء ﴿ فَحَبِطَتْ أعْمالُهُمْ ﴾ لكفرهم المذكور ﴿ فلا نُقِيمُ لهم يوْمَ القِيامَةِ وزْناً ﴾ أي: فنزيدهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً.

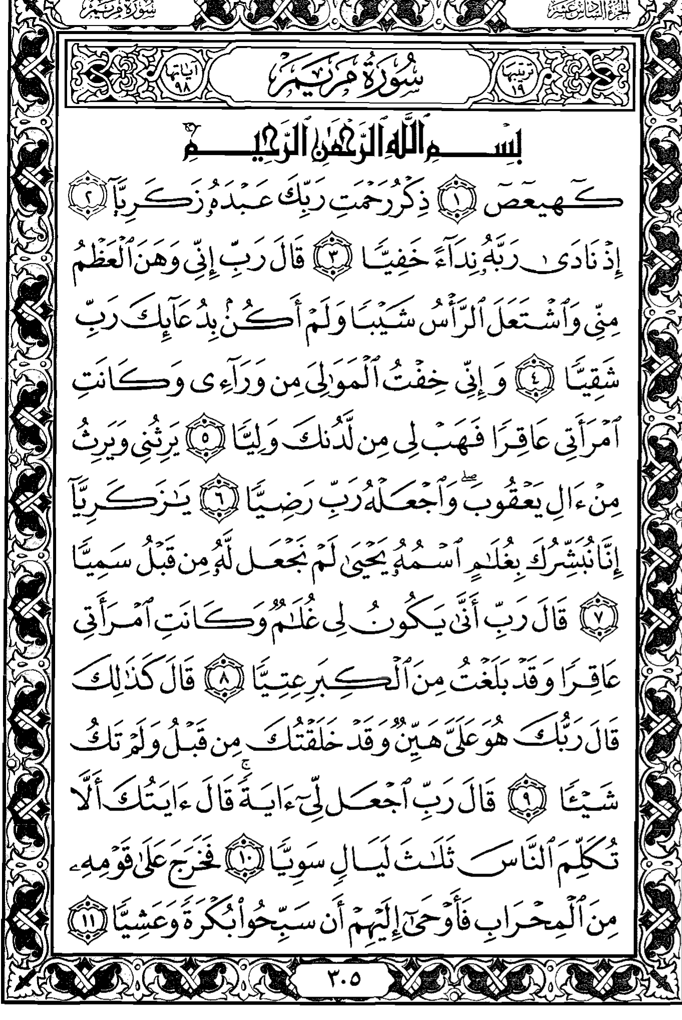
[١٠٦] ﴿ ذلِكَ ﴾ الأمر ذلك ﴿ جزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا واتَّخَذُوا آياتي ورُسُلي هُزُواً ﴾ أي: مهزوءاً بها.

[١٠٧] ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانَتْ لهم جنّاتُ الفِرْدَوْسِ ﴾ وسط الجنة وأعلاها ﴿ نُزُلاً ﴾ أي: منزلاً.

[١٠٨] ﴿ خالِدِينَ فِيهَا لا يبغونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ لا يسأمون ولا يملّونَ ولا يختارون عن مقامهم متحوّلاً.

[١٠٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ لَوْ كَانَ البحرُ مِداداً لكلماتِ ربّي ﴾ أي لكتابتها ﴿ لَنَفِدَ البَحْرُ ﴾ مع كثرته، ولم يبق منه شيء ﴿ قبلَ أنْ تنفدَ كلماتُ ربّي ﴾ لكونها غير متناهية، فلا تنفد ﴿ ولوْ جئنا بمثله مَدَداً ﴾ أي: بمثل البحر عوناً وزيادة، لنفد أيضاً.

[١١٠] ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء المشركين والكافرين من أهل الكتاب ﴿ إنّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إليَّ ﴾ أي: خُصِّصت بالوحي وتميّزت عنكم به ﴿ أنّما إلٰهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُو لقاءَ ربِّه ﴾ أي: يخاف المصير إليه، أو يأمل لقاءه ورؤيته أو جزاءه الصّالح وثوابه ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ في نفسه، وهو ما كان موافقاً لشرع الله ﴿ ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ ربِّه أحداً ﴾.



[سورة مريم]

سُميت سورة مريم لاشتمالها على نبئها الخارق ، وهي مكية ، واستثنى بعضهم الآيتين ٥٨ و٧١ ، وآياتها ٩٨ آية .

[١] ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ وتلفظ : كاف . ها . يا . عين . صاد ، وقد سلف في أول سورة البقرة الكلام على هذه الأحرف ، المُبتدأ بها .

[٢] ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ ربِّكَ عَبْدَهُ زكريّا ﴾ وزكريا : والد يحيى عليهما السلام .

[٣] ﴿ إذْ نادَى ربَّهُ نداءً خفيّاً ﴾ والمراد بالنداء الدعاء . وقد راعى أدب الدعاء ، وهو إخفاؤه لكونه أبعد عن الرياء ، وأدخل في الإخلاص .

[٤] ﴿ قالَ ﴾ زكريا ﴿ ربِّ إنّي وهَنَ العظْمُ مِنّي ﴾ أي : ضعف ﴿ واشتعلَ الرأسُ شيباً ﴾ شبّه حال الشّيب بحال النّار في بياضه وانتشاره ﴿ ولمْ أكُنْ بِدُعائِكَ ربِّ شقيّاً ﴾ ولم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت لم أُعوَّد منك إلا الإجابة في الدعاء ، ولم تردّني قط ، وهذا توسل منه إلى الله تعالى بما سلف له معه من الاستجابة .

[٥] ﴿ وإنّي خِفْتُ الموالِي ﴾ الذين يلون أمر رهطي - قومي - ﴿ مِنْ ورائي ﴾ من بعد موتي لعدم صلاحية أحد منهم لأن يخلفني في القيام بما كنت أقوم به من الإرشاد ووعظ العباد وحفظ آداب الدين ﴿ وكانتِ امرأتي عاقِراً ﴾ لا تلد من حين شبابها ﴿ فهبْ لي منْ لَدُنكَ وليّاً ﴾ أي : هب لي ولداً .

[٦] ﴿ يرِثُني ويرِثُ من آلِ يَعْقُوبَ ﴾ يرث مني العلم ، ومن آل يعقوب النبوة ، بمعنى أن يصلح للنبوة ﴿ واجْعَلْهُ ربِّ رَضِيّاً ﴾ أي : مرضيًّا عندك قولاً وفعلاً .

[٧] ﴿ يا زكريّا إنّا نبشِّرُكَ بغُلامٍ اسمُهُ يحيى ﴾ [قال ابن جرير: كان قتادة يقول: إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان] ﴿ لم نجعلْ لهُ من قَبْلُ سَمِيّاً ﴾ أي : مثيلاً وشبيهاً [قال ابن جرير: معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحداً مسمى باسمه] .

[٨] ﴿ قالَ ﴾ زكريا ﴿ ربِّ أنّى يكونُ لي غُلامٌ وكانتِ امرأتي عاقِراً ﴾ لا تلد ﴿ وقدْ بلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتيّاً ﴾ أي : حالة لا سبيل في إصلاحها ومداواتها [قال ابن جرير: أبأن تقويني على ما ضعفت عنه من ذلك، وتجعل زوجتي ولوداً، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر؟ يستثبت ربه الخبر، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد الذي بشر الله به، لا إنكاراً منه ﷺ حقيقة كون ما وعده الله من الولد] .

[٩] ﴿ قالَ ﴾ تعالى ﴿ كذلِكَ قالَ ربُّكَ هُوَ عليَّ هيِّنٌ ، وقدْ خلقتُكَ منْ قبْلُ ولمْ تكُ شَيْئاً ﴾ أي : أن يلد لك غلام هو أهون من خلقك من لا شيء .

[١٠] ﴿ قالَ ﴾ زكريا ﴿ ربِّ اجْعَلْ لي آيةً ﴾ أي : علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحمل ، ليطمئن قلبي ﴿ قالَ ﴾ تعالى ﴿ آيَتُكَ ألاّ تُكلِّمَ الناسَ ثَلاثَ ليالٍ سويّاً ﴾ أي : أن لا تقدر على تكليمهم ، بلا مرض في بدنك ، ولا في لسانك .

[١١] ﴿ فخرجَ ﴾ زكريا ﴿ على قومِهِ من المحرابِ ﴾ من مُصلاّه أو غرفته ﴿ فأَوْحَى إليهِم ﴾ أشار إليهم رمزاً لعدم تمكّنه من الكلام ﴿ أن سبِّحُوا بُكْرَةً وعَشيّاً ﴾ أي : صلوا لله طرفي النّهار .

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

[١٢] ﴿ يا يَحْيى ﴾ أي : قلنا : يا يحيى ﴿ خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ تعلَّم التوراة بجدّ وحرص واجتهاد ﴿ وآتيناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ أي : الحكمة وفهم التوراة والعلم والاجتهاد في الخير وهو صبيٌّ .

[١٣] ﴿ وحناناً مِن لدُنَّا ﴾ وآتيناه حناناً : وهو التحنن والتعطف والشفقة ، أو حناناً من الله عليه ﴿ وزكاةً ﴾ طهارة من الذنوب ، وعصمة بليغة منها ﴿ وكانَ تَقِيّاً ﴾ .

[١٤] ﴿ وبرّاً بوالِدَيْهِ ولمْ يكُنْ جبَّاراً عَصِيّاً ﴾ أي : متكبراً عاقّاً لهما ، أي عاصياً لربه .

[١٥] ﴿ وسلامٌ عليهِ ﴾ من الله ﴿ يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾ والسلام : بمعنى السلامة والأمان من الآفات ، وفيه معنى التحية والتشريف .

[١٦] ﴿ واذكُرْ في الكِتَابِ ﴾ القرآن ﴿ مرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ ﴾ اذ اعتزلت وانفردت ﴿ مِنْ أهلِهَا مكاناً شرقيّاً ﴾ شرقيّ بيت المقدس ، لئلا يشغلوها عن العبادة .

نصف الحزب ٣١

[١٧] ﴿ فاتّخذتْ من دُونِهِم حِجاباً فأرسَلْنا إليْهَا رُوحَنا ﴾ أي : جبريل ﴿ فتمثَّلَ لها ﴾ فتصوّر لكي تراه في هيئة البشر ﴿ بشراً سَوِيّاً ﴾ سويّ الخلق ، كامل الصورة .

[١٨] ﴿ قالتْ إنّي أعوذُ بالرحْمٰنِ منكَ ﴾ أعتصم به منك ﴿ إن كُنْتَ تقيّاً ﴾ تتقي الله تعالى ، وتبالي بالاستعاذة به .

[١٩] ﴿ قالَ إنَّمَا أنَا رسولُ ربِّكِ ﴾ لا تخافي ولا تتوقّعي ما توهّمت ، فإني رسول ربك بعثني إليك ﴿ لِأَهَبَ لكِ غُلَاماً زكِيّاً ﴾ لأكون سبباً في هبته ، والزكيّ : الطاهر من الذنوب أو النامي على الخير .

[٢٠] ﴿ قالتْ : أنّى يكونُ لي غُلامٌ ولم يَمْسَسْني بَشَرٌ ﴾ المسّ : عبارة عن النكاح الحلال ﴿ ولمْ أَكُ بَغِيّاً ﴾ البغيّ : الفاجرة التي تبغي الرجال . أي : تَعَجَّبَتْ من هذا وقالت : كيف يكون لي غلام ، ولست بذات زوج ولا يُتصوَّر مني الفجور .

[٢١] ﴿ قالَ ﴾ جبريل ﴿ كذلكِ قال ربُّكِ : هُوَ عليَّ هَيِّنٌ ولِنَجْعَلَهُ آيةً للنّاسِ ﴾ برهاناً يستدلّون به على كمال قدرة بارئهم وخالقهم ، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر ﴿ ورحمةً مِنّا ﴾ عليكِ بهذه الكرامة ، وعلى قومك بالهداية ﴿ وكانَ أمْراً مَقْضِيّاً ﴾ يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته . [٢٢] ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾ أي : لما حملت به اعتزلت بسببه مكاناً بعيداً من قومها ، فِراراً من القالة .

[٢٣] ﴿ فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أي : فألجأها ألم الولادة إلى الاستناد بالجذع لتعتمد عليه وتستتر به . ومخضت المرأة : إذا تحرك الولد في بطنها للخروج ﴿ قالتْ يا ليْتَني مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ الحمل ﴿ وكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ﴾ أي : شيئاً منسيّاً لا يخطر على بال أحد ، لما عرفت أنها ستُبْتلى وتُمتحن بهذا المولود إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة ساحتها .

[٢٤] ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ جبريل ، وقيل عيسى ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ألاَّ تَحْزَني ، قدْ جَعَلَ ربُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ أي : نهراً أو ساقية ماء يسري .

[٢٥] ﴿ وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ الرُّطَب : البلح إذا حضر أوان اجتنائه . والمقصود بالسريّ والرطب أنهما معجزتان تُريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الرِّيْبة .

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

[٢٦] ﴿ فَكُلي و اشْرَبِي وقَرِّي عَيْناً ﴾ أي : وطيبي نفساً ولا تغتمّي ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً ﴾ أي : من المحجوبين عن الحقائق لظواهر الأسباب ، الذين لا يفهمون قولك ولا يصدقون بحالك ، فإذا سألوك ﴿فقولي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمٰنِ صَوْماً﴾ أي : صمتاً ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ اليومَ إِنْسِيًّا ﴾ لا تكلّميهم في أمرك شيئاً .

[٢٧] ﴿ فأتتْ بِهِ قوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ تحمل ولدها عيسى عليه السلام بعد ولادته ﴿ قالوا يا مَرْيَمُ لقدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ أي : عظيماً مُنْكَراً .

[٢٨] ﴿ يا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وهو النبي المشهور صلوات الله عليه ، يعنون أنها مثله في الصلاح ، لأن الأخ والأخت يستعمل بمعنى : المُشَابِه ﴿ ما كانَ أَبُوكِ امْرأَ سَوْءٍ ﴾ أي : لم يكن زانياً ﴿ وما كانت أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ أي : زانية ، فمن أين لك هذا الولد ؟

[٢٩] ﴿ فَأَشَارتْ إليهِ ﴾ إلى عيسى صلواتُ الله عليه ﴿ قَالُوا ﴾ مُنكرينَ لجوابها ﴿ كَيْفَ نُكلّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ولم يُعْهَد تكلم عاقل لصبيّ في المهد .

[٣٠] ﴿ قالَ : إنّي عَبْدُ اللّهِ ﴾ أنطقه الله بذلك تحقيقاً للحق في شأنه وتنزيهاً لله تعالى عن الولد ، ردّاً على من يزعم ربوبيته ونبوّته وتنزيهاً لأمه البتول ﴿ آتانيَ الكِتَابَ ﴾ الإنجيل ﴿ وجَعَلَني نبيًّا ﴾ .

[٣١] ﴿ وجَعَلَني مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كنتُ ﴾ أي : كثير الخير حيثما وُجِدْتُ ، أبلّغ وحي ربّي لتقويم النفوس وكبح الشهوات ﴿ وأَوْصَاني بالصَّلاةِ والزَّكَاةِ ما دُمْتُ حَيًّا ﴾ أي : أمرني بالعبادة وإنفاق المال مدة حياتي .

[٣٢] ﴿وبَرّاً بوالِدَتي ولمْ يجْعَلْني جَبّاراً شَقِيًّا﴾ أي : مستكبراً عن طاعته وأمره .

[٣٣] ﴿والسَّلامُ عليَّ يوْمَ وُلِدْتُ ويوْمَ أَمُوتُ ويوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ وقد ورد ذلك في الآية ١٥ السابقة بحق يحيى عليه السلام .

[٣٤] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فصلت صفاته الجليلة ﴿عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، قولَ الحَقِّ﴾ وهو تكذيب للنصارى فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهانيّ ، حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ﴿الذي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي : يختلفون .

[٣٥] ﴿ مَا كانَ للّهِ أن يتّخِذَ منْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ، إذَا قَضَى أمراً فإنّما يقولُ له كُنْ ، فيكُونُ ﴾ ومَنْ هذا شأنه ، كيف يُتوهم أن يكونَ له ولد ؟ .

[٣٦] ﴿ وإنَّ اللهَ ربّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوه هذا صِراطٌ مُسْتَقيم ﴾ من اتبعه رشد وهدى ، ومن خالفه ضلَّ وغوى . والصراط : الطريق .

[٣٧] ﴿ فاختلفَ الأحْزَابُ من بَيْنِهِمْ ﴾ أي : اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله ، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فأصرّت اليهود منهم على بهت أمه واتهامه بالسحر ، وانقسمت النصارى في أمره انقساماً يفوق الحصر ﴿ فويلٌ للذين كَفَرُوا ﴾ يعني : المختلفين في عيسى ابن مريم من اليهود والنصارى ﴿ من مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ في شهودهم هول الحساب والجزاء إلى يوم القيامة ، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف ، أو من وقت الشهود .

[٣٨] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ يوْمَ يَأْتُونَنا ﴾ تعجب من حدّة سمعهم وأبصارهم يومئذ بعد أن كانوا في الدنيا صُمّاً عُمْياً ﴿لكِنِ الظَّالِمُونَ اليَوْمَ ﴾ في الدنيا ﴿ في ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ لإغفالهم الاستماع والنظر ، يُطلب منهم الهدى فلا يَهْتَدُونَ .

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ** ﴾ أي: فُرغ من الحساب وفُصل بين أهل الجنة والنار، وصار كُلٌّ إلى ما صار إليه مخلَّدًا فيه ﴿ **وَهُمْ في غَفْلَةٍ** ﴾ وهم اليوم مستغرقون في غفلة عما يُفعل بهم في الآخرة ﴿ **وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ لا يُصدِّقون به اليوم وسيعاينونه يوم القيامة.

[٤٠] ﴿ **إِنَّا نَحْنُ** ﴾ تأكيد ﴿ **نَرِثُ الأَرْضَ ومن عَلَيْهَا** ﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿ **وإلينا يُرْجَعُونَ** ﴾ يوم القيامة للجزاء.

[٤١] ﴿ **واذْكُرْ في الكِتَابِ إبْراهِيمَ ، إنَّهُ كان صِدِّيقاً** ﴾ الكامل في الصدق وبليغ التصديق بما يجب لله من الوحدانية والتنزيه ﴿ **نَبِيّاً** ﴾.

[٤٢] ﴿ **إِذْ قالَ لأَبِيهِ** ﴾ مُتَلَطِّفاً في دعوته إلى التوحيد ونهيه عن عبادة الأصنام ﴿ **يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شيئاً** ﴾ فلا يدفع ضُرًّا ولا يجلب نفعاً.

[٤٣] ﴿ **يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا** ﴾ معتدلاً لا إفراط فيه بعبادة مَنْ لا يستحق، ولا تفريط بترك عبادة من يستحق، وكذا في باب الأخلاق والأعمال.

[٤٤] ﴿ **يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ** ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ كانَ للرَّحْمٰنِ عَصِيًّا** ﴾ مستعص على ربك الذي أنعم عليك بشتّى النعم، ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص.

[٤٥] ﴿ **يا أبتِ إنّي أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ من الرحْمٰنِ** ﴾ لكونك عصيته وواليت عدوّه، فيقطع رحمته عنك، كما قطعها عن الشيطان ﴿ **فتَكُونَ للشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾ أي: مقارناً له ومشاركاً معه في عذابه.

[٤٦] ﴿ **قالَ** ﴾ أبوه، مُصِرًّا على عناده لفرط غلوّه في الضّلال ﴿ **أَراغِبٌ أنتَ عَنْ آلِهَتي يا إبْراهِيمُ** ﴾ أي: أَمُعْرِض ومنصرف أنت عنها؟ ﴿ **لئِن لمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ** ﴾ لئن لم تنتهِ عن القول فيها وعن نصحك لأرجمنّكَ بالحجارة ﴿ **واهجُرْني مَلِيًّا** ﴾ أي: ابْعدْ عني زماناً طويلاً.

[٤٧] ﴿ **قال** ﴾ إبراهيم لأبيه ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكَ** ﴾ وفي جوابه هذا، مقابلة السيئة بالحسنة ﴿ **سأستَغْفِرُ لكَ رَبِّي إنَّهُ كانَ بي حَفِيًّا** ﴾ أي: مبالغاً في اللطف بي.

[٤٨] ﴿ **وأعْتَزِلُكُمْ** ﴾ أبتعد عنكم، أهجرك أنت وقومك ﴿ **وما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ من أصنامكم، والمراد بالدعاء: العبادة ﴿ **وأدْعُو رَبِّي** ﴾ أي: أعبده وحده ﴿ **عَسَى أَلَّا أكونَ بِدُعَاءِ ربِّي شَقِيًّا** ﴾ أي: خائباً ضائع السعي.

[٤٩] ﴿ **فلمّا اعتزَلَهُمْ وما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ وذلك بالهجرة إلى الشام ﴿ **وَهَبْنا له إسْحٰق ويَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنا نَبِيًّا** ﴾ أي: جعلنا له بنين وحفدة أنبياء قرّت عينه بهم في حياته بدل الذين فارقهم من أقاربه الكفّار. [٥٠] ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِن رَحْمَتِنَا** ﴾ ما عُرِفَ فيهم من النبوّة والذرية وسعة الرزق ﴿ **وجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** ﴾ أي: فهم من أسرة الصدق من إبراهيم إلى يوسف عليهم السلام.

[٥١] ﴿ **واذْكُرْ في الكِتَابِ مُوسى إنَّهُ كانَ مُخْلَصاً** ﴾ أي: أَخْلَصَه الله: اصطفاه ﴿ **وكانَ رَسُولاً نَبِيًّا** ﴾.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ
وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ
أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣١ — سجدة

[٥٢] ﴿ **ونَادَيْناهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ** ﴾ من جانبه الأيمن [قال ابن جرير: يمين موسى، لأن الجبل لا يمين له ولا شمال] حين ذهب يبتغي من تلك النّار جذوة ﴿ **وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ إذ كلّمناه بلا واسطة .

[٥٣] ﴿ **وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا** ﴾ ليشد أزره في أداء الرسالة .

[٥٤] ﴿ **واذكرْ في الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ** ﴾ وهو ابن إبراهيم عليهما السلام ﴿ **إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ** ﴾ وفيه تنبيه بعظم هذه الخلّة ـ الصدق ـ، ولذا كان ضدها نفاقاً كما صرّحت به الأخبار ﴿ **وكانَ رَسُولاً نَبِيًّا** ﴾ .

[٥٥] ﴿ **وكانَ يأْمُرُ أَهلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ** ﴾ أي : كان يبدأ أهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ﴿ **وكانَ عندَ ربِّهِ مَرْضِيًّا** ﴾ .

[٥٦] ﴿ **واذكُرْ في الكِتَابِ إِدْرِيسَ** ﴾ كان قبل نوح ﴿ **إنّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا** ﴾ .

[٥٧] ﴿ **ورفعناهُ مَكاناً عَلِيًّا** ﴾ فالعلوّ معنويّ وهو شرف النبوة والزلفى عنده تعالى .

[٥٨] ﴿ **أُولئِكَ** ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس عليهم السلام ﴿ **الذينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ بالنِّعم الدينية والدنيوية ﴿ **من النبيّينَ من ذُرِّيَّةِ آدَمَ وممَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ ، ومن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ وإسْرائِيلَ** ﴾ وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام ﴿ **وممَّنْ هَدَيْنا واجْتَبَيْنا** ﴾ أي : هديناهم للحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة ﴿ **إذا تُتلَى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكِيًّا** ﴾ في الآية استحباب السجود والبكاء عند سماع التلاوة .

[٥٩] ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ** ﴾ من الانهماك في المعاصي التي هي بريد الكفر ﴿ **فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غيًّا** ﴾ أي : شرّاً .

[٦٠] ﴿ **إلاَّ مَنْ تابَ** ﴾ عن ترك الصلوات واتباع الشهوات ﴿ **وآمنَ وعمِلَ صالحاً فأولئكَ يدْخُلونَ الجنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ شيئاً** ﴾ .

[٦١] ﴿ **جنَّاتِ عدْنٍ التي وعدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بالغَيْبِ** ﴾ أي : غائبة عنهم غير حاضرة ، أو غائبين عنها لا يرونها ، وإنما آمنوا بها بمجرد الأخبار ﴿ **إنّهُ كانَ وعدُهُ مَأْتِيًّا** ﴾ لا يُخْلفه .

[٦٢] ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فيهَا لَغْواً** ﴾ لا يسمعون في الجنات فضول كلام لا طائل تحته ﴿ **إلاّ سلاماً** ﴾ أي : تسليماً ، وهو تسليم الملائكة عليهم ، أو تسليم بعضهم على بعض ﴿ **ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرةً وعَشِيًّا** ﴾ أي : على قدرهما في الدنيا ، فليس في الجنّة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً .

[٦٣] ﴿ **تِلكَ الجَنَّةُ** ﴾ الموصوفة ﴿ **التي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا** ﴾ وهم المتّصفون بشُعَبِ الإيمان ، المسرودة في مواضع شتى من آي القرآن .

[٦٤] ﴿ **وما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأَمْرِ رَبِّكَ** ﴾ فعدم نزول جبريل بالوحي لعدم الأمر به من الله ، وليس لتركه تعالى لمحمد ﷺ وتوديعه إيّاه ، وذلك ردّاً لما زعمه المشركون من أنه كان يَقْلُوه فلا يزوره ﴿ **له** ﴾ سبحانه ﴿ **ما بَيْنَ أَيْدِينا وما خَلْفَنا وما بَيْنَ ذلِكَ وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ فالله لا ينسى شيئاً ما ، بل يفيض علماً ولا يُنزل ملكاً إلا لِحِكْمَةٍ .

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿ ربُّ السَّمٰواتِ والأرْضِ وما بَيْنَهُمَا فاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِه ﴾ أي : اثبت لها على الدوام ﴿ هلْ تَعْلَمُ لهُ سَمِيًّا ﴾ أي : مثلاً وكفؤاً ، والجملة تقرير لوجوب عبادته وحده .

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الإنْسانُ : أإذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ أي : يقول الإنسان المنكر للبعث بطريق الاستبعاد : أأخرج حيًّا بعدما لبثت في القبر مدة ؟

[٦٧] ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : من قبل جعله تراباً ونطفة ﴿ ولمْ يَكُ شيئاً ﴾ كان عدماً صِرفاً لا وجود له في الأعيان ، فلا تبعد إعادته .

[٦٨] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّياطِينَ ﴾ أي : لنحشرن المنكرين للبعث مع الشياطين الذين أغووهم وأضلُّوهم عن الحق ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ جمع : جاث ، من : جثا ، إذا قعد على ركبتيه ، وذلك لهول المطلع ، فلا يستطيعون قياماً .

[٦٩] ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ منْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ لنخرجنّ إلى النّار من كل فرقة ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ على الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا ﴾ أي : جرأة ، بإيثار الشهوات على أمره وعدم مبالاته به .

[٧٠]﴿ ثمّ لَنَحْنُ أعْلَمُ بالذِينَ هُمْ أَوْلَى بها صِلِيًّا ﴾ وهم المُنْتَزَعُونَ ، إذ ضلُّوا وأضلُّوا ، لأجل لذّات الدنيا وشهواتها ، فصاروا أَوْلَى بالصليّ بها ، فَيُخَصُّون بعذاب مُضَاعَف .

[٧١] ﴿ وإن مِنكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ﴾أي : حكماً جزماً مقطوعاً به .

[٧٢] ﴿ ثُمَّ ﴾ بعد الورود والإحضار للتعريف ﴿ نُنجّي الذينَ اتَّقَوْا ونَذَرُ الظَّالمينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ لا يمكنهم التجاوز عنها . [قال ابن جرير: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوي فيها الكفار] .

[٧٣] ﴿ وإذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بيِّناتٍ ، قالَ الذينَ كَفَرُوا للذينَ آمَنُوا : أيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً ﴾ ومكاناً ﴿ وأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ أي : مجتمعاً للقوم ، والمعنى : إن هؤلاء الكفرة إذا تليت عليهم آياته تعالى بيّنة الحجّة ، أعرضوا وأخذوا يحتجُّون على فضل ما هم عليه بكونهم أوفر حظاً من الدنيا ، لذلك يتساءلون : كيف نكون ونحن بهذه المثابة على الباطل ، وأولئك الذين مختفون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ وهم المسلمون الأوائل ـ على الحق ؟ .

[٧٤] ﴿ وكمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً ﴾ أي : متاعاً ﴿ ورِئْياً ﴾ أي : منظراً وهيئة ، من عظم الجاه ، فما أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً .

[٧٥] ﴿ قُلْ : مَنْ كانَ فِي الضّلالَةِ ﴾ أي : من كان مغموراً بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً ﴾ يمدّ له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال ، وقيل المراد به : الدعاء بالمد والتنفيس والإمهال ﴿ حتّى إذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إمَّا العذابَ وإمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مكاناً وأَضْعَفُ جُنْداً ﴾ أي : فأمهله الله فيما هو فيه حتى يلقى ربَّه وينقضي أجله ، إما بعذاب يصيبه ، وإما الساعة بغتة .

[٧٦] ﴿ ويَزِيدُ اللَّهُ الذينَ اهْتَدَوْا هُدىً ، والباقياتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ أي : الأعمال التي تبقى فوائدها ﴿ خَيْرٌ عندَ رَبِّكَ ثواباً وخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ أي : مرجعاً .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

[٧٧] ﴿ أَفَرَأَيْتَ الذي كفر بآياتنا وقال: لأُوتَيَنَّ ﴾ في الآخرة ﴿ مالاً وولداً ﴾ أي: أنظر إلى هذا القائل المجترىء على الغيب، ما أكفره.

[٧٨] ﴿ أَطَّلَعَ الغَيْبَ، أم اتَّخَذَ عندَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً ﴾ بذلك، لأنه لا يتوصَّل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين.

[٧٩] ﴿ كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ أي: نحفظه عليه للمؤاخذة به ﴿ ونَمُدُّ لَهُ مِنَ العذابِ مَدّاً ﴾ بمضاعفته له، جزاءً لاستهزائه.

[٨٠] ﴿ ونَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ أي: ننزع عنه ما آتيناه من مال وولد، فلا يبقيان له حتى يمكنهما قطع العذاب عنه ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾ أي: في الحشر، لا يصحبه مال ولا ولد.

[٨١] ﴿ واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً ﴾ أي: ليتعززوا بهم، بأن يكونوا لهم وصلة إليه عزَّ وجلّ، وشفعاء عنده.

[٨٢] ﴿ كلاَّ ﴾ ليس الأمر كما زعموا ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ أي: ستجحد الآلهة المزعومة استحقاقهم للعبادة ﴿ ويكونونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ يريدون إهلاكهم إذ أوقعوهم في هلاك دعوى الشِّرك.

[٨٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ بأنْ سلّطناهم عليهم ومكّنّاهم من إضلالهم ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ تغريهم وتهيجهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات، تهيجاً شديداً.

[٨٤] ﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ بوقوع العذاب بهم لتطهر الأرض منهم ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ أي: إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط.

[٨٥] ﴿ يومَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحْمٰنِ وَفْداً ﴾ أي: وافدين عليه.

[٨٦] ﴿ ونَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جهنَّمَ وِرْداً ﴾ أي: عطاشاً، كأنهم نَعَمٌ عِطاشٌ تُساقُ إلى الماء.

[٨٧] ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عندَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً ﴾ الضمير في يملكون يعود لأصنامهم المتقدم ذكرها، أي: لكن من آمن وعمل صالحاً فإنه يشفع للعصاة على ما وعد الله تعالى. والعهد بمعنى الإذن. والمقصود: لا يشفع إلاَّ المأذون له بالشفاعة.

[٨٨] ﴿ وقَالُوا ﴾ أي: النصارى ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً ﴾ يعنون: المسيح عليه السلام.

[٨٩] ﴿ لقد جئتم شيئاً إدّاً ﴾ عظيماً مُنكراً. [٩٠] ﴿ تكادُ السَّمٰواتُ يتفطَّرْنَ منْهُ ﴾ أي: يتشقَّقْنَ ﴿ وتَنْشَقُّ الأرْضُ، وتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً ﴾.

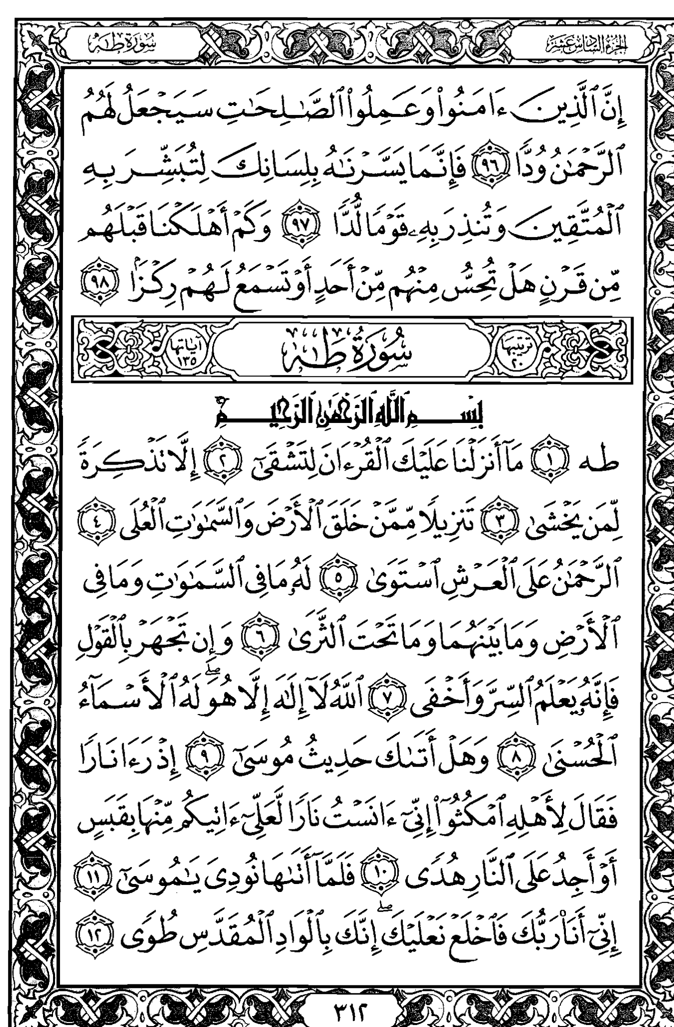
[٩١] ﴿ أنْ ﴾ لأنهم ﴿ دَعَوْا للرَّحْمٰنِ وَلَداً ﴾ وذلك لغيرة الجبال على المقام الرّبانيِّ الأحديّ أن يُنسب له ما يُنزَّه عنه.

[٩٢] ﴿ وما يَنْبَغِي للرَّحْمٰنِ أنْ يَتَّخِذَ وَلَداً ﴾.

[٩٣] ﴿ إن كُلُّ مَنْ في السَّمٰواتِ والأَرْضِ إلاَّ آتي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ﴾ مملوكاً له يأوي إليه بالعبودية والذل.

[٩٤] ﴿ لقدْ أحْصَاهُمْ وعدَّهُمْ عَدًّا ﴾ حصرهم وأحاط بهم إحاطة لا يخرج بها أحد عن حيطة علمه وقبضة قدرته.

[٩٥] ﴿ وكُلُّهُمْ آتيهِ يوْمَ القِيَامَةِ فرْداً ﴾ منفرداً مجرداً من الأتباع والأنصار، وعمن زعم أنه له من الشفعاء.



إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه — ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

[٩٦] ﴿ إِنَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ أي : يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبّة ومودّة .

[٩٧] ﴿ فإنمَا يسَّرْناهُ بلِسَانِكَ ﴾ أي : سَهّلْنا هذا القرآن بلغتك ﴿ لِتُبَشِّرَ بهِ المُتَّقِينَ ﴾ الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، بالجنّة ﴿ وتُنذِرَ بهِ قَوْماً لُدًّا ﴾ تُخوِّف بهذا القرآن عذابَ الله قومَك من بني قُريش ، فإنهم أهل لدد وجدل بالباطل ، لا يقبلون الحق ، واللدد : شدّة الخصومة .

[٩٨] ﴿ وكمْ أهْلَكنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ أي : قوم لُدٍّ ، مثل هؤلاء ، إهلاكاً عظيماً ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أي : تشعر به وتراه ﴿ أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ أي : صوتاً خفيًّا . والمعنى : أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم دُورُهم وأوحشت منهم منازلُهم ، وكذلك هؤلاء صائرون إلى ما صار إليه أولئك ، إن لم يتداركوا العذاب بالتوبة .

الحزب ٣٢

[سورة طه]

سوره طه ، مكيّة ، وآياتها ١٣٥ آية .

[١] ﴿ طه ﴾ وتُلفظ طاها . وقد قدّمنا أن الحقَّ في هذه الحروف التي افتتحت بها سورها ، أنها أسماء لها ، وفيه إشارة إلى أنها مؤلَّفة منها ، ومع ذلك ففي عجزهم عن محاكاتها أبلغ آية على صدقها .

[٢] ﴿ مآ أنْزلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقىٰ ﴾ أي : لتتعب بفرط تأسّفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسّرك على أن يؤمنوا. والشقاء: في معنى التعب . [٣] ﴿ إلاَّ تَذْكِرةً لمن يَخْشَى ﴾ أي تذكيراً له .

[٤] ﴿ تنزيلاً ﴾ أي القرآن ﴿ ممَّن خلقَ الأرْضَ والسَّمٰواتِ العُلَى ﴾ .

[٥] ﴿ الرَّحمٰنُ ، على العَرْشِ اسْتَوى ﴾ قال ابن جرير : علا وارتفع . وقد ذهب الخَلَفُ إلى جعل ذلك مجازاً عن الملك والسلطان ، كقولهم : استوى فلان على سرير الملك ، وإن لم يقعد على السرير أصلاً . وقد تقدّم الكلام على ذلك في سورة الأعراف : ٥٤ .

[٦] ﴿ لَهُ مَا في السَّمٰواتِ ومَا في الأرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا ومَا تَحْتَ الثَّرى ﴾ كلها تحت ملكه وقهره وسلطانه وتأثيره ، لا توجد ولا تتحرك ولا تسكن ولا تتغير ولا تثبت إلا بأمره . [٧] ﴿ وإنْ تَجْهَرْ بالقَوْلِ فإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى ﴾ علمه نافذ في الكل ، يعلم ظواهرها وبواطنها والسرَّ وسرَّ السرِّ .

[٨] ﴿ اللَّهُ ، لا إلٰه إلاَّ هوَ لَهُ الأَسماءُ الحُسْنى ﴾ أي : الفُضلى ، لدلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية .

[٩] ﴿ وهَلْ أتاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ لحمله ﷺ على التأسّي بموسى في الصبر والثبات ، لكونه ابْتُلِيَ فصبر وكانت العاقبة له .

[١٠] ﴿ إذْ رَأَى نَاراً فقالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إنِّي آنَسْتُ ناراً ﴾ أي : أبصرتها إبصاراً بيّناً لا شبهة فيه ﴿ لعلِّي آتيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ بشعلة ﴿ أوْ أَجِدُ على النَّارِ هُدىً ﴾ أي : هادياً يدلني على الطريق . [١١] ﴿ فلمّا أتَاهَا ﴾ أي : النَّار ﴿ نودِيَ : يا مُوسَى ﴾ .

[١٢] ﴿ إنِّي أنا ربُّكَ فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بالوادِ المقدَّسِ طُوىً ﴾ فيجب فيه رعاية الأدب ، بتعظيمه واحترامه لتجلّي الحق فيه ، وطُوى : اسم للوادي .

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

[١٣] ﴿ **وأنا اخترتُك** ﴾ أي: اصطفيتك للنبوّة ﴿ **فاستَمِعْ لِما يُوحى** ﴾ أي: للذي يُوحى إليك.

[١٤] ﴿ **إنّني أنا اللّهُ لا إلـهَ إلاّ أنا فاعْبُدْني** ﴾ خُصّني بالعبادة ﴿ **وأقِمِ الصّلاةَ لِذِكْري** ﴾ لتذكرني فيها بقلبك ولسانك وسائر جوارحك بأن تجعل حركاتها دالة على ما في القلب واللسان.

[١٥] ﴿ **إنّ السّاعةَ آتِيَةٌ** ﴾ واقعة لا محالة ﴿ **أكادُ أُخفيهَا** ﴾ أي: أريد أن أخفيها ﴿ **لِتُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعَى** ﴾ أي: بسعيها عن اختيار منها.

[١٦] ﴿ **فلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا** ﴾ عن تصديق الساعة ﴿ **مَنْ لا يُؤْمِنُ بها واتَّبَعَ هَواهُ** ﴾ ما تهواه نفسه من الشهوات وترك النظر والاستدلال ﴿ **فَتَرْدى** ﴾ فتهلك.

[١٧] ﴿ **وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى** ﴾ وفي الاستفهام إيقاظ له وتنبيه على ما سيبدو له من عجائب الصنع.

[١٨] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **هيَ عَصايَ أتَوكَّأُ عَلَيْها** ﴾ أعتمد عليها إذا تعبت أو وقفتُ على رأس القطيع ﴿ **وأهُشُّ بِها عَلى غَنَمي** ﴾ أخبط بها الورق وأسقطه عليها لتأكله ﴿ **وليَ فيها مآرِبُ أُخْرى** ﴾ حاجات أخر.

[١٩] ﴿ **قالَ** ﴾ سبحانه ﴿ **ألْقِها يا موسى** ﴾.

[٢٠] ﴿ **فألقاها** ﴾ موسى ﴿ **فإذا هيَ حيّةٌ تَسْعَى** ﴾ تمشي على بطنها سريعاً فخاف منها موسى.

[٢١] ﴿ **قالَ** ﴾ تعالى ﴿ **خُذْها ولا تَخَفْ، سنُعيدُها سِيرَتَها الأولَى** ﴾ أي: هيئتها الأولى فتعود عصاة تنتفع بها كما كنت تنتفع، فليس القصد تخويفك، بل إظهار ما فيها من استعداد قبول الحياة، ومشاهدة معجزة وبرهان لك. [٢٢] ﴿ **واضْمُمْ يَدَكَ إلى جَناحِكَ** ﴾ أي: إلى إبطك ﴿ **تَخرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ﴾ أي: نيِّرة من غير قبح ولا عيب كبياض البرص مما ينفر عنه ﴿ **آيةً أخرى** ﴾ معجزة أخرى غير العصا.

[٢٣] ﴿ **لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرى** ﴾ لنريك أولاً بعض آياتنا الكبرى، فيقوى قلبك على مناظرة الطغاة. [٢٤] ﴿ **اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ** ﴾ اذهب إليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه إلى عبادتي وحذّره نقمتي ﴿ **إنّهُ طَغَى** ﴾ جاوز الحد في التكبّر والعتوّ، حتى تجاسر وادّعى الربوبية.

[٢٥] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **ربِّ اشْرَحْ لي صَدْري** ﴾ لتحمّل الرسالة. [٢٦] ﴿ **ويسِّرْ لي أمْري** ﴾ سهّله لي لتبليغ الرسالة.

[٢٧] ﴿ **واحْلُلْ عُقْدَةً من لِساني** ﴾ سأل الله أن يُمدّه بمنطق فصيح، لما في لسانه من عقدة كانت تمنعه عن كثير من الكلام.

[٢٨] ﴿ **يَفْقَهُوا قَوْلي** ﴾ يفهموا ما أبلّغهم إياه. [٢٩] ﴿ **واجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أهْلي** ﴾ يعينني في تبليغ الرسالة. [٣٠] ﴿ **هارُونَ أخي** ﴾ وكان أفصح لساناً من موسى، عليهما السلام. [٣١] ﴿ **اشْدُدْ به أزْري** ﴾ قوِّ به ظهري. [٣٢] ﴿ **وأشْرِكْهُ في أمْري** ﴾ أي: الرسالة.

[٣٣] ﴿ **كيْ نُسبِّحَكَ كثيراً** ﴾. [٣٤] ﴿ **ونَذْكُرَكَ كثيراً** ﴾ كي نتعاون على تسبيحك وذكرك.

[٣٥] ﴿ **إنّكَ كُنْتَ بِنا بَصيراً** ﴾ عالماً بأحوالنا، وبأن المدعوّ به مما يفيدنا.

[٣٦] ﴿ **قالَ** ﴾ تعالى ﴿ **قدْ أُوتيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسَى** ﴾ أي: استُجيبَ دُعاؤك.

[٣٧] ﴿ **ولَقدْ مَنَنّا عَلَيْكَ** ﴾ حيث أنعمنا عليك يا موسى قبل هذه المرة ﴿ **مرّةً أُخْرَى** ﴾ في وقت سابق.

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ
فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ
فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ
عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ
فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ
أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾
فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾

[٣٨] ﴿ **إِذْ أَوْحَيْنَا** ﴾ ألقينا بطريق الإلهام ﴿ **إلى أُمِّكَ مَا يُوحَى** ﴾ .

[٣٩] ﴿ **أنِ اقْذِفِيهِ في التَّابُوتِ** ﴾ أي : الصندوق ﴿ **فاقْذِفِيهِ في اليَمِّ** ﴾ أي : في البحر ، متوكّلة على خالقه ﴿ **فَلْيُلْقِهِ اليمُّ بالسَّاحِلِ يأْخُذْهُ عَدُوٌّ لي** ﴾ لدعواه الألوهية ﴿ **وعدوٌّ لَهُ** ﴾ لدعوته ذلك العدو إلى نبذ ما يدَّعيه ﴿ **وألْقَيْتُ عَلَيْكَ محبّةً منّي** ﴾ أي : زرعتها في قلب من يراك ، ولذلك أحبّك فرعون ﴿ **ولِتُصْنَعَ على عَيْني** ﴾ ولِتُرَبَّى بيد العدوّ على نظري بالحفظ والعناية .

[٤٠] ﴿ **إذْ تمْشي أُخْتُكَ فَتَقُولُ : هَلْ أَدُلُّكُمْ على مَنْ يَكْفُلُهُ** ﴾ أي : مَنْ يضمن حضانته ورضاعته فقبلوا قولها ، وذلك لأن آل فرعون ، عرضوا عليه المراضع فأباها ، فجاءت بأُمّه ، وهكذا ﴿ **فَرَجَعْنَاكَ إلى أُمِّكَ** ﴾ مع كونك بيد العدوّ ﴿ **كيْ تَقَرَّ عَيْنُها** ﴾ برُؤْيَتِكَ ﴿ **ولاَ تَحْزَنَ** ﴾ بفراقك ﴿ **وَقَتَلْتَ نفساً** ﴾ من آل فرعون ، وهو القبطيّ الذي استغاثه عليه الإسرائيليُّ ، إذ وكزه موسى فقضى عليه ﴿ **فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ** ﴾ أي : غمّ القتل بأن صرفنا عنك ما تخشاه من القوم الظالمين ﴿ **وفَتَنَّاكَ فُتُوناً** ﴾ أي : ابتليناك ابتلاءً فجعلنا لك فرجاً ومخرجاً منها ﴿ **فَلَبِثْتَ سنينَ في أهْلِ مَدْيَنَ** ﴾ معزز الجانب مكفيَّ المؤونة في عشرة نبيّهم شعيب عليه السلام ﴿ **ثُمَّ جئتَ على قَدَرٍ يا مُوسَى** ﴾ بعد أن قَضَيْتَ الأجل المضروب بينك وبين شُعيب من الإجارة .

[٤١] ﴿ **واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾ جعلتك نبيًّا مُكرَّماً كليماً مُنْعَماً عليه بجلائل النعم .

[٤٢] ﴿ **اذهبْ أنتَ وأخوكَ بآيَاتِي** ﴾ بمعجزاتي ، كالعصا وغيرها ﴿ **ولا تَنِيا في ذِكْرِي** ﴾ أي لا تَفْتُرا ولا تُقصِّرا في ذكري بما يليق بي .

[٤٣] ﴿ **اذْهَبَا** ﴾ الأمر لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ **إلى فِرعونَ إنَّهُ طغى** ﴾ تجاوز حدوده .

[٤٤] ﴿ **فقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً** ﴾ فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ، ويلين عريكة الطغاة ﴿ **لعلَّهُ يتذكَّرُ أوْ يَخْشى** ﴾ عقابي .

[٤٥] ﴿ **قالاَ** ﴾ أي : موسى وهارون ﴿ **ربَّنَا إنَّنا نَخَافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا** ﴾ أي : يبادرنا بالعقوبة ﴿ **أو أنْ يَطْغَى** ﴾ يزداد طغياناً بالعناد ، في دفع حججنا ، ثم يأمر بقتلنا .

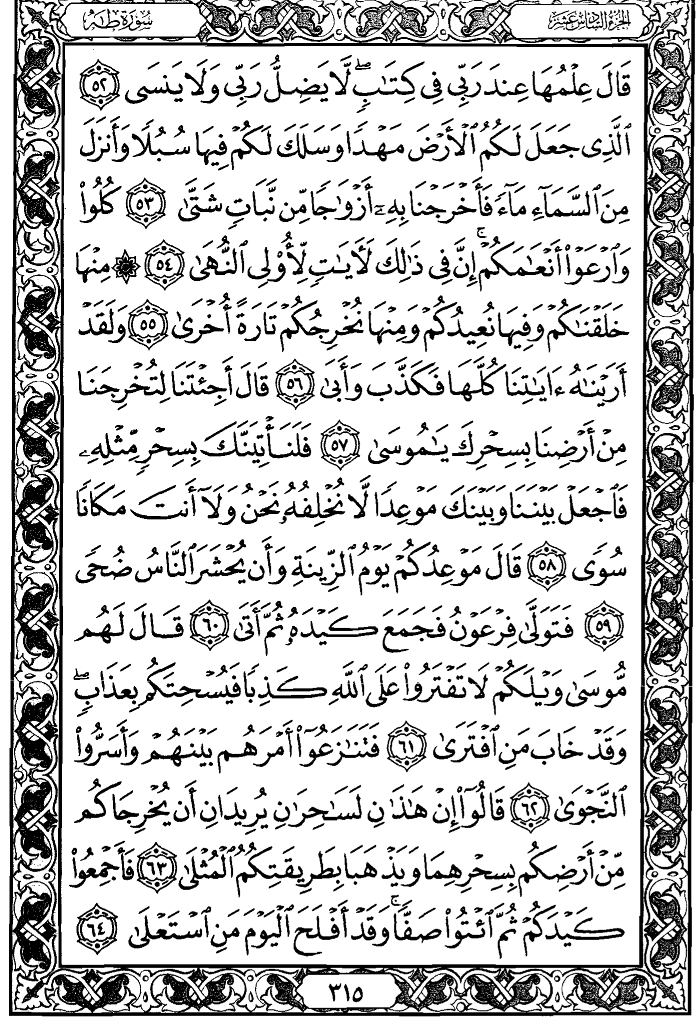
[٤٦] ﴿ **قالَ** ﴾ تعالى ﴿ **لا تَخافا** ﴾ من طغيانه أو من عقوبته ﴿ **إنَّني مَعَكُمَا** ﴾ بالحفظ والنصرة ﴿ **أسْمَعُ وأرَى** ﴾ ما يجري بينكما وبينه .

[٤٧] ﴿ **فأْتِياهُ فَقُولا إنَّا رسُولا ربِّكَ فأرْسِلْ معنَا بني إسْرائيلَ** ﴾ بإطلاقهم من الأسر والعبودية ، وتسريحهم معنا ﴿ **ولا تُعَذِّبْهُمْ** ﴾ بإبقائهم على ما هم عليه من التسخير والتذليل ﴿ **قَدْ جِئْنَاكَ بآيةٍ من ربِّكَ** ﴾ بمعجزة تؤيدنا ﴿ **والسَّلامُ على منِ اتَّبَعَ الهُدَى** ﴾ فصدَّق بآيات الله المبيِّنة للحق .

[٤٨] ﴿ **إنَّا قدْ أُوحِيَ إلَيْنا** ﴾ من ربّنا ﴿ **أنَّ العَذابَ على مَنْ كَذَّبَ** ﴾ بآياته تعالى ﴿ **وتَوَلَّى** ﴾ أي : أعرض عنها .

[٤٩] ﴿ **قالَ** ﴾ فرعون ﴿ **فَمَنْ رَبُّكُمَا يا مُوسَى** ﴾ ؟ . [٥٠] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **ربُّنا الذي أعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** ﴾ أي : منح كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فسوّاه بها وعدَّله ﴿ **ثمَّ هَدَى** ﴾ ثم هداه بأن وهبه العقل الذي يميز بين الخير والشر .

[٥١] ﴿ **قالَ** ﴾ فرعون ﴿ **فَما بالُ القُرُونِ الأُولى** ﴾ ما حال القرون السالفة وما جرى عليهم ؟ .



[٥٢] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ علمها عنـد ربّي في كِتَابٍ ﴾ إنّما علمها مكتوب في اللوح المحفوظ ، محصيّ غير منسيّ ﴿ لا يضِـلُّ رَبّي ولا يَنْسَـى ﴾ وهـو غير محتاج أصلاً للتسجيل في كتـاب أو سواه وإنما ذكـر ذلك على سبيل التمثيل .

ربع الحزب ٣٢

[٥٣] ﴿ الَّذي جَعَلَ لكُـمُ الأَرْضَ مَهْداً ﴾ أي : فراشاً ﴿ وسَلَكَ لكمْ فيهـا سُبُلاً ﴾ طرقاً ﴿ وأَنْزَلَ منَ السَّماءِ مـاءً فأخرجْنـا بـهِ أزواجاً من نبـاتٍ شتَّى ﴾ أصنـافاً من نبـات مختلفة الأجنـاس في الطعم والرائحـة والشكل والنفع .

[٥٤] ﴿ كُلُوا وارعَـوْا أنعامَـكُمْ ﴾ منهـا ﴿إنَّ في ذلـكَ لآياتٍ لأُولي النُّهى﴾ أصحاب العقل والتفكير.

[٥٥] ﴿منها﴾ من الأرض ﴿خلقناكم﴾ خلقنا أصلكم وهـو آدم ، أو خلقنا أبـدانكم من النطفـة المتولـدة عن الأغذية ، المتولدة من الأرض بوسائط ﴿وفيها نُعيدُكم﴾ بالإماتة ، إعادة البذر إلى الأرض ﴿ومنْها نُخْرجُـكُمْ تارةً أخرى﴾ بردّهم كما كانوا أحياء يوم القيامة .

[٥٦] ﴿ ولقدْ أَرَيْناهُ ﴾ أي : لفرعـون ﴿ آياتنَا كُلَّهَا ﴾ من العصا واليد ﴿ فكذَّب وأبىٰ ﴾ أي : فكذب موسى وأبى الإيمان بالله .

[٥٧] ﴿ قالَ ﴾ فرعـون لموسى ﴿ أجئتَنا لتُخْـرجَنَا مِنْ أرْضِنا بِسِـحْرِكَ يا مُوسى ﴾؟

[٥٨] ﴿ فَـلَـنَـأْتِيـنَّـكَ بِسِحْرٍ مِثْلِـهِ ، فاجعلْ بينَنـا وبينَكَ مَوْعِداً لا نُخلِفُـهُ نحـنُ ولا أنتَ مكاناً سُوىً ﴾ أي : مستوياً واضحاً يجمعنا .

[٥٩] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ موعِدُكُم يومُ الزِّينَـةِ ﴾ وهو يوم مشهور عندهم باجتماع الناس فيه ﴿ وأن يُـحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً ﴾ أي : ضحوة النهار ليكون الأمر مكشوفاً لا سترة فيه ويحضر أكثر الناس في ذلك اليوم .

[٦٠] ﴿ فتولَّى فِرْعَوْنُ ﴾ أي : انصرف عن المجلس ﴿ فجمعَ كَيْدَهُ ﴾ ما يكيد به موسى ، من السَّحَرَة وأدواتهم ﴿ ثُمَّ أتى ﴾ الموعدَ ومعه ما جمعه .

[٦١] ﴿ قالَ لهم مُوسَى ﴾ مقدِّماً لهم النّصح والإنذار ، لينقطع عذرهم ﴿ ويْلَكُمْ لا تَفْـتَرُوا على اللَّهِ كَذِباً ﴾ لا تُخيِّلوا للنَّاس بأعمالكم ، إيجادَ أشياءَ لا حقائق لها ، وأنها مخلوقة وليست مخلوقة ، فتكونوا قد كذبتم على الله ﴿ فيُسْحِتَـكُم ﴾ أي : فيستأصلكم ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ هائل لغضبه عليكم ﴿ وقدْ خَابَ منِ افْـتَرى ﴾ الافتراء : اختلاق الكذب .

[٦٢] ﴿ فتنازَعُوا ﴾ أي : السحرة ﴿ أمرَهُم بَيْنَـهُمْ وأَسَرُّوا النَّجْوى ﴾ أي : الكلام بينهم في موسى وهارون .

[٦٣] ﴿ قَالُوا ﴾ بطريق التنـاجي والإسرار ﴿ إنْ هٰذانِ لسـاحِرانِ يُـريدَانِ أنْ يُخْرِجاكُم مِنْ أَرْضِكُـم بِسِحْرِهِمَا ويذْهَبـا بطريقتِكُمُ المُـثْلَى ﴾ أي : بمذهبكم الأفضل ، وهو ما كانوا عليه .

[٦٤] ﴿ فأَجْمِعُوا كيْدَكم ﴾ فأزمعوا كيدكم واجعلوه مجمعـاً عليه ، بحيث لا يتخلّف عنه واحد منكم ﴿ ثمّ ائتُوا صَفًّا ﴾ مصطفّين ، ليكون أهيب في صدور الرائين ﴿ وقدْ أَفْـلَحَ ﴾ فاز بالإنعامات العظيمة من فرعون وملئه ﴿ اليومَ من اسْتَعْلَى ﴾ أي : فاز من غلب .

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿ قَالُوا ﴾ أي : سحرة فرعون ﴿ يا مُوسَى إمَّا أنْ تُلْقِيَ ﴾ وتُظهر لنا معجزاتك ، وهي السحر بزعمهم ﴿ وإمَّا أن نكونَ أوَّلَ منْ أَلْقَى ﴾ .

[٦٦] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ بلْ أَلْقُوا ، فإذَا حِبالُهُمْ وعِصيُّهُمْ ﴾ التي ألقوها ﴿ يُخَيَّلُ إليهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أنَّها تَسْعىٰ ﴾ أي : حيّات تسعى على بطونها .

[٦٧] ﴿ فأوْجَسَ ﴾ فأحسَّ ﴿ في نَفْسِهِ خيفةً مُوسَى ﴾ وخاف من توهم الناس المشاهدين بأن لهم من حبالهم وعصيهم حيّات ، كما أن له من عصاه حيّة .

[٦٨] ﴿ قُلْنَا : لا تَخَفْ إنَّكَ أنتَ الأعْلَى ﴾ بتأييد الله لك عليهم .

[٦٩] ﴿ وأَلْقِ مَا في يمينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ أي : تلتقطه بفمها وتبتلعه ﴿ إنَّ ما صَنَعوا كيْدُ سَاحِرٍ ﴾ في مقابلة آية ربانية ﴿ ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حيثُ أَتَى ﴾ أي : لا يفوز بمطلوبه ، أيَّ مكانٍ جاءَ لدفع الحق .

[٧٠] ﴿ فأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ﴾ سجد السَّحَرَةُ بعدما تيقَّنُوا أن تلقف عصا موسى لحبالهم وعِصيِّهم ليس من باب السّحر ، وإنّما هي آية ربّانية ﴿ قالوا : آمَنَّا بربِّ هارُونَ ومُوسَى ﴾ [قال الأوزاعي رحمه الله : لما خرَّ السحرة سجَّداً رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها . قال : وذكر عن سعيد بن جبير قوله : ﴿ وألقي السحرة سُجّداً ﴾ قال : رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم ـ ابن كثير] .

[٧١] ﴿ قالَ ﴾ فرعون ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قبْلَ أنْ آذنَ لكُمْ ، إنَّهُ لكَبِيرُكُمُ الذي علَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ أي : فاتفقتم معه ليكون لكم الملك [روى ابن جرير عن قتادة قوله : لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجداً ، وآمنوا عند ذلك ، قال عدو الله :] ﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أيْديَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ ﴾ من جانبين متخالفين ﴿ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ التي هي أقوى الأخشاب وأخشنها ﴿ ولَتَعْلَمُنَّ أيُّنا أشَدُّ عَذَاباً وأبْقَى ﴾ يعني : أنكم إنما آمنتم برب موسى خوفاً من شِدَّة عذابه ، أو من تخليده في العذاب ، وقصده : إظهار اقتداره وبطشه [عن السدي : فقتلهم وقطعهم] .

[٧٢] ﴿ قالُوا لنْ نُؤْثِرَكَ ﴾ أي : نختارك بالإيمان والاتّباع ونفضّلك ﴿ على مَا جاءَنَا ﴾ من الله على يد موسى ﴿ منَ البيِّنَاتِ ﴾ الدّالة على رسالته ووحدانية الله ﴿ والَّذي فَطَرَنَا ﴾ وعلى الذي خلقنا ﴿ فاقْضِ ما أنتَ قاضٍ ﴾ اصنع ما أنت صانعه ﴿ إنَّمَا تَقْضِي هذِهِ الحياةَ الدُّنْيا ﴾ أي : إنما تقضي فيها وهي لا بقاء لها ، ولا سلطان لك بعدها .

[٧٣] ﴿ إنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لنا خَطَايَانَا ومَا أكْرَهْتَنا عليهِ من السِّحْرِ ، واللَّهُ خيرٌ وأَبْقَى ﴾ ثواباً .

[٧٤] ﴿ إنَّهُ مَنْ يأتِ ربَّهُ مُجْرِماً فإنَّ لَهُ جهنَّمَ لا يموتُ فيها ﴾ فينقضي عذابه ﴿ ولا يَحْيىٰ ﴾ حياة طيبة .

[٧٥] ﴿ ومَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فأولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى ﴾ المنازل الرفيعة بسبب إيمانهم وعَملهم الصالح .

[٧٦] ﴿ جَنَّاتُ عدْنٍ تجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذلِكَ جزاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ أي : تطهر من دنس الكفر والمعاصي ، بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة .

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا
فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

[٧٧] ﴿ **ولقدْ أوحَيْنا إلى مُوسى أنْ أسْرِ بِعِبَادي** ﴾ أي : سِرْ بهم من مصر ليلاً ﴿ **فاضْرِبْ لَهُمْ طريقاً في البَحْرِ يَبَساً** ﴾ أي يابساً . فضرب موسى بعصاه البحر فانفلق وجاوزه إلى ساحله ﴿ **لا تَخافُ دَرَكاً** ﴾ أي : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ﴿ **ولا تَخْشَى** ﴾ غرقاً .

[٧٨] ﴿ **فأتْبَعَهُم فرعونُ بجنودِه** ﴾ لأنه ندم على الإذن بتسريحهم من مصر، وأنهم قهروه على قلّتهم ، فتبعهم ومعه جنود حتى لحقوهم ، ونزلوا في الطريق الذي سلكوه ﴿ **فغشيَهم من اليَمِّ ما غَشيَهُم** ﴾ أي : علاهم موج البحر وغمرهم ، مما لا يُحاط بهوله .

نصف الحزب ٣٢

[٧٩] ﴿ **وأضلَّ فرعونُ قومَه ومَا هَدَى** ﴾ أوردهم الهلاك ، بعتوّه وعناده في الدنيا والآخرة ، وما هداهم سبيل الرشاد .

[٨٠] ﴿ **يا بني إسْرائيلَ قد أنْجَيْنَاكم من عَدوِّكُمْ** ﴾ وهو فرعون وقومه ﴿ **وَوَاعَدْنَاكم جانبَ الطُّورِ الأيمَنَ** ﴾ بمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه ﴿ **ونزّلْنَا عليكُمُ المنَّ والسَّلْوَى** ﴾ المنّ : طعام كالعسل ، والسلوى من الطيور ذات اللحم الجيد .

[٨١] ﴿ **كُلُوا من طيِّباتِ مَا رزقْناكُمْ** ﴾ من لذائذه ﴿ **ولا تَطْغَوْا فيه** ﴾ فيما رزقناكم ، بأن يتعدى فيه حدود الله ويخالف ما أمر به ﴿ **فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبي ، ومَنْ يَحْلِلْ عليهِ غَضَبي فقدْ هَوَى** ﴾ أي : هلك .

[٨٢] ﴿ **وإنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالحاً ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ أي : تاب عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق ، وعمل عملاً صالحاً بجوارحه ، ثم اهتدى ، أي استقام .

[٨٣] ﴿ **وما أعْجَلَكَ عن قومِكَ يا مُوسَى** ﴾ أيُّ شيء عجّل بك عنهم ، والسؤال على سبيل الإنكار.

[٨٤] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **هُمْ أُولاَءِ على أَثَري** ﴾ قادمون ينزلون بالطور ، وإنما سبقتهم بما ظننت أنه خير ﴿ **وعَجِلْتُ إلَيْكَ ربِّ لِتَرْضَى** ﴾ عني بمسارعتي إلى الامتثال لأمرك ، واعتنائي بالوفاء بعهدك .

[٨٥] ﴿ **قالَ** ﴾ تعالى ﴿ **فإنَّا قدْ فتنَّا قومَكَ من بعدِكَ** ﴾ أي : ابتليناهم بعد ذهابك للمناجاة ﴿ **وأضلَّهُمُ السَّامِرِيُّ** ﴾ يعني : اليهوديّ الذي وسوس لهم أن يعبدوا عجلاً اتخذوه إلهاً ، لما طالت عليهم غيبة موسى ويئسوا من رجوعه ، والسَّامريّ في لغة العرب بمعنى : اليهودي .

[٨٦] ﴿ **فرجَعَ مُوسى إلى قومِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً** ﴾ أي : حزيناً ﴿ **قالَ يا قَوْمِ ألَمْ يَعِدْكُمْ ربُّكُمْ وعْداً حَسَناً** ﴾ بإنزال التوراة عليَّ ، ورجوعي بها إليكم ﴿ **أفطَالَ عليكُمُ العهدُ** ﴾ أي : زمان الإنجاز ، أو مجيئي ﴿ **أمْ أردتُّمْ أن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ من ربِّكُمْ فأخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي** ﴾ بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات .

[٨٧] ﴿ **قَالُوا ما أخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا** ﴾ أي : ما أخلفنا موعدك ، بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غُلبنا من جهة السّامريّ وكيده ﴿ **ولكنَّا حُمِّلْنَا أوْزاراً** ﴾ أي : أثقالاً وأحمالاً ﴿ **منْ زِينَةِ القَوْمِ** ﴾ من حليّ قوم فرعون ﴿ **فقَذَفْنَاهَا** ﴾ في النار لسبكها ﴿ **فكَذلِكَ ألْقَى السَّامريُّ** ﴾ أي : كان إلقاؤه .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ ﴾ صنع لهم من الحليّ المذابة ﴿ عِجْلاً جسداً لَهُ خُوارٌ ﴾ جعل فيه منافذ ومخارق ، بحيث تدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل ﴿ فَقَالُوا ﴾ أي : السَّامريُّ ومن افتتنوا به ﴿ هَذَا إلهُكُمْ وإلهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ أي : غفل موسى عنه وذهب يطلبه في الطور .

[٨٩] ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ ألاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ أفلا يرون أن العجل لا يرد لهم جواباً ﴿ وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً ﴾ فكيف يُتخذ إلهاً؟ .

[٩٠] ﴿ ولَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ من قَبْلُ ﴾ أي : قبل رجوع موسى إليهم ﴿ يا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ أي : ضللتم بعبادته ﴿ وإنَّ ربَّكُمُ الرحْمنُ فاتَّبِعُوني وأَطِيعُوا أمْرِي ﴾ في عبادته سبحانه ، ونبذ العجل .

[٩١] ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾ سنبقى مقيمين على عبادته ﴿ حتَّى يرْجِعَ إلَيْنَا مُوسَى ﴾ .

[٩٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ بعبادتهم العجل .

[٩٣] ﴿ ألاَّ تتَّبِعَنِ ﴾ ما منعك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم ﴿ أفَعَصَيْتَ أمْرِي ﴾ وهو ما أمره به من أن يخلفه في قومه ، ويصلح ما يراه فاسداً .

[٩٤] ﴿ قالَ ﴾ هارون ﴿ يا ابْنَ أُمَّ ﴾ أراد : أمي ، وذكْرُهَا أعطف لقلبه ﴿ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتي ولا برأسي ﴾ أي : بشعره ، وكان موسى قد قبض عليهما يجره إليه من شدة غضبه ﴿ إنِّي خَشِيتُ أن تَقُولَ فرَّقْتَ بيْنَ بَني إسرائيلَ ﴾ بتركهم لا راعي لهم ﴿ ولَمْ ترْقُبْ قَوْلي ﴾ لم تراعه في الاستخلاف والوجود بين ظهرانيهم .

[٩٥] ﴿ قالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ثم أقبل موسى على السّامري وقال لهُ مُنكراً : ما شأنك فيما صنعت ؟ وما دعاك إليه ؟ .

[٩٦] ﴿ قالَ ﴾ السّامري ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ فطنت لما لم يفطنوا له ﴿ فَقَبَضْتُ قبضةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ قال عامة المفسرين : المراد بالرسول : جبريل عليه السلام ، وأراد بأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته ، وهذا ليس عليه أثارة من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم ، فههنا وجه آخر وهو : أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام لما أقبل على السّامريّ باللوم ، والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل ، فقال : ﴿بَصُرتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ أي : عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول ، أي شيئاً من سُنَّتك ودينك فقذفته ، أي طرحته ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ أي : تركتها على الرأي الأخير ، وقذفتها في الحلي المذاب على الرأي الأول ﴿ وكذلكَ سَوَّلَتْ لي نَفْسي ﴾ أي : حسَّنته وزينته .

[٩٧] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ فاذْهَبْ فإنَّ لكَ في الحياةِ أن تَقُولَ لا مِسَاسَ ﴾ المراد : المنع من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد عقوبة له ﴿ وإنَّ لكَ ﴾ أي : لعذابك ﴿ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ ، وانْظُرْ إلى إلهِكَ الذي ظَلْتَ عليهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ في اليمِّ نَسْفاً ﴾ لنطيّرنّه رماداً في البحر ، بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر .

[٩٨] ﴿إنَّمَا إلهُكُمُ ﴾ المستحق للعبادة والتعظيم ﴿ اللَّهُ الذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شيْءٍ عِلْماً ﴾ أي : أحاط علمه كل شيء .

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

[٩٩] ﴿ **كذلكَ نَقُصّ عَلَيْكَ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، وقَدْ آتيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً** ﴾ كتاباً عظيماً جامعاً لكل كمال ، وسمى القرآن : ذِكْراً ، لما فيه من ذكر ما يحتاج إليه النّاس من أمر دينهم ودنياهم ، ومن ذكر آلاء الله ونعمائه .

[١٠٠] ﴿ **مَنْ أَعْرَضَ عنْهُ فإنَّـهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْراً** ﴾ يعني عقوبة ثقيلة .

[١٠١] ﴿ **خالِدِينَ فيـهِ** ﴾ في العذاب المستمر ﴿ **وساءَ لَـهُمْ يوْمَ القيامَـةِ حِمْلاً** ﴾ .

[١٠٢] ﴿ **يَوْم يُنْـفَخُ في الصُّورِ** ﴾ والنفخ في الصور تمثيل لبعث الله للناس يـوم القيامة بسرعـة لا يمثلها إلا نفخة في بـوق . وعلينـا أن نـؤمن بما ورد من النفخ في الصور ، وليس علينـا أن نعلم مـا هي حقيقـة ذلك الصور ، والبحث وراء هـذا ، عبث لا يسـوغ للمسلم ﴿ **ونَحْشُرُ المُجْرِمِينَ** ﴾ أي : نسوقهم إلى جهنم ﴿ **يَوْمَئِذٍ زُرْقاً** ﴾ أي : زرق الوجوه ، بمعنى سود الوجوه .

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

[١٠٣] ﴿ **يتخافتون بينهم** ﴾ يتسارّون من الرعب والهول ، أو من الضعف ، قائلين : ﴿ **إنْ لَبِثْـتُم** ﴾ في الدنيا ﴿ **إلاّ عشْراً** ﴾ أي : عشر ليال : يستقصرون مـدة إقامتهم في الدنيا لما يـرونه من أهوال الآخرة .

[١٠٤] ﴿ **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُـونَ إذْ يَقُولُ أَمْثَـلُـهُمْ طَرِيقةً** ﴾ أي : أعـدلهم رأياً وأصوبهم ﴿ **إن لبِثْـتُم إلاَّ يوْماً** ﴾ لسرعة زوال الدنيا عبّر عن قلّته بما ورد .

[١٠٥] ﴿ **ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ** ﴾ أي : هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿ **فَـقُـلْ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **يَنْسِفُهَا ربّي نَسْفاً** ﴾ يزيلها عن مكانها فيسيّرها مقذوفة في الفضاء ، وقد تمرّ على الرؤوس مرّ السحاب حتى تتساوى مع سطح الأرض . [١٠٦] ﴿ **فَيَذَرُهَا** ﴾ فيذر مقارّها ومراكزها ﴿ **قاعاً** ﴾ سهلاً مستوياً ﴿ **صَفْصَفاً** ﴾ أملس .

[١٠٧] ﴿ **لا تَـرَى فِيهَا عِوَجاً ولا أَمْتاً** ﴾ أي : نتوءًا يسيراً .

[١٠٨] ﴿ **يَوْمَئِـذٍ يتّبِعُونَ الدَّاعيَ** ﴾ أي : يجيبون الداعي إلى المحشر ، فينقلبون من كل صوب إليه ﴿ **لا عِوَجَ لَـهُ** ﴾ لا يعوج له مدعوّ ، ولا ينحرف عنه ، بـل يستوون إليه ، متبعين لصوته ، سـائرين بسيره ﴿ **وخَشَعَتِ الأَصْـواتُ للرَّحْـمٰنِ** ﴾ أي : انخفضت لهيبتـه ولهول الفزع ﴿ **فلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً** ﴾ إلا صوتاً خفيًّا .

[١٠٩] ﴿ **يَوْمَئِـذٍ لا تنفعُ الشَّفاعَةُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَـهُ الرَّحْـمٰنُ ورضيَ لهُ قوْلاً** ﴾ يومئذ لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد ، إلا إذا أذن الله له .

[١١٠] ﴿ **يَعْلَمُ مَا بينَ أيْديهِمْ ومَا خلْفَـهُمْ ولا يُحيطُونَ بهِ عِلْماً** ﴾ أي بمعلوماته أو بذاته العلية .

[١١١] ﴿ **وعَنَتِ الوُجُوهُ للحيِّ القيُّوم** ﴾ أي : ذلت وخضعت خضوع العناة ، أي : الأسارى ﴿ **وقدْ خابَ** ﴾ خسر ﴿ **مَنْ حَمَلَ ظُـلْماً** ﴾ .

[١١٢] ﴿ **ومَنْ يعملْ منَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يخافُ ظُلْماً** ﴾ أي : نقص ثواب ﴿ **ولا هَضْماً** ﴾ ولا كسراً منه ، بعدم توفيته .

[١١٣] ﴿ **وكذلكَ أنزلنَـاهُ قُرْآناً عَرَبيًّا وصرَّفْـنَا فيـهِ منَ الوَعِيدِ** ﴾ بعبـارات شتى ، تصريحاً وتلويحاً ، وضروب الأمثـال ، وإقامـة البراهين ﴿ **لعلَّهُمْ يتّـقُونَ** ﴾ الكفر والمعاصي بالفعل ﴿ **أوْ يُـحْدِثُ لَـهُمْ ذِكْراً** ﴾ اتعاظاً واعتباراً يؤول بهم إلى التقوى .

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾

[١١٤] ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ أي: تناهى في العلوّ والعظمة، بحيث لا يقدر قدره، ولا يغدر أمره في ملكه الذي يعلو كل شيء، ويصرفه بمقتضى إرادته وقدرته، وفي عدله الذي يوفي كل أحد حقه بموجب حكمته ﴿ ولا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قبْلِ أن يُقضىٰ إليكَ وحْيُهُ ﴾ بل أنصت، فإذا فرغ المَلَكُ من قراءته فاقرأه بعده، وقد كان رسول الله ﷺ إذا لقّنه جبريل الوحيَ، يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة، لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ ﴿ وقُلْ: ربِّ زِدْني عِلْماً ﴾ اسأل الله زيادة العلم، فإن مدده غير متناه.

[١١٥] ﴿ ولقدْ عَهِدْنا إلى آدمَ من قَبْلُ ﴾ أي: من قبل هذا الزمان، أن لا يقرب من الشجرة ﴿ فَنسِيَ ﴾ العهدَ ﴿ ولمْ نجدْ لهُ عزْماً ﴾ أي: تصميماً في حفظه، إذ لو كان كذلك، لما أزلّهُ الشيطان ولما استطاع أن يغرّه.

[١١٦] ﴿ وإذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ سجود احترام وتقدير لا سجود عبادة ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ أي الملائكة ﴿ إلاّ إبْلِيسَ أَبَى ﴾ وإبليس هو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم، رفض أمر الله بالسجود لآدم.

[١١٧] ﴿ فَقُلْنَا يا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لكَ وَلِزَوْجِكَ فلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ ﴾ إذا أصغيت إليه واتبعت ما يطلب منك عمله ﴿ فَتَشقَىٰ ﴾ في الأرض.

[١١٨] ﴿ إنَّ لكَ ألاّ تَجُوعَ فيها ﴾ في الجنّة ﴿ ولا تَعْرَى ﴾.

[١١٩] ﴿ وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا ولا تَضْحىٰ ﴾ لا تتصوّن من حرّ الشمس.

[١٢٠] ﴿ فوسْوَسَ إليهِ الشيْطَانُ ﴾ الوسوسة: الكلام الخفي، والمقصود به: إغراء الشيطان ﴿ قالَ يا آدَمُ، هلْ أدُلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ﴾ من أكل منها خلد ولم يمت ﴿ ومُلْكٍ لا يَبلىٰ ﴾ لا يفنى.

[١٢١] ﴿ فأكَلَا منْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا ﴾ يلزقان ﴿ مِنْ ورَقِ الجنَّةِ ﴾ فحصل لهما هذا الخزي بدل عزّ الملك المخلد، وهذه الأوراق الفانية بدل نفائس الملابس الخالدة ﴿ وعَصَى آدَمُ ربَّهُ ﴾ بارتكاب النهي، وترك العزم في حفظ العهد ﴿ فغوى ﴾ عن المأمور به، حيث اعتز بقول الشيطان. [١٢٢] ﴿ ثمّ اجْتَباهُ ربُّهُ ﴾ أي: قرّبه ووفّقه للإنابة ﴿ فتابَ عليهِ وهَدَى ﴾.

[١٢٣] ﴿ قالَ ﴾ الله لآدم بعد قبول توبته ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ الخطاب لآدم وزوجه أي: انزلا من الجنّة إلى الأرض ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدوٌّ ﴾ فالعداء قائم في الدنيا بين الناس أنفسهم، وبينهم وبين إبليس الذي يدعو إلى أنواع المفاسد ﴿ فإمّا يأتِيَنَّكُمْ منّي هُدىً ﴾ من كتاب ورسول ﴿ فمنِ اتّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقىٰ ﴾ لا في الدنيا ولا الآخرة.

[١٢٤] ﴿ ومنْ أعْرَضَ عنْ ذِكْرِي ﴾ ومن أعرض عن هدايتي فأهملها ﴿ فإنَّ لهُ معيشةً ضَنْكاً ﴾ الضنك: الضيق في كل شيء، للذكر والأنثى. قال ابن كثير: أي: ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره ﴿ ونحشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمىٰ ﴾.

[١٢٥] ﴿ قالَ ربِّ لِمَ حَشَرتَني أعمىٰ وقد كنتُ بصيراً ﴾ في الدنيا.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[١٢٦] ﴿ قالَ ﴾ تعالى ﴿ كذلكَ أتتكَ آياتُنا فنسيتَها ﴾ أهملتها ﴿ وكذلكَ اليومَ تُنْسَى ﴾ أي نهمل أمرك . [١٢٧] ﴿ وكذلكَ نَجْزي مَنْ أسْرَفَ ولَمْ يُؤْمِن بآياتِ ربِّهِ ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أشدُّ وأبْقَى ﴾ وهكذا نجزي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة ، وعذاب الآخرة أشد وأبقى من ضنك العيش في الدنيا .

[١٢٨] ﴿ أفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي : ألم يتبيَّن لهؤلاء المكذبين ﴿ كمْ أهْلَكْنَا قبْلَهم منَ القُرُونِ ﴾ من الأمم المكذِّبة للرسل ﴿ يَمْشُونَ في مساكِنِهِمْ ﴾ يريد قريشاً ، وكانوا يتقلَّبون في بلاد عاد وثمود ولوط ويعاينون آثار هلاكهم ، وأن ليس لهم باقية ولا عين ولا أثر ﴿ إنَّ في ذلك لآياتٍ لأُوْلي النُّهَى ﴾ النهى : العقول السليمة .

[١٢٩] ﴿ ولَوْلاَ كَلِمةٌ سَبَقَتْ من ربِّكَ لكانَ لِزاماً وأجَلٌ مُسَمًّى ﴾ بيان لحكمة تأخير عذابهم ، والكلمة السابقة : القضاء السابق أن لا يستأصل هذه الأمة بالدمار والعذاب في الدنيا لكون نبيّهم نبيّ الرحمة .

[١٣٠] ﴿ فاصْبِرْ ﴾ المراد بالصبر عدم الاضطراب لما صدر منهم ﴿ على ما يقولونَ ﴾ من كلمات الاستهزاء والتكذيب ﴿ وسبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ صلّ وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه ﴿ قبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿ وقبْلَ غُرُوبِها ﴾ يعني : صلاة الظهر والعَصر ﴿ ومنْ آناءِ اللَّيلِ فسبِّحْ ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء ، والآناء : الأوقات ﴿ وأطرافَ النَّهارِ ﴾ تكرير لصلاة الفجر والمغرب ﴿ لعلَّكَ تَرْضَى ﴾ أي : رجاء أن تنال ما به ترضي نفسك ، من رفع ذكرك ، ونصرك على عدوك وبلوغ أمنيتك .

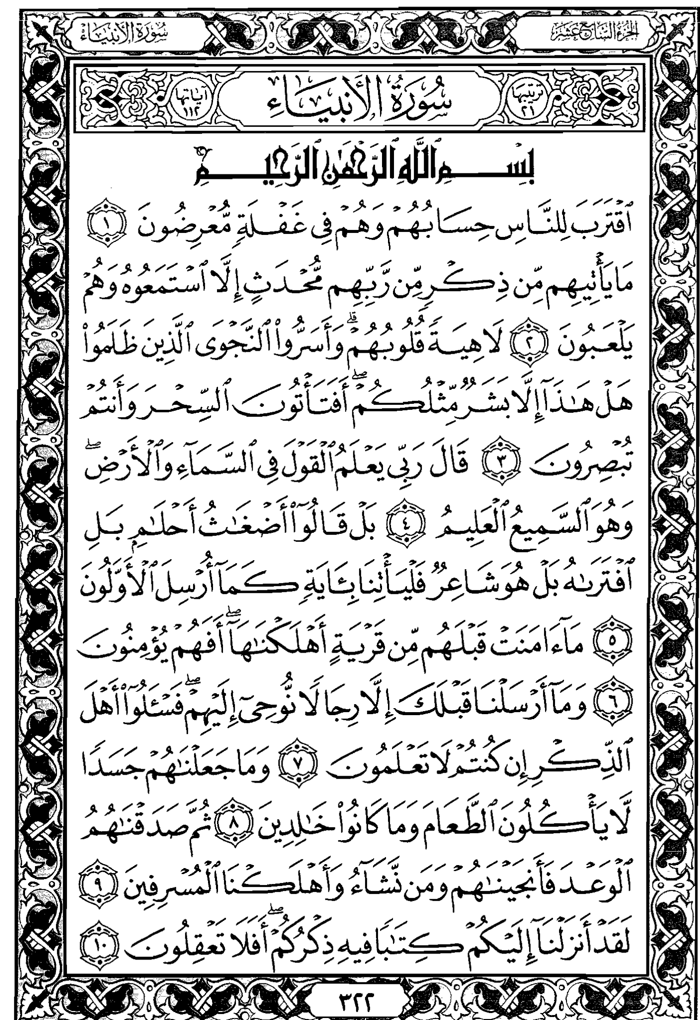
[١٣١] ﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما متَّعْنا به أزواجاً مِنْهُمْ ﴾ أي : أصنافاً من الكفرة ﴿ زهرةَ الحياةِ الدُّنْيا ﴾ أي : زينتها ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ ﴾ لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ونبتليهم ، لأن ذلك زائل ﴿ ورزْقُ ربِّكَ خيْرٌ وأبقى ﴾ أي : ثوابه الأخرويّ خير في نفسه مما مُتِّعوا به وأدْوَم .

[١٣٢] ﴿ وأمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ ﴾ يعني بأهله : أهل بيته أو التابعين له ، أي : مرهم بإقامتها لتجذب قلوبهم إلى خشية الله ﴿ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ على أدائها ﴿ لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً ، نحنُ نرزُقُكَ والعَاقِبَةُ للتقوى ﴾ والعاقبة الحسنة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله .

[١٣٣] ﴿وقالُوا لوْلاَ يأْتِينا بآيةٍ من ربِّه﴾ يعنون ما تعنتوا في اقتراحه مما قدم في سورة الإسراء الآيتين ٩٠ و٩١ ﴿أَوَلَمْ تأْتِهم بيِّنةُ مَا في الصُّحُفِ الأُولى﴾أولم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم قبلهم ، كيف أهلكناهم لما سألوا الآيات ، فكفروا بها لما أتتهم فجعلنا لهم العذاب ، وأنزلنا بهم بأسنا بكفرهم بها .

[١٣٤] ﴿ ولوْ أنَّا أهْلَكْنَاهُم بعذابٍ منْ قَبْلِه ﴾ أي : من قبل إتيان البيّنة ، أو محمد عليه السلام ﴿ لَقَالُوا ربَّنَا لوْلا أرْسَلْتَ إلَيْنَا رَسُولاً فنتَّبِعَ آياتِكَ منْ قَبْلِ أن نَذِلَّ ﴾ بالعذاب الدنيويّ ﴿ ونَخْزَىٰ ﴾ بالعذاب الأخروي ، والخزي : الذل .

[١٣٥] ﴿ قُلْ ﴾ لأولئك الكفرة المتمردين ﴿ كُلٌّ ﴾ منّا ومنكم ﴿ مُتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿ فَتَرَبَّصُوا فستعلمونَ ﴾ عن قريب ﴿ مَنْ أصْحَابُ الصِّراطِ السَّويِّ ﴾ المستقيم ﴿ ومنِ اهْتَدَى ﴾ من الزَّيْغ والضلالة ، أي : هل هو النبيّ وأتباعه ، أم هم المشركون وأتباعهم ؟ .



[سورة الأنبياء]

سُميت سورة الأنبياء لاشتمالها على فضائل جليلة ، لجماعة منهم عليهم السلام . وهي مكيّة ، واستثنى منها بعضهم آية : ٤٤ . وهي ١١٢ آية . وروى البخاريّ عن عبد الله بن مسعود ، قال : بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء ، هن من العتاق الأول .

[١] ﴿ اقترب للنّاس حسابهم ﴾ أي : دنا لأهل مكة ما وُعدوا به في الكتاب من الحساب الأخرويّ وهو عذابهم ﴿ وهُمْ في غَفْلَةٍ ﴾ عما يراد بهم ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ مكذّبون به . وإن حق الناس أن ينتبهوا لدنو الساعة ، ليتلافوا تفريطهم بالتوبة والندم .

[٢] ﴿ ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربِّهم مُحْدَثٍ ﴾ وهو ما نزل من القرآن الكريم ﴿ إلاَّ اسْتَمَعُوهُ وهم يلعبونَ ﴾ تقريع لهم على مكافحة الحكمة بنقيضها ، وتسجيل عليهم بالجهل الفاضح .

[٣] ﴿ لاهِيةً قُلُوبُهم ﴾ غافلة عن معاني القرآن ﴿ وأسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ أسروا هذا الحديث ليصدوا عن سبيل الله ﴿ الذينَ ظَلَمُوا : هل هذا إلاَّ بشرٌ مثلُكُم ﴾ اعتقدوا أن رسول الله لا يكون إلا مَلَكاً ، وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ، ومعجزته سحره ﴿ أفتأتُونَ السِّحْرَ ﴾ أي : تنقادون له وتتبعونه ﴿ وأنتم تُبْصِرُونَ ﴾ وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر ؟

[٤] ﴿ قَالَ ﴾ محمد ﷺ ﴿ رَبِّي يعلمُ القولَ في السماءِ والأرْضِ ، وهو السَّميعُ ﴾ لما أسروه ﴿ العَليمُ ﴾ به فيجازيهم . ثم بيّن تعالى خوضهم في فنون الاضطراب وعدم اقتصارهم على ما تقدّم من دعوى السحر، بقوله :

[٥] ﴿ بَلْ قَالُوا أضغاثُ أحْلَامٍ ﴾ أي : أخلاط يراها في النوم ﴿ بلِ افْتَرَاهُ ﴾ أي اختلقه ﴿ بَلْ هُوَ شاعِرٌ ﴾ أي : ما أتى به شعر يخيل للناس معاني لا حقيقة لها ﴿ فَلْيأْتِنا بآيةٍ كمَا أُرْسِلَ الأوَّلُونَ ﴾ أي : طلبوا معجزات مادية كناقة صالح وعصا موسى ليؤمنوا به .

[٦] ﴿ ما آمنَتْ قَبْلَهُمْ من قريةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أي : لم يؤمن أيٌّ من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات ﴿ أفهم يُؤْمِنُونَ ﴾ أفهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا ، وأعطوا ما اقترحوا ، مع كونهم أعتى منهم وأطغى ؟ .

[٧] ﴿ وَمَا أرْسَلْنَا قبْلَكَ إلاَّ رِجَالاً ﴾ لا ملائكة ﴿ نُوحي إلَيْهِمْ ، فَسْأَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ ﴾ أي العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إن كُنتم لا تعلَمُونَ ﴾ أن الرسل بشر ، فيعلموكم أن المرسلين لم يكونوا ملائكة .

[٨] ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جسداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ أي : جسداً مستغنياً عن الطعام ، بل محتاجاً إلى ذلك ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ في الدنيا ، بل كانوا يعيشون ثم يموتون . [٩] ﴿ ثمَّ صَدَقْنَاهُمُ الوَعْدَ ﴾ في غلبتهم على أعدائهم ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ ﴾ من أتباعهم ومن قضت الحكمة بإبقائه ﴿ وأهْلَكْنَا المُسْرِفِينَ ﴾ المجاوزين الحدود في الكفر .

[١٠] ﴿ لقدْ أنْزَلْنَا إلَيْكُمْ كِتَاباً فيهِ ذكرُكُمْ ﴾ أي : شرفكم وحديثكم الذي تُذكرون به ﴿ أفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ وهو إنكار توبيخي [﴿ فيه ذكركم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : شرفكم . وقال مجاهد : حديثكم . وقال الحسن : دينكم ـ ابن كثير] .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿ وكم قَصَمْنَا ﴾ وكم أهلكنا ﴿ من قَرْيَةٍ كانت ظَالِمَةً ﴾ بالمعاصي والكفر ﴿ وأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قوماً آخرينَ ﴾ .

[١٢] ﴿ فلمَّا أَحَسُّوا بأْسَنَا ﴾ عذابنا النازل بهم ﴿ إذا هم منْهَا يرْكُضُونَ ﴾ يهربون مسرعين .

[١٣] ﴿ لا تركُضُوا ، وارْجِعُوا إلى ما أُتْرِفْتُمْ فيهِ ﴾ من التنعم والتَّلذذ ﴿ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ التي كثر فيها إسرافكم ﴿ لعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ أي : تُقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل . والقول كله من باب الاستهزاء بهم وبحالهم .

[١٤] ﴿ قَالُوا ﴾ لما أيقنوا بنزول العذاب ﴿ يَا وَيْلَنَا إنَّا كنَّا ظَالِمِينَ ﴾ .

[١٥] ﴿ فَمَا زالتْ تلكَ دَعْواهُمْ ﴾ أي : تلك الكلمة ، وهي : يا ويلنا ، تدوم عليهم ما أمكنهم النطق ﴿ حتَّى جَعَلْنَاهُم حَصِيداً ﴾ أي : كنبات محصود ﴿ خَامِدِينَ ﴾ هالكين بإخماد نار أرواحهم .

[١٦] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ والأرضَ ومَا بيْنَهُمَا لاَعِبِينَ ﴾ بل للإنعام عليهم ، وما أنعمنا عليهم بذلك إلا ليقوموا بشكرها وينصرفوا إلى ما خُلقوا له .

[١٧] ﴿ لوْ أرَدْنا أن نتَّخذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ من لَدُنَّا ﴾ لو أردنا أن نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من عندنا ﴿ إنْ كنَّا فَاعِلِينَ ﴾ جوابها محذوف دل عليه ما قبله ، أي : لاتخذناه .

[١٨] ﴿ بلْ نَقْذِفُ بالحقِّ على الباطِلِ ﴾ بل شأنه أن يدحض الباطل بالحق ﴿ فيدمَغُهُ ﴾ يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية ﴿ فإذَا هُوَ زاهِقٌ ﴾ أي : هالك بالكلية ﴿ ولكمُ الوَيْلُ ممَّا تَصِفُونَ ﴾ مما تصفونه به من اتخاذ الولد ونحوه ، مما تتنزه عظمته عنه .

[١٩] ﴿ وَلَهُ مَنْ في السَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ أي : مُلكاً وتدبيراً ﴿ ومَنْ عِنْدَهُ ﴾ وهم الملائكة ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عبادَتِهِ ولا يَسْتَحْسِرُون ﴾ أي : لا يَعْيَوْنَ ولا يتعبون منها . [٢٠] ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ لا يضعفون من تنزيهه وعبادته .

[٢١] ﴿ أمِ اتَّخَذُوا آلهةً منَ الأرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ أي : يبعثون الموتى ويخرجونهم من العدم إلى الوجود .

[٢٢] ﴿ لوْ كانَ فِيهِمَا ﴾ أي : في السموات والأرض ﴿ آلِهَةٌ إلاّ اللّهُ ﴾ آلهةٌ غيره ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ لبطلتا بما فيهما جميعاً ، واختل نظامهما المُشاهَدُ ﴿ فَسُبْحَانَ اللّهِ ربِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من وجود شرك له فيهما ، فسبحوه سبحانه اللائق به ، ونزهوه عما يفترون .

[٢٣] ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وعلوه وحكمته وعدله ولطفه ﴿ وهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ الضمير للعباد .

[٢٤] ﴿ أم اتَّخَذُوا من دُونِهِ آلِهَةً ﴾ كرره استعظاماً لكفرهم ، وإظهاراً لجهلهم ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي دليلكم على ما تفترون ﴿ هَذا ذِكْرُ مَنْ معيَ وذِكْرُ مَنْ قَبْلي ﴾ فهو عظة أمتي ، وبه نطقت الكتب الإلهية قاطبة ، وشهدت به ألسنة الرسل المتقدمة كافة ﴿ بل أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الحقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ عن النظر الموصل إلى الهدى .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٥] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَسُولٍ إلاَّ نُوحي إليه : أنه لا إلـه إلا أنا فاعبدون ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَقَالُوا : اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً ﴾ [قال ابن جرير: قال قتادة : قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم] ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ أي مقرّبون .

ربع الحزب ٣٣

[٢٧] ﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ ﴾ أي : يتبعون قوله ، فلا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به كما هو شأن العبيد المؤدبين ﴿ وهم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ فلا يعصونه في أمر .

[٢٨] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ مما قدّموا وأخّروا ، فهو المحيط بهم علماً ﴿ ولا يشفعونَ إلاَّ لمنِ ارتَضى ﴾ أن يُشفع له ﴿ وهُم مِنْ خَشْيَتِهِ ﴾ أي : قهره ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون .

[٢٩] ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي : من الملائكة ﴿ إنِّي إلـهٌ منْ دُونِهِ فذلكَ نجْزيهِ جهنَّم كذلك نجْزي الظَّالمينَ ﴾ وأي ظلم أكبر من الشرك باللّـه أو ادعاء الألوهية .

[٣٠] ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الذينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰواتِ والأرضَ كانَتَا رتْقاً ﴾ أي : لا تمطر ولا تنبت ﴿ فَفَتَقْناهُما ﴾ بالمطر والنبات . فالفتق والرتق استعارة . فبعد أن كانت الأرض رتقاً متماسكة الأجزاء ، شققناها شقًّا مرئيًّا مشهوداً ، كما تراه في الأرض بعد الريّ . أو شقًّا بالنبات . وقيل : الرتق : مجاز عن العدم ، والفتق : عن الوجود . وقال بعض علماء الفلك : معنى قوله تعالى : ﴿ كانتا رتقاً ﴾ أي شيئاً واحداً . ومعنى : ﴿ ففتقناهما ﴾ فصلنا بعضهما عن بعض ﴿ وجعلنا من الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أفلا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٣١] ﴿ وجَعَلْنا في الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ أي : جبالاً ثوابت ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ لئلا تتحرك وتضطرب بهم ﴿ وجَعَلْنَا فيها ﴾ أي : في الأرض ، وقيل : في الجبال ﴿ فِجَاجاً سُبُلاً ﴾ الفجاج : المسالك ﴿ لعلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى مصالحهم .

[٣٢] ﴿ وجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً ﴾ على الأرض ، كالقبة عليها ﴿ محفوظاً ﴾ عالياً محروساً أن يُنال ، أو محفوظاً من التغير بالمؤثرات ، مهما تطاول الزمان ﴿ وهم عن آيَاتِها مُعْرِضُونَ ﴾ عما وضع الله فيها من الأدلّة والعبر، بالشمس والقمر وسائر النيرات ، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة .

[٣٣] ﴿ وهوَ الذي خلقَ الليلَ ﴾ ليسكنوا فيه ﴿ والنّهَارَ ﴾ ليتحركوا لمعاشهم وينشطوا لأعمالهم ﴿ والشمسَ والقمرَ ﴾ ضياء وحسباناً ﴿ كُلٌّ في فلكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ كل واحد منهما يجري في الفلك ، كالسابح في الماء . والفلك في اللغة كل شيء دائر .

[٣٤] ﴿ ومَا جعلنا لِبَشَرٍ من قبلكَ الخُلْدَ ، أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا : نتربص به ريب المنون ، فكانوا يقدّرون أنه سيموت ، فيشمتون بموته ، لما يأملون ذهاب الدعوة النبوية ، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذه الآية ، بما قضى أنه لا يُخَلّد في الدنيا بشراً .

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ ، ونَبْلُوكُم بالشَّرِّ والخَيْرِ ﴾ أي : نختبركم بما يجب فيه الصبر من المصائب ، وما يجب فيه الشكر من النعم ﴿ فِتْنَةً ﴾ أي : اختباراً ﴿ وإلينا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر .

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿ **وإذا رءاكَ الـذيـنَ كفـروا** ﴾ هم مُسْتَهـزئو قريش، كأبي جهل وأضرابه ممن كان يسخر من رسالته ﷺ . [أخـرج ابن أبي حـاتـم رحمه الله عن السـدي رضي الله عنـه قـال : مـر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان ، فلما رآه أبو جهل ضحك ، وقال : ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غيّر عهده فنزلت : ﴿ وإذا رءاك الـذين كـفروا ﴾ الآيـة ـ ابن كثير] ﴿ **إن يَتَّخِذُونَـكَ إلاّ هُزُواً أهـذا الذي يَـذْكُرُ آلهتَـكُمْ** ﴾[يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها، تعجباً منهم من ذلك ـ ابن جرير] ﴿ **وهُمْ بذكرالرحْمٰنِ** ﴾ أي : بإرشاده الخلق ببعث الـرسل وإنـزال الكتب رحمة عليهم ، أو بالقرآن ﴿ **هُمْ كافِرُونَ** ﴾ أي : فهم أحق أن يُهزأ بهم .

[٣٧] ﴿ **خُلِقَ الإنْسَـانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ جعل لفـرط اسْتعجالـه وقلـة صبره كأنـه مخلوق منه ﴿ **سَأُوْرِيكُمْ آيَاتي** ﴾ أي : نقماتي في الدنيا كوقعة بدر ، وفي الآخرة عذاب النار ﴿ **فلا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ بالإتيان بها .

[٣٨] ﴿ **ويَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ** ﴾ الموعود من العذاب الأخرويّ ، بطريق الاستهـزاء والإنكار ، لا لتعيين وقته ﴿ **إن كُنْتُم صَادِقِينَ** ﴾ في إتيانه .

[٣٩] ﴿ **لَـوْ يَعْلَمُ الـذيـنَ كَفَـرُوا حينَ لا يَكُفُّـونَ عَنْ وُجُـوهِهِمُ النَّارَ ولا عن ظُهُـورِهِمْ** ﴾ أي : لا يدفعونها عن أشرف أعضائهم وأقواها ﴿ **ولا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ بدفع أحد عنهم .

[٤٠] ﴿ **بلْ تأتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْـهَتُهُمْ** ﴾ فجأة فتحيّرهم ﴿ **فلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا** ﴾ بسبب من الأسباب ﴿ **ولا هُمْ يُنْظَرونَ** ﴾ أي : يُمهلون ليستريحوا طرفة عين .

[٤١] ﴿ **ولقدِ استُهْزِىءَ بِرُسُلٍ منْ قَبْلِكَ** ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ **فَحَاقَ** ﴾ أي : نزل ﴿ **بالذينَ سَخِرُوا منهم مَـا كانُوا بهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ أي : عذابه ، أو جزاؤه .

[٤٢]﴿ **قُلْ من يكلؤكُم** ﴾ أي : يحفظكم ﴿ **بالليلِ والنَّهارِ منَ الرحْمٰنِ** ﴾ أي : من بأسه أن يفجأكم ﴿ **بل هم عنْ ذكرِ ربِّهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ لا يخطرونه ببالهم ، فضلاً أن يخافوا بأسه .

[٤٣]﴿ **أمْ لَـهُمْ آلِهَةٌ تَـمْـنَـعُهُمْ مِنْ دُونِنَـا ، لا يستطيعونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ وكيف تستطيع آلهتهم التي يـدعونها من دوننا أن تمنعهـم منا ، وهي لا تستطيع نصر أنفسها ﴿ **ولا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ** ﴾ ولا هي بمصحوبة منا بالنصر والتأييد . فيصحبون ، بمعنى : يجارون ، يقال : صحبك الله ، أي : أجارك وسلمك .

[٤٤]﴿ **بلْ متَّعْنَا هؤلاءِ وآباءَهُمْ حتَّى طالَ عليهمُ العُمُرُ** ﴾ إن الداعي إلى غيهم وعنادهم هـو ما مُتِّعوا به في الحياة الدنيا ونُعِّموا به هم ومَنْ قبلَهم حتى طال عليهم الأمد ، لا تأتيهم واعظة من عـذاب ولا زاجرة من عقاب حتى حسبوا أنهم على شيء وأنهم لا يُغلبون ﴿ **أفلا يَـرَوْنَ أنَّا نأتي الأرْضَ نَنْقُصُهَا من أطْرَافِهَا** ﴾ أي : ننقص أرض الكفر فنخربها من نـواحيها بقهرنا أهلها وغلبتنا لهم وإجلائهم عنهـا وقتلهم بالسيوف ﴿ **أَفَهُمُ الغَالِبُونَ** ﴾ أفهؤلاء المشركون المستعجلون بالعذاب الغالبون لنا ، وقد رأوا قهرنا مَن أحللنا بساحته بأسَنا في أطراف الأرض ؟ .

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

[٤٥] ﴿ قُلْ إنّما أُنذِرُكم بالوَحْيِ ﴾ تنزيل الله الذي يوحيه إليّ من عنده ﴿ ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا ما يُنْذَرُونَ ﴾ فهم لا يصغون بسمع قلوبهم إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكرى ، فيتذكرون بها ويعتبرون فينزجرون إذا تُلي عليهم .

[٤٦] ﴿ ولئن مسَّتْهُم نفحةٌ منْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ ولئن أصابهم أدنى شيء من عقوبته تعالى ﴿ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظَالِمِينَ ﴾ لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم في التّصامّ والإعراض وعبادة تلك الآلهة وتركهم عبادة من خلقهم .

[٤٧] ﴿ ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليوم القِيَامَةِ ﴾ بيان لما سيقع عند إتيان ما أنذروه : نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال ﴿ فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئاً ﴾ من حقوقها ، بل يُوَفّى كل ذي حق حقه ﴿ وإن كانَ ﴾ العمل أو الظلم ﴿ مثقالَ حبّةٍ من خردَلٍ أتَيْنَا بِها وكَفَى بنا حاسِبِينَ ﴾ لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم منا .

[٤٨] ﴿ ولقد آتَيْنَا مُوسَى وهارُونَ الفُرْقَانَ ﴾ أي : التوراة كتاباً فارقاً بين الحق والباطل ﴿ وضياءً ﴾ يستضاء به في ظلمات الجهل ﴿ وذِكراً ﴾ يتعظ به الناس ﴿ للمتّقينَ ﴾ وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره .

[٤٩] ﴿ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغَيْبِ ﴾ يخافون عذابه ، وهو غير مُشاهَد لهم ﴿ وَهُمْ من الساعة مُشْفِقُونَ ﴾ وجلون أن تأتي الساعة التي تقوم فيها القيامة فيَرِدُوا على ربّهم ، قد فرّطوا في الواجب عليهم لله ، فيعاقبهم بما لا قبل لهم به .

[٥٠] ﴿ وهذا ﴾ القرآن الكريم ﴿ ذِكْرٌ ﴾ يتذكر به من يتذكر ﴿ مُبارَكٌ ﴾ كثير الخير والنفع ﴿ أنزلناهُ أفأنْتُمْ له مُنكِرُونَ ﴾ مع ظهور كون إنزاله كإيتاء التوراة ؟ لأنهم معترفون بغيره مما في أيدي أهل الكتاب .

[٥١] ﴿ ولقدْ آتَيْنا إبراهيمَ رُشْدَهُ ﴾ أي : هدايته للحق وهو التوحيد الخالص ﴿ من قبلُ ﴾ من قبل موسى وهارون ﴿ وكُنّا به عالِمِينَ ﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه .

[٥٢] ﴿ إذْ قالَ لأبيه وقومِهِ ما هذهِ التّماثيلُ التي أنتُمْ لَهَا عاكِفُونَ ﴾ أي : ما هذه الصور الحقيرة التي عكفتم على عبادتها . استفهام تحقير لها وتوبيخ على العكوف على عبادتها . [٥٣] ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنا لَهَا عابدينَ ﴾ فقلدناهم وتأسّينا بهم .

[٥٤] ﴿ قالَ ﴾ إبراهيم ﴿ لقدْ كُنتُم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مُبينٍ ﴾ لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل أو برهان .

[٥٥] ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنا بالحقِّ ﴾ أي : بالجد في دعوى الرسالة ونسبتنا إلى الضلال ﴿ أمْ أنتَ من اللاّعبينَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ قالَ بل ربُّكُم ربُّ السّمٰواتِ والأرْضِ الذي فَطَرَهُنَّ ﴾ الضمير في : فطرهن ، للسموات والأرض أو للتماثيل ﴿ وأنا على ذٰلِكُم مِنَ الشّاهِدِينَ ﴾ أي : المبرهنين عليه بالحجة .

[٥٧] ﴿ وتاللّهِ لأكِيدَنَّ أصْنامَكُمْ ﴾ لأحتالن لفضيحتها بإظهار عجزها ﴿ بعْدَ أن تُوَلّوا مُدْبِرِينَ ﴾ بفراغكم من عبادتها .

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿ **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً** ﴾ أي : قطعاً مكسرة ﴿ **إلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إليهِ يَرْجِعُونَ** ﴾ فيسألونه : لم فعل بآلهتهم ؟ فإذا ظهر عجزه عن النطق ، فمن دونه أعجز منه في ذلك .

[٥٩] ﴿ **قَالُوا من فعلَ هذا** ﴾ الفعل الفظيع ﴿ **بآلهتنا إنّهُ لمنَ الظّالمينَ** ﴾ لجرأته على إهانتها وهي الجديرة عندهم بالتعظيم .

[٦٠] ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فتىً يذكرُهُم** ﴾ أي : يعيبهم ﴿ **يُقَالُ له إبْراهيمُ** ﴾ .

[٦١] ﴿ **قَالُوا فأْتُوا بهِ على أعيُنِ النّاسِ لعلّهُمْ يَشْهَدُونَ** ﴾ أي : يحضرون عقوبته .

[٦٢] ﴿ **قَالُوا : أأَنتَ فعلتَ هذَا بآلِهَتِنَا يا إبْراهِيمُ** ﴾ .

[٦٣] ﴿ **قَالَ بلْ فَعَلَهُ كبيرُهُمْ هَذَا** ﴾ يعني الذي تركه لم يكسره ﴿ **فَسْألُوهُمْ** ﴾ يجيبوكم ﴿ **إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ** ﴾ لم يكن قصد إبراهيم صلوات الله عليه أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضيّ يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحُجّة وتبكيتهم .

[٦٤] ﴿ **فَرَجَعُوا إلى أنفُسِهِمْ** ﴾ فراجعوا عقولهم ﴿ **فقَالُوا إنكم أنْتُمُ الظّالمُونَ** ﴾ بهذا السؤال ، أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع ، لا مَن كسرها .

[٦٥] ﴿ **ثمَّ نُكِسُوا على رُؤُوسِهِم** ﴾ أي : حياءً من نقصهم ، وخضوعاً وانفعالاً من إبراهيم ، قائلين : ﴿ **لقد عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ** ﴾ أي : ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم ؟ .

[٦٦] ﴿ **قالَ** ﴾ إبراهيم ﴿ **أفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً ولا يضرُّكُم** ﴾ .

[٦٧] ﴿ **أُفٍّ لكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ، أفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ أي : قبح صنيعكم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع . قال الزمخشري : أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل ، فتأفف بهم .

[٦٨] ﴿ **قَالُوا : حَرِّقُوهُ** ﴾ لأنه استحق أشد العقاب عندهم ﴿ **وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ** ﴾ أي : بالانتقام لها ﴿ **إن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ به شيئاً .

[٦٩] ﴿ **قُلْنَا** ﴾ تعجيزاً لهم ولأصنامهم ، وعناية بمن أرسلناه ، وتصديقاً له في إنجاء من آمن به ﴿ **يَا نَارُ كوني بَرْداً** ﴾ أي : باردة على إبراهيم ، مع كونك محرقة للحطب ﴿ **وسَلاَماً على إبراهيمَ** ﴾ ولا تنتهي في البرد إلى حيث يهلكه ، بل كوني غير ضارة ، أزال عنها ما فيها من الحرّ والاحتراق ، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق ، والله على كل شيء قدير .

[٧٠] ﴿ **وأَرادُوا به كيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأخْسَرِينَ** ﴾ أرادوا أن يكيدوه بالإضرار ، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين .

[٧١] ﴿ **ونجّيناه ولُوطاً** ﴾ لأنه هاجر معه ﴿ **إلى الأرْضِ التي بَارَكْنَا فيها لِلْعَالَمِينَ** ﴾ وهي أرض الشام ، بورك فيها بكثرة الأنبياء وإنزال الشرائع ، وبكثرة النعم والخصب والثمار ، وقد نزل إبراهيم عليه السلام بفلسطين ، ولوط عليه السلام بسدوم .

[٧٢] ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحَاقَ** ﴾ استجابة لدعوته : ﴿ربّ هبْ لي منَ الصّالحينَ﴾ ﴿ **ويَعْقُوبَ نافِلَةً** ﴾ أي : زيادة وفضلاً من غير سؤال ﴿ **وكُلاًّ جعَلْنَا صَالِحِينَ** ﴾ بالاستقامة والتمكين في الهداية [قال ابن جرير: ووهبنا لإبراهيم إسحٰق ولداً ويعقوب ولد ولده، نافلة له].

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿ **وجعلناهم أئمَّةً** ﴾ أي : قدوة يُقتدى بهم في أمور الدين ﴿ **يهدونَ بأمرنا** ﴾ يهدون الناس إلى الحق بأمرنا لهم بذلك وإذننا ﴿ **وأوحينا إليهِمْ فعلَ الخَيْراتِ** ﴾ مما يختص بالقلوب أو الجوارح ﴿ **وإقَامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ وكانوا لنا عابدينَ** ﴾ بالتوحيد الخالص والعمل الصالح .

[٧٤] ﴿ **ولُوطاً آتيناهُ حُكْماً** ﴾ أي : حكمة ، وهو ما يجب فعله ﴿ **وعِلْماً** ﴾ بما ينبغي علمه للأنبياء ﴿ **ونجَّيناهُ منَ القريةِ** ﴾ أي : من عذابها ﴿ **التي كانت تعملُ الخبائثَ** ﴾ يعني اللواطة ، وكانت أشنع أفعالهم ، وبها استحقوا الهلاك ، ولذا ذهب بعض الفقهاء إلى رمي اللوطيّ منكّساً من مكان عال ، وطرح الحجارة عليه ، كما فُعل بهم ﴿ **إنَّهم كانوا قوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ** ﴾ .

[٧٥] ﴿ **وأدْخَلْناهُ في رَحْمَتِنا** ﴾ أي : في أهلها ﴿ **إنَّه منَ الصَّالِحِينَ** ﴾ العاملين بالعلم ، الثابتين على الاستقامة .

[٧٦] ﴿ **ونُوحاً إذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ** ﴾ أي : دعا ربه في إهلاك قومه لما كذبوه ﴿ **فاسْتَجَبْنا له فنجَّيناهُ وأهلَهُ منَ الكَرْبِ العظيمِ** ﴾ وهو الطوفان ، أو من الشدة والتكذيب والأذى .

[٧٧] ﴿ **ونَصَرْناهُ منَ القوْمِ** ﴾ أي : نصرناه نصراً مستتبعاً للانتصار والانتقام من قومه ﴿ **الذينَ كذَّبُوا بآياتنا إنَّهم كانوا قوْمَ سَوْءٍ فأغْرَقْناهُمْ أجْمَعِينَ** ﴾ فلم يبق منهم أحد كما دعا نبيُّهم .

[٧٨] ﴿ **وداوودَ وسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ في الحَرْثِ** ﴾ أي : الزرع ﴿ **إذْ نَفَشَتْ فيه غنمُ القوْمِ** ﴾ رعته ليلاً ﴿ **وكُنَّا لحكمهم شَاهِدِينَ** ﴾ أي : لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالمين .

[٧٩] ﴿ **ففَهَّمْناهَا** ﴾ أي : الفتوى أو الحكومة ﴿ **سُلَيْمانَ** ﴾ فكان القضاء فيها قضاءه ، لا قضاء أبيه . وعن ابن عباس أن غنماً أفسدت زرعاً بالليل ، فقضى داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فقال سليمان : بل تُؤخذ الغنم فتُدفع إلى أصحاب الزرع فيكون لهم أولادها وألبانها ومنافعها ، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الزرع مثل زرعهم فيعمروه ويصلحوه ، فإذا بلغ الزرع الذي كان عليه ، ليلة نفشت فيه الغنم ، أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها ، والله أعلم بالحقيقة ﴿ **وكُلاًّ آتينا حُكماً وعِلماً** ﴾ وكل واحد منهما آتيناه حكمة وعلماً كثيراً ، لا سليمان وحده ﴿ **وسخَّرنا معَ داوودَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ وكُنَّا فاعلينَ** ﴾ أي : سخّرنا الجبال والطير يقدسن الله معه ، بصوت يتمثل له أو يُخْلَقُ فيها ، وتقديم الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ، لأنها جماد .

[٨٠] ﴿ **وعلَّمناهُ** ﴾ أي : لداود عليه السلام ﴿ **صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ** ﴾ عمل الدروع الملبوسة ﴿ **لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بأْسِكُمْ** ﴾ لتحفظكم من جراحات قتالكم ﴿ **فهلْ أنتُمْ شَاكِرُونَ** ﴾ لنعم الله عليكم ؟ .

[٨١] ﴿ **ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصفةً** ﴾ أي : سخرناها له ﴿ **تجري بأمرِهِ إلى الأرضِ التي باركْنا فيها** ﴾ وهي بيت المقدس ﴿ **وكُنَّا بِكُلِّ شيءٍ عَالِمِينَ** ﴾ ما تقتضيه الحكمة البالغة فيه .

وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّـٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَـٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

[٨٢] ﴿ ومنَ الشياطينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَـهُ ﴾ في البحر لاستخراج نفـائسه ﴿ ويَعْمَلُونَ عَمَـلاً دُونَ ذلِكَ ﴾ أي : غير ذلك كبناء المدن والقصور واختراع الصنـائع العجيبـة ﴿ وكنّـا لهم حَافِظِينَ ﴾ مؤيـدين معينين . والشيـاطين المذكورون ، إمـا مردة الإنس وأشـدّاؤهم ، وإما مـردة الجن لظاهـر اللفظ .

[٨٣] ﴿ وأيّوبَ إذْ نَادَى رَبَّـهُ ﴾ أي : اذكر أيـوبَ وما أصابه مـن البلاء ودعاءَه ربه في كشف مـا نزل به ﴿ أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

[٨٤] ﴿ فاسْتَجَبْنَا له فَكَشَفْنا مَا بِهِ من ضُرٍّ ﴾ وقد روي أن أيوب عليه السـلام ، لما امتحن وصبر وشكر ، رحمه مولاه فعـادت له صحـة بدنـه وأُوتي [ضعف] مـا فقده ﴿ وآتيناه أهلَـهُ ومِثْلَـهُمْ مَعَهُمْ رحمةً من عِنْدِنَا ﴾ ورزق عدة أولاد ، وعاش عمراً طويلاً ﴿ وذِكْرَى للعَابِدِينَ ﴾ أي : تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، حتّى يُثابوا كما أُثيب في الدنيا والآخرة .

[٨٥] ﴿ وإسْمَاعِيلَ وإدْرِيسَ وذَا الكِفْلِ ، كُـلٌّ مـن الصَّابرينَ ﴾ على القيـام بأمـر الله ، وعلى احتمال الأذى في نصرة دينه تعالى ، ففيهم أعظم أسوة .

[٨٦] ﴿ وأدْخَلْنَـاهُمْ في رَحْمَتِنَا ﴾ في النبوة ، أو في نعمة الآخرة ﴿ إنّهم مِنَ الصَّالحينَ ﴾ الكاملين في الصلاح .

[٨٧] ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ يعني : صاحـب الحوت ، وهو يونس عليـه السلام ، نـزل في سفينة سـائرة إلى ترشيش ليقيم فيهـا ، فأرسل الله ريحاً شـديـدة على البحـر ، أشرفت السفينة معه على الغرق ، فتخفف الركاب من أمتعتهم فلم يفد ، فوقع في أنفسهم أن في السفينة شخصاً سيهلكون بسببه ، فاقترعوا لينظروا من هو ، فخرجت القرعة على يونس ، فقذفوه في البحر وهيأ الله حوتـاً ليونس فابتلعه ، فدعا ربه فاستجاب له ﴿ إذْ ذهبَ مُغَاضِباً ﴾ غاضبَ قومَه العصاةَ ﴿ فظنَّ أن لن نقدِرَ عليهِ ﴾ فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيِّـق عليه في مغاضبته لقومه ، إذ ظن أنه محسن في عمله ذلك ﴿ فَنَادَى في الظُلُماتِ ﴾ أي : في بطن الحوت ﴿ أنْ لا إلـه إلاّ أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ من الظّالمِينَ ﴾ بخروجي من القرية التي أمرتني بالدعوة فيها .

[٨٨] ﴿ فاسْتَجَبْنَا لـهُ ونَجَّيْنَاهُ من الغَمِّ ﴾ فلفظه الحوت إلى الساحل ﴿ وكذلكَ نُنجي المُؤْمِنِينَ ﴾ إذا كانوا في غم ، وأخلصوا في أدعيتهم منيبين . وفي الحديث : (دعوة ذي النون ، لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط ، إلا استجاب له) رواه أحمد والترمذي .

[٨٩] ﴿ وَزَكَرِيَّا ﴾ أي : واذكر خبره ﴿ إذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْني فرْداً ﴾ حين طلب أن يهبه ربُّه ولداً يكون من بعـده نبيّاً ، ولا يتركه فرداً وحيداً بلا وارث ﴿ وأنتَ خيرُ الوارثِينَ ﴾ الوارث : هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاّك ، وذلك هو سبحانه ، إذ هو الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شيء ومصيره .

[٩٠] ﴿ فاسْتَجَبْنَا لـهُ ﴾ دعاءَهُ ﴿ وَوَهَبْنَا لَـهُ يَحْيى وأَصْلَحْنَا لَـهُ زَوْجَهُ ﴾ أي : أصلحناهـا للولادة بعـد عقرها ، معجـزة وكرامـة له ﴿ إنّهم كانوا يُسَارِعُونَ في الخَيْرَاتِ ﴾ كانوا يبادرون في كل باب من الخير ﴿ ويدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ راغبين في الثواب راجين للإجابة [ورهبـة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته] ﴿ وكانُوا لنا خَاشِعِينَ ﴾ مخبتين متضرعين .



وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿ **والتي أحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾ واذكر نبأ التي أحصنته إحصاناً كلياً ، عن الحلال والحرام جميعاً ، وهي : مريم بنت عمران ﴿ **فَنَفَخْنَا فيها من رُوحِنَا** ﴾ نفخنا الروح في عيسى فيها ، أي : أحييناه في جوفها ﴿ **وجعَلْنَاهَا وابْنَهَا آيةً للعَالمِينَ** ﴾ وقد كان من آيتهما إتيان الرزق لمريم في غير أوانه ، وتثمير النخل اليابس ، وإجراء العين ، ونطق ابنها في المهد ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص .

[٩٢] ﴿ **إنَّ هذهِ** ﴾ أي : ملة التوحيد والاستسلام لمعبود واحد لا شريك له ﴿ **أُمَّتُكُمْ** ﴾ ملَّتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ، والخطاب للناس كافة ﴿ **أُمَّةً واحدةً** ﴾ غير مختلفة ، بل هي ملة واحدة ، وجميع الأنبياء ورسل الله على ملة واحدة ودين واحد ﴿ **وأنا ربُّكُمْ** ﴾ لا إله لكم غيري ﴿ **فاعْبُدُونِ** ﴾ ولا تشركوا بي شيئاً .

[٩٣] ﴿ **وتقطَّعُوا أمرَهُمْ بينَهم** ﴾ تفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ، ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزاباً ومللاً ﴿ **كُلٌّ إلَيْنَا راجعُونَ** ﴾ فهو محاسبهم ومجازيهم ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

[٩٤] ﴿ **فمن يعملْ مِن الصَّالِحاتِ وهو مُؤْمِنٌ** ﴾ فمن عمل من هؤلاء ، الذين تفرقوا في دينهم ، بما أمر الله به من العمل الصالح ، وأطاعه في أمره ونهيه ، وهو مقر بوحدانية الله ﴿ **فلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ** ﴾ بل يشكر اللَّهُ عمله هذا ، ويثيبه ثواب أهل طاعته ﴿ **وإنَّا لَهُ** ﴾ أي : لسعيه المشكور ﴿ **كَاتِبُونَ** ﴾ مثبتوه في صحيفة أعماله .

[٩٥] ﴿ **وَحَرامٌ على قَرْيَةٍ أهلكناهَا أَنَّهم لا يَرجِعُونَ** ﴾ وحرام على أهل قرية فسقوا عن أمر ربهم ، فأهلكهم بذنوبهم ، أن يرجعوا إلى أهلهم .

[٩٦] ﴿ **حتّى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ** ﴾ عَلَمٌ لكل أمة كثيرة العدد مختلطة مِنْ أجْنَاسٍ شتى ﴿ **وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** ﴾ يسرعون ، متجندين لقهر أعدائهم ، تحت راية نبيهم أو أميره أو خليفته .

[٩٧] ﴿ **واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ** ﴾ طلعت طلائع النصر والقهر ، ودحر الباطل والكفر ﴿ **فإذا هي شاخِصَةٌ أَبْصَارُ الذينَ كَفَرُوا** ﴾ لهول ما حل بساحتهم والدهشة منه ، قائلين : ﴿ **يا وَيْلَنَا قدْ كُنَّا في غَفْلَةٍ من هذا** ﴾ أي : لم نعلم أنه حق ﴿ **بلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ لأنفسنا ، بالإخلال بالنظر والإباء والعناد

[٩٨] ﴿ **إنكم ومَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ من الأوثان والأصنام ﴿ **حَصَبُ جَهَنَّمَ** ﴾ ما يُرمى به إليها ﴿ **أنتم لها وَارِدُونَ** ﴾ أي : داخلون . وفي المعاجم : ورد : حَضَر .

[٩٩] ﴿ **لَوْ كانَ هؤلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوهَا وكُلٌّ فيها خَالِدُونَ** ﴾ فلا منجى لهم منها .

[١٠٠] ﴿ **لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ** ﴾ ترديد نَفَس والمقصود : العذاب الذي يولد زفيراً قوياً ﴿ **وهُمْ فيهَا لا يَسْمَعُونَ** ﴾ من الهول وشدة العذاب .

[١٠١] ﴿ **إنَّ الذينَ سَبَقَتْ لهم منَّا الحُسْنَى** ﴾ أي : الخصلة الحسنة ، وهي السعادة أو التوفيق ﴿ **أولئكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ لأنهم في غرفات الجنان آمنون ، إذ وقاهم ربهم عذاب السعير .

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

ترتيبها ٢٢ آياتها ٧٨

[١٠٢] ﴿ **لا يسمعون حَسِيسَهَا** ﴾ أي : صوتاً يحسُّ به منها ، لبعدهم عنها وعما يفزعهم ﴿ **وَهُمْ في مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهم خَالِدُونَ** ﴾ [قال ابن جرير: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون فيها، لا يخافون زوالاً عنها، ولا انتقالاً عنها] .

[١٠٣] ﴿ **لا يحزُنُـــهُمُ الفَـــزَعُ الأكبَرُ** ﴾ للحشر ﴿ **وتتلقَّاهُمُ الملائِكَةُ** ﴾ تستقبلهم مهنئين لهم قائلين : ﴿ **هذا يومُكُمُ الذي كُنْتُم تُوعَدُونَ** ﴾ في الدنيا ، وتُبَشَّرونَ بنيل المثوبة الحُسنى فيه .

[١٠٤] ﴿ **يـــومَ نطْوي السَّماءَ** ﴾ والطيّ ضد النشر ﴿ **كطيِّ السِّجِلِّ للكُتُبِ** ﴾ كما يطوى السجل وهو الكتاب . وطي السماء كناية عن انكدار نجومها ، ومحو رسومها ، بفساد تركيبها واختلال نظامها ، فلا يبقى أمر ما فيها من الكواكب على ما نراه اليوم ، فيخرب العالم بأسره ﴿ **كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خلْقٍ نُعيدُهُ** ﴾ [عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : (يحشر الناس حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً، فأول من يكسى إبراهيم) ثم قرأ الآية : أخرجه ابن جرير] ﴿ **وعْداً عَلَيْنَا إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ أي : منجزين إياه .

[١٠٥] ﴿ **ولقدْ كَتَبْنا في الزَّبُورِ** ﴾ وهو كتاب داود عليه السلام ، ويقال : المراد به كل كتاب منزل ﴿ **مِنْ بعدِ الذِّكْرِ** ﴾ أرجح الأقوال أن المقصود بالذكر: اللوح الذي كُتب فيه كل شيء قبل الخلق ، والله أعلم ﴿ **أنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه .

[١٠٦] ﴿ **إنَّ في هذا لَبَلاغاً** ﴾ البلاغ : الكفاية ﴿ **لقومٍ عَابِدِينَ** ﴾ يعبدون الله ، بما شرعه وأحبه ورضيه ، ويُؤْثِرونَ طاعته على طاعة الشياطين وشهوات النفس .

[١٠٧] ﴿ **وَمَا أرسلناكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالَـمِينَ** ﴾ فإن ما بُعِثْتَ به سبب لسعادة الدنيا والآخرة .

[١٠٨] ﴿ **قُلْ : إنما يُوحى إليَّ أنَّما إلهُكُمْ إلـهٌ واحدٌ ، فهل أنتم مُسْلِمُونَ** ﴾ منقادون لما يُوحى من التوحيد مستسلمون له ؟ .

[١٠٩] ﴿ **فإنْ تَوَلَّوْا** ﴾ عن التوحيد ﴿ **فَقُلْ : آذَنْتُكُمْ على سواءٍ** ﴾ أي : أعلمتكم وهديتكم على كلمة سواء بيننا وبينكم ، نؤمن بها ونجني ثمرات سعادتها في الدارين ﴿ **وإنْ أدْري** ﴾ وما أدري ﴿ **أقَرِيبٌ أمْ بعيدٌ مَا تُوعَدُونَ** ﴾ من الفتح عليكم ، وإيراث أرضكم غيركم ، ولحوق الذّل والصَّغار بعصيانكم .

[١١٠] ﴿ **إنَّهُ يعلمُ الجَهْرَ مِنَ القَوْلِ ويَعْلَمُ ما تَكْتُمُونَ** ﴾ فسيجزيكم على ذلك .

[١١١] ﴿ **وإنْ أدْري لعلَّهُ فِتْنَـةٌ لَكُمْ** ﴾ وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم ، أو ابتلاء ليُنظر كيف تعملون ﴿ **وَمَتاعٌ إلى حِينٍ** ﴾ أي : تمتيع لكم إلى أجل مقدور ، والتمتيع بمعنى الإبقاء والتأخير .

[١١٢] ﴿ **قُلْ ربِّ احْكُمْ بالحَقِّ** ﴾ أي : افصل بيننا وبينهم بالحق ، وذلك بنصر من آمن بما أنزلت على من كفر ﴿ **وربُّنَا الرحمٰنُ المُسْتعَانُ على ما تَصِفُونَ** ﴾ من الكذب والافتراء على الله ورسوله ، بنصر أوليائه ، وقهر أعدائه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

الحزب ٣٤

[سورة الحج]

سميت الحج لاشتمالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانه ، وهي مكية سوى ثلاث آيات : ١٩ ـ ٢٢ . وقيل : كلها مدنية . وآياتها ٧٨ آية .

[١] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شيءٌ عَظيمٌ ﴾ يأمر تعالى عباده بتقواه ، والآية من جوامع الكلم ، في فعل المأمورات واجتناب المنهيات . والزلزلة : التحريك الشديد والإزعاج العنيف . والساعة : القيامة . [اختلف المفسرون في زلزلة الساعة . هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة ، أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم . . . . فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وعن علقمة رحمه الله قال : قبل الساعة . وعن عامر الشعبي رحمه الله قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة ـ ابن كثير] .

[٢] ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أرْضَعَتْ ﴾ وهو طفلها ﴿ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ أي : ما في بطنها لغير تمام ﴿ وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ﴾ كأنهم سكارى ﴿ ومَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ على التحقيق ﴿ ولكِنَّ عذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ولكن خوف عذاب الله ، هو الذي أذهب عقولهم .

[٣] ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ في اللَّهِ بغيرِ عِلْمٍ ﴾ أي : يخاصم في شأنه تعالى بغير علم ﴿ ويتَّبِعُ ﴾ في جداله ﴿ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾ عات متمرد ، كرؤساء الكفر الصادّين عن الحق . [٤] ﴿ كُتِبَ عليه ﴾ أي : قضى على الشيطان ﴿ أنَّه مَن تولَّاهُ فأنَّه يُضِلُّهُ ﴾ يضل من تولاه بأن اتخذه ولياً ، وتبعه ، ولا يهديه إلى الحق ﴿ ويَهْدِيهِ إلى عذابِ السَّعِيرِ ﴾ يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة . قيل : نزلت الآية في النضربن الحارث وكان جَدِلاً . [٥] ﴿ يا أيها النَّاسُ إن كُنْتم في ريبٍ من البَعْث ﴾ وكونه مقدوراً له تعالى ، أو من وقوعه ﴿ فإنَّا خلَقْناكم من ترابٍ ﴾ خلقنا أول آبائكم ، أو أول موادّكم ، وهو المنيّ ، من تراب ، إذ خلق من أغذية متولدة منه ، والبعث خلق من تراب ﴿ ثمَّ منْ نُطْفَةٍ ﴾ تولّدت من الأغذية الترابية ﴿ ثمَّ من عَلَقَةٍ ﴾ أي : قطعة من الدم جامدة ﴿ ثمَّ منْ مُضْغَةٍ ﴾ أي : قطعة من اللحم بقدر ما يُمضغ ﴿ مُخَلَّقَةٍ وغيرِ مُخَلَّقةٍ ﴾ أي : مصورة وغير مصوّرة . والمراد : تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، [قال ابن جرير: المخلقة: المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه] ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ بهذا التدريج ، قدرتنا وحكمتنا وأن من قَدر على تغييره وتصويره أولاً ، قدر على ذلك ثانياً ﴿ ونُقِرُّ في الأرحام ما نَشَاءُ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ وهو وقت الوضع ﴿ ثمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفلاً ثمَّ لِتَبْلُغُوا أشُدَّكُمْ ﴾ وهو كمال قوتكم وعقلكم ﴿ ومنكم من يُتوَفَّى ﴾ بعد بلوغ الأشُدِّ أو قبله ﴿ ومِنكُمْ من يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ ﴾ وهو الهرم والخرف والأرذل : الأردأ ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ أي : من بعد علم كثير ، شيئاً من الأشياء ، أو شيئاً من العلم ، مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله ﴿ وترى الأرض هامِدةً ﴾ ميتة يابسة ﴿ فإذا أنْزَلْنا عَلَيْهَا الماءَ ﴾ أي : المطر ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات ﴿ وَرَبَتْ ﴾ انتفخت وعلت ، لما يتداخلها من الماء ويعلو من نباتها ﴿ وأنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ من كل صنف ﴿ بهيجٍ ﴾ حسن رائق يسر ناظره .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿ ذلِكَ ﴾ الذي ذُكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة ، وتصريفه في أحوال متباينة ، وإحياء الأرض بعد موتها ﴿ بأنَّ اللَّهَ هُوَ الحقُّ ﴾ حاصل بسبب أن الله هو الحق وحده في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهي من آثار ألوهيته ﴿ وأنَّهُ يُحيي الموتى ﴾ أي : يقدر على إحيائها إذ أحيى النطفة والأرض الميتة ﴿ وأنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ .

[٧] ﴿ وأن السَّاعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيهَا ﴾ فهي في وضوح دلائلها التكوينية ، بحيث ليس فيها مظنة أن يُرتاب في إتيانها ﴿ وأنَّ الله يبعثُ مَنْ في القُبُورِ ﴾ من الأموات ، أحياء إلى موقف الحساب .

[٨] ﴿ ومِنِ النَّاسِ منْ يجادلُ في اللَّهِ بغيْرِ عِلْمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ مُنِيرٍ ﴾ أي : يجادل بمجرد الرأي والهوى .

[٩] ﴿ ثانِيَ عِطْفِهِ ﴾ حال من فاعل ﴿ يجادل ﴾ أي : عاطفاً لجانبه إعراضاً واستكباراً عن الحقِّ إذا دُعيَ إليه ﴿ ليُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ ﴾ أي : ليصد عن دينه وشرعه ﴿ لَهُ في الدُّنْيا خِزْيٌ ﴾ أي : إهانة ومذلّة ﴿ ونذيقُهُ يوم القيامةِ عذاب الحريقِ ﴾ أي : النار المحرقة .

[١٠] ﴿ ذلك بما قدَّمتْ يَدَاكَ ﴾ يقال له يوم القيامة : ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والضلال والإضلال ﴿ وأنَّ اللَّه ليسَ بظلاَّمٍ للعبيدِ ﴾ بل هو العدل في معاقبة الفجّار ، وإثابة الصالحين .

[١١] ﴿ ومِنَ النّاسِ منْ يَعْبُدُ اللَّهَ على حَرْفٍ ﴾ يعبده تعالى على طرف من الدنيا ، كالذي ينحرف إلى طرف الجيش ، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قَرَّ ، وإلاّ فرَّ ﴿ فإنْ أصابَهُ خيْرٌ ﴾ دنيويّ من صحة وسعة ﴿ اطْمَأنَّ بهِ ﴾ أي : ثبت على ما كان عليه ظاهراً ﴿ وإنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ ما يُفْتَتَنُ به من مكروه ينزل به ﴿ انقلَبَ على وجْهِهِ ﴾ أي : رجع إلى ما كان عليه من الكفر ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخرَةَ ذلكَ هو الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾ الواضح الذي لا يخفى على ذي بصيرة .

[١٢] ﴿ يدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يضرُّهُ وما لا ينْفَعُهُ ﴾ أي : ارتد عن دين اللَّه يدعو من دونه آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا ، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ذلكَ هُوَ الضَّلاَلُ البَعِيدُ ﴾ عن الحق والهدى .

[١٣] ﴿ يَدْعُو ﴾ هذا المرتد المنقلب على وجهه ، إذا أصابته فتنة ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ أقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ أي : وثناً وصنماً ، ضره في الدنيا بالذل والخزي وفي الآخرة بالعذاب ، أسرع إليه من نفعه الذي يتوقعه بعبادته ، وهو الشفاعة والتوسل به إلى الله تعالى ﴿ لَبِئْسَ المَوْلَى ﴾ الناصر له ﴿ ولَبِئْسَ العَشِيرُ ﴾ المصاحب له .

[١٤] ﴿ إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جنَّاتٍ تجْري من تحْتِهَا الأنْهَارُ إنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ من الأفعال المبنيّة على الحكمة التي من جملتها إثابة من أطاعه وتعذيب من عصاه

[١٥] ﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ في الدنيا والآخرةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السَّمَاءِ ﴾ أي : بحبل إلى ما يعلوه ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ ليختنق ﴿ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ ﴾ والمعنى : من كان منهم يظن أن لن ينصر اللَّهُ نبيَّه ، فليختنق وليهلك نفسه ، ثم لينظر في نفسه ، هل يذهبن احتياله هذا في المضارة والمضادّة ، ما يغيظه من النصرة ؟ كلا . فإن الله ناصر رسوله لا محالة .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿ وكذلكَ أَنْزَلْناهُ ﴾ أي : القرآن الكريم ﴿ آياتٍ بيّناتٍ وأنَّ اللَّهَ يَهْدِي من يُريدُ ﴾ .

[١٧] ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا ﴾ وهم المسلمون أتباع محمد ﷺ ﴿ والذينَ هادُوا ﴾ اليهود ﴿ والصَّابئِينَ ﴾ راجع تفسير سورة البقرة ، الآية ٦٢ ﴿ والنَّصارَى ﴾ أهل الإنجيل ﴿ والمجُوسَ ﴾ عبدة النار من أهل فارس وسواها ﴿ والذين أَشْرَكُوا ﴾ كفار العرب خاصة ﴿ إنَّ اللَّهَ يفصلُ بينَهُمْ يومَ القيامَةِ ﴾ فيُدخل من آمن منهم به وعمل صالحاً الجنَّةَ ، ومن كفر به النَّارَ ﴿ إنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ شهيدٌ ﴾ فإنه تعالى شهيد على أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم .

ربع الحزب ٣٤ — سجدة

[١٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّمٰواتِ ومَنْ في الأرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وكثيرٌ من النَّاسِ ﴾ فالسجود فيها مستعار من معناه المتعارف ، لمطاوعة الأشياء له تعالى ، فيما يُحدث فيها من أفعاله ، ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها فيكون السجود في الجمادات الانقياد ، وفي العقلاء العبادة ﴿ وكثيرٌ ﴾ أي : من النَّاس ﴿ حقَّ عليهِ العَذَابُ ﴾ بكفره واستعصائه ﴿ ومَنْ يُهِنِ اللَّهُ ﴾ بأن كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر ﴿ فما له من مُكْرِمٍ ﴾ يكرمه بالسعادة ﴿ إنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ﴾ .

[١٩] ﴿ هٰذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا في ربِّهِمْ ﴾ يعني : فريق المؤمنين وفريق الكافرين . ومعنى : اختصموا في ربهم ، أي في دينه وعبادته [عن قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول : أقسم بالله لنزلت : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ في هؤلاء الستة : حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ رواه البخاري] . ﴿ فالذِّينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ ﴾ أي : قُدِّرَتْ ﴿ لَهُمْ ثيابٌ من نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ ﴾ أي : الماء الحارّ . [عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال (إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه ـ وهي الصهر ـ ثم يعاد كما كان) اخرجه ابن جرير] .

[٢٠] ﴿ يُصْهَرُ ﴾ يذاب ﴿ بهِ مَا في بُطُونِهِمْ ﴾ من الأمعاء والأحشاء ﴿ والجُلُودُ ﴾ .

[٢١] ﴿ ولَهُمْ مَقامِعُ ﴾ سياط يُضربُونَ بها ﴿ مِنْ حديدٍ ﴾ .

[٢٢] ﴿ كُلَّما أَرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وذُوقُوا عذابَ الحَرِيقِ ﴾ [ومعنى الخروج : أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فيُضْرَبُونَ بالمقامع فيهوون فيها ـ النسفي] .

[٢٣] ﴿ إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ جنَّاتٍ تجري من تَحْتِهَا الأنهارُ يُحَلَّوْنَ فيها من أَساوِرَ من ذَهَبٍ ولُؤلُؤاً ﴾ وفي الحديث المتفق عليه : (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) ﴿ ولِبَاسُهُمْ فيها حريرٌ ﴾ .

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾
وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي
شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ
ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ
نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن
يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ
لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ
ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿ وهُدُوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إلى صراطِ الحميدِ ﴾ أي : المحمود وهو الجنّة ، أو الحق تعالى ، المستحق لغاية الحمد .

[٢٥] ﴿ إنَّ الذينَ كَفَرُوا ويَصُدُّونَ عن سبيل اللّهِ والمَسْجِدِ الحَرام ﴾ أي : مكة ﴿ الَّذي جَعَلْنَاهُ للنّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فيه ﴾ المقيم ﴿ والبادِ ﴾ الطارىء ﴿ ومَنْ يُرِدْ فيهِ بإلْحادٍ ﴾ بميل عن القصد . ويشمل الإلحاد : الإشراك ، ومنع النـاس من عمارته ، واقتراف الآثـام ﴿ بظُلْمٍ ﴾ بغير حق ﴿ نُذِقْـهُ مِنْ عذابٍ أليم ﴾ أي : جزاء على هتكه حرمته . وقد ذهب بعض السلف إلى أن السيئة في الحرم أعظم منها في غيره ، وأنها تُضاعَفُ فيه ، وإن همَّ بها فيه أُخِذَ بها .

[٢٦] ﴿ وإذْ بوَّأْنا لإبْراهيمَ مكانَ البَيْتِ أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ﴾ أي : واذكر إذ عيَّنّاه وجعلناه لـه مباءة ، أي : منزلاً ومرجعاً لعبـادته تعالى وحده ﴿ وطهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ من الأصنام والأوثان والأقذار ﴿ للطَّائفين والقَائِمِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أي : لمن يطوف به ويقيم ويصلّي .

[٢٧] ﴿ وأَذِّنْ في النَّاسِ بـالحَجِّ ﴾ أي : نـادِ فيهم بـه ﴿ يأتُـوكَ رِجَالاً ﴾ مشـاة ، جمع : راجل ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي : ركباناً على كل بعير مهزول ، أتعبه بُعد الشقة فهزله ﴿ يأْتِينَ ﴾ صفة : لكل ضـامر ﴿ مِنْ كلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي : طريق واسع بعيد .

[٢٨] ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُـمْ ﴾ ليحضروا منـافع لهم دينية ودنيوية ﴿ ويذكُـرُوا اسمَ اللَّهَ في أيَّـام مَعْلُـوماتٍ عَلَى مَا رَزَقَـهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعَام ﴾ أي : على ما ملكهم منها ، وذلّلها لهم ، ليجعلوها هَدْياً وضحايا . والأيام المعلومات : أيـام العشر من ذي الحجة ، أو : يوم النحر وثلاثة أيام أو يومان بعده . أو : يوم عرفة والنحر ويوم بعده : أقوال للأئمة ﴿ فَـكُلُوا منها ﴾ أي من لحومها ، والأمر للندب . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هَدْيَهُ ، أمر من كل بُدْنَة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسا من مرقها ﴿ وأطعموا البائسَ ﴾ الذي أصابه بؤس ، أي : شدة ﴿ الفقيرَ ﴾ الذي أضعفه الإعسار ، والأمر هنا للوجوب .

[٢٩] ﴿ ثمَّ ﴾ بعد الذبح ﴿ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ ليؤدوا إزالة وسخهم من الإحرام بـالحلق والتقصير وقصّ الأظفار ولبس الثياب ﴿ ولْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ ما ينذرونه من أعمال البِّر في حجّهم ﴿ وليطَّوَّفُوا بالبيتِ العتيقِ ﴾ أي : طواف الإفـاضة ، وهو طواف الـزيارة الذي هو من أركـان الحج ، ويقع به تمام التحلل . والعتيق : القديم . لأنه أول بيت وضع للناس ، أو المُعْتَق من تسلط الجبابرة .

[٣٠] ﴿ ذلِكَ ﴾ الأمر ﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ﴾ أي : أحكامه . والحرمات : جمع حرمة وهو ما لا يحل هتكه ﴿ فَهُوَ خيرٌ لهُ عند ربِّه ﴾ أي : ثواباً ﴿ وأُحِلَّتْ لكُمُ الأنعامُ إلاَّ ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ وذلك قوله في سورة المائدة الآية ٣ ، والمعنى : أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها ، إلا ما استثناه في كتابه ، فحافظوا على حدوده ، وإياكم أن تحرِّموا ممـا أحـل لكم شيئاً ، وأن تحلوا مما حرّم الله ﴿ فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوْثَانِ ﴾ أي : فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، كما تُجتنب الأنجاس ﴿ واجْتَنِبُوا قوْلَ الـزُّورِ ﴾ فإن عبادة الأوثان رأس الزور .

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ
(٣١) ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ
(٣٢) لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ
قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣٥) وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ
جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا
لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ (٣٨)

[٣١] ﴿ **حُنَفَاءَ لِلَّهِ** ﴾ مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل إلى الحق ﴿ **غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** ﴾ شيئاً من الأشياء ﴿ **ومَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فكأنَّمَا خرَّ منَ السَّماءِ فتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ** ﴾ أي : سقط من السماء فقطعته الطيور في الهواء ﴿ **أوْ تَهْوِي بهِ الرِّيحُ** ﴾ أي : تقذفه ﴿ **في مكانٍ سَحِيقٍ** ﴾ بعيد مُهلك لمن هوى فيه .

[٣٢] ﴿ **ذلكَ ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾ أي : معالم الحج ومناسكه ﴿ **فإنَّهَا** ﴾ فإن تعظيمها ﴿ **مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ** ﴾ أي : من أفعال ذوي التقوى ، والإضافة إلى القلوب ، لأن التقوى وضدها تنشأ منها .

[٣٣] ﴿ **لكُمْ فيها** ﴾ لكم في الهدايا ﴿ **منافعُ** ﴾ منافع درّها ونسلها وصوفها وظهرها ﴿ **إلى أجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ إلى وقت نحرها ﴿ **ثُمَّ مَحِلُّهَا إلى البيتِ العَتِيقِ** ﴾ وهو الكعبة . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بُدنة ، قال : (اركَبها) . قال : إنها بدنة . قال : (اركبها ويحك) ، في الثانية أو الثالثة . رواه الشيخان .

[٣٤] ﴿ **ولِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً** ﴾ أي : شرعنا لكل أمة أن يذبحوا لوجهه تعالى ، على وجه التقرب ﴿ **ليذكروا اسمَ اللَّهِ علَى ما رَزَقَهُمْ من بَهِيمَةِ الأنْعَامِ** ﴾ في الآية تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نَعَماً ﴿ **فإلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ فلَهُ أسْلِمُوا** ﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة ، لا تشوبوه بإشراك ﴿ **وبشّرِ المُخْبِتِينَ** ﴾ المطيعين المتواضعين .

نصف الحزب ٣٤

[٣٥] ﴿ **الذينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ أي : خافت لتأثرهم عند ذكره ﴿ **والصَّابرينَ على ما أَصَابَهُمْ** ﴾ في سبيل الله ﴿ **والمُقِيمِي الصَّلاَةِ** ﴾ في أوقاتها ﴿ **ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ يتصدّقون .

[٣٦] ﴿ **والبُدْنَ** ﴾ جمع : بُدْنة ، وهي : الإبل ﴿ **جعلناها لكمْ من شعائرِ اللَّهِ ، لكُمْ فِيهَا خيرٌ** ﴾ لكم في تضحيتها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ **فاذْكُرُوا اسمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوافَّ** ﴾ أي : قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن . وعن ابن عباس : قياماً على ثلاث قوائم ، معقولة يدها اليسرى . يقول : بسم الله ، والله أكبر ، لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك ﴿ **فَإذَا وجبتْ جُنُوبُهَا** ﴾ أي : سقطت على الأرض ، وهو كناية عن الموت ﴿ **فَكُلُوا مِنْهَا وأطْعِمُوا القَانِعَ** ﴾ أي : السائل ﴿ **والمُعْتَرَّ** ﴾ المتعرض بغير سؤال ، أو القانع الراضي بما عنده وبما يُعطى من غير سؤال ، وقد استنبط من الآية أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء ، فيأكل ثلثاً ، ويهدي ثلثاً ، ويتصدق بثلث ﴿ **كذلكَ سخَّرْناهَا لكم** ﴾ ذللناها لكم ﴿ **لعلَّكم تَشْكُرُونَ** ﴾ والشكر : صرف العبد ما أنعم عليه ، إلى ما خلق لأجله .

[٣٧] ﴿ **لنْ ينالَ اللَّهَ لُحُومُهَا ولا دِمَاؤهَا ولكنْ ينالُه التَّقْوَى مِنكُمْ** ﴾ أي : لن يصيب رضاءه لحومها المتصدق بها ، ولا دماؤها المهراقة ، من حيث أنها لحوم ودماء ولكن بمراعاة النيّة والإخلاص ، ابتغاء وجهه الأعلى ﴿ **كذلكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لتُكَبِّرُوا اللَّهَ على مَا هَدَاكم** ﴾ لتعرفوا عظمته فتوحدوه بالعبادة على ما أرشدكم إلى طريق تسخيرها ﴿ **وبَشِّرِ المُحْسِنِينَ** ﴾ أي : المخلصين في أعمالهم .

[٣٨] ﴿ **إنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عنِ الذينَ آمَنُوا** ﴾ الله تعالى ناصرهم على أعدائهم ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خوَّانٍ** ﴾ في أمانة الله ﴿ **كَفُورٍ** ﴾ لنعمته بعبادته غيره ، فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم .

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿ أُذِنَ للَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ﴾ أي : يقاتلهم المشركون ﴿ بأنَّهُمْ ظُلِمُوا وإنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لقديرٌ ﴾ [قال المفسرون : كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون يجيؤون من بين مضروب ومشجوع ، فشكوهم إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم : (اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال) حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٤٠] ﴿ الذينَ أُخرِجوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلَّا أنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللَّهُ ﴾ بغير حق سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين ، لا موجب الإخراج والتسيير [قال ابن عباس : لما خرج رسول الله من مكة ، قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخرج رسول الله ﷺ، والله ليهلكن جميعاً ، فلما نزلت ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ إلى قوله ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ عرف أبو بكر أنه سيكون قتال ـ ابن جرير] ﴿ ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بعضَهم ببعْض لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وصَلَواتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كثيراً ﴾ لولا كفّه تعالى المشركين بالمسلمين ، وإذنه بمجاهدة المسلمين للكافرين ، لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم ، وعلى متعبداتهم فهدموها . والصوامع : مباني الرهبانية لخلوتهم . والبيع : معابد النصارى . والصلوات : كنائس اليهود . [ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً] وهُدِّمت : بمعنى عُطِّلت ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ أي: ينصر دينه وأولياءه ﴿ إنَّ اللَّهَ لقوي عزيزٌ ﴾ .

[٤١] ﴿ الذينَ إنْ مكَّنَّاهُمْ في الأرْضِ ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بالمعروفِ ونَهَوْا عنِ المُنْكَرِ ولِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أي : مرجعها إلى حكمه وتقديره .

[٤٢] ﴿ وإنْ يُكَذِّبوكَ فقدْ كذَّبتْ قبلَهم قَوْمُ نُوحٍ وعادٌ ﴾ وهم قوم هود ﴿ وثَمُودُ ﴾ وهم قوم صالح .

[٤٣] ﴿ وقَوْمُ إبراهيمَ وقَوْمُ لُوطٍ ﴾ كذلك كذّبوا أنبياءهم .

[٤٤] ﴿ وأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾ وهم قوم شعيب ﴿ وكُذِّبَ مُوسَى ﴾ ولم يقل: وقوم موسى كسابقه ، لأن موسى ـ عليه وعلى أنبياء الله السلام ـ ما كذبه قومه بنو إسرائيل ، وإنما كذبه غير قومه وهم القبط ﴿ فأمْلَيْتُ للكافرينَ ﴾ أي : أمهلتهم ﴿ ثمَّ أخذْتُهُمْ ﴾ بالعقوبة ﴿ فكَيْفَ كانَ نَكِيرِ ﴾ أي : إنكاري عليهم بالإهلاك .

[٤٥] ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ فكم من أهالي قرية ﴿ أهلكناها ﴾ بالعذاب ﴿ وهيَ ظالمة ﴾ مشركة كافرة ﴿ فهيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة ﴿ على عُرُوشِهَا ﴾ أي : سقوفها ﴿ وبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ ﴾ وكم من بئر متروكة لا يُستقى منها ، لهلاك أهلها ﴿ وقصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ مرفوع . من : شاد البناء ، إذا رفعه .

[٤٦] ﴿ أفلَمْ يسيروا ﴾ أي : أهل مكة في تجارتهم ﴿ في الأرضِ فتكُونَ لَهُمْ ﴾ بما يشاهدونه من مواد الاعتبار ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بهَا ﴾ ما يجب أن يُعقل من التوحيد ﴿ أوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بها ﴾ ما يجب أن يُسمع من الوحي والتخويف ﴿ فإنَّهَا لا تَعْمى الأبصَارُ ولكنْ تَعْمى القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ ﴾ والمعنى : ليس الخلل في مشاعرهم ، وإنما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٤٧] ﴿ **ويستعجلونك بالعذابِ** ﴾ المبيّن في قوله تعالى : ﴿ وإذْ قالوا اللهمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحقَّ من عندك فأمْطِرْ علينا حجارة من السماءِ أو ائتنا بعذابٍ أليم ﴾ الأنفال : ٣٢ ﴿ **ولنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وعْدَهُ** ﴾ فيصيبهم ما أوعدهم به ، ولو بعد حين ﴿ **وإنَّ يوْماً عِندَ ربِّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ** ﴾ أي : هو تعالى حليم لا يعجل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه ، كيوم واحد عنده ، بالنسبة إلى حلمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء . [عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ قال : من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض . وقال مجاهد : هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ ـ ابن كثير] .

[٤٨] ﴿ **وكأيِّنْ منْ قرْيَةٍ أمْليْتُ لَها** ﴾ أي : أمهلتها ﴿ **وهي ظَالِمَةٌ ثُمَّ أخذْتُها وإليَّ المَصِيرُ** ﴾ إلى حكمي مرجع الكل فأجزيهم بأعمالهم .

[٤٩] ﴿ **قُلْ : يا أيُّها النَّاسُ إنَّما أنَا لَكُمْ نذيرٌ مُبِينٌ** ﴾ .

[٥٠] ﴿ **فالذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ وهي الجنّة .

[٥١] ﴿ **والذينَ سَعَوْا في آياتِنا مُعَاجِزينَ** ﴾ أي : سعوْا في ردّ آياتنا ، وصدّ النّاس عنها مشاقّين . فالمعاجزة مستعارة للمشاقة مع المؤمنين ومعارضتهم ، فكلما طلبوا إظهار الحق طلب هؤلاء إبطاله ﴿ **أولئِكَ أصْحَابُ الجحيم** ﴾ .

[٥٢] ﴿ **وما أرْسَلْنا مِنْ قبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذَا تَمَنَّى** ﴾ أي : رغب في انتشار دعوته ، وسرعة علوّ شرعته ﴿ **ألْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ** ﴾ بما يصدّ عنها ، ويصرف المدعوّين عن إجابتها ﴿ **فينسخُ اللَّهُ ما يُلْقي الشيطانُ** ﴾ أي : يبطله ويمحقه ﴿ **ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ** ﴾ أي : يثبتها ﴿ **واللَّهُ عَليمٌ** ﴾ يعلم الإلقاءات الشيطانية ، وطريق نسخها من وجه وحيه ﴿ **حكيمٌ** ﴾ يحكم آياته بحكمته . [قال ابن جرير: قيل إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه ، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ ، واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات] .

[٥٣] ﴿ **لِيَجْعَلَ مَا يُلْقي الشيطانُ فِتنةً للذينَ في قلوبِهِمْ مرضٌ** ﴾ أي : شك وارتياب ﴿ **والقاسيةِ قُلُوبُهُم** ﴾ وهم العتاة المتمردون ﴿ **وإنَّ الظّالمينَ لفي شقاقٍ** ﴾ أي : خلاف للحق ﴿ **بعيدٍ** ﴾ عن موافقته جداً ، بسبب ظلمهم وشركهم .

[٥٤] ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ** ﴾ النافع الذي يفرّقون به بين الحق والباطل ، والمؤمنون بالله ورسوله ﴿ **أنّهُ الحقُّ منْ ربِّكَ** ﴾ الضمير للقرآن أو لله تعالى ﴿ **فيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ له قُلُوبُهُم** ﴾ بالانقياد ، والخشية . والإخبات : الخشوع ﴿ **وإنَّ اللَّهَ لَهادِ الذينَ آمَنُوا إلَى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ أي : إلى طريق الحق والاستقامة .

[٥٥] ﴿ **ولا يَزَالُ الذينَ كَفَرُوا في مِرْيَةٍ منْهُ** ﴾ أي : في شك وجدال من التنزيل الكريم ﴿ **حتّى تأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ** ﴾ أي : القيامة ﴿ **بَغْتَةً** ﴾ فجأة ﴿ **أو يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يوْمٍ عقيمٍ** ﴾ يوم لا يوم بعده ، والمراد به الساعة أيضاً .

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ
لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ
مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

[٥٦] ﴿ **المُلْكُ يَوْمَئِذٍ** ﴾ أي : يوم تزول مريتهم ﴿ **لِلَّهِ** ﴾ وحده ، بحيث لا يكون لأحد تصرفٌ لا حقيقةً ولا صورةً ﴿ **يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ** ﴾ بالمجازاة ﴿ **فالذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ في جنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ والإيمان يُصَدِّقهُ العمل .

[٥٧] ﴿ **والَّذينَ كَفَروا وكَذَّبُوا بِآياتنا** ﴾ أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته ، وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم ﴿ **فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحق .

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

[٥٨] ﴿ **والذينَ هَاجَرُوا في سبيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا** ﴾ في الجهاد ﴿ **أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزقاً حسناً** ﴾ من الجنة ونعيمها ﴿ **وإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خيرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [قال ابن أبي حاتم عن ابن عقبة ـ يعني أبا عبيدة بن عقبة ـ قال : قال شرحبيل بن السمط : طال رباطنا وإقامتنا على حصنٍ بأرض الروم ، فمر بي سلمان ـ يعني الفارسي ـ رضي الله عنه فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر ، وأجرى عليه الرزق ، وأمن من الفتّانين) ، واقرأوا إن شئتم : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾ الآية ـ ابن كثير] .

[٥٩] ﴿ **لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ ، وإنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ .

[٦٠] ﴿ **ذلِكَ ومَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عليهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ أي : ومن جازى ظالماً بمقدار ظلمه ، ولم يزد في الاقتصاص منه ، ثم تعدى عليه الظالم ثانياً ، لينصرن الله ذلك المظلوم . الآية نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم ، فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام ، فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم ، فقاتلهم المسلمون ، فنصرهم الله عليهم . رواه ابن أبي حاتم ﴿ **إنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** ﴾ تعريض بالحث على العفو والمغفرة ، فإنه تعالى مع كمال قدرته لمّا كان يعفو ويغفر ، فغيره أولى بذلك .

[٦١] ﴿ **ذلك بأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ في اللَّيْلِ** ﴾ أي ذلك النصر بسبب أنه قادر . ومن آيات قدرته البالغة ، إيلاج أحد المَلَوَيْنِ في الآخر ، بزيادته في أحدهما ما ينقص من ساعات الآخر ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ .

[٦٢] ﴿ **ذلِكَ بأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ** ﴾ المعبود الحق الذي لا مثل له ولا ندّ ﴿ **وأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ** ﴾ وأن الذي يدعوه المشركون هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء بل هو المصنوع . أي فتتركون عبادة من منه النفع وبيده الضر ، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته ﴿ **وأَنَّ اللَّهَ هُوَ العليُّ الكبيرُ** ﴾ فلا أعلى منه ولا أكبر .

[٦٣] ﴿ **أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لطيفٌ خبيرٌ** ﴾ [لطيف بعباده ، خبير بمصالح خلقه ، يحيط بكل شيء ـ النسفي] .

[٦٤] ﴿ **لَهُ ما فِي السَّمٰوٰتِ وما في الأَرْضِ وإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغنيُّ الحميدُ** ﴾ أي الغني عن عباده ، المحمود بنعمه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا في الأَرْضِ** ﴾ أي : جعلها مُعدَّة لمنافعكم ﴿ **والفُلْكَ** ﴾ وسَخَّر لكم البحر ، حتى أن الفلك ـ السفن ـ ﴿ **تجري في البَحْرِ بأمْرِه** ﴾ بتيسيره لمنافعكم ﴿ **ويُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إلا بإذْنِـهِ** ﴾ إلا بمشيئتـه وقدرتـه ﴿ **إنَّ اللَّهَ بالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ في آلائه وآياتـه المذكورة ، وما أبان فيها من طرق الاستدلال على وحدانيته ، لا إله إلا هو .

[٦٦] ﴿ **وَهُوَ الذي أحْياكُمْ** ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ **ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحييكم** ﴾ يوم الحساب ﴿ **إنَّ الإنسانَ لَكَفُورٌ** ﴾ أي : جَحود للنعم ، بعبادة غير بارئها ، أو إشراكه معه .

[٦٧] ﴿ **لكُلِّ أمَّةٍ جَعَلْنا** ﴾ وضعنا ﴿ **مَنْسَكاً** ﴾ شريعة ومُتَعَبَّداً [قال ابن جرير: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمنى ، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله ﷺ كانت إراقة الدم في هذه الأيام] ﴿ **هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ في الأمْرِ** ﴾ في ذلك الجعل والوضع والحوار في تنوعه في كل أمّة ، وعدم وحدته ﴿ **وادْعُ إلى ربِّكَ إنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ** ﴾ أي : اثبت على دينك ثباتاً لا يطمعون أن يخدعوك عنه . أو معناه : ثابر على الدعوة إلى ما أُمِرْتَ به ، فلا تضرّك منازعتهم .

[٦٨] ﴿ **وإنْ جادَلُوكَ** ﴾ سفاهة وتعنتاً ﴿ **فَقُلِ اللَّهُ أعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ** ﴾ [أي : لا تجادلهم وأنذرهم بهذا القول ـ النسفي] .

[٦٩] ﴿ **اللَّهُ يَحْكُمُ بيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كُنتُمْ فيه تَخْتَلِفُونَ** ﴾ من أمر الدين .

[٧٠] ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا في السَّماءِ والأرْضِ ، إنَّ ذلك في كِتابٍ ، إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [قال رسول الله ﷺ : (إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) . وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : (أولُ ما خلق الله القلم . قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى : اكتب . فقال القلم : وما أكتب ؟ قال : علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة . فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة ـ ابن كثير] .

[٧١] ﴿ **ويَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ به سُلطَاناً** ﴾ أي : حُجَّة ﴿ **وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ من ضرورة العقل أو استدلاله ﴿ **وَمَا للظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** ﴾ يدفع عنهم ما يُراد بهم .

[٧٢] ﴿ **وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بيِّناتٍ** ﴾ واضحة الدلالة على حقيقتها وما تضمنته ﴿ **تَعْرِفُ في وجوهِ الذينَ كَفَرُوا المُنْكَرَ** ﴾ أي : الإنكار أو الفظيع من التهجم ، أو الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله ﴿ **يكادُونَ يَسْطُونَ بالذينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا** ﴾ يبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب ﴿ **قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ من ذلِكُمُ ، النَّارُ وعَدَهَا اللَّهُ الذينَ كَفَرُوا وبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

[٧٣] ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ** ﴾ أي: بُيِّنَ ﴿ **مَثَلٌ** ﴾ حال مستغرب ﴿ **فَاسْتَمِعُوا لَهُ** ﴾ تدبَّروه حق تدبّره، فإن الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع ﴿ **إِنَّ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ يعني الأصنام ﴿ **لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً ولو اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ أي: لخلقه متعاونين، وتخصيصه الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره ﴿ **وإن يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه** ﴾ فهذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدروا ﴿ **ضَعُفَ الطَّالِبُ** ﴾ أي: الصنم يطلب ما سُلب منه ﴿ **والمَطْلُوبُ** ﴾ أي: الذباب بما سلب. وجُوِّز أن يراد بالطالب: عابد الصنم، وبالمطلوب: معبوده. [قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (قال الله عز وجل: من أظلم ممن ذهب بخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرَّة فليخلقوا شعيرة) ـ أخرجاه في الصحيحين ورواه الإمام أحمد ـ ابن كثير].

سجدة

[٧٤] ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ ما عرفوه حق معرفته، حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَقويٌّ عزيزٌ** ﴾ أي: قادر وغالب، فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به، أو لَقَويٌّ بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه.

[٧٥] ﴿ **اللَّهُ يصطفي** ﴾ يختار ﴿ **مِنَ الملائكةِ رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ** ﴾ فلا نكران لاصطفائه من البشر من شاء لرسالته ﴿ **إِنَّ الله سميعٌ بصيرٌ** ﴾.

[٧٦] ﴿ **يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ومَا خَلْفَهُمْ** ﴾ أي: ما عملوه وما سيعملونه ﴿ **وإلى الله تُرجَعُ الأُمُورُ** ﴾ لأنه مالكها، فلا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون.

[٧٧] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اركَعُوا واسْجُدُوا** ﴾ أي: صَلُّوا، أو اخضعوا له تعالى، وخُرُّوا له سُجَّداً لا لغيره ﴿ **واعبُدُوا ربَّكُمْ وافْعَلُوا الخَيْرَ** ﴾ كصلة الأرحام ومواساة الأيتام والحضّ على الإطعام والاتصاف بمكارم الأخلاق ﴿ **لعلَّكم تُفْلِحُونَ** ﴾ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة.

[٧٨] ﴿ **وجَاهِدُوا في اللَّهِ حقَّ جهادِهِ** ﴾ أمرٌ عامٌ في جهاد الكفار والظلمة والنفس، على أن المطلوب القيام بمواجبه وشرائطه على وجه التمام والكمال بقدر الطاقة ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ** ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته ﴿ **ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينَ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ من ضيق، بتكليف ما يشق القيام به، كما كان عليه من قبلنا[قال ﷺ: (بعثت بالحنيفية السمحة)، وقال لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما أميرين إلى اليمن: (بَشِّرا ولا تُنَفِّرَا، ويسِّرا ولا تُعسِّرا) ـ ابن كثير] ﴿ **مِلَّةَ أبيكم إبراهِيمَ** ﴾ أي: وسع دينكم توسيع ملة أبيكم إبراهيم، وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته ﴿ **هُوَ سمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ أي: من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة ﴿ **وفي هَذا** ﴾ القرآن فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ﴿ **ليكونَ الرَّسُولُ شهيداً عَلَيْكُمْ** ﴾ بأنه قد بلغكم رسالات ربكم ﴿ **وتكونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ** ﴾ بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم ﴿ **فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ واعْتَصِمُوا باللَّهِ هو مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ وإذ خصَّكم بهذه الكرامة فاعبدوه وأنفقوا مما آتاكم بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، وثقوا به، ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه، فهو خير مولى وناصر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

[سورة المؤمنون]

سميت سورة المؤمنين لاشتمالها على أوصافهم ونتائجها . وهي مكية . واستثنى بعضهم منها الآية ٦٤ . وآياتها ١١٨ .

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

[١] ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ المؤمنونَ** ﴾ دخلوا في الفوز الأعظم .

[٢] ﴿ **الذينَ هُمْ في صلاتهم خاشِعُونَ** ﴾ متذللون مع خوف وسكون للجوارح ، لاستيلاء الخشية والهيبة على قلوبهم .

[٣] ﴿ **والذينَ هُمْ عن اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ معرضون عن الفضول وما لا يعني من الأقوال والأفعال ، في عامة أوقاتهم ، لاستغراقهم بالجد .

[٤] ﴿ **والذينَ هُمْ للزَّكاةِ فاعِلُونَ** ﴾ أي : للتجرد عن رذيلة البخل .

[٥] ﴿ **والذينَ هُمْ لفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ** ﴾ أي : لا يزنون . روي عن الإمام أحمد أنه قال : لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنى .

[٦] ﴿ **إلاّ على أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيمانُهُمْ** ﴾ من النساء ﴿ **فإنَّهُمْ غيرُ مَلُومينَ** ﴾ لأنه الحق المأذون فيه .

[٧] ﴿ **فمنِ ابْتَغَى وراءَ ذلِكَ** ﴾ قصد غير ما ذكر ﴿ **فأولئِكَ هُمُ العَادُونَ** ﴾ الكاملون في العدوان المرتكبونه على أنفسهم .

[٨] ﴿ **والذينَ هُمْ لأماناتِهِم وعهدِهِم راعُونَ** ﴾ أي : قائمون عليها بحفظها وإصلاحها .

[٩] ﴿ **والذينَ هُمْ على صَلَواتِهِم يُحافِظُونَ** ﴾ وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدّوها في أوقاتها ، ويقيموا أركانها ، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها .

[١٠] ﴿ **أولئك** ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿ **هُمُ الوارثونَ** ﴾ .

[١١] ﴿ **الذينَ يرِثُونَ الفِرْدَوْسَ** ﴾ أي : الجنة ﴿ **هُمْ فيها خَالِدُونَ** ﴾ لا يخرجون منها أبداً .

[١٢] ﴿ **ولقدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ** ﴾ أي : ابتدأنا خلقه ﴿ **مِنْ سُلالَةٍ** ﴾ أي : خلاصة ﴿ **مِنْ طِينٍ** ﴾ تراب خلط بماء .

[١٣] ﴿ **ثمَّ جعلناهُ نُطْفَةً** ﴾ بأن خلقناه منها ، أو ثم جعلنا السلالة نطفة بالتصفية ﴿ **في قرارٍ** ﴾ أي : مستقر ، وهو رحم المرأة الذي نقل إليه ﴿ **مكينٍ** ﴾ أي : متمكن لا يمجّ ما فيه .

[١٤] ﴿ **ثمَّ خلقنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً** ﴾ بالاستحالة من بياض إلى حمرة كالدم الجامد ﴿ **فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً** ﴾ أي : قطعة لحم بقدر ما يمضغ ﴿ **فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً** ﴾ بأن صلبناها وجعلناها على هيئات وأوضاع مخصوصة ، تقتضيها الحكمة ﴿ **فَكَسَوْنَا العِظامَ لَحْماً** ﴾ جعلناه محيطاً بها ساتراً لها كاللباس ﴿ **ثمّ أنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخرَ** ﴾ بتمييز أعضائه وتصويره ، وجعله في أحسن تقويم ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ** ﴾ تعاظم قدرة وحكمة وتصرفاً ﴿ **أحْسَنُ الخَالِقِينَ** ﴾ أي : المقدّرين . [١٥] ﴿ **ثمّ إنّكم بَعْدَ ذلِكَ** ﴾ أي : بعد ما ذكر من الأمور العجيبة وتحصيل هذه الكمالات ﴿ **لَمَيِّتُونَ** ﴾ لصائرون إلى الموت . [١٦] ﴿ **ثمَّ إنّكم يَوْمَ القيامةِ تُبْعَثُونَ** ﴾ من قبوركم للحساب والمجازاة . [١٧] ﴿ **ولقدْ خَلَقْنَا فوْقَكُمْ سَبْعَ طرائِقَ** ﴾ أي : سبع سموات هي طرق للملائكة والكواكب ﴿ **وما كُنَّا عنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ** ﴾ أي : ما كنا مهملين أمر الخلق ، بل نحفظه وندبر أمره .

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

[١٨] ﴿ **وأنزلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ** ﴾ بتقدير يصلون معه إلى منفعتهم أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ﴿ **فأسكنّاهُ في الأرْضِ** ﴾ جعلناه قاراً فيها ، يتفجر من الأماكن التي أراد سبحانه إحياءها ﴿ **وإنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لقادرونَ** ﴾ على إزالته بالتغوير وبغيره ، كما قدرنا على إنزاله .

[١٩] ﴿ **فأنشأنا لَكُمْ به جنّاتٍ منْ نَخيلٍ وأعنابٍ لكُمْ فِيهَا** ﴾ أي : في الجنّات ﴿ **فَواكِهُ كثيرةٌ ومِنْهَا تَأْكُلونَ** ﴾ .

[٢٠] ﴿ **وشَجَرَةً** ﴾ أي : ومما أنشيء لكم : شجرة ﴿ **تَخْرُجُ من طُورِ سَيْناءَ** ﴾ وهو جبل بفلسطين أو بين مصر وأيلة ـ محل معروف يسمى اليوم : العقبة ـ والشجرة : شجرة الزيتون ، نُسبت إلى الطور لأنه مبدؤها ، أو لكثرتها فيه ﴿ **تنبُتُ بالدُّهْنِ** ﴾ ملتبسة بالدهن المستصبح به ﴿ **وصِبْغٍ للآكِلينَ** ﴾ وبإدام يغمس فيه الخبز. يقال : صبغ اللقمة : دهنها وغمسها . [قال رسول الله ﷺ : (كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه من شجرة مباركة) أخرجه الإمام أحمد مرفوعاً . وروى عبد بن حميد رحمه الله في مسنده عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إئتدموا بالزيت وادَّهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة) ـ ابن كثير] .

[٢١] ﴿ **وإنَّ لكُمْ في الأنْعَامِ لَعِبْرَةً** ﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها ﴿ **نُسْقِيكُمْ مِمَّا في بُطُونها** ﴾ من الألبان ﴿ **ولَكُمْ فيها منافِعُ كثيرةٌ** ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها ونتاجها ﴿ **ومِنْها تأْكُلونَ** ﴾ .

[٢٢] ﴿ **وعَلَيْهَا وعلى الفُلْكِ** ﴾ وهي السفن ﴿ **تُحْمَلُونَ** ﴾ بخلقه وتسخيره و إلهامه فله الحمد .

[٢٣] ﴿ **ولقدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ فقال : يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ ، أفَلا تَتَّقُونَ** ﴾ .

[٢٤] ﴿ **فقالَ الملأُ الذينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هذا** ﴾ الداعي إلى عبادة الله وحده ، بدعوى الرسالة منه ﴿ **إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يريدُ أن يتفضَّلَ عَلَيْكُمْ** ﴾ أن يطلب الفضلَ عليكم ويرأسكم ﴿ **ولوْ شاءَ اللَّهُ** ﴾ إرسال رسول ﴿ **لأنْزَلَ ملائكةً** ﴾ من السماء ﴿ **ما سَمِعْنَا بِهَذَا** ﴾ بمثل ما يدعو إليه ﴿ **في آبائِنَا الأوَّلِينَ** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **إنْ هُوَ إلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ** ﴾ مسّه جنون ﴿ **فتربّصُوا بِهِ حتّى حِينٍ** ﴾ أمهلوه فترة لعله يرجع أو يفيق من جنّته أو يتهادى فنكيد له .

[٢٦] ﴿ **قالَ** ﴾ نوحٌ بعدما أيس من إيمانهم ﴿ **ربِّ انصُرْني بمَا كذَّبُونِ** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **فأوْحَيْنَا إليهِ أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُننا** ﴾ ملتبساً بحفظنا وكلاءتنا ، لا تلحقها آفة ولا يعترضها نقص ﴿ **ووحيِنَا** ﴾ أي : أمرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿ **فإذا جاءَ أمْرُنَا** ﴾ أي : عذابنا ﴿ **وفارَ التَّنُّور** ﴾ كناية عن الشدة ، كقولهم : حمي الوطيس . والتنور : كانون الخبز حقيقة ، وأطلقه بعضهم على وجه الأرض ومنبع الماء للآية مجازاً ﴿ **فاسلُكْ فيها** ﴾ فأدْخِلْ في السفينة ﴿ **مِنْ كُلٍّ** ﴾ من كل أمّة من المخلوقات ﴿ **زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأهلَكَ** ﴾ أفراد عائلته ﴿ **إلاَّ من سبقَ عليهِ القولُ منهم ولا تُخاطِبْني في الذينَ ظَلَمُوا** ﴾ في الدعاء لهم بالنجاة ، عند مشاهدة هلاكهم ﴿ **إنّهم مُغْرَقُونَ** ﴾ في بحر الهلاك ، كما غرقوا في بحر الضلال وظلمهم أنفسهم .

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

[٢٨] ﴿ فإذَا اسْتَوَيْتَ ﴾ أي اعتدلت ﴿ أنتَ ومَنْ مَعَكَ على الفُلْكِ فَقُلِ الحمدُ للَّـهِ الذي نجَّانا مِنَ القَوْمِ الظالمينَ ﴾ الكافرين ، [كما قال في سورة الزخرف : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين* وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ـ ابن كثير].

[٢٩] ﴿ وقُلْ ربِّ أنْزِلْني ﴾ في السفينة ، أو : منها ﴿ مُنْزَلاً مُباركاً ، وأنتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ ﴾ لمن أنزلته منزل قربك ، [وفي قرة العينين على تفسير الجلالين : ﴿ وقل ﴾ عند نزولك من الفلك ﴿ رب أنزلني مُنزلاً ﴾ مكان النزول ﴿ مباركاً ﴾ ذلك الإنزال أو المكان].

ربع الحزب ٣٥

[٣٠] ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ أي : فيما فُعل بنوح وقومه ﴿ لآياتٍ ﴾ يستدل بها ويعتبر أولو الأبصار ﴿ وإنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ أي : مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد ، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا ، لننظر من يعتبر ويذّكر .

[٣١] ﴿ ثم أَنْشَأْنَا مِنْ بَعدِهم قرْناً آخَرِينَ ﴾ هم عاد أو ثمود .

[٣٢] ﴿ فأرْسلنا فيهم رسولاً منْهُمْ أنِ اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ منْ إلهٍ غَيْرُهُ أفلا تتقونَ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وقالَ الملأُ منْ قَوْمِهِ الذينَ كفَرُوا وكذَّبُوا بِلقَاءِ الآخرَةِ وأتْرَفْناهُمْ ﴾ ونعّمْناهُم ﴿ في الحياةِ الدنيا ما هذا إلاَّ بشرٌ مثلُكُمْ يأكُلُ ممَّا تأكُلُونَ منْهُ ويشْرَبُ ممَّا تَشْرَبونَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ ولئِنْ أطعْتُمْ بَشَراً مثْلكُمْ إنَّكم إذاً لخَاسِرُونَ ﴾ لعزة أنفسكم بالتذلل لمثلكم .

[٣٥] ﴿ أيَعِدُكُمْ أنَّكم إذَا متُّم وكُنْتُمْ تُراباً وعِظَاماً أنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ من الأجداث ـ القبور ـ أحياءً كما كنتم .

[٣٦] ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ تكرير لتأكيد البُعْد . أي بَعُدَ الوقوعُ أو الصحةُ لما توعَدون من البعث .

[٣٧] ﴿ إنْ هيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَموتُ ونَحْيَا ﴾ أي : يموت بعض ويولد بعض ، لينقرض قرن ويأتي قرن آخر ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ للحساب .

[٣٨] ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَـهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[٣٩] ﴿ قال ﴾ رسولهم ﴿ ربِّ انْصُرْني بمَا كذَّبُونِ ﴾ .

[٤٠] ﴿ قال ﴾ سبحانه ﴿ عمَّا قليلٍ ليُصْبِحُنَّ نَادِمينَ ﴾ .

[٤١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي : العقوبة الهائلة ، أو صيحة مَلَكٍ ﴿ بالحقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ كغثاء السيل ﴿ فَبُعْداً للقومِ الظالمينَ ﴾ أي : هلاكاً لهم ، إخبار أو دعاء . [قال ابن عباس : جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر، وقال مجاهد : أولئك ثمود ـ ابن جرير].

[٤٢] ﴿ ثُمَّ انشَأْنا مِنْ بعدِهم قروناً آخرين ﴾ [أي : أمماً وخلائق ـ ابن كثير] .

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٣] ﴿ ما تسْبِقُ مِنْ أُمَّـةٍ أَجَلَهَا ﴾ أي : وقتها الـذي عُيِّن لهلاكها ﴿ ومَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ .

[٤٤] ﴿ ثمَّ أرسَلْنَا رُسُلَنا تَتْرَى ﴾ متواترين ، واحداً بعد واحد ﴿ كُلَّمَا جاءَ أُمَّةً رسُولُها كذَّبُوهُ فأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً ﴾ في الإهـلاك ﴿ وجَعَلْناهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ يعني : أنهم فنوا ولم يبق إلا خبرهم ، إن خيراً وإن شراً ﴿ فَبُعْداً لِـقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ ثمَّ أرْسَلْنَا مُوسَى وأخَاهُ هَـارُونَ بآياتنا وسُلْطَانٍ مُبينٍ ﴾ أي : حجـة واضحـة ملـزمـة للخصم ، والمراد بالسلطان : الآيات نفسها .

[٤٦] ﴿ إلى فـرعونَ ومَلَئِهِ فـاستكبروا ﴾ عن الانقياد وإرسـال بني إسرائيـل مع مـوسى وتحريـرهم من تلك العبودية لهم ﴿ وكانوا قوماً عَالِينَ ﴾ متمردين .

[٤٧] ﴿ فَقَالُـوا أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وقَـوْمُهُمَا لَـنَا عَابِدُونَ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فكذَّبوهُمَا فكانوا منَ المُهْلَكِينَ ﴾ أي : المُغْرَقين في البحر .

[٤٩] ﴿ ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكتابَ ﴾ التوراة ﴿ لعلَّهم ﴾ قوم ﴿ يهتدونَ ﴾ إلى طريق الحق ، بما فيها من الشرائع والأحكام .

[٥٠] ﴿ وجَعَلْنَا ابنَ مريم وأمَّهُ آيةً ﴾ دلالة على قدرتنا الباهرة ﴿ وآوَيْنَاهُمَا ﴾ جعلنا مـأواهما أي منـزلهما ﴿ إلى ربْوَةٍ ﴾ أرض مرتفعة ﴿ ذاتِ قَرارٍ ﴾ مستقـر من أرض منبسطة مستوية ﴿ ومَعِينٍ ﴾ وماء معين ، ظاهر جارٍ ، أو : مُدْرَك العين ، (من عانه) إذا أدركه بعينه .

[٥١] ﴿ يا أَيُّهَا الرسلُ ﴾ نداء وخطـاب لجميع الأنبياء باعتبار زمـان كلٍّ وعهده ﴿ كُلُوا منَ الطَّـيِّـبَاتِ ﴾ وإن إباحة الطيبات لـلأنبياء شرع قديم ، واحتجاجاً على الرهابنة في رفض الطيِّبات ﴿ واعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ أي : عملاً صالحاً ، فإنه الـذي به سعادة الدارين ﴿ إنِّي بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليّ منها شيء ، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها . [٥٢] ﴿ وإنَّ هذهِ أُمَّتُـكُمْ ﴾ واعلموا أن هذه ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿ أُمَّةً واحدةً ﴾ ملة واحدة ، وهي شريعة الإسلام ﴿ وأنا ربُّـكُمْ ﴾ من غير شريك ﴿ فاتَّقُونِ ﴾ فخافوا عقابي ، في مفارقة الدين والجماعة .

[٥٣] ﴿ فتقطَّعُوا أمرَهُمْ بينَهُمْ زُبُراً ﴾ أي : جعلوا دينهم بينهم قطعاً وفرقاً منوعة ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بمَا لَدَيْهِمْ فرِحُونَ ﴾ كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فرح بباطله ، مطمئن النفس ، معتقد أنه على الحق . [٥٤] ﴿ فَذَرْهُمْ في غَمْرَتِـهِمْ ﴾ في جهالتهم ومشيهم على هواهم ، ونبذهم كتاب الله . وشبّه جهالتهم بالماء الذي يغمر القامة ، لأنهم مغمورين فيها ﴿ حتَّى حينٍ ﴾ إلى وقت يستفيقون فيه من سباتهم ، بظهور دين الله وعلو كلمته وهزم عدوه . [٥٥] ﴿ أيَحْسَبُونَ أنَّما نُمِدُّهُمْ بهِ ﴾ أي : نعطيهم إياه ، ونجعله مدداً لهم ﴿ منْ مَالٍ وبَنِينَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ نُسارِعُ لَـهُمْ في الخَيْرَاتِ ﴾ أي : ليس كما يحسبون ﴿ بَلْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ كلاَّ ، لا نفعل ذلك ، بل هم لا يشعرون أصـلاً ، كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ، ليتأمَّلوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه معاجلة فيما لهم فيه إكرام .

[٥٧] ﴿ إنَّ الذينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ هم من خوف عذابه حذرون .

[٥٨] ﴿ والذينَ هُمْ بآيات ربِّهِم يُؤْمِنُونَ ﴾ . [٥٩] ﴿ والذينَ هُمْ بربِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴾ شركاً جليًّا ، ولا خفيًّا .

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٠] ﴿ **والذين يُؤْتُونَ ما آتَوْا** ﴾ يعطون ما أعطوْه من الصدقات ﴿ **وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ خائفة ﴿ **أنـّهم إلى ربِّهم راجِعُونَ** ﴾ يخشون الحساب على تقصيرهم .

[٦١] ﴿ **أُولئِكَ يُسَارِعُونَ في الخيراتِ** ﴾ أي : في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة ﴿ **وهم لها سابقونَ** ﴾ ينالونها قبل الآخرة ، حيث عُجِّلت لهم في الدنيا .

[٦٢] ﴿ **ولا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا** ﴾ بيان أنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما في وسعهم ﴿ **ولدَيْنَا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحقِّ** ﴾ وهو كتاب الأعمال ﴿ **وهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ .

[٦٣] ﴿ **بَلْ قُلُوبُهُمْ في غَمْرَةٍ منْ هَذَا** ﴾ مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿ **وَلَهُمْ أعْمالٌ** ﴾ سيئة كثيرة ﴿ **مِنْ دُونِ ذلِكَ** ﴾ الذي ذُكر من كون قلوبهم في غفلة ، وهي فنون كفرهم ومعاصيهم ﴿ **هُمْ لها عامِلُونَ** ﴾ معتادون لا يزايلونها .

[٦٤] ﴿ **حتّى إذَا أخذنَا مُتْرَفِيهِمْ** ﴾ أي : متنعميهم ﴿ **بالعذابِ** ﴾ بالانتقام ﴿ **إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ** ﴾ يصرخون باستغاثة .

[٦٥] ﴿ **لا تَجْأَرُوا اليَومَ** ﴾ يقال لهم تبكيتاً : لا تصرخوا مستغيثين فإنه غير نافع لكم ﴿ **إنكم مِنّا لا تُنْصَرُونَ** ﴾ .

[٦٦] ﴿ **قدْ كانتْ آياتي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فكُنْتُمْ على أعْقَابِكم تَنْكِصُونَ** ﴾ تُعرضون عن سماعها .

[٦٧] ﴿ **مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ** ﴾ بالبيت الحرام ، فشهرتهم بالاستكبار به ، وأن لا مفخر لهم إلا أنهم قُوّامه ﴿ **سَامِراً تَهْجُرُونَ** ﴾ يعني أنهم يسمرون ليلاً بذكر القرآن وبالطعن فيه ، وتسميته سحراً وشعراً ونحو ذلك .

[٦٨] ﴿ **أفَلَمْ يدَّبَّروا القَوْلَ** ﴾ أي : القرآن ، ليعلموا أنه الحق المبين ﴿ **أمْ جاءَهُمْ ما لمْ يأْتِ آباءَهُمُ الأوّلِينَ** ﴾ من الهدى والحق ، فاستبدعوه واستبعدوه ، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال .

[٦٩] ﴿ **أمْ لَمْ يَعْرِفُوا رسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ جاحدون بما أرسل به . وهذا توبيخ آخر يشير إلى عظيم جهالتهم ، بأنهم ما عرفوا شأنه ولا دَروا سرَّ ما بُعث به مما يؤسف له . [٧٠] ﴿ **أمْ يَقُولُونَ بهِ جِنَّةٌ** ﴾ أي : جنون ، وهذا توبيخ آخر ، فيه تعجب من تلوّنهم في الجحود ، وتفننهم في العناد ﴿ **بل جاءَهُمْ بالحَقِّ وأكثَرُهُمْ للحقِّ كارِهُونَ** ﴾ لما فيهم من الزيغ والانحراف .

[٧١] ﴿ **ولوِ اتَّبَعَ الحقُّ أهواءَهُمْ** ﴾ ولو كان ما كرهوه من الحق الذي هو التوحيد والعدل المبعوث بهما الرسول ﷺ موافقاً لأهوائهم المتفرقة في الباطل الناشئة من نفوسهم الظالمة المظلمة ﴿ **لَفَسَدَتِ السَّمواتُ والأرْضُ ومنْ فيهِنَّ** ﴾ لفسد نظام الكون لانعدام العدل الذي قامت به السموات والأرض ، والتوحيد الذي به قوامها ﴿ **بلْ أتَيْناهُمْ بذِكْرِهِمْ** ﴾ بل هو عظة لهم لو اتعظوا ﴿ **فَهُمْ عنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ بالنكوص عنه .

[٧٢] ﴿ **أمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً** ﴾ أي : جُعلاً على أداء الرسالة ، فلأجل ذلك لا يؤمنون ﴿ **فخراجُ ربِّكَ خيْرٌ** ﴾ أي : عطاؤه ﴿ **وهُوَ خيرُ الرَّازقينَ** ﴾ .

[٧٣] ﴿ **وإنَّكَ لتَدْعُوهُمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتقيم** ﴾ هو طريق التوحيد المستلزم لحصول العدالة في النفس ، ووجود المحبة في القلب وشهود الوحدة .

[٧٤] ﴿ **وإنَّ الذينَ لا يُؤمنونَ بالآخِرَةِ عنِ الصراطِ لَناكِبُونَ** ﴾ أي : منحرفون .

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

نصف الحزب ٣٥

[٧٥] ﴿ ولوْ رَحِمْنَاهُمْ ﴾ ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ وكَشَفْنَا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴾ ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب ، وضر الجوع والهزال ﴿ لَلَجُّوا في طُغْيَانِهِمْ ﴾ في عتوّهم وجرأتهم على ربهم ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون .

[٧٦] ﴿ ولقدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ ﴾ ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيّقنا عليهم معايشهم ، وأجدبنا بلادهم ، وقتلنا سراتهم بالسيف ﴿ فَمَا استكانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ فما خضعوا لربهم فانقادوا لأمره ونهيه ، وأنابوا إلى طاعته ﴿ ومَا يتضرَّعُونَ ﴾ التضرّع : الدعاء .

[٧٧] ﴿ حتّى إذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ باباً ذَا عَذَابٍ شديدٍ ﴾ يعني ما نزل بهم من القتال والقتل يوم بدر ، أو باب المجاعة والضر ﴿ إذَا هُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ حزنى نادمون على ما سلف منهم ، في تكذيبهم بآيات الله ، في حين لا ينفعهم الندم والحزن .

[٧٨] ﴿ وَهُوَ الذي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبصَارَ والأَفْئِدَةَ ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا ﴿ قليلاً ما تَشْكُرُونَ ﴾ نعمةَ الله في ذلك ، بصرفها لما خلقت له .

[٧٩] ﴿ وهُوَ الذي ذَرَأَكُمْ في الأَرْضِ ﴾ أي : خلقكم وبثكم بالتناسل فيها ﴿ وإليهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تُجمعون يوم القيامة ، بعد تفرقكم إلى موقف الحساب .

[٨٠] ﴿ وهُوَ الذي يُحيي ﴾ خلقه ، يجعلهم أحياء ، بعدما كانوا نطفاً أمواتاً ، ينفخ الروح فيها ، بعد الأطوار التي تأتي عليها ﴿ ويُميتُ ولَهُ اختلافُ الليلِ والنَّهارِ ﴾ بالطول والقصر ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أن من أنشأ ذلك ابتداء من غير أصل ، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم .

[٨١] ﴿ بل قَالُوا مِثْلَ مَا قالَ الأَوَّلُونَ ﴾ من الأمم المكذبة رسلها .

[٨٢] ﴿ قَالُوا أَإذا مِتْنَا وكنَّا تُراباً وعِظاماً أَإنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أحياء ، كهيئتنا قبل الممات .

[٨٣] ﴿ لقدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وآباؤنا هَذَا من قَبْلُ ، إنْ هذا إلا أساطيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي : ما سطروه في كتبهم مما لا حقيقة له .

[٨٤] ﴿ قُلْ : لِمَنِ الأرْضُ ومنْ فيها إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[٨٥] ﴿ سيقولون للَّهِ ، قُلْ أفلا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلمون أن من ابتدأ ذلك ، قادر على إعادته .

[٨٦] ﴿ قُلْ : مَنْ ربُّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وربُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ .

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ للَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابه على شرككم به ، وتكذيبكم خبره وخبر رسوله .

[٨٨] ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شيءٍ وهُوَ يُجِيرُ ﴾ يغيث من أراد ، ممن قُصِدَ بسوء ﴿ ولا يُجَارُ عليهِ ﴾ ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء ، فيدفع عنه عذابه وعقابه ﴿ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ للَّهِ ، قُلْ فأنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ أي : تُخدعون عن توحيده وطاعته ، مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلّة .

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿ **بلْ أَتَيْنَاهُمْ بالحقِّ وإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ في دعواهم أن له ولداً ومعه شريكاً .

[٩١] ﴿ **ما اتَّخذَ اللَّهُ منْ وَلَدٍ وَمَا كان مَعَهُ مِنْ إلهٍ ، إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ ، ولَعَلَا بعضُهم على بعْضٍ** ﴾ لأنه يجب أن يتخالفا بالذات ، وإلَّا لـما تُصُوِّرَ العددُ . والمتخالفان بالذات يجب أن يتخالفا في الأفعال ، فيذهب كُلٌّ بما خلقه ، ويستبد به ، ويظهر بينهم التحارب والتغالب ، فيفسد نظام الكون ﴿ **سُبْحَانَ اللَّه عمَّا يَصِفُونَ** ﴾ .

[٩٢] ﴿ **عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ فتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ الغيب : ما غاب ، والشهادة : ما شوهد .

[٩٣] ﴿ **قُلْ : ربِّ إمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ** ﴾ من العذاب . أي : إن كان لابد من أن تريني .

[٩٤] ﴿ **ربِّ فَلَا تَجْعَلْني في القومِ الظَّالمينَ** ﴾ أي : نَجِّني مِنْ عذابهم .

[٩٥] ﴿ **وإنَّا عَلَى أنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ** ﴾ منَ العذاب ﴿ **لَقَادِرُونَ** ﴾ وإنّما نؤخره لحكمة بلوغ الكتاب أجله .

[٩٦] ﴿ **ادفعْ بالتي هيَ أَحْسَنُ** ﴾ بالخلة التي هي أحسن الخلال ، وهو العفو والصفح ﴿ **السيِّئَةَ** ﴾ يعني أذى المشركين ﴿ **نحنُ أعلمُ بما يصفونَ** ﴾ فَسَيَرَوْنَ جزاءه .

[٩٧] ﴿ **وقلْ ربِّ أعوذُ بكَ منْ هَمَزَاتِ الشَّياطينِ** ﴾ أي : وساوسهم المغرية على الباطل والشرور والفساد ، والصدّ عن الحق .

[٩٨] ﴿ **وأعُوذُ بِكَ ربِّ أنْ يَحْضُرُونِ** ﴾ أي : يحضروني في حال من الأحوال .

[٩٩] ﴿ **حتَّى إذَا جاءَ أحدَهُمُ المَوْتُ** ﴾ [قال ابن جرير: قال ابن زيد : حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت] ﴿ **قالَ ربِّ ارْجِعُونِ** ﴾ إلى الدنيا فردوني إليها .

[١٠٠] ﴿ **لعلِّي أَعْمَلُ صَالحاً فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾ والمعنى : حتى إذا احتضر وشاهد أمارات العذاب ، وعاين وحشة هيئات السيئات ، تمنى الرجوع ، وأظهر الندامة ، ونذر العمل الصالح في الإيمان الذي ترك ﴿ **كلاَّ إنَّها كلمةٌ** ﴾ يعني قوله : ﴿ ربِّ ارجعون ﴾ ﴿ **هُوَ قائِلُهَا** ﴾ أي : لا يجاب إليها ولا تسمع منه ﴿ **ومِنْ ورائِهِمْ برْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ حائل يحول بينهم وبين الرجعة ، يلبثون فيه إلى يوم القيامة .

[١٠١] ﴿ **فإذَا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يومَئِذٍ** ﴾ لشدة الهول من هجوم ما شغل البال حتى زال به التعاطف والتآلف ﴿ **ولا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً ، لعظم الفزع وشدة ما بهم من الأهوال . [عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، نادى منادٍ من أهل العرش : يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم، وادخلوا الجنة) أخرجه ابن جرير] .

[١٠٢] ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ أي : رجحت حسناته ﴿ **فأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ [يعني الخالدون في جنات النعيم - ابن جرير] .

[١٠٣] ﴿ **ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأولئكَ الذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** ﴾ بتضييع ما منحت من الاستعداد لأن تربح في تجارة الكمال ، بفطرة الإيمان وصالح الأعمال ﴿ **في جهنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ .

[١٠٤] ﴿ **تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النَّارُ** ﴾ تحرقها ، وتخصيص الوجوه لأنها أشرف الأعضاء ﴿ **وَهُمْ فيها كَالِحُونَ** ﴾ مشوهون ، قبيحو المنظر .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّور

ترتيبها ٢٤ آياتها ٦٤

[١٠٥] ﴿ أَلَمْ تكُنْ آيَاتي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبونَ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ قَالُوا ربَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا ﴾ أي : ملكتنا ﴿ شِقْوَتُنَا ﴾ التي اقترفناها بسوء اختيارنا ﴿ وكُنَّا قوْماً ضَالِّينَ ﴾ عن الحق ، ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب .

[١٠٧] ﴿ ربَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ من النار ﴿ فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُونَ ﴾ وأرجعنا إلى الدنيا ، فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي ، فإنا متجاوزون الحدّ في الظلم .

[١٠٨] ﴿ قالَ اخْسَؤُوا فيها ﴾ أي : ذلوا فيها كخسيء الكلاب ﴿ ولا تُكَلِّمُونِ ﴾ في رفع العذاب ، فإنه لا يرفع ولا يخفف .[روى ابن جرير عن قتادة قوله في هذه الآية ، : بلغني أنهم ينادون مالكاً فيقولون : ليقض علينا ربك ، فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول ﴿إنكم ماكثون﴾ الزخرف : ٧٧ ، قال : ثم ينادون ربهم ، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يقول : ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ قال : فييأس القوم ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وكان إنما هو الزفير والشهيق . قال قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق] .

[١٠٩] ﴿ إنَّهُ كان فريقٌ مِنْ عِبَادِي ﴾ وهم المؤمنون ﴿ يقُولُونَ ربَّنَا آمنَّا فاغفِرْ لنا وارْحَمْنَا وأنتَ خَيْرُ الرَّاحِمينَ ﴾ .

[١١٠] ﴿ فاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حتَّى أنْسَوْكُمْ ﴾ بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ﴿ ذِكْري وكُنْتُم منْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ . ثم أشار تعالى لبيان حسن حالهم ، وأنهم انتفعوا بما آذوهم ، بقوله :

[١١١] ﴿ إنّي جزيتُهُمُ اليومَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهم هُمُ الفائِزُونَ ﴾ .

[١١٢] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى ، أو المَلَكُ المأمور بسؤالهم ﴿ كمْ لَبِثْتُمْ في الأرْضِ عَدَدَ سنينَ ﴾ .

[١١٣] ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يوماً أو بعْضَ يوْمٍ فاسْأَلِ العَادِّينَ ﴾ فسل من فيه أن يعدّ ، ويقدر أن يلقى إليه فكره . وقيل : فسل الملائكة الذين يعدُّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم .

[١١٤] ﴿ قالَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ قليلاً ، لَوْ أنَّكم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ شيئاً ما ، أو لو كنتم من أهل العلم .

[١١٥] ﴿ أفَحَسِبْتُمْ أنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾ بغير حكمة حتى أنكرتم البعث ﴿ وأنَّكم إليْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء .

[١١٦] ﴿ فتَعَالَى اللَّهُ ﴾ أي : تعاظم عما تصفون ، لأنه ﴿ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ المتصرف وحده الذي قصد بالخلق معرفته وعبادته ﴿ لا إلهَ إلاَّ هوَ ربُّ العَرْشِ الكريم ﴾ أي : العظيم المجيد .

[١١٧] ﴿ ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فإنَّما حسابُه عندَ ربِّهِ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ ﴾ لا ينجح أهل الكفر بالله ، عنده ، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم .

[١١٨] ﴿ وقُلْ : ربِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي : خير من رحم ذا ذنب ، فقبل توبته .

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٥

[سورة النور]

سميت سورة النور بالنور لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهي. وهي مدنيّة. وقيل الآية ٥٨ مكية. وآياتها ٦٤ آية.

[١] ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ أي: هذه السورة ﴿ وفَرَضْنَاهَا ﴾ وأوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعيّاً ﴿ وأنزلنا فيها آياتٍ بيّناتٍ لعلّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: تتذكرونها فتعملون بموجبها.

[٢] ﴿ الزّانية والزّاني فاجلدوا كُلَّ واحدٍ منهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ كل من زنى من الرجال والنساء، فأقيموا عليه هذا الحد، وهو جلده مائة جلدة، عقوبة لما صنع ﴿ وَلَا تأْخُذْكُمْ بهما رأْفَةٌ في دينِ اللّهِ ﴾ أي: رقة ورحمة في طاعته فيما أمركم به، من إقامة الحد عليهما، على ما ألزمكم به ﴿ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ﴾ فإن من كان بذلك مصدِّقاً، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه ﴿ ولْيَشْهدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ منَ المُؤْمِنينَ ﴾ وليحضر جلدهما طائفة من أهل الإيمان بالله ورسوله.

[٣] ﴿ الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زانيةً أوْ مُشْرِكَةً ﴾ فأما تحريم نكاح الزانية فقد تكلم فيه الفقهاء، وفيه آثار عن السلف، وليس مع من أباحه ما يُعتمد عليه، وقد ادّعى بعضهم أنها منسوخة بقوله: ﴿والمُحْصَنَاتُ منَ النّساءِ إلاّ ما مَلَكتْ أيمانُكُمْ﴾ وزعموا أن البغيّ من المحصنات، وتلك حجة عليهم، فإن أقل ما في الإحصان العفّة ﴿ والزّانيةُ لا يَنْكِحُهَا إلاّ زانٍ أوْ مُشْرِكٌ ﴾ أمّا المشرك فلا إيمان له يزجره عن الفواحش ومجامعة أهلها، وأما الزاني ففجوره يدعوه إلى ذلك، وإن لم يكن مشركاً ﴿ وحُرِّمَ ذلكَ على المؤمنينَ ﴾.

[٤] ﴿ والذينَ يَرْمُونَ ﴾ أي: يقذفون ـ يتهمون ـ بالزنى ﴿ المُحْصَنَاتِ ﴾ المسلمات الحرائر العاقلات البالغات العفيفات عن الزنى ﴿ ثمَّ لم يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ يشهدون على ما رموهن به ﴿ فاجلدوهم ثمانينَ جَلْدَةً ﴾ أي: كل واحد من الرامين، وتخصيص النساء لخصوص الواقعة، ولأن قذفهن أغلب وأشنع، وإلا فلا فرق فيه بين الذكر والأنثى ﴿ ولا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أبداً ﴾ في أي واقعة كانت، لظهور كذبهم ﴿ وأولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ ﴾ لخروجهم عما وجب عليهم من رعاية حقوق المحصنات.

[٥] ﴿ إلاّ الذينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ﴾ القذف ﴿ وأَصْلَحُوا ﴾ أعمالهم ﴿ فإنَّ اللّهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ بقبول توبتهم وعفوه عنهم.

[٦] ﴿ والذينَ يَرْمُونَ أزْواجَهُمْ ﴾ أي: يتهمونهن بالزنى ﴿ ولمْ يكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاّ أنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أحَدِهِم أربعُ شهاداتٍ باللّهِ إنّهُ لَمِنَ الصّادقين ﴾ فيما رماها به من الزنى. [٧] ﴿ والخامسةُ ﴾ والشهادة الخامسة للأربع المتقدمة ﴿ أنَّ لعنةَ اللّهِ عليهِ إنْ كانَ منَ الكَاذِبينَ ﴾ فيما رماها به من الزنى، فيسقط عنه حد القذف، ويجب عليها الحد وهو الرجم، إلاّ إن لاعنت أيضاً. [٨] ﴿ ويَدْرأُ عَنْهَا العذابَ ﴾ الدنيويّ وهو الرجم ﴿ أن تَشْهَدَ أرْبَعَ شَهَادَاتٍ باللّهِ إنّهُ لمنَ الكاذِبينَ ﴾ فيما رماها به من الزنى. [٩] ﴿ والخامِسَةَ أنَّ غضبَ اللّهِ عَلَيْهَا إنْ كانَ ﴾ الزوج ﴿ من الصّادقينَ ﴾ في اتهامه ـ قذفه ـ إياها. [١٠] ﴿ ولوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ ورحْمَتُهُ وأنَّ اللّهَ توّابٌ حَكِيمٌ ﴾ لحرجتم وشق عليكم كثير من أموركم، ولكن لرحمته ولطفه، شرع لكم من الفرج والمخرج، ما أنزله وأحكمه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا
جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ
قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾

[١١] ﴿ إِنَّ الذينَ جاؤوا بالإفْكِ ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب ، وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك . والمراد به ما أفك به الصدّيقة ، أم المؤمنين [عائشة] رضي الله عنها . وفي لفظ : المجيء ، إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل ﴿ عُصبةٌ مِنْكُمْ ﴾ أي : جماعة منكم ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ ولآل الصّدّيق رضي الله عنهم، ولمن ساءه ذلك من المؤمنين﴿ بَلْ هو خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ بل قد جرَّ لكم خيراً عظيماً ﴿ لِكُلِّ امرِىءٍ منهم مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإثْم ﴾ أي : جزاؤه ، وذلك الذم في الدنيا إلى يوم القيامة والجلد ثمانين ، ولعذاب الآخرة أشد ﴿ والذي تولّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي : قام بعظمه وإشاعته ، بعد ابتدائه بالخوض فيه ، وهو عبد الله بن أُبيّ ﴿ لَهُ عذابٌ عظيمٌ ﴾ .

[١٢] ﴿ لَوْلا ﴾ تحضيضية بمعنى : هلاّ ﴿ إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خيراً ﴾ يجعلهم كنفس واحدة ، فمن عاب مؤمناً فكأنما عاب نفسه ﴿ وقالوا: هذا إفكٌ مُبين ﴾ أي : هذا الذي سمعناه ، من رمي أم المؤمنين ، إفك مبين جليٌّ لمن عقل وفكر فيه .

[١٣] ﴿ لَوْلا جاؤوا عليه بأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ هلاّ استشهدوا عليه أربعة شهداء عدولاً من المسلمين ﴿ فإذْ لَمْ يأتوا بالشُّهَدَاءِ فأولئكَ عِنْدَ اللّهِ ﴾ في حكمه وشريعته ﴿ هُمُ الكاذِبُونَ ﴾ وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدّوا في دفعه وإنكاره .

[١٤] ﴿ ولَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فيهِ عذابٌ عظيمٌ ﴾ لعوجلتم بالعقاب ، بسبب ما خُضْتُم فيه من الإفك .[١٥] ﴿ إذْتَلَقَّوْنَهُ ﴾ تستمعوه بعضكم من بعض ﴿ بألسنتكم وتَقُولُونَ بأفواهِكُمْ ما ليسَ لكم بهِ عِلْمٌ ﴾ تأكيد على أن الإفك ما هو إلا قول يجري على الألسن والأفواه من غير يقين قلبي ﴿ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً ﴾ أي : لا عقوبة على مشيّعه ﴿ وهُوَ عندَ اللّهِ عظيمٌ ﴾ في الوزر واستجرار العذاب .

[١٦] ﴿ ولولا إذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ﴾ تكذيباً لمشيّعيه ﴿ ما يكونُ لنا ﴾ ما يصح لنا بوجهٍ ما ﴿ أنْ نتكلَّمَ بِهذَا ، سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ كذب عظيم يستحيل صدقه .

[١٧] ﴿ يَعِظُكُمُ اللّهُ أنْ تَعُودُوا لمثْلِهِ أبَداً إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فالإيمان يصدّ عن كل قبيح .

[١٨] ﴿ ويُبَيِّنُ اللّهُ لكُمُ الآياتِ ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدّبوا بها ﴿ واللّهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ .

[١٩] ﴿ إنَّ الذينَ يُحِبُّونَ أنْ تشيعَ الفاحِشَةُ ﴾ وهي الفرية والرمي بالزنى ونحوه ، كاللواط وما عظم فحشه ﴿ في الذينَ آمَنُوا لَهُمْ عذابٌ أليمٌ في الدُّنْيا ﴾ من الحدّ وغيره من العقوبات الزاجرة ﴿ والآخِرَةِ ﴾ من عذاب النار ﴿ واللّهُ يعلمُ ﴾ ما في القلوب من الأسرار والضمائر ﴿ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة ، وهو مُعاقِبُهُ عليها .

[٢٠] ﴿ ولَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ ورحْمَتُهُ وأنَّ اللّهَ رؤوفٌ رَحِيمٌ ﴾ تكرير للمنَّة ، بترك المعاجلة بالعقاب ، للدلالة على عظم الجريمة ، وحذف الجواب وهو : لمسّكم .

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

الحزب ٣٦

[٢١] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تتَّبعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ﴾ بإشاعة الفاحشة ﴿ ومَنْ يتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فإنَّهُ يأمُرُ بالفَحْشاءِ والمُنكَر ، ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم ورَحْمتُه ما زكى ﴾ ما طهر من دنسها ﴿ منكم من أحدٍ أبداً ﴾ [قال ابن عباس: أي: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئاً من الشر يدفعه عن نفسه ـ ابن جرير] ﴿ولكنَّ اللَّهَ يُزكِّي من يشاءُ ﴾ من عباده بإلهامه التوبة والإنابة ﴿ واللَّهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ .

[٢٢] ﴿ ولا يَأْتَلِ ﴾ لا يحلف ﴿ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ ﴾ الأغنياء الذين يملكون ما يفيض عن حاجاتهم ﴿ أنْ يُؤتُوا أُولي القُرْبى والمسَاكِينَ والمُهاجِرِينَ في سبيلِ اللَّهِ وليَعْفُوا وليَصْفَحُوا ﴾ عمن أساء إليهم ، فلا يحلفون أن يمنعوا الصدقات عنه ﴿ ألا تحبُّون أنْ يغفرَ اللَّهُ لكُمْ ، واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾ وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربُّهم ، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم . وقد نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لمّا حلف ألا يصل مسطح بن أثاثة وكان يعوله من قبل لأنه تحدّث بالإفك على عائشة رضي الله عنها . [قالت عائشة رضي الله عنها : فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً ـ ابن جرير].

[٢٣] ﴿ إنَّ الذينَ يَرْمُونَ ﴾ يتهمون بالباطل ﴿ المُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ المؤمناتِ ﴾ العفائف عن الفاحشة ، النقيّات القلوب عنها ﴿ لُعِنُوا في الدُّنْيا ﴾ بالذم والحد وردّ الشهادة إلا إذا تابوا ﴿ والآخِرَةِ ﴾ حيث يلعنهم ثمة الملائكة ومن شاء الله ﴿ ولَهُمْ عذابٌ عظيمٌ ﴾ ورجح ابن جرير أن هذه الآية [نزلت في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه بها فيها].

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي : يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها أو بظهور آثار ما عملوه عليها .

[٢٥] ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي : يوم إذ تشهد عليهم أعضاؤهم بما ذُكِرَ ﴿ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دينَهُمْ ﴾ أي : جزاءهم ﴿ الحَقَّ ﴾ الواجب الثابت ﴿ ويَعْلَمُونَ أنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ ﴾ المظهر للأمور كما هي في أنفسها .

[٢٦] ﴿ الخبيثاتُ ﴾ من النساء ﴿ للخبيثينَ ﴾ من الرجال ﴿ والخبيثون للخبيثاتِ والطيّباتُ للطيّبين والطيّبونَ للطيّباتِ ﴾ بحيث لا يكاد يتجاوز كلُّ واحد إلى غيره ، وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الأطيبين ، وخيرة الأولين والآخرين ، تبين كون الصدّيقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة ، واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات ﴿ أولئكَ مُبرَّؤونَ ممَّا يقُولُونَ ، لَهُم مغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَريمٌ ﴾ وهو الجنة .

[٢٧] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حتَّى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ حتى يؤذن لكم ﴿ وتُسَلِّمُوا على أهْلِهَا ، ذلِكُمْ ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿ خيرٌ لكُمْ ﴾ من الدخول بغتة ﴿ لعلَّكُم تذكَّرُونَ ﴾ فتتعظوا وتعملوا بموجبه . [ومن أدب الاستئذان ألا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره ، فقد جاء رجل على باب النبي ﷺ يستأذن ، فقام على الباب ـ يعني مستقبل الباب ـ فقال له النبي ﷺ : (هكذا عنك ـ أو هكذا ـ فإنما الاستئذان من النظر) ـ ابن كثير].

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

[٢٨] ﴿ **فإنْ لمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً** ﴾ من الآذنين ﴿ **فلا تَدْخُلُوهَا حتّى يُؤْذَنَ لَكُمْ** ﴾ واصبروا حتى تجدوا من يأذن ﴿ **وإن قيلَ لكُمُ ارجِعُوا فارجِعُوا** ﴾ إن أُمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا ولا تلحّوا بتكرار الاستئذان ﴿ **هُوَ** ﴾ الرجوع ﴿ **أزْكَى لكُمْ** ﴾ أطهر مما لا يخلو عنه الإلحاح والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة ﴿ **واللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ فيجزيكم على نيتكم الحسنة في الزيارة ، أو المكر والخيانة بأهل المزور أو ماله .

[٢٩] ﴿ **ليسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أنْ تَدْخُلُوا** ﴾ بغير استئذان ﴿ **بُيُوتاً غَيْرَ مسكونةٍ** ﴾ غير معدّة لسكنى طائفة مخصوصة ، بل ليتمتع بها كائناً من كان ، كالخانات والحمامات وبيوت الضيافات ﴿ **فيهَا متاعٌ لكُمْ** ﴾ منفعة وحاجة ﴿ **واللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** ﴾ وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل ، لفسادٍ ، أو اطلاع على عورات .

[٣٠] ﴿ **قُلْ للمؤمنين يغضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ** ﴾ أي : مقتضى إيمانكم الغض عما حرّم الله تعالى النظر إليه ﴿ **ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾ عن الإفضاء بها إلى محرم ﴿ **ذلكَ** ﴾ الغض والحفظ ﴿ **أزْكَى لَهُمْ** ﴾ أطهر للنفس وأتقى للدين ﴿ **إنَّ اللّهَ خبيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ وكيف يجيلون أبصارهم ، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوراحهم .

[٣١] ﴿ **وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ منْ أبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ بالتستر والتصوّن عن الزنى . ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبيّ إلى ما تحت سرّته إلى ركبته ، وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ﴿ **ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ الزينة : ما تزيّنت به المرأة من حليّ أو كحل أو خضاب . فما كان ظاهراً منها ، كالخاتم والكحل والخضاب ، فلا بأس بإبدائه ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾ أي وليسترن بأقنعتهن شعورهن وأعناقهن وصدورهن بإلقائها على مواضع الجيوب في النحر والصدور ﴿ **ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾ لأزواجهنّ فإنهم المقصودون بالزينة ﴿ **أوْ آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أو أبْنائِهِنَّ أو أبْنَاءِ بُعُولَتِهِين أوْ إخْوانِهِنَّ أوْ بني إخوانِهِنَّ أوْ بني أَخَوَاتِهِنَّ** ﴾ لأن هؤلاء محارمهن الذين تؤمن الفتنة من قبلهم ﴿ **أوْ نِسَائِهِنَّ** ﴾ قيل : هن المؤمنات . فليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية . وقيل : النساء كلهن ، فإنهن سواء في حلٍّ نظر بعضهن إلى بعض ﴿ **أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُنَّ** ﴾ وظاهر الآية يشمل العبيد والإماء ، وإليه ذهب قوم ، وهذا الذي قطع به الشافعيّ وجمهور أصحابه . وذهب قوم إلى أنه عنى بذلك الإماء المشركات ، وأنه يجوز لها أن تُظهر زينتها إليهن وإن كن مُشركات ﴿ **أو التّابعينَ** ﴾ أي : الخدام لأنهن في معنى العبيد ﴿ **غَيْرِ أولِي الإرْبَةِ** ﴾ أي : الحاجة إلى النساء ﴿ **منَ الرِّجَالِ** ﴾ كالشيخ الهرم والبله ، واستدل بهذا من أباح نظر الخصيّ ﴿ **أو الطِّفْلِ الذينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّساءِ** ﴾ أي : لم يفهموا أحوالهن لصغرهم . فيستدل به على تحريم نظر المراهق الذي فهم ذلك كالبالغ ﴿ **ولا يَضْرِبْنَ** ﴾ الأرض ﴿ **بأرجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ** ﴾ كالخلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ، ويوهم أن لهن ميلاً إليهم ﴿ **منْ زينَتِهِنَّ** ﴾ عن الأبصار ﴿ **وتُوبُوا إلى اللهِ جميعاً أيُّهَا المُؤْمِنُونَ** ﴾ أي : ارجعوا إليه بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه ﴿ **لعلّكم تُفْلِحُونَ** ﴾ لكي تفوزوا بسعادة الدارين .

وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿ **وأَنْكِحُوا الأَيامَى منكُمْ** ﴾ أي : زوجوا . والأيامى : جمع أيِّم ، من لا زوجة له أو لا زوج لها بكرين كانا أو ثيِّبين ﴿ **والصَّالحِينَ منْ عبادِكُمْ وإمَائِكُمْ** ﴾ ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم ﴿ **إنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ أي : غنيٌّ ذو سعة ، لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته .

[٣٣] ﴿ **ولْيَسْتَعْفِفِ الذينَ لا يجدونَ نِكاحاً حتّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ أي : وليجتهد في العفة الذين لا يجدون أسباب الزواج ﴿ **والذينَ يبتغُونَ الكِتَابَ مِمَّا ملكتْ أيمانُكُمْ فكاتِبُوهُمْ** ﴾ والمكاتبة أن يعرض السيد على عبده عتقه مقابل مال يؤديه العبد لسيده في مدَّة محدَّدة ﴿ **إنْ عَلِمْتُمْ فيهِم خَيْراً** ﴾ كالأمانة ، والقدرة على الكسب والصلاح ﴿ **وآتُوهُمْ منْ مَالِ اللَّهِ الذي آتاكُمْ** ﴾ أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم . وفي حكمه ، حط شيء من مال الكتابة . ولغيرهم بإعطائهم من الزكاة إعانة لهم على تحريرهم ﴿ **ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ** ﴾ أي : إماءكم ﴿ **على البغاءِ** ﴾ وهو الزنى ﴿ **إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً** ﴾ ﴿ إنْ ﴾ هنا ليست لتخصيص النهي بإرادتهن التعفف عن الزنى وجواز إكراههن إن لم يردن الإحصان ، بل المقصود النهي عن إكراههن على كل حال ﴿ **لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحياةِ الدُّنْيا** ﴾ يعني من كسبهن وأولادهن ﴿ **وَمَنْ يُكْرِههُنَّ** ﴾ على ما ذكر من البغاء ﴿ **فإنَّ اللَّهَ من بَعْدِ إكراهِهِنَّ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ لهنَّ .

ربع الحزب ٣٦

[٣٤] ﴿ **ولقدْ أنْزَلنا إليكُمْ آياتٍ مُبيِّناتٍ** ﴾ واضحات أو مفسرات للأحكام الشرعية ﴿ **ومثلاً منَ الذينَ خَلَوْا منْ قَبْلِكُمْ** ﴾ أي : خبراً عظيماً عن الأمم الماضية وما حل بهم ، بظلمهم وتعدّيهم حدود الله تعالى ﴿ **ومَوْعِظَةً للمتَّقِينَ** ﴾ فيتعظون به وينزجرون عما لا ينبغي لهم .

[٣٥] ﴿ **اللَّهُ نورُ السَّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ أي : منوِّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار ، أو مدبرهما أو موجدهما ، فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره ﴿ **مَثَلُ نورِه** ﴾ أي : صفة نوره العجيبة الشأن ، وهو القرآن المبين ﴿ **كمشكاةٍ** ﴾ كصفة كوّة غير نافذة في الجدار ، في الإنارة والتنوير ﴿ **فيها مِصْباحٌ** ﴾ أي : سراج شديد الإضاءة ، وقيل : المشكاة : الأنبوبة في وسط القنديل ، والمصباح : الفتيلة المشتعلة ﴿ **المِصْبَاحُ في زُجاجَةٍ** ﴾ أي : قنديل من الزجاج الصافي الأبيض ﴿ **الزُّجَاجَةُ كأنَّها كوكبٌ دُرِّيٌّ** ﴾ متلألئ وقّاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ﴿ **يُوقَدُ من شجرةٍ مباركةٍ** ﴾ كثيرة المنافع ، بأن رويت فتيلته بزيتها ﴿ **زيتُونةٍ لا شَرْقيةٍ ولا غَرْبيَّةٍ** ﴾ في مكان عليها الشمس مشرقة من أول طلوعها إلى آخر غروبها ، كصحراء أو رأس جبل ﴿ **يكادُ زيْتُها يضيء ولوْ لمْ تَمْسَسْهُ نارٌ** ﴾ لصفائه ولمعانه ﴿ **نورٌ على نُورٍ** ﴾ ذلك النور الذي عبّر به عن القرآن ، نور عظيم كائن على نور كذلك ﴿ **يهدي اللَّهُ لِنُورِهِ من يشاءُ** ﴾ بأن يوفقهم للإيمان به وفهم دلائل حقيّته ﴿ **ويضربُ اللَّهُ الأمْثالَ للنَّاسِ** ﴾ ليدني لهم المعقول من المحسوس ، توضيحاً وبياناً ، ولذلك مثّل نوره المعبّر عنه بالقرآن ، بنور المشكاة ﴿ **واللَّهُ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ** ﴾ فلا يخفى عليه شيء . وفيه وعد ووعيد .

[٣٦] ﴿ **في بيوتٍ أذِنَ اللَّهُ أن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسْمُهُ** ﴾ المراد بالبيوت : المساجد كلها ﴿ **يُسبِّحُ لَهُ فيها بالغُدُوِّ** ﴾ قبل طلوع الشمس ﴿ **والآصَالِ** ﴾ جمع أصيل وهو العشيّ قبل غروب الشمس .

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

[٣٧] ﴿ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِم تِجَارَةٌ ولا بيعٌ عنْ ذِكرِ اللَّهِ** ﴾ بالتسبيح والتحميد ﴿ **وإقام الصَّلاةِ** ﴾ إقامتها لمواقيتها من غير تأخير ﴿ **وإيتاء الزَّكَاةِ** ﴾ المال الذي يتزكى مُؤتيه من دنس الشح ورذيلة البخل ، وتطهر نفسه ويصفو سره ﴿ **يخافونَ يوماً تتقلَّبُ فيهِ القُلُوبُ والأبْصَارُ** ﴾ أي : تضطرب وتتغير من الهول والفزع .

[٣٨] ﴿ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ويَزِيدَهُمْ مِن فَضْلِهِ ، واللَّهُ يَرْزُقُ منْ يشاءُ بغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ كناية عن السعة ، والمراد أنه لا يدخل تحت حساب الخلق وعدِّهم .

[٣٩] ﴿ **والذينَ كَفَرُوا ، أعمالُهُمْ** ﴾ التي يحسبونها تنفعهم وتأخذ بيدهم من العذاب ﴿ **كَسَرَابٍ** ﴾ وهو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة ، يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ﴿ **بِقِيعَةٍ** ﴾ بمعنى : القاع ، وهو المنبسط من الأرض ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حتَّى إذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شيئاً ووجدَ اللَّهَ عندَهُ** ﴾ أي : وجد عقاب الله عند السراب ، أو العمل . وفي التعبير بذلك زيادة تهويل ﴿ **فوفَّاهُ حِسَابَهُ ، واللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ** ﴾ .

[٤٠] ﴿ **أوْ كظلماتٍ في بحرٍ لُجِّيٍّ** ﴾ عميق كثير الماء ﴿ **يغشاهُ موْجٌ من فوْقِهِ موجٌ** ﴾ متراكم بعضه على بعض ﴿ **من فوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بعضُهَا فوْقَ بَعْضٍ** ﴾ متكاثفة متراكمة ﴿ **إذَا أخرجَ يدَهُ** ﴾ وجعلها بمرأى منه ، قريبة من عينه لينظر إليها ﴿ **لَمْ يكدْ يَراهَا ، ومَنْ لم يَجعَلِ اللَّهُ لهُ نوراً فما له من نُورٍ** ﴾ ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن ، فما له هدايةٌ ما . [وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود : (ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن الله . فيقال : كذبتم ، ما اتخذ الله من ولد ، ماذا تبغون ؟ فيقولون : يا رب عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتهافتون فيها) ـ ابن كثير] .

[٤١] ﴿ **ألمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لهُ منْ في السمواتِ والأرْضِ** ﴾ أي : ينزهه ويقدسه وحده ﴿ **والطَّيْرُ صَافّاتٍ** ﴾ يصففن أجنحتهن في الهواء ﴿ **كُلٌّ قدْ علمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ** ﴾ أي : كل واحد مما ذكر ، قد هُدي وأُرشد إلى طريقته ومسلكه ، في عبادة الله عز وجل ﴿ **واللَّهُ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ .

[٤٢] ﴿ **ولِلَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ والأرْضِ** ﴾ هو الإله الحاكم المتصرف فيهما ، الذي لا تنبغي العبادة فيهما إلاَّ له ﴿ **وإلى اللَّهِ المصيرُ** ﴾ وإليه يوم القيامة ، مصير الخلائق ، فيحكم بينهم ، ويجزي الذين أساؤوا بما عملوا .

[٤٣] ﴿ **ألم ترَ أنَّ اللَّهَ يُزجي سَحَاباً** ﴾ يسوقها برفق ﴿ **ثُمَّ يؤلِّف بَيْنَهُ** ﴾ بضم بعضه إلى بعض ، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ **ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً** ﴾ أي : متراكماً بعضه فوق بعض ، بحيث يصير جبالاً من برد ﴿ **فَتَرَى الودْقَ** ﴾ أي : المطر ﴿ **يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ** ﴾ وهي فُرَجُه ومخارج القطر منه ﴿ **ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ** ﴾ وينزل برداً من السماء ، من جبال فيها من برد ﴿ **فَيُصيبُ بهِ مَنْ يشاءُ ويصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ** ﴾ أي : لمعانه ﴿ **يَذْهَبُ بالأبْصَارِ** ﴾ يخطفها لشدته وقوته .

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

نصف الحزب ٣٦

[٤٤] ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيلَ والنَّهارَ** ﴾ أي : يأتي بكل منهما بدل الآخر خَلَفاً لـه . أو يأخذ من طول أحدهما فيجعله في الآخر رحمة بالعباد ، لانتظام معايشهم ﴿ **إنَّ في ذلكَ لَعِبرَةً لأُولي الأبصارِ** ﴾ .

[٤٥] ﴿ **واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ** ﴾ أي : كل حيوان يدب على الأرض من ماء ، وهو جزء مادته ، أو ماء مخصوص هو النطفة ﴿ **فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلى بَطْنِهِ** ﴾ كالحيّات ، وتسمية حركتها مشياً ، مع كونها زحفاً ، بطريق الاستعارة أو المشاكلة ﴿ **ومنهُمْ منْ يمشي على رِجلَيْنِ ، ومنهمْ منْ يمشي على أرْبَعٍ ، يخلقُ اللَّهُ ما يشاءُ** ﴾ مما ذكر وغيره ﴿ **إنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قديرٌ** ﴾ .

[٤٦] ﴿ **لقدْ أنـزلْنا آياتٍ مبيِّناتٍ ، واللَّهُ يهدي من يشاءُ** ﴾ وهم المؤمنون الصادقون الذين استجابوا لله والرسول ﴿ **إلى صراطٍ مُستقيمٍ** ﴾ طريق الحق والهدى والنور .

[٤٧] ﴿ **ويقولون** ﴾ أي : المنافقون ﴿ **آمنَّا باللَّهِ وبالرَّسُولِ وأطَعْنَا ، ثمَّ يتولَّى فريقٌ منهم من بعْدِ ذلكَ** ﴾ أي : دعوى الإيمان ﴿ **ومَا أولئكَ بالمُؤْمِنِينَ** ﴾ في قلوبهم .

[٤٨] ﴿ **وإذَا دُعُوا إلى اللَّهِ** ﴾ أي : كتابه ﴿ **ورسولِهِ** ﴾ أي : سنته وحكمه ﴿ **لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إذَا فريقٌ منهم مُعْرِضُونَ** ﴾ عن المجيء إليه ، والإحتكام بشريعته [قال المفسرون : هذه الآية والتي بعدها نزلت في «بشر» المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض ، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما ، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ـ النيسابوري] .

[٤٩] ﴿ **وإنْ يكُنْ لهُمُ الحقُّ** ﴾ أي : الحكومة لهم لا عليهم ﴿ **يأْتُوا إليهِ مُذْعِنِينَ** ﴾ مسرعين طائعين .

[٥٠] ﴿ **أفي قُلُوبِهم مَرَضٌ أم ارتابُوا أمْ يخافونَ أن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ورسُولُهُ** ﴾ في الحكم فيَظلموا فيه ؟! والسؤال : إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور ﴿ **بلْ أولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ الذين رسخ فيهم خُلُقُ الظلم لأنفسهم ولغيرهم .

[٥١] ﴿ **إنَّما كانَ قولَ المُؤمنينَ إذا دعوا إلى اللَّهِ ورسولِه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا وأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ .

[٥٢] ﴿ **ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورسُولَهُ ويَخْشَ اللَّهَ ويتَّقْهِ فأولئكَ همُ الفائِزُونَ** ﴾ قال السيوطي : في الآية : وجوب الحضور على من دعي لحكم الشرع ، وتحريم الامتناع ، واستحباب أن يقول : سمعنا وأطعنا .

[٥٣] ﴿ **وأقْسَمُوا باللَّهِ** ﴾ أي : المنافقون ﴿ **جَهْدَ أيْمانِهِمْ** ﴾ أي : أكدوا الأيمان وشدّدوها ﴿ **لَئِنْ أمَرْتَهُمْ** ﴾ بالخروج من ديارهم وأموالهم وأهليهم ﴿ **لَيَخْرُجُنَّ** ﴾ مجاهدين ﴿ **قُلْ : لا تُقْسِمُوا ، طاعةٌ معروفةٌ** ﴾ أي : لا تقسموا على ذلك وتشددوا لترضونا ، فإن الأمرَ المطلوب منكم طاعة معروفة ، لا تنكرها النفس ، فأطيعوا بالمعروف من غير حلف ، كما يطيع المؤمنون . وقيل : معناه : طاعتكم طاعة معروفة ، أي أنها قول بلا عمل إذ عرف كذبكم في أيمانكم ﴿ **إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ، التي منها الأيمان الكاذبة ، وما تضمرونه من النفاق ومخادعة المؤمنين .

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

[٥٤] ﴿ **قُلْ أطيعوا اللَّهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ ، فإنْ تَوَلَّوْا** ﴾ أي : تولَّوْا عن الإطاعة ﴿ **فإنَّمَا عليهِ ما حُمِّلَ** ﴾ من أداء الرسالة . فإذا أدى فقد خرج من عهدة تكليفه ﴿ **وعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ** ﴾ ما أُمرتم به من الطاعة والتلقي بالقبول والإذعان والقيام بمقتضاه ﴿ **وإن تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ لأنه يدعوكم إلى الصراط المستقيم ﴿ **ومَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ** ﴾ أي : التبليغ البيِّن بنفسه ، أو الموضح لما أُمرتم به .

[٥٥] ﴿ **وعَدَ اللَّهُ الذينَ آمَنُوا منكم وعملوا الصَّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرْضِ** ﴾ أي : يورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم . أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة ﴿ **كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ من الأمم المؤمنة برسلها ، التي أهلك الله عدوَّها ، وأورثها أرضها وديارها ﴿ **ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الذي ارتَضَى لَهُمْ** ﴾ فليجعلنّ دينهم ثابتاً مقرراً ، مرفوع اللواء ، ظاهراً على غيره ﴿ **ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ منْ بعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً ، يَعْبُدُونَنِي لا يُشرِكُونَ بي شَيْئاً** ﴾ [قال مجاهد : تلك أمة محمد ﷺ ـ ابن جرير] ﴿ **ومن كفَرَ بَعْدَ ذلِكَ** ﴾ أي : بعد هذا الوعد الكريم ﴿ **فأولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ** ﴾ الكاملون في فسقهم [عن أبيّ بن كعب قال : لما قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة ، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في لأُمتهم . فقالوا : ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ؟ فأنزل الله لنبيه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا ﴾ الآية ـ النيسابوري] .

[٥٦] ﴿ **وأقيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ معطوف على ﴿ أطيعوا الله ﴾ ﴿ **وأطيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ كرر طاعة الرسول ، تأكيداً لوجوبها .

[٥٧] ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا مُعْجِزينَ في الأرْضِ** ﴾ أي : معجزين لله تعالى ﴿ **ومَأْوَاهُمُ النَّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾ .

[٥٨] ﴿ **يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذينَ مَلَكتْ أيمانُكم** ﴾ من العبيد والجواري ﴿ **والذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثلاثَ مرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صلاةِ الفجرِ ، وحينَ تَضَعُونَ ثيابَكم من الظَّهيرَةِ ، ومنْ بَعْدِ صَلاَةِ العِشاءِ ، ثلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ** ﴾ أي : هي إشارة إلى علة وجوب الاستئذان بأنهن أوقات يختلّ فيها التستّر عادة ، ويكون النوم فيها مع الأهل غالباً . [قال ابن عباس : ثم رخص لهم في الدخول فيما بين صلاة الغداة الى الظهر ، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء ، إنه رخص لخادم الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن ، قال : وهو قوله ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ فأما من بلغ الحلم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال ـ ابن جرير] ﴿ **ليسَ عَلَيْكُمْ ولا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طوَّافُونَ عليكُمْ** ﴾ ليس عليكم جناح ـ إثم ـ في ترك نهيهم عن الدخول بلا إذن ، ولا عليهم جُنَاحٌ من الدخول بدونه ، بعد هذه الأوقات ، وإن احتمل فيها الإخلال بالتستر لندرته ، وذلك لأنهم طوّافونَ عليكم ، فيعسر عليهم الاستئذان في كل مرة ﴿ **بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ بعضكم يطوف على بعض ﴿ **كذلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ ، واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ** ﴾ يشرع ما فيه الحكمة وصلاح الحال وانتظام الشأن .

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿ **وإذا بلَغَ الأطْفالُ** ﴾ الذين رخص لهم في ترك الاستئذان في غير الأوقات المذكورة ﴿ **مِنْكُمْ** ﴾ من الأحرار ، دون المماليك ، فإنهم باقون على الرخصة ﴿ **الحُلُمَ** ﴾ حدّ البلوغ بالاحتلام ، أو بالسنّ الذي هو مظنّة الاحتلام ﴿ **فَلْيَسْتَأْذِنُوا** ﴾ في سائر الأوقات أيضاً ﴿ **كما اسْتَأْذَنَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ أي : الذين بلغوا الحلم من قبلهم ، وهم الرجال .

وعن ابن عباس : آيةٌ لا يؤمن بها أكثر الناس ، آية الإذن . وإني لآمر جاريتي أن تستأذن عليّ . وسأله عطاء : أستأذنُ على أختي ؟ قال : نعم ، وإن كانت في حجرك تموّنها ، وتلا هذه الآية :

﴿ **كذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِه ، واللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ** ﴾ .

[٦٠] ﴿ **والقواعِدُ مِنَ النِّساءِ** ﴾ أي : اللاتي قعدهن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ **اللاتي لا يَرْجُونَ نِكاحاً** ﴾ لا يطمعن فيه ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثيابَهُنَّ** ﴾ الظاهرة مما لا يكشف العورة ، لدى الأجانب . أي : يتركن التحفظ في التستر بها ، فلا يلقين عليهن جلابيبهن ولا يحتجبن ﴿ **غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بزينةٍ** ﴾ أي : مظهرات لزينة خفية . يعني : الحليّ في مواضعه المذكورة في الآية ٣١ من سورة النور ﴿ **وأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ** ﴾ من وضع تلك الثياب ﴿ **خَيْرٌ لَهُنَّ** ﴾ لأنه أبلغ في الحياء وأبعد من التهمة والمظنة ﴿ **واللَّهُ سميعٌ عَليمٌ** ﴾ فيسمع مقالهن مع الأجانب ويعلم مقاصدهن من الاختلاط ووضع الثياب ، وفيه من الترهيب ما لا يخفى .

[٦١] ﴿ **ليسَ على الأعْمىٰ حَرَجٌ ، ولا على الأعْرجِ حرجٌ ، ولا على المريضِ حرجٌ** ﴾ في القعود عن الغزو ، لضعفهم وعجزهم . وقيل : كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم ، وقراباتهم وأصدقائهم ، فيطعمونهم منها ، فخالج قلوب المطعمين والمطعَمين ريبة في ذلك ، وخافوا أن يلحقهم فيه حرج ، وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق ، لقوله تعالى : ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] فقيل لهم : ليس على الضعفاء ، ولا على أنفسكم ، يعني : عليكم ، وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك ﴿ **ولا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أن تأكلوا مِنْ بُيُوتِكم** ﴾ أي : بيوت أزواجكم وعيالكم ، لأن بيت المرأة كبيت الزوج ، وكذلك بيت الولد ﴿ **أوْ بُيُوتِ آبائِكم أو بيوتِ أُمَّهاتكم أو بيوتِ إخْوانِكُمْ أوْ بُيوتِ أخواتكم أوْ بيوتِ أعْمامِكُمْ أو بيوتِ عمّاتكم أوْ بيوتِ أخْوالِكُمْ أوْ بُيُوتِ خالاتِكم أوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ** ﴾ كالقيّم والوكيل أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته . وملك المفاتح كونها في يده وحفظه ﴿ **أوْ صَديقِكُمْ** ﴾ أي : وبيوت أصدقائكم ، والصديق يكون واحداً ويكون جمعاً ﴿ **ليسَ عليكُمْ جُناحٌ أنْ تأكُلُوا جميعاً أوْ أشْتاتاً** ﴾ مجتمعين أو متفرقين [قال ابن زيد : كان من العرب من لا يأكل أبداً جميعاً ، ومنهم من لا يأكل إلا جميعاً ، فقال الله ذلك - ابن جرير] ﴿ **فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا على أنْفُسِكُمْ** ﴾ أي : إذا دخلتم بيتاً من هذه البيوت لتأكلوا ، فابدأوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ، قرابة وديناً ﴿ **تحيَّةً منْ عنْدِ اللَّهِ** ﴾ أي : ثابتة بأمر ، مشروعة من لدنه ﴿ **مُبارَكَةً** ﴾ مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها ﴿ **طيّبَةً** ﴾ تطيب بها نفس المستمع ﴿ **كذلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ لعلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ ما فيها من الأحكام أو الآداب القائدة إلى سعادة الدارين .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

[٦٢] ﴿ **إِنَّمَا المؤمنونَ الذينَ آمَنُوا باللَّهِ ورَسُولِهِ وإذَا كانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ** ﴾ والأمر الجامع : الخطب الجلل ، وذلك نحو مقاتلة عدوّ ، أو تشاور في خَطْب مهم ﴿ **لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ** ﴾ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ﴿ **إِنَّ الذينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أولئِكَ الذينَ يُؤْمِنونَ باللَّهِ ورَسُولِهِ ، فإذا استأذنوكَ لبعضِ شأنِهم فأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ . وقيل : نزلت في حفر الخندق ، وكان قوم يتسللون بغير إذن .

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

[٦٣] ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بينَكم كدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾ أي : إذا احتاج رسول الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر ، فدعاكم ، فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاءِ بعضكم بعضاً ﴿ **قدْ يعلمُ اللَّهُ الذينَ يتسلَّلونَ منْكُمْ لِواذاً** ﴾ أي : ينسلون قليلاً قليلاً . واللواذ : الملاوذة ، وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا . يعني ينسلُّون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة ، واستتار بعضهم ببعض ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** ﴾ أي : يعرضون عنه ولا يأتون به . فضمَّن : المخالفة ، معنى الإعراض والصدّ ﴿ **أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ أي : محنة في الدنيا ﴿ **أَوْ يُصِيبَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ** ﴾ في الآخرة ، أو فيهما .

[٦٤] ﴿ **أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰواتِ والأَرْضِ ، قدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عليهِ** ﴾ أيها المكلَّفون من المخالفة والموافقة ، والنفاق والإخلاص ﴿ **ويَوْمَ يُرْجَعُونَ إليهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، واللَّهُ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ** ﴾ فلا يخفى عليه خافية ، لأن الكل خلقه وملكه ، فيحيط علمه به ضرورة .

[سورة الفرقان]

سميت بالفرقان الذي هو التمييز بين الحق والباطل ، لذكره فيها . وهي مكية وآياتها ٧٧ آية .

[١] ﴿ **تبارَكَ** ﴾ يحمدُ تعالى نفسه الكريمة ويثني عليها ، لما أنزله من الفرقان ، والبركة : كثرة الخير وزيادته ومنها : تبارك الله ، وفيه معنيان : تزايدَ خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه ، في صفاته وأفعاله ﴿ **الذي نزّلَ الفُرْقانَ** ﴾ الفرقان : مصدر فرق بين الشيئين ، إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل ، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ، ولكن مفروقاً مفصلاً بعضه عن بعض في الإنزال ﴿ **على عَبْدِه** ﴾ محمد ﷺ . وإيراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان ، لتشريفه والإيذان بكونه في أقصى مراتب العبودية ، والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل ، ردًّا على النصارى ﴿ **ليكونَ للعَالَمينَ نذيراً** ﴾ النذير : صفة بمعنى منذر ، أو مصدر بمعنى الإنذار .

[٢] ﴿ **الذي له مُلك السَّمٰواتِ والأرضِ ولم يتَّخِذْ ولداً ولمْ يكُنْ لَهُ شريكٌ في المُلْكِ وخَلَقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرهُ تقديراً** ﴾ أي : أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير والتسوية لما أريد منه ، كخلق الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المفيدة ، وكذلك كل حيوان وجماد خلق على الصورة المقدَّرة .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

[٣] ﴿ **واتَّخَذُوا مِنْ دونِهِ آلهةً** ﴾ اشركوا به سبحانه أسماء ابتدعوها ﴿ **لا يَخْلُقُونَ شيئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ فعبّادها هم صانعوها ﴿ **ولا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً ولا نفعاً ولا يملكونَ مَوْتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً** ﴾ أي : إن هذه الآلهة المزعومة لا تملك رفع ضُرٍّ ولا جلب نفع ولا إماتة أحد وإحياءه أوّلاً وبعثه ثانياً ، فكيف تكون آلهة جديرة بالعبادة ؟!

[٤] ﴿ **وقالَ الذينَ كَفَرُوا** ﴾ من مشركي قريش بشكل خاص ، وكل مشرك بشكل عام ﴿ **إنْ هَذَا** ﴾ القرآن ﴿ **إلّا إفْكٌ افْتَرَاهُ** ﴾ أي : اختلقه محمد ﷺ ﴿ **وأعانه عليهِ قَوْمٌ آخَرُونَ** ﴾ أي : وساعده على هذا الاختلاق قوم من أهل الكتاب ﴿ **فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً** ﴾ بجعل الصدق إفكاً ، والبريءِ عن الإعانة معيناً ﴿ **وزُوراً** ﴾ باطلاً لا مصداق له ، يعلمون من أنفسهم أنه باطل وبهتان .

[٥] ﴿ **وقَالُوا : أساطيرُ الأوَّلينَ** ﴾ أي : ما سطروه [يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم ـ ابن جرير] ﴿ **اكْتَتَبَهَا** ﴾ كتبها لنفسه وأخذها ﴿ **فَهِيَ تُمْلَى عليهِ** ﴾ تُلقى عليه ليحفظها ﴿ **بُكرةً وأصيلاً** ﴾ صباحاً ومساءً ، أي : دائماً .

[٦] ﴿ **قُلْ** ﴾ رداً على افترائهم ﴿ **أَنْزَلَهُ الذي يَعْلَمُ السِّرَّ في السَّمٰواتِ والأرْضِ** ﴾ أي : الخفيّ فيهما ، إشارة إلى علمه تعالى بحالهم بالأَوْلى . ومن مقتضاه رحمته إيّاهم بإنزال القرآن . وفي طيّه ترهيب لهم بأن ما يُسِرُّونه من الكيد للنبيّ عليه الصلاة والسلام ﴿ **إنَّهُ كانَ غفوراً رحيماً** ﴾ تعليل لما هو مشاهد من تأخير عقوبتهم مع استيجابهم إياها . وقال ابن كثير : دعاء لهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار لهم بأن رحمته واسعة ، وأن حلمه عظيم ، وأن من تاب إليه تاب عليه .

[٧] ﴿ **وقَالُوا : مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطعامَ** ﴾ كما نأكل ﴿ **ويمشي في الأسواقِ** ﴾ يتردد فيها لشؤونه كما نمشي ﴿ **لَوْلا أُنْزِلَ إليهِ مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نَذيراً** ﴾ أي : اقترحوا أن يكون معه ﷺ أحد الملائكة يسانده في الإنذار .

[٨] ﴿ **أوْ يُلْقَى إليهِ كنزٌ** ﴾ من السماءِ يستظهر به ، ولا يحتاج إلى طلب المعاش ، ويكون دليلاً على صدقه ﴿ **أوْ تكونُ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْهَا** ﴾ أي : بستان يرتزق منه ﴿ **وقالَ الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعُونَ إلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً** ﴾ أي : مغلوباً على عقله .

[٩] ﴿ **انْظُرْ كيْفَ ضَرَبُوا لكَ الأمثالَ** ﴾ استعظام للأباطيل التي اجترؤوا على التفوّه بها . أي : انظر كيف قالوا في حقك تلك الأقوال الخارجة عن العقول ﴿ **فَضَلُّوا فلا يستطيعون سَبِيلاً** ﴾ أي : القدح في نبوّتك ، بأن يجدوا قولاً يستقرُّون عليه ، أو فَضَلُّوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه .

[١٠] ﴿ **تبارَكَ الذي إنْ شاءَ جَعَلَ لكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تحتِهَا الأنْهارُ ويَجْعَل لكَ قُصُوراً** ﴾ أي : إن شاء جعل لك خيراً مما قالوا ، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور ، ولكن قضت حكمته ذلك ليكون الرضوخ للحق لا للمال ، وليصدع بأن الأمر مبنيٌّ على النظر والاستدلال ، لا ما يلهي المشاعر والخيال .

[١١] ﴿ **بَلْ كذَّبُوا بالسَّاعةِ** ﴾ بيوم القيامة ﴿ **وأعْتَدْنَا لِمَنْ كذَّبَ بالسَّاعَةِ سَعِيراً** ﴾ أي : ناراً شديدة الاستعار ، وهو التوقد والالتهاب .

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ إِذَا رأَتْهُمْ ﴾ نارُ جهنّم ﴿ من مَكَانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وزفيراً ﴾ التغيّظ : إظهار الغيظ وهو أشد الغضب . شبَّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره . [قال ابن كثير: وقال عبيد بن عمير في قوله ﴿ سمعوا لها تغيُّظاً وزفيرا ﴾ قال : إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا خرَّ لوجهه ، ترتعد فرائصه ، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ، ويقول : رب لا أسألك اليوم إلا نفسي . أخرجه عبد الرزاق وابن جرير بنحوه].

[١٣] ﴿ وإذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضيِّقاً مُقرَّنِينَ ﴾ أي : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ أي : نادوه نداء المتمني الهلاك ، ليسلموا مما هو أشد منه .

[١٤] ﴿ لا تَدْعُوا اليومَ ثُبُوراً وَاحِداً وادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ﴾ أي : يُقال لهم ، لكثرة أنواع العذاب المتوالية ، فإن عذاب جهنم ألوان وأفانين ، أو كثرته كناية عن دوامه .

[١٥] ﴿ قُلْ أذلكَ ﴾ المذكور من عذاب جهنم ﴿ خَيْرٌ أمْ جنَّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾ وهم المؤمنون بالله وبرسوله القائمون على شريعته ﴿ كانَتْ لَهُمْ جزاءً ومَصِيراً ﴾ .

[١٦] ﴿ لَهُمْ فِيهَا ما يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ ، كانَ على ربِّكَ وعْداً مَسْؤُولاً ﴾ أي : حقيقاً أن يُسأَل ويُطلَبَ ويُتنافسَ فيه .

[١٧] ﴿ ويوْمَ يَحْشُرُهُمْ ومَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فيقولُ ﴾ الله تعالى للمعبودين ، تقريعاً لعبدتهم ﴿ أأنتُمْ أضْلَلْتُمْ عِبَادِي هؤلاءِ أمْ هُمْ ضلُّوا السَّبيلَ ﴾ أي : عن السبيل بأنفسهم .

[١٨] ﴿ قَالُوا : سُبْحَانَكَ ﴾ تعجباً مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء ، أو تنزيهاً له عن الأنداد ﴿ مَا كانَ ينبغي لنَا أنْ نتَّخِذَ من دُونِكَ مِنْ أولياءَ ﴾ نعبدهم ، فأنّى يُتَصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليًّا غيرك ؟ ﴿ ولكنْ متَّعْتَهُمْ وآباءهم ﴾ بأنواع النعم ، ليعرفوا حقها ويشكروها ، فانهمكوا في الشهوات ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ أي : ذكرك فجعلوا أسباب الهداية ، بسوء اختيارهم ، ذريعة الغواية ﴿ وكانُوا قوْماً بُوراً ﴾ أي : هالكين .

[١٩] ﴿ فَقَدْ كذَّبُوكُمْ ﴾ أي : المعبودون ، والخطاب : للكفار ﴿ بمَا تَقُولُونَ ﴾ في قولكم إنهم آلهة ، أو في قولكم هؤلاء أضلُّونا ﴿ فما تستطيعونَ ﴾ أي : ما تملكون ﴿ صَرْفاً ﴾ دفعاً للعذاب ﴿ ولا نَصْراً ﴾ لأنفسكم من البوار ﴿ ومَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ ﴾ أيها المكلّفون كدأب هؤلاء ﴿ نُذِقْهُ عَذَاباً كبيراً ﴾ .

[٢٠] ﴿ ومَا أرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلينَ إلاّ إنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ويَمْشُونَ في الأسْواقِ ﴾ أي : لَيَحْتَاجُونَ إلى التغذي بالطعام ويتجوّلون في الأسواق للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم ﴿ وجَعَلْنَا بعضَكم لبعضٍ فتنةً أتَصْبِرُونَ ﴾ والمعنى : أنه ابتلى المُرسَلين بالمُرسل إليهم ، وبمناصبتهم لهم العداوة ، وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف ، وأنواع أذاهم ، وطلب منهم الصبر الجميل ، [وفي صحيح مسلم : (يقول الله تعالى إني مبتليك ومبتل بك) وفي الصحيح أنّه عليه الصلاة والسلام خيِّر بين أن يكون نبيّاً ملكاً أو عبداً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ـ قاله ابن كثير] ﴿ وكانَ ربُّكَ بَصِيراً ﴾ هو عالم فيما يبتلي به وغيره ، فلا يضق صدرك ، فإن في صبرك سعادةً وفوزاً في الدارين .

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

[٢١] ﴿ **وقالَ الذينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا** ﴾ أي : الرجوع إليه بالبعث والحشر ﴿ **لَوْلا أُنْزِلَ علينا الملائكةُ** ﴾ للرسالة ، أو لتخبرنا بصدق محمد ﷺ ﴿ **أو نَرَى رَبَّنا** ﴾ فيخبرنا بذلك ﴿ **لقدِ استكبَرُوا في أَنْفُسِهِمْ** ﴾ أي : في شأنها حتى تفوَّهُوا بمثل هذه العظيمة ﴿ **وعَتَوْا** ﴾ تجاوزوا الحدّ في الظلم والطغيان ﴿ **عُتُوّاً كبيراً** ﴾ بالغاً أقصى غايته .

[٢٢] ﴿ **يوْمَ يَرَوْنَ الملائكَةَ** ﴾ عند الموت ، أو في القيامة ﴿ **لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلمُجْرِمينَ ويَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً** ﴾ كما كانوا يقولون عند لقاء العدّو وشدة النازلة : حِجراً . أي : أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً . و﴿ محجوراً ﴾ تأكيد لـ : حجراً . وقيل هو من قول الملائكة ، ومعناه : حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى .

[٢٣] ﴿ **وقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ** ﴾ مما كانوا يراؤون به ابتغاء السمعة والشهرة ، ويرونه من مكارمهم ﴿ **فجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً** ﴾ مثل الغبار المنثور في الجوّ، في حقارته وعدم نفعه .

[٢٤] ﴿ **أصحابُ الجنّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُستقراً** ﴾ فالجنّة خير من النّار ﴿ **وأحْسَنُ مَقِيلاً** ﴾ المقيل : مكان يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم .

[٢٥] ﴿ **ويوْمَ تشقَّقُ السَّماءُ بالغَمَامِ** ﴾ أي : ينصدع نظامها فلا يبقى أمرُ ما فيها من الكواكب على ما يُرى اليوم ، فيخرب العالم بأسره ﴿ **ونُزِّلَ الملائكَةُ تَنْزِيلاً** ﴾ فيحيطون بالخلائق في المحشر .

[٢٦] ﴿ **المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحقُّ للرَّحْمٰنِ** ﴾ ويكون له سبحانه السلطة القاهرة الشاملة ﴿ **وكانَ يوماً على الكافرينَ عسيراً** ﴾ شديداً صعباً .

[٢٧] ﴿ **ويوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ** ﴾ أي : تشتد حسراته وتتصاعد زفراته ﴿ **يقولُ : يا ليتني اتَّخَذْتُ معَ الرَّسُولِ سَبِيلاً** ﴾ .

[٢٨] ﴿ **يا وَيْلَتَا ليتني لمْ أتّخِذْ فُلاناً خليلاً** ﴾ يعني من أضلّه عن الذكر وصده عن سبيل الله .

[٢٩] ﴿ **لقدْ أضلَّني عن الذِّكْرِ** ﴾ أي : القرآن ، أو موعظة الرسول ﴿ **بَعْدَ إذْ جاءَنِي ، وكانَ الشَّيطَانُ للإنسانِ خَذُولاً** ﴾ أي : مبالغاً في إضلاله ، يعده ويمنّيه في الدنيا ، ما يُحسِّره عليه في العُقْبى .

[٣٠] ﴿ **وقالَ الرَّسُولُ** ﴾ إثر ما شاهد من عتوّهم وعنادهم ﴿ **يا ربِّ إنَّ قومي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً** ﴾ أي : متروكاً ، مُعْرَضاً عنه . وذكر الإمام ابن القيم أن هجر القرآن أنواع : منها : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه ، وهجر العمل به ، وهجر تحكيمه والتحاكم إليه ، وهجر تدبره وتفهمه ، وهجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها .

[٣١] ﴿ **وكذلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً مِنَ المُجْرِمينَ وكفى بربِّكَ هادياً** ﴾ إلى ما يبلغك ما تتمناه ﴿ **ونَصِيراً** ﴾ لك على كل من يناوئك .

[٣٢] ﴿ **وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لوْلا نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُمْلَةً واحدةً** ﴾ أي : دفعة واحدة في وقت واحد ﴿ **كذلكَ** ﴾ أنزلناه منجماً ـ مفرّقاً ـ خلال سنوات ﴿ **لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ أي : نقويه به على القيام بأعباء الرسالة والنهوض لنشر الحق بين قادة الجهالة ، فإن ما يتواتر إنزاله لذلك ، أبعث للهمة وأثبت للعزيمة وأنهض للدعوة ، من نزوله مرة واحدة ﴿ **ورتّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾ أي : فصّلناه تفصيلاً بديعاً .

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

[٣٣] ﴿ولا يأتُونكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بصفة عجيبة من باطلهم في مقدح أو مُقترح ﴿إلاّ جِئناكَ بالحَقّ﴾ الذي يقمع تلك الصفة ﴿وَأَحْسَنَ تَفسيراً﴾ أي: بياناً وهداية [أي نزل جبرائيل عليه السلام من الله تعالى بجوابهم، وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتي الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساء، سفراً وحضراً، لا كإنزال ما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ـ ابن كثير].

[٣٤] ﴿ الذينَ يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ إلى جهنَّم ﴾ وهم الكفار والمشركون ﴿ أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً ﴾.

[عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال (الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه) ـ أخرجه ابن جرير].

[٣٥] ﴿ ولقدْ آتيْنا مُوسى الكتابَ وجعَلْنَا معهُ أَخَاهُ هَارُونَ وزيراً ﴾.

[٣٦]﴿ فَقُلْنا اذْهَبَا إلى القوْمِ الذينَ كذَّبُوا بآياتِنَا ﴾ وهم فرعون وقومه، والآيات الخوارق التسع ﴿فدمَّرْنَاهُمْ تَدْميراً﴾ لما رأوا آيات موسى وهارون وكذبوهما، أغرقناهم في البحر.

[٣٧] ﴿ وقوْمَ نُوحٍ لَـمَّا كذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾ يعني: نوحاً، وجُمِع تعظيماً لرسالته، أو هو ومن تقدمه عليهم السلام ﴿ أغْرَقْناهُمْ وجَعَلْناهُمْ للنَّاسِ آيةً ﴾ عبرة يعتبرون بها ﴿ وأعْتَدْنَا للظَّالمينَ عَذَاباً أَليماً ﴾.

[٣٨] ﴿ وعاداً وثمود وأصحابَ الرَّسِّ ﴾ [قال ابن جرير: ودمرنا أيضاً عاداً وثمود، وأصحاب الرَّسِّ، قال ابن عباس: قرية من ثمود، وقال قتادة: الرسَّ قرية من اليمامة يقال لها الفلج، وقال عكرمة: أصحاب الرَّسِّ بفلج هم أصحاب يس. وكان الرَّسُّ بئراً رسّوا فيها نبيهم، وقال مجاهد: الرَّسُّ بئر كان عليها قوم. قال ابن جرير والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر] ﴿ وقُروناً ﴾ أي: أقواماً ﴿ بينَ ذلكَ كثيراً ﴾.

[٣٩]﴿ وكُلاً ضَرَبْنَا لَـهُ الأمثالَ ﴾ أي: الأنباء التي تزجر عن الكفر والفساد ﴿ وكُلاًّ تَـبَّرْنَا تَتْبيراً ﴾ أي: أهلكنا إهلاكاً عظيماً.

[٤٠] ﴿ ولقدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ التي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ أي: أهلكت بالحجارة، وهي: قرى قوم لوط ﴿ أفَلَمْ يكُونُوا يَـرَوْنَـهَا ﴾ أثناء مرورهم عليها وينظرون آثار عذاب الله ونكاله ﴿ بلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُـشُوراً ﴾ فهم كفرة، لا يتوقعون عاقبة وجزاء.

[٤١] ﴿ وإذا رأَوْكَ إن يتَّخذُونكَ إلاّ هُزُواً أهذَا الذي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾ أي: يستهزئون قائلين ذلك، والإشارة للاستحقار.

[٤٢] ﴿ إنْ كادَ لَـيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنَـا لوْلاَ أنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي أنه كاد ليـصرفنا عن عبادتها صرفاً كليّاً، لولا أن ثبتنا عليها ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حينَ يَـرَوْنَ العَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سبيلاً ﴾ جواب منه تعالى لآخر كلامهم، وفيه وعيد.

[٤٣] ﴿ أرَأَيْتَ منِ اتَّـخَذَ إلهَـهُ هَواهُ ﴾ يتبعه في كل ما يأتي ويذر، ولا يتبصر دليلاً، ولا يصغي إلى برهان ﴿ أَفَـأَنْتَ تَـكُونُ عليـهِ وَكِيلاً ﴾ تعجيب للنبيّ صلوات الله عليه من شناعة حالهم، بعد حكاية قبائحهم من الأقوال والأفعال.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

[٤٤] ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أكثرهم يسمعونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ لأن الأنعام تصرف قواها إلى طلب ما ينفعها ، والنفرة مما يضرّها ، وهؤلاء عطّلوا قواهم وهي العقول التي يُهتدى بها للحق ، ويميز بها بين الخير والشر .

[٤٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ أي : عجيب صنعه أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ﴿ ولوْ شاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾ أي : ثابتاً على حاله ، من الطول والامتداد بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فلم ينتفع به أحد ﴿ ثمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عليهِ دَلِيلاً ﴾ أي : علامة يُستدل على أحوالها في مسيرها من أحوال الظّل .

[٤٦] ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا ﴾ أي : أزلناه بعدما أنشأناه ممتداً ، ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه ﴿ قَبْضاً يَسِيراً ﴾ على مهل ، قليلاً قليلاً حسب ارتفاع ليله على وتيرة معينة ، مطّردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها .

ربع الحزب ٣٧

[٤٧] ﴿ وَهُوَ الذي جَعَلَ لكُمُ الليلَ لِبَاساً ﴾ أي : ساتراً كاللباس ﴿ والنَّوْمَ سُباتاً ﴾ أي : راحة للأبدان تستعيض به ما خسرته من قواها ﴿ وجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾ أي : زمان انتشار لطلب المعاش .

[٤٨] ﴿ وَهُوَ الذي أرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً ﴾ ناشرات للسحاب ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ قبل المطر [استعار الرحمة للمطر] ﴿ وأنزَلْنَا من السَّماءِ ماءً طَهُوراً ﴾ مطهراً .

[٤٩] ﴿ لنُحْيِيَ به بَلْدَةً مَيْتاً ﴾ بإنبات النبات ﴿ ونُسْقِيَهُ ﴾ ذلك الماء ﴿ مِمَّا خَلَقْنَا أنْعَاماً وأَنَاسِيَّ كثِيراً ﴾ خص الأنعام بالذكر لأنها ذخيرتنا ومدار معاش أكثر أهل المدر ، ولذلك قدّم سقيها على سقيهم ، كما قدّم عليها إحياء الأرض ، فإنها سبب لحياتها .

[٥٠] ﴿ ولَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴾ أي : كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السّحاب وإنزال القطر ﴿ بينهم ليذَّكَّرُوا ﴾ ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا ﴿ فأبَى أكثرُ النَّاسِ إلاّ كُفُوراً ﴾ أي : كفران النعمة وجحودها . [٥١] ﴿ ولَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا في كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ﴾ نبيّاً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوّة ، لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله . [٥٢] ﴿ فلا تُطِعِ الكافِرِينَ ﴾ أي : فقابلْ ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق ﴿ وجاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ أي : بالقرآن وما نزل إليك من الحق ﴿ جهاداً كبيراً ﴾ لا يخالطه فتور . [٥٣] ﴿ وهُوَ الذي مَرَجَ البَحْرَيْنِ ﴾ أرسلهما متجاورين متلاصقين ، بحيث لا يتمازجان ﴿ هَذا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة قامع للظمأ ﴿ وهذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ بليغ الملوحة ﴿ وجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾ حاجزاً لا يختلط أحدُهما بالآخر ﴿ وحِجْراً مَحْجُوراً ﴾ مانعاً من وصول أثر أحدهما إلى الآخر ، وامتزاجه به ، حتى بَعْدَ دخولِ أحدِهما في الآخر مسافة .

[٥٤] ﴿ وَهُوَ الذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً ﴾ كما أخرج من المقدمات نتائج العلوم ﴿ فَجَعَلَهُ ﴾ أي : البشر ﴿ نَسَباً ﴾ أصلاً أو فرعاً أو حاشية لقوم ﴿ وصِهْراً ﴾ لآخرين يتعصب من أجل نسبه وصهره ، فيعتقد باطلهم حقاً ﴿ وكانَ ربُّكَ قَدِيراً ﴾ وهو وإن صعب إزالته ، فإن ربك الذي أمرك بالجهاد الكبير ، قادر على إزالته .

[٥٥] ﴿ ويَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ ولا يَضُرُّهم ، وكانَ الكافِرُ على ربِّهِ ظَهِيراً ﴾ معيناً للشيطان على عصيان ربه . والمراد بالكافر : الجنس .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

[٥٦] ﴿ وما أرسَلْناكَ إلاّ مُبَشِّراً وَنَذيراً ﴾ .

[٥٧] ﴿ قُلْ : ما أَسْأَلُكُمْ عليهِ ﴾ أي : على تبليغ الرسالة ﴿ مِنْ أجْرٍ ، إلاّ مَنْ شاءَ أنْ يتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سبيلاً ﴾ يتقرب إليه بالإيمان والطاعة .

[٥٨] ﴿ وتوكّلْ ﴾ في دفع شرِّهم ومكرهم ﴿ عَلَى الحيِّ الذي لا يَموتُ وسبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبيراً ﴾ عليماً لا يغرب عنه منها شيء ، فيجزيهم عليها .

[٥٩] ﴿ الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْض وما بَيْنَهُما في ستَّةِ أيَّام ﴾ من أيامه تعالى أو أيام الخلق ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ﴾ أي : علا فَوْقَهُ عُلُوًّا يليق بجلاله المقدس ﴿ الرَّحْمٰنُ ﴾ أي : هو الرحمن ﴿ فاسْأَلْ بهِ خَبيراً ﴾ فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته . أو : فسل رجلاً خبيراً به وبرحمته ، وعليه ففائدة سؤاله هو تصديقه وتأييده .

[٦٠] ﴿ وإذا قيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا للرَّحْمٰنِ قالُوا وما الرَّحْمٰنُ ﴾ أي : من المسمى به ؟ لأنهم ما كانوا يعرفونه تعالى بهذا الاسم ولا يطلقونه عليه . أو الاستفهام للتعجب والاستغراب ، تفنناً في الإباء ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تأمُرُنا وزادَهُمْ ﴾ أي : الأمرُ بالسجود ﴿ نُفُوراً ﴾ أي : استكباراً عن الإيمان .

[٦١] ﴿ تبارَكَ الذي جعلَ في السَّماءِ بُروجاً ﴾ أي : نجوماً ﴿ وجَعَلَ فِيها سِراجاً ﴾ وهي الشمس ﴿ وقمراً منيراً ﴾ مضيئاً بالليل .

[٦٢] ﴿ وهوَ الذي جعلَ الليْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً ﴾ أي : ذوي عقبة يعقب كل منهما الآخر ﴿ لمَنْ أرادَ أنْ يذكَّرَ ﴾ أي : يتفكر فيستدل بذلك على عظم قدرته ﴿ أوْ أرادَ شُكُوراً ﴾ أي : يشكر على النعمة فيهما ، من السكون بالليل والتصرف بالنهار .

[٦٣] ﴿ وعبادُ الرَّحْمٰنِ الذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هوْناً ﴾ هيّنين ، أو مشياً هيّناً أي : بسكينةٍ وتواضع ، لا يضربون بأقدامهم ، ولا يخفقون تبعاً لهم أشراً وبطراً ﴿ وإذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ﴾ أي : إذا خاطبهم السفهاءُ بالقول السيء لم يقابلوهم بمثله ، بل قالُوا كلاماً فيه سلام من الإيذاء والإثم .

[٦٤] ﴿ والّذينَ يَبيتُونَ لربِّهم سُجَّداً وقِياماً ﴾ يكون لهم في الليل فَضْلُ صلاة وإنابةٍ . والبيتوتة : الدخول في الليل ، قال السلف : في الآية مدح قيام الليل والثناء على أهله . وفي قوله ﴿ لربِّهم ﴾ إشارة إلى الإخلاص في أدائها وابتغاء وجهه الكريم ، لما أن ذلك هو الذي يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله . [٦٥] ﴿ والذينَ يَقُولُونَ ربَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جهنَّمَ إنَّ عَذَابَهَا كانَ غَراماً ﴾ أي : هلاكاً دائماً . والمراد من قولهم ذلك ، فزعهم منها ، ووجلهم الشديد المستتبع لتمسكهم بالتقوى ، واعتصامهم بالسبب الأقوى ، لا مجرد قلقلة اللسان بلا تأثر من الجنان ، فإنهم لم يبتهلوا إلى المولى ويتعوذوا به من سعيرها إلا لعلمهم بسوء حالها ، ومقتضى العمل بالشيء ايفاؤه حقه والعمل بموجبه .

[٦٦] ﴿ إنّها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً ﴾ أي : موضع استقرار وإقامة . [٦٧] ﴿ والذينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذلكَ قواماً ﴾ أي : لم يجاوزوا الحدّ في الإنفاق ، ولم يضيِّقُوا على أنفسهم وأهليهم ، بل كانوا في ذلك متوسطين ، وخير الأمور أوسطها .

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ — ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

[٦٨] ﴿ والذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إلٰهاً آخرَ ﴾ لا يُشركون بعبادة ربهم أحداً ﴿ ولا يَقتُلونَ النَّفْسَ التي حرَّم اللَّهُ إلاَّ بالحقِّ ﴾ المزيل لحرمتها وعصمتها ﴿ ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ﴾ أي : ما ذكر من هذه القبائح العظام ﴿ يَلْقَ أثاماً ﴾ يجد في الآخرة جزاء إثمه [عن عبدالله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله ، أي الذنب أعظم؟ قال (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت : ثم أي؟ قال (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) قلت : ثم أي؟ قال (ثم أن تزاني حليلة جارك) فأنزل تصديق قول النبي ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ الآية ـ ابن جرير].

[٦٩] ﴿ يُضاعَفْ لَـهُ العذابُ يومَ القيامةِ ويَخْلُدْ فيهِ مُهَاناً ﴾ذليلاً مُحتقراً جامعاً لعذابيّ الجسم والروح .

[٧٠] ﴿ إلاَّ مَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً فأولئكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

[٧١] ﴿ ومنْ تابَ وعَمِلَ صَالحاً فإنَّهُ يَتُوبُ إلى اللَّهِ مَتَاباً ﴾ ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح ، فإنه بذلك تائب إلى الله متاباً مرضيّاً عنده ، مُكفِّراً للخطايا ، مُحصِّلاً للثواب . والآية صريحة في أن العملَ الصالحَ والمثابرةَ عليه قولاً وفعلاً ، شرط في صحة التوبة وقبولها .

[٧٢] ﴿ والذينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أي : لا يحضرون الباطل . ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور ، وهي الكذب متعمداً على غيره ﴿ وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ﴾ وإذا اتفق مرورهم بأهل اللغو ، مرُّوا مُعْرِضِينَ عنهم ، مُكرمين أنفسهم عن الخوضِ معهم . ويدخل في ذلك الإغضاء عن الفواحش ، والصفح عن الذنوب. [عن إبراهيم بن ميسرة قال : مر ابن مسعود بلهو مسرعاً فقال رسول الله ﷺ (إنْ أصبح ابن مسعود لكريماً) أخرجه ابن جرير].

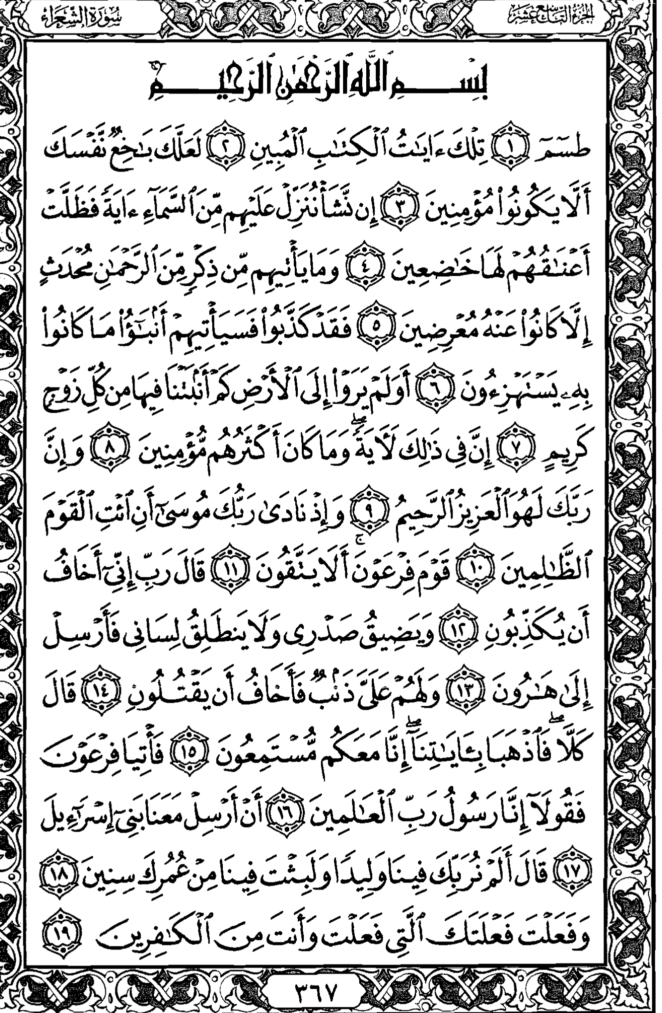
[٧٣] ﴿ والذينَ إذَا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهِمْ ﴾ أي : وُعِظُوا بها وخُوِّفوا ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وعُمْياناً ﴾ بل أكبُّوا عليها سامعين بآذان راعية ، مجتلين لها بعيون واعية .

[٧٤] ﴿ والذينَ يَقُولُونَ ربَّنا هبْ لنا منْ أزْوَاجِنا وذرِّيَّاتنا قُرَّةَ أعْيُنٍ ﴾ أي : أولاداً وحفدة تَقَرُّ بهم العيون وتُسَرُّ بمكانهم الأَنْفُس ، لحيازتهم الفضائل واتصافهم بأحسن الشمائل ﴿ واجْعَلْنا للمُتَّقينَ إمَاماً ﴾ يُقتدى بنا في الخير ، أو هُداة دعاة إلى الخير .

[٧٥] ﴿ أُولئكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ ﴾ الدَّرجة العالية من المنازل في الجنَّة ﴿ بِمَاصَبَرُوا ﴾ على مشاق المُجَاهَدَات في الدعوة إلى الخير ﴿ ويُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وسلاماً ﴾ أي : تحييهم الملائكة وتسلّم عليهم ، أو يُحيّي بعضُهم بعضاً ويسلِّم عليه .

[٧٦] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ، حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً ومُقَاماً ﴾ لسلامة أهلها عن الآفات وخُلُودِهم أبد الآباد .

[٧٧] ﴿ قُلْ مَا يَعْبأُ بكُمْ ربِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ أي : لا يبالي بكم ولا يبقيكم إلاَّ إذَا عَبَدْتُمُوهُ وآمنتم به وحده ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾بما جاءكم من الحقِّ ، وقد تلى عليكم سنَّة من كذَّب وأصرّ ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾ فسوف يكون هذا النبأ أو الذكر الحكيم ، أو الأمر الجليل ، أمر الرسالة ، لازماً وثابتاً يفتح من الحق رتاجاً ـ قفلاً ـ ، وتدخل الناس في دين الله أفواجاً .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

[سورة الشعراء]



مكية ، وروي أن الآية ١٩٧ ، والآيات من ٢٢٤ ـ ٢٢٧ نزلت في المدينة ، وسميت بهذا الاسم لـذكر الشعراء فيها ، واختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء ، وتبرئة الرسول ﷺ مما افتروا عليه من أنه شاعر . وآياتها ٢٢٧ آية .

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ سبق في سورة البقرة الأقوال في هذه الفواتح ، وأن الأكثر على أنها اسم للسورة . وتلفظ : طا . سين . ميم .

[٢] ﴿تلكَ آياتُ الكتابِ المُبِينِ﴾ الإشارة إلى السورة . والمراد بـالكتاب : القـرآن . والمبين : الظـاهر إعجازه وآيته وبرهانه .

[٣] ﴿لعلَّكَ باخعٌ﴾ أي : قاتل ﴿نَفْسَكَ ألَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي : لعـدم إيمانهم . ولعلَّ : لـلإشفـاق . أي : أشفق على نفسك أن تقتلهـا حسرة على عـدم إيمانهم .

[٤] ﴿إنْ نَشأْ نُـنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً﴾ ملجئة لهم إلى الإيمان ، قـاسرة عليـه ﴿فظلَّتْ أعْناقُهم لَـهَا خاضِعِينَ﴾ أي : منقادين .

[٥] ﴿وَمَـا يأْتِيهم مِنْ ذِكْـرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُـحْدَثٍ إلَّا كـانُوا عَنْـهُ مُعْـرِضِينَ﴾ أي : مكـذبين ، استهـزاء وإصراراً على ما كانوا عليه من الكفر .

[٦] ﴿فَقَدْ كـذَّبُوا فسيَـأْتيهم أنباءُ مَـا كـانُـوا بـهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أحواله الباهرة وشؤونه القاهرة ، وفيه وعيد لهم بحلول الذل بهم ، ونزول الصَّغارِ وقتئذ بدارهم .

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَـرَوْا إلى الأَرْضِ كمْ أَنْبَتْـنَا فيها من كُلِّ زوْجٍ كريـم﴾ أي : صنف كثير المنافع .

[٨] ﴿إنَّ في ذلكَ لآيَةً وما كانَ أكثرُهُم مُؤمنينَ﴾ لعدم تدبرهم في هذه الآيات .

[٩] ﴿وإنَّ ربَّكَ لَـهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ﴾ فهو القادر على الانتقام منهم بلا ممانع ، والرحيم بإمهاله وحلمه عنهم ، فلينتبهوا قبل أن يحل بهم ما حلّ بفرعون وقومه . [١٠] ﴿وإذْ نادى ربُّكَ مُوسَى : أنِ ائْتِ القوْمَ الظَّالمِينَ﴾ . [١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو لقب حاكم مصر يومها ﴿ألا يتَّقُونَ﴾ .

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ربِّ إنّي أخافُ أن يُـكَذِّبونِ﴾ .

[١٣] ﴿ويضيقُ صَدْري ولا ينطلـقُ لساني﴾ في أداء الرسالـة ، في بسطة من المقال ﴿فأرسِلْ إلى هارونَ﴾ ليؤازرني ويُـشدُّ بـه عضدي . والمفعول محذوف ، أي : فأرسل مَلَـكاً أو جبريل .

[١٤] ﴿وَلَـهُمْ عليَّ ذَنْبٌ﴾ وهو قتل المصري كما هو مذكور في غير هذه السورة ﴿فأخافُ أن يَقْتُـلُونِ﴾ .

[١٥] ﴿قالَ﴾ تعالى ﴿كلاَّ﴾ لا تخف إنك مـن الآمنين ﴿فاذْهَبا﴾ أنت وأخـوك هارون ﴿بآياتنا إنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ بكمال الحفـظ والنصرة .

[١٦] ﴿فأْتِيَا فِرْعَونَ فَقُولا : إنَّا رسولُ ربِّ العالَمِينَ﴾ . [١٧] ﴿أنْ أرْسِلْ مَعَنَا بني إسرائيلَ﴾ ليتحرروا من عبوديتك وعذابك المهين .

[١٨] ﴿قالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ألمْ نُرَبِّكَ فينا وَلِيداً﴾ صغيراً ﴿ولَبِثْتَ فِينَـا من عُمُرِكَ سنينَ﴾ .

[١٩] ﴿وفعَلْتَ فعْلَـتَكَ التي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطيّ ﴿وأنتَ من الكافِرِينَ﴾ بنعمتي .

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ فَعَلْتُهَا إذاً وأنا من الضَّالِّينَ ﴾ الجاهلين بكون الوكزة مفضية إلى القتل ، أو الذاهبين عن صواب الحلم والعفو والدفع بالأحسن .

[٢١] ﴿ فَفَرَرْتُ منكم لمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ أن تقتلوني على القتل الخطأ ، فنجّاني الله منكم وزادني إنعاماً ﴿ فَوَهَبَ لي رَبِّي حُكْماً ﴾ أي : حكمة أو نبوّة ﴿ وجَعَلَني من المُرْسَلِينَ ﴾ .

[٢٢] ﴿ وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عليَّ ﴾ وهي تربيتك لي ﴿ أنْ عبَّدتَّ بني إسرائيلَ ﴾ اتخذتهم عبيداً تقتل ذكورهم وتستحيي نساءهم ، وأنا منهم يؤذيني ما يؤذيهم . قال له ذلك إبطالاً لمنته عليه في التربية ، ببيان أنها في الحقيقة نقمة .

[٢٣] ﴿ قالَ فِرعَوْنُ ومَا ربُّ العَالَمِينَ ﴾ .

[٢٤] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ ربُّ السَّمٰواتِ والأرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا ، إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ .

[٢٥] ﴿ قالَ ﴾ فرعون ﴿ لمنْ حَوْلَه ألاَ تَسْتَمِعُونَ ﴾ لهذا النبأ العجيب ، وهو توحيد المعبود . وإنّما عدّه جديراً بأن يتعجبوا منه ، لأنهم غلَوْا في عبادة الأصنام وتعديد الآلهة غُلُواً أربوا على كل من سواهم في الضلال ، فكانوا يسجدون للشمس والقمر ، والنجوم ، والأشخاص البشرية ، والحيوانات .

[٢٦] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ ربُّكُمْ وربُّ آبائِكُمْ الأوَّلِينَ ﴾ .

[٢٧] ﴿ قالَ ﴾ فرعون ﴿ إنَّ رسُولَكُمُ الذي أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ لكونه يدعو إلى خلاف ما عقل عن الآباء [والأجداد ، ولكونه يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد خلافاً لما كانوا عليه] .

[٢٨] ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ربُّ المشرقِ والمَغْرِبِ ومَا بَيْنَهُمَا ، إن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ شيئاً ما ، أو إن كنتم من أهل العقل ، علمتم أن الأمر كما قلته .

[٢٩] ﴿ قالَ ﴾ فرعون ﴿ لئنِ اتَّخَذْتَ إلهاً غيْري لأجْعَلَنَّكَ منَ المَسْجُونِينَ ﴾ . [معناه : أي أجعلك ممن عرفت حالهم في سجوني] .

[٣٠] ﴿ قالَ ﴾ موسى لفرعون ﴿ أوَلَوْ جِئتُكَ ﴾ أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك ﴿ بشيءٍ مُّبِينٍ ﴾ واضح الدلالة على صدق نبوّتي .

[٣١] ﴿ قالَ ﴾ فرعونُ ﴿ فأْتِ بِه ﴾ أي : أظْهِرْ لنا دليلك ﴿ إنْ كُنْتَ منَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

[٣٢] ﴿ فألْقى ﴾ موسى ﴿ عَصَاهُ فإذَا هيَ ثُعبانٌ مُبينٌ ﴾ . [ثم لما رأى فرعون هذه الآية طلب آية أخرى من موسى] .

[٣٣] ﴿ ونزعَ يدَهُ ﴾ أخرجها من جيبه ﴿ فإذا هي بيضاءُ للنَّاظرين ﴾ ذات شعاع .

[٣٤] ﴿ قالَ ﴾ فرعون ﴿ للمَلأ ﴾ الناس ﴿ حولَهُ إنَّ هذَا لساحِرٌ عليمٌ ﴾ .

[٣٥] ﴿ يُريدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضكم بِسِحْرِه فماذَا تأْمُرُونَ ﴾ . [أي : فما رأيكم فيه وما الذي أعمله؟ يظهر نفسه متبع لرأيهم ـ الرازي] .

[٣٦] ﴿ قَالُوا ﴾ أي : ملأ فرعون يشيرون عليه ﴿ أَرْجِهْ وأخَاهُ ﴾ والمعنى : أخّرهما ومناظرتها لوقت اجتماع السحرة ﴿ وابْعَثْ في المدآئِنِ حَاشِرِينَ ﴾ أي : شُرطاً يحشرون السحرة ويجمعونهم عندك . [٣٧] ﴿ يأتوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ . [٣٨] ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ .

[٣٩] ﴿ وقيلَ للنَّاسِ هَلْ أنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ لرؤية ما يُعارض معجزة موسى ؟ .

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ
وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ
ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾

[٤٠] ﴿ **لعلَّنا نتَّبِعُ السَّحَرَةَ إنْ كَانُوا هُمُ الغالبينَ** ﴾ .

[٤١] ﴿ **فلمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لنا لأَجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ** ﴾ .

[٤٢] ﴿ **قالَ** ﴾ فرعون ﴿ **نَعَمْ** ، وإنَّكم إذاً لَمِنَ المُقَرَّبِينَ ﴾ .

[٤٣] ﴿ **قالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ** ﴾ .

[٤٤] ﴿ **فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ وقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إنَّا لنحنُ الغَالِبُونَ** ﴾ .

[٤٥] ﴿ **فألْقَى مُوسَى عَصَاهُ فإذا هيَ تَلْقَفُ ما يأْفِكُونَ** ﴾ أي : تبتلع ما موَّهوا به إفكاً وزوراً .

[٤٦] ﴿ **فأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ** ﴾ على وجوههم منقادين له بالإيمان ، لعلمهم بأن مثله لا يتأتّى بالسحر .

[٤٧] ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي : السحرة ﴿ **آمنَّا بِربِّ العَالَمِينَ** ﴾ .

[٤٨] ﴿ **ربِّ مُوسَى وهَارُونَ** ﴾ .

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

[٤٩] ﴿ **قالَ** ﴾ فرعونُ ﴿ **آمَنْتُمْ له قبلَ أنْ آذنَ لكُمْ ، إنَّهُ لكبيرُكُمُ الذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ** ﴾ أي : فعلَّمكم شيئاً دون شيء ، ولذلك غلبكم ، أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه ﴿ **فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لأُقطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ** ﴾ أي : جانبيْن متخالفيْن : اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ، أو بالعكس ﴿ **ولأُصلِّبَنَّكم أجمعينَ** ﴾ .

[٥٠] ﴿ **قَالُوا لا ضَيْرَ ، إنَّا إلى ربِّنا مُنْقَلِبُونَ** ﴾ أي : لا ضرر علينا في ذلك ، بل لنا فيه أعظم النفع ، لأنا بفعلك هذا وصبرنا عليه ، شهادة على حقِّيته ، إلى ثوابه ورحمته راجعون ، فننقلب خير منقلب ، شهداء سعداء .

[٥١] ﴿ **إنَّا نَطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لنا ربُّنا خطايانا أنْ** ﴾ أي : لأنه ﴿ **كُنَّا أَوَّلَ المُؤْمِنِينَ** ﴾ أول من أظهر الإيمان كفاحاً ، مجاهرة بالحق بلا تقيَّة .

[٥٢] ﴿ **وأَوْحينا إلى موسى : أَنْ أَسْرِ بعبادِي** ﴾ يعني : بني إسرائيل . والإسراء : السير ليلاً والمعنى : سِرْ بهم ليلاً ﴿ **إنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ** ﴾ فإنه إذا وصل خبر سيركم إلى فرعون لابد أن يتبعكم بجنوده لإرجاعكم ، إلا أنكم تتقدمونه ولا يدرككم .

[٥٣] ﴿ **فأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ** ﴾ حين أُخبر بسراهم ﴿ **في المدائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ جامعين لعسكره .

[٥٤] ﴿ **إنَّ هؤلاءِ** ﴾ أي : قائلين ما يقلل به الأعداء في أعين الجنود ، إن بني إسرائيل الخارجين ﴿ **لشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ** ﴾ .

[٥٥] ﴿ **وإنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ** ﴾ أي : يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا من مخالفة أمرنا والخروج بغير إذن منَّا .

[٥٦] ﴿ **وإنَّا لَجميعٌ حَاذِرُونَ** ﴾ من مكرهم وسعيهم بالفساد في الأرض .

[٥٧] ﴿ **فأَخْرَجْناهُمْ** ﴾ أي : أخرج الله تعالى فرعون وقومه ﴿ **مِنْ جنَّاتٍ وعُيُونٍ** ﴾ من حدائق وبساتين ذات مياه .

[٥٨] ﴿ **وكُنُوزٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ** ﴾ يعني : المنازل الحسنة والمجالس البهية .

[٥٩] ﴿ **كذلِكَ** ﴾ أي : مثلَ هذا الإخراج أخرجناهم ﴿ **وأَوْرَثْناها بني إسْرائِيلَ** ﴾ أي : ملّكناها لهم تمليك الإرث بعد زمان ، وكأن العاقبة ، لمَّا كانت لهم ، صاروا كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها . [٦٠] ﴿ **فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ** ﴾ لحقوهم وقت شروق الشمس .

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

[٦١] ﴿ **فلمَّا تَراءَى الجَمْعَانِ** ﴾ فلما تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر ﴿ **قالَ أصْحَابُ مُوسى إنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ أي : لَمُلْحَقُونَ .

[٦٢] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **كلاَّ** ﴾ لن يدركوكم فإنَّ الله وعدكم بالخلاص منهم ﴿ **إنَّ مَعِيَ ربِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ لطريق النجاة منهم .

[٦٣] ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إلى موسى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ** ﴾ فضربه ﴿ **فانْفَلَقَ** ﴾ قسمين ﴿ **فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ** ﴾ أي : كل جزء متفرق منه كالجبل الكبير .

[٦٤] ﴿ **وأزْلَفْنا** ﴾ وقرّبنا ﴿ **ثَمَّ** ﴾ حيث انفلق البحر ﴿ **الآخَرِينَ** ﴾ يعني قوم فرعَوْن ، قدمناهم إلى البحر حتى دخلوا على أثر بني إسرائيل .

[٦٥] ﴿ **وأنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ** ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا .

[٦٦] ﴿ **ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ** ﴾ بإطباقه عليهم .

[٦٧] ﴿ **إنّ في ذلكَ لآيَةً** ﴾ أي : لعبرة ﴿ **ومَا كانَ أكثرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ مع مشاهدة هذه الآية العظمى التي توجب تصديقه بعدها في كل ما جاء به .

[٦٨] ﴿ **وإنّ ربك لَهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ وفيه تسلية للنبي ﷺ ، ووعد له ، ووعيد لمن عصاه .

[٦٩] ﴿ **واتْلُ** ﴾ يا محمد ﴿ **عليهِم** ﴾ على مشركي العرب ﴿ **نبأَ إبْراهيمَ** ﴾ عليه السلام .

[٧٠] ﴿ **إذ قالَ لأبيهِ وقوْمِه مَا تعبُدُونَ** ﴾ ما الذي تدعونه وتلجؤون إليه ؟ وكان عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ، ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء . [٧١] ﴿ **قالُوا نَعْبُدُ أصْناماً فَنَظَلُّ لَهَا عاكفينَ** ﴾ أي : مقيمين على عبادتها لا نتخطاها إلى غيرها . [٧٢] ﴿ **قالَ : هلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذ تَدْعُونَ** ﴾ سؤال استنكار . [٧٣] ﴿ **أوْ يَنْفَعُونَكم أوْ يَضُرُّونَ** ﴾ . أي : لا ينفعونكم ولا يضرونكم . [٧٤] ﴿ **قالُوا بلْ وجدْنا آباءَنَا كذلكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ مثل عبادتنا ، فقلّدناهم .

[٧٥] ﴿ **قالَ** ﴾ إبراهيم ﴿ **أفرأَيْتُم** ﴾ أفأبصرتم ، أو تأملتم ﴿ **ما كُنتم تَعْبُدُون** ﴾ من أصنام وغيرها .

[٧٦] ﴿ **أنتم وآباؤكُمُ الأَقْدَمُونَ** ﴾ . [٧٧] ﴿ **فإنَّهُمْ عَدُوٌّ لي** ﴾ فإنهم بغضائي ﴿ **إلاَّ ربَّ العَالَمِينَ** ﴾ أي : لكن رب العالمين ليس كذلك ، فإنه وليي في الدنيا والآخرة ، لا أعبد غيره . [٧٨] ﴿ **الذي خَلَقَني فَهُوَ يَهْدِينِ** ﴾ إلى كل ما يهمني من أمور الدين والدنيا .

[٧٩] ﴿ **والذي هُوَ يُطْعِمُني ويَسْقِينِ** ﴾ أي : يرزقني بما سخّر ويسّر من الأسباب السماوية والأرضية .

[٨٠] ﴿ **وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ أي : إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما قدره من الأسباب الموصلة إليه .

[٨١] ﴿ **والذي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴾ فإنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده لا يقدر على ذلك أحد سواه .

[٨٢] ﴿ **والذي أطمعُ أن يغفرَ لي خَطِيئَتِي يوْمَ الدين** ﴾ أي : يوم الجزاء . وخطيئته ما كان يراها هو صلوات الله عليه ويعدّها بالنسبة لمقامه الكريم .

[٨٣] ﴿ **ربِّ هبْ لي حُكْماً** ﴾ أي : حكمة ، أو حكماً بين الناس بالحق ، أو نبوّة ، لأن النبي ذو حكم وحكمة ﴿ **وأَلْحِقْني بالصَّالِحِينَ** ﴾ أي : وفقني لأنتظم في سلكهم ، لأكون من الذين جعلتهم سبباً لصلاح العالم وكمال الخُلُق .

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

[٨٤] ﴿ واجْعَلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخِرينَ ﴾ أي : ذكراً جميلاً بعدي ، أُذْكَر به ويُقتدى بي في الخير .

[٨٥] ﴿ واجْعَلْني منْ وَرَثَـةِ جَنَّةِ النَّعيم ﴾ .

[٨٦] ﴿ واغفِرْ لأبي ﴾ بهدايته وتوفيقه للإيمان ﴿ إنَّهُ كانَ من الضّالّين ﴾ أي : طريقَ الحق .

[٨٧] ﴿ ولا تُخْزِني يومَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي : تُلحق بي ذُلًّا وهواناً يومئذ .

[٨٨] ﴿ يوْمَ لا ينفعُ مالٌ ﴾ لا يقي المرء من عذاب الله مالُه ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ﴿ ولاَ بَنُونَ ﴾ ولا بنوه ، وإن كانوا غايةً في القوّة .

[٨٩] ﴿ إلاّ منْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ ﴾ سليم من مرض الكفر والنفاق والخصال المذمومة .

[٩٠] ﴿ وأُزْلِفَتِ الجنَّـةُ ﴾ قُرِّبَتْ ﴿ للمُتَّقِينَ ﴾ .

[٩١] ﴿ وبُرِّزَتِ الجَحيمُ للغاوِينَ ﴾ الضّالّين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى .

[٩٢] ﴿ وقيلَ لَـهُمْ ﴾ توبيخاً على شركهم ﴿ أيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ .

[٩٣] ﴿ من دونِ اللّهِ ، هلْ ينصرونَكُمْ أو يَنْتَصِرُونَ ﴾ يدفعون العذاب عنكم ، أو يدفعونه عن أنفسهم ، لأنهم وآلهتهم وقود النار .

[٩٤] ﴿ فكُبْكِبُوا فِيهَا ﴾ الكبكبة تكرار الكب ـ وهو الإلقاء على الوجه ـ جعل التكرار في اللفظ دليلاً على التكرار في المعنى ﴿ هُمْ والغَاوُونَ ﴾ .

الحزب ٣٨

[٩٥] ﴿ وجنودُ إبْليسَ ﴾ أي : متبعوه من العصاة ﴿ أجْمَعُونَ ﴾ كلهم في النار . [٩٦] ﴿ قالُوا وهُمْ فيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ . [٩٧] ﴿ تاللّهِ إنْ كُنّا لَفِي ضلالٍ مُبِينٍ ﴾ .

[٩٨] ﴿ إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَـمِينَ ﴾ في العبادة ، مع أنكم أعجز مخلوقاته . [٩٩] ﴿ ومَا أضلَّنا إلا المُجْرِمُونَ ﴾ أي : رؤساؤهم .

[١٠٠] ﴿ فَـمَا لنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ من الذين كنا نعدّهم شفعاء وأصدقاء ، لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عندَ الله .

[١٠١] ﴿ ولا صديقٍ حميم ﴾ وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس ، فما أغْنَوْا عنهم شيئاً . والحميم : من الاحتمام ، وهو : الاهتمام ، وهو الذي يهمه ما يهمّك . أو من : الحامة ، بمعنى الخاصة ، وهو الصديق الخاص . [١٠٢] ﴿ فَلَوْ أنَّ لنا كرَّةً ﴾ أي : رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَكُونَ من المؤمنين ﴾ . [١٠٣] ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ فيما ذُكر من نبأ إبراهيم ﴿ لآيَةً ﴾ لحُجّة وعظة لمن أراد أن يستبصرها ويعتبر ﴿ ومَا كانَ أكثرُهُمْ ﴾ أي : أكثر قوم إبراهيم ﴿ مُؤْمنِينَ ﴾ . [١٠٤] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَـهُوَ العَزيزُ الرَّحِيمُ ﴾ بإنزال الكتب وإرسال الرسل ، لدعوة خلقه إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم .

[١٠٥] ﴿ كذَّبتْ قوْمُ نُوحِ المُرْسَلِينَ ﴾ لأن تكذيب واحد كتكذيب الكل ، لاتفاقهم في أصول الشرائع . [١٠٦] ﴿ إذْ قالَ لَـهُمْ أخوهُم نُوحٌ ألاَ تتَّقُونَ ﴾ الله . [١٠٧] ﴿ إنّي لَـكُمْ رَسُولٌ أمينٌ ﴾ . [١٠٨] ﴿ فاتّقُوا الله وأطيعونِ ﴾ . [١٠٩] ﴿ وما أسألُـكُمْ عليهِ ﴾ أي : على الدعوة إلى الله ﴿ منْ أجْرٍ ، إنْ أجْرِيَ إلاّ على ربِّ العَالَمِينَ ﴾ وهذا ديدن الدعاة إلى الله أن يكون عملهم خالصاً لوجهه سبحانه . [١١٠] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعونِ ﴾ تكرار لأهمية التقوى لله والطاعة لرسوله .

[١١١] ﴿ قَالُوا أنُؤْمِنُ لكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ يعنون من كان وضيعَ النسب ، [قليل المال] .

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿ قالَ ﴾ نوحٌ جواباً عما أشير إليه من قول كفار قومه أن أتباعه لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة ﴿ ومَا عِلْمي بما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وما عليّ إلاّ الظاهر والله يتولى السَّرائر .

[١١٣] ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إلاَّ عَلَى رَبِّي ﴾ ما حسابهم على أعمالهم ، إلاَّ على ربّي المطّلع على ضمائرهم ﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ .

[١١٤] ﴿ وما أنا بطاردِ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١١٥] ﴿ إنْ أنا إلاَّ نذيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

[١١٦] ﴿ قَالُوا : لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نوحُ لتكُونَنَّ منَ المَرْجُومينَ ﴾ أي : المشتومين ، أو المرميين بالحجارة .

[١١٧] ﴿ قالَ ربِّ إنَّ قومي كذَّبُونِ ﴾ .

[١١٨] ﴿ فافْتَحْ بيْني وبيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾ أي : احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا ﴿ ونجِّني ومَنْ مَعِيَ منَ المُؤْمنينَ ﴾ .

[١١٩] ﴿ فأنْجَيْنَاهُ ومَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾ في السفينة المملوءة من الناس والحيوان والطير .

[١٢٠] ﴿ ثُمَّ أغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾ بعد إنقاذ نوح ومن معه ﴿ الباقينَ ﴾ من قومه الكافرين .

[١٢١] ﴿ إنَّ في ذلكَ لآيَةً ﴾ أي : فيما فعلنا بهم لعبرة وعظة لمن بعدهم ﴿ ومَا كانَ أكثرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ الرَّحيمُ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ وهم قوم هود عليه السلام ﴿ المُرْسَلِينَ ﴾ وتكذيب مُرْسَلٍ واحد تكذيب للجميع .

[١٢٤] ﴿ إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ هُودٌ ألاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[١٢٥] ﴿ إنِّي لكمْ رسولٌ أمينٌ ﴾ والأمين لا يغش قومه . [١٢٦] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعُونِ ﴾ في دعوتكم إلى الله سبحانه وطاعته .

[١٢٧] ﴿ ومَا أسْألُكُمْ عليهِ من أجرٍ ، إنْ أجرِيَ إلا على ربِّ العالمينَ ﴾ .

[١٢٨] ﴿ أتَبْنُونَ بكلِّ ريعٍ ﴾ بكل مكان مرتفع ﴿ آيَةً ﴾ علامة ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ ببنائها لا للحاجة إليها بل لمجرد اللعب واللهو و إظهار القوة .

[١٢٩] ﴿ وتَتَّخِذونَ مَصَانِعَ ﴾ أي : منازل وقصوراً [قال ابن كثير : قال قتادة : هي مآخذ الماء] أي خزانات المياه ﴿ لعلَّكم تَخْلُدُونَ ﴾ راجين الخلود في الدنيا . إشارة إلى أن عملهم ذلك ، لِقِصَر نظرهم على الدنيا والإعجاب بالآثار ، والتباهي بالمَشِيدات .

[١٣٠] ﴿ وإذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ تأخذون بالعنف والشدة ، كبراً وعتواً .

[١٣١] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما آمركم به من التوبة والإيمان ﴿ وأطيعونِ ﴾ وطاعة الرسول ﷺ طاعة لله سبحانه .

[١٣٢] ﴿ واتَّقُوا الذي أمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ [وبعدما دعاهم الى طاعة الله نبههم الى نعمه ثم فصّلها] .

[١٣٣] ﴿ أمَدَّكُم بأنْعَام وبَنِينَ ﴾ [والأنعام لغة : الإبل والبقر والغنم] .

[١٣٤] ﴿ وجنَّاتٍ وعُيُونٍ ﴾ حدائق وأنهاراً . والمقصود : اشكروا نعماءَه ، وراعوا بتقواه آلاءَه .

[١٣٥] ﴿ إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إن لم تقوموا بواجب شكرها ﴿ عذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٣٦] ﴿ قالُوا : سواءٌ علينا أوَعَظْتَ أمْ لمْ تكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ ﴾ فإنا لن نَرعوي عما نحن عليه .

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٣٧] ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ ما هذا الذي نحن عليه ﴿ إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي : عادتهم فنحن بهم مقتدون .

[١٣٨] ﴿ ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ على ما نحن عليه من الأعمال .

[١٣٩] ﴿فكذَّبُوه فَأَهْلَكْناهُمْ﴾ بريح صرصر ﴿إِنَّ في ذلِكَ لآيَةً وَمَا كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٤٠] ﴿وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العَزيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٤١] ﴿ كذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ ﴾ وهم قوم صالح عليه السلام .

[١٤٢] ﴿ إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ صَالِحٌ ألاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[١٤٣] ﴿ إنّي لكُمْ رسُولٌ أمينٌ ﴾ .

[١٤٤] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطِيعُونِ ﴾ .

[١٤٥] ﴿ ومَا أَسْأَلُكُمْ عليهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى ربِّ العَالَمِينَ ﴾ .

[١٤٦] ﴿أَتُتْرَكُونَ في ما ههُنَا﴾ أي : في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ﴿ آمِنِينَ ﴾ من الموت والزّوال والعذاب .

[١٤٧] ﴿ في جنَّاتٍ ﴾ بساتين ﴿ وعيونٍ ﴾ من الماء .

[١٤٨] ﴿ وزُرُوعٍ ونَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ أي : لطيف لين ، [وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أينع وبلغ فهو هضيم . وقال مجاهد : هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر . وقال ابن جريج عن مجاهد : حين يطلع تقبض عليه فتهضمه فهو من الرطب الهضيم ، ومن اليابس الهشيم ، تقبض عليه فتهشمه ـ ابن كثير] .

[١٤٩] ﴿ وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً فارِهِينَ ﴾ أي : بَطِرينَ . وقيل : فاره من فَرُه ، بالضم ، بمعنى : حذق .

[١٥٠] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ ﴾ . [١٥١] ﴿ ولا تُطِيعُوا أمْرَ المُسْرِفِينَ ﴾ .

[١٥٢] ﴿ الذينَ يُفْسِدُونَ في الأرْضِ ولا يُصْلِحُونَ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ قَالُوا إنَّمَا أنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ ﴾ الذي سُحِروا حتى غُلب على عقولهم .

[١٥٤] ﴿ ما أَنْتَ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا فأْتِ بآيَةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادقِينَ ﴾ .

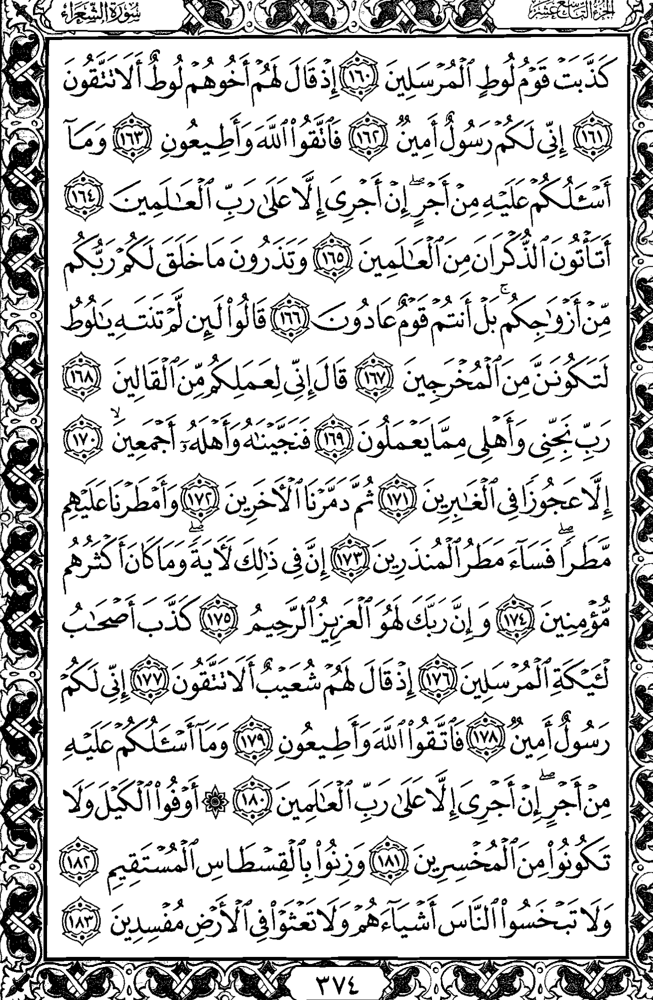
[١٥٥] ﴿ قالَ هذهِ نـاقَةٌ لَـهَا شِرْبٌ ﴾ أي : نصيب من الماء ﴿ ولكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ أي : فاقتنعوا بشربكم ولا تـزاحموها على شِرْبِهَا، أمرهم نبيُّهم أن يقتنعوا بيومهم الذي حُدّد لهم لشربهم ، وألا يزاحموا النَّاقة بأن يشربوا في يومها المُخصص لها .

[١٥٦] ﴿ ولا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عـذابُ يـوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي : لعظيم ما تسيؤون .

[١٥٧] ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ فقتلوها ﴿ فأَصْبَحُوا نادِمِينَ ﴾ .

[١٥٨] ﴿ فأخذَهُمُ العَذَابُ ﴾ الموعود ، وهو أن زلـزلت أرضهم زلـزالاً شديـداً ، وجـاءتهم صيحة عظيمـة ﴿ إنَّ في ذلكَ لآيَـةً وَمَا كـانَ أكثـرُهُم مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَـهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .


الجزء التاسع عشر — سورة الشعراء

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

٣٧٤

[١٦٠] ﴿ كذَّبتْ قومُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ ﴾ .

[١٦١] ﴿ إذْ قَالَ لَـهُمْ أَخُوهُم لُوطٌ : أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ إنّي لكمْ رَسُولٌ أمينٌ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطِيعُونِ ﴾ .

[١٦٤] ﴿ ومَا أَسْأَلُكُمْ عليـهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى ربِّ العَالَـمِينَ ﴾

[١٦٥] ﴿ أتأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَـمِينَ ﴾ [أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم ـ ابن جرير].

[١٦٦] ﴿ وتَـذَرُونَ مَـا خَلَقَ لَـكُمْ رَبُّـكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ قَـوْمٌ عَادُونَ ﴾ أي : مجاوزون حدَّ الحكمة في ترك محل الحرث ، الحافظ للنسل ، الذي به حفظ النوع البشريّ ، وإيثار ما لم يُخْلَقْ لـذلك ، شَرَهاً في الشهـوة الحيـوانيـة ، ومكـافحـة لتغيير الأوضـاع الربانية .

[١٦٧] ﴿ قَالُوا : لَئِنْ لَـمْ تَنْـتَـهِ يَا لُوطُ ﴾ عن تقبيح أمرنا ﴿ لَتـكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ ﴾ من قَرْيَـتِنَا بـالعنف والقوّة .

[١٦٨] ﴿ قالَ ﴾ لـوط ﴿ إنّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَـالِينَ ﴾ المبغضين غـايـة البغض ، فأنـا أرغب في الخروج عن ديـاركم ، والـراحـة من مجاورتكم .

ربع الحزب ٣٨

[١٦٩] ﴿ ربِّ نَجِّني وأهْلي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : من شؤمه وغائلته .

[١٧٠] ﴿ فنجَّيْناهُ وأهْلَهُ أجْمعِينَ ﴾ .

[١٧١] ﴿ إلاَّ عَجُوزاً ﴾ وهي امرأته ﴿ في الغَابِرِينَ ﴾ أي : مُقَدَّراً كونها منَ الباقين في العذاب ، لأنها كانت راضية بعمل قومها .

[١٧٢] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴾ أي : أهلكناهم أشد إهلاك وأفظعه .

[١٧٣] ﴿وأمطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ عظيماً غير معهود، هلكوا به ﴿فساء مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾ .

[١٧٤] ﴿إنَّ في ذٰلك لآيَةً ومَا كانَ أكثرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الآية هنا العبرة والموعظة] .

[١٧٥] ﴿وإنَّ ربَّـكَ لَـهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٧٦] ﴿ كذَّبَ أصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ ﴾ وهم أهل مدين . والأيكة : الأشجار الكثيرة الملتفة المجتمعة في مكان واحد .

[١٧٧] ﴿ إذْ قال لَـهُمْ شُعَيبٌ ألا تَـتَّقُونَ ﴾ [نبيهم شعيب] .

[١٧٨] ﴿ إنّي لكـمْ رسُولٌ أمينٌ ﴾ . [١٧٩] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعُونِ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ ومَا أَسْأَلُكُمْ علـيهِ مِنْ أَجْرٍ ، إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَـمِينَ ﴾ .

[١٨١] ﴿ أَوْفُوا الكَيْلَ ﴾ أي : أتمّوه ﴿ ولاَ تَـكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ ﴾ أي : حقوق الناس بإعطائهم ناقصاً .

[١٨٢] ﴿ وزِنُوا بالْقِسْطَاسِ المُسْتَـقِيمِ ﴾ أي : بالميزان السويّ . [١٨٣] ﴿ ولا تَبْخَسُوا النَّـاسَ أشْيَاءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم حقـوقهم ﴿ ولا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق والجَوْر والظلم وأكل أموال الناس بالباطل .

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[١٨٤] ﴿ **واتّقوا** ﴾ اللّهَ ﴿ **الذي خلقكُمْ والجِبِلّةَ الأوّلينَ** ﴾ أي : وذوي الجبلّة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق .

[١٨٥] ﴿ **قالوا إنّما أنتَ مِنَ المُسحَّرِينَ** ﴾ .

[١٨٦] ﴿ **وما أنتَ إلاّ بَشَرٌ مثلُنا ، وإنْ نظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ** ﴾ فيما تدّعيه من النبوّة .

[١٨٧] ﴿ **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السّماءِ** ﴾ قطعاً منها . قرىء : كِسْفاً ، بسكون السين وتحريكها ، وكلاهما جمع كِسْفَةٍ ﴿ **إن كُنتَ مِنَ الصّادقِينَ** ﴾ .

[١٨٨] ﴿ **قالَ : ربّي أعْلَمُ بِما تعْمَلُونَ** ﴾ من الكُفْرِ والمعاصي ، وبما تستوجبون عليها من العذاب ، بإسقاط كِسف أو غيره .

[١٨٩] ﴿ **فكذّبُوهُ** ﴾ فاستمروا على تكذيبه ولم يتوبوا ﴿ **فأخَذَهُمْ عَذَابُ يومِ الظُّلّةِ** ﴾ فقد أظلتهم سحابة أطبقت عليهم ، وأظلمت الجوّ فوقهم ، وغشيهم العذاب وأحاط بهم . والظُّلّة بالضم لغةً : الغاشية ، وما أطبق وستر من فوق ﴿ **إنّه كانَ عذابَ يوْمٍ عظيمٍ** ﴾ لحلول العقاب فيهم ، من جنس ما سألوه من إسقاط السماء قِطَعاً عليهم .

[١٩٠] ﴿**إنَّ في ذلكَ لآيةً**﴾ على أخذه العُصَاةَ بِمُقْتَضى أعمالهم ﴿**وما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ .

[١٩١] ﴿ **وإنّ ربّكَ لَهُوَ العزيزُ الرّحِيمُ** ﴾ الغالب على تعذيب من شاء بها شاء ، الرحيم ، بإرسال الرسل ، لئلا يكون للناس على الله حجة .

[١٩٢] ﴿ **وإنّهُ** ﴾ أي : ما ذكر من الآياتِ الناطقة بالقصص المحكية ، أو القرآن المتضمن لها ﴿ **لتنْزِيلُ ربِّ العالَمينَ** ﴾ منزل منه حقاً . [١٩٣] ﴿ **نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ** ﴾ جبريلُ عليه السلام .

[١٩٤] ﴿ **على قَلْبِكَ** ﴾ يا محمد ﴿ **لتكُونَ مِنَ المُنْذِرينَ** ﴾ أي : منتظماً في سلك أولئك المشهورين بتلك المزية الجليلة ، والمنقبة الفاضلة ، وهي الرسالة الإلهية بالإنذار .

[١٩٥] ﴿ **بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ واضح المعنى جليّ المفهوم ، ليكون قاطعاً للعذر ، مقيماً للحجة ، دليلاً إلى المحجّة . [١٩٦] ﴿ **وإنّه لَفي زُبُرِ الأوّلينَ** ﴾ أي : في كتبهم ، مع أنه ﷺ لم يصحب أهلها ولم يدرسها ، فكفى بذلك شهيداً على صدقه .

[١٩٧] ﴿ **أوَلَمْ يكُنْ لَهُمْ آيةً** ﴾ علامة على تنزيله الحق ﴿ **أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بني إسْرائيلَ** ﴾ فيجدون مصداقه في زبرهم التي يدرسونها .

[١٩٨] ﴿ **ولوْ نَزَّلْناهُ عَلَى بعْضِ الأعْجَمِينَ** ﴾ ولو نزّلناه بنظمه البديع على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية . [١٩٩] ﴿ **فَقَرأَهُ عليهم ما كانُوا به مُؤْمنينَ** ﴾ فقرأه عليهم قراءة فصيحة ، انفتق لسانه بها ، خرقاً للعادة ، لكفروا به كما كفروا ، ولتمحّلوا لجحودهم عذراً ، ولسموه سحراً ، لعنادهم . [٢٠٠] ﴿ **كذلكَ سلكناهُ في قلوبِ المُجْرمِينَ** ﴾ أي : مكنّا هذا العناد والإباء عن الإيمان به ، في قلوبهم وأنفسهم ، وقرنّاه فيها .

[٢٠١] ﴿ **لا يُؤمنونَ به حتّى يرَوُا العذابَ الأليمَ** ﴾ . [٢٠٢] ﴿ **فيأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وهُمْ لا يشْعُرُونَ** ﴾ .

[٢٠٣] ﴿ **فيقولوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ** ﴾ يطلبون مهلة جديدة . [٢٠٤] ﴿ **أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ** ﴾ وهو ما هو ، عياذاً به منه .

[٢٠٥] ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ** ﴾ بالحياة الدنيا . [٢٠٦] ﴿ **ثُمّ جاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ** ﴾ من العذاب وغيره .

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

[٢٠٧] ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ يتمتعون به من طول الأعمار وطيب المعايش .

[٢٠٨] ﴿ ومَا أَهْلَكْنَا مِنَ قَرْيَةٍ إِلَّا لها مُنْذِرُونَ ﴾ .

[٢٠٩] ﴿ ذِكْرَى ﴾ أي : رسل ينذرونهم لأجل الموعظة والتذكرة ﴿ ومَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فنبغتهم بالعذاب قبل الإنذار ، فإن ذلك محال في حكمة الحَكَم العَدْل .

[٢١٠] ﴿ ومَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ ﴾ .

[٢١١] ﴿ ومَا ينبغي لَهُمْ ﴾ أي : للشياطين ﴿ ومَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ردٌّ لما زعمه المشركون من أن التنزيل الكريم من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة .

[٢١٢] ﴿ إِنَّهم ﴾ أي : الشياطين ﴿ عنِ السَّمْعِ ﴾ أي : الاستماع عن الملائكة ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ لانتفاء الاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق عليهم ، لخباثة نفوسهم بالذات .

[٢١٣] ﴿ فلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخرَ فتكونَ من المُعَذَّبِينَ ﴾ في الدّارين .

[٢١٤] ﴿ وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ أي : الأدنين ، وإنَّه لا يُخَلِّص أحداً منهم إلا إيمانه بربه عز وجل .

[٢١٥] ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : ليّن جانبك لهم .

[٢١٦] ﴿ فإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بريءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

[٢١٧] ﴿ وتوكَّلْ على العزيزِ الرَّحيمِ ﴾ .

[٢١٨] ﴿ الذي يراكَ حينَ تقُومُ ﴾ من النوم إلى التهجد .

[٢١٩] ﴿ وتقَلُّبَكَ في السَّاجِدينَ ﴾ أي : المصلين . يعني : يراك وحدَك ، ويراك في الجُمَع ، أو المعنى : لا يخفى عليه حالك ، كلما قمت وتقلبت مع الساجدين ، في كافة أمور الدين . أو هي كناية عن رعايته صلوات الله عليه ، والعناية به .

[٢٢٠] ﴿ إنّه ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ هوَ السَّميعُ العليمُ ﴾ لما تقوله وبما تنويه . [٢٢١] ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكم على مَنْ تنزَّلُ الشَّياطِينُ ﴾ أي : تتنزل ، وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله ﷺ بعد امتناع تنزلهم بالقرآن .

[٢٢٢] ﴿ تَنَزَّلُ على كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ أي : كذاب في قوله ، يصرف الكلام من وجه إلى آخر ، ولا يبالي بذلك ، أثيم كثير الإثم والفجور في فعله ، وحيث كان المقام النبويّ منزّهاً عن ذلك ، اتضح استحالة تنزلهم عليه .

[٢٢٣] ﴿ يُلْقُونَ ﴾ الأفّاكون ﴿ السَّمْعَ ﴾ إلى الشياطين وأوهامهم ووساوسهم ﴿ وأكثرُهُمْ كاذِبُونَ ﴾ فيما يتكهنون به ، وفيما يحكونه عن الشياطين .

[٢٢٤] ﴿ والشُّعراءُ يتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ ﴾ الغاوون : الضالون عن السنن .

[٢٢٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهيمُونَ ﴾ يركبون للباطل والكذب وفضول القول كلَّ مركب من هجاء ومدح وغزل وغيره .

[٢٢٦] ﴿ وأَنَّهم يقولونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ مما يتبجحون به من أقوال وأفعال . [٢٢٧] ﴿ إلاّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا اللَّهَ كثيراً ﴾ في شِعرهم بأن كان غالبُه في توحيد الله ، والثناء عليه ، والحكمة والموعظة والآداب الحسنة ﴿ وانْتَصَرُوا ﴾ بشعرهم على عدوّهم بأن هجوه ﴿ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ فكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ، جزاء وفاقاً ﴿ وسيعلمُ الذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ
سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

[سورة النمل]



سورة النمل ، سميت بالنمل لاشتمالها على قصة النمل ، الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم ، عن ارتكاب المكاره عمداً . وهي مكية . وآياتها ٩٣ .

[١] ﴿ طسٓ ﴾ تقدم الكلام على معاني الحروف المقطعة في مطلع سورة البقرة ﴿ تلك ﴾ الإشارة إلى نفس السورة ﴿ آياتُ القُرآنِ ، وكتابٍ مبينٍ ﴾ مبين لما تضمنه من الحكم والأحكام والمواعظ .

[٢] ﴿ هُدَى وبُشْرى للمُؤْمِنِينَ ﴾ هو هدى من الضلالة ، وبشرى برحمة الله ورضوانه .

[٣] ﴿ الذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ ، ويؤتونَ الزَّكاةَ ، وهم بالآخرةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي : الهدى والبشرى لمن آمن وذكرت صفاتهم .

[٤] ﴿ إنَّ الذينَ لا يؤمنونَ بالآخرةِ زيَّنَّا لَهُمْ أعمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي : مددنا لهم في غيّهم ، فهم يتيهون في ضلالهم . وكان هذا جزاءً على ما كذّبوا به من الدار الآخرة والجزاء على الأعمال .

[٥] ﴿ أولئك الذينَ لَهُمْ سُوءُ العذابِ وهُمْ في الآخرةِ هُمُ الأخْسَرُونَ ﴾ أي : أشد الناس خسراناً للنجاة وثواب الله .

[٦] ﴿ وإنَّك لتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حكيم عليم ﴾ لَتُؤْتاه وتُلقّنه من عند حكيم في أمره ونهيه ، عليم بالأمور جليّها وخفيها ، فخبره هو الصدق المحض والحكمة البالغة .

[٧] ﴿ إذْ قالَ مُوسَى لأَهْلِهِ ﴾ حين عاد من مدين إلى مصر ، وضلَّ الطريق ﴿ إنّي آنَسْتُ ناراً ﴾ أي : رأيتها ﴿ سآتيكُم منها بخَبَرٍ ﴾ عن الطريق ﴿ أو آتيكم بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ بشعلة مقتبسة ﴿ لعلَّكم تصْطَلُونَ ﴾ أي : تتدفّؤون بها . [٨] ﴿ فلمّا جاءَها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ في النّارِ ومَنْ حَوْلَها ﴾ أي : بورك من في مكان النار ومَنْ حول مكانها ﴿ وسُبْحانَ اللّهِ ربِّ العَالَمِينَ ﴾ . [٩] ﴿ يا مُوسى ، إنَّهُ أنَا اللّهُ العزيزُ الحكيم ﴾ أي : أنا الله لا تلك المعبودات التي عكف عليها قوم فرعون . [١٠] ﴿ وألْقِ عَصاكَ فلمَّا رآهَا ﴾ موسى ﴿ تَهْتَزُّ كأنَّها جَانٌّ ﴾ الجان : هو أسرع أنواع الحيّات حركة واضطراباً ﴿ وَلَّى مُدْبِراً ﴾ أسرع موسى من الخوف ﴿ ولَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يرجع على عقبه من شدة خوفه ، فخاطبه المولى سبحانه ﴿ يا مُوسَى ، لا تَخَفْ ، إنّي لا يخافُ لديَّ المُرْسَلُونَ ﴾ لحفظي لهم وعنايتي بهم وعصمتي إياهم مما يؤذيهم . [١١] ﴿ إلاّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بدَّلَ حُسْناً بعْد سوءٍ فإنِّي غفورٌ رحيمٌ ﴾ فإنهم وإن صدر عنهم شيء من ذلك ، فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ، ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة .

[١٢] ﴿ وأَدْخِلْ يدَكَ في جيبِكَ تخرجْ بيضاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ ﴾ أي : من غير آفة كالبرص ﴿ في تِسْعِ آياتٍ ﴾ غيرها نؤتيك إياها برهاناً ، وهي : ضرب ماء النهر بالعصا فينقلب دماً ، وإصعاد الضفادع على أرض مصر ، وضرب التراب فتمتلىء الأرض قُمَّلاً ، وإرسال الجراد عليهم ، والوباء الشديد ، وإصابة أجسادهم بالقروح والدمامل والبثور ، وإهلاك حصادهم بالبَرَد الشديد ، وتغشيتهم بظلام كثيف . وقيل : هذه المعجزة تخرج آية في تسع آيات ﴿ إلى فرعونَ وقومه ﴾ أي : مُرسلاً بها إليهم ﴿ إنّهم كانُوا قوْماً فاسِقِينَ ﴾ خارجين عن الحدود ، في الكفر والعدوان .

[١٣] ﴿ فلمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ ظاهرة بيّنة ﴿ قَالُوا ﴾ من عنادهم واستكبارهم ﴿ هذا سحرٌ مُبينٌ ﴾ .

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿ **وجَحَـدُوا بِها** ﴾ كـذّبـوا بها بـألسنتهم ﴿ **واسْتَيْقَنَتْـهَا أَنْفُسُهُمْ** ﴾ عرفت أنفسهم أنها آيات يقيناً ، لا سيما عند إلقاء السحرة ساجدين ﴿**ظُلْماً**﴾ للآيات ، بتسميتها سحراً ﴿**وعُلُوّاً**﴾ وتكبراً عن الانقياد لموسى ﴿**فانْظُرْ**﴾ يا محمد ﴿**كيف كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ** ﴾ من إهلاكهم بالإغراق ، لغرقهم في بحر الفساد والإفساد . [وفحوى الخطاب يقول : احذروا أيها المكذبون لمحمد ﷺ الجاحدون لما جاء به من ربه ، أن يصيبكم مـا أصابهم بطريق الأولى والأحرى ، فإن محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى عليه السلام ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ـ ابن كثير] .

[١٥] ﴿ **ولقدْ آتيْنـا داودَ وسُليانَ عِلْماً** ﴾ بالقضاء بين الناس ، وحِكمةً باهرة ﴿ **وقالاَ الحمدُ للّهِ الذي فضَّلنَا على كثيرٍ مِنْ عبادِهِ المُؤْمنينَ** ﴾ .

[١٦] ﴿ **وورِثَ سليانُ داوودَ** ﴾ في العلم والحكمة والنبوة ، أو : المُلْك ﴿ **وقالَ** ﴾ تحدُّثاً بنعمة الله وتنويهاً بمنّته ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمنا مَنطِقَ الطَّيرِ** ﴾ أي : فهم صوته ﴿ **وأُوتينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إنَّ هَـذَا لَـهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ** ﴾البيِّن الظاهر .

[١٧]﴿ **وحُشِرَ لسليمانَ جُنُودُهُ** ﴾ أي : جمع له عساكره ﴿ **مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ يُحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا .

[١٨] ﴿ **حتّى إذَا أَتَـوْا عَلَى وادِ النَّمْلِ ، قالت نملةٌ** ﴾ رأتهم متـوجهين إلى واديها ﴿ **يا أيُّها النملُ ادْخُلُوا مساكِنَكُمْ لا يَحْطِمنَّكُمْ سُلَيْمانُ وجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ بمكانكم . [١٩] ﴿ **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا** ﴾ تَعَجُّباً من حذرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها ، وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة ، فيما بين أصناف المخلوقات ، التي هي أبعدها من إدراك أمثال هذه الأمور ، وابتهاجاً بما خصَّهُ الله تعالى به من إدراك همسها وفهم مرادها ﴿ **وقالَ : ربِّ أوْزِعْني أن أشكُرَ نِعْمَتَكَ الّتي أنْعَمْتَ عليَّ وعلى والِدَيَّ** ﴾ أي : ألْهِمْني شكرَهَا ﴿ **وأَنْ أعملَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وأَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في عبـادِكَ الصَّالحينَ** ﴾ [وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليان بن داود عليهما السلام يستسقي ، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ، ولا غنى بنا عن سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا ، فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم قاله ابن كثير]. [٢٠] ﴿ **وتفقَّدَ الطَّيْرَ ، فقـال مَا ليَ لا أرى الهُدْهُـدَ أمْ كـانَ مِنَ الغائبينَ** ﴾ .

[٢١] ﴿ **لأُعذِّبَنّهُ عَذَاباً شديداً أوْ لأذبحنّـهُ أوْ لَيَأْتِيَنّـي بِسُلْطَانٍ مبينٍ** ﴾ بحُجَّةٍ تبيِّن عُذْرَه . قال ابن كثير : قال سفيان بن عيينة : لما أقدم الهدهد قالت له الطير : ما خلفك فقد نذر سليمان دمك ، فقال : هل استثنى ؟ قالوا : نعم ، قـال ﴿ لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ قال : نجوت إذاً .

[٢٢] ﴿ **فمَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ** ﴾ فلبث غائباً مدة غير طويلة ﴿ **فقالَ** ﴾ الهدهدُ لسليمان ﴿ **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ به ، وجِئتُكَ مِنْ سَبَإٍ** ﴾ المدينة المعروفة ـ في اليمن ـ ﴿ **بِنَبإٍ يقينٍ** ﴾ .

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨ — سجدة

[٢٣] ﴿ إني وجدتُّ امرأةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ تحكمهم ﴿ وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شيءٍ ولها عَـرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي : سرير تجلس عليه ، هائل مزخرف بأنواع الجواهر. [قال الحسن البصري : هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وعن قتادة : كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجـلاً ، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل ، وكانت بأرض يقال لها «مأرب» على ثلاثة أميال من صنعاء ـ ابن كثير].

[٢٤] ﴿ وَجَدْتُهَا وقوْمَهَا يَسْجُدُونَ للشَّمْسِ من دُونِ اللّـهِ وزيَّنَ لهمُ الشيطـانُ أعْمَالَـهُمْ فصدَّهُمْ عنِ السَّبيـلِ فَهُمْ لا يهتـدونَ ﴾ إلى توحيد الله وعبادته ، وهو الجدير بالعبادة سبحانه دون مخلوقاته .

[٢٥] ﴿ ألاَّ يَسْجُدُوا ﴾ أي : هلاَّ يسجدون ، وقيل : لئلا يسجدوا ﴿ للّـهِ الذي يُخرِجُ الخَبْءَ في السَّـمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ أي : يُظهر ما هو مخبوء فيهما من نبات ومعادن وغيرهما ﴿ ويَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وما تُعْلِنُونَ ﴾ .

[٢٦] ﴿ اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ ربُّ العرْشِ العَظِيمِ ﴾ أي : المحيط بالشمس وسائر الكواكب وكل شيء .

[٢٧] ﴿ قالَ ﴾ سليمانُ ﴿ سننظرُ أَصَدَقْتَ أمْ كُنتَ مِنَ الكاذبينَ ﴾ والأصل في كـل اتـهام التحقق .

[٢٨] ﴿ اذهبْ بكتـابي هذا فـألْقِهْ إليهم ثُم تَـولَّ عنهم فانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

[٢٩] ﴿ قَالتْ ﴾ لعلية القوم وأهل المشورة منهم ﴿ يا أيُّها الملأُ ، إنِّي أُلْقيَ إليَّ كتابٌ كـريمٌ ﴾ أي : حسن في مضمونه وأسلوبه .

[٣٠] ﴿ إنَّه من سُلَيْمانَ ، وإنَّهُ بسمِ اللّٰهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ﴾ .

[٣١] ﴿ ألاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أي : لا تتكبروا عليَّ ، وآتوني منقادين لأمري .

[٣٢] ﴿ قالتْ يا أيُّها الملأُ أفْتُوني في أمْري ﴾ أشيروا عليَّ ماذا أصنع ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أمْراً حتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ لا أبتُّ أمراً إلا بمحضركم ومشورتكم ، ولا أستبدُّ بقضاء إلا باستطلاع آرائكم والرجوع إلى استشارتكم .

[٣٣] ﴿ قَالُوا نحنُ أولُو قُوَّةٍ ﴾ في العَدَد والعُدَد ﴿ وأُولُو بأْسٍ شديدٍ ﴾ أي : أصحاب نجدة وبلاء في الحرب ﴿ والأمْـرُ إليكِ فانظُرِي مَاذَا تأْمُرِينَ ﴾ وأمر القتال أو الصلح مفوض إلى رأيك ، فانظري ما هو أبقى لشرفك وملكك .

[٣٤] ﴿ قالتْ ﴾ مشيرة إلى اختيار خطة المسـالمة وإيثارها ، بالنظر لحالتهـا ومركزها وضعفها أمـام عدوّها ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ﴾ أي : عنوة وقهراً ﴿ أفْسَدُوهَا ﴾ خرَّبوها ﴿ وجَعَلُوا أعزَّةَ أهْلِهَا أذلَّـةً ﴾ بالقهر والغلبـة والقتل والأسر ونهب الأموال ﴿ وكذلكَ يفعلونَ ﴾ تأكيد بأن ذلك عادتهم المستمرة .

[٣٥] ﴿ وإنِّي مُرْسِلَةٌ إليهم بهَدِيَّةٍ فنَـاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ﴾ وإني سأرسل إلى سليمان وملئه رسلاً بهدية تُـوجب المحبة وتشبه الانقياد ، من غير اختلال لشرفنا ، ثم أنتظر بأي أمر يرجع المرسلون منه ، حتى أعمل على حسب ذلك .

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿ **فلمَّا جاءَ** ﴾ المرسلون منها بالهدية إلى ﴿ **سُلَيْمانَ ، قالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ فما آتاني اللَّهُ** ﴾ من الملك والحكمة والنبوة ﴿ **خيرٌ مِمَّا آتاكُمْ** ﴾ فلا أبالي بجميع ما عندكم فضلاً عن الهدية ﴿ **بل أنتم بهديَّتِكم تَفْرَحُونَ** ﴾ أي : إذا أُهدي إليكم مثلها ، أو أَهديتم مثلها ، تفرحون استكثاراً أو افتخاراً .

[٣٧] ﴿ **ارْجِعْ إليهم فَلَنَأْتِينَّهُم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ** ﴾ مُهانون .

[٣٨] ﴿ **قالَ** ﴾ سليمانُ عليه السلام ﴿ **يا أَيُّها المَلأُ ، أَيُّكم يأْتيني بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُوني مُسْلِمِينَ** ﴾ .

[٣٩] ﴿ **قالَ عِفريتٌ مِنَ الجِنِّ** ﴾ أي : مارد من الجن ﴿ **أَنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تقومَ مِن مَقامِكَ** ﴾ [عن ابن عباس : يعني قبل أن تقوم من مجلسك - ابن كثير] ﴿ **وإنِّي عليه لقويٌّ أمينٌ** ﴾ .

[٤٠] ﴿ **قالَ الذي عندهُ علمٌ مِنَ الكِتابِ** ﴾ [وهو من رجال سليمان المؤمنين - ابن كثير] ﴿ **أنا آتيكَ بِهِ قبلَ أنْ يرتدَّ إليكَ طَرْفُكَ** ﴾ [أي : ارفع بصرك وانظر فإنه لا يكلّ بصرك إلا وهو حاضر عندك - ابن كثير] ﴿ **فلمَّا رآهُ** ﴾ سليمانُ ﴿ **مُسْتَقِراً عندهُ قال هذا مِنْ فَضْلِ ربِّي لِيَبْلُوَني أأشكُرُ أَمْ أَكْفُرُ** ﴾ أي : ليختبرني أأشكر بالطاعة والعمل بالشريعة ، أم أكفر بالمعصية والمخالفة ﴿ **وَمَنْ شَكَرَ فإنَّما يشكُرُ لِنَفْسِهِ ومَنْ كَفَرَ فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريمٌ** ﴾ فهو غني عن العباد وعبادتهم ، كريم في نفسه وإن لم يعبده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد .

[٤١] ﴿ **قالَ** ﴾ سليمان ﴿ **نكِّرُوا لها عَرْشَها** ﴾ اجعلوه متنكراً متغيراً عن هيئته وشكله ، كما يتنكر الرجل للناس ﴿ **ننظر أتهْتَدي أَمْ تكونُ مِنَ الذينَ لا يَهْتَدُون** ﴾ لمعرفته .

[٤٢] ﴿ **فلمَّا جاءَتْ قيلَ أهكَذا عَرْشُكِ قالتْ كأنَّهُ هُوَ** ﴾ وذلك من رجاحة عقلها ، حيث لم تقطع في المحتمل ، أي : فأتت بـ[كأن] الدالة على غلبة الظن ﴿ **وأُوتينا العلمَ مِنْ قَبْلِها وكُنَّا مُسْلِمِينَ** ﴾ هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام ، شكراً لله على فضلهم عليها ، وسبقهم إلى العلم بالله وبالإسلام .

[٤٣] ﴿ **وَصَدَّها** ﴾ وكان صدها عن الهداية ﴿ **ما كانتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنَّها كانتْ مِنْ قومٍ كافِرِينَ** ﴾ قال مجاهد : هذا من تمام قول سليمان عليه السلام .

[٤٤] ﴿ **قيلَ لها ادْخُلي الصَّرْحَ** ﴾ أي : القصر ، أو صحن الدار ، وكان سليمان عليه السلام اتخذ قصراً بديعاً من زجاج ، فأراد أن يريها منه عظمة ملكه وسلطانه ، ومقدار ما آثره اللَّه به ﴿ **فلمَّا رأَتْهُ** ﴾ أي : صحنه ﴿ **حَسِبَتْهُ لُجَّةً** ﴾ أي : ماء عظيماً ﴿ **وكَشَفَتْ** ﴾ للخوض فيه ﴿ **عَنْ ساقَيْها** ﴾ [قال مجاهد : فإذا هما شعراوان ، فقال : ألا شيء يذهب هذا؟ قالوا : الموسى ، قال : لا ، الموسى له أثر ، فأمر بالنورة فصنعت - ابن جرير] ﴿ **قالَ إنّه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ** ﴾ مُملّس ﴿ **مِنْ قَواريرَ** ﴾ من الزجاج ﴿ **قالتْ : ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي** ﴾ بكفرها السالف وعبادتها وقومها الشمس ﴿ **وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ للَّهِ ربِّ العالَمِينَ** ﴾ أي : متابعة له في دينه وعبادته لله وحده لا شريك له .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٥] ﴿ **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله** ﴾ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ﴿ **فإذا هم فريقان يختصمون** ﴾ أي : فريق مؤمن وفريق كافر يختصمون خصومة لا يرجع فيها المبطل إلى الحق بعد ما تبيّن له .

[٤٦] ﴿ **قال** ﴾ صالحٌ لقومه ثمود ﴿ **يا قوم لِمَ تستعجلونَ بالسيِّئةِ قبلَ الحسنةِ** ﴾ أي : لِمَ تدعون بحضور العقوبة ولا تطلبون من الله رحمته بالإيمان ﴿ **لولا تستغفرونَ اللَّهَ لعلَّكم تُرْحَمُونَ** ﴾ .

[٤٧] ﴿ **قالوا اطَّيَّرنا** ﴾ أي : تشاءمنا ﴿ **بكَ وبِمَنْ مَعَكَ** ﴾ من المؤمنين . وقد كانوا لشقائهم إذا أُصيبوا بسوء قالوا : هذا من قِبَل صالح وصحبه ﴿ **قالَ طائرُكم عندَ اللَّهِ** ﴾ أي : سبيلكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله ، وهو قدره وقسمته ، إن شاء رزقكم وإنْ شاءَ حرمكم ﴿ **بلْ أنتُم قومٌ تُفتَنُونَ** ﴾ أي : مفتونون بضلالكم وكفركم ، لا ترون حسناً إلا ما يوافق هواكم ، ولا شؤماً إلا ما يخالفه .

[٤٨] ﴿ **وكان في المدينةِ تِسعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ في الأَرْضِ ولا يُصْلِحُونَ** ﴾ أي : شأنهم وعادتهم الإفساد .

[٤٩] ﴿ **قالُوا تَقَاسَمُوا باللَّهِ** ﴾ أي : ليحلف كل واحد منكم على موافقة الآخرين ، بالله الذي هو أعظم المعبودين ﴿ **لَنُبيِّتَنَّهُ** ﴾ لنقتلنّه ليلاً ﴿ **وأَهْلَهُ** ﴾ ومن آمن معه ﴿ **ثُمَّ لنقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ** ﴾ أي : الطالب ثأره علينا ﴿ **ما شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ** ﴾ ما حضرنا مكان هلاك الأهل ، مع تفرقهم في الأماكن الكثيرة ، فضلاً عن مكانه ﴿ **وإنَّا لَصادِقُونَ** ﴾ ونحلف إنا لصادقون . [قال مجاهد : تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين . وقال محمد بن إسحاق : قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة : هلمّوا فلنقتل صالحاً ، فإن كان صادقاً عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته . فأتوه ليلاً ليبيّتوه في أهله فدفعتهم الملائكة بالحجارة - ابن كثير] .

[٥٠] ﴿ **ومكرُوا مكْراً** ﴾ بهذه الحيلة ﴿ **وَمَكَرْنَا مكْراً** ﴾ بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ .

[٥١] ﴿ **فانظرْ كيفَ كانَ عاقبةُ مكرِهِمْ أنَّا دمَّرْناهُمْ وقوْمَهُم أجْمَعِينَ** ﴾ .

[٥٢] ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيةً** ﴾ خالية ساقطة ، لم تعمر بعدهم لأنهم استؤصلوا ﴿ **بما ظَلَمُوا ، إنَّ في ذلكَ لآيَةً لقوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ بأنهم ما أُخذوا إلا لظلمهم ، وإن عاقبة الظلم الدمار والبوار .

[٥٣] ﴿ **وأَنْجَيْنا الذينَ آمَنُوا** ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ومن معه ﴿ **وكانُوا يتَّقُونَ** ﴾ [فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم - ابن جرير] .

[٥٤] ﴿ **ولُوطاً إذ قالَ لِقَوْمِهِ أتأْتُونَ الفاحِشَةَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ قبحها ومضادّتها لحكمه تعالى وحكمته .

[٥٥] ﴿ **أَئِنَّكُمْ لتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً منْ دُونِ النِّساءِ** ﴾ متجاوزين النساء اللاتي هن محالّ الشهوة ﴿ **بلْ أَنْتُم قوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ أي : تفعلون فعل الجاهلين سفهاً وعمى عن العاقبة .

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(الحزب ٤٠ ـ الجزء ٣٩)

[٥٦] ﴿ فما كانَ جوابَ قوْمِه إلاَّ أنْ قالُوا أخْرِجُوا آلَ لُـوطٍ ﴾ هو ومن آمن معه ﴿ منْ قرْيتِكُمْ إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطهَّرُونَ ﴾ يتنزهون عن أفعالنا ويرونها رجساً . قالوه استهزاءً .

[٥٧] ﴿ فـأَنْجيناهُ وأهْلَـهُ إلا امـرأتَـهُ قـدَّرناهـا من الغابرينَ ﴾ الباقين في العذاب .

[٥٨] ﴿ وأَمْطَرْنَـا عَلَيْهِم مَطَراً ﴾ هـائلاً غير معهـود ﴿ فساءَ مطرُ المُنْذَرينَ ﴾ الذين قـامت عليهم الحجة ، ووصل إليهم الانذار ، فخـالفوا الـرسول وكـذبوه وهمُّوا بإخراجه من بينهم .

[٥٩] ﴿ قُلِ الحمـدُ للَّـهِ ، وسـلامٌ على عبـادِهِ الـذينَ اصطفى ، آللَّهُ خيرٌ أمَّـا يُشرِكونَ ﴾ أمرَ رسـولَهُ ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته [قال عبد الرحمن بن أسلم : هم الأنبيـاء . وقـال الثـوري والسـديّ : هم أصحـاب محمد ﷺ رضي الله عنهم أجمعين . ولا منافاة ، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى . وروى أبوبكر البزار رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه ﷺ ـ ابن كثير] .

[٦٠] ﴿ أمَّنْ خَلَقَ السَّموٰاتِ والأرْضَ ﴾ أي : بل مَنْ خلق السموات والأرض ، وأودع فيهما من المنـافع ما لا يحصى ﴿ وأنزلَ لكُمْ منَ السماءِ ماءً فأنْبَتْنَـا بِهِ حدائقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي : بسـاتين ذات حسـن ورونق يبهج النظار ﴿ مَا كـانَ لكُمْ أنْ تُنْبِتُوا شَجَـرهَا أإلـهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾ أي : أإلهٌ آخر كـائن مع الله ، الذي هذه بعض أفعاله ، التي لا يكـاد يقدر عليها غيره ، حتى يتوهم جعل شريك لـه تعالى في العبادة ﴿ بل هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ عن طريق الحق ، أو ينحرفون عن عبادته إلى ما سواه .

[٦١] ﴿ أمَّن جَعَلَ الأرْضَ قراراً ﴾ أي : قارّة لا تتكفىء بمن عليهـا ، أو مستقراً لمن عليها ، يتمتعون بمنـافعها ﴿ وجعلَ خِلالَها أنْهاراً ، وجعلَ لَها رواسِيَ ﴾ وهي الجبال ﴿ وجعلَ بينَ البَحْرَيْنِ حاجزاً ﴾ برزخاً مـانعاً من الممازجة ﴿ أإلهٌ مع اللَّهِ ﴾ أي : في الوجـود ، أو في إبداع هـذه البدائع ﴿ بلْ أكثرُهُمْ لا يعلمونَ ﴾ شيئاً من الأشياء ، ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك ، مع كمال ظهوره .

[٦٢] ﴿ أمَّن يجيبُ المضطَـرَّ إذَا دَعَاهُ ﴾ وهو الـذي أحوجـه مرض أو فقـر أو نازلـة من نوازل الـدهر ، إلى اللجـوء والتضرع إلى الله تعالى ﴿ ويكشِفُ السُّوءَ ﴾ أي : كل ما يسوءه مما يضطر فيه وغيره ﴿ ويَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ ﴾ أي : خلفاء فيها ، وذلك توارثهم سكنـاهم ، والتصرف فيها قرناً بعد قرن ، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ﴿ أإلهٌ معَ اللَّهِ قليلاً ما تذكَّرونَ ﴾ .

[٦٣] ﴿ أمَّن يَهْدِيكم في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ ﴾ بالنجوم في السماء ، والعلامـات في الأرض ، إذا جن الليل عليكم مسافـرين في البر والبحر ﴿ وَمَن يُرْسِلُ الرياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ وهي المطر ﴿ أإلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالى اللَّهُ عما يُشْرِكُونَ ﴾ .

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٦٤] ﴿ **أَمَّن يَبْدَأُ الخلقَ ثُمَّ يعيدُه** ﴾ بعد الموت بالبعث ﴿ **وَمَنْ يَرْزُقُكُم منَ السَّماءِ والأرْضِ** ﴾ مما ينزله من مائها وما يخرجه من نباتها ﴿ **أَإِلهٌ معَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهَانَكُمْ إن كُنْتُم صَادِقِينَ** ﴾ أمرٌ له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم إثر تبكيت . أي : هـاتوا برهـاناً عقلياً أو نقلياً ، يدل على أن معه تعالى إلهاً .

[٦٥] ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ من في السَّـمٰواتِ والأرضِ الغيبَ إلاَّ اللَّهُ** ﴾ فإنه المتفرد بذلك وحده ﴿ **وما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ أي : متى يُنشرون بالبعث أحياءً للحساب .

[٦٦] ﴿ **بلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ في الآخِـرَةِ** ﴾ ادَّارك : بلغ وانتهى . والاستفهـام على وجه الإنكـار لإدراك علمهم بها ، وأنهم لم يبرحوا في حضيض الجهالة بحقيتها ، مع ما يتلى عليهم من أدلـة ثبوتها ﴿ **بل هُمْ في شَكٍّ مِنْهَـا ، بلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ** ﴾ في عماية وجهل كبير .

[٦٧] ﴿ **وقالَ الـذينَ كفروا** ﴾ بوعـد الله وآياتـه وعلمه وقدرته وحكمته ﴿ **أإذا كُنَّا تُراباً وآبَآؤُنـا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ** ﴾ من القبور .

[٦٨] ﴿ **لقدْ وُعِدْنَا هذَا نحنُ وآباؤُنا من قَبْلُ ، إنْ هذا إلاَّ أسـاطيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾ أي : أحاديثهم وأكـاذيبهم التي سطرها الأولون بعبارة مموّهة .

[٦٩] ﴿ **قُلْ : سِيرُوا في الأَرْضِ** ﴾ لتبصروا آثار القائلين هـذا القـول قبلكم ﴿ **فـانظُـرُوا كيفَ كـانَ عـاقبـةُ المُجْرِمِينَ** ﴾ وهي دمارهم وهلاكهم بالاستئصال .

[٧٠] ﴿ **ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِـــمْ** ﴾ أي : على قـولهم وتكذيبهم ، فإنه سيكون لك من المصدقين من لا يبالي معهم بهؤلاء ﴿ **ولا تكُنْ في ضيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ أي : في حرج صدرٍ من مكرهم وكيدهم لك ، ولا تبال بذلك ، فإن الله يعصمك من الناس .

[٧١] ﴿ **ويقولونَ متى هذا الوَعْدُ** ﴾ بالعذاب ﴿ **إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ** ﴾ .

[٧٢] ﴿ **قُلْ عسَى أن يكونَ رَدِفَ لكُم** ﴾ أي : لحقكُم أو دَنَا لكم ﴿ **بعضُ الذي تستعجلونَ** ﴾ من العذاب . فحصل لهم القتل ببـدر ، ولعذاب الآخرة أمرٌ . ولعلَّ ، وعسى ، وسوف ، في وعد الملوك ووعيدهم ، يدل على صدق الأمر وجدّه ، وما لا مجال للشك بعده .

[٧٣] ﴿ **وإنّ ربَّكَ لذو فَضْلٍ على النَّاسِ ولكـنَّ أكثرَهُمْ لاَ يشكُرُونَ** ﴾ أي : لذو إفضـال وإنعام عليهم ، بتأخير العقوبة وعـدم معاجلتهم بها ، ولكن أكثرهـم لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه ، بل بجهلهم يستعجلونها .

[٧٤] ﴿ **وإنَّ ربَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُـكِنُّ صُـدُورُهُمْ** ﴾ ما تُخفي ﴿ **وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾ من عداوة رسوله ونصب المكايد له ، وهو معاقبهم على ذلك .

[٧٥] ﴿ **وما منْ غـائِبَةٍ في السَّماءِ والأرضِ إلاَّ في كتابٍ مبينٍ** ﴾ أي : وما من خـافية فيهما ، إلا وقد علمها الله وأحـاط بها وأثبتها في اللوح البيّن . أو المراد بالكتاب القضاء العدل ، على طريق الاستعارة ، بتشبيهه بالكتاب الجامع للوقائع ، كالسجل .

[٧٦] ﴿ **إنَّ هذَا القرآنَ يقُصُّ على بني إسرائيل أكثَـرَ الذي هُمْ فيـهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ فهو مصـدق لما بين يديـه ، ومهيمن عليه ، يقص القصص الحق ، ويفصل بين ما اختلفوا فيه بالصدق .

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿ وإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بما فيه من إقامة الدلائل ورفع الشبه التي يعقلها المؤمنون المنصفون المصدقون بالحق ، المذعنون له .

[٧٨] ﴿ إنّ ربَّكَ يَقْضي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ﴾ يقضي بين مَنْ آمن بالقرآن ومن كفر به ، بعدله وحكمته ﴿ وهُوَ العزيزُ ﴾ فلا يردّ قضاؤه الغالب في انتقامه من المبطلين ﴿ العليمُ ﴾ بالفصل بينهم وبين المحقّين .

ربع الحزب ٣٩

[٧٩] ﴿ فتوكَّلْ على اللَّهِ إنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبينِ ﴾ الأبلج الذي لا ريب فيه .

[٨٠] ﴿ إنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى ﴾ شُبِّهوا بالموتى لانتفاء جدوى السماع ، كحال الموتى ﴿ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون .

[٨١] ﴿ ومَا أنتَ بهادي العُمْيِ عنْ ضَلالَتِهِمْ ﴾ وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحدٌ أن ينزع ذلك عنهم ، وأن يجعلهم هداة بصراء ، إلا الله عزوجل ﴿ إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فإنهم منقادون للحق . وقيل : معناه : مخلصون .

[٨٢] ﴿ وإذَا وقعَ القَوْلُ عليهمْ أخْرَجْنَا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النَّاسَ كانوا بآياتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ والمعنى إذا قامت القيامة بعث الله نوعاً مخصوصاً من دواب هذه الأرض ، كما يبعث غيره من أنواع الدواب الأخرى ، وينطقه فيوبخ الإنسان على كفره ، كما ينطق أعضاءه في ذلك اليوم أيضاً . قال : فليس المراد من قوله ﴿ دابَّةً ﴾ الفرد ، بل النوع .

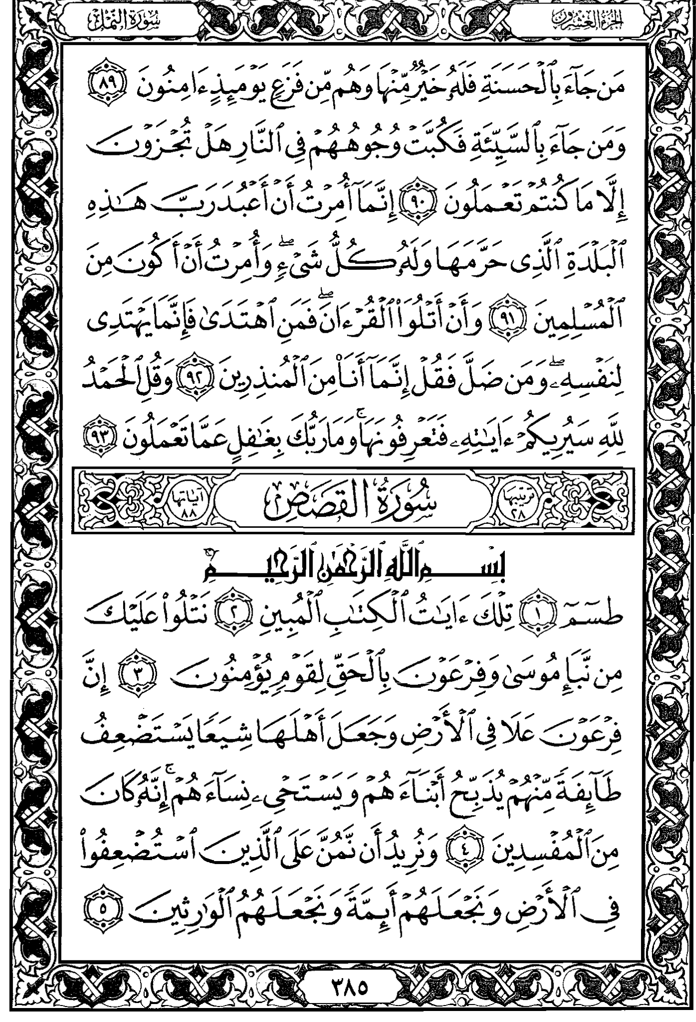
[٨٣] ﴿ ويوْمَ نَحْشُرُ من كُلِّ أُمَّةٍ فوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي : يُحبس أولهم على آخرهم ، حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار . وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه . والفوج : الجماعة الكثيرة .

[٨٤] ﴿ حتَّى إذَا جاؤوا ﴾ إلى المحشر ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه ليفضحهم في هذا اليوم المشهود ﴿ أكذَّبتُم بآياتي ﴾ الناطقة بلقاء يومكم هذا ﴿ ولَمْ تُحِيطُوا بها عِلْماً ﴾ غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها ، وأنها حقيقة بالتصديق حتماً ؟ ﴿ أمَّاذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بها . أو ماذا كان عملكم ؟ هل هو إلا الفساد والإفساد ؟ وصد السبيل عن العباد ؟ ولذا حقت كلمة العذاب عليهم .

[٨٥] ﴿ وَوَقَعَ القَوْلُ ﴾ أي : مدلوله وهو العقاب الموعودون به ﴿ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ فَهُمْ لاَ يَنْطِقُونَ ﴾ .

[٨٦] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنوا فيهِ والنَّهارَ مُبْصِراً ﴾ ليبصروا ، بما فيه من الإضاءة ، طرق التقلب في أمور المعاش ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٨٧] ﴿ ويوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ مَن في السَّمواتِ ومَنْ في الأرضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وكُلٌّ أتَوْهُ ﴾ أي : حضروا الموقف بين يديه ﴿ داخرينَ ﴾ صاغرين . [٨٨] ﴿ وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جامِدَةً ﴾ ثابتة في أماكنها ﴿ وهي تمرُّ مرَّ السَّحَابِ ﴾ في تخلل أجزائها وانتفاشها ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، إنَّهُ خَبيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه .



[٨٩] ﴿ مَنْ جاءَ بالحسنةِ فلهُ خيرٌ منها وهمْ من فَزَعٍ يومئذٍ آمنون ﴾ لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل .

[٩٠] ﴿ ومَنْ جاءَ بالسيِّئَةِ فكُبَّتْ وجوهُهُم في النّارِ ، هل تُجْزَوْنَ إلا ما كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك والمعاصي .

[٩١] ﴿ إنَّما أُمِرْتُ أنْ أعْبُدَ ربَّ هذهِ البَلْدَةِ ﴾ أي : مكة ﴿ الذي حرَّمَها ﴾ جعلها حرماً آمناً لا يُسفك فيها دم ، ولا يُظلم فيها أحد ولا يُصادُ صيدُها ولا يُختلى خلاها . وفيه تعريض بجحدهم نعمته تعالى في ذلك ، حيث آمنهم من خوف ، وأجلَّهم في أعين القبائل ، ووقاهم من الفتن المنتشرة عند غيرهم ، إجلالاً لهذا البيت . وهم لم يراعوا هذه النعمة بالقيام بواجب شكرها ، من عبادته تعالى وحده ، وسعيهم بالاصلاح ﴿ ولَهُ كُلُّ شيْءٍ ﴾ فهو خالق كل شيء ومليكه ﴿ وأُمِرْتُ أن أكونَ منَ المُسْلِمِينَ ﴾ أي : ممن أسلم وجهه لله ، لا لغيره .

[٩٢] ﴿ وأنْ أتلُوَ القرآنَ ﴾ عليكم ، تلاوة الدعوة إلى الإيمان به ، لما اشتمل عليه من سعادة الدارين ﴿ فَمنِ اهْتَدَى فإنّما يَهْتَدِي لنفسِهِ، ومَنْ ضلَّ فَقُلْ : إنَّما أنَا مِنَ الْمُنْذِرينَ ﴾ وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

[٩٣] ﴿ وقُلِ الحمدُ للّهِ ﴾ على ما هدانا لهذا الدين ، ومنَّ علينا بصراطه المستقيم ﴿ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها ، ومَا رَبُّكَ بغافِلٍ عمّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك والتكذيب ونصب المكايد ، بل هو شهيد رقيب .

[سورة القصص]

سميت بالقصص لاشتمالها على قوله تعالى ﴿ فلمّا جاءَهُ وقصَّ عليهِ القَصَصَ ﴾ وهي مكيّة . وقيل إلا الآيات ٥٢ ـ ٥٥ ، و٨٥ فمدنية . وآياتها ثمان وثمانون .

[١] ﴿ طسَمَ ﴾ تُقرأ : طا . سين . ميم . تقدم الكلام على هذه الحروف في أول سورة البقرة .

[٢] ﴿ تلكَ ﴾ الآيات ﴿ آياتُ الكتابِ المُبِينِ ﴾ المظهر للحق .

[٣] ﴿ نَتْلُوا عليكَ مِنْ نبأ موسى وفرعونَ بالحقِّ لقوم يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : نقرأ عليك ، بواسطة الروح الأمين ـ جبريل ـ تلاوة ملتبسة بالحق .

[٤] ﴿ إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ في الأرْضِ ﴾ تكبَّر وتجاوز الحد في الطغيان ، في أرض مصر ﴿ وجعلَ أهْلَهَا شِيَعاً ﴾ فرقاً وأصنافاً في استخدامه وطاعته ﴿ يَسْتَضْعِفُ طائفةً مِنْهُمْ ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿ يُذَبِّحُ أبْنَاءَهُمْ ويستحيي نساءَهم ﴾ وذلك إماتة لرجالهم ، وتقليلاً لعددهم ، كيلا يكثروا فينازعوه الملك ﴿ إنَّهُ كانَ منَ المُفْسدينَ ﴾ المتمكنين في الإفساد وقهر العباد .

[٥] ﴿ ونريدُ أن نَمُنَّ ﴾ أي : نتفضَّل ﴿ على الذينَ استُضْعِفُوا في الأرْضِ ونجعَلَهُمْ أئمّةً ﴾ يُقتدى بهم في الدين بعد أن كانوا أتباعاً مُسخّرين ﴿ ونجْعَلَهُمُ الوارثِينَ ﴾ لمُلْكِ عدوِّهم .

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

[٦] ﴿ ونمكّنَ لَهُمْ في الأرْضِ ﴾ بالتصرف فيها تصرف الملوك ﴿ ونُريَ فِرْعَوْنَ وهامَانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ﴾ أي : من أولئك المستضعفين ﴿ مَا كانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ من هلاكهم وذهاب ملكهم ، جزاء إفسادهم وعدم إصلاحهم وطغيانهم .

[٧] ﴿ وأوْحَيْنَا إلى أمِّ مُوسىٰ ﴾ إثرَ ولادته في تلك الشدّة [قال قتادة : قذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة ـ ابن جرير] ﴿ أنْ أرْضِعِيهِ ، فإذا خِفْتِ عليه ﴾ من جنود فرعون الذين يقتلون أولاد بني إسرائيل ﴿ فألْقيهِ في اليمِّ ﴾ أي : في البحر ، وهو النيل ﴿ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليكِ وَجَاعلُوهُ منَ المُرْسَلِينَ ﴾ . [قال ابن جرير: يقول: إنا رادوا ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه ، وباعثوه رسولاً إلى من تخافينه على أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه] .

[٨] ﴿ فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ليكونَ لَهُمْ عَدُوّاً وحَزَناً ﴾ في هلاكهم على يديه [قال ابن اسحق : فالتقطه آل فرعون ظناً منهم أنهم محسنون الى أنفسهم ليكون قرة عين لهم ، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه ـ ابن جرير] ﴿ إنَّ فرعَوْنَ وهَامانَ وجنودَهُما كانوا خَاطئينَ ﴾ أي : مجرمين فعاقبهم الله بأن رُبِّيَ عدوّهم ، ومن هو سبب هلاكهم ، على أيديهم .

نصف الحزب ٣٩

[٩] ﴿ وقالتِ امرأةُ فِرْعَوْنَ ﴾ لفرعون ، حين أخرجته من التابوت ﴿ قُرّةُ عينٍ لي ولكَ ، لا تَقْتُلُوهُ عسى أنْ ينفعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ ولداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ بما سيكون .

[١٠] ﴿ وأصبحَ فؤادُ أمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾ لما دهمها من فرط الجزع ، وأطار عقلها من الدهش ، لما بلغها وقوعه في يد فرعون ﴿ إن كادت لَتُبْدي بِهِ ﴾ أي : بأمره وقصته ، وأنه ولدها ﴿ لوْلا أنْ رَبَطْنا على قلبها لِتكُونَ منَ المُؤْمنينَ ﴾ أي : لولا أن ألهمناها الصبر . ومعنى ﴿ من المؤمنين ﴾ أي المصدّقين بوعد الله ، وهو قوله : ﴿ إنا رادّوهُ إليكِ ﴾ .

[١١] ﴿ وقالتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ اتّبعي أثره لتنالي خبره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عن جُنُبٍ ﴾ عن بُعد ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها تتعرف حاله .

[١٢] ﴿ وحرّمْنَا عليهِ المراضِعَ ﴾ جمع مُرْضِع : وهي المرأة التي تُرضع ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل قصِّها أثره ﴿ فقالتْ : هلْ أدُلُّكُم على أهْلِ بيْتٍ يَكْفُلُونَه لكم ، وهُمْ لهُ ناصحون ﴾ في رضاعه وتربيته . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها ، وقالوا لها : وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها ، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به على أمه ، فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة الملك ، فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ـ ابن كثير] .

[١٣] ﴿ فرددناه إلى أُمِّه كيْ تقرَّ عَيْنُهَا ﴾ برؤيته ﴿ ولا تَحْزَنَ ﴾ بفراقه ﴿ وَلِتَعْلَمَ أنّ وَعْدَ اللّهِ حقٌّ ولكنَّ أكثَرَهُمْ لا يعلمونَ ﴾ .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

[١٤] ﴿ ولمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ أي : كمال قوته ﴿ واستوى ﴾ واعتدل مزاجه ﴿ آتيناهُ حُكْماً وعِلْماً وكذلِكَ نجزي المُحْسِنِينَ ﴾ في أعمالهم .

[١٥] ﴿ ودخلَ المدينَةَ ﴾ أي : مصر ، آتياً من قصر فرعون ﴿ على حينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ قيل وقت القيلولة ، وقيل بين العشاءين ﴿ فوجدَ فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ﴾ أي : يتنازعان ﴿ هذا ﴾ أحدهما ﴿ مِنْ شِيعَتِه ﴾ ممن يشايعه على دينه ، وهم بنو إسرائيل ﴿ وهذا ﴾ والآخر ﴿ مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ ممن يخالفه في دينه ، وهم القبط ﴿ فاستغاثه ﴾ فسأله العون ﴿ الذي من شِيعَتِه ﴾ لكونه مظلوماً ﴿ على الذي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ لكونه ظالماً ، وإغاثة المظلوم واجبة ﴿ فَوَكَزَهُ موسىٰ ﴾ ضربه بجُمع كفّه ﴿ فقضى عليه ﴾ فقتله ﴿ قالَ هذَا مِنْ عَمَلِ الشيطانِ إنّه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ يشير إلى تأسفه على ما أفضى وَكْزُه ، من قتله ، وسمّاه ظُلماً واستغفر منه بالنسبة إلى مقامه .

[١٦] ﴿ قالَ ربِّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسي ﴾ بقتله ﴿ فاغفِرْ لي فَغَفر لَهُ إنَّهُ هو الغَفُورُ الرَّحيمُ ﴾ .

[١٧] ﴿ قالَ ربِّ بما أَنْعَمْتَ عليَّ فلنْ أكُونَ ظهيراً للمجرمين ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابُه محذوف . أي : أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة ، لأتوبنّ ولا أظاهر المجرمين . وأن يكون استعطافاً كأنه قال : رب ! اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة ، فلن أكون ، إن عصمتني ، ظهيراً ـ مصاحباً ومواليًا ـ للمجرمين ـ وهم فرعون وملته أو من تؤدي مظاهرته إلى الإثم كالإسرائيلي الذي نصره ـ لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده . ويُروى أنه يُقال يوم القيامة : أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة ، أو برى لهم قلماً ، فيجعلون في تابوت من حديد ويلقى بهم في النار .

[١٨] ﴿ فأصبحَ في المدينةِ خائفاً يترقَّبُ ﴾ انتقام أهل القتيل المصري ، أو مطاردة الشرطة له ﴿ فإذا الذي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ ﴾ أي : استعانه فقتل القبطيَّ من أجله ﴿ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ يستغيثه من قبطيّ آخر ﴿ قالَ له مُوسَى : إنَّكَ لَغَوِيٌّ مبينٌ ﴾ أي : بمخاصمتك الناس مع عجزك ، وجرّك إليهم ما لا تُحمد عقباه .

[١٩] ﴿ فلمَّا أَنْ أرادَ أَنْ يَبْطِشَ بالَّذي هُوَ عدوٌّ لَهُمَا ﴾ أي : لموسى وللإسرائيلي ﴿ قالَ ﴾ ذلك العدوّ وهو القبطيّ ، لا الإسرائيلي كما وُهِم ﴿ يا موسى أتريدُ أنْ تَقْتُلَني كما قتلْتَ نفساً بالأمْسِ ، إنْ تُريدُ إلاّ أنْ تَكُونَ جبّاراً في الأرْضِ ﴾ وهو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم ، لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن ﴿ وما تُريدُ أنْ تكونَ منَ المُصْلِحِينَ ﴾ بين النّاس بالقول والفعل .

[٢٠] ﴿ وجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المدينَةِ يَسْعىٰ ﴾ يسرع لفرط حبه لموسى ﴿ قالَ يا مُوسى إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ أي : يتشاورون بسببك ﴿ لِيَقْتُلُوكَ ، فاخْرُجْ ﴾ من حدّ مملكتهم ﴿ إنّي لكَ منَ النّاصِحِينَ ﴾ .

[٢١] ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خائفاً يترقَّبُ ﴾ لحوق الطالبين ﴿ قالَ ربِّ نجّني منَ القَوْمِ الظّالمينَ ﴾ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿ ولمَّا توجَّهَ ﴾ أي : جعل وجهه ﴿ تلقاءَ مَدْينَ ، قَالَ عَسَى ربي أنْ يَهْدِيَني سواءَ السَّبيلِ ﴾ فلا يلحقني فيه الطَّالبون .

[٢٣] ﴿ ولمَّا وردَ ماءَ مَدْينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾ أي : جماعة ﴿ منَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم ﴿ وَوَجَد منْ دُونِهِمُ امْرأَتَيْنِ تَذُودانِ ﴾ تمنعان مواشيهما عن الماء ، لوجود من هو أقوى منهما عنده ، فلا تتمكنان من السقي ﴿ قالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ما شأنكما في الذود ﴿ قالتا لا نسقي حتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ ﴾ أي : عادتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء ، عجزاً عن مساجلتهم ، وحذراً من مخالطة الرجال ﴿ وأبُونَا شيخٌ كبيرٌ ﴾ فيعجز عن الخروج والسقي .

[٢٤] ﴿ فسقى لَهُمَا ﴾ غنمهما ، لأجلهما من غير أجر ﴿ ثمَّ تَوَلَّى إلى الظِّلِّ ﴾ الذي كان هناك ، من شدَّة الحرّ ﴿ فقالَ : ربِّ إنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إليَّ منْ خَيْرٍ فقيرٌ ﴾ أي : محتاج ، والخير أعم من المال أو القوة أو الطعام . [روى عمر بن ميمون الأودي رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، قال : فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان قال : ما خطبكما ؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم ـ ابن كثير] .

[٢٥] ﴿ فجاءَتْهُ إحداهُمَا تَمْشِي على اسْتِحْياءٍ ﴾ ، [قال ابن اسحق : رجعتا إلى أبيهما في ساعة لا ترجعان فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما فأخبرتاه الخبر ، فقال لإحداهما : عجلي عليّ به ، فأتته على استحياء ـ ابن جرير] ﴿قالتْ : إنَّ أبي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أجْرَ ما سَقَيْتَ لنا﴾ [فقام معها ، فقال لها : أمشي أمامك فإنّا لا ننظر إلى أدبار النساء] ﴿ فَلَمَّا جاءَهُ وقَصَّ عليهِ القَصَصَ ﴾ أي : أخبره بجميع ما جرى عليه إلى خروجه لَمَّا تآمروا بقتله ﴿ قالَ : لا تخفْ ، نَجَوْتَ منَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ بالخروج من بلادهم ، إذ لا سلطان لهم بأرضنا .

[٢٦] ﴿ قالتْ إحداهُمَا : يا أَبَتِ استأجِرْه ﴾ اجعله أجيرك لیرعی غنمك ﴿ إنَّ خَيْرَ مِنِ اسْتَأْجَرْتَ القويُّ الأمينُ ﴾ القويّ على العمل المؤتمن فيه [وذلك : لما رأت من قوته وقوله لها ما قال : أن امشي خلفي لئلا يرى منها شيئاً مما يكره ، فزاده ذلك رغبة فيه ـ ابن جرير عن ابن إسحق] .

[٢٧] ﴿ قالَ : إنِّي أريدُ ﴾ لقوتك وأمانتك ﴿ أنْ أُنكِحَكَ ﴾ أزوّجك ﴿ إحدى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ على أنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ ﴾ على أن يكون مهرها رعاية مواشيَّ ثمانيَ سنين ﴿ فإنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فمنْ عِندِكَ ﴾ فهو إليك بطريق التفضيل ﴿ ومَا أريدُ أنْ أَشُقَّ عليكَ ﴾ بإلزام أتم الأجلين و إيجابه ﴿ ستجدُني إنْ شاءَ اللَّهُ من الصَّالحينَ ﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد .

[٢٨] ﴿ قالَ ﴾ أي موسى ﴿ذلِكَ بيني وبيْنَكَ ﴾ ذاك الذي عاهدتني عليه ، لا نخرج عنه جميعاً ﴿ أيَّمَا الأَجَلَيْنِ قضيتُ ﴾ أي : أتممت ﴿ فلا عُدْوانَ عليَّ ﴾ بطلب الزيادة على ثمان ، أو الخروج بالأهل قبل إتمام عشر سنين ﴿ واللَّهُ على ما نقولُ وكيلٌ ﴾ أي : شاهد وحفيظ .

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٩

[٢٩] ﴿ **فلمَّا قضى** ﴾ فلما أتم ﴿ **موسى الأجلَ** ﴾ وهو الوقت المحدد بينهما [عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (سألت جبرائيل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما) - ابن جرير] ﴿ **وسارَ بأهْلِهِ آنسَ** ﴾ أبصر من بعيد ﴿ **مِنْ جانبِ الطُّورِ** ﴾ الجبل ﴿ **ناراً ، قالَ لأهْلِهِ امْكُثُوا إنِّي آنسْتُ ناراً لعلِّي آتيكُم منْهَا بخبرٍ** ﴾ من الطريق ﴿ **أوْ جَذْوَةٍ** ﴾ عود فيه شيء ﴿ **من النَّارِ لعلَّكم تَصْطَلُونَ** ﴾ أي: تستدفئون.

[٣٠] ﴿ **فلَمَّا أتاها** ﴾ فلما قرب منها ﴿ **نُودِيَ من شاطىءِ** ﴾ من جانب ﴿ **الوادِ الأيمَنِ** ﴾ [عن مجاهد قال: من شق الوادي عن يمين موسى - ابن جرير] ﴿ **في البقعة المباركة** ﴾ التي بورك مكانها بالتجلي الإلهي ﴿ **منَ الشَّجرةِ** ﴾ [قال قتادة: نودي من عند الشجرة] ﴿ **أنْ يا مُوسَىٰ إنِّي أنا اللَّهُ ربُّ العالمينَ** ﴾ .

[٣١] ﴿ **وأنْ ألْقِ عصَاكَ فلمَّا رآها تهْتَزُّ** ﴾ تتحرك ﴿ **كأنَّها جَانٌّ** ﴾ حية صغيرة ، في سرعة الحركة ﴿ **ولَّى مُدْبراً** ﴾ أعرض بوجهه عنها ، جاعلاً ظهره إليها ﴿ **ولم يُعَقِّبْ** ﴾ ولم يرجع ﴿ **يا مُوسَى ، أقْبِلْ ولا تخفْ إنَّكَ منَ الآمنين** ﴾ من المخاوف .

[٣٢] ﴿ **اسْلُكْ يدَكَ في جيبكَ** ﴾ أي: أدخلها فيه ﴿ **تخْرُجْ بيضاءَ من غيرِ سُوءٍ** ﴾ من غير عيب كالمرض ﴿ **واضْمُمْ إليكَ جناحَكَ** ﴾ أي يدك ﴿ **منَ الرَّهْبِ** ﴾ من الخوف . والظاهر أنه أمر عليه السلام ، إذا خاف من شيء ، أن يضم إليه يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف ، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يجده ﴿ **فَذَانِكَ** ﴾ إشارة إلى العصا واليد ﴿ **بُرْهَانَانِ من رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، إنَّهُمْ كانُوا قوماً فاسقينَ** ﴾ [عن مجاهد رحمه الله قال: كان موسى عليه السلام قد ملىء قلبه رعباً من فرعون ، فكان إذا رآه قال: إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من شره . فنزع الله ما كان في قلب موسى عليه السلام وجعله في قلب فرعون - ابن كثير] .

[٣٣] ﴿ **قالَ** ﴾ موسى ﴿ **ربِّ إنِّي قتلتُ منهُمْ نفْساً فأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ** ﴾ .

[٣٤] ﴿ **وأخي هارُونُ هُوَ أفْصَحُ منِّي لساناً** ﴾ فيكون أحسنَ بياناً ﴿ **فأَرْسِلْهُ معيَ رِدْءاً** ﴾ أي: معيناً ﴿ **يُصَدِّقُني** ﴾ لنشاط قلبي ﴿ **إنِّي أخافُ أن يكذِّبونِ** ﴾ أن يتفقوا على تكذيبي المؤدي إلى أنواع الأذيات .

[٣٥] ﴿ **قالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيكَ** ﴾ أي: سنقويك به . والشَّدُّ: التقوية . والعَضُدُ من اليد معروف . شبّه حال موسى في تقويته بأخيه عليهما السلام ، بحال اليد في تقويتها بيد شديدة ﴿ **ونَجْعَلُ لكُمَا سُلْطَاناً** ﴾ أي: غلبة ومهابة في قلوبهم أو حجة ﴿ **فلا يَصِلُونَ إليْكُمَا** ﴾ بإيذاء ﴿ **بآياتِنَا** ﴾ أي: اذهبا بآياتنا . أو هي متعلق بـ ﴿ نجعل ﴾ أي: نسلطكما بها أو بمعنى لا يَصِلُون: أي: تمتنعون منهم بها ﴿ **أنتُما ومَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ** ﴾ أي: الغالبون عليهم ، وإن غلبوكم وغلبوا العالمين قبلكم .

فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي
الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿ **فلمَّا جاءَهم مُوسَى بـآياتِنا بيِّناتٍ قالـوا ما هذا إلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً** ﴾ أي : مبتدَعٌ لم يسبـق له نظير ، أو تفتريـه على الله بنسبته لـه ، وأنت تعلمتـه من غيرك . فـالافتراء بمعنى الاختـلاق أو الكـذب ﴿ **وَمَا سَمِعْنَا بهذَا** ﴾ السحـر ، أو ادعـاء النبـوّة ، أو بأن للعـالم إلهاً يرسل الرسل بالآيات ﴿ **في آبائِنَا الأوّلِينَ** ﴾ أي : كائناً في أيامهم .

[٣٧] ﴿ **وقـالَ مُوسَى ربِّي أعْلمُ بمـن جاءَ بـالهُدى مِنْ عندِه ومَنْ تكُونُ لـهُ عاقبةُ الدَّارِ** ﴾ معناه : كفـى دليلاً على كونها آيات ، أنها خوارق لم يسبق لها نظير . . والمراد بـ[الدار : الدنيا . وعاقبتُهـا وعقباها : أن يُختم للعبدِ بالرحمة والـرضوان] ﴿ **إنَّـهُ لا يُفلـحُ الظَّالمونَ** ﴾ بالدنيا وإن وجدوا بعـض مقاصدهـم ، فلا يفوزون بـالعقبى الحميـدة ، وإنما غـايـة أمرهـم انقطـاع أثرهم وسوء ذكرهم .

[٣٨] ﴿ **وقالَ فرعـونُ : يا أيُّها الملأُ ما علمتُ لكُم منْ إلـهٍ غيري** ﴾ يعني أنـه جمع قـومـه ونـادى فيهم معلنـاً بذلك ، فانْتُقِـمَ منه بما جعله عبرةً لمن اعتبر ﴿ **فأوْقدْ لي يـا هامـانُ على الطّينِ** ﴾ أي : نـاراً فأتخذْ منـه آجـرّاً ، وهامان : وزيره ومدبّر رعيته ﴿ **فاجْعَلْ لي** ﴾ من الآجرّ ﴿ **صَرْحاً** ﴾ أي : قصراً رفيعـاً إلى السماء ﴿ **لعلّي أطَّلِـعُ إلى إلـهِ مُوسَى** ﴾ يعني العليَّ الأعلى تبارك وتعالى ﴿ **وإنّي لأظُـنُّـهُ** ﴾ أي مـوسى ﴿ **منَ الكـاذِبِينَ** ﴾ في دعـواه الألوهية والعلوّ لبارىء الأرض والسموات .

[٣٩] ﴿ **واستكبرَ هوَ** ﴾ بـدعوى الألـوهية لنفسـه ، ونفيها عن الله تعالى ، وقصـد الاطلاع إلى الله سبحانه ، وادعاء العلم الكليّ لنفسه مع جهلـه بربه ﴿ **وجنودُه في الأرْضِ بغيرِ الحقِّ** ﴾ بل بالفساد وردّ الحق ، والصدّ عن سبيل الله ﴿ **وظنُّـوا أنّـهُمْ إليْنَا لا يُرْجَعُونَ** ﴾ .

[٤٠] ﴿ **فَـأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَه فَـنَبَذْنَاهُم في اليَمِّ** ﴾ أغرقناهم في البحـر ، بحسب ما هو مشهور في قصـة إنقاذ موسى وإغراق فـرعون وجنوده ﴿ **فَانْظُر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ . [قال ابن جـريـر: فإنا كذلك بـك وبمن آمن معك وصدقك فاعلون. مخوِّلـوك وإياهم ديار من كـذبك وردّ عليك ما أتيتهم به من الحق، وأموالهم، ومهلكوهم قتلاً بالسيف، سنة الله في الذين خلوا من قبل] .

[٤١] ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أئمَّةً** ﴾ رؤساء في الشرك ﴿ **يدْعُونَ إلى النَّارِ ، ويومَ القيامَةِ لا يُـنْصَرُونَ** ﴾ .

[٤٢] ﴿ **وأتْبَعْنَاهُمْ في هذِهِ الدُّنْيَا لعنةً** ﴾ يلعنهم كل مؤمن يسمعهم ﴿ **ويومَ القيامةِ هُمْ منَ المَقْبوحينَ** ﴾ من المطرودين ، المُبْعَدين .

[٤٣] ﴿ **ولقدْ آتَـيْنَا مُوسَى الكِتَابَ** ﴾ وهو التوراة ﴿ **منْ بعدِ مـا أهْلَـكْنَا القُرُونَ الأُولى** ﴾ الأمم السابقة ﴿ **بَصَائِـرَ للنَّاسِ** ﴾ أي : أنواراً للقلوب ﴿ **وهُدىً** ﴾ إلى الاعتقادات الصحيحة ودلائلها ﴿ **وَرَحْمَـةً** ﴾ بالإرشاد إلى العمل الصالح ﴿ **لعلَّهُمْ يتذكَّرُونَ** ﴾ فيتعظون به ويهتـدون بسببه . [روى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ما أهلكَ الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزل التوراة على وجه الأرض، غير أهل القرية الذين مُسخوا قردة بعد موسى عليه السلام، ثـم قرأ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ الآية ـ ابن كثير] .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿ وَمَا كنتَ﴾ يا محمد ﴿بجانبِ الغربيِّ ﴾ أي : الوادي الغربيّ الذي كوشف فيه موسى عن المناجاة ﴿ إذ قَضَيْنا ﴾ قدَّرنا وأنهينا ﴿ إلى مُوسىٰ الأَمْرَ﴾ أمرَ الإرسال والإنباء ﴿ ومَا كُنتَ من الشَّاهِدِينَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ ولكنَّا أنْشَأْنَا قُرُوناً ﴾ بين زمانك وزمان موسى ﴿ فتطاول عَلَيْهِمُ العُمُرُ﴾ أي : أمد انقطاع الوحي ، واندرست معالم الهدى ، وعم الضلال والبغي والردى ، فاقتضت رحمتنا إرسالك لنخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿ وما كنتَ ثاوياً ﴾ أي : مقيماً ﴿ في أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِنَا ولكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ لك ، وموحين إليك تلك الآيات .

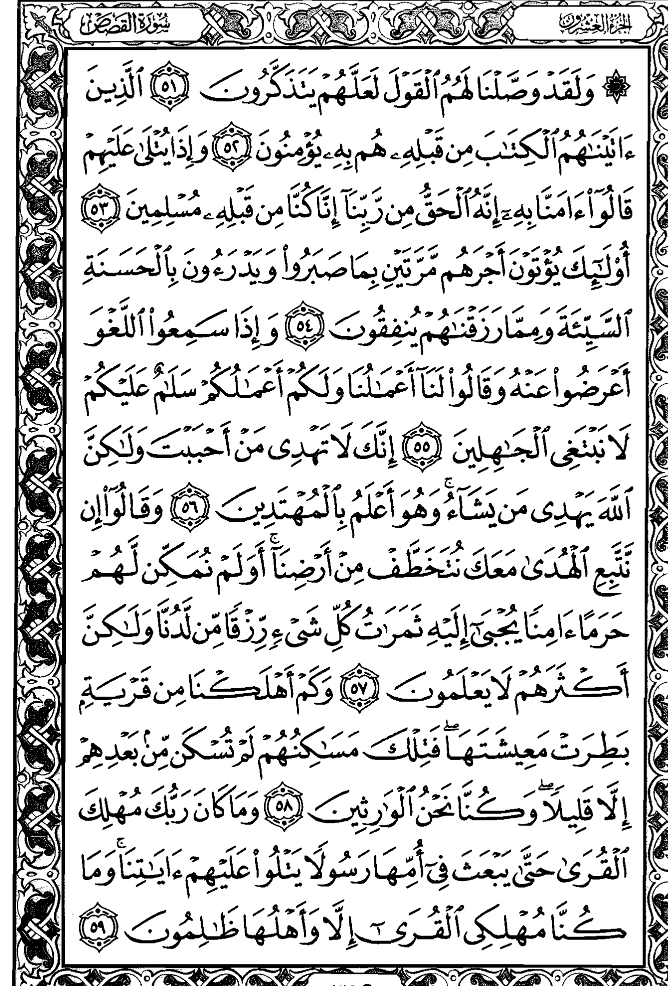
[٤٦] ﴿ ومَا كُنتَ بجانبِ الطُّورِ إذْ نادَيْنَا ﴾ أي : وقت ندائنا موسى [بأن ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ الأعراف : ١٥٦ ـ ١٥٧ ، ابن جرير] ﴿ ولكن رحمةً من ربِّكَ ﴾ ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذُكر وبغيره ، لرحمةٍ عظيمة كائنة منا لك وللنّاس ﴿ لِتُنْذِرَ قوْماً ما أتاهُمْ منْ نذيرٍ من قَبْلِكَ ﴾ من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى ﴿ لعلَّهُمْ يتذكَّرُونَ ﴾ أي : يتعظون بإنذارك .

[٤٧] ﴿ ولَوْلا أن تُصِيبَهُمْ مُصِيبةٌ ﴾ أي : عقوبة ﴿ بما قدَّمَتْ أيديهمْ ﴾ من الكفر والفساد ﴿ فيقولوا : ربَّنَا لولا أرْسَلْتَ إلينَا رَسُولاً فنتَّبِعَ آياتِكَ ونكُونَ منَ المؤمنينَ ﴾بها .

[٤٨] ﴿ فلمَّا جاءَهُمُ الحقُّ منْ عِنْدِنَا قالوا لولا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى ﴾ من قلب العصا حيةً ، وفلقِ البحر ، وغيرِهما من الآيات ، تعنتاً وعناداً ﴿ أوَلَمْ يكفُروا بِما أوتِيَ مُوسَى من قبلُ ﴾ ردٌّ عليهم ، وإظهار لكون ما قالوه تعنتاً محضاً ، لا طلباً لما يرشدهم إلى الحق . أي : أولم يكفر أبناء جنسهم ، ومَنْ مَذْهَبُهم مَذْهبُهم ، وعنادهم عنادهم وهم القبط ، بما أوتي موسى من الكتاب ﴿ قَالُوا ﴾ في موسى وهارون عليهما السلام ﴿ سِحْرانِ ﴾ أي : ذوا سحرين ؛ أو جعلوهما سِحْرَيْن مبالغة ﴿ تظاهرا ﴾ تعاونا ﴿ وقالوا إنّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ . [عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ قالوا ساحران تظاهرا ﴾ قال : يعنون موسى ومحمداً ﷺ. وهذا رواية الحسن البصري . وأما من قرأ ﴿ سحران تظاهرا ﴾ فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : يعنون التوراة والقرآن ـ ابن كثير] .

[٤٩] ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء الجاحدين : قد مضى دور الخوارق التي تقترحونها ، ونسخ تعالى من تلك الآيات بما أتى بخير منها ، وهو آية الهداية التي تصلح بها قلوبُ العالمين ﴿ فأْتوا بِكِتَابٍ من عندِ اللَّهِ هوَ أهدى مِنْهُمَا ﴾ أي : من التوراة والقرآن ﴿ أَتَّبِعْهُ ﴾ ولا أعاندكم مثل ما تعاندونني ﴿ إن كُنتُم صادقِينَ ﴾ في أنهما سحران مختلفان ، أو في أنه يمكن الإتيان بما هو أهدى منهما .

[٥٠] ﴿ فإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ ﴾ فلم يأتوا بذلك الكتاب ، ولم يتابعوا الكتابَيْن ﴿ فاعلمْ أنّما يتّبعونَ أهواءَهم ﴾ الزائغة من غير برهان ﴿ ومنْ أضلُّ ممَّنْ اتبَعَ هواهُ بغَيْرِ هُدىً من اللَّهِ ﴾ الاستفهام إنكاريّ للنفي . أي : لا أحد أضل منه . كيف لا؟ وهو أظلم الظلمة ، بتقديم هواه على هدى الله ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يهدي القومَ الظَّالمينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين .



الجزء العشرون — سورة القصص

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

٣٩٢

الحزب ٤٠

[٥١] ﴿ ولقدْ وصَّلْنَا لهُمُ القولَ لعلَّهم يتذكَّرُونَ ﴾ أي : أنزلنا عليهم القرآن متواصلاً ، بعضه إثر بعض ، وعداً ووعيداً ، وقصصاً وعبراً ، ومواعظ ، حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إرادة أن يتذكروا فيفلحوا .

[٥٢] ﴿ الذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي : القرآن ﴿ هُمْ بِهِ يؤمِنُونَ ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب وأولياؤهم .

[٥٣] ﴿ وإذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ القرآن ﴿ قالوا آمنَّا به إنَّهُ الحَقُّ منْ ربِّنَا إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل نزوله ﴿ مسلمينَ ﴾ منقادين له ، لما عندنا من المبشّرات به ، أو على دين الإسلام .

[٥٤] ﴿ أولئكَ ﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت ﴿ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مرَّتَيْنِ ﴾ يعني مرة على إيمانهم بكتابهم ، ومرة على إيمانهم بالقرآن ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي : بصبرهم وثباتهم على الإيمانيْن ، أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده ، أو على أذى من نابذهم ﴿ ويَدْرؤونَ ﴾ ويدفعون ﴿ بالحسنةِ السَّيِّئَةَ ﴾ بالحكمة الطيبة ، ما يسوؤهم ﴿ وممَّا رزقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ من الجهال ﴿ أعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ تكريماً للنفس عن ملابسة الأدنياء ، وتشريفاً للسمع عن سقط باطلهم ﴿ وقَالُوا ﴾ لهم ﴿ لنا أعْمالُنا ولكُمْ أعْمالُكُمْ ، سلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ بطريق التوديع والمتاركة ﴿ لا نبْتغي الجاهِلِينَ ﴾ أي : لا نريد مخالطتهم وصحبتهم ، ولا نريد مجازاتهم بالباطل على باطلهم .

[عن مجاهد قال : نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ـ ابن جرير] .

[٥٦] ﴿ إنَّكَ لا تهْدي مَنْ أحْبَبْتَ ﴾ أي : لا تقدر أن تدخل في الإسلام كلَّ من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿ولكنَّ اللَّهَ يهدي من يشاءُ ﴾ هدايته ، فيدخله في الإسلام بعنايته ﴿ وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدينَ ﴾ القابلين للهداية ، لاطّلاعه على استعدادهم وكونهم غير مطبوع على قلوبهم .

[٥٧] ﴿ وقالوا : إن نتَّبِعِ الهدى معَكَ ﴾ ونخالف العرب ﴿ نُتَخَطَّفْ منْ أرْضِنَا ﴾ مكة [عن ابن عباس قال : زعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ولكنا نخاف أن نتخطف من أرضنا ـ ابن جرير] . فردَّ عليهم تعالى بقوله : ﴿ أوَلَمْ نُمكِّن لَهُمْ حَرماً آمِناً ﴾ ألم نعصمهم من عدوّهم ونجعلْ مكانهم حَرَماً ذا أمْنٍ ﴿يُجْبَى إليهِ ثمراتُ كُلِّ شيْءٍ ﴾ تُجمع وتُجلب له الثمرات بكثرة ﴿ رزقاً من لَدُنَّا ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : جهلة لا يتفكرون .

[٥٨] ﴿ وكمْ أهْلَكْنا مِن قَرْيَةٍ بَطِرتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ كفرت بها فلم تحفظ حقَّ الله فيها فدُمِّرت ﴿ فتلكَ مَسَاكِنُهُمْ لم تُسْكَن مِنْ بَعْدِهم إلاَّ قليلاً وكُنَّا نحنُ الوَارِثِينَ ﴾ منهم ، إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرّفهم .

[٥٩] ﴿ وما كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القُرى حتَّى يبعثَ في أُمِّهَا ﴾ في أصلها وكبيرتها التي ترجع تلك القرى إليها ﴿ رسولاً يَتْلو عَلَيْهِمْ آيَاتِنا ﴾ الناطقة بالحق ، ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب ، وذلك لإلزام الحجّة وقطع المعذرة ﴿ وما كُنَّا مُهْلِكي القُرَى إلاَّ وأهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ بالكفر بالآيات وتكذيب الرسل سعياً بالفساد ، وإباء عن سبيل الصلاح والرشاد .

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٠] ﴿ **وما أُوتيتُم من شيءٍ فمتاعُ الحياةِ الدُّنْيا وزينَتُهَا** ﴾ فهو مما يُتمتع ويُتزيَّن به أياماً قلائل، وهي مدة الحياة المنقضية ﴿ **وَمَا عندَ اللَّهِ خَيْرٌ** ﴾ متاعاً وزينة في نفسه، لخلوّه عن شوائب الألم ﴿ **وأبْقَى** ﴾ لأنّه أبديّ لا يزول ﴿ **أفلا تَعْقِلُونَ** ﴾.

[٦١] ﴿ **أفَمَن وَعَدْناهُ وعْداً حسناً** ﴾ بإيمانه وعمله الصالح ﴿ **فَهُوَ لاقيهِ كمنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الحياةِ الدُّنيا ثمّ هُوَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ المُحْضَرينَ** ﴾ من الذين أُحضِروا للحساب أو للنار أو العذاب [قال ابن جرير، عن مجاهد قال: نزلت في النبي ﷺ، وفي أبي جهل بن هشام].

[٦٢] ﴿ **ويوْمَ يناديهِمْ فيقولُ أينَ شُركائيَ الذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ وهذا السؤال تبكيت لهم وتحريض إذ لا شركاء له سبحانه.

[٦٣] ﴿ **قالَ الذينَ حقَّ عليهمُ القوْلُ** ﴾ أي: وجب وثبت مقتضاه، وهو لحوق الوعيد بهم. والمراد بهم، رؤساء الضلال، وقادة الكفر والفساد [قال قتادة: هم الشياطين - ابن جرير] ﴿ **ربَّنا هؤلاءِ الذينَ أغْوَيْنا** ﴾ أي: أضللناهم ﴿ **أغْوَيناهم كما غَوَيْنَا** ﴾ أضللناهم بالوسوسة والتسويل، كما ضللنا باختيارنا، وإيثار ما يفنى على ما يبقى ﴿ **تَبَرَّأْنا إليكَ** ﴾ من الكفر والشرك والمعاصي، أو منهم ومما اختاروه ﴿ **مَا كانُوا إيَّانا يَعْبُدُونَ** ﴾ بل كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم.

[٦٤] ﴿ **وقيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ** ﴾ ليشفعوا لكم ﴿ **فَدَعَوْهم فلمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ورأَوُا العذابَ، لو أنَّهُم كانُوا يهتَدُونَ** ﴾ أي: تَمنَّوا ذلك لِيُنْقذُوا من العذاب العظيم.

[٦٥] ﴿ **ويوْمَ يناديهِم فَيَقُولُ مَاذا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ** ﴾ الداعين إلى الهداية وإصلاح الأعمال والأخلاق.

[٦٦] ﴿ **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ** ﴾ فصارت الأنباء كالعُمْي عليهم لا تهتدي إليهم ﴿ **فهم لا يتساءَلُونَ** ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب، لفرط الدهشة، أو لعلمه بأنه مثله في العجز عن الجواب، أو لعجزهم عن النطق وكونهم مختوماً على أفواههم.

[٦٧] ﴿ **فأمَّا مَنْ تابَ** ﴾ من الشرك ﴿ **وآمَنَ وعَمِلَ صالحاً فعسى أن يكونَ مِنَ المُفْلِحِينَ** ﴾ أي: أن يفلح عند الله. و﴿ **عسى** ﴾ من الكرام تحقيق.

[٦٨] ﴿ **وربُّكَ يَخْلُقُ ما يشاءُ ويختارُ** ﴾ بمقتضى مشيئته وعنايته، ما يريد ﴿ **مَا كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ** ﴾ في ذلك، بل الخيرة في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ﴿ **سُبْحَانَ اللَّهِ وتعالى** ﴾ تنزيه لله الذي لا يُزَاحِمُ اختيارَهُ اختيارٌ ﴿ **عمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ من الأَصْنَامِ والأندادِ التي لا تخلق شيئاً ولا تختار.

[٦٩] ﴿ **وربُّكَ يعلمُ ما تُكِنُّ** ﴾ ما تُخفي ﴿ **صُدُورُهُمْ** ﴾ منَ الكَيْدِ والمكر ﴿ **ومَا يُعْلِنُونَ** ﴾ منَ الأقْوالِ والأفعالِ.

[٧٠] ﴿ **وهوَ اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ** ﴾ المستحق للألوهية والعبادة وحدَه ﴿ **لهُ الحَمْدُ في الأولى والآخِرَةِ** ﴾ لأنه المولى للنعم كلها في الدارين ﴿ **ولَهُ الحُكْمُ** ﴾ أي: القضاء النافذ في كل شيء، يقهر كل شيء على مقتضى مشيئته، ويحكم عليه بموجب إرادته ﴿ **وإليه تُرْجَعُونَ** ﴾ بالبعث للجزاء.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جعلَ اللّهُ عليكُمُ الليلَ سَرْمَداً إلى يوْمِ القِيامَةِ ﴾ أي : دائماً إلى يوم البعث ﴿ مَنْ إلهٌ غَيْرُ اللّهِ يأْتيكُم بضياءٍ أفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴾ هذا الكلام الحق ، سماع تدبّر .

[٧٢] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلَ اللّهُ عليكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إلى يوْمِ القيامةِ ، مَنْ إلهٌ غيرُ اللّهِ يأْتِيكُم بليلٍ تسكُنونَ فيهِ ، أفَلاَ تُبْصِرونَ ﴾ هذه المنفعة فتقوموا بشكرها .

[٧٣] ﴿ ومِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لكُمُ اللّيْلَ والنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ ﴾ في الليلِ ﴿ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ في النهار ﴿ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نِعَمَه الظاهرة والباطنة ، والجسمانية والروحانية باستعمالها فيما وجب من طاعته ، وذلك فيما خُلِقَتْ له .

[٧٤] ﴿ ويَوْمَ يناديهم ﴾ يوم القيامة ﴿ فيقولُ أينَ شُركائيَ الذينَ كُنتُم تَزْعُمُونَ ﴾ فهو الواحد الذي لا شريك له سبحانه وتعالى عمّا يصفون .

ربع الحزب ٤٠

[٧٥] ﴿ ونَزَعْنَا ﴾ وأخرَجْنا ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شهيداً ﴾ نبيّاً يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿ فَقُلْنَا ﴾ لكل أمة من تلك الأمم ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ على ما أنتم عليه ، أحقٌّ هو أم لا ؟ فعجزوا وظهر برهان النبيّ ﴿ فَعَلِمُوا أنَّ الحَقَّ للّهِ ﴾ في الألوهية ، لا يشاركه فيها أحد ﴿ وضَلَّ عَنْهُمْ ﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ مَا كَانُوا يَفْتَرونَ ﴾ من الباطل والمذاهب المختلفة ، والطرق المتشعبة المتفرقة .

[٧٦] ﴿ إنَّ قارونَ كانَ منْ قوْمِ موسَى ﴾ أي : من شاكلتهم في الكفر والطغيان [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى ﴾ قال : كانَ ابن عمه . وقال ابن جريج : هو قارون بن يصهب بن قاهث ، وموسى بن عمران بن قاهث ، وزعم محمد بن إسحاق رحمه الله أن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام . وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه . والله أعلم ـ ابن كثير]. وقوم موسى ، جماعته الذين أرسل إليهم ، وهم القبط وطاغيتهم فرعون ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ بالكبر والاستطالة عليهم ، لما غلب عليه الحرص ومحبة الدنيا ، لغروره وتعززه برؤية زينة نفسه ﴿ وآتَيْناهُ منَ الكُنُوزِ ﴾ من الأموال المدخرة ﴿ ما إنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾ أي : مفاتيح صناديقه ﴿ لَتَنُوءُ ﴾ لتثقل ﴿ بالعُصْبَةِ ﴾ بالجماعة الكثيرة من الرجال أو البغال ﴿ أُولِي القُوَّةِ ، إذْ قالَ لهُ قوْمُهُ لا تفرحْ ﴾ بزخارف الدنيا فرحاً يشغلك عن الشكر فيها والقيام بحقها ﴿ إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الفَرِحينَ ﴾ أي : هذا الفرح ، لما فيه من إيثارها عن الآخرة ، والرضا بها عنها ، والإخلاد إليها ، وذلك أصل كل شر ومبعث كل فساد .

[٧٧]﴿ وابتغِ فيما آتاكَ اللّهُ ﴾ واطلب من الغنى الذي تفضّل الله به عليك ، بعدَ الفاقة ﴿ الدّارَ الآخِرَةَ ﴾ بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب ، وتجعله زادك إلى الآخرة ﴿ولا تَنْسَ نصيبكَ منَ الدُّنيا﴾ وهو أنْ تأخذ منه ما يصلحك ويرفهك ﴿وأَحْسِنْ﴾ إلى الناس ، افعل الإحسان من وجوهه المعروفة ﴿ كما أَحْسَنَ اللّهُ إليكَ ولا تَبْغِ الفَسَادَ في الأَرْضِ ﴾ بهذا المال الذي جعله سبب صلاحها ﴿ إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدينَ ﴾ .

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٧٨] ﴿ قالَ إنَّمـَآ أُوتِيتُـهُ على عِلْم عندي ﴾ بطرق التجارة أو المكاسب ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ ﴾ مما سمع بالتواتر ﴿ أنَّ اللَّـهَ قَدْ أَهْلَكَ مِـن قَبْلِهِ مِنَ القُـرُونِ ﴾ الكثيرة ، بحيث صارت سنة له ﴿ مَنْ هُوَ أَشدُّ مِنْهُ قُـوَّةً ﴾ بالأموال والأتباع ﴿ وأكثرُ جَمْعاً ولا يُسْأَلُ عنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرمونَ ﴾ أي : لا يتوقف إهلاكه إياهم على سؤال ، ليعتذروا عنها ، بل متى حق عليهم القول بفسقهم ، أهلكهم بغتة بلا معاتبة وطلب عذر .

[٧٩] ﴿ فخرجَ ﴾ قارون باغياً ﴿ على قَوْمِـهِ في زينَتِه ﴾ مُغتراً بالنظر فيها ﴿ قالَ الذينَ يُريـدونَ الحياةَ الدُّنْيا ﴾ جرياً على سُنَنِ الجِبِلَّةِ البشرية ، من الرغبة في السعة واليسار ﴿ يا لَيْتَ لَنـا مِثْلَ ما أُوتيَ قارونُ إنَّـهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيم ﴾ .

[٨٠] ﴿ وقالَ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ ويْلَكُمْ ﴾ ويلك : في الأصل دعاء بالهلاك ، والمراد به هنا الزجر عن هذا التمني ، مجازاً ﴿ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ مما تتمنونه ﴿ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا ﴾ أي : هذه الكلمة التي فاه بها الذين أوتوا العلم ، أو الجنة ، أو السيرة والطريقة ، وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿ إلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ على الطاعات عن الشهوات ، وعلى زمام النفس أن تجري في أعقاب المزخرفات .

[٨١] ﴿ فَخَسَفْنَا بِـهِ وبدارِهِ ﴾ المشتملة على أمواله ﴿ الأَرْضَ ﴾ [قال ابن جرير: فخسفنا بقارون وأهل داره، وقيل وبداره، لأنه ذكر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوساً معه، وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى] ﴿فَما كانَ لَـهُ من فِئَـةٍ يَنْصُرُونَـهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بدفع العذاب عنه ﴿ وما كانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ ﴾ بقوة نفسه وماله . [في الصحيح عن البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) ـ ابن كثير] .

[٨٢] ﴿ وأصبحَ الذينَ تَمَنَّوْا مكانَـهُ بالأَمْسِ يقولـون ويْكَأَنَّ اللَّهَ ﴾ مركّبة من : وي : للتعجب ، وكأن : التي للتحقيق ، وهو أحد معانيها المعروفة ، والوقف في القراءة على : ويْ ﴿ يَبْسُطُ الرِّزقَ ﴾ يعطي بكثرة ﴿ لِمَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ﴾ من شقيٍّ وسعيد ﴿ ويَقْدِرُ ﴾ ويقبض ، فلا دلالة في البسط على السعادة ، ولا في القبض على الشقاوة ، بل يفعل سبحانه كل واحد من البسط والقَدْر بمحض مشيئته ، لا لكرامة توجب البسط ، ولا لهوان يقتضي القبض ﴿ لولا أن منَّ اللَّهُ علينا ﴾ بعدم إيتائه مُتمنَّانا ﴿ لَخسفَ بنا ﴾ كما خسف به ﴿ ويْكأنَّـهُ لا يُـفْلِـحُ الكافِرُونَ ﴾ لنعمة الله ، في صرفها في غير سبيلها، أو المكذبون برسله اغتراراً بزخارفهم .

[٨٣] ﴿تلكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُـهَا للذين لا يُرِيدُونَ عُـلُوًّا في الأَرْضِ﴾ أي : غلبة وتسلطاً بسوء وتكبّر ﴿ ولا فساداً ﴾ بظلم وعدوان وصدّ عن سبيل الله تعالى ﴿ والعاقِبَـةُ ﴾والنهاية الحميدة ﴿ للمتَّقينَ ﴾ الذينَ يتَّقون ما لا يرضاه تعالى من الأقوال والأفعال .

[٨٤] ﴿ مَنْ جاءَ بالحَسَنةِ فَلَـهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، ومَنْ جاء بالسَّيِّـئَـةِ فلا يُـجْزَى الذين عَمِلوا السيِّئاتِ إلاَّ ما كانوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : مثله ، وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ، أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وسبعمائة .

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكبُوت

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٥] ﴿ **إنَّ الذي فرضَ عليكَ القرآنَ** ﴾ أوجب عليك تبليغه للناس ﴿ **لرادُّكَ** ﴾ بعد الموت ﴿ **إلى مَعَادٍ** ﴾ فيه أقوال منها يوم القيامة، والمقام المحمود الموعود. وعن ابن عباس: لرادُّك إلى مكة كما أخرجك منها ﴿ **قُلْ ربِّي أعْلَمُ مَن جاءَ بالهُدى** ﴾ أي: بما يستحقه من المثوبة ﴿ **ومَنْ هُوَ في ضَلالٍ مبينٍ** ﴾ بما يستحقه من العذاب.

[٨٦] ﴿ **وما كنتَ تَرْجُو أن يُلْقى إليكَ الكِتابُ** ﴾ ما كنت تظن، قبل إنزال الوحي إليك، أن الوحي ينزل عليك ﴿ **إلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** ﴾ ولكن لرحمة من ربّك ألقي إليك ﴿ **فلا تكُونَنَّ ظهيراً للكافِرينَ** ﴾ أي: مُعيناً لهم.

[٨٧] ﴿ **ولا يَصُدُّنَّكَ عن آياتِ اللّهِ بعْدَ إذْ أُنْزِلَتْ إليكَ** ﴾ أي: عن تبليغها بعد إنزالها ﴿ **وادْعُ إلى ربِّكَ** ﴾ أي: إلى عبادته وحده لا شريك له ﴿ **ولا تكونَنَّ منَ المشركينَ** ﴾.

نصف الحزب ٤٠

[٨٨] ﴿ **ولا تدْعُ مَعَ اللّهِ إلهاً آخَرَ، لا إلهَ إلاّ هُوَ، كُلُّ شيْءٍ هالِكٌ إلاّ وجْهَهُ** ﴾ إلا إياه سبحانه. والوجه: يُعَبَّر به عن الذات ﴿ **لَهُ الحُكْمُ** ﴾ القضاء النافذ في خلقه ﴿ **وإليهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ يوم معادكم فيجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

[سورة العنكبوت]

سُمِّيت بـ « العنكبوت » لاشتمالها على آية: ﴿ مَثَلُ الذين اتخذوا من دونِ اللّهِ أولياءَ كَمَثَلِ العنكبوت ﴾ وهي مكية، واستثني من أولها إلى قوله تعالى ﴿ وليعلمَنَّ المنافقين ﴾ وقوله ﴿ وكأيِّنْ من دابَّةٍ ﴾ الآية، ويقال إنها آخر ما نزل بمكة. وعدد آياتها تسع وستون آية.

[١] ﴿ **الـمّ** ﴾ تُقرأ هذه الأحرفُ: ألف، لام، ميم. وقد سبق الكلام على فواتح السور في مطلع سورة البقرة.

[٢] ﴿ **أحسِبَ الناسُ أن يُتْركوا أنْ يقولوا آمَنَّا وهم لا يُفتَنون** ﴾ بل يمتحنهم الله بضروب المِحَن لتمييز المخلص من غير المخلص [عن عبد الله بن عمير بن عبيد قال: نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله - ابن جرير].

[٣] ﴿ **ولقد فتَنَّا الذين من قبلِهم** ﴾ من أتباع الأنبياء عليهم السلام، بضروب من الفتن من أعدائهم ﴿ **فليعلمَنَّ اللّهُ الذين صَدَقوا** ﴾ في قولهم آمنّا ﴿ **وليعلمَنَّ الكاذبين** ﴾ وذلك بالامتحان

[٤] ﴿ **أمْ حسِبَ الذينَ يعمَلون السيئاتِ أن يَسْبِقونا** ﴾ أي: يفوتونا، فلا نقدر على مجازاتهم بمساوىء أعمالهم ﴿ **ساءَ ما يحكمون** ﴾ أي: بئس ما يحكمون حكمهم.

[٥] ﴿ **من كان يرجُو لِقاءَ اللّهِ** ﴾ في الجنة من رؤيته، والفوز بكرامته ﴿ **فإنَّ أجَلَ اللّهِ** ﴾ وهو الموت ﴿ **لآتٍ** ﴾ فليبادِرْ ما يصدق رجاءَه ويحقق أمله ﴿ **وهو السَّميعُ العليمُ** ﴾ السميع لأقوالهم العليم بضمائرهم وأحوالهم.

[٦] ﴿ **وَمَنْ جاهَدَ** ﴾ في الصَّبرِ على البلاءِ والثباتِ على الحَقِ مع ضروب الإيذاء ﴿ **فإنَّما يُجاهِدُ لنفسِه** ﴾ لأنه يمهد لنفسه ما يجني به ثمرة غرسه ﴿ **إنّ اللّهَ لغنيٌّ عنِ العالمين** ﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿ **والذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّـالحاتِ لنُكفِّرَنَّ عنهُم سيئاتِـهم ولَـنجزينَّـهُم أحسنَ الذي كانـوا يَعملون** ﴾ أي : أحسن جزاء أعمالهم .

[٨] ﴿ **ووصَّينا الإنسـانَ بوالدَيْـهِ حُسْنـاً** ﴾ أمرنـاه أمراً مؤكـداً بأن يفعل لوالـدَيْه فعـلاً ذا حُسنٍ عظيم ﴿ **وإنْ جاهَداكَ** ﴾ إن حملاك على الشرك بكل وسيلة ﴿ **لِتُشرِكَ بي ما ليسَ لكَ به عِلْمٌ** ﴾ عبّر عن نفي ألوهية غيره بنفي العلم بها ﴿ **فلا تُطعْهُما** ﴾ في الشرك ﴿ **إليّ مرجِعُكم** ﴾ مـرجع مـن آمن منكم ومن أشركَ ﴿ **فأنبِّـئُكُم بما كنتم تعمَلون** ﴾ فأجـازيكم حق جـزائكـم . وقـد روي أن سعـد بن أبي وقاص رضي الله عنـه حين أسلم قالت لـه أمـه : يـا سعـد بلغني أنك صبأت ، فـوالله لا يظلني سقف بيت من الضح ـ الشمس ـ والريح وإن الطعام والشراب عليَّ حرام حتـى تكفر بمحمد . وكـان أحب ولدها إليها ، فأبى سعد ، وبقيـت ثلاثة أيام كذلك ، فجـاء سعد إلى رسـول الله ﷺ وشكا إليـه فنزلت هـذه الآيـة ، والتي في لقمان ، والتي في الأحقـاف ، فأمـره رسول الله ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان .

[٩] ﴿ **والذين آمَنوا وعمِلـوا الصالحاتِ لَـنُدخلَنَّـهُم في الصالِحين** ﴾ أي : في زمـرة الـراسخين في الصـلاح والكمال . أو المعنى : في مدخل الصالحين وهي الجنة .

[١٠] ﴿ **ومنَ الناسِ منْ يقولُ آمَنَّا باللَّه ، فإذا أُوذيَ في اللَّهِ جَعلَ فِتنةَ الناسِ كعـذابِ اللَّهِ** ﴾ أي : جعل مـا يصيبـه في الصرف عن الإيمان مـن ضروب الإيـذاء ، بسببه ، مثل عذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن دينه ﴿ **ولَئِنْ جـاء نصرٌ من ربِّك ليقـولُنَّ إنَّا كُنَّـا معكُم** ﴾ في الإيمان ، فأشركـونا في الغنيمـة ﴿ **أَوَلَيْسَ اللَّـهُ بأعلَمَ بما في صدورِ العـالمينَ** ﴾ من التلبيس والإخلاص .

[١١] ﴿ **وليعلمَنَّ اللَّهُ الذين آمَنوا** ﴾ بإخلاصهم ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافقِينَ** ﴾ .

[١٢] ﴿ **وَقَالَ الذينَ كَفَـروا لِلذينَ آمَنوا : اتَّبِعُوا سبيلَنـا ولنحمِلْ خطاياكُم** ﴾ أي : إن كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليهـا بالبعث ، فتبِعَتُهـا علينا وفي رقابنا . قـال ابن كثير : كما يقول القائل : افعلْ كذا وخطيئتك في رقبتي . قال الله تعـالى تكذيباً لهم : ﴿ **وما هُم بحامِلين من خطاياهُم من شيءٍ ، إنّهم لَـكاذِبون** ﴾ .

[١٣] ﴿ **وليحمِلُنَّ أثقالَـهُم** ﴾ وهي أوزار أنفسهم ﴿ **وأثقالاً مع أثقالِـهم** ﴾ يعني أوزار الإضـلال والحمل على الكفـر والصـد عن سبيل الله . وفي الصحيـح : (من دعا إلى هدى كان له مـن الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثـم مثل آثام من اتبعـه إلى يوم القيامـة ، من غير أن ينقص من آثامهـم شيئاً) ﴿ **وليُسْألُنَّ يومَ القيامـةِ عمّا كانوا يَفتَرون** ﴾ من الأكاذيب والأباطيل .

[١٤] ﴿ **ولقدْ أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ فلبِثَ فيهِم ألفَ سنةٍ إلاّ خمسين عاماً فأخذهُمُ الطُّوفانُ وهُمْ ظالِمُونَ** ﴾ .

فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿ **فأنجَيْنـاه وأصحابَ السَّفينةِ** ﴾ فأنجينا نوحاً وأصحاب سفينته، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم ﴿**وجعَلْناها آيةً**﴾ أي: هذه الحادثة الهائلة، موعظة ﴿ **للعالَمين** ﴾ أي وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها ـ كما قال قتادة ـ إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان، قاله ابن كثير.

[١٦] ﴿ **وإبراهيمَ** ﴾ أي واذكر يا محمد إبراهيم خليل الرحمن ﴿**إذْ قال لقومِه: اعبُدوا اللَّهَ واتَّقُوهُ، ذلكُم خيرٌ لكُم، إنْ كنتُم تعلَمون** ﴾.

[١٧] ﴿ **إنَّما تعبُدون منْ دونِ اللَّهِ أوْثاناً وتخْلُقون إفْكاً** ﴾ أي: كذباً، في تسميتها آلهة وشركاء لله وشفعاء إليه قال ابن عباس: ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ أي تنحتونها أصناماً. وبه قال مجاهد وآخرون واختاره ابن جرير وهو الأظهر ﴿ **إنَّ الذين تعبُدون من دونِ اللَّهِ** ﴾ أوثانكم التي تعبدونها ﴿**لا يملِكون لكُم رزقاً، فابْتَغوا عندَ اللَّهِ الرِّزقَ واعبُدوه واشكُروا لَهُ، إليهِ تُرجَعون** ﴾.

[١٨] ﴿ **وإنْ تكذِّبوا** ﴾ والخطاب لمشركي قريش ﴿ **فقدْ كذَّب أممٌ من قبلِكُم، وما على الرَّسولِ إلَّا البلاغُ المُبينُ** ﴾ أي: التبليغ الذي يزيل كل لبس، وما عليه أن يصدقه قومه.

[١٩] ﴿ **أوَلَمْ يرَوْا كيفَ يُبْدِىءُ اللَّهُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُه** ﴾ إرشاد إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه مع وضوح دليله، وذلك بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وجدوا وصاروا أُناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته، فإنه سهل عليه، يسير لديه ﴿ **إنَّ ذلكَ** ﴾ أي: ما ذكره، وهو الإعادة ﴿ **على اللَّهِ يسيرٌ** ﴾ هيِّن.

[٢٠] ﴿ **قُلْ سيروا في الأرضِ فانْظُروا كيفَ بدأَ الخَلْقَ** ﴾ كيف خلقهم ابتداءً على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى ﴿ **ثُمَّ اللَّهُ يُنْشىءُ النشأةَ الآخرةَ** ﴾ أي: الخلق الآخر ﴿ **إنَّ اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ [أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله الخلق والأمر لأنه المالك لا يظلم مثقال ذرة، كما جاء في الحديث: (إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم) أخرجه أصحاب السنن ـ ابن كثير].

[٢١] ﴿ **يُعذِّبُ منْ يشاءُ** ﴾ بعد النشأة الثانية وهم المنكرون لها ﴿ **ويرحَمُ من يشاءُ** ﴾ وهم المؤمنون بها ﴿ **وإليهِ تُقلَبون** ﴾ وإليه تُردُّون.

[٢٢] ﴿ **وما أنتُم بمُعْجزين في الأرضِ ولا في السَّماءِ** ﴾ أي: بالتواري في الأرض، ولا بالتحصُّن في السماء التي هي أفسح منها، لو استطعتم الرقيَّ فيها، أو القلاع الذاهبة فيها، فيكون المراد بالسماء ما ارتفع ﴿ **وما لكُم من دونِ اللَّهِ منْ وليٍّ ولا نصيرٍ** ﴾ يدافع عنكم ما يراد بكم.

[٢٣] ﴿ **والذينَ كَفَروا بآياتِ اللَّهِ** ﴾ حججه ﴿**ولقائِهِ**﴾ البعث والوقوف للحساب ﴿ **أولئكَ يَئِسوا من رَحْمتي** ﴾ لما رأوا ما أعد لهم من العذاب ﴿**وأولئكَ لهُمْ عذابٌ أليمٌ** ﴾.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٖ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضٗا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٖ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿ **فما كان جوابَ قومِهِ** ﴾ أي : قوم إبراهيم عليه السلام ﴿ **إلاّ أنْ قالوا اقتُلوهُ أو حَرِّقوهُ ، فأنْجاهُ اللّهُ منَ النارِ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يُؤْمِنون** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **وقالَ إنّما اتّخذْتُم منْ دونِ اللّهِ أوْثاناً ، مَوَدَّةَ بَيْنِكُم في الحياةِ الدُّنْيا** ﴾ أي : لتتوادُّوا بينكم ، تتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها ﴿ **ثُمَّ يومَ القيامةِ يكفُرُ بعضُكُم ببعضٍ ويلعَنُ بعضكُم بعضاً** ﴾ أي : تتجاحدون ما كان بينكم ، ويلعن الأتباع المتبوعين ، والمتبوعون الأتباعَ ﴿ **ومأْواكُم النّارُ ، وما لكُم من ناصِرين** ﴾ .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

[٢٦] ﴿ **فآمَنَ لهُ** ﴾ أي : صدَّق بدعوة إبراهيم ﴿ **لوطٌ وقال إنِّي مهاجِرٌ** ﴾ من أرض قومي ﴿ **إلى رَبِّي** ﴾ لا إلى غيره ، بل إلى عبادته وإقامة شعائر دينه والقيام بدعوة الخلق إلى الحق من شرعه وتوحيده ﴿ **إنَّهُ هوَ العزيزُ الحكيمُ** ﴾ [لوط : يقال إنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، وهو لوط بن هاران بن آزر عليه السلام ، وهاجر معه إلى بلاد الشام ، ثم أرسل في حياة الخليل عليه السلام إلى أهل سدوم وإقليمها ، وكان من أمرهم ما تقدم . ﴿إنه هو العزيز الحكيم﴾ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضهم تقذرهم نفس الرحمن ، تحسرهم النار مع القردة والخنازير ، فتبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذاقالوا ، وتأكل من تخلف منهم)ـ ابن كثير] .

[٢٧] ﴿ **ووهَبْنا لهُ** ﴾ أي لإبراهيم ﴿ **إسْحٰقَ ويعقوبَ ، وجعلنا في ذُرِّيَّتِه النبوَّةَ والكتابَ ، وآتيناهُ أجرَهُ في الدُّنْيا** ﴾ بإيتاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملك إليه والثناء إلى آخر الدهر ، والصلاة عليه ﴿ **وإنَّهُ في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين** ﴾ .

[٢٨] ﴿ **ولوطاً إذْ قالَ لقومِهِ إنَّكُم لتأْتونَ الفاحِشَةَ** ﴾ الفِعلةَ المتناهية في القبح ﴿ **ما سبقَكُم بها من أحدٍ منَ العالَمِين** ﴾ لنفور الطباع منها [روى ابن جرير عن عمرو بن دينار قال : ما نزا ذَكَرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط] .

[٢٩] ﴿ **أئنَّكُم لتأْتون الرجالَ وتقطَعون السَّبيلَ** ﴾ أي : سبيل النسل بإتيان ما ليس بحرْث ، أو بعمل قُطّاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال ﴿ **وتأْتون في ناديكُم** ﴾ مجلسكم الذي تجتمعون فيه ﴿ **المُنْكَرَ** ﴾ ما لا يليق من الأقوال والأفعال . روى الإمام أحمد عن أم هانىء قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿ في ناديكم المنكر ﴾ قال (يحذفون ـ يرمون بالعصا أو بالحجارة ـ أهل الطريق ويسخرون منهم) وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه ﴿ **فما كان جوابَ قومِهِ إلاّ أنْ قالوا ائْتِنا بعذابِ اللّهِ إنْ كُنْتَ منَ الصَّادِقِين** ﴾ قال ابن كثير : وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ، ولهذا استنصر عليهم نبي الله .

[٣٠] ﴿ **قالَ** ﴾ لوط : ﴿ **رَبِّ انصُرْني على القومِ المُفْسِدين** ﴾ الذين يفسدون كل برهان عقلي ونقلي ، وكل حكمة إلهية .

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿ ولمَّا جاءتْ رُسُلُنا ﴾ وهم الملائكة ، بُعِثوا لنصر لـوط وتبشيره بهلاك قـومـه ﴿ إبراهيمَ بالبُشْرى ﴾ أي بـالبشارة بـالولـد إسحاق والنـافلة يعقـوب ﴿ قالُوا ﴾ لإبراهيمَ عليه السلام : ﴿ إنَّا مُهْلِكوا أهلِ هذِهِ القريةِ ﴾ أي قرية سدوم ﴿ إنَّ أهلَها كانوا ظالِمِين ﴾ بتنزيلهم الرجال منزلة النساء ، وقطع السبيل ، وفعل المنكرات ، وترك المعروف .

[٣٢] ﴿ قالَ ﴾ إبراهيم عليـه السلام : ﴿ إنَّ فيها لوطاً ﴾[وهو ليس من الظالمين ، بل هو من رسل الله ، وأهل الإيمان بـه ، والطاعـة لـه ، فقـال الرسل لـه] ﴿ قالوا : نحنُ أعلمُ بمَنْ فيها ﴾ [من الظالمين الكافرين بالله منك ، وإن لـوط ليس منهم ، بل هو كما قلت من أولياء الله] ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ وأهلَهُ إلاّ امرأتَهُ كانت منَ الغابِرِين ﴾ أي : الباقين في العذاب ، أو القرية .

[٣٣] ﴿ ولمّا أنْ جاءت رُسُلُنا ﴾ أي : المذكورون بعـد مفارقتهم لإبراهيـم عليه السلام ﴿ لوطاً سِيءَ بِهِمْ ﴾ اعترته المساءةُ بسببهم مخافة أن يقصدوهم ﴿ وضاقَ بهم ذَرْعاً ﴾ ضاق بشـأنهم ذرعه ، أي : طـاقته ﴿ وقالوا لا تَخَفْ ولا تحزنْ إنّا مُنَجُّوكَ وأهلَكَ ﴾ مما يصيبهم من العذاب ﴿ إلاّ امرأتَكَ كانت منَ الغابِرين ﴾ الهالكين .

[٣٤] ﴿ إنّا مُنْزِلون على أهلِ هذهِ القريـةِ ﴾ وهم قوم لوط عليه السلام ﴿ رِجْزاً منَ السّماءِ ﴾ عذاباً عظيماً من جهة السماء ﴿ بما كانوا يَفْسُقون ﴾ [وذلك أن جبريـل عليه السلام اقتلع قـرارهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، وجعـل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنـة ، وجعلهم عبرة إلى يوم التنـاد ، وهم من أشد النـاس عذاباً يـوم المعاد ، ولهذا قـال تعالى : ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ ، كما قال تعالى : ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون﴾ـ ابن كثير] .

[٣٥] ﴿ ولقد تَركنا منها آيَـةً بَـيِّـنَـةً لقوم يَعْقِلون ﴾ يعني قصتها العجيبة ، أو آثارها الخربة .

[٣٦] ﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيْباً فقالَ يا قـوم اعْبُدوا اللَّهَ وارجُوا اليومَ الآخِرَ ﴾ أي : توقعوه ، وما سيقع فيه من فنون الأهوال ﴿ولا تعثَوْا في الأرضِ مُفسِدين﴾ بالبغي على أهلها ، كنقص المكيال والميزان ، وقطع الطريق على الناس ، فإن عاقبة ذلك الدمار .

[٣٧] ﴿ فكذَّبوهُ فأخذتهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ أي : الصيحة التي هي منشأ الـزلزلة الشـديدة ﴿ فأصْبَحوا في دارِهِم ﴾ أي : بلدهـم أو منازلهم ﴿ جاثِمين ﴾ هلكى ميتين .

[٣٨] ﴿ وعاداً وثَمودَ ، وقـد تبيَّـنَ لكُم من مساكِنِهم ﴾ [خرابها وخلاؤهـا منهم بوقائعنا بهم وحلـول سطونا بجميعهم ـ ابـن جرير] ﴿وزَيَّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالَـهُم فصدَّهُم عنِ السَّبيلِ وكانـوا مُسْتَبْصرين ﴾ أي : عقـلاء متمكنين من النظر والافتكـار بواسطـة الرسل عليهم السـلام ، فإنهم أوضحوا السبل ، فلم يكن لهم في ذلك عذر ، ولكنهم لم يفعلوا عناداً وكِبْراً .

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[٣٩] ﴿ **وقارونَ وفِرْعَوْنَ وهامانَ ، ولقدْ جاءهُم موسى بالبَيِّناتِ فاستكْبَروا في الأرضِ وما كانوا سابِقين** ﴾ أي : فائتين الله سبحانه ، بل لحقهم عذابه فدمَّرهم تدميراً .

[٤٠] ﴿ **فكُلاًّ أخذنا بذنبِهِ ، فمنهُم مَنْ أرسَلْنا عليهِ حاصِباً** ﴾ ريحاً عاصفاً ، فيها حصباء ، وهم قوم لوط ﴿ **ومنهُم مَنْ أخذتْهُ الصَّيْحَةُ** ﴾ كمدين وثمود ﴿ **ومنهُم مَنْ خسفنا به الأرضَ** ﴾ كقارون ﴿ **ومنهُم مَنْ أغرَقْنا** ﴾ كقوم نوح، وفرعون وقومه ﴿ **وما كان اللّهُ ليَظْلِمَهُم ، ولكنْ كانوا أنفسَهُم يَظْلِمون** ﴾ بفعل ما يوجب ذلك ، من البغي والفساد [وعبادة غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم].

[٤١] ﴿ **مَثَلُ الذينَ اتَّخذوا مِنْ دُونِ اللّهِ أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبوتِ اتَّخذت بيتاً** ﴾ تعتمد على قوته وتظنه محيطاً بها ، دافعاً عنها الحر والبرد ﴿ **وإنَّ أوْهَنَ البيوتِ** ﴾ أضعفها ﴿ **لَبيتُ العنكبوتِ** ﴾ لأنه لا يحتمل مسَّ أدنى الحيوانات وأضعف الرياح ، ولا يدفع شيئاً من الحر والبرد ﴿ **لَوْ كانوا يعلَمون** ﴾ شيئاً ما . والغرض من التشبيه هو تقرير وهن دينهم [قال ابن عباس : ذلك مثلٌ ضربه الله لمن عبد غيره، إن مثله كمثل بيت العنكبوت ـ ابن جرير].

[٤٢] ﴿ **إنَّ اللّهَ يعلمُ ما يَدْعون من دونِه من شيءٍ** ﴾ تجهيل لهم وتوكيد للمثل المضروب ، ووعيد لهم ﴿ **وهو العزيزُ الحكيمُ** ﴾ .

[٤٣] ﴿ **وتلكَ الأمثالُ** ﴾ يعني هذا المثل ونظائره في التنزيل ﴿ **نضربُها للنَّاسِ** ﴾ ليقرب ما بَعُدَ من أفهامهم . فإنَّ الأمثال والتشبيهات طرق تبرز فيها المعاني المحتجبة للأفهام ﴿ **وما يَعْقِلُها** ﴾ أي : يدرك حسنها وفوائدها ﴿ **إلاَّ العالِمُون** ﴾ الراسخون في العلم الكاملون فيه .

[٤٤] ﴿ **خلقَ اللّهُ السَّمٰواتِ والأرضَ بالحقِّ** ﴾ محقاً مراعياً للحكم والمصالح ، مقدساً عن أن يقصد به باطلاً ﴿ **إنَّ في ذلك لآيَةً للمُؤْمنين** ﴾ [قال ابن جرير: إن في خلقه لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها والآيات إذا رآها].

[٤٥] ﴿ **اتْلُ ما أُوحِيَ إليكَ منَ الكتابِ** ﴾ أي تقرُّباً الى الله تعالى بقراءته ، وتحفُّظاً لألفاظه واستكثاراً لما في المعاني، فإن القارىء المتأمِّل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه ، وتذكيراً للناس ، وحملاً لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق ﴿ **وأقِمِ الصلاةَ ، إنَّ الصلاةَ تنهى عنِ الفحشاءِ والمُنْكَرِ** ﴾ أي : تكون سبباً للانتهاء عن ذلك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « من لم تأمره صلاته بالمعروف ، وتنهه عن المنكر ، لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعْداً » ﴿ **ولَذِكْرُ اللّهِ أكبرُ ، واللّهُ يعلمُ ما تصْنَعون** ﴾ قال الزمخشري : أي : وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ولذكر الله إياكم برحمته ، أكبر من ذكركم إياه بطاعته » . [وروى الحافظ أبو بكر البزّار رحمه الله قال : قال رجل للنبي ﷺ : إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق . قال ﷺ : (إنه سينهاه ما تقول) أخرجه البزار والإمام أحمد ـ ابن كثير].

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

(الحزب ٤١)

[٤٦] ﴿ **ولا تُجادلوا أهلَ الكتابِ إلاّ بالتي هيَ أحسنُ** ﴾ وهي اللين والأناة ﴿ **إلاّ الذين ظَلَموا منهُم** ﴾ بالاعتداء بأن أفحشوا في المقال وأقذعوا في الجدال ، فلا حرج في مقابلتهم بالعنف ، لتنكبهم عن جادة اللطف ﴿ **وقولوا آمنّا بالذي أُنزلَ إلَيْنا وأُنزلَ إليْكُم ، وإلهُنا وإلهُكُم واحدٌ ، ونحنُ لهُ مُسلمون** ﴾ مطيعون له خاصّة .

[٤٧] ﴿ **وكذلكَ أنزلْنا إليكَ الكتابَ** ﴾ مثل ذلك الإنزال ، أنزلنا إليك الكتاب ، أنزلناه مصدّقاً لسائر الكتب السماوية ﴿ **فالذين آتيْناهُمُ الكتابَ** ﴾ [من قبلك من بني اسرائيل] ﴿ **يُؤْمنون بهِ ، ومنْ هؤلاءِ مَن يؤْمِنُ بهِ** ﴾ [كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بني إسرائيل] ﴿ **وما يجحدُ بآياتِنا إلاّ الكافِرون** ﴾ [قال قتادة : إنما يكون الجحود بعد المعرفة ـ ابن جرير] .

[٤٨] ﴿ **وما كُنتَ تتلو منْ قَبْلِه منْ كتابٍ ولا تخُطُّهُ بيمينِكَ** ﴾ فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لما يكفل سعادة الدارين في شرائعه وقضاياه ، على أميٍّ لم يُعرف بالقراءة والتعلم ، خارقٌ للعادة ﴿ **إذاً لارتابَ المُبْطِلون** ﴾ أي : لو كنت ممن يخط ويقرأ ، لقالوا : لعله تعلمه أو كتبه بيده من كتب مأثورة عن الأنبياء .

[٤٩] ﴿ **بَلْ هوَ** ﴾ القرآن ﴿ **آياتٌ بيّناتٌ في صُدورِ الذين أُوتوا العلمَ** ﴾ العلماء به وحفّاظه ، وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز ، وكونه محفوظاً في الصدور ، يتلوه أكثر الأمة ظاهراً ، بخلاف سائر الكتب ، فإنها لم تكن فيها معجزات ، وما كانت تُقرأ إلا من المصاحف ﴿ **وما يجحدُ بآياتنا** ﴾ وما يكفر بها ﴿ **إلاّ الظالِمون** ﴾ .

[٥٠] ﴿**وقالوا**﴾ كفار مكة ﴿**لوْلا أُنزلَ عليه آياتٌ من ربِّه**﴾ يعنون ما كانوا يقترحونه في تعنتهم ﴿**قُلْ إنّما الآياتُ عِندَ اللهِ**﴾ هو يملك إنزالها، ولو شاء لفعل ﴿**وإنّما أنا نذيرٌ مُبينٌ**﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته ، لا الإتيان بها تقترحونه .

[٥١] ﴿**أولَمْ يكْفِهِم**﴾ آيةً مغنيةً عما اقترحوه ﴿**أنّا أنزلنا عليكَ الكتابَ يُتْلى عليهِم**﴾ وفيه نفسه من الآيات والمعجزات ما لا يرتاب معه إلا من سفه نفسه، وكابر حسه ﴿**إنّ في ذلك**﴾ الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بالغة ظاهرة ﴿**لرَحمةً**﴾ لنعمة عظيمة في هدايته إلى الحق وإلى صراط مستقيم ﴿**وذكْرى لقوم يُؤمنون**﴾ أي تذكرة لقوم همهم الإيمان دون التعنت [عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين، أتوا نبي الله ﷺ بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال (كفى بها حماقة قوم ـ أو ضلالة قوم ـ أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، الى ماجاء به غير نبيهم الى قوم غيرهم) فنزلت ـ ابن جرير] .

[٥٢] ﴿**قُلْ كفى باللّهِ بيْني وبيْنَكُم شهيداً**﴾ أي: إني قد بلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم وأنذرتكم، وإنكم قابَلْتموني بالجحد والتكذيب، يعني: كفى علمه بذلك. وجوّز أن يكون المعنى: شهيداً بصدقي بالتأييد والحفظ، فهو شاهد على ما جئت به، مصدقٌ له تصديق الشاهد لدعوى المدعي. قال ابن كثير: أي فلو كنتُ غير محق لانتقم مني﴿ **يعلمُ ما في السمواتِ والأرضِ**﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم ﴿**والذينَ آمَنوا بالباطِلِ وكفروا باللّهِ أولئكَ هُمُ الخاسِرون**﴾ .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿ **ويستعْجِلونكَ بالعذابِ** ﴾ استهزاءً ﴿ **ولَوْلا أجلٌ مُسمًّى** ﴾ لكل عذاب أو قوم ، وهو وقته المعيّن له فيها ﴿ **لجاءَهُمُ العذابُ** ﴾ عاجلاً ﴿ **وليَأْتِيَنَّهُم بغتةً** ﴾ فجأة في الدنيا كوقعة بدر ، فقد كانوا لغرورهم لا يتوقعون غلبة المسلمين ، أو في الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿ **وهُم لا يَشعُرون** ﴾ .

[٥٤] ﴿ **يَسْتَعْجلونَك بالعَذاب** ﴾ وهو واقع بهم لا محالة ﴿ **وإنَّ جهنَّمَ لَمُحيطةٌ بالكافِرين** ﴾ أي : ستحيط بهم، أو هي كالمحيطة بهم، لأن كل آتٍ قريب .

[٥٥] ﴿ **يومَ يغشاهُمُ العذابُ منْ فوقِهم ومن تحتِ أرجُلِهم ويقولُ ذوقُوا ما كُنْتُم تعمَلون** ﴾ أي : جزاءه .

[٥٦] ﴿ **يا عبادِيَ الذينَ آمنوا إنَّ أرضي واسِعةٌ** ﴾ [عن سعيد بن جبير قال: إذا عُمل فيها بالمعاصي ، فاخرج منها ـ ابن جرير] ﴿ **فإيَّايَ فاعْبُدونِ** ﴾ خطاب لمن لم تمكّنه عبادته تعالى وحده في أرضه لإيذائه في الله واضطهاده في جانبه ، أن يهاجر عنها إلى بلد ما ، يقدّر أنه فيه أسلمُ قلباً ، وأصحُّ ديناً ، وآمن نفساً . وقد روى الإمام أحمد عن الزبير: قال : قال رسول الله ﷺ : (البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيراً فأقم) .

[٥٧] ﴿ **كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثُمّ إلَيْنا تُرجَعون** ﴾ تحريض على العبادة وإخلاص الدين بتذكير الموت والرجعى ، أو تسلية للمهاجر إلى الله ، وتشجيع له ، بأن لا يثبطه عن هجرته خوف الموت بسببها ، فلا المقام بأرضه يدفعه ، ولا هجرته عنه تمنعه .

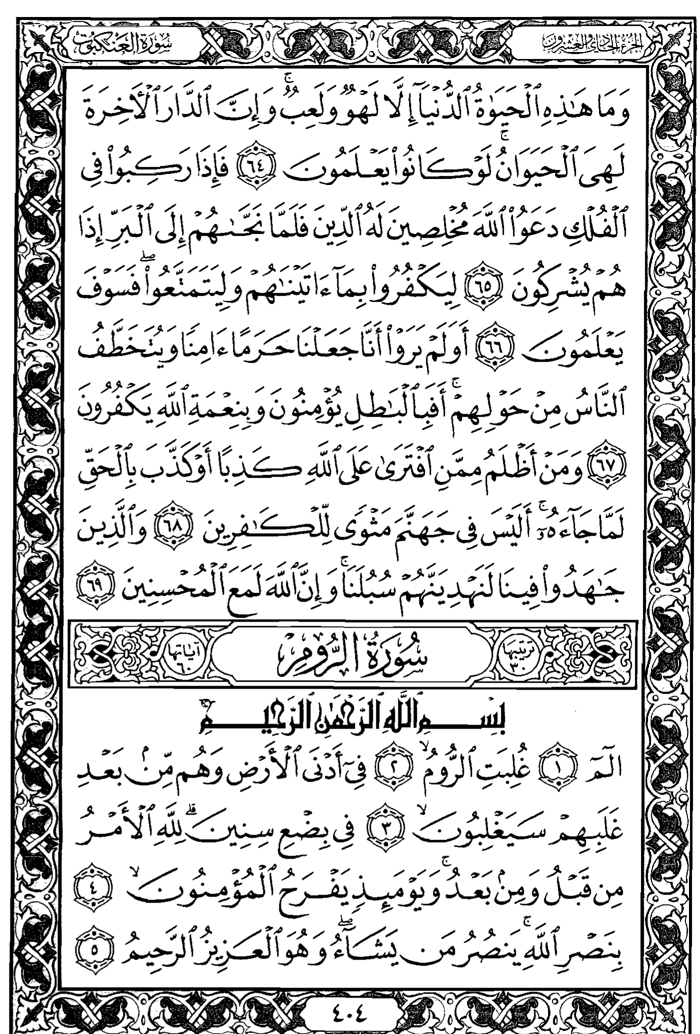
[٥٨] ﴿ **والذين آمَنوا وعمِلوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم** ﴾ لننزلنهم ﴿ **من الجَنَّةِ غُرَفاً** ﴾ منازل رفيعة ﴿ **تَجري من تحتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها ، نِعْمَ أجرُ العامِلين** ﴾ .

[٥٩] ﴿ **الذينَ صَبَروا** ﴾ على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين ، وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب ﴿ **وعلى ربِّهم يتوَكّلون** ﴾ [قال ابن جرير: ثقة منهم بأن الله معل كلمته وموهن كيد الكافرين ، وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم] .

[٦٠] ﴿ **وكأيِّنْ** ﴾ وكم ﴿ **منْ دابّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها** ﴾ لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله ﴿ **اللّهُ يرزُقُها وإيّاكُم** ﴾ أي : يقيّض لها رزقها على ضعفها ، ويرزقكم مع قوتكم واجتهادكم ، فهو الميسّر والمسهِّل لكل مخلوق من رزقه ما يصلحه ، فلا يختص رزقه ببقعة دون أخرى ، بل خيره عامّ ، وفضله شامل لخلقه حيث كانوا وأنّى وُجدوا ﴿ **وهوَ السّميعُ العليمُ** ﴾ . [٦١] ﴿ **ولَئِنْ سألتَهُم** ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ **مَنْ خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ لَيقولُنَّ اللّهُ** ﴾ اعترافاً بأنه المنفرد بخلقها ﴿ **فأنّى يُؤْفَكون** ﴾ فكيف مع هذا الاعتراف يصرفون عن عبادته وحده .

[٦٢] ﴿ **اللّهُ يبسُطُ الرزقَ لمن يشاءُ مِن عبادِهِ ويقدِرُ لهُ ، إنَّ اللّهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ فيفعل بعلمه ما تقتضيه حكمته .

[٦٣] ﴿ **ولَئِنْ سألتَهُم منْ نَزّلَ منَ السّماءِ ماءً فأحْيَى بهِ الأرضَ مِنْ بعدِ مَوْتِها لَيقولُنَّ اللّهُ قُلِ الحمدُ لِلّه** ﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطلون على جحوده ؛ وأنه أظهر حجتك عليهم ﴿ **بَلْ أكثرُهُم لا يَعقِلون** ﴾ فلذلك يتناقضون حيث ينسبون النعمة إليه ، ويعبدون غيره .



[٦٤] ﴿وما هذهِ الحياةُ الدُّنيا إلاّ لهوٌ ولعِبٌ﴾ إشارة إلى ازدراء الدنيا وتحقير شأنها ﴿وإنَّ الدارَ الآخِرةَ لهِيَ الحيوانُ﴾ أي دار الحياة الخالدة ﴿لَوْ كانوا يَعلَمُون﴾ لم يؤْثِروا عليها الدنيا التي حياتها عارضة.

[٦٥] ﴿فإذا رَكِبوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مخلِصينَ لهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء، لعلمهم أنه لا ينجيهم من الغرق سواه ﴿فلمّا نجّاهُم إلى البَرِّ إذا هُم يُشْرِكون﴾.

[٦٦] ﴿لِيَكْفُروا بما آتيْناهُم﴾ أي من نعمة النجاة وربح التجارة ﴿ولِيَتمتَّعوا فسوْفَ يَعلَمون﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون.

[٦٧] ﴿أوَلَمْ يَروْا﴾ أي أهل مكة ﴿أنّا جعلنا حَرَماً آمِناً﴾ لا يُغْزى أهله ولا يُغار عليهم مع قلّتهم وكثرة العرب ﴿ويُتَخطَّفُ النّاسُ من حولِهِم﴾ أي: يُختلسون قتلاً ونهباً وسبياً ﴿أفَبالباطِلِ يُؤمِنون وبنعمةِ اللّهِ يَكْفُرون﴾ أي: أفبعد هذه النعمة الظاهرة وغيرها من النعم، التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، يكفرون خيره، ويشركون معه غيره؟

ربع الحزب ٤١

[٦٨] ﴿ومَنْ أظلَمُ مِمّنِ افْترى على اللهِ كَذِباً﴾ بأن زعم أن له شريكاً ﴿أوْ كذَّبَ بالحقِّ لمّا جاءَهُ﴾ يعني الرسول أو الكتاب ﴿ألَيْسَ في جهنَّمَ مثْوى للكافِرين﴾ أي موضع إقامة، جزاء افترائهم وكفرهم.

[٦٩] ﴿والذين جاهَدوا فِينا﴾ أي جاهدوا النفس والشيطان والهوى وأعداء الدين من أجلنا ولوجهنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا﴾ أي سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا، وذلك بالطاعات والمجاهدات ﴿وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنين﴾ فمن أحسن عمله نصره الله وأعانه.

[سورة الروم]

سميت بالروم لاشتمالها قصة غلبة الروم على الفرس، وفي ذلك للمؤمنين فرحٌ عظيمٌ، فتبطل شماتة أعدائهم، وتدل على أن عاقبة الأمر لهم، وهي مكية. وعدد آياتها ستون آية.

[١]﴿الـمّ﴾ تُقرأ: ألف، لام، ميم. وقد سبق الكلام عنها في أول سورة البقرة. [٢]﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾. [٣]﴿في أدْنى الأرْضِ﴾ أي أقربها منهم وهي أطراف الشام ﴿وهُمْ مِن بعدِ غَلَبِهم سيغلِبُون﴾. [٤]﴿في بِضْعِ سِنين﴾ فلم يمضِ من البضع ـ وهو ما بين الثلاث إلى التسع ـ سبعُ سنين إلا وقد نظم هرقل الجنود الروم وغزا بهم بلاد فارس أي قبل الهجرة بسنة فدوّخها واضطر ملكها للهرب ﴿لِلّهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل غلبة الروم ﴿ومِنْ بَعْدُ﴾ أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً، وغالبين آخراً، ليس إلا بأمره وقضائه وعلمه ومشيئته ﴿ويومئِذٍ﴾ أي: يوم يغلب الروم على فارس، ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم ﴿يفرحُ المؤْمنون﴾. [٥]﴿بنصْرِ اللّهِ﴾ أي: تغليبه من لَهُ كتاب على من لا كتاب له، وغيظ من شمت بهم من كفار مكة، وكان بعض كفار مكة قد راهن أبا بكر على مائة ناقة إن انتصر الروم على الفرس إنكاراً لنبأ القرآن ﴿يَنصُرُ مَن يشاءُ﴾ من عباده على عدوه ﴿وهو العزيزُ﴾ القاهر الغالب على أمره، لا يعجزه من شاء نصره ﴿الرحيمُ﴾ في نصره وتغليبه من يشاء.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ ، لا يُخلِفُ اللَّهُ وعدَهُ ، ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يعلَمون** ﴾ أي بحكمته تعالى في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل لجهلهم وعدم تفكرهم .

[٧] ﴿ **يعلَمون ظاهِراً من الحياةِ الدُّنْيا** ﴾ وهو ما يوافق شهواتهم وأهواءهم [عن ابن عباس قال : يعني معايشهم، متى يحصدون ومتى يغرسون ـ ابن جرير] .

﴿ **وهُم عنِ الآخِرَةِ** ﴾ التي هي المطلب الأعلى ﴿ **هُمْ غافلون** ﴾ لا يُخْطِرونها بِبالهم ، فهم جاهلون بها تاركون لعملها .

[٨] ﴿ **أَوَلَمْ يتفكَّروا في أنفسِهِم** ﴾ المعنى : حثهم على النظر في ذواتهم وما اشتملت عليه من بديع الصنع ﴿ **ما خلقَ اللَّهُ السَّمواتِ والأرضَ وما بينَهُما إلاّ بالحقِّ** ﴾ ما خلقها باطلاً ولا عبثاً بغير حكمة بالغة ، ولا لتبقى خالدة ، وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة به ﴿ **وأجَلٍ مُسمًّى** ﴾ لا بد لها من أن تنتهي إليه ، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ﴿ **وإنَّ كثيراً مِنَ الناسِ بلقاءِ ربِّهم لَكافِرون** ﴾ .

[٩] ﴿ **أَوَلَمْ يسيروا في الأرضِ فينظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ مِنْ قبلِهِم ، كانوا أشدَّ منهُم قوَّةً وأثاروا الأرضَ** ﴾ أي قلبوها للزراعة واستخراج المعادن وغيرهما مما كانوا أرقى فيه من أهل مكة ﴿ **وعمَروها أكثرَ ممّا عمَروها** ﴾ بالأبنية المشيدة والصناعات الفريدة ، ووفرة العَدد والعُدد ، وتنظيم الجيوش والتزين بزخارف أعجبوا بها ، واستطالوا بأبهتها ، ففسدت ملكتهم وطغت شهواتهم حتى اقتضت حكمته تعالى إنذارهم ﴿ **وجاءتْهُم رُسُلُهُم بالبيِّنات** ﴾ بالآيات الواضحات على أحقية ما يدعونهم إليه ﴿ **فما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُم ولكنْ كانوا أنفسَهُم يَظْلِمون** ﴾ ما كان الله ليهلكهم من غير جرم منهم ، أي : فكذَّبوهم فأهلكهم .

[١٠] ﴿ **ثُمَّ كانَ عاقبةَ الذينَ أساؤُوا** ﴾ أي عملوا السيئات ﴿ **السُّوءَى** ﴾ العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم ، و « السُّوءَى » تأنيث « الأسوأ » وهو الأقبح ، كما أن « الحُسْنى » تأنيث « الأحسن » ﴿ **أنْ** ﴾ أي : لأن ﴿ **كذَّبوا بآياتِ اللَّهِ وكانوا بِها يستهزِئُون** ﴾ .

[١١] ﴿ **اللَّهُ يبدَأُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ** ﴾ بعد الموت بالبعث ﴿ **ثمَّ إليهِ تُرجَعون** ﴾ إلى موقف الحساب والجزاء .

[١٢] ﴿ **ويومَ تقومُ السَّاعةُ يُبْلِسُ المجرمون** ﴾ أي : يسكتون متحيرين يائسين ، يقال : أبلس إذا سكت وانقطعت حجته [قال ابن زيد : المبلس الذي قد نزل به الشر، إذا أبلس الرجل فقد نزل به بلاء ـ ابن جرير] .

[١٣] ﴿ **ولَمْ يكُنْ لَهُم مِن شُركائِهِم شُفَعاءُ** ﴾ يجيرونهم من عذاب الله كما كانوا يزعمون ﴿ **وكانوا بشركائِهِم كافِرين** ﴾ أي : بإلهيتهم وشركهم لله تعالى ، حيث وقفوا على كنه أمرهم .

[١٤] ﴿ **ويومَ تقومُ الساعةُ يومئِذٍ يتفرَّقون** ﴾ أي : يتميز المؤمنون والكافرون في المحالّ والأحوال [عن قتادة قال : فرقة والله لا اجتماع بعدها ـ ابن جرير]. [١٥] ﴿ **فأمَّا الذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ فهُم في رَوْضَةٍ يُحْبَرون** ﴾ أي : يسرُّون [ويلذذون بالسماع وطيب العيش الهني . . وعن يحيى ابن أبي كثير في قوله ﴿يحبرون﴾ قال : السماع في الجنة ـ ابن جرير] .

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿ **وأمَّا الذينَ كفـروا وكذَّبوا بآياتِنـا ولقاءِ الآخِرةِ فأولئكَ في العذابِ مُحْضَرون** ﴾ أي : لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم . [قال ابن جرير: وأما الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون].

[١٧] ﴿ **فسُبْحانَ اللَّهِ حينَ تُمْسـون وحينَ تُصْبِحون** ﴾ [في الحديث : (ألا أخبركم لم سمي إبراهيم الـذي وفَّى ، لأنه كان يقـول كلما أصبح وأمسى : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحـون ، وله الحمـد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون) ـ ابن كثير] .

[١٨] ﴿ **ولهُ الحمدُ في السَّمٰـواتِ والأرضِ وعَشيّاً وحينَ تُظْهِرون** ﴾ فسبِّحـوه تسبيحـاً دائماً ، وقـد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن الآيـة جامعـة للصلـوات الخمس ، ﴿ تمسون ﴾ : صلاة المغـرب والعشاء ، ﴿ تصبحون ﴾ : صلاة الفجر ، و ﴿ عشياً ﴾ : صلاة العصر ، و﴿ تظهرون ﴾ صلاة الظهر » .

[١٩] ﴿ **يُخرِجُ الحَيَّ مِـنَ الـمَيِّتِ** ﴾ كالإنسان من النطفة ، والطائر من البيضة ﴿ **ويُخرِجُ الميِّتَ من الحَيِّ** ﴾ [عن عبد الله ـ ابـن مسعود ـ قال: النطفـة مـاء الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منهـا حياً وهي ميتة ـ ابن جرير] ﴿ **ويُحْيِي الأرْضَ** ﴾ بالنبات ﴿ **بعدَ مَوْتِها** ﴾ أي : يبسها ﴿ **وكذلكَ** ﴾ ومثل ذلك الإخراج ﴿ **تُـخْرَجون** ﴾ من قبوركم .

[٢٠] ﴿ **ومِن آياتِه** ﴾ الباهرة الدالة على قدرته على البعث ﴿ **أنْ خلقَـكُم من تُرابٍ** ﴾ يعني أصلكم آدم عليه السلام ، أو النطفة والمادة ﴿ **ثُمَّ إذا أنتُمْ بَشَـرٌ تنتشِرون** ﴾ في الأرض انتشاراً ملأ البسيطة وشمل الكرة ، فأخذتم في بناء المدائن والحصون ، والسفر في أقطار الأقاليم ، وركوب متن البحار ، والدوران حول كرة الأرض ، وكسب الأموال وجمعها .

[٢١] ﴿**ومِن آياتِه أنْ خلقَ لكُم مِن أنفُسِكُمْ**﴾ أي : جنسكم ﴿**أزْواجاً لتسكُنوا إليها**﴾ لتأنسوا بها ﴿**وجعلَ بينكُم مودَّةً ورحمةً**﴾ توادّاً وتراحماً بعصمة الزواج بعد أن لم يكن لقاء ولا سبب يـوجب التعاطف من قرابة أو رحم ﴿**إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرون**﴾ في بدائع هذه الأفاعيل المتينة المبنية على الحِكَم البالغة .

[٢٢] ﴿**ومِن آياتِه خلْقُ السَّمواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكُم وألوانِكُم إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالِـمين**﴾ أي : أولي العلم .

[٢٣] ﴿**ومِنْ آياتِهِ منَامُـكُمْ باللَّيلِ والنَّهارِ**﴾ لاستراحة القوى وردّ ما فقدته ﴿**وابتِغاؤُكُمْ من فَضْلِهِ**﴾ بالسعي في الأسباب والأخذ في فضل الاكتساب ﴿**إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يسمَعون**﴾ [مواعظ الله] سماع تفهم واستبصار.

[٢٤] ﴿**ومِن آياتِـهِ يُريــكُمُ البرْقَ خوفاً**﴾ من الصاعقـة [إذا كنتم سفراً] ﴿**وطَمَعاً**﴾ في الغيث والـرحمة [إذا كنتم في إقامـة] . أو: لتخافوا مـن قهر سلطانه وتطمعوا في عظم إحسانه ﴿**ويُنزِّلُ مِنَ السماءِ ماءً فـيُحْيي بِهِ الأرضَ**﴾ بالنبات ﴿**بعْدَ موْتِها**﴾ بعد يبسها ﴿**إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقِلون**﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

[٢٥] ﴿ **ومن آياتـه أنْ تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِهِ** ﴾ أي : إرادته لقيامها ﴿ **ثُمَّ إذا دعاكُم دعوةً مِنَ الأرضِ إذا أنتُم تخرُجون** ﴾ أي بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم في قبوركم .

[٢٦] ﴿ **ولَـهُ مَنْ في السَّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً ﴿ **كُلٌّ لهُ قانِتون** ﴾ منقادون لتصرفه لا يتأبون عليه .

[٢٧] ﴿ **وهُوَ الذي يَبْـدَأُ الخَلْقَ ثمّ يُعيدُهُ** ﴾ بعد موتهم ، والتكرار لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده ﴿ **وهُوَ أهونُ عليْهِ** ﴾ من البدء ، أي : بالقياس إلى ما يقتضيه معقول المخاطَبين ، لأن من أعاد منهم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها ، وإلاّ فهما عليه سبحانه سواء في السهولة ﴿ **ولهُ المَـثَـلُ الأعلى في السَّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ أي : الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيها كالقدرة العامة والحكمة التامة ﴿ **وهوَ العزيزُ** ﴾ الغالب على أمره الذي لا يعجزه بدء ممكن وإعادته ﴿ **الحكيمُ** ﴾ الذي يجري أفعاله على سنن الحكمة والمصلحة .

نصف الحزب ٤١

[٢٨] ﴿ **ضربَ لكُم مَثَلاً** ﴾ يتبين به بطلان الشرك ﴿ **مِن أنفُسِكُم** ﴾ أي منتزعاً من أحوالها وهي أقرب الأمور إليكم وأظهر كشفاً ﴿ **هلْ لكُم مِن ما ملَكَتْ أيمانُكُم** ﴾ من العبيد والإماء ﴿ **من شُركاءَ فيما رزقناكُم** ﴾ من الأموال وغيرها ﴿ **فأنتُم فيهِ سَواءٌ** ﴾ متساوون في التصرف فيما ذكر من غير مزية ﴿ **تخافونَهُم** ﴾ تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم ﴿ **كخِيفَتِكُم أنفسَكُم** ﴾ كما يخاف بعضكم بعضاً من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر . والمعنى نفي مضمون ما فصَّل من الجملة الاستفهامية ، أي : لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى ، فكيف تشركون به سبحانه في العبودية التي هي من خصائصه الذاتية ، تعبدون ما تصنعونه بأيديكم ؟ ﴿ **كذلك نفصِّلُ الآياتِ** ﴾ أي : مثل ذلك التفصيل الواضح ، نوضح الآيات ﴿ **لـقوم يعقِلون** ﴾ .

[٢٩] ﴿ **بلِ اتَّبَعَ الـذين ظلموا أهـواءَهُم بغيرِ عِلْمٍ** ﴾ بغير يقين وبرهان ﴿ **فمَنْ يهدي مَنْ أضلَّ اللّـهُ** ﴾ لا يقدر على هدايته أحد ﴿ **وما لهُم من ناصِرين** ﴾ ينصرونهم من الله ، إذا أراد بهم عذاباً .

[٣٠] ﴿ **فأَقِمْ وجهَكَ للدِّينِ** ﴾ أي : فقوِّمه له واجعله مستقيماً متوجهاً له ﴿ **حنيفاً** ﴾ مائلاً عن كل ما سواه ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها** ﴾ لأن عقل كل واحد يدل على أنه حادث يفتقر إلى محدث ، ولا دلالة على الافتقار إلى متعدد أبداً ، فالقول بتعدده تغيير للفطرة ﴿ **لا تبديلَ لخَلقِ اللَّهِ** ﴾ لا تغيير لأمر العقل الذي خلقه الله للاستدلال ﴿ **ذلك** ﴾ الدِّين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة ﴿ **الدِّينُ القَيِّمُ** ﴾ الذي لا عوج فيه ﴿ **ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلَمونَ** ﴾ . [٣١] ﴿ **مُنيبين إليه** ﴾ راجعين إليه بالتوبة والإنابة ﴿ **واتّقوهُ وأَقيموا الصَّلاةَ ولا تكونوا مِنَ المُشْرِكين** ﴾ .

[٣٢] ﴿ **مِنَ الذينَ فرَّقوا دينَـهُم** ﴾ جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم ﴿ **وكانوا شِيَعاً** ﴾ أي فِرَقاً ﴿ **كُـلُّ حِزْبٍ بما لديهِم فَرِحون** ﴾ كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور ، يحسب باطله حقاً .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿ **وإذا مَسَّ الناسَ ضُرٌّ** ﴾ أي شدَّةٌ ﴿ **دعَوْا ربَّهُم مُنيبين إليه** ﴾ راجعين إليه وحده دون شركائهم ﴿ **ثُمّ إذا أذاقَهُم منهُ رحمةً** ﴾ أي خلاصاً من تلك الشدة ﴿ **إذا فريقٌ منهُم بربِّهِم يُشرِكون** ﴾ .

[٣٤] ﴿ **ليَكْفُروا بما آتيناهُم** ﴾ بالسبب الذي آتيناهم الرحمة من أجله وهو الإنابة ﴿ **فتمتَّعوا فسوْفَ تعلَمون** ﴾ عاقبةَ تمتعكم ووباله .

[٣٥] ﴿ **أَمْ أنزلنا عليهم سُلطاناً** ﴾ أي : حجة واضحة قاهرة ﴿ **فهُوَ يتكلَّمُ** ﴾ تكلم دلالة ﴿ **بما كانوا بهِ يُشركون** ﴾ أي : بإشراكهم ، وهذا استفهام إنكاري ، أي : لم يكن شيء من ذلك .

[٣٦] ﴿ **وإذا أذَقْنا الناسَ رحمةً** ﴾ أي : نعمة من صحة وسعة ﴿ **فَرِحوا بها** ﴾ بطراً وفخراً ، لا حمداً وشكراً ﴿ **وإنْ تُصِبْهُم سيِّئَةٌ** ﴾ شدَّة ﴿ **بما قدَّمت أيديهِم** ﴾ من المعاصي والآثام ﴿ **إذا هُم يَقْنَطون** ﴾ ييأسون من روح الله ، وفي الصحيح : (عجباً للمؤمن ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سرّاء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له) .

[٣٧] ﴿ **أوَلَمْ يروْا أنَّ اللَّهَ يبسطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويقدِرُ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمِنون** ﴾ [قال ابن جرير: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقر بها إذا عاينها ورآها] .

[٣٨] ﴿ **فآتِ ذا القُرْبى حَقَّهُ** ﴾ من البر والصلة . واستدل به أبو حنيفة على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب ﴿ **والمِسْكينَ** ﴾ الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته ﴿ **وابْنَ السَّبيلِ** ﴾ أي السائل فيه ، والذي انقطع به ، وحقهما هو نصيبهما من الصدقة والمواساة ﴿ **ذلك خيرٌ للذين يُريدون وجهَ اللَّهِ** ﴾ النظر إليه يوم القيامة ، وهو الغاية القصوى ، أو يريدون ذاته بمعروفهم لا رياءً ولا سمعةً ولا مكافأةَ يد ﴿ **وأولئكَ هُمُ المُفْلِحون** ﴾ في الدنيا والآخرة .

[٣٩] ﴿ **وما آتيْتُم مِن رِباً** ﴾ أي من مال ترابون فيه ﴿ **ليَرْبُوَ في أموالِ النّاسِ** ﴾ أي ليزيد في أموالهم ، إذ تأخذون فيه أكثر منه ﴿ **فلا يَرْبُو عندَ اللَّهِ** ﴾ أي لا يزكو ولا ينمو ولا يبارك فيه ، بل يمحقه محق ما لا عاقبة له عنده إلا الوبال والنكال ﴿ **وما آتَيْتُم مِن زكاةٍ** ﴾ أي مال تتزكون به من رجس الشحّ ودنس البخل ﴿ **تُريدون وجهَ اللَّهِ فأولئكَ هُمُ المُضْعِفون** ﴾ أي ذوو الأضعاف من الثواب .

[٤٠] ﴿ **اللَّهُ الذي خلقكُم ثمَّ رزقكُم ثمّ يُميتُكُم ثمّ يُحْييكم ، هَلْ مِن شُركائكُم مَنْ يفعلُ من ذلِكُمْ مِن شيءٍ ، سُبحانَهُ وتعالى عمَّا يُشركون** ﴾ أثبت له تعالى لوازم الألوهية ، ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها ، وفي ذلك تقديس له عن الشريك .

[٤١] ﴿ **ظهرَ الفَسادُ في البرِّ والبحرِ** ﴾ أي : كثُرت المضارُّ والمعاصي على وجه الأرض وعلى ظهر السفن في لجج البحر ﴿ **بما كسبَتْ أيْدي النّاسِ** ﴾ من الآثام والموبقات ففشا الفساد وانتشرت عدواه وتوارثه جيل عن جيل أينما حلوا وحيثما ساروا ﴿ **ليُذيقَهُم بعضَ الذي عمِلوا لعلّهُم يَرجِعون** ﴾ أي : ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم لعلهم يرجعون عما هم عليه .

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[٤٢] ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك ﴿ **سِيروا في الأرضِ فانظُروا كيف كانَ عاقبةُ الذين مِن قَبْلُ ، كان أكثرُهُم مُشرِكين** ﴾ فأذاقهم الله سبحانه سوء العاقبة لشركهم المستتبع لكل إثم وعصيان .

[٤٣] ﴿ **فأَقِمْ وجهَكَ للدِّينِ القَيِّمِ من قَبْلِ أنْ يأتيَ يومٌ لا مَرَدَّ لهُ** ﴾ لا يقدر أحد على رده ﴿ **مِنَ اللَّهِ ، يومئذٍ يَصَّدَّعون** ﴾ يتفرقون كالفراش المبثوث ، أو فريق في الجنة وفريق في السعير .

[٤٤] ﴿ **مَنْ كفرَ فعليهِ كُفْرُه** ﴾ أي وبال كفره ﴿ **ومَنْ عَمِلَ صالحاً فلأنفُسِهِم يَمْهَدون** ﴾ يسوُّون منزلاً في الجنة ، أي: يوطئونه توطئة الفراش لمن يريد الراحة عليه [وعن مجاهد قال: يسوون المضاجع . . . في القبر ـ ابن جرير] .

[٤٥] ﴿ **ليجزيَ الذينَ آمَنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ مِن فضلِهِ** ﴾ [الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ـ ابن جرير] ﴿ **إنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرين** ﴾ .

[٤٦] ﴿ **ومِن آياتِهِ أنْ يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ** ﴾ بالمطر ﴿ **ولِيُذيقَكُم مِن رحمتِهِ ولتجريَ الفُلْكُ بأمرِه** ﴾ أي في البحر عند هبوبها ﴿ **ولتبتَغوا من فضلِه** ﴾ بتجارة البحر ﴿ **ولعلَّكُم تشكُرون** ﴾ ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر .

[٤٧] ﴿ **ولَقَدْ أرسلْنا مِن قبلِكَ رُسُلاً إلى قومِهِم فجاؤُوهُم بالبيِّناتِ فانتقَمْنا مِن الذين أجرَموا وكانَ حقًّا علينا نصرُ المؤْمنين** ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ بمن قبله على وجه يتضمن الوعد له ، والوعيد لمن عصاه . [عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة) ثم تلا هذه الآية : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾أخرجه ابن أبي حاتم ـ ابن كثير] .

[٤٨]﴿ **اللَّهُ الذي يُرسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سَحاباً فيَبْسُطُه في السَّماءِ كيفَ يشاءُ** ﴾ إما سائراً وواقفاً ، مطبقاً وغير مطبق ، من جانب دون جانب ، إلى غير ذلك ﴿ **ويجعلُهُ كِسَفاً** ﴾ قِطَعاً تارة أخرى ﴿ **فترى الوَدْقَ** ﴾ أي المطر ﴿ **يخرُجُ من خلالِه ، فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يشاءُ من عبادِهِ إذا هُمْ يَستَبْشِرون** ﴾ .

[٤٩] ﴿ **وإنْ كانوا مِن قبْلِ أنْ يُنَزَّلَ عليهِم** ﴾ المطر ﴿ **مِن قَبْلِهِ لَمُبْلِسين** ﴾ لآيسين . قال ابن كثير: إن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين من نزول المطر إليهم ، فلما جاءهم ، جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعاً عظيماً ، فبعدما كانت أرضهم مقشعرة هامدة ، أصبحت وقد اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى ﴿إن ذلك لمحيي الموتى﴾ قال ابن عطية : إنه يدل على سرعة تقلب القلوب البشرية من الإبلاس إلى الاستبشار .

[٥٠] ﴿ **فانظُرْ إلى آثارِ رحمةِ الله** ﴾ أي أثر الغيث والنبات والأشجار والحبوب والثمار ﴿ **كيفَ يُحْيِي الأرضَ بعدَ موْتِها ، إنَّ ذلك** ﴾ أي العظيم الشأن الذي ذكر بعض شؤونه ﴿ **لَمُحْيِي الموْتى ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ . [قال ابن جرير: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيي الموتى من بعد مماتهم ، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير] .

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

[٥١] ﴿ ولئنْ أرسلْنا رِيحاً ﴾ على الزرع ﴿ فرأَوْهُ مُصْفَرّاً ﴾ من تأثيرها فيه ﴿ لظلُّوا مِن بعدِه يكفُرون ﴾ يجحدون ما تقدم إليهم من النعم ، أو يقنطون ولا يصبرون على بلائه .

[٥٢] ﴿ فإنَّكَ لا تُسْمِعُ الموْتى ﴾ شبَّهَهُم بالموتى لانسداد مشاعرهم عن الحق ﴿ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولَّوْا مُدْبِرين ﴾ والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتَيْ السوء : نُبوِّ أسماعهم عن الحق ، وإعراضهم عن الإصغاء إليه ، ولو كان فيهم إحداهما ، لكفاهم ذلك ، فكيف وقد جمعوهما ؟

[٥٣] ﴿ وما أنتَ بهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهم ، إنْ تُسْمِعُ ﴾ أي : ما تسمع ﴿ إلاّ مَن يُؤْمِنُ بآياتِنا فهُم مُسْلِمون ﴾ منقادون لما تأمرهم به من الحق .

[٥٤] ﴿ اللَّهُ الذي خلقَكُم مِنْ ضَعْفٍ ﴾ أي : من أصلٍ ضعيف هو النطفة ﴿ ثمَّ جعلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ ﴾ يعني حال الطفولة والنشء ﴿ قوّةً ﴾ يعني : حال البلوغ والشبيبة إلى الاكتهال وبلوغ الأشُدّ ﴿ ثمَّ جعلَ مِن بعدِ قُوّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً ﴾ أي بالشيخوخة والهرم ﴿ يخلُقُ ما يشاءُ ﴾ من الأشياء ، ومنها هذه الأطوار التي يتقلّب فيها الإنسان ﴿ وهوَ العليمُ القديرُ ﴾ الواسع العلم والقدرة .

[٥٥] ﴿ ويومَ تقومُ السّاعةُ يُقْسِمُ المجرِمون ما لَبِثوا غيرَ ساعةٍ ﴾ أي : في الدنيا أو القبور ، وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له ، أو ينسون أو يكذبون أو يخمّنون ﴿ كذلكَ كانوا يُؤْفَكون ﴾ أي : كذلك حالهم في الآخرة من الكذب والتمادي في الباطل كما كانت حالهم في الدنيا ، وهكذا كانوا يبتون أمرهم على خلاف الحق .

[٥٦] ﴿ وقالَ الذين أُوتُوا العِلْمَ والإيمانَ ﴾ ردًّا لما حلفوا عليه ، وإطلاعاً لهم على الحقيقة ﴿ لقد لبثتم في كتاب الله ﴾ أي : فيما كتبه الله وأوجبه بحكمته ﴿ إلى يومِ البَعْثِ ، فهذا يومُ البعثِ ، ولكنّكُم كنتُم لا تعلَمون ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه .

[٥٧] ﴿ فيومئِذٍ لا ينفعُ الذينَ ظَلَموا ﴾ بالشرك ، أو إنكار الربوبية ، أو الرسالة ، أو شيء مما يجب الإيمان به ﴿ معذِرتُهُم ﴾ بأنهم كفروا عن جهل ، لأنه إنما كان عن تقصيرهم في إزالته ، أو عن عناد ﴿ ولا هُم يُسْتَعْتَبُون ﴾ ويطلب منهم الإعتاب . أي : إزالة العتب بالتوبة والطاعة ، لأنهما ، وإن كانتا ماحيتين للكفر والمعاصي ، فإنما كان لهما ذلك في مدة الحياة الدنيا ، لا غير .

[٥٨] ﴿ ولقد ضرَبْنا للنّاسِ في هذا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي من كل وصف يوضح الحق ويزيل اللَّبْس ، أو من كل دليل على الأمور الأخروية ﴿ ولئنْ جئْتَهُم بآيَةٍ ﴾ مما اقترحوه أو غيرها ﴿ ليقولَنَّ الذين كفروا إنْ أنتُم إلاّ مُبْطِلون ﴾ أي : لا يؤمنون بها ، ويعتقدون أنها سحر وباطل .

[٥٩] ﴿ كذلكَ يَطبَعُ اللَّهُ على قلوبِ الذين لا يعلَمون ﴾ أي : لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق ، بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترّهات ابتدعوها ، فإن الجهل المركّب يمنع إدراك الحق ، ويوجب تكذيب المحق . [٦٠] ﴿ فاصْبِرْ ﴾ على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة ﴿ إنّ وعْدَ اللَّهِ حقٌّ ، ولا يسْتَخِفَّنَّكَ ﴾ لا يحملنك على الخفة والقلق ﴿ الذين لا يُوقِنون ﴾ بما تتلو عليهم من الآيات البيِّنات .

سورة لقمان

ترتيبها ٣١ آياتها ٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

[سورة لقمان]

سميت بلقمان لاشتمالها على قصتـــه التي تضمنت فضيلة الحكمـة ، وسر معرفـة الله تعالى وصفـاته ، وذم الشرك والأمـر بالأخـلاق والأفعال الحميـدة والنهي عن الذميمة . وهي مكية ، ويقال إلا قوله تعالى : ﴿ ولَوْ أنَّ ما في الأرضِ مِـن شَجَرَةٍ . . . ﴾ الآيتين . وعدد آياتها أربع وثلاثون آية .

[١] ﴿الٓمٓ ﴾ تقرأ هـذه الأحرف : ألف ، لام ، ميم . وقد سبق ذكرها في مطلع سورة البقرة .

[٢] ﴿ **تلكَ آياتُ الكتـابِ الحكيمِ** ﴾ ذي الحكمـة الناطق بها .

[٣] ﴿ **هُـدًى ورحمةً للمُحْسِنين** ﴾ [الـذين أحسنـوا العمل بما أنزل الله في هذا القرآن] .

[٤] ﴿ **الـذين يُـقيمون الصَّـلاة ويُؤْتـون الزَّكـاةَ وهُم بالآخِرةِ هُم يوقِنون**﴾ بيان لإحسانهم ، يعني ما عملوه من الحسنـات ، أو تخصيص لهذه الثـلاثة من شُعَبِـه ، لإظهار فضلها على غيرها ، والمراد بـالزكاة مطلق إخراج المال تقرُّبـاً بالتصـدق منه ، وتـزكية للنفس بإيتـائه من وصمة البخل والشح المردي لها .

[٥] ﴿ **أولئكَ على هُـدًى من ربِّهم ، وأولئِـكَ هُمُ المُفْلِحون** ﴾ .

[٦]﴿ **ومِنَ النَّاسِ مَنْ يشْتري لَهْوَ الحديثِ ليُضِلَّ عن سبيلِ اللَّهِ** ﴾ تعريض بـالمشركين ، وإنهم يستبدلون بهذا الكتـاب المفيد الهدى والـرحمة والحكمة ، مـا يُلهي من الحديث عن ذلك الكتـاب العظيم ، ليضلُّـوا أتبـاعهم عن الدين الحق ، و« اللهـو » كل باطل ألهى عن الخير ﴿ **بغير علم** ﴾ أي : بما هي الكمالات ومنافعهـا ، والنقائص ومضـارُّها ﴿ **ويتَّخِذَها هُزُواً** ﴾ الضمير للسبيل ﴿ **أولئك لهُم عذابٌ مُهِينٌ** ﴾ .

[٧]﴿ **وإذا تُـتْلى عليه آياتُـنا ولَّى** ﴾ أعرض عنها ﴿ **مُستكبِراً كأَنْ لمْ يسْمَعْها كأنَّ في أُذُنَـيْهِ وَقْراً** ﴾ أي: ثقلاً مانعاً عن السماع ﴿ **فبَشِّرْهُ بعذابٍ أليمٍ** ﴾ .

[٨]﴿ **إنّ الذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالِحاتِ لهُم جنَّاتُ النَّعيم** ﴾ .

[٩]﴿ **خالِدينَ فيها ، وَعْدَ اللَّهِ حقًّا ، وهُوَ العزيزُ الحكيـمُ** ﴾ .

[١٠] ﴿ **خلَـقَ السَّمٰـواتِ بغيرِ عَمَدٍ ترَوْنَها** ﴾ الضمير للسَّمٰـوات ، يعني : أنه عمَّـدها بعُمَدٍ لا تُرى ، وهي إمساكهـا بقدرته ﴿ **وألْقى في الأرضِ رواسِيَ** ﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿ **أنْ تميدَ بـكُم** ﴾ تميل بكم فتُهلكُكم لما في جوفها من قوَّة الجيشان ﴿ **وبَثَّ فيها مِنْ كلِّ دابَّـةٍ** ﴾ أي من كل نوع من أنواعها ﴿ **وأنزَلْنا** ﴾ لحفظكم وحفظ دوابِّكم ، وللـرفق بكم وبدوابكم ﴿ **مِنَ السَّماءِ ماءً فأنبَـتْنا فيها من كلِّ زَوْجٍ** ﴾ من كل صنف من الأغذيـة والأدوية ﴿ **كريم** ﴾كثير المنافع .

[١١] ﴿ **هذا** ﴾ أي ما ذكر من السَّمٰـوات والأرض ومـا يتعلق بهما من الأمـور المعدودة ﴿ **خَلْقُ اللَّهِ** ﴾ أي : مخلوقة ﴿ **فأَروني مـاذا خلَقَ الذينَ مِن دونِـهِ** ﴾ مما اتخذتموهم شركاء لـه سبحانه في العبادة ﴿ **بَـلِ الظّـالِمون في ضلالٍ مُبينٍ** ﴾ الضلال البيِّن المستدعي للإعـراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة ، لاستحالة أن يفهموا منها شيئاً ، فيهتدوا به إلى العلم ببطلان ما هم عليه ، وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿ **ولقدْ آتينا لُقمانَ الحكمةَ** ﴾ اختلف السلف في لقمان ، هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوّة ، على قولين ، الأكثرون على الثاني ﴿ **أنِ اشكُرْ للّه** ﴾ على ما أعطاك من نِعَمه ﴿ **ومَنْ يشكُرْ فإنّما يشكُرُ لنفسِهِ** ﴾ لعَوْدِ ثمرات شكره عليه ﴿ **ومَنْ كفرَ فإنَّ اللّهَ غنيٌّ حميدٌ** ﴾ غني عن كل شيء ، فلا يحتاج إلى الشكر ، وحقيق بالحمد ، بل نطق بحمده كل موجود .

[١٣] ﴿ **وإذْ قال لُقمانُ لابنِهِ وهو يعِظُهُ : يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللّهِ ، إنَّ الشِّرْكَ لظلمٌ عظيمٌ** ﴾ وبعد وصية لقمان قرن تعالى الوصية بعبادة الله وحده البرَّ بالوالدين ، وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن الكريم .

[١٤] ﴿ **ووصَّيْنا الإنسانَ بوالِدَيْهِ** ﴾ أي بالإحسان إليهما ، لاسيما الوالدة ﴿ **حَمَلتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ** ﴾ أي ضعفاً فوق ضعف إلى الولادة ﴿ **وفِصالُهُ** ﴾ أي فطامه ﴿ **في عامَيْن** ﴾ ثم فسّر الوصية بقوله سبحانه : ﴿ **أنِ اشكُرْ لي ولوالِدَيْكَ** ﴾ بأن تعرف نعمة الإحسان وتقدر قدره ﴿ **إليَّ المصيرُ** ﴾ إليّ الرجوع لا إلى غيري ، فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر .

[١٥] ﴿ **وإنْ جاهداكَ على أنْ تُشرِكَ بي ما ليس لكَ بهِ عِلْمٌ فلا تُطعْهُما** ﴾ في إشراك ما لا تعلمه مستحقاً للعبادة تقليداً لهما ، يريد الأصنام ﴿ **وصاحِبْهُما في الدُّنْيا مَعْروفاً** ﴾ يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم ﴿ **واتّبعْ سبيلَ مَنْ أنابَ إليَّ** ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعات ، وعمل الصالحات ﴿ **ثُمَّ إليَّ مرجِعُكُم فأُنبِّئُكُم بما كنتم تعمَلون** ﴾ كناية عن الجزاء ، كما تقدّم نظائره .

[١٦] ﴿ **يا بُنَيَّ إنّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ** ﴾ أي : إن الخصلة من الإساءة أو الإحسان ، إن تكُ مثلاً في الصغر كحبة الخردل ﴿ **فتكُنْ في صخرةٍ أوْ في السَّمٰواتِ أوْ في الأرضِ** ﴾ أي : فتكن مع كونها في أقصى غايات الصغر ، في أخفى مكان وأحرزه ، كجوف الصخرة ، أو حيث كانت في العالم العلويّ أو السفليّ ﴿ **يَأْتِ بها اللّهُ** ﴾ يحضرها ويحاسب عليها ﴿ **إنَّ اللّهَ لطيفٌ** ﴾ ينفذ علمه وقدرته في كل شيء ﴿ **خبيرٌ** ﴾ يعلم كنهَ الأشياء ، فلا يعسر عليه .

[١٧] ﴿ **يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ** ﴾ بحدودها وفروضها وأوقاتها ، لتكميل نفسك بعبادة ربك ﴿ **وأْمُرْ بالمعروفِ وانْهَ عنِ المُنكَرِ** ﴾ لتكميل غيرك ﴿ **واصبِرْ على ما أصابَكَ** ﴾ من المحن ﴿ **إنَّ ذلكَ** ﴾ إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به ﴿ **مِنْ عَزْمِ الأُمورِ** ﴾ أي مما عزمه الله من الأمور ، أي قطعه قطع إيجاب .

[١٨] ﴿ **ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للناسِ** ﴾ لا تعرض بوجهك عنهم ، إذا كلمتهم أو كلَّموك ، احتقاراً منك لهم ، واستكباراً عليهم ، لكن ألِنْ جانبك وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : (وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) أخرجه الترمذي ﴿ **ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرَحاً** ﴾ خيلاء متكبراً ﴿ **إنَّ اللّهَ لا يُحبُّ كلَّ مُختالٍ** ﴾ معجب في نفسه ﴿ **فخورٍ** ﴾ على غيره .

[١٩] ﴿ **واقْصِدْ في مَشْيِكَ** ﴾ توسّط بين الدبيب والإسراع ﴿ **واغضُضْ من صوْتِكَ** ﴾ أي : أنقص من رفعه ، وأقصر ، فإنه يقبح بالرفع حتى ينكره الناس ، إنكارهم على صوت الحمير ﴿ **إنَّ أنكَرَ الأصْواتِ لَصوتُ الحميرِ** ﴾ « أنكر » بمعنى أوْحَش .

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سخَّرَ لكُم ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ** ﴾ من النجوم والشمس والقمر التي ينتفعون من ضيائها ، وما تؤثره في الحيوان والنبات والجماد بقدرته تعالى ، وكذا من الأمطار والسُّحُب والكوائن العلوية التي خلقها الله تعالى لنفع من سُخِّرَتْ له ، وكذا ما أوجد في الأرض من قرار وأشجار وأنهار وزروع وثمار ليستعملها من سُخِّرت له فيما فيه حياته وراحته وسعادته ﴿ **وأسبَغَ عليكُم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً** ﴾ أي محسوسة ومعقولة كإرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة الشُّبه والعلل ﴿ **ومنَ النَّاسِ** ﴾ يعني الجاحدين نعمته تعالى ﴿ **مَنْ يُجادِلُ في اللَّهِ** ﴾ أي في توحيده وإرساله الرسل ﴿ **بغيرِ عِلْمٍ** ﴾ بغير برهان قاطع مستفاد من عقل ﴿ **ولا هُدًى** ﴾ ولا دليل مأثور عن نبيّ ﴿ **ولا كتابٍ مُنيرٍ** ﴾ منزل من لدنه تعالى ، بل لمجرد التقليد ، و« المنير » بمعنى المنقذ من ظلمة الجهل والضلال .

الحزب ٤٢

[٢١] ﴿ **وإذا قِيلَ لَهُمُ** ﴾ أي لمن يجادل ، والمجمع باعتبار المعنى ﴿ **اتَّبِعوا ما أنزَلَ اللَّهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وجَدْنا عليهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشيطانُ يدعوهُم إلى عذابِ السَّعيرِ** ﴾ أي : يدعو إلى اعتقادات وأعمال ، هي أسباب العذاب ، كأنه يدعوهم إلى عين العذاب .

[٢٢] ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ في أعماله ﴿ **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى** ﴾ أي : تعلّق بأوثق ما يُتعلَّق به من الأسباب . وهو تمثيل لحال المؤمن المخلص المحسن ، بحال من أراد رقيَّ شاهق ، فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلّي منه . [عن ابن عباس في الآية : قال : لا إله إلا الله ـ ابن جرير] ﴿ **وإلى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمورِ** ﴾ مآلها .

[٢٣] ﴿ **ومن كفرَ فلا يحزُنْكَ كُفرُه ، إلينا مرجِعُهُم فننبِّئُهم بما عمِلوا** ﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿ **إنَّ اللَّهَ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ** ﴾ .

[٢٤] ﴿ **نُمَتِّعُهُم قليلاً ثم نضطَرُّهُم إلى عذابٍ غليظٍ** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **ولئِن سألْتَهُمْ مَنْ خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحمدُ للَّه** ﴾ على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً ﴿ **بَلْ أكثرُهُم لا يعلَمون** ﴾ شيئاً ما ، فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم .

[٢٦] ﴿ **للَّهِ ما في السَّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ فلا يستحق العبادة فيهما غيرُه ﴿ **إنَّ اللَّهَ هُوَ الغنيُّ** ﴾ عن العالمين ، وهم فقراء إليه جميعاً ﴿ **الحميدُ** ﴾ المحمود فيها خلق وشرع بلسان الحال والمقال .

[٢٧] ﴿ **ولَوْ أنَّما في الأرضِ منْ شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ مِنْ بعدِهِ** ﴾ أي من بعد نفاده ﴿ **سبعةُ أبحُرٍ ما نفِدَتْ كلماتُ اللَّهِ** ﴾ التي أوجد بها الكائنات ، وسيوجد بها ما لا غاية لحصره ومنتهاه ، والسبعة ـ إنما ذكرت ـ على سبيل المبالغة لا الحصر ﴿ **إنّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ [قال ابن جرير: ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب مجادلة كانت من اليهود له . عن قتادة قال : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفد ، قال : لو كان شجر البر أقلاماً ، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه] .

[٢٨] ﴿ **ما خَلْقُكُم ولا بَعْثُكُم إلاّ كنفسٍ واحدةٍ** ﴾ إلاّ كخلقها وبعثها في سهولته ﴿ **إنَّ اللَّهَ سَميعٌ بصيرٌ** ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

[٢٩] ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يولِجُ الليلَ في النهارِ ويولِجُ النهارَ في الليلِ وسخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ كلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسَمَّى** ﴾ أي أمدٍ قدَّره الله تعالى لجريها ، وهو يوم القيامة . [قال ابن كثير : قيل إلى غاية محدودة ، وقيل إلى يوم القيامة ، وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت) أخرجه الشيخان مرفوعاً] ﴿ **وأنَّ اللَّهَ بما تعملون خبيرٌ** ﴾ لأن من شاهد مثل ذلك الصُّنْعَ الرائق ، والتدبيرَ الفائق ، لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجلّ محيطاً بما يأتي ويذر .

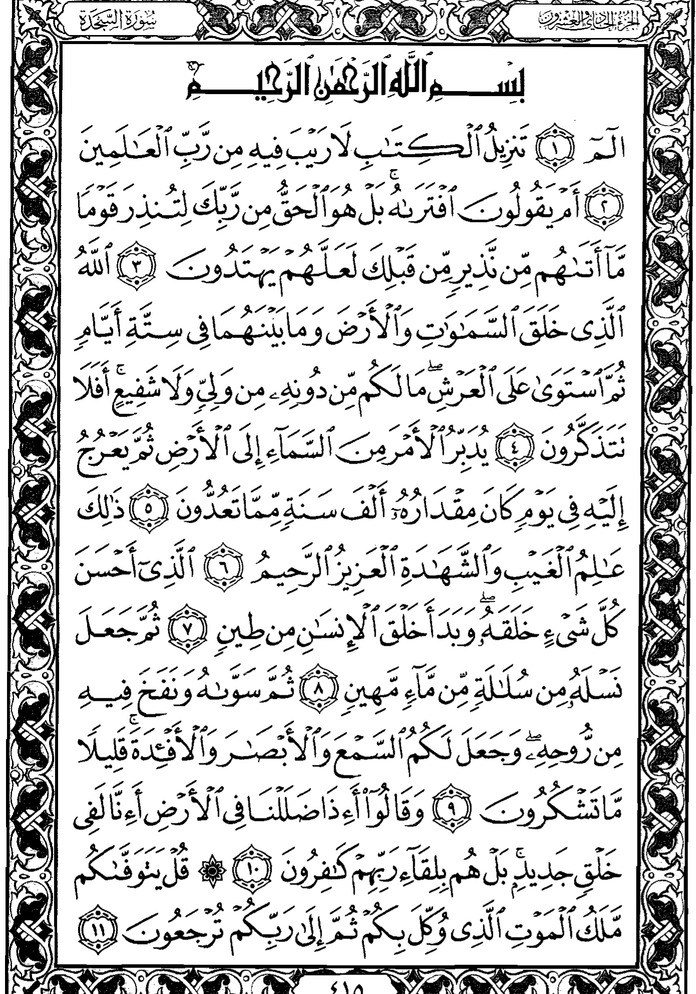
[٣٠] ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى ما ذُكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارىء بها ﴿ **بأنَّ اللَّهَ هو الحقُّ** ﴾ أي : بسبب أنه الحق ، وجوده وإلهيته ﴿ **وأنَّ ما يَدْعون مِن دونِهِ الباطِلُ ، وأنَّ اللَّهَ هُوَ العليُّ الكبيرُ** ﴾ .

[٣١] ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلكَ تجري في البحرِ بنعمةِ اللَّهِ** ﴾ أي : بإحسانه في تهيئة أسبابه ﴿ **ليُرِيَكُم مِنْ آياتِهِ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبَّارٍ** ﴾ عظيم الصبر على البأساء والضرّاء ﴿ **شكورٍ** ﴾ كثير الشكر للنِّعَم بالقيام بحقها . [عن قتادة قال : كان مطرف ـ ابن الشخير ـ يقول : إن من أحب عباد الله إليه : الصبار الشكور ـ ابن جرير] .

[٣٢] ﴿ **وإذاغشِيَهُم** ﴾ أي : علاهم وأحاط بهم ﴿ **موجٌ كالظُّلَلِ** ﴾ كالسُّحب والحجب ﴿ **دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ** ﴾ أي : التجؤوا إليه تعالى وحده لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الضر ﴿ **فلمّا نجَّاهُم إلى البرِّ فمِنْهُم مقتصدٌ** ﴾ أي : كافر ، وقيل : هو المتوسط في العمل ، وكان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدؤوب في العبادة والمبادرة إلى الخيرات ﴿ **وما يجحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلُّ خَتَّارٍ** ﴾ غدّار ، ناقض للعهد الفطريّ ﴿ **كفورٍ** ﴾ مبالغ في كفران نعمه تعالى ، لا يقضي حقوقها .

[٣٣] ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُم واخشَوْا يوماً لا يَجزي والِدٌ عنْ ولدِهِ ، ولا مَوْلودٌ هو جازٍ عن والدِهِ شيئاً** ﴾ أي : ليس بمغن أحدُهما عن الآخر شيئاً ، لانقطاع الوَصْلِ في ذلك اليوم الرهيب ﴿ **إنَّ وعْدَ اللَّهِ حقٌّ** ﴾ بالثواب والعقاب ، لا يمكن إخلافه ﴿ **فلا تغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يغرَّنَّكُم باللَّهِ الغَرورُ** ﴾ أي الشيطان .

[٣٤] ﴿ **إنَّ اللَّهَ عندَه عِلْمُ السَّاعةِ** ﴾ أي علم وقت قيامها ﴿ **ويُنزِّلُ الغيْثَ** ﴾ في وقته الذي قدَّره ، وإلى محله الذي عيَّنه في علمه ﴿ **ويعلَمُ ما في الأرحامِ** ﴾ من ذكر أو أنثى ، سعيد أو شقي ﴿ **وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً** ﴾ من خير أو شرٍّ ﴿ **وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ** ﴾ في بلدها أو غيره ، لاستئثار الله تعالى ذلك بعلمه ﴿ **إنَّ اللَّهَ عليمٌ خبيرٌ** ﴾ بما كان ويكون ، وبظواهر الأشياء وبواطنها ، لا إله إلا هو . وقد جاء في الخبر تسمية هذه الخمس مفاتح الغيب ، فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله) وتلا هذه الآية . أخرجه البخاري والإمام أحمد .



[سورة السجدة]

سميت بها لأن آية السجدة منها ، وهي مكية . وعدد آياتها ثلاثون آية .

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تقدم أن هذه الفواتح أسماء للسور .

[٢] ﴿ تنزيلُ الكتابِ لا رَيْبَ فيـهِ ﴾ أي : في كونه منزلاً ﴿ من ربِّ العالمين ﴾ .

[٣] ﴿ أمْ يقولونَ افْتَراهُ ﴾ أي : اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بلْ هوَ الحقُّ مِنْ ربِّـكَ لتُنذِرَ قوماً ما أتاهُم مِنْ نذيرٍ مِن قبلِكَ ﴾ ذلك أن قريشاً لم يُبْعث إليهم رسول قبل محمد ﷺ ﴿ لعلَّهُم يهتَدون ﴾ أي يتبعون الحق .

[٤] ﴿ اللهُ الذي خَلَـقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ وما بينَـهُما في ستَّـةِ أيَّامٍ ثم استوى على العرشِ ﴾ تقدَّم الكلام في ذلك في تفسير الآية ٥٩ من سورة الفرقان في الصفحة ٣٦٥ ﴿ ما لَـكُم من دونِـهِ من ولِي ولا شفيـعٍ ﴾ أي : ما لكم عنده ناصر ولا شفيع من الخلق ﴿ أفَلا تتذكَّرون ﴾ أي : تتعظون بالقرآن فتؤمنوا ؟ .

[٥] ﴿ يُدبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ ﴾ أي : يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية ، نـازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض ﴿ ثم يعـرُجُ إليـهِ ﴾ أي : يصعـد إليه . [قـال مجاهـد والضحـاك رحمهما الله : النـزول من الملك مسيرة خمسمائة عام ، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ، ولكنه يقطعهـا في طرفة عين ـ ابـن كثير] ﴿ في يـوم كـان مقـدارُه ألفَ سنـةٍ ممَّا تَـعُدُّون ﴾ أي : ألف سنة من سني الدنيا .

ربع الحزب ٤٢

[٦] ﴿ ذلك ﴾ المدبِّر ﴿ عالِمُ الغيبِ ﴾ ما غـاب عن العباد وما يكون ﴿ والشهادةِ ﴾ ما علمه العباد ، وما كان ﴿ العزيزُ ﴾ الغالب على أمره ﴿ الرحيمُ ﴾ بالعباد في تدبره .

[٧] ﴿ الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلَـقَـهُ ﴾ أحكم خلق كل شيء ﴿ وبدأ خلْقَ الإنسانِ ﴾ يعني آدم ﴿ من طِينٍ ﴾ .

[٨] ﴿ ثم جعلَ نسْلَـهُ ﴾ ذرّيّته ﴿ من سُلالةٍ ﴾ من نطفة ، و« السلالة » الخلاصة ، وأصلهـا ما يسلّ ويخلص بالتصفية ﴿ من ماء مَهِينٍ ﴾ ضعيف ممتهن .

[٩] ﴿ ثمَّ سوَّاهُ ﴾ قوّمـه في بطن أمه ﴿ ونفخَ فيهِ من روحِهِ ﴾ أي : جعل الروح فيـه ، وأضافه إلى نفسه تشريفـاً له ﴿ وجعلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ ﴾ خلق لكم هذه المشاعر ، لتدركوا بها الحق والهدى ﴿ قليلاً ما تَشكُرون ﴾ بأن تصرفوها إلى ما خُلقت له .

[١٠] ﴿ وقالوا ﴾ كفار مكّة : ﴿ أإذا ضلَـلْنا في الأرضِ ﴾ أي : صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز منه ، أو غبنا فيها ﴿ أإنا لفي خَلْقٍ جديدٍ ﴾ أي : نجدد بعد الموت ﴿ بلْ هُم بلقاءِ ربِّهِم ﴾ بالبعث بعد الموت للجزاء والحساب ﴿ كافِرون ﴾ جاحدون .

[١١] ﴿ قُـلْ ﴾ بياناً للحق ورداً على زعمهم الباطل : ﴿ يتوفَّاكُم مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بكُمْ ﴾ أي : يقبض أرواحكم ﴿ ثُم إلى ربِّكُم تُـرْجَعون ﴾ بالبعث للحساب والجزاء . [أخرج ابن أبي حـاتم عن كعب الأحبار : والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقـوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه ـ ابن كثير] .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ ولَوْ ترى إذِ المُجْرِمون ﴾ وهم القائلون تلك المقالة الشنعاء ﴿ ناكِسوا رؤوسِهم عند ربِّهم ﴾ مطأطئوها من الحياء والخزي لما قدَّمت أيديهم : ﴿ ربَّنا ﴾ أي : يقولون : ربنا ﴿ أبصَرْنا وسمِعْنا ﴾ علمنا ما لم نعلم ، وأيقنا بما لم نكن به موقنون ﴿ فارْجِعْنا ﴾ إلى الدنيا ﴿ نعملْ صالحاً إنّا موقِنون ﴾ مقرُّون بك وبكتابك ورسولك والجزاء .

[١٣] ﴿ ولَوْ شِئْنا لآتينا كُلَّ نفسٍ هُداها ﴾ تقواها ﴿ ولكنْ حَقَّ القولُ منّي ﴾ في القضاء السابق ﴿ لأمْلأنَّ جهنَّمَ من الجِنَّةِ والناسِ أجمَعين ﴾ ومشيئته تعالى لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها ، فلمَّا لم يختاروا الهدى ، واختاروا الضلالة ، لم يشأْ إعطاءه لهم ، وإنما آتاه الذين اختاروه من النفوس البَرّة .

سجدة

[١٤] ﴿ فذوقوا بما نسِيتم لِقاءَ يومِكُم هذا ﴾ أي : تركتم الإقرار به ، والإيمان بصدق موعوده ، وعاملتموه معاملة المنسيِّ المهجور ﴿ إنّا نَسِيناكُم ﴾ جازيناكم جزاء نسيانكم ، أو تركناكم في العذاب ترك المنسيِّ ﴿ وذوقوا عذابَ الخُلْدِ بما كنتُم تعمَلون ﴾ من الموبقات .[عن قتادة قال : نسوا من كل خير، وأما الشر فلم ينسوا منه ـ ابن جرير] .

[١٥] ﴿ إنّما يؤْمِنُ بآياتِنا الذين إذا ذُكِّروا بها ﴾ إذا وُعِظوا بها ﴿ خَرُّوا سُجَّداً ﴾ تواضعاً لله وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم من الإسلام ﴿ وسبَّحوا بحمدِ ربِّهم وهم لا يستكْبِرون ﴾ عن الانقياد لها ، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة .

[١٦] ﴿ تَتَجافى جنوبُهُم عن المضاجِع ﴾ ترتفع وتتنحى عن الفراش ومواضع النوم ، وهم المتهجدون بالليل ﴿ يدْعونَ ربَّهُم ﴾ داعين له ﴿ خوفاً ﴾ من عذابه ﴿ وَطَمَعاً ﴾ في رحمته ﴿ وممَّارزقناهُم ﴾ من المال ﴿ يُنفِقون ﴾ في وجه البرّ والحسنات .

[١٧] ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهُم ﴾ ما أُعدَّ لهؤلاء الذين عُدِّدتْ مناقبهم ﴿ من قُرَّةِ أعيُنٍ ﴾ مما تقرّ به عينهم من طيبة النفس والثواب والكرامة في الجنة ﴿ جَزاءً بما كانوا يعمَلُون ﴾ في الدنيا من الأعمال الصالحة . [١٨] ﴿ أفمَنْ كان مُؤْمِناً كمَنْ كانَ فاسِقاً ﴾ كافراً جاحداً ﴿ لا يستَوُون ﴾ في الآخرة بالثواب والكرامة ، كما لم يستووا في الدنيا بالطاعة والعبادة . [١٩] ﴿ أمَّا الذينَ آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ فلَهُم جنّاتُ المأْوَى نُزُلاً ﴾ أي ثواباً ﴿ بما كانوا يعمَلُون ﴾ [عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا نبي الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال ﷺ : (سألت عن عظيم وإنه ليَسيرٌ على من يَسَّرَه الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت) . ثم قال : (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّةٌ ، والصدقة تطفىء الخطيئة ، وصلاة الرجل في جوف الليل) . ثم قرأ : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ـ ابن كثير] .

[٢٠] ﴿ وأمّا الذين فسَقوا فمأْواهُمُ النّارُ ، كلَّما أرادوا أنْ يخرُجوا منها أُعِيدوا فيها ﴾ كناية عن دوام عذابهم واستمراره ﴿ وقِيلَ لهُم ذوقوا عذابَ النّارِ الذي كنتُم بهِ تُكذِّبون ﴾ يقال لهم ذلك تشديداً عليهم وزيادة في غيظهم وتقريعاً وتوبيخاً .

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

[٢١] ﴿ **ولَنُذيقَنَّهُم** ﴾ أي أهل مكة ﴿ **منَ العذابِ الأدْنى** ﴾ عذاب الدنيا والجدب والقتل والأسر ﴿ **دُونَ العذابِ الأكبرِ** ﴾ عذاب الآخرة ﴿ **لعلَّهُم يرجِعون** ﴾ يتوبون عن الكفر .

[٢٢] ﴿ **ومَنْ أظلَمُ ممَّن ذُكِّرَ بآياتِ ربِّهِ ثم أعرَضَ عنها** ﴾ أي جحدها وكفر بها ﴿ **إنّا من المجرمين منتَقِمون** ﴾ بالعذاب وإظهار المتقين عليهم . [عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ثلاث من فعلهن فقد أجرم : من عقد لواء في غير حق، أو عقَّ والديه، أو مشى مع ظالم ينصره يقول الله ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ ـ ابن جرير] .

[٢٣] ﴿ **ولقَدْ آتَيْنا مُوسى الكتابَ** ﴾ أي التوراة ﴿ **فلا تكُنْ في مِرْيَةٍ من لقائِهِ** ﴾ أي تلقي الكتاب الذي هو القرآن ، ونهيُه ﷺ عن الشك ، المقصود به نهي أمته ﴿ **وجعَلْناهُ هُدىً لِبَني إسرائيلَ** ﴾ من الضلالة .

[٢٤] ﴿ **وجعَلْنا مِنْهُم أئمَّةً يهدُونَ بأمرِنا** ﴾ أي : قادة بالخير يدعون الخلقَ إلى أمرنا وشرعنا ﴿ **لمّا صبَروا** ﴾ على العمل به والاعتصام بأوامره ﴿ **وكانوا بآياتِنا يوقنون** ﴾ يصدقون أشد التصديق وأبلغه . والمعنى : كذلك لنجعلنَّ الكتاب هدى لأمتك ، ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية .

[٢٥] ﴿ **إنَّ ربَّكَ هُوَ يَفْصِلُ** ﴾ يقضي ﴿ **بينَهُم يومَ القيامَةِ فِيما كانوا فيهِ يختَلِفون** ﴾ فيميز الحق من الباطل .

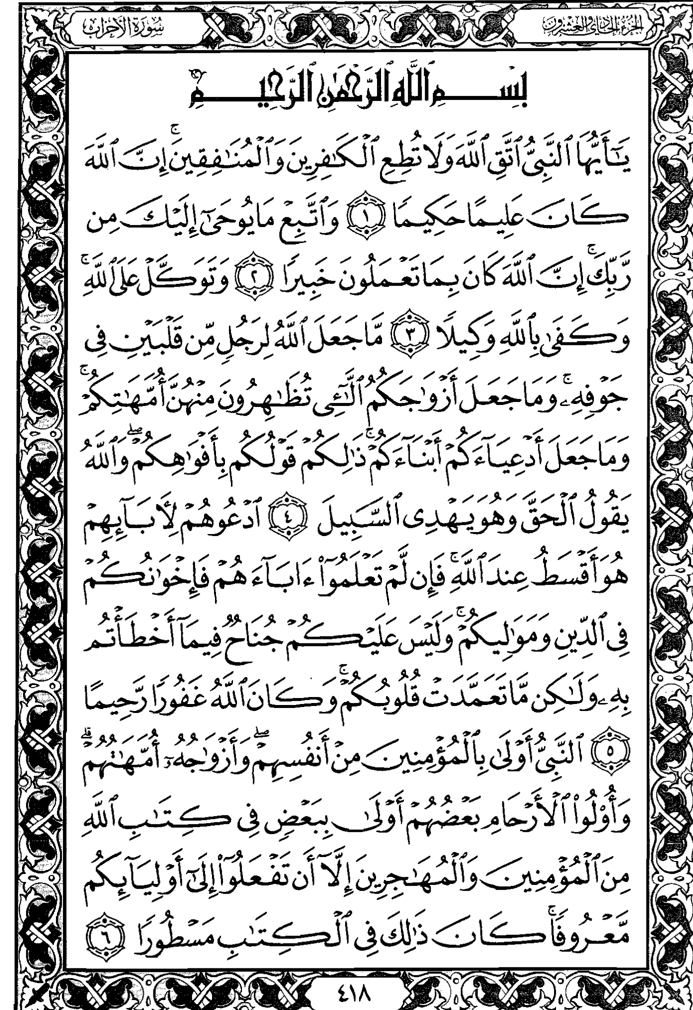
[٢٦] ﴿ **أوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ** ﴾ أي : ألم يتبين لكفار مكة ﴿ **كَمْ أهلَكْنا مِنْ قبْلِهِم من القُرونِ** ﴾ الماضية بعذاب استئصال ﴿ **يَمْشونَ في مساكِنِهِم** ﴾ كمنازل قوم شعيب وهود وصالح ولوط عليهم السلام ، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يعمرها ويسكنها ﴿ **إنَّ في ذلكَ** ﴾ فيما فعلنا بهم ﴿ **لآياتٍ** ﴾ عبراً ومواعظ ودلائل متناظرة ﴿ **أفَلا يسمَعون** ﴾ أخبارَ من تقدَّم ، كيف صار أمرهم بسبب تكذيبهم الرسل وبغيهم الفساد في الأرض ، فيحملهم ذلك على الإيمان .

[٢٧] ﴿ **أوَلَمْ يَرَوْا أنّا نَسوقُ الماءَ إلى الأرضِ الجُرُزِ** ﴾ وهي التي جرز نباتها ، أي قطع ﴿ **فنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تأكُلُ منهُ أنعامُهُم وأنفسُهُم** ﴾ يعني العشب والثمار والبقول ﴿ **أفَلا يُبْصِرُون** ﴾ فيستدلون به على كمال قدرته ووجوب انفراده بالإلهية .

[٢٨] ﴿ **ويقولون** ﴾ كفّار مكة : ﴿ **متى هذا الفتْحُ** ﴾ أي الانتصار علينا . استعجال لوقوع البأس الربّاني عليهم ، الذي وُعِدوا به ، واستبعادٌ له ﴿ **إنْ كنتُم صادِقين** ﴾ .

[٢٩] ﴿ **قُلْ يومَ الفتحِ لا يَنفَعُ الذينَ كفَروا إيمانُهم ولا هُمْ يُنظَرون** ﴾ لحلول ما يغشي الأبصار ويعمي البصائر ، وظهور منار الإيمان وزهوق الفريق الكافر .

[٣٠] ﴿ **فأعْرِضْ عنهُم** ﴾ أي عن المشركين ، ولا تبالِ بهم ، وبلِّغ ما أُنزل إليك من ربك ﴿ **وانتَظِرْ** ﴾ النصر عليهم ، فإن الله سينجز لك ما وعدك ، إنه لا يخلف الميعاد ﴿ **إنهم مُنْتَظِرون** ﴾ ما في نفوسهم ، وسيجدون مغبَّة انتظارهم من وبيل عقابه تعالى ، وأليم عذابه بهم .



[سورة الأحزاب]

سميت بالأحزاب لأن قصتها معجزة لرسول الله ﷺ بحيث كفى المؤمنين القتال ، وقد ميّز بهم بين المؤمنين والمنافقين ، وهذا من أعظم مقاصد القرآن . وهي مدنية . وعدد آياتها ثلاث وسبعون آية .

[١] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ اتّقِ اللَّهَ** ﴾ أمره عليه السلام بالتقوى تفخيماً وتعظيماً للتقوى نفسها ﴿ **ولا تُطِعِ الكافِرين والمنافِقين** ﴾ لا توافقهم على أمر ، ولا تقبل لهم رأياً ولا مشورة ﴿ **إنَّ اللَّهَ كان عليماً حكيماً** ﴾ فهو أحق بأن تتبع أوامره ويطاع .

[٢] ﴿ **واتّبِعْ ما يُوحى إليكَ منْ ربِّكَ** ﴾ في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ﴿ **إنَّ اللَّهَ كان بما تعمَلون خبيراً** ﴾ .

[٣] ﴿ **وتَوَكَّلْ على اللَّـهِ ، وكفى باللَّـهِ وكِيلاً** ﴾ أسند أمرَكَ إليه ، وكِلْه إلى تدبيره ، فكفى به حافظاً موكولاً إليه كل أمر .

[٤] ﴿ **ما جعلَ اللَّهُ لرجلٍ من قلْبَيْنِ في جَوْفِهِ** ﴾ لم يرَ في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين في جوفه ﴿ **وما جعلَ أزواجَكُمُ اللاّئي تُظاهِرون منهُنَّ أمّهاتِكُم** ﴾ كما لم ير أن تكون المرأة الواحدة أمّاً للرجل وزوجاً له . ومعنى « ظاهر من امرأته » قال لها : أنت عليَّ كظهر أمي . وكان الظِهار طلاقاً عند أهل الجاهلية ، وهو في الإسلام يقتضي الطلاق والحرمة إلى أداء الكفّارة ﴿ **وما جعلَ أدعياءَكُم أبناءَكُم** ﴾ ولا يكون الرجل الواحد دعيّاً لرجل ، وابناً له ، لأن البنوّة أصالة في النسب ، وعراقة فيه ، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل ﴿**ذلِكُم** ﴾ إشارة إلى ما ذُكِر ﴿ **قولُكُم بأفْواهِكُم** ﴾ أي لا حقيقة له فلا يقتضي دعواكم ذلك ، أن يكون ابناً حقيقياً ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فلا يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن يكون لبشر واحد قلبان ﴿ **واللَّهُ يقولُ الحقَّ** ﴾ الثابت المحقق في نفس الأمر ﴿ **وهو يَهْدي السبيلَ** ﴾ أي سبيل الحق .

[٥] ﴿**ادْعوهُم لآبائِهِم**﴾ انسبوهم إليهم ﴿**هو أقسَطُ عندَ اللَّهِ**﴾ أعدل وأحكم ﴿**فإنْ لم تعلَموا آباءَهُم**﴾ فتنسبوهم إليهم ﴿**فإخوانُكُم**﴾ فهم إخوانكم ﴿**في الدِّينِ ومواليكُم**﴾ أولياؤكم فيه ﴿**وليسَ عليكُم جُناحٌ**﴾ أي إثم ﴿**فيما أخطأْتُم بِهِ**﴾ فيما فعلتموه من نسبة بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة ، مخطئين بالسهو أو النسيان ، أو سبق اللسان ﴿**ولكنْ ما تعمَّدَتْ قلوبُكُم**﴾ أي : ففيه الجُناح ، لأن من تعمّد الباطل كان آثماً ﴿**وكان اللَّهُ غفوراً رحيماً**﴾ لعفوه عن المخطىء . [٦] ﴿**النبيُّ أوْلىٰ بالمؤمنينَ من أنفُسِهِم**﴾ أي : في كل شيء من أمور الدين والدنيا ﴿**وأزواجُهُ أمّهاتُهُم**﴾ في وجوب تعظيمهن واحترامهن ، وتحريم نكاحهن ، وفيما عدا ذلك كالأجنبيات ﴿**وأُولُو الأرحام**﴾ أي : ذوو القرابات ﴿**بعضُهُم أوْلىٰ ببعضٍ في كتابِ اللَّهِ**﴾ أي : فيما فرضه ، أو فيما أوحاه إلى نبيه عليه السلام ﴿**مِنَ المؤمنينَ والمهاجرينَ**﴾ بيان لأولي الأرحام ، أو صلة لـ«أوْلَى» ﴿**إلاّ أنْ تفعَلُوا إلى أوْليائِكُم**﴾ أي : إخوانكم المؤمنين والمهاجرين غير الرحم ﴿**معروفاً**﴾ أي : من صدقة ومواساة وهدية ووصية ﴿**كان ذلك في الكتابِ مسطوراً**﴾ أي : في القرآن ، أو في قضائه وحكمه وما كتبه وفرضه مقرراً لا يعتريه تبديل ولا تغيير.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

[٧] ﴿ **وإذْ أخذْنا مِنَ النَّبيّينَ ميثاقَهُم ومنكَ ومِن نوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعيسى ابنِ مريمَ** ﴾ أي : أخذنا عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق والتعاون والتناصر والاتفاق وإقامة الدين وعدم التفريق فيه ، وتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم ﴿ **وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً** ﴾ أي : عهداً عظيم الشأن .

[٨] ﴿ **لِيَسأَلَ الصادِقينَ عن صِدْقِهِم** ﴾ ليسأل الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم ﴿ **وأعَدَّ للكافِرين عذاباً أليماً** ﴾ أعدَّ لمن كفر من أممهم عذاباً موجعاً ، فما جاءت به الرسل هو الحق ، ومن خالفهم فهو على الضلال .

[٩] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا اذكُروا نِعمةَ اللّهِ عليكُم** ﴾ اذكروا ما أنعم به عليكم يوم « الأحزاب » وهو يوم « الخندق » ﴿ **إذ جاءَتْكُم جُنودٌ** ﴾ هم الأحزاب ﴿ **فأرسلْنا عليهِم ريحاً وجُنوداً لم تَرَوْها** ﴾ هم الملائكة ، أو ما أتى من الريح من طيور الجوّ وجراثيمه ﴿ **وكانَ اللّهُ بما تعمَلون بَصيراً** ﴾ .

[١٠] ﴿ **إذْ جاؤوكُم من فوقِكُم ومِن أسفَلَ منكُم** ﴾ جاؤوا من أعلى الوادي وأسفله ، بقصد التحزب على أن يكونوا جملة واحدة على استئصال النبي ﷺ وصحبه ﴿ **وإذْ زاغتِ الأبصارُ** ﴾ مالت عن سننها ومستوى نظرها ، حيْرة وشخوصاً ﴿ **وبلَغتِ القلوبُ الحَناجِرَ** ﴾ بلغت منتهى الحلقوم لأن بالفزع تنتفخ الرئة فترتفع ، وبارتفاعها ترتفع القلوب ، وذلك من شدة الغم ، أو هو مَثَل في اضطراب القلوب ﴿ **وتظُنُّون باللّهِ الظُّنونا** ﴾ تظنون به سبحانه أنواع الظنون المختلفة .

[١١] ﴿ **هنالِكَ ابتُلِيَ المؤمنون** ﴾ اختُبِروا ليتميز الثابت من المتزلزل ، والمؤمن من المنافق ﴿ **وزُلْزِلوا زِلزالاً شديداً** ﴾ أُزعجوا أشد الإزعاج من شدة الخوف والفزع ، أو من كثرة الأعداء .

[١٢] ﴿ **وإذْ يقولُ المنافقونَ والذينَ في قلوبِهم مَرَضٌ** ﴾ في قلوبهم شبهةٌ . قالوا ، تعسفاً بما يجدونه من الوسواس في نفوسهم ، وفرصة لانطلاق ألسنتهم بما تكنُّ صدورهم ، لضعف إيمانهم وشدَّة ما هم فيه من ضيق الحال ، وحصر العدوِّ لهم : ﴿ **ما وعَدَنا اللّهُ ورسولُهُ** ﴾ من النصر ﴿ **إلاّ غُروراً** ﴾ إلا باطلاً .

[١٣] ﴿ **وإذْ قالَتْ طائفةٌ منهُم** ﴾ من المنافقين : ﴿ **يا أهْلَ يثربَ** ﴾ هي أرض المدينة ﴿ **لا مُقامَ لَكُم** ﴾ لا إقامة لكم بعد اليوم بالمدينة أو نواحيها لغلبة الأعداء ﴿ **فارْجِعوا** ﴾ إلى منازلكم من المدينة هاربين ، أو : فارجعوا عن الإسلام كُفّاراً ليمكنكم المقام ﴿ **وَيَستأذِنُ فريقٌ منهُمُ النَّبيَّ** ﴾ في الرجوع ﴿ **يقولونَ إنَّ بيوتَنا عَوْرَةٌ** ﴾ غير محصّنة ، يُخشى عليها ﴿ **وما هِيَ بعَوْرَةٍ ، إنْ يُريدون إلاّ فِراراً** ﴾ . [١٤] ﴿ **ولَوْ دُخِلَتْ** ﴾ يثربُ ﴿ **عليهِم مِن أقْطارِها** ﴾ بأن دخلها عليهم العدو من سائر جوانبها ، وأخذ في النهب والسلب ﴿ **ثم سُئِلوا الفِتنَةَ** ﴾ الرجعة إلى الكفر ﴿ **لأتَوْها** ﴾ أي لفعلوها ﴿ **وما تلَبّثوا بها إلاّ يَسيراً** ﴾ وما توقفوا بإعطائها إلا ريثما يكون السؤال والجواب ، لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به ، مع أدنى خوف وفزع .

[١٥] ﴿ **ولقَدْ كانوا عاهَدوا اللّهَ من قَبْلُ** ﴾ من قبل هذا الخوف ﴿ **لا يُوَلُّون الأدْبارَ ، وكان عهدُ اللّهِ مَسْؤولاً** ﴾ عن الوفاء به .

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿ **قُلْ لَنْ ينفعَكُم الفِرارُ إنْ فررْتُم مِنَ الموتِ أو القتْلِ** ﴾ لأنه لا يؤخِّر آجالهم ولا يطوِّل أعمارهم ﴿ **وإذاً** ﴾ إن فررتم ﴿ **لا تُمتَّعون إلاّ قليلاً** ﴾ في الدنيا بعد فراركم ، فمهما مُتِّعوا في الدنيا فإنه قليل بجانب نعيم الآخرة للصابرين .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

[١٧] ﴿ **قُلْ مَنْ ذَا الذي يَعْصِمُكُم** ﴾ مَنِ الذي يُجيركم ﴿ **مِنَ اللّهِ إنْ أرادَ بكُم سُوءاً** ﴾ هلاكاً أو هزيمة ؟ ﴿ **أو أرادَ بكُم رحمةً ولا يجِدون لهُم مِن دونِ اللّهِ ولِيّاً ولا نصيراً** ﴾ لا يجدون مجيراً ولا مغيثاً يدفع عنهم الضر .

[١٨] ﴿ **قَدْ يعلَمُ اللّهُ المُعَوِّقِين مِنْكُم** ﴾ أي : المثبطين عن رسول الله ﷺ، وهم المنافقون ﴿ **والقائِلِين لإخوانِهِم** ﴾ ساكني المدينة : ﴿ **هَلُمَّ إلَيْنا** ﴾ أقبلوا إلى ما نحن فيه من الظلال والثمار ﴿ **ولا يأْتُون البأْسَ** ﴾ القتال ﴿ **إلاّ قليلاً** ﴾ إلا إتياناً قليلاً ، لأنهم يتثبَّطون ما أمكن لهم .

[١٩] ﴿ **أشِحَّةً عليكُم** ﴾ أي : بخلاء بالمعونة والنفقة والمودَّة عليكم ﴿ **فإذا جاءَ الخوفُ رأيْتَهُم يَنظُرُون إليك ، تدورُ أعينُهُم** ﴾ في أحداقهم [قال قتادة : من الخوف ـ ابن جرير] ﴿ **كالذي يُغْشى عليهِ مِنَ الموْتِ** ﴾ كنظره أو كدورانه ﴿ **فإذا ذهبَ الخوفُ سلَقوكُم بألسنَةٍ حِدادٍ** ﴾ بالغوا فيكم بالكلام طعناً وذمّاً ، فأحرقوكم وآذوكم ، وأصل السلق بسط العضو ومدُّه للقهر سواء كان يداً أو لساناً ، ويجوز أن يُشبَّه اللسان بالسيف على طريق الاستعارة المكنية ، ويثبت له « السلق » وهو الضرب تخييلاً ﴿ **أشِحَّةً على الخيْرِ** ﴾ أي على فعله ﴿ **أولئكَ لَمْ يؤمِنوا فأحبَطَ اللّهُ أعمالَهُم ، وكان ذلك على اللّهِ يَسيراً** ﴾ . [قال ابن زيد : فحدثني أبي أنه كان بدرياً ، أحبط الله عمله يوم بدر ـ ابن جرير] .

[٢٠] ﴿ **يحسَبون الأحزابَ لم يَذهَبوا** ﴾ أي : لم ينهزموا بما أُرسل عليهم من الريح والجنود وأنَّ لهم عودة إليهم لخَوَرهم واضطرابهم ﴿ **وإنْ يأتِ الأحزابُ** ﴾ مرّة أخرى ﴿ **يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُم بادُونَ في الأعْرابِ** ﴾ فلا يذهبون إلى قتالهم ، ولا يستقرون في المدينة ، بل يتمنون أنهم خارجون إلى البدو بين الأعراب ﴿ **يسألُونَ عن أنبائِكُم** ﴾ عما جرى لكم ﴿ **ولَوْ كانوا فيكُم** ﴾ في حدوث واقعة ثانية ﴿ **ما قاتَلوا إلاّ قليلاً** ﴾ أي رياء وخوفاً من التعيير .

[٢١] ﴿ **لقَدْ كانَ لكُمْ في رَسولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ لكم في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة ، ومنها ثباته في الشدائد وصبره على البأساء والضراء وقد لقي بمكة من قريش ما يُشيِّب النواصي ، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ﴿ **لِمَنْ كانَ يَرْجو اللّهَ واليومَ الآخِرِ** ﴾ فالذي يرجو رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته لا يجْبُن ، إذ لا يصح الجبن لمن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ ﴿ **وذكرَ اللّهَ كثيراً** ﴾ وقَرَن بالرجاء ذكره تعالى بكثرة ، بذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده .

[٢٢] ﴿ **ولمّا رأى المؤمنون الأحزابَ قالُوا هذا ما وعَدَنا اللّهُ ورسولُهُ** ﴾ لأنه تعالى وعدهم أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه ، وكذلك حدَّثهم الرسول ﷺ بالابتلاء والامتحان الذي يعقبه النصر والأمان ﴿ **وصَدَقَ اللّهُ ورسولُهُ** ﴾ أي ظهر صدقهما فيما وعدانا به ﴿ **وما زادَهُم** ﴾ هذا الخَطْبُ والبلاء عند تزلزل المنافقين وبثّ أراجيفهم ﴿ **إلاّ إيماناً** ﴾ بالله ورسوله ومواعيدهما ﴿ **وتَسْليماً** ﴾ لأمر الله ومقاديره .

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ **مِنَ المُؤْمِنِين رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللّهَ عليهِ** ﴾ في الصبر والثبات ، والقيام بما كُتب عليهم من القتال لإعلاء كلمة الحق ، ومن العمل بالصالحات ومجانبة السيئات ﴿ **فمِنْهُم من قضى نحبَهُ** ﴾ أي أدّى ما التزمه ووفَّى به ، فقاتل مع الرسول ﷺ ، صادقاً حتى قُتِل شهيداً . وأصل معنى « النحب » النذر ، وقضاؤه الوفاء به . وقد كان رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا شهدوا معه ﷺ حرباً قاتلوا حتى يستشهدوا ﴿ **ومِنْهُم مَنْ يَنتظِرُ** ﴾ ما وعد الله به من النصر والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿ **وما بدَّلوا تَبْدِيلاً** ﴾ ما غيّروا شيئاً من العهد ، ولا نقضوه كنقض المنافقين في تولِّيهم .

[٢٤] ﴿ **لِيَجْزِيَ اللّهُ الصادِقينَ** ﴾ في عهودهم ﴿ **بصِدْقِهم ، ويُعَذِّبَ المنافِقين إنْ شاءَ أوْ يتوبَ عليهم ، إنَّ اللّهَ كانَ غفوراً رحيماً** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **وردَّ اللّهُ الذين كفَروا بغيظِهِم** ﴾ مع كمال غضبهم بما أرسله من الرِّيح والجنود ، بفضله ورحمته ﴿ **لَمْ يَنالوا خَيْراً** ﴾ لم ينالوا نصراً ولا غنيمة ﴿ **وكفى اللّهُ المؤمنينَ القِتالَ** ﴾ فلم يحوجهم إلى مبارزتهم ليُجْلوهم عن المدينة، بل تولَّى كفاية ذلك وحدَه ﴿ **وكانَ اللّهُ قويّاً** ﴾ فلا يعارض قوته قوّة شيء ﴿ **عزيزاً** ﴾ غالباً على أمره .

[٢٦] ﴿ **وأنْزَلَ الذينَ ظاهَروهُم** ﴾ أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ ﴿ **من أهْلِ الكِتابِ** ﴾ يعني بني قُرَيْظة ، وهم طائفة من اليهود ﴿ **مِن صَياصِيهِم** ﴾ من حصونهم وآطامهم التي كانوا فيها ﴿ **وقَذَفَ في قُلوبِهِمُ الرُّعْبَ** ﴾ أي الخوف ، جزاء وِفاقاً ﴿ **فريقاً تَقْتُلون ، وتأْسِرونَ فريقاً** ﴾ يعني قتل الرجال المقاتلة ، وسبي الذراري والنساء .

[٢٧] ﴿ **وأوْرَثَكُم أرضَهُم وديارَهُم** ﴾ حصونهم ﴿ **وأموالَهُم** ﴾ نقودهم وأثاثهم ومواشيهم ﴿ **وأرضاً لَمْ تَطَؤُوها** ﴾ يعني خيبر، وقيل مكة ، وقيل فارس والروم ﴿ **وكان الله على كل شيءٍ قديراً** ﴾ وقد شاهدتم بعض مقدوراته ، فاعتبروا بغيرها .

[٢٨] ﴿ **يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأزواجِكَ إنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنْيا** ﴾ أي السّعة والتنعم فيها ﴿ **وزينَتَها** ﴾ وزخارفها ﴿ **فتعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسرِّحْكُن** ﴾ أعطِكُن المتعة وأُطَلِّقْكُنَّ، و« المتعة » ما يعطى للمرأة المطلّقة على حسب السَّعَة والاقتدار من ثياب أو دراهم أو أثاث ، تطوّعاً لا وجوباً ﴿ **سَراحاً جميلاً** ﴾ أي طلاقاً من غير ضرار ولا بدعة . فنزلت الآية ، ولما نزلت بدأ ﷺ بعائشة رضي الله عنها ، وكانت أحبَّهنَّ إليه ، فخيَّرها وقرأ عليها القرآن ، فاختارت اللّهَ ورسولَه والدّار الآخرةَ، ثم اختار جميعُهُنّ اختيارَها .

[٢٩] ﴿ **وإنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ ورسولَهُ والدارَ الآخِرَةَ** ﴾ أي تُرِدْنَ رسولَه ﷺ ، وذكر الله عزّ وجلّ للإيذان بجلالة محله ﷺ عنده تعالى ﴿ **فإنَّ اللّهَ أعَدَّ للمُحْسِناتِ مِنكُنَّ أجراً عظيماً** ﴾ لا يُقدَّر قدره . [٣٠] ﴿ **يا نِساءَ النبيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ** ﴾ بيِّن الشرعُ والعقلُ قبحَها ـ إن قرىء بالفتح ـ أو مبيِّنة قبحَها بنفسها ـ إن قرىء بالكسر « مبيِّنة » ـ ﴿ **يُضاعَفْ لها العذابُ ضِعْفَيْنِ** ﴾ أي ضعفي عذاب غيرهن لأن الذنب منهن أقبح ، ولذلك جعل حدَّ الحرِّ ضعفي حدِّ العبد ، وعُوتِب الأنبياءُ بما لا يُعاتَب به غيرُهم ﴿ **وكانَ ذلكَ على اللّهِ يَسيراً** ﴾ لعموم قدرته .

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿ ومَنْ يَقْنُتْ ﴾ يدُم مطيعاً ﴿ مِنْكُنَّ للَّهِ ورسولِهِ ﴾ في إتيان الواجبات وترك المحرَّمات والمكروهات ﴿ **وتعمَلْ صالحاً نؤْتِها أجرَها مرَّتَيْنِ** ﴾ مرَّة على الطاعة والتقوى ، والأخرى على طلبهن رضا رسول الله ﷺ بحسن الخُلُق وطيب المعاشرة والقناعة ﴿ **وأَعْتَدْنا لها** ﴾ أي زيادة على أجرها المضاعف في الجنة ، أو فيها وفي الدنيا ﴿ **رزقاً كريماً** ﴾ حسناً مرضيّاً .

[٣٢] ﴿ **يا نِساءَ النبيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ منَ النِّساءِ إنِ اتَّقَيْتُنَّ فلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ** ﴾ عند مخاطبة الناس ، أي فلا تُجِبْن بكلام ليِّن ملطف ﴿ **فيَطْمَعَ الذي في قلبه مَرَضٌ** ﴾ في قلبه ريبة وفجور ﴿ **وقُلْنَ قوْلاً معروفاً** ﴾ بعيداً من طمع المريب بجدٍّ وخشونة من غير تخنيث ، أو قولاً حسناً مع كونه خشناً .

[٣٣] ﴿ **وقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ** ﴾ اسكُنَّ ولا تخرجن منها ﴿ **ولا تبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهليَّةِ الأُولى** ﴾ « التبرج » فُسِّر بالتبختر والتكسُّر في المشي ، وبإظهار الزينة وما يُستدعى به شهوة الرجل ، وبلبس رقيق الثياب التي لا تواري جسدها ﴿ **وأَقِمْنَ الصلاةَ وآتِينَ الزكاةَ وأطِعْنَ اللَّهَ ورسولَهُ** ﴾ بموافقة أمرهما ونهيهما ﴿ **إنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ أهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُم تَطْهيراً** ﴾ و﴿ أهلَ البيتِ ﴾ نصب على النداء أو على المدح ، والمراد بهم من حواهم بيتُ النبي ﷺ . قال ابن كثير : وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً . وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب ، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب .

[٣٤] ﴿ **واذكُرْنَ ما يُتْلى في بُيوتِكُنَّ من آياتِ اللَّهِ والحِكمةِ** ﴾ أمرٌ لهن بأن يذكرن ولا يُغفلن ما يُقرأ في بيوتهن من آيات كتابه تعالى ، وسنة نبيه اللتين فيهما حياة الأنفس وسعادتها وقوام الآداب والأخلاق ﴿ **إنّ اللَّهَ كان لطيفاً خَبيراً** ﴾ يعلم ويدبِّر ما يصلح في الدين .

[٣٥] ﴿ **إنَّ المسلِمينَ والمسلِماتِ** ﴾ المنقادين في الظاهر لحكم الله من الذكور والإناث ﴿ **والمؤمنين والمؤمناتِ** ﴾ المصدِّقين بما يجب أن يُصدَّق به في القلب ﴿ **والقانِتين والقانِتَاتِ** ﴾ بإدامة شغل الجوارح في الطاعات ﴿ **والصَّادِقين والصَّادِقات** ﴾ في القول بمجانبة الكذب والعمل بتجريد الإخلاص لوجهه تعالى فلا يكون في طاعتهم رياء ﴿ **والصابرين والصابراتِ** ﴾ على البأساء والضرّاء والنوائب ، وعلى القيام بالعبادة والثبات عليها ﴿ **والخاشِعين والخاشِعات** ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم . و« الخشوع » السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع ﴿ **والمتصدِّقين والمتصدِّقاتِ** ﴾ بالإحسان إلى الفقراء والبؤساء الذين لا كَسْب لهم ولا كاسب ﴿ **والصائمين والصائماتِ** ﴾ الآتين بما طُلب منهم من الصيام المورِّث للتقوى والرحمة على من يتضوَّر جوعاً ويتصبَّر فقراً ﴿ **والحافِظين فروجَهُم والحافِظات** ﴾ عن إبدائها وإراءتها حياء وكفَّاً عن مثار الشهوة المحرَّمة ، أو عن الحرام والفجور ﴿ **والذّاكِرين اللَّهَ كثيراً والذاكِراتِ** ﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿ **أعَدَّ اللَّهُ لهُم مغفِرَةً** ﴾ بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة غفراناً لما اقترفوا من الصَّغائر لأنها مكفَّرة بذلك ﴿ **وأجراً عظيماً** ﴾ ثواباً وافراً في الجنة .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿ **وما كان لِمُؤْمِنٍ ولا مؤمنةٍ** ﴾ ما صحَّ لهما ﴿ **إذا قضى اللَّهُ ورسولُـهُ أمراً أنْ يكونَ لَهُمُ الخيَرَةُ مِنْ أمرِهِم** ﴾ أي قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء ، أن يتخيَّروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما ويعصوهما ﴿ **ومَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورسولَـهُ** ﴾ فيما أمَرا أو نَهَيا ﴿ **فقدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً** ﴾ أي جار عن قصد السبيل ، وسلك غير الهُدى والرشاد . ذكر أن هذه الآية نـــزلت في زينـب بنت جحش ، حين خطبهـــا رسول الله ﷺ لـزيد بن حـارثة ، فـأبت لكونـه مولى لا يماثلها في الشرف ، فنزلت الآية فرضيت وتزوجها .

[٣٧] ﴿ **وإذْ تقولُ للذي أنْعَمَ اللَّهُ عليـهِ** ﴾ أي بالإسلام ومتـابعـة النبي ﷺ ، وهو زيـد بن حـارثـة ﴿ **وأنعَمْتَ عليـهِ** ﴾ بالعتق والحرية وتزويجه بنت عمتك زينب بنت جحش ﴿ **أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ** ﴾ لا تطلِّقْهـا ﴿ **واتَّقِ اللَّهَ** ﴾ احشَهُ في أمرها ﴿ **وتُخْفي** ﴾أي تضمر ﴿ **في نفسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيـهِ** ﴾ من الحكم الـذي شرعه ، أي : تقـول ذلك ، وأنت تعلم أن الطلاق لابُـدَّ منه ولا منتدح عن امتثـال أمـر الله بنفسك ، لتكـون أسـوة لمن معك ولمن يأتي بعـدك ﴿ **وتخشى الناسَ** ﴾ أي قـالتهم وتعييرهم الجاهليّ ﴿ **واللَّهُ** ﴾ الذي ألهمك ذلك وأمرك به ﴿ **أحَقُّ أنْ تَخْشاهُ** ﴾ فكان عليك أن تمضي في الأمر من أول وهلة تعجيلاً بتنفيـذ كلمته وتقـرير شرعـه ﴿ **فلمّا قضى زيـدٌ منها وَطَراً** ﴾ أي حاجـةً بالـزواج ﴿ **زوَّجْناكَـها لِكَيْ لا يكـونَ على المؤمنين حَرَجٌ في أزواجِ أدْعيائِـهِـم** ﴾ أي ضيق من العار في نكاح زوجات أدعيائهم ﴿ **إذا قضَوْا منهُنَّ وَطَراً** ﴾ بموت أو طـلاق أو فسخ نكاح ﴿ **وكان أمْرُ اللَّهِ مفعولاً** ﴾ أي قضاؤه واقعاً ، ومنـه تزويجك زينب . [٣٨] ﴿ **ما كـان على النبيِّ من حَرَجٍ** ﴾ من مأثم وضيق ﴿ **فيما فرَضَ اللَّهُ لَـهُ** ﴾ كتبه له من التـزوج وأباحه له وسن شريعـة مُثْلى في وقوعه ﴿ **سُنَّـةَ اللَّهِ في الـذينَ خَلَوْا من قَبْلُ** ﴾ أي الرسلِ عليهم السلام ، وهو أن لا حرج عليهم في الإقـدام على ما أباح لهم ووسَّع عليهم في باب النكاح وغيره ﴿ **وكانَ أمْرُ اللَّهِ قَدَراً مقدوراً** ﴾ قضاءً مقضياً . [٣٩] ﴿ **الذين يُبَلِّغُونَ رسالاتِ اللَّهِ** ﴾ أحكامه وأوامره ونـواهيه ويصدعون بها ﴿ **ويخشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلاَّ اللَّـهَ وكفى باللَّهِ حسيباً** ﴾ حافظاً لأعمال خلقه ، وكافياً للمخاوف . [٤٠] ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكُم** ﴾ ليس أبا أحد من أصحابه ، حتى يثبت بينه وبينه ، ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ، وزيدٌ واحد منهم ﴿ **ولكِنْ رسولَ اللَّهِ وخاتَمَ النبيِّينَ** ﴾ فليس هو في حكم الأب الحقيقي ، وإنما خُتِمت النبوَّة به ﴿ **وكان اللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليماً** ﴾ فلا يقضي إلا بما سبق به علمه ، ونفـذت فيه مشيئته ، واقتضته حكمته . [٤١] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا اذْكُروا اللَّهَ** ﴾ بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ﴿ **ذِكْراً كثيراً** ﴾ أي : يعمُّ الأوقات والأحوال . [٤٢] ﴿ **وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلاً** ﴾ في أول النهار وآخره ، ليسري أثر التسبيح فيهما بقيـة النهار والليل . [٤٣] ﴿ **هوَ الذي يُصَـلِّي عليكُم وملائكتُهُ** ﴾ الصلاة : الرحمة والعطف ، والمعنى : هو الذي يترحَّم عليكم ويترأف حيث يـدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الـذكر ، والتوفر على الصـلاة والطاعة ﴿ **لِيُخرِجَكُم من الظُّلُماتِ** ﴾ من ظلمة الكفر والمعاصي والشبهات ومساويء العادات ﴿ **إلى النُّورِ** ﴾ أي نور الإيمان ومحاسن الأخلاق ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيماً** ﴾ حيث لم يتركهم يتخبطون في عمياء الضلالة والجهالة ، بل أنار لهم السبل وأوضح لهم المعالم ، وذكر الملائكة تنويهاً بشأنهم وشأن المؤمنين .

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿ تَحِيَّتُهُم يومَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ أي يُحيُّون يوم لقائه ، بالموت أو الخروج من القبر أو دخول الجنة بسلام ، تبشيراً بالسلامة من كل مكروهٍ وآفة ﴿ **وأعَدَّ لهم أجْراً كريماً** ﴾ يعني الجنة وما حوته ، مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

[٤٥] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسلْناكَ شاهِداً** ﴾ على من بعثت إليهم بالبلاغ ﴿ **ومُبَشِّراً** ﴾ بالثواب لمن آمن ﴿ **ونذيراً** ﴾ من النار لمن كفر .

[٤٦] ﴿ **وداعياً إلى اللّهِ** ﴾ إلى دينه وطاعته والإقرار بوحدانيته ﴿ **بإذنِهِ** ﴾ أي بأمره ووحيه ﴿ **وسِراجاً مُنيراً** ﴾ يُستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، ويُهتدى بأنواره إلى مناهج الرُّشد والهداية .

[٤٧] ﴿ **وبشِّرِ المؤمنينَ بأنَّ لهم منَ اللّهِ فضْلاً كبيراً** ﴾ أي ثواباً عظيماً وأجراً جزيلاً .

[٤٨] ﴿ **ولا تُطِعِ الكافِرين والمنافِقين** ﴾ فيما يرجفون به ويعيبون من جاهليتهم وعوائدهم ﴿ **ودَعْ أذاهُم** ﴾ أي إيصال الضرر إليهم ، مجازاةً لفعلهم ، بل اعفُ واصفح ﴿ **وتَوَكَّلْ على اللّهِ وكفى بِاللّهِ وَكيلاً** ﴾ أي موكولاً إليه ، وكفيلاً فيما وعدك من النصر .

[٤٩] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا إذا نكَحْتُمُ المؤمناتِ** ﴾ إذا تزوجتموهن ﴿ **ثُم طلَّقتُموهُنَّ من قَبْلِ أنْ تمَسُّوهُنَّ فما لكُم عليهِنَّ من عِدَّةٍ تعتَدُّونَها** ﴾ تستوفون عددها من إحصاء أقراء ، ولا أشهر تحصونها عليهن ﴿ **فمتِّعوهُنَّ** ﴾ أي أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو مال ﴿ **وسرِّحوهُنَّ** ﴾ أي خلُّوا سبيلهن بإخراجهن من منازلكم ، إذ ليس لكم عليهن عدّة ﴿ **سَراحاً جميلاً** ﴾ من غير ضرار ولا منع حق [عن سعيد بن المسيب قال : نسخت هذه الآيةَ الآيةُ التي في البقرة : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ الآية ٢٣٧ ـ ابن جرير] .

[٥٠] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إنَّا أحلَلْنا لكَ أزواجَكَ اللاتي آتَيْتَ أُجورَهُنَّ** ﴾ مهورهن فإنها أجور الأبضاع ، وإيتاؤها إما إعطاؤها معجَّلة ، أو تسميتها في العقد ، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم ، لا يُعْرف بينهم غيره ﴿ **وما ملكَتْ يمينُكَ مما أفاءَ اللّهُ عليكَ** ﴾ وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم ﴿ **وبناتِ عمِّكَ وبناتِ عمَّاتِكَ وبناتِ خالِكَ وبناتِ خالاتِكَ اللاتي هاجرنَ معكَ** ﴾ من مكة ، إلى المدينة . والتقييد لبيان الأفضل ﴿ **وامرأةً مؤمِنةً إنْ وهبَتْ نفْسَها للنبيِّ إنْ أرادَ النبيُّ أنْ يستَنْكِحَها** ﴾ أي يتزوجها ويرغب في قبول هبة نفسها بدون مهر ، وقد سمي من الواهبات ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية ، وأم شريك بنت جابر ، وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن . وعن ابن عباس أنه لم يكن عنده ﷺ امرأة وهبت نفسها له ، أي أنه لم يقبل ذلك وإن كان مباحاً له ﴿ **خالِصَةً لكَ** ﴾ هبة خالصة ﴿ **من دونِ المؤمنين** ﴾ فإنهم لا تحلّ لهم الموهوبة إلا بوليٍّ ومهر ، خوف أن يستسري النساء وينتشر الفحش بدعوى ذلك ﴿ **قد علِمْنا ما فرضْنا عليهِم** ﴾ أي على المؤمنين ﴿ **في أزواجِهم** ﴾ أي في حلّها من الوليّ والشهود والمسمّى ﴿ **وما ملكَتْ أيمانُهم** ﴾ في حلّها من توسيع الأمر فيها ﴿ **لِكَيْلا يكونَ عليكَ حَرَجٌ** ﴾ أي قد علمنا ما فرضنا عليهم ، وأسقطناه عنك لرفع الحرج عنك والضيق ﴿ **وكانَ اللّهُ غفوراً رحيماً** ﴾ يغفر ما يعسُر التحرُّز عنه ، ويرحم فيما يوسع في مواقع الحرج .

ربع الحزب ٤٣

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

[٥١] ﴿ **تُرْجي** ﴾ تترُك وتؤخِّر ﴿ **مَن تشاءُ منهُنَّ** ﴾ فلا تتزوَّج بهن ﴿ **وتُؤْوِي إليكَ من تشاءُ** ﴾ منهن بالتزوُّج ﴿ **ومَنِ ابتغَيْتَ ممَّنْ عَزَلْتَ** ﴾ أي اخترت تزوجها بعد إرجائها ﴿ **فلا جُناحَ عليكَ** ﴾ في أن تضمَّها ﴿ **ذلك** ﴾ ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك ورفع الحرج عنك فيه ﴿ **أدنى أنْ تقَرَّ أعيُنُهُنَّ** ﴾ أي تطيب أنفسهن ، إن علمن أنَّ ذلك من الله تعالى ﴿ **ولا يحزَنَّ** ﴾ لمخالفة الإرجاء ﴿ **ويرضَيْنَ بما آتيتَهُنَّ كلُّهُنَّ** ﴾ لأنه حُكْمُ الله تعالى ، فتطمئن به نفوسهن ﴿ **واللَّهُ يعلمُ ما في قلوبِكُم** ﴾ من الميل إلى البعض منهن دون البعض بالمحبة ﴿ **وكان اللَّهُ عليماً** ﴾ بذات الصدور ﴿ **حليماً** ﴾ ذا حلم عن عباده فيعفو ويغفر. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقسِم بين نسائه فيعدِل ، ثم يقول : (اللهم هذا فعْلي فيما أمْلك ، فلا تلمْني فيما تَمْلك ولا أمْلك) يعني القلب. رواه أحمد وأصحاب السنن .

[٥٢] ﴿ **لا يَحِلُّ لك النِّساءُ من بَعْدُ** ﴾ أي من بعد النساء اللاتي نصّ إحلالهن لك في الآية قبلُ ﴿ **ولا أنْ تَبَدَّلَ بهِنَّ من أزواج ولو أعجبَكَ حسنُهُنَّ إلاَّ ما ملكَتْ يمينُكَ** ﴾ فلَك التسرِّي بهن وإن كنَّ كتابيات أو مشركات ، لأنه ليس لهن ما للحرائر ﴿ **وكان اللَّهُ على كلِّ شيءٍ رقيباً** ﴾ حيث أحل ما أحل وحظر ما حظر للنبي وللأمة .

[٥٣] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا لا تَدْخُلوا بُيوتَ النبيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لكُم إلى طعام غيرَ ناظِرينَ إناه** ﴾ أي غير منتظرين وقته ، وإدراكه ، نَهياً لهم أن يدخلوا ـ مع كونهم مأذوناً لهم ومدعوِّين ـ قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه ، عجلة وانتظاراً لنضج الطعام ﴿ **ولكنْ إذا دُعِيتُم فادْخُلوا** ﴾ أي إذا دُعيتم إلى الدخول في وقته ، فادخلوا فيه لا قبله ولا بعده ﴿ **فإذا طَعِمْتُم فانتَشِروا** ﴾ فتفرَّقوا ولا تمكثوا ﴿ **ولا مُسْتأْنِسينَ لحديثٍ** ﴾ لحديث بعضكم بعضاً ، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له ﴿ **إنَّ ذلِكُم** ﴾ المنهي عنه في الآية ﴿ **كانَ يُؤْذي النبيَّ** ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله بما لا يعنيه ﴿ **فيستَحْيِي منكُم** ﴾ من الإشارة إليكم بالانتشار ﴿ **واللَّهُ لا يستحْيِي مِنَ الحَقِّ** ﴾ يعني أن انتشاركم حق ، فينبغي أن لا يُترك حياء ، كما لا يتركه الله ترك الحييّ ﴿ **وإذا سألتُموهُنَّ** ﴾ الضمير لنساء النبي ﷺ ، المدلول عليهن بذكر بيوته ﷺ ﴿ **مَتاعاً** ﴾ شيئاً يُتَمَتَّع به ﴿ **فاسْأَلُوهُنَّ مِن وراءِ حجابٍ** ﴾ أي ستر ﴿ **ذلِكُمْ** ﴾ ما ذُكِرَ من عدم الدخول بغير إذن ، وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول ، وسؤال المتاع من وراء حجاب ﴿ **أطهَرُ لقلوبِكُم وقلوبِهِنَّ** ﴾ من الخواطر الشيطانية ، في الميْل إليهن وإليكم ، يعني ويجب التطهر عنه ، لما فيه من إيذاء رسول الله ﷺ ﴿ **وما كان لكُم أنْ تُؤْذُوا رسولَ اللَّهِ** ﴾ أن تفعلوا فعلاً يتأذَّى به في حياته ﴿ **ولا أنْ تَنْكِحوا أزواجَهُ من بعدِهِ** ﴾ من بعد وفاته لا إلى انقضاء العدة بل ﴿ **أبداً ، إنَّ ذلِكُم كانَ عندَ اللَّهِ عظيماً** ﴾ أمراً عظيماً وخطباً هائلاً .

[٥٤] ﴿ **إنْ تُبْدوا شيئاً** ﴾ مما لا خير فيه ، كنكاحهن على ألسنتكم ﴿ **أو تُخْفُوهُ** ﴾ في نفوسكم ﴿ **فإنَّ اللَّهَ كان بكلِّ شيءٍ عليماً** ﴾ فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

[٥٥] ﴿ **لا جُناحَ عليهِنَّ في آبائِهِنَّ ولا أبنائِهِنَّ ولا إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ أخواتِهِنَّ ولا نسائِهِنَّ** ﴾ لا حرج ولا إثم عليهن ، في أن لا يحتجبن من هؤلاء المسمَّيْن . وقيل : أريد بقوله تعالى ﴿ ولا نسائِهِنَّ ﴾ المسلمات ، حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله ﷺ ، وقيل هو عامّ في المسلمات والكتابيات ، وإنما قال : ﴿ ولا نسائِهِنَّ ﴾ لأنهن من أجناسهن ﴿ **ولا ما ملكَتْ أيمانُهُنَّ** ﴾ والآية مخصوصة بالإماء دون العبيد ، وتقدّم تفصيل ذلك في سورة النور ﴿ **واتَّقِينَ اللَّهَ** ﴾ أي أن تتعدين ما حدَّ لكنَّ ﴿ **إنَّ اللَّهَ كانَ على كلِّ شيءٍ شهيداً** ﴾ فهو شاهد على ما تفعلنه .

[٥٦] ﴿ **إنَّ اللَّهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النبيِّ ، يا أيُّها الذينَ آمَنوا صَلُّوا عليه وسلِّموا تَسْليماً** ﴾ روى البخاري عن أبي العالية قال : « صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة . وصلاة الملائكة : الدعاء » .

نصف الحزب ٤٣

[٥٧] ﴿ **إنَّ الذين يُؤْذُونَ اللَّهَ ورسولَهُ لعنَهُمُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخرة ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً** ﴾ ينالون فيه الهوان والخزي [عن ابن عباس قال : نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب ـ ابن جرير] .

[٥٨] ﴿ **والذين يُؤْذُونَ المؤْمنينَ والمؤْمنات** ﴾ بقول أو فعل ﴿ **بغيرِ ما اكتسَبُوا** ﴾ بغير جناية يستحقّون بها الأذيَّة ﴿ **فقد احتَمَلوا بُهْتانا وإثْماً مُبيناً** ﴾ ظاهراً بيِّناً .

[٥٩] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ ونساءِ المؤمنين يُدنِينَ عليهنَّ من جَلابيبِهِنَّ** ﴾ جمع « جلباب » كسِرْداب ، وهو الرداء فوق الخمار ، تتغطّى به المرأة . وقال الزمخشري : الجلباب ثوب واسع ، أوسع من الخمار ، ودون الرداء ، تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها ﴿ **ذلك أدْنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ** ﴾ أي : أولى وأجدر بأن يعرفن أنهن حرائر ، فلا يُتعرَّض لهنَّ ، ولا يَلْقين ما يكرهن ﴿ **وكان اللَّهُ غفوراً** ﴾ لما سلف منهنّ بالتفريط ﴿ **رحيماً** ﴾ بعباده [عن ابن عباس قال : كانت الحرة تلبس لباس الأمة ، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وإدناء الجلباب أن تقنع وتشد على جبينها ـ ابن جرير] . [٦٠] ﴿ **لئِنْ لم ينتَهِ المنافِقُونَ** ﴾ عن نفاقهم ﴿ **والذين في قلوبِهِم مرضٌ** ﴾ ضعف إيمان عن مراودة النساء بالفجور ﴿ **والمُرْجِفُونَ في المدينَةِ** ﴾ بأخبار السوء اللاتي يفترونها وينشرونها ، كمجيء عدو وانهزام سريَّة مما يَكْسِرون به قلوب المؤمنين ، و« الرَّجفة » الزلزلة ، يُسمَّى به الخبر المُفْتَرى لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت ﴿ **لنُغريَنَّكَ بِهِم** ﴾ لنسلِّطنَّك عليهم بما يضطرُّهم إلى الجلاء ﴿ **ثم لا يُجاوِرونَكَ فيها** ﴾ في المدينة من قوَّة بأسك عليهم ﴿ **إلا قليلاً** ﴾ إلا زمناً قليلاً ريثما يستعدّون للرحلة .

[٦١] ﴿ **ملْعونِينَ أينما ثُقِفوا** ﴾ لا يستريحون بالخروج ، لِلصُوقِ اللَّعنة بهم أينما وُجِدوا ﴿ **أُخِذوا وقُتِّلوا تَقْتِيلاً** ﴾ أي أُسِروا وبولغ في قتلهم لذلّتهم وقلّتهم .

[٦٢] ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ في الذين خَلَوْا مِن قَبْلُ** ﴾ أي في المفترين والمؤذين الذين مَضَوْا ، إذا تمرَّدوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا ، أن يسلِّط عليهم أهلَ الإيمان فيقهرونهم ﴿ **ولنْ تجِدَ لسُنَّةِ اللَّهِ تَبْديلاً** ﴾ لأنه لا يبدلها ، أو لا يقدر أحد أن يبدلها .

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

[٦٣] ﴿ **يسأَلُكَ الناسُ عَنِ السَّاعَةِ** ﴾ يسألونك عن وقت قيامها ﴿ **قُلْ إنَّما عِلْمُها عندَ اللَّهِ** ﴾ فلم يطلع عليه نبياً ولا مَلَكاً ﴿ **وما يُدْريكَ لعلَّ السَّاعةَ تكونُ قريباً** ﴾ يبيِّن لهم أنها قد تكون قريبة الوقوع ، تهديداً للمستعجلين وإسكاتاً للمُمْتَحِنين .

[٦٤] ﴿ **إنَّ اللَّهَ لعنَ الكافِرين** ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿ **وأعدَّ لهُم سَعِيراً** ﴾ ناراً شديدة الاتقاد في الآخرة .

[٦٥] ﴿ **خالدِينَ فيها أبداً ، لا يجدُونَ وليّاً** ﴾ حافظاً يتولاَّهم ﴿ **ولا نَصيراً** ﴾ يخلِّصهم .

[٦٦] ﴿ **يومَ تُقَلَّبُ وجوهُهُم في النَّارِ** ﴾ أي تُصرف من جهة إلى جهة ، وخُصَّت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع في جسد الإنسان ﴿ **يقولونَ يا ليْتَنا أطَعْنا اللَّهَ وأطَعْنا الرَّسُولا** ﴾ لِنَنْجُوَ من هذا العذاب .

[٦٧] ﴿ **وقالوا ربَّنا إنَّا أطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا** ﴾ وهم رؤساء الكفر الذين لقَّنوهم الكفر وزيَّنوه لهم حتى قلَّدوهم فيه ﴿ **فأَضَلُّونَا السَّبيلا** ﴾ بما زيَّنوه لنا .

[٦٨] ﴿ **ربَّنا آتِهِم ضِعْفَيْنِ من العَذابِ** ﴾ الذي آتيتناه لأنهم ضلُّوا وأضلُّوا ﴿ **والعَنْهُم لَعْناً كبيراً** ﴾ لعناً هو أشد اللعن وأعظمه .

[٦٩] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا لا تكونوا كالذين آذَوْا موسى فبرَّأَهُ اللَّهُ ممَّا قالوا ، وكانَ عِندَ اللَّهِ وجيهاً** ﴾ كان يقول ﷺ في جواب جفاة الأعراب حين ما يبلغه أو يسمع ما يكره : (رحمة الله على موسى ، لقد أوذِيَ بأكثر من هذا فصبر) رواه الشيخان واللفظ لأحمد .

[٧٠] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ في كل ما تأتون وما تذرون ، لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسولَه ﷺ ﴿ **وقُولُوا** ﴾ في كل شأن من الشؤون ﴿ **قوْلاً سديداً** ﴾ قوياً حقاً صواباً .

[٧١] ﴿ **يُصْلِحْ لكُم أعمالَكُم** ﴾ بإمداد الصلاح والكمالات والفضائل عليكم ، لأنه لا يصح عملٌ ما بدون الصدق أصلاً ﴿ **ويغْفِرْ لكُم ذُنوبَكُم** ﴾ ويجعلها مكفَّرة باستقامتكم في القول والعمل ، فإن الحسنات يُذهبن السيئات ﴿ **ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورسولَهُ** ﴾ في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التشريعات ﴿ **فقدْ فازَ فَوْزاً عظيماً** ﴾ في الدارَيْن .

[٧٢] ﴿ **إنَّا عَرَضْنَا الأمانَةَ** ﴾ طاعة الله ورسوله عبَّر عنها بالأمانة ﴿ **على السَّمٰوات والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أنْ يحمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها** ﴾ المعنى : أن تلك الأمانة في عِظَم الشأن ، بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام ، التي هي مثَلٌ في القوّة والشدّة ، مراعاتَها ، وكانت ذات شعور وإدراك ، لأَبَيْنَ قبولها وأشفقن منها ، والتزَمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة ، عند عرضها عليه ﴿ **وحمَلَها الإنسانُ** ﴾ ﴿ **إنَّهُ كان ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة ، أو اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدِّلوا فطرةَ الله تبديلاً [قال ابن جرير: عني بالامانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين ، وأمانات الناس] .

[٧٣] ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المنافِقينَ والمنافِقاتِ والمشرِكين والمشركاتِ** ﴾ ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يُراعُوها ولم يقابلوها بالطاعة ﴿ **ويتوبَ اللَّهُ على المؤمِنينَ والمؤمِناتِ وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ مبالغاً في المغفرة والرحمة .

سورة سبأ ترتيبها ٣٤ آياتها ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

[سورة سبأ]

سميت سبأ لِتَضَمُّنِ قصتها آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة والخلوِّ عن الآفة وتبدُّلها بالنقم لمن كفر بالمنعم . وهي مكية واستثني منها ﴿ وَيَرَى الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ الآية . وعدد آياتها أربع وخمسون آية .

[١] ﴿ **الحمدُ للَّهِ الذي لَهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ** ﴾ خلقاً وملكاً وتصرُّفاً بها شاء ﴿**ولهُ الحمدُ في الآخِرةِ**﴾ أي في النشأة الآخرة ﴿**وهو الحكيمُ**﴾ الذي أحكم أمور الدارين ودبَّرها بحكمته ﴿**الخبيرُ** ﴾ بخلقه وأعمالهم وسرائرهم .

[٢] ﴿ **يعلَمُ ما يَلِجُ في الأرضِ** ﴾ من الأمطار والمياه والكنوز والدفائن والأموات ﴿ **وما يخْرُجُ منها** ﴾ من الشجر والنبات وماء العيون والغلّة والدواب ﴿ **وما ينْزِلُ من السَّماءِ** ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة والمقادير ﴿ **وما يعْرُجُ فيها** ﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿ **وهو الرحيمُ الغفورُ**﴾ لمن تاب من المؤمنين وقام بواجب شكره .

[٣] ﴿ **وقالَ الذين كَفَروا** ﴾ يعني مشركي مكّة : ﴿ **لا تأتينا الساعةُ** ﴾ أي ساعة الجزاء ، إنكاراً لها ﴿ **قُلْ بَلى وربّي لتأتِيَنَّكُم** ﴾ الساعة ﴿ **عالمِ الغيبِ** ﴾ وفي هذا التوصيف تقوية للتأكيد ﴿ **لا يعْزُبُ** ﴾ بضم الزاي وكسرها ، لا يغيب ﴿ **عنهُ مِثْقالُ ذرَّةٍ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغَرُ من ذلك ولا أكبَرُ إلاّ في كتابٍ مبينٍ** ﴾ فالجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء وإن تناهى في الصغر. [وهذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فإحداهن في سورة يونس ، وهي قوله تعالى : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحقٌّ ﴾ والثانية هذه : ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ﴾ والثالثة في سورة التغابن في قوله تعالى : ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ ـ ابن كثير] .

[٤] ﴿ **ليجزيَ الذينَ آمَنوا وعَملوا الصَّالحاتِ** ﴾ علَّة لقوله تعالى ﴿ لتأتِيَنَّكُم ﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها من جزاء المحسن والمسيء ﴿ **أولئك لهُمْ مغفرَةٌ ورزقٌ كريمٌ** ﴾ أي عيش هنيء في الآخرة .

[٥] ﴿ **والذين سعَوْا في آياتِنا** ﴾ بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك ﴿ **مُعاجزينَ** ﴾مقدِّرين الغلبة والعجز في زعمهم الفاسد وظنهم الباطل ﴿ **أولئك لهُم عذابٌ من رجْزٍ** ﴾ وهو أسوأ العذاب ﴿ **أليمٌ** ﴾ بالرفع صفة ﴿ عذاب ﴾وبالجر صفة ﴿ رجز ﴾ .

[٦] ﴿ **ويَرى** ﴾ويعلم ﴿ **الذين أُوتُوا العِلْمَ الذي أُنْزِلَ إليك مِن ربِّك هوَ الحقَّ ويَهدي إلى صِراطِ العزيزِ الحميدِ** ﴾ إلى دينه وشرعه .

[٧] ﴿ **وقالَ الذين كَفَروا** ﴾ من قريش ﴿ **هل ندُلُّكُم على رَجُلٍ** ﴾ يعنون النبي ﷺ ﴿ **يُنَبِّئُكُم إذا مُزِّقْتُم كُلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ أي فُرِّقْتُم كلَّ تفريق ، بحيث صرتم تراباً ورفاتاً ﴿ **إنّكُم لَفِي خَلْقٍ جديدٍ** ﴾ .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

[٨] ﴿ **أَفْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً** ﴾ فيما قاله ﴿ **أَمْ بِهِ جِنَّةٌ** ﴾ أي جنون تخيَّل به ذلك ، فردَّ الله تعالى عليهم ما نعى به سوءَ حالهم بقوله : ﴿ **بَلِ الذينَ لا يُؤْمِنون بالآخِرَةِ في العذابِ والضَّلالِ البعيد** ﴾ المتناهي أمرُه .

[٩] ﴿ **أفَـلَمْ يَـرَوْا إلى ما بَيْنَ أيـدِيهم وما خلفَهُم من السَّماءِ والأرضِ** ﴾ أعَمـوا فلـم ينظـروا إلى السماء والأرض وإنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمـامهم وخلفهم محيطتـان بهم ﴿ **إنْ نَشَأْ نخسِفْ بهِمُ الأرضَ أو نُسْقِطْ عليهم كِسَفاً من السَّماءِ** ﴾ « الكِسْف » بسكـون السين بمعنـى القِطع ﴿ **إنَّ في ذلك** ﴾ النظر إلى السماء والأرض والتفكر فيهما وما يدلان عليه مـن قدرة الله ﴿ **لآيَةً** ﴾ دلالة واضحة ﴿ **لكلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ** ﴾ راجع إلى ربه مطيع له .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٣

[١٠] ﴿ **ولقَدْ آتَيْنا داودَ مِنّا فَضْـلاً يا جِبالُ أَوِّبِي معَهُ** ﴾ رجِّعي معـه التسبيح ﴿ **والطَّيْـرَ** ﴾ بالـرفع والنصب ، عطفـاً على لفظ الجبال ومحلها أو بمعنى : وسخَّـرنا لـه الطير ﴿ **وأَلَـنَّا لَـهُ الحَديـد** ﴾ [عن قتـادة قال : كـان يسويها بيده ولا يدخلها ناراً ، ولا يضربها بحديدة ـ ابن جرير] .

[١١] ﴿ **أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ** ﴾ دروعاً واسعات ﴿ **وقدِّرْ في السَّرْدِ** ﴾ واقتصد في نسج الدروع لتتناسب حِلَقُها ﴿ **واعمَلواصالِحاً** ﴾ أي : وقلنا له ولأهله ذلك ﴿ **إنّي بما تعمَلون بَصيرٌ** ﴾ فأجازيكم به .

[١٢] ﴿ **ولِسُليمانَ** ﴾ وسخَّرنا لسليمان ﴿ **الرِّيحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ** ﴾ أي جَرْيها بالغـداة مسيرة شهر ، وجريها بـالعشي كذلك ، والريح : الهواء المسخَّـر بين السماء والأرض ، ويطلق بمعنى النصرة والدلالة والغَلَبـة والقوّة ﴿ **وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْرِ** ﴾ أي النحاس المذاب ، أجرينا له ينبوعه لكثرة ما توفر لديه منه من سعة ملكه ﴿ **ومن الجِنِّ** ﴾ أي الشياطين الأقوياء ﴿ **من يعمَلُ بَيْنَ يدَيْه** ﴾ من رفع المباني وإشادة القصور وغيرها ﴿ **بإذنِ ربِّـهِ** ﴾ بأمره تعالى ﴿ **ومن يَزِغْ منهُم عن أمرِنا نُذِقْـهُ من عذابِ السَّعيرِ** ﴾ من عذاب النار .

[١٣] ﴿ **يعمَلون لهُ ما يشاءُ من مَحاريبَ** ﴾ من مساكن ومجالس شريفة أو مساجد ﴿ **وتَماثيلَ** ﴾ صور ونقوش منوَّعة على الجُدُر والسقوف والأعمدة ، جمع « تمثال » وهـو كل ما صُوِّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان ، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرَّماً ، وهو منسوخ في شرعنا ﴿ **وجِفانٍ كالجَوابِ** ﴾ وصحاف كـالجوابي وهي الحياض الكبـار ، و« الجفان » جمع جفنـة وهي كالصحفة والقصعـة ، ما يـوضع فيه الطعـام مطلقاً ﴿ **وقُدورٍ راسِياتٍ** ﴾ أي ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لِعظَمِها ﴿ **اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً** ﴾ قيل لهم : اعملوا للّه واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه ، وفيه إشارة إلى أن العمل حقـه أن يكون للشكـر لا للرجـاء والخوف ، كما أن فيه وجـوب الشكر ، وأنـه يكون بـالعمل ولا يختص باللسـان ﴿ **وقليلٌ من عبادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه ، أكثر أوقاته .

[١٤] ﴿ **فلمَّا قضَيْنا عليـهِ** ﴾ على سليمان ﴿ **الموتَ ، ما دلَّـهُم على موتِـهِ إلاّ دابّـةُ الأرضِ** ﴾ هي الأرَضَة ﴿ **تأكُلُ مِنْسأَتَـهُ** ﴾ عصاه التي ينسأ بها ، أي يطرد ويؤخر ﴿ **فلمّا خرَّ تبيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لَـوْ كانوا يعلَمون الغيْبَ مـا لبِثوا في العذابِ المُهينِ** ﴾ أي الشديد من الجري على رسمـه لهم ، والدأب عليه ، لظنهم إياه حيّاً [قال ابن جرير: ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ المذل حولاً كاملاً بعد موت سليمان وهم يحسبون أن سليمان حي].

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿ **لقدْ كان لسبإٍ** ﴾ اسم لأبي قبيلة ، وقيل اسم لها ﴿ **في مسكَنِهم** ﴾ أي في مواضع سكناهم ، باليمن ﴿ **آيَةٌ** ﴾ على قدرته تعالى ومجازاته المسيء ﴿ **جَنَّتانِ عن يَمينٍ وشمالٍ** ﴾ أي جماعتان من البساتين عن يمين بلدهم وشمالها ، أو لكل واحد جنتان عن يمين مسكنه وشماله ﴿ **كُلوا من رِزْقِ رَبِّكُم واشْكُروا لَهُ** ﴾ بصرف ما أنعم به عليكم إلى ما خلق لأجله ﴿ **بَلْدةٌ طَيِّبَةٌ** ﴾ مباركة لا عاهة فيها ﴿ **وربٌّ غَفورٌ** ﴾ لمن شكره .

[١٦] ﴿ **فأعْرَضوا** ﴾ عن الشكر ﴿ **فأرسَلْنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ** ﴾ فلما طغوا أهلكهم الله بخراب السد ، فانهال عليهم تيار مائه فأغرق بلادهم وأفسد عمرانهم وأرضهم ، واضطر من نجا منهم للنزوح عنها ﴿ **وبدَّلناهُم بجنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ ذواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ** ﴾ أي ثمر مرٍّ لا يؤكل ﴿ **وأثْلٍ** ﴾ شجر يشبه الطرفاء من شجر البادية لا ثمر له ﴿ **وشيءٍ من سِدْرٍ قليلٍ** ﴾ وهو شجر النبق ، أي قلة لا تسمن ولا تغني من جوع .

[١٧] ﴿ **ذلكَ جزَيْناهُم بما كَفَروا ، وهل نُجازي إلاَّ الكَفُورَ** ﴾ بشكر النعم ، أو باتباع الرسل .

[١٨] ﴿ **وجعلْنا بينَهُم وبيْنَ القُرى التي باركْنا فيها** ﴾ بالزروع والثمار وحسن العمران ﴿ **قُرىً ظاهِرةً** ﴾ لأعين الناظرين ﴿ **وقدَّرنا فيها السَّيْرَ** ﴾ فمن سار من قرية صباحاً وصل إلى أخرى وقت الظهيرة والقيلولة ، ومن سار بعد الظهر وصل إلى أخرى عند الغروب ﴿ **سِيرُوا فيها لَيالِيَ وأياماً آمِنينَ** ﴾ لا تخافون .

[١٩] ﴿ **فقَالوا ربَّنا باعِدْ بين أسفارِنا** ﴾ فاستعدوا لضلالهم وكفرهم لأن تجعل أمكنتهم تعمل فيها المطيُّ والرواحل ، لتباعد ما بينها وبين ما يسيرون إليه ، وحصل ذلك بما بدَّلوا به من بلادهم الحسنة ﴿ **وظَلَموا أنفسَهُم** ﴾ حتى حلَّ بهم ما حل ﴿ **فجعلناهُم أحاديثَ** ﴾ يتحدث الناس بهم ويتعجبون من نبئهم ﴿ **ومزَّقْناهُم كلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ أي فرَّقناهم كل تفريق ﴿ **إنَّ في ذلكَ** ﴾ فيما ذُكر من قصتهم ، وما حلَّ بهم من النقمة والعذاب ﴿ **لآياتٍ** ﴾ لعبَراً عظيمة ﴿ **لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكورٍ** ﴾ شأنه الصبر عن الشهوات ، والشكر على النِّعَم .

[٢٠] ﴿ **ولقد صدَّقَ عليهِم إبليسُ ظَنَّهُ** ﴾ وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات ، أو ببني آدم حينما رأى ما ركب فيهم من الشهوة والغضب ﴿ **فاتَّبَعوهُ إلاَّ فريقاً من المؤمنين** ﴾ .

[٢١] ﴿ **وما كانَ لَهُ عليهِم من سُلْطانٍ إلاَّ لنعلَمَ مَنْ يُؤمِنُ بالآخِرةِ ممَّنْ هو مِنْها في شَكٍّ** ﴾ ما كان له عليهم من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء ، إلاّ لغرض صحيح وحكمة بيِّنة ، وذلك أنْ يتميَّزَ المؤمن بالآخرة من الشاكِّ فيها ﴿ **وربُّكَ على كلِّ شيءٍ حفيظٌ** ﴾ أي رقيب قائم على أحواله وأموره .

[٢٢] ﴿ **قُلِ** ﴾ للمشركين ، إظهاراً لبُطلان ما هم عليه ، وتبكيتاً لهم ﴿ **ادْعُوا الذين زَعَمْتُم من دونِ اللَّهِ** ﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿ **لا يَمْلِكونَ مِثْقالَ ذرَّةٍ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ ، وما لهم فيهما من شِرْكٍ** ﴾ لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرُّفاً ﴿ **وما لَهُ منهُم من ظَهيرٍ** ﴾ من معين يعينه على تدبير خلقه .

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿ ولا تنفعُ الشّفاعةُ عِندَه إلاّ لمنْ أذِنَ لهُ ﴾ من المستأهلين لمقام الشفاعة كالنبيين والملائكة ﴿ حتّى إذا فُزِّعَ عن قُلوبِهِم ﴾ كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم، بكلمة يتكلم بها ربُّ العزة في إطلاق الإذن ﴿ قالُوا ﴾ سائلاً بعضهم بعضاً: ﴿ ماذا قالَ ربُّكُم قالوا الحَقَّ ﴾ أي: قال قولَ الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى ﴿ وهو العليُّ الكبيرُ ﴾ ذو العلوّ والكبرياء، ليس لملك ولا نبيّ أن يتكلم إلا بإذنه، وأن يشفع إلا لمن ارتضى.

الحزب ٤٤

[٢٤] ﴿ قُلْ مَن يرزُقُكُم مِنَ السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ أمرٌ بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما ﴿ قُلِ اللّهُ ﴾ الذي تعترفون بأنه هو الخالق، فحينئذ قامت الحجة عليهم منهم ﴿ وإنّا أو إيّاكُم لعلى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب.

[٢٥] ﴿ قُلْ لا تُسْألُون عمّا أجْرَمْنا ولا نُسألُ عمّا تعمَلُون ﴾ قل لهؤلاء المشركين: لا تُسألون عما أجرمنا من جرم وركبنا من إثم، ولا نُسأل نحن عما تعملون من عمل، أي: لستم منا ولا نحن منكم.

[٢٦] ﴿ قُلْ: يجمعُ بينَنا رَبُّنا ﴾ أي يوم القيامة على صعيد واحد ﴿ ثُم يفتحُ بيننا بالحَقِّ ﴾ يقضي بالعدل، لأن أحد فريقينا على هدىً والآخر على ضلال، فيتبيَّن يومئذٍ المهتدي منّا من الضالّ ويجزي كلاً بعمله ﴿ وهو الفتّاحُ العليمُ ﴾ الحاكم العادل العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يحتاج إلى شهود تعرِّفه المحق من المبطل.

[٢٧] ﴿ قُلْ أرُونِيَ الذينَ ألْحَقْتُم بِهِ شُركاءَ ﴾ أي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً ﴿ كلاّ ﴾ ردع لهم عن المشاركة، بعد إبطال المقايسة ﴿ بلْ هُوَ اللّهُ العزيزُ الحكيمُ ﴾ الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة، فأين شركاؤكم، وهي أخسُّ الأشياء وأذلها، من هذه الرتبة العالية.

[٢٨] ﴿ وما أرسَلْناكَ إلاّ كافّةً للناسِ بشيراً ونذيراً ﴾ أرسلناك لجميع الخلائق من المكلَّفين، تبشر من أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار ﴿ ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَعْلَمون ﴾ فيحملهم جهلهم على ما هم فيه من الغيِّ والضلال، والتحقيق في معنى عموم إرساله وشمول بعثته، هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم أينما كانوا، وأيّ زمان وجدوا، مما لم يتفق في شرع قبله قط، ولهذا ختمت النبوّات بنبوته ﷺ.

[٢٩] ﴿ ويقولونَ ﴾ على سبيل الاستهزاء ﴿ متى هذا الوعدُ إنْ كنتُم صادِقينَ ﴾.

[٣٠] ﴿ قُلْ لَكُم مِيعادُ يوم لا تستأخِرُونَ عنْهُ ساعةً ولا تستَقْدِمونَ ﴾.

[٣١] ﴿وقالَ الذين كَفَروا لَنْ نُؤْمِنَ بهذا القُرْآنِ ولا بالذي بينَ يَدَيْهِ ﴾ وهو ما نزل قبل القرآن من كتبه تعالى ﴿ولو تَرى إذِ الظّالِمونَ مَوْقُوفونَ عِندَ ربِّهِم يَرْجِعُ بعضُهُم إلى بعضٍ القولَ ﴾ يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم ﴿ يقولُ الذينَ اسْتُضْعِفوا ﴾ وهم الأتباع ﴿ للذين استَكْبَروا ﴾ وهم قادتهم وسادتهم ﴿ لَوْلا أنتُم لكُنّا مُؤْمِنين ﴾.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

[٣٢] ﴿ **قالَ الذينَ استَكبَروا للذينَ اسْتُضْعِفوا أَنَحْنُ صدَدْناكُم عنِ الهُدى بعْدَ إذْ جاءَكُم بلْ كنتُم مُجْرِمِينَ** ﴾ نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان ، وخالفتم الأدلة والبراهين والحِجَج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك .

[٣٣] ﴿ **وقالَ الذينَ اسْتُضْعِفوا للذينَ استَكبَروا بَلْ مَكْرُ اللّيلِ والنّهارِ** ﴾ أي مكركم فيهما وإغراؤكم وتَمْنِيَتكم لنا ﴿ **إذْ تأمُرُونَنا أنْ نَكفُرَ باللّهِ ونجعَلَ لهُ أنْداداً** ﴾ أي نظراء وآلهة معه ﴿ **وأسَرُّوا** ﴾ أي الجميع من السادة والأتباع ﴿ **النّدامةَ لمّا رأوُا العذابَ وجعلنا الأغلالَ في أعْناقِ الذينَ كفَرُوا** ﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم ﴿ **هَلْ يُجْزَوْنَ إلاّ ما كانوا يعمَلُون** ﴾ بأعمالهم كلٌّ بحسبه ، للقادة عذاب بحسبهم ، وللأتباع بحسبهم .

[٣٤] ﴿ **وما أرسَلْنا في قريَةٍ مِن نَذيرٍ إلاّ قالَ مُترَفوها إنّا بما أُرْسِلْتُم بهِ كافِرُون** ﴾ [عن قتادة قال : هم رؤوسهم وقادتهم في الشر - ابن جرير] .

[٣٥] ﴿ **وقالوا نحنُ أكثَرُ أمْوالاً وأوْلاداً وما نحنُ بمُعذَّبين** ﴾ زعماً أنه أكرمهم الله بذلك في الدنيا ، فلا يعذبهم في الآخرة على تقدير وقوعها ، وتوهُّماً بأنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم .

[٣٦] ﴿ **قُلْ إنَّ ربّي يَبْسُطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويقدِرُ** ﴾ يضيق عليه حسب ما اقتضته حكمته ومشيئته في عباده ، من يحب ومن لا يحب ، وهو أعلم بمقتضياته وشؤونه ، فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب ، اللذين مناطها الطاعة وعدمها ﴿ **ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعْلَمُون** ﴾ فيزعمون أن مدار البسط الكرامة ، والتضييق الهوان ، ويجهلون أن مناط الفوز والقرب منه تعالى ، إنما هو الكمالات النفسية وذلك بصدق الإيمان وحسن الاتباع .

[٣٧] ﴿ **وما أموالُكُم ولا أوْلادُكُم بالتي تقرِّبُكُم عندنا زُلْفى** ﴾ بالمزيّة التي تقرّبكم قربة ﴿ **إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحاً** ﴾ [قال ابن جرير : فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه الى الله زلفى دون أهل الكفر بالله] ﴿ **فأولئك لهُم جزاءُ الضِّعْفِ** ﴾ أي الثواب المضاعف ﴿ **بما عَمِلوا وهُم في الغُرُفاتِ آمِنونَ** ﴾ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . [وأخرج ابن أبي حاتم رحمه الله عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها) ، فقال أعرابي : لمن هي ؟ قال ﷺ : (لمن طيّب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام) - ابن كثير] .

[٣٨] ﴿ **والذين يسْعَوْن في آياتِنا** ﴾ بالصدّ عنها والطعن فيها ﴿ **مُعاجِزين** ﴾ قاصدين المُعاجزة والمغالبة والقهر ﴿ **أولئك في العذابِ مُحْضَرُون** ﴾ في عذاب جهنم مُحْضَرون يوم القيامة .

[٣٩] ﴿ **قُلْ إنَّ ربِّي يَبْسُطُ الرّزقَ لمن يشاءُ من عبادِهِ ويقدِرُ لَهُ وما أنفَقْتُم منْ شيْءٍ** ﴾ [عن سعيد بن جبير قال : ما كان في غير إسراف ولا تقتير - ابن جرير] ﴿ **فهوَ يُخْلِفُه** ﴾ أي يعوّضه ، فإن ينابيع خزائنه لا تنضب ﴿ **وهو خَيْرُ الرّازِقِينَ** ﴾ أي أعلاهم ، لأنه خالق الرزق وخالق الأسباب التي ينتفع بها المرزوق بالرزق .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

ربع الحزب ٤٤

[٤٠] ﴿ **ويومَ يحشرُهُم جميعاً ثم يقولُ للملائكَةِ أهَؤُلاءِ إيَّاكُم كانوا يعْبُدُون** ﴾ .

[٤١] ﴿ **قالوا سُبْحانَكَ أنتَ وليُّنا مِن دُونِهم بَلْ كانوا يعْبُدون الجِنَّ ، أكثرُهُم بِهِم مُؤْمِنون** ﴾ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفّار ، وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى مُنَزَّهين برءاء مما وُجِّه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير . وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف الأنداد عند مشركي العرب ، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله لزعمهم أن الأوثان على صور الهياكل العلوية المقرَّبة ، فتكون شفعاء لهم ، والأكثر بمعنى الكل ، والثاني للجن .

[٤٢] ﴿ **فاليومَ لا يملِكُ بعضُكُم لبعضٍ نفْعاً ولا ضَرًّا** ﴾ الأمر كله فيه لله ، وهذا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزُّه والتبرُّؤ عمّا نَسَب إليهم الكفرة ﴿ **ونقولُ للذين ظلَمُوا** ﴾ وهم المشركون : ﴿ **ذُوقُوا عذابَ النّارِ التي كُنْتُم بِهاتُكَذِّبُون** ﴾ .

[٤٣] ﴿ **وإذا تُتْلى عليهم آياتُنا بيِّناتٍ قالوا ما هذا** ﴾ يعنون رسولَ الله ﷺ ﴿ **إلاّ رجُلٌ يُريدُ أنْ يصُدَّكُم عمّا كانَ يعبُدُ آباؤُكُم وقالوا ما هذا** ﴾ القرآن الكريم ﴿ **إلاّ إفْكٌ مُفْترىً** ﴾ كذب مختلق ﴿ **وقالَ الذينَ كفَرُوا للحَقِّ لما جاءَهُم إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ** ﴾ .

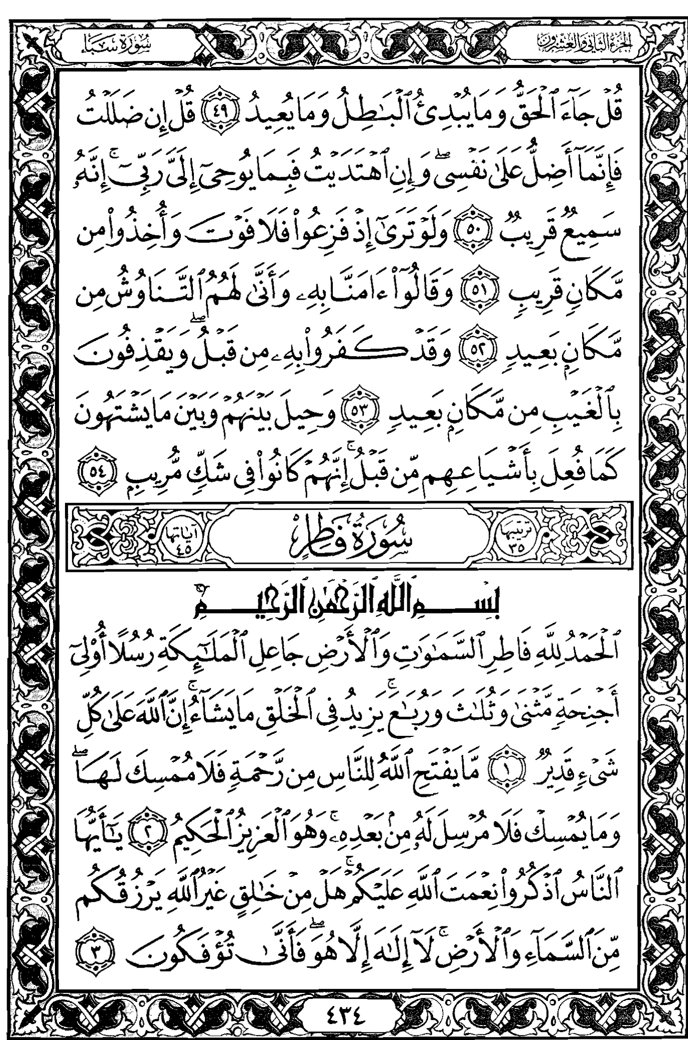
[٤٤] ﴿ **وما آتيناهُم مِن كُتُبٍ يدرُسونَها ، وما أرسَلْنا إليهِم قبْلَكَ مِن نذيرٍ** ﴾ وما أُرسلَ إليهم نبياً قبل محمد ﷺ ، وقد كانوا يودُّون ذلك ويقولون : لو جاءنا نذير أو أُنزل علينا كتاب لكنّا أهدى من غيرنا ، فلمّا منَّ الله عليهم بذلك كذَّبوه وجحدوه وعاندوه .

[٤٥] ﴿ **وكذَّبَ الذينَ مِن قبلِهم** ﴾ من الأمم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا ﴿ **وما بلَغوا مِعْشارَ ما آتيْناهُم** ﴾ يعني أولئك ، من المال وبسطة الملك والعمران والمدنية ﴿ **فكذَّبوا رُسُلي ، فكيفَ كان نَكيرِ** ﴾ أي عقابي ونكالي وانتقامي .

[٤٦] ﴿ **قُلْ إنّما أعِظُكُم بواحِدةٍ** ﴾ أي بخصلة واحدة ، إن فعلتموها أصبتم الحق ﴿ **أنْ تقوموا للّهِ مَثْنىٰ وفُرادىٰ** ﴾ أي : قياماً خالصاً لله بلا محاباة ولا مراءاة ، اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ﴿ **ثُم تتَفكَّروا** ﴾ في أمره ﷺ وما جاء به من الهدى والإصلاح وتهذيب الأخلاق ﴿ **ما بصاحِبِكُم من جِنَّةٍ** ﴾ أي جنون ، والتعبير عنه ﷺ بـ « صاحبهم » للإيماء أن حاله معروف مشهور بينهم لأنه نشأ بين أظهرهم معروفاً بقوة العقل ورزانة الحلم وسداد القول والفعل ﴿ **إنْ هوَ إلاّ نذيرٌ لكُم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ** ﴾ وهو عذاب الآخرة والمآل . [قال ابن جرير: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها] .

[٤٧] ﴿ **قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ** ﴾ أي : أيَّ شيء سألتكم من أجر على الرسالة فهو لكم ، والمراد نفي السؤال رأساً ، وقوله ﴿ **فَهُوَ لَكُمْ** ﴾ جواب شرط مُقدَّر ، أي : فإذا لم أسألكم فهو لكم ﴿ **إنْ أجْرِيَ إلاّ على اللّهِ وهوَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهيد** ﴾ .

[٤٨] ﴿ **قُلْ إنَّ ربِّي يقذِفُ بالحَقِّ** ﴾ أي يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه ، أو يرمي به في أقطار الآفاق ، فيكون وَعْداً بإظهار الإسلام وإعلاء كلمة الحق ﴿ **علاّمُ الغُيُوبِ** ﴾ .



[٤٩] ﴿ قُلْ جاءَ الحَقُّ ﴾ ظهر الحق ، وهو الإسلام ومحاسنه ﴿ وما يُبْدِىءُ الباطِلُ وما يُعيدُ ﴾ كناية عن زهوق الباطل ومحو أثره .

[٥٠] ﴿ قُلْ إنْ ضَلَلْتُ ﴾ عن الطريق الحق ﴿ فإنّما أضِلُّ على نفسي ﴾ لأن وبال ذلك عائد على ذاتي لا على غيري ﴿ وإنِ اهتدَيْتُ فبما يوحِي إليَّ ربِّي ﴾ من الرشاد والحق المبين ﴿ إنَّهُ سَميعٌ قَريبٌ ﴾ .

[٥١] ﴿ ولَوْ ترىٰ إذ فَزِعوا ﴾ أي هؤلاء المكذّبون عند الموت أو البعث أو ظهور الحق وسلطانه ﴿ فلا فَوْتَ ﴾ لهم ، بهرب أو التجاء ﴿ وأُخِذوا من مكانٍ قريبٍ ﴾ من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من الموقف إلى النار إذا بعثوا .

[٥٢] ﴿ وقالوا آمَنّا بِهِ ﴾ أي بمحمد ﷺ أو القرآن ﴿ وأنّىٰ لَهُمُ التّناوُشُ من مكانٍ بعيدٍ ﴾ ومن أين لهم تناول الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم ، لأنهم صاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء ، أو لأنهم آمنوا بلسانهم ولم يدخل الإيمان قلوبهم . و«التناوش» و«التناول» أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب .

[٥٣] ﴿ وقَدْ كَفَروا بِهِ من قَبْلُ ويقذِفونَ بالغَيْبِ من مكانٍ بعيدٍ ﴾ أي يرجمون بالظن فيتكلمون بما لم ينشأ عن تحقيق من أقوالهم الباطلة ، كقولهم : ساحر وشاعر ومجنون وما نحن بمبعوثين ، ونحو ذلك .

[٥٤] ﴿ وحِيلَ بينَهُم وبينَ ما يَشْتَهونَ ﴾ من نفع الإيمان يومئذ ، والنجاة به من النار ﴿ كما فُعِلَ بأشْياعِهِم من قَبْلُ ﴾ أي بأشباههم من كَفَرَة الأمم ﴿ إنَّهُم كانوا في شَكٍّ مُريبٍ ﴾ من أرابه أوقعه في ريبة وتهمة ، فالهمزة للتعدية . وعن قتادة : إياكم والشك والريبة ، فإن من مات على شكٍّ بُعِثَ عليه ، ومن مات على يقين بُعِثَ عليه .

[سورة فاطر]

تسمى هذه السورة «فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل في طليعتها ، وهذه السورة ختام السور المفتتحة بالحمد ، وهي مكية . وعدد آياتها ٤٥ آية .

[١] ﴿ الحمْدُ للّٰهِ فاطِرِ السّمٰواتِ والأرضِ ﴾ أي مبتدئها ومبدعها ﴿ جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً أُولي أجنحةٍ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ ﴾ أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد ، حسب تفاوت ما لهم من المراتب ، ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها ﴿ يَزيدُ في الخَلْقِ ما يَشاءُ ﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء ، مما تقتضيه حكمته ﴿ إنَّ اللّٰهَ على كلِّ شيْءٍ قديرٌ ﴾ . [٢] ﴿ ما يفتحِ اللّٰهُ للنّاسِ منْ رحْمَةٍ ﴾ نعمة سماوية كانت أو أرضية ﴿ فلا مُمْسِكَ لها ﴾ أي لا أحد يقدر على إمساكها ﴿ وما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لهُ من بعدِهِ ﴾ من بعد إمساكه ﴿ وهو العزيزُ ﴾ الغالب على كل ما يشاء ﴿ الحكيمُ ﴾ في أمره وصنعه . [٣] ﴿ يا أيُّها النّاسُ اذكُروا نِعْمَةَ اللّهِ عليْكُم ﴾ أي إنعامه لتستدلوا بها على وحدته في ألوهيته ، لأنه المنفرد بإرسالها وحده ، ولا يصح لمن انفرد بالإنعام أن يشرك معه غيره ﴿ هَلْ مِن خالقٍ غيرُ اللّٰهِ يرزُقُكُم من السّماءِ والأرضِ ﴾ أي المطر والنبات ﴿ لا إلهَ إلاّ هُوَ ، فأنّى تُؤْفَكُونَ ﴾ أي : تُصْرَفون عن التوحيد الواجب إلى الشرك والكفر .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

[٤] ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبوكَ فقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلِكَ ، وإلى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمورُ** ﴾ فيجازي المكذِّب وشيعته بالخزي وظهور الحق عليه .

[٥] ﴿ **يا أيُّها النّاسُ إنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ** ﴾ إن ما وعد به من جزائه بالثواب إن صدقتم في الاتِّباع ، وبالعقاب ، إن عصيتم ﴿ **فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا** ﴾ بأن يذهلكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها ، عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ﴿ **ولا يغُرنَّكم باللّهِ الغَرورُ** ﴾ أي الشيطان ، وقرىء بالضم .

[٦] ﴿ **إنَّ الشَّيْطانَ لكُم عدوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ، إنما يدْعو حِزبَهُ ليكونوا من أصْحابِ السَّعيرِ** ﴾ باتباع الهوى والركون إلى الدنيا .

[٧] ﴿ **الذينَ كَفَروا لَهُم عذابٌ شَديدٌ ، والذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وأجْرٌ كبيرٌ** ﴾ .

[٨] ﴿ **أَفَمَنْ زُيِّنَ لهُ سُوءُ عملِهِ فرآهُ حَسَناً** ﴾ أي : فمن حُسِّن له عمله السيء بأن غلب هواه على عقله ، حتى انتكس رأيه فرأى الباطلَ حقاً والقبيحَ حسناً ، كمن لم يُزيَّن لـه ، بل هُدِيَ فعرف الحقَّ وميَّز الحسن من السيء ؟ ﴿ **فإنَّ اللّهَ يُضِلُّ من يشاءُ ويهدِي من يشاءُ** ﴾ إلى الإيمان واتباع الحق ﴿ **فلا تذهَبْ نفسُكَ عليهِم حَسَراتٍ** ﴾ فلا تهلك نفسك حزناً على ضلالهم وعدم اتباعهم لك ﴿ **إنَّ اللّهَ عليمٌ بما يصْنَعون** ﴾ فيجازيهم عليه .

[٩] ﴿ **واللّهُ الذي أرسَلَ الرِّياحَ فتُثيرُ سَحاباً فسُقْناهُ إلى بلَدٍ ميِّتٍ فأحْيَيْنا بهِ الأرْضَ بعدَ موْتِها ، كذلكَ النُّشُورُ** ﴾ مثل إحياء الموات ، إحياء الأموات . وكثيراً ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها ، ليعتبر المرتاب في هذا . روى الإمام أحمد عن لقيط بن عامر أنه قال : يا رسول الله أكلنا يرى ربه عزّ وجلّ يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ (أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به؟) قلنا : بلى ، قال : (فالله أعظم) قال : قلت : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : (أما مررت بوادٍ أهلك ممحلاً؟) قال : بلى ، قال : (ثم مررت به يهتز خضراً) قال : بلى ، قال : (فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه) .

[١٠] ﴿ **مَنْ كانَ يُريدُ العِزَّةَ** ﴾ أي الشرف والرفعة ﴿ **فللّهِ العِزَّةُ جميعاً** ﴾ أي فليطلبها من عنده باتباع شريعته ، وموالاة أنبيائه ورسله ، والتأسِّي بهم في الصلاح والإصلاح ، والصبر والثبات ، واطِّراح كل ملامة رغبة في الحق وعملاً بالصدق ﴿ **إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ وهو الداعي إلى الحق والإصلاح ، والمنبِّه على سبل الضلال والفساد ﴿ **والعَمَلُ الصَّالحُ يرفَعُهُ** ﴾ يرفع الكلمُ العملَ الصالحَ أي : يكون العمل الصالح موجباً للرفع والقبول ﴿ **والذينَ يَمكُرون السيِّئاتِ** ﴾ أي الأعمال السيئة المفسدة لصلاح الأمة وقيام عمرانها ﴿ **لهُم عذابٌ شديدٌ ومكْرُ أولئكَ هُوَ يَبُورُ** ﴾ أي يضمحلُّ لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه .

[١١] ﴿ **واللّهُ خلقَكُم من تُرابٍ ثُم من نُطْفَةٍ ثُمَّ جعلَكُم أزْواجاً** ﴾ أي ذُكراناً وإناثاً ﴿ **وما تَحْمِلُ مِن أُنثى ولا تَضَعُ إلا بعِلْمِهِ ، وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ** ﴾ أي : وما يُمَدُّ في عمر أحد ﴿ **ولا يُنْقَصُ من عُمُرِهِ إلاّ في كتابٍ** ﴾ وهو علمه تعالى الذي سبق ﴿ **إنَّ ذلكَ على اللّهِ يَسيرٌ** ﴾ أي الحفظ والزيادة والنقصان ، سهل ، لشمول علمه وعموم قدرته .

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿ **وما يسْتَوِي البَحْرانِ ، هذا عَذْبٌ فُراتٌ** ﴾ شديد العذوبة ﴿ **سائِغٌ شَرابُه وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ** ﴾ قويُّ الملوحة ﴿ **ومن كُلٍّ تأكُلون لَحْماً طَرِيّاً** ﴾ يعني السمك ﴿ **وتستخْرِجون حِلْيَةً تلْبَسونَها** ﴾ أي زينة تتحلَّوْن بها ﴿ **وتَرىٰ الفُلْكَ فيهِ مَواخِرَ** ﴾ أي تمخر الماء وتشقُّه بجريها ﴿ **لتبْتَغوا مِن فضْلِهِ** ﴾ بالتنقل فيها ﴿ **ولعلَّكُم تشكُرُونَ** ﴾ .

[١٣] ﴿ **يولِجُ اللَّيلَ في النَّهار ويولِجُ النَّهارَ في الليلِ** ﴾ [عن قتادة : زيادة هذا في نقصان هذا ، ونقصان هذا في زيادة هذا ـ ابن جرير] ﴿ **وسخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ كُلٌّ يجري لأجَلٍ مُسمًّى** ﴾ يعني مدة دوره ، أو منتهاه ، أو يوم القيامة ﴿ **ذلِكُمُ اللَّهُ ربُّكُم لَهُ المُلْكُ ، والذينَ تَدْعونَ مِن دونِهِ ما يَمْلِكُونَ من قِطْميرٍ** ﴾ فأنَّى يستأهلون العبادة ، و«القطمير» لفافة النواة ، وهو مَثَلٌ في القِلَّة والحقارة .

نصف الحزب ٤٤

[١٤] ﴿ **إنْ تَدعُوهُم لا يسْمَعوا دُعاءَكُم** ﴾ لأنهم جماد ﴿ **ولو سَمِعُوا** ﴾ على الفرض ﴿ **ما اسْتَجابوا لَكُم** ﴾ لعدم قدرتهم على النفع ﴿ **ويومَ القِيامةِ يكفُرُون بِشِرْكِكُمْ** ﴾ يقرُّون ببطلانه ، وأن لا أمْرَ لهم فيه ﴿ **ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبيرٍ** ﴾ لا يخبرك بالأمر مخبر ، مثل خبير عظيم أخبرك به ، وهو الحق سبحانه ، فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين .

[١٥] ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إلى اللَّهِ** ﴾ إلى رحمته وعنايته ولطفه وإمداده في كل لمحة ونفس ﴿ **واللَّهُ هو الغنيُّ الحميدُ** ﴾ المحمود لنعمه التي لا تُحْصى .

[١٦] ﴿ **إن يشَأْ يُذْهِبْكُم ويأْتِ بخَلْقٍ جَديدٍ** ﴾ [يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه ـ ابن جرير] . [١٧] ﴿ **وما ذلك على اللَّهِ بعزيزٍ** ﴾ بممتنع ، وهذا غضب عليهم ، لاتخاذهم له أنداداً ، وكفرهم بآياته ، ومعاصيهم .

[١٨] ﴿ **ولا تَزِرُ وازِرةٌ** ﴾ لا تحمل نفس آثمة ﴿ **وِزْرَ أُخْرىٰ** ﴾ أي إثم نفس أخرى ، بل إنَّما تحمل وزرَها الذي اقترفته ، لا تؤخذ نفس بذنب نفس ﴿ **وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ** ﴾ أي نفس أثقلتها الأوزار ﴿ **إلى حِمْلِها** ﴾ إلى حمل بعض أوزارها ليخفف عنها ﴿ **لا يُحْمَلْ منهُ شيْءٌ** ﴾ لم تجب ولم تُغَثْ بحمل شيء ﴿ **ولَوْ كان** ﴾ المدعو المفهوم من الدعوة ﴿ **ذا قُربىٰ** ﴾ ذا قرابة من الداعي ، من أبٍ أو ولدٍ أو أخٍ ، وهذا قطع لأطماع انتفاعهم بقرابتهم وغنائهم عنهم ، وأنه لا تملك نفس لنفس شيئاً ، وأن كل امرىء بما كسب رهين [قال عكرمة : هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني . وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له : يا مؤمن إن لي عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا ، وقد احتجت إليك اليوم . فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه ، حتى يرده إلى منزل دون منزله ، وهو في النار . وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول : يا بني أي والد كنت لك . فيثني خيراً ، فيقول له : يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى . فيقول له ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً . ومثل هذا يكون بين الزوج وزوجه ، كل مشغول بنفسه ـ ابن كثير] ﴿ **إنَّما تُنْذِرُ الذين يخْشَوْن ربَّهُم بالغَيْبِ** ﴾ [عن قتادة : أي يخشون النار ـ ابن جرير] ﴿ **وأقاموا الصَّلاةَ ومن تزكَّىٰ** ﴾ أي تطهَّر من أوضار الأوزار ﴿ **فإنَّما يتزكَّى لنفسِهِ ، وإلى اللَّهِ المصيرُ** ﴾ [وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه ـ ابن جرير] .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[١٩] ﴿ وما يستوي الأعمى والبصيرُ ﴾ مَثَلٌ للكافر والمؤمن .

[٢٠] ﴿ ولا الظُّلُماتُ ولا النورُ ﴾ مثلٌ للحق والباطل .

[٢١] ﴿ ولا الظِلُّ ولا الحَرورُ ﴾ مثل للثواب والعقاب ، و« الحرور » الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار .

[٢٢] ﴿ وما يستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ، أي : ما يستوي أحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيله ، وأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ﴿ إنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ من يشاءُ ﴾ فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿ وما أنْتَ بمُسمِعٍ مَن في القُبورِ ﴾ كما لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه ، من كان ميت القلب عن معرفة الله وفهم كتابه وواضح حججه .

[٢٣] ﴿ إنْ أنْتَ إلاَّ نَذيرٌ ﴾ ما عليك : إلا أن تبلّغ وتنذر ، فإن كان المُنْذَرُ ممن يسمع الإنذار نفع ، وإن كان من المصرِّين فلا عليك .

[٢٤] ﴿ إنَّا أرسلْناكَ بالحَقِّ بشيراً ونَذيراً ، وإنْ من أُمَّةٍ إلاّ خلا فيها نذيرٌ ﴾ أي وما من أمة من الأمم الدائنة بملّة ، إلا مضى فيها نذير من قبلك ينذرهم على كفرهم بالله ، ويزيح عنهم العلل .

[٢٥] ﴿ وإنْ يُكذِّبوكَ فقد كذَّبَ الذين من قَبْلِهم ﴾ وإن يكذّبوك ولم يستجيبوا لك فلا تبال بهم وتأسّ بمن كُذِّب من الرسل السالفة ﴿ جاءَتْهُم رُسُلُهُم بالبيِّناتِ ﴾ فقد جاؤوهم بالآيات والخوارق المحسوسة على صحّة نبوّتهم ﴿ وبالزُّبُرِ ﴾ وبالصحف المرشدة لهم إلى مسالك الفلاح والنجاح ﴿ وبالكتابِ المُنيرِ ﴾ لمن تدبّره وتأمّله أنه الحق الناطق بالصواب والصدق .

[٢٦] ﴿ ثمَّ أخذْتُ الذين كَفَروا ، فكيفَ كانَ نَكيرِ ﴾ سؤال إنكاري بالعقوبة ، وفيه مزيد تشديد وتهويل لها .

[٢٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأخرَجْنا بهِ ثمراتٍ مختلِفاً ألوانُها ، ومن الجبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سُودٌ ﴾ « جُدَد » بضم الجيم وفتح الدال جمع « جدة » بالضم ، وهي الطريقة من « جدّه » إذا قطعه ، أي من الجبال ذوي جدَد ، أي طرائق بيض وحمر . و« غرابيب » جمع « غربيب » وهو الأسود المتناهي في السواد ، يقال : أسود غربيب .

[٢٨] ﴿ ومِنَ النَّاسِ والدَّوابِّ والأنْعامِ مختلِفٌ ألوانُه كذلكَ ﴾ أي اختلافاً كاختلاف الثمرات والجبال ﴿ إنَّما يخشىٰ اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾ تعيين من يخشاه عزَّ وجلَّ من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم ، وتباين مراتبهم ، والمعنى : إنما يخشاه تعالى بالغيب ، العالمون به عزّ وجلّ ، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشيّ والعلم بشؤونه كما قال ﷺ : (أنا أخشاكُم للّهِ وأتقاكُم لَهُ) أخرجه البخاري ﴿ إنّ اللّهَ عزيزٌ ﴾ غالب على كل شيء بعظمته ﴿ غفورٌ ﴾ لمن تاب وأناب وعمِل صالحاً .

[٢٩] ﴿ إنَّ الذين يتلُونَ كتابَ اللَّهِ ﴾ يداومون على تلاوته وتدبُّره للأخذ بما فيه ﴿ وأقامُوا الصَّلاة وأنفقوا مِمّا رزقناهُم سِرّاً وعلانيةً يرجون تجارةً لنْ تبورَ ﴾ والتجارة استعارة لتحصيل الثواب بالطاعة ، والبوار بمعنى الكساد والهلاك .

[٣٠] ﴿ ليوفِّيَهُم أُجورَهم ويَزيدَهُم من فضلِهِ ، إنَّهُ غفورٌ شكورٌ ﴾ لأعمالهم ، والشكر مجاز عن الإثابة والجزاء بالإحسان .

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿ والذي أوحَيْنا إليْكَ مِنَ الكِتابِ ﴾ القرآن ﴿ هوَ الحَقُّ مصدِّقاً لما بين يديْه ﴾ تقدمه من الكتب ﴿ إنَّ اللَّهَ بعبادِهِ لَخبيرٌ بصيرٌ ﴾ عالم بالبواطن والظواهر .

[٣٢] ﴿ ثم أورثْنا الكِتابَ الذين اصْطَفَيْنا مِن عِبادِنا ﴾ ثم بعد أخذ الذين كفروا ، أورثنا الكتاب ـ الذي هو أعظم فضل وعناية ورحمة ـ المصطفين من الموحِّدين ﴿ فمنهُم ظالمٌ لنفسِهِ ﴾ بالإثم والعصيان ﴿ ومنهُم مقْتَصِدٌ ﴾ في العلم ، ليس من المجرمين ولا من السابقين ﴿ ومنهُم سابِقٌ بالخَيْراتِ بإذْنِ اللَّهِ ﴾ أي : بإرادته ﴿ ذلك هوَ الفَضْلُ الكبيرُ ﴾ [قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ قال : هم أمة محمد ﷺ ، ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب . وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) قال ابن عباس رضي الله عنهما : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ . وكذا روي عن غير واحد من السلف : أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير . وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال : هو الكافر . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ قال : هم أصحاب المشأمة . وقال الحسن وقتادة هو المنافق . ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة : وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها . والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، وهذا اختيار ابن جرير ، كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً ـ ابن كثير].

[٣٣] ﴿ جناتُ عَدْنٍ يدخُلونَها يُحَلَّوْنَ فيها من أساورَ من ذَهَبٍ ولُؤْلُؤاً ولباسُهُم فيها حَريرٌ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وقالوا الحمدُ للَّهِ الذي أذهَبَ عنّا الحَزَنَ ، إنَّ ربَّنا لَغفورٌ ﴾ للذنوب ﴿ شكورٌ ﴾ .

[٣٥] ﴿ الذي أحَلَّنا دارَ المُقامَةِ من فضلِهِ ﴾ أي الإقامة ﴿ لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ ﴾ تعب ﴿ ولا يَمَسُّنا فيها لُغُوبٌ ﴾ أي كَلال أو [إعياء] .

[٣٦] ﴿ والذينَ كَفَروا لهُم نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضىٰ عليهِم فيموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهُم من عذابِها ﴾ أي : لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا من العذاب ولا يخفف عنهم ﴿ كذلك نَجزي كلَّ كَفورٍ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وهم يصْطَرِخونَ فيها ﴾ أي يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿ ربَّنا أَخْرِجْنا ﴾ منها وأعدنا إلى الحياة الدنيا مرّة أخرى ﴿ نعمَلْ صالحاً غيْرَ الذي كُنّا نعمَلُ ﴾ فيقال لهم ﴿ أوَلَمْ نُعمِّرْكُم ، ما يتذَكَّرُ فيهِ مَن تذكَّرَ ، وجاءَكُم النَّذيرُ فذوقوا ، فما للظّالِمينَ مِن نَصيرٍ ﴾ أوما عشتم في الدنيا أعماراً ينتفع فيها من يتذكر ويتبصّر؟

[٣٨] ﴿ إنَّ اللَّهَ عالمُ غَيْبِ السَّمٰواتِ والأرضِ ، إنّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ ﴾ بما في القلوب .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٣٩] ﴿ **هوَ الذي جعلَكُم خلائِفَ في الأرضِ** ﴾ أي مستخْلَفِين فيها [عن قتادة قال: أمة بعد أمة، وقرناً بعد قرن ـ ابن جرير] أباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿ **فمَنْ كفرَ فعليْهِ كُفْرُهُ** ﴾ أي: وبال كفره ﴿ **ولا يَزيدُ الكافِرينَ كُفْرُهُم عندَ ربِّهِم إلاّ مَقْتاً** ﴾ أي بغضاً شديداً ﴿ **ولا يزيدُ الكافِرينَ كُفْرُهُم إلاّ خَساراً** ﴾ ﴿خلائف﴾: جمع خليفة [أي يخلف بعضكم بعضاً ـ تفسير الجلالين].

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

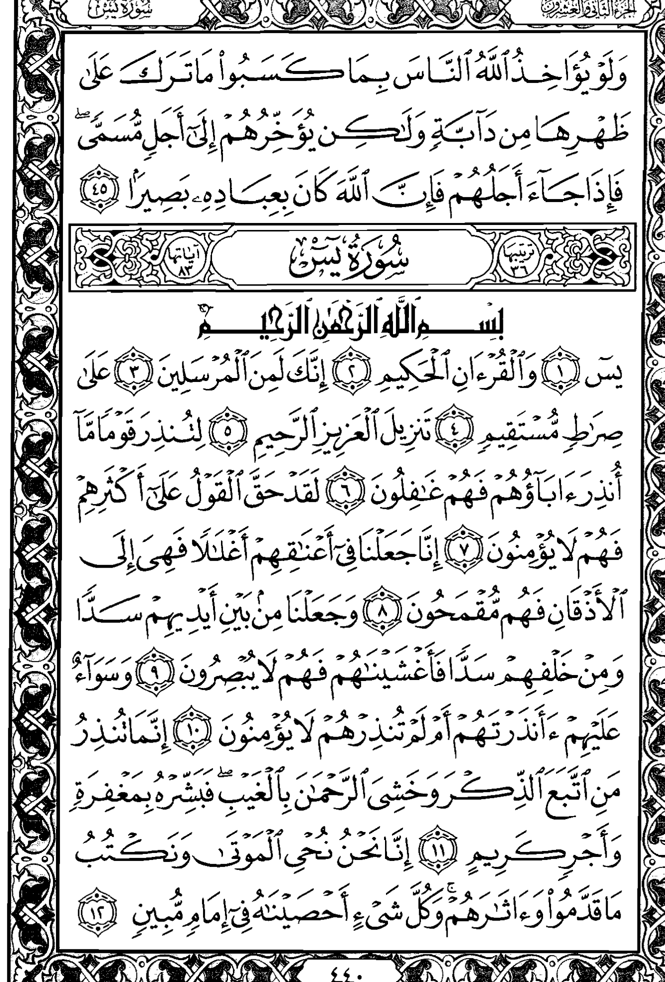
[٤٠] ﴿ **قُلْ** ﴾ تبكيتاً لهم، ﴿ **أرأيْتُم شُركاءَكُم الذينَ تدْعونَ مِن دونِ اللّهِ أرُوني ماذا خَلَقوا من الأرضِ، أمْ لَهُم شِرْكٌ في السَّمٰواتِ** ﴾ أي: شركة في خلقها ﴿ **أمْ آتيْناهُم كِتاباً فَهُم على بيِّنَةٍ منْهُ** ﴾ أي: حجة وبرهان، بأنه أذن لهم في الإشراك ﴿ **بَلْ إنْ يَعِدُ الظّالِمونَ بعضُهُم بعضاً إلاّ غُروراً** ﴾ في قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

[٤١] ﴿ **إنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمٰواتِ والأرضَ أنْ تَزُولا، ولَئِنْ زالَتا إنْ أمْسَكَهُما** ﴾ أي: ما أمسكها ﴿ **مِن أحَدٍ مِن بعدِهِ، إنَّهُ كانَ حَليماً** ﴾ في تأخير العقاب ﴿ **غَفوراً** ﴾ [وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ـ ابن كثير].

[٤٢] ﴿ **وأقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيْمانِهِم** ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿ **لئِنْ جاءَهُم نَذيرٌ** ﴾ رسول ﴿ **ليَكُونُنَّ أهْدىٰ مِن إحدىٰ الأُمَمِ فلَمّا جاءَهُم نذيرٌ** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **ما زادَهُم إلاّ نُفوراً** ﴾.

[٤٣] ﴿ **اسْتِكْباراً في الأرضِ** ﴾ عن الإيمان ﴿ **ومَكْرَ** ﴾ العمل ﴿ **السَّيِّءِ** ﴾ من الشرك وغيره ﴿ **ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ فهَلْ يَنظُرُون إلاّ سُنَّةَ الأوَّلِينَ** ﴾ يعني إنزال العذاب بهم كما أنزل على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم ﴿ **فلنْ تَجِدَ لسُنَّةِ اللّهِ تبْديلاً، ولنْ تجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تحْويلاً** ﴾ [قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به: من مكر، أو بغي، أو نكث، وتصديقها في كتاب الله تعالى: ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ ـ ابن كثير].

[٤٤] ﴿ **أوَلَمْ يَسيروا في الأرضِ فينظُروا كيفَ كانَ عاقِبَةُ الذينَ مِن قبلِهِم وكانوا أشَدَّ منهُم قُوَّةً** ﴾ [عن قتادة قال: يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم ـ ابن جرير] ﴿ **وما كانَ اللّهُ ليُعْجِزَهُ مِن شيْءٍ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ، إنَّهُ كانَ عليماً قَديراً** ﴾. [قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة، المكذبون محمداً فيسبقونا هرباً في الأرض، إذا نحن أردنا إهلاكهم، لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض... إن الله كان عليماً بخلقه وما هو كائن ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته راجع إلى الهدى تائب، قدير على الانتقام ممن شاء منهم وتوفيق من أراد منهم للإيمان].



[٤٥] ﴿ ولو يُؤاخِذُ اللَّهُ الناسَ بما كَسَبوا ﴾ أي بما اقترفوا من معاصيهم ﴿ ما تَرَكَ على ظَهرِها مِن دابَّـةٍ ﴾ أي من نسمة تدب لشؤم معاصيهم ، والضمير للأرض لسبق ذكرها [عن قتادة قال: إلا ما حمل نوح في السفينة ـ ابن جرير] ﴿ ولكنْ يُؤخِّـرُهُم إلى أجَلٍ مُسمًّى ﴾ أي يؤخِّر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده ﴿ فـإذا جاءَ أجلُهُم فإنَّ اللَّـهَ كان بِعبـادِهِ بَصيراً ﴾ فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً بمن يستحق أن يُعاقَب ، وبمن يستوجب الكرامة .

[سورة يس]

هي مكية واستثنى منها بعضهم قوله تعالى ﴿ إنا نحن نُحْيِي الموتى ونكتُبُ ما قـدّموا وآثـارهم ﴾ وعدد آياتها ثلاث وثمانون آية .

[١] ﴿ يسٓ ﴾ تقدّم الكلام في مثل هذه الفواتح مراراً ، وحاصله أنها إما مسرودة على نمط التعديد ، أو اسم للسورة .

[٢] ﴿ والقُرْآنِ الحكيمِ ﴾ أي ذي الحكمة أو النـاطق بالحكمة .

[٣] ﴿ إنَّكَ لمِنَ المُرْسَلِين ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ .

[٤] ﴿ على صِراطٍ مُسْتَقيم ﴾ وهو الموصل إلى المطلوب بدون لغوب . [٥] ﴿ تنْزِيلَ العزيزِ الرَّحيم ﴾ .

[٦] ﴿ لِتُنذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُم ﴾ لا برسول ولا كتاب وهم : قريش ﴿ فهُم غافِلون ﴾ عن أمـر حق الخالق والمخلوق بالكفر والفساد ونكران البعث والمَعاد .

[٧] ﴿ لقد حَقَّ القَـوْلُ على أكثرِهم ﴾ أي استأهلـوا لأن ينـزل بهم العذاب وينتقم منهم أشـد الانتقـام ﴿ فهُم لا يُؤْمِنونَ ﴾ لا يريدون أن يـؤمنوا ويهتدوا ، كفراً وكبراً وعناداً وبغياً في الأرض بغير الحق .

[٨] ﴿ إنَّا جعلْنا في أعناقِهم أغْلالاً فهيَ إلى الأذْقانِ ﴾ أي للّحى ﴿ فهُم مُقْمَحونَ ﴾ أي ناصبوا رؤوسهم ، غاضّوا أبصارهم .

[٩] ﴿ وجعَلْنـا من بينِ أيديهم سـدّاً ومِن خلفهِم سدّاً فأغشَيْنـاهُم فَهُم لا يُبْصِرُونَ ﴾ لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفـون أعناقهم نحـوه ولا يطأطئون رؤوسهم له ، وكالحاصلين بين سدَّيْن ، لا يبصرون ما قدّامهم ولا ما خلفهم ، في أن لا تأمل لهم ولا تبصر ، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله .

[١٠] ﴿ وسَواءٌ عليْهِم أأنْذَرْتَهُم ﴾ أخوّفتهم بالقرآن ﴿ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لا يُؤْمِنون ﴾ لا يريدون أن يؤمنوا .

[١١] ﴿ إنَّما تُنْذِرُ ﴾ الإنذارَ المترتب عليه النفع ﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به ﴿ وخشِيَ الرَّحْمٰنَ بالغيبِ ﴾ أي عمل الصالحات لوجهه ، وإن كان لا يراه ﴿ فبشِّرْه بمغْفِرَةٍ ﴾ لذنوبه في الدنيا ﴿ وأجْرٍ كَريم ﴾ أي ثوابٍ حسنٍ في الجنة .

[١٢] ﴿ إنّا نَحْنُ نُحيِي المَوْتىٰ ﴾ للبعث ﴿ ونكتُبُ ما قَدَّموا ﴾ نحفظ عليهم ما أسلفوا من الخير والشر ﴿ وآثارَهُم ﴾ ما تركوه من سنّة صالحة فعُمِل بها بعد موتهم ، أو سنّة سيئة فعُمِل بها بعدهم [عن جابر قال: أراد بنو سلمـة أن يتحوّلوا إلى قرب المسجد، قال: والبقـاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال (يا بني سلمة دياركم إنها تُكتَبُ آثـاركم) قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرنا أنّا كنـا تحوّلنا ـ ابن جرير] ﴿ وكُلَّ شيْءٍ أحْصَيْناه في إمامٍ مُبينٍ ﴾ في اللوح المحفوظ ، أو العلم الأزليّ .

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[١٣] ﴿ **واضربْ لَهُم مَثَلاً** ﴾ أي مثّل لأهل مكة مَثَلاً ﴿ **أصحابَ القَرْيَةِ** ﴾ اذكر لهم قصة عجيبة ، قصة أصحاب القرية [ذكر أنها أنطاكية] ﴿ **إذْ جاءَها المُرْسَلونَ** ﴾ أي الدعاة إلى الحق ورفض عبادة الأوثان .

[قيل كانوا رسل عيسى ابن مريم ، وعيسى الذي أرسلهم إليهم ، وقيل بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم - ابن جرير] .

[١٤] ﴿ **إذْ أرسَلْنا إليهمُ اثنَيْنِ فكذَّبوهُما فعزَّزْنا بثالثٍ** ﴾ أي فقويناهما برسالة ثالث ﴿ **فقالوا إنّا إليكُم مُرسَلون** ﴾ .

[١٥] ﴿ **قالوا ما أنتُم إلا بشَرٌ مثْلُنا وما أنزَلَ الرَّحْمٰنُ من شيْءٍ ، إن أنتُم إلاّ تكْذِبون** ﴾ .

[١٦] ﴿ **قالوا ربُّنا يعلَمُ إنّا إليكُم لمُرْسَلونَ** ﴾ .

[١٧] ﴿ **وما علينا إلاّ البَلاغُ المُبينُ** ﴾ أي التبليغ عن الله ظاهراً بيّناً لا سترة فيه ، وقد خرجنا من عهدته .

[١٨] ﴿ **قالوا إنَّا تطيَّرنا بِكُم** ﴾ أي تشاءمنا منكم ، فكان إذا حدث في البلد ما يسيء من حريق أو بلاء نسبوه إليهم ، وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم ﴿ **لئِنْ لمْ تنْتَهُوا** ﴾ عن دعوتكم إلى التوحيد ﴿ **لنرجُمَنَّكُم وليَمَسَّنَّكُم مِنّا عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

[١٩] ﴿ **قالوا** ﴾ أي الرسل : ﴿ **طائِرُكُم معَكُم** ﴾ سبب شؤمكم معكم ، وهو الكفر والمعاصي ﴿ **أإنْ ذُكِّرْتُم** ﴾ أي وُعظتم بما فيه سعادتكم ﴿ **بلْ أنتُم قومٌ مُسرِفونَ** ﴾ في الشؤم والعدوان .

[٢٠] ﴿ **وجاءَ من أقْصى المدينَةِ رجُلٌ يسْعَى** ﴾ يسرع في المشي ، حيث سمع بالرسل [عن قتادة قال : لما انتهى إليهم ، يعني إلى الرسل قال : هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك ﴿يا قوم اتبعوا﴾ الآية - ابن جرير] ﴿ **قالَ يا قوم اتَّبِعُوا المُرسَلِين** ﴾ بالإيمان بالله وحده .

[٢١] ﴿ **اتبِعوا مَن لا يسألُكُم أجْراً** ﴾ لا يطلب مالاً على الإيمان ﴿ **وهُم مُهْتَدُونَ** ﴾ في أنفسهم بالكمالات والأخلاق الكريمة والآداب الشريفة ، فيجدر الاقتداء بهم .

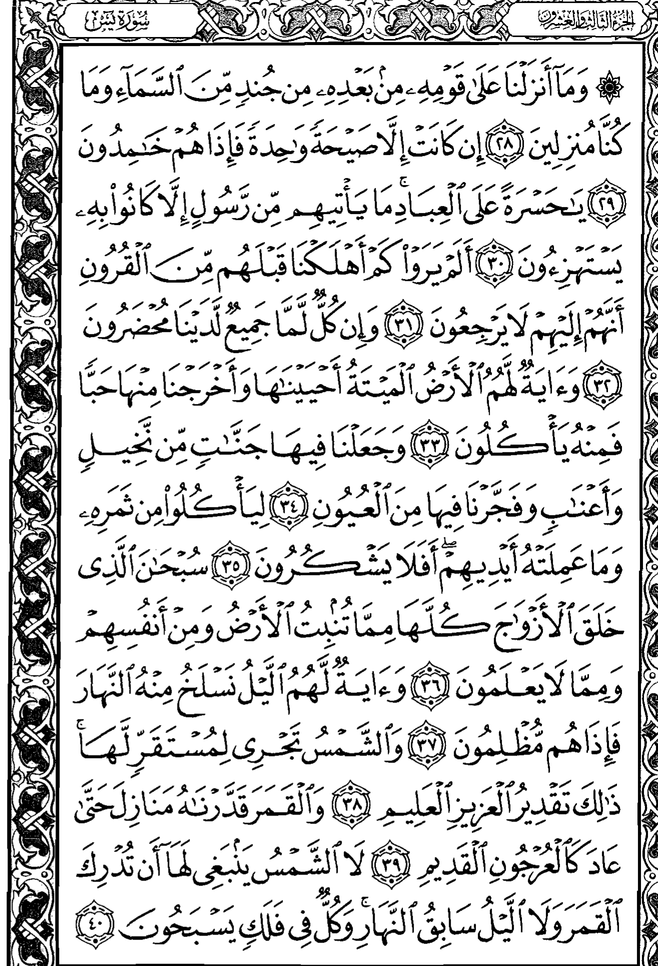
[٢٢] ﴿ **وما لِيَ لا أعبُدُ الذي فطَرَني** ﴾ أي خلقني ﴿ **وإليه تُرْجَعونَ** ﴾ بعد الموت .

[٢٣] ﴿ **أأتَّخِذُ مِن دونِهِ آلِهَةً** ﴾ فأضرع إليها وأعبدها ، وهي في المهانة والحقارة بحيث ﴿ **إن يُرِدْنِ الرَّحمٰنُ بضُرٍّ لا تُغْنِ عنّي شفاعتُهُم شيئاً ولا يُنْقِذونِ** ﴾ من ذلك الضرِّ بالنصر والمظاهرة ، وفيه تحميق لقومه لهم ، لأن ما يتخذ ويصنعه المخلوق ، كيف يُعبَد ؟

[٢٤] ﴿ **إنّي إذاً لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ** ﴾ . [٢٥] ﴿ **إنّي آمَنْتُ بربِّكُم فاسمَعونِ** ﴾ فاسمعوا إيماني واشهدوا به . [قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما : فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد يمنع عنه . وقال قتادة : جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، فلم يزالوا به حتى أقعصوه ، وهو يقول كذلك . فقتلوه رحمه الله - ابن كثير] .

[٢٦] ﴿ **قيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ** ﴾ أي ثواباً على صدق إيمانك وفوزك بسببه بالشهادة ﴿ **قالَ يا ليتَ قوْمي يعْلَمون** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **بما غفَرَ لي ربِّي وجعَلَني من المُكْرَمينَ** ﴾ ليقبلوا على ما أقبلت عليه ، ويضحُّوا لأجله النفسَ والنفيس .



الجزء ٢٣ الحزب ٤٥

[٢٨] ﴿ وما أنزَلْنا على قومِهِ من بعدِهِ ﴾ أي من بعد موته بالشهادة ﴿ من جُنْدٍ من السَّماءِ ﴾ لإهلاكهم ﴿ وما كُنّا مُنزِلِينَ ﴾ إشارة إلى هلاكهم بعده سريعاً على أسهل وجه ، فإنه لم يحتج إلى إرسال جند يهلكهم .

[٢٩] ﴿ إنْ كانَتْ إلّا صيْحَةً واحِدةً ﴾ ما كانت العقوبة إلا صيحة واحدة من السماء هلكوا بها ﴿ فإذا هُم خامِدون ﴾ ميّتون كالنار الخامدة .

[٣٠] ﴿ يا حَسْرَةً على العِبادِ ما يأتِيهِم مِن رَسولٍ إلّا كانوا بِهِ يستَهْزِئُونَ ﴾ المراد شدّة خسرانهم حتى استحقوا أن يتحسّر عليهم .

[٣١] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كم أهلَكْنا قبلَهُم مِنَ القُرونِ ﴾ من الأمم الخالية ﴿ أنّهُم إليهِم لا يَرجِعُون ﴾ أي كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرّة ولا رجعة .

[٣٢] ﴿ وإنْ كُلٌّ ﴾ من هؤلاء المتفرّقين ﴿ لَمّا جميعٌ لدَيْنا مُحْضَرونَ ﴾ إلا جميعهم محضرون للحساب والجزاء ، وإنما أخبر عن « كل » بجميع ، ومعناهما واحد .

[٣٣] ﴿ وآيَةٌ لهُمُ ﴾ وعبرة لأهل مكّة ﴿ الأرضُ المَيْتَةُ أحْيَيْناها ﴾ بالنبات لتدل على إحياء الموتى ﴿ وأخرَجْنا مِنها حبّاً فَمِنْهُ يأْكُلونَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وجعَلْنا فيها جَنّاتٍ من نَخيلٍ وأعْنابٍ وفَجّرنا فيها مِنَ العُيُونِ ﴾ .

[٣٥] ﴿ لِيأْكُلوا من ثَمَرِهِ وما عمِلَتْهُ أيْدِيهِم ﴾ وليأكلوا ممّا عملته أيديهم ، وهوَ ما يُتّخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما . وجوّز أن تكون « ما » نافية ، والمعنى : أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ﴿ أفَلا يَشْكُرون ﴾ خالقَ هذه النِّعم الجسام بعبادته وحده ، وهو إنكار لعدم قيامهم بواجب الشكر .

[٣٦] ﴿ سُبْحانَ الذي خلَقَ الأزواجَ كُلَّها ﴾ أي الأصناف كلّها ﴿ مِمّا تُنْبِتُ الأرضُ ﴾ مما ذُكِر وغيره ﴿ ومِن أنفُسِهِم ﴾ يعني الذكرَ والأنثى ﴿ ومِمّا لا يعْلَمون ﴾ من الأصناف والأنواع الموجودة في البر والبحر .

[٣٧] ﴿ وآيَةٌ لَهُمُ الليلُ ﴾ بيان لقدرته تعالى في الزمان إثر ما بيّنها في المكان ﴿ نَسْلَخُ منه النَّهارَ ﴾ « السلخ » هو كشط الجلد وإزالته عن الحيوان المسلوخ . وفيه إشارة إلى أن النهار طارىء على الليل ، كما أن المسلوخ منه قبل المسلوخ ، واستعير هنا لإزالة الضوء ﴿ فإذا هُم مُظْلِمونَ ﴾ داخلون في الظلام . [٣٨] ﴿ والشَّمْسُ تَجْري لِمُسْتَقَرٍّ لها ﴾ لحدٍّ لها مؤقت ينتهي إليه دورها اليومي أو السنويّ ﴿ ذلكَ تقْديرُ العزيزِ العليم ﴾ المحيط علماً بكل معلوم . [٣٩] ﴿ والقمَر قدّرناهُ منازِلَ ﴾ صيّرنا له منازل ينزل كل ليلة في واحد منها ﴿ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القديم ﴾ حتى إذا كان في آخر منازله ، دقّ واستقوس وصار كالعِذق المقوّس اليابس إذا حال عليه الحوْلُ . فالعرجون هو الشمروخ ، وهو العنقود الذي عليه الرُّطَب ، ويسمى العِذق بكسر العين ، والقديم العتيق ، وإذا قدم انحنى واصفرّ . [٤٠] ﴿ لا الشَّمسُ يَنْبَغي لها أنْ تُدرِكَ القَمَرَ ﴾ أي تجتمع معه في وقت واحد ، وتداخله في سلطانه فتطمس نورَه ﴿ ولا الليلُ سابِقُ النَّهارِ ﴾ لا يسبقه بأن يتقدّم على وقته فيدخل قبل مضيّه ، أو المراد بالليل والنهار آيتاهما ، أي : ولا القمر سابق الشمس فيكون عكساً للأوّل ، والمعنى على هذا أن كلّ واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نورَه ، بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى ﴿ وكلٌّ في فَلَكٍ يسْبَحونَ ﴾ كلٌّ مما ذُكِر يجرون في مدار عظيم كالسّابح في الماء .

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤١] ﴿ **وآيةٌ لهم أنّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُم في الفُلْكِ المَشْحونِ** ﴾ حملنا أولادهم الذين يرسلونهم في تجاراتهم ، وذكر « المشحون » أقوى في الامتنان بسلامتهم فيه ، أو لأنه أبعد عن الخطر . وقيل : المراد سفينة نوح عليه السلام .

[٤٢] ﴿ **وخلَقْنا لهُم مِن مِثْلِهِ** ﴾ أي مثل الفُلْك ﴿ **ما يَرْكَبُونَ** ﴾ من الإبل فإنها سفائن البرّ لكثرة ما تحمل حتى شاع إطلاق « السفينة » عليها .

[٤٣] ﴿ **وإنْ نَشَأْ نُغرِقْهُم فلا صَريخَ لهُم** ﴾ لا مغيث لهم ، أو لا مستغيث منهم ، أو لا استغاثة ﴿ **ولا هُم يُنْقَذُونَ** ﴾ لا ينجون من الموت به .

[٤٤] ﴿ **إلاّ رحمةً مِنّا ومَتاعاً إلى حِينٍ** ﴾ لكن رَحِمْناهم ومتَّعناهم إلى زمن قُدِّر لهم يموتون فيه بعد النجاة من موت الغرق .

[٤٥] ﴿ **وإذا قِيلَ لهُمُ اتَّقوا ما بين أيديكُم** ﴾ من الوقائع الخالية من الأمم المكذِّبة للرسل ﴿ **وما خلفَكُم** ﴾ من العذاب المُعَدِّ في الآخرة ، أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، أو عكسه ، أو ما تقدَّم من ذنوبكم وما تأخَّر ﴿ **لعلَّكُم تُرْحَمُونَ** ﴾ باتقائكم وشكركم .

سكتة لطيفة على الألف

[٤٦] ﴿ **وما تأْتِيهِم من آيَةٍ من آياتِ ربِّهِم** ﴾ الدالة على صدق الرسل ﴿ **إلاّ كانوا عنها مُعْرِضِينَ** ﴾ بالتكذيب والصدِّ عن الإيمان بها .

[٤٧] ﴿ **وإذا قِيلَ لهُم أنْفِقوا ممّا رزقَكُمُ اللّهُ** ﴾ أي تصدَّقوا على الفقراء من مال الله الذي آتاكم ﴿ **قالَ الذين كفَروا للذين آمَنوا أنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشاءُ اللّهُ أطعَمَهُ إنْ أنتُم إلاّ في ضَلالٍ مُبينٍ** ﴾ حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ، وقولهم هذا إما عن تهكم أو عن اعتقاد .

[٤٨] ﴿ **ويَقُولونَ مَتى هذا الوَعدُ إنْ كُنْتُم صادِقِينَ** ﴾ يعنون وعْد البعث .

[٤٩] ﴿ **ما يَنْظُرونَ إلاّ صيحةً واحِدةً تأخُذُهُم وهُم يَخِصِّمُونَ** ﴾ أي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم ، أي أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها . و « يخِصِّمون » أصله « يختصمون » سكنت التاء وأدغمت ، ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنيْن .

[٥٠] ﴿ **فلا يسْتَطيعُونَ تَوْصِيَةً** ﴾ أي أن يوصوا في شيء من أمورهم توصيةً ﴿ **ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعونَ** ﴾ لا يقدرون على الرجوع إلى أهليهم ، ليرَوْا حالَهم ، بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحةُ .

[٥١] ﴿ **ونُفِخَ في الصُّورِ** ﴾ للبعث ﴿ **فإذا هُم مِنَ الأجْداثِ** ﴾ القبور ﴿ **إلى ربِّهِم يَنْسِلُونَ** ﴾ يعْدون مسرعين [قال ابن زيد : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وقرأ ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ حتى بلغ ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ ـ ابن جرير] .

[٥٢] ﴿ **قالوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا** ﴾ أي من رقادنا ، فيقال لهم : ﴿**هذا ما وَعَدَ الرَّحمنُ ، وصَدَقَ المُرْسَلُونَ**﴾ المخبِرون عن ذلك الوعد .

[٥٣] ﴿ **إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً واحِدةً فإذا هُم جميعٌ لدَيْنا مُحْضَرُونَ** ﴾ بمجرَّد تلك الصيحة ، وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر .

[٥٤] ﴿ **فاليَوْمَ لا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً ولا تُجْزَوْنَ إلاّ ما كنتُم تعْمَلونَ** ﴾ .

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ربع الحزب ٤٥

[٥٥] ﴿ **إنَّ أصْحابَ الجَنَّةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكِهُونَ** ﴾ متنعمون متلذذون . وفي تنكير « شُغُلٍ » تعظيمُ ما هم فيه وتفخيمه .

[٥٦] ﴿ **هُم وأزواجُهُم في ظِلالٍ** ﴾ في ظلال الأشجار ، أو في مأمن من الحَرور ﴿ **على الأرائِكِ** ﴾ أي السُّرر المزيّنة ﴿ **مُتَّكِئُونَ** ﴾ .

[٥٧] ﴿ **لَهُم فيها فاكِهَةٌ ولَهُم ما يَدَّعُونَ** ﴾ لهم ما يطلبون .

[٥٨] ﴿ **سلامٌ قَوْلاً مِن رَبٍّ رَحيمٍ** ﴾ ولهم سلام يقال لهم قولاً كائناً منه تعالى ، والمعنى أنه تعالى يسلّم عليهم تعظيماً لهم .

[٥٩] ﴿ **وامْتازُوا اليومَ أيُّها المُجْرِمونَ** ﴾ امتازوا عن المؤمنين في موقفهم .

[٦٠] ﴿ **ألَمْ أعْهَدْ إليكُم يا بَنِي آدمَ أنْ لا تعْبُدوا الشَّيْطانَ ، إنَّهُ لكُم عدُوٌّ مُبينٌ** ﴾ تقريع منه سبحانه للكفرة ، يقال لهم إلزاماً للحجة ، وعهده تعالى إليهم هو ميثاق الفطرة ، أو ما نصبه لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته وحده ونبذ عبادة غيره .

[٦١] ﴿ **وأَنِ اعبُدُوني ، هذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ** ﴾ وأن أفردوني بالعبادة ، فإنه السبيل السويُّ .

[٦٢] ﴿ **ولقد أضَلَّ** ﴾ الشيطانُ وأغوى بالشِّرْك ﴿ **منكم جِبِلّاً كثيراً** ﴾ خلقاً كثيراً قبلكم ، فحاق بهم سُوء العذاب ﴿ **أفَلَمْ تكونوا تعْقِلُونَ** ﴾ إنكار لأن يكونوا من ذوي الأفهام والعقول .

[٦٣] ﴿ **هذه جهنَّمُ التي كُنْتُم تُوعَدون** ﴾ .

[٦٤] ﴿ **اصْلَوْها اليومَ بما كنتُم تكْفُرُونَ** ﴾ ذوقوا حرَّها اليوم بكفركم في الدنيا .

[٦٥] ﴿ **اليومَ نخْتِمُ على أفْواهِهِم وتُكَلِّمُنا أيديهِم وتشْهَدُ أرجُلُهُم بما كانوا يَكْسِبونَ** ﴾ عندما يجحدون ما فعلوه في الدنيا ، يختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم ، وإنه في قدرة الله يسير .

[٦٦] ﴿ **ولَوْ نشاءُ لطَمَسْنا على أعيُنِهِم فاستَبَقُوا الصِّراطَ فأنَّىٰ يُبْصِرُونَ** ﴾ أي لو شاء تعالى لمسح أعينهم ، فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المسلوك لهم لم يقدروا لعماهم .

[٦٧] ﴿ **ولَوْ نشاءُ لمَسَخْناهُم** ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿ **على مكانَتِهِم** ﴾ أي مكانهم ﴿ **فما استطاعوا مُضِيّاً ولا يَرْجِعونَ** ﴾ لا يقدرون على مفارقة مكانهم . [٦٨] ﴿ **ومَنْ نُعمِّرْهُ** ﴾ نُطِلْ عمره ﴿ **نُنَكِّسْهُ في الخَلْقِ** ﴾ بتناقص قواه وضعف بنيته حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوِّه من العلم ﴿ **أفَلا يَعْقِلونَ** ﴾ أن من يقدِر على ذلك ، يقدر على الطمس والمسخ وأن يفعل ما يشاء .

[٦٩] ﴿ **وما علَّمْناهُ الشِّعْرَ** ﴾ هذا رد لقولهم أنه ﷺ شاعر أتى بشعر ﴿ **وما يَنْبَغِي لَهُ** ﴾ وما يصح لمقامه ، لأن منزلة النبوّة والرسالة تتسامى عن الشعر وقرضه ، لما يُرمى به الشعراء من الكذب ﴿ **إنْ هُوَ** ﴾ أي القرآن الذي يتلوه ﴿ **إلا ذِكْرٌ** ﴾ عظة وإرشاد منه تعالى ﴿ **وقُرآنٌ مُبينٌ** ﴾ كتاب سماوي بيِّن أمره وحقائقه ، فلا مناسبة بينه وبين الشِّعْر بوجه من الوجوه .

[٧٠] ﴿ **لِيُنْذِرَ مَنْ كان حيّاً** ﴾ عاقلاً متأملاً ، لأن الغافل كالميْت ﴿ **ويَحِقَّ القَوْلُ** ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿ **على الكافِرينَ** ﴾ المُعْرِضين عن اتباعه .

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ — ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

[٧١] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أنّا خلَقْنا لهم مِمّا عمِلَتْ أيدينا ﴾ مما تولينا نحن خلْقَه ، لم يقدر على إحداثه غيرُنا ﴿ أنْعاماً فهُم لَها مالِكُونَ ﴾ متصرِّفون فيها تصرُّف الملاّك ، أو ضابطون قاهرون لها .

[٧٢] ﴿ وذلَّلْناها لَهُم ﴾ صيّرناها منقادة غير وحشية ﴿ فمِنْها رَكُوبُهُم ﴾ مركوبهم ﴿ ومنها يأْكُلُونَ ﴾ ينتفعون بأكل لحمها .

[٧٣] ﴿ ولهُم فيها منافِعُ ﴾ من الجلود والأصواف والأوبار ﴿ ومشارِبُ ﴾ من ألبانها ﴿ أفَلا يَشْكُرونَ ﴾ فيعبدوا المُنْعِم بأصناف هذه النِّعَم الجسيمة .

[٧٤] ﴿ واتَّخذوا من دونِ اللّهِ آلِهَةً لعلَّهُم يُنْصَرونَ ﴾ ينصرونهم فيما أصابهم من الكوارث .

[٧٥] ﴿ لا يَستَطِيعون نصْرَهُم ، وهُم لَهُم ﴾ أي لآلهتهم ﴿ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾ مُعَدُّون لخدمتهم والذبِّ عنهم ، فمن أين لهم أن ينصروهم وهم على تلك الحال من العجز والضعف ؟ بل الأمر بالعكس . وقيل المعنى : مُحْضَرون على أثرهم في النار .

[٧٦] ﴿ فلا يَحْزُنْكَ قولُهُم ﴾ في الله تعالى بالإلحاد والشرك ، أو في حقك بالتكذيب والإيذاء ﴿ إنّا نعلَمُ ما يُسِرُّونَ ما يُعْلِنون ﴾ فنجازيهم عليه .

[٧٧] ﴿ أوَلَمْ يَرَ الإنسانُ أنّا خلَقْناه من نُطْفَةٍ فإذا هو خَصِيمٌ مُبينٌ ﴾ أي جَدِل بالباطل بيِّن الجدال ، وهذه تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشرَ . [قال بعضهم : عني به أُبيّ بن خلف، وقال آخرون : بل عني به : العاص بن وائل السهمي، وقال آخرون : بل عني به عبد الله بن أُبيّ - وأي كان منهم فقد - أتى رسول الله ﷺ بعظم حائل ، ففته بين يديه ، فقال : يا محمد أيبعث الله هذا حياً بعدما أرمَّ؟ قال (نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم) - ابن جرير] .

[٧٨] ﴿ وضَرَبَ لنا مَثَلاً ﴾ في استبعاد البعث وإنكاره ﴿ ونسِيَ خَلْقَهُ ﴾ أي خلقَنا إيَّاه ﴿ قال مَن يُحْيِي العِظامَ وهي رَمِيمٌ ﴾ بالية أشد البلى ، بعيدة عن الحياة غاية البُعْد .

[٧٩] ﴿ قُلْ يُحْيِيها الذي أنْشأَها أوّلَ مرّةٍ ﴾ فلا تقاس قدرة الخالق على قدرة المخلوقين ، وإنما تقاس إعادته على إبدائه ﴿ وهو بكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ ﴾ فلا يمتنع عليه جمع الأجزاء بعد تفرُّقها لعلمه بأصولها وفصولها ومواقعها ، وطريق ضمّها إلى بعضها .

[٨٠] ﴿ الذي جعلَ لكُم مِنَ الشَّجَرِ الأخضرِ ناراً فإذا أنتُم مِنْهُ تُوقِدون ﴾ . [عن قتادة قال : الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه] .

[٨١] ﴿ أوَلَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ ﴾ مع كبر جرمهما ﴿ بقادِرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ في الصغر والضعف ثانية بعدما خلقهم أولاً؟ ﴿ بلى ﴾ هو القادر ﴿ وهو الخَلاّقُ ﴾ الكثير الخلق مرّة بعد أخرى ﴿ العَليمُ ﴾ الواسع المعلومات .

[٨٢] ﴿ إنّما أمْرُهُ ﴾ أي شأنه الأعلى ، أو قوله النافذ ﴿ إذا أرادَ شيئاً ﴾ إذا تعلّقت إرادته بإيجاد شيء ﴿ أنْ يقولَ لهُ كُنْ ، فيَكُونُ ﴾ فيوجد عن أمره .

[٨٣] ﴿ فسُبْحانَ الذي بيدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شيْءٍ ﴾ الملك والملكوت واحد في المعنى ، كرحمة ورحموت ﴿ وإليْهِ تُرْجَعونَ ﴾ بعد الموت ، فيجازيكم بأعمالكم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

نصف الحزب ٤٥

[سورة الصافات]

سميت بالصافات لاشتمالها على آية فيها صفات الملائكة تنفي إلهيتهم من الجهات الموهمة لها فيهم، فينتفي بذلك إلهية ما دونهم، فيدل على توحيد الله، وهو من أعظم مقاصد القرآن. وهي مكية اتفاقاً. وعدد آياتها اثنتان وثمانون ومائة آية.

[١] ﴿ والصَّافَّاتِ صفّاً ﴾ المراد بالصافات الملائكة. وقيل: الصافات الطير. [٢] ﴿ فالزَّاجِراتِ زَجْراً ﴾ الزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله.

[٣] ﴿ فالتَّالِياتِ ذِكْراً ﴾ كلُّ من تلا كتاب الله.

[٤] ﴿ إنَّ إلهَكُم لَواحِدٌ ﴾ جواب للقَسَم. جاء بهذه الصيغة لتأكيد التوحيد.

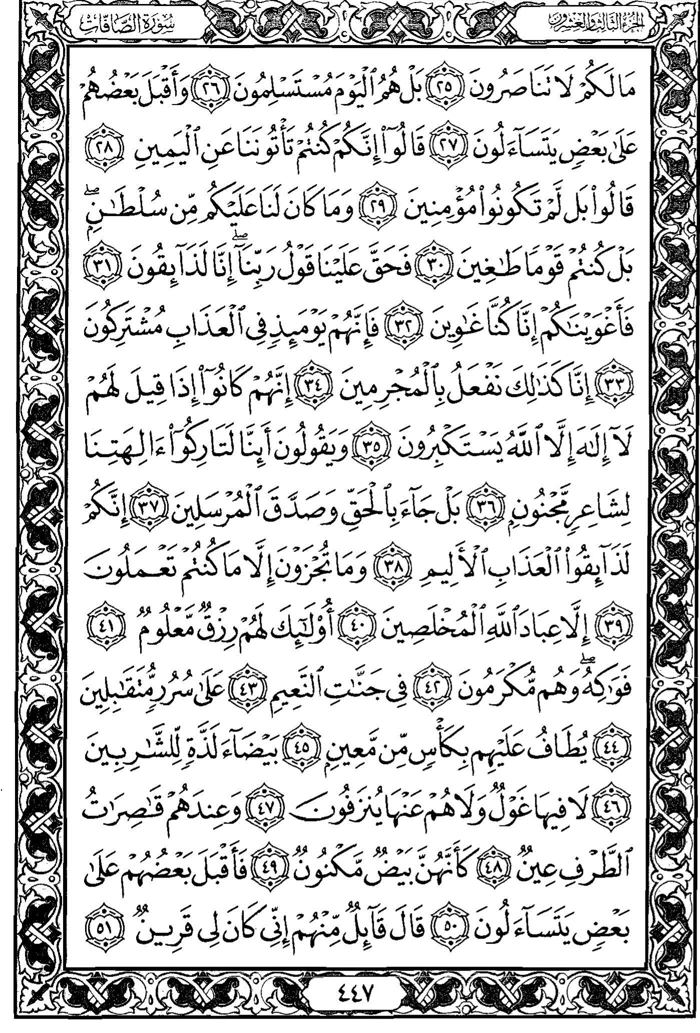
[٥] ﴿ ربُّ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما، وربُّ المَشارِقِ ﴾ فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته، والمراد بالمشارق مشارق الشمس.

[٦] ﴿ إنّا زيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا ﴾ الجهة العليا القربى من كرة الأرض ﴿ بزِينَةٍ ﴾ عجيبة بديعة ﴿ الكواكِبِ ﴾ بالجرّ بدل من « زينة » والمراد التزيين في رأي العين.

[٧] ﴿ وحِفْظاً من كُلِّ شيْطانٍ مارِدٍ ﴾ خارج عن الطاعة.

[٨] ﴿ لا يسَّمَّعُونَ إلى المَلأ الأعلى ﴾ لا يقدرون أن يسمعوا كلام الملائكة، أو لئلا يسمعوا ﴿ ويُقْذَفُونَ ﴾ يُرمَوْن ﴿ من كلِّ جانبٍ ﴾ من جميع جوانب السماء، إذا قصدوا الصعود إليها.

[٩] ﴿ دُحُوراً ﴾ أي للدحور، وهو الطرد ﴿ ولهُم عذابٌ واصِبٌ ﴾ شديد غير منقطع. [١٠] ﴿ إلاّ من خَطِفَ الخَطْفَةَ ﴾ أي اختلس الكلمة ﴿ فأتْبَعَهُ شِهابٌ ﴾ لحقه شعلةٌ نارية تنقضُّ من السماء ﴿ ثاقِبٌ ﴾ مضيءٌ، كأنه يثقب الجوَّ بضوئه. والمعنى أن الشياطين التي هي مخلوقات لا ندرك تركيبها، وليس لنا أن ننكرها تتعرض للهلاك بانقضاض أجزاء من أجرام سماوية عليها. [١١] ﴿ فاستَفْتِهِم ﴾ فاستخبر مشركي مكة ﴿ أهُم أشَدُّ خَلْقاً ﴾ أهم أقوى خلقة وأمتن بنية ﴿ أمْ مَنْ خَلَقْنا ﴾ من السَّمٰوات والأرض والجبال؟ ﴿ إنَّا خلَقْناهم من طِينٍ لازِبٍ ﴾ لزج ضعيف لا قوة فيه. [١٢] ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ من إنكارهم للبعث بعد اضطرارهم للاعتراف بما يحققه ﴿ ويسْخَرُونَ ﴾ من تقرير أمر البعث والاحتجاج عليه. [١٣] ﴿ وإذا ذُكِّرُوا ﴾ وُعِظوا وخُوِّفوا من المخالفة ﴿ لا يَذْكُرونَ ﴾ لا يخافون ولا يتّعظون. [١٤] ﴿ وإذا رأوْا آيةً ﴾ برهانا من آيات الكائنات في أنفسهم أو في الآفاق ﴿ يستَسْخِرُونَ ﴾ يبالغون في السخرية. [١٥] ﴿ وقالوا إنْ هٰذا ﴾ أي ادعاء ما ذكر، والاستدلال عليه ما هو ﴿ إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ ﴾. [١٦] ﴿ أإذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أإنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾. [١٧] ﴿ أوَ آباؤُنا الأوّلُون ﴾. [١٨] ﴿ قُلْ ﴾ تبكيتاً لهم: ﴿ نَعَمْ ﴾ تُبْعَثون ﴿ وأنْتُم داخِرُونَ ﴾ ذليلون، لا جدل منكم يدفعه ولا قدرة. [١٩] ﴿ فإنّما هي ﴾ البَعثة ﴿ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ﴾ صيحة واحدة ﴿ فإذا هُم يَنْظُرونَ ﴾ قيام من مراقدهم يبصرون، أو ينتظرون ما يُفعَل بهم. [٢٠] ﴿ وقالوا يا وَيلنا هذا يومُ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء. [٢١] ﴿ هذا يومُ الفَصْلِ الذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبونَ ﴾ تنكرون قدومه. [٢٢] ﴿ احْشُرُوا الذين ظَلَمُوا ﴾ أنفسَهم بالكفر والمعاصي والسعي بالفساد ﴿ وأزْواجَهُم ﴾ وأشباههم من الفَجَرة، أو نساءهم الكافرات ﴿ وما كانوا يَعْبُدُونَ ﴾ أي احشروهم معاً، هم وما كانوا يعبدون. [٢٣] ﴿ من دونِ اللَّهِ ﴾ من الأصنام وغيرها ﴿ فاهْدُوهُم إلى صِراطِ الجَحِيمِ ﴾ فعرِّفوهم طريقها ليسلكوها، والتعبير بالهداية والصراط للتهكم بهم. [٢٤] ﴿ وقِفُوهُم ﴾ احبسوهم في الموقف ﴿ إنَّهُم مَسْؤُولُونَ ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم.



مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

[٢٥] ﴿ ما لكُم لا تَناصَرُونَ ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً ، وقد كان شأنكم التعاضد في الحياة الأولى ، وهو توبيخ لهم وتقريع .

[٢٦] ﴿ بَلْ هُمُ اليوم مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون مخذولون .

[٢٧] ﴿ وأقْبَلَ بعضُهُم على بعْضٍ يتساءَلُونَ ﴾ أي : يتخاصمون .

[٢٨] ﴿ قالوا إنَّكم كُنتُم تأتونَنا عن اليَمينِ ﴾ أي عن القهر والغَلَبة ، وقيل عن الحلف والقسم ، وقيل عن جهة الخير وناحية الحق من « اليمين » أي توهمونا وتخدعونا أنَّ ما أنتم عليه أمر ميمون فيه الخير والفوز فأين مصداقه وقد نزل ما نزل ؟ .

[٢٩] ﴿ قالوا بَلْ لم تكونوا مُؤْمنين ﴾ أي بل أنتم أبيتم الإيمان واخترتم الكفر .

[٣٠] ﴿ وما كانَ لنا عليكُم من سُلطانٍ ﴾ تسلط لسلبكم به اختياركم ﴿ بل كنتُم قوماً طاغِينَ ﴾ أي اخترتم الطغيان .

[٣١] ﴿ فحَقَّ علَيْنا قولُ رَبِّنا إنَّا لَذائِقُونَ ﴾ يعني وعد الله بذوق عذابه .

[٣٢] ﴿ فأَغْوَيْناكُم إنّا كُنَّا غاوِينَ ﴾ دعوناكم إلى الغي لتكونوا مثلنا فيه .

[٣٣] ﴿ فإنَّهُم يومئذٍ في العَذابِ مُشتركونَ ﴾ الأتباع والمتبوعون .

[٣٤] ﴿ إنّا كَذلكَ نفعلُ بالمُجْرِمينَ ﴾ أي : بالمشركين .

[٣٥] ﴿ إنّهم كانوا إذا قِيلَ لهُم لا إلهَ إلاّ اللَّهُ يستَكْبِرونَ ﴾ عن الاستجابة للداعي إليها .

[٣٦] ﴿ ويقولون أئِنّا لَتارِكو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مجنونٍ ﴾ أي لقول من يقول بالمقدّمات الخيالية عن الجنون .

[٣٧] ﴿ بَلْ جاءَ بالحَقِّ وصدَّقَ المرسَلِينَ ﴾ الذين هم أعقل الأمم وأحكم الحكماء ، فمتى يتفقون على قول مصدره الجنون ؟ .

[٣٨] ﴿ إنّكُم ﴾ بافترائكم ﴿ لَذائِقو العذابِ الأليم ﴾ . [٣٩] ﴿ وما تُجْزَوْنَ إلاّ ما كنتُم تعْمَلُون ﴾ .

[٤٠] ﴿ إلا عبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ أي المؤمنين . [٤١] ﴿ أولئك لهُم رِزْقٌ معْلومٌ ﴾ في الجنة . [٤٢] ﴿ فواكِهُ وهُم مُكْرَمُونَ ﴾ منعمون .

[٤٣] ﴿ في جَنّاتِ النَّعِيم ﴾ . [٤٤] ﴿ على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ ﴾ في الصف متراثين ، لا يحجب بعضهم عن بعض ، ولا يتفاضلون في المقاعد .

[٤٥] ﴿ يُطافُ عليهِم بكأسٍ من مَعِينٍ ﴾ أي شراب معين ، جارٍ كالنهر لا ينقطع . [٤٦] ﴿ بيضاءَ لَذَّةٍ للشّارِبِينَ ﴾ .

[٤٧] ﴿ لا فِيها غَوْلٌ ﴾ ما يغتال العقل ، ولا فساد من فساد خمر الدنيا ﴿ ولا هُم عنها يُنْزَفُونَ ﴾ أي تذهب عقولهم .

[٤٨] ﴿ وعندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ ﴾ على أزواجهن أو مبيِّضاته تشبيهاً بالثوب المقصور ، وهو المحوَّر ﴿ عِينٌ ﴾ كبار الأعين .

[٤٩] ﴿ كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنونٌ ﴾ بيض نعام في الصفاء ، مستور لم يركب عليه غبار ، وهذا على عادة العرب في تشبيه النساء بها ، وخُصّت ببيض النعام لصفائه وكونه أحسن منظراً من سائره ، ولأنها تبيض في الفَلاة وتبعد بيضها عن أن يُمَسّ ، ولذا قالت العرب للنساء «بيضات الخدور» .

[٥٠] ﴿فأقبَلَ بعضُهُم على بعضٍ يتساءَلُون﴾ . [٥١] ﴿قال قائِلٌ منهُم﴾ في المحادثة : ﴿إنّي كانَ لِي قَرِينٌ﴾ جليس في الدنيا .

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[٥٢] ﴿ يقولُ أإنَّك لَمِنَ المُصَدِّقِينَ ﴾ أي : بيوم الدين .

[٥٣] ﴿ أإذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أإنا لَمَدِينُونَ ﴾ لمبعوثون فمجزيُّون .

[٥٤] ﴿ قال ﴾ ذلك القائل : ﴿ هَلْ أنتُم مُطَّلِعونَ ﴾ إلى أهل النار من كوى الجنة ومطالّها ، لأريكم ذلك القرين .

[٥٥] ﴿ فاطَّلَعَ فرآهُ في سَواءِ الجَحِيم ﴾ أي وسطه .

[٥٦] ﴿ قال تاللَّهِ إنْ كِدْتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ لتهلكني بالإغواء .

[٥٧] ﴿ ولَوْلا نِعمَةُ رَبِّي ﴾ بالهداية واللطف بي ﴿ لكنْتُ مِنَ المُحضَرِينَ ﴾ معك في النار .

[٥٨] ﴿ أفَما نحنُ بميِّتِينَ ﴾ .

[٥٩] ﴿ إلاّ موتَتَنا الأُولى وما نحنُ بمُعذَّبِينَ ﴾ من تتمة كلامه لقرينه ، تقريعاً له ، أو معاودة إلى محادثة جلسائه ، تحدُّثاً بنعمة الله تعالى .

[٦٠] ﴿ إنَّ هذا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ .

[٦١] ﴿ لِمِثْلِ هذا فلْيَعْمَلِ العامِلونَ ﴾ لنيل مثله فليجدَّ المجدُّون .

[٦٢] ﴿ أذلك خيرٌ نُزُلاً أمْ شجرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ هي شجرة كريهة المنظر والطعم .

[٦٣] ﴿ إنّا جعلناها فتنَةً ﴾ محنة وعذاباً ﴿ للظّالِمِينَ ﴾ .

[٦٤] ﴿ إنَّها شجرةٌ تخرُجُ في أصْلِ الجَحِيمِ ﴾ .

[٦٥] ﴿ طَلْعُها كأنَّهُ رُؤوسُ الشَّياطِينِ ﴾ مثلما يتخيل ويتوهم من قبح رؤوس الشياطين ، فهي قبيحة الأصل والثمر والمنظر والملمس . [٦٦] ﴿ فإنَّهم لآكِلُونَ منها ﴾ من طلعها ﴿ فمالِئُونَ منها البُطُونَ ﴾ لغلبة الجوع أو الإكراه على أكلها .

[٦٧] ﴿ ثُمَّ إنَّ لهُم عليها لَشَوْباً من حَمِيم ﴾ أي لشراباً كالصَّديد أو الغسّاق ، ممزوجاً من ماء متناهٍ في الحرارة يُقطِّع الأمعاء .

[٦٨] ﴿ ثُمَّ إنَّ مرْجِعَهُم ﴾ مصيرهم ﴿ لَإلى الجَحِيمِ ﴾ لا مفر لهم منها ولا محيص كيفما تحوّلوا .

[٦٩] ﴿ إنهم ألْفَوْا آباءَهُم ضالِّينَ ﴾ .

[٧٠] ﴿ فهُم على آثارِهِم يُهْرَعُونَ ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال ، و « الإهراع » الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم . وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير نظر ولا بحث ، بل مجرد تقليد وترك اتباع دليل .

[٧١] ﴿ ولقَدْ ضَلَّ قبلَهُم أكثَرُ الأوّلِينَ ﴾ .

[٧٢] ﴿ ولقَدْ أرسَلْنا فيهم مُنْذِرِينَ ﴾ أنبياء حذَّروهم العواقب .

[٧٣] ﴿ فانْظُرْ كيفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرِينَ ﴾ الذين أُنذروا وخُوِّفوا فقد أُهلِكوا جميعاً .

[٧٤] ﴿ إلاّ عبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ الذين أخلصوا دينهم لله ، أو الذين أخلصهم تعالى لدينه ، فإنه تعالى نصرهم وجعل العاقبة لهم .

[٧٥] ﴿ ولقدْ نادانا نُوحٌ ﴾ بقوله : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ ﴿ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ ﴾ لأنه لا يجيب المضطر غيرُه سبحانه .

[٧٦] ﴿ ونجَّيْناهُ وأهلَهُ من الكَرْبِ العَظِيمِ ﴾ من الغرق والطوفان ، والمراد بأهله من آمن معه .

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

[٧٧] ﴿**وجعلْنا ذرِّيَّتَـهُ هُمُ الباقِينَ**﴾ في الأرض بعد هلاك قومه الكافرين .

[٧٨] ﴿**وترَكْنا عليهِ في الآخِرينَ**﴾ أبقينا عليه في الأمم بعده ثناء حسناً .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

[٧٩] ﴿**سلامٌ على نوحٍ في العالَمِينَ**﴾ أي أن يسلموا عليه يوم القيامة .

[٨٠] ﴿**إنَّا كذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ**﴾ تعليل لما أثيب بالتكرمة بأنه مجازاة على إحسانه ، وهو مجاهدته في إعلاء كلمة الله والدعوة الى الحق ليلاً نهاراً ، سراً وجهاراً .

[٨١] ﴿**إنَّـهُ من عِبادِنا المُؤْمِنينَ**﴾ المصدقين .

[٨٢] ﴿**ثم أغرَقْنا الآخَرِينَ**﴾ من كفّار قومه .

[٨٣] ﴿**وإنَّ من شِيعتِهِ لإبراهيمَ**﴾ إنه ممن شايعه وتابعه في الإيمان والدعوة القويّة إلى التوحيد .

[٨٤] ﴿**إذْ جاءَ ربَّهُ بقلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب باقٍ على الفطرة ، سليم عن النقائص والآفات .

[٨٥] ﴿**إذْ قالَ لأبيهِ وقومِهِ ماذا تَعْبُدُونَ**﴾ من دون الله .

[٨٦] ﴿**أإفكاً آلهةً دونَ اللّهِ تُرِيدُونَ**﴾ أتريدون بطريق الكذب آلهة دون الله ؟

[٨٧] ﴿**فما ظَنُّكُم بربِّ العالَمِينَ**﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة ، لكونه ربّاً للعالمين حتى تركتم عبادته وأشركتم به غيرَه ، أو المعنى : فما ظنُّكم به ؟ ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيرَه ؟

[٨٨] ﴿**فنظَرَ نظْرَةً في النُّجُومِ**﴾ ليريهم على أنه يستدل بها على شيء لأنهم كانوا منجِّمين . [٨٩] ﴿**فقال : إنِّي سَقِيمٌ**﴾ أي مريض لا يمكنني الخروج معكم إلى معبدكم .

[٩٠] ﴿**فتَـوَلَّوْا عنْهُ مُدبِرينَ**﴾ إلى معبدهم . [٩١] ﴿**فَراغَ إلى آلِهَتِهِم**﴾ ذهب إليها في خفية ﴿**فقالَ**﴾ للأصنام استهزاء : ﴿**ألا تأكُلُون**﴾ .

[٩٢] ﴿**ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ**﴾ بإيجاب ولا سلب . [٩٣] ﴿**فَراغَ عليهِم**﴾ هجم عليهم ﴿**ضَرْباً باليَمِينِ**﴾ التي هي أقوى الباطشتين ـ اليدين ـ ، فكسرها . [٩٤] ﴿**فأقبلوا إليـهِ**﴾ إلى إبراهيم بعدما رجعوا ـ أي قوم إبراهيم ـ ﴿**يَـزِفُّونَ**﴾ يسرعون لمعاتبته على ما صدر منه .

[٩٥] ﴿**قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ**﴾ من الأصنام . [٩٦] ﴿**واللّهُ خلَقَـكُم وما تعمَلُونَ**﴾ من الأصنام المنوّعة الأشكال ، المختلفة المقادير .

[٩٧] ﴿**قالوا ابْنُوا لَـهُ**﴾ لإحراقه ﴿**بُنْياناً فألْقُوهُ في الجَحِيم**﴾ يقصدون النار التي أوقدوها .

[٩٨] ﴿**فأرادوا بهِ كَيْداً فجعلْناهُمُ الأسْفَلِينَ**﴾ الأذلّين بإبطال كيدهم ، جعل النار عليه برداً وسلاماً .

[٩٩] ﴿**وقال إنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي**﴾ مهاجر إلى بلد أعبد فيه ربي ، وأعصم فيه ديني ﴿**سَيَهْدِينِ**﴾ إلى ما فيه صلاح ديني ، أو إلى مقصدي .

[١٠٠] ﴿**رَبِّ هَبْ لي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ أي ولداً صالحاً يعينني على الدعوة والطاعة . [١٠١] ﴿**فبَشَّرْناهُ بغُلامٍ حَلِيمٍ**﴾ متسع الصدر ، حسن الصبر والإغضاء في كل أمر ، والحلم رأس الصلاح وأصل الفضائل . [١٠٢] ﴿**فلمّا بَلَغَ معَهُ السَّعْيَ**﴾ أي السنَّ التي يقدر فيها على السعي والعمل ﴿**قال يا بُنَيَّ إنِّي أرَى في المَنامِ أنِّي أذْبَحُكَ فانظُرْ ماذا تَرى**﴾ إنـي أُمِرتُ في المنام بذبحك ، ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة ﴿**قال يا أبَتِ افعَلْ ما تُؤْمَـرُ**﴾ ما يأمرك الله به ، فإن كان ذاك أمراً من لدنه فأمضِه ﴿**ستجِدُني إنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ على الذبح ، أو على قضاء الله .

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿ فلمَّا أسْلَما ﴾ أي استسلما وانقادا لأمره تعالى بدون إبطاء ، واستل إبراهيم السكين ﴿ وتَلَّهُ للجَبِينِ ﴾ صرعه على شقِّه ، فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة ، و تلَّهُ أصل معناه : رماه على التلِّ ، وهو التراب المجتمع كَتَرَّبَهُ ، ثم عمّ لكل صرعٍ .

[١٠٤] ﴿ وناديْناهُ أنْ يا إبراهيمُ ﴾ .

[١٠٥] ﴿ قد صدَّقْتَ الرُّؤْيا ﴾ أي : لا تذبحه وقد قمت بمصداقها في بذل الوسع وأُوتيت أجرَ الامتثال والصبر والثبات ﴿ إنّا كذلك نَجْزِي المُحْسِنِينَ ﴾ باللطف والعناية والنداء والوحي والفرج بعد الشِّدّة .

[١٠٦] ﴿ إنَّ هذا لهُوَ البَلاءُ المُبِينُ ﴾ الاختبار البيِّن الذي يتميز فيه المخلص من غيره .

[١٠٧] ﴿ وفَدَيْناهُ بذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ رزقناه ما يذبح بدلاً عنه وفداء له . وقد روي أنه عليه السلام لما نودي حانت منه التفاتة إلى ما حوله فأبصرَ كبشاً قد انتشب قرناه في شجرة ، فتمَّ به المرئيُّ في المنام المقصود به القربان لله .

[١٠٨] ﴿ وترَكْنا عليهِ في الآخِرين ﴾ الضمير يعود على إبراهيم .

[١٠٩] ﴿ سَلامٌ على إبراهيمَ ﴾ مثل ما تركنا على نوح .

[١١٠] ﴿ كذلكَ نَجْزِي المُحْسِنينَ ﴾ .

[١١١] ﴿ إنَّه من عبادِنا المُؤْمِنِين ﴾ .

[١١٢] ﴿ وبشَّرْناهُ بإسْحٰقَ نَبيّاً من الصَّالِحِينَ ﴾ .

[١١٣] ﴿ وبارَكْنا عليهِ ﴾ على إبراهيم ﴿ وعلى إسْحٰقَ ﴾ بتكثير الذرية وتسلسل النبوّة فيهم ، وجعلهم ملوكاً ، وإيتائهم ما لم يؤتَ أحدٌ ﴿ ومِنْ ذُرِّيَّتِهما مُحْسِنٌ ﴾ في عمله ﴿ وظالِمٌ لنفْسِهِ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ مُبِينٌ ﴾ ظاهر الظلم .

[١١٤] ﴿ ولقد مَنَنَّا على مُوسى وهارُونَ ﴾ بالنبوّة والرسالة والاصطفاء على عالَمَيْ زمانهما .

[١١٥] ﴿ ونجَّيْناهُما وقَوْمَهُما من الكَرْبِ العظيم ﴾ وهو قهر فرعون لهم بذبح الأولاد ، ونهاية الاستعباد .

[١١٦] ﴿ ونصَرْناهُم فكانوا هُمُ الغالِبِينَ ﴾ مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه .

[١١٧] ﴿ وآتَيْناهُما الكِتابَ المُسْتَبِينَ ﴾ البليغ في بيانه للأحكام والتشريعات والآداب . [١١٨] ﴿وَهَدَيْناهُما الصِّراطَ المُسْتقيمَ﴾ في باب الاعتقاد والمعاملات الموصل رعايته والسلوك عليه إلى السعادة . [١١٩] ﴿وتَرَكْنا عليهما في الآخِرينَ﴾ . [١٢٠] ﴿سلامٌ على موسى وهارُونَ﴾ .

[١٢١] ﴿إنَّا كذلك نَجْزِي المُحْسِنينَ﴾ . [١٢٢] ﴿إنّهما من عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٢٣] ﴿وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ وهو من أنبياء بني إسرائيل من بعد زمن سليمان .

[١٢٤] ﴿إذْ قال لقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ الله ونقمته .

[١٢٥] ﴿أتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ أتعبدونه أو تطلبون الخير منه؟ وهو صنم من أصنام الفينيقيين أقاموا له ولغيره من الأوثان معابد ومذابح وكهنة ، يعظِّمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والأعياد الحافلة ، ويقدِّمون لهم ضحايا بشرية ﴿وتَذَرُونَ أحسنَ الخالِقِينَ﴾ وتتركون عبادَته .

[١٢٦] ﴿اللَّهَ ربَّكُم وربَّ آبائِكُم الأوَّلِينَ﴾ .

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ
مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٢٧] ﴿ فكذَّبوهُ فإنَّهم لَمُحْضَرونَ ﴾ في العذاب .
[١٢٨] ﴿ إلاّ عبادَ اللّـهِ المُخْلَصِينَ ﴾ الذين آمنوا به واتَّبعوه .
[١٢٩] ﴿ وترَكْنا علَيْهِ في الآخِرينَ ﴾ .
[١٣٠] ﴿ سَلامٌ على إِلْ ياسِينَ ﴾ بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بـ ياسين وقرئ آل ياسين بإضافة آل ـ بمعنى أهل ـ إليه . وكله من التصرُّف في العَلم الأصليّ الذي هو إيليا على قاعدة العرب في الأعلام العجمية ، إذا أرادت أن تلطفها في الاستعمال ، وتخففها على الألسنة . [١٣١] ﴿ إنّا كذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ﴾ .
[١٣٢] ﴿ إنَّهُ من عِبادِنا المُؤْمِنِينَ ﴾ .
[١٣٣] ﴿ وإنَّ لُوطاً لَمِنَ المُرْسَلِينَ ﴾ للدعاء إلى الله والنهي عن الفواحش .
[١٣٤] ﴿ إذْ نجَّيْناهُ وأهلَهُ أجْمَعِينَ ﴾ من عذاب قومه المنذَرين . [١٣٥] ﴿ إلاّ عَجُوزاً ﴾ وهي امرأته ، فإنها وإن خرجت عن مكان عذابهم كانت ﴿ في الغابِرِينَ ﴾ في حكم الباقين في العذاب لكونها على دينهم .

الحزب ٤٦

[١٣٦] ﴿ ثُمَّ دمَّرْنا ﴾ أهلكنا ﴿ الآخَرِينَ ﴾ .
[١٣٧] ﴿ وإنَّكُم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لتَمُرُّونَ عليهِم مُصْبِحِينَ ﴾ .
[١٣٨] ﴿ وبالليلِ ﴾ فترون دائماً علامات مؤاخذتهم ﴿ أفَلا تعْقِلُونَ ﴾ . [١٣٩] ﴿ وإنَّ يُونُسَ لمن المُرْسَلِينَ ﴾ إلى أهل نينوى للتوحيد والزجر عن ارتكاب المآثم . [١٤٠] ﴿ إذْ أبَقَ ﴾ بغير إذن ربه عن قومه المرسَل إليهم ، والأُبوق : الفرار ﴿ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾ أي السفينة المملوءة ليركب فيها من بلد إلى آخر ، فهبَّت ريح شديدة كادت تغرقهم ، فاقترعوا ليعلموا بسبب مَن أصابهم هذا البلاء ، فوقعت على يونس فألْقَوْه في البحر . [١٤١] ﴿ فساهَمَ ﴾ أي قارع ﴿ فكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ ﴾ المغلوبين بالقرعة ، وأصله الزلق عن الظفر . [١٤٢] ﴿ فالتَقَمَهُ الحُوتُ ﴾ أي ابتلعه ﴿ وهو مُلِيمٌ ﴾ آتٍ بما يُلام عليه من السفر بغير أمر ربه .
[١٤٣] ﴿ فلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ ﴾ الذاكرين الله بالتسبيح والإنابة والتوبة في بطن الحوت . [١٤٤] ﴿ لَلَبِثَ في بطْنِهِ إلى يوم يُبعَثُونَ ﴾ لكان بطنه قبراً له إلى يوم القيامة ، لكن رحمناه بتسبيحه . [١٤٥] ﴿ فنَبَذْناهُ بالعَراءِ ﴾ حملنا الحوت على طرحه باليبس من الشطِّ ﴿ وهو سَقِيمٌ ﴾ مما ناله من هذا المحبس الذي يأخذ بالخناق . [١٤٦] ﴿ وأنْبَتْنا عليهِ شجرَةً من يَقْطِينٍ ﴾ لتقيه من الذباب والشمس . [١٤٧] ﴿ وأرسَلْناهُ ﴾ بعد ذلك ، بأن أمرناه ثانية بالذهاب ﴿ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزِيدُونَ ﴾ وهم قومه المرسَل إليهم ، الذين أبق عن الذهاب إليهم أوّلاً . [١٤٨] ﴿ فآمَنُوا فمتَّعْناهُم إلى حِينٍ ﴾ إلى حين انقضاء آجالهم بالعيش الهنيّ والمقام الأمين ، ببركة الإيمان والعمل الصالح . [١٤٩] ﴿ فاسْتَفْتِهِم ﴾ فاسْأَل قريشاً المنذَرين بأنباء الرسل وقومهم ﴿ أَلِرَبِّكَ البَناتُ ولَهُمُ البَنُونَ ﴾ سلهم عن وجه القسمة الضِيزى التي قسموها ، جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم : الملائكة بنات الله ، مع كراهتهم الشديدة لهنَّ ووأدهنَّ واستنكافهم عن ذكرهن . [١٥٠] ﴿ أمْ خَلَقْنا الملائكةَ إناثاً وهم شاهِدون ﴾ حاضرون ، حتى فاهوا بتلك العظيمة . [١٥١] ﴿ ألا إنَّهم مِن إفْكِهِم لَيَقُولُونَ ﴾ . [١٥٢] ﴿ وَلَدَ اللَّهُ ﴾ أي صدر عنه الولد ، مع أن الولادة من خواصِّ الأجسام القابلة للفساد ﴿ وإنَّهم لَكاذِبُونَ ﴾ في مقالتهم . [١٥٣] ﴿ أَصْطَفَى البَناتِ ﴾ أي اختار الإناث ﴿ على البَنِينَ ﴾ على الذكور .

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا
لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

[١٥٤] ﴿ ما لَكُم ﴾ أي: أيُّ شيء عرض لعقولكم ﴿ كيف تحكُمُونَ ﴾ بنسبة الناقص إلى المقام الأعلى وتخيُّركم الكامل. [١٥٥] ﴿ أفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فهو سبحانه منزَّه عن ذلك. [١٥٦] ﴿ أم لكُم سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ أي حجة واضحة وبرهان قاطع.

[١٥٧] ﴿ فأتُوا بكِتابِكُم ﴾ المسطور فيه ذلك عن وحي سماوي ﴿ إن كُنْتُم صادِقِين ﴾ في دعواكم.

[١٥٨] ﴿ وجَعَلُوا بينهُ وبيْنَ الجِنَّة نَسَباً ﴾ قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى. قال أبوبكر: فمَن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن ﴿ ولقد علِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهُم لمُحضَرُونَ ﴾ في النار يوم القيامة، لكون الجِنَّة كالجن، علَماً في الأغلب للفرقة الفاسقة عن أمر ربها من عالم الشياطين.

[١٥٩] ﴿ سُبْحانَ اللَّهِ عمّا يَصِفُونَ ﴾ من الولد والنسب. [١٦٠] ﴿ إلاّ عِبادَ اللَّهِ المخْلَصِينَ ﴾ استثناء من المحضَرين. [١٦١] ﴿ فإنَّكُم وما تَعْبُدونَ ﴾ عوْد إلى خطابهم. [١٦٢] ﴿ ما أنتُم عليهِ بفاتِنِين ﴾ بمفسدين أحداً بالإغواء. [١٦٣] ﴿ إلاّ من هو صالِ الجَحِيمِ ﴾ إلا ضالٌ مثلكم، مستوجب للنار.

[١٦٤] ﴿ وما مِنّا إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ ﴾ في العبودية وتسخيره فيما يريده تعالى منه، لا يتعدّى فيه طوْره ولا يجاوز منه قدره. [١٦٥] ﴿ وإنّا لنحنُ الصّافُّونَ ﴾ في أداء الطاعة ومنازل الخدمة التي نُؤْمَر بها.

[١٦٦] ﴿ وإنّا لنحنُ المُسَبِّحُونَ ﴾ المنزِّهون اللّهَ عما يصفه بـه الملحدون، أو المصلُّون له خشوعاً لعظمته وتواضعاً لجلاله. [١٦٧] ﴿ وإنْ كانوا لَيَقُولُونَ ﴾ أي: مشركو قريش. [١٦٨] ﴿ لَوْ أنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأوَّلِينَ ﴾ أي كتاباً من الكتب التي نزلت عليهم. [١٦٩] ﴿ لكُنّا عبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ لأخلصنا العبادة له. [١٧٠] ﴿ فكفَروا به فسوْف يعْلَمونَ ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿ ولقد سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعبادِنا المُرْسَلِينَ ﴾ وعْدُنا الأزليُّ لهم. [١٧٢] ﴿ إنَّهُم لَهُمُ المَنْصُورُونَ ﴾.

[١٧٣] ﴿ وإنَّ جُنْدَنا ﴾ هم الرسل ومن آمن معهم ﴿ لَهُمُ الغالِبُونَ ﴾ الظاهرون على أعدائهم، والمالكون لنواصيهم.

[١٧٤] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ ﴾ أعرِض عنهم إعراض الصفوح الحليم عمَّن ينال منه الظاهرون على أعدائهم، والمالكون لنواصيهم.

[١٧٥] ﴿ وأَبْصِرْهُمْ ﴾ بصِّرهم وعرِّفهم عاقبة البغي والكفر، فإن لم يبصروا الآن ﴿ فسوفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما قضينا له من التأييد والنصرة.

[١٧٦] ﴿ أفبِعَذابِنا يستَعْجِلونَ ﴾ قبل حلول أجله؟ وإنه لآتٍ. [١٧٧] ﴿ فإذا نَزَلَ بساحَتِهِم ﴾ بقربهم وفِنائهم ﴿ فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ ﴾ فبئس الصباحُ صباحُ من أنذرْتُهم بالرسل فلم يؤمنوا، لأنه يوم هلاكهم ودمارهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحاً، فسمِّيت الغارة «صباحاً» وإن وقعت في وقت آخر. [١٧٨] ﴿ وتَوَلَّ عنهُم حتَّى حِينٍ ﴾ إلى المدة التي أمهلوا فيها. [١٧٩] ﴿ وأَبْصِرْ فسوفَ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به من الذكر من صنوف المسرَّة وأنواع المساءة. وقيل: أريد بأحدهما عذاب الدنيا، وبالآخر عذاب الآخرة.

[١٨٠] ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ ﴾ ربِّ المنَعة والقدرة والغلبة ﴿ عَمّا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك والولد ونحوهما.

[١٨١] ﴿ وسَلامٌ على المُرْسَلِينَ ﴾ أي سلام وأمان وتحية على المرسَلين المبلِّغينَ رسالات ربهم. [١٨٢] ﴿ والحَمْدُ للَّهِ ربِّ العالَمِينَ ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾

[سورة ص]

مكية . وعدد آياتها ثمان وثمانون آية .

[١] ﴿ ص ﴾ اسم للسورة على القول المتجه عندنا فيه وفي نظائره وقيل: قَسَمٌ رمزيّ ﴿ والقرآنِ ذي الذِّكْر ﴾ أي الشرف الدال على حقيقته وصدقه ، أو التذكير . والجواب محذوف لدلالة السياق عليه، أي: إنه لَحقٌّ .

[٢] ﴿ بلِ الذينَ كفروا في عِزَّةٍ ﴾ في كِبْرٍ ﴿ وشِقاقٍ ﴾ عداوة للحق والإذعان له .

[٣] ﴿ كمْ أهلَكْنا من قَبلِهم من قَرْنٍ ﴾ لكِبْرهم عن الحق ومعاداتهم لأهله ، والقرْن: الأمة ﴿ فنادَوْا ﴾ فدَعوْا واستغاثوا ﴿ وَلاتَ حِينَ مَناصٍ ﴾ وليس الوقت وقتَ فرار ومهرب ومنجاة .

[٤] ﴿ وعَجبوا أنْ جاءَهُم مُنْذِرٌ ﴾ رسولٌ ﴿ منهُم ﴾ من أنفسِهم ، يعني النبي محمداً ﷺ ﴿ وقال الكافِرون هذا ساحِرٌ كذّابٌ ﴾ .

[٥] ﴿ أجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنَّ هذا لشيْءٌ عُجابٌ ﴾ أي بليغ في العجب ، وذلك لتمكن تقليد آبائهم في نفوسهم ، ورسوخه في أعماق قلوبهم .

[٦] ﴿ وانطَلَق المَلأُ منهُم ﴾ أي الأشراف من قريش يحضُّون بعضهم على التمسك بالوثنية ، قائلين : ﴿أنِ امْشُوا﴾ في طريق آبائكم ﴿ واصْبِروا على آلِهَتِكُم ﴾ على عبادتها مهما سمعتم من تسفيه أحلامنا وتفنيد مزاعمنا ﴿ إنَّ هذا لشيْءٌ يُرادُ ﴾ يريده محمد ﷺ من غير صارف يلويه ، ولا عاطف يثنيه ، أو المعنى : إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد منا وما لنا إلا الاعتصام عليه بالصبر . [٧] ﴿ ما سمِعْنا بهذا في المِلّةِ الآخِرةِ ﴾ ملّة النصارى ، لأنهم مثلِّثة غير موحِّدة ، أو في ملّة قريش التي أدركنا عليها آباءنا ﴿ إنْ هذا إلاّ اخْتِلاقٌ ﴾ ما هذا التوحيد إلا فرية محضة . [٨] ﴿ أأُنزِلَ عليهِ الذِّكْرُ من بينِنا ﴾ مع أن فينا من هو أثرى منه وأعلى رياسة ﴿ بلْ هُم في شَكٍّ من ذِكْري ﴾ إنكارهم للذكر ليس عن علم ، بل هم في شك منه ﴿ بلْ لمّا يذوقوا عَذابِ ﴾ على الإنكار ، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك وصدَّقوا، وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لأنهم صدَّقوا مضطرِّين. [٩] ﴿ أمْ عِندهُم خزائِنُ رحمةِ ربِّكَ العزيزِ الوَهّابِ ﴾ حتى يتخيَّروا للنبوّة ما تهوى أنفسُهم . [١٠] ﴿ أمْ لهُمْ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينهما فليَرْتَقُوا في الأسْبابِ ﴾ فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء ، وليتحكموا بها شاؤوا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية إن قدروا . [١١] ﴿ جُنْدٌ ما ﴾ هم جند حقير ﴿ هنالك ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم فيه من الانتداب لمثل هذا القول ، فهو مجاز . وجوِّز أن يكون حقيقة للإشارة إلى مكان قولهم وهو مكّة ﴿ مَهْزومٌ من الأحزابِ ﴾ الذين يتحزّبون على الأنبياء قبلك ، وأولئك قد قُهِروا وأُهلكوا ، وكذا هؤلاء . [١٢] ﴿ كذَّبتْ قبلَهُم ﴾ أي قبل قريش ﴿ قومُ نُوحٍ وعادٌ ﴾ وهم قوم هود ﴿ وفِرْعَوْنُ ذُو الأوْتادِ ﴾ أي الملك الثابت . [١٣] ﴿ وثمودُ ﴾ وهم قوم صالح ﴿ وقومُ لُوطٍ وأصْحابُ الأيكَةِ ﴾ أي الغيضة ، وهم قوم شعيب ﴿ أولئك الأحْزابُ ﴾ الكفّار المتحزّبون على رُسُلِهم ، الذين جُعِل الجند المهزوم منهم . [١٤] ﴿ إنْ كلٌّ إلاّ كذَّبَ الرُّسُلَ فحقَّ عِقابِ ﴾ فوجبت عليهم عقوبتي . [١٥] ﴿ وما ينظُرُ هؤُلاءِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ إلاّ صيْحةً واحِدةً ﴾ إلا أخْذة واحدة بعذاب بئيس ﴿ ما لَها مِن فَواق ﴾ ما لها من توقُّف مقدار فواق ، وهو ما بين الحلبتين .

[١٦] ﴿ وقالوا : ربَّنا عجِّلْ لنا قِطَّنا ﴾ أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته ﴿ قبْلَ يوْمِ الحِسابِ ﴾ يوم الجزاء . وقولهم على سبيل الاستهزاء والسخرية .

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] ﴿ اصْبِرْ على ما يقولون ﴾ فقد وُعِدتَ بالنصر والظفر والمُلْك والتأييد ﴿ واذكُرْ عبدَنا داوُدَ ذا الأيدِ ﴾ ذا الاجتهاد في أداء الأمانة والتشدد في القيام بالدعوة ومجانبة إظهار الضعف والوهَن ﴿ إنَّهُ أوّابٌ ﴾ رجّاع إليه تعالى بالإنابة والخشية والعبادة والصيام.

ربع الحزب ٤٦

[١٨] ﴿ إنّا سخَّرنا الجبالَ معَهُ يُسبِّحْنَ ﴾ تبعاً لتسبيحه ﴿ بالعَشِيِّ والإشْراقِ ﴾ [قال ابن عباس: لقد قرأت ما بين اللوحتين، ما عرفت صلاة الضحى إلاّ الآن ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ وكنت أقول: أين صلاة الإشراق؟ ـ ابن جرير].

[١٩] ﴿ والطَّيْرَ محشورَةً ﴾ مجموعة عنده يسبِّحن معه ﴿ كلٌّ لَهُ ﴾ لله تعالى ﴿ أوّابٌ ﴾ مطيع منقاد، يرجع بتسبيحه وتقديسه إليه.

[٢٠] ﴿ وشدَدْنا مُلْكَهُ ﴾ قوّيناه بوفرة العدَد والعُدَد ونفوذ السلطة وإمداده بالتأييد والنصر ﴿ وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ ﴾ النبوّة أو الكلام المحكم المتضمِّن للمواعظ والأمثال والحضّ على الآداب ومكارم الأخلاق ﴿ وفصْلَ الخِطابِ ﴾ فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل، ورفع الشُبَه وإقامة الدلائل [عن شريح قال: ﴿فصل الخطاب﴾ الشاهدان على المدعي واليمين على من أنكر ـ ابن جرير].

سجدة

[٢١] ﴿ وهَلْ أتاكَ نَبأُ الخصمِ إذْ تَسَوَّروا المِحْرابَ ﴾ ولجوه. والمحراب: مقدم كل بيت وأشرفه.

[٢٢] ﴿ إذ دَخلوا على داوُدَ ففزِعَ منهُم ﴾ لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه ﴿ قالوا لا تَخَفْ ﴾ منّا، فلسنا فاتكين، وإنما نحن ﴿ خصْمانِ ﴾ شخصان متخاصمان تحاكمنا إليك ﴿ بغى بعضُنا على بعْضٍ ﴾ أي تعدّى ﴿ فاحْكُمْ بينَنا بالحَقِّ ﴾ بما يطابق أمر الله ﴿ ولا تُشْطِطْ ﴾ ولا تبعد عن الحق أو تجاوزه ﴿ واهدِنا إلى سَواءِ الصِّراطِ ﴾ بحيث لا تميل عن الحق أصلاً. [٢٣] ﴿ إنَّ هذا أخي، له تِسْعٌ وتِسْعونَ نعجَةً ﴾ وهي الأنثى من الضأن ﴿ وليَ نعجَةٌ واحِدَةٌ ﴾ فلم ينظر إلى غناه عنها، وافتقاري إليها، بل أراد التغلّب عليّ ﴿ فقال أكْفِلْنِيها ﴾ بمعنى اجعلني كافلها كما أكفل ما تحت يدي، أو بمعنى اجعلها نصيبي ﴿ وعَزَّني في الخِطابِ ﴾ غلبني في المكالمة. [٢٤] ﴿ قالَ ﴾ داود: ﴿ لقد ظلَمَكَ بسُؤالِ نعجَتِكَ ﴾ بطلب نعجتك التي أنت أحوج إليها ليضمَّها ﴿ إلى نِعاجِه ﴾ مع استغنائه عنها ﴿ وإنَّ كثيراً من الخُلَطاءِ ﴾ الإخوان والأصدقاء المتخالطين في شؤونهم ﴿ لَيَبْغي بعضُهُم على بعْضٍ ﴾ بغي الأعداء مع أن من واجب حقهم النصفة على الأقل، وأن يقوموا بفضيلة الإيثار ﴿ إلاّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ ﴾ فإنهم لا يبغون ﴿ وقليلٌ ما هُم ﴾ وهم قليل. وما مزيدة للإبهام والتعجيب من قلتهم ﴿ وظنَّ داودُ أنَّما فتَنّاهُ ﴾ ابتليناه بتلك الحكومة ﴿ فاستغْفَرَ ربَّهُ وخرَّ راكِعاً وأنابَ ﴾.

[٢٥] ﴿ فغفَرْنا لَهُ ذلكَ ﴾ أي ما استغفر منه ﴿ وإنَّ لَهُ عندَنا لزُلْفى ﴾ لقرباً ﴿ وحُسنَ مآبٍ ﴾ مرجعاً حسناً وكرامة، في الآخرة.

[٢٦] ﴿ يا داوُدُ إنّا جعلناكَ خليفَةً في الأرْضِ فاحْكُمْ بيْنَ النّاسِ بالحَقِّ ولا تتَّبِعِ الهَوَى ﴾ أي هوى النفس من الميل إلى مال أو جاه أو قريب أو صاحب ﴿ فيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللّهِ إنَّ الذين يَضِلُّونَ عن سبيلِ اللّهِ لهُم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوا يومَ الحِسابِ ﴾ بسبب نسيانهم، وهو ضلالهم عن السبيل [عن عكرمة قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا].

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

[٢٧] ﴿ **وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرْضَ وما بَيْنَـهُما باطِلاً** ﴾ مبطلين عابثين ﴿ **ذلِكَ ظَنُّ الذينَ كفَرُوا** ﴾ ولذا أنكروا البعث والجزاء على الأعمال ، وأخذوا يصدُّون عن سبيل الله ويبغون في الأرض الفساد ﴿ **فَوَيْلٌ للذينَ كفَرُوا مِنَ النّارِ** ﴾ .

[٢٨] ﴿ **أمْ نجعَلُ الـذينَ آمَنُوا وعمِلُـوا الصّـالِحاتِ كالمُفْسدينَ في الأرْضِ أمْ نجعَلُ المُـتَّقِينَ كـالفُجّارِ** ﴾ الذين يخالفـون أوامر الله ولا يبالون بعـداوته ، أي : لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله .

[٢٩] ﴿ **كتـابٌ أنْزَلْنـاهُ إلَيْكَ مُبـارَكٌ** ﴾ كثير الخير ﴿ **ليدَّبَّـرُوا آياتِـهِ** ﴾ لينظروا في ألفاظه وترتيبها ولوازمها ، فيستخرجون منها علوماً بطريق الاستدلال ﴿ **وليتَـذَكَّرَ أوُلُوا الألْبابِ** ﴾ .

[٣٠] ﴿ **وَوَهَبْنَا لداوُدَ سُليْمانَ ، نِعْمَ العَبدُ إنَّـهُ أوّابٌ** ﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة .

[٣١] ﴿ **إذْ عُـرِضَ عليـهِ بالعَشِيِّ الصّـافِنـاتُ** ﴾ من الخيل ، جمع صافن وهو الـذي يقوم على طرف سنبك يد أو رِجْلٍ ﴿ **الجِيادُ** ﴾ جمع جواد وهـو الذي يسرع في جريه ، أو بمعنى الحسان ، جمع جيِّد .

[٣٢] ﴿ **فقالَ : إنِّي أحببْتُ حُـبَّ الخيْرِ عن ذكرِ رَبِّي** ﴾ أي آثـرتـه عليـه . والخير : المال . والمال : الخيل التي شغلتـه ، أو سمى الخيل خيراً كـأنها نفس الخير لتعلُّق الخير بها ﴿ **حتَّى تـوارَتْ بالحِجـابِ** ﴾ أي غـربت الشمس .

[٣٣] ﴿ **رُدُّوها عَلَيَّ** ﴾ يعني الصافنات ﴿ **فطَفِقَ مسْحاً بالسُّوقِ والأعْناقِ** ﴾ فجعل يمسح مسحاً بالسيف بسوقها وأعناقها .

[٣٤] ﴿ **ولقَدْ فتَـنَّا سُليمانَ** ﴾ أي ابتليناه ﴿ **وألْقَيْنا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً** ﴾ جسماً مجسداً ، الله أعلـم به ، وإنها أوثـر الجسد عليـه ، إجلالاً لسليمان عليه السلام ، وكان ذلك امتحاناً لسليمان وأمراً عرض وزال ﴿ **ثُمَّ أنابَ** ﴾ إلى ربه بالتوبة والاستغفار .

[٣٥] ﴿ **قالَ ربِّ اغفِرْ لي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبَـغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي** ﴾ أي غيري ، هبة فضل وإيثار وامتنان ﴿ **إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ** ﴾ .

[٣٦] ﴿ **فسخَّرْنا لَـهُ الرِّيحَ** ﴾ فذللناها لطاعته إجـابة لدعوته ﴿ **تجري بأمْرِهِ رُخاءً** ﴾ لينة سهلـة ، مع شدَّة وقوَّة ، ولـذا وصفت في الآية الأخـرى بـ عاصفة ﴿ **حيثُ أصابَ** ﴾ حيث أراد.. [٣٧] ﴿ **والشّياطِينَ** ﴾ عطف على الريح ﴿ **كُلَّ بَنّاءٍ وغَوّاصٍ** ﴾ في قعر البحر .

[٣٨] ﴿ **وآخَرينَ مُـقرَّنِينَ في الأصْفَادِ** ﴾ أي مسلسلين في الأغلال لا يبعثهم إلى عمل .

[٣٩] ﴿ **هذا عَطاؤُنا فامْنُنْ** ﴾ على من شئت من المقرّنين وغيرهم ﴿ **أوْ أمْسِكْ** ﴾ أو امنع ﴿ **بغيرِ حِسابٍ** ﴾ غير مُحاسب على المنِّ والإمساك .

[٤٠] ﴿ **وإنَّ لهُ عِندَنا لَزُلْفَى** ﴾ لقربى في الدرجات ﴿ **وحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ مرجع في الآخرة. [٤١] ﴿ **واذكُرْ** ﴾ في باب الابتلاء وحسن عـاقبة الصبر عليه ﴿ **عبدَنا** ﴾ الكامل في التحقق بالعبودية ﴿ **أيوبَ إذ نادى ربَّه** ﴾ دعاه وابتهل إليه قائلاً: ﴿ **أنّي مَسَّنيَ** ﴾ أصابني ﴿ **الشَّيطَانُ بنُصْبٍ** ﴾ بمشقَّة ﴿ **وعذابٍ** ﴾ ألم شديد. [٤٢] ﴿ **اركُضْ برِجْلِكَ** ﴾ فاستجبنـا له وقلنا : اركض بـرجلك ، اعدُ بها وامشِ ، فقـد برأت وشفيتَ ﴿ **هذا مُغْتَسَلٌ باردٌ وشَرابٌ** ﴾ ماء تغتسل به وتشرب منه ، والإشارة إلى عين أو نهر أو نحوهما .

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

[٤٣] ﴿ ووهَبْنا لـهُ أهلَـهُ ﴾ بأن جمعْناهم عليه بعد تفرُّقهم ﴿ ومِثْلَهُم معَهُم رحمَةً منّا ﴾ ترحّماً منا عليه بهذا الإضعاف والمباركة ﴿ وذِكْرى لأُولي الألْباب ﴾ وتذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر والنوال بصدق الاتكال .

[٤٤] ﴿ وخُذْ بيدِكَ ضِغْثاً ﴾ حزمة صغيرة ، وهذا ما يدل على أنه تقدم يمين منه عليه السلام ليجلدن امرأته مائة جلدة ﴿ فاضْرِبْ بـهِ ولا تحنَثْ ، إنّا وجدْناهُ صابراً ﴾ في كل ما ابتليناه به ﴿ نِعْمَ العبدُ إنَّـهُ أوّابٌ ﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى ، بالإنابة والابتهال والعبادة .

[٤٥] ﴿ واذْكُرْ عبادَنا إبراهيمَ وإسْحٰقَ ويعقوبَ أُولي الأيْدِي والأبصارِ ﴾ ذوي القوّة في العبادة ، والأفكار في معرفة الله تعالى . و﴿ الأيدي ﴾ مجاز عن القـوّة ، و﴿ الأبصار ﴾ جمع بصر بمعنى بصيرة ، وهو مجاز أيضاً .

نصف الحزب ٤٦

[٤٦] ﴿ إنّا أخْلَصْناهُم ﴾ صفّيناهم من شوب صفات النفوس وكدورة حظوظها ﴿ بخالِصَةٍ ذِكْرى الدّارِ ﴾ الباقية والمقرّ الأصليّ ، أي استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكُّرهم لعالم القدس ، وإعراضهم عن معدن الرجس .

[٤٧] ﴿ وإنَّهُم عِنْدَنا لَمِنَ المصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين من أبناء جنسهم لقربنا ﴿ الأخْيارِ ﴾ المنزّهين عن شوائب الشرور .

[٤٨] ﴿ واذْكُرْ إسماعيلَ واليَسَعَ وذا الكِفْلِ ، وكلٌّ مِنَ الأخْيارِ ﴾ بالنبوّة والرسالة للهداية والإصلاح ، و« اليسع » خليفة إلياس [إلى أهل بعلبك] .

[٤٩] ﴿ هذا ذِكْرٌ ﴾ شرف لهم ، لأن الشرف يلزمه الشهرة والذكر بين الناس ﴿ وإنَّ للمُتَّقينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .

[٥٠] ﴿ جنّاتِ عَدْنٍ ﴾ إقامة وخلود ﴿ مُفَتَّحَةً لهُمُ الأبوابُ ﴾ متى جاؤوها يرونها في انتظارهم . [٥١] ﴿ مُتَّكِئينَ فِيها ﴾ على الأرائك ﴿ يَدْعُونَ فيها بفاكِهَةٍ كثيرَةٍ وشَرابٍ ﴾ مهما طلبوا وجدوا . [٥٢] ﴿ وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ ﴾ يمنعن طرف الأزواج أن تنظر للغير، لشدة الحسن ﴿ أتْرابٌ ﴾ متساوية في السن والرتب ، لا عجوز بينهن . [٥٣] ﴿ هذا ما توعَدُونَ ليوم الحِسابِ ﴾ لوقت جزائه . [٥٤] ﴿ إنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَـهُ من نَفادٍ ﴾ من انقطاع . [٥٥] ﴿ هذا ﴾ باب في وصف الجنة وأهلها ، أو الأمر هذا ﴿ وإنَّ للطّاغين لَشرَّ مآبٍ ﴾ . [٥٦] ﴿ جهنَّمَ يصْلَوْنها فبِئْسَ المِهادُ ﴾ أي الفراش . [٥٧] ﴿ هذا فلْيَذوقوهُ حَميمٌ وغَسّاقٌ ﴾ وهو ما يغسق من صديد أهل النار، أي يسيل . [٥٨] ﴿ وآخَرُ ﴾ أي : ومذوق ، أو عذاب آخر ﴿ مِن شكلِهِ ﴾ مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدّة والهوان ﴿ أزْواجٌ ﴾ أي أجناس وأصناف . [٥٩] ﴿ هذا فَوْجٌ مقتَحِمٌ معَكُم ﴾ هذا جمع كثيف من أتباعكم وأشباهكم ، أهل طبائع السوء والرذائل المختلفة ، مقتحم معكم في مضائق المذلة ومداخل الهوان ، و الاقتحام : ركوب الشدّة والدخول فيها ﴿ لا مَرْحَباً بِهِم ﴾ دعاء من الرؤساء على أتباعهم ، أو صفة لـ فوج ، أو حال ﴿ إنَّهُم صالُوا النّارِ ﴾ داخلوها بأعمالهم مثلنا .

[٦٠] ﴿ قالوا ﴾ أي الأتباع للرؤساء : ﴿ بل أنْتُم لا مَرْحَباً بِكُم ﴾ بل أنتم أحق بها قلتم لتضاعف عذابكم بضلالكم وإضلالكم ﴿ أنْتُم قدَّمْتُموهُ لَنا ﴾ قدّمتم العذابَ بإضلالنا وإغوائنا ﴿ فبِئْسَ القَرارُ ﴾ فبئس المستقرّ جهنم .

[٦١] ﴿ قالوا ﴾ الأتباع أيضاً : ﴿ ربَّنا مَنْ قَدَّمَ لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النّارِ ﴾ .

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

[٦٢] ﴿ **وقالوا** ﴾ الطاغون أو الأتباع : ﴿ **ما لَنا لا نرى رِجالاً كُنّا نعُدُّهُم من الأشْرارِ** ﴾ يعنون فقراءَ المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم .

[٦٣] ﴿ **أتَّخَذْناهُم سِخْرِيّاً** ﴾ قرىء بهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم ﴿ **أمْ زاغَتْ عنهُمُ الأبصارُ** ﴾ مالت عنهم كِبْراً ، وتنحَّت عنهم أَنَفَة . والمعنى : أي الفعلين فعلنا بهم ؟ السخرية منهم ، أم الإزراء لهم على بعض إنكار الأمرين على أنفسهم تحسراً وندامة .

[٦٤] ﴿ **إنَّ ذلكَ** ﴾ الذي حكي عنهم ﴿ **لَحَقٌّ تخاصُمُ أهْلِ النّارِ** ﴾ لَواقِع وثابت . شبَّه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب ، بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك .

[٦٥] ﴿ **قُلْ : إنّما أنا مُنْذِرٌ** ﴾ أي رسول مُخوِّف ﴿ **وما مِن إلهٍ إلاّ اللّهُ الواحدُ** ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿ **القَهّارُ** ﴾ الغالب على خلقه .

[٦٦] ﴿ **ربُّ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما** ﴾ من الخلْق والعجائب ﴿ **العزيزُ** ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة ﴿ **الغفّارُ** ﴾ لمن تاب وأناب .

[٦٧] ﴿ **قُلْ هوَ** ﴾ الذي أنذرتكم به من التوحيد ومن البعثة به ﴿ **نَبأٌ عَظِيمٌ** ﴾ .

[٦٨] ﴿ **أنتُم عنهُ مُعْرِضُونَ** ﴾ لتمادي غفلتكم .

[٦٩] ﴿ **ما كانَ لِيَ مِن عِلْمٍ بالملإِ الأعْلَى إذْ يختَصِمُونَ** ﴾ معنى الآية نفي الغيب عنه ﷺ ورد اقتراحهم عليه أن يخبرهم بما يحدث في الملأ الأعلى من التخاصم .

[٧٠] ﴿ **إنْ يُوحَى إليَّ إلاّ أنّما أنا نَذيرٌ مُبينٌ** ﴾ . [٧١] ﴿ **إذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إنّي خالِقٌ بَشَراً من طِينٍ** ﴾ .

[٧٢] ﴿ **فإذا سَوَّيْتُهُ ونفختُ فيهِ منْ رُوحِي فقَعُوا لَهُ ساجِدينَ** ﴾ فخرّوا له ساجدين تعظيماً وتكريماً . [٧٣] ﴿ **فسجَدَ الملائكةُ كلُّهُم أجْمَعُونَ** ﴾ .

[٧٤] ﴿ **إلاّ إبْليسَ استَكْبَرَ** ﴾ تعظّم ﴿ **وكانَ منَ الكافِرينَ** ﴾ باستكباره أمرَ الله تعالى ، واستكباره عن طاعته .

[٧٥] ﴿ **قالَ يا إبْليسُ ما منعكَ أن تسجُدَ لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ أي بنفسي من غير توسُّط ، كأب أو أم ﴿ **أستكْبَرْتَ** ﴾ أعَرَض لك التكبُّر والاستنكاف ﴿ **أمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ** ﴾ عليه زائداً في المرتبة ؟ .

[٧٦] ﴿ **قال أنا خَيرٌ مِنْهُ خلقتَني مِنْ نارٍ وخلقْتَهُ من طِينٍ** ﴾ يعني أن الروح الحيوانيَّ الناريّ أشرف من المادة الكثيفة البدنية .

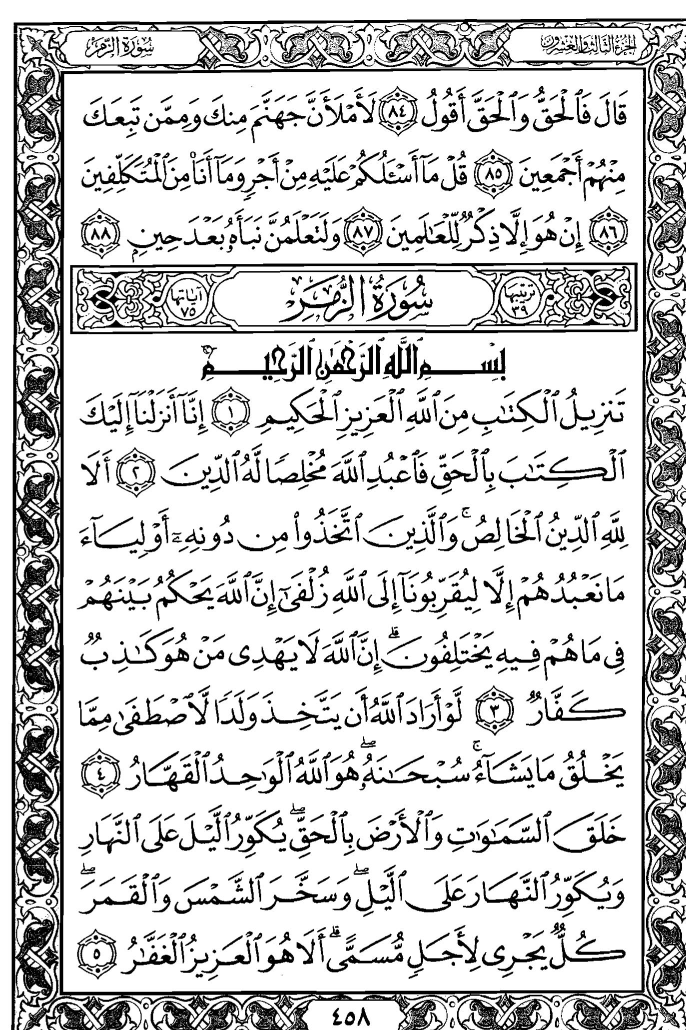
[٧٧] ﴿ **قال فاخْرُجْ مِنها** ﴾ من الجنة أو السماء ﴿ **فإنّكَ رجِيمٌ** ﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة .

[٧٨] ﴿ **وإنّ عليكَ لعنَتي إلى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ الرجيم واللعين مَنْ بَعُد عن الحضرة القدسية المنزَّهة عن المواد الرجسية بالانغماس في الغواشي الطبيعية .

[٧٩] ﴿ **قال ربِّ فأنْظِرْني** ﴾ فأمهلني ﴿ **إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ . [٨٠] ﴿ **قال فإنّكَ مِنَ المُنظَرينَ** ﴾ .

[٨١] ﴿ **إلى يَوْمِ الوقتِ المعْلُومِ** ﴾ أي : المعلوم عند الله . [٨٢] ﴿ **قال فبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُم أجْمَعِينَ** ﴾ .

[٨٣] ﴿ **إلاّ عِبادَكَ منهُمُ المُخْلَصِينَ** ﴾ وهم الذين أخلصهم الله لنفسه من أهل العناية عن ثوب الكدورات النفسية وحُجُب الأنانية ، وصفّى فطرتهم عن خلط ظلمة النشأة البشريّة .


الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ — ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

٤٥٨

[٨٤] ﴿ قالَ فالحَقُّ والحَقَّ أقولُ ﴾ جملة معترضة للتأكيد ، أي : ولا أقول إلا الحق [عن مجاهد : يقول الله : أنا الحق والحق أقول ـ ابن جرير] .

[٨٥] ﴿ لأملأنَّ جهنَّمَ مِنْكَ ومِمن تَبِعَكَ منهُم أجمَعِينَ ﴾ أي تبعك في التعزز والاستكبار والإباء عن الحقّ والمحاجَّة في الباطل .

[٨٦] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ ما أسألُكم عليه مِنْ أجْرٍ ﴾ على القرآن والوحي . أي : لا غرض لي في ذلك ﴿ وما أنا مِنَ المُتكلِّفِينَ ﴾ المتصنِّعين الذين يتحلَّوْن بما ليسوا من أهله ، وما عرفتموني قط متصنِّعاً ولا مدعياً ما ليس عندي ، حتى أنتحل النبوَّة وأدَّعي القرآن .

عن عبد الله بن مسعود قال : يا أيُّها الناس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإنَّ من العلم أن يقول الرجلُ لما لا يعلم الله أعلم، فإنّ الله عزَّ وجل قال لنبيّكم (ﷺ) ﴿قل ما أسألكم. . الآية﴾ .

[٨٧] ﴿ إنْ هوَ إلاّ ذِكْرٌ للعالَمِينَ ﴾ عظة وتذكير لهم .

[٨٨] ﴿ ولتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بعْدَ حِينٍ ﴾ عند ظهور الإسلام وانتشاره ودخول الناس فيه أفواجاً ، وهذا من أجلّ معجزات القرآن لأنه من الغيوب التي ظهر مصداقها .

[سورة الزُّمَر]

سميت بالزمر لاشتمالها على الآية التي ذكر فيها زمر الفريقين ، المشيرة إلى تفصيل الجزاء وإلزام الحجة وبطلان المعذرة . وهي مكية ، واستثنى بعضهم الآيات ٥٣ و٥٤ و٥٥ ، وعدد آياتها خمس وسبعون آية . وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في كل ليلة : بني إسرائيل والزمر . أخرجه النسائي .

[١] ﴿ تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللّهِ العزيزِ الحكيم ﴾ هذا تنزيل ، أو تنزيله كائن من الله .

[٢] ﴿ إنَّا أنزَلْنا إليكَ الكِتابَ بالحَقِّ فاعبُدِ اللهَ مخلِصاً لهُ الدِّينَ ﴾ أي : عن شوب الشرك والرياء، بإمحاض التوحيد وتصفية السرّ.

[٣] ﴿ ألاَ للّهِ الدِّينُ الخالِصُ ﴾ الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة لانفراده بالألوهية ﴿ والذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دونِهِ أولياءَ ﴾ بالمحبة والتقرب والتوسل بهم إليه تعالى ﴿ ما نعبُدُهُم إلاّ ليُقرِّبُونا إلى اللّهِ زُلْفى ﴾ يقولون ذلك احتجاجاً على ضلالهم [عن مجاهد قال : قريش تقوله للأوثان ومَنْ قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزير ـ ابن جرير] ﴿ إنَّ اللّهَ يحكُمُ بينَهُم في ما هُم فيهِ يختَلِفُونَ ﴾ عند حشر معبوداتهم معهم ، فيقرن كلاً منهم مع من يتولاَّه من عابد ومعبود ، ويدخل المبطل النارَ مع المبطلين ، كما يدخل المحق الجنَّة مع المحقِّين ﴿ إنَّ اللّهَ لا يَهدِي مَنْ هوَ كاذِبٌ كفّارٌ ﴾ لا يوصله إلى النجاة ومقرِّ الأبرار .

[٤] ﴿ لَوْ أرادَ اللّهُ أنْ يتَّخِذَ ولَداً لاصطَفى ممّا يخلُقُ ما يشاءُ ، سبحانَهُ هُوَ اللّهُ الواحِدُ القهّارُ ﴾ نزّهه عن المماثلة والمجانسة واصطفاء الولد لكون الوحدة لازمة لذاته ، وقهر بوحدانيته لغيره ، فلا تماثل في الوجود فكيف في الوجوب ؟ .

[٥] ﴿ خلَقَ السّمٰواتِ والأرْضَ بالحَقِّ يكوِّرُ اللّيلَ على النّهارِ ، ويكوِّرُ النّهارَ على اللّيلِ ﴾ بإذهاب أحدهما وتغشية الآخر مكانَه ، كأنها ألبسه ولفَّ عليه ﴿ وسخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مُسمًّى ﴾ وهو منتهى دوره ، أو منقطع حركته ﴿ ألاَ هُوَ العزيزُ الغفّارُ ﴾ .

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

[٦] ﴿ **خلقكم من نفسٍ واحِدَةٍ** ﴾ هي آدم عليه السلام ﴿ **ثم جعلَ مِنْها** ﴾ من نفسها ونوعها ﴿ **زوجَها** ، **وأنزلَ لكُم مِنَ الأنْعام ثمانِيَةَ أزْواجٍ** ﴾ ذكراً وأنثى ، من الإبل والبقر والضأن والمعز ﴿ **يخْلُقُكُم في بُطُونِ أمّهاتِكُم خَلْقاً مِن بعدِ خَلْقٍ** ﴾ متقلّبين في أطوار الخلقة ﴿ **في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ** ﴾ يعني البطن والرحم والمَشيمة ﴿ **ذلكُمُ** ﴾ الخالق المكوِّر المصرِّف بقدرته المسخِّر بسلطانه ، المنشىء للكثرة من نفس واحدة ، المنزل للنِّعَم بنعمته ﴿ **اللّهُ ربُّكُم ، لَهُ المُلْكُ ، لا إلهَ إلاّ هُوَ فأنّىٰ تُصرَفُونَ** ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره .

[٧] ﴿ **إنْ تكْفُرُوا فإنّ اللّهَ غنيٌّ عَنْكُم** ﴾ أي عن إيمانكم ﴿ **ولا يَرْضىٰ لعبادِهِ الكُفْرَ** ﴾ لأنه سبب هلاكهم ﴿ **وإنْ تشكُرُوا يرْضَهُ لَكُم** ﴾ وإن تستعملوا ما أنعم به عليكم فيما خلق له ، يقبله منكم ، لأنه دينه ، ويثيبكم ثواباً حسناً لطاعتكم ﴿ **ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى** ﴾ لا تحمل حاملة حمل غيرها من الذنوب ، أو لا تُؤخذ نفس بذنب أخرى ، بل كلٌّ مأخوذ بذنبه ﴿ **ثُمّ إلى ربِّكُم مرْجِعُكُم** ﴾ بعد الموت ﴿ **فيُنَبِّئُكُم بما كنتُم تعمَلُونَ ، إنّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ** ﴾ أي بما في القلوب من الخير والشر .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

[٨] ﴿ **وإذا مَسّ** ﴾ أي أصاب ﴿ **الإنْسانَ ضُرٌّ** ﴾ شدّة وبلاء ﴿ **دعا ربّهُ مُنيباً إلَيْهِ** ﴾ ابتهل إليه برفع الشدّة والبلاء عنه ، مقبلاً إليه بالدعاء والتضرُّع ﴿ **ثُمّ إذا خوّلَهُ** ﴾ أعطاه ﴿ **نِعْمَةً منهُ نسِيَ ما كانَ يدعُو إلَيْهِ من قَبْلُ** ﴾ نسيَ الضُّرَّ الذي كان يدعو الله أن يكشفه من قبل النعمة . وقيل : نسي ربَّه الذي كان يتضرَّع إليه ﴿ **وجعلَ للّهِ أنْداداً لِيُضِلّ عن سبيلِهِ** ﴾ ليصد الناس عن دينه وطاعته ﴿ **قُلْ تمتّعْ بكُفْرِكَ** ﴾ أي عِش به ﴿ **قليلاً** ﴾ يسيراً في الدنيا ﴿ **إنّكَ من أصْحابِ النّارِ** ﴾ . [٩] ﴿ **أمّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللّيلِ ساجِداً وقائِماً** ﴾ متعبِّداً في ساعات يقطعها في السجود والقيام . قال ابن عباس : ﴿ آناء الليل ﴾ جوف الليل . وقال الحسن : ساعات أوله ووسطه وآخره ﴿ **يحذَرُ الآخِرَةَ** ﴾ يحذر عقابها ﴿ **ويرْجُو رحمَةَ ربِّهِ** ﴾ أي جنته ورضوانه . أهذا أفضل أم ذاك الكافر الجاحد الناسي لربه ؟ ﴿ **قُلْ هَلْ يستَوِي الذينَ يعْلَمُونَ** ﴾ توحيده وأمره ونهيه في الثواب والطاعة ﴿ **والذين لا يعلَمُون** ﴾ أي لا يستويان ﴿ **إنّما يتذَكّرُ** ﴾ يتعظ بهذا الذكر ﴿ **أُولُوا الألْبابِ** ﴾ العقول الصافية البعيدة عن التخيُّل والوهم ، لتحققها بالعلم الراسخ الذي يتأثر به الظاهر ، وأما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم ولا تعيه[قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء : نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقال مقاتل : نزلت في عمّاربن ياسر رضي الله عنه ـ النيسابوري] . [١٠] ﴿ **قُلْ يا عِبادِ الذينَ آمَنُوا اتّقُوا ربّكُم ، لِلذينَ أحْسَنُوا في هذهِ الدُّنْيا حسَنَةٌ** ﴾ للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا ، مثوبة حسنة في الآخرة ﴿ **وأرضُ اللّهِ واسِعةٌ** ﴾ بلاده كثيرة ، فمن تعسَّر عليه التوفُّر على الإحسان في وطنه ، فليهاجر إلى حيث يتمكن منه ﴿ **إنّما يُوَفّى الصّابِرُونَ** ﴾ على مشاقِّ الطاعة من احتمال البلاء ، ومهاجرة الأوطان لها ﴿ **أجرَهُم بغيرِ حِسابٍ** ﴾ بغير مكيال ، تمثيل للكثرة . [وقال الأوزاعي رحمه الله : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفاً . وقال ابن جريج رحمه الله : بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزادون على ذلك . وقال السديّ رحمه الله : يعني في الجنة ـ ابن كثير] .

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿ **قُلْ : إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعبُدَ اللَّـهَ مُخلِصاً لـهُ الدِّينَ** ﴾ عن الالتفات إلى غيره .

[١٢] ﴿ **وأُمِرْتُ لِأَنْ أكُـونَ أَوَّلَ المُسلِمينَ** ﴾ وأمرت بذلك لأجل أن أكـون مقدَّمهم في الدنيـا والآخرة ، لأن إخلاصه ﷺ أتمُّ من إخلاص كل مخلص .

[١٣] ﴿ **قُلْ إِنِّي أخـافُ إِن عصَيْتُ ربِّي** ﴾ بترك الإخلاص له ﴿ **عذابَ يومٍ عظيمٍ** ﴾ [قال ابن جرير: يعني عذاب يـوم القيامـة ، ذلك هو اليـوم الذي يعظم هوله] .

[١٤] ﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ** ﴾ أخصُّه بـالعبادة ﴿ **مُخلِصاً لهُ دِيني** ﴾ لا أشرك معه شيئاً .

[١٥] ﴿ **فاعبُدُوا ما شِئْتُم مِنْ دُونِـهِ ، قُلْ إِنَّ الخاسِرِينَ الذينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهْلِيهِم يومَ القِيامَةِ** ﴾ أي أهلكوا أنفسهم بـالضلال ، وأهليهـم بالإضـلال ، أو خسروا أنفسهم بالهلاك وأهليهم به أيضاً ، إن كانوا مثلهم ، أو بفقدهم فقداً لا اجتماع بعده ، إن كـانوا من أهل الجنّة ﴿ **ألا ذلك هُوَ الخُسْرانُ المُبِينُ** ﴾ .

[١٦] ﴿ **لهُمْ مِنْ فـوْقِهِم ظُلَلٌ مـنَ النّـارِ ومِنْ تحتِـهِم ظُـلَلٌ** ﴾ أي أطباق من النار ﴿ **ذلك** ﴾ العذاب المُتوَعَّد به ﴿ **يُـخَوِّفُ اللَّـهُ بهِ عبادَهُ ، يا عبـادِ فاتّـقُونِ** ﴾ بعدم التعرُّض لما يوجب السخط . قال الزمخشري : وهذه عظة من الله تعالى، ونصيحة بالغة .

[١٧] ﴿ **والذينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يعبُدُوها** ﴾ يعني الأوثان . وفعلوت للمبالغة ﴿ **وأنَـابُوا إلى اللّـهِ لَـهُمُ البُشْرى** ﴾ بالثواب ﴿ **فَبَشِّرْ عِبادِ** ﴾ [قال ابن زيد : نزلت في ثلاثة أنفار كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي ـ النيسابوري] .

[١٨] ﴿ **الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَـهُ** ﴾ إيثاراً للأفضل واهتماماً بالأكمل ﴿ **أولئِكَ الذينَ هداهُمُ اللّهُ وأولئِكَ همْ أُولُوا الألْبابِ** ﴾ [قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أبا بكـر الصديق رضي الله عنه آمن بالنبي ﷺ وصدقه ، فجاء عثمان وعبد الـرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم فسألوه ، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا ، ونزلت فيهم : ﴿ فبشر عباد* الذين يستمعون القول ﴾ قال : يريد من أبي بكر رضي الله عنه ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾ـ النيسابوري] .

[١٩] ﴿ **أفمَنْ حَقَّ عليهِ كلمةُ العذابِ ، أفأنْتَ تُنقِذُ مَنْ في النّارِ** ﴾ أي لا يمكن إنقاذه أصلاً .

[٢٠] ﴿ **لكِنِ الذينَ اتَّقَوْا ربَّـهُم لهُم غُرَفٌ من فوْقِها غُـرَفٌ مبنِيَّـةٌ تجرِي مِن تحتِها الأنهارُ وعْدَ اللّهِ ، لا يُخلِفُ اللّهُ الميعادَ** ﴾ . [قال ابن جرير: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علاليّ بعضها فوق بعض تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار، يقول جل ثناؤه : وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة هؤلاء المتقين ، والله لا يخلفهم وعده ولكنه يوفي بوعده] .

[٢١] ﴿ **ألَمْ تَرَ أنَّ اللّـهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ مـاءً فسلَكَهُ ينـابيعَ في الأرضِ ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرْعـاً مُختلِفاً ألوانُـهُ ثم يَهيجُ** ﴾ يتم جفافه ﴿ **فتراهُ مُصْفَـرّاً ثمّ يجعلُهُ حُطاماً** ﴾ أي فُتاتاً ﴿ **إنَّ في ذلك لَذِكْرى لأُولي الألْبابِ** ﴾ تـذكيراً وتـنبيهاً على أنه لابد من صانع حكيم ، وأن ذلـك كائن عن تقدير وتدبير ، لا عن تعطيل وإهمال .

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[٢٢] ﴿ **أفمَنْ شرَحَ اللَّهُ صدرَهُ للإسْلامِ** ﴾ وسَّعه لقبول دينه وشرعه بلطفه وعنايتـه وإمداده سبحانه ﴿ **فهُوَ على نُورٍ منْ ربِّهِ** ﴾ أي : على بيِّنة ومعرفـة واهتداء إلى الحق ﴿ **فويْلٌ للقاسِيـَةِ قلوبُهُم من ذِكْـرِ اللَّهِ** ﴾ أي : قسوة القلب سبب لعدم الذكر ﴿ **أولئك في ضَلالٍ مُبينٍ** ﴾ عن طريق الحق .

[٢٣] ﴿ **اللَّهُ نزَّل أحسنَ الحَديثِ كتاباً متشابِهاً** ﴾ يُشبه بعضـه بعضاً ، في الصحـة والإحكام والبنـاء على الحق والصدق ومنفعة الخلـق ووجوه الإعجاز ﴿ **مَثانِيَ** ﴾ جمع مُثَنّى بمعنى مـردَّد ومكرر ، لما ثنـى من قصصه وأنبـائه وأحكـامـه وأوامره ونـواهيـه ووعـده ووعيده ومـواعظـه ﴿ **تقشَعِرُّ منهُ جلودُ الذينَ يَخْشَوْنَ ربَّهُم** ﴾ تمثيل لإفراط خشيتهم ، أو حقيقة لتأثُّـرهم عند سماع آياته وحكمه ووعيده ، بما يرد على قلـوبهم منها ﴿ **ثمّ تَلينُ جلودُهُم وقُلُوبُهُمْ إلى ذكرِ اللَّهِ** ﴾ بالانقياد والطاعة والسَّكينة لأمره ﴿ **ذلك** ﴾ الكتـاب ، أو الكائن من الخشيـة والرجـاء ﴿ **هُدَى اللَّهِ يهدِي بِهِ من يَشاءُ ، ومن يُضْلِلِ اللَّهُ** ﴾ من زاغ قلبه ﴿ **فما لَـهُ من هَادٍ** ﴾ .

[٢٤] ﴿ **أفَمَنْ يتَّقِي بوجْهِهِ سُوءَ العـذابِ يومَ القِيامَةِ** ﴾ خبر مَنْ محذوف ، أي : كمـن آمن ؟ ﴿ **وقِيلَ للظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كنتُم تكسِبُونَ** ﴾ وبالَه .

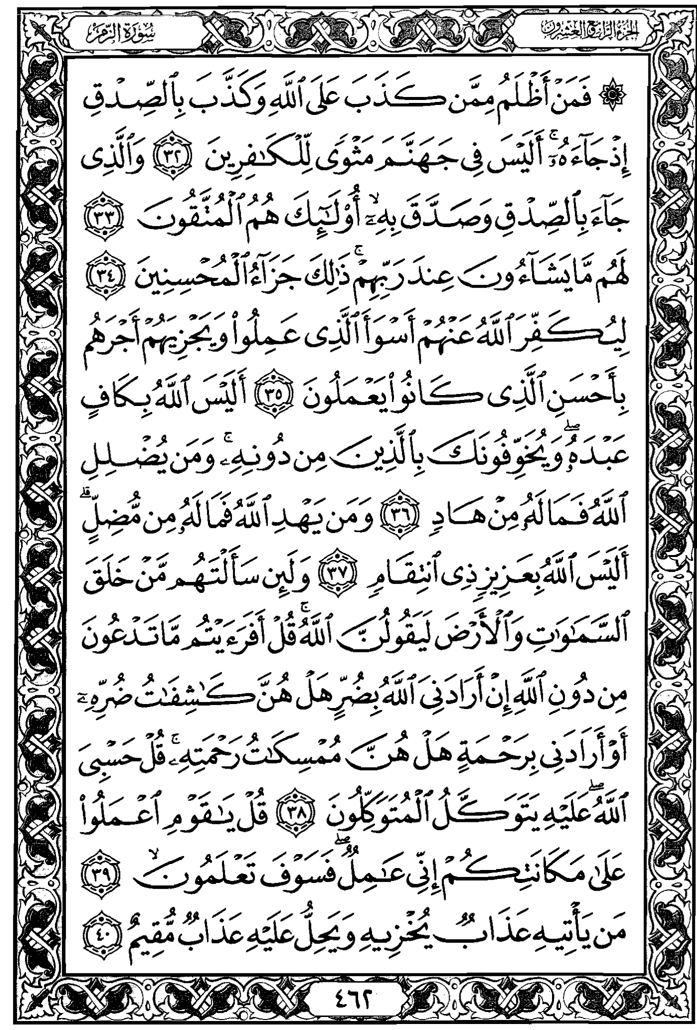
[٢٥] ﴿ **كـذَّبَ الذينَ مِنْ قبلِهِم فـأتاهُمُ العَـذابُ مِن حَيْثُ لا يَشْعُـرُونَ** ﴾ أي لا يحتسبـون أن الشر يـأتيهم منه .

[٢٦] ﴿ **فأذاقَـهُمُ اللَّهُ الخِزْيَ في الحَياةِ الدُّنْيا** ﴾ أي الذل والصَّغار ﴿ **ولَعذابُ الآخِرَةِ أكبَرُ لَـوْ كانوا يعلَمُونَ** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **ولقَدْ ضربْنا للنّـاسِ في هذا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ بيَّنَّا لهم في هـذا القرآن ، الـذي هو دليل في نفسـه من إعجازه ، من كل مَثَل يُحتـاج إليه ﴿ **لعلَّهُم يتذكَّرُونَ** ﴾ به ما يهمهم من أمور دينهم ، وما يصلحهم من شؤون سعادتهم ، فيفسِّروا المعقول بالمحسوس .

[٢٨] ﴿ **قُرْآناً عربيّاً غيرَ ذِي عِوَجٍ** ﴾ مستقيماً بريئاً من التنـاقض والاختلاف ﴿ **لعلَّـهُم يتَّـقُونَ** ﴾ العذابَ والخزيَ يوم الجزاء ، بـالاتقاء من الأفعال القبيحة والأخلاق الرديئة والاعتقادات الفاسدة ، ومن أجلِّ تلك الأمثال ، ما مثل به ليُتَّـقى من أعظم المخوِّفات ، وهو الشِّرْك .

[٢٩] ﴿ **ضرَبَ اللَّهُ مثَلاً** ﴾ أي للمشرك والموحِّد رجُلَيْن مملوكيْن ﴿ **رَجُلاً فيه شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ** ﴾ سيِّئو الأخلاق ، يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة ، لا يزال متحيِّراً متوزِّع القلب ، لا يدري أيهم يرضي بخدمته ﴿ **ورجُلاً سَلَماً لرَجُلٍ** ﴾ خلص ملكه له ، لا يتَّجه إلا إلى جهته ، ولا يسير إلا لخدمته ، فهمُّه واحد وقلبه مجتمع ﴿ **هـل يسْتَوِيان مثلاً** ﴾ أي صفة وحالاً ، كلاّ ، وهكذا حـال من يثبت آلهة شتّى ، لا يزال متحيراً خائفاً لا يدري أيهم يعبد ، وعلى ربوبية أيهم يعتمد ﴿ **الحمدُ للَّهِ** ﴾ تنبيه للموحِّدين على أن ما لهم مـن المزيَّة بتوفيقه تعالى ﴿ **بَلْ أكثرُهُم لا يعلَمُونَ** ﴾ بيان أن أكثر الناس ، وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهـوره ، فيبقون في ورطة الشرك والضلال . [٣٠] ﴿ **إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّـهُم ميِّتُونَ** ﴾ تمهيد لما يعقبه من الاختصام بينهم يـوم القيامة . قيـل : كانوا يتربصـون برسول الله ﷺ مـوتَه . [٣١] ﴿ **ثُمَّ إنَّـكُم يـومَ القِيامةِ عنـدَ ربِّـكُم** ﴾ عند مـالك أموركم ﴿ **تخْتَصِمُونَ** ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلَّغتهم ما أرسلت به ، واجتهدت في الدعوة إلى الحق وهم قد لجُّوا في المكابرة والعناد .


الجزء الرابع والعشرون — سورة الزمر

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٤٦٢

(الجزء ٢٤ الحزب ٤٧)

[٣٢] ﴿ فمَنْ أظلَمُ مِمَّنَ كذَبَ على اللَّهِ ﴾ أي افترى عليه بنسبة الشريك والولد ﴿ وكذَّبَ بالصِّدْقِ ﴾ بالأمر الذي هو عين الحق ﴿ إذْ جاءَهُ ﴾ أي حضر عنده دليله وبرهانه ، فرفضه وردَّه على قائله ﴿ أليْسَ في جهنَّمَ مثْوىً للكافِرينَ ﴾ أي لهؤلاء الذين افتروْا على الله سبحانه ، وسارعوا إلى التكذيب بالحق ؟

[٣٣] ﴿ والذي جاءَ بالصِّدْقِ وصدَّقَ بِهِ ﴾ أي جاء بدليل التوحيد وآمن به فلم يعتد بشبهة تقابله ، يعني النبي ﷺ ومن تبعه ﴿ أولئكَ هُمُ المتَّقُونَ ﴾ الموصوفون بالتقوى التي هي أجلُّ الرغائب ، ولذا كان جزاؤهم أن يقيهم اللّهُ ما يكرهون . [قال مجاهد وقتادة رحمهما الله : ﴿ الذي جاء بالصدق ﴾ هو الرسول ﷺ . وقال السديّ رحمه الله : هو جبريل عليه السلام ﴿ وصدق به ﴾ يعني محمداً ﷺ . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من جاء بلا إله إلا الله ﴿ وصدّق به ﴾ يعني رسول الله ﷺ . وقيل : أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون : هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا . وهذا القول يشمل كل المؤمنين ـ ابن كثير] .

[٣٤] ﴿ لهُمْ ما يَشاؤُونَ عندَ ربِّهم ، ذلكَ جزاءُ المُحْسِنِين ﴾ الذين أحسنوا أعمالهم وأصلحوها .

[٣٥] ﴿ ليُكفِّرَ اللَّهُ عنهُم أسوأَ الذي عَمِلُوا ﴾ [قال ابن جرير: في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها] ﴿ ويَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بأحسَنِ الذي كانوا يعمَلُونَ ﴾ [أي : بأحسن الذي كانوا يقومون به] .

[٣٦] ﴿ أليْسَ اللَّهُ بكافٍ عبْدَهُ ﴾ أي نبيه ﷺ أن يعصمه من كل سوء ، ويدفع عنه كلَّ بلاء في مواطن الخوف ﴿ ويخوِّفُونَكَ بالذينَ منْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان التي عبدوها من دونه تعالى . وهذه تسلية له ﷺ عما قالت له قريش : إنا نخاف أن تخبلك آلهتُنا ويصيبك مضرَّتُها لعيْبك إياها ﴿ ومن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ ومن غفل عن كفايته تعالى وعصمته له ﷺ ، وخوّفه بما لا ينفع ولا يضر أصلاً ﴿ فما لهُ منْ هادٍ ﴾ .

[٣٧] ﴿ ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ فما لهُ من مُضِلٍّ ﴾ يصرفه عن مقصده ، أو يصيبه بسوء يخلُّ بسلوكه ، إذ لا رادَّ لفضله ولا معقِّب لحكمه ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بعزيزٍ ذي انتِقام ﴾ أي ينتقم من أعدائه لأوليائه .

[٣٨] ﴿ ولئِنْ سألتَهُم مَنْ خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ ليقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لما تقرر في الفطر والعقول من استيقان ذلك ولوضوح الدليل عليه ﴿ قُلْ ﴾ تبكيتاً لهم : ﴿ أفرأيتُم ما تدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ إنْ أرادنيَ اللَّهُ بضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أوْ أرادَنِي برحمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رحمَتِهِ ﴾ أي نفعه وخيره ، كلاّ ، فإنها لا تضرُّ ولا تنفع ﴿ قُلْ حسْبِيَ اللَّهُ عليْهِ يتوكَّلُ المُتوَكِّلُونَ ﴾ في جميع أمورهم ، لا على غيره .

[٣٩] ﴿ قُلْ يا قومِ اعمَلُوا على مكانَتِكُم ﴾ على حالتكم التي أنتم عليها ، من العداوة ومناصبة الحق ﴿ إنِّي عامِلٌ ﴾ على مكانتي ﴿ فسَوْفَ تعلَمُونَ ﴾ .

[٤٠] ﴿ مَنْ يأتِيهِ عذابٌ يُخْزِيهِ ويَحِلُّ عليهِ عذابٌ مُقيمٌ ﴾ دائم ، وقد أخزاهم الله يوم بدْر .

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿ إِنَّا أنزَلْنا عليكَ الكتابَ للناسِ بالحَقِّ ﴾ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه وافتقارهم إلى بيان مراشدهم ﴿ فمَنِ اهْتَدى ﴾ بدلائله ﴿ فلنفْسِهِ ومن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها ، وما أنتَ عليهم بوَكِيلٍ ﴾ أي لتجبرهم على الهدى ، إذْ ما عليك إلا البلاغ .

[٤٢] ﴿ اللَّه يتوَفَّى الأنفُسَ حينَ مَوْتِها ﴾ حين مفارقتها لأبدانها ، بإبطال تصرُّفها فيها بالكلِّيَّة ﴿ والتي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها ﴾ ويتوفى التي لم يحن موتها في منامها ، بإبطال تصرُّفها بالحواس الظاهرة ﴿ فيُمْسِكُ التي قضى عليها المَوْتَ ﴾ فلا يردُّها إلى بدنها إلى يوم القيامة ﴿ ويرسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسمًّى ﴾ وهو نوم آخر أو موت في وقت محدد ، [وفيه دلالة على أن الأنفس تجتمع في الملأ الأعلى، كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى ان تتعارف ـ ابن كثير]. ﴿إنَّ في ذلكَ﴾ فيما ذكر من التوفي على الوجهين ﴿لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرُونَ﴾ في كيفية تعلُّقها بالأبدان، وتوفيها عنها.

[٤٣] ﴿أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قُلْ أَوَلَوْ كانُوا لا يملِكُونَ شيئاً ولا يعقِلُونَ﴾ قال ابن كثير إن هذه الآية ذم [للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان ، وهي لا تملك شيئاً من الأمر ، وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوانات بكثير] .

[٤٤] ﴿قُلْ للَّهِ الشَّفاعةُ جميعاً﴾ هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعةً ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذوناً له، وكلاهما مفقود ههنا ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ، ثم إليهِ تُرجَعُونَ﴾ .

[٤٥] ﴿وإذا ذُكِرَ اللَّهُ وحدَهُ اشمأَزَّتْ قلوبُ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَة﴾ والاشمئزاز: أن يمتلىء غمّاً حتى ينقبض أديم وجهه ﴿وإذا ذُكِرَ الذين من دُونِهِ﴾ أي فرادى، أو مع ذكر الله تعالى ﴿إذا هُمْ يستَبْشِرُونَ﴾ الاستبشار: أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه.

[٤٦] ﴿قلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّمٰواتِ والأرضِ عالِمَ الغيْبِ والشهادةِ أنتَ تحكُمُ بين عبادِكَ فِيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: التجىء إلى الله تعالى بالدعاء بأسمائه الحسنى وقل: أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم.

[٤٧] ﴿ ولوْ أنَّ للذينَ ظَلَمُوا ما في الأرضِ جميعاً ومثلَهُ معَهُ لافْتَدَوْا بِهِ منْ سوءِ العَذابِ يومَ القِيامَةِ ﴾ ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبا ﴿ وبدا لهُم مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يكونُوا يحْتَسِبُونَ ﴾ أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ، قاله ابن كثير .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿ وبدا لهم سيِّئاتُ ما كسَبُوا وحاقَ بهِمْ ما كانوا بهِ يستهزِئُونَ ﴾ أي نزل بهم جزاؤه .

[٤٩] ﴿ فإذا مسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دعانا ثم إذا خوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا قال إنّما أُوتيتُهُ على عِلْمٍ ﴾ مني بوجوه الكسْب والتحصيل ﴿ بلْ هِيَ فِتنَةٌ ﴾ أي ابتلاء له ، أيشكر تلك النعمة ، فيصرفها فيما خُلقت له فيسعد، أو يكفرها فيشقى ﴿ ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلَمُونَ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قدْ قالَها الذينَ من قبْلِهِم ﴾ كما قال قارون ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ ﴿ فما أغنى عنهُم ما كانوا يكْسِبُون ﴾ فما دفع عنهم ما كسبوه بذلك العلم من متاع الدنيا .

[٥١] ﴿ فأصابَهُم سيِّئاتُ ما كسَبُوا والذين ظلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ ﴾ أي من المخاطبين ﴿ سيُصِيبُهُم سيِّئاتُ ما كسَبُوا ﴾ أي كما أصاب أولئك ﴿ وما هُم بمُعْجِزينَ ﴾ .

ربع الحزب ٤٧

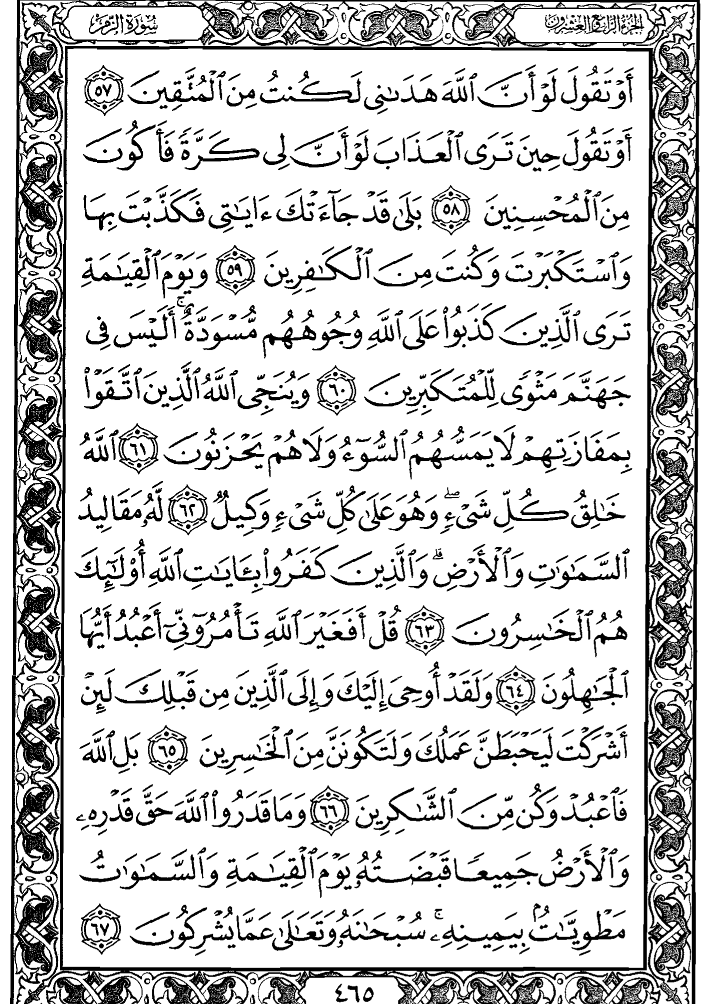
[٥٢] ﴿ أولَمْ يعلَمُوا أنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمن يَشاءُ ويقدِرُ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بأنَّ الكل منه سبحانه ، ومن آياته في ذلك أنه تعالى قويٌّ بذاته ، له تقوية من يشاء وتضعيف من يشاء .

[٥٣] ﴿ قُلْ يا عبادِيَ الذينَ أسْرَفُوا على أنفُسِهم ﴾ أي جنَوْا عليها بالإسراف في المعاصي والكفر ﴿ لا تقْنَطُوا ﴾ قرىء بفتح النون وكسرها ﴿ مِنْ رحمَةِ اللَّهِ ﴾ لا تيأسوا من مغفرته بفعل سبب يمحو أثر الإسراف ﴿ إنّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً ﴾ لمن تاب وآمن ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ﴿ إنَّهُ هوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ، ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله ، فيغفر لهم) ذكره ابن كثير. [قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في أهل مكة قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ! فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهاً آخر ، وقتلنا النفس التي حرم الله ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا ، فكنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صَرفاً ولا عَدلاً أبداً . قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب وعذبوا به . فنزلت هذه الآيات . وكان عمر رضي الله عنه كاتباً فكتبها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وأولئك النفر فأسلموا وهاجروا رضي الله عنهم ـ النيسابوري] . .

[٥٤] ﴿ وأنِيبُوا إلى ربِّكُم ﴾ توبوا إليه ﴿ وأسْلِمُوا لَهُ ﴾ واستسلموا وانقادوا له ، وذلك بعبادته وحده وطاعته وحده بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ﴿ مِنْ قَبْلِ أن يأتِيَكُمُ العذابُ ثمّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ واتّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنزِلَ إليكم من ربِّكُم من قبْلِ أن يأتِيَكُمُ العذابُ بغتَةً وأنتُم لا تَشعُرُونَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ أنْ تقولَ نفْسٌ يا حَسْرَتى على ما فرَّطْتُ ﴾ أي قصّرت ﴿ في جَنْبِ اللَّهِ ﴾ في جانب أمره ونهيه ، إذ لم أتبع أحسن ما أنزل ﴿ وإنْ كنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ المستهزئين بمن يتبع الأحسن .



[٥٧] ﴿ أو تقولَ لوْ أنَّ اللَّهَ هداني ﴾ للإسلام ﴿ لَكُنْتُ من المُتَّقِين ﴾ من هذا الكفر ، أي تقول هذا النوع من التحسُّر والتعلل بما لا يجدي .

[٥٨] ﴿ أوْ تقولَ حينَ ترى العذابَ لو أنَّ لِي كَرَّةً ﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿ فأكُونَ من المُحْسِنِينَ ﴾ في الإيمان والعمل الصالح .

[٥٩] ﴿ بلَى قدْ جاءَتْكَ آياتي فكذَّبْتَ بِها واستكبَرْتَ وكنتَ من الكافِرِينَ ﴾ .

[٦٠] ﴿ ويومَ القِيامةِ ترى ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿ الذينَ كَذَبوا على اللَّهِ ﴾ بنسبة ما يستحيل عليه من الولد والشريك ، وتجويز ما يمتنع عليه من رضاه بما هم عليه ، وأمره لهم ، وغير ذلك من إفكهم ﴿ وجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ ﴾ لما ينالهم من الشِّدَّة التي تغير ألوانهم ، فالسواد حقيقي ، أو لما يلحقهم من الكآبة ، فالسواد مجاز بالاستعارة ﴿ أليسَ في جهنَّمَ مثْوىً للمُتكبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان والهدى ؟

[٦١] ﴿ ويُنجِّي اللَّهُ الذين اتَّقَوْا بمفازَتِهِم ﴾ بفوزهم وفلاحهم لإتيانهم بأسباب الفوز من الاعتقادات المبنيَّة على الدلائل والأعمال الصالحة ﴿ لا يَمَسُّهمُ السُّوءُ ولا هُمْ يحزَنُونَ ﴾ .

[٦٢] ﴿ اللَّهُ خالِقُ كلِّ شيءٍ وهوَ على كلِّ شيءٍ وكِيلٌ ﴾ يتولى التصرُّف فيه كيف شاء .

[٦٣] ﴿ لهُ مقاليدُ السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ هو وحده يملك أمرها وخزائن غيوبها وأبواب خيرها وبركتها ﴿ والذينَ كفرُوا بآياتِ اللَّهِ أولئكَ هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ .

[٦٤] ﴿ قلْ أفغَيْرَ اللَّهِ تأمُرُونِّي أعبدُ أيُّها الجاهِلُونَ ﴾ .

[٦٥] ﴿ ولقدْ أوحِيَ إليكَ وإلى الذينَ من قبلِكَ لئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ ولتكونَنَّ منَ الخاسِرِينَ ﴾ .

[٦٦] ﴿ بلِ اللَّهَ فاعبُدْ وكُنْ من الشَّاكِرِينَ ﴾ الصارفين ما أنعم به عليهم ، إلى ما خلق لأجله .

[٦٧] ﴿ وما قَدَرُوا اللَّهَ حقَّ قدْرِهِ ﴾ ما قدروا عظمته تعالى حق عظمته ، ولا عرفوا جلاله حق معرفته ، حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة[قال ابن عباس : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدّر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره ـ ابن جرير] ﴿ والأرضُ جميعاً قبضَتُهُ يومَ القِيامَةِ ، والسَّمٰواتُ مطويَّاتٌ بيمِينِهِ ﴾ فإن تبديل الأرض غير الأرض ، وطي السموات كطي السجل ، أهون شيء عليه . وفي القبضة واليمين مذهبان معروفان ، مذهب السلف : وهو إثبات ذلك من غير تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الكريم عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل ، والمذهب الثاني : القولُ بأن ذلك من المجاز المعروف نظيره في كلام العرب ، وأن الإطلاق لا ينحصر في الحقيقة ﴿ سبحانَهُ وتعالى عمّا يُشرِكُونَ ﴾ [عن عبد الله ـ ابن مسعود ـ قال : أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم بلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع ثم يقول : أنا الملك ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه . فأنزل الله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ـ النيسابوري] .

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

[٦٨] ﴿ ونُفِخَ في الصُّورِ فصَعِقَ ﴾ فهلك ﴿ مَنْ في السَّمٰواتِ ومن في الأرضِ إلّا منْ شاءَ اللّهُ ﴾ من خواصِّ الملائكة ، أو من الشهداء ﴿ ثم نُفِخَ فيهِ أُخْرى فإذا هُم قيامٌ يَنظُرُونَ ﴾ أي وقوفٌ يقلِّبون أبصارهم دهشةً وحيرة ، أو ينتظرون ما يحل بهم .

[٦٩] ﴿ وأشْرقتِ الأرضُ بنُورِ ربِّها ﴾ لأنه يتجلّى لهم سبحانه لإقامة العدل والجزاء ﴿ ووُضِعَ الكِتابُ ﴾ عُرِضت كتب الأعمال على أهلها ليقرأ كل واحد عملَه في صحيفته . أو ﴿ الكتاب ﴾ مجاز عن الحساب وما يترتب عليه من الجزاء ﴿ وجِيءَ بالنبيِّينَ والشهداءِ ﴾ أي الذين يشهدون للأمم وعليهم ، من الحفَظة والأخيار المطَّلعين على أحوالهم ، أي أحضروا الشهادة لهم أو عليهم لاطِّلاعهم على أحوالهم ، وجوَّز إرادة المستشهدين في سبيل الله تعالى ، تنويهاً بشأنهم ، وترفيعاً لقدرهم ، بضمِّهم إلى النبيين في الموقف ﴿ وقُضِيَ بينَهُم بالحَقِّ ، وهُمْ لا يُظلَمُون ﴾ فتوزن أعمالهم بميزان العدل ، ويوفَّوْن جزاء أعمالهم ، لا ينقص منها شيء .

[٧٠] ﴿ ووُفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عمِلَتْ ، وهو أعلَمُ بما يَفْعَلُونَ ﴾ . [قال ابن جرير: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة فمثيب المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء].

[٧١] ﴿ وسِيقَ الذينَ كفرُوا إلى جهنَّمَ زُمَراً ﴾ أفواجاً متفرقة بعضها في أثر بعض ، على تفاوت ضلالهم وغيِّهم رعاية للعدل في التقديم والتأخير ﴿ حتى إذا جاؤُوها فُتِحَتْ أبْوابُها ﴾ ليدخلوها ، ولكل فريق باب ﴿ وقالَ لهُم خزنَتُها ﴾ الموكلون بتعذيبهم : ﴿ ألَمْ يأتِكُم رُسُلٌ منْكُم ﴾ من جنسكم تعرفون صدْقَهم وأمانتهم ﴿ يتلُونَ عليكم آياتِ ربِّكُم ويُنذِرونَكُم لِقاءَ يومِكُم هذا ﴾ أي وقتكم أو يوم القيامة ، حرصاً على صلاحكم وهدايتكم ؟ ﴿ قالوا بلى ولكنْ حَقَّتْ ﴾ وجبت ﴿ كَلِمَةُ العذابِ على الكافِرينَ ﴾ أي حكمه عليهم بالشقاوة ، وأنهم من أهل النار .

[٧٢] ﴿ قِيل ادخُلُوا أبْوابَ جهنَّمَ خالِدينَ فيها ، فبِئْسَ مثْوَى المُتكَبِّرينَ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وسِيقَ الذينَ اتَّقَوْا ربَّهُم إلى الجنَّةِ ﴾ مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة ﴿ زُمَراً ﴾ متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل ﴿ حتَّى إذا جاؤُوها وفُتِحَتْ أبوابُها وقال لهُم خزنَتُها سلامٌ عليكُم طِبْتُم ﴾ من دنس المعاصي ، وطهرتم من خبث الخطايا ﴿ فادْخُلُوها خالِدينَ ﴾ [وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ : (أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ـ الجنابذ : ما ارتفع من الأرض وغيرها والمراد عقود اللؤلؤ ـ وإذا ترابها المسك) ـ ابن كثير] .

[٧٤] ﴿ وقالوا الحمدُ للّهِ الذي صدَقَنا وعدَهُ ﴾ بإيصالنا إلى ما وعدنا وأنبأنا عنه على ألسنة رسله ﴿ وأوْرَثَنا الأرضَ ﴾ أي أرض الآخرة . شبَّه نيلهم بأعمالهم لها ، بإرثهم من آبائهم ، فكأنَّ الأعمال آباؤهم ، كما يقال : « الصدق يورث النجاة » ﴿ نتبوَّأُ من الجنَّةِ حيثُ نَشاءُ ﴾ يتبوأ كلٌّ من جنته الواسعة ، أيَّ مكان أراده ﴿ فنِعْمَ أجْرُ العامِلينَ ﴾ الذين عمِلوا بما علِموا .

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِر — ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[٧٥] ﴿ **وترى الملائكةَ حافّينَ من حولِ العَرْشِ** ﴾ أي الملائكة السماوية حافّين في جنّة الفردوس حول عرش الرحمن ، محدقين به ﴿ **يُسبِّحُونَ بحمْدِ ربِّهم ، وقُضِيَ بينَهُم** ﴾ بين الخلائق ﴿ **بالحقِّ** ﴾ بالعدل ﴿ **وقيلَ الحمدُ للّهِ ربِّ العالَمِينَ** ﴾ القائل إما الحقُّ جلَّ جلاله ، أو الملائكة الحافُّون ، أو المؤمنون ممن قضي بينهم ، أو الكلُّ .

نصف الحزب ٤٧

[سورة غافر]

وسميت « المؤمن » لاشتمالها على كلمات مؤمن آل فرعون ، المتضمنة دلائل النبوّة ورفع الشُّبه عنها ، والمواعظ والنصائح وسلامته عن أعدائه ، وعما أُخذوا به . وتسمى « غافر » و « سورة الطَّوْل » وهي مكية . وعدد آياتها خمس وثمانون آية .

[١] ﴿ **حمٓ** ﴾ الكلام في مفتتح هذه السورة وتاليه ، كالذي سلف في ﴿ ألٓم ﴾ «السجدة» .

[٢] ﴿ **تنزيلُ الكتابِ من اللّهِ العزيزِ العليم** ﴾ .

[٣] ﴿ **غافرِ الذَّنبِ وقابلِ التَّوْبِ** ﴾ [عن أبي إسحق قال : جاء رجل إلى عمر فقال : إني قتلت فهل لي من توبة؟ قال اعمل ولا تيأس، ثم قرأ ﴿حم* تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم* غافر الذنب وقابل التوب﴾ ـ ابن جرير] ﴿ **شديدِ العقابِ ذِي الطَّوْلِ** ﴾ ذي المنّ والفضل ﴿ **لا إلهَ إلاّ هوَ إليهِ المصيرُ** ﴾ إليه المرجع والجزاء .

[٤] ﴿ **ما يُجادِلُ في آياتِ اللّهِ إلاّ الذينَ كفَروا** ﴾ ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها ، إلا الذين جحدوا توحيده . والمراد الجدال بالباطل ، فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقارحة أهل العلم في استنباط معانيها ، ورد أهل الزيغ بها وعنها ، فأعظم جهاد في سبيل الله ﴿ **فلا يغرُرْكَ تقلُّبُهُم في البِلادِ** ﴾ للتجارات وتمتعهم بالتجوال والترداد ، فمآلهم إلى الزوال والنفاد .

[٥] ﴿ **كذَّبَتْ قبلَهُم قومُ نوحٍ والأحزابُ** ﴾ الذين تحزّبوا على الرسل وناصبوهم ﴿ **مِن بعدِهِم** ﴾ من بعد سماع أخبارهم ومشاهدة آثارهم ﴿ **وهمَّتْ كلُّ أمّةٍ برسولِهِم ليأخُذُوهُ** ﴾ ليتمكنوا منه ، ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل . والأخيذ : الأسير ﴿ **وجادَلُوا بالباطِلِ** ﴾ قابلوا حجج الرسل بالباطل من جدالهم ﴿ **لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ** ﴾ ليزيلوا به الأمر الثابت بالحجة الصحيحة ﴿ **فأخذْتُهُم** ﴾ بالعذاب الدنيويِّ المعروف أخباره ، المشهود آثارُه ﴿ **فكيفَ كانَ عِقابِ** ﴾ في هذه الدار ، ولعذاب الآخرة أشد .

[٦] ﴿ **وكذلكَ حَقَّتْ كلمةُ ربِّكَ على الذينَ كَفَرُوا أنَّهُم أصحابُ النّارِ** ﴾ وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها ، يا محمد ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك الذين يجادلون في آيات الله ، لأنهم أصحاب النار .

[٧] ﴿ **الذينَ يحمِلُونَ العرْشَ** ﴾ من الملائكة ﴿ **ومَنْ حولَهُ** ﴾ يعني الملائكة المقرَّبين ﴿ **يسبِّحُونَ بحمْدِ ربِّهِم ويؤْمِنُونَ بِهِ ويستغفِرُونَ للذين آمَنُوا ربَّنا** ﴾ أي يقولون : ربنا ﴿ **وسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلماً** ﴾ شملت رحمتك وأحاط بالكل علمُك ﴿ **فاغفِرْ للذين تابُوا واتَّبَعُوا سبيلَكَ** ﴾ أي صراطك المستقيم بمتابعة نبيِّك في الأقوال والأعمال والأحوال ﴿ **وقِهِمْ عذابَ الجَحِيمِ** ﴾ .

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿ ربَّنا وأَدْخِلْهُم جناتِ عدْنٍ التي وعدتَهُم ومَن صلَحَ مِنْ آبائِهِم وأزْواجِهِم وذُرِّيَّاتِهِم ﴾ من عمل صالحاً منهم ليتم سرورهم بهم [قال ابن جرير: وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه] ﴿ إنَّكَ أنْتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾.

[٩] ﴿ وقِهِمُ السَّيِّئاتِ ﴾ عقوبَتَها وجزاءَها ﴿ ومَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فقدْ رحِمْتَهُ وذلك هُوَ الفوزُ العظيمُ ﴾.

[١٠] ﴿ إنَّ الذينَ كفرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أكبَرُ مِن مَقْتِكُم أنفُسَكُم ﴾ لَبُغْضه الشديد لكم، أعظم من بغض بعضكم لبعض، وتبرؤ كل من الآخر ولعنه حين تُعَذَّبون، أو أعظم من مقتكم أنفسَكم ﴿ إذ تُدْعَوْنَ إلى الإيمانِ فتكفُرُونَ ﴾ تدعون على ألسنة الرسل عليهم السلام، إلى الإيمان به سبحانه، فتكفرون كِبْراً وعتوّاً.

[١١] ﴿ قالوا ربَّنا أمَتَّنا اثنَتَيْنِ وأحيَيْتَنا اثنَتَيْنِ ﴾ أنشأتنا أمواتاً مرتين، وأحييتنا في النشأتين. قال قتادة: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لابد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان ﴿ فاعترَفْنا بذنوبِنا ﴾ فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا، وذلك عند وقوع العقاب المرتب عليها، وامتناع المحيص عنه ﴿ فَهَلْ إلى خُروجٍ من سَبيلٍ ﴾ فهل إلى خروجنا من النار، من سبيل، لنرجع إلى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل؟

[١٢] ﴿ ذلكُم ﴾ الذي أنتم فيه من العذاب، وأنْ لا سبيل إلى خروج قط ﴿ بأنَّهُ إذا دُعِيَ اللَّهُ وحدَهُ كفرتُم، وإنْ يُشرَكْ بِهِ تؤْمِنُوا ﴾ أي بسبب إنكاركم أن الألوهية له خالصة، وإيمانكم بالشرك ﴿ فَالحُكْمُ للَّهِ العليِّ الكبيرِ ﴾ فالقضاء له وحده لا للغير.

[١٣] ﴿ هوَ الذي يُريكُمْ آياتِهِ ﴾ من الريح والسَّحاب والرعد والبرْق والصواعق ونحوها ﴿ ويُنزِّلُ لكُم من السَّماءِ رِزْقاً ﴾ أي مطراً، فهو سبب حياة كل شيء ﴿ وما يتذكَّرُ إلاّ من يُنيبُ ﴾ وما يتعظ بآياته تعالى إلا من يرجع إليه بالتوبة والإنابة.

[١٤] ﴿ فادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ ﴾ فاعبدوه مخلصين له الدين عن شوْب الشرك ﴿ ولَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ ﴾ ولو غاظهم ذلك.

[١٥] ﴿ رفيعُ الدَّرجاتِ ﴾ رفيع درجات عرشه، وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش، وهي دليل على عزّته وملكوته، أو هو عبارة عن رفعة شأنه وعلوِّ سلطانه وكمالاته غير المتناهية ﴿ ذو العرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ أي الوحيَ والعلم اللدنيّ الذي تحيا به القلوب الميتة ﴿ مِن أمْرِهِ على مَن يَشاءُ مِن عبادِهِ ﴾ هم أهل عنايته الأزلية واختصاصه للرسالة والنبوّة ﴿ لِيُنذرَ يومَ التَّلاقِ ﴾ يوم القيامة الكبرى، الذي يتلاقى فيه العبد بربه ليحاسبه على أعماله، أو تلاقي العباد.

[١٦] ﴿ يومَ هُم بارِزُونَ ﴾ من قبورهم، أو ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو بناء ﴿ لا يخْفَى على اللَّهِ منهُمْ شيْءٌ ﴾ من أعمالهم وأعيانهم وأحوالهم ﴿ لِمَنِ المُلْكُ اليومَ ﴾ ينادي به الحق سبحانه عند فناء الكل، أو وقت التلاقي والبروز، فيجيب هو وحدَه: ﴿ لِلَّهِ الواحِدِ ﴾ المتفرِّد بالمُلْك ﴿ القَهَّارِ ﴾ الذي قهر بالغلبة كلَّ ما سواه.

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿ **اليومَ تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسَبَتْ ، لا ظُلْمَ اليومَ ، إنَّ اللَّهَ سريعُ الحِسابِ** ﴾ بإيصال ما يستحق كل منهم إليه ، من تبعات سيئاته وثمرات حسناته . [ثبت في صحيح مسلم رحمه الله : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ـ إلى أن قال ـ يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ـ ابن كثير] .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

[١٨] ﴿ **وأَنْذِرْهُم يومَ الآزِفَةِ** ﴾ الواقعة القريبة ﴿ **إذِ القُلُوبُ لدى الحناجِرِ** ﴾ من أهواله ترتفع القلوب عن مقارها ، فتصير لدى الحلقوم ﴿ **كاظِمِينَ** ﴾ ممتلئين غماً بما أفرطوا من الظلم ﴿ **ما للظَّالِمينَ من حَميمٍ** ﴾ قريب يهتم لشأنهم فيخفف عنهم غمومهم ﴿ **ولا شَفِيعٍ يُطاعُ** ﴾ ولا من يشفع في تخفيفها عنهم ، إذ لا تُقبل شفاعة منهم .

[١٩] ﴿ **يعلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ** ﴾ أي نظراتها الخائنة ، وهي الممتدة إلى ما لا يحلّ ﴿ **وما تُخْفِي الصُّدورُ** ﴾ وما تكنُّه من الضمائر والأسرار . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ : هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غض بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غض ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه ، ود لو اطلع على فرجها ـ ابن كثير] .

[٢٠] ﴿ **واللَّهُ يقضِي بالحَقِّ** ﴾ بالعدل ﴿ **والذينَ يدعُونَ من دونِهِ لا يقضُونَ بشيءٍ** ﴾ لأنهم لا يقدرون على شيء ﴿ **إنّ اللَّهَ هُوَ السَّميعُ البَصِيرُ** ﴾ .

[٢١] ﴿ **أوَلَمْ يَسيرُوا في الأرضِ فيَنْظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبةُ الذينَ كانوا من قبْلِهِم ، كانوا هم أشَدَّ منهُم قوَّةً وآثاراً في الأرضِ** ﴾ يعني حصونهم وقصورهم وعددهم ﴿ **فأخَذهُمُ اللَّهُ بذنوبِهِم وما كان لهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ** ﴾ .

[٢٢] ﴿ **ذلك بأنَّهُم كانتْ تأْتيهِم رُسُلُهُم بالبيِّناتِ فكفَرُوا ، فأخَذَهُمُ اللَّهُ ، إنَّهُ قَوِيٌّ شديدُ العقابِ** ﴾ .

[٢٣] ﴿ **ولقدْ أرْسَلْنا موسى بآياتِنا وسُلطانٍ مُبينٍ** ﴾ .

[٢٤] ﴿ **إلى فِرْعَوْنَ** ﴾ وهو ملك القبط بالديار المصرية ﴿ **وهامانَ** ﴾ وهو وزيره في مملكته ﴿ **وقارونَ** ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالاً وتجارة ﴿ **فقالوا ساحِرٌ كذَّابٌ** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **فلمّا جاءَهُم بالحَقِّ من عِنْدِنا** ﴾ بآيات نبوّته ﴿ **قالوا اقتُلُوا أَبناءَ الذينَ آمَنُوا معَهُ واستحْيُوا نساءَهُم** ﴾ أعيدوا عليهم القتلَ كالذي كان أوّلاً [لأجل الاحتراز من وجود موسى ، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم ، أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر ـ بالقتل ـ الثاني فلإهانة هذا الشعب ، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام] ، واستبقوا نساءَهم للخدمة ﴿ **وما كَيْدُ الكافرينَ إلاّ في ضَلالٍ** ﴾ وما مكرهم في دفع ما أراد الله من ظهور دينه إلا في ضياع .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿ وقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُوني أقتُلْ موسى وليَدْعُ ربَّهُ إنِّي أخافُ أن يبدِّلَ دينَكُم ﴾ أي ما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿ أوْ أنْ يُظهِرَ في الأرضِ الفسادَ ﴾ أي فساد مملكتي ، إذ يتفق الكل على متابعته وإجراء أحكامه .

[٢٧] ﴿ وقال موسى إنِّي عُذْتُ بربِّي وربِّكُم مِنْ كُلِّ متكبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بيومِ الحِسابِ ﴾ التجأت إليه وتوكّلْتُ عليه ، فهو ناصر دينَه ومعزٌّ أهلَه . [جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : (اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم ، وندرأ بك في نحورهم) ـ ابن كثير] .

[٢٨] ﴿ وقالَ رجُلٌ مؤمِنٌ من آلِ فِرْعَوْنَ يكتُمُ إيمانَهُ ﴾ خوفاً من فرعون وملئه : ﴿ أتَقْتُلُونَ رجُلاً أنْ يقولَ ربِّيَ اللّهُ وقَدْ جاءَكُمْ بالبيِّناتِ من ربِّكُم ﴾ معناه البيِّنات العظيمة التي شهدتموها وعرفتموها على ذلك ﴿ وإنْ يَكُ كاذِباً فعليهِ كذِبُه وإنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُم بعضُ الذي يعِدُكُم ﴾ من عذاب الدنيا إن تعرَّضتم له ﴿ إنَّ اللّهَ لا يَهْدي مَنْ هوَ مُسْرِفٌ كذَّابٌ ﴾ إن كان مسرفاً كذاباً ، خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر ، فتتخلَّصون منه ، وأنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوَّة ، ولما عضده بالبينات . [المشهور أن هذا الرجل كان قبطياً من آل فرعون ، قال السديّ : كان ابن عم فرعون . واختاره ابن جرير . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال ﴿ يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ ـ ابن كثير] .

[٢٩] ﴿ يا قوم لكُمُ المُلْكُ اليومَ ظاهِرينَ في الأرضِ ﴾ عالين وقاهرين ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ، ولا تعرِّضونا لعذابه تعالى ﴿ فمنْ ينصُرُنا من بأسِ اللّهِ إنْ جاءَنا ﴾ [قال ابن جرير: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا ، وعقوبته إن جاءتنا] ﴿ قال فِرْعَوْنُ ما أريكُم إلاَّ ما أرَى ﴾ ما أشير عليكم إلا ما أستصوبه من قتله ﴿ وما أَهْدِيكُم ﴾ إذ أقترح عليكم قتله ﴿ إلاّ سبيلَ الرشادِ ﴾ وهو دفع تبدُّل دينكم وإظهار الفساد في الأرض بإظهار أحكامه .

[٣٠] ﴿ وقال الذي آمَنَ يا قوْمِ إنِّي أخافُ عليكُم ﴾ من قتْله ﴿ مثلَ يومِ الأَحْزابِ ﴾ الطوائف الهالكة بالتكذيب .

[٣١] ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قوم نُوحٍ ﴾ أي مثل جزائهم من الغرق ﴿ وعادٍ ﴾ من الريح العقيم ﴿ وثَمُودَ ﴾ من الصيحة ﴿ والذينَ مِنْ بعدِهِم ﴾ من الأمم المكذِّبة ، مما يدل على أن الهلاك سنة مستمرَّة لأهل التكذيب ، إذ لم يكن لهم ذنب آخر يوجبه ﴿ ومَا اللّهُ يُريدُ ظُلْماً للعِباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب .

[٣٢] ﴿ ويا قَوْمِ إنِّي أخافُ عليكُم يومَ التَّنادِ ﴾ يعني يوم القيامة ، أي عذابَه . [قال ابن جرير: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم، وإما لتذكير بعضهم بعضاً إنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه] .

[٣٣] ﴿ يومَ تُولُّونَ مُدْبِرينَ ﴾ ذاهبين فراراً من الفزع الأكبر ﴿ ما لكُم منَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ ﴾ يمنعكم من عذابه ، لتقرر الحجة عليكم ﴿ ومَنْ يُضْلِلِ اللّهُ ﴾ بزيغه عن صراط ربه ﴿ فما لَهُ مِنْ هادٍ ﴾ ما له من حجة ولا مرشد إلى النجاة .

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿ **ولقدْ جاءَكُم يوسُفُ من قَبْلُ بالبيِّناتِ** ﴾ من قبل مجيء موسى بالحجج البيّنة والبراهين النيّرة على وجوب عبادته تعالى وحده ﴿ **فما زِلْتُم في شَكٍّ مما جاءَكُم بِهِ** ﴾ مع ظهور استقامته الكافية في الدلالة على صحة ما جاءكم به ، فلم يزل يقررها ﴿ **حتَّى إذا هلَكَ** ﴾ مات ﴿ **قُلْتُم لنْ يَبْعَثَ اللَّهُ من بعدِهِ رسولاً** ﴾ فقطعتم من عند أنفسكم بعدم إرسال الله لرسول مع الشك في إرسال من أعطاه البيّنات ، من فرط ضلالكم ﴿ **كذلك يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ** ﴾ في التشكيك عند ظهور البراهين القطعية ﴿ **مُرْتابٌ** ﴾ شاكٌّ مع ظهور لوائح اليقين .

[٣٥] ﴿ **الذين يُجادِلُونَ في آياتِ اللَّهِ بغيرِ سُلطانٍ أتاهُم** ﴾ بغير برهان أو بغير علم . [قال ابن جرير : بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتْهُم بها الرسل] ﴿ **كبُر مَقْتاً عندَ اللَّهِ وعندَ الذينَ آمنُوا** ﴾ [كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتاً عند الله ﴿وعند الذين آمنوا﴾ بالله] ﴿ **كذلك يَطبَعُ اللَّهُ على كلِّ قلْبِ متكبِّرٍ جبَّارٍ** ﴾ بطِرٌ للحق لا يقبل الحجّة ، جبّار في المجادلة [قال ابن جرير: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدِّق رسله] . [قال قتادة رحمه الله : آية الجبابرة القتل بغير حق ـ ابن كثير] .

[٣٦] ﴿ **وقال فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً** ﴾ قصراً عالياً ظاهراً لكل أحد ﴿ **لعلِّي أبلُغُ الأسْبابَ** ﴾ [قال سعيد بن جبير رحمه الله : أبواب السموات . وقيل : طرق السموات ـ ابن كثير. قال ابن جرير: السبب هو كل ما تُسَبَّبَ به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلّم . وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسبب بها إلى رؤية إله موسى ، طرقاً كانت تلك الأسباب منها أو أبواباً ، أو منازل ، أو غير ذلك] .

[٣٧] ﴿ **أسبابَ السَّمٰواتِ** ﴾ أي طرقها ﴿ **فأطَّلِعَ إلى إلهِ موسى** ﴾ لأسأله عن إرساله ، أو لأقف على كنهه ﴿ **وإنِّي لأظنُّهُ كاذِباً** ﴾ أي لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي ، من أن له في السماء ربّاً أرسله إلينا ﴿ **وكذلكَ زُيِّنَ لِفرْعَوْنَ سوءُ عملِهِ وصُدَّ عَنِ السَّبيلِ** ﴾ عن سبيل الرشاد لما طُبع على قلبه من كِبْره وتجبُّره وإسرافه وارتيابه ﴿ **وما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاّ في تَبابٍ** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : يعني إلا في خسار .

[٣٨] ﴿ **وقال الذي آمن يا قوم اتَّبِعُونِ أهْدِكُم سبيلَ الرَّشادِ** ﴾ طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه .

[٣٩] ﴿ **يا قوم إنّما هذه الحياةُ الدُّنيا مَتاعٌ** ﴾ تمتع يسير، لسرعة زوالها ﴿ **وإنَّ الآخرةَ** ﴾ التي يوصل إليها سبيلي ﴿ **هي دارُ القَرار** ﴾ هي دار الاستقرار والخلود .

[٤٠] ﴿ **مَنْ عَمِلَ سيِّئةً** ﴾ في هذه الحياة الدنيا ﴿ **فلا يُجْزَى إلا مِثْلَها** ﴾ في الآخرة ، إلا سيئة مثلها وذلك أنه يعاقبه بها ﴿ **ومن عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى وهوَ مُؤْمِنٌ فأولئك يَدخُلُون الجنّةَ يُرزَقُونَ فيها بغيرِ حِسابٍ** ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل ، بل أضعافاً مضاعفة [أي لا يتقدر بجزاء ، بل يثيبه الله عز وجل ثواباً كثيراً ، لا انقضاء له ولا نفاد ـ ابن كثير] .

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ
لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا
لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

الحزب ٤٨

[٤١] ﴿ **ويا قوم ما لي أدعُوكُم إلى النَّجاةِ وتدعونَني إلى النَّارِ** ﴾ .

[٤٢] ﴿ **تدعونَني لأكفُرَ بـاللَّهِ وأُشرِكَ بِهِ ما ليسَ لي بـهِ عِلمٌ** ﴾ إذ لا وجـود لـه ﴿ **وأنا أدعُـوكُم إلى العَزيزِ** ﴾ الغـالب الـذي يقهـر من عصـاه ﴿ **الغفّارِ** ﴾ الذي يستر ظلمات نفوس مَن أطاعه بأنواره .

[٤٣] ﴿ **لا جَرَمَ** ﴾ يجوز أن يكون لا جرم نظير لابدَّ من الجرم وهـو القطع ، ومعناه : لا انقطـاع لبطلان دعـوة الأصنـام ، بل هي باطلـة أبداً . قـال الفراء : لا جَـرَم كلمة كـانت في الأصل بمنزلة لا محالة ، ولابـد فجرت على ذلك وكثـــرت حتـى تحوَّلت إلى معنـى القسم ، وصارت بمنزلة حقاً ﴿ **أنَّ ما تدعونَني إليهِ ليسَ لهُ دعوةٌ في الدُّنيـا ولا في الآخِرَةِ** ﴾ فالـذي تدعونني إلى عبادته ليس لـه دعـوة في الـدنيـا لـدفع الشـدائد والأمـراض ونحوها ، ولا في الآخرة لدفع أهوالها . [قال مجاهد رحمه الله : الوثـن ليس له شيء . وقال قتـادة رحمه الله : يعني الوثن لا ينفع ولا يضر . وقال السدي رحمه الله : لا يجيب داعيـه لا في الدنيـا ولا في الآخـرة ـ ابن كثيـر] ﴿ **وأنَّ مَـرَدَّنا إلى اللَّـهِ ، وأنَّ المُسْرِفِينَ** ﴾ في الضلالـة والطغيان وسفْك الدماء ﴿ **هُم أصحابُ النّارِ** ﴾ .

[٤٤] ﴿ **فستذكُرونَ مـا أقولُ لكُم** ﴾ من النصح عنـد معاينة الأهوال وما يحيق بكم ﴿ **وأفوِّضُ أمْرِي إلى اللَّهِ** ﴾ وأسلِّم أمـري إليـه وأجعلـه لـه ، وأتـوكَّل عليـه ، فإنـه الكافي من توكَّل عليه ﴿ **إنَّ اللَّهَ بصيرٌ بالعِبادِ** ﴾ فيعلم المطيع منهم والعاصي ، ومن يستحق المثوبة والعقوبة .

[٤٥] ﴿ **فوقَاه اللَّهُ سيِّئاتِ ما مَكَرُوا** ﴾ فرفع الله عن هـذا المؤمن من آل فرعـون بإيمانه وتصديق رسـوله موسى ، مكـروهَ ما كـان فرعون ينـال به أهلَ الخلاف عليه من العذاب والبلاء فنجّاه منه ﴿ **وحاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ** ﴾ يعني الغرق أو النّار .

[٤٦] ﴿ **النّارُ يُعرَضُونَ عليها غُدُوّاً وعشِيّاً** ﴾ جملة مستأنفـة مبينة لكيفية نزول العـذاب بهم ، والمراد عرض أرواحهم عليها دائماً ، وبـه يُستدَلُّ على عذاب القبر والبرزخ ﴿ **ويومَ تقومُ السَّاعةُ** ﴾ هذا العرض ما دامت الدنيـا ، فإذا قامت الساعة يقال لهم : ﴿ **أدخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشدَّ العذابِ** ﴾ وهو عذاب جهنم لأنه جزاء شدَّة كفرهم .

[٤٧] ﴿ **وإذْ يتحاجُّونَ في النَّارِ** ﴾ [قال ابن جرير: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار] ﴿ **فيقولُ الضُّعفاءُ للذين استكبَـرُوا إنَّا كُنَّا لكُم تَـبَعاً** ﴾ أي أتباعاً كالمُكْرَهين ﴿ **فهلْ أنتُم مُغْنُونَ عنَّا نصيباً من النّارِ** ﴾ .

[٤٨] ﴿ **قال الذينَ استكبَروا إنّا كلٌّ فيها** ﴾ نحن وأنتم [في النار مخلدون] فكيف نغني عنكم ؟ ولو قـدرنا لأغنينا عن أنفسنا ﴿ **إنَّ اللَّهَ قدْ حكَمَ بَيْنَ العِبادِ** ﴾ بأن أدخل أهل الجنَّةِ الجنَّـة ، وأهل النارِ النارَ ، ولا معقِّب لحكمه أو بأن قدَّر عذاباً لكل منا لا يدفع عنه ، ولا يتحمله عنه غيرُه .

[٤٩] ﴿ **وقالَ الذين في النَّارِ لخزنَـةِ جهنَّمَ** ﴾ لمّا أيسوا من التخفيف عند المحاجَّة : ﴿ **ادْعُوا ربَّـكُم يُـخَـفِّفْ عنّا يوماً من العذابِ** ﴾ يدفع عنا يوماً من أيام العذاب ، أو ألمَ يوم وشدَّته .

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

[٥٠] ﴿ **قالوا أَوَلَمْ تَـكُ تأْتِيكُم رسُلُكُم بالبيِّناتِ** ﴾ المتكاثرة على صدقهم ، المنذرة بهذه الشِّدة ؟ ﴿ **قالوا بلى** ﴾ جاؤوا بها وأخبروا مع البيِّنات ﴿ **قالوا فادْعُوا** ﴾ إن كان ينفعكم ، وهيهات ﴿ **وما دُعاءُ الكافرينَ إلاَّ في ضَلالٍ** ﴾ في ضياع لا يُجاب .

[٥١] ﴿ **إنّا لننْصُرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحَياةِ الدُّنْيا ويومَ يقومُ الأشهادُ** ﴾ لننصرهم في الدارين .

[٥٢] ﴿ **يومَ لا ينفعُ الظالمينَ معذِرَتُهُم ولهُمُ اللعنَةُ ولهُم سُوءُ الدَّارِ** ﴾ وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا ، وتابع عليهم الحجج فيها ، فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب ، ولذا كانت لهم اللعنة ، وهي البعد من رحمة الله وشر ما في الدار الآخرة من العذاب الأليم .

[٥٣] ﴿ **ولقَدْ آتيْنا موسى الهُدى** ﴾ فكذَّب به فرعونُ وقومُه كما كذَّبت قريش ﴿ **وأوْرثْنا بَنِي إسرائيلَ الكتابَ** ﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة .

[٥٤] ﴿ **هُدىً** ﴾ بياناً لأمر دينهم وما ألزمناهم من شرائعها ﴿ **وذِكْرى لأُولِي الألْبابِ** ﴾ لذوي الحجى والعقول منهم .

[٥٥] ﴿ **فاصْبِرْ** ﴾ على أذى المشركين واصدعْ بما تُؤمر ﴿ **إنَّ وعْدَ اللَّهِ حقٌّ** ﴾ بنصرك على من خالف ﴿ **واستغْفِرْ لذنْبِكَ** ﴾ سله غفرانه وعفوه ﴿ **وسبِّحْ بحمدِ ربِّكَ بالعَشِيِّ والإبْكارِ** ﴾ . [قال ابن جرير: وصَلِّ بالشكر منك لربك ﴿بالعشي﴾ وذلك من زوال الشمس إلى الليل ﴿والإبكار﴾ وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس] . [٥٦] ﴿ **إنَّ الذين يجادِلُونَ في آياتِ اللَّهِ بغيرِ سُلْطانٍ أتاهُم** ﴾ يدفعون الحقَّ بالباطل ، ويردُّون الحجج الصحيحة بالشُّبَه الفاسدة ، بلا برهان ولا حجّة من الله ﴿ **إنْ في صُدُورِهِم إلا كِبْرٌ** ﴾ **إلا** تكبُّر عن الحق وتَعظُّم عن التفكر ، وغمط لمن جاءهم به ، حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله ، والكرامة التي أكرمك الله بها من النبوّة ﴿ **ما هُم ببالِغِيهِ** ﴾ وليس بالأمر الذي يُدرك بالأمانيِّ . وقد قيل : إن معناه إنْ في صدورهم إلا عَظَمَة ، ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله مذلُّهم ﴿ **فاستعِذْ باللَّهِ** ﴾ فاستجرْ باللّه يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ﴿ **إنَّهُ هوَ السَّميعُ البصيرُ** ﴾ . [قال ابن جرير: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول، البصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك] .

[٥٧] ﴿ **لَخَلْقُ السَّمٰواتِ والأرضِ أكبرُ من خَلْقِ الناسِ** ﴾ إنشاؤهما وابتداعهما من غير شيء ، أعظم من خلق البشر ﴿ **ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلَمُونَ** ﴾ لا ينظرون ولا يتأمّلون لغلبة الجهل عليهم ، ولذا يجعلون إعادة الشيء أعظمَ من خلقه عن عدم ، مع أنه أهون وأيسر .

[٥٨] ﴿ **وما يستَوِي الأعْمى والبَصيرُ** ﴾ وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها ويعتبر بها . والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره ، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ ﴿ **والذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ** ﴾ ولا يستوي أيضاً المؤمنون بالله ورسوله ، المطيعون لربهم ﴿ **ولا المُسِيءُ** ﴾ وهو الكافر بربه ، العاصي له ﴿ **قليلاً ما تتذكَّرُونَ** ﴾ فلو تذكَّروا آياته واعتبروا بها ، لعرفوا خطأ ما هم مقيمون عليه ، من إنكار البعث ، ومن قبح الشِّرْك .

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿ **إنَّ الساعةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها** ﴾ فأيقنوا بمجيئها وأنكم مبعوثون ومجازَوْن بأعمالكم ، فتوبوا ﴿ **ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ لا يصدِّقون بمجيئها .

[٦٠] ﴿ **وقال ربُّكُم ادعُوني أستجِبْ لكُم** ﴾ اعبدوني أُثِبْكم ، والدعاء بمعنى العبادة ، كثير في القرآن ﴿ **إنَّ الذين يستكبِرونَ عَنْ عِبادَتِي سيدخُلُونَ جهنَّمَ داخِرِينَ** ﴾ صاغرين أذلاَّء . [روى الإمام أحمد رحمه الله عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الدعاء هو العبادة) . ثم قرأ : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : (من لم يَدْعُ الله عز وجل غضب عليه) ـ ابن كثير] .

[٦١] ﴿ **اللَّهُ الذي جعلَ لكُمُ الليلَ لتسْكُنُوا فيهِ** ﴾ اللَّهُ الذي لا تصلح الألوهية إلا له ، ولا تنبغي عبادة غيره ، هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه ، فتستردوا بالراحة فيه ، ما فاتكم من القوى في العمل بالنهار ﴿ **والنهارَ مُبْصِراً** ﴾ أي يبصر فيه ، أو به ، لتتحركوا لتحصيل الأكساب الدينية والدنيوية ، فقد تفضَّل الله عليكم بهما وبما فيهما ﴿ **إنّ اللَّـهَ لَـذُو فضْلٍ على النـاسِ** ﴾ ليشكروه بعبادته ﴿ **ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يشكرُونَ** ﴾ [الله بالطاعة له ، وإخلاص الألوهية والعبادة له ، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها ـ ابن جرير] .

ربع الحزب ٤٨

[٦٢] ﴿ **ذلكُم اللَّهُ ربُّكم خالِقُ كلِّ شيءٍ لا إلهَ إلا هُوَ فأنَّى تؤفَكُونَ** ﴾ عن طاعته إلى إثبات الشريك وعبادته . الإفك : الافتراء والكذب .

[٦٣] ﴿ **كذلك يُؤْفَكُ الذين كانوا بآياتِ اللَّهِ يجحَدُونَ** ﴾ من الأمم المتقدمة الهالكة ، أي فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم ، وركبتم محجتهم في الضلال . [٦٤] ﴿ **اللَّهُ الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ قَراراً** ﴾ تستقرّون عليها وتسكنون فوقها ﴿ **والسَّماءَ بِناءً** ﴾ مبنية مرفوعة فوقكم بغير عَمَدٍ تَرَوْنها ، لمصالحكم وقوام دينكم . وقد فسر البناء بالقبَّة المضروبة ، لأن العرب تسمي المضارب أبنية ، فهو تشبيه بليغ ، وهو إشارة إلى كريَّتها ﴿ **وصوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم** ﴾ بجعل كلِّ عضو في مكان يليق به ، ليتم الانتفاع به ، فتستدلوا بذلك على كمال حكمته ﴿ **ورزقَكُم من الطّيِّباتِ** ﴾ من لذيذات المطاعم والمشارب لتشكروه وحدَه ﴿ **ذلكمُ اللَّهُ ربُّكُم فتباركَ اللَّهُ ربُّ العالَمِينَ** ﴾ الذي لا تصلح الربوبية إلا له .

[٦٥] ﴿ **هُوَ الحَيُّ** ﴾ الذي لا يموت ، الدائم الحياة ، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها ﴿ **لا إلهَ إلاّ هوَ فادْعُوه مخلِصِينَ لَـهُ الدِّين** ﴾ مفردين له الطاعة ، لا تشركوا في عبادته شيئاً ﴿ **الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ** ﴾ أي الثناء والشكر لله ، مالك جميع أجناس الخلْق ، لا للأوثان التي لا تملك شيئاً ، ولا تقدر على ضرٍّ ولا نفع . [عن ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين فذلك قوله ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾] .

[٦٦] ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد لمشركي قومك من قريش ﴿ **إنّي نُهيتُ أنْ أعبُدَ الـذين تدعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ** ﴾ من الآلهة والأوثان ﴿ **لمّا جاءَنِيَ البيِّناتُ من ربِّي** ﴾ الآيات الواضحات من عنده ، على وجوب وحدته وتفرُّده بالعبادة ﴿ **وأُمِرْتُ أنْ أُسْلِمَ لربِّ العالَمِينَ** ﴾ أخضع له بالطاعة دون غيره .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٧] ﴿ **هوَ الـذي خلقكُم مـن تُرابٍ** ﴾ من عناصر التراب ، أو خلق أباكـم آدم منه ﴿ **ثُمَّ** ﴾ خلقكم ﴿ **مِن نُطْفَـةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَـةٍ ثم يُخْرِجُكُم طِفْـلاً ثم لِتَـبْلُغُوا أَشُدَّكُم** ﴾ يبقيكم لتبلغـوا فتتكـامل قـواكم ﴿ **ثم لِتَكُونوا** ﴾ إذا تناهى شبابُكم وتمام خلقكم ﴿ **شُيوخاً ومنكم من يُتوفَّى قَبْلُ** ﴾ من قبل أن يصير شيخـاً ﴿ **ولتبلُغوا** ﴾ ونفعل ذلك لتبلغـوا ﴿ **أجَلاً مُسمًّى** ﴾ ميقاتاً محدوداً لحياتكم ، وهو وقت الموت ، أو لجزائكم وهو يـوم القيامـة ﴿ **ولعلَّكُم تَعْقِلُونَ** ﴾ ولكي تعقلـوا حجج الله عليكم بذلك ، وتتـدبروا آياته ، فتعـرفوا بها أنه لا إله غيره .

[٦٨] ﴿ **هـوَ الـذي يُحْيِي ويُميتُ فإذا قَضى أمْـراً فإنَّما يقولُ لَـهُ كُنْ فيَكُونُ** ﴾ يكـوِّنه من غير كلفـة مؤنـة ولا معاناة .

[٦٩] ﴿ **أَلَمْ تَـرَ إلى الـذين يُجادِلـونَ في آيـاتِ اللَّـهِ أنَّى يُصْرَفونَ** ﴾ عن الـرشـد إلى الغيِّ . [قال ابن جـريـر : وهؤلاء هم المشركون] .

[٧٠] ﴿ **الذين كذَّبـوا بالكِتابِ** ﴾ بكتاب الله ، وهـو القرآن الكريم ﴿ **وبما أرْسَلْنا بـهِ رسُلَنا** ﴾ [من إخلاص العبـادة لله ، والبراءة مما يعبـد دونه من الآلهة والأنـداد ، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب] ﴿ **فسوفَ يعلَمُونَ** ﴾ صحـة مـا هم بـه اليوم مكـذبـون من هـذا الكتاب .

[٧١] ﴿ **إذِ الأغْلالُ في أعناقِـهِم والسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴾ تسحبهم زبانية العذاب يوم القيامة .

[٧٢]﴿ **في الحَميمِ** ﴾ أي الماء الحار. قال المهايمي : لدفعهم برْد اليقين من دلائل الكتاب والسنة ﴿ **ثم في النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾ يُحرقون . قال المهايمي : لإحراقهم الأدلة العقلية والنقلية . [٧٣]﴿ **ثم قيـلَ لـهُم أينَ ما كنتُم تُشْـرِكُونَ** ﴾ حتى يغيثوكم .

[٧٤]﴿ **مِن دُونِ اللَّهِ قالوا ضَلُّوا عَنّا** ﴾ غابوا فلم نعرف مكانهم ، أو ضلالهم استعارة لعدم نفعهم لها ، فحضورهم كالعدم ﴿ **بلْ لَـمْ نكُنْ ندْعُوا مِن قَبْـلُ شيئاً** ﴾ أي مـا كنـا مشركين ، وإنما كـذبـوا لحيرتهم واضطـرابهم . أو بمعنى : تبين لنـا أنـا لم نكن نعبـد شيئـاً ﴿ **كـذلك يُضِـلُّ اللَّهُ الكافِـرينَ** ﴾ أهل الكفر به ، عنه وعن رحمته ، فلا يخفف عنهم العذاب .

[٧٥] ﴿ **ذلِكُم** ﴾ العذاب ﴿ **بِما كنتُم تفـرَحُونَ في الأرضِ بغيرِ الحَقِّ وبما كنتُم تمرَحُـونَ** ﴾ بسبب فرحكم في الـدنيا ، بغير مـا أَذِن الله لكم به ، من الباطل والمعاصي وبمرحكم فيها . والمرح هو الأشر والبطر والخيلاء .

[٧٦]﴿ **ادخُلُوا أبوابَ جهـنَّمَ خالِدِينَ فيها فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبِّرِينَ** ﴾ منزل المتعظِّمين عن الإيمان والتوحيد [ـ في الدنيا ـ اليوم جهنم] .

[٧٧]﴿ **فاصْبِرْ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾ فاصبر على جدال هـؤلاء المتكبِّرين في آيات الله ، وعلى تكذيبهم ، فإن وعْد الله إياك بـالظفر عليهم ، حقٌّ ثابت ﴿ **فإمَّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نعِدُهُم** ﴾ [أي في الدنيا وكذلك وقع ، فإن الله تعـالى أقر عينيه ﷺ يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسـائر جزيرة العرب في حياته ﷺ ـ ابن كـثير] من العذاب والنقمة ﴿ **أو نتوفَّـيَـنَّكَ** ﴾ قبل أن يحلَّ بهم مـا يحل ﴿ **فإلَيْنا يُرْجَعُونَ** ﴾ فنحكم بينهم بالحقِّ ، وهـو الخلود في النار ، لمناسبة نفوسهم الكدرة الظلمانية البعيدة عن الحق ، واستحكام مَلَكات رذائلهم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿ولقدْ أرسَلْنا رُسُلاً من قَبْلِكَ منهُم مَنْ قَصَصْنا عليكَ﴾ لتقف على ما وفينا لهم من وعد النصر إياهم في الدنيا ﴿ومنهُم من لمْ نَقْصُصْ عليكَ﴾ [قال ابن كثير: وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف] ﴿وما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يأتيَ بآيةٍ إلاّ بإذنِ اللهِ﴾ وهذا ردٌّ لمقترحهم وتعنُّتهم، في طلب ما قصَّ عنهم من آية: ﴿وقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لكَ حتَّى تَفْجُر لنا من الأرض يَنْبُوعاً﴾ الآية، بأن الإتيان بذلك مردُّه مشيئة الله تعالى وإرادته به، وقد شاء أن تكون الآية العظمى تنزيله الأكبر من كل آية والأعظم من كل خارقة، فهو خير الآيات وأحسنها وأقوم المعجزات وأمتنها ﴿فإذاجاءَ أمْرُ اللّهِ﴾ عند عدم الإيمان بالآية المقترحة بعد إتيانها ﴿قُضِيَ بالحَقِّ﴾ من المؤاخذة بعد تقرير الحجة المقترحة لهم ﴿وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلُونَ﴾ في دعواهم الشريك، وافترائهم الكذب.

[٧٩] ﴿اللّهُ﴾ الذي لا تصلح الألوهية إلا له ﴿الذي جعلَ لكُمُ الأنْعامَ﴾ مُسخَّرة ﴿لتركَبُوا منها ومنها تأكُلُونَ﴾ [قال ابن جرير: ومعناه: لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حُذِف].

[٨٠] ﴿ولكُم فِيها منافِعُ﴾ من الجلود والأوبار والأصواف ﴿ولتبلُغوا عليهاحاجَةً في صدورِكُم﴾ بالمسافرةعليها ﴿وعليها وعلى الفُلْكِ﴾ في طريق البحر ﴿تُحمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُريكُم آياتِهِ﴾ يريكم دلائله الدالة على فرط رحمته وكمال قدرته ﴿ فأيَّ آياتِ اللّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ [فأي حجج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله، وتدعون من دونه إلهاً ـ ابن جرير].

[٨٢] ﴿ أفَلَمْ يَسيرُوا في الأرضِ فينظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبَةُ الذينَ من قَبْلِهِم ، كانُوا أكثرَ منهُم وأشدَّ قوَّةً وآثاراً في الأرضِ ﴾ من الحصون والقصور والمباني والعَدد والعُدد ﴿ فما أغنى عنهُم ما كانوا يكسِبُونَ ﴾ مما لا يدفع به العذاب الأرضيّ ولا السماويّ.

[٨٣] ﴿ فلمّا جاءتهُم رسُلُهُم بالبيِّناتِ فرِحُوا بما عندَهُم من العِلْمِ ﴾ الخالي عن نور الهداية والوحي، ورضوا بها عن قبول هداية الرسل ومعارفهم، واستهزؤوا برسلهم لاستصغارهم بما جاؤوا به، في جنب ما عندهم من العلم الوهميّ [عن مجاهد قال: قولهم نحن أعلم منهم، لن نعذب، ولن نبعث ـ ابن جرير] ﴿ وحاقَ بِهِم ﴾ من عذاب الله تعالى ﴿ ما كانوا بهِ يستهْزِئُونَ ﴾ جزاءه.

[٨٤] ﴿ فلمّا رأوْا بأسَنا ﴾ [قال ابن جرير عن السدِّيّ: النقمات التي نزلت بهم] ﴿ قالوا آمَنّا باللّهِ وحدَهُ وكفَرْنا بما كُنّا بهِ مُشْرِكِينَ ﴾.

[٨٥] ﴿ فلَمْ يَكُ ينفَعُهُم إيمانُهُم لمّا رأوْا بأسَنا سُنَّةَ اللّهِ التي قَدْ خلَتْ في عِبادِهِ ﴾ التي مضت في خلْقه، أن لا يقبل توبةً ولا إيماناً في تلك الحال [جاء في الحديث: (إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ـ ابن كثير] ﴿ وخسِرَ هنالِكَ الكافِرُونَ ﴾ وهلك، عند مجيء بأسه تعالى، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم، ففاتتهم سعادة الأبد، والعيش الرغد.

سُورَةُ فُصِّلَتْ
ترتيبها ٤١ آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

[سورة فُصّلَتْ]

سميت « حم السجدة » لاشتمالها على آية السجدة . تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلّيّة ، وأن الله يستحق بذاته أجلّ العبادات . وهي مكية . وعدد آياتها أربع وخمسون آية .

[١] ﴿حمٓ﴾ وتقرأ: حا. ميم.

[٢] ﴿ تنزيلٌ من الرّحمنِ الرّحيمِ ﴾ .

[٣] ﴿ كتابٌ ﴾ نسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم ، للإيذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية ، واقع بمقتضى الرحمة الربانية ﴿ فُصّلَتْ آياتُهُ ﴾ بُيّنت بالاشتمال على جميع المطالب الدينية ، مع الدلائل العقلية ﴿ قُرآناً عربياً ﴾ بلسان عربي يتيسّر فيه من جميع الفوائد ما لا يتيسّر في غيره ﴿ لقومٍ يعلَمُونَ ﴾ مقداره ومعانيه ، أو لأهل العلم والنظر .

[٤] ﴿ بشيراً ﴾ للعاملين به ﴿ ونذيراً ﴾ للمُعْرضين عنه بخلود الأبد في نار جهنم ﴿ فأعْرَضَ أكثرُهُم ﴾ فلم يتدبروه ﴿ فهم لا يَسْمَعُونَ ﴾ أي لا يصغون له ، عتوّاً واستكباراً .

نصف الحزب ٤٨

[٥] ﴿ وقالوا قلوبُنا في أكِنَّةٍ ممّا تدعُونا إليه ﴾ في أغطية متكاثفة ، لا يصل إليها شيء مما تدعونا إليه ، من التوحيد وتصديق ما في هذا القرآن من الأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿ وفي آذاننا وَقْرٌ ﴾ أي صمم ، لا نسمع ذلك ، استثقالاً له وكراهية ﴿ ومن بينِنا وبينِكَ حِجابٌ ﴾ فلا تواصل ولا تلاقي على ما نُدْعى إليه ﴿ فاعمَلْ إنَّنا عامِلُونَ ﴾ على ما ألفينا عليه آباءنا .

[٦] ﴿ قُلْ إنّما أنا بشرٌ مثلُكُم يُوحى إليَّ أنّما إلهُكُم إلهٌ واحِدٌ ، فاستقيمُوا إليهِ ﴾ بالتوحيد وإخلاص العبادة ، من غير انحراف إلى الباطل والسبل المتفرّقة ﴿ واستغفِرُوهُ ﴾ بالتوبة من الشرك ﴿ وويلٌ للمُشْرِكِينَ ﴾ .

[٧] ﴿ الذين لا يُؤْتُونَ الزكاةَ ﴾ لا يزكون أنفسهم بطاعة الله ، أو لا ينفقون من أموالهم زكاتها ﴿ وهُم بالآخرَةِ ﴾ أي بإحيائهم بعد مماتهم للمجازاة ﴿ هُمْ كافِرُونَ ﴾ .

[٨] ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصّالحاتِ لهُم أجْرٌ غيرُ مَمْنُونٍ ﴾ غير منقوص ، أو غير منقطع ، أو غير محسوب .

[٩] ﴿ قُلْ أإنّكم لتكفُرُونَ بالذي خلقَ الأرضَ في يوْمَيْنِ ﴾ في مقدارهما ﴿ وتجعلونَ لهُ أنداداً ﴾ أكفاء ﴿ ذلك ﴾ الذي خلق الأرض في يومين ﴿ رَبُّ العالَمِينَ ﴾ .

[١٠] ﴿ وجعلَ فيها رواسِيَ ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ مِن فوقِها وباركَ فِيها ﴾ أكثر خيرها ﴿ وقدّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيّامٍ ﴾ [قال ابن جرير : قدر في الأرض أقوات أهلها] ﴿ سواءً للسّائِلِينَ ﴾ أي قدّرها لهم ، أو لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي والبركة وتقدير الأقوات .

[١١] ﴿ ثم استوَى إلى السَّماءِ ﴾ قصد إلى إيجادها ﴿ وهيَ دُخانٌ ﴾ وهي جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الأرضية ﴿ فقالَ لها وللأرضِ ائتيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالتا أتَينا طائِعِينَ ﴾ .

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ **فقضاهُنَّ سبعَ سمواتٍ في يومَيْنِ** ﴾ أحكمهن بإزالة رخاوة الدخان ﴿ **وأوْحى في كلِّ سماءٍ أمرَها** ﴾ ما أمر فيها ودبره من الملائكة والخلق الذي فيها ، وما لا نعلم ﴿ **وزيَّنّا السماءَ الدُّنْيا بمصابيحَ** ﴾ فإنها كالسقف المرفوع المزين بمصابيح مُعلقة به مما يدعو إلى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته ﴿ **وحِفْظاً** ﴾ من الشياطين أن تسترق أخبارها ﴿ **ذلك تقديرُ العزيزِ العليم** ﴾ .

[١٣] ﴿ **فإنْ أعرَضُوا** ﴾ عن هذا الاستدلال ، وعن الإيمان بهذا العزيز الغالب على كل شيء ، الذي اقتضى علمه ترتيب بعض الأمور ﴿ **فقُلْ أنذرتُكُم صاعِقَةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ** ﴾ لأنكم مثلهما في العناد : مثل عاد في الاستكبار ، ومثل ثمود في استحباب العمى على الهدى . قال ابن جرير : معنى الصاعقة : كل ما أفسد الشيء وغيّره عن هيئته ، وقيل في هذا الموضع : عُني بها وقيعة ـ أي قتال ـ من الله وعذاب .

[١٤] ﴿ **إذْ جاءَتْهُم الرُّسُلُ مِن بينِ أيديهِم ومِن خلْفِهِم** ﴾ جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى على الكفار ، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم ﴿ **ألاّ تعبُدُوا إلاّ اللّهَ قالُوا لو شاءَ ربُّنا** ﴾ إرسال رسول ﴿ **لأنزَلَ ملائكَةً** ﴾ من السماء بما تدعوننا إليه ﴿ **فإنّا بما أُرسِلْتُم بهِ** ﴾ من عبادة الله وحده ﴿ **كافِرُون** ﴾ .

[١٥] ﴿ **فأمّا عادٌ فاستكبَروا في الأرضِ بغيرِ الحَقِّ وقالوا من أشدُّ منا قوةً** ﴾ حتى نخاف عذابه ، لو تركنا عبادته ، أو عبدنا معه غيره ﴿ **أَوَلَمْ يرَوْا أنَّ اللّهَ الذي خلقَهُم هوَ أشدُّ منهُم قوَّةً** ﴾ فيجب أن يُحذَر عِقابُه ويُتّقى عذابه ﴿ **وكانوا بآياتنا** ﴾ التي هي أقوى الدلائل ﴿ **يَجْحَدُونَ** ﴾ .

[١٦] ﴿ **فأرسَلْنا عليهِم** ﴾ لعتوّهم بالقوة ﴿ **رِيحاً صَرْصَراً** ﴾ شديدة الصوت في هبوبها ﴿ **في أيام نَحِساتٍ** ﴾ مشؤومات عليهم ﴿ **لِنُذِيقَهُم عذابَ الخِزْيِ في الحياةِ الدُّنْيا ، ولَعذابُ الآخِرةِ أخْزى وهُم لا يُنْصَرونَ** ﴾ في الأخرى ، كما لم ينصروا في الدنيا .

[١٧] ﴿ **وأما ثمودُ فهديناهُم** ﴾ بيّنا لهم سبيلَ الحق وطريقَ الرُّشد ، ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة ﴿ **فاستحَبُّوا العمى على الهُدى ، فأخذَتْهُم صاعقةُ العذاب الهُونِ بما كانوا يكسِبونَ** ﴾ من الآثام ، بكفرهم بالله .

[١٨] ﴿ **ونجَّيْنا الذين آمَنُوا وكانوا يتَّقُونَ** ﴾ أي يخشَوْن ربهم ويخافون وعيدَه ، وذلك بالإيمان به وحدَه وتصديقِ رسله .

[١٩] ﴿ **ويومَ يُحشَرُ أعداءُ اللّهِ إلى النّارِ فهُم يُوزَعُونَ** ﴾ فيجيء أولهم على آخرهم ، ليتم إلزام الحجة عليهم بين جميعهم ، فلا يبقى لهم مقال لأنهم لا يزالون يجادلون عن أنفسهم .

[٢٠] ﴿ **حتّى إذا ما جاؤوها** ﴾ فبالغوا في إنكار المخالفة ﴿ **شهِدَ عليهِم سَمْعُهُم** ﴾ بأنهم سمعوا الحجج فأعرضوا عنها ، وسمعوا الشُّبَه فاتبعوها ، وسمعوا الفواحش فاستحسنوها ﴿ **وأبصارُهُم** ﴾ بأنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها ، ورأوا القبائح فاختاروها ﴿ **وجلودُهُم** ﴾ بأنهم باشروا المعاصي ، فوصل أثرُها إلى القوة اللامسة منهم ، فيشهد كلُّ عضو وكل جزء ﴿ **بما كانوا يعمَلُون** ﴾ .

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

[٢١] ﴿ **وقالوا لجلودِهِم** ﴾ المدركة ألم العذاب الذي لا يدركه السمع ولا البصر ﴿ **لِمَ شَهِدْتُم علَينْا** ﴾ بما يوجب إيلامكم ؟ ﴿ **قالوا أنْطَقَنا اللَّهُ** ﴾ بهذه الشهادة ﴿ **الذي أنطَقَ كلَّ شيْءٍ** ﴾ أنطق كل شيء من الحيوان ، فهو من العام الذي خصه العقل . وقيل المراد ظهور علامات على الأعضاء دالة على ما كانت متلبِّسة به في الدنيا بتغير أشكالها ونحوه ، مما يلهم الله من رآه أنه صدر عنه ذلك ، لارتفاع الغطاء في الآخرة ، فالنطق مجاز عن الدلالة ﴿ **وهو خلَقَكُم أوَّلَ مرَّةٍ ، وإليه تُرجَعُونَ** ﴾ لأن القادر على الخَلق أوّل مرة ، قادر على إنطاق كل شيء .

[٢٢] ﴿ **وما كنتُم تستَتِرُونَ أنْ يشهدَ عليكُم سمعُكُم ولا أبصارُكُم ولا جلُودُكُم** ﴾ وما كنتم تستترون عند فعلكم الفواحش والمنكرات ، مخافة أو كراهة أن يشهد عليكم ما ذُكر ، أي ليس استتارهم للخوف مما ذُكر ، بل من الناس ﴿ **ولكنْ ظننْتُم أنَّ اللّهَ لا يعلَمُ كثيراً مما تَعْمَلُونَ** ﴾ ما ظننتم أن الله يعلم فينطق الجوارح ، ولكن ظننتم أنه لا يعلم كثيراً ، وهو ما عملتم خفية .

[٢٣] ﴿ **وذلِكُم ظنُّكُم الذي ظنَنْتُم بربِّكُم أرْدَاكُم** ﴾ أهلككم بالجرأة على مخالفته في الدنيا ، ومجادلته في القيامة ﴿ **فأصبحْتُم مِنَ الخاسِرِينَ** ﴾ لأعمال النجاة والدرجات في الآخرة .

[٢٤] ﴿ **فإن يصبِرُوا** ﴾ على النار ﴿ **فالنّارُ مثْوًى لهُم** ﴾ أي منزل ومسكن ﴿ **وإنْ يَسْتَعْتِبُوا** ﴾ وإن يسألوا العتبى ، وهي الرجعة إلى الذين يحبون ﴿ **فما هُم مِنَ المُعْتَبِينَ** ﴾ أي المجابين إليه ، فلا يخفف عنهم العذاب .

[٢٥] ﴿ **وقيَّضْنا لهم قُرنَاءَ** ﴾ بعثنا لهم نظراء من الشياطين اقترنوا بهم ﴿ **فزيّنُوا لهُم ما بينَ أيْديهِم وما خلفَهُم** ﴾ فحسّنوا لهم أعمالهم كلها ، الحاضرة والمستقبلة ﴿ **وحقَّ عليهمُ القَوْلُ** ﴾ في القضاء الإلهي ، بالشقاء الأبدي ﴿ **في أمَمٍ قد خلَتْ مِن قبلِهم** ﴾ من المكذبين بأنبيائهم ، الضالين المضلين ﴿ **مِنَ الجِنِّ والإنْسِ إنَّهُم كانُوا خاسِرِينَ** ﴾ .

[٢٦] ﴿ **وقال الذين كفَرُوا** ﴾ ستروا زينة أدلة القرآن عن أتباعهم ، ثم زينوا لهم شبهاتهم الواهية ﴿ **لا تسمَعُوا لِهذا القُرْآنِ** ﴾ إذا قرأه ، ولا تصغوا له ، كيلا يؤثر عليكم وعظه ﴿ **والغَوْا فيهِ** ﴾ ائتوا باللغو عند قراءته ليختلط ، فلا يمكنه القراءة ، والمراد بـ اللغو: ما لا أصل له ، أو ما لا معنى له ﴿ **لعلّكُم تغْلِبُونَ** ﴾ تصدُّون من أراد سماعه ، عن استماعه ، فلا يسمعه .

[٢٧] ﴿ **فلَنُذِيقَنَّ الذين كفرُوا عذاباً شديداً ، ولَنَجْزِيَنَّهم أسوأَ الذي كانوا يعملُونَ** ﴾ .

[٢٨] ﴿ **ذلكَ جزاءُ أعداءِ اللَّهِ النّارُ ، لهُم فيها دارُ الخُلْدِ** ﴾ أي المكث الأبدي ﴿ **جزاءً بما كانُوا بآياتنا يجْحَدُونَ** ﴾ أي يُنكرون أو يلغون .

[٢٩] ﴿ **وقالَ الذينَ كفرُوا ربَّنا أرِنا اللّذَيْنِ أضَلّانا من الجِنِّ والإنسِ نَجعلْهُما تحتَ أقدامِنا** ﴾ أي ندوسهما انتقاماً منهما ﴿ **ليكُونا من الأسفَلِينَ** ﴾ وأرادوا أن يشفوا صدورَهم برؤيتهم في أسوأ أحوالهم ، وأنزل مراتبهم ، كما ترى من وقع في البليّة ، بسبب رفيق أشار إليه بما أوقعه فيها ، يتخرَّد عليه ويتغيظ ، ويكاد أن يقع فيه مع غيبته ويتحرَّق .

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿ **إنَّ الذين قالوا ربُّنا اللَّهُ** ﴾ أي وحَّدوه بنفي غيره ﴿ **ثُمَّ استَقاموا** ﴾ في أخلاقهم وعقائدهم وأعمالهم [عن مجاهد قال: هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به - ابن جرير] ﴿ **تتنزَّل عليهِمُ الملائكةُ** ﴾ في الدنيا ، بإلهامهم ، أو عند الموت ، أو حين البعث ﴿ **ألاَّ تخافُوا** ﴾ ما تُقدِمون عليه بعد مماتكم ﴿ **ولا تحْزَنُوا** ﴾ على ما خلفتم من دنياكم ، من أهل وولد ، فإنا نخلفكم في ذلك كله ، أو من الفزع الأكبر وهوله ، فإنكم آمنون ﴿ **وأبْشِرُوا بالجَنَّةِ التي كنتُم تُوعَدُونَ** ﴾ في الدنيا ، حال الإيمان بالغيب .

[٣١] ﴿ **نحنُ أولياؤُكُم في الحياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ** ﴾ أي أحباؤكم في الدارَيْن ، للتناسب بيننا وبينكم ، كما أن الشياطين أولياء الكافرين ﴿ **ولكُم فِيها** ﴾ أي في الآخرة ﴿ **ما تشْتَهي أنفُسُكُم** ﴾ من الروح والرَّيْحان والنعيم المقيم ﴿ **ولكُم فِيها ما تَدَّعُون** ﴾ تتمنون .

[٣٢] ﴿ **نُزُلاً من غفورٍ رحيم** ﴾ إكراماً معداً لكم ، من غفور لذنوبكم ، ورحيم بتفضله وتطوله .

[٣٣] ﴿ **ومَنْ أحسَنُ قولاً ممَّنْ دعا إلى اللَّهِ وعَمِلَ صالحاً وقالَ إنَّني مِنَ المُسْلِمِينَ** ﴾ أي لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى ، وكان من الصالحين المؤتمرين ، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد . [قال ابن جرير: واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس، فقال بعضهم عني بها نبي الله ﷺ، وقال آخرون : عني به المؤذن] .

سجدة

[٣٤] ﴿ **ولا تستَوِي الحسنَةُ ولا السَّيِّئَةُ** ﴾ لكون الأولى من مقام العقل تجر صاحبها إلى الجنة ومصاحبة الملائكة ، والثانية من مقام النفس تجر صاحبها إلى النار ومقارنة الشياطين ﴿ **ادْفَعْ بالتي هِيَ أحسَنُ** ﴾ ادفع السيئة بأحسن ما يمكن دفعها من الحسنات ، لأن من دفع بالأحسن هان عليه الدفع بما دونه ﴿ **فإذا الذي بينَكَ وبينَهُ عداوَةٌ كأنَّهُ وليٌّ** ﴾ صديق أو قريب ﴿ **حَمِيمٌ** ﴾ شديد الولاء .

[٣٥] ﴿ **ومايُلَقَّاها** ﴾ أي هذه الخصلة الشريفة ، وهي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿ **إلاّ الذينَ صبَرُوا** ﴾ على تجرُّع الشدائد ، أو على طاعته تعالى وأمره ﴿ **وما يُلَقَّاها إلاّ ذُو حظٍّ عظيم** ﴾ من الخير وكمال النفس .

[٣٦] ﴿ **وإمَّا ينزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فاستعِذْ باللَّهِ إنَّهُ هوَ السَّمِيعُ العليمُ** ﴾ وإما يلقين الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة والانتقام منه ، فاستجِرْ باللّه واعتصم من خطواته .

[٣٧] ﴿ **ومِن آياتِهِ** ﴾ أي حججه تعالى على خلقه ، ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه ﴿ **الليلُ والنَّهارُ** ﴾ في اختلافهما ، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه ﴿ **والشَّمْسُ والقَمرُ** ﴾ أي : نورهما وإشراقهما وتقدير منازلهما ، واختلاف سيرهما في سمائهما ، لبقاء صلاح الكون ﴿ **لا تسجُدُوا للشَّمسِ ولا للقمرِ** ﴾ لأنهما مسخَّران بتسخير خالق قادر ، فهما مخلوقان ﴿ **واسجُدُوا للَّهِ الذي خلقَهُنَّ إن كنتُم إيَّاهُ تعبُدُونَ** ﴾ أي تفردونه بالعبادة ، فإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة ، ولا تشركوا في طاعته أحداً .

[٣٨] ﴿ **فإنِ استَكْبَروا فالذينَ عنْدَ ربِّكَ** ﴾ من الملائكة ﴿ **يُسبِّحُونَ لهُ بالليلِ والنَّهارِ وهُم لا يسأَمُونَ** ﴾ لا يملُّون عبادته .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿ **ومن آياتِـهِ أنَّكَ ترى الأرضَ خـاشِعَةً** ﴾ أي ساكنـة لا حركـة لعشب فيهـا ولا نبات ولا زرع ﴿ **فإذا أنـزَلْنـا عليهـا الماءَ اهتـَزَّتْ وربَتْ** ﴾ اهتـزت بالنبـات وتحركت بـزينته ، وربت بـارتفاعـه على سطحها ، أي صارت ربوة مرتفعة ﴿ **إنَّ الذي أحْياها** ﴾ فأخرج منها النبات ﴿ **لَمُحْيي الموتى ، إنَّـهُ على كلِّ شيءٍ قـديـرٌ** ﴾ . [عن السديّ قال : كما يحيي الأرض بالمطر، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين ـ ابن جرير] .

[٤٠] ﴿ **إنَّ الـذين يُلحِـدُونَ في آياتِنـا** ﴾ يميلـون عن حججنا وأدلتنا ، ويزيغون عنها تكذيباً بها وجحوداً لها ﴿ **لا يَخفَوْن علينا** ﴾ لإحاطة علمه بهم ، وكونه بالمرصاد لهم ، فسيجزيهم ﴿ **أفمَنْ يُـلقى في النَّـارِ خيرٌ أمْ من يأتِي آمِناً يوم القيامةِ اعمَلُوا ما شئْتُم ، إنَّـهُ بما تعمَلُونَ بصيرٌ** ﴾ .

علامة الهمزة المسهلة

[٤١] ﴿ **إنَّ الذين كفرُوا بالذِّكْرِ** ﴾ أي بهذا القرآن ﴿ **لمَّا جاءَهُم** ﴾ فهم هالكون . فالخبر محذوف ، أو الجملة بدل من جملة ﴿إنّ الـذين يلحدون في آياتنا﴾ ﴿ **وإنَّـهُ لكِتـابٌ عزيـزٌ** ﴾ منيـع محميٌّ عـن التغيير والتبديل ، وعن محاكاته بنظير .

[٤٢] ﴿ **لا يأتيهِ الباطِلُ مـن بينِ يديْـهِ ولا مِن خلفِهِ** ﴾ لا يتطرق إليه البطلان من جهـة من الجهات [عن قتادة قال : إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً ـ ابن جرير] ﴿ **تنْزيلٌ مِـن حكيمٍ حميدٍ** ﴾ هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه مصالحهم ، محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم .

[٤٣] ﴿ **ما يُـقالُ لكَ إلاّ ما قد قِيلَ للرُّسُـلِ من قَـبْلِكَ** ﴾ ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قـال للرسل كفارُ قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ، أي فاصبر كما صبروا ﴿ **إنَّ ربَّكَ لذُو مغفرَةٍ** ﴾ لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم ﴿ **وذو عِقابٍ أليمٍ** ﴾ لمن أصرَّ على كفره وذنوبه ومات قبل التوبة منها .

[٤٤] ﴿ **ولوْ جعَلْناه قُرْآناً أعجَمِيّـاً لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياتُـهُ** ﴾ أي بُـيِّـنت أدلتـه وما فيه بلسان نعرفـه لنفهم ما فيه ﴿ **ءَأعْجَمِيٌّ وعربِيٌّ** ﴾ الهمزة همزة الإنكار ، يعني : لأنكروا وقـالوا : أقرآن أعجمي ورسول عربي ؟ أو مـرسَل إليه عربي ؟ ﴿ **قلْ هُوَ للذينَ آمَنُوا هدًى وشِفاءٌ** ﴾ هو للمؤمنين بالغيب هداية تهديهم إلى الحق ، وشفاء يـزيل أمراض قلوبهم من الرذائل ﴿ **والذين لا يؤْمِنُونَ في آذانِـهِم وَقْـرٌ وهو عليهِم عَمًى** ﴾ لا يسمعونه ولا يفهمونه ﴿ **أولئِكَ يُنادَوْنَ من مكانٍ بعيدٍ** ﴾ وجعل النداء من مكان بعيد تفضيحاً لهم .

[٤٥] ﴿ **ولقدْ آتيْنا موسى الكِتابَ فاختُـلِفَ فِيـهِ** ﴾ فاختـلفَ في العمل بما فيه الذين أُوتوه من اليهود ﴿ **ولوْلا كلمةٌ سبَـقَتْ من ربِّـكَ** ﴾ أي لولا أنه تعالى قدَّر الجزاء في الآخرة ﴿ **لَـقُضِيَ بينَـهُم** ﴾ بتعجيل العذاب ﴿ **وإنَّـهُم لَفِي شَكٍّ منهُ مُريبٍ** ﴾ موقع للريب والاضطراب لأنفسهم وأتباعهم لعمي بصائرهم وتبلُّد عقولهم ، وإلا فالحقُّ أجلى من أن يخفى .

[٤٦] ﴿ **من عَمِلَ صالِحاً فلنفسِهِ** ﴾ من عمل بطاعة الله فائتمر لأمره وانتهـى عما نهاه فلنفسه نفعه ، لأنه يُجازى عليه جزاء الحسن ﴿ **ومَنْ أساءَ** ﴾ أي عمل السيء وعصى ﴿ **فعلَيْها** ﴾ ضُرُّه ، لأنه جنى على نفسه بذلك ﴿ **وما ربُّك بظلاَّمٍ للعبيدِ** ﴾ لا يعاقب أحداً إلا بذنبه .

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

(الجزء ٢٥ الحزب ٤٩)

[٤٧] ﴿ إليه يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ لا يعلمها إلا هو ﴿ وما تَخْرُجُ من ثَمراتٍ من أكمامِها ﴾ أي أوعيتها ﴿ وما تحمِلُ منْ أُنثى ولا تَضَعُ إلاّ بعِلْمِهِ ﴾ أي مقروناً بعلمه ﴿ ويومَ يناديهِم أَيْنَ شُرَكائِيَ ﴾ الذين كنتم تشركونهم في عبادتي ﴿ قالوا آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِن شهيدٍ ﴾ أعلمناك ما منا من يشهد لهم بالشركة ويقر بها الآن . ونفي الشهادة كناية عن التبرؤ منهم ، أو هو منهم إنكار لعبادتها ، فيكون كذباً .

[٤٨] ﴿ وضلَّ عنهُم ما كانوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ يعبدون من الأوثان ، فلم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيئاً ﴿ وظنُّوا ما لهُم مِن مَحِيصٍ ﴾ وأيقنوا يومئذ ما لهم من ملجأ يلجؤون إليه من عذاب الله .

[٤٩] ﴿ لا يسأَمُ الإنسانُ من دُعاءِ الخيرِ ﴾ لا يمل من مسألته ربه بالخير، كالمال وصحة الجسم ﴿ وإنْ مسَّهُ الشرُّ ﴾ أي الضرُّ في نفسه من سقم أو جهد في معيشته ﴿ فيؤُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ من روح الله ورحمته . والقنوط : أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر .

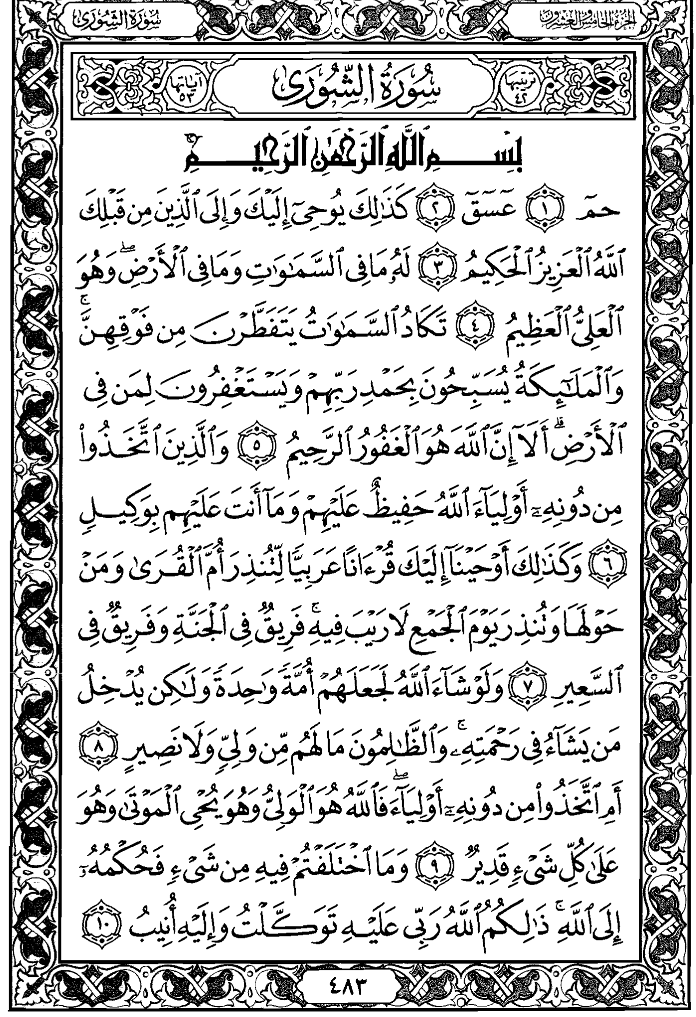
[٥٠] ﴿ ولئِنْ أذقْناهُ رحمةً منّا من بعدِ ضَرَّاءَ مسَّتْهُ ﴾ بتفريجها عنه ﴿ ليقُولَنَّ هذا لي ﴾ أي حقي نلته بعملي لا بفضل من الله ، جحداً للمنعم ﴿ وما أظنُّ السَّاعةَ قائمةً ولئِنْ رُجِعْتُ إلى ربِّي إنَّ لي عندَهُ لَلْحُسْنى ﴾ أي للحالة الحسنى من الكرامة ، تخرُّصاً ورجماً بالغيب ، وتلاعباً بما شاء الهوى ﴿فلَنُنَبِّئَنَّ الذين كفرُوا بما عَمِلُوا ﴾ فلنخبرن هؤلاء المتمنين على الله الأباطيل ، بحقيقة أعمالهم ، ولنبصرنّهم عكس ما اعتقدوا فيها ﴿ ولَنُذيقَنَّهُم من عذابٍ غليظٍ ﴾ وهو تخليدهم في النار .

[٥١] ﴿ وإذا أنعَمْنا على الإنسانِ أعْرَضَ ونأى بجانِبِهِ ﴾ إذا كشفنا ما به من ضرٍّ ، ورزقناه غنىً وصحةً وسعةً ، أعرض عما دُعي إليه من الطاعة ، وتكبّرَ وشمخ بأنفه عن الإجابة ﴿ وإذا مسَّهُ الشَّرُّ فذو دُعاءٍ عريضٍ ﴾ أي كثير ، ويستغرق في الابتهال أنفاسه ، وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ، كما يستعار له الطول أيضاً .

[٥٢] ﴿ قُلْ أرأيْتُم إنْ كانَ ﴾ أي القرآن ﴿ مِن عندِ اللَّهِ ثم كفرتُم بِهِ ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿ مَنْ أضلُّ ممَّنْ هُوَ في شِقاقٍ بعيدٍ ﴾ أي من أضل منكم ؟ والشقاق : الخلاف .

[٥٣] ﴿ سنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ ﴾ يعني وقائع النبي ﷺ بنواحي بلد المشركين أهل مكة وأطرافها وظهوره على الناس تصديقاً للوعد ﴿ وفي أنفُسِهِم ﴾ كما وقع في بدر وفتح مكة ﴿ حتّى يتبيَّنَ لهُم أنَّهُ الحَقُّ ﴾ أي أن هذا القرآن بوعده ووعيده هو الحق الثابت ، إذ لا برهان بعد عيان ، فقد نصر الله رسولَه وصحبَه ، وخذل الباطل وحزبه ﴿ أوَلَمْ يكْفِ بربِّكَ أنَّهُ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء ما مما يفعله خلقه ، وهو مجازيهم عليه . ففيه وعد ووعيد .

[٥٤] ﴿ ألا إنَّهُم في مِريَةٍ من لقاءِ ربِّهِم ﴾ أي في شك عظيم من البعث بعد الممات ومعادهم إلى ربهم ﴿ ألا إنَّه بكُلِّ شيءٍ مُحيطٌ ﴾ فلا يخرج عن إحاطته شيء .



الجزء الخامس والعشرون — سورة الشورى

سورة الشورى — ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

٤٨٣

[سورة الشورى]

سميت بالشورى لإشعار آياتها بِذِلَّة الدنيا وعزَّة الآخرة وصفات طالبيها ، مع اجتماع قلوبهم بكل حال . وهي مكية . وقيل إن فيها مَدَنِيًّا . وعدد آياتها ثلاث وخمسون آية .

[١] ﴿حمٓ﴾ .

[٢] ﴿عٓسٓقٓ﴾ سبق الكلام على الحروف المقطعة أوائل السور في سورة البقرة .

[٣] ﴿ **كذلك يُوحِي إليكَ وإلى الذين من قبلِكَ اللَّهُ العزيزُ الحكيمُ** ﴾ كـلام مستأنـف ، وارد لتحقيق أن مضمـون السورة مـوافق لما في سائر الكتب المُـنَزَّلة على الرسل المتقـدمة في الـدعـوة إلى التـوحيد والإرشـاد إلى الحق .

[٤] ﴿ **لهُ مـا في السَّمٰواتِ ومـا في الأرضِ ، وهو العليُّ العظيمُ** ﴾ .

[٥] ﴿ **تكادُ السَّمٰواتُ يتفَطَّرْنَ من فوقِـهِنَّ** ﴾ يتشققن لتأثرهن من تجليات عظمتـه ، ويتلاشين من علوِّ قهره وسلطنته ﴿ **والملائكةُ يسبِّحُونَ بحمدِ ربِّهِم ويستغفِرُونَ لِمَنْ في الأرضِ** ﴾ يسألون المغفرة لـذنوب من في الأرض من المؤمنين به ﴿ **ألا إنَّ اللَّهَ هو الغفورُ الرحيمُ** ﴾ .

[٦] ﴿ **والـذين اتَّخذُوا من دونـهِ أوليـاءَ** ﴾ أي شركـاء وأنداداً ﴿ **اللَّهُ حفيظٌ عليهم** ﴾ رقيب على أفعالهم يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها يوم القيـامـة ﴿ **ومـا أنتَ عليهم بوَكيلٍ** ﴾ لست بمـــوكَّل لحفظ أعمالهم ، وإنما أنت منذر .

[٧] ﴿ **وكذلك أوحَيْنا إليكَ قرآناً عربياً لتُنذِرَ أُمَّ القُرى** ﴾ أي أهلها ، وهي مكة ﴿ **ومَنْ حولَها** ﴾ من العرب وسائر الناس ﴿ **وتُنذِرَ يومَ الجَمْعِ لاريْبَ فيـهِ** ﴾ يوم القيامة الذي تكون فيه الفضيحة أعظم ، لأنه يُجْمَع فيه الخلائق ﴿ **فريقٌ في الجَنَّةِ** ﴾ وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسولُه ﷺ ﴿ **وفريقٌ في السَّعيرِ** ﴾ أي النار الموقدة المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا باللّه وخالفوا ما جاءهم به رسولُه .

[٨] ﴿ **ولوْ شـاءَ اللَّهُ لجعلَـهُم أمةً واحدةً** ﴾ أي أهل دين واحد وملة واحدة ﴿ **ولكنْ يُدخلُ من يشاءُ في رحمتِـهِ** ﴾ ولكن لم يفعل ذلك فكلَّفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ، فأدخل من شاء في رحمتـه وهم المؤمنون ، وفي عذابه ، وهم الكافرون ﴿ **والظالِمُونَ ما لَـهُم من وليٍّ ولا نصيرٍ** ﴾ والكافرون بالله ما لهم من وليّ يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله فينقذهم من عذابه .

[٩] ﴿ **أم اتَّـخذوا من دونِـهِ أولياءَ** ﴾ يتولونهم مع أنه لا ولاية لهم في الحقيقة ، إذ لا قدرة ولا قوة ﴿ **فاللَّهُ هوَ الوليُّ** ﴾ هو الذي يجب أن يتولى وحده ، ويـعتقـد أنه المولى والسيد دون غيره لتوليه سبحانه كل شيء وسلطانه وحكمه ﴿ **وهو يُحْيِي الموتى وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ هو المحيي القادر فكيف تستقيم ولاية غيره .

[١٠] ﴿ **وما اختلفْتُم فيهِ من شيءٍ فحُكْمُهُ إلى اللَّهِ** ﴾ أي : إن ما اختلف فيه المختلفون وتنازعوا في شيء مـن الخصومات يجب أن يكون التحاكم فيه إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ﴿ **ذلكم اللَّهُ ربِّي** ﴾ أي : الذي هذه الصفات صفاته ، هـو ربي لا آلهتكم التي تدعون من دونه ، التي لا تقدر على شـيء ﴿ **عليهِ توكَّلْتُ** ﴾ فـي أمـوري كلهـا ﴿ **وإليهِ أُنيبُ** ﴾ أي أرجع في المعاد ، أو من الذنوب ، أو في الأمور المعضلة .

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٨٤

[١١] ﴿ **فاطِرُ السَّماواتِ والأرضِ جعلَ لكم من أنفسِكُم** ﴾ من جنسكم ﴿ **أزواجاً** ﴾ نساء ﴿ **ومن الأنعامِ أزواجاً** ﴾ أصنافاً مختلفة ، أو ذكوراً وإناثاً ﴿ **يَذْرَؤُكُم فيهِ** ﴾ أي يكثركم ، من الذرء وهو البث ، وضمير فيه للبطن أو الرَّحِم ﴿ **ليْسَ كمثلِهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ** ﴾ ليس كصفته صفة . والمراد من مثله ذاته .

ربع الحزب ٤٩

[١٢] ﴿ **لهُ مقاليدُ السَّماواتِ والأرضِ** ﴾ أي مفاتيح الأرزاق وخزائن الملك والملكوت ﴿ **يبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ ويقدرُ** ﴾ ويقتِّر على آخرين ﴿ **إنَّهُ بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ .

[١٣] ﴿ **شرعَ لكُم مِنَ الدِّينِ ما وصَّى بهِ نُوحاً والذي أوْحَيْنا إليْكَ وما وصَّيْنا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أنْ أقيمُوا الدِّينَ ولا تتفرَّقُوا فيهِ** ﴾ المعنى : شرع لكم من الدين ما وصى به جميع الأنبياء من عهد نوح عليه السلام إلى زمن نبينا ﷺ [عن قتادة قال : الحلال والحرام ـ ابن جرير] والتعبير عنها بالتوصية فيهم والوحي له للإشارة إلى أن شريعته ﷺ هي الشريعة الكاملة ﴿ **كَبُرَ على المشركينَ ما تدعوهُم إليهِ** ﴾ من إخلاص العبادة لله وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الأوثان ﴿ **اللَّهُ يجتبِي إليهِ مَنْ يشاءُ** ﴾ وهو مَنْ صُرِف اختيارُه إلى ما دُعِيَ إليه ﴿ **ويهدي إليه من ينيب** ﴾ يوفَّق للعمل بطاعته واتباع رسله من يقبل إلى طاعته ويتوب من معاصيه .

[١٤] ﴿ **وما تفرَّقُوا** ﴾ الآية إشارة إلى حال أهل الكتاب إذ تفرَّقوا في دينهم وصاروا شيعاً ﴿ **إلاّ مِن بعدِ ما جاءَهُم العِلْمُ** ﴾ أي الدلائل الصحيحة والبراهين اليقينية على حقية ما لديهم ﴿ **بَغْياً بينَهُم** ﴾ ظلماً وتعدِّياً وطلباً للرئاسة ﴿ **ولوْلا كلمةٌ سبقَتْ من ربِّكَ إلى أجلٍ مُسمًّى** ﴾ وهو تأخير العذاب إلى يوم القيامة ﴿ **لَقُضِيَ بينَهُم** ﴾ باستئصالهم ، لاستيجاب جناياتهم ﴿ **وإنَّ الذينَ أُورِثُوا الكِتابَ من بعدِهِم** ﴾ وهم أهل مكة الذين منَّ الله عليهم بالكتاب العزيز ﴿ **لَفِي شكٍّ منهُ مُرِيبٍ** ﴾ مُوقِع لأتباعهم في الشك ، لكثرة ما يبثونه من الوساوس الصادَّة عن سبيل الله . [١٥] ﴿ **فلذلك فادْعُ** ﴾ فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب ، فادع الناس كافة إلى إقامة الدين لمقاومة الباطل ودحره ، وهتك وساوسه ﴿ **واستقِمْ** ﴾ على الدعوة إليه والصدع به ﴿ **كما أُمِرْتَ** ﴾ كما أوحي إليك ﴿ **ولا تتَّبِعْ أهواءَهُم ، وقل آمنْتُ بما أنزَلَ اللَّهُ من كتابٍ** ﴾ أيِّ كتاب كان ، لا كالذين آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض ﴿ **وأمِرْتُ لأعدِلَ بينَكُم** ﴾ أي لأسوي بينكم في دعوة واحدة . وعن قتادة : أُمِر النبي ﷺ أن يعدل حتى مات . والعدل ميزان الله في الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدِّق اللَّهُ الصادقَ ويكذِّب الكاذبَ [قال ابن جرير : ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام كان يقول : ثلاث من كن فيه أعجبني جداً : القصد في الفاقة والغنى ، والعدل في الرضا والغضب ، والخشية في السرور والعلانية] ﴿ **اللَّهُ ربُّنا وربُّكُم لنا أعمالُنا ولكُم أعمالُكُم ، لا حُجَّةَ بيْنَنا وبيْنَكُم** ﴾ لا خصومة ولا مُحاجَّة بعد هذا ، لأن الحق قد ظهر ، ولم يبق للمحاجة حاجة ، ولا للمخالفة محل سوى المكابرة ﴿ **اللَّهُ يجمعُ بينَنا** ﴾ يوم القيامة فيقضي بالحق فيما اختلفنا فيه ﴿ **وإليهِ المَصيرُ** ﴾ أي المعاد والمرجع للجزاء . قال ابن كثير : اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسها ، قالوا : ولا نظير لها إلا آية الكرسي ، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه .

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿ **والذين يُحاجُّونَ في اللّه** ﴾ أي يخاصمون في دينه الذي ابتعث به خاتم أنبيائه ، وهم الذين أُورثوا الكتاب ، المذكورون من قبلُ ﴿ **منْ بعدِ ما استُجيبَ لَـهُ** ﴾ أي استجاب الناس ، بالاستسلام والانقياد لدينه حسبما قادهم إليه العقل السليم والنظر الصحيح وسيرة الداعي وهديه وحسن دعوته وتصديق الكتب المنزلة له ، وسلامة الفطرة ﴿ **حُجَّتُهُم داحِضَةٌ** ﴾ زائلة لأنها في باطل ، والباطل لا بقاء له مع قوة الحق ﴿ **عندَ ربِّهم** ﴾ في حكمه وقضائه وتقديره [عن قتادة قال : هم اليهود والنصارى، قالوا : كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم ـ ابن جرير] ﴿ **وعليهم غضبٌ** ﴾ عظيم ، لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ﴿ **ولهُم عذابٌ شديدٌ** ﴾ وهو عذاب النار .

[١٧] ﴿ **اللَّهُ الذي أَنْزَلَ الكِتابَ بالحَقِّ** ﴾ متلبساً به في أحكامه وأخباره ﴿ **والميزانَ** ﴾ وأنزل الميزان ، وهو العدل الذي يوزن به الحقوق ويسوّي به الخلاف ﴿ **وما يُدريكَ لعلَّ السَّاعَـةَ قريبٌ** ﴾ أي شيء قريب ، أو قريب مجيئها ، أو الساعة بمعنى البعث ، فاتَّبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي تُوزَن فيه الأعمالُ ويوفَّى جزاؤها .

[١٨] ﴿ **يستعجِلُ بها الذينَ لا يؤْمِنُونَ بها والذينَ آمَنُوا مشفِقُونَ مِنها** ﴾ خائفون منها لأنهم لا يدرون ما اللّـهُ فاعلٌ بهم فيها ﴿ **ويعلَمُونَ أنَّـها الحَقُّ** ﴾ المتحقق وجوده لا محالة ﴿ **ألا إنَّ الـذينَ يُمارُونَ في السّاعـةِ لَفي ضـلالٍ بعيدٍ** ﴾ لإنكارهم عدلَ اللّـه وحكمتَـه . والامتراء في الشيء الشك فيه .

[١٩] ﴿ **اللّهُ لطيفٌ بعبادِهِ** ﴾ في تدبير إيصال ما يفتقرون من خير الدين والدنيا ﴿ **يَرْزُقُ من يشاءُ ، وهو القويُّ العزيزُ** ﴾ .

[٢٠] ﴿ **مَن كانَ يريدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نزدْ لهُ في حَرْثِـهِ** ﴾ مَنْ عمل للآخرة وفّق في عمله وضوعفت حسناته ﴿ **ومنْ كان يريدُ حَرْثَ الدُّنْيا نؤتِـهِ منها وما لَـهُ في الآخِرةِ من نَصيبٍ** ﴾ ومن كان عمله للدنيا أُعطي شيئاً منها ، لا ما يريده ويبتغيه ، وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه ، وما له نصيب قط في الآخرة . [وفي الحديث : (بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر ، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب ـ ابن كثير] .

[٢١] ﴿ **أمْ لهُم شُركاءُ شرعُوا لهُم من الدِّينِ ما لَـم يأْذَنْ به اللّهُ** ﴾ أم منقطعة ، فيها معنى بل والهمزة ، والمراد بشركائهم إما شياطينهم لأنهم شاركوهم في الكفر وحملوهم عليه ، وإما أوثانهم . ويجوز كون الاستفهام المقدَّر حينئذ للإنكار ، أي ليس لهم شرع ولا شارع ﴿ **ولولا كلمةُ الفَصْلِ** ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في القيامة لا في الدنيا ﴿ **لَـقُضِيَ بينَـهُم** ﴾ لفرغ من الحكم بين الكافرين والمؤمنين بتعجيل العذاب للكافرين ﴿ **وإنَّ الظالِـمينَ لَـهُم عَذابٌ أَليمٌ** ﴾ .

[٢٢] ﴿ **تَـرَى الظّالِـمينَ** ﴾ يوم البعث ﴿ **مُشْفِقِينَ مِمّا كَسَبُوا** ﴾ من السَّيئات ﴿ **وهو واقعٌ بِـهِم** ﴾ نازل بهم لا محالة ﴿ **والذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ في رَوْضَاتِ الجنَّاتِ لهُم ما يشاؤُونَ عندَ ربِّهِم ذلك هُوَ الفَضْلُ الكبيرُ** ﴾ .

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿ **ذلك الذي يُبَشِّرُ اللَّهُ عبادَه الذين آمنُوا وعملُوا الصَّالحاتِ ، قُلْ لا أسألُكم عليه أجْراً** ﴾ لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به ثواباً وجزاء وعوضاً من أموالكم تعطونه ﴿ **إلاّ المودَّةَ في القُرْبى** ﴾ أي أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم ، وتصلوا الرحم التي بيننا ، ولا يكن غيركم ، يا معشر قريش ، أولى بحفظي ونصرتي ومودتي منكم . عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد بن جبير : القربى آل محمد ، فقال ابن عباس : عَجِلْتَ ، إن النبي ﷺ ، لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال (إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة) ﴿ **ومن يقترفْ حسنةً** ﴾ أي يكتسب طاعة ﴿ **نزدْ لهُ فيها حُسْناً** ﴾ بمضاعفته ﴿ **إنّ اللّهَ غفورٌ** ﴾ لمن تاب وأناب ﴿ **شكورٌ** ﴾ لسعيهم بتضعيف جزاء حسناته .

نصف الحزب ٤٩

[٢٤] ﴿ **أمْ يقولُونَ افترى على اللّهِ كَذِباً** ﴾ بدعوى النبوّة والوحي ﴿ **فإنْ يشإِ اللّهُ يَختِمْ على قلبِكَ** ﴾ يطبع على قلبك ، ويسلبك ما كان آتاك من القرآن ﴿ **ويمْحُ اللّهُ الباطِلَ ويُحِقُّ الحقَّ بكلماتِهِ** ﴾ استئناف مقرر لنفي الافتراء عما يقوله ﷺ ﴿ **إنّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ** ﴾ إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم ، فيجري الأمر على حسب ذلك .

[٢٥] ﴿ **وهو الذي يَقْبَلُ التَّوْبةَ عن عِبادِهِ** ﴾ يقبل رجوعه إذا راجع توحيد الله وطاعته ، من بعد كفره ﴿ **ويعفو عنِ السَّيِّئاتِ** ﴾ يعفو معاصيه التي تاب منها ﴿ **ويعلمُ ما تفعلُونَ** ﴾ من خير أو شر ، وهو مجازيكم عليه .

[٢٦] ﴿ **ويستجيبُ الذين آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحات** ﴾ يثيبهم على طاعتهم ﴿ **ويزيدُهُم من فَضْلِهِ** ﴾ منَّة منه وطوْلاً ﴿ **والكافِرُونَ لَهُم عذابٌ شديدٌ** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **ولو بَسَطَ اللّهُ الرزقَ لعبادِهِ لبغَوْا في الأرضِ** ﴾ أي تجاوزوا الحدّ الذي حدّه لهم إلى غيره ، بركوبهم ما حظره عليهم ﴿ **ولكن يُنزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يشاءُ** ﴾ ولكن ينزل من رزقه ما يشاؤه بقدر ، لكفايتهم ﴿ **إنّهُ بعبادِهِ خبيرٌ بصيرٌ** ﴾ . [عن عمرو بن حريث وغيره يقولون : إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة ، ذلك بأنهم قالوا : لو أن لنا ، فتمنوا ـ ابن جرير] .

[٢٨] ﴿ **وهوَ الذي يُنزِّلُ الغيْثَ من بعدِ ما قَنَطُوا** ﴾ الغيث : المطر ، والقنوط : اليأس[عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : أجدبت الأرض وقنط الناس ، قال : مطروا إذن ـ ابن جرير] ﴿ **وينشُرُ رحمَتَهُ** ﴾ أي بركات الغيث ومنافعه وآثاره من الخصب والرخاء ﴿ **وهوَ الوليُّ الحميدُ** ﴾ الذي يتولى الخلق بإحسانه ، والمحمود على أياديه عليهم .

[٢٩] ﴿ **ومنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ والأرضِ وما بثَّ فيهِما من دابَّةٍ ، وهو على جَمْعِهِم** ﴾ أي حشرهم يوم القيامة ﴿ **إذا يشاءُ قَديرٌ** ﴾ متمكن منه ، لا يتعذر عليه وإن تفرّقت أوصالهم .

[٣٠] ﴿ **وما أصابَكُم من مُصيبَةٍ فَبِمَا كسَبَتْ أيديكُم** ﴾ فبسبب معاصيكم وما اجترمتم من الآثام ﴿ **ويعفو عنْ كثيرٍ** ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها . [٣١] ﴿ **وَما أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ في الأَرْضِ وَما لكُم منْ دونِ اللَّهِ من ولِي ولا نصيرٍ** ﴾ إذا أراد عذابكم ، فاتقوه واخشوْه .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

[٣٢] ﴿ **ومِنْ آياتِـهِ الجَوارِ في البحرِ** ﴾ السفن الجارية ﴿ **كالأعْـلام** ﴾ كالجبال .

[٣٣] ﴿ **إنْ يشَـأْ يُسكِنِ الـرِّيحَ فيَظْلَلْنَ رواكِـدَ على ظهرِهِ** ﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿**إنَّ في ذلك**﴾ في جري هذه الجواري في البحر ﴿**لآياتٍ** ﴾ لعبرة وعظة وحجـة بيّنة عـلى القدرة الإلٰهيـة ﴿**لكلِّ صبّارٍ شكورٍ**﴾ لكل مـؤمن، والإيمان نصفــان : نصف صبر، ونصف شكر.

[٣٤] ﴿ **أو يُوبِقْهُنَّ** ﴾ يهلكهن بـالغـرق ﴿ **بما كسَبُوا ويعفُ عن كثيرٍ** ﴾ .

[٣٥] ﴿ **ويعلَمَ الذين يجادِلُونَ في آياتِنا** ﴾ أي يخاصمون الرسول في آياتـه على توحيده ﴿ **ما لهُم مِن مَحِيصٍ** ﴾ ما لهم من محيد عن عذابه .

[٣٦] ﴿ **فما أُوتِـيتُمْ من شيْءٍ** ﴾ مما زيِّن للناس حبه من الشهوات ﴿ **فمَتاعُ الحياةِ الـدُّنْيا** ﴾ فهـو متـاع لكم ، تتمتعون به في الدنيا وليس من الآخرة ﴿ **وما عندَ اللَّهِ** ﴾ من ثوابه الأخرويّ ﴿ **خيرٌ وأبْقى** ﴾ وذلك لخلوصه عن الشوائب ودوامه ﴿ **لِلذينَ آمنُوا وعلى ربِّهِم يتوكَّلُونَ** ﴾ في أمورهم وقيامهم بأسبابهم .

[٣٧] ﴿ **والذين يجتَنِبُونَ كبـائِرَ الإثمِ والفواحِشَ وإذا ما غَضِبوا هُم يَغْفِرُونَ** ﴾ يصفحون عمن أساء إليهم .

[٣٨] ﴿ **والذين استجـابوا لربِّهم** ﴾ حينما دعـاهم إلى تـوحيـده ، والبراءة من عبـادة غيره ﴿ **وأقاموا الصَّلاةَ وأمرُهُم شُورى بينَـهُم** ﴾ لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليـه ﴿ **ومما رزقْنـاهُم يُنفِقُونَ** ﴾ .[قال ابن جرير: ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله ، ويؤدون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليهم نفقته].

[٣٩] ﴿**والذين إذا أصابَهُمُ البَغْيُ هُم ينتَصِرون**﴾ بالعدالة ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا .

[٤٠] ﴿ **وجزاءُ سيِّئةٍ سَيِّـئَـةٌ مِثْـلُها** ﴾ وجزاء سيئة المسيء ما ماثلها ، إذِ النقصان حيْف والزيادة ظلم ﴿ **فمَنْ عفا وأصْلَحَ** ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿ **فأجرُهُ على اللَّهِ** ﴾ فثوابه عليه ﴿ **إنَّـهُ لا يحِبُّ الظَّالمين** ﴾ البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام .

[٤١] ﴿ **ولَـمَنِ انتَصَرَ بعدَ ظلمِهِ** ﴾ بعدما ظُلم ﴿ **فأولئك ما عليْهِم مِن سَبِيلٍ** ﴾ ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ، ولم يتعد ولم يظلم ، فكيف يكون عليه سبيل ؟ .

[٤٢] ﴿ **إنّما السبيلُ على الذين يظلِمُون النَّاسَ** ﴾ يبدؤوهم بالظلم والإضرار ، أو يعتدون في الانتقام ﴿ **ويبغُونَ في الأرضِ بغيرِ الحَقِّ** ﴾ يتكبرون فيها ويفسدون ﴿ **أولئك لهُم عذابٌ أليمٌ** ﴾ بسبب ظلمهم وبغيهم .

[٤٣] ﴿ **ولَـمَنْ صَبَـرَ** ﴾ على الأذى ﴿ **وغَفَرَ** ﴾ لمن ظلمه ولم ينتصر ﴿ **إنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ التي ندب الله عباده ، وعزم عليهم العمل بها .

[٤٤] ﴿ **ومَنْ يُضلِلِ اللَّهُ فما لـهُ مِن وليٍّ من بعدِهِ** ﴾ ومن خذلـه عن الرشاد ، فليس لـه من ولي يليه ، فيهـديه لسبيل الصواب ، ويسدده من بعد إضلال الله إياه ﴿ **وترى الظَّالمِينَ لمَّا رأَوُا العذابَ يقولون هلْ إلى مَـرَدٍّ من سَبيلٍ** ﴾ أي رجعة إلى الدنيا ، وذلك استعتاب منهم في غير وقته .

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿ وتراهُم يُعرَضُونَ عليها ﴾ أي النار ﴿ خاشِعِينَ من الذُّلِّ ينظُرُونَ من طَرْفٍ خَفيٍّ ﴾ من طرف قد خفي ذلة وصَغاراً ﴿ وقال الذين آمنوا إنَّ الخاسِرِينَ الذين خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهْلِيهِم يوْمَ القيامَةِ ﴾ بالتعريض للعذاب المخلد، وتفويت النعيم المؤبد [عن السديّ قال: غبنوا أنفسهم وأهليهم في الجنة ـ ابن جرير] ﴿ ألا إنَّ الظَّالمِينَ في عذابٍ مُقيمٍ ﴾ [عليهم، ثابت لا يزول عنهم ولا يبيد ولا يخف، قاله ابن جرير].

[٤٦] ﴿ وما كانَ لَهُم من أولياءَ ينصُرونَهُم من دُونِ اللَّهِ، ومن يُضْلِلِ اللَّهُ فما لَهُ من سبيلٍ ﴾. [قال ابن جرير: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم من العذاب من دون الله، ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه لأن الهداية والإضلال بيده دون كل أحد سواه].

[٤٧] ﴿ اسْتَجيبُوا لربِّكُم ﴾ أجيبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به ﴿ مِن قَبْلِ أن يأتِيَ يومٌ لا مَردَّ لهُ من اللَّهِ ﴾ لا يرده الله بعد ما حكم به، أو مِن قبلِ أن يأتِيَ يومٌ من الله لا يمكن ردُّه ﴿ ما لكُم من ملْجإٍ يومئذ وما لكُم من نَكِيرٍ ﴾ أي إنكار لما اقترفتموه لأنه مُحْصِيٌّ عليكم.

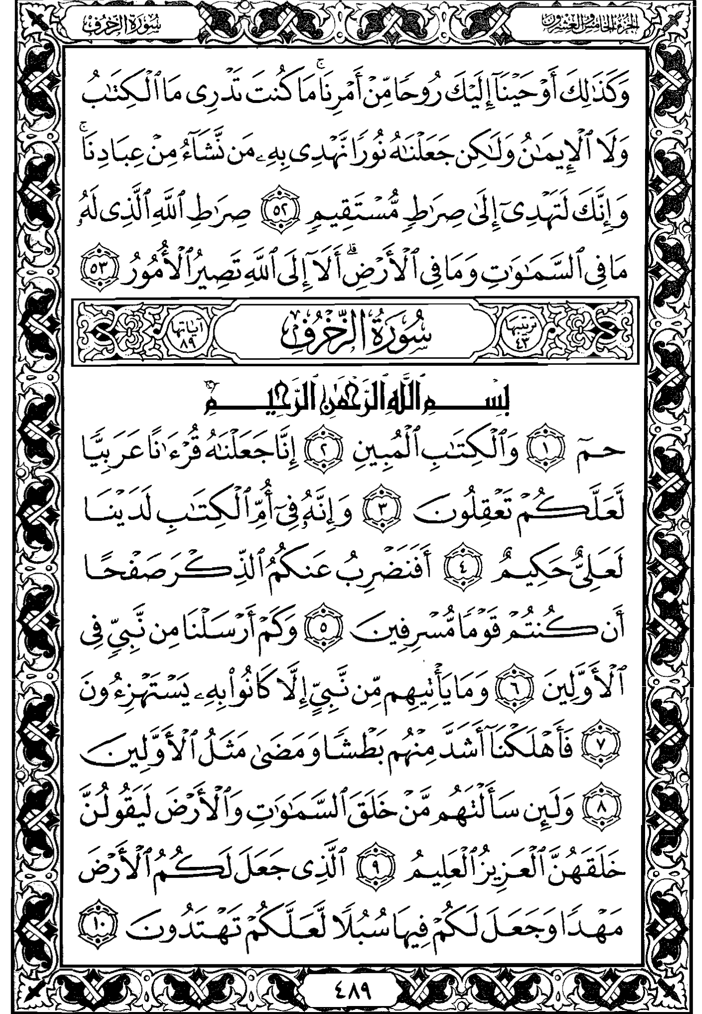
ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

[٤٨] ﴿ فإنْ أعْرَضوا فما أرسَلْناكَ عليهم حَفِيظاً ﴾ رقيباً تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها ﴿ إنْ عليكَ إلاّ البلاغُ ﴾ إبلاغهم ما أرسلت به، فإذا فعلت فقد قضيت ما عليك ﴿ وإنّا إذا أذَقْنا الإنسانَ مِنَّا رحمةً فَرِحَ بها وإنْ تُصِبْهُم سيِّئةٌ بما قدَّمَتْ أيديهم فإنَّ الإنسانَ كَفُورٌ ﴾ أي جحود نِعَم ربه فلا يذكر إلا البؤس والبلاء، ولا يتفكر إلا فيما أنزله به من الفساد والشقاء.

[٤٩] ﴿ للَّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ يخْلُقُ ما يشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يشاءُ إناثاً ويَهَبُ لِمَنْ يشاءُ الذُّكُورَ ﴾ ليس فيهم أنثى.

[٥٠] ﴿ أوْ يُزوِّجُهُم ذُكْراناً وإناثاً ﴾ يجعل أولاد من يشاء ذكوراً وإناثاً مزدوجين [بأن تلد المرأة ذكراً مرة وأنثى مرة، أو يجعل في الواحد ذكراً وأنثى توأماً] ﴿ ويجعلُ من يشاءُ عَقِيماً ﴾ لا نسل له ﴿ إنَّهُ عليمٌ قديرٌ ﴾ إنه تعالى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة. وتقديم الإناث إما لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لتطييب قلوب آبائهن تنبيهاً بأنهن سبب لتكثير مخلوقاته فلا يجوز الحزن من ولادتهن وكراهتهن، كما يُشاهَد من بعض الجهلة، ومِنْ يُمْنِ المرأة تبكيرها بأنثى.

[٥١] ﴿ وما كانَ لبشرٍ أنْ يكلِّمهُ اللَّهُ إلاّ وحْياً ﴾ أي إلهاماً، وقذفاً في القلب منه، بلا واسطة ﴿ أو من وراءِ حِجابٍ ﴾ يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى عليه السلام ﴿ أو يُرسِلَ رسولاً ﴾ من ملائكته كجبريل ﴿ فيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يشاءُ ﴾ فيوحي ذلك الرسول إلى المرسَل إليه بإذن ربه، ما يشاء إيحاءه، من أمر ونهي وغير ذلك، على سبيل الإلقاء والنفث في الروع والإلهام، أو الهتاف في المنام ﴿ إنَّهُ عَلِيٌّ ﴾ من أن يواجه ويخاطب، أي لا يبلغ البشر حد مكالمته شفاهاً، ولا يحتمل سماع كلامه مع رؤيته ﴿ حكيمٌ ﴾ في تبليغ كلامه العليّ إلى البشر الضعيف [وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى عليه السلام ونظر إليه؟ فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك. فقال ﷺ: (لم ينظر موسى عليه السلام إلى الله) وأنزلت هذه الآية ـ النيسابوري].



[٥٢] ﴿ **وكذلك** ﴾ مثل ذلك الإيحاء على الطرق الثلاثة ﴿ **أوْحَيْنا إليكَ رُوحاً من أمرنا** ﴾ وحياً من أمرنا، وسمّاه روحاً لأنه تحيا بـه القلوب الميتة . وقيل : هو جبريل . والمعنى : أرسلناه إليك بالوحي ﴿ **ما كنتَ تدرِي ما الكتابُ ولا الإيمانُ ولكن جعَلْناهُ** ﴾ أي الروح أو الكتاب أو الإيمان ﴿ **نُوراً نَهدِي بهِ مَن نشاءُ من عِبادِنا** ﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿ **وإنَّكَ لتَهدِي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ** ﴾ . [عن السديّ قال: يقول جل ثناؤه، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وهو الإسلام، طريق الله الذي دعا إليه عباده، الذي له ملك جميع ما في السموات والأرض لا شريك له في ذلك ـ ابن جرير].

[٥٣] ﴿ **صِراطِ اللّهِ الذي لهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ** ﴾ خلْقاً ومِلكاً ﴿ **ألا إلى اللّهِ تَصيرُ الأُمورُ** ﴾ أي في الآخرة، فيقضي بينهم بالعدل إذ لا حاكم سواه، فيجازي كلاً بما يستحقه من ثواب أو عقاب .

[سورة الزخرف]

سميت بالزخرف لدلالة آياتها على أن الدنيا في غاية الخسّة في نفسها، وغاية العداوة مع ربّها، بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه . وهي مكية . وقيل إلا الآية ٤٥ . وعدد آياتها تسع وثمانون آية .

[١] ﴿ **حمٓ** ﴾ سبق الكلام على الأحرف المقطعة في أوائل السور، وأنها أسماء للسور.

[٢] ﴿ **والكتابِ المُبينِ** ﴾ قسم بالقرآن الكريم الواضح الآيات والدلالات .

[٣] ﴿ **إنّا جعلناهُ قُرآناً عربياً لعلَّكُم تعقِلُونَ** ﴾ تفهموا معانيه ومواعظه .

[٤] ﴿ **وإنَّهُ في أُمِّ الكِتابِ** ﴾ أم الشيء: أصله ﴿ **لدَيْنا لَعَليٌّ** ﴾ رفيع القدر، بحيث لا رفعة وراءها ﴿ **حَكيمٌ** ﴾ ذو الحكمة الجامعة .

[٥] ﴿ **أفنضرِبُ عنكُم الذِّكْرَ صَفْحاً** ﴾ أنهملكم ونصرف عنكم الذكر [قال ابن جرير: هذا وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم] ﴿ **أنْ كنتُم قَوْماً مُسرِفِينَ** ﴾ لإسرافكم . وإنما كانت الحاجة إلى الذكر للإسراف، إذ لو كانوا على السيرة العدلة والطريقة الوسطى لما احتيج إلى التذكير.

[٦] ﴿ **وكمْ أرسَلْنا من نَبيٍّ في الأوَّلينَ** ﴾ .

[٧] ﴿ **وما يأْتيهِم من نبيٍّ إلاّ كانوا بهِ يستهزِئُونَ** ﴾ .

[٨] ﴿ **فأهلكنا أشدَّ منهُم بطْشاً** ﴾ أي قوّة ﴿ **ومضى مَثَلُ الأوّلِينَ** ﴾ فليتوقع هؤلاء المستهزئون من العقوبة مثل ما حل بأسلافهم .

[٩] ﴿ **ولئِنْ سألتَهُم مَنْ خلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خلقهُنَّ العزيزُ العليمُ** ﴾ .

[١٠] ﴿ **الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ مَهْداً** ﴾ مهاداً تستقرون عليها ﴿ **وجعلَ لكُم فيها سُبُلاً** ﴾ طرقاً تتطرقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم ﴿ **لعلَّكُم تهتدُونَ** ﴾ بتلك الطرق إلى حيث أردتم من القرى والأمصار .

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

[١١] ﴿ والـذي نزَّل مـن السَّماءِ ماءً بقَـدَرٍ ﴾ بمقدار الحاجة إليه ، فلم يجعله طوفاناً يهلك ولا رذاذاً لا ينبت ﴿ فأنْشَرنا بهِ بلدَةً ميْتاً ﴾ أحيينا به بلـدة ميتاً من النبات ﴿ كذلك تُـخْـرَجُونَ ﴾ من بعـد فنـائكم ومصيركم بالأرض .

[١٢] ﴿ والذي خلَـقَ الأزْواجَ كُلَّها ﴾ خلق كل شيء فزوَّجـه ، فجعل منه الـذكر والأنثى ﴿ وجعلَ لكُم من الفُلْكِ ﴾ مـن السفـن ﴿ والأنعامِ ﴾ والبهـائم ﴿ ما تركَبُونَ ﴾ .

[١٣] ﴿ لتستوُا على ظُهورِهِ ثم تـذكُرُوا نعمةَ ربِّـكُم إذا استَوَيْـتُم عليـهِ ﴾ بتسخيرهـا لكم ﴿ وتقولوا سُبحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كُنَّا لهُ مُـقْرنِينَ ﴾ أي مطيقين . وفي الآيـة استحبـاب هـذا الـذكر عنـد ركـوب الـدابـة والسفينة وسواهما ، وكان النبي ﷺ يقولـه كلما استوى على راحلته أو دابته .

[١٤] ﴿ وإنّا إلى ربِّـنا لَـمُـنْـقَلِبُونَ ﴾ لراجعون .

[١٥] ﴿ وجعلـوا لهُ مـن عبادِهِ جُـزءًا ﴾ جعل هـؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً ، وذلك قولهم للملائكة : هم بنات الله ﴿ إنَّ الإنسانَ لكفـورٌ مُبينٌ ﴾ لجحود نِعَم ربه ، التي أنعمها عليه يبين كفرانه لمن تدبر حاله .

[١٦] ﴿ أم اتَّخذَ مِـمّا يخلُقُ بناتٍ وَأَصْفـاكُم بالبَـنينَ ﴾ الهمزة للإنكار تجهيلاً لهم ، وتعجيباً من شأنهم حيث لم يرضـوا بأن جعلوا لله من عباده جـزءًا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين ، في زعمهـم ، وهـو الإنـاث دون الذكور .

[١٧] ﴿ وإذا بُـشِّرَ أَحَدُهُم بما ضرَبَ للرَّحمنِ مثلاً ﴾ أي من البنات ، والمعنى : إذا رزق أحدهم بأنثى ﴿ ظَلَّ وجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ من الكآبة والغم والحزن ﴿ وهو كَظِيمٌ ﴾ مملوء قلبه من الكرْب .

[١٨] ﴿ أَوَمَنْ يُـنَـشَّـؤُا في الحِلْيَـةِ ﴾ أي تربى في الزينة ، يعني البنات ﴿ وهو في الخِصَامِ ﴾ في المجادلة ﴿ غيرُ مُبِينٍ ﴾ لمن خاصمه ببرهان وحُجَّة ، لعجزه وضعفه ، والمعنى : أومن كان كذلك جعلتموه جزءاً للّه من خلقه ، وزعمتم أنه نصيبه منهم ؟ .

[١٩] ﴿ وجعلُوا الملائكةَ الذين هُمْ عِبادُ الرحمنِ إناثاً ﴾ أي قالوا : هم بنات الله جهلاً منهم بحقه سبحانه ﴿ أَشَهِدوا خَلْـقَـهُم ﴾ أي أَحَضَروا خَلْقَ اللَّه إياهـم فوصفـوهم بذلك لعلمهم بهم وبـرؤيتهم إياهم وهـو تجهيل لهم وتهكُّم بهم ﴿ ستُـكْتَبُ شَهادَتُـهُم ﴾ على الملائكـة بما هم مبرَّؤون عنـه ﴿ ويُسأَلُونَ ﴾ عنها يوم القيامة بأن يأتوا ببرهان على حقيقتها ، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً . وفيه من الوعيد ما فيه .

[٢٠] ﴿ وقالوا لو شاء الرحمنُ ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ﴾ إذ لو علموا ذلك لكانوا مـوحّدين لا ينسبون التأثير إلا إلى الله ، فلا يسعهم إلا عبادته دون غيره ﴿ إنْ هم إلا يَـخْـرُصُون ﴾ يخمنون لتكذيبهم أنفسهم في هذا القول بالفعل ، حين عظّموهم وخافوهم وخَوَّفوا أنبياءهم من بطشهم .

[٢١] ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله فهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُون ﴾ هذا بيان لضلال لهم آخر ، في جدلهم وخصامهم وتعنتهم ، فهم لا يبنون باطلهم على وحي ولا علم .

[٢٢] ﴿ بل قالوا إنَّا وجدنا آباءَنا على أُمَّـة ، وإنَّا على آثارهم مُهْـتَـدون ﴾ أي لا حجة لهم إلا تقليد آبائهم ، الجهلة مثلهم .

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٥٠

[٢٣] ﴿ وكذلك ما أرسَلْنا من قبلِكَ في قريةٍ من نذيرٍ إلاّ قالَ مُترَفوها إنّا وجدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنّا على آثارِهم مُقْتَدُونَ ﴾ كما فعل هؤلاء المشركون من دفاع الحجة بالتقليد ، فعل مَن قبلهم من أهل الكفر بالله ، وتخصيص المترفين إشعار بأن النعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد .

[٢٤] ﴿ قالَ ﴾ وقرىء : «قُلْ» ﴿ أَولَوْ جئتُكُم بأهدى ممّا وجدتُم عليهِ آباءَكُم قالوا إنّا بما أُرسلتُم بِهِ كافِرُونَ ﴾ أي جاحدون منكرون ، وإن كان أهدى .

[٢٥] ﴿ فانتقَمْنا منهُم ﴾ بعذاب الاستئصال ﴿ فانظُرْ كيف كانَ عاقبةُ المكذِّبينَ ﴾ أي آخر أمرهم ، مما أصبح مَثَلاً وعِبْرة .

[٢٦] ﴿ وإذْ قال إبراهيمُ ﴾ اذكر وقت قوله هذا ، ليروا كيف تبرّأ عن التقليد وتمسّك بالدليل ، أو ليقلّدوه إن لم يكن لهم بدٌّ من التقليد ، فإنه أشرف آبائهم ﴿ لأبيهِ وقومِهِ إنّني بَراءٌ ممّا تَعْبُدُونَ ﴾ إنني بريء من عبادتكم أو معبوداتكم .

[٢٧] ﴿ إلاّ الذي فَطَرَني ﴾ استثناء منقطع ، أو متصل ، أي : إنني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي خلقني ﴿ فإنَّهُ سيَهْدِينِ ﴾ للدين الحق ، واتباع سبيل الرشد .

[٢٨] ﴿ وجعلَها ﴾ جعل شهادة التوحيد ﴿ كلمةً باقيَةً في عقِبِهِ ﴾ موصى بها ، موروثة متداولة محفوظة ﴿ لعلّهم يَرْجِعُونَ ﴾ لكي يرجعوا إلى عبادته ، ويلجأوا إلى توحيده في سائر شؤونهم .

[٢٩] ﴿ بل مَتَّعْتُ هؤلاءِ ﴾ يعني أهل مكة ﴿ وآباءَهُم ﴾ من قبلهم بالحياة ، فلَمْ أعاجلهم على كفرهم ﴿ حتّى جاءَهُمُ الحَقُّ ﴾ أي دعوة التوحيد أو القرآن ﴿ ورسولٌ مُبينٌ ﴾ ظاهر الرسالة بالآيات والحجج التي يحتج بها عليهم في دعوى رسالته .

[٣٠] ﴿ ولمّا جاءَهُم الحَقُّ قالوا هذا سِحْرٌ وإنّا بِهِ كافِرُونَ ﴾ جاحدون ، فازدادوا في ضلالهم ، لضمهم إلى الشرك معاندةَ الحق .

[٣١] ﴿ وقالوا لوْلا نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رجلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ ﴾ من إحداهما ، مكة والطائف ﴿ عظِيمٍ ﴾ بالجاه والمال ، فإن الرسالة منصب لا يليق إلا بعظيم عندهم . [٣٢] ﴿ أهُمْ يَقسِمُونَ رحْمَةَ ربِّكَ ﴾ إنكار ، فيه تجهيل وتعجيب من تحكُّمهم فيما لا يتولاه إلا هو تعالى ، والمراد بالرحمة النبوّة ﴿ نحنُ قَسَمْنا بينَهُم معيشَتَهُم في الحياةِ الدُّنْيا ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿ ورَفَعْنا ﴾ بالغنى ﴿ بعضَهُم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ، ليتَّخِذَ بعضُهُم ﴾ يعني الغنيّ ﴿ بعضاً ﴾ يعني الفقير ﴿ سُخْرِيّاً ﴾ مُسَخَّراً في العمل ، وما به قوام المعيشة والوصول إلى المنافع ، لا لكمال في المُوَسَّع عليه ، ولا لنقص في المُقَتَّر عليه ، بل لحاجة التضامّ والتآلف ، التي بها ينتظم شملُهم ، وأما النفحات الربانية والعلوم اللدنيَّة فليست مما يستدعي سعة ويساراً ، لأنها اختصاص إلهيٌّ ، وفيض رحمانيٌّ يمنُّ به على أنْفُسٍ مستعدِّيه وأرواح قابليه ﴿ ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ ممّا يجْمَعُونَ ﴾ يعني أن النبوّة خير ما يجمعون من الحطام الفاني . [٣٣] ﴿ ولَوْلا أنْ يكونَ الناسُ أمّةً واحِدَةً ﴾ متفقة على الكفر بالله ﴿ لجعَلْنا لمَنْ يكفُرُ بالرَّحمنِ ﴾ لتكثير النعم عليه ، مع كفره بالمنعم فيزداد عذاباً ﴿ لبيوتِهم سُقُفاً من فِضَّةٍ ومعارِجَ ﴾ مصاعد من فضة ﴿ عليها يَظْهَرُونَ ﴾ يرتقون .

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

[٣٤] ﴿ ولِبيوتِهم أبواباً ﴾ من فضة كذلك ﴿ وسُرُراً ﴾ من فضة ﴿ عليها يتّكئُونَ ﴾ .

[٣٥] ﴿ وزُخْرُفاً ﴾ أي زينة من ذهب وجواهر فوق الفضة ﴿ وإنْ كُلُّ ذلكَ لمَّا متاعُ الحياةِ الدُّنْيا ﴾ وما كل هذه الأشياء التي ذكرت إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا ﴿والآخرةُ عندَ ربّكَ للمُتَّقِينَ﴾ أي: وزَيْنُ الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للذين اتقوا اللَّهَ فخافوا عقابَه، فجدُّوا في الطاعة وحذروا المعصيةَ.

[٣٦] ﴿ ومن يَعْشُ عن ذِكْرِ الرَّحمنِ ﴾ ومن يَعْمَ عن ﴿ذكر الرحمن﴾ أي القرآن النازل من عنده، وفهم معناه، ومن يعرض عنه، فلم يخفْ سطوتَه ولم يخش عقابَه ﴿نُقَيِّضْ له شيْطاناً فهوَ لهُ قَرينٌ﴾ نجعل له شيطاناً جِنِّيّاً أو إنسياً يغويه ويضله عن السبيل القويم دائماً لمقارنته له.

[٣٧] ﴿ وإنَّهُم ليصُدُّونَهُم عن السَّبيلِ ﴾ وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله عن سبيل الحق فيزينون لهم الضلالة، ويكرهون لهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته ﴿ ويحْسَبُونَ أنَّهُم مُهتَدُونَ ﴾ ويظن المشركون بالله ـ بتزيين الشياطين لهم ما هم عليه ـ أنهم على الصواب والهدى.

[٣٨] ﴿ حتى إذا جاءَنا ﴾ العاشي الذي عمي عن آياتِ ربّه ﴿ قالَ ﴾ لشيطانه: ﴿ يا ليْتَ بيني وبينَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ ﴾ بُعد المشرق من المغرب ﴿ فَبِئْسَ القَرِينُ ﴾ استوحش من قرينه واستذمّه.

[٣٩] ﴿ ولنْ ينفعَكُمُ اليومَ إذ ظَلَمْتُم ﴾ لن ينفعكم التمني وقت حلول العذاب واستحقاق العقاب ﴿ أنَّكُم في العَذابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ لأنكم مشتركون في العذاب لاشتراككم في سببه. أو ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب من شدته وإيلامه كما ينفع الواقعين في أمر صعب، معاونتهم في تحمل أعبائه.

[٤٠] ﴿ أفأنْتَ ﴾ إنكارُ تعجيب من أن يكون ﷺ هو الذي يقدر على هدايتهم ﴿ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ إذ سلبوا استماعَ حجج الله وهداه، كالأصم ﴿ أو تَهدِي العُمْيَ ﴾ وقد سلبوا إبصار آيات الله والاعتبار بها، كالأعمى ﴿ومَن كان في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. [٤١] ﴿ فإمّا نَذْهَبَنَّ بكَ ﴾ أي نقبضك قبل أن نظهرك عليهم ﴿ فإنّا منهُم مُنْتَقِمُونَ ﴾ بالعذاب الأخروي. [٤٢] ﴿ أو نُرِيَنَّكَ الذي وعَدْناهُم ﴾ إشارة إلى انتصاره ﷺ ودعوته عليهم في الحياة الدنيا ﴿ فإنّا عليهم مقتدِرُونَ ﴾. [٤٣] ﴿ فاستَمْسِكْ بالذي أُوحِيَ إليكَ، إنَّكَ على صِراطٍ مُستقيم ﴾ يعني دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.

[٤٤] ﴿ وإنَّهُ لَذِكْرٌ لكَ ولقومِكَ وسوفَ تُسألُونَ ﴾ عما عملتم فيه، من ائتماركم بأوامره وانتهائكم عن نواهيه. [٤٥] ﴿ واسألْ مَنْ أرسَلْنا من قَبْلِكَ مِن رُسُلِنا ﴾ والذين أُمر بمسألتهم الرسول ﷺ هم مؤمنو أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. فالكلام بتقدير مضاف: أي أممهم المؤمنين ﴿ أجعَلْنا مِن دونِ الرحمنِ آلِهةً يُعبَدُونَ ﴾ والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه. [٤٦] ﴿ ولقد أرسَلْنا موسى بآياتنا ﴾ المصدِّقة له ﴿ إلى فِرْعَوْنَ ﴾ لينهاه عن الاستعباد ﴿ وملإِهِ ﴾ لينهاهم عن التعبّد له ﴿ فقالَ إنّي رسولُ ربِّ العالَمِينَ ﴾.

[٤٧] ﴿ فلمّا جاءَهُم بآياتنا ﴾ فلما أتاهم موسى بالحجج على التوحيد والبراءة من الشرك ﴿ إذا هُم منها يَضْحَكُونَ ﴾ إذا فرعون وقومه يضحكون، كما أنَّ قومك ـ مما جئتهم به من الآيات ـ يسخرون.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

[٤٨] ﴿ وما نُريهم من آيـةٍ إلاَّ هي أكبَرُ من أختِـها ﴾ أي السابقة عليهـا ﴿ وأَخَذْنَاهُم بالعذابِ ﴾ الدنيوي كالسنين ، ممـا يلجىء إلى الرجـوع ، ولا أقل من رجائه ﴿ لعلَّـهُم يَرْجِعُونَ ﴾ .

[٤٩] ﴿ وقالـوا يا أيُّها السـاحِرُ ﴾ [قـال ابن جريـر: الساحر كـان عنـدهم معتـاه العالم ، ولم يكن السحـر عندهم ذماً ، وإنما دعـوه بهذا الاسم لأن معناه عندهم كان : يا أيها العالم] ﴿ ادْعُ لنا ربَّكَ بما عَهِـدَ عِندَكَ ﴾ من أنـه لا يعـذِّب من آمن بك ليكشف عنـا العـذاب ﴿ إنَّنا لَمُهْـتَـدُونَ ﴾ بما تزعم أنه الهداية .

[٥٠] ﴿ فلما كشَفْنا عنهُمُ العذابَ ﴾ أي رفعنـاه عنهم ﴿ إذا هُم ينكثُـونَ ﴾ العهـدَ الـذي عـاهـدوا عليـه ، ويتمادَوْن في غيِّهم .

[٥١] ﴿ ونادى فِرْعَوْنُ في قومِهِ قال يا قـومِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وهـٰـذه الأنهارُ تجري من تحْتِي ﴾ يعني النيل ﴿ أفلا تُبْصِرُونَ ﴾ ما أنـا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر؟

ربع الحزب ٥٠

[٥٢] ﴿ أَمْ أنا خيرٌ من هـذا الذي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف لا شيء له من المُلك والأموال ﴿ ولا يَكادُ يُبِينُ ﴾ الكلام لمخالفة اللغة العبرانية اللغة القبطية .

[٥٣] ﴿ فلَوْلا أُلْقِيَ عليهِ أَسْوِرَةٌ من ذَهَبٍ أو جاءَ معَهُ الملائِكَـةُ مُـقْـتَرِنِينَ ﴾ يعينونه ويصدِّقونه .

[٥٤] ﴿ فاستخَفَّ قومَهُ ﴾ فاستفزهم بهذه المغالطات ، وحملهم على أن يخفُـوا لـه ويصدقـوه ﴿ فأطاعُوهُ إنَّـهُم كانوا قوْماً فاسِقِينَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فلما آسَفُونا ﴾ أغضبونا بطاعة عدوِّنا وقبول مغالطـاته بلا دليل ، وتكذيب موسى وآياته ونَكْث العهود ﴿ انتقَمْنا منهُم فأغرَقْناهم أجْمَعِينَ ﴾ لعدم نفع العظة معهم بحال من الأحوال .

[٥٦] ﴿ فجعلناهُم سَلَفاً ﴾ أي حُجَّة للهالكين بعدهم ﴿ ومَثَلاً ﴾ عبرة ﴿ للآخِرِينَ ﴾ الناجين .

[٥٧] ﴿ ولما ضُرِبَ ابنُ مريمَ مَثَلاً ﴾ في كونه كـآدم ، لما بيَّن وصفه الحق من أنه عبد مخلوق منعـم عليه بالنبوة ، وعبادتـه كفر ، ودعاؤه شرك ، إذ لم يأذن الله بعبادة غيره ﴿ إذا قومُكَ منهُ ﴾ من مثله المضروب ووصفه المبين ﴿ يَصِدُّونَ ﴾ يعرضون ولا يعون .

[٥٨] ﴿ وقالوا أَآلِهَـتنا خيرٌ أمْ هُوَ ﴾ يعنون بـآلهتهم الملائكة الذين عبـدوهم زعماً منهم أنهم بنات الله تعالى ، كما ذكـر عنهم ذلك في أول السورة ، أي أنهم خير من عيسى وأفضل لأنهم من الملأ الأعلى والنوع الأسمى ، فإذا جازت عبادة المفضول وهو عيسى فبالأولى عبادة الأفضل وهم الملائكة ﴿ ما ضَرَبُوهُ لكَ إلاَّ جَدَلاً ﴾ لا عن اعتقاد ، لظهور بطلانه ﴿ بلْ هُم قومٌ خَصِمُونَ ﴾ شديدو الخصومة بالباطل تمويهاً وتلبيساً ، وفي الحديث : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) رواه ابن جرير والترمذي .

[٥٩] ﴿ إنْ هوَ إلاَّ عبدٌ أنْعَمْنـا عليـهِ ﴾ بالنبوّة والرسالة ﴿ وجعلناهُ مَثَـلاً لبَني إسرائيلَ ﴾ آية لهم وحُجَّـة عليهم ، بما ظهر على يديـه مما أيِّد نبـوته ورسالته وصدق دعواه .

[٦٠] ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكُم ﴾ أي بدلكم ﴿ ملائكَةً في الأرضِ يَخْلُـفُونَ ﴾ يكونون مكانكم .

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

[٦١] ﴿ وإنَّـهُ لَعِلْمٌ للساعَةِ ﴾ الضمير إما للقرآن كما ذهب إليه قوم ، أي : وإن القرآن الكريم يُعْلِم بالساعة ويخبر عنهـا وعـن أهـوالها ، وفي جعلـه عين العلم مبالغة ، والعلم بمعنى العلامة . وقيل الضمير لعيسى عليه السلام ، أي : إن ظهوره من أشراط السـاعـة ، ونزوله إلى الأرض في آخر الزمان دليل على فناء الدنيا ﴿ فلا تَـمْـتَـرُنَّ بها واتَّبِعُونِ ﴾ اتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي ﴿ هذا ﴾ القرآن أو مـا أدعـوكم إليـه ﴿ صِراطٌ مُستقيمٌ ﴾ .

[٦٢] ﴿ ولا يصُدَّنَّكُمُ الشيطـانُ ﴾ لا يمنعنكـم عـن الاتباع ﴿ إنَّه لكُم عدوٌّ مُبينٌ ﴾ واضح العداوة .

[٦٣] ﴿ ولمَّا جـاءَ عيسى بالبيِّنـاتِ قـالَ قَـدْ جئتُـكُم بالحِكمـةِ ولأُبيِّـنَ لكُم بعـضَ الذي تختلِفُـونَ فيهِ ﴾ من أحكام التوراة وغيرها ، كـاختلاف اليهـود في القيامـة لعدم صراحتها في كتبهم ﴿ فاتَّـقُوا اللَّهَ وأطِيعُونِ ﴾ .

[٦٤] ﴿ إنَّ اللَّهَ هـو ربِّي وربُّـكُم فاعبُـدُوهُ ﴾ إنَّ اللَّه الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له ، ربي وربكم جميعاً ، فاعبـدوه وحده لا تشركوا معه في عبادته شيئـاً ، فإنه لا يصح ولا ينبغي أن يُعْبَد شيء سواه ﴿ هذا صِراط مُستقِيمٌ ﴾ هذا الذي أمـرتكم به ، من اتقاء الله وطـاعتي ، وإفراده تعـالى بالألوهيـة ، هو الطريق القويم .

[٦٥] ﴿ فاختلَفَ الأَحْزابُ ﴾ الفرق المتحزبـة اختلافاً نشأ ﴿ من بيْنِـهِم ﴾ لا من قـولـه تعـالى ولا من قـول عيسَى ، بل ظلماً وعنـاداً ﴿ فـويلٌ للذين ظلَمُـوا من عـذابِ يـوم أليم ﴾ مؤلم من شدة الأهوال وكثرة الفضائح ، وظلمهم بترك النظر في الدلائل العقلية والنقلية .

[٦٦] ﴿ هـلْ ينظُـرُونَ ﴾ أي قريش ﴿ إلاّ الساعةَ أنْ تأتِيَـهُم بغتَـةً ﴾ فجأة ﴿ وهم لا يشعُـرُونَ ﴾ .

[٦٧] ﴿الأخِلاَّءُ يومئذٍ﴾ المتخالون على المعاصي والفساد والصدِّ عن الحق يوم القيامة ﴿ بعضُهُم لبعضٍ عدوٌّ ﴾ معادٍ ، يتبرأ كل من صـاحبه ﴿ إلا المُـتَّـقِينَ ﴾ المتصادقين في طاعة الله ومحبته .

[٦٨] ﴿ يا عبادِ لا خوفٌ عليكُمُ اليومَ ﴾ لأمنهم من العذاب ﴿ ولا أنتُم تَـحْـزَنُونَ ﴾ على فوات لذّات الدنيا لكونهم على ألذّ منها وأبهج ، وأحسن حالاً وأجمل . [٦٩] ﴿ الذين آمنوا بآياتنا ﴾ الذين صدَّقوا بكتاب الله ورسلـه ، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم ﴿ وكانوا مُسْلِمِينَ ﴾ أي أهل خضوع لله بقلوبهم ، وقبولٍ منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم ، على دين إبراهيم عليه السلام ، حنفاء ، لا يهود ولا نصارى ولا أهل أوثان .

[٧٠] ﴿ ادخلُوا الجنَّـةَ أنتُم وأزْواجُكُم تُـحْبَـرُونَ ﴾ تسرون سروراً يظهر أثره على وجوهكم .

[٧١] ﴿ يُطافُ عليهِم بصِحافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ ﴾ الصحاف جمع « صحفة » ، وهي آنية الأكل ، والأكواب جمع كوب وهو ما يشرب منه كالكوز ﴿ وفيها ما تشتَهِيـهِ الأنْـفُـسُ وتَلَذُّ الأعْيُنُ ﴾ بمشاهدته ﴿ وأنتُم فيها خالِدُونَ ﴾ .

[٧٢] ﴿ وتلكَ الجنَّـةُ التي أُورِثْـتُـمُوها بما كنتُم تعْمَلُونَ ﴾ من الخيرات والأعمال الصالحات .

[٧٣] ﴿ لكُم فيها فاكِهَةٌ كثيرةٌ منها تأكُـلُونَ ﴾ ما اشتهيتم .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٤] ﴿ إِنَّ المُجْرِمِينَ ﴾ الذين اجترحوا الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿ في عذابِ جهنَّم خالِدُونَ ﴾ .

[٧٥] ﴿ لا يفتَّرُ عنهُم ﴾ لا يخفف ولا ينقص ﴿ وهُم فيه مُبلِسُونَ ﴾ مستسلمون يائسون .

[٧٦] ﴿ وما ظلمْناهُم ﴾ بهذا العذاب ﴿ ولكنْ كانوا هُم الظّالِـمِينَ ﴾ بكفرهم الله .

[٧٧] ﴿ ونادَوْا ﴾ بعد إدخالهم جهنم ﴿ يا مالِكُ ﴾ وهو اسم خازن النار ﴿ لِيَقْضِ علَيْنا ربُّكَ ﴾ تمنَّوْا تعطل الحواس وعدم الإحساس ، لشدة التألم بالعذاب الجسماني ﴿ قالَ ﴾ خازن النار ﴿ إنَّكُم ماكِثُونَ ﴾ لابثون .

[٧٨] ﴿ لقَدْ جئناكُم بالحَقِّ ، ولكنَّ أكثرَكُم للحَقِّ كارِهُونَ ﴾ لا تقبلونه وتنفرون منه .

[٧٩] ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أمراً فإنّا مُبْرِمُونَ ﴾ أم أبرم مشركو مكة أمراً فأحكموه ، يكيدون به الحق الذي جاءهم ، فإنا محكمون لهم ما يخزيهم ويذلهم من النكال .

[٨٠] ﴿ أم يحسَبُونَ أنّا لا نسمعُ سرَّهُم ونجْواهُم ﴾ ما أخفَوْه من تناجيهم بما يمكرون ، فلا نجازيهم عليه لخفائه علينا ؟ ﴿ بلى ﴾ نسمعهما ونطلع عليهما ﴿ ورُسُلُنا ﴾ يعني الحفظة ﴿ لديهِم يكتُبُونَ ﴾ ما تكلّموا به ولفظوا من قول .

[٨١] ﴿ قُلْ إنْ كانَ للرحمنِ ولدٌ فأنا أوَّلُ العابِدِينَ ﴾ لذلك الولد ، وهذا إما أن يدل على نفي الولد عن الله سبحانه بالبرهان ، وإما أن يدل على نفي الشرك عن الرسول بالمفهوم .

[٨٢] ﴿ سُبْحانَ ربِّ السَّمٰواتِ والأرضِ ربِّ العرشِ عمّا يَصِفُونَ ﴾ أي : أوحِّده وأنزِّهه تعالى عما يصفونه من كونه مماثلاً لشيء ، لكونه رباً خالقاً للأجسام كلها ، فلا يكون من جنسها ، فيفيد انتفاء الولد على الطريق البرهاني .

[٨٣] ﴿ فَذَرْهُم يخوضوا ﴾ في باطلهم ﴿ ويلعَبُوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتّى يُلاقوا يومَهُمُ الذي يُوعَدُونَ ﴾ وذلك يوم يُصْلِيهم الله بفريتهم عليه جهنمَ ، وهو يوم القيامة .

[٨٤] ﴿ وهو الذي في السَّماءِ إلهٌ وفي الأرضِ إلهٌ ﴾ أي المعبود فيهما بلا شريك ﴿ وهو الحكيمُ العليمُ ﴾ في تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء بمصالحهم . [٨٥] ﴿ وتبارَكَ الذي لهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما وعندَهُ عِلْمُ السّاعةِ وإليهِ تُرجَعُونَ ﴾ .

[٨٦] ﴿ ولا يَملِكُ الذين يَدْعُونَ من دونِهِ الشَّفاعةَ ﴾ لهم عند الله ، كما زعموا أن أندادهم شفعاء ﴿ إلاّ من شهِدَ بالحَقِّ وهُم يعلَمُونَ ﴾ هذا استثناء منقطع ، أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم ، فإنه تنفع شفاعته عنده ، بإذنه له .

[٨٧] ﴿ ولَئِنْ سأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُم ليقولُنَّ اللّهُ ﴾ فهم يُقِرّون بذلك لتعذُّر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿ فأنّى يُؤْفَكُونَ ﴾ فأنّى يُصرَفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ . [٨٨] ﴿ وقِيلِهِ ﴾ وقال محمد ﷺ قيله شاكياً إلى ربه تعالى قومَه الذين كذَّبوه وما يلقى منهم : ﴿ يا ربِّ إنَّ هؤلاءِ ﴾ الذين أرسلتني إليهم ﴿ قومٌ لا يؤمِنُونَ ﴾ . [٨٩] ﴿ فاصفحْ عنهُم ﴾ فأعْرِضْ عنهم ﴿ وقُلْ سلامٌ ﴾ لكم ، أو عليكم ، أو : أمري سلام ، أي متاركة ، فهو سلام متاركة لا تحية ﴿ فسوفَ يعلَمُونَ ﴾ حقّيَّة ما أُرسلتَ به ، بسموِّ الحق وزهوق الباطل .

سورة الدخان

ترتيبها ٤٤ آياتها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

[سورة الدخان]

سميت بالدخان لدلالة آيته على أنه جزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة بصائرَ قلوب أهلها وأرواحهم . وهي مكية . وعدد آياتها تسع وخمسون آية .

[١] ﴿حمٓ﴾ من الأحرف المقطعة وتُقرأ: حا. ميم.

[٢] ﴿ والكتابِ المُبينِ ﴾ القرآن الكريم .

[٣] ﴿ إنَّا أنزلْناهُ في ليلةٍ مُباركةٍ ﴾ يعني ليلة القدر التي قدَّر فيها سبحانه إنزال ذكره الحكيم ، وكانت في رمضان ﴿ إنّا كُنّا مُنذِرينَ ﴾ من خالف مقتضى الحكمة وقوّة الدلائل .

[٤] ﴿ فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ ﴾ يفصل ويبين كل أمر تقتضيه الحكمة ، على وجه متين محمود .

[٥] ﴿ أمْراً من عندِنا ﴾ أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا ﴿ إنّا كُنّا مُرْسِلينَ ﴾ .

[٦] ﴿ رحمةً من ربِّكَ ﴾ أي رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ﴿ إنَّهُ هُوَ السَّميعُ ﴾ لدعوة حقائق الأشياء بمقتضياتها ﴿ العليمُ ﴾ بمقادير قابلياتها ، فلا يبعد عليه الإرسال والإنزال .

[٧] ﴿ ربِّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهُما إنْ كنتُم مُوقِنِينَ ﴾ إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه ، فاعرفوا أن الأمر كما قلنا . وقيل معناه : إن كنتم موقنين بما تقرُّون به من أنه رب الجميع وخالقه .

نصف الحزب ٥٠

[٨] ﴿ لا إلهَ إلاّ هُوَ يُحْيِي ويُميتُ ، ربُّكُم وربُّ آبائكُمُ الأوَّلينَ ﴾ .

[٩] ﴿ بلْ هُم في شَكٍّ يلعَبُونَ ﴾ بل ليسوا بموقنين في إقرارهم بربوبيته ، لأن الإيقان يستتبع قبول البرهان . [١٠] ﴿ فارتقِبْ يومَ تأتِي السَّماءُ بدُخانٍ مُبينٍ ﴾ انتظر لمجازاتهم ذلك اليوم الهائل . وللسلف في معنى الدخان أوجه : الأول : قال بعضهم : كان ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش أن يؤخذوا بسنين كسنيِّ يوسف ، فأُخذوا بالمجاعة . قالوا : وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدَّة الجوع ، من الظلمة كهيئة الدخان . الوجه الثاني : أنه دخان يظهر في العالم ، وهو إحدى علامات القيامة . [١١] ﴿ يغْشى النّاسَ ﴾ يتغشاهم ويعمهم ﴿ هذا عذابٌ أليمٌ ﴾ يقال لهم ذلك توبيخاً وتقريعاً . [١٢] ﴿ ربَّنا اكشِفْ عنّا العذابَ إنَّا مؤمنُونَ ﴾ ذلك قول الكافرين إذا عاينوا عذاب الله وعقابه ، سائلين رفعه وكشفه عنهم . [١٣] ﴿ أنّى لهُمُ الذِّكْرى وقد جاءهُم رسولٌ مُبينٌ ﴾ كيف لهم التذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بيِّن الرسالة والنذارة . [١٤] ﴿ ثم تولَّوْا عنهُ وقالوا مُعلَّمٌ مجنونٌ ﴾ ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه ، بل كذَّبوه وقالوا : معلَّمٌ مجنون . [١٥] ﴿ إنّا كاشِفُو العذابِ قليلاً إنّكُم عائِدُونَ ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما : أنه يقول تعالى : ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب . والثاني : أن يكون المراد : إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم ، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال .

[١٦] ﴿ يومَ نَبْطِشُ البطشةَ الكُبْرى ، إنَّا مُنتقِمُونَ ﴾ قال ابن عباس : قال ابن مسعود : البطشة الكبرى يوم بدر ، وأنا أقول هي يوم القيامة .

[١٧] ﴿ ولقد فَتَنَّا قبلَهُم قومَ فِرْعَوْنَ ﴾ أي ابتلينا قبل هؤلاء المشركين ، قوم فرعون ، بإرسال موسى عليه السلام إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿ وجاءَهُم رسولٌ كريمٌ ﴾ على الله والمؤمنين ، أو في نفسه . [١٨] ﴿ أنْ أدُّوا إليّ عبادَ اللّهِ ﴾ أي أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من أسركم وحبسكم ﴿ إنّي لكُم رسولٌ أمينٌ ﴾ على وحيه ورسالته التي حمَّلنيها إليكم ، لأنذركم بأسه إن عصيتموه .

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

[١٩] ﴿ **وأنْ لا تَعْلُوا على اللّـهِ** ﴾ بإنكار ربوبيته ، وتكذيب رسوله ، وغضب عباده ﴿ **إنِّي آتِيكُم بسُلطانٍ مُبينٍ** ﴾ بحجة واضحة .

[٢٠] ﴿ **وإني عُذْتُ بربِّي وربِّكُم أنْ تَرْجُمُونِ** ﴾ أي اعتصمت به من رجمكم ، يعني القتل ، فعصمني فلا ينالني منكم مكروه . وقيل : الرجم هو الشتم باللسان .

[٢١] ﴿ **وإنْ لمْ تُؤمنوا لِي فاعتـزِلُونِ** ﴾ فكونوا بمعزل عني ، فلست بموالٍ منكم أحداً .

[٢٢] ﴿ **فدعا ربَّـهُ** ﴾ لما تابوا عن إجابته : ﴿ **أنَّ هؤلاءِ قومٌ مُجْرِمُونَ** ﴾ مشركون مفسدون .

[٢٣] ﴿ **فأَسْرِ بعبادِي ليلاً** ﴾ فأجاب دعاءه ، وأوحى إليه بأن أسْرِ بقومِك ليلاً ﴿ **إنَّكم مُتَّبَعُونَ** ﴾ إن فرعون وقومه متبعوكم ، ليرجعوكم إلى ما كنتم فيه من الأسر والعذاب .

[٢٤] ﴿ **واتْرُكِ البحرَ رَهْواً** ﴾ فإذا قطعت البحر أنت وأصحابُك ، فاتركْهُ ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخلته ، ولا تضربه بعصاك ليدخله قوم فرعون فيغرقوا ﴿ **إنَّهم جُنْـدٌ مُغْرَقونَ** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **كم تَـرَكُوا** ﴾ بعد هلاكهم بالغرق ﴿ **من جَنَّاتٍ وعُيُونٍ** ﴾ يتنعم بالنظر فيها ، هذا في التفكّه والتنزّه .

[٢٦] ﴿ **وزُرُوعٍ** ﴾ قائمة في مزارعهم للقوت ﴿ **ومَقامٍ كـريـمٍ** ﴾ محافلَ مزينة ومنازل مزخرفة .

[٢٧] ﴿ **ونَعْمَةٍ كانـوا فيها فاكِهِينَ** ﴾ أي متنعمين من نساء وأموال وحشم ، وما لا يُحصى من المشتهيات .

[٢٨] ﴿ **كذلكَ** ﴾ أخرجناهم مثل هذا الإخراج ﴿ **وأَوْرَثْناهَا قوماً آخَرِينَ** ﴾ من خلفهم بعد ملكهم . [٢٩] ﴿ **فما بكَتْ عليهِمُ السَّماءُ والأرضُ** ﴾ نفيُ ذلك عنهم فيه تهكم بهم وبحالهم ، المنافية لحال من يعظم فقده ﴿ **وما كانوا مُنْظَرِينَ** ﴾ مؤخّرين بالعقوبة ، بل عُوجِلوا بها ، زيادة سخط عليهم .

[٣٠] ﴿ **ولقد نَجَّيْنا بني إسرائيلَ من العذابِ المُهِينِ** ﴾ يعني استعباد فرعون وقتله أبناءهم . [٣١] ﴿ **مِن فِرْعَوْنَ إنَّه كانَ عالِياً** ﴾ متكبّراً على الناس ﴿ **مِنَ المُسْرِفِينَ** ﴾ المتجاوزين الحدَّ في العتوِّ والشرِّ. [٣٢] ﴿ **ولقد اختَرْناهُم على عِلْمٍ على العالَمِينَ** ﴾ أي فضلناهم لأجل علم معهم ، على عالمي زمانهم ، و عالمين بأنهم أحقاء بأن يختاروا ويؤثروا . [٣٣] ﴿ **وآتَيْناهُم** ﴾ زيادة على اختيارهم وتفضيلهم ﴿ **مِنَ الآياتِ** ﴾ المعجزات والكرامات ﴿ **ما فِيهِ بلاءٌ مُبينٌ** ﴾ نعمة ظاهرة ، لأنهم حجة واضحة على أعدائهم . [٣٤] ﴿ **إنَّ هؤلاءِ** ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ **لَيَقُولُونَ** ﴾ .

[٣٥] ﴿ **إنْ هِيَ إلا موتَتُنا الأُولى** ﴾ كأنهم أرادوا : إلا موتتنا هذه ، وليس القصد إثبات ثانية ﴿ **وما نحنُ بِمُنْشَرِينَ** ﴾ أي بمبعوثين .

[٣٦] ﴿ **فأْتُوا بآبائِنا إنْ كنتُم صادِقِينَ** ﴾ في بعثنا بعد بلائنا في قبورنا ، وهذه حُجَّة باطلة وشبهة فاسدة ، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة ، لا في دار الدنيا . [٣٧] ﴿ **أَهُمْ خيرٌ** ﴾ في القوة والمنَعة ﴿ **أمْ قَوْمُ تُـبَّعٍ والذين مِن قبلِهِم أهلكناهُم إنَّهم كـانُوا مجْرِمِينَ** ﴾ فما بال قريش لا تخاف أن يصيبها ما أصابهم ؟ وقوم تُـبَّع هم حِمْيَر وأهل سبأ .

[٣٨] ﴿ **وما خلقْنا السَّمٰواتِ والأرضَ وما بينَـهُما لاعِبِينَ** ﴾ .

[٣٩] ﴿ **ما خلقناهُما إلا بالحَقِّ** ﴾ أي الاستدلال على خالقهما لعبادته وطاعته ﴿ **ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلَمُونَ** ﴾ حكمة خلقها ، فيعرضون عنه .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَة

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

[٤٠] ﴿ إنَّ يومَ الفَصْلِ ﴾ يوم الحساب ﴿ ميقاتُهُم أجمَعِينَ ﴾ .[عن قتادة قال: يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم ـ ابن جرير].

[٤١] ﴿ يومَ لا يُغْنِي مولىً عن مولىً شيئاً ﴾ من إثابة أو تحمُّل عقوبة ﴿ ولا هم يُنصَرُونَ ﴾ .

[٤٢] ﴿ إلاّ مَنْ رَحِمَ اللّـهُ ﴾ بأن وفّقه للإيمان والعمل الصالح [وأجاز له أن يشفع] ﴿ إنّـهُ هوَ العـزيزُ ﴾ الغالب في انتقامه من أعدائه ﴿ الرحيمُ ﴾ .

[٤٣] ﴿ إنَّ شجرَةَ الزَّقُومِ ﴾ التي هي أخبث شجرة معروفة في البادية .

[٤٤] ﴿ طعامُ الأثيمِ ﴾ الفاجر الكثير الآثام .[عن ابن عباس قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم ـ ابن جرير].

[٤٥] ﴿ كالمُهْلِ ﴾ هو عكر الزيت في قعره ﴿ يغْلي في البُطُونِ ﴾ يضطرب فيها من شدة الحرارة فيقلق القلوب ويحرقها .

[٤٦] ﴿ كَغَلْيِ الحَميمِ ﴾ كالماء الحار الذي انتهى غليانه .

[٤٧] ﴿ خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ ﴾ ادفعوه بعنف ﴿ إلى سواءِ الجحيمِ ﴾ إلى وسطها ومعظمها .

[٤٨] ﴿ ثم صُبُّوا فوقَ رأسِهِ من عذابِ الحميمِ ﴾ لتستوفي جميع أجزاء بدنه نصيبَها .

[٤٩] ﴿ ذُقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريمُ ﴾ يقال له ذلك على سبيل الهزء والتهكم ، فيتم له مع العذاب الأول ـ وهو الحسيّ ـ العذابُ العقليّ . [ذكر ابن جرير أنّ هذه الآيات نزلت في أبي جهل بن هشام ، فعن قتادة أن أبا جهل لقي النبي ﷺ فأخذه فهزه ثم قال : أولى لك يا أبا جهل فأولى ، ثم أولى لك فأولى ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، وذلك أنه قال : أيوعدني محمد ، والله لأنا أعز من مشى بين جبليها].

[٥٠] ﴿ إنَّ هذا ﴾ العذاب أو الأمر ﴿ ما كنتُم بهِ تَـمْـتَرُونَ ﴾ تشكّون مع ظهور دلائله .

[٥١] ﴿ إنَّ المُتَّقِينَ في مَقامٍ أمينٍ ﴾ يأمن صاحبه من الخوف والفزع .[٥٢] ﴿ في جَنّاتٍ وعُيُونٍ ﴾ .

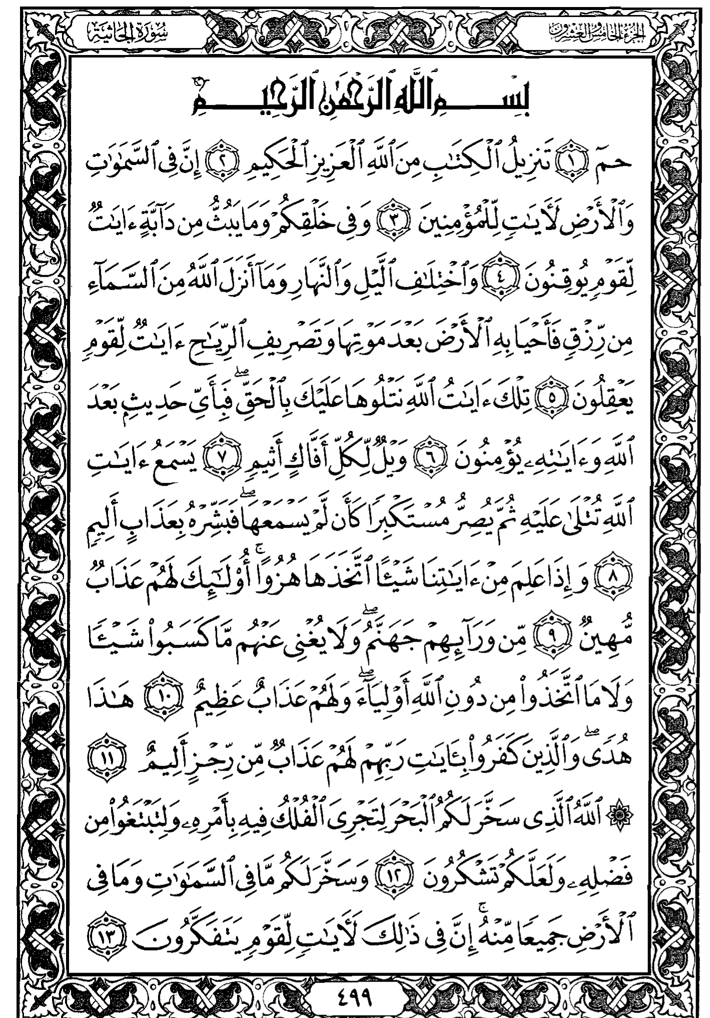
[٥٣] ﴿ يلبَسُونَ من سُنْدُسٍ وإستَبْرَقٍ ﴾ ما رقّ من الحرير وكثُف ﴿ مُتقابِلِينَ ﴾ في مجالسهم أو أماكنهم .

[٥٤] ﴿ كذلك وزوَّجناهُم بحُورٍ عِينٍ ﴾ قرنّاهم بما فيه قرّة أعينهم واستئناس قلوبهم .

[٥٥] ﴿ يدعُونَ فِيها بكلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه ، آمنين من كل ضرر .

[٥٦] ﴿ لا يذوقونَ فيها الموْتَ إلا المَوْتَةَ الأُولى ﴾ لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة ، الموتَ بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا ﴿ ووقَاهُم عذابَ الجحيمِ ﴾ . [٥٧] ﴿ فضلاً من ربِّكَ ، ذلك هُوَ الفوزُ العظيمُ ﴾ . [٥٨] ﴿ فإنّما يسَّرْناهُ بلسانِكَ ﴾ سهلناه حيث أنزلناه بلغتك ﴿ لعلّهُم يتذكَّرُونَ ﴾ يتعظون بعبَره وعظاته وحُجَجه ، فينيبوا إلى طاعة ربهم ويذعنوا للحق .

[٥٩] ﴿ فارتَقِبْ ﴾ ما يحل بهم من زهوق الباطل ﴿ إنّـهُم مُرْتَـقِبُونَ ﴾ منتظرون عند أنفسهم غلبتك ، أو هو قولهم ﴿نتربص به رَيْبَ المنون﴾ وهذا وعْد له ﷺ بالنصرة والفتح عليهم ، ووعيد لهم ، وقد أنجز الله وعده .



سُورَةُ الجَاثِيَةِ — الجزء الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

٤٩٩

[سورة الجاثية]

سميت الجاثية لتضمن آياتها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة وتسمى سورة « الشريعة » لتضمن آياتها وجه نسخ هذه الشريعة سائرَ الشرائع وفضلها عليها ، وهي مكية . واستثنى بعضهم الآية ١٤ فقيل هي مدنية ، نزلت في شأن عمر . وعدد آياتها سبع وثلاثون آية .

[١] ﴿حمٓ﴾ تقدم معنى قوله ﴿حمٓ﴾ .

[٢] ﴿ **تنزيلُ الكتاب من اللَّهِ العزيزِ** ﴾ فعزّته تقتضي إفاضة الحجج التي بها الغلبة على الخصوم ﴿ **الحكيم** ﴾ والحكمة تقتضي محو الشُبه وإزالة النقائص وإحراق الشقاوة وتمهيد الفكر .

[٣] ﴿ **إنَّ في السَّمٰوات والأرضِ لآياتٍ للمؤمنِينَ** ﴾ .

[٤] ﴿ **وفي خَلقِكم وما يَبُثُّ من دابَّةٍ آياتٌ لقومٍ يوقِنُونَ** ﴾ .

[٥] ﴿ **واختلافِ الليلِ والنهارِ وما أنزلَ اللَّهُ من السَّماءِ من رِزْقٍ** ﴾ أي مطر ، سمي رزقاً لأنه سببه ﴿ **فأحْيا به الأرضَ بعد موتِها وتصريفِ الرِّياحِ** ﴾ [عن قتادة قال : تصريفها إن شاء جعلها رحمة وإن شاء جعلها عذاباً ـ ابن جرير] ﴿ **آياتٌ لقومٍ يعقِلُونَ** ﴾ عن الله ما وعظهم به ودعاهم إليه .

ثلاثة أرباع الحزب ٥٠

[٦] ﴿ **تلكَ آياتُ اللَّهِ** ﴾ الدالة على كمال قدرته وحكمته وإرادته ﴿ **نتْلوها عليكَ بالحقِّ فبأيِّ حديثٍ بعدَ اللَّهِ وآياتِهِ يؤْمِنُونَ** ﴾ أي بعد آياته ودلائله الباهرة .

[٧] ﴿ **ويْلٌ لكلِّ أفَّاكٍ** ﴾ كذاب يتكلم في حق الله وصفاته على خلاف الدليل ﴿ **أثيم** ﴾ مذنب ، بترك الاستدلال ، لاسيما إذا لم يترك عن غفلة بل كونه :

[٨] ﴿ **يسمعُ آياتِ اللَّهِ** ﴾ لا بالإخبار عنها بالغيب بل ﴿ **تُتْلى عليهِ ثم يُصِرُّ** ﴾ على إنكارها ﴿ **مُسْتَكْبِراً** ﴾ عن قبولها ، لا يتأثر بها أصلاً ﴿ **كأنْ لم يَسْمَعْها ، فبشِّرْهُ بعذابٍ أليم** ﴾ .

[٩] ﴿ **وإذَا عَلِمَ مِن آياتِنا شيئاً اتَّخذَها هُزُواً** ﴾ استهانة بها ﴿ **أولئكَ لهُم عذابٌ مُهينٌ** ﴾ .

[١٠] ﴿ **مِن ورائِهِم جهنَّمُ** ﴾ من بعد انقضاء آجالهم ، عذابها ﴿ **ولا يُغني عنهُم ما كَسَبُوا** ﴾ من الأموال والأولاد ﴿ **شيئاً** ﴾ من عذاب الله ﴿ **ولا ما اتَّخذوا مِن دونِ اللَّهِ أوْلياءَ** ﴾ يعني آلهتهم التي عبدوها ، أو رؤساءهم الذين أطاعوهم في الكفر واتخذوهم نصراء في الدنيا ﴿ **ولَهُم عذابٌ عظيمٌ** ﴾ .

[١١] ﴿ **هذا** ﴾ القرآن الكريم ﴿ **هُدىً** ﴾ بيان ودليل إلى الحق ، يهدي إلى صراط مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه ﴿ **والذين كفروا بآياتِ ربِّهِم لهُم عذابٌ مِن رجْزٍ أَلِيمٌ** ﴾ هو أشد العذاب .

[١٢] ﴿ **اللَّهُ الذي سخَّرَ لكُمُ البَحرَ لتجريَ الفُلْكُ فيه بأمرِه** ﴾ أي بتسخيره ﴿ **ولتبْتَغُوا من فَضْلِهِ** ﴾ باستفادة علم وتجارة وأمتعة غريبة ، وجهاد وهداية وغوْص فيه لاستخراج لآلئه ، والصيد منه ﴿ **ولعلَّكُم تَشكُرُونَ** ﴾ نعمة هذا التسخير ، فتعبدوه وحده ، وتصرفوا ما أنعم به عليكم ، إلى ما خلقتم له . [١٣] ﴿ **وسخَّرَ لكُم ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ جميعاً منهُ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرُونَ** ﴾ في آيات الله وحججه وأدلّته ، فيعتبرون بها ويتفكّرون .

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿ قُل للـذينَ آمَنُـوا ﴾ صـدَّقـوا بـالله واتبعـوك ﴿ يغفِروا للذينَ لا يرجُونَ أيامَ اللَّهِ ﴾ لا يخافون بأس الله ونقمـه ووقـائعـه بأعـدائه ﴿ لِيَجْـزِيَ قـوماً بِما كـانُـوا يكسِبُونَ ﴾ من عملهم ، ومنـه العفـو والتجـاوز عن بعض ما يـؤذي ويوحش . [عن ابن عباس قـال : كان نبي الله ﷺ يعـرض عـن المشركين إذا آذوه ، وكـانـوا يستهزئون به ، ويكذبونـه ، فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافة ، فكان هذا من المنسوخ ـ ابن جرير] .

[١٥] ﴿ مَن عَمِلَ صالحاً فلنفسِهِ ﴾ لكونـه افتكَّها من العذاب ﴿ ومَن أساءَ فعَلَيْها ﴾ فعلى نفسه جنى ، لأنه أوْبَقها بذلك ﴿ ثُمَّ إلى ربِّكُم تُرجَعُونَ ﴾ تصيرون إليه ، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

[١٦] ﴿ ولقَدْ آتيْنـا بني إسرائيلَ الكتابَ ﴾ أي التوراة ﴿ والحُكْمَ ﴾ الفهم بالكتاب والعلم بالسنن التي لم تنزل بالكتاب ﴿ والنُّبوَّةَ ﴾ وجعلنـا منهم أنبيـاء ورسـلاً إلى الخلق ﴿ ورزقناهُم من الطَّيِّباتِ ﴾ يعني المنَّ والسلـوى ﴿ وفضَّلناهُم على العالمِينَ ﴾ أي عالمي أهـل زمانهم ، بإيتائهم ما لم يُؤْتَ غيرُهم .

[١٧] ﴿ وآتَيْناهُم بيِّناتٍ من الأمرِ ﴾ أي حججاً وبراهين وأدلـة قـاطعـات ، تأبى الاختـلاف ، ولكن أبـوْا إلاّ الاختلاف ﴿ فما اختـلَفوا إلاَّ مـن بعْدِ ما جـاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بينَـهُم ﴾ ظلماً وتعدياً منهم لطلب الحظوظ العاجلة ﴿ إنَّ ربَّـكَ يَقضِي بينـَهُم يـومَ القيامَـةِ فِيما كانـوا فيـه يختلِفُونَ ﴾ وهـذا فيـه تحذيـر لهذه الأمـة ، أن تسلك مسلكهم ، وأن تقصد منهجهم .

[١٨] ﴿ ثمَّ جعلناكَ على شَريعةٍ من الأمرِ ﴾ على طريقة وسنة ومنهاج من أمر الدين ، الذي أمرنا به من قبل من رُسُلِنا ﴿ فاتَّبِعْهَا ﴾ أي تلك الشريعة الثابتة بالدلائل والحجج ﴿ ولا تَتَّبِعْ أهواءَ الذين لا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين ، وما هم عليه من الأهواء التي لا حجة عليها .

[١٩] ﴿ إنَّهم لَنْ يُغْنوا عنكَ مـن اللَّهِ شيئاً ﴾ لن يدفعوا عنك من غضبه وعقابه شيئاً ما ﴿ وإنَّ الظَّالِـمِينَ بعضُهُم أولياءُ بَعْضٍ ﴾ أعوان وأنصار على المؤمنين وأهل الطاعة ، أو في التحزب والتقوّي ﴿ واللَّهُ وليُّ المُتَّقِينَ ﴾ من اتقاه بعبادته وحده وخشيته بكفايته من بغى عليه ، وكاده بسوء .

[٢٠] ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ بصائِرُ للنَّاسِ ﴾ يبصرون به الحق من الباطل ، ويعرفـون به سبيل الرشاد ﴿ وهُدىً ﴾ من الضلالة ﴿ ورَحْمَةٌ ﴾ من العذاب لمن آمن وأيقن ﴿ لقـوم يُوقِنُونَ ﴾ يطلبون اليقين .

[٢١] ﴿ أمْ حَسِبَ الذين اجترَحوا السَّيِّئاتِ ﴾ أي اكتسبوا سيئات الأعمال ﴿ أنْ نجعلَـهُم كالذين آمَنُوا وعمِلوا الصَّالِحاتِ سواءً مَحياهُم ومَماتُـهُم ، ساءَ ما يَحْكُمُونَ ﴾ والمعنى : إنكار أن يستـوي المسيئون والمحسنـون محْيَاً ، وأن يستووا ممـاتاً ، لافتراق أحوالهم أحيـاء حيث عاش هـؤلاء على القيام بالطاعات ، وأولئك على ركوب المعاصي ، ومماتاً حيث مات هـؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه ، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هَوْل ما أعدَّ لهم .

[٢٢] ﴿ وخلقَ اللَّهُ السَّـمواتِ والأرضَ بالحَقِّ ﴾ قـال ابن جـريـر : خلقنـاهما للحق والعـدل . ومن الحق أن تخالف بين حكم المسيء والمحسن في العاجل والآجل ﴿ ولِتُجْزَى كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ ﴾ يداه ﴿ وهُم لا يُظلَمُونَ ﴾ في جزاء أعمالهم .

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] ﴿ **أفرأَيْتَ مَنِ اتَّخذَ إلهَـهُ هَواهُ** ﴾ من ترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى ، فكأنه يعبده ، فجَعله إلهاً ﴿ **وأضلَّهُ اللَّهُ على عِلْم** ﴾ عالماً بحاله من زوال استعداده وانقلاب وجهه إلى الجهة السفلى ﴿ **وخَتم على سَمْعِهِ وقَلْبِهِ** ﴾ أي بالطرد عن باب الهدى ، والإبعاد عن محل سماع الكلام الحق وفهمه ﴿ **وجعلَ على بَصَرِه غِشاوَةً** ﴾ عن رؤية حجج الله وآياته ﴿ **فمَنْ يهديـهِ مِن بعدِ اللَّهِ** ﴾ أي فمن يوفقه لإصابة الحق بعد إضلال الله إياه ﴿ **أفَلا تذكَّرُونَ** ﴾ .

[٢٤] ﴿ **وقالـوا ما هِيَ إلاّ حياتُنا الـدُّنْيا** ﴾ ما الحياة أو الحال غير حياتنا هذه التي نحن فيها ﴿ **نمُوتُ ونَحْيا وما يُهلِكُنا إلاّ الـدهـرُ وما لهُم بـذلكَ** ﴾ إشارة إلى نسبة الحوادث إلى الدهر ، أو إلى إنكار البعث ، أو إلى كليهما ﴿ **مِن عِلْمٍ إنْ هُم إلاّ يظُنُّونَ** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **وإذا تُتْلَى عليهِم آياتُنا بيِّناتٍ** ﴾ بأن الله باعث خلقه يوم القيامة ﴿ **ما كانَ حُجَّتَـهُم إلاّ أنْ قالوا ائْتُوا بآبـائِنا إنْ كنتُم صادِقِينَ** ﴾ أي انشروهم أحيـاء حتى نصدق ببعثنا أحياء بعد مماتنا ، كأنه قيل : ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة ، بمعنى أن لا حُجَّة لهم البتة .

[٢٦] ﴿ **قُلِ اللّـهُ يُحيِيكُم ثـم يميتُـكُم ثمّ يجمعُكُم إلى يـومِ القِيـامَـةِ لا ريبَ فيـه ولكنَّ أكثـرَ النـاسِ لا يعلَمُون** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **وللّهِ مُلْـكُ السَّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ فلا مالك غيره ، ولا معبود سواه ﴿ **ويومَ تقومُ الساعةُ يومئذٍ يَخْسَرُ المُبْطِلون** ﴾ الذين أتوا بالباطل في أقوالهم وأفعالهم ، وهم المشركون .

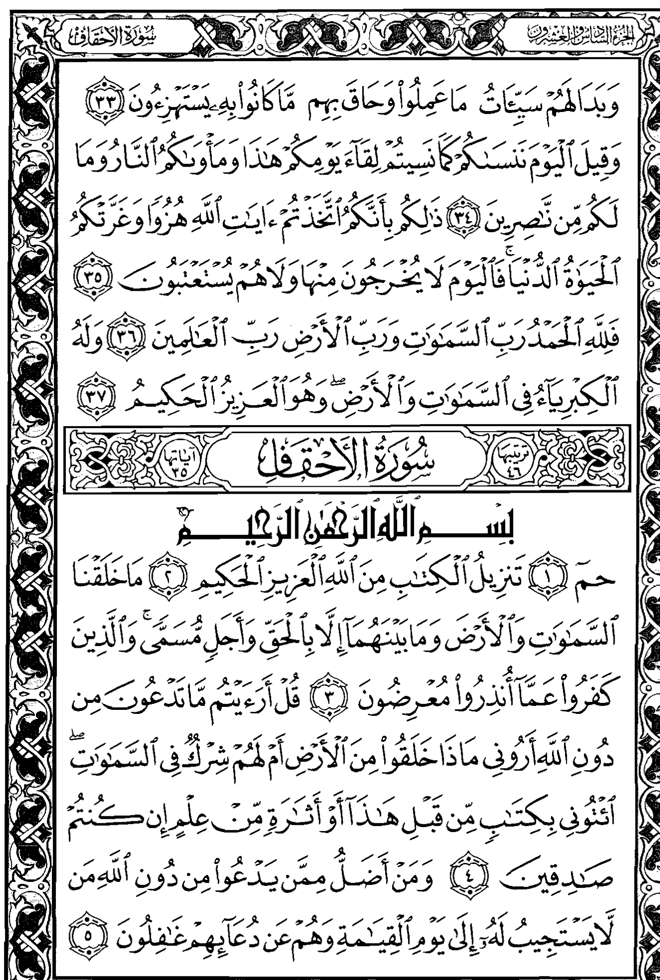
[٢٨] ﴿ **وترى كلَّ أمَّةٍ جاثِيَـةً** ﴾ باركة ، مستوفزة على الركب ـ قاعدة قعوداً منتصباً غير مطمئن ـ لا حراك بها ، شأن الخائف المنتظر لما يكره ، وذلك عند الحساب ، أو في الموقف الأول ، وقت البعث قبل الجزاء ﴿ **كُلُّ أمَّةٍ تُدْعى إلى كتابِها** ﴾ أي اللوح الذي أثبت فيه أعمالها ، ويعطى بيمين من كان سعيداً ، وبشمال من كان شقياً ﴿ **اليومَ تُـجزَوْنَ ما كنتُم تعمَلُونَ** ﴾ .

[٢٩] ﴿ **هذا كتابُـنا يَنْطِقُ عليكُم بالحَقِّ** ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان ﴿ **إنَّا كُنَّـا نستنْسِخُ** ﴾ نستكتب الملائكة ﴿ **ما كنتُم تعمَلُونَ** ﴾ .

[٣٠] ﴿ **فأمَّا الذينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحاتِ** ﴾ أي ما صلح به حالهم في المعاد الجسمانيّ ﴿ **فيُدخِلُـهُم ربُّـهُم في رحمتِهِ** ﴾ أي في جنته ﴿ **ذلكَ هوَ الفَوْزُ المُبِينُ** ﴾ .

[٣١] ﴿ **وأمَّا الذين كفرُوا** ﴾ فيقال لهم : ﴿ **أفلَمْ تكنْ آياتِي تُـتْلَى عليكُم فاستكبَرتُم وكُنـتُم قـوماً مُجْرِمِينَ** ﴾ بكسب الآثام ، والكفر بالله ، وعدم التصديق بمَعَاد ، ولا الإيمان بثواب وعقاب .

[٣٢] ﴿ **وإذا قِيلَ إنَّ وعْدَ اللّـهِ حَقٌّ والساعـةُ لا ريْبَ فيهـا قلتُم مـا ندْرِي مـا السَّـاعـةُ** ﴾ أي : لا نستيقـن بها ﴿ **إنْ نظُنُّ إلا ظَنًّا ، ومـا نحنُ بِمُسْتَـيْـقِـنِينَ** ﴾ أنها كائنة وآتية .



[٣٣] ﴿ وبَدَا لهُم سيِّئاتُ ما عَمِلوا ﴾ ظهر لهم قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئة ﴿ وحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يستَهْزِئُونَ ﴾ يعني الجزاء .

[٣٤] ﴿ وقِيلَ اليومَ ننساكُم كما نَسِيتُم لِقاءَ يومِكُم هذا ﴾ نترككم في العذاب ، تَرْكَ ما يُنسى ، كما تركتم التأهب له ، فـ ﴿ ننساكم ﴾ استعارة أو مجاز مرسل ﴿ ومأواكُمُ النَّارُ ، وما لكُم مِن ناصِرِينَ ﴾ .

[٣٥] ﴿ ذلكُم بأنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً وغرَّتكُمُ الحياةُ الدُّنْيا ﴾ أي خدعتكم حتى آثرتموها على الآخرة ، وزعمتم أن لا حياة سواها ﴿ فاليومَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها ﴾ أي من النار ﴿ ولا هُم يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم ، أي يرضوه ، من الإعتاب وهو إزالة العتب ، كناية عن الإرضاء ، أو لا هم يُرَدُّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة ، فما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ .

الحزب ٢٦ الجزء ٥١

[٣٦] ﴿ فللَّهِ الحَمْدُ ﴾ أي الثناء الكامل ﴿ ربِّ السَّماواتِ وربِّ الأرضِ ربِّ العالمينَ ﴾ .

[٣٧] ﴿ ولهُ الكِبْرِياءُ في السَّماواتِ والأرضِ ﴾ له الاستعلاء على كل شيء باستغنائه عنه وافتقار كل شيء إليه تعالى ﴿ وهوَ العزيزُ ﴾ القويُّ القاهر لكل شيء ﴿ الحكيمُ ﴾ .

[سورة الأحْقَاف]

مكية . وعدد آياتها خمس وثلاثون آية .

[١] ﴿ حـمٓ ﴾ من الأحرف المقطعة وتُقرأُ : حا ، ميم .

[٢] ﴿ تَنْزِيلُ الكتاب مِنَ اللَّهِ العَزيزِ الحَكيمِ ﴾ . [٣] ﴿ مَا خَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما إلاّ بالحَقِّ ﴾ إلا بالحكمة وإقامة العدل في الخلق ﴿ وأجَلٍ مُسمًّى ﴾ وبتقدير أجل مسمًّى هو يوم القيامة ﴿ والّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا ﴾ من هول ذلك اليوم ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ لا يُؤْمنون .

[٤] ﴿ قُلْ أرأيْتُمْ ما تدعونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من الأوثان التي تعبدونها ﴿ أرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ ﴾ [فإن ربي خلق الأرض كلها ، فابتدعها من غير أصل] ﴿ أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ ﴾ حتى تستحق العبادة ﴿ ائتُونِي بكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هذا ﴾ تبكيت لهم لعجزهم عن ذلك ، فقد تحداهم بإتيان كتاب إلهي من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشِّرْك يدل على صحة دينهم ﴿ أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [قال ابن جرير : معناه : أو ائتوني بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئاً وأن لها شركاً في السموات من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض ، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو خاصة من علم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو علم تثيرونه فتستخرجونه ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو تأثرون ذلك علماً عن أحد ممن قبلكم ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو بينة من الأمر ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : ببقية من علم] واختار القاسمي : أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاق هذه الآلهة المزعومة للعبادة ﴿ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ في دعواكم .

[٥] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجيبُ لَـهُ ﴾ دعاءه لعجزه عنها ﴿ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ﴾ جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ، ذلك أن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لأنهم في القيامة أيضاً لا يستجيبون لهم ﴿ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ لأنهم إما جمادات وإما مسخَّرون مشغولون بأحوالهم ، والغفلة مجاز عن عدم الفائدة منها .

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿ وَإِذا حُشِرَ النَّاسُ ﴾ جُمعوا يوم القيامة للحساب ﴿ كَانُوا ﴾ أي آلهتهم المزعومة ﴿ لَهُمْ أَعْدَاءً ﴾ لتبرئهم منهم ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ تقول هذه الآلهة المعبودة من دون الله : ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بها ، تبرأنا إليك منهم يا ربنا .

[٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ جحدوه أول ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعمال رويَّة .

[٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ لا تقدرون أن تدفعوا عني سوءاً إن أصابني به ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ بما تخوضون في حقه من أنه سحر أو إفك ﴿ كَفى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالصدق بما يؤدبني به من آياته وصدق مواعيده ﴿ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ لمن تاب وآمن .

[٩] ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه ، فلِمَ تستنكرون بعثتي ، وتستبعدون رسالتي . والبدع كالبديع بمعنى الجديد المبتدأ ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ فيما لم يوح إليّ . والوحي ببعض الأمور لا يستلزم العلم بالباقي ، ذلك أنه ﷺ ما كان ليضم إلى الوحي كذباً من عنده ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ ﴾ في تقرير الأمور الغيبية ﴿ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ منذرٌ عقاب الله على كفركم به .

[١٠] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ كَانَ ﴾ القرآن ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ منزلاً من لدنه عليّ ، لا سحراً مفترى كما تزعمون ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ هو عبد الله بن سلام ، وهو يهودي أسلم وحسن إسلامه ﴿ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ على مثل القرآن وهو ما في التوراة من الأحكام المصدِّقة له من الإيمان بالله وحده وما يتبعه ، أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى . و « الفاء » في قوله تعالى ﴿ فَآمَنَ ﴾ للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق ﴿ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان به بعد هذه الشهادة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ استئناف مشعر بأن كفرهم لضلالهم المسبب عن ظلمهم .

[١١] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْكَانَ ﴾ الإيمان ، أو ما أتى به الرسول ﷺ ﴿ خَيْراً ، مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ لو كان من عند الله لكنا أولى به ، كسائر الخيرات من المال والجاه ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ أي كذب قديم ، كما قالوا ﴿ أساطير الأوّلينَ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ قدوة يؤتمُّ به في دين الله وشرائعه ، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه [من اليهود] ﴿ وَهَذا ﴾ القرآن الذي يقولون فيه ما يقولون ﴿ كِتَابٌ مُصَدِّقٌ ﴾ لكتاب موسى ﴿ لِسَاناً عَرَبِيّاً ﴾ أي بيّناً واضحاً ﴿ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره ﴿ وَبُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا .

[١٣] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قالوا : رَبُّنَا اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ بعد التوحيد على العمل الصالح ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم ﴾ من هول يوم القيامة ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لا يحزنهم الفزع الأكبر .

[١٤] ﴿ أُولئك أصحابُ الجنَّةِ ، خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملونَ ﴾ .

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿ وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالدَيْه إحْساناً ﴾ هذا أمر بالإحسان للوالدين وتهديد لمن عقَّهما وعصاهما في الإيمان المذكور في قوله تعالى : ﴿والذي قال لوالديه. . .﴾ الآية ١٧ ﴿حَمَلْتهُ أمُّه كُرْهاً، وَوَضَعَتْه كرهاً﴾ الكره المشقَّة ﴿وحَمْلُه وفِصَالُه﴾ حمله جنيناً في بطنها ، وفطامه من الرضاع ﴿ ثلاثونَ شَهْراً ﴾ تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله مما يوجب للأم مزيد العناية وأكيد الرعاية . وقد استدل الإمام علي كرَّم الله وجهه بهذه الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وهو استنباط قوي صحيح وافقه عليه الخليفة عثمان رضي الله عنه وجماعة من الصحابة ﴿ حَتّى إذا بَلَغَ أشُدَّهُ ﴾ أي استحكم قوته وعقله ﴿ وبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ ربِّ أوْزِعْني ﴾ ألْهِمْني ﴿ أنْ أشكُر نِعْمتَكَ التي أنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى والدَيَّ ﴾ بالهداية للتوحيد والعمل بطاعتك وغير ذلك ﴿ وأنْ أعْمَلَ صَالحاً تَرْضاهُ ، وأَصْلِح لِي فِي ذُرِّيَّتي ﴾ واجعل الصلاح سارياً في ذرّيتي راسخاً فيهم ﴿ إنِّي تُبْتُ إلَيكَ ﴾ من ذنوبي التي سلفت مني ﴿ وإنِّي مِنَ المُسْلِمينَ ﴾ المستسلمين لأمرك ونهيك ، المنقادين لحُكْمك .

[١٦] ﴿ أُولئكَ ﴾ الموصوفون بالتوبة والاستقامة ﴿ الذينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ﴾ من الصالحات ، فنجازيهم عليها ﴿ ونتجاوَزُ عن سيئاتِهِمْ ﴾ فلا نعاقبهم عليها لتوبتهم ﴿ في أصْحاب الجَنّةِ ﴾ معدودين في زمرتهم ثواباً ومقاماً ﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ الذي كانوا يُوعَدونَ ﴾ وعدهم تعالى هذا الوعد الحق في الدنيا ، وهو موفيه لهم في الآخرة .

[١٧] ﴿ والذي قالَ لوالدَيْه ﴾ حين دعواه إلى الإيمان والاستقامة : ﴿ أُفٍّ لَكُما ﴾ من هذه الدعوة ﴿ أتعِدانِني أنْ أُخْرَجَ ﴾ أن أُبعث من قبري بعد فنائي ﴿ وقدْ خلَت القرونُ منْ قبْلِي ﴾ هلكت ولم يرجع أحد منهم ﴿ وهُما يَسْتَغيثانِ اللّهَ ﴾ المعنى : إنكار قوله واستعظامه كأنهما لجآ إلى الله في دفعه كما يقال العياذ بالله ، أو المعنى : يطلبان أن يغيثه اللّهُ بالتوفيق حتى يرجع عما هو عليه ﴿ وَيْلَكَ آمِنْ ﴾ صدِّق بوعد الله وأقرّ أنك مبعوث بعد الموت ﴿ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ ﴾ إن وعده ببعثهم من القبور لمجازاتهم حق لا شك فيه ﴿ فَيَقُولُ ﴾ مجيباً والديه راداً عليهما نصيحتهما مكذباً بوعد الله ﴿ مَا هذا إلا أساطيرُ الأولينَ ﴾ أي أباطيلهم التي كتبوها من عند أنفسهم .

[١٨] ﴿ أولئكَ الذينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ ﴾ الإلهي وهو العذاب ﴿ في أُمَمٍ قدْ خلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنِّ والإنْسِ ﴾ الذين كَذّبوا رسل الله ، وعتوْا عن أمره ﴿ إنَّهُمْ كانوا خاسِرينَ ﴾ ببيعهم الهدى بالضلال .

[١٩] ﴿ وَلكلٍّ ﴾ من الفريقين ﴿ دَرجَاتٌ مِمّا عَمِلوا ﴾ أي مراتب من جزاء ما عملوا من صالح أو سيء ﴿ وَلِيُوَفِّيَهُم أعمالَهُم ﴾ أي جزاءها ﴿ وهُمْ لايُظْلَمونَ ﴾ بنقص ثواب ولا زيادة عقاب . [٢٠] ﴿ وَيَوْمَ يُعْرضُ الذينَ كَفَرُوا على النّارِ ﴾ فيقال لهم : ﴿ أذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيا واسْتَمْتَعْتُمْ بها ﴾ فما بقي لكم من اللذائذ شيء لأستوفيكم إياها ﴿ فاليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ ﴾ الهوان ﴿ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ بغير ما أباح الله لكم وأذن ﴿ وَبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ عن طاعته ، فأبعدكم عن كرامته .


الجزء السادس والعشرون — سورة الأحقاف

وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا اللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٥٠٥

ربع الحزب ٥١

[٢١] ﴿ **واذْكُرْ أخا عادٍ** ﴾ يعني هوداً عليه السلام ﴿ **إذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقَافِ** ﴾ جمع حقف وهو الرمل المستطيل المرتفع . يقال أنهم كانوا في اليمن مشرفين على البحر [وقال بعضهم: هي جبل بالشام، وقال آخرون: بل هي واد بين عُمان ومهرة، وقال آخرون: هي أرض، وقال آخرون: هي رمال مشرفة على البحر بالشِّحْر ـ ابن جرير] ﴿ **وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ** ﴾ وقد مضت الرسل بإنذار أممهم قبله وبعده متفقين على : ﴿ **ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ اللّهَ** ﴾ لا تشركوا به شيئاً . وقال كل واحد منهم عليهم السلام : ﴿ **إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ** ﴾ من عبادة غير الله ﴿ **عذابَ يَوْمٍ عظيمٍ** ﴾ أي عذاباً بمقدار شِركهم .

[٢٢] ﴿ **قالوا أَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا** ﴾ لتصرفنا ﴿ **عَنْ آلِهَتِنا ، فَأْتِنا بِما تَعِدُنا** ﴾ من العذاب على عبادتنا إيّاها ﴿ **إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ** ﴾ في وعدك أنه آت لا محالة .

[٢٣] ﴿ **قال إنّما العِلْمُ عِندَ اللّهِ** ﴾ فلا أعلم وقت مجيء العذاب ﴿ **وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ ، ولكِنِّي أراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ** ﴾ فلا تعرفون ما عليكم من المضرّة بعبادتكم غير الله وفي استعجال عذابه .

[٢٤] ﴿ **فلَمّا رأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ** ﴾ فلما جاءهم العذابُ الذي استعجلوه فرأوْه عارضاً في ناحية من نواحي السماء متجهاً نحو مزارعهم ﴿ **قالوا هذا عارِضٌ** ﴾ أي سحاب عارض ﴿ **مُمْطِرُنا** ﴾ بغيثٍ نحيا به ﴿ **بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ** ﴾ من العذاب ﴿ **رِيحٌ فِيها عذابٌ أليم** ﴾ .

[٢٥] ﴿ **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ تُهلك أموالهم وأنفسهم ﴿ **بأمْرِ رَبِّها** ﴾ بإذنه الذي لا يُعارض ، فلم تدفعْ عنهم آلهتهم بل دمّرتهم ﴿ **فأَصْبَحُوا لا يُرى إلاّ مَساكِنُهُم** ﴾ بيوتهم ﴿ **كذلكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ** ﴾ الكافرين الذين تمادوا في غيِّهم . وفي هذا إشارة إلى أهل مكة ومن كان على شاكلتهم .

[٢٦] ﴿ **ولَقَدْ مَكّنّاهُمْ فِيما إنْ مَكّنّاكُمْ فِيهِ** ﴾ والخطاب لكفار قريش ، أي مكّنّا عاداً وآتيناهم من كثرة الأموال وقوة الأجسام فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا . وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿ **وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وأبصاراً وأَفْئِدَةً** ﴾ جعلنا لهم ما يسمعوا ويبصروا ويعقلوا به مواعظ الله وحججه ﴿ **فما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أبْصارُهُمْ ولا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ لأنهم لم يستعملوها فيما خُلِقتْ له ، بل في خلافه ﴿ **إذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بآياتِ اللّهِ ، وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُون** ﴾ من العذاب ، والجحود: الكفر والإنكار ، وحاق: نزل .

[٢٧] ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ** ﴾ ما حول قريتكم يا أهل مكة ﴿ **مِنَ القُرى** ﴾ كحِجْر ثمود ، وأرض سدوم ، وسد مأرب ونحوها ، فأنذرنا أهلها وخربنا ديارهم فجعلناها خاوية على عروشها ﴿ **وَصَرّفْنا الآياتِ** ﴾ وعظناهم بأنواع العظات وبيَّنّا الحجج ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ عن الكفر بالله ورسله . ودلالة الكلام : أبوا إلا الإقامة على كفرهم فأهلكناهم فلم ينصرهم منا ناصر .

[٢٨] ﴿ **فَلَوْلا نَصرَهُمُ الذين اتّخَذُوا مِنْ دونِ اللّهِ قُرباناً آلِهَةً** ﴾ إن كانت تشفع لهم عنده سبحانه ﴿ **بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ** ﴾ غابوا عن نصرهم ﴿ **وَذلِكَ إفْكُهُمْ** ﴾ ضياع آلهتهم عنهم ، وامتناع نصرهم إثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ﴿ **وما كانوا يَفْتَرُونَ** ﴾ وإثر افترائهم في أنها شفعاؤهم .

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

[٢٩] ﴿ وإذ صَرفْنا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ نَفراً منَ الجِنِّ ﴾ وأقبلنا بهم نحوك [قال ابن جرير: ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله ﷺ بالحادث الذي حدث من رجمهم بالشهب] ﴿ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالوا أنْصِتُوا ﴾ ليتم التدبر والتفكُّر [قال ابن جرير: قال بعضهم: حضروا رسول الله ﷺ يتعرفون الأمر الذي حدث من قبله ما حدث في السماء، ورسول الله ﷺ لا يشعر بمكانهم. وقال آخرون: بل أمر نبي الله ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدم الله إليه بإنذارهم، وأمره بقراءة القرآن عليهم] ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ فرغ من قراءته ﴿ وَلَّوْا ﴾ رجعوا ﴿ إلى قَوْمِهِمْ مُنْذرينَ ﴾ عما هم فيه من الضلال .

[٣٠] ﴿ قالوا يا قَوْمَنا إنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ المتفق على تعظيم كتابه ﴿ مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من هذه الكتب كلها ، وقد فُضِّل عليها إذْ ﴿ يَهْدِي إلى الحَقِّ ﴾ وهو معرفة الحقائق ﴿ وإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ لا عوج فيه ، وهو الإسلام . فإن القرآن مشتمل على شيئين : خبر وطلب ، فخبره صدق وطلبه عدْلٌ .

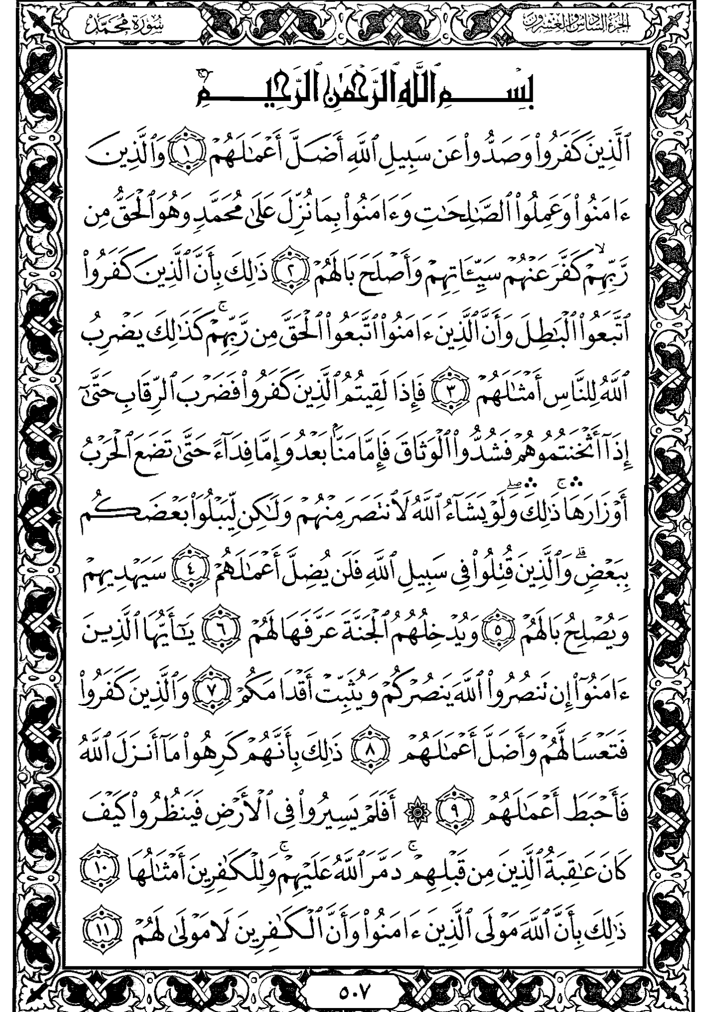
[٣١] ﴿ يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ ﴾ أي رسوله محمداً ﷺ إلى ما يدعوكم إليه من طاعته تعالى ﴿ وآمِنُوا بِهِ ، يَغْفِرْ لكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُم ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أليمٍ ﴾ فرسول الله ﷺ كانت رسالته عامة إلى الإنس والجن .[عن قتادة قال: ما أسرع ما عقل القوم، ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى ـ ابن جرير].

[٣٢] ﴿ وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجزٍ في الأَرْضِ ﴾ فليس بمعجز ربَّه بهربه إذا أراد تعالى عقوبته ، فهو في قبضته أنَّى توجّه ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ ﴾ ليس له نصراء ينصرونه من عقاب الله ﴿ أُولئِكَ في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ .

[٣٣] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بقادِرٍ على أَنْ يُحيِيَ المَوْتى ﴾ بإعادة الروح إلى الجسد ، وإخراجهم من قبورهم كهيأتهم قبل وفاتهم . و﴿ يَعْيَ ﴾ يعجز ﴿ بَلى إنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ ﴾ ولو فنى الجسد وغيره .

[٣٤] ﴿ ويَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَرُوا على النّارِ ، أَلَيْسَ هذا ﴾ الإحياء ﴿ بالحَقِّ قالوا بلى وَرَبِّنا قال فذوقوا العَذابَ بِما كُنْتُم تَكْفُرُونَ ﴾ .

[٣٥] ﴿ فاصْبِرْ ﴾ على تبليغ الرسالة وتكذيبهم وإيذائهم ﴿ كما صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ أولوا الثبات والجدِّ منهم ، فإنك منهم . والعزم ـ في اللغة ـ كالعزيمة . والعزم أيضاً القوة على الشيء والصبر عليه . وقيل هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ﴿ وَلا تَسْتَعْجِل لهُمْ ﴾ أي ولا تستعجل بمساءلتك ربك العذاب لهم ، فإن ذلك نازل بهم لا محالة ، وإن اشتد عليك الأمر من جهتهم ﴿ كأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ ﴾ من عذاب الله ونكاله وخزيه الذي ينزل بهم في الدنيا أو في الآخرة ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ ﴾ لأنه ينسيهم شدة ما ينزل بهم من عذابه ، قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا ومبلغ ما فيها مكثوا ﴿ بلاغٌ ﴾ هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية ، وإن فكّروا واعتبروا فتذكروا ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ ﴾ بعذاب الله إذا أنزله بمقتضى العدل والحكمة ﴿ إلاّ القومُ الفاسِقُونَ ﴾ الذين خالفوا أمره ، وخرجوا من طاعته .


الجزء السادس والعشرون — سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

٥٠٧

[سورة مُحمَّد]

مدنية . وعدد آياتها ثمان وثلاثون آية .

[١] ﴿ **الذينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عن سبيل الله** ﴾ أعرضوا وامتنعوا عن الإقرار لله بالوحدانية ، ولنبيه بالرسالة ، أو صدوا غيرهم عن ذلك ﴿ **أَضَلَّ أَعْمَالَهُم** ﴾ جعلها على غير هدى ورشاد .

[٢] ﴿ **والذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمَنُوا بِما نُزِّل على مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾ الثابت بالواقع ونفس الأمر ﴿ **كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ** ﴾ ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لتوبتهم عنها ﴿ **وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** ﴾ أي حالهم وشأنهم وعملهم في الدنيا بالتأييد والتوفيق .

[٣] ﴿ **ذلِكَ** ﴾ المذكور من فعله تعالى بالفريقين ﴿ **بأنَّ الذينَ** ﴾ بسبب أن الذين ﴿ **كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ ، وأنَّ الذينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ من ربِّهِمْ ، كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أمْثَالَهُمْ** ﴾ يشبّه لهم الأشباه فيلحق بكلِ قوم من الأمثال أشكالاً .

نصف الحزب ٥١

[٤] ﴿ **فَإذا لقِيتُمُ الذين كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾ وأصله : فاضربوا الرقاب ضرباً ﴿ **حَتَّى إذا أثْخَنتُمُوهُمْ** ﴾ غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم فأسرتموهم ﴿ **فَشُدُّوا الوثَاقَ** ﴾ فأمسكوهم كيلا يقتلوكم فيهربوا منكم ﴿ **فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فِداءً** ﴾ فإما تمنُّون بعد ذلك عليهم فتطْلقونهم بغير عوض ، وإما تفدون فداءً فتطلقونهم بعوض مال ﴿ **حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزارَها** ﴾ إلى انقضاء الحرب . والأوزار كالأحمال وزناً ومعنى . وقيل : أوزارها : آثامها ، يعني : حتى يترك أهل الحرب المشركون شركَهم ومعاصيهم ﴿ **ذلِكَ** ﴾ الأمر ﴿ **وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ** ﴾ لانتقم منهم بعقوبة عاجلة وكفاكم ذلك كله ﴿ **ولكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ** ﴾ ليختبركم بهم فيعلم المجاهدين منكم والصابرين فيجازيهم ، ويَبلوهم بكم فيعاقب بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحق ﴿ **والذينَ قُتِلُوا** ﴾ أي استشهدوا ﴿ **في سبيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أعْمَالَهُمْ** ﴾ .

[٥] ﴿ **سَيَهْدِيهِم وَيُصْلِحُ بالَهُم** ﴾ . [٦] ﴿ **ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ** ﴾ بيّنها لهم في كثير من آياته تعريفاً يشوق كلَّ مؤمن أن يسعى لها .

[٧] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُركُمْ ويُثَبِّتْ أقْدامَكُمْ** ﴾ بالظفر والتمكين في الأرض وإرث ديار العدو .

[٨] ﴿ **والذينَ كفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ** ﴾ أي خزياً وشقاءً ﴿ **وأضَلَّ أعْمالَهُمْ** ﴾ جعلها على غير هُدىً واستقامة .

[٩] ﴿ **ذلِكَ بأنَّهُمْ كَرِهُوا ما أنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ من الحقّ ، وشايعوا ما ألفوه من الباطل ﴿ **فأحْبَطَ أعْمالَهُمْ** ﴾ كعبادتهم الأوثان حيث لم تنفعهم بل أوبقهم بها فأصلاهم النّار .

[١٠] ﴿ **أفَلَمْ يَسِيرُوا في الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الذينَ مِنْ قَبْلِهِم** ﴾ من الأمم المكذِّبة رسلها الرّادة نصائحَها ﴿ **دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ ما اختص بهم وكان لهم ﴿ **ولِلْكافِرِينَ** ﴾ المكذّبين رسولَ الله ﷺ ﴿ **أمْثالُها** ﴾ أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة .

[١١] ﴿ **ذلِكَ بأنَّ اللَّهَ مَوْلَى الذينَ آمَنُوا ، وأنّ الكافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ لا ناصر لهم يدفع عنهم العذاب إذا حاق بهم .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿ **إن اللَّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنهارُ ، والّذينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلونَ كَما تَأْكُلُ الأَنْعامُ** ﴾ غير مفكّرين في المعاد ولا معتبرين بسنّة الله ، كغفلة الأنعام عن الذبح لا همَّ لهم إلا الاعتلاف والأنعام : هي الغنم والبقر والإبل ﴿ **والنّارُ مَثْوًى لَهُمْ** ﴾ مأواهم بعد مماتهم .

[١٣] ﴿ **وكأين** ﴾ أي : وكم ﴿ **مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الّتي أَخْرَجَتْكَ** ﴾ يعني مكة ﴿ **أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ** ﴾ .

[١٤] ﴿ **أَفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ على برهان وحُجّة وبيان من أمر ربه ، والعلم بوحدانيته ، فهو يعبده على بصيرة منه ﴿ **كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ** ﴾ فأراه إيّاه الشيطان حسناً ، فهو مقيم عليه ﴿ **واتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ** ﴾ .

[١٥] ﴿ **مَثَلُ الجَنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقُونَ فيها أنهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ** ﴾ أي متغير الريح ﴿ **وأنهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشّارِبينَ** ﴾ كما في سورة الواقعة : ١٩ ﴿ **لا يصدّعون عنها** ﴾ لا يصدر عنها صداعهم كخمور الدنيا ، والصداع : وجع الرأس ﴿ **ولا ينزفون** ﴾ لا تذهب عقولهم بسكرها ﴿ **وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى** ﴾ من القذى وما يوجد في عسل الدنيا ﴿ **ولَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثمراتِ ، ومَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خالِدٌ في النّارِ ، وَسُقُوا ماءً حَميماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ** ﴾ من فرط حرارته . وشتان بين الجزاءين كما قال في آية أخرى ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا، وعقبى الكافرين النار﴾ الرعد : ٣٥ . [١٦] ﴿ **ومِنْهُمْ** ﴾ ومن هؤلاء الكفّار ﴿ **مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّى إذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا للذينَ أوتوا العِلْمَ** ﴾ أي للصحابة استهزاءً بما سمعوه من المتلوّ وتهاوناً به : ﴿ **ماذا قالَ آنِفاً** ﴾ أي الساعة ، هل فيه هُدىً ؟ فإن بيّنوه لم يستفيدوا منه شيئاً ﴿ **أُولئِكَ الذينَ طَبَعَ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ** ﴾ فلا يدخلها الهدى لإبائهم عنه ﴿ **واتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ** ﴾ أي آراءهم ، لا مَا يدعو إليه البرهانُ .

[١٧] ﴿ **والذينَ اهْتَدَوْا** ﴾ باتباع الحق والمشي مع الحُجّة ﴿ **زادَهُمْ هُدًى** ﴾ بياناً لحقيقة ما جاءهم ﴿ **وآتاهُمْ تَقْواهُمْ** ﴾ أعانهم عليها ، أو آتاهم جزاء تقواهم ، أو بيّن لهم ما يتقون . [١٨] ﴿ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها** ﴾ قال ابن كثير : أي أمارات اقترابها ، فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام الحُجّة على العالمين ﴿ **فَأَنّى لَهُمْ إذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ** ﴾ يعني : أن ليس ذلك بوقت ينفعهم فيه التذكر والندم لأنه وقت المجازاة لا وقت استعتاب واستعمال .

[١٩] ﴿ **فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ اللَّهُ** ﴾ فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كل شيء ﴿ **واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ** ﴾ وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها ، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول : (اللهم اغفرْ لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاياي وعمدي وكل ذلك عندي) ﴿ **واللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ومَثْواكُمْ** ﴾ يعلم متصرَّفكم فيما تتصرفون فيه وإقامتكم على ما تقيمون عليه من الأقوال والأعمال فيجازيكم به .

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

[٢٠] ﴿ ويَقُولُ الـذينَ آمَنُوا لَوْلا نُـزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ تأمرنا بجهـاد أعـداء الله من الكفّـار ﴿ فإذا أُنْزِلَتْ سـورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ مبيَّنة لا تقبل نسخاً ولا تـأْويلاً ﴿ وذُكِرَ فيها القِتالُ ﴾ أي : ذُكر فيهـا الأمر بقتـال المشركين ﴿ رَأَيْتَ الذينَ فِي قلوبِـهِـم مَـرَضٌ ﴾ شكٌ في الـدين وضعف اليقين ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المغْشيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ﴾ من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء العدو ﴿ فأَوْلى لَـهُمْ ﴾ أي : قارب هلاكهم .

[٢١] ﴿ طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ أي : أمرنا طاعةٌ ﴿ فإذا عَزَمَ الأمرُ ﴾ جدَّ الحال وحضر القتـال ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ ﴾ فيما قـالـوه من الكـلام المنبىء عن الحرص على الجهاد بالعمل على موجبه ﴿ لَكانَ ﴾ الصدق ﴿ خَيْراً لَـهُمْ ﴾ في عاجل دنياهم وآجل معادهم .

[٢٢] ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْـتُمْ ﴾ إن أعـرضتم عن تنزيل الله تعالى وفـارقتم أحكام كتابه وما جاء بـه رسوله ﴿ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرضِ ﴾ بالتغاور والتناهب ﴿ وتُقَطِّعوا أَرْحامَكُمْ ﴾ تعـودوا لما كنتم عليـه في الجاهليـة من التشتت والتفرُّق بعـدما جمعكم الله بـالإسلام وألّف بين قلوبكم ، وأمركم بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام .

[٢٣] ﴿ أُولئِكَ ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿ الذينَ لَعَنَـهُمُ اللّهُ فأَصَمَّهُمْ ﴾ عن استماع الحق بسـوء اختيـارهم ﴿ وأَعْمى أَبْصارَهُمْ ﴾ لتعـاميهم عما يشـاهـدونـه من الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق .

[٢٤] ﴿ أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ ﴾ قال ابـن جريـر : أفلا يتدبر هؤلاء المنـافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القـرآن ﴿ أمْ عـلى قُـلُوبٍ أقْفالُها ﴾ فلا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر .

[٢٥] ﴿ إنّ الذينَ ارتَدُّوا على أَدْبارِهِمْ ﴾ عادوا لما كانـوا عليه من الكفر ﴿ مِنْ بَعْدِما تَـبَـيَّـنَ لَـهُمُ الهُدى ﴾ الحق بواضح الحجج ﴿ الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَـهُم ﴾ زيَّن لهم ارتدادهم وحملهم عليه ﴿ وأَمْلى لَـهُمْ ﴾ ومدَّ لهم في الآمال والأماني ، أو أمهلهم الله تعالى فمدّ في آجالهـم ولـم يعاجلهم بالعقوبة .

[٢٦] ﴿ ذلِكَ ﴾ إشارة إلى ارتـدادهم المذكور ﴿ بأنَّـهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ قالُوا ﴾ وهم المنافقون ﴿ للّذينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللّهُ ﴾ لليهود الكارهين نزول القرآن على رسول الله ﴿ سَنُطيعُكُمْ في بَعْضِ الأمرِ ﴾ في بعض أموركم ، أو ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد ، والتظاهر على الرسول ، أو الخروج معهم إن خرجوا للقتال ، وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوالونهم ويوادُّونهم ﴿ واللّهُ يَعْلَمُ إسْرارَهُمْ ﴾ إخفاءهم لما يقولونه لليهود .

[٢٧] ﴿ فَـكَيْفَ ﴾ يفعلون ويدفعون ضرر الرِّدَّة عليهم ﴿ إذا تَوَفَّـتْـهُمُ الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾ التي ولّوهـا عن الله إلى أعدائه ﴿ وأَدْبارَهُمْ ﴾ التي ولّوها عن الأعداء إلى الله .

[٢٨] ﴿ ذلِكَ ﴾ أي : التوفي الهائل ﴿ بِأَنـهُمُ اتَّـبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّهَ ﴾ من إطاعة أعدائه ﴿ وكَرِهُوا رِضْوانَـهُ ﴾ في معاداتهم ، فـأدّى بهم إلى الرِّدّة ﴿ فأَحْبَطَ أَعْمالَـهُمْ ﴾ التي كانت تفيدهم النجاة من ذلك الضرب ومن الفضائح الدنيوية .

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ الذينَ في قُلُـوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ نفاق ﴿ أنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّـهُ أَضْغانَـهُمْ ﴾ أن لن يظهر أحقـادهم لرسوله وللمـؤمنين فتبقى مستورة . والمعنى : أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال .

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْناكَهُمْ** ﴾ لعرّفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية ﴿ **فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ** ﴾ بعلامتهم التي نَسِمُهم بها ﴿ **ولتعرفنّهم في لحنِ القَوْلِ** ﴾ أي أسلوبه وما يرومون من غير إيضاح به ﴿ **واللّهُ يَعْلَمُ أعمالَكُمْ** ﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم. [وفي الحديث: (ما أسرَّ أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر) ـ ابن كثير].

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

[٣١] ﴿ **ولنبلونّكم حتّى نعلمَ المجاهدِينَ منكُمْ والصّابرينَ** ﴾ لنعلم أهل المجاهدة في سبيل الله والصبر على المشاقّ ﴿ **ونبلُوَ أخبارَكُم** ﴾ أفانين أقوالكم وضروب بياناتكم وأعمال قوة ألسنتكم في نشر الحق والصّدع به والدّأب عليه، وهل هو خالص لله أم محاباة لأحد.

[٣٢] ﴿ **إنّ الذينَ كفروا وصَدُّوا عنْ سبيلِ اللّهِ وشاقُّوا الرّسولَ منْ بعْدِ ما تبيّنَ لهُمُ الهُدى، لَنْ يضرُّوا اللّهَ شيئاً وسيُحْبِطُ أعْمالَهُم** ﴾ فتذهب سدى لا تثمر لهم نفعاً.

[٣٣] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنوا أطيعُوا اللّهَ وأطيعوا الرّسولَ ولا تُبطلوا أعمالَكُم** ﴾ [عن قتادة قال: من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها ـ ابن جرير].

[٣٤] ﴿ **إنَّ الذينَ كفروا وصَدُّوا عن سبيلِ اللّهِ ثم ماتوا وهُمْ كفّارٌ فَلَنْ يغفرَ اللّهُ لهُمْ** ﴾ لكن يعذّبهم.

[٣٥] ﴿ **فلا تهنوا** ﴾ فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد الذين اعتدوا عليكم، وصدُّوا عن سبيل الله ﴿ **وتدعوا إلى السَّلْمِ** ﴾ أي الصلح والمسالمة ﴿ **وأنتُمُ الأعلَوْن** ﴾ الأغلبون ﴿ **واللّهُ معكُم** ﴾ بنصره ما تمسكتم بحبله ﴿ **ولنْ يترَكُمْ أعمالَكُمْ** ﴾ لن ينقصكم ثوابها ويضيِّعها. [روى ابن جرير عن قتادة في قوله ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ﴾ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها، ودعتها إلى الموادعة، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم]. [٣٦] ﴿ **إنّما الحياةُ الدُّنيا لعِبٌ ولهْوٌ** ﴾ فلا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك الجهاد والتقوى ﴿ **وإنْ تُؤْمنوا وتتّقوا يُؤْتِكُمْ أجورَكُمْ** ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿ **ولا يسألْكُم أموالَكُم** ﴾ لأنه الغني عنكم، وإنما يريد منكم التوحيد ونبذ الأصنام والطاعة لما أمر والنهي عما نهى عنه.

[٣٧] ﴿ **إنْ يسألْكُموها فيُحْفِكُم تَبْخَلوا** ﴾ أي: إن يسألكموها فيجهدكم بالمسألة تبخلوا بها وتمنعوها ضناً منكم بها. والإحفاء: المبالغة ﴿ **ويُخرجْ أضْغانَكُم** ﴾ أي أحقادكم وكراهتكم لدين يذهب بأموالكم.

[٣٨] ﴿ **ها أنتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لتُنْفِقوا في سبيلِ اللّهِ** ﴾ في جهاد أعدائه ونصرة دينه ﴿ **فمِنْكُم منْ يبخَلُ** ﴾ بالنفقة فيه ﴿ **ومَنْ يبخَلْ فإنّما يبخَلُ على نفسِهِ** ﴾ لأنه يحرمها الأجر ويكسبها الوزر ﴿ **واللّهُ الغنيُّ** ﴾ عن كل ما سواه ﴿ **وأنتُمُ الفقراءُ** ﴾ والكلُّ فقير إليه ﴿ **وإنْ تتولّوْا** ﴾ عمّا جاءكم به محمد ﷺ ﴿ **يستبدِلْ قوْماً غيرَكُم** ﴾ يهلككم ثم يأتي بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يؤمنون به ويعملون بشرائعه ﴿ **ثمّ لا يكونوا أمثالَكُم** ﴾ لا يبخلون بما أُمِروا من النفقة في سبيل الله ولا يضيِّعون شيئاً من حدود دينه.

سُورَةُ الفَتْح — ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

[سورة الفتح]

سميت به لدلالتها عليه ، وهي مدنية . وعدد آياتها تسع وعشرون آية . روى البخاري أن النبي ﷺ قال في بعض أسفاره لعمر رضي الله عنه : (لقد أُنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس) ، يعني سورة الفتح .

[١] ﴿ **إنّا فتحْنا لكَ فتحاً مُبيناً** ﴾ المراد صلح الحديبية . [عن أنس رضي الله عنه قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نُسكنا فنحن بين الحزن والكآبة أنزل الله عز وجل : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ فقال رسول الله ﷺ : (لقد أنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها كلها) ـ النيسابوري] .

[٢] ﴿ **ليَغفرَ لكَ اللّهُ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ** ﴾ أي جميع ما فرط منك من ترك الأوْلى ، وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل [قال ابن جرير في تفسير ما سبق : يقول الله تعالى ذكره : إنّا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك ، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر ، لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم ، وفتحه ما فتح لك ، ولتسبحه وتستغفره ، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ، ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح ، وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته] ﴿ **ويُتِمَّ نعمتَه عليْكَ** ﴾ بإظهاره إياك على عدوّك ورفعه ذكرك ﴿ **ويهديَكَ صِراطاً مُسْتقيماً** ﴾ يرشدك طريقاً من الدين لا عوج فيه .

[٣] ﴿ **وينصُركَ اللّهُ نصْراً عزيزاً** ﴾ قوياً منيعاً لا يغلبه غالب ولا يدفعه دافع .

[٤] ﴿ **هُوَ الذي أنْزَلَ السَّكينةَ في قُلوبِ المُؤْمنينَ** ﴾ السكون والطمأنينة إلى الإيمان والحق ﴿ **ليزْدادوا إيماناً معَ إيمانِهم** ﴾ يقيناً منضماً إلى يقينهم ﴿ **وللّه جنودُ السّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ أي أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه ﴿ **وكانَ اللّهُ عليماً حكيماً** ﴾ في تقديره وتدبيره .

[٥] ﴿ **ليُدخلَ المؤمنينَ والمؤمناتِ جنّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها** ﴾ جزاء ما فعلوا ﴿ **ويُكفِّرَ عنهُم سيئاتِهم** ﴾ فيغفرها لهم ﴿ **وكَان ذلك عند اللّهِ فوزاً عظيماً** ﴾ . [٦] ﴿ **ويُعذِّبَ المنافقينَ والمُنافقاتِ ، والمشركينَ والمشركاتِ ، الظّانّين باللّهِ ظنَّ السَّوْءِ** ﴾ ظن الأمر السَّوْء وهو ألا ينصر تعالى رسولَه والمؤمنين ﴿ **عليهم دائرةُ السَّوْءِ** ﴾ بالتعذيب في الدنيا بأنواع الوقائع كالقتل والإهانة والإذلال ﴿ **وغضِبَ اللّـهُ عليهِم** ﴾ بالقهر والحجب ﴿ **ولعَنهُم** ﴾ بالطرد والإبعاد في الآخرة ﴿ **وأعدَّ لهم جهنَّمَ وساءت مصيراً** ﴾ .

[٧] ﴿ **وللّهِ جنودُ السّمٰواتِ والأرضِ ، وكانَ اللّهُ عزيزاً حكيماً** ﴾ قال القاشاني : كررها ليفيد تغليب الجنود الأرضية على السماوية في المنافقين والمشركين بعكس ما فعل بالمؤمنين ، وبدّل (**عليماً**) بقوله (عزيزاً) ليفيد معنى القهر والقمع .

[٨] ﴿ **إنّا أرسلناكَ شاهداً** ﴾ على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه ﴿ **ومُبشِّراً** ﴾ لمن استجاب لك بالجنّة ﴿ **ونذيراً** ﴾ لمن خالفك بالنّار .

[٩] ﴿ **لتُؤْمنوا باللّهِ ورسولِه وتُعزِّروه** ﴾ وتؤيدوا دينه وتُقرُّوه ﴿ **وتُوقِّروه** ﴾ تعظِّموه ﴿ **وتُسبِّحوه بُكرةً وأصيلاً** ﴾ غدوة وعشياً ، أو دائماً ، بجعل طرفي النهار كناية عن كل الأوقات .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[١٠] ﴿ **إِنَّ الذينَ يُبايِعونَك** ﴾ تحت الشجرة، على قتال قريش، وأن لا يفرُّوا عند لقاء العدوّ ﴿ **إنَّما يُبايِعونَ اللَّهَ** ﴾ لأن عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقده مع الله من غير تفاوت، فالمقصود من توثيق العهد مراعاة أوامره سبحانه ونواهيه ﴿ **يدُ اللَّه فوق أيديهم** ﴾ كأنهم يبايعون الله ببيعتهم نبيَّه ﷺ ﴿ **فمَنْ نَكَثَ فإنَّما ينكُثُ علَى نفسه** ﴾ فمن نقض العهد فإنما يعود بالضرر عليه خاصة ﴿ **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْراً عظيماً** ﴾ وهو الجنَّة. وكانت هذه البيعة هي بيعة الرُّضوان تحت شجرة سَمُرَة بالحديبية في العام الذي منعت فيه قريش رسول الله ﷺ من العمرة، ثم عاهدته قريش بعدها على الصلح الذي أدى إلى الفتح.

[١١] ﴿ **سيقولُ لكَ المُخلَّفونَ مِنَ الأعراب شَغلتْنا أموالُنا وأهلونا فاستغْفِرْ لنا** ﴾ [عن مجاهد قال: قال أعراب المدينة: جهينة ومزينة، استتبعهم لخروجه إلى مكة، قالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاؤوه، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم! اعتلوا بالشغل - ابن جرير] ﴿ **يقولونَ بألْسِنَتِهم ما ليسَ في قلوبِهم** ﴾ [قال ابن جرير: وذلك مساءلتهم رسول الله الاستغفار لهم، يقول: يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم] ﴿ **قُلْ فمَنْ يملِكُ لكُم مِنَ اللَّهِ شيئاً إن أرادَ بكُمْ ضَرّاً أو أرادَ بكم نَفعاً** ﴾ لا أحد يمنعه تعالى من ذلك، إشارة إلى عدم فائدة استغفاره لهم، مع بقائهم على كذبهم ونفاقهم ﴿ **بلْ كان اللَّهُ بما تعملونَ خبيراً** ﴾ فيجازيكم عليه.

[١٢] ﴿ **بلْ ظننتُم أنْ لنْ ينقلِبَ** ﴾ اعتقدتم أنه لن يرجع ﴿ **الرَّسولُ والمؤمنون إلى أهليهمْ أبداً** ﴾ وأن قريش تستأصلهم ﴿ **وزُيِّن ذلكَ في قلوبِكُم** ﴾ حسَّن الشيطان ذلك وصحَّحه حتى حبب لكم التخلُّف ﴿ **وظننتم ظَنَّ السَّوْءِ** ﴾ وهو عدم نصر الرسول وعدم رجوعه مع المؤمنين من سفرهم هذا ﴿ **وكُنتُم قوماً بُوراً** ﴾ هالكين مستوجبين لسخط الله، أو فاسدين في أعمالكم ونيَّاتكم.

[١٣] ﴿ **ومَنْ لم يؤمنْ باللَّهِ ورسولِه فإنَّا أعْتدنا للكافرينَ سعيراً** ﴾ من النار تستعر عليهم. [١٤] ﴿ **ولِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ يغفرُ لمن يشاءُ ويُعذِّبُ مَنْ يشاءُ وكان اللَّهُ غفوراً رحيماً** ﴾ يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلّفكم عن رسول الله ﷺ، فإن الله يغفر للتائبين، لأنه لم يزل ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها.

[١٥] ﴿ **سيقولُ المُخلَّفون** ﴾ أي بعذر الاشتغال بأموالهم وأهليهم بعد طلبهم الاستغفار لهم ﴿ **إذا انطلقتُم** ﴾ إذا قصدتم السير ﴿ **إلى مغانِمَ لِتَأْخُذوهَا** ﴾ وذلك ما وعد الله أهل الحُديبية من غنائم خيبر ﴿ **ذَرونا** ﴾ اتركونا ﴿ **نَتَّبِعْكم** ﴾ نشهد معكم قتال أهلها ﴿ **يُريدون** ﴾ بعد ظهور كذبهم في الاعتذار وطلب الاستغفار ﴿ **أنْ يبدِّلُوا كلامَ اللَّهِ** ﴾ أي وعده الذي وعد أهلَ الحُديبية، وذلك أن الله جعلَ غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة إذ انصرفوا عنها على صلح ولم يصيبوا منها شيئاً ﴿ **قلْ لَنْ تتَّبعونا كذلكُم قال اللَّهُ من قبْلُ** ﴾ من قبل مرجعنا إليكم فليس لكم أن تتبعونا إلى خيبر لأن غنيمتها لغيركم ﴿ **فسيقولونَ بلْ تحْسُدوننا** ﴾ تكرهون لنا أن نصيب معكم مغنماً ولذلك تمنعوننا من الخروج ﴿ **بلْ كانوا لا يَفقهون** ﴾ عن الله تعالى ما لهم وما عليهم من أمر الدين ﴿ **إلاَّ قليلاً** ﴾ إلا فهماً قليلاً، وهو ما كان من أمور الدنيا.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿ **قُلْ للمُخلَّفين مِنَ الأعْراب** ﴾ عن المسير معك ﴿ **ستُدْعَوْنَ إلى** ﴾ قتال ﴿ **قوم أُولي بـأْسٍ** ﴾ في القتال ﴿**شديدٍ** ﴾ بحيث لا دخلَ للصلح والأمن فيه ﴿ **تُقاتلونهم أو يُسْلِمون** ﴾ يدخلون في الدين من غير حرب ولا قتال ﴿ **فإنْ تُطيعوا يُؤتِكُم اللّـهُ أجراً حسناً** ﴾ يعني الغنيمة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ﴿ **وإنْ تتولَّوْا كما تـولَّيتم من قبلُ** ﴾ عن الحديبية ﴿ **يُعذِّبْكم عذاباً أليماً** ﴾ لتضاعف جرمكم .

[١٧] ﴿ **ليس على الأعمى حَـرَجٌ ، ولا على الأعرجِ حَرَجٌ** ﴾ إذ لا يمكنه الكر والفرُّ ، ولا يقوى قوة القائم ﴿ **ولا على المريض حَرَجٌ** ﴾ إذ لا قوة له في دفع العدوّ ، فضلاً عن الغلبة عليه [عن قتادة قـال : هذا كلـه في الجهـاد ـ ابن جريـر] ﴿ **ومَنْ يُطِـع اللّهَ ورسولَه يُـدْخِلْه جنات تجري من تحتها الأنهارُ ومَنْ يتولَّ** ﴾ عن طاعتها ، وإن كـان أعمى أو أعرج أو مريضاً ﴿ **يُعذِّبْه عذاباً أليماً** ﴾ بالمذلّة في الدنيا ، والنّار في الآخرة .

الحزب ٥٢

[١٨] ﴿ **لقدْ رضيَ اللّـهُ عن المؤمنينَ إذْ يُبايعـونَك تحتَ الشجرة** ﴾ يعني بيعة الرضوان ، بايعه أصحابه رضي الله عنهم بالحديبية تحت الشجرة على مناجزة قريش وأن لا يفروا أو يـولوهـم الأدبار ﴿ **فعلِمَ مـا في قلوبهم** ﴾ من الصّدق والعـزيمة على الوفاء بـالعهد ﴿ **فأنْزلَ السَّكينةَ عليهم** ﴾ أنـزل الصّبر والطمأنينـة والـوقـار ﴿ **وأثابَـهُم فتحاً قريباً** ﴾ قال ابن جرير : وعـوَّضهم في العاجل مما رجوا الظفـرَ به من غنائم أهـل مكة بقتالهم أهلهـا فتْحاً قريباً وذلك فيما قيل : فتح خيبر .

[١٩] ﴿ **ومغانِمَ كثيرةً يأخُذونَها** ﴾ وهي مغانم خيبر ، وكانت أرضـاً ذات عقار وأموال فقسمها رسول الله ﷺ على أهل بيعة الـرضوان خاصَّة ﴿ **وكانَ اللّهُ عزيزاً حكيماً** ﴾ ذا عزة في انتقامه من أعدائه ، وحكمة في تدبير خلْقه .

[٢٠] ﴿ **وعدَكُم اللّهُ مغانمَ كثيرةً تأخُذونَها** ﴾ يعني مما يفيء عليهم من غنائم الكفَّار في سبيل الجهاد ﴿ **فعجَّلَ لكم هذه** ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ **وكفَّ أيْديَ النّاس عنكم** ﴾ أي أيدي أهل خيبر ، فـانتصرتم عليهم ، أو أيدي المشركين مـن قريش عنكم يـوم الحديبية ﴿ **ولِتكونَ آيةً للمؤمنين** ﴾ ولتكون تلك الكفَّة أو الغنيمة عبرة للمـؤمنين يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكـان ، وأنه ضامن نصرهم ، والفتح لهم ﴿ **ويهديَكم صِراطاً مستقيماً** ﴾ وبصيرة ويقيناً وثقة بفضل الله .

[٢١] ﴿ **وأُخرى لمْ تقْدِروا عليها ، قد أحاطَ اللّهُ بها** ﴾ وهي مغانـم هوازن في غزوة حُنيْن . وقال الحسن : هـي فارس والروم . وعن قتادة هي مكة . ومعنى ﴿ قد أحاط اللّه بها ﴾ أي أعدها لكم ، فهي كالشيء الذي أُحيط به من جميع جوانبه فهو محصورٌ لا يفوت ﴿ **وكانَ اللّهُ على كلِّ شيءٍ قديراً** ﴾ لا يبعد عليه إذا شاءه . [٢٢] ﴿ **ولو قاتلَـكُمُ** ﴾ أي بعد هذا الفتح والنصر المعجّل ﴿ **الذين كفروا لولَّـوُا الأدبارَ** ﴾ أي ولَّوكم أعجازهم في الحرب ، فعل المنهزم من قرنه في الحرب ﴿ **ثم لا يجدونَ وليّاً ولا نصيراً** ﴾ لا يجدون من يواليهم على حربكم ، وينصرهم عليكم .

[٢٣] ﴿ **سُنَّـةَ اللّهِ التي قدْ خلَتْ من قَبْـلُ** ﴾ مضت في كفار الأمم السالفة مع مؤمنيها ﴿ **ولن تجدَ لسُنَّـةِ اللّهِ تبديلاً** ﴾ أي تغييراً .

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

[٢٤] ﴿ **وهو الذي كفَّ أيديَهم عنكم ، وأيدِيَكم عنهم ببطنِ مكَّةَ من بعدِ أنْ أظفَرَكُم عليهم** ﴾ إشارة إلى منَّة الصلح ونعمته في الحديبية ، وأن ذلك عناية منه تعالَى بها حفظ من أنفسهم وأموالهم ، ولطف بهم يومئذ لما ادخر لهم بعده ﴿ **وكانَ اللَّهُ بما تعملونَ بصيراً** ﴾ فيجازيكم عليه .

[٢٥] ﴿ **هُمُ الذين كفروا** ﴾ هؤلاء المشركون من قريش ، هم الذين جحدوا توحيد الله ﴿ **وصدُّوكم عَنِ المسجدِ الحرامِ والهَدْيَ** ﴾ وصدُّوا الهَدْيَ ، وهو ما يُهدى إلى مكَّة من النَّعَم ﴿ **معْكوفاً** ﴾ محبوساً ﴿ **أنْ يبلُغَ محِلَّه** ﴾ محل نحره . وفي الآية دليل على أن الحرم هو محل ذبح الهدي ﴿ **ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ** ﴾ موجودون بمكة مع الكفَّار ﴿ **لم تعلموهُم** ﴾ حبسهم المشركون عنكم ، فلا يستطيعون الخروج من مكة ، ولذلك لا تعرفون أنهم مؤمنون ﴿ **أنْ تطَؤوهُم** ﴾ تقتلوهم مع الكفَّار لو أذن لكم في الفتح بدل الصُّلح ﴿ **فتُصيبَكم منهُم معرَّةٌ** ﴾ إثم وغرامة ﴿ **بغيرِ عِلْمٍ** ﴾ تقتلوهم لجهلكم بإيمانهم . والمعرَّة : هي كفارة قتل الخطأ ، وذلك عتق رقبة مؤمنة لمن ملكها أو صيام شهرين ﴿ **ليُدخلَ اللَّهُ في رحمتِه من يشاءُ** ﴾ ليدخلكم في رحمته الكاملة بحفظكم من المعرة . وقيل ﴿ من يشاء ﴾ عبارة عمن رغب في الإسلام من المشركين ﴿ **لوْ تزيَّلوا** ﴾ لو تميز مشركو مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم ﴿ **لعذَّبْنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً** ﴾ بالقتل والأسر أو ما سواهما .

[٢٦] ﴿ **إذْ جعلَ الذين كفروا في قلوبِهمُ الحَميَّةَ ، حَميَّةَ الجاهلية** ﴾ والحميَّة : الأنفة وهي الاستكبار والاستنكاف ﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** ﴾ أي : فهمَّ المسلمون أن يأبوا ذلك ، ويقاتلوا عليه ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين . يعني الوقار والتثبت ، حتى صالحوهم على أن يعودوا في العام التالي ﴿ **وألزمَهُم كلمةَ التَّقْوى** ﴾ الإلزام هنا مجاز عما ذُكر من اختيارها لهم وأمرهم بها ﴿ **وكانوا أحقَّ بها** ﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها . وقيل : أحق بها من الكفَّار ﴿ **وأهلَها** ﴾ المستأهلين لها ﴿ **وكان اللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليماً** ﴾ فيعلم حق كل شيء ، فيسوقه إلى مستحقه .

[٢٧] ﴿ **لقد صدقَ اللَّهُ رسولَهُ الرُّؤيا بالحقِّ ، لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللَّهُ آمنينَ ، مُحلِّقينَ رؤوسَكم ومُقصِّرينَ لا تخافونَ فعلِمَ ما لم تعْلَموا** ﴾ من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ﴿ **فجعلَ من دونِ ذلك** ﴾ أي قبل دخولكم الذي وُعِدْتُم به في رؤيا النبي ﷺ ﴿ **فتحاً قريباً** ﴾ يعني الصلح الذي جرى بين رسول الله ﷺ وبين مشركي مكة .

[٢٨] ﴿ **هو الذي أرسَلَ رسولَه بالهُدى** ﴾ بالبيان الواضح ﴿ **ودينِ الحقِّ** ﴾ أي الإسلام . وقال ابن كثير : أي بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿ **ليُظْهرَه على الدِّينِ كلِّه** ﴾ قال ابن جرير : أي ليبطل به المِلَل كلها ، حتى لا يكون دينٌ سواه ﴿ **وكفى بالله شهيداً** ﴾ يشهد سبحانه على ما وعده من إظهار دينه على جميع الأديان .

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

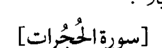
سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

[٢٩] ﴿ **مُحَمَّدٌ رسولُ اللّهِ ، والذين معَهُ** ﴾ أي أصحابه ﴿ **أشدّاءُ على الكفَّارِ رُحماءُ بينَهُم** ﴾ لهم شدة وغلظة على الكفار المحاربين لهم ، الصّادّين عن سبيل الله ، وعندهم تراحُم فيما بينهم ﴿ **تراهُم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضْلاً من اللّهِ ورِضْواناً** ﴾ وصفهم تعالى بكثرة العمل وكثرة الصّلاة ، وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص له عز وجل ﴿ **سيماهُم في وُجُوهِهِم** ﴾ علامتهم كائنة في وجوههم ﴿ **مِنْ أثَرِ السُّجود** ﴾ قال بعض السلف : من كثرت صلاته بالليل ، حسُن وجهه بالنّهار ﴿ **ذلك** ﴾ الوصف ﴿ **مَثَلُهُم في التَّوْراةِ** ﴾ صفتهم العجيبة فيها ﴿ **ومَثَلُهُم في الإنجيلِ** ﴾ وكذلك صفتهم في الإنجيل ﴿ **كزرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَه** ﴾ أي فراخه أو سنبله أو نباته ﴿ **فآزَرَهُ** ﴾ فقوّاه ﴿ **فاستغلظَ** ﴾ فغلظ الزرع واشتد ﴿ **فاستوى على سوقِهِ** ﴾ استقام على قصبه . والسوق : جمع ساق ﴿ **يُعْجِبُ الزُّرّاعَ** ﴾ الذين زرعوه ﴿ **ليَغيظَ بِهِمُ الكُفّارَ** ﴾ كأنه قيل : إنما قوّاهم وكثّرهم ليغيظ بهم الكفّار ﴿ **وَعَدَ اللّهُ الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **وعملوا الصّالحاتِ منهم ، مغفرةً** ﴾ عفواً عما مضى من ذنوبهم ﴿ **وأجْراً عظيماً** ﴾ ثواباً جزيلاً .



[سورة الحُجُرات]

مدنية . وعدد آياتها ثمان عشرة آية . وقد انفردت هذه السورة بآداب جليلة أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به نبيّه ﷺ من التوقير والتبجيل .

[١] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا** ﴾ الذين أقرُّوا بوحدانية الله ونبوّة نبيه ﷺ ﴿ **لا تُقدِّموا بين يَدَيِ اللّهِ ورسولِه** ﴾ لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله ، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﴿ **واتّقوا اللّهَ** ﴾ في التقديم أو مخالفة الحكم ﴿ **إنَّ اللّهَ سميعٌ عليمٌ** ﴾ أي فحقيق أن يُتّقى ويُراقب . وعموم الآية النهي عن التعجيل في الأمر والنهي ، **بدون** معرفة حكم الشرع وموقف الرسول ﷺ . ويحتج بهذه الآية في اتباع الشرع في كل شيء ، ويُحتج به في تقديم النص على القياس .

[٢] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفَعوا أصواتَكُم فوقَ صَوْتِ النبي** ﴾ إذا نطق ، فإن رفع أصواتكم فوق صوته من سوء الأدب بمكان كبير ﴿ **ولا تَجْهروا له بالقَوْلِ كجَهْرِ بعضكم لبعضٍ** ﴾ بل تعمَّدوا في مخاطبته القولَ اللين القريب من الهمس الذي يُضادُّ الجهر ، كما تكون مخاطبة المهيب العظيم . وقيل : لا تنادوه كما ينادي بعضُكم بعضاً : يا محمد يا محمد ، بل يا نبي الله ، يا رسول الله ، مخافة ﴿ **أنْ تحْبَطَ أعمالُكُم** ﴾ إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته ﴿ **وأنتم لا تَشعُرون** ﴾ لا تعلمون ولا تدرون بحبوطها .

[٣] ﴿ **إنَّ الذين يغُضُّون أصواتَهم** ﴾ يبالغون في خفضها ﴿ **عندَ رسولِ اللّهِ ، أُولئك الذين امتحنَ اللّهُ قلوبَهم للتّقْوى** ﴾ أي اصطفاها وأخلصها للتقوى لاتقائه بأداء طاعته واجتناب معاصيه كما يمتحن الذهب بالنار ليخلَّص من شوائبه ﴿ **لَهُمْ مغفرة وأجرٌ عظيمٌ** ﴾ ثواب جزيل ، وهو الجنّة .

[٤] ﴿ **إنَّ الذين ينادونك من وراء الحُجُراتِ** ﴾ الذين يدعونك من خلف مساكنك استعجالاً لخروجك إليهم ولو بترك ما أنت فيه من المشاغل ﴿ **أكثرُهم لا يَعْقِلون** ﴾ فلا يراعون حرمة أنفسهم ولا حرْمتَك .

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

[٥] ﴿ **وَلَوْ أنَّهم صبروا حتّى تخرُجَ إليهم ، لكانَ خيراً لَهُمْ واللّهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ لمن تاب من المعاصي في هذا وسواه . قال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ ، كما يُكره في حياته لأنه محترم حيّاً وفي قبره .

[٦] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا إنْ جاءَكُمْ فاسقٌ بنبإٍ فتبَيَّنوا** ﴾ فاستظهروا صدقه من كذبه ، وذلك كراهة ﴿ **أنْ تُصيبوا قوماً بجهالة** ﴾ أي قوماً برءاء مما قُذفوا به بغية أذيّتهم ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم للعقوبة والإيذاء ﴿ **فتُصبِحوا على ما فعلتم نادمينَ** ﴾ .[روى ابن جرير عن يزيد بن رومان ان رسول الله ﷺ بعث الى بني المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم خافهم ، فرجع إلى رسول الله فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوا ما قِبلهم من صدقاتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى همَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم ، فبينما هم في ذلك قدم وفدهم على رسول الله فقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ولنؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فاستمر راجعاً ، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله ﷺ أنّا خرجنا إليه لنقاتله ، ووالله ما خرجنا لذلك ، فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ الآية] .

[٧] ﴿ **واعلَمُوا أنَّ فيكم رسولَ اللّهِ لو يُطيعُكم في كثير من الأمر لَعَنِتُّمْ** ﴾ لو كان الرسول يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل كل ما تقولون لأصابكم شدة ومشقة في كثير من الأمور ﴿ **ولكنَّ اللّهَ حبَّبَ إليكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَه في قلوبِكُم** ﴾ فما أجدركم أن تطيعوا رسول الله وتأتمّوا به فيقيكم الله بذلك العنت ﴿ **وكرَّهَ إليكُمُ الكُفْرَ** ﴾ بالله ﴿ **والفُسُوقَ** ﴾ يعني الكذب [والخروج عن طاعة الله] ﴿ **والعِصْيانَ** ﴾ مخالفة أمر الرسول ﷺ وتضييع ما أمر به ﴿ **أُولئك همُ الرَّاشِدونَ** ﴾ السالكون طريقَ الحقّ .

[٨] ﴿ **فضْلاً من اللّهِ ونِعْمةً** ﴾ أي إحساناً منه ونعمة أنعمها عليكم ﴿ **واللّهُ عليمٌ حكيمٌ** ﴾ .

[٩] ﴿ **وإنْ طائفتانِ مِنَ المؤمنينَ اقْتَتَلوا فأصْلِحوا بينَهما فإنْ بغَتْ إحداهُما على الأُخْرى** ﴾ فإن أبتْ إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله وتعدَّت ما جعله الله عدلاً بين عباده واستجابت الأخرى لحكمه تعالى ﴿ **فقاتِلوا التي تَبْغي** ﴾ التي تأبى وتعتدي ﴿ **حتى تفيءَ إلى أمرِ اللّهِ** ﴾ حتى ترجع إلى حكم الله ﴿ **فإنْ فاءَتْ** ﴾ فإن رجعت عن غيها إلى حكمه تعالى ﴿ **فأصلِحوا بينهُما بالعدلِ** ﴾ بالإنصاف ﴿ **وأَقْسِطُوا** ﴾ اعدلوا في أمركم كله ﴿ **إنّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطينَ** ﴾ فيجازيهم أحسن الجزاء .

[١٠] ﴿ **إنّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصْلحوا بين أخَوَيْكُم** ﴾ إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله ﴿ **واتّقوا اللّهَ لعلّكُم تُرْحَمُونَ** ﴾ .

[١١] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنوا لا يسخرْ قومٌ منْ قومٍ** ﴾ أي لا يهزأ رجال من رجال ﴿ **عسى أنْ يكونوا خيراً منهُم ، ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أنْ يكُنَّ خيراً منهُنَّ** ﴾ عممت الآية النهي عن جميع معاني السخرية ، فلا يسخر مسلم من مسلم لا لفقره ولا لذنبه ولا لغير ذلك ﴿ **ولا تلْمِزوا أنفسَكُم** ﴾ لا يعيب بعضكم بعضاً بطعن ولا سواه . وقيل معنى الآية : لا تلمزوا غيركم فيلمزكم ، فتكونوا قد تسببتم بلمز أنفسكم ﴿ **ولا تَنابَزوا بالألْقابِ** ﴾ التنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكره من اسم أو صفة ﴿ **بئْسَ الاسمُ الفُسوقُ بعْدَ الإيمانِ** ﴾ بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر، أن يُذكروا بالفسق ﴿ **ومَنْ لم يَتُبْ** ﴾ عن نبذ الألقاب أو اللمز أو السخرية ﴿ **فأُولئك هُمُ الظالمُون** ﴾ الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها العقاب بفعلهم ما نهوا عنه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا اجتنِبُوا كثيراً من الظَّنِّ إنَّ بعضَ الظَّنِّ** ﴾ وهو ظن المؤمن بالمؤمن الشر لا الخير ﴿ **إِثْمٌ** ﴾ مكسب للعقاب ﴿ **ولا تَجَسَّسُوا** ﴾ أي لا يتبع بعضكم عورةَ بعض ، ولا يبحث عن سرائره يبتغي كشف عيوبه ﴿ **ولا يغْتَبْ بعضُكُم بعضاً** ﴾ لا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ، ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه [روى ابن جرير عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال : (هو أن تقول لأخيك ما فيه ، فإن كنت صادقاً فقد اغتبته ، وإن كنت كاذباً فقد بهته)]

نصف الحزب ٥٢

﴿ **أيُحِبُّ أحدُكُم أنْ يأكُلَ لحمَ أخيهِ مَيْتاً فكرِهْتُمُوهُ** ﴾ مثَّل اغتياب الإنسان لآخر بأكل لحم الأخ ميتاً ﴿ **واتَّقوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ توّابٌ رحيمٌ** ﴾ .

[١٣] ﴿ **يا أيُّها الناسُ إنَّا خلقناكُم من ذكرٍ وأُنثى** ﴾ من آدم وحواء ، أو من ماء ذكر من الرجال ، وماء أنثى من النساء ، فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر ، سواء بسواء فلا وجهة للتفاخر والتفاضل في النسب ﴿ **وجعلناكُم شعوباً وقبائلَ لتعارَفوا إنَّ أكرمَكُم عندَ اللَّهِ أتقاكُم** ﴾ لا أعظمكم بيتاً ، ولا أكثركم عشيرة ﴿ **إنَّ اللَّهَ عليمٌ خبيرٌ** ﴾ بظواهركم وبواطنكم لا تخفى عليه خافية .

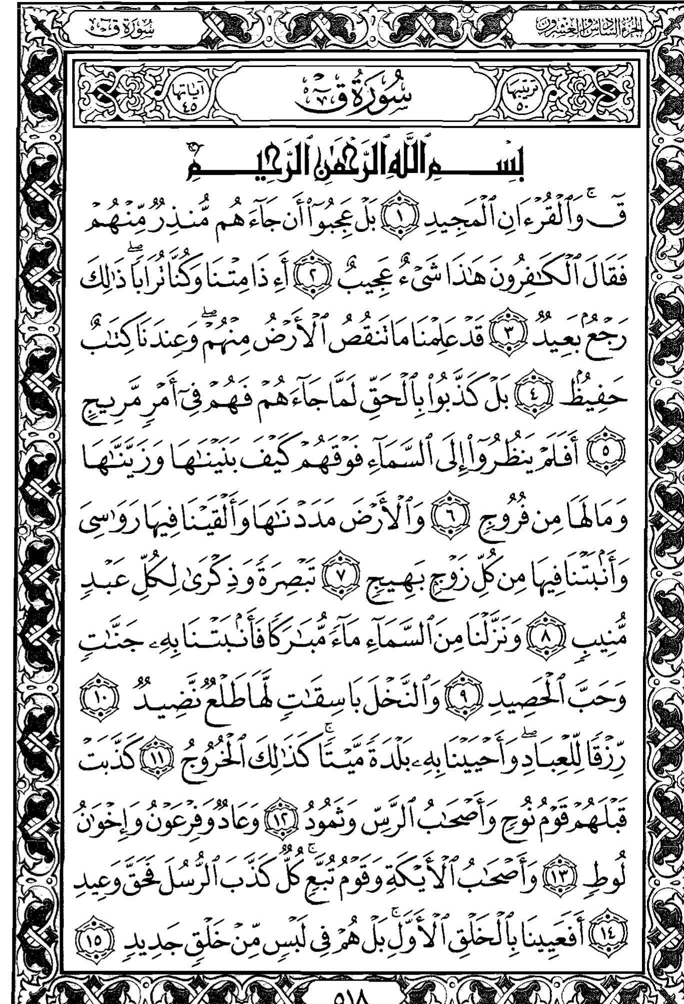
[١٤] ﴿ **قالتِ الأعرابُ** ﴾ أي المحدث عنهم في أول السورة ﴿ **آمَنَّا** ﴾ بالله ورسوله ﴿ **قُل لم تُؤْمِنُوا** ﴾ لأن الإيمان قول وعمل ﴿ **ولكنْ قولوا أسْلَمْنا ولمَّا يدْخُلِ الإيمانُ في قلوبِكُم** ﴾ فإن لكل حق حقيقة ، ولكل دعوى شاهد ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُم شيئاً** ﴾ لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً ولا ينقصكم من ثوابها ﴿ **إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ لمن أطاعه وتاب إليه .

[١٥] ﴿ **إنَّما المؤمنون الذين آمنوا باللَّهِ ورسولِهِ ثُمَّ لَمْ يرتابوا** ﴾ لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به من وحدانية الله ونبوَّة نبيه ﴿ **وجاهَدوا بأموالِهِم وأنفسِهِم في سبيلِ اللَّهِ** ﴾ وإن قصر ﴿ سبيلِ اللَّهِ ﴾ على غزو الكفار المعتدين من باب قصر العام على أهم أفراده وأعلاها ، وإلاّ فسبيل الله يعم العبادات والطاعات كلها ، لأنها في سبيله وجهته ، وقدم الأموال ، لحرص الإنسان عليها ، فإن ماله شقيق الروح ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ لظهور أثر الصِّدْق على جوارحهم .

[١٦] ﴿ **قلْ** ﴾ لهؤلاء الأعراب القائلين بأفواههم ﴿ آمنَّا ﴾ ﴿ **أتُعَلِّمون اللَّهَ بدينِكُم واللَّهُ يَعلَمُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ واللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ لا يخفى عليه شيء .

[١٧] ﴿ **يمُنُّونَ عليكَ أنْ أَسْلَموا** ﴾ أي انقادوا وكثَّروا سواد أتباعك ﴿ **قُلْ لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكُم** ﴾ إذْ لا ثمرة منه ﴿ **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عليكُم أنْ هَدَاكُمْ للإيمانِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ في قولكم ﴿ آمنَّا ﴾ لكن علم الله من قلوبكم أنكم كاذبون ، لاطلاعه على الغيوب .

[١٨] ﴿ **إنَّ اللَّهَ يعْلمُ غيْبَ السمواتِ والأرضِ واللَّهُ بصيرٌ بما تعملونَ** ﴾ عن ابن عباس قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ، ولم نقاتلك . فقال رسول الله ﷺ : (إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم) ونزلت هذه الآية ، رواه البزار .



الجزء السادس والعشرون — سورة ق

سورة ق — ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

٥١٨

[سورة ق]

مكية . وعدد آياتها خمس وأربعون آية . وتُسمى سورة الباسقات . عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، قالت : ما حفظت ﴿ق﴾ إلا من رسول الله ﷺ . كان يخطب بها كل جمعة .

[١] ﴿ق﴾ حرف من حروف التهجي المفتتح بها أوائل السور ، وتُقرأ قاف . ﴿ **والقُرآنِ المجيدِ** ﴾ ذي المجد والشرف على غيره من الكتب .

[٢] ﴿ **بَلْ عَجِبوا أنْ جاءَهُم مُنْذِرٌ منهُم** ﴾ من جلدتهم ﴿ **فقالَ الكافرونَ هذا شيءٌ عجيبٌ** ﴾ تفسير لتعجُّبهم .

[٣] ﴿ **أإذا مِتْنا وكُنّا تُراباً ذلكَ رجْعٌ بعيدٌ** ﴾ أي كيف سنرجع أحياءً بعد موتنا ، وقد تحللت أجسادنا وصارت تراباً .

[٤] ﴿ **قد علِمْنا ما تنْقُصُ الأرْضُ منهم** ﴾ أي ما تأكل من أجسامهم بعد مماتهم ﴿ **وعِنْدَنا كتابٌ حفيظٌ** ﴾ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ، أو محفوظ من التغير .

[٥] ﴿ **بلْ كذّبوا بالحَقِّ** ﴾ وهو القرآن ﴿ **لمّا جاءهُم** ﴾ من غير تأمُّل وتَفكُّر ﴿ **فهُم في أمرٍ مَريجٍ** ﴾ أي مضطرب .

[٦] ﴿ **أفلم يَنْظُروا** ﴾ أي هؤلاء المكذّبون بالبعث ﴿ **إلى السَّماءِ فوقَهم كيف بنَيْناها** ﴾ أي رفعناها بغير عمد ﴿ **وزيَّنّاها** ﴾ بالنجوم ﴿ **وما لها من فُرُوجٍ** ﴾ وما لها من صدوع وفتوق .

[٧] ﴿ **والأرْضَ مدَدْناها** ﴾ بسطناها ﴿ **وألقينا فيها رواسيَ** ﴾ أي جبالاً ثوابت ، حفظاً لها من الاضطراب لقوة الجيشان في جوفها ﴿ **وأنبَتْنا فيها من كلِّ زوجٍ** ﴾ من كل صنف ﴿ **بَهيجٍ** ﴾ حسن المنظر يبتهج به . [٨] ﴿ **تَبْصِرةً وذِكْرى لكلِّ عبدٍ مُنيبٍ** ﴾ لتبصُّر وتذكُّر كل عبد منيب راجع إلى ربه ، مفكِّر في بدائع صنعه .

[٩] ﴿ **ونزَّلْنا مِن السماءِ ماءً مباركاً** ﴾ كثير المنافع ﴿ **فأنبَتْنا به جنّاتٍ** ﴾ أي أشجاراً ذوات أثمار ﴿ **وحَبَّ الحَصيدِ** ﴾ الزرع المحصود من سائر أنواع الحبوب . [١٠] ﴿ **والنَّخْلَ باسِقاتٍ** ﴾ وأنبتنا بالماء النخل طوالاً أو حوامل ﴿ **لها طَلْعٌ نَضيدٌ** ﴾ متراكم بعضه فوق بعض .

[١١] ﴿ **رِزْقاً للعِبادِ** ﴾ أي لرزقهم ﴿ **وأحيَيْنا بهِ** ﴾ بذلك الماء ﴿ **بلدةً ميْتاً** ﴾ أرضاً جدبة فأنبتت أنواع النبات والزهور ﴿ **كذلكَ الخُروجُ** ﴾ شبَّه بعث الأموات ونشرهم بقدرته تعالى على إخراج النبات من الأرض بعد وقوع المطر عليه .

[١٢] ﴿ **كذَّبَتْ قبلَهُم** ﴾ قبل قريش ﴿ **قَوْمُ نوحٍ وأصحابُ الرَّسِّ** ﴾ وهو بئر كانوا عنده ﴿ **وثَمُودُ** ﴾ وهم الذين جادلوا صالحاً عليه السلام وقتلوا الناقة . [١٣] ﴿ **وعادٌ** ﴾ قوم هود ﴿ **وفِرْعَوْنُ وإخْوانُ لُوطٍ** ﴾ وهم الذين جادلوه في إتيان الرجال .

[١٤] ﴿ **وأصحابُ الأَيْكَةِ** ﴾ وهي الغيضة من الشجر ، وقد جادلوا شعيباً عليه السلام في الكيل والميزان ﴿ **وقوْمُ تُبَّعٍ** ﴾ قال المهايمي : المجادلون إمامهم وعلماءهم في الدين ﴿ **كلٌّ كذَّبَ الرُّسُلَ** ﴾ كلٌّ من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذَّبوا رسولهم ﴿ **فحَقَّ وعيدِ** ﴾فوجب لهم العذاب والنقمة .

[١٥] ﴿ **أفعَيينا بالخَلْقِ الأوّلِ** ﴾ أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة ﴿ **بلْ هُمْ في لَبْسٍ من خَلْقٍ جديدٍ** ﴾ هم معترفون بالخلق الأوّل لا ينكرونه ، ولكن اختلط عليهم فأنكروا البعث بعد الموت لعدم فهمهم إعادة ما مات .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

[١٦] ﴿ **ولَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ ونعلمُ ما تُوَسْوِسُ بهِ نفسُهُ** ﴾ أي ما يخطر بالبال ﴿ **ونَحْنُ أقربُ إليهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ** ﴾ هو حبل الحلق .

[١٧] ﴿ **إذْ يتلقّى المُتَلَقِّيان عنِ اليمينِ وعن الشِّمالِ قعيدٌ** ﴾ وهذا القرب المذكور يكون حين يتلقى الملكان الحفيظان ما يتلفظ به .

[١٨] ﴿ **ما يَلْفِظُ من قولٍ إلا لديهِ رقيبٌ** ﴾ أي ملَكٌ يرقب عمله ﴿ **عَتيدٌ** ﴾ حاضر .

[١٩] ﴿ **وجاءتْ سَكْرَةُ الموتِ** ﴾ شدَّته الشاغلة للحواس المذهلة للعقل ﴿ **بالحَقِّ** ﴾ أي الموعود بالحق ، والأمر المحقق ، وهو الموت ﴿ **ذلكَ ما كُنْتَ منهُ تحيدُ** ﴾ أي : تفرُّ .

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

[٢٠] ﴿ **ونُفِخَ في الصُّورِ** ﴾ نفخة البعث ﴿ **ذلك يومُ الوَعيدِ** ﴾ وقت تحقيق الوعيد بشهود ما قدَّم من الأعمال وما أخَّر .

[٢١] ﴿ **وجاءَتْ كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ** ﴾ قال ابن جرير : سائق يسوقها إلى الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شرٍّ .

[٢٢] ﴿ **لقدْ كنتَ في غَفْلةٍ منْ هذا ، فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصرُكَ اليومَ حديدٌ** ﴾ المقصود أنه كشف الغطاء عن البرِّ والفاجر ، ورأى كلٌّ ما يصير إليه .

[٢٣] ﴿ **وقال قرينُه** ﴾ قرين هذا الإنسان الذي جيء به يوم القيامة معه سائق وشهيد ﴿ **هذا ما لديَّ عَتِيدٌ** ﴾ حاضرٌ مُعَدٌّ محفوظ .

[٢٤] ﴿ **أَلْقِيا في جَهَنَّمَ كلَّ كفَّارٍ عنيدٍ** ﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد ، والكفَّار: المبالغ في جحده وحدانية الله تعالى ، وما جاء به رسوله ﷺ . والعنيد : المعاند للحق . [٢٥] ﴿ **منّاعٍ للخيرِ** ﴾ الكليِّ وهو الإسلام ، ﴿ **مُعْتَدٍ** ﴾ على الناس ﴿ **مُريبٍ** ﴾ شاكٍّ في الحق . [٢٦] ﴿ **الذي جَعَلَ مع الله إلهاً آخرَ** ﴾ عبد معه معبوداً آخر من خلقه ﴿ **فألْقِياهُ في العذابِ الشديدِ** ﴾ أي عذاب جهنَّم . [٢٧] ﴿ **قال قرينُه** ﴾ وهو شيطانه الذي كان موكلاً له في الدنيا : ﴿ **ربَّنا ما أطْغَيْتُه** ﴾ بالشرك والكفر ﴿ **ولكنْ كانَ في ضلالٍ بعيدٍ** ﴾ بنفسه . [٢٨] ﴿ **قالَ لا تَختَصِموا لَدَيَّ ، وقدْ قدّمتُ إليكم بالوَعيدِ** ﴾ لا تختصموا اليوم فلا فائدة في اختصامكم ، وقد قدَّمت إليكم في الدنيا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني . [٢٩] ﴿ **ما يُبَدَّلُ القولُ لَدَيَّ** ﴾ قال ابن جرير : أي ما يُغَيَّرُ القولُ الذي قلته لكم في الدنيا ، وهو قوله : ﴿ لأملأنَّ جَهنَّمَ من الجنَّة والناسِ أجمعين ﴾ ولا قضائي الذي قضيته فيها ﴿ **وما أنا بظلَّامٍ للعبيدِ** ﴾ أي فلا أعذِّبُ أحداً بذَنبِ غيره . [٣٠] ﴿ **يومَ نقولُ لجَهَنَّمَ هل امتلأتِ وتقولُ هلْ مِنْ مَزيدٍ** ﴾ فعن مجاهد قال : وعدها اللَّهُ ليملأنَّها فقال : هلا وفَّيتُكِ ؟ قالت : وهل من مسلك ؟! وقيل معناه : زدني . [٣١] ﴿ **وأُزْلِفَتِ الجنَّةُ** ﴾ أي قُرِّبتْ وأُدنيت ﴿ **للمُتَّقينَ** ﴾ الذين اتقوا ربَّهم ﴿ **غيرَ بعيدٍ** ﴾ مكاناً غير بعيد . [٣٢] ﴿ **هذا** ﴾ الثواب أو الإزلاف ﴿ **ما توعَدونَ** ﴾ أيها المتَّقون ﴿ **لِكُلِّ أوَّابٍ** ﴾ تائب من ذنوبه ﴿ **حفيظٍ** ﴾ حافظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه . [٣٣] ﴿ **مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بالغَيْبِ** ﴾ خاف الله في سرِّه ﴿ **وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ** ﴾ جاء ربَّه بقلب تائب من ذنوبه .

[٣٤] ﴿ **ادْخُلوها بسلامٍ** ﴾ يقال لهم : ادخلوا هذه الجنَّة بأمان من الهم والحزن والخوف ﴿ **ذلك يومُ الخُلودِ** ﴾ جزاء ما قدَّموا .

[٣٥] ﴿ **لهُم ما يَشاؤونَ فيها** ﴾ مما تشتهيه نفوسُهم ، وتلذُّه أعينهم ﴿ **ولدَيْنا مَزيدٌ** ﴾ مما لا يخطر على بالهم ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

[٣٦] ﴿ وكمْ أهْلكْنا قبلَهم ﴾ قبل هؤلاء المشركين من قريش ﴿ من قَرْنٍ هُمْ أشَدُّ منهُمْ بَطْشاً ﴾ قوةً كعاد وثمود وفرعون ﴿ فَنَقَّبوا في البلاد ﴾ فضربوا فيها وساروا وطافوا أقاصيها ﴿ هلْ مِنْ مَحيصٍ ﴾ هل كان لهم بتنقيبهم في البلاد من مَعْدل عن الهلاك الذي وُعِدوا به لتكذيبهم الحقَّ .

[٣٧] ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ أي في إهلاك القرون السالفة ﴿ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لهُ قلبٌ ﴾ من كان له عقل من هذه الأمة ﴿ أو ألْقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ﴾ .

[٣٨] ﴿ ولقدْ خلقْنا السَّمٰواتِ والأرضَ وما بينهُما في سِتَّةِ أيَّام ، وما مَسَّنا من لُغُوبٍ ﴾ أي ما أصابنا إعياء . وهو رد على أهل الكتاب الذين يقولون إنه استراح في اليوم السابع .

[٣٩] ﴿ فاصبرْ على ما يقولون ﴾ أي المشركين من إنكار البعث والتوحيد والنبوّة ﴿ وسبِّحْ بحمْدِ ربِّكَ قبلَ طُلوعِ الشمسِ ﴾ صلاة الصبح ﴿ وقبلَ الغُروبِ ﴾ صلاة الظهر والعصر .

[٤٠] ﴿ ومِنَ الليلِ ﴾ العشاء والمغرب ﴿ فسبِّحْهُ ، وأدْبارَ السُّجودِ ﴾ النوافل بعد المكتوبات . والمراد بالتسبيح إما ظاهره وهو قرين التحميد أو هو عين الصلاة . [٤١] ﴿ واستَمِعْ يومَ يُنادِ المنادِ من مكانٍ قريبٍ ﴾ استمع لما أخبرك به من أهوال القيامة ، يوم ينادي مناديها من كل مكان قريب . [٤٢] ﴿ يومَ يسمَعون الصَّيْحَةَ ﴾ أي صيحة البعث من القبور ، والحشر للجزاء ﴿ بالحَقِّ ﴾ بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب ﴿ ذلكَ يومُ الخُروجِ ﴾ من القبور . [٤٣] ﴿ إنَّا نحن نُحيي وَنُميتُ ﴾ في الدنيا بإفاضة نور الحياة أو قطعه ﴿ وَإلَيْنا المَصيرُ ﴾ مصير الجميع إلينا يوم القيامة . [٤٤] ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأرضُ عنهُمْ سِراعاً ﴾ فيخرجون منها مسرعين ﴿ ذلك حَشْرٌ علينا يسيرٌ ﴾ سهل بلا كلفة . [٤٥] ﴿ نحنُ أعْلَمُ بما يقولون ﴾ يعني مشركي مكة ، وهو تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم ﴿ وما أنتَ عليهِم بجبَّارٍ ﴾ أي بمسلط ومسيطر تقهرهم على الإيمان ﴿ فذكِّرْ بالقُرْآنِ مَنْ يخافُ وعيدِ ﴾ إنما بعثت مذكراً ومُبلغاً ، فذكِّرْ بما أنزل إليك من يخاف الوعيد الذي أُوعِدَ به من عصى وطغى ، فإنه ينتفع به .

[سورة الذّاريات]

مكيّة . وعدد آياتها ستون آية . سميت بها لأنها مبتدأ الخيرات ، فأشبهت العناية الإلهية .

[١] ﴿ والذّارياتِ ذَرْواً ﴾ يعني الرياح التي تذرو البخارات ذرواً ، أو النساء الولود فإنهن يذرين الأولاد ، أو الأسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم . وذَرا : فرّق وبدد ما رفعه عن مكانه . [٢] ﴿ فالحاملاتِ وِقْراً ﴾ أي السُّحُب الحاملة للأمطارِ المنبتة للزروع والأشجار لإفادة الحبوب للزروع والثمار . والوِقْرُ بكسر الواو كالحِمْل وزناً ومعنىً . [٣] ﴿ فالجارياتِ يُسْراً ﴾ السفن الجارية في البحر بسهولة ، أو الرياح الجارية في مهابّها ، أو الكواكب التي تجري في منازلها . [٤] ﴿ فالمُقَسِّماتِ أمْراً ﴾ الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما .

[٥] ﴿ إنّما توعَدونَ لصادِقٌ ﴾ جواب القَسَم ، والموعود هو قيام السّاعة وبعث الموتى من قبورهم .

[٦] ﴿ وإنَّ الدِّينَ ﴾ أي الجزاء على الأعمال ، إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ ﴿ لَواقِعٌ ﴾ لحاصل .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٧] ﴿ **والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ** ﴾ الطرق المختلفة التي هي دوائر سير الكواكب وقيل النجوم .

[٨] ﴿ **إنَّكم لفي قَوْلٍ مُختلِفٍ** ﴾ متناقض ، مرة يقولون عن القرآن المنزل على محمد : سحر ، ومرة شعر ، ومرة أساطير الأوّلين .

[٩] ﴿ **يُؤْفَكُ عنه مَنْ أُفِكَ** ﴾ يُصرف عن الحق الصريح التام، إذ لا صرف أشد منه .

[١٠] ﴿ **قُتِلَ الخرّاصون** ﴾ لعن الآخذون بالتخمين مع ترك دلائل اليقين .

[١١] ﴿ **الَّذين هُمْ في غمْرَةٍ** ﴾ في جهل يغمرهم عن وجوب اتباع الدلائل القاطعة وترك المشبهات الواهية ﴿ **ساهون** ﴾ غافلون عما أتاهم .

[١٢] ﴿ **يَسألون أيَّانَ يومُ الدِّين** ﴾ متى يدين الله العباد بأعمالهم .

[١٣] ﴿ **يومَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنون** ﴾ يُحرقون .

[١٤] ﴿ **ذوقوا فِتْنَتَكُمْ** ﴾ ذوقوا عذابكم الذي طلبتموه ﴿ **هذا الذي كُنتُم به تَستعجِلون** ﴾ حصوله في الدنيا .

[١٥] ﴿ **إن المُتَّقينَ** ﴾ الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه في الدنيا ﴿ **في جنَّاتٍ وعُيونٍ** ﴾ يوم القيامة يتنعمون .

[١٦] ﴿ **آخِذينَ ما آتاهُمْ ربُّهُم** ﴾ قابلين ما أعطاهم من النعيم الأخروي راضين به ﴿ **إنَّهُم كانوا قَبْلَ ذلكَ** ﴾ في الحياة الدُّنيا ﴿ **مُحْسِنينَ** ﴾ قد أحسنوا أعمالهم لغلبة محبة الله على قلوبهم .

[١٧] ﴿ **كانوا قليلاً من الليلِ ما يَهْجَعونَ** ﴾ لا ينامون من الليل إلا أقلّه . [١٨] ﴿ **وبالأسْحارِ هُم يستغْفِرون** ﴾ من ذنوبهم . [١٩] ﴿ **وفي أموالِهِم حقٌّ للسَّائِلِ والمحروم** ﴾ الفقير المتعفف الذي يُظَنُّ غنياً فيُحرم الصدقة . [٢٠] ﴿ **وفي الأرضِ آياتٌ للموقِنِينَ** ﴾ عبر وعظات لأهل اليقين .

[٢١] ﴿ **وفي أنفُسِكُم ، أفلا تُبْصِرون** ﴾ الدلائل والبراهين في خلق الإنسان واختلاف طبائع البشر وألوانهم ولغاتهم؟ . [٢٢] ﴿ **وفي السماء رِزْقُكُم وما توعَدون** ﴾ يعني بالسماء : المزن ، وبالرزق: المطر ، فإنه سبب الأقوات . والمراد بـ ﴿ **ما توعدون** ﴾ العذاب السماويّ فهو يحل بهم من جهتها . والخطاب لأهل مكة . [٢٣] ﴿ **فوَربِّ السماء والأرضِ** ﴾ أي الذي خلقهما للاستدلال بهما على حقيقة ما أخبر عنه ﴿ **إنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أنَّكُم تَنْطِقونَ** ﴾ أي مثل نطقكم . والضمير في ﴿ إنه ﴾ عائد لما ذكر من أمر الآيات والرزق . [٢٤] ﴿ **هَلْ أتاكَ حديثُ ضيفِ إبراهيمَ المُكْرَمين** ﴾ يعني الملائكة الذين دخلوا عليه في صورة ضيوف من البشر . [٢٥] ﴿ **إذْ دخلوا عليهِ ، فقالوا سلاماً ، قال سلامٌ** ﴾ أي سلام عليكم ﴿ **قومٌ مُنْكَرون** ﴾ أي لم يعرفهم إبراهيم عليه السلام . [٢٦] ﴿ **فراغَ إلى أهلِهِ** ﴾ فذهب إليهم ﴿ **فجاءَ بِعِجْلٍ سَمينٍ** ﴾ قد أنضجه شيًّا . [٢٧] ﴿ **فقرَّبَهُ إليهم** ﴾ بأن وضعه بين أيديهم ﴿ **قال ألا تأكُلون** ﴾ منه . [٢٨] ﴿ **فأوْجَسَ مِنْهم خِيفَةً** ﴾ أي أضمرها ، لظنه أنهم أرادوا به سوءاً ﴿ **قالوا لا تخَفْ** ﴾ وأبلغوه أنهم رُسُلٌ من عند الله ﴿ **وبشَّروُهُ بغُلامٍ عليم** ﴾ يبلغ ويكمل علمه ـ وهو إسحاق عليه السلام ـ . [٢٩] ﴿ **فأقبلتِ امرأتُه في صَرَّةٍ** ﴾ في صيحة ﴿ **فصَكَّتْ** ﴾ فلطمت ﴿ **وجْهَها** ﴾ تعجُّباً على عادة النساء في كل غريب عندهن ﴿ **وقالتْ عجوزٌ عَقيمٌ** ﴾ أي عاقر ليس لي ولد .

[٣٠] ﴿ **قالوا كذلكِ قال ربُّكِ** ﴾ مثل الذي قلنا وأخبرنا به ، فإنما نخبرك عن الله ﴿ **إنَّهُ هو الحكيمُ العليمُ** ﴾ فمع علمه بعقمِك سيهبك غلاماً .

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

الجزء ٢٧ الحزب ٥٣

[٣١] ﴿ قال ﴾ إبراهيم : ﴿ فما خطبُكم أيُّها المُرسَلونَ ﴾ ما هو أمركم وشأنكم ؟

[٣٢] ﴿ قالوا إنَّا أُرسِلْنا إلى قومٍ مُجرِمين ﴾ لمؤاخذتهم وهم قوم لوط .

[٣٣] ﴿ لِنُرسِلَ عليهِمْ حِجارةً من طِينٍ ﴾ رجماً لهم على فعلهم الفاحشة .

[٣٤] ﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ مرسلة أو معلَّمة ﴿ عِنْدَ ربِّكَ للمُسْرِفينَ ﴾ المتعدِّين حدود الله ، الكافرين به .

[٣٥] ﴿ فأخرَجْنا مَنْ كانَ فيها ﴾ في تلك القرية ﴿ من المُؤمنينَ ﴾ .

[٣٦] ﴿ فما وجدْنا فيها غيرَ بيْتٍ مِنَ المسلمين ﴾ يعني بيت لوط عليه السلام .

[٣٧] ﴿ وتركْنا فيها آيةً ﴾ تركنا في القرية المذكورة علامة تدل على إهلاكهم الدنيوي ﴿ لِلذين يخافون العذابَ الأليمَ ﴾ في الآخرة .

[٣٨] ﴿ وفي موسىٰ ﴾ أي وتركنا في قصة موسى عليه السلام وإهلاك عدوّه آيةً وحُجّة ﴿ إذْ أرسلْناه إلى فِرْعَوْنَ بسُلْطانٍ مُبينٍ ﴾ ببرهان ظاهر .

[٣٩] ﴿ فتولَّى برُكْنِـه ﴾ فأعْـرض عن الإيمان . والركن : جانب الشيء ﴿ وقـال ساحرٌ أو مَجْنـونٌ ﴾ يرفض الإقرار بنبوّته فيفتري الكذب على موسى .

[٤٠] ﴿ فأخذْناهُ وجُنُودَهُ فنبذناهُمْ في اليَمِّ ﴾ فأغرقناهم في البحر ﴿ وهو مُليمٌ ﴾ آتٍ بما يلام عليه من الكفر والعناد .

[٤١] ﴿ وفي عـادٍ ﴾ وتـركنـا في عـاد ، قـوم هـود عليه السلام آية كذلك ﴿ إذْ أرسَلْنا عليهِمُ الرِّيحَ العَقيم ﴾ التي لا خير فيها من إنشاء المطر أو تلقيح الشجر ، وهي ريح الهلاك .

[٤٢] ﴿ ما تَذرُ من شيءٍ أتتْ عليه إلا جعلتْـهُ كالرَّميم ﴾ وأصل الرميم : البالي المفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك .

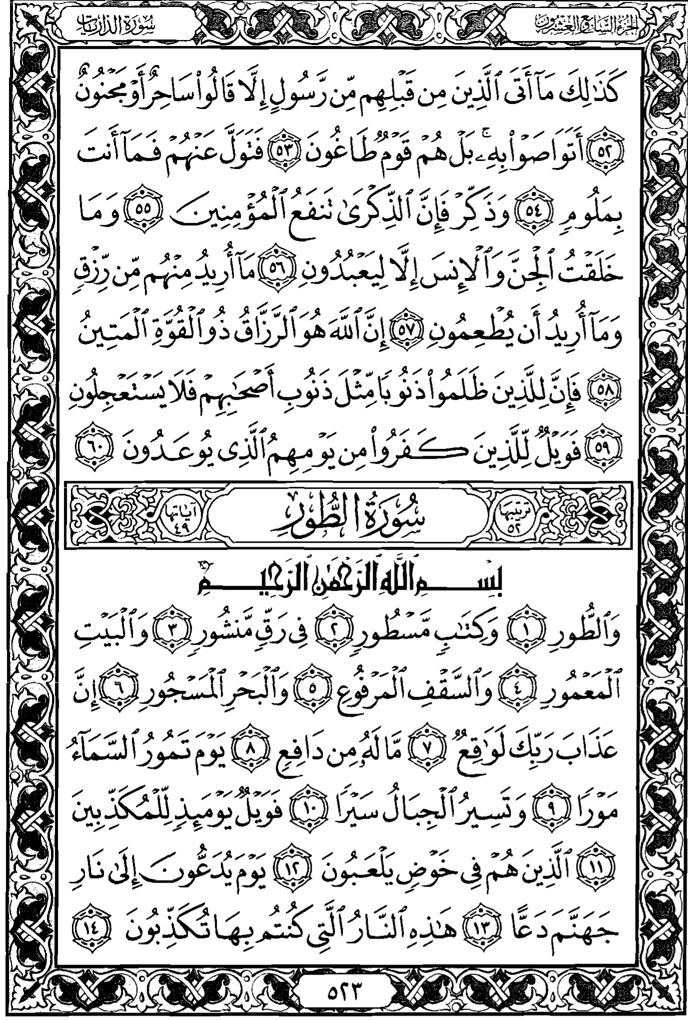
[٤٣] ﴿ وفي ثمودَ ﴾ وتركنا في ثمود قوم صالح عليه السلام كذلك آية وحجة ﴿ إذْ قيلَ لَـهُم ﴾ بعد عقرهم الناقة ﴿ تمتَّعوا ﴾ في داركم ﴿ حتَّى حِينٍ ﴾ ثلاثة أيام كما بينته الآية الأخرى] ﴿ فَعقَروهَـا فقال تمتَّعوا في دَارِكم ثَـلاثَةَ أيام ، ذلك وعـدٌ غير مكذُوبٍ ﴾ هود : ٦٥] . [٤٤] ﴿ فعتَوْا عنْ أمْرِ ربِّهِم ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿ فأخذتْهُمُ الصاعِقَةُ ﴾ يعني العذاب الحالّ بهم ، المعهود ﴿ وهم يَنْظُرونَ ﴾ إليها ، فقد نزلت بهم نهاراً .

[٤٥] ﴿ فما استطاعوا من قِيام ﴾ من نهوض ﴿ وما كانوا منتَصِرينَ ﴾ ممتنعين من العذاب .

[٤٦] ﴿ وقوْمَ نُوحٍ ﴾ وأهلكنا قومَ نوح ﴿ مِنْ قَبْلُ إنَّـهُم كانوا قوْماً فاسِقينَ ﴾ أي مخالفين أمر الله خارجين عـن طاعته . [٤٧] ﴿ والسَّماء بَنَيْـناها بأَيْد ﴾ رفعناها بقـوّة ﴿ وإنا لَـمُوسِـعُونَ ﴾ لقادرون عـلى الإيسـاع كما أوسعنا بناءها . [٤٨] ﴿ والأرْض فرشْناها ﴾ مهدناها ليتمتعوا بها ﴿ فَنِعْمَ الماهِدُون ﴾ لهم . [٤٩] ﴿ ومِنْ كُلِّ شيءٍ خلقْنـا زَوْجَيْن ﴾ أي ذكـراً وأُنثى ، أو نوعين متقابلين ﴿ لعلكُم تَذَكَّرون ﴾ لتذَّكـروا وتعتبروا فتعلموا أيُّها المشركون بالله أنَّ ربَّـكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه وابتداع زوجين من كل شيء .

[٥٠] ﴿ ففِرُّوا إلى اللَّه ﴾ فرّوا من عقابه إلى رحمته ، بالإيمان به ، واتباع أمره ﴿ إنّي لكُمْ مِنْـهُ نذيرٌ مُبينٌ ﴾ أنذركم عقابه وأخوِّفكم عذابَـه .

[٥١] ﴿ ولا تجْعلوا مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ ، إنِّي لكُمْ مِنـهُ نذيرٌ مُبينٌ ﴾ تأكيد لما قبله من الإنذار ، وإيجاب الفرار من عذابه وغضبه .



كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ — ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

[٥٢] ﴿ **كذلك** ﴾ كما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له : ساحراً أو مجنوناً ﴿ **ما أتى الذين مِن قَبْلِهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أوْ مجنونٌ** ﴾ تقليداً لمن سبقهم واقتداءً بهم .

[٥٣] ﴿ **أتواصَوْا بِهِ** ﴾ أأوصى بهذا القول بعضُهم بعضاً حتى اتفقوا عليه ؟ ﴿ **بَلْ هُمْ قومٌ طاغونَ** ﴾ فصدور هذه الكلمة الشنيعة من كل واحد منهم بمقتضى جبلّته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلِهم بذلك .

[٥٤] ﴿ **فتَوَلَّ عنهم** ﴾ فأعْرِض عن مقابلتهم بالأسْوأ ﴿ **فما أنْتَ بِمَلُومٍ** ﴾ في إعْراضِهم ، إذ لست عليهم بجبّار ولا مُسيْطر ، وما عليك من حسابهم من شيء .

[٥٥] ﴿ **وذكِّرْ** ﴾ عظهم ﴿ **فإنَّ الذِّكْرى تنفعُ المؤمنينَ** ﴾ هم العابدون .

[٥٦] ﴿ **وما خلقتُ الجنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدونِ** ﴾ وهي عبادته تعالى بما أمر على لسان رسوله ﷺ .

[٥٧] ﴿ **ما أُريدُ منهُم من رِزْقٍ ، وما أُريدُ أنْ يُطْعِمونِ** ﴾ وهو الغني عن العالمين سبحانه .

[٥٨] ﴿ **إنَّ اللَّهَ هو الرَّزَّاقُ ذو القُوَّةِ المتينُ** ﴾ .

[٥٩] ﴿ **فإنَّ للذين ظَلَموا** ﴾ أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب الرسول والإصرار على الشرك والبغي والفساد ﴿ **ذَنُوباً** ﴾ نصيباً وافراً من العذاب ﴿ **مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحابِهم** ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم الكافرة السابقة المذكورة ﴿ **فلا يَستعْجِلونِ** ﴾ لا يطلبوا أن أعجل به قبل أجله ، فإنه آتيهم في حينه ، والتأخير لحكمة قدّرها الله .

[٦٠] ﴿ **فوَيْلٌ للذين كفروا من يَومِهِمُ الذي يُوعَدونَ** ﴾ وهو يوم القيامة .

[سورة الطُّور]

مكية . وعدد آياتها تسع وأربعون آية . سميت بالطُّور لأنه تضمَّن تعظيم مهبط الوحي ، والوحْي أوْلى بالتعظيم .

[١] ﴿ **والطُّور** ﴾ هو طور سينين ، جبلٌ بمدْيَن ، سمع فيه موسى عليه السلام كلامَ الله تعالى ، وانـدكَّ الجبل بنور تجليه تعالى . [٢] ﴿ **وكتابٍ مَسْطورٍ** ﴾ مكتوب ، والمراد به القرآن الكريم . [٣] ﴿ **في رَقٍّ منشورٍ** ﴾ الرق : الصحيفة أو الجلد الذي يُكتب فيه . [٤] ﴿ **والبيتِ المعْمورِ** ﴾ الذي يعمر بكثرة غاشيته ، وهو الكعبة المعمورة بالحجاج والعُمّار والطائفين والعاكفين والمجاورين . [٥] ﴿ **والسَّقْفِ المرفُوعِ** ﴾ يعني السَّماء .

[٦] ﴿ **والبحْرِ المسْجورِ** ﴾ أي المملوء ، أو الذي يوقد فيصير ناراً . [٧] ﴿ **إن عذاب ربِّكَ لواقعٌ** ﴾ على من أدبر وكفر .

[٨] ﴿ **ما له مِنْ دافعٍ** ﴾ يدفعه عن المكذبين فينقذهم منه إذا وقع . [٩] ﴿ **يومَ تمورُ السَّماءُ مَوْراً** ﴾ أي تضطرب .

[١٠] ﴿ **وتسيرُ الجبالُ سيراً** ﴾ أي تسير عن وجه الأرض فتصير هباءً منثوراً . [١١] ﴿ **فويلٌ يومئذٍ للمُكذِّبين** ﴾ بالحق الجاحدين له .

[١٢] ﴿ **الذين هُمْ في خوْضٍ** ﴾ من الاعتساف والاستهزاء ﴿ **يَلْعَبُون** ﴾ أي بآيات الله ودلائله .

[١٣] ﴿ **يوم يُدَعُّون إلى نارِ جهنَّمَ دعّاً** ﴾ يُدفعون إليها بعنف . [١٤] ﴿ **هذه النَّارُ التي كنتم بها تُكذِّبون** ﴾ أي يقال لهم ذلك .

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

[١٥] ﴿ **أفسحْرٌ هذا أم أنتم لا تُبْصِرونَ** ﴾ كما كنتم تبصرون في الدنيا .

[١٦] ﴿ **اصْلَوْها** ﴾ ذوقوا حرَّ هذه النار ﴿ **فاصْبِروا** ﴾ على ألمها ﴿ **أوْ لا تصْبِروا سواءٌ عليكم** ﴾ الصبر وعدمه ﴿ **إنّما تُجْزَوْن ما كنتُمْ تعملونَ** ﴾ لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا لربكم وكفركم به .

[١٧] ﴿ **إنَّ المتّقِين في جنّاتٍ ونعيم** ﴾ .

[١٨] ﴿ **فاكهينَ بما آتاهُمْ ربُّهم** ﴾ متلذذين بما لديهم من الفواكه الكثيرة ﴿ **ووقاهُم ربُّهم عذابَ الجحيم** ﴾ .

[١٩] ﴿ **كُلوا واشْربوا هَنيئاً بما كنتُمْ تَعملُونَ** ﴾ في الدنيا .

[٢٠] ﴿ **مُتّكئين على سُرُرٍ مصْفوفَةٍ ، وزوَّجناهُم بحُورٍ عِينٍ** ﴾ جمع عيناء وهي الواسعة العين .

ربع الحزب ٥٣

[٢١] ﴿ **والذين آمنوا واتّبعتْهُم ذرّيّتُهم بإيمانٍ** ﴾ اقتفت آثارهم في الإيمان والعمل الصالح ﴿ **ألْحَقْنا بهِمْ ذُرِّيَّتَهُم** ﴾ في الجنات والنعيم [روى ابن جرير عن ابن عباس في هذه الآية قال : إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته ، وإن كانوا دونه في العمل ليقر الله بهم عينه] ﴿ **وما ألتْناهُم من عملهم من شَيْءٍ** ﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم شيئاً ﴿ **كلُّ امرىءٍ بما كسَبَ رهينٌ** ﴾ لا يُؤاخذُ أحَدٌ بذنب غيره ، وإنما يُعاقَب بذنب نفسه .

[٢٢] ﴿ **وأمْدَدْناهُم بفاكِهة ولحْمٍ مما يشْتَهونَ** ﴾ [قال ابن جرير : وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله ، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة ، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان] .

[٢٣] ﴿ **يتنازَعونَ فيها كأْساً** ﴾ يتعاطوْن فيها كأس الشّراب ﴿ **لا لَغْوٌ فيها ولا تأْثيمٌ** ﴾ لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وباطله ، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما كان في الدنيا .

[٢٤] ﴿ **ويطوفُ عليهِم غِلْمانٌ لهم كأنّهم لؤْلؤٌ مكنُونٌ** ﴾ أي مصون في كِنٍّ ، فهو أنقى له وأصفى لبياضه .

[٢٥] ﴿ **وأقْبَلَ بعضُهُم على بعْضٍ يتساءَلُونَ** ﴾ يتجاذبون أطراف الحديث المفضية إلى شكر المنعم والتحدث بالنّعمة ، وذلك في مساءلة بعضهم بعضاً عما مضى لهم في الدنيا . [٢٦] ﴿ **قالوا : إنّا كُنّا قَبْلُ في أَهْلِنا مُشْفِقِينَ** ﴾ خائفين من عذاب الله .

[٢٧] ﴿ **فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوم** ﴾ يعني عذاب النار .

[٢٨] ﴿ **إنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ** ﴾ أي نعبده مخلصين له الدين ﴿ **إنّـهُ هُوَ البَـرُّ** ﴾ المحسن لمن دعاه ﴿ **الرَّحِيمُ** ﴾ بمن عبده وخافه بالهداية والتوفيق .

[٢٩] ﴿ **فَذَكِّر** ﴾ من أرسلت إليهم وعظهم ﴿ **فما أنتَ بنعْمَةِ ربِّكَ بكاهِنٍ** ﴾ تتكهن فيما تدعو إليه ﴿ **ولا مَجْنونٍ** ﴾ له رئيٌّ من الجن يخبر عنه قومَه ما أخبر عنه ، كما يعتقده العرب في بعضهم ، ولكنك رسول الله حقاً .

[٣٠] ﴿ **أمْ يقولونَ شاعر نَتَرَبَّص بهِ رَيْبَ المَنُون** ﴾ أي حوادث الدهر ، أو الموت .

[٣١] ﴿ **قُلْ تَربَّصُوا فإنّي معكم من المُتَربِّصين** ﴾ حتى يأتي أمر الله فيكم ، والأمر للتهكم بهم والتهديد .

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

[٣٢] ﴿ أَمْ تأْمُرهم أحلامُهم بهذا ﴾ أي عقولهم بهذا التناقض في القول ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ هُمْ قَوْمٌ طاغون ﴾ مجاوزون الحد في العناد .

[٣٣] ﴿ أَمْ يقولونَ تقوَّلَه ﴾ أي اختلق هذا القرآن من عند نفسه ﴿ بلْ لا يُؤْمنونَ ﴾ لا يريدون أن يؤمنوا حسداً وتقليداً .

[٣٤] ﴿ فلْيأتوا بحديثٍ مثْله ﴾ في الهداية بذاك الأسلوب الذي ملك ناصية الفصاحة والبلاغة ﴿ إنْ كانوا صادقينَ ﴾ في زعمهم، فإنهم أهل لسان الرسول .

[٣٥] ﴿ أمْ خُلقُوا من غيرِ شيْءٍ ﴾ أخُلِق هؤلاء المشركون من غير آباء وأمهات، فهم كالجماد لا يعقلون، ولا يفهمون لله حُجَّة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خُلِقوا لغير شيء ﴿ أم هُمُ الخالقونَ ﴾ أنفسهم، أو هذا الخلق .

[٣٦] ﴿ أمْ خَلَقوا السَّمواتِ والأرضَ، بلْ لا يُوقِنون ﴾ بوعيد الله، وما أعدّه لأهل الكُفر به من العذاب في الآخرة .

[٣٧] ﴿ أمْ عِندَهُم خزائنُ ربِّكَ ﴾ خزائن رزقه، فهم لاستغنائهم مُعْرِضون ﴿ أمْ هُمُ المُسَيْطِرون ﴾ أي الجبابرة .

[٣٨] ﴿ أمْ لهم سُلَّمٌ ﴾ أي مرتقى إلى السماء ﴿ يستَمِعون فيه ﴾ الوحي، فيدَّعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حق ﴿ فلْيأْتِ مُسْتَمِعُهُم بسُلْطانٍ مُبينٍ ﴾ أي بحجة واضحة تصدق دعواه .

[٣٩] ﴿ أمْ لهُ البناتُ ولكُمُ البَنون ﴾ حيث قالوا ـ لسفاهة رأيهم ـ إن الملائكة بناته تعالى .

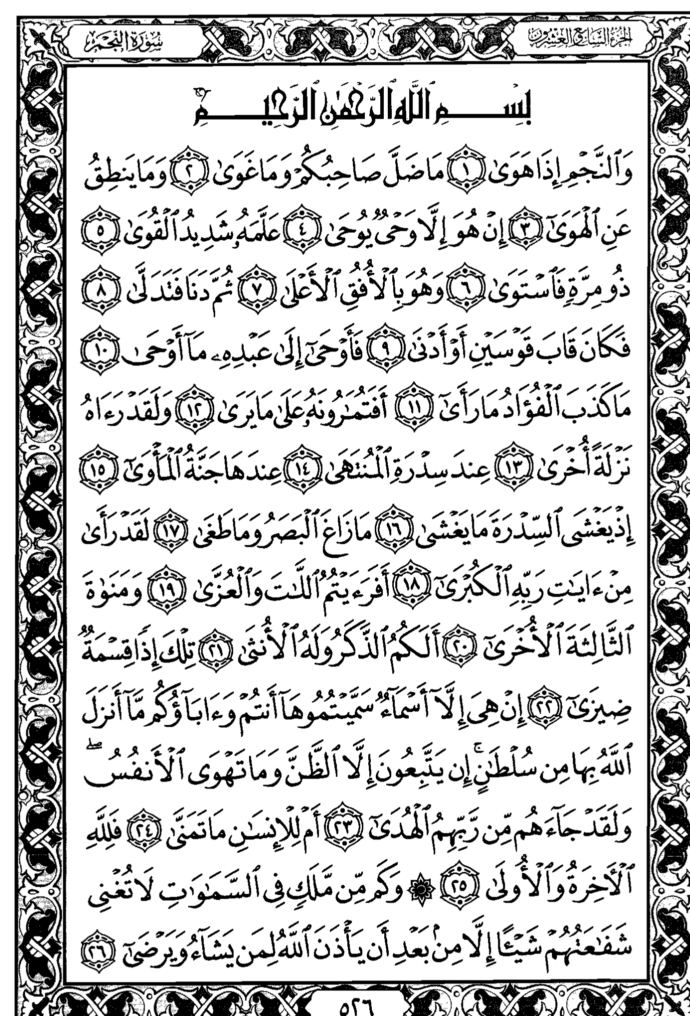
[٤٠] ﴿ أمْ تسْألُهُم أجْراً ﴾ أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله تعالى ﴿ فهُم منْ مَغْرَمٍ ﴾ من التزام غرامة ﴿ مُثْقَلونَ ﴾ من أدائه حتى زهّدهم ذلك في اتباعك . [٤١] ﴿ أمْ عندَهُم الغيْبُ فهُمْ يكتُبُونَ ﴾ منه ما شاؤوا وينبِّئون الناس عنه بما أرادوا .

[٤٢] ﴿ أمْ يريدونَ كيْداً ﴾ بالرسول وما جاء به ﴿ فالذين كفروا هُمُ المَكيدُونَ ﴾ الممكور بهم، فثق بالله وامض لما أمرك به . [٤٣] ﴿ أمْ لهم إلهٌ غيرُ اللهِ ﴾ له العبادة على جميع خلقه ﴿ سبحانَ اللّهِ عمّا يُشْركونَ ﴾ تنزيهاً عن شركهم، وعبادتهم معه غيره . [٤٤] ﴿ وإنْ يَروْا كِسْفاً من السَّماء ساقطاً يقولوا سَحابٌ مَرْكومٌ ﴾ هذا جواب لمشركي قريش الذين كانوا يستعجلون العذاب ويقترحون الآيات . [٤٥] ﴿ فذَرْهُم حتّى يُلاقوا يوْمَهُمُ الذي فيه يُصْعَقونَ ﴾ أي يموتون . [٤٦] ﴿ يوْمَ لا يُغْني عنهم كيدُهُم شيئاً ﴾ لا يدفع عنهم مكرُهم من عذاب الله شيئاً ﴿ ولا هُمْ يُنْصَرونَ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وإنَّ للّذين ظَلَموا عذاباً دونَ ذلكَ ﴾ أي دون عذاب يوم القيامة، وهو إما عذاب القبر، أو القحط، أو النوازل التي تذهب بأموالهم وأنفسهم ﴿ ولكنَّ أكثرَهُم لا يَعلمونَ ﴾ سنة الله في أمثالهم .

[٤٨] ﴿ واصْبِرْ لحُكْمِ ربِّكَ ﴾ الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلِّغْ رسالاته ﴿ فإنَّكَ بأعْيُنِنا ﴾ نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين ﴿ وسَبِّحْ بحَمْدِ ربِّكَ حينَ تقومُ ﴾ من منامك .

[٤٩] ﴿ ومِنَ الليْلِ فسبِّحْهُ ﴾ اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل ﴿ وإدْبارَ النُّجومِ ﴾ عنى بذلك إما فريضة الفجر أو نافلته، أو ما يشملهما .


الجزء السابع والعشرون — سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

٥٢٦

[سورة النَّجْم]

مكيّة . وعدد آياتها اثنتان وستون آية . روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ والنجم ﴾ .

[١] ﴿ **والنَّجْمِ إذا هَوَى** ﴾ انقضّ . [٢] ﴿ **ما ضَلَّ صَاحِبُكُم** ﴾ يعني محمداً ﷺ ، والخطاب لقريش ، أي ما حاد عن الحقّ ولازال عنه ﴿ **وما غوَى** ﴾ ما صار غويّاً ، ولكنه على استقامة وسداد . [٣] ﴿ **وما ينْطِقُ عنِ الهَوى** ﴾ وما ينطق بهذا القرآن عن هواه ورأيه . [٤] ﴿ **إنْ هُوَ إلا وحيٌ يُوحَى** ﴾ إليه من الله . [٥] ﴿ **عَلَّمَهُ شديدُ القُوَى** ﴾ أي علّم محمداً ﷺ ملكٌ شديدة قواه ، هو جبريل عليه السلام . [٦] ﴿ **ذومِرَّة** ﴾ بكسر الميم ، أي متانة وإحكام في علمه ، لا يمكن تغيُّره ونسيانه ﴿ **فاسْتَوَى** ﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقية ، دون الصورة التي كان يتمثل بها ، كلما هبط بالوحي . [٧] ﴿ **وهو بالأُفُقِ الأعْلَى** ﴾ المراد الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر . [٨] ﴿ **ثم دَنا** ﴾ بعد استوائه ، اقترب جبريل من محمد ﷺ ﴿ **فتَدَلَّى** ﴾ إليه . [٩] ﴿ **فكان قابَ قوْسَيْنِ أو أدْنَى** ﴾ أي كأن المسافة ما بينهما مقدار قوسين أو أقرب . [١٠] ﴿ **فأوْحَى إلى عَبْدِه ما أوْحَى** ﴾ أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى الله إليه . [١١] ﴿ **ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى** ﴾ ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه من الملَك الذي جاءه بالوحي من ربه . [١٢] ﴿ **أفتُمارونَه على ما يَرى** ﴾ أفتجادلونه على ما يراه معاينة من رؤية الملَك المنزل عليه . [١٣] ﴿ **ولقدْ رآهُ نزْلَةً أُخْرى** ﴾ مرة أخرى من النزول . [١٤] ﴿ **عند سِدْرةِ المُنْتَهى** ﴾ شجرة ينتهي إليها ما يعرج به أمر الله من الأرض فيقبض منها ، وما يهبط به من فوقها فيقبض فيها . [١٥] ﴿ **عِندَها جَنَّةُ المأْوى** ﴾ التي يأوي إليها أرواح المقرّبين . [١٦] ﴿ **إذْ يَغْشى السِّدرة ما يَغْشى** ﴾ حيث كانت الأرواح والملائكة تغشاها وتهبط عليها ، وتحف من حولها . [١٧] ﴿ **ما زاغَ البَصَرُ** ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عمّا رآه ﴿ **وما طَغَى** ﴾ ما تجاوز مرئيَّه المقصود له . [١٨] ﴿ **لقَدْ رأى منْ آياتِ ربِّهِ الكُبْرى** ﴾ يعني رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية . [١٩] ﴿ **أفرأيْتُمُ اللاتَ** ﴾ اللات : صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظَّم عند أهل الطائف ﴿ **والعُزّى** ﴾ شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف . [٢٠] ﴿ **ومناةَ الثالثةَ الأُخْرَى** ﴾ وهي صخرة كانت بالمشلل عند قديد ، بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظّمونها ، ويهلّون منها للحج إلى الكعبة . [٢١] ﴿ **ألكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنْثى** ﴾ كانوا يقولون : إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله ، وكانوا يعبدونها ويزعمون أنها شفعاؤهم عند الله تعالى ، ومع ذلك كانوا يئدون بناتهم ، فهم يرضون نسبة البنات إلى الله ويأبونها على أنفسهم . [٢٢] ﴿ **تِلْكَ** ﴾ القسمة ﴿ **إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى** ﴾ جائرة غير مستوية . [٢٣] ﴿ **إنْ هِيَ إلاّ أسْماءٌ** ﴾ هذه الأصنام التي يزعمون أنها آلهة ليست سوى أسماء لا حقيقة لها ﴿ **سَمَّيْتُمُوها أنتُمْ وآباؤُكُم** ﴾ بمقتضى أهوائكم ﴿ **ما أنزَلَ اللّهُ بها مِنْ سُلْطانٍ** ﴾ أي برهان يتعلّق به ﴿ **إنْ يتّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ** ﴾ إلا توهم ما هم عليه حق ﴿ **وما تَهْوَى الأنْفُسُ** ﴾ أي تشتهيه أنفسهم ﴿ **ولقد جاءهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدى** ﴾ الدليل الواضح والبيان بالوحي ، أن العبادة لا تجوز إلا لله . [٢٤] ﴿ **أمْ للإنسانِ ما تَمَنَّى** ﴾ أي : ليس له ما يشتهيه من شفاعة الأنداد . [٢٥] ﴿ **فللّهِ الآخِرةُ والأُولَى** ﴾ فمصير الأمر فيهما له تعالى ، لا للإنسان . [٢٦] ﴿ **وكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السّمواتِ لا تُغْني شفاعتُهُم شَيئاً إلاّ مِنْ بَعْدِ أنْ يأذَنَ اللّهُ لمَنْ يشاءُ ويَرْضى** ﴾ توبيخ من الله تعالى لعبدة الأوثان ، بإقناطهم عما علّقوا به أطماعهم من شفاعة أوثانهم ، بأن ملائكته الكرام لا يتفوّهون بالشفاعة إلا من بعد إذنه ورضاه .

نصف الحزب ٥٣

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

[٢٧] ﴿ **إنّ الذينَ لا يُؤمِنونَ بـالآخرَةِ ليُسَمُّونَ الملائكةَ تسْمِيَةَ الأُنثى** ﴾ كانوا يقولون : هن بنات الله .

[٢٨] ﴿ **وما لَـهُمْ بـهِ منْ عِلْمٍ ، إنْ يتَّبِعُون إلاّ الظَّنَّ ، وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْني مِنَ الحَقِّ شيئاً** ﴾ لا يفيد فائدته ، ولا يقوم مقامه .

[٢٩] ﴿ **فأعْـرِضْ عنْ مَنْ تَـولَّى عنْ ذِكْرِنـا ولم يُرِدْ إلاّ الحياةَ الدُّنْيا** ﴾ المراد من الإعـراض هجرهم هجـراً جميلاً وترك إيذائهم .

[٣٠] ﴿ **ذلك مَبْلَغُـهُم مِنَ العِلْمِ** ﴾ يعني أمر الـدُّنيا منتهى علمهم ، لا علم لهم فـوقَه ﴿ **إنَّ رَبَّك هوَ أعلَمُ بمنْ ضلَّ عنْ سبيلِـهِ ، وهو أعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى** ﴾ .

[٣١] ﴿ **ولِلَّـهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرْضِ لِيَجْـزِيَ الـذين أسـاؤُوا بما عَمِلـوا ، ويَجْزِيَ الـذين أحْسَنـوا بالحُسْنى** ﴾ بالمثوبة الحسنى ، وهي الجنَّة .

[٣٢] ﴿ **الذيـن يجْتَنبون كبـائرَ الإثْـم** ﴾ يعني مـا كبر الوعيد عليه من النواهي ﴿ **والفواحِـشَ** ﴾ ما فحش منها ﴿ **إلاّ اللَّمَمَ** ﴾ الصغائر من الـذنوب ﴿ **إنَّ ربَّكَ واسعُ المغْفِرَةِ** ﴾ للمـذنبين الـذين لم تبلـغ ذنـوبهم الفـواحش وكبائر الإثم ﴿ **هُوَ أعلَـمُ بكُمْ إذْ أنشأكُم منَ الأرْضِ** ﴾ أحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها ﴿ **وإذْ أنتُمْ أجِنَّـةٌ في بُطونِ أمَّهاتِكُم** ﴾ حيثما يُصـوِّركُم في الأرحـام ﴿ **فلا تُـزَكُّوا أنفسَكُم** ﴾ فـلا تشهدوا لها بأنها زكيّـة بريئـة من الذنوب والمعاصي ، والمراد به الثناء مدحاً أو رياء ﴿ **هوَ أعلمُ بمَن اتَّـقَى** ﴾ بمن اتقـاه فعمل بطاعتـه واجتنب معاصيه وأصلح .

[٣٣] ﴿ **أفـرأَيْت الذي تَوَلَّى** ﴾ عن الذِّكر بعد إذ جاءه . [٣٤] ﴿ **وأَعْطَى قليلاً وأكْدَى** ﴾ قطع العطاء بخلاً وشُحّاً .

[٣٥] ﴿ **أعِنْدَه عِلْمُ الغَيْبِ فهو يَرى** ﴾ حتى يحكم على نفسه بالتزكية والنجاة والفوز ؟ .

[٣٦] ﴿ **أمْ لمْ يُنبَّأْ بما في صُحُفِ موسى** ﴾ . [٣٧] ﴿ **وإبراهيمَ الذي وَفَّى** ﴾ بالغ في الوفاء بما عاهد اللّهَ عليه .

[٣٨] ﴿ **ألاّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى** ﴾ لا تُؤاخَذ نفسٌ بذنب غيرها ، بل كل نفسٍ آثمةٍ فإن إثمها عليها .

[٣٩] ﴿ **وأنْ لَيسَ للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى** ﴾ ليس له إلا سعيه وكسبُه .

[٤٠] ﴿ **وأنَّ سعْيَـه سوفَ يُرى** ﴾ سيراه ويُعْرَضُ عليه ويُكْشَفُ له ، أو يُرى للخلق وللملائكة . ففيـه بشارة للمؤمن ، وإفراح له ، وإنذار للكافر وإرهاب له ، أو هو مِن رأى المجرد أي يراه .

[٤١] ﴿ **ثمّ يُجْزاه الجَزاءَ الأوْفى** ﴾ يُجزى سعيه جزاء وافراً لا يبخس منه شيئاً .

[٤٢] ﴿ **وأنَّ إلى ربِّكَ المُنْتهى** ﴾ انتهاء الخلق ، ورجوعهم لمجازاتهم .

[٤٣] ﴿ **وأنّـهُ هو أضْحَكَ وأبْـكَى** ﴾ خلق قوتيّ الضحك والبكاء ، أو أضحك أهل الجنّة في الجنّة ، وأبكى أهلَ النـار في النار ، أو من شاء من أهل الدنيا في الدنيا .

[٤٤] ﴿ **وأنّـهُ هو أماتَ وأحْيا** ﴾ أمات من شاء من خلقه ، وأحيى من شاء .

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ
وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿ وأنَّه خلَقَ الزوْجيْنِ الـذَّكَـرَ والأُنثى ﴾ ابتدع إنشاءهما . [٤٦] ﴿ من نُطْفَةٍ إذا تُمْنى ﴾ إذا تدفقت في الرحم . [٤٧] ﴿ وأنَّ عليـهِ النشْـأَةَ الأُخْـرى ﴾ إعادة الخلق بعد مماتهم في نشأة أخرى لا تعلم . [٤٨] ﴿ وأنَّه هو أغْنى ﴾ أغنى من شـاء بالمال ، و﴿ أقنى ﴾ جعل له قنية ، وهو ما يـدخرهُ من أشرف أمواله . [٤٩] ﴿ وأنَّه هو ربُّ الشِّعْرى ﴾ وهو نجم كان بـعـض أهل الجاهلية يعبده . [٥٠] ﴿ وأنَّه أهلَـكَ عاداً الأُولى ﴾ يعني قـوم هـود عليه السـلام . [٥١] ﴿ وثمودَ ﴾ قـوم صـالح عليه السلام ﴿ فما أبْقى ﴾ . [٥٢] ﴿ وقومَ نـوحٍ من قبْلُ ، إنَّهم كـانـوا هُم أظلَمَ ﴾ أشـد في كفـرهم ﴿ وأَطْغى ﴾ أشـد طغيانـاً وعصيانـاً من الـذين أُهلكـوا من بعـدهم لتمـردهم على الكفر . [٥٣] ﴿ والمؤْتَـفِكَةَ ﴾ قـرى قـوم لـوط عليـه السـلام التي ائتفكتْ بأهْلهـا ، أي انقلبت ﴿ أهْوَى ﴾ أهـواهـا على أهلها ودمّـرهـا . [٥٤] ﴿ فغشَّاها ما غشَّى ﴾ من العذاب السماوي الذي صُبَّ عليهـا . [٥٥] ﴿ فبـأي آلاءِ ربِّـكَ ﴾ أي نعمائه ﴿ تتـمارَى ﴾ أي ترتاب وتشك . [٥٦] ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ نذيرٌ من النُّـذُرِ الأُولى ﴾ إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم ، أو هـذا الرسول نـذير من جنس من تقـدَّمـه ليس بدعـاً من الـرُّسُل . [٥٧] ﴿ أزِفَتِ الآزِفَـةُ ﴾ قرُبتْ القيـامةُ الموصوفة بـالقرب . [٥٨] ﴿ ليسَ لها مِنْ دونِ اللَّـهِ كاشِفَـةٌ ﴾ ليس لقيامها غير الله مبيّن لوقتها ، وقيل الكشف بمعنى الإزالة ، أي ليس لها نفس كاشفة إذا وقعت إلا هو تعالى .

سجدة

[٥٩] ﴿ أفَمِنْ هذا الحديث تَعْجَبونَ ﴾ يعني القرآن الذي قصّ مـا تقدم ، وأنذر بها أخبر . [٦٠] ﴿ وتَضْحَكونَ ولا تَبْكون ﴾ تضحكون استهزاء ولا تبكون مما فيه من الوعيد للعصاة . [٦١] ﴿ وأنتُم سامِدون ﴾ لاهون عما فيه من العِبَر ، معْرِضونَ عن آياته .

[٦٢] ﴿ فاسْجُدوا للّهِ واعْـبُدوا ﴾ واعبدوه دون سواه من الأوثان ، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له ، لا تجعلوا له شريكاً في عبادته .

[سورة القمر]

مكّيّة . وعـدد آياتها خمس وخمسـون آية . كان ﷺ يقـرأ بها في الأضحى والفطر والمحـافل الكبرى لاشتمالها على ذكر الوعـد والوعيـد ، وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد ، وإثبات النبوّات ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة . [١] ﴿ اقتربَتِ السَّاعةُ ﴾ دنت الساعة التي تقـوم فيها القيامة ﴿ وانشَقَّ القمرُ ﴾ . [٢] ﴿ وإنْ يرَوْا آيةً يُعْرِضوا ويقولوا : سحْرٌ مستمِرٌّ ﴾ ذلك أن كفّار مكّة سألوه آية ، فأراهم ﷺ انشقـاق القمر حُجَّة على صدق قوله ، وحقيقة نبوّته ، فلما أراهم أعرضوا وكذّبوا وقالوا : سحرنا محمد . [٣] ﴿ وكذَّبوا ﴾ بآيات الله بعدما أتتهم حقيقتها ﴿ واتَّـبَعُوا أهواءَهُم ﴾ ما زُيّن لهم من دفع الحق مما وجـدوا عليه آباءهم ﴿ وكلُّ أمرٍ مُسْتَـقِرٌّ ﴾ كل أمر لا بـد أن يصير إلى غاية يستقـر عليها . [٤] ﴿ ولقدْ جاءَهُم منَ الأنباءِ ﴾ عن القرون الخالية ، والحقائق الكونية ، مما يستحيل أن يأتي به أميٌّ غيره ﷺ ﴿ ما فيه مُزْدَجَرٌ ﴾ مرتدع عمّا هم مقيمون عليه من التكذيب والغفلة واللهو .

[٥] ﴿ حِكْمةٌ بالغةٌ ﴾ بلغت غايتها من الإحكام والتنزه عن الخلـل ، ومن الاشتمال على البراهين القاطعَة والحجج الساطعة ﴿ فما تُغْنِ النُّـذُرُ ﴾ جمع نذير . [٦] ﴿ فتولَّ عنْـهُم ﴾ أي اصفح عن أذاهم ، وانتظر ما يأتيهم من الوعيد الشديد ﴿ يومَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ داعي الله إلى موقف يوم القيامة ، وهو مَلَكٌ كريم ﴿ إلى شيءٍ نُـكُرٍ ﴾ فظيع تنكره النفوس ، وهو موقف الحساب والجزاء والبلاء .

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

[٧] ﴿ **خُشَّعاً أبصارُهم** ﴾ من الذل والصَّغار ﴿ **يَخْرُجونَ مِنَ الأجداثِ** ﴾ من قبورهم ﴿ **كأنَّهم جَرادٌ مُنْتشرٌ** ﴾ في الكثرة والتموُّج والانتشار.

[٨] ﴿ **مُهْطِعينَ إلى الدَّاعِ** ﴾ مسرعين مادِّين أعناقهم إليه ﴿ **يقولُ الكافِرون هذا يومٌ عَسِرٌ** ﴾ لشدّة أهواله.

[٩] ﴿ **كذَّبتْ قبلَهم قومُ نوحٍ ، فكذَّبوا عبدَنا وقالوا : مجنونٌ وازدُجِر** ﴾ أي زجر عن الإنذار والتبليغ بشدة وقسوة.

[١٠] ﴿ **فدعا ربَّه : أنّي مَغلوبٌ فانْتَصِرْ** ﴾ غلبني قومي تمرداً وعُتُوّاً ، فانتقمْ منهم بعذاب ترسله عليهم.

[١١] ﴿ **ففتَحْنا أبوابَ السَّماءِ بماءٍ مُنْهَمِرٍ** ﴾ متدفق.

[١٢] ﴿ **وفجَّرنا الأرضَ عُيوناً** ﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجَّر ﴿ **فالتَقى الماءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ** ﴾ التقى ماء السماء وماء الأرض على حال قدَّره الله تعالى وقضاه ، وهو هلاك قوم نوح عليه السلام.

[١٣] ﴿ **وحملناهُ على ذاتِ ألْواحٍ ودُسُرٍ** ﴾ يعني السفينة ، ودُسُر جمع دسار بكسر الدال ، أو دسْر كسقف وسقف ، وهي أضلاعها أو حبالها التي تُشدُّ فيها ، أو مساميرها.

[١٤] ﴿ **تجري بأعيُننا** ﴾ كناية عن حفظها بحفظ الله تعالى وعنايته ﴿ **جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ** ﴾ أي كُفِر به ، وهو نوح كفر به قومه وآذوْه.

[١٥] ﴿ **ولقدْ تركْناها** ﴾ أي قصة نوح عليه السلام ﴿ **آيةً** ﴾ جعلناها عِبْرةً يُعْتبَرُ بها ﴿ **فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ فهل من معتبر ومتعظ.

[١٦] ﴿ **فكيفَ كانَ عَذابي ونُذُرِ** ﴾ أي عذابي لهؤلاء الكفار ـ قوم نوح عليه السلام ـ وإنذاري بما أحللت بهم ، ليحذروا أمثالهم وينتهوا عما يقترفونه.

[١٧] ﴿ **ولقدْ يسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكْرِ** ﴾ سهّلناه للإدّكار والاتعاظ لكثرة ما ضرب فيه من الأمثال الكافية الشافية ﴿ **فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ فيعتبر بما فيه ، ويثوب إلى رشده ؟ [١٨] ﴿ **كذَّبَتْ عادٌ** ﴾ كذّبوا نبيَّهم هوداً عليه السلام بمثل ما كذّب قوم نوح نوحاً عليه السلام ﴿ **فكيفَ كان عذابي ونُذُرِ** ﴾. [١٩] ﴿ **إنَّا أرْسَلْنا عليهِمْ ريحاً صَرْصَراً** ﴾ شديدة الهبوب لها صرير ، أو باردة ﴿ **في يَوْمِ نَحْسٍ** ﴾ يوم شر وشؤم عليهم ﴿ **مُسْتَمِرٍّ** ﴾ استمر عليهم ودام حتى أهلكهم. [٢٠] ﴿ **تنزِعُ النَّاسَ** ﴾ تقلعهم عن أماكنهم ﴿ **كأنَّهُم أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** ﴾ أي : أصول نخل منقلع عن مغارسه. وأصل منقعر ما أُخرج من القعر. [٢١] ﴿ **فكيفَ كانَ عذابي ونُذُرِ** ﴾ كرره للتهويل وللتنبيه على فرط عتوّهم. [٢٢] ﴿ **ولقد يسَّرْنا القرآنَ للذِّكر فهل من مدَّكِرٍ** ﴾. [٢٣] ﴿ **كذَّبتْ ثمودُ بالنُّذُرِ** ﴾ بما أنذرهم به نبيُّهم صالح عليه السلام. [٢٤] ﴿ **فقالوا أبَشراً مِنّا واحداً نتَّبِعُه إنّا إذاً لفي ضَلالٍ وسُعُرٍ** ﴾ أي جنون ، أو عناء. [٢٥] ﴿ **أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عليه مِنْ بَيْنِنا** ﴾ يعنون الوحي والنُّبوّة ، أي وفينا من هو أحقُّ بها ـ على زعمهم ـ لكونه أعزّ مالاً ونَفَراً ﴿ **بَلْ هو كذّابٌ أَشِرٌ** ﴾ متكبّر ، حمله كبره على استتباعنا له. [٢٦] ﴿ **سيَعْلَمون غداً مَنِ الكذَّابُ الأشِرُ** ﴾ يومَ القيامة ، أو يوم حلول العذاب الدنيوي عليهم سيعلمون من هو المتكبّر عن الحقّ. [٢٧] ﴿ **إنّا مُرْسِلواْ النَّاقَةِ فِتْنَةً لهمْ** ﴾ آية وحجة لصالح على قومه امتحاناً لهم وابتلاء ﴿ **فارتَقِبْهُم** ﴾ انتظرهم وتبصر ما هم صانعون بها ﴿ **واصْطَبِرْ** ﴾ على دعوتهم.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

[٢٨] ﴿ **ونبّئهم أنّ الماءَ** ﴾ الذي يردونه لشرب مواشيهم ﴿ **قِسْمَةٌ بَيْنَهُم** ﴾ مقسوم بينهم، للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر ﴿ **كلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ** ﴾ يحضره صاحبه في نوبته. والشِّرْب: النصيب من الماء.

[٢٩] ﴿ **فنادَوْا صاحِبَهُم فتعاطى** ﴾ فتناول النّاقة بيده ﴿ **فَعَقَرَ** ﴾ فقتلها.

[٣٠] ﴿ **فكيفَ كانَ عَذَابي ونُذُرِ** ﴾.

[٣١] ﴿ **إنّا أرسَلْنا عليهم صيْحةً واحِدةً فكانوا كهشيمِ المُحْتَظِرِ** ﴾ كالشجر اليابس المتكسّر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة. أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء.

[٣٢] ﴿ **ولقد يَسَّرْنا القرآنَ للذِّكرِ فهلْ من مُدّكِرٍ** ﴾.

[٣٣] ﴿ **كذَّبَتْ قومُ لوطٍ بالنُّذُرِ** ﴾.

[٣٤] ﴿ **إنّا أرسَلْنا عليهِمْ حاصِباً** ﴾ أي ملكاً يرميهم بالحصباء والحجارة، أو ريحاً ترميهم بها ﴿ **إلاّ آلَ لوطٍ نجّيْناهُم بسَحَرٍ** ﴾ وذلك أنه تعالى أوحى إلى لوط أن يخرج ومن آمن من قومه، فخرجوا من آخر الليل، فنجوا مما أصاب قومهم.

[٣٥] ﴿ **نِعْمةً من عِندِنا** ﴾ إنعاماً منّا ﴿ **كذلك نَجْزِي مَنْ شَكَرَ** ﴾ أطاع ربّه، وانتهى إلى أمره ونهيه.

[٣٦] ﴿ **ولقدْ أنْذَرَهُم** ﴾ لوطٌ عليه السلام ﴿ **بَطْشَتَنا** ﴾ بالعذاب ﴿ **فتمارَوْا بالنُّذُرِ** ﴾ بإنذاراته، تكذيباً له.

[٣٧] ﴿ **ولقدْ راوَدُوهُ عن ضَيْفِهِ** ﴾ طالبوه بإتيان الفاحشة معهم، وهم الملائكة الذين وردوا عليه بصورة شباب مُرْدٍ حِسانٍ ﴿ **فطَمَسْنا أعيُنَهُم** ﴾ فأعمى الله أبصارَهم فلم يروْهم ﴿ **فذوقوا عَذابي ونُذُرِ** ﴾. [٣٨] ﴿ **ولقدْ صَبَّحَهُم بُكْرةً عذابٌ مسْتَقِرٌّ** ﴾. [٣٩] ﴿ **فذُوقُوا عَذابي ونُذُرِ** ﴾.

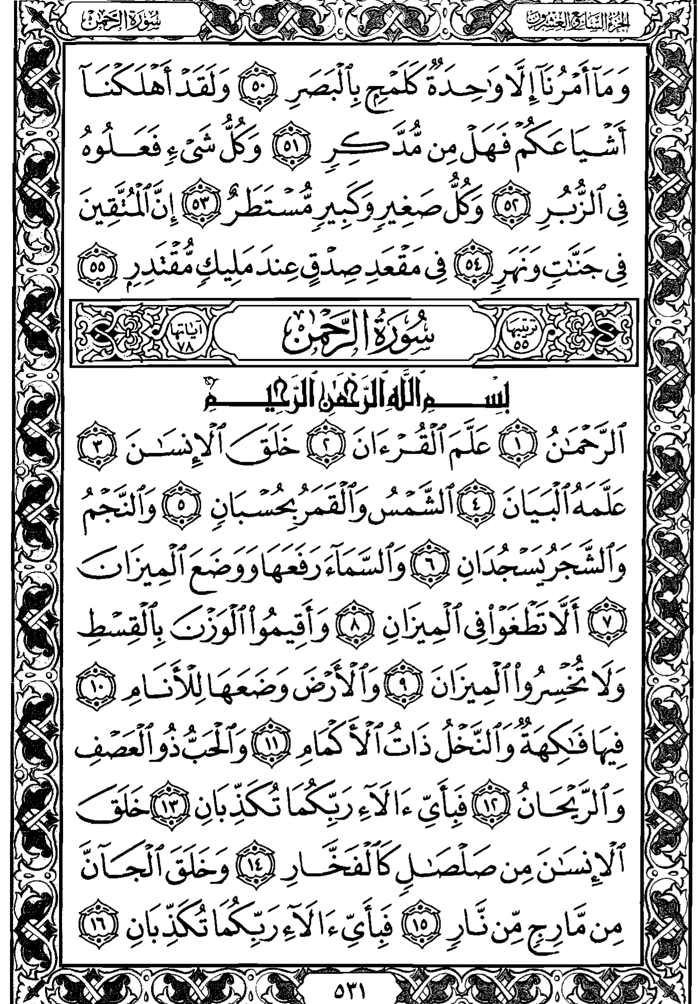
[٤٠] ﴿ **ولقدْ يَسَّرْنا القُرآنَ للذِّكرِ فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ كرر عليهم آيات التذكير والإنذار لتمكين ذلك في نفوسهم.

[٤١] ﴿ **ولقدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ** ﴾ يعني موسى وأخوه هارون عليهما السلام. [٤٢] ﴿ **كذَّبوا بآياتِنا كُلِّها** ﴾ الأدلّة والمعجزات والحُجج التي أتتهم ناطقة بوحدانية الله تعالى ﴿ **فأخَذْناهم أخْذَ عزيزٍ** ﴾ عاقبناهم عقوبة شديد لا يُغالَب ﴿ **مُقْتَدِرٍ** ﴾ عظيم القدرة لا يعجزه شيء.

[٤٣] ﴿ **أكُفّارُكُم** ﴾ يا معشر قريش ﴿ **خَيْرٌ منْ أولائكم** ﴾ الكفّار المذكورين الذين حلّت عليهم النقمة فتأمنوا جانبها؟ ﴿ **أمْ لَكُم براءَةٌ في الزُّبُرِ** ﴾ أي براءة من عقابه تعالى وأمان منه مع أنكم على شاكلة من مضى نبؤهم من المشركين والمعاندين؟.

[٤٤] ﴿ **أمْ يقولون نَحْنُ جَميعٌ مُنْتَصِرٌ** ﴾ ينصر بعضُنا بعضاً. [٤٥] ﴿ **سَيُهْزَمُ الجَمْعُ** ﴾ يعني جمع كفّار مكة ﴿ **ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ يولون أدبارهم عند انهزامهم. وقد وقع ذلك يوم بدر، وهو من دلائل النبوّة لأن الآية مكّية ففيها إخبار عن الغيب. [٤٦] ﴿ **بَلِ السَّاعةُ موعِدُهم** ﴾ للبعث والعقاب ﴿ **والسَّاعةُ أدهى وأمَرُّ** ﴾ أعظم داهية، وهي الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه. [٤٧] ﴿ **إنّ المجرمين في ضَلالٍ** ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿ **وسُعُرٍ** ﴾ وفي نيران في الآخرة. [٤٨] ﴿ **يَوْمَ يُسْحَبون في النّارِ على وُجُوهِهم** ﴾ يُجَرُّونَ عليها ﴿ **ذوقوا مَسَّ سَقَرَ** ﴾ حرّها وألمها، وسقر: من أسماء جهنّم.

[٤٩] ﴿ **إنّا كلَّ شَيْءٍ خَلقناهُ بقَدَرٍ** ﴾ بمقدار استوفي فيه مقتضى الحِكْمة وترتب الأسباب على مسبَّباتها.



وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن — ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ
وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ
مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

[٥٠] ﴿ وما أمْرُنا ﴾ الذي به الإيجاد ﴿ إلّا واحدةٌ كلَمْحٍ بالبَصَرِ ﴾ أي كلمة واحدة يكون بها كل شيء ، كلمح بالبصر في السرعة .

[٥١] ﴿ ولقدْ أهْلَكْنا أشْياعَكُم ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم السالفة ﴿ فهَلْ منْ مُدَّكِرٍ ﴾ من متعظ بذلك ينزجر به .

[٥٢] ﴿ وكُلُّ شَيءٍ فَعَلُوهُ في الـزُّبُرِ ﴾ الكتب التي أحصتها الحفظة عليهم .

[٥٣] ﴿ وكـلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ﴾ من الأعمال ﴿ مُسْتَطَرٌ ﴾ مسطور لا يُمحى ولا يُنسى .

الحزب ٥٤

[٥٤] ﴿ إنّ المتّقينَ ﴾ الذين اتقوا عقاب الله ﴿ في جَنّاتٍ ونَـهَرٍ ﴾ أي أنهار .

[٥٥] ﴿ في مقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ في مجلس حقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيم ﴿ عندَ مَليكٍ ﴾ بمعنى ملك ﴿ مُقْـتَدِرٍ ﴾ يقدر على تصريف جميع مـا في ملكـه على حكـم مشيئتـه وتسخيره على مقتضى إرادته .

[سورة الرّحمن]

مكيّـة . وعدد آياتها ثمان وسبعون آية .

[١] ﴿ الرّحمن ﴾ . [٢] ﴿ علّم القرْآنَ ﴾ بصّر به ما فيه رضاه وما فيه سخطه . [٣] ﴿ خلقَ الإنسانَ ﴾ .

[٤] ﴿ علّمَهُ البَيانَ ﴾ أي التعبير عما في الضمير وإفهام غيره مـا يـريد . وفيـه إشـارة إلى تكـريم بني آدم بتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلّم الشرع عنه .

[٥] ﴿ الشّمْسُ والقمـرُ بحُسْبانٍ ﴾ بجريان بحسـاب معلوم مقدَّر في بروجهما ومنازلهما ، به تختلف الفصول والأوقات ، ويعلم السنون والحساب .

[٦] ﴿ والنَّجْمُ ﴾ أي النبات الذي ينجُم ، أي يطلع من الأرض ولا ساق له ﴿ والشّجَرُ ﴾ الذي له ساق ﴿ يسْجُدانِ ﴾ ينقادان لله فيما يريد بهما انقياد الساجد من المكلّفين . [٧] ﴿ والسّماءَ رفَـعَها ﴾ خلقها مرفوعة ﴿ وَوَضَعَ الميزانَ ﴾ أي العدل بين خلقه في الأرض .

[٨] ﴿ ألاّ تطْغَوْا في الميزانِ ﴾ بالإفراط عن حدّ الفضيلة والاعتدال . [٩] ﴿ وأقيموا الوزْنَ بالقِسْطِ ﴾ أي بالاستقامة في الطريقة ، ونقطة الاعتدال في جميع الأمور ﴿ ولا تُخْسِروا الميزانَ ﴾ بالتفريط عن حد الفضيلة . [١٠] ﴿ والأرضَ وضَعَها للأنام ﴾ مهّدها للخلق .

[١١] ﴿ فيها فاكِهَـةٌ ﴾ صنوف مما يُتَفكّه به ﴿ والنّخلُ ذاتُ الأكْمامِ ﴾ أي الذي يطلع فيه العنقود ثم ينشق عنه فيكون بُسْراً ثم رطباً ، ثم ينضج .

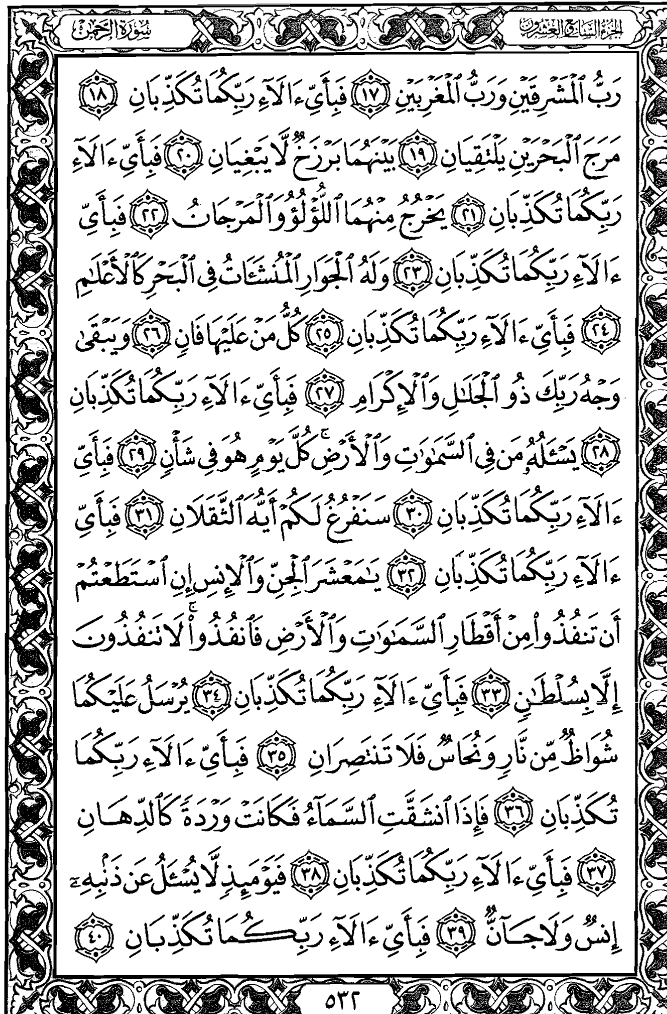
[١٢] ﴿ والحَبُّ ذو العَصْفِ ﴾ هو حبُّ البُرِّ والشعير ونحوهما ، وذو العصف أي الورق اليابس كالتبن ﴿ والرَّيْحانُ ﴾ الورق الأخضر .

[١٣] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكُـما تُـكذِّبانِ ﴾ الخطاب للثقلين ، الإنس والجن ، مدلول عليهما بقوله تعالى ﴿ للأنام ﴾ .

[١٤] ﴿ خلَقَ الإنْسانَ من صَلْصالٍ كالفَخّارِ ﴾ والصلصـال : الطين اليابس الـذي له صلصلـة . والفخـار : الخزف . وقد خلق الله تعـالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ، ثم حمأً مسنوناً ، ثم صلصالاً .

[١٥] ﴿ وخلَقَ الجانَّ من مارجٍ من نّارٍ ﴾ خلق الجن أو أباهم من لهب صاف .

[١٦] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكذِّبانِ ﴾ مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النِّعم ، ومما أظهره لكما بالقرآن .


الجزء السابع والعشرون — سورة الرحمن

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

٥٣٢

[١٧] ﴿ رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وربُّ المغْرِبَيْنِ ﴾ مشرقي الشتاء والصيف ومغـربيهما ، أو مشرقي الشمس والقمـر ومغربيهما .

[١٨] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُـكذِّبانِ ﴾ مما فيهما من النعم والفوائد التي لا تُـحْصى .

[١٩] ﴿ مرَجَ البَحْـرَيْنِ يَلْتَـقيانِ ﴾ أرسل البحـرين : البحر المالح والبحر العذب ، يتجاوران .

[٢٠] ﴿ بينهما بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى وبديع صنعه ﴿ لا يَبْغِيـانِ ﴾ لا يبغي أحـدهما على الآخـر بالممازجة و إبطال الخاصية .

[٢١] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكما تُكذِّبـانِ ﴾ مما في البحـرين وخلقهما من الفوائد .

[٢٢] ﴿ يَخْرُجُ منهما اللؤلُؤُ والمَرْجانُ ﴾ .

[٢٣] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبانِ ﴾ .

[٢٤] ﴿ ولـهُ الجَوارِ ﴾ يعني السفن ، جمع جـاريـة ﴿ المُـنْشَآتُ في البحْرِ كـالأَعْـلامِ ﴾ مرفـوعات القـلاع اللاتي تقبل بهن وتُدْبر ، والأعلام : جمع علم ، وهـو الجبل الطويل .

[٢٥] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكـذِّبان ﴾ فبأي نعمـه التي أنعم بها في هذه الجواري تكذبان ؟ .

[٢٦] ﴿ كُلُّ مَنْ عليها فانٍ ﴾ كلُّ من على ظهر الأرض هالك .

[٢٧] ﴿ ويَبْقى وجهُ رَبِّكَ ﴾ أي ذاته الكـريمة ﴿ ذو الجَلال ﴾ صـاحب العظمـة والعلـوِّ والكبريـاء ﴿ والإكْرام ﴾ والتفضُّل العام .

[٢٨] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبانِ ﴾ . [٢٩] ﴿ يسْألُـهُ مَـنْ في السَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ يدعونه ويرغبون إليه ، ﴿ كُلَّ يوم هـو في شأْنٍ ﴾ كل وقت يحدث أموراً ويجدِّد أحوالاً . [٣٠] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكما تُـكذِّبان ﴾ مما يسعف به سؤالكما ، ويخرج لكـما من مخبأ قـدره وخلقـه آناً فآناً .

[٣١] ﴿ سَنَفْرُغُ لكُمْ أيها الثَّـقَلان ﴾ والله تعالى ليس لـه شغل يفرغ منه ، وإنما المعنى : سنقصـد لمجازاتكم أو محاسبتكم ، فهو وعيـد لهم وتهديد .

[٣٢] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكما تكذِّبان ﴾ أي من ثوابه أهل طاعته ، وعقابه أهل معصيته .

[٣٣] ﴿ يـا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطعتُم أن تَنْـفُذوا من أقطارِ السَّـمٰواتِ والأرضِ ﴾ بخروجكم عن قهره ومحل سلطانـه ومملكته حتى لا يقدر عليكم ﴿ فانْـفُـذُوا ﴾ فجوزوا واخرجوا ﴿ لا تَـنْـفُذون إلا بسُلْطانٍ ﴾ إلا بقوّة وقهر وغلبة ، وأنَّى لكم ذلك ؟ .

[٣٤] ﴿ فبأيِّ آلاء ربِّـكما تكذِّبان ﴾ من التسوية بين جميعكم ، بأن جميعكم لا يقدرون على خلاف أمر أراده الله بكم .

[٣٥] ﴿ يُرْسَلُ عليكُما شُواظٌ ﴾ من لهب ﴿ من نارٍ ونحاسٌ ﴾ صُفر مذاب يصبُّ على رؤوسكم ﴿ فلا تَنْتَصِرانِ ﴾ فلا تمتنعان وتنقذان منه .

[٣٦] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكما تكذِّبان ﴾ قال القاضي : فإن التهديد لطف ، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار ، من عداد الآلاء .

[٣٧] ﴿ فإذا انْشقَّتِ السَّماءُ ﴾ انفطرت فاختل نظامها العلوي ﴿ فكانت وَرْدَةً ﴾ كلون الورد الأحمر ﴿ كالدِّهانِ ﴾ كالدهن الذي هو الزيت .

[٣٨] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكما تُـكذِّبان ﴾ مما يحله بكم بعيد ذلك . [٣٩] ﴿ فيَوْمَـئِذٍ لا يُسْأَلُ عن ذنبـهِ إنسٌ ولا جانٌّ ﴾ لا يفتح لهم باب المعذرة .

[٤٠] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّـكما تكذِّبان ﴾ أي من عدله فيكم أنه لم يعاقب منكم إلا مجرماً .

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

[٤١] ﴿ **يُعرفُ المُجرمون بسيماهُم** ﴾ بما يعلوهم من الكآبة والحزن والذِّلَّة [وعن الحسن قال: يعرفون باسوداد الوجوه وزرقة العيون ـ ابن جرير] ﴿ **فيُؤخذُ بالنَّواصي والأقدام** ﴾ فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم وتقذفهم فيها. والناصية مقدم الرأس.

[٤٢] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان** ﴾ أي من تعريفه ملائكته، أهلَ الإجرام من أهل الطاعة منكم حتى خصُّوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم.

[٤٣] ﴿ **هذه جهنَّمُ التي يُكذِّبُ بها المجرمونَ** ﴾.

[٤٤] ﴿ **يَطُوفونَ بينها وبين حميمٍ** ﴾ ماء حار ﴿ **آنٍ** ﴾ انتهى حرُّه واشتد غليانه.

[٤٥] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ** ﴾ من عقوبته أهل الكفر به، وتكريمه أهل الإيمان به.

[٤٦] ﴿ **ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّه** ﴾ أي قيامه عند ربه للحساب، فأطاعه بأداء الفرائض واجتناب المعاصي ﴿ **جنَّتانِ** ﴾ جنة لمن أطاع من الإنس، وجنّة لمن أطاع من الجنّ. أو هو كناية عن مضاعفة الثواب. [عن مجاهد قال: الرجل يهم بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان ـ ابن جرير].

[٤٧] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان** ﴾ أي بإثابته المحسن ماوصف.

[٤٨] ﴿ **ذواتا أفْنانٍ** ﴾ أنواع من الأشجار والثمار. جمع فن بمعنى النوع، أو أغصان لينة جمع فنن.

[٤٩] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان** ﴾.

[٥٠] ﴿ **فيهما عَيْنان تجريان** ﴾. [٥١] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان** ﴾. [٥٢] ﴿ **فيهما منْ كُلِّ فاكهةٍ زوْجانِ** ﴾.

[٥٣] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان** ﴾. [٥٤] ﴿ **مُتَّكِئِين على فُرُشٍ بطائنُها من إسْتَبْرقٍ** ﴾ وهو ما غلظ من الديباج ﴿ **وجَنَى الجنَّتَيْنِ دانٍ** ﴾ وثمرهما المجنيُّ داني القطوف. [٥٥] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ** ﴾. [٥٦] ﴿ **فيهنّ قاصِراتُ الطَّرْفِ** ﴾ منكسرات الجفن، خافضات النظر، غير متطلعات لما بعد، ولا ناظرات لغير أزواجهن ﴿ **لم يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قبلَهُم ولا جانٌّ** ﴾ أي لم يمسّهن [قال ابن جرير: لم يجامعهن إنس قبلهم ولا جان. وعن مجاهد قال: إذا جامع الرجل ولم يُسمِّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه. وقال عكرمة لا تقل للمرأة: طامث، فإن الطمث هو الجماع]. ويستدل بالآية على أن الجنَّ يطمثن ويدخلن الجنَّة. [٥٧] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ** ﴾.

[٥٨] ﴿ **كأنَّهنّ الياقوتُ والمَرْجانُ** ﴾ في الحُسْن والبهجة، أو في حمرة الوجنة والوجه، أدباً وحياءً. [٥٩] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ** ﴾.

[٦٠] ﴿ **هل جزاءُ الإحسانِ** ﴾ في العمل ﴿ **إلاّ الإحسانُ** ﴾ في الثواب وهو الجنَّة. [٦١] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان** ﴾.

[٦٢] ﴿ **ومن دونِهما** ﴾ دون تينْك الجنتين المنوّه بهما ﴿ **جَنَّتانِ** ﴾ بستانان آخران. [٦٣] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان** ﴾.

[٦٤] ﴿ **مُدْهامَّتانِ** ﴾ خضراوان من الريِّ، تضربان إلى السواد من شدة الخضرة، أو من كثرة أشجارها الممتدة.

[٦٥] ﴿ **فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان** ﴾. [٦٦] ﴿ **فيهما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ** ﴾ فوّارتان بالماء.

[٦٧] ﴿ **فبأيِّ آلاء ربِّكما تكذِّبان** ﴾.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

[٦٨] ﴿ فيهما فاكهةٌ ونَخْلٌ ورمَّانٌ ﴾ أفردهما بالذكر لما لهما من مزيَّة .

[٦٩] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان ﴾ .

[٧٠] ﴿ فيهنّ خَيْرَاتٌ ﴾ جمع خيِّرة بالتشديد وخفِّف، أي : فاضلات الأخلاق ﴿ حِسانٌ ﴾ حسان الوجوه .

[٧١] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبانِ ﴾ .

[٧٢] ﴿ حورٌ مَقْصوراتٌ في الخِيام ﴾ جمع حوراء ، وهي البيضاء النقيَّة . ومعنى مقصورات : قصرن أنفسهن على منازلهن ، ولا يهمهن إلا زينتهن ولهوهن . والخيام : البيوت .

[٧٣] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبانِ ﴾ .

ربع الحزب ٥٤

[٧٤] ﴿ لم يطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلهُم ولا جانٌّ ﴾ يعني بهن الحوريات في الجنتين دون الأولين ، أو تكرير لما سبق للتنويه بهذا الوصف .

[٧٥] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ ﴾ .

[٧٦] ﴿ متَّكِئِين على رفْرَفٍ ﴾ أي سرر أو مساندَ أو وسائدَ ﴿ خُضْرٍ وعبْقَريٍّ ﴾ أي طنافس وبُسُط ﴿ حِسانٍ ﴾ جيادٍ .

[٧٧] ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان ﴾ أي من إكرامه أهل طاعته منكما هذا الإكرام .

[٧٨] ﴿ تبارك اسمُ ربِّكَ ذي الجَلال والإكْرامِ ﴾ أي العظمة والكبرياء .

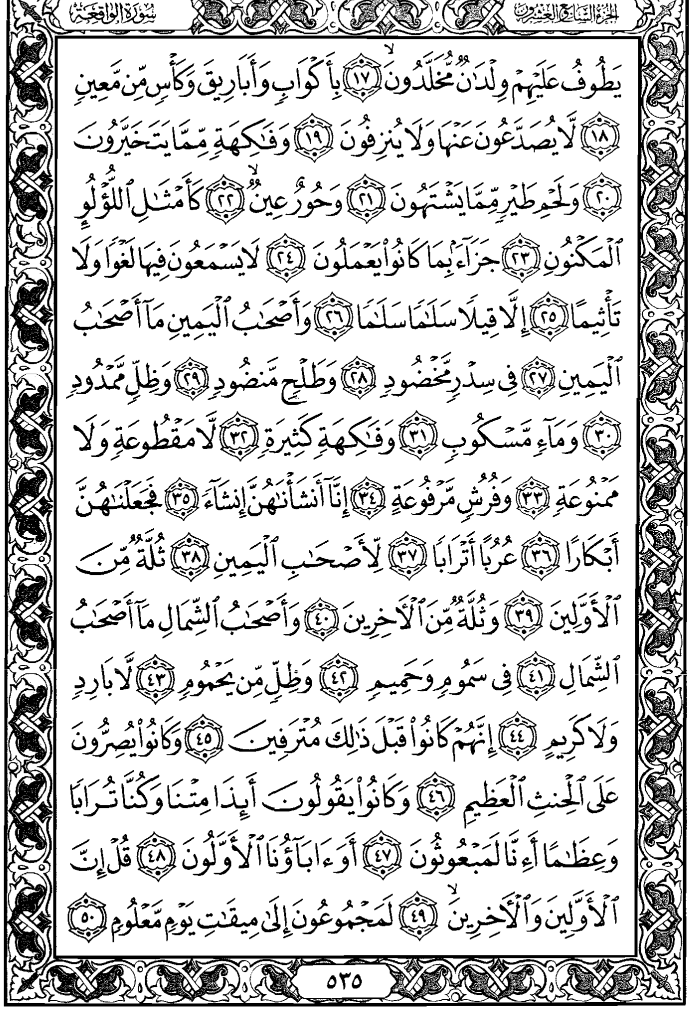
[سورة الواقِعَة]

مكِّيَّة . وعدد آياتها ست وتسعون آية . سميت بالواقعة لأنها مملوءة بوقائع القيامة ، التي هي الواقعة العظمى ، لوقوعها في أشد الأحوال . روى الترمذي عن ابن عباس قال : قال أبوبكر : يا رسول الله ! قد شبتَ ! قال : (شيَّبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمَّ يتساءلون ، وإذا الشمس كوِّرتْ) .

[١] ﴿ إذا وقعَتِ الواقعةُ ﴾ أي نزلت وجاءت . والواقعة : القيامة . وكأنه قيل : إذا وقعت التي لابد من وقوعها . [٢] ﴿ ليس لوقعَتِها كاذبةٌ ﴾ كذب أو تكذيب . [٣] ﴿ خافِضَةٌ رافعةٌ ﴾ تخفض الأشقياء إلى الدركات ، وترفع السعداء إلى الدرجات . [٤] ﴿ إذا رُجَّتِ الأرْضُ رجّاً ﴾ زلزلت زلزالاً شديداً . [٥] ﴿ وبُسَّتِ الجبالُ بَسّاً ﴾ فتِّتت أو سيقت وأُذهِبَتْ . [٦] ﴿ فكانتْ هَباءً مُنْبَثّاً ﴾ أي متفرقاً . قال قتادة : الهباء ما تذروه الرِّياح من حطام الشجر . وقيل : هو شعاع الشمس يدخل من الكوة . [٧] ﴿ وكُنتُم أزواجاً ﴾ أصنافاً ﴿ ثلاثةً ﴾ . [٨] ﴿ فأصْحابُ الميمنة ما أصحابُ المَيْمَنَةِ ﴾ . [٩] ﴿ وأصحابُ المشْأمة ما أصحابُ المَشأمةِ ﴾ تقسيم وتنويع للأزواج الثلاثة ، مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها . وإطلاق ﴿الميمنة﴾ على منزلة السعداء الذين هم الأبرار والمصلحون من الناس ، و ﴿المشأمة﴾ على دركة الأشقياء الذين هم الأشرار والمفسدون من الناس . [١٠] ﴿ والسَّابقونَ السّابقونَ ﴾ الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة . [١١] ﴿ أُولئكَ المُقَرَّبونَ ﴾ الذين يقرّبهم الله منه بإعلاء منازلهم .

[١٢] ﴿ في جنَّاتِ النَّعيم ﴾ . [١٣] ﴿ ثُلَّةٌ من الأوَّلِينَ ﴾ هم جماعة كثيرة من الذين سبقوا لرسوخ إيمانهم . [١٤] ﴿ وَقَليلٌ منَ الآخِرينَ ﴾ أي الذين من بعدهم . [١٥] ﴿ على سُرُرٍ موضونة ﴾ مصفوفة ، أو مشبكة بالدرِّ والياقوت أو الذهب . والوضن : التشبيك والنسج .

[١٦] ﴿ متّكِئين عليها مُتَقابِلين ﴾ بوجوههم ، متساوين في الرتب ، لا حجاب بينهم أصلاً .



[١٧] ﴿ يطـوفُ عليهم ﴾ للخدمـة ﴿ ولْـدانٌ مُخـلَّدون ﴾ يبقون على سنّ واحدة لا يموتون .
[١٨] ﴿ بأكوابٍ وأباريقَ ﴾ للشرب ﴿ وكـأْسٍ من مَعينٍ ﴾ خمر جارية .
[١٩] ﴿ لا يُصَدَّعونَ عنها ﴾ لا يصدر عنها صداعهم كخمـور الـدنيـا . والصـداع : وجع الـرأس ﴿ ولا يُنْزِفونَ ﴾ لا تذهب عقولهم بسكرها .
[٢٠] ﴿ وفاكهةٍ مما يتَخَيَّرونَ ﴾ يختارون ويرضون .
[٢١] ﴿ ولحم طيْرٍ مما يَشْتهونَ ﴾ أي يتمنون .
[٢٢] ﴿ وحُورٌ عِيـنٌ ﴾ وأزواج بيض واسعة الأعين .
[٢٣] ﴿ كأمثـال اللؤلـؤِ المكنونِ ﴾ صفاؤهـن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسّه الأيدي .
[٢٤] ﴿ جزاءً بما كانوا يعْمَلونَ ﴾ من الصالحات .
[٢٥] ﴿ لا يسْمَعُون فيها لَغْواً ﴾ أي هذياناً وكلاماً غير مفيد ﴿ ولا تَـأْثيماً ﴾ مـا يـؤثم من الفحش والكـذب والغيبة .
[٢٦] ﴿ إلاّ قيلاً سَلاماً سَلاماً ﴾ أي : قولاً هو سلام في نفسه منزَّه عـن النقائص ، أو قولاً يفيد سلامـة السامع من العيوب والنقائص .
[٢٧] ﴿ وأصحـابُ اليَمينِ ما أصحـابُ اليَمينِ ﴾ هم شرفـاء ، عظماء كـرمـاء ، يتعجب من أوصـافهم في السعادة .
[٢٨] ﴿ في سِدْرٍ مَـخْضودٍ ﴾ لا شوك له .
[٢٩] ﴿ وطَـلْحٍ مَنْضودٍ ﴾ يعني شجر الموز الذي نضد ثمره من أسفله إلى أعلاه . [٣٠] ﴿ وظِلٍّ ممدودٍ ﴾ ممتد منبسط لا يتقلَّص . [٣١] ﴿ وماءٍ مَسْكوبٍ ﴾ مصبوب دائم الجريان . [٣٢] ﴿ وفاكهةٍ كثيرةٍ ﴾ . [٣٣] ﴿ لا مقطوعةٍ ﴾ لا تنقطع عنهم متى أرادوها ﴿ ولا ممنوعةٍ ﴾ لا تمنع عن طالبها ، والمقصود مباينتها لفاكهة الدنيا ، فإنها تنقطع أحياناً ، كفاكهة الصيف في الشتاء .
[٣٤] ﴿ وفُـرُشٍ مرفوعةٍ ﴾ مرتفعة في منازلها ، أو على الأرائك . وقد يكنى عن الحور بالفرش . ويكون المقصود بالفرش : النساء .
[٣٥] ﴿ إنَّا أنشأْناهُنَّ إنْشاءً ﴾ بديعاً فـائق الوصف . [٣٦] ﴿ فجعلْناهُنَّ أبكاراً ﴾ لم يطمثن . [٣٧] ﴿عُـرُباً﴾ جمع عروب، وهـي المتحببة إلى زوجها، المحبوبة لتبعُّلها ﴿أتراباً﴾ أي: في سن واحدة. [٣٨] ﴿لأَصْحابِ اليَمينِ﴾ . [٣٩] ﴿ثُـلَّـةٌ منَ الأوّلِينَ﴾ جماعة وأمّةمن المتقدمين في الإيمان. [٤٠] ﴿وثُـلَّـةٌ من الآخرينَ﴾ وممن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان من هذه الأمة. [٤١] ﴿وأصْحابُ الشِّمالِ ما أصْحابُ الشِّمالِ﴾ .
[٤٢] ﴿في سَمومٍ﴾ أي حر نار ينفذ في المسامّ ﴿وحميم﴾ ماء متناهي الحرارة. [٤٣] ﴿وظِلٍّ من يَحْمومٍ﴾ من دخان أسود، طبق عقائدهم الفاسدة.
[٤٤] ﴿لا باردٍ ولا كَريم﴾ ليس لـه صفتا الظل الذي يـأوي إليه الناس مـن الروح، ونفع من يأوي إليـه بالـراحة. [٤٥] ﴿إنّهم كانـوا قبلَ ذلكَ مُتْرَفينَ﴾ منهمكين في اللذّات والشهوات. [٤٦] ﴿وكانوا يُصِرُّون على الحِنْثِ العظيم﴾ الذنب العظيم، من الأقاويل الباطلـة والعقائد الفاسدة.
[٤٧] ﴿وكانوا يقولونَ أإذا مِتْنا وكُنّا تـراباً وعِظاماً أإنّا لَـمَـبْعُوثُونَ﴾ إنكار منهم للبعث واستبعاد له. [٤٨] ﴿أوَ آباؤُنا الأوّلون﴾ وبعث آبائهم وقد تقادم عليهم الأمد أبعد في ظنهم الفاسد. [٤٩] ﴿قل إنَّ الأوَّلِينَ والآخِرينَ﴾ ردٌّ عليهم وعلى إنكارهم البعث.
[٥٠] ﴿لَـمجْموعونَ الى ميقاتِ يومٍ معلوم﴾ أي معيَّن عنده تعالى وهو يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ
ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ
عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ
حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ
أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ
نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٞ ﴿٧٦﴾

[٥١] ﴿ **ثُمّ إنّكم أيُّها الضّالُّونَ المُكَذِّبونَ** ﴾ الجاهلون المصرُّون على جهالاتهم ، والجاحدون للبعث بعد الموت . [٥٢] ﴿ **لآكِلونَ مِنْ شَجَرٍ من زَقُّوم** ﴾ وهو من أخبث شجر البادية في المرارة ، والمنظر ، والرائحة . [٥٣] ﴿ **فمالِئون منها البُطُونَ** ﴾ من ثمراتها الوبيئة . [٥٤] ﴿ **فشاربونَ عليهِ من الحَميم** ﴾ الماء الذي انتهى حرُّه وغليانه . [٥٥] ﴿ **فشاربون شُرْبَ الهيم** ﴾ الإبل التي بها الهيام ، وهو داء لا ريَّ معه . [٥٦] ﴿ **هذا نُزُلُهُم يومَ الدِّينِ** ﴾ جزاؤهم في الآخرة . [٥٧] ﴿ **نحنُ خلقْناكُم** ﴾ معشر قريش والمكذِّبين بالبعث ، فأوجدناكم بشراً ، ولم تكونوا شيئاً ﴿ **فَلَوْلا تُصَدِّقونَ** ﴾ بالخلق . أو فلولا تصدِّقون بالبعث ، فإن من قدر على الإيجاد قدر على الإعادة . [٥٨] ﴿ **أفرأيْتُم ما تُمْنونَ** ﴾ ما تقذفونه في الرَّحِم من النطف . [٥٩] ﴿ **أأنتُم تَخلُقونه** ﴾ بجعله بشراً سويّاً ﴿ **أَمْ نحنُ الخالقونَ** ﴾ بإفاضة الصورة الإنسانية عليه . [٦٠] ﴿ **نحنُ قَدَّرْنا بينَكُمُ الموتَ** ﴾ كتبنا على كل نفس أن تذوقه ﴿ **ومانحنُ بمَسْبوقينَ** ﴾ بمغلوبين . [٦١] ﴿ **على أنْ نُبَدِّلَ أمثالَكُم** ﴾ بعد مهلككم ، فنجيء بآخرين من جنسكم ﴿ **ونُنْشِئَكُم في مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ من الصور والأشكال ، فكيف نعجز عن إعادتكم ؟ . [٦٢] ﴿ **ولقدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأةَ الأُولى** ﴾ أي أنه أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿ **فلَوْلا تَذَكَّرونَ** ﴾ فتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة ، قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة .

نصف الحزب ٥٤

[٦٣] ﴿ **أفَرَأيْتُم ما تَحْرُثونَ** ﴾ ما تحرثون الأرض لأجله ، وهو الحَبُّ . [٦٤] ﴿ **أأنتُمْ تَزْرَعونَه** ﴾ أي تنبتونه ﴿ **أَمْ نحنُ الزّارِعونَ** ﴾ أي المنبتون . [٦٥] ﴿ **لو نشاءُ لجعلْناهُ حُطاماً** ﴾ أي أيبسناه قبل استوائه واستحصاده ﴿ **فظَلْتُم تَفَكَّهونَ** ﴾ تعجبون من هلاكه ويبسه بعد خضرته . [٦٦] ﴿ **إنّا لَمُغْرَمونَ** ﴾ ملزمون غرامة ما أنفقنا ، أو مهلكون لهلاك رزقنا . [٦٧] ﴿ **بلْ نحنُ مَحْرومونَ** ﴾ أي حرمنا رزقنا . [٦٨] ﴿ **أفرأيْتُمُ الماءَ الذي تَشْرَبونَ** ﴾ يعني العذب الصالح للشرب . [٦٩] ﴿ **أأنتم أنزلْتُموه مِنَ المُزْنِ** ﴾ من السَّحاب ﴿ **أمْ نحنُ المُنْزِلونَ** ﴾ . [٧٠] ﴿ **لو نشاءُ جعلناهُ أُجاجاً** ﴾ أي ملحاً لا يصلح لشراب ولا زرع ﴿ **فلَوْلا تَشْكُرونَ** ﴾ نعمة الله عليكم في جعله عذباً فراتاً ، لشربكم وزرعكم ، وصلاح معايشكم . [٧١] ﴿ **أفرأيْتُمُ النّارَ التي تُورُونَ** ﴾ أي تقدحون فيها تستخرجونها من الزند وهو العود الذي تقدح منه . [٧٢] ﴿ **أأنتم أنشَأْتُم شجرتَها أمْ نحنُ المُنْشِئُون** ﴾ وللعرب شجرتان : إحداهما المرخ ، والأخرى العفار ، إذا أخذ منها غصنان أخضران فحكَّ أحدهما بالآخر خرج من بينهما شرر النار . [٧٣] ﴿ **نحن جعلناها تذكِرَةً** ﴾ أي جعلنا نار الزناد تبصرة في أمر البعث ، لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضادِّ لها ، قادر على إعادة ما تفرّقت مواده ﴿ **ومَتاعاً** ﴾ منفعة ﴿ **للمُقْوينَ** ﴾ المسافرين الذين ينزلون القواء ، وهي القفر . [٧٤] ﴿ **فسبِّحْ باسمِ ربِّكَ العظيمِ** ﴾ قال الزمخشري : بأن تقول : سبحان الله ، إما تنزيهاً له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ، ويكفرون نعمته ، وإمَّا تعجّباً من أمرهم في غمط آلائه وأياديه الظاهرة ، وإمَّا شكراً لله على النعم التي عدَّها ونبَّه عليها . [٧٥] ﴿ **فلا أُقسِمُ بمواقعِ النُّجوم** ﴾ منازل الكواكب ومراكزها البهيجة في السماء . [٧٦] ﴿ **وإنّه لقَسَمٌ لو تَعلَمونَ عظيمٌ** ﴾ لما في القسم من الدلالة على عظيم قدرة الله وكمال حكمته .

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٧٧] ﴿ **إنـهُ لقُرْآنٌ كريمٌ** ﴾ له كرم وشرف وقدر رفيع ، لاشتماله على أمهات الحكم والأحكام . [٧٨] ﴿ **في كتابٍ مَكْنونٍ** ﴾ محفوظ مصون ، لا يتغير ولا يتبدل . [٧٩] ﴿ **لا يَمَسُّـهُ إلاّ المُطَـهَّرونَ** ﴾ الطاهر يطلق بالاشتراك على المؤمن ، والطاهر من الحدث الأكبر والأصغر ، ومن ليس على بدنه نجاسة ، وقد تعني أنه لا يجد حلاوته وطعمه إلا من آمن به . وهو ما ارتآه البخاري .[٨٠] ﴿ **تنزيلٌ من ربِّ العالمينَ** ﴾ .

[٨١] ﴿ **أفَبِهذا الحديثِ** ﴾ يعني القرآن الذي قص عليكم عظمة مقداره ﴿ **أنتُم مُدْهِنونَ** ﴾ تلينون القول للمكذبين ممالأة لهم على التكذيب والكفر به . [٨٢] ﴿ **وتجعلون رِزْقكُم أنَّكم تُكذِّبونَ** ﴾ تجعلون شكر الله على رزقه إياكم ، التكذيب . [٨٣] ﴿ **فلَوْلا إذا بَلَغَتِ** ﴾ أي النفس ، لدلالة الكلام عليها ﴿ **الحُلقومَ** ﴾ . [٨٤] ﴿ **وأنتم حينئذٍ تنظرُونَ** ﴾ حالة نزعه ، والخطاب لمن حول المحتضر . [٨٥] ﴿ **ونحن أقربُ إليهِ مِنْكُم ولكنْ لا تُبْصِرونَ** ﴾ قال جمهور السلف : يعني ملَك الموت أدنى إليه من أهله ، ولكن لا تبصرون الملائكة . [٨٦] ﴿ **فلولا إنْ كنتُم غيرَ مَدينين** ﴾ غير مجزيين يوم القيامة ، أو مملوكين مقهورين ، من دانه أذلّه واستعبده .

[٨٧] ﴿ **تَرْجِعونها** ﴾ تردّون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم ﴿ **إنْ كنتُم صادِقينَ** ﴾ في أنكم غير مربوبين مقهورين . [٨٨] ﴿ **فأمّا إنْ كان من المُقَرَّبينَ** ﴾ إن كان الميت من السابقين من الأصناف الثلاثة المذكورة في أول السورة . [٨٩] ﴿ **فرَوْحٌ** ﴾ فله راحة ﴿ **ورَيْحانٌ** ﴾ رزق طيب ، أو شجر ناضر يتفيأ ظلاله ﴿ **وجَنّةُ نَعيم** ﴾ يتنعم فيها مما تشتهيه الأنفس . [٩٠] ﴿ **وأمّا إنْ كان من أصْحابِ اليمينِ** ﴾ .[٩١] ﴿ **فسَلامٌ لكَ منْ أصْحابِ اليمينِ** ﴾ تبشرهم الملائكة بذلك . تقول لأحدهم : سلام لك . [٩٢] ﴿ **وأمّا إنْ كان مِنَ المُكذِّبين** ﴾ بآيات الله ﴿ **الضّالّين** ﴾ الجائرين عن سبيله . [٩٣] ﴿ **فنُزُلٌ من حَميم** ﴾ ماء انتهى حرّه ، فهو شرابه . [٩٤] ﴿ **وتَصْليةُ جَحيم** ﴾ أي إحراق بالنّار .

[٩٥] ﴿ **إنّ هذا** ﴾ المذكور من أحوال الفرق الثلاثة وعواقبهم ﴿ **لَهُوَ حَقُّ اليَقين** ﴾ أي حقيقة الأمر ، وجلية الحال ، لا لبس فيه ولا ارتياب .

[٩٦] ﴿ **فسبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العَظيم** ﴾ أي نزّهه عما يصفونه به من الأباطيل ، وما يتفوّهون به من الأضاليل ، قولاً وعملاً .

[سورةُ الحَديد]

مدنية وعدد آياتها تسع وعشرون آية . سُميت بالحديد لأنه ناصر لله ورسوله في الجهاد ، فنزل منزلة الآيات الناصرة لله ولرسوله ، على أنه سبب لإقامة العدل ، كالقرآن . وجامع للمنافع فأشبهه أيضاً .

[١] ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ ما في السَّمٰواتِ والأرضِ وهوَ العزيزُ الحكيمُ** ﴾ . [٢] ﴿ **لَـهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ** ﴾ أي سلطانهما ونفوذ الأمر فيهما ﴿ **يُحْيي ويُميتُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ أي تام القدرة فلا يتعذر عليه شيء من إحياء أو إماتة وغيرهما .

[٣] ﴿ **هُوَ الأوّلُ** ﴾ السابق على كل موجود من حيث أنه موجده ومحدثه ﴿ **والآخِرُ** ﴾ الباقي بعد فناء كل شيء ﴿ **والظّاهِرُ** ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿ **والباطِنُ** ﴾ باحتجابه بذاته وماهيته ﴿ **وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ تام العلم فلا يخفى عليه شيء .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

[٤] ﴿ **هو الذي خلقَ السَّماوات وَالأَرْض في سِتَّةِ أيام** ﴾ قال القاشاني : أي من الأيام الإلهية ﴿ **ثُمَّ استوى على العرشِ** ﴾ ارتفع عليه وعلا ﴿ **يعلَمُ ما يَلِجُ في الأرضِ** ﴾ من خلقه كالأموات والبذور والحيوانات ﴿ **وما يخرُجُ منها** ﴾ كالزروع ﴿ **وما يَنزِلُ من السماءِ** ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والأقدار والأحكام ﴿ **وما يعْرُجُ فيها** ﴾ من الملائكة والأعمال وغيرهما ﴿ **وهو معَكُم أينَما كُنتُمْ** ﴾ يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم ﴿ **واللَّهُ بما تعملون بصيرٌ** ﴾ فيجازيكم عليه .

[٥] ﴿ **لهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ ، وإلى اللَّهِ تُرجعُ الأمورُ** ﴾ أي : أمور جميع خلقه ، فيقضي بينهم بحكمه .

[٦] ﴿ **يولِجُ الليلَ في النهارِ ، ويولِجُ النهارَ في الليلِ** ﴾ يدخل ما نقص من ساعات أحدهما فيجعله زيادة في الآخر بحكمته وتقديره ﴿ **وهو عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ** ﴾ أي : بضمائر صدور عباده ، وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شر .

[٧] ﴿ **آمِنوا باللَّهِ ورسولِهِ وأَنفقوا مما جعلكم مستخْلَفين فيه** ﴾ أي : آمنوا الإيمان اليقيني ليظهر أثره عليكم ، فيسهل عليكم الإنفاق من مال الله الذي موَّلكم إياه ، وجعلكم مستخلفين فيه ﴿ **فالذين آمَنوا منكم وأَنفقوا لهم أجرٌ كبيرٌ** ﴾ .

[٨] ﴿ **وما لكُم لا تُؤْمِنُونَ باللَّهِ** ﴾ وما يصدُّكم عن الإيمان وقد ظهرت دواعيه واتضحت سبله لذويه ؟ ﴿ **والرسولُ يدعوكُم لتُؤْمنوا بربِّكُم** ﴾ يدعوكم من طريق النظر والتفكُّر إلى الإيمان بالذي ربَّاكم بنعمه فوجب عليكم شكره ﴿ **وقد أخذَ ميثاقَكُم** ﴾ بالإيمان إذ ركَّب فيكم العقول ونصب الأدلَّة ومكَّنكم من النظر ﴿ **إنْ كنتُم مؤمنِينَ** ﴾ إن بقي نور الفطرة والإيمان الأزلي فيكم . [٩] ﴿ **هو الذي يُنزِّلُ على عبْدِه آياتٍ بيِّناتٍ** ﴾ أي حُجج واضحات وبراهين قاطعات ﴿ **ليُخرِجَكُم** ﴾ أي الله ، أو الرسول بآياته ﴿ **من الظُّلُماتِ إلَى النُّورِ** ﴾ من ظلمات الجهل والكفر والأهواء المتضادة إلى نور الهدى واليقين الذي تشعر به النفوس وتطمئن به القلوب ﴿ **وإنَّ اللَّهَ بكُم لَرَؤوفٌ رحيمٌ** ﴾ في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهدايتكم .

[١٠] ﴿ **وما لَكُم ألاَّ تُنفِقوا في سبيلِ اللَّهِ ولِلَّهِ ميراثُ السَّماواتِ والأرضِ** ﴾ يرث كل شيء فيهما ، فما أجدر أن ينفق المرء في حياته ، ويتخذه ذخراً يجده بعد مماته ﴿ **لا يَستَوِي منكُم من أنْفَقَ من قبلِ الفَتْحِ وقاتَلَ** ﴾ أي من قبل فتح مكة ، أو صلح الحديبية ـ سمَّاه فتحاً باعتبار نتائجه ـ وقاتل لتعلو كلمة الحق ، لا يستوي هذا ومن أنفق من بعد وقاتل في حال قوة الإسلام وعزة أهله ﴿ **أُولئكَ أعظمُ درجةً منَ الذين أنفقوا من بعدُ وقَاتَلوا** ﴾ حيث كانت الحاجة إلى النصرة والمعاونة أشد ، بخلاف ما بعد الفتح ، فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قويّاً والكفر ضعيفاً ﴿ **وكُلاًّ** ﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿ **وعدَ اللَّهُ الحُسنى** ﴾ المثوبة الحسنى وهي الجنة ، لا الأوَّلين فقط ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء ﴿ **واللَّهُ بما تعمَلون خبيرٌ** ﴾ من النفقة في سبيله وجهاد أعدائه وغير ذلك فيجازيكم على جميع ذلك .

[١١] ﴿ **مَنْ ذا الذي يُقرِضُ اللَّهَ قرْضاً حسناً** ﴾ من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء أن يعوِّضه فإنه كمن يقرضه ، وكل من أنفق في سبيله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ﴿ **فيُضاعِفَهُ لَهُ** ﴾ يعطيه ثوابه أضعافاً مضاعفة ﴿ **ولهُ أجرٌ كريمٌ** ﴾ جزاء شريف جميل .

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿ **يومَ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بينَ أيديهم وبأيمانِهم** ﴾ لكونهم على الصراط المستقيم متوجهين إليه تعالى ﴿ **بُشْراكُمُ اليومَ جنَّاتٌ** ﴾ يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة : بشراكم دخول جنَّات ﴿ **تجري من تحتِها الأنهارُ، خالدينَ فيها ، ذلك هُوَ الفوزُ العظيمُ** ﴾ .

[١٣] ﴿ **يومَ يقولُ المنافِقونَ والمنافِقاتُ لِلَّذينَ آمنوا انْظُرونا نقتبِسْ من نورِكُم** ﴾ أي : نُصِبْ منه واقتبس : أخذ شعلة . و﴿ انظرونا ﴾ بمعنى : انظروا إلينا . ﴿ **قِيلَ** ﴾ قالت الملائكة أو المؤمنون ﴿ **ارجِعُوا وراءَكُم فالتَمِسوا نوراً** ﴾ أي : ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا إيماناً وعملاً طيباً يهديكم إلى النجاة ، كما أن النور يهدي في الظلمات ، على طريق الاستعارة . والأمر للتخسير والتنديم ﴿ **فضُرِبَ بينهُم بِسُورٍ** ﴾ بين المؤمنين والمنافقين حائط متين يحجزهم عن أنوار المؤمنين لتتم ظلمتهم ﴿ **لَهُ** ﴾ أي : لذلك السور ﴿ **بابٌ** ﴾ لأهل الجنة يدخلون منه ، ويرى المنافقون المؤمنين ليكلموهم ﴿ **باطِنُهُ** ﴾ وهو الجانب الذي يلي المؤمنين ﴿ **فيهِ الرَّحْمَةُ** ﴾ يعني : الجنة وما فيها من رضوان الله والنعيم المقيم ﴿ **وظاهِرُه** ﴾ وهو الذي يلي المنافقين ﴿ **من قِبَلِهِ العذابُ** ﴾ من جهته الظلمة والنار . [١٤] ﴿ **ينادونَهُم ألَمْ نكُنْ معكُمْ** ﴾ يريدون ما أظهروه من موافقتهم نفاقاً ﴿ **قالوا بلى، ولكِنَّكُم فتنتُمْ أنفُسَكُم** ﴾ أي محنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿ **وتربَّصْتُم** ﴾ بالمؤمنين الدوائر ليظهر الكفر فتظهروا ما في أنفسكم ﴿ **وارتَبْتُم** ﴾ في توحيد الله ونبوة نبيه ﷺ ، أو في البعث بعد الموت ﴿ **وغَرَّتْكُم الأمانيُّ** ﴾ طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار ﴿ **حتى جاءَ أمرُ اللَّهِ** ﴾ يعني الموت ، أو نصره ، أو عذاب النار ﴿ **وغرَّكُم باللَّهِ الغَرُورُ** ﴾ الشيطان ، فأطمعكم بالنجاة والفوز والغلبة .

[١٥] ﴿ **فاليومَ لا يُؤْخَذُ منكُم فِديةٌ** ﴾ هذا من تتمة قول المؤمنين للمنافقين ﴿ **ولا مِنَ الذين كفروا** ﴾ وهم المجاهرين بالكفر ﴿ **مأْواكُمُ النارُ هي مولاكُمْ** ﴾ هي أولى بكم ﴿ **وبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾ أي النار .

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

[١٦] ﴿ **ألَمْ يأْنِ** ﴾ ألم يحن ﴿ **للَّذينَ آمَنُوا أن تخشَعَ قلوبُهُم لذكرِ اللَّهِ** ﴾ فتلين وترق وتخلص لذكر اسمه الكريم ، أو لذكر وعده ووعيده ؟ ﴿ **وما نزَلَ من الحقِّ** ﴾ يعني القرآن الذي لو أُنزل على جبل لخشع ﴿ **ولا يكونوا كالذينَ أُوتوا الكتابَ من قبْلُ فطالَ عليهِمُ الأمَدُ** ﴾ أي : الأجل والإمهال والاستدراج ﴿ **فقسَتْ قلوبُهُم** ﴾ لزوال الخشية والروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين ﴿ **وكثيرٌ منهُم فاسِقونَ** ﴾ خارجون عن دينهم نابذون لما في كتابهم .

[١٧] ﴿ **اعْلَموا أنَّ اللَّهَ يُحْيي الأرضَ بعدَ موتِها** ﴾ فهو محييكم بعد مماتكم ومحاسبكم فاحذروا مغبة قسوة القلب والفسوق ﴿ **قد بيَّنَّا لكُمُ الآياتِ** ﴾ الحجج وضروب الأمثال ﴿ **لعلَّكُم تَعْقِلونَ** ﴾ لتثوبوا إلى عقولكم .

[١٨] ﴿ **إنَّ المصَّدِّقينَ والمصَّدِّقاتِ** ﴾ أي : المتصدقين والمتصدقات في سبيل الله ﴿ **وأقْرَضوا اللَّهَ قرْضاً حسناً** ﴾ يعني بالنفقة في سبيله ، وفيها أمر بالنفقة فيه ، أو فيها ندب إليه ﴿ **يُضاعَفُ لهم ولهم أجرٌ كريمٌ** ﴾ فيوفيهم ثوابها يوم القيامة مضاعفاً ، ولهم ثواب كريم ، وذلك الجنة .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿ والـذينَ آمَنُـوا بـاللّـهِ ورُسلِـهِ أُولئكَ هُمُ الصِّدِّيقونَ﴾ لتصديقهم بجميع أخبار الله وأحكامه وشهادتهم بحقيَّة جميع ذلك ﴿والشهداءُ عنْدَ ربِّهم لهُم أجرُهُم ونورُهُم ﴾ [والشهداء الـذين قتلوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله، عنـد ربهم لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم ـ ابن جـريـر ـ قـال رسول الله ﷺ: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغـرف من فـوقهم كما تتراءون الكـوكب الدري الغـابر في الأفق من المشرق إلى المغـرب لتفـاضـل مـا بينهم) قـال أبـو سعيـد الخدري : يـا رسول الله تلك منازل الأنبيـاء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : (بلى ، والـذي نفسي بيـده رجـال آمنوا بـالله وصـدقـوا المرسلين) أخرجـه الشيخـــان ومـالك ـ ابـن كثير] ﴿ والـذينَ كفـرُوا وكـذَّبـوا بـآيـاتِنـا أُولئك أصحـابُ الجحيم ﴾

[٢٠] ﴿ اعلَموا أنَّما الحياةُ الـدُّنيا لَعِبٌ ﴾ تفريح نفس ﴿ ولَـهْوٌ ﴾ بـاطل ﴿ وزينَةٌ ﴾ منظـر حسن ﴿ وتفاخُـرٌ بيـنَـكُم ﴾ في الحسـب والنسب ﴿ وتكاثُـرٌ في الأمـوالِ والأولادِ كمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ أي : مطر ﴿ أعجبَ الكُفَّارَ ﴾ أي : الزراع ﴿نباتُـهُ، ثم يهيجُ﴾ يجف بعـد خضرتـه ونضرته ﴿فتراهُ مُصفَراً﴾ من اليبس ﴿ثم يكون حُطاماً﴾ هشيماً متكسراً، وكـذلك الـدنيـا لا تبقى كما لا يبقى النبات ﴿وفي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ﴾ لمن ترك طاعـة الله ﴿ ومَـغْفِرةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ ﴾ لمن أطاع الله وأدَّى حقَّه من مـاله ﴿وما الحيـاةُ الدُّنْيـا إلا متاعُ الغُـرورِ﴾ يأخذ صـاحبها مـلاعبها بـدل ملاعب الحور العين، ولهوهـا بملاذ الآخرة وزينتها بزينة الجنة . [روى ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (موضع سوْطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها)].

[٢١] ﴿سابِقوا إلى مغْفِرَةٍ من ربِّكُم﴾ بالتوبة من ذنوبكم إلى نيل مغفرته وتجاوزه عن ذنوبكم ﴿ وجنَّةٍ عرضُها كعرضِ السماءِ والأرضِ أُعِدَّتْ للذين آمنوا باللَّهِ ورُسُلِهِ ﴾ الإيمان اليقيني ﴿ ذلكَ ﴾ أي : المغفرة والجنة ﴿ فضلُ اللَّهِ يُؤتيهِ من يَشاءُ ﴾ ممن كان أهلاً له ﴿ واللَّهُ ذو الفضلِ العظيمِ ﴾ بما بسط لخلقه من الرزق في الدنيا ، ووهب لهم من النعم ، وعرَّفهم موضع الشكر ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ، ما وصف أنه أعدَّه لهم .

[٢٢] ﴿ ما أصابَ من مُصيبةٍ في الأرضِ ﴾ من قحط وجدب ووباء وغلاء ﴿ ولا في أنفسِكُم ﴾ من خوف ومرض وموت أهل وولد وذهاب مال ﴿ إلَّا في كتابٍ من قبْلِ أنْ نَـبْرأَها ﴾ إلا في علم أزليٍّ من قبل خلق المصيبة أو الأنفس ﴿ إنَّ ذلك ﴾ التقدير ﴿ على اللَّهِ يسيرٌ ﴾ لسعة علمه وإحاطته سبحانه وتعالى .

[٢٣] ﴿ لِكَيْلا تأسَوْا ﴾ لكيلا تحزنوا ﴿ على ما فاتَـكُم ﴾ من عافية ورزق ونحوهما ﴿ ولا تفرَحوا ﴾ لا تبطروا ﴿ بما آتاكُم ﴾ من نعم الدنيا ، وكل ذلك مقدور [روى ابن جـرير عن ابن عباس قال: ليس أحـد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبـة فجعلها صبراً، ومن أصابه خير فجعلـه شكراً] ﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ كلَّ مُـخْتالٍ فَخورٍ ﴾ متبختر من شدة الفرح بما آتاه على الناس .

[٢٤] ﴿ الذين يبخلونَ ﴾ بالإنفاق في سبيل الله لشدة محبة المال ﴿ ويأمُرونَ الناسَ بالبُخْلِ ﴾ لاستيلاء الرذيلة عليهم ﴿ ومنْ يتولَّ ﴾ من يعرض عن ذكر الله وما أمر به ﴿ فإنَّ اللَّهَ هو الغنيُّ ﴾ عنه لاستغنائه بذاته سبحانه ﴿ الحميدُ ﴾ لاستقلاله بكماله .

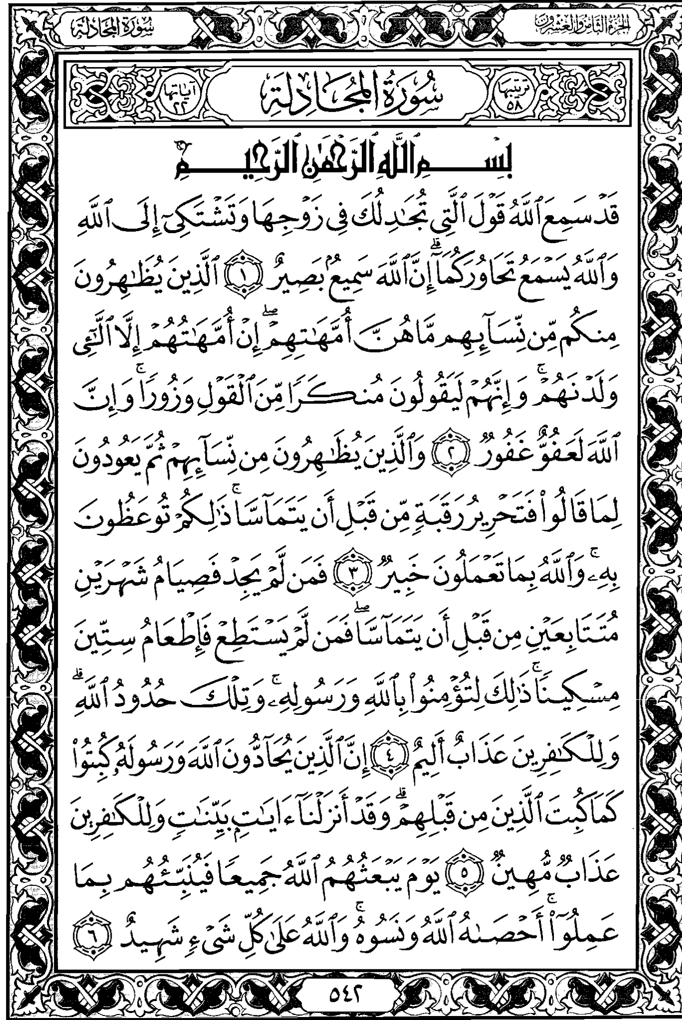
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[٢٥] ﴿ **لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيِّنات** ﴾ بالحجج والبراهين القاطعة ﴿ **وأنزلْنا معهُمُ الكتابَ** ﴾ التام في الحكم والأحكام ﴿ **والميزانَ** ﴾ أي : العدل . وقيل : الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة ﴿ **ليقومَ الناسُ بالقِسْطِ** ﴾ بالحق والعدل باتباع المرسلين ﴿ **وأنزلْنا الحديدَ فيهِ بأسٌ شديدٌ** ﴾ يعني : القتال به ، فإن آلات الحرب متخذة منه ﴿ **ومنافعُ للناسِ** ﴾ في مصالحهم ومعايشهم ﴿ **وليَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ورُسُلَه بالغيبِ** ﴾ باستعمال الحديد في مجاهدة أعدائه ﴿ **إنَّ اللّهَ قويٌّ** ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه ﴿ **عزيزٌ** ﴾ غالب قاهر لمن يشاء [عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم) . أخرجه أحمد وأبو داود ـ ابن كثير] .

[٢٦]﴿ **ولقد أرسَلْنا نوحاً وإبراهيمَ وجعلنا في ذرِّيَّتِهما النُّبُوَّةَ والكتابَ ، فمنْهُم** ﴾ أي : من الذرية ﴿ **مهتدٍ ، وكثيرٌ منهُم فاسقونَ** ﴾ خارجون عن طاعة الله بترك نصوص كتبه وتحريفها واتباع الأحبار والرهبان بغير حق .

[٢٧] ﴿ **ثم قَفَّيْنا** ﴾ أتبعنا ﴿ **على آثارِهم برُسُلنا ، وقَفَّينا بعيسى ابنِ مريمَ وآتيناهُ الإنْجيلَ وجعلنا في قلوبِ الذينَ اتَّبَعُوهُ رأفةً ورحمةً** ﴾ أي : حناناً ورقّة ﴿ **ورهبانيةً ابتدَعوها ما كَتبناها عليهمْ** ﴾ ما فرضناها عليهم﴿ **إلاّ ابتغاءَ رِضْوانِ اللّهِ** ﴾ ابتدعوها طلباً لمرضاة الله عنهم ﴿ **فما رَعَوْها حَقَّ رعايَتِها** ﴾ ما قاموا بما التزموه منها حق القيام من التزهُّد والتخلي للعبادة وعلم الكتاب ، بل اتبعوا أهواءهم ﴿ **فآتَيْنا الذينَ آمَنوا منهُمْ أجرَهُم** ﴾ يعني الذين آمنوا الإيمان الخالص عن شوائب الشرك والابتداع ﴿ **وكثيرٌ منهُم فاسِقونَ** ﴾ خارجون عن مواجب الإيمان ومقاصده .

[٢٨] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وآمِنوا برَسولِهِ يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ من رحمتِهِ ويجعَلْ لكُمْ نوراً تَمْشونَ بهِ ، ويغفِرْ لكُمْ ، واللّهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ حمل ابن عباس هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب ، [الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ثم آمنوا بمحمد ﷺ] أنهم يؤتون أجرهم مرتين . والكفل : الحظ . والنور : هو ما يبصِّر من عمى الجهالة والضلالة ويكشف الحق لقاصده . [روى ابن جرير عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر ، ورجل كانت له أمةٌ فأدبها وأحسن تأديبها ، ثم أعتقها فتزوجها ، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده) . وروى أيضاً عن أبي أمامة الباهلي أنه قال : شهدت خطبة رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع فقال قولاً كثيراً حسناً جميلاً ، وكان فيها (من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مثل الذي لنا ، وعليه مثل الذي علينا ، ومن أسلم من المشركين فله أجره ، وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا)] . [٢٩]﴿ **لِئَلاّ يعلَمَ أهلُ الكتابِ ألاّ يَقْدِرون على شيءٍ منْ فضلِ اللّهِ ، وأنَّ الفضلَ بيَدِ اللّهِ يؤْتيهِ منْ يشاءُ ، واللّهُ ذو الفضلِ العظيمِ** ﴾ المراد بالفضل ما آتاه الله المسلمين وخصهم به ، وكان أهل الكتاب يرون أن الله فضلهم على جميع الخلق فأعلمهم جل وعلا أنه قد آتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ما لم يؤتهم .



سُورَةُ المُجَادلَةِ — ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

[سورة المجادلة]

مدنية ، وعدد آياتها اثنتان وعشرون آية .

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

[١] ﴿ قدْ سَمِعَ اللّهُ قولَ التي تجادِلُكَ في زوجِها وتشتكي إلى اللّهِ ، واللّهُ يسمَعُ تحاوُرَكُما ، إنَّ اللّهَ سميعٌ بصيرٌ ﴾ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن المجادلة هي خولة بنت ثعلبة ، قدمت إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها تقول له : يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهَرَ مني اللهم إني أشكو إليك .

[٢] ﴿ الذين يظاهِرون مِنكُم مِنْ نسائِهِم ﴾ وهو قول الرجل لامرأته إذا غضب عليها : أنت عليّ كظهر أمي ، يعني في حرمة مقاربتها ﴿ ما هُنَّ أمّهاتِهِم ﴾ ما هن بالتحريم كأمهاتهم ﴿ إنْ أمّهاتُهُم إلا اللاّئي ولَدْنَهُم ﴾ فلا يشبههن في الحرمة على الأزواج ﴿ وإنَّهم ليقولون مُنْكَراً مِنَ القَوْلِ ﴾ قولاً تنكره العقلاء وتتجافاه الكرماء ﴿ وزوراً ﴾ باطلاً لا حقيقة له ﴿ وإنَّ اللّهَ لعفُوٌّ غفورٌ ﴾ لذنوب عباده إذا تابوا وأنابوا .

[٣] ﴿ والذين يُظاهِرونَ مِنْ نسائِهِم ثُمَّ يعودونَ لِما قالوا ﴾ أي : والذين يرجعون إلى لفظ الظهار ثانية ، أو يعزمون على وطء نسائهم رغبة في تحليلهن بعد تحريمهن ﴿ فتحريرُ رَقَبةٍ من قبْلِ أن يَتماسّا ذلِكُمْ تُوعَظونَ بهِ ﴾ فعليهم عتق رقبة ، قبل المراجعة . وهذه الكفارة تُزجرون بها للظهار ﴿ واللّهُ بما تعملون خبيرٌ ﴾ [قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ من قبل أن يتماسّا ﴾ والمس النكاح . وقال الزهري رحمه الله : ليس له أن يقبّلها ولا يمسها حتى يكفّر . وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال : يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفّر . فقال : (ما حملك على ذلك يرحمك الله ؟) قال : رأيت خلخالها في ضوء القمر . قال ﷺ : (فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل) ـ ابن كثير] .

[٤] ﴿ فمَنْ لمْ يجِدْ ﴾ لا يملك رقبة لتحريرها ﴿ فصِيامُ شهرينِ متتابِعَيْنِ ﴾ لا يقطع الصوم فيهما [إلاّ من عذر، فإنّه إذا كان الإفطار لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم، ويستقبل المفطر بغير عذر ـ ابن جرير] ﴿ مِنْ قبلِ أنْ يتماسّا فَمَنْ لمْ يستطِعْ فإطعامُ ستينَ مسكيناً ﴾ أجاز بعضهم إطعام مسكين واحد ستين يوماً ، وفي ذلك خلاف الآية ﴿ ذلك لتُؤْمِنوا باللّهِ ورسولِه ﴾ ذلك البيان أو التعليم للأحكام لتصدّقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه والانتهاء عن زور الجاهلية ﴿ وتلكَ حدودُ اللّهِ ، وللكافرينَ عذابٌ أليمٌ ﴾ المراد بالكافرين هنا العصاة الجاحدين للحدود الشرعية ، واستعمل عنوان الكفر تغليظاً لزجرهم .

[٥] ﴿ إنَّ الذين يُحادُّونَ اللّهَ ورسولَه ﴾ في مخالفة الحدود والفرائض الشرعية . والمحادة : المعاداة ﴿ كُبِتُوا ﴾ أُخزوا ﴿ كما كُبِتَ الذينَ مِنْ قبلِهِمْ ﴾ من كفار الأمم السابقة ﴿ وقد أنزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ ﴾ دلالات مفصّلة وعلامات محكمة تدل على حقائق حدود الله ﴿ وللكافرينَ عذابٌ مهينٌ ﴾ يعني بالكافرين : منكري تلك الآيات وجاحديها .

[٦] ﴿ يومَ يبعثُهُمُ اللّهُ جميعاً فيُنَبِّئُهُم بما عمِلوا ، أحصاهُ اللّهُ ﴾ أحاط به علماً ﴿ ونَسُوهُ ، واللّهُ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ ﴾ رقيب عالم بكل شيء .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

[٧] ﴿ **أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ يعلَمُ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ ، ما يكونُ منْ نجوى ثلاثةٍ إلاّ هُوَ رابعُهُم** ﴾ النجوى : التحدث سراً ﴿ **ولا خمسةٍ إلا هوَ سادِسُهُم ، ولا أدنى من ذلك** ﴾ كالإثنين ﴿ **ولا أكثرَ** ﴾ كالستة وما فوقها ﴿ **إلاّ هو معَهُم أينَ ما كانُوا** ﴾ يعلم ما يكون بينهم في أي مكان حلُّوا ﴿ **ثمَّ ينبِّئُهُم بما عَمِلوا يومَ القيامةِ ، إنَّ اللَّهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ .

[٨] ﴿ **ألَمْ ترَ إلى الذين نُهوا عنِ النَّجْوى** ﴾ قال مجاهد : هم اليهود ﴿ **ثم يَعُودونَ لما نُهوا عنهُ ويتناجَوْنَ بالإثْمِ والعُدْوانِ ومعصِيَةِ الرَّسولِ** ﴾ بما هو إثم وتعدٍّ على المؤمنين وتواصٍ بمخالفة النبي ﷺ [كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن ، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم . فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ ـ ابن كثير] ﴿ **وإذا جاؤوكَ حيّوْكَ بما لم يُحَيِّكَ بهِ اللَّهُ** ﴾ من قولهم : السام عليك، أو مما نسخه الإسلام من ألفاظ الجاهلية في التحية . [روى ابن جرير عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم وفعل الله بكم وفعل، فقال النبي ﷺ: (يا عائشة إن الله لا يحب الفحش) فقلت: يا رسول الله ألست ترى ما يقولون؟ فقال: (ألستِ ترينني أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: عليكم) وهذه الآية في ذلك نزلت] ﴿ **ويقولون في أنفسهم** ﴾ استهزاء : ﴿ **لولا يُعَذِّبُنا اللَّهُ بما نقولُ** ﴾ من التناجي المذموم أو تحريف التحية ، ومطلوبهم تعجيل العذاب لو كان محمد ﷺ رسوله ﴿ **حسْبُهُم** ﴾ يكفيهم من العذاب ﴿ **جهنَّمُ يصلَوْنها ، فبِئْسَ المصِيرُ** ﴾ .

[٩] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنوا إذا تناجَيْتُم فلا تتناجَوْا بالإثم والعُدْوانِ ومعصيَةِ الرسولِ ، وتناجَوْا بالبِرِّ** ﴾ أي بطاعة الله وما يقرِّبكم منه ﴿ **والتَّقْوَى** ﴾ اجتناب ما يؤثِّم فاعله ﴿ **واتَّقُوا اللَّهَ الذي إليهِ تُحْشَرونَ** ﴾ فيجزيكم بما اكتسبتم مما أحصاه عليكم .

[١٠] ﴿ **إنما النَّجْوى منَ الشَّيْطانِ** ﴾ النجوى المذمومة المنهي عنها يزينها الشيطان ﴿ **لِيَحْزُنَ الذين آمَنوا ، وليسَ بضارِّهِمْ** ﴾ أي الشيطان أو التناجي المذموم ﴿ **شيئاً إلاَّ بإذْنِ اللَّهِ** ﴾ أي بمشيئته ﴿ **وعلى اللَّهِ فليتوكَّلِ المؤْمنون** ﴾ بالمضي في سبيله والاستقامة على أمره وانتظار النصر على أثره . روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يُحزنه) .

[١١] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا قِيلَ لكُمْ تفسَّحوا في المجالِسِ ، فافسَحُوا يفْسَحِ اللَّهُ لكُم** ﴾ تعليم منه تعالى للمؤمنين بالإحسان في أدب المجالس ، بأن يفسح المرء لأخيه ويتنحى توسعة له ﴿ **وإذا قيلَ : انشُزوا** ﴾ انهضوا للتوسعة ، أو ارتفعوا في المجالس ، أو انهضوا عن مجلس الرسول ﷺ ﴿ **فانشُزوا ، يرفَعِ اللَّهُ الذين آمنوا منكُم والذينَ أُوتُوا العلمَ درجاتٍ** ﴾ درجات دنيوية وأخروية . عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا) رواه الإمام أحمد والشيخان ﴿ **واللَّهُ بما تعملونَ خبيرٌ** ﴾ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

ربع الحزب ٥٥

[١٢] ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا ناجيتُمُ الرَّسولَ فقدِّموا بينَ يدَيْ نجواكُم صدقَةً ﴾ أي فتصدقوا قبل مسارته في بعض شأنكم ﴿ ذلكَ ﴾ التقديم ﴿ خيرٌ لكُم ﴾ خير لأنفسكم لما فيه من مضاعفة الأجر والثواب والقيام بحق الإخاء والمواساة والإغناء ﴿ وأطهَرُ ﴾ لأنفسكم من رذيلة البخل والشحِّ ﴿ فإنْ لم تجدُوا ﴾ ما تتصدقون به أمام مناجاتكم الرسول ﷺ ﴿ فإنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ لمن لم يجدِ الصدقة .

[١٣] ﴿ أأشفَقْتُم أنْ تقدِّموا بينَ يدَيْ نجواكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ أخفتم من تقديم الصدقات الفاقةَ والحاجةَ ، يقول ذلك على سبيل التوبيخ لمن يبخل ﴿ فإذْ لمْ تفعَلُوا ﴾ وشق عليكم تقديم الصدقة ﴿ وتابَ اللَّهُ عليكُم ﴾ بأن رخَّص لكم أن لا تفعلوا رفعاً للحرج ﴿ فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأطيعوا اللَّهَ ورسولَه ﴾ فلا تفرطوا في الطاعات ﴿ واللَّهُ خبيرٌ بما تعمَلونَ ﴾ فيجزيكم بحسبه . عن مجاهد قال : قال علي كرَّم اللَّهُ وجهه : إن في كتاب الله عز وجل لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنوا إذا ناجَيْتُم . . . ﴾ قال : فُرضت ثم نسخت . وكان رضي الله عنه قدم ديناراً فتصدق به ثم أُنزلت الرخصة . رواه ابن جرير.

[١٤] ﴿ ألم ترَ إلى الذين تولَّوْا قوماً غضِبَ اللَّهُ عليهِمْ ﴾ يعني المنافقين الذين تولوا اليهود ينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿ ما هُمْ منْكُم ﴾ ليسوا من المسلمين ﴿ ولا مِنهُم ﴾ وليسوا من اليهود ﴿ ويحلِفُون على الكذبِ ﴾ وذلك بادعائهم الإيمان وهم كافرون ﴿ وهم يَعلَمون ﴾ أنهم يحلفون كذباً .

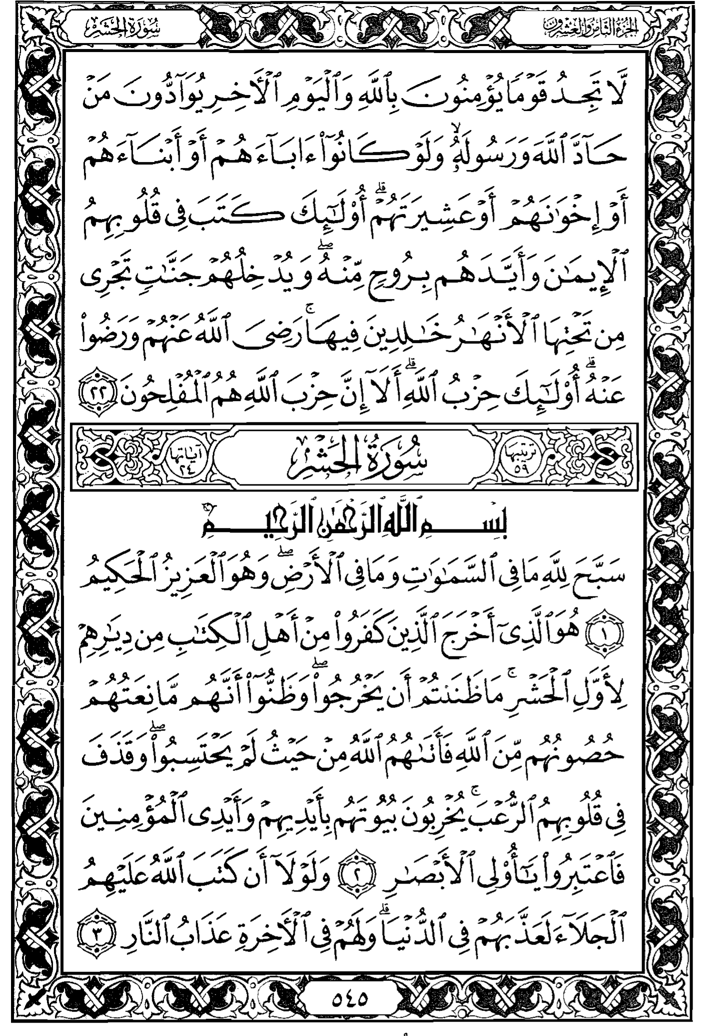
[١٥] ﴿ أعدَّ اللَّهُ لهُم عَذاباً شديداً ، إنَّهم ساءَ ما كانوا يَعمَلُون ﴾ . [١٦] ﴿ اتَّخذوا أيمانَهُمْ جُنَّةً ﴾ وقاية وعصمة لأنفسهم ﴿ فصَدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ﴾ صدُّوا الناس وثبَّطوهم عن الإيمان مستترين بالإسلام نفسه ﴿ فَلَهُمْ عذابٌ مُهِينٌ ﴾ مذلٌّ في الآخرة .

[١٧] ﴿ لنْ تُغْنِيَ عنهُم أموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللَّهِ شيئاً ﴾ أي من عذابه يوم القيامة كما كانوا يفتدون العقوبة بتسترهم في الدنيا ﴿ أولئِكَ أصحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدونَ ﴾ .

[١٨] ﴿ يومَ يبعثُهُمُ اللَّهُ جميعاً فيحلِفُون لهُ كما يحلِفُون لكمْ ﴾ في الدنيا كاذبين مبطلين ، وهو سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم عَلَى شيءٍ ﴾ من النفع أو من الحق ﴿ ألا إنَّهم هُمُ الكاذِبُونَ ﴾ فيما يحلفون عليه في الدارين .

[١٩] ﴿ استحوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ ﴾ استولى عليهم حتى صار الفساد والكذب مَلَكةً لهم ﴿ فأنساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ بتسويل اللذات الحسيَّة والشهوات البدنية وتزيين الدنيا بأعينهم ﴿ أُولئكَ حزبُ الشيطانِ ﴾ أي أتباعه في الفساد والإفساد ﴿ ألا إنَّ حزبَ الشيطانِ هُمُ الخاسِرونَ ﴾ للسعادة في الدنيا والآخرة . [٢٠] ﴿ إنَّ الذينَ يُحادُّونَ اللَّهَ ورسولَه أُولئكَ في الأذَلِّينَ ﴾ في أهل الذِلَّة لأن الغلبة لله ولرسوله ﷺ .

[٢١] ﴿ كتبَ اللَّهُ لأَغلبَنَّ أنا ورُسُلي ﴾ المغلوب هم حزب الشيطان ﴿ إنَّ اللَّهَ قويٌّ عزيزٌ ﴾ قوي في إهلاك من حادَّه ورسله ، عزيز لا يُغلب في قضائه .



[٢٢] ﴿ لا تجدُ قوماً يؤمِنونَ بـالله واليوم الآخِرِ يُوادُّون مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورسولَه ﴾ أي شاقَّهما وخالف أمرهما ، فلا يجتمع إيمان خـالص وحب لأعـداء الله ورسولـه ﴿ ولوْ كانوا آباءَهُم ﴾ أي ولو كـان الذيـن حادوا الله ورسوله آبـاءهم ﴿ أو أبناءَهُم أو إخوانَـهُم أو عشيرتَـهُم ﴾ فقضيـة الإيمان مقـدَّمـة على أي ولاء آخـر مهما كـانت درجتـه ﴿ أولئـك ﴾ الـذيـن لا يـوادُّونهم ﴿ كَتَـبَ في قلوبِهِمُ الإيمانَ ﴾ أي أثبتـه فيهـا ﴿ وأيَّـدَهُم بـروحٍ منْهُ ﴾ بنـور وعلمٍ ولطف حَيَّت بـه قلـوبهم في الـدنيـا ﴿ ويدخِلُهُم جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها رضيَ اللَّـهُ عنهُم ، ورضُوا عنهُ أُولئك حِزْبُ اللَّـهِ ألا إنَّ حزبَ اللَّهِ همُ المُفلِحونَ ﴾ الفائزون بسعادة الداريْن .

[سورة الحَشْر]

مـدنيـة . وآيـاتها ، أربع وعشرون آيـة . سميت بـالحشر لدلالـة إخراج اليهـود وعلى لطف الله وعنايتـه برسـوله وبالمؤمنين وغضبه على أعـدائهم . سئل ابن عباس عنها فقال : «سورة بني النضير» وهم قوم من اليهود .

[١] ﴿ سَبَّحَ للَّهِ﴾ صلى لله وسجد له ﴿ما في السَّمٰواتِ ومـا في الأرضِ﴾ من خلقه ﴿وهـو العزيـزُ الحكيمُ ﴾ العزيز في انتقامه ، الحكيم في تدبيره إياهم .

[٢] ﴿ هوَ الذي أخرجَ الذين كفروا منْ أهلِ الكتابِ﴾ يعني بني النضير اليهـود . [نـزلت هـذه الآيـة في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ لما قـدم المدينة صـالحه بنو النضير على أن لا يقـاتلـوه ولا يقـاتلـوا معـه ، وقبل رسـول الله ﷺ ذلك منهم ، فلما غـزا بـدراً وظهـر على المشركين قالت بنـو النضير : والله إنه النبي الـذي وجدنـا نعته في التوراة لا تـرد له رايـة . لما غزا أُحُداً وهُـزم المسلمون نقضـوا العهد وأظهـروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ، فحـاصرهم ثم صالحهم على الجلاء من المدينة ـ النيسابوري] ﴿منْ ديارِهِمْ﴾ من مساكنهم حـول المدينة ﴿لأوّلِ الحَشْرِ﴾ لأول الجمع لقتالهم ، أخرجهم تعـالى بقهره وقوته ﴿ ما ظَننتُمْ أنْ يَخرُجُوا ﴾ [ـ الخطـاب للمؤمنين ـ قال ابن جرير : ما ظننتم أن يخرج هـؤلاء الذين أخرجهم الله من ديـارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم] لشـدة بأسهم ومنَـعَتهم ﴿ وظنُّوا أنّـهم مانِعَتُهم حُصُونُهم من اللَّهِ﴾ أي من بأسه [روى ابن جريـر عن يزيد بن رومـان أن رهطاً من بني عوف من الخزرج منهم عبـد الله بن أبيّ ابن سلول ووديعة ومـالك ابنا نوفل وسـويد وداعس ، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتـوا وتمنعوا ، فإنـا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنـا معكم ، وإن خرجتم خـرجنا معكم ، فتربصوا لـذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله ﷺ حين نزل بهم] ﴿ فأتاهُمُ اللَّهُ ﴾ جاءهم عذابه وهو الرعب والإجلاء عن مساكنهم ﴿ من حيثُ لم يحتَسِبوا﴾ لم يظنوا أنـه يأتيهم ﴿ وقذفَ في قلوبِهِمُ الرُّعبَ﴾ وأنزله إنزالاً شـديداً فيها ﴿ يُخْرِبونَ بيـوتَهم بأيـديهم وأيدِي المؤمنين ، فـاعتبروا يا أُولِي الأبصارِ ﴾ كيف حلَّ بالمفسدين لتعلموا صدق وعد الله ووعيده . [قال ابن جريـر : قال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها وتخربها اليهود من داخلها] . [٣] ﴿ ولولا أنْ كتبَ اللَّـهُ عَلَيهِم الجَلاَءَ ﴾ الخروج من أوطانهم ﴿لعذَّبَهُم في الدُّنيا﴾ بالقتل والسبي ﴿ ولَهُم في الآخرةِ عذابُ النَّارِ﴾ [روى ابن جـرير عن ابن عبـاس في هذه الآيـة قـوله : كـان رسول الله ﷺ قـد حاصرهم حتـى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه مـا أراد منهم ، فصـالحهم على أن يحقن لهم دماءهـم ، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعـات الشـام ، وجعل لكل ثـلاثة منهم بعيراً وسقـاء] .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[٤] ﴿ ذلك ﴾ الجلاء والعذاب ﴿ **بأنّهم شاقّوا** ﴾ أي خالفوا ﴿ **اللّه ورسولَه** ﴾ فيما نهاهم عنه من الفساد ونقض الميثاق ﴿ **ومن يُشاقِّ اللّهَ ، فإنَّ اللّهَ شديدُ العِقابِ** ﴾ في الدنيا والآخرة .

[٥] ﴿ **ما قَطَعتُم من لِينَةٍ** ﴾ نخلة من نخيلهم إغاظة لهم ﴿ **أو تركتُمُوها قائمةً على أُصولِها ، فبإذْنِ اللّهِ** ﴾ أي بأمره ورضاه . [روى ابن جرير عن مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخيل ، وقالوا : إنما هي مغانم المسلمين ، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه] ﴿ **ولِيُخْزِيَ الفاسقينَ** ﴾ لما فيه من إهانة العدوّ وإضعافه ونكايته .

[٦] ﴿ **وما أفاءَ اللّهُ على رسولِه منهُم** ﴾ أي أعاد عليه من أموال بني النضير ﴿ **فما أَوْجَفْتُم عليهِ مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ** ﴾ فما أجريتم على تحصيله خيلاً ولا ركاباً ولا تعبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم ، والإيجاف : سرعة السير، والركاب : ما يركب من الإبل ﴿ **ولكنَّ اللّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يشاءُ** ﴾ من أهل الفساد والإفساد ليقوم الناس بالقسط ﴿ **واللّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ .

[٧] ﴿ **ما أفاءَ اللّهُ على رسولِه مِنْ أهْلِ القُرى** ﴾ من أموال محاربيها ﴿ **فللّهِ وللرسولِ ولذي القُرْبى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ كَيْ لا يكونَ** ﴾ فالفيء يقسم على هؤلاء المذكورين ، حتى لا يكون ﴿ **دولةً بين الأغنياءِ منكُم** ﴾ يتداولونه وحدهم دون من هم أحق به ﴿ **وما آتاكُمُ الرسولُ** ﴾ من قسمة غنيمة أو فيء ﴿ **فَخُذوهُ** ، **وما نهاكُم عنهُ** ﴾ أي عن أخذه منها ﴿ **فانتهُوا واتّقوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شديدُ العِقابِ** ﴾ لمن خالفه إلى ما نهى عنه . وقال العلماء : كل ما ثبت عن النبي ﷺ يصح أن يقال إنه في القرآن أخذاً من هذه الآية .

[٨] ﴿ **للفُقَراءِ المُهاجرينَ الذينَ أُخرجوا من ديارهِم وأموالِهم** ﴾ من مواطنهم ﴿ **يبْتَغونَ فضْلاً منَ اللّهِ** ﴾ من العلوم والفضائل الخلقية ﴿ **ورِضْواناً** ﴾ منه تعالى ﴿ **وينصُرونَ اللّهَ ورسولَه** ﴾ ببذل النفوس لقوة اليقين ﴿ **أولئك هُمُ الصّادقونَ** ﴾ إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح .

[٩] ﴿ **والذينَ تَبوَّؤا الدّارَ** ﴾ توطنوا دار الهجرة ﴿ **والإيمانَ مِنْ قَبْلِهم** ﴾ من قبل المهاجرين إليهم . أي : وأخلصوا الإيمان ﴿ **يُحِبُّون من هاجرَ إليهِم** ﴾ لوجود الجنسية في الصفاء والموافقة في الدين والإخاء ﴿ **ولا يجدون في صدورِهم** ﴾ أي في أنفسهم ﴿ **حاجةً** ﴾ طلباً أو حسداً ﴿ **مما أُوتُوا** ﴾ مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره لسلامة قلوبهم وطهارتها من دواعي الحرص ﴿ **ويُؤْثِرون على أنفسِهم ولو كانَ بهم خَصاصَةٌ** ﴾ أي حاجة وفاقة ﴿ **ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ** ﴾ بخلها ، فيخالفها فيما يغلب عليه من حب المال وبغض الإنفاق ﴿ **فأُولئك هُمُ المُفْلِحونَ** ﴾ الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة . [عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دفع إلى رجل من الأنصار رجلاً من أهل الصُّفة ، فذهب به الأنصاري إلى أهله . فقال للمرأة : هل من شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت الصبية . فقال فنوميهم ، فإذا ناموا فأتني به ، فإذا وضعت فأطفئي السراج . قال : ففعلت ، وجعل الأنصاري يقدم إلى ضيفه ما بين يديه ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : (لقد عجب من فعالكما أهل السماء) ونزلت : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ـ النيسابوري] .

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

نصف الحزب ٥٥

[١٠] ﴿ **والذين جاؤوا مِنْ بعدِهم يقولون ربَّنا اغفِرْ لنا ولإخواننا الذينَ سبقونا بالإيمان ، ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاً للذينَ آمَنوا ، ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيمٌ** ﴾ يعني بالذين جاؤوا من بعدهم الذين هاجروا حين قـوي الإسـلام . وقيل : هم المؤمنـون بعـد الفريقين إلى يوم القيامـة . [وما أحسن ما استنبط الإمام مالـك رحمه الله من هذه الآيـة الكريمة أن الـذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء . وقـال ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ، ثم قرأت هذه الآية ـ النيسابوري] .

[١١] ﴿ **ألَمْ تَـرَ إلى الذينَ نافَقوا** ﴾ يعني عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه ﴿ **يقولونَ لإخوانِـهِمُ الذين كفروا من أهلِ الكِتابِ** ﴾ يعني بني النضير اليهود ، وأخوّتهم معهم أخوّة دين واعتقاد أو أخـوّة صداقة وموالاة ﴿ **لئن أُخْرِجْتُم** ﴾ من ديـاركم ﴿ **لنخـرُجَنَّ معكُمْ ولا نُطيعُ فيكُمْ** ﴾ في خذلانكم ﴿ **أحَداً أبَداً** ﴾ من الرسول ﷺ والمؤمنين ﴿ **وإنْ قُوتِـلْتُم لنَنْصُرَنّكم** ﴾ لنعاونكم ﴿ **واللَّهُ يشهدُ إنّهم لكاذِبونَ** ﴾ لعلمه بأنهم لا يفعلون .

[١٢] ﴿ **لئن أُخرِجـوا لا يخرجون معهم ولئِنْ قُـوتلوا لا ينصرونَـهُم ولئِن نصروهُم ليُولُّـنَّ الأدبارَ** ﴾ منهزمين ﴿ **ثمَّ لا يُنصَرونَ** ﴾ بنـوع مـا من أنـواع النصر . والضمير للمنافقين أو اليهود .

[١٣] ﴿ **لأنتُم أشدُّ رهبَـةً في صدورِهم منَ اللَّهِ ، ذلك بأنهُمْ قومٌ لا يَفْقهونَ** ﴾ فهم يرهبـونكم أشد من رهبتهم من الله ، لجهلهم بعظمته وقدرته وعلمه . والضمير للمنافقين أو اليهود .

[١٤] ﴿ **لايُقاتلونكُم** ﴾ ـ الخطاب للمؤمنين ـ أي اليهود وإخوانهم ﴿ **جميعاً إلاّ في قُرىً مُحصَّنةٍ** ﴾ من وراء الحصون ﴿ **أو من وراءِ جُدُرٍ** ﴾ من خلف حيطان لفرط خوفهم منكم ﴿ **بأسُهُم بينَـهُم شديدٌ** ﴾ إن البأس الشديد الذي يوصفـون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ﴿ **تحسَبُهُم جميعاً وقلوبُـهُم شتّى** ﴾ تظنهم مجتمعين لاتفاقهم في الظاهر ، والحال أن قلوبهم متفرّقة لاختلاف مقاصدهم[وعن مجاهد قال : المنافقون يخالف دينهم دين بني النضير ـ ابن جرير] ﴿ **ذلكَ** ﴾ الاجتماع الظاهـر مع افتراق الباطن ﴿ **بأنّـهُم قومٌ لا يعقِلون** ﴾ يـوجب جبنهم المفضي إلى الهلاك الكليّ . [قـال قتـادة : تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم ، مختلفة أهواؤهم ، مختلفة أعمالهم . وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق ـ ابن جرير] .

[١٥] ﴿ **كَمَثَلِ الذين من قبلِـهِم قريباً ذاقوا وَبَالَ أمرِهِم ، ولهُم عذابٌ أليمٌ** ﴾ مثل هؤلاء اليهود من بني النضير كمثَل كفار قريش في وقعة بدر ، أو بني قيْـنُقَاع ، كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ .

[١٦] ﴿ **كَمَثَلِ الشيْطانِ** ﴾ مثلُ المنافقين في إغـراء بني النضير على القتال ووعـدهم النجدة ، ومثلُ انخداع بني النضير بـوعد المنـافقين الكاذب ، كمَثَل الشيطان ﴿ **إذْ قال للإنسانِ اكفُرْ** ﴾ إذ غرَّ الإنسانَ ووعده النصر إن هـو اتبعه وكفر بالله ﴿ **فلمّا كفَرَ** ﴾ هذا الإنسان بالله واتبع الشيطان وأطاعه ﴿ **قالَ** ﴾ الشيطان مخافة أن يشركه في عذابه : ﴿ **إنّي بريءٌ منكَ** ﴾ فلا أعينك ﴿ **إنّي أخافُ اللَّهَ ربَّ العالمين** ﴾ أخافه إن نصرتك ، فلم ينفعه التبرؤ كما لم ينفع الأول وعده الإعانة .

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمتَحنَة

ترتيبها ٦٠ آياتها ١٣

[١٧] ﴿ **فكان عاقِبَتَهما** ﴾ أي الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر بالله ﴿**أنَّهما في النّارِ خالِدين فيها ، وذلك جزاءُ الظالمينَ** ﴾ ظالمي حق الله وحق العباد .

[١٨] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا اللَّهَ** ﴾ بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿ **ولتنظرْ نفسٌ ما قدَّمتْ لغدٍ** ﴾ ما قدمت لما بعد الموت ، من الصالحات [التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه ؟ وعن قتادة قال : ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد ، وغد يوم القيامة ـ ابن جرير] ﴿ **واتَّقوا الله ، إن اللَّهَ خبيرٌ بما تعملونَ** ﴾ فيجازيكم بحسبها .

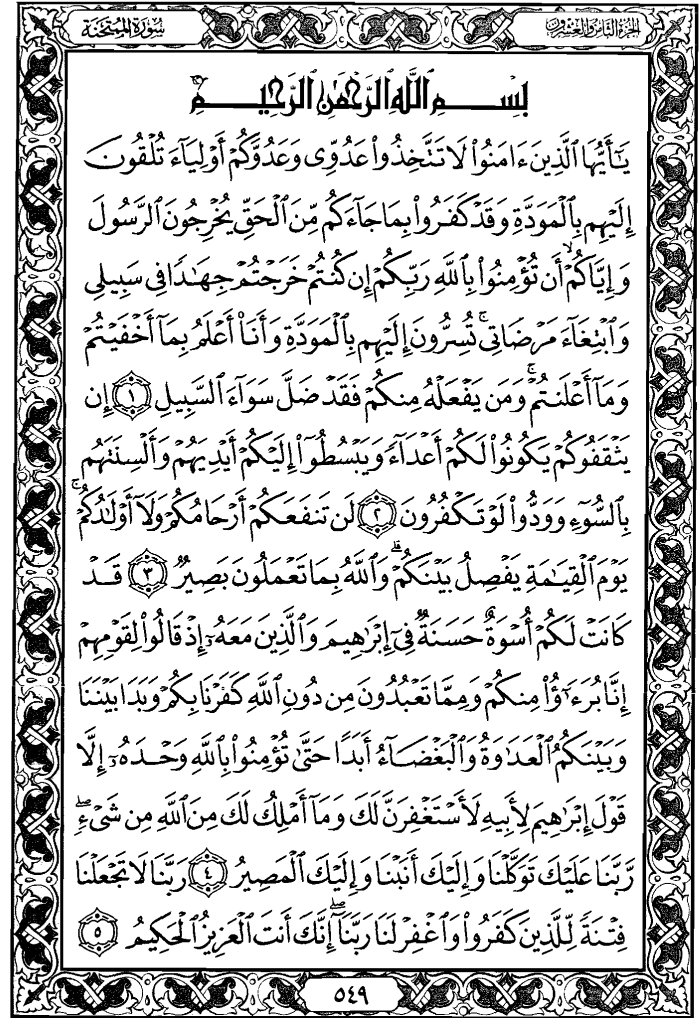
[١٩] ﴿ **ولا تكونوا كالذينَ نَسُوا اللَّهَ فأنساهُم أنفُسَهُم** ﴾ الذين تركوا حق الله وواجباته عليهم فأنساهم حظوظ أنفسهم من الخيرات ﴿ **أولئكَ هُمُ الفاسِقون** ﴾ الذين خرجوا عن الدين القيّم الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وخانوا وغدروا .

[٢٠] ﴿ **لا يستوي أصحابُ النارِ** ﴾ وهم الناسون الغادرون ﴿ **وأصحابُ الجَنَّةِ** ﴾ المؤمنون المتقون الموفون بعهدهم ﴿ **أصحابُ الجَنَّةِ هُمُ الفائزون** ﴾ بالنعيم المقيم .

[٢١] ﴿ **لَوْ أنزَلْنا هذا القُرآنَ** ﴾ الجامع للمواعظ الموجب للنظر والتقوى ﴿ **على جَبَلٍ** ﴾ بعد إعطائه القوى المدركة والمحرّكة ﴿ **لرأيتَهُ خاشِعاً** ﴾ متذللاً لعظمة الله ﴿ **متصَدِّعاً** ﴾ متشققاً ﴿ **من خشيَةِ اللّهِ** ﴾ مع صلابته ، فقلوبهم أقسى من الحجر في عدم التأثر والقبول ﴿ **وتلكَ الأمثالُ نضْرِبُها للنّاسِ** ﴾ للتفكر والاعتبار ﴿ **لعلَّهم يتفكَّرون** ﴾ ليعلموا أنهم أولى بذلك الخشوع والتصدُّع . [٢٢] ﴿ **هو اللَّهُ الذي لا إلهَ إلاّ هُوَ** ﴾ المعبود الذي لا تنبغي العبودية والألوهية إلّا له ﴿ **عالِمُ الغيْبِ والشّهادةِ** ﴾ ما غاب عن الحواس وما شوهد ﴿ **هُوَ الرحمنُ الرحيمُ** ﴾ المنعم بالنعم العامة والخاصة .

[٢٣] ﴿ **هو اللَّهَ الذي لا إله إلاّ هُوَ المِلكُ** ﴾ الغني المطلق الذي يحتاج إليه كلُّ شيء ﴿ **القُدُّوسُ** ﴾ المنزّه عما لا يليق بجلاله ﴿ **السَّلامُ** ﴾ الذي يسلم خلقه من ظلمه ، أو المبرأ عن النقائص كالعجز ﴿ **المؤمِنُ** ﴾ لأهل اليقين بإنزال السكينة ، ومن فزع الآخرة ﴿ **المُهيْمِنُ** ﴾ الرقيب على كل شيء باطلاعه واستيلائه وحفظه [قال ابن زيد : المصدق لكل ما حدَّث ، وقرأ ﴿ومهيمناً عليه﴾ المائدة : ٤٨ ، قال : فالقرآن مصدق على ما قبله من الكتب ، والله مصدّق في كل ما حدّث عما مضى من الدنيا ، وما بقي ، وما حدّث عن الآخرة ـ ابن جرير] ﴿ **العزيزُ** ﴾ القوي الذي يغلب ولا يُغلب ﴿ **الجبَّارُ** ﴾ الذي تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل أحد ، ولا تنفذ مشيئة أحد فيه ﴿ **المتكبِّرُ** ﴾ الذي يرى الكل حقيراً ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه . [قال قتادة : تكبر عن كل شر] ﴿ **سُبْحانَ اللَّهِ عمّا يُشركونَ** ﴾ معه من الأوثان والشفعاء .[روى ابن جرير عن جابر بن زيد قال : إن اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع يقول ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ إلى قوله ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ يقول : تنزيهاً لله وتبرئة له عن شرك المشركين به] .

[٢٤] ﴿ **هُوَ اللَّهُ الخالِقُ** ﴾ المقدِّر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿ **البارِىءُ** ﴾ الموجد لها بعد عدم ﴿ **المصَوِّرُ** ﴾ للكائنات كما يشاء ﴿ **لهُ الأسماءُ الحُسْنى** ﴾ الدالة على محاسن المعاني ﴿ **يُسَبِّحُ لهُ ما في السَّمٰواتِ والأرضِ ، وهُوَ العزيزُ الحَكيمُ** ﴾ في تدبيره خلقه وصرفهم فيما فيه صلاحهم وسعادتهم .



[سورة المُمْتَحِنة]

مدنية وعدد آياتها ثلاث عشرة آية . تسمى سورة الامتحان وسورة المودَّة .

[١] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخِذوا عَدوي وعَدوَّكُم أَولِياءَ** ﴾ أي أنصاراً ﴿ **تُلقون إليهم بالمودَّةِ** ﴾ هي صميم المحبة ﴿ **وقدْ كفروا بما جاءَكم من الحقِّ** ﴾ من الإيمان بالله ورسوله وكتابه ﴿ **يُخرِجون الرَّسولَ وإيَّاكُم** ﴾ من أرضكم ودياركم ﴿ **أنْ تُؤْمنوا باللَّهِ ربِّكُمْ** ﴾ أي : يخرجونكم لإيمانكم بالله ﴿ **إنْ كنتُمْ خرجْتُم** ﴾ أي هاجرتم ﴿ **جِهاداً في سبيلي وابتغاءَ مَرضاتي** ﴾ للجهاد في طريقي الذي شرعته لكم ، وديني الذي أمرتكم به ، والتماس رضائي عنكم الذي لا ثواب فوقه ﴿ **تُسِرُّون إليهِم بالمَوَدَّةِ ، وأنا أعلمُ بما أخفَيْتُم وما أعلنْتُم** ﴾ من المودَّة وغيرها معهم ﴿ **ومَنْ يفْعَلْه مِنْكُم** ﴾ أي اتخاذهم أولياء ﴿ **فقد ضلَّ سواءَ السبيلِ** ﴾ أي جار عن السبيل السويِّ الذي جعله الله هدى ونجاة .

[٢] ﴿ **إنْ يثْقفوكُم** ﴾ أي : إن يظفروا بكم ﴿ **يكونوا لكُم أعداءً** ﴾ حرباً عليكم لا تنفعكم مودتهم ﴿ **ويَبْسُطوا إليكُم أيديَهُمْ وألسِنَتَهم بالسُّوءِ** ﴾ بكل ما يسوؤكم كالقتل والشتم ﴿ **وودُّوا لو تكفُرُونَ** ﴾ مثلهم بما جاءكم من الحق .

[٣] ﴿ **لنْ تنفعَكُم أرحامُكُم** ﴾ أي قراباتكم ﴿ **ولا أولادكُم ، يومَ القيامةِ يفصِلُ بينَكُم** ﴾ بإثابة المؤمنين ومعاقبة العاصين ﴿ **واللَّهُ بما تعمَلونَ بصيرٌ** ﴾ فيجازيكم عليه . قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآيات من أول هذه السورة نزلت في شأن حاطب ابن أبي بلتعة ، وكان كتب إلى قريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم .[وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس ـ في هذه الآيات ـ قال : نزلت في رجل كان مع النبي ﷺ بالمدينة من قريش : كتب إلى أهله وعشيرته بمكة ، يخبرهم وينذرهم أن رسول الله ﷺ سائر إليهم ، فأخبر رسول الله ﷺ بصحيفته ، فبعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأتاه بها].

[٤] ﴿ **قدْ كانت لكم أُسْوةٌ** ﴾ أي قدوة ﴿ **حَسَنَةٌ في إبراهيمَ والَّذين مَعَهُ** ﴾ أي الذين آمنوا معه من أنبياء الله كلوط عليه السلام ﴿ **إذ قالوا لقَوْمِهم** ﴾ الذين أشركوا بالله وعبدوا الطاغوت : ﴿ **إنّا بُرَءَاءُ** ﴾ جمع بريء كظريف وظرفاء ﴿ **منكُم ومِمَّا تعبُدون من دون اللَّهِ ، كفرنا بكُم** ﴾ أي بدينكم ومعبودكم ﴿ **وبدا بيننا وبينكُمُ العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تُؤْمنُوا باللَّهِ وحدَهُ** ﴾ أي لا صلح بيننا ولا مودة إلى أن تؤمنوا بالله وحده ﴿ **إلاّ قولَ إبراهيمَ لأبيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ** ﴾ فإنه لا أسوة لكم في ذلك لأنه كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ﴿ **وما أملِكُ لكَ من اللَّهِ من شيْءٍ** ﴾ وما أدفع عنك من عقوبة الله شيئاً إن أراد عقابك [عن قتادة قال : يقول : لا تأسّوا بذلك فإنه كان عليه موعداً ، وتأسّوا بأمره كله ـ ابن جرير] ﴿ **رَبَّنا عليكَ توكّلنا وإليكَ أنَبْنا وإليك المصيرُ** ﴾ أمر منه تعالى للمؤمنين أن يقولوا ذلك . ومعنى ﴿ إليك أنبنا ﴾ إليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب لنا وترضى .

[٥] ﴿ **ربَّنا لا تجعلنا فتنةً للذينَ كفروا ، واغفرْ لنا ، ربَّنا إنَّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ** ﴾ أي [كما قال مجاهد] : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

[٦] ﴿ لقدْ كـانَ لكمْ فيهمْ أُسوةٌ حسنـةٌ لمن كانَ يـرجو اللَّهَ واليـومَ الآخِرَ ﴾ تكريـر لوجـوب التأسي بإبراهيم وأصحـابه ، لمزيد الحث على التبرؤ من المشركين ، والاسترسـال إليهم ﴿ ومَنْ يَتَـوَلَّ فإنَّ اللَّهَ هو الغنيُّ الحميدُ ﴾ فإنه لا يضر إلا نفسه والله هو الغني عن إيمانه بـه وطاعته ، المحمود على كل حال .

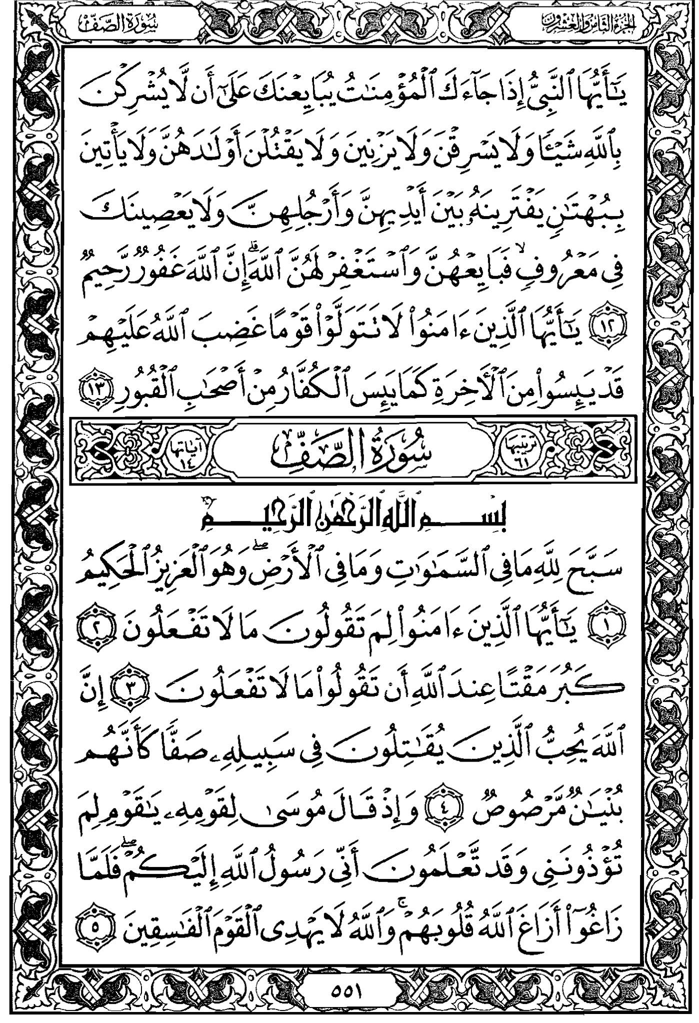
[٧] ﴿عَسى اللَّهُ أنْ يَجْعَـلَ بينَكـمْ وبينَ الَّذينَ عَـاديتُم مِنهم مَودَّةً ، واللَّهُ قَديرٌ ، واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾ وهذا من وعده سبحـانه ، وقـد أنجزه بأن أسلم كثير منهـم بعد ذلك وصاروا أولياء للمسلمين وأحزاباً .

[٨] ﴿ لا ينهاكُـمُ اللَّهُ عن الذينَ لم يقاتلوكُم في الدينِ ، ولم يُخرِجوكُم من ديارِكُم ﴾ ترخيص منـه تعالى في صلة الـذين لم يعـادوا المؤمنين ولم يقـاتلـوهم ﴿ أنْ تَـبَرُّوهُم وتُـقْسِطوا إليهم ﴾ تفضوا إليهم بالبرِّ وهـو الإحسان ، والقسط : العدل ﴿ إن اللَّهَ يُحِبُّ المُقسطينَ ﴾ .

[٩] ﴿ إنما ينهاكُـمُ اللَّهُ عنِ الذيـنَ قاتلوكُم في الـدِّينِ وأخْرَجـوكُم من ديـارِكُم وظاهَـرُوا على إخـراجِكُم أنْ تولَّـوْهُم ، ومنْ يتولَّـهُم فأولئـكَ هُمُ الظالمونَ ﴾ تكرير وتأكيد للنهي عن موالاة الكافر المقاتل المعتدي .

[١٠] ﴿ يـا أيُّها الـذينَ آمَنـوا إذا جـاءَكُمُ المؤمنـاتُ مهاجراتٍ ﴾ من مكـة إلى المدينـة ﴿ فامْتَحِنوهُنَّ ﴾ فـاختبروهن بما يغلب على ظنكم صـدقهن في الإيمان ﴿ اللَّهُ أعلَـمُ بإيمانِـهِنَّ ﴾ هـو المطلع على القلـوب لا أنتم ، فاكتفـوا بالعلامات الظـاهرة ﴿ فإنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مؤمناتٍ ﴾ العلم الذي تبلغه طـاقتكم البشرية ﴿ فلا تَرْجِعوهُنَّ إلى الكفّارِ ﴾ فلا تـردوهن إلى أزواجهن المشركين ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُم ، ولا هُمْ يَحِلُّـون لَهُنَّ ﴾ لانقطاع النكاح بينهن . قال ابن كثير : هذه الآية هي التي حـرَّمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً ، ابتداء الإسلام ، أن يتزوج المشركُ المؤمنةَ ﴿ وآتوهُمْ ما أنْفَقوا ﴾ وأعطوا المشركين الذين جـاءكم نساؤهم مؤمنات مـا أنفقوا عليهن من المهور ﴿ ولا جُناحَ عليكُمْ أنْ تنكِحـوهُنَّ ﴾ أجاز نكـاح المؤمنين للمهـاجرات الفـارات من أزواجهن المشركين وإن كـان لهن أزواج ﴿ إذا آتَـيْـتُـمُوهُنَّ أجورَهُنَّ ﴾ أي مهـورهن ﴿ ولا تُمسِكوا بِعِصَمِ الكوافِرِ ﴾ جمع كـافرة، و العصم جمع عصمـة ، وهي ما اعتصم بـه من العقـد والسبب . وهذا نهي منـه تعالى للمـؤمنين عن الإقدام على نكـاح المشركات من أهل الأوثان ، وأمرٌ لهم بفراقهنَّ ﴿ واسْألوا ما أنفَقْتُم ﴾ اطلبوا أيها المؤمنون الذين فارقتم أزواجكم المشركات ما أنفقتم عليهن من المهور من أزواجهم المشركين ﴿ وليسْألوا ما أنفَقُوا ﴾ وللمشركين أن يطلبوا مـا أنفقوا على زوجـاتهم السابقـات ممن آمن منهن والتحق بالمؤمنين وتـزوج منهم ﴿ ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بينكُم ، واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ فهذا الحكم هو حكم الله الحق الذي لا يُعْدَلُ عنه .

[١١] ﴿ وإنْ فاتكُم شيءٌ من أزواجِكُم إلى الكُـفَّارِ ﴾ وإن ارتدت منكم امرأة فلحقت بالكفـار فلم يردوا مهرها ﴿ فعاقَـبْـتُم ﴾ فغزوتموهم وأخذتم منهم غنيمة ﴿ فآتوا الذين ذهبَتْ أزواجُهُم ﴾ من المسلمين ﴿ مثلَ ما أنـفقوا ﴾ في مهورهن ﴿ واتَّـقُوا اللَّهَ الذي أنتُمْ بِهِ مؤمِنُونَ ﴾ فإن الإيمان به يقتضي أداء أوامره واجتناب نواهيه .


يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ ٱلصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

٥٥١

[١٢] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إذا جاءَكَ المؤمناتُ يُبايعْنَكَ على أنْ لا يُشرِكْنَ باللّهِ شيئاً ولا يَسْرِقْنَ** ﴾ أموال الناس ﴿ **ولا يَزْنِينَ ، ولا يَقْتُلْنَ أولادهُنَّ** ﴾ يريد وأد البنات ، ومنه الإجهاض ﴿ **ولا يَأْتين ببُهْتانٍ يفترينَهُ بين أيديهنَّ وأرْجُلِهِنَّ** ﴾ لا يُلحقن بأزواجهن غير أولادهم ، وكانت المرأة في الجاهلية تلتقط المولود فتقول لزوجها : هو ولدي منك . كنَّى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً ﴿ **ولا يَعْصِينَكَ في معروفٍ** ﴾ من أمر الله تأمرهن به [قال ابن جرير: وذُكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهن أن لا يعصين رسول الله ﷺ فيه هو النياحة] ﴿ **فبايعْهُنَّ ، واستغْفرْ لهُنَّ اللّهَ ، إنَّ اللّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ فبايعهن على الوفاء بذلك ، وسَلِ الله لهن المغفرة والعفو عنهن فإنه تعالى غفور رحيم لمن تاب .

[١٣] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تتولَّوْا قوماً غضِبَ اللّهُ عليهِمْ** ﴾ أي سخط عليهم لمعاداتهم الحق ومحاربتهم الإصلاح ، وهو عام في كل محارب ﴿ **قدْ يَئِسُوا منَ الآخرَةِ** ﴾ أي : من جزائها لجحدهم بها ﴿ **كما يَئِسَ الكفَّارُ منْ أصْحابِ القبورِ** ﴾ كيأس الكفار السابقين من إخوانهم الكفار المقبورين [من ثواب الله في الآخرة، وأن يبعثوا] .

[سورة الصَّفّ]

مدنية . وعدد آياتها أربع عشرة آية . وتسمّى سورة الحواريين .

[١] ﴿ **سبَّح للّهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ وهوَ العزيزُ الحكيمُ** ﴾ أذعن لله كل خلقه العلويِّ والسفليِّ ، وانقاد لتسخيره ، ودل على ألوهيته وربوبيته .

[٢] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنُوا لِمَ تقولونَ ما لا تفْعَلونَ** ﴾ فمن ادّعى الإيمان وجب عليه اجتناب الكذب وإخلاف الوعد ، وإلا فلا حقيقة لإيمانه .

[٣] ﴿ **كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللّهِ أنْ تقولوا ما لا تفعَلونَ** ﴾ لأن الكذب ينافي المروءة التي هي من مبادىء الإيمان ، فضلاً عن كماله ، والمقت : شدة البغض . [روى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه ، فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به ، فلما نزل الجهاد ، كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فقال الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾] .

[٤] ﴿ **إنَّ اللّهَ يُحبُّ الذين يقاتِلونَ في سبيلِهِ صفّاً ، كأنَّهُم بُنْيانٌ مَرْصوصٌ** ﴾ والمراد الثبات ورسوخ الأقدام في الموقف ، واجتماع الكلمة .

[٥] ﴿ **وإذْ قال موسى لقومِهِ يا قومِ لِمَ تُؤْذُونني وقد تعلمونَ أنّي رسولُ اللّهِ إليكُم** ﴾ أي : لِمَ توصلون إليّ الأذى بالمخالفة والعصيان لما آمركم به ، وأنتم تعلمون علم اليقين صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ، لما شاهدتم من الآيات البيِّنات ﴿ **فلَمّا زاغوا** ﴾ عن مقتضى علمهم لفرط الهوى ، وحب الدنيا ﴿ **أزاغَ اللّهُ قلوبَهُم** ﴾ عن طريق الهدى [عن أبي أمامة قال: هم الخوارج ـ ابن جرير] ﴿ **واللّهُ لا يَهْدي القومَ الفاسقين** ﴾ الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق ، المصرّين على الغواية .

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿ وإذ قالَ عيسى ابنُ مريمَ يا بَني إسرائيلَ إني رسولُ اللَّهِ إليكُم مُصَدِّقاً لما بينَ يديَّ مِنَ التوراةِ ﴾ التي أُنزلت على موسى عليه السلام ﴿ ومُبشِّراً برسول يأتي من بعدي اسمُهُ أحمدُ ، فلمَّا جاءهُم ﴾ أحمد ﷺ ﴿بالبيِّناتِ ﴾ أي : الدلالات التي آتاها الله إياه ، حُججاً على نبوّته ﴿ قالوا : هذا سِحرٌ مُبينٌ ﴾ أي بيِّن .

[٧] ﴿ ومنْ أظْلمُ ممَّنِ افترى على اللَّهِ الكذِبَ وهو يُدْعى إلى الإسلامِ ﴾ لا أحد أظلم وأشد عدواناً ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيقته فيستبدل إجابته بافتراء الكذب واختلاقه على الله ﴿ واللَّهُ لا يهدي القومَ الظَّالمين ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بما أنزل من الحق .

[٨] ﴿ يُريدونَ لِيُطفِئُوا نورَ اللَّهِ بأفواهِهِم ، واللَّهُ مُتِمُّ نورِهِ ولو كَرِهَ الكافِرونَ ﴾ يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ : هذا ساحر ، ليبطلوا الحق الذي جاء به بقولهم إنه ساحر ، وما جاء به السحر ، والله معلنٌ الحقَّ ومظهرٌ دينَه ، وناصرٌ رسولَه على من عاداه ، فذلك إتمام النور .

[٩] ﴿ هُوَ الذي أرسلَ رسولَهُ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَهُ على الدِّينِ كلِّهِ ﴾ ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ﴿ ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكونَ ﴾ لما فيه من محض التوحيد وإبطال الشرك .

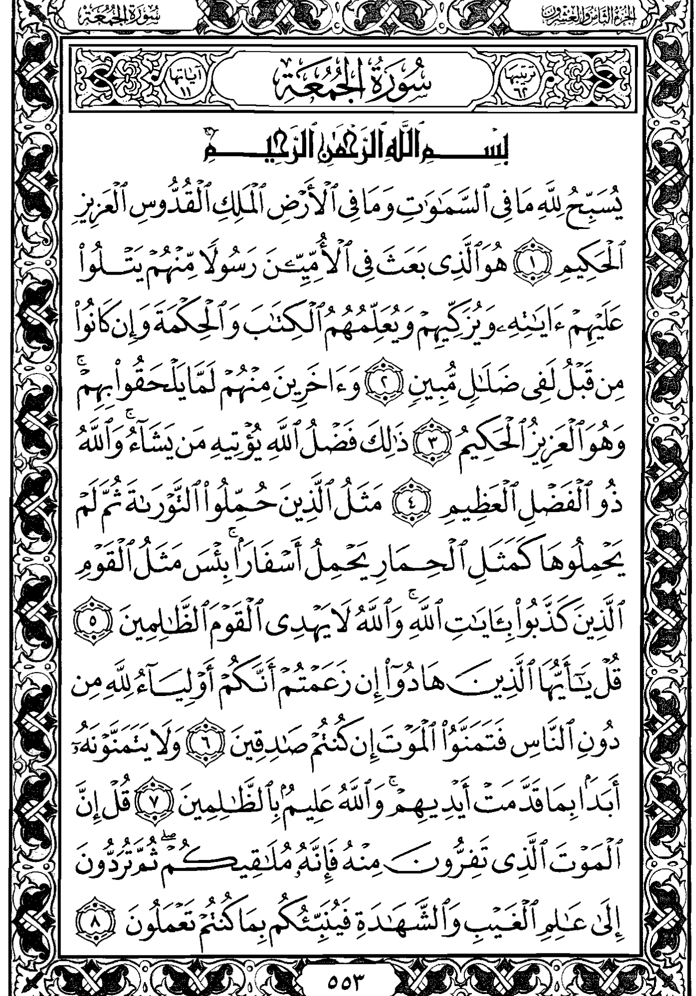
[١٠] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا هل أدلُّكُم على تجارةٍ تُنجيكُمْ من عذابٍ أليمٍ ﴾ .

[١١] ﴿ تُؤْمنونَ باللَّهِ ورسولِهِ ﴾ إيماناً يقينيّاً لا يشوبه أدنى شك ﴿ وتُجاهِدونَ في سبيلِ اللَّهِ بأموالِكُم وأنفسِكُم ، ذلكُم خَيرٌ لكُم إنْ كنتُم تَعْلمونَ ﴾ إن كنتم من أهل العلم ، أو : إن كنتم تعلمون أنه خير لكم . [عن قتادة ، قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم﴾ . . . الآية ، فلولا أن الله بيَّنها ، ودل عليها المؤمنين ، لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها ، حتى يغنوا بها ، وقد دلكم الله عليها ، وأعلمكم إياها فقال ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون﴾ الآية . وقال قتادة : الحمد لله الذي بيَّنها ـ ابن جرير] .

[١٢] ﴿ يغْفِرْ لكمْ ذُنوبكُم ﴾ جواب الأمر ﴿ ويُدْخلْكُم جنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ ، ومساكنَ طيِّبةً في جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أي بساتين إقامة لا ظعن عنها ﴿ذلكَ الفوْزُ العظيمُ﴾ أي النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها .

[١٣] ﴿ وأخرى تُحِبُّونَها نصْرٌ مِن اللَّهِ وفتْحٌ قريبٌ ﴾ ونصر عاجل هو فتح مكَّة ﴿ وبشِّرِ المؤمنينَ ﴾ بنصره تعالى لهم وفتحه .

[١٤] ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا كونوا أنصارَ اللَّهِ ﴾ أي أنصار الحق الذي أنزله وأمر به ﴿ كما قال عيسى ابنُ مريمَ للحواريينَ : منْ أنصاري إلى اللَّهِ ﴾ من معي وجندي متوجِّهاً إلى نصرة الله ﴿ قال الحواريُّونَ نحنُ أنصارُ اللَّهِ ﴾ ننصر دينه وما أمر به ، وندعو إليه ، ونضحي لأجله حياتنا ﴿ فَـآمَنَتْ طَائفةٌ مِنْ بني إسرائيلَ ﴾ بعيسى عليه السلام ، ونهضت تدعو إلى ما بعث به وتنشر دعوته ﴿ وكفرتْ طائفةٌ ﴾ برسالته والحقّ الذي معه ﴿ فأيَّدْنا الذين آمَنُوا على عدُوِّهم ﴾ من اليهود والرومان الوثنيين ﴿ فأصْبَحوا ظاهِرينَ ﴾ غالبين عليهم بالبراهين الواضحة ، والحجج الظاهرة ، والسلطة القاهرة . وفيه بشارة للمؤمنين بالتأييد الربّاني لهم كما وقع لسلفهم .



[سورة الجُمُعة]

مدنية . وعدد آياتها إحدى عشرة آية . روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين .

[١] ﴿ **يُسَبِّحُ للَّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ** ﴾ من خلقه، ويعظمه طوعاً وكرهاً ﴿**الملكِ القدُّوسِ العزيزِ الحكيمِ** ﴾ [الطاهر المبارك الشديد في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم].

[٢] ﴿ **هو الذي بعثَ في الأمِّيِّينَ** ﴾ أي العرب ﴿ **رسولاً منهُم** ﴾ أي من أنفسهم أمياً مثلهم[قال ابن زيد: إنما سميت أمة محمد ﷺ الأميين لأنه لم ينزِّل عليهم كتاباً، وقال جل ثناؤه ﴿رسولاً منهم﴾ يعني من الأميين، وإنما قال لأن محمداً ﷺ كان أمياً وظهر من العرب ـ ابن جرير] ﴿ **يتلُو عليهم آياتِهِ** ﴾ مع كونه أمِّيًّا مثلهم لم تُعْهد منه قراءة ولا تعلّم ﴿ **ويُزكِّيهم** ﴾ من خبائث العقائد والأخلاق ﴿ **ويُعلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكْمةَ** ﴾ أي القرآن والسُّنّة ﴿ **وإن كانوا مِنْ قبلُ لَفِي ضلالٍ مُبينٍ** ﴾ انحراف عن سبيل الرُّشْد .

[٣] ﴿ **وآخَرينَ مِنهُم لَمَّا يلْحَقوا بِهِم ، وهوَ العزيزُ الحكيمُ** ﴾ وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم، وكل من دخل الإسلام إلى يوم القيامة . وقيل : المراد بالأميين العرب، وبالآخرين سواهم من الأمم، وجعلهم منهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فالمسلمون أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم .

[٤] ﴿ **ذلكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللَّهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ** ﴾ يعني بعثته تعالى رسولاً ﷺ في الأميين، وفي آخرين، فضل تفضّل به على من اصطفاه واختاره لذلك، وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

[٥] ﴿ **مَثَلُ الذين حُمِّلوا التَّوراةَ** ﴾ كُلِّفوا حملها والعملَ بها ﴿ **ثُمَّ لَمْ يَحْمِلوها** ﴾ ثم لم يعملوا بها ﴿ **كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أسفاراً** ﴾ شبّه اليهود في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفّاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها، ولا منتفعين بآياتها التي تبشر بالرسول، شبههم بالحمار الذي يحمل كتباً ـ والكتاب بالنبطية يسمى سفراً ـ لا يفهم ما يحمل ﴿ **بِئْسَ مَثَلُ القوْمِ الذين كذَّبوا بآياتِ اللَّهِ** ﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوّة محمد ﷺ ﴿ **واللَّهُ لا يهدي القومَ الظالمينَ** ﴾ الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربّهم .

[٦] ﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد لليهود ﴿ **يا أيُّها الذين هادوا إنْ زعَمْتُم أنَّكُم أولياءُ للَّهِ من دونِ النَّاسِ فتَمَنَّوُا الموْتَ إنْ كنتم صادقينَ** ﴾ كان اليهود يقولون : نحن أبناء الله وأحبّاؤه، فقيل لهم : إن كنتم صادقين في زعمكم، وعلى ثقة من أمركم، فتمنوا الموت فإن الحبيب يتمنى لقاء من يحب ولا يفر منه .

[٧] ﴿ **ولا يتمنَّونَه أبداً بما قدَّمَتْ أيديهِمْ** ﴾ من المعاصي والسيئات والكفر ﴿ **واللَّهُ عليمٌ بالظّالمين** ﴾ فيجازيهم على أعمالهم .

[٨] ﴿ **قُلْ إنَّ الموتَ الذي تفرّون مِنْهُ** ﴾ تخافون أن تتمنوه بلسانكم، مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿ **فإنَّهُ مُلاقيكُم، ثمّ تُردُّونَ إلى عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ** ﴾[قال قتادة: إن الله أذل ابن آدم بالموت ـ ابن جرير] ﴿ **فيُنبِّئُكُم بما كنتُم تَعمَلون** ﴾ من الأعمال، حسنها وسيئها، فيجازيكم عليها .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

ربع الحزب ٥٦

[٩] ﴿ يـا أيُّها الذينَ آمنـوا إذا نُـودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَـوْمِ الجُمُعَـةِ فاسْعَـوْا إلى ذِكْرِ اللَّـهِ ﴾ أي الخطبـة والصَّـلاة ﴿ وذَروا البَيْعَ ﴾ في ذلك الوقت ﴿ ذلكُم خَيْـرٌ لَـكُم إنْ كنتُمْ تعلَمُونَ ﴾ . [١٠] ﴿ فإذا قُضِيَتِ الصلاةُ ﴾ إذا أُدِّيَتْ وفـرغ منها ﴿ فانْـتَـشِروا في الأرضِ وابتَغُـوا من فضْلِ اللَّـهِ ، واذكروا اللَّهَ كَثيراً لعلَّكُـم تُـفلِحُونَ ﴾ أي اذكروا أمـره ودينه وشرعـه دائماً لتصير ملكةً لكـم تظهر آثـارهـا على أعمالكم وأخـلاقكم فتفلحـوا بسعـادة الدّارين . [١١] ﴿ وإذا رأَوْا تجارةً أوْ لهْواً ﴾ إذا رأوا عيرَ تجارة ، أو مـا تلهـو بـه النفس عن الحق والجد والنـافع ﴿ انفَضُّوا إلَـيْها ﴾ أسرعوا إلى التجارة خشيـة أن يُسبقوا إليها ﴿ وتركوكَ قائِماً ﴾ على المنبر [روى ابن جـريـر عن جابر ابن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة فمرت عير تحمل الطعام ، قـال : فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً ، فنزلت آية الجمعة] ﴿ قلْ ما عندَ اللَّهِ ﴾ من الثواب المرجوّ بسماع الخطبة والعظة بها ﴿ خيرٌ من اللهْوِ ومنَ التِّجارة ﴾ لأن الثـواب مخلـد نفعـه بخـلاف مـا يتوهمونه منها [عن جابر بن عبد الله قال : كان الجواري إذا نكـحوا ، كانوا يمرون بالكَـبَرِ ـ الطبـل ـ والمزاميـر ويتركـون النبي ﷺ قائماً على المنبر وينفضّون إليهـا ، فأنزل الله ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهـواً انـفضّوا إليهـا﴾ ـ ابـن جريـر] ﴿ واللَّهُ خيرُ الرّازقينَ ﴾ فاعملوا للأغـراض الباقية عنده ، فإنها خيرٌ من الأمور الفانية عندكم .

[سورة المنافِقُون]

مدنيّة . وعدد آيـاتها إحدى عشرة آية . [١] ﴿ إذا جاءَكَ المنافِقـون قالوا نشهَدُ إنَّكَ لرسولُ اللَّـهِ ، واللَّهُ يعلَمُ إنَّكَ لَرسولُـهُ ﴾ أي إن الأمر كما قـالوه ﴿ واللَّهُ يشهدُ إنَّ المنافقين لكاذِبونَ ﴾ أي في قولهم ﴿ نشهـد ﴾ وادعائهم ، مواطـأة قلوبهم ألسنتهم ، لأنهم أضمروا غير مـا أظهروا . [٢] ﴿ اتَّخذوا أَيمانَهم ﴾ أي : حلفهم الكاذب ، أو شهادتهم هذه ﴿ جنّـةً ﴾ وقاية من القتل والسبي ﴿ فصَدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ﴾ أي دينه الذي بعث رسوله ﷺ به وشريعته التي شرعها لخلقه ﴿ إنَّهم ساءَ ما كانوا يعملونَ ﴾ في اتخاذهم أيمانهم جُنَّة ، وصدِّهم عن سبيل الله وغير ذلك من أعمالهم . [٣] ﴿ ذلك ﴾ ما نُعي عليهم من مساوئهم ﴿ بأنَـّهم آمنُوا ﴾ ظاهراً ﴿ ثم كفَروا ﴾ سرّاً ﴿ فطُبِعَ على قلوبِهم ﴾ خُتم عليها بما مرنوا عليه مـن التلوُّن والتذبذب ورسوخ الهيآت المنكرة ، فحجبوا عن الحق ﴿ فهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ حقيَّـة الإيمان ، وحكمة الرسالة والدين . [٤] ﴿ وإذا رأيتَـهُم تُعجِبُـكَ أجسامُهُم ﴾ لتناسب أشكالهم ، وحسن مناظرهم ورُوائهم ﴿ وإنْ يَقُولوا تسمعْ لقَوْلِـهم ﴾ للين كلامهم بما يدهنون فيه ﴿ كأنَـّهُم خُشُبٌ مسنَّـدَةٌ ﴾ في الخلوّ عن الفائدة ، لأن الخشب إنما تكون مسنَّدة إذا لم تكن في بناء أو دعامة لشيء آخر ﴿ يَحْسَبُونَ كلَّ صيْحَةٍ عليهِم ﴾ قال ابن جرير : يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم وقلـة يقينهم ، كلَّ صيحة عليهم ، لأنهم على وجـل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك بـه أستارهم ويفضحهم ويبيح للمـؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسـوله ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم ﴿ هُمُ العدوُّ فاحْذَرهُم ﴾ فقد بطل استعدادهم ، فلا يهتدون بنـورك ولا تُؤثر فيهم صحبتك ﴿ قاتلَهُمُ اللَّهُ أنّى يُؤفَكونَ ﴾ كيف يصرفون عن الحقّ ، مع وضـوح مناره . و قاتَل بمعنى لعن وطرد ، وهو دعاء أو خبر .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

[٥] ﴿ وإذا قيلَ لَهُمْ تعالَوْا يستغفِرْ لكُم رسولُ اللّهِ ﴾ أي هلموا إلى التوبة والإنابة مما فرط منكم ، وذاع من أفاعيلكم ضد المؤمنين ﴿ لَوَّوْا رؤوسَهُم ﴾ حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره ﴿ ورأيتَهُم يصُدُّون ﴾ يُعْرِضون عما دُعوا إليه ﴿ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُون ﴾ عن المصير إلى الرّسول والاعتذار .

[٦] ﴿ سَواءٌ عليهم أَسْتَغْفرتَ لَهُمْ أمْ لمْ تستغفِرْ لهُمْ ، لنْ يغفِرَ اللّهُ لَهُمْ ﴾ لفسقهم وخروجهم عن دين الفطرة القويم ﴿ إنَّ اللّهَ لا يهدي القومَ الفاسقينَ ﴾ [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ التوبة : ٨٠ ، فقال رسول الله ﷺ : (زيادة على سبعين مرة) فأنزل الله ﴿سواء عليهم أَستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾] .

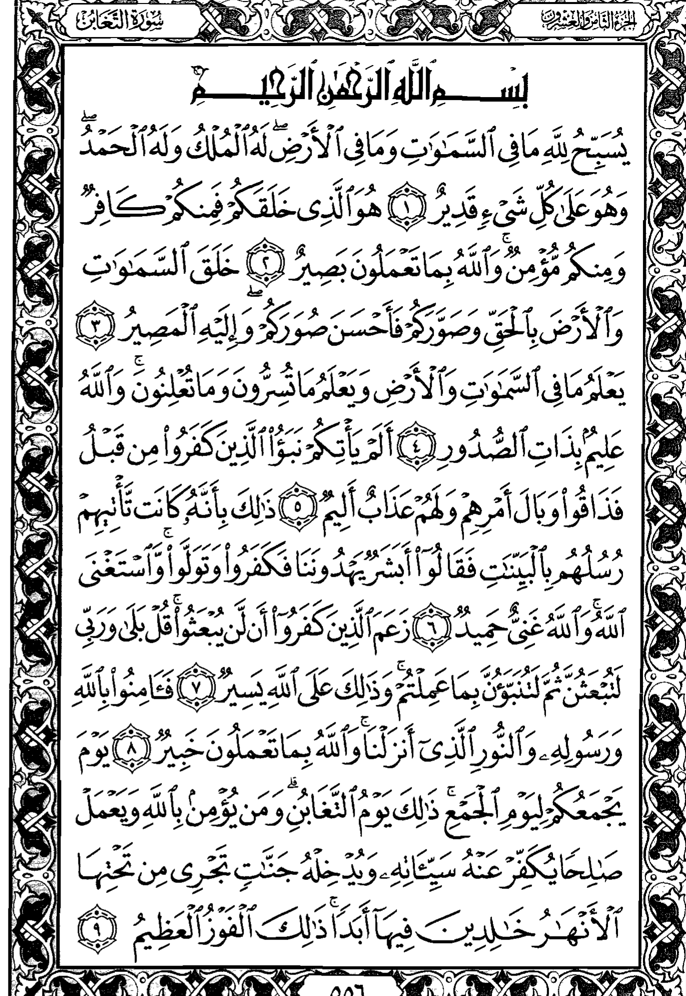
[٧] ﴿ هُمُ الذين يقولونَ لا تُنْفِقوا على مَنْ عِنْدَ رسولِ اللّهِ حتَّى ينفَضُّوا ﴾ حتى تصيبهم مجاعة ، فيتفرّقوا عنه ، يعنون فقراء المهاجرين ﴿ ولِلّهِ خزائنُ السّمٰواتِ والأرْضِ ولكنَّ المنافِقينَ لا يَفْقهُونَ ﴾ من بيده خزائنهما رازقهم منها ، وإن بخل المنافقون [عن زيد بن أرقم قال : لما قال ابن أُبي ما قال ، أخبرت النبي ﷺ ، فجاء فحلف ، فجعل الناس يقولون لي : تأتي رسول الله ﷺ بالكذب حتى جلست في البيت مخافة إذا رأوني قالوا : هذا الذي يكذب ، حتى أنزل ﴿هم الذين يقولون﴾ ـ ابن جرير] .

[٨] ﴿ يقولونَ لئنْ رجَعْنا إلى المدينةِ ليُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ ، ولِلّهِ العزّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ ، ولكنّ المنافقين لا يَعْلمونَ ﴾ لمكان غرورهم وجهلهم وشدّة ارتيابهم . قال ابن جرير : وإنما عُني بهذه الآيات كلها فيما ذكر ، عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول ، وذلك أنه قال لأصحابه ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ وقال ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله ﷺ فدعاه رسول الله ، فسأله عما أخبر عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاءً ، ويعني بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها .

[٩] ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلْهِكُمْ أموالُكُم ولا أولادكُم عنْ ذِكْرِ اللّهِ ﴾ لا يشغلكم الاغتباط بها عن ذكر أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، أو ذكر ما أنزله وأوحى به ﴿ ومَنْ يفعَلْ ذلكَ فأُولئكَ هُمُ الخاسِرونَ ﴾ المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته .

[١٠] ﴿ وأنْفِقوا مِنْ ما رزَقْناكُم من قبلِ أنْ يأتيَ أحدَكُمُ الموتُ فيقولَ ربِّ لَوْلا أخَّرْتَني إلى أجَلٍ قريبٍ فأصدَّقَ ﴾ أتصدق وأخرج حقوق مالي ﴿ وأكُنْ مِنَ الصّالِحين ﴾ .

[١١] ﴿ ولنْ يُؤخِّرَ اللّهُ نفساً إذا جاءَ أجلُها ﴾ لن يؤخر في أجل أحد إذا حضر وقته ﴿ واللّهُ خبيرٌ بما تعمَلُونَ ﴾ بأعمالكم ونيّاتكم ، فلا ينفع الإنفاق في ذلك الوقت . وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب عليه فيه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرّجعة عند الموت . فقيل له : إنما يسأل الرجعة الكفّارُ . فقال : سأتلوا عليكم بذلك قرآناً . ثم قرأ هذه الآية .



بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

[سورة التّغابن]

مكّيّة . وعدد آياتها ثمان عشرة آية .

[١] ﴿ يُسبِّحُ للّـهِ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ ، لـهُ المُلْكُ ﴾ أي ملك السَّمٰوات والأرض ، ونفوذ الأمر فيهما ﴿ وَلَـهُ الحمْدُ ﴾ أي الثناء الجميل ، لأنـه مـولى النعم وموجدها ﴿ وهو على كـلِّ شـيْءٍ قـديرٌ ﴾ .

[٢] ﴿ هو الذي خلقكُمْ فمِنْكُم كافِرٌ ومنكُم مؤمِنٌ ﴾ هو الـذي انفرد بإيجادكـم فـي أحسن تقـويم ﴿ واللّهُ بما تعملُونَ بَصيرٌ ﴾ .

[٣] ﴿ خلقَ السَّـمٰواتِ والأرضَ بـالحَقِّ ﴾ بالحكمة البالغـة التي ترشـد إلى المصالح الـدينية والدنيـوية ﴿ وصوَّركُم فأحْسَنَ صُوَرَكُم ﴾ حيث بـرأكم في أحسن تقويم ﴿ وإليهِ المصيرُ ﴾ إليه مرجعكم للجزاء .

[٤] ﴿ يعلَمُ ما في السَّـمٰواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرُّون ومـا تُعْلِنُـون ، واللّـهُ عليمٌ بـذاتِ الصُّـدورِ ﴾ أي بخفاياها ، وما تنطوي عليه .

[٥] ﴿ ألمْ يأْتِكُم ﴾ يا معشر الكفـرة الفجرة ﴿ نبَأُ الذين كفـروا مِن قَبْلُ ﴾ كقـوم نـوح وعاد وثمـود وقـوم لـوط ﴿ فذاقـوا وبالَ أمـرِهم ﴾ من عـذاب الاستئصـال . والوبـال : الثقل والشِّدَّة المترتبـة على أمر مـن الأمور . و﴿ أمرهم ﴾ تعني كفرهم ﴿ ولَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عذابٌ أليمٌ ﴾ .

[٦] ﴿ ذلك بأنّـه كـانَتْ تأتيهم رسُلُـهُم بالبَيِّـنات فقالوا أبَـشَرٌ يهدوننا ﴾ استهـزؤوا برسلهـم وقالـوا أبشرٌ يهدونـنـا ؟ ﴿ فكفَـرُوا ﴾ بـالحقّ والـديـن والرَّسـول ﴿ وتولَّوْا ﴾ عن التَّدبُّر في الأيات البيِّنات ﴿ واستَغْنى اللّهُ ﴾ أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم ، حيث أهلكهم وقطع دابرهم ﴿ واللّهُ غنيٌّ ﴾ بذاته عن العالمين ﴿ حميدٌ ﴾ يحمده كل مخلوق ، أو مستحق للحمد بنفسه ، وإن لم يحمده حامد .

[٧] ﴿ زعَمَ الذينَ كفرُوا أنْ لَنْ يُـبْعَثوا ﴾ من قبورهم بعد مماتهم ، وكان ابن عمر يقول : زعم كنية الكذب ﴿ قُلْ بَلى وربِّي لَـتُبْـعَثُنَّ ﴾ من قبوركم ﴿ ثمّ لتُـنَـبَّـؤُنَّ بما عَمِلْتُم ﴾ في الدنيا ﴿ وذلك ﴾ البعث ﴿ على اللّهِ يَسيرٌ ﴾ هيِّن لقبول المادة وثبوت القدرة الكاملة .

[٨] ﴿ فآمِنُوا باللّهِ ورسولِـهِ ﴾ فيما يخبركم به من البعث والجزاء وغيره ﴿ والنُّورِ الذي أنزَلْنا ﴾ يعني القرآن الحكيم ﴿ واللّهُ بما تعملونَ خبيرٌ ﴾ [لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيكم على جميعها] .

[٩] ﴿يومَ يجمعُكُم﴾ اللّهُ ﴿لِيوم الجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون لأجل ما فيه من الحساب والجزاء ﴿ذلك يومُ التَّغابُنِ﴾ التغابن : مستعار من تغابن القـوم في التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضـاً ، لنزول السعداء منازل الأشقيـاء التي كانوا ينـزلونها لو كـانوا سعداء ، ونزول الأشقيـاء منازل السعداء التي كانـوا ينزلونها لو كانوا أشقياء ، فخسرت صفقـة التجار وربحت صفقة المؤمنين ﴿ ومَنْ يؤمِن باللّهِ ويعمَلْ صـالحاً يُكفِّرْ عنْـهُ سيّئاتِـهِ ويُدْخِلْهُ جنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبَـداً ، ذلك الفوزُ العظيمُ ﴾ [قال ابن عباس رضي الله عنهما : يوم التغابن هو اسم من أسماء يوم القيامـة ، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النـار . وقال مقـاتل بن حيـان : لا غبن أعظـم مـن أن يدخـل هؤلاء إلى الجنة ، ويـذهب بأولئـك إلى الـنار ـ ابن كثير] .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن
تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا
لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ
فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ
ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

[١٠] ﴿ **والذينَ كفـرُوا وكَذَّبوا بآياتنـا أولئكَ أصحابُ النارِ خـالِدينَ فيهـا وبئْسَ المصيرُ** ﴾ [قال ابن جـريـر : ماكثين فيهـا أبداً لا يموتـون فيها ، ولا يخرجـون منها ، وبئس الشيء الذي يصار إليه جهنم] .

[١١] ﴿ **مـا أصابَ مِنْ مُصيبَـةٍ إلا بإذْنِ اللّـهِ** ﴾ بقدره ومشيئته ﴿ **ومَنْ يُـؤمِنْ بـاللّـهِ يهْدِ قلبَـه** ﴾ إلى العمـل بمقتضى إيمانه ، ويشرحـه للازدياد من الطـاعة والخير [قال ابـن عباس : يعني يهد قلبه لليقين ، فيعلـم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، ومـا أخطأه لم يكن ليصبه ـ ابن جرير] ﴿ **واللّهُ بكلِّ شيْءٍ عليمٌ** ﴾ فيعلم مراتب إيمانكم وسرائر قلوبكم وأحـوال أعمالكم وآفاتها وخلـوصها من الآفات .

[١٢] ﴿ **وأطيعُوا اللّهَ وأطيعُوا الرّسولَ ، فإنْ تولَّيتم فإنَّما على رسولِنا البـلاغُ المُبينُ** ﴾ لما أرسل به ، والله سبحـانه وليُّ الانتقام ممن عصاه ، وخالف أمره .

[١٣] ﴿ **اللّــه لا إلـه إلاّ هُـوَ ، وعلى اللّـهِ فليتــوكّلِ المؤمنونَ** ﴾ أي وحِّدوا الألـوهية ، وأخلصـوها لـديه ، وتوكَّلوا عليه .

[١٤] ﴿ **يـا أيُّها الذينَ آمنـوا إنَّ منْ أزواجِكُم وأولادِكُم عدوّاً لكُم فاحذَرُوهُم** ﴾ خطاب لمن آمن بـالنبي ﷺ ، وكـان لـه من أزواجهـم وأولادهم من يعـاديهم لإيمانهم ويـؤذيهم بسببـه ﴿ **وإنْ تعفُـوا** ﴾ عن ذنـــوبهم ﴿ **وتصفَحُوا** ﴾ بترك التثـريـب والتعيير ﴿ **وتغفِرُوا** ﴾ جناياتهم بالرحمة لهم ﴿ **فإنَّ اللّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم .

[١٥] ﴿ **إنّما أموالُكُم وأولادكُم فتنةٌ** ﴾ أي تفتتن بها النفس ، ويجري عليها البـلاء بها ، إذا أوثروا على محبة الحق ﴿ **واللّهُ عندَهُ أجرٌ عظيمٌ** ﴾ أي لمن آثر طاعة الله ومحبته عليهما . [قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة فثبطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم] .

[١٦] ﴿ **فاتّقوا اللّهَ ما استطعْتُم** ﴾ ابذلوا فيها استطاعتكم ﴿ **واسمَعُوا وأطيعوا** ﴾ افهموا هذه الأوامر واعملوا بها ﴿ **وأنفِقُوا** ﴾ أي أموالكم التي ابتلاكم الله بها في مرضاته ﴿ **خيراً لأنفسِكُم** ﴾ اقصدوا في الأموال والأولاد ما هو خير لكم ﴿ **ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ** ﴾ بالعصمة منه ﴿ **فأولئك هُمُ المفْلِحُونَ** ﴾ الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم .

[١٧] ﴿ **إنْ تُـقْرِضوا اللّهَ قرْضاً حسناً** ﴾ بالإنفـاق في سبيله ، مـا تحبُّون من غير منٍّ ولا أذى ، قـال الزمخشري : ذِكْرُ القرض تلطف في الاستـدعاء ﴿ **يُضاعِفْه لكُمْ** ﴾ أي يضاعف جـزاءه وخلفه ﴿ **ويغفِرْ لكُم** ﴾ ذنوبكم بالصفح عنها ﴿ **واللّهُ شكورٌ** ﴾ ذو شكر لأهل الإنفـاق في سبيله ، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا ﴿ **حليمٌ** ﴾ عن أهل معاصيه ، بترك معاجلتهم بعقوبته .

[١٨] ﴿ **عالِـمُ الغيْبِ والشّهادةِ** ﴾ ما يغيب عن أبصار عباده ومـا يشاهدونه ﴿ **العزيزُ** ﴾ الغالب في انتقامه ممـن خالف أمره ونهيه ﴿ **الحكيمُ** ﴾ في تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما يصلحهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

نصف الحزب ٥٦

[سورة الطلاق]

مدنية . وعدد آياتها اثنتا عشرة آية . سمّيت بالطلاق لبيانها كيفية الطلاق السُّنّي ، وما يترتب عليه من العدّة والنفقة والسكنى .

[١] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إذا طلَّقتُمُ النِّساءَ فطلِّقوهُنَّ لعدَّتِهِنَّ** ﴾ في وقتها ، وهو الطُّهْرُ في غير جماع ﴿ **وأحصُوا العِدَّةَ** ﴾ أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء ﴿ **واتَّقوا اللَّهَ ربَّكُم ، لا تُخْرِجُوهُنّ من بُيوتِهِنّ** ﴾ اتقوه في تعدِّي حدوده في المطلَّقات ، فلا تخرجوهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق ، غضباً عليهن ، وكراهة لمساكنتهن ، لأن لهن حق السكنى ، حتى تنقضي عدّتهن ﴿ **ولا يَخْرُجْنَ** ﴾ باستبدادهن من تلقاء أنفسهن ﴿ **إلاّ أنْ يأتينَ بفاحشةٍ مبيِّنةٍ** ﴾ فإنهن يخرجن . و الفاحشة : كل أمر قبيح تعدَّى في حدِّه ، فيدخل فيه الزنا والسرقة والبذاء على الأحماء ونحوها ﴿ **وتلكَ حدودُ اللَّهِ ومَنْ يتعَدَّ حدودَ اللَّهِ فقَدْ ظلَمَ نفسَهُ** ﴾ بتعريضها للعقاب ﴿ **لا تدْري لعلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بعدَ ذلكَ أمراً** ﴾ خطاب للمتعدي بطريق الالتفات ، لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي فالمعنى : ومن يتعد حدود الله فقد أضرّ بنفسه ، فإنك لا تدري أيها المتعدي عاقبة الأمر .

[٢] ﴿ **فإذا بلَغْنَ أجلَهُنّ** ﴾ إذا بلغت المطلقات اللواتي في العدَّة آخر عدتهن ﴿ **فأمْسِكُوهُنّ بمعْروفٍ** ﴾ فراجعوهن بما أمركم الله به من الحقوق التي أوجبها الله لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصُّحْبة ﴿ **أو فارِقوهُنَّ بمعْروفٍ** ﴾ وهو إيفاؤهنّ ما لهنّ من حقٍّ كالصداق والمتعة ، على ما أوجب عليه لهن ﴿ **وأَشْهِدوا ذَوَيْ عدْلٍ منْكُم** ﴾ أشهدوا عند الرَّجعة والفرقة من يرضى دينهما وأمانتهما ﴿ **وأقيموا الشّهادَةَ للّهِ** ﴾ لوجهه تعالى خالصاً لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ، ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ، ودفع الظلم ﴿ **ذلكُم يُوعَظُ بهِ منْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليوم الآخِرِ** ﴾ المشار إليه هو الحثُّ على إقامة الشهادة لوجه الله ، ولأجل القيام بالقسط ، ويحتمل عوده على جميع ما في الآية ﴿ **ومن يتَّقِ اللّهَ يجعلْ لهُ مخرجاً** ﴾ .

[٣] ﴿ **ويرزُقْهُ من حيثُ لا يحتسِبُ ومن يتوكَّلْ على اللَّهِ فهو حسْبُه** ﴾ فهو كافيه ﴿ **إنَّ اللَّهَ بالغُ أمرِهِ** ﴾ يبلغ ما أراد من أمره ، فمن تيقن ذلك فوّض أمره إليه وعوّل عليه ﴿ **قدْ جعلَ اللَّهُ لكلِّ شيءٍ قَدْراً** ﴾ أي حدّاً وتقديراً حسبما تقتضيه الحكمة .

[٤] ﴿ **واللائي يئِسْنَ من المَحيضِ من نسائكُم إنْ ارتبْتُم** ﴾ إن أشكل عليكم حكمهن أو شككتم في الدَّم الذي يظهر منهن لكبرهن ، أمِنَ الحيض هو أو من الاستحاضة؟ ﴿ **فعِدَّتُهنَّ ثلاثةُ أشهُرٍ ، واللاّئي لم يحِضْنَ** ﴾ من الجواري لصغرهن إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول فعدّتهن ثلاثة أشهر . حذف العدد لدلالة المذكور عليه ﴿ **وأولاتُ الأحْمالِ أجلُهُنّ** ﴾ في انقضاء عددهنّ ﴿ **أنْ يضعْنَ حَمْلَهُنّ** ﴾ ما في بطونهن ﴿ **ومَنْ يتّقِ اللّهَ** ﴾ فلم يخالف إذنه في طلاق امرأته ﴿ **يجعَلْ له من أمرِهِ يُسْراً** ﴾ وهو تسهيل الرجعة ما دامت في عدَّتها ، والقدرة على خطبتها .

[٥] ﴿ **ذلك** ﴾ ما ذكر من حكم الطلاق والرَّجعة والعدَّة ﴿ **أمرُ اللَّهِ أنزلَهُ إليكُم** ﴾ لتأتمروا له وتعملوا به ﴿ **ومن يتَّقِ اللَّهِ يُكفِّرْ عنه سيِّئاتِهِ ويُعْظِمْ لهُ أجْراً** ﴾ بالمضاعفة .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

[٦] ﴿ **أَسْكِنوهُنَّ منْ حيثُ سكَنتُم من وُجْدِكم** ﴾ أي من سعتكم التي تجدون، وطاقتكم ومقدرتكم ﴿ **ولا تُضارُّوهُنَّ** ﴾ لا تستعملوا معهن الضرار ﴿ **لِتُضَيِّقوا عليهِنَّ** ﴾ في المسكن ببعض الأسباب، من إنزال من لا يوافقهن، أو بشغل مكانهن، أو غير ذلك، حتى تضطروهن إلى الخروج أو الافتداء ﴿ **وإنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأَنْفِقوا عليهِنَّ حتّى يضعْنَ حَمْلَهُنّ** ﴾ وإن كانت نساؤكم المطلقات أولات حمل، وكن بائنات منكم، فأنفقوا عليهن في عدَّتهنَّ منكم حتَّى يضعن حملهنَّ ﴿ **فإنْ أرْضَعْنَ لكُم** ﴾ يعني: نساؤكم البوائن منكم ﴿ **فآتوهُنَّ أجورَهُنّ** ﴾ على رضاعهن ﴿ **وَأْتَمِرُوا بينَكُم بمَعْروفٍ** ﴾ يعني: المجاملة والمسامحة في الإرضاع والأجر، والخطاب للآباء والأمهات ﴿ **وإنْ تعاسَرتُم** ﴾ أي ضيق بعضكم على الآخر بالمشاحّة في الأجر، أو طلب زيادة ونحوه ﴿ **فستُرْضِعُ لهُ أُخْرى** ﴾ فلا سبيل له عليها، وليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبيِّ مرضعة غير أمّه البائنة منه.

[٧] ﴿ **لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سَعَتِهِ** ﴾ من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير ﴿ **ومَنْ قُدِرَ عليهِ رزقُهُ** ﴾ أي ضيق عليه ﴿ **فلْيُنْفِقْ مما آتاهُ اللّهُ** ﴾ على قدر ماله وطاقته ﴿ **لا يُكلِّفُ اللّهُ نفساً إلا ما آتاها** ﴾ فلا يكلَّف الفقير نفقة الغنيِّ، ولا أحداً إلا فرضه الذي وجب عليه ﴿ **سيجعَلُ اللّهُ بعْدَ عُسْرٍ يُسْراً** ﴾ سيؤتى المقلُّ بعد ضيقٍ فرجاً، وبعد فقرٍ غنىً، تسليةً للمعسرين من فقراء الأزواج وتصبيراً لمطلقاتهم، وتطييباً لقلوب الجميع.

[٨] ﴿ **وكأيِّنْ مِنْ قريَةٍ عتَتْ عنْ أمْرِ ربِّها** ﴾ أعرضت عنه على وجهة العتوِّ والعناد ﴿ **ورُسُلِهِ** ﴾ أي عن أمر رسله كذلك ﴿ **فحاسَبْناها حِساباً شديداً** ﴾ على ما قدَّمت فلم نغادر منه شيئاً ﴿ **وعذَّبْناها عَذاباً نُكْراً** ﴾ أي منكراً.

[٩] ﴿ **فذاقَتْ وبالَ أمرِها** ﴾ أي عاقبة ما اكتسبت وجزاءه ﴿ **وكانَ عاقبةُ أمرِها خُسْراً** ﴾ غبناً، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدُّنيا قليل.

[١٠] ﴿ **أعدّ اللّهُ لهُم عذاباً شديداً** ﴾ يعني عذاب النار المعدّ لهم في القيامة ﴿ **فاتّقوا اللّهَ** ﴾ خافوه واحذروا بطشه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿ **يا أُولي الألبابِ** ﴾ العقول ﴿ **الذينَ آمَنوا** ﴾ صدقوا الله ورسله ﴿ **قدْ أنزَلَ اللّهُ إليكُم ذِكْراً** ﴾.

[١١] ﴿ **رسولاً** ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ **يتلو عليكُم آياتِ اللّهِ مبيِّناتٍ** ﴾ لمن سمعها وتدبرها أنها حق من عند الله ﴿ **ليُخْرِجَ الذينَ آمَنوا وعمِلوا الصّالِحاتِ منَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ** ﴾ من الضلال إلى الهدى ﴿ **ومَنْ يؤمِنْ باللّهِ ويعمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً، قدْ أحسَنَ اللّهُ له رِزْقاً** ﴾ أي طيّبه. وفيه تعجيب له وتعظيم.

[١٢] ﴿ **اللّهُ الذي خلَقَ سبْعَ سمواتٍ ومِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنّ** ﴾ فالمعبود المستحق للعبادة، من هذا خلقه، لا ما يُشرك معه ﴿ **يتنزلُ الأمْرُ بينهُنّ** ﴾ يجري أمر الله وحكمه بينهن، وملكه ينفذ فيهن ﴿ **لِتعلَموا أنّ اللّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللّهَ قدْ أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً** ﴾ فإنّ كلاً منهما يدل على كمال قدرته وعلمه.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٦

[سورة التحريم]

مدنية . وعدد آياتها اثنتا عشرة آية .

[١] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ لمَ تُحَرِّمُ ما أحلَّ اللَّهُ لكَ ، تبْتَغي مرضاةَ أزْواجِكَ واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ روى النَّسائي عن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به حفصة وعائشة حتَّى حرَّمها ، فأنزل الله هذه الآية . [وروى ابن جرير عن عائشة قالت : آلى رسول الله ﷺ وحرّم ، فأمرني في الإيلاء بكفارة ، وقيل له في التحريم ﴿لم تحرم ما أحلّ الله لك﴾] .

[٢] ﴿ **قدْ فرضَ اللَّهُ لكُم تحلَّة أيمانكم** ﴾ أي شرَّع تحليلها . والتحلَّة : مصدر بمعنى التحليل ﴿ **واللَّهُ مولاكُم** ﴾ متولي أموركم ﴿ **وهُوَ العَليمُ** ﴾ بمصالحكم ﴿ **الحكيمُ** ﴾ في تدبيره إياكم بما شرعه وحكم به . وهذا صريح في أن تحريم الحلال قدْ فرض فيه تحلة الأيْمان .

[٣] ﴿ **وإذْ أسرَّ النّبيُّ** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **إلى بعضِ أزواجِهِ** ﴾ قيل : هي حفصة رضي الله عنها ﴿ **حديثاً** ﴾ وهو تحريم فَتَاتِهِ في قولهم ، قال ابن جرير : أو ما حرَّم على نفسه مما كان الله جلّ ثناؤه قد أحلَّه له ، وقوله لها : لا تذكري ذلك لأحد ﴿ **فلمّا نبّأتْ بهِ** ﴾ أي أخبرت بالسرِّ صاحبتَها ﴿ **وأظهرَهُ اللَّهُ عليهِ** ﴾ أي أطلعه على تحديثها به ﴿ **عرَّفَ بعضَهُ** ﴾ أي عرَّفها بعض ما أفشته مُعاتباً ﴿ **وأعْرضَ عنْ بعضٍ** ﴾ بعض الحديث تكرُّماً ﴿ **فلمَّا نبَّأها بهِ قالتْ من أنبأَكَ هذا قال نبَّأنِيَ العليمُ الخبيرُ** ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية .

[٤] ﴿ **إنْ تتوبا إلى الله فقدْ صَغَتْ قلوبُكُما** ﴾ إلى الحقّ ، والخطاب للمتظاهرتين : عائشة وحفصة رضي الله عنهما [صغت : مالت] ﴿ **وإنْ تظاهَرا عليهِ** ﴾ أي تتظاهرا وتتفقا على ما يسوؤه ﴿ **فإنَّ الله هو مولاه وجبريلُ وصالحُ المؤمنين ، والملائكةُ بعد ذلك ظهيرٌ** ﴾ متظاهرون على من أراد الإساءة إليه ، فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ؟ .

[٥] ﴿ **عسى ربُّه إن طلَّقكُنَّ أنْ يُبْدِلَه أزواجاً خيراً منكُنَّ** ﴾ [عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، قال : فنزل كذلك ـ ابن جرير] ﴿ **مسلماتٍ** ﴾ خاضعات لله بالطاعة ﴿ **مؤمناتٍ** ﴾ مصدِّقات بالله ورسوله ﴿ **قانتاتٍ** ﴾ مطيعات لما يؤمرن به ﴿ **تائباتٍ** ﴾ من الذنوب لا يصررن عليها ﴿ **عابداتٍ** ﴾ متعبِّدات لله ، كأن العبادة امتزجت بقلوبهن حتى صارت ملكة لهنّ ﴿ **سائحاتٍ** ﴾ قيل : معناه صائمات ﴿ **ثيِّباتٍ وأبكاراً** ﴾ قال بعض المحققين : إنه يستفاد من هذه الآية مشروعية السياحة للنساء ، كما هي كذلك للرجال ، فمعنى قوله تعالى ﴿ سائحاتٍ ﴾ مسافرات .

[٦] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا قُوا أنفسَكُم وأهليكُم ناراً** ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعاتِ والقيام على تأديب الأهل ، وأخذهن بما تأخذون به أنفسَكم ﴿ **وَقودُها النَّاسُ والحِجارةُ** ﴾ تتقد بها اتقاد غيرها بالحطب ﴿ **عليها ملائكَةٌ** ﴾ تلي أمرها وتعذيب أهلها زبانيةٌ ﴿ **غِلاظٌ شِدادٌ** ﴾ جفاة قساة ﴿ **لا يَعْصون الله ما أمرَهُم ويفعلون ما يُؤْمرون** ﴾ يؤدون ما يؤمرون به ، لا يتثاقلون عنه ، ولا يتوانون فيه .

[٧] ﴿ **يا أيُّها الذين كفروا لا تعتَذِروا اليومَ ، إنّما تُجْزَوْن ما كنتم تعملونَ** ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

[٨] ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا توبوا إلى اللّهِ توبةً نصوحاً** ﴾ توبة خالصة [روى ابن جرير عن النعمان بن بشير قال: سئل عمر عن التوبة النصوح، قال: التوبة النصوح أن يتوب الرجل عن العمل السيء، ثم لا يعود إليه أبداً] ﴿ **عسى ربُّكُم** ﴾ بمناصحة أنفسكم بالتوبة النصوح ﴿ **أنْ يُكفِّرَ عنكُم سيِّئاتِكم ويُدْخِلَكُم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ يومَ لا يُخْزي اللّـهُ النبيَّ والذين آمنوا معه** ﴾ أي لا يذلُّهم ﴿ **نورُهُم يسعى بين أيديهم وبأيمانِهم ، يقولون ربَّنا أتْمِمْ لنا نورَنا** ﴾ أي أدمه أو زده . [قال ابن جرير : يسألون ربهم أن يبقي لهم نورهم ، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط ، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ ـ الحديد : ١٣] ﴿ **واغفِرْ لنا ، إنّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ [قال مجاهد والضحاك : هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طُفىء . وقال رسول الله ﷺ : (أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم . فقال رجل : يا رسول الله ، وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال : غر محجلون من آثار الطهور ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم)ـ ابن كثير] .

[٩] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ جاهِدِ الكُفّار والمنافقينَ** ﴾ بالسنان والبرهان ﴿ **واغلُظْ عليهم** ﴾ فيما تجاهدهم به ، لتنكسر صلابتهم ، وتلين شكيمتهم وعريكتهم ﴿ **ومأْواهمْ جهنَّمُ وبئسَ المصيرُ** ﴾ .

[١٠] ﴿ **ضربَ اللّهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ** ﴾ أي حالهما ﴿ **كانتا تحت عبدَيْن من عبادنا صالحين فخانتاهما** ﴾ أي بالمظاهرة عليهما والكفر والعصيان مع تمكنهما من الطاعة والإيمان . [روى ابن جرير عن ابن عباس قوله ﴿ فخانتاهما ﴾ قال : كانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلُّ على الضيف] ﴿ **فلمْ يُغْنيا عنهُما من اللّهِ** ﴾ أي من عذابه ﴿ **شيئاً ، وقيلَ** ﴾ أي لهما عند موتهما ، أو يوم القيامة : ﴿ **ادخلا النّارَ مع الداخلين** ﴾ أي مع سائر الداخلين من الفَجَرة الذين لا صِلةَ بينهم وبين الأنبياء .

[١١] ﴿ **وضربَ اللّهُ مثلاً للذين آمنوا امرأةَ فِرْعونَ** ﴾ التي آمنت بالله ووحدته ، وصدقت رسوله موسى ، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر ﴿ **إذْ قالتْ ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنّةِ ، ونجِّني من فرعونَ وعملِهِ ، ونجِّني من القوم الظّالمينَ** ﴾ أي من عملهم وعذابهم ، فاستجاب الله لها .

[١٢] ﴿ **ومريمَ ابنةَ عِمْران التي أحصنتْ فرْجَها** ﴾ أي حفظته وصانته ﴿ **فنفخنا فيهِ** ﴾ في جيب درعها ﴿ **من روُحِنا وصدَّقَت بكلماتِ ربِّها وكُتُبه** ﴾ الموحاة ﴿ **وكانت من القانتينَ** ﴾ من المواظبين على الطّاعة لله ، والخضوع لأحكامه .

سورة الملك ترتيبها ٦٧ آياتها ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

[سورة المُلْك]

مكّيّة . وعدد آياتها ثلاثون آية . تسمى سورة تبارك .

[١] ﴿ **تباركَ الذي بيدِهِ المُلْكُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ .

الحزب ٥٧ الجزء ٢٩

[٢] ﴿ **الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكُم أيُّكُم أحْسَنُ عملاً** ﴾ قدّر الموتَ والحياةَ فأمات من شاء وما شاء ، وأحيى من أراد وما أراد ، إلى أجل معلوم ﴿ **وهو العزيزُ** ﴾ الغالب الذي يقهر من أساء العمل ﴿ **الغفورُ** ﴾ لذنوب من أناب إليه وأحسن العمل .

[٣] ﴿ **الذي خلقَ سبْعَ سمواتٍ طِباقاً** ﴾ بعضها فوق بعض ﴿ **ما ترى في خَلْقِ الرّحمنِ من تفاوتٍ** ﴾ تخالف وعدم تناسب في رعاية الحكمة ، بل راعاها في كل خلقه ﴿ **فارجِعِ البصرَ** ﴾ إن شككت فكرِّر النظرَ ﴿ **هلْ ترى من فُطُورٍ** ﴾ أي خلل . وأصل الفطور الصدود والشقوق .

[٤] ﴿ **ثُمّ ارجِعِ البصرَ** ﴾ أي كرِّره ﴿ **كرَّتيْنِ** ﴾ رجعتين أخريين ﴿ **ينقلبْ إليكَ البصرُ خاسئاً** ﴾ مطروداً عن إصابة المطلوب ﴿ **وهوحسيرٌ** ﴾ عيي كالٌّ .

[٥] ﴿ **ولقدْ زيّنّا السّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ** ﴾ هي النجوم لإضاءتها ﴿ **وجعلناها رُجوماً للشّياطينَ** ﴾ عاد الضمير في قوله تعالى ﴿ وجعلناها ﴾ على جنس المصابيح لا على عينها ، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء ، بل بشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها ﴿ **وأعتدْنا لهُمْ عذابَ السّعيرِ** ﴾ في الآخرة .

[٦] ﴿ **وللذين كفروا بربِّهم عذابُ جهنّمَ وبئسَ المصيرُ** ﴾ أي المرجع ذلك العذاب المحرق .

[٧] ﴿ **إذا أُلقوا فيها سمِعوا لها شهيقاً** ﴾ لأهلها ممن تقدَّم طرحهم فيها ، والشهيق هو الصوت الذي يخرج من الجوف بشدّة ، كصوت الحمار ﴿ **وهي تفورُ** ﴾ تغلي بهم وتعلو .

[٨] ﴿ **تكادُ تميّزُ من الغيظِ** ﴾ أي تتفرق أجزاؤها من الغيظ على الذين أغضبوا الله ورسوله ﴿ **كُلّما أُلقيَ فيها فوجٌ** ﴾ جماعة من الكفار ﴿ **سألهم خزنتُها ألَمْ يأْتِكُمْ نذيرٌ** ﴾ في الدنيا ينذركم هذا العذاب .

[٩] ﴿ **قالوا بلى ، قد جاءنا نذيرٌ فكذَّبنا وقلنا ما نزّلَ اللّهُ من شيءٍ ، إن أنتم إلا في ضلال كبيرٍ** ﴾ فكذبنا الرُّسل ، وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال ، وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال .

[١٠] ﴿ **وقالوا لو كُنّا نسمعُ أو نعقِلُ** ﴾ من النُّذُر ما جاءت به ، سماع طالب الحق ، وعقلَ من نبذ الهوى ﴿ **ما كُنّا في أصحاب السّعيرِ** ﴾ في عداد أهل النار .

[١١] ﴿ **فاعترفوا بذنبهم ، فسُحقاً لأصحاب السّعيرِ** ﴾ فأقرُّوا بجحدهم الحق وتكذيبهم الرُّسل ، فبُعْداً لهم ، اعترفوا أو أنكروا فإن ذلك لا ينفعهم .

[١٢] ﴿ **إنّ الذين يخْشَوْن ربّهُم بالغيبِ** ﴾ يخافونه أو يخافون عذابه ، وهم لم يروْه ﴿ **لهُمْ مَغْفِرةٌ وأجرٌ كبيرٌ** ﴾ .

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

[١٣] ﴿ وأَسِرُّوا قولَكم أو اجهَرُوا به ، إنَّه عَليمٌ بذاتِ الصُّدور﴾ أي : بضمائرها ، فكيف بما نُطِق بـه ؟ والمعنى : فاتقوه واخشوه .

[١٤] ﴿ ألا يعلمُ مـن خَلَقَ ﴾ ألا يعلم السر والجهر، مَنْ خلق الأشيـاء ، والخلق يستلـزم العلم ﴿ وهو اللطيفُ الخبيرُ﴾ اللطيف بعباده ، الخبير بأعمالهم .

[١٥] ﴿ هوَ الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ ذلولاً ﴾ ليِّنة سهلة المسالك ﴿ فامشوا في مناكِبها ﴾ في نواحيها وجوانبها على التشبيه ﴿ وكُلوا من رِزقِه ﴾ التمسوا من نعمه تعالى ﴿ وإليه النُّشورُ ﴾ أي نشوركم من قبوركم للجزاء .

[١٦] ﴿ أأمنتُم مَنْ في السّماءِ أن يخسِفَ بكُمُ الأرضَ ﴾ خطاب للكافرين . أي : أأمنتم العليَّ القدير أن يخسف بكم الأرض فيغيِّبكم إلى أسفل سافلين ؟ ﴿ فإذا هي تمورُ ﴾ تضطرب وتهتز اهتزازاً شديداً بكم ، وترتفع فوقكم وتنقلب عليكم .

[١٧] ﴿ أم أمنتُم مـنْ في السَّماءِ أنْ يُـرْسِلَ عليكم حاصباً ﴾ وهـو التراب فيـه الحصبـاء الصغار ﴿ فستعلمون كيف نذيرِ ﴾ كيف هي عاقبة نذيري لكم إذا كذبتم به ورددتموه على رسولي .

[١٨] ﴿ ولقدْ كذَّبَ الذين من قبلِهم ﴾ مع كونهم أشد منهم عـدداً وعُدداً ﴿ فكيف كـان نكيرِ ﴾ أي نكيري تكـذيبهم ، وذلـك بإنـزال العـذاب بهم ، ودحـر باطلهم .

[١٩] ﴿ أولَـمْ يَـرَوْا إلى الطَّيْرِ فوقَـهُم صافَّاتٍ ﴾ أي باسطات أجنحتهنَّ في الجوّ عند طيرانها ﴿ ويقبضْنَ ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن ﴿ ما يُمسكُهُنَّ ﴾ في الجو ﴿ إلا الرّحمنُ ﴾ المفيض لكلِّ ما قُـدِّرَ له ، حسب استعداده بسعة رحمته ﴿ إنَّه بكلِّ شيءٍ بصيرٌ﴾ فيعطيه ما يليق به ، ويسوّيه بحسب مشيئته .

[٢٠] ﴿ أمَّنْ هذا الذي هـو جُندٌ لكُم ﴾ معشر المشركين ﴿ ينصُرُكُم من دون الرحمنِ ﴾ إن أراد بكم سوءاً فيـدفع عنكم بأسه ﴿ إنِ الكافرون إلاَّ في غُرُورٍ ﴾ من ظنـهم أنَّ أربـابَهم تنفع أو تضرُّ ، أو أنها تقرّبهم إلى الله زلفى .

[٢١] ﴿ أمَّن هذا الذي يرزقُكـم إنْ أمسكَ رزقَـهُ ﴾ يعني المطر ونحوها ﴿ بل لجُوا ﴾ تمادَوْا ﴿ في عُتُـوٍّ ﴾ عناد وطغيان ﴿ ونُـفورٍ ﴾ بُعْدٍ عن الحقِّ .

[٢٢] ﴿ أفَمَنْ يمشي مكبّاً على وجهِه أهـدى ، أم من يمشي سويّاً على صِراطٍ مُستقيم ﴾ المكب : هو المتعثر الذي يخرُّ على وجهـه لوعورة طريقه ، والذي يمشي سويّاً هو القائم السالم من العثار ، لاستواء طريقه واستقامة سطحه .

[٢٣] ﴿ قـلْ هو ﴾ المستحق للعبادة وحـده ، وسلوك صراطه ﴿ الذي أنْشـأكُم وجعلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصـارَ والأفئدةَ ﴾ العقول المدركة ﴿ قليلاً ما تَشكرونَ ﴾ باستعمالها فيما خُلِقتْ له .

[٢٤] ﴿ قلْ هو الذي ذرأكُم في الأرضِ ﴾ خلقكم فيها لتعبدوه وتقوموا بالقسط الذي أمر به ﴿ وإليه تُحْشَرونَ ﴾ للجزاء .

[٢٥] ﴿ ويقُولونَ متى هذا الوَعْدُ ﴾ أي الحشر أو الفتح على رسوله وظهور دينه ﴿ إنْ كنتُم صادقين ﴾ في الإنذار به ، والترهيب منه .

[٢٦] ﴿ قلْ إنما العِلْمُ عندَ اللّهِ ، وإنما أنا نذيرٌ مبينٌ ﴾ بيِّن الحجّـة على ما أنذركم به ، من زهوق باطلكم إذا جاء أجلُه .

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَم

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

[٢٧] ﴿ فلمّا رأَوْهُ زُلْفَةً ﴾ فلما رأوا ما يوعدون من العذاب قريباً ﴿ سِيئَتْ وجوهُ الذين كفروا ﴾ ظهر عليها آثار الاستياء من الكآبة والغم والانكسار والحزن ﴿ وقيلَ ﴾ تبكيتاً لهم ﴿ هذا الذي كنتم به تَدَّعونَ ﴾ أي تطلبون وتستعجلون به من الدعاء ، أو تدَّعون أن لا بعث بعد الموت .

[٢٨] ﴿ قلْ أرأيتُمْ إنْ أهلَكنيَ اللّـهُ ومَنْ معيَ ، أو رَحِمَنا فمنْ يُجيرُ الكافرين من عذابٍ أليم ﴾ .

[٢٩] ﴿ قلْ : هو الرّحمن آمنَّا بِهِ ، وعليهِ توكَّلْنا ﴾ أي اعتمدنا في أمورنا ﴿ فستعلمونَ منْ هو في ضلالٍ مُبِينٍ ﴾ إذا جاء نصر الله والفتح في الدنيا ، ونشأته الثانية في الآخرة .

ربع الحزب ٥٧

[٣٠] ﴿ قلْ أرأيتم إنْ أصبح ماؤكم غوْراً ﴾ غائراً لا تناله الدلاء ، أو ذاهباً في الأرض ﴿ فمَنْ يأتيكم بماءٍ معينٍ ﴾ جارٍ ظاهرٍ سهل التناول ؟

[سورة القلم]

مكّية . وآيها اثنتان وخمسون آية .

[١] ﴿ ن ﴾ اسم للحرف ، قصد به التحدي . أو اسم للسورة . ويُقرأ : نون ﴿ والقَلَمِ ﴾ الذي يُخَطُّ به ﴿ وما يَسطرونَ ﴾ أي يكتبون .

[٢] ﴿ ما أنتَ بنعمةِ ربك بمجنونٍ ﴾ جواب القسم ، قصد به تكذيب المشركين في إفكهم المحدث عنه واتهامهم إياه ﷺ بالجنون .

[٣] ﴿ وإنَّ لكَ لأجْراً ﴾ ثواباً على أذى المشركين ، واحتمال هذا الطعن ، والصبر عليه ﴿ غيرَ ممْنونٍ ﴾ غير منقوص ولا مقطوع . [٤] ﴿ وإنَّكَ لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾ أي أدب عظيم ، وذلك أدب القرآن الذي أدّبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه . [٥] ﴿ فَسَتُبْصِرُ ويُبصِرونَ ﴾ أي أولئك الجاحدون المتفوّهون بتلك العظيمة . [٦] ﴿ بأييكُمُ المفتُونُ ﴾ أي المجنون . [٧] ﴿ إنَّ ربَّك هو أعلَمُ بمَنْ ضلَّ عن سبيلِهِ ﴾ عن طريق الحق الذي أمر به ﴿ وهو أعلمُ بالمُهْتدينَ ﴾ بمن اتبع الحقَّ ، وسلك سبيله ، فسيجزي الفريقين . [٨] ﴿ فلا تُطِعِ المُكذِّبينَ ﴾ بآيات الله ، وما جاءهم من الحقِّ . [٩] ﴿ ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فيُدْهِنونَ ﴾ أي : لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم ، فيلينون لك في عبادتهم إلهك . [١٠] ﴿ ولا تُطِعْ كلَّ حلاَّفٍ مَّهينٍ ﴾ كل كثير الحلْف حقير الرأي والتمييز . [١١] ﴿ همَّازٍ ﴾ عيَّاب طعَّان ، والهمز أصله الغمز . فقيل للمغتاب : هماز لأنه يطعن في أعراض الناس بما يكرهون ، وذلك غمز عليهم ﴿ مشّاءٍ بنميمٍ ﴾ نقّال لحديث الناس بعضهم في بعض للإفساد بينهم .

[١٢] ﴿ منّاعٍ للخيرِ ﴾ بخيل بالمال ، ضنين به . والخير : المال ، أو : صادٌّ عن الإسلام ﴿ مُعْتدٍ ﴾ على الناس متجاوز في ظلمهم ﴿ أثيمٍ ﴾ كثير الآثام .

[١٣] ﴿ عُتُلٍّ ﴾ جاف غليظ ، دعيّ ﴿ بعْدَ ذلك زَنيمٍ ﴾ دعيُّ النسب ليس منهم ، أو مريب يعرف بالشرِّ . ومعنى بعد في هذا الموضع معنى مع .

[١٤] ﴿ أنْ كانَ ذا مالٍ وبنينَ ﴾ يعني : ولا تطعه مع هذه المثالب ليَساره وحظه من الدنيا .

[١٥] ﴿ إذا تُتلى عليه آياتُنا ﴾ تُقرأ عليه آيات كتابنا ﴿ قال أساطيرُ الأوّلينَ ﴾ إنكاراً منه أن يكون ذلك من عند الله .

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

[١٦] ﴿ **سنسِمُهُ على الخُرْطوم** ﴾ تقول العرب : وسمته بميسم السوء ، يريدون أنه ألصق به من العار ما لا يفارقه ، فعبَّر بالوسم على الخرطوم ـ الأنف ـ عن غاية الإذلال والإهانة .

[١٧] ﴿ **إنَّا بلوناهُم** ﴾ بلونا مشركي مكة ﴿ **كما بلونا أصحاب الجَنَّةِ** ﴾ ـ أي البستان ـ وهم قوم من أهل الكتاب ، أو ناس من الحبشة ﴿ **إذْ أقسموا ليصرِمُنَّها مُصْبِحين** ﴾ أي ليقطعن ثمارها مبكرين بحيث لا يعلم مسكين بذلك .

[١٨] ﴿ **ولا يستثنونَ** ﴾ ولا يقولون : إن شاء الله .

[١٩] ﴿ **فطافَ عليها طائفٌ من ربِّك** ﴾ طارق من أمر الله ، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلاً ﴿ **وهم نائمونَ** ﴾ غافلون عما يمكر بهم .

[٢٠] ﴿ **فأصبحتْ كالصَّريمِ** ﴾ كالبستان الذي صرم ثمره بحيث لم يبقَ فيه شيء ، أو كالليل الأسود لاحتراقها .

[٢١] ﴿ **فتنادَوْا** ﴾ فنادى بعضهم بعضاً ﴿ **مُصْبحِينَ** ﴾ وقت الصبح ، ولم يشعروا بما جرى عليهم بالليل .

[٢٢] ﴿ **أنِ اغدُوا على حَرْثِكُم** ﴾ اخرجوا إلى زرعكم ﴿ **إنْ كنتُم صارِمينَ** ﴾ قاصدين قطع ثمارها .

[٢٣] ﴿ **فانطلقوا وهُمْ يتخافتون** ﴾ يتسارُّون .

[٢٤] ﴿ **أن لا يدْخُلَنَّها اليومَ عليكُم مسكينٌ** ﴾ فقير .

[٢٥] ﴿ **وغدَوْا على حَرْدٍ** ﴾ على نشاط وسرعة وجدٍّ من أمرهم ، أو على منع وغضب إلى جنتهم ﴿ **قادرين** ﴾ في زعمهم على ما أصروا عليه من الصرام وحرمان المساكين . [٢٦] ﴿ **فلمّا رأوْها** ﴾ رأوْها محترقاً حرثها ﴿ **قالوا إنَّا لضالُّون** ﴾ أنكروها وشكُّوا فيها هل هي جنتهم أم لا .

[٢٧] ﴿ **بلْ نحنُ محرومونَ** ﴾ فقال من علم أنها جنتهم ، بل نحن حرمنا منفعة جنتنا بذهاب حرثها .

[٢٨] ﴿ **قال أوْسَطُهُم** ﴾ أي أعدلهم وخيرهم رأياً : ﴿ **ألَمْ أقُلْ لكم لولا تسبِّحون** ﴾ وكان وعَظَهم حين عزموا عزيمتهم الخبيثة ، فعصَوْه فعيَّرهم .

[٢٩] ﴿ **قالوا سبحانَ ربِّنا إنَّا كُنَّا ظالِمِينَ** ﴾ في ترك استثناء حق المساكين . [٣٠] ﴿ **فأقبلَ بعضُهُم على بعض يتلاوَمون** ﴾ . [٣١] ﴿ **قالوا يا وَيْلَنا إنّا كنَّا طَاغِينَ** ﴾ متجاوزين حدود الله تعالى في تفريطنا وعزمنا السَّيء . [٣٢] ﴿ **عسى ربُّنا أن يُبْدِلَنا خيراً منها** ﴾ بتوبتنا إليه ﴿ **إنَّا إلى ربِّنا راغبون** ﴾ في العفو عما فرط منا والتعويض عما فاتنا . [٣٣] ﴿ **كذلك العذابُ** ﴾ في الدنيا ﴿ **ولَعذابُ الآخرة أكبرُ** ﴾ أي أعظم منه ﴿ **لو كانوا يعلمونَ** ﴾ .

[٣٤] ﴿ **إنَّ للمتَّقين عند ربِّهم جناتِ النَّعيم** ﴾ . [٣٥] ﴿ **أفَنجْعَلُ المسلمينَ كالمجرمينَ** ﴾ المثوبة الحسنى ، والعاقبة الحميدة . [٣٦] ﴿ **ما لكُم كيفَ تحكُمون** ﴾ فإنهما لا يستويان . [٣٧] ﴿ **أم لكُم كتابٌ فيه تدرُسونَ** ﴾ . [٣٨] ﴿ **إنَّ لكُم فيهِ لما تخَيَّرونَ** ﴾ من الأمور لأنفسكم ، وتشتهون لكم . وهذا توبيخ لهم وتقريع فيما كانوا يقولون من الباطل ، ويتمنون من الأمانيِّ الكاذبة . [٣٩] ﴿ **أمْ لكم أيمانٌ علينا بالغةٌ إلى يوم القيامةِ إنَّ لكُم لَما تَحْكُمونَ** ﴾ أي تقضون من أمانيِّكم ومزاعمكم . [٤٠] ﴿ **سَلْهُم أيُّهم بذلك** ﴾ الحكم ﴿ **زعيمٌ** ﴾ كفيلٌ به ، يدعيه ويصححه . [٤١] ﴿ **أمْ لهم شُركاءُ** ﴾ في هذا الزعم يوافقونهم عليه ﴿ **فليأْتوا بشُركائهم إنْ كانوا صادقينَ** ﴾ في دعواهم . [٤٢] ﴿ **يومَ يُكشَفُ عنْ ساقٍ** ﴾ عن أمر شديد من هول يوم القيامة ﴿ **ويُدعَوْن إلى السجودِ فلا يستطيعون** ﴾ لما أحاط بهم من العذاب الهائل الحائل .


الجزء التاسع والعشرون — سورة القلم

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ — ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

٥٦٦

[٤٣] ﴿ **خاشعةً أبصارُهم ترهَقُهم ذِلَّةٌ** ﴾ العصيان السالف لهم ﴿ **وقد كانوا يُدْعَوْن إلى السُّجود وهم سالمونَ** ﴾ المراد عبادة الله وحده .

[٤٤] ﴿ **فذرْني ومن يكذِّب بهذا الحديث** ﴾ فحسبك انتقاماً منه أن تكل أمره إليّ وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يجب أن يُفعل به ، قادر على ذلك ﴿ **سنستدرجُهم من حيثُ لا يعلمونَ** ﴾ سنكيدهم بالإمهال وإدامة الصحة وزيادة النعم من حيث لا يعلمون أنه استدراج وسبب لهلاكهم .

[٤٥] ﴿ **وأُملي لهم** ﴾ أي أمهلهم لتكمل حجة الله عليهم ﴿ **إنَّ كيدي مَتينٌ** ﴾ إن كيدي بأهل الكفر شديد قويٌّ .

[٤٦] ﴿ **أمْ تسألُهم أجْراً** ﴾ على ما أتيتهم من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحقّ ﴿ **فهم من مَغْرَمٍ مُثْقلونَ** ﴾ لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجراً فيثقل عليهم حمله حتى يثبطهم عن الإيمان .

نصف الحزب ٥٧

[٤٧] ﴿ **أمْ عِندَهُمُ الغيبُ فهم يكتُبونَ** ﴾ منه ما يحكمون به ، فيجادلونك بما فيه ، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به ، وأنهم مستغنون عن وحيه وتنزيله .

[٤٨] ﴿ **فاصبرْ لحُكْم ربِّكَ** ﴾ لا يثنيك عن تبليغ ما أُمرتَ به ، أذاهم وتكذيبهم ﴿ **ولا تكُنْ كصاحبِ الحوتِ** ﴾ يعني يونس عليه السلام ﴿ **إذْ نادى** ﴾ دعا ربه في بطن الحوت ﴿ **وهو مَكْظومٌ** ﴾ مملوء غيظاً وغماً .

[٤٩] ﴿ **لولا أنْ تَداركَهُ نعمةٌ من ربِّهِ** ﴾ وهو قبول توبته ورحمته ، تضرعه وابتهاله ﴿ **لنُبِذَ بالعراء وهو مذْمومٌ** ﴾ لولا توبته لكانت حاله على الذم . والعراء : الفضاء من الأرض .

[٥٠] ﴿ **فاجتباهُ ربُّه** ﴾ برحمته فقرّبه تعالى إليه ﴿ **فجعلَهُ مِنَ الصَّالحينَ** ﴾ لمقام النبوّة والرّسالة . [٥١] ﴿ **وإنْ يكادُ الذينَ كفروا ليُزْلِقونك بأبصارهم** ﴾ يعني أنهم من شدّة تحديقهم ، ونظرهم إليك شزراً ، بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يُزلّون قدمك أو يهلكونك ﴿ **لمّا سمعوا الذِّكْرَ** ﴾ أي القرآن ﴿ **ويقولونَ إنّه لمجنونٌ** ﴾ من الهذيان الذي يهذي به في جنونه ، لعدم تمالك أنفسهم من الحسد منه والتنفير عنه .

[٥٢] ﴿ **وما هو إلا ذِكْرٌ للعالمين** ﴾ أي عظة وحكمة وتنبيه لهم ، على ما في عقولهم وفِطَرهم من التوحيد ، فكيف يجن من جاء بمثله ؟

[سورة الحاقّة]

مكيّة . وعدد آياتها اثنتان وخمسون آية .

[١] ﴿ **الحاقّة** ﴾ السّاعة الحاقة التي تحق فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال . [٢] ﴿ **ما الحاقّة** ﴾ الاستفهام كناية عن لازمة ، من أنها لا تُعلم . [٣] ﴿ **وما أدراكَ ما الحاقّة** ﴾ . [٤] ﴿ **كذَّبت ثمودُ وَعادٌ بالقارعة** ﴾ بالساعة التي تقرع الناس بأهوالها وهجومها عليهم . [٥] ﴿ **فأمَّا ثمودُ** ﴾ وهم قوم صالح عليه السلام ﴿ **فأُهلِكوا بالطّاغيةِ** ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدَّة ، أو بطغيانهم . [٦] ﴿ **وأمَّا عادٌ** ﴾ وهم قوم هود عليه السّلام ﴿ **فأُهلِكوا بريح صرصرٍ** ﴾ شديدة العصوف والبرد ﴿ **عاتيةٍ** ﴾ متجاوزة الحد المعروف في الهبوب والبرودة . [٧] ﴿ **سَخَّرها** ﴾ سلّطها ﴿ **عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام حُسُوماً** ﴾ متتابعة ، نحسات حسمت كل خير واستأصلته ، أو قاطعات قطعت دابرهم ﴿ **فترى القوم فيها صَرْعى** ﴾ هلكى ﴿ **كأنَّهم أعجازُ نخْلٍ خاويةٍ** ﴾ ساقطة مجتثة من أصولها . [٨] ﴿ **فهل ترى لهم مِنْ باقية** ﴾ بقاءً ، أو نفس باقية ، أو بقية .

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

[٩] ﴿ **وجاء فرعونُ ومَنْ قَبْلَهُ** ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود ﴿ **والمؤْتَفِكاتُ** ﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿ **بالخاطِئةِ** ﴾ بالأفعال الخاطئة .

[١٠] ﴿ **فعصَوْا رسولَ ربِّهم فأخذهُم أخْذةً رابيةً** ﴾ أي زائدة في الشِّدَّة .

[١١] ﴿ **إنَّا لمَّا طغى الماءُ** ﴾ كثر وتجاوز حده المعروف ﴿ **حملناكُم في الجارية** ﴾ السفينة التي تجري في الماء .

[١٢] ﴿ **لنجعلَها** ﴾ أي تلك الفعلة التي هي إنجاد المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿ **لكم تَذْكِرةً** ﴾ آية وعبرة تذكرون بها صدق وعده في نصر رسله ، وتدمير أعدائه ﴿ **وتَعِيَهَا** ﴾ تحفظها ﴿ **أُذُنٌ واعيةٌ** ﴾ حافظة لما سمعت عن الله ، متفكّرة فيه .

[١٣] ﴿ **فإذا نُفِخَ في الصُّور نفخةٌ واحدةٌ** ﴾ لخراب العالم .

[١٤] ﴿ **وحُمِلتِ الأرضُ والجبالُ فدُكَّتا دكَّةً واحدةً** ﴾ رفعتا وضُربتا ببعضهما من شدة الزلازل .

[١٥] ﴿ **فيومئذٍ وقعتِ الواقعةُ** ﴾ نزلت النَّازلة ، وهي القيامة .

[١٦] ﴿ **وانشقَّت السَّماءُ** ﴾ انصدعت ﴿ **فهي يومئذٍ واهيةٌ** ﴾ متمزِّقة .

[١٧] ﴿ **والملَكُ على أرجائها** ﴾ جوانبها وأطرافها حين تشقق ﴿ **ويحملُ عرشَ ربِّك فوقَهم** ﴾ فوق الملائكة الذين هم على أرجائها ﴿ **يومئذٍ ثمانيةٌ** ﴾ من الملائكة أو من صفوفها .

[١٨] ﴿ **يومئذٍ تُعْرَضون** ﴾ على ربكم للحساب والمجازاة ﴿ **لا تخفى منكم خافيةٌ** ﴾ أي سريرة كانت تخفى في الدنيا بستر الله . [١٩] ﴿ **فأمَّا من أُوتِيَ كتابَه بيمينِه** ﴾ علامة لفوزه ﴿ **فيقولُ هاؤمُ اقرؤوا كتابِيَهْ** ﴾ خذوا . والهاء للسكت لا ضمير غيبة . [٢٠] ﴿ **إني ظننتُ** ﴾ علمت ﴿ **أنِّي مُلاقٍ حسابِيَهْ** ﴾ أي جزائي يوم القيامة فأعددت له عدته من الإيمان والعمل الصالح . [٢١] ﴿ **فهو في عِيشَةٍ راضيةٍ** ﴾ ذات رضا متلبسة به فيكون بمعنى مرضية . [٢٢] ﴿ **في جنة عاليةٍ** ﴾ .

[٢٣] ﴿ **قُطُوفُها** ﴾ جمع قِطْف بكسر القاف ، وهو ما يقطف من ثمرها ﴿ **دانيةٌ** ﴾ قريبة سهلة التناول . [٢٤] ﴿ **كُلوا** ﴾ يقال لهم : كلوا ﴿ **واشربوا هنيئاً بما أسْلَفْتُم في الأيَّام الخاليةِ** ﴾ أي الماضية في الحياة الدُّنيا . [٢٥] ﴿ **وأمَّا من أُوتِيَ كتابَهُ بشماله فيقولُ** ﴾ عندما يلاقي العذاب : ﴿ **يا ليتني لم أُوتَ كتابِيَهْ** ﴾ . [٢٦] ﴿ **ولَمْ أدْرِ ما حِسَابِيَهْ** ﴾ أي شيء عن حسابي . [٢٧] ﴿ **يا ليتها كانت القاضية** ﴾ يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث . والقضاء : هو الفراغ . [٢٨] ﴿ **ما أغنى عنِّي مالِيَه** ﴾ ما دفع من عذاب الله شيئاً .

[٢٩] ﴿ **هلك عنِّي سُلْطانِيَهْ** ﴾ أي ملكي وتسلطي على النَّاس ، أو حجَّتي ، فلا حجة لي أحتجُّ بها .

[٣٠] ﴿ **خُذوهُ** ﴾ يقال لخزنة النَّار : خذوه بالقهر والشِّدَّة ﴿ **فغلُّوهُ** ﴾ ضموا يده . [٣١] ﴿ **ثمَّ الجحيمَ صَلُّوهُ** ﴾ أدخلوه ليصلى فيها شدائد النقم .

[٣٢] ﴿ **ثم في سلسلةٍ** ﴾ أي حلقة منتظمة بأخرى وهي بثالثة وهلمَّ جرًّا ﴿ **ذرْعها** ﴾ مقدارها ﴿ **سبعونَ ذراعاً فاسلُكُوهُ** ﴾ فأدخلوه فيها . أي لفّوه بها .

[٣٣] ﴿ **إنَّه كان لا يؤمِنُ باللَّهِ العظيمِ** ﴾ المستحق للعظمة وحده ، بل كان يُشْرِك معه الجماد المهين .

[٣٤] ﴿ **ولا يَحُضُّ على طعامِ المسكينِ** ﴾ أي : إطعامه ، فضلاً عن بذله ، لتناهي شحّه .

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

[٣٥] ﴿ فليس لـهُ اليومَ ها هنا حميمٌ ﴾ قريب تـأخذه الحميَّة له .

[٣٦] ﴿ ولا طعـامٌ إلا من غِسْلينٍ ﴾ من غسالـة أهل النّار وصديدهم .

[٣٧] ﴿ لا يأكلـه إلا الخاطِئُونَ ﴾ الآثمون أصحـاب الخطايا .

[٣٨] ﴿ فلا أُقسِمُ بما تُبْصِرونَ ﴾ .

[٣٩] ﴿ وما لا تُبْـصِرونَ ﴾ بالمشاهدات والمغيبات . وهذا القسم يعم جميع الأشيـاء فشمل الخالق والخلق ، والدنيا والآخرة ، وهكذا .

[٤٠] ﴿ إنَّه ﴾ يعني القرآن الكـريم ﴿ لَـقَوْلُ رسولٍ كريمٍ ﴾ وهــو محمـد ﷺ يبلغــه عن الله تعـالى ، لأن الرسـول لا يبلغ عن نفسه .

[٤١] ﴿ وما هو بقولِ شاعرٍ ﴾ كما تزعمون ﴿ قليلاً ما تُؤْمنونَ ﴾ القلَّة : كناية عن النفي والعدم .

[٤٢] ﴿ ولا بقولِ كاهِنٍ ﴾ كما تدَّعون مـرة أخرى بأنه من سجع الكهَّـان ﴿ قليلاً ما تَـذَكَّرون ﴾ أي تتعظـون وتعتبرون .

[٤٣] ﴿ تنزيلٌ ﴾ أي هو تنزيل ﴿ منْ ربِّ العالمينَ ﴾ .

[٤٤] ﴿ ولو تـقَـوَّلَ علينـا بعضَ الأقاويلِ ﴾ أي لـو افترى علينا .

[٤٥] ﴿ لأخذْنا منهُ باليمينِ ﴾ لأهنّاه .

[٤٦] ﴿ ثمَّ لقطعنا منـهُ الوتينَ ﴾ « الوتين » الحلقوم .

[٤٧] ﴿ فما منكم مِنْ أحدٍ عنـهُ حاجِزينَ ﴾ فما يمنعه منا أحد لو تقوّل علينا أي شيء .

[٤٨] ﴿ وإنَّه ﴾ أي القرآن ﴿ لتذكرةٌ للمُـتّقينَ ﴾ أي عظة لهم . [٤٩] ﴿ وإنَّا لنعلمُ أنَّ منكُم مكذِّبينَ ﴾ إيثاراً للدنيا والهوى .

[٥٠] ﴿ وإنَّه لحَسْرةٌ على الكافرينَ ﴾ أي ندامة عليهم ، إذا رأوا ثواب المؤمنين به .

[٥١] ﴿ وإنَّه لحقُّ اليقينِ ﴾ للحق اليقين الذي لا ريب فيه . [٥٢] ﴿ فسبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العظيمِ ﴾ .

[سورة المعارج]

مكيّة . وعدد آياتها أربع وأربعون آية . وتسمى : سورة سأل سائل .

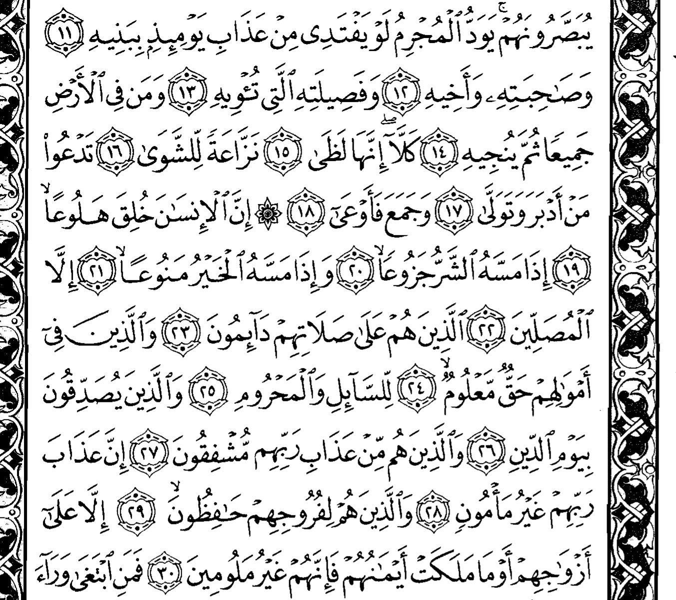
[١] ﴿ سألَ سائلٌ بعذابٍ واقِـعٍ ﴾ أي دعا داع بعذاب يقع في الآخرة . [٢] ﴿ للكافرين ليس لَـهُ دافعٌ ﴾ . [٣] ﴿ من اللَّهِ ذي المعارج ﴾ قال ابن جرير : يعني : ذا العلو والدرجات والفواضل والنِّعم [٤] ﴿ تعرُجُ الملائكةُ والروحُ ﴾ أي جبريل عليه السلام ﴿ إليه في يوم كان مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سَنةٍ ﴾ مقداره خمسين ألف سنة من سنوات النَّاس . [٥] ﴿ فاصْبِرْ صبراً جميلاً ﴾ على ما يقولون ، ولا يـضق صـدرُك ، فقد قرب الانتقام منهم .

[٦] ﴿ إنَّـهُم يرَوْنَـهُ ﴾ أي العذاب الدنيويّ أو الأخرويّ ﴿ بعيداً ﴾ لعدم إيمانهم بوعيده تعالى يستبعدون وقوع العذاب عليهم .

[٧] ﴿ ونَراهُ قريباً ﴾ أي قريب الحضور . [٨] ﴿ يومَ تكونُ السَّماءُ كالمُهْلِ ﴾ كالشيء المذاب .

[٩] ﴿ وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ ﴾ كالصوف .

[١٠] ﴿ ولا يسْألُ حميمٌ حميمـاً ﴾ لا يسأل قريب قريباً عن شأنه ، لشغله بنفسه .



[١١] ﴿ يُبَصَّرونَهُم ﴾ يعرف بعضهم بعضاً ثم يفر بعضهم من بعض ﴿ يَوَدُّ المُجرمُ ﴾ يتمنى الكافر ﴿ لو يفتدي من عذابِ يومئذٍ ببَنيه ﴾ الذين هم محل شفقته .

[١٢] ﴿ وصاحبتِهِ ﴾ زوجته التي هي أحب إليه ﴿ وأخيه ﴾ الذي يستعين به في النّوائب .

[١٣] ﴿ وفصيلَتِهِ ﴾ أي عشيرته ﴿ التي تُؤويه ﴾ تضمه إليها عند الشدائد .

[١٤] ﴿ ومَنْ في الأرضِ جميعاً ثمَّ يُنْجيه ﴾ الافتداء ، أو المذكور ، أو من في الأرض . عطف على (يفتدي) .

[١٥] ﴿ كلاَّ ﴾ لا يكون ذلك ﴿ إنها لظى ﴾ النّار الموعود بها المجرم هي لهب خالص .

[١٦] ﴿ نزّاعةً للشّوى ﴾ أي الأطراف كاليد والرجل . أو جمع شواة وهي جلد الرأس .

[١٧] ﴿ تدعو مَنْ أدبَرَ ﴾ عن الحق ﴿ وتولَّى ﴾ عن الطاعة .

[١٨] ﴿ وجمَعَ ﴾ المال ﴿ فأوْعى ﴾ جعله في وعاء وكنزه ، ومنع حقَّ الله منه ، فلم يزكِّ ، ولم ينفق فيما أوجب الله إنفاقه فيه .

[١٩] ﴿ إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلوعاً ﴾ قليل الصبر شديد الحرص .

[٢٠] ﴿ إذا مسّهُ الشّرُّ ﴾ أي الضرُّ والبلاء ﴿ جَزوعاً ﴾ كثير الجزع من قلة صبره .

[٢١] ﴿ وإذا مسّهُ الخيرُ ﴾ أي كثر ماله ﴿ مَنوعاً ﴾ بخيل به ، لشدَّة حرصه . [٢٢] ﴿ إلا المصَلِّينَ ﴾ . [٢٣] ﴿ الذينَ هُمْ على صلاتِهِم دائمونَ ﴾ مقيمون لا يضيِّعون منها شيئاً . [٢٤] ﴿ والذين في أموالِهِم حقٌّ معلومٌ ﴾ . [٢٥] ﴿ للسّائلِ والمحروم ﴾ أي المتعفِّف الذي أدبرت عنه الدنيا ، فلا يسأل النّاس . [٢٦] ﴿ والذين يُصدِّقون بيومِ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء . [٢٧] ﴿ والذين هُمْ من عذابِ ربِّهم مُشْفِقونَ ﴾ أي : وجلون أن يعذبهم في الآخرة ، فهم من خشية ذلك لا يضيِّعون له فرضاً ولا يتعدَّونَ حدّاً . [٢٨] ﴿ إنَّ عذابَ ربِّهم غيرُ مأْمونٍ ﴾ أن ينال من عصاه ، وخالف أمره . [٢٩] ﴿ والذينَ هُمْ لفُروجِهِم حافِظونَ ﴾ أي لغلبة ملكة الصبر وامتلاك ناصيته . [٣٠] ﴿ إلاّ على أزواجِهِم ، أو ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُم ، فإنّهم غيرُ مَلُومينَ ﴾ بإتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم من الإماء . [٣١] ﴿ فمن ابتغى وراءَ ذلكَ ﴾ أي التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته أو ملك يمينه من الإناث ﴿ فأولئك هُمُ العادونَ ﴾ الذين عدَوْا ما أحلَّ الله لهم ، إلى ما حرَّمه عليهم . [٣٢] ﴿ والذين هم لأماناتِهم وعهدِهم راعونَ ﴾ أي : لأمانات الله تعالى وأمانات عباده التي ائتمنوا عليها ، وعهوده التي أخذها عليهم . [٣٣] ﴿ والذين هم بشهاداتِهم قائِمونَ ﴾ لا يكتمون ما استشهدوا عليه .

[٣٤] ﴿ والذين هم على صلاتِهِم يُحافِظونَ ﴾ لا يضيِّعون لها ميقاتاً ولا حدّاً . [٣٥] ﴿ أولئك في جنّاتٍ مُكْرَمونَ ﴾ بثواب الله تعالى .

[٣٦] ﴿ فما للذين كفروا قبلكَ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين للحضور ليظفروا بما يتخذونه هزواً . [٣٧] ﴿ عنِ اليمينِ وعنِ الشِّمالِ عِزينَ ﴾ متفرِّقين حلقاً ومجالس ، جماعة جماعة ، مُعْرِضين عنك ، وعن كتاب الله . [٣٨] ﴿ أيطْمَعُ كلُّ امرئٍ منهم أنْ يُدْخَلَ جنَّةَ نعيمٍ ﴾ ولم يتَّصف بصفات أهلها .

[٣٩] ﴿ كلاَّ ﴾ لا يكون ذلك ﴿ إنّا خلقْناهُم ممّا يعلَمونَ ﴾ أي من النطف . يعني : ومن يقدر على ذلك فلا يعجزه إهلاكهم .



الجزء التاسع والعشرون — سورة نوح

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ — ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

٥٧٠

[٤٠] ﴿ فلا أُقسمُ بربِّ المشارقِ والمغاربِ ﴾ يعني : مشرق كل يوم من السنة ومغربه ، أو مشرق كل كوكب ومغربه ، أو الأقطار التي تشرق فيها الشمس وتغرب ، والمشرق يشرق في كل ثانية وكذلك المغرب، فالأرض دوماً في شروق من جهة وفي غروب من جهة أخرى ﴿ إنّا لقادرونَ ﴾ .

[٤١] ﴿ على أنْ نبدِّلَ خيراً منهم وما نحنُ بمسبوقينَ ﴾ أي بمغلوبين ، إن أردنا ذلك .

[٤٢] ﴿ فذرْهُم يخوضوا ويلْعَبوا حتى يُلاقوا يومَهُمُ الذي يُوعَدونَ ﴾ أي أخذهم فيه وهلاكهم .

[٤٣] ﴿ يوم يخرجونَ من الأجداثِ سِراعاً كأنّهم إلى نُصُبٍ يُوفِضونَ ﴾ أي يسرعون . و النصب : الصنم المنصوب للعبادة ، أو العلم المنصوب على الطريق ليهتدي به السالك .

[٤٤] ﴿ خاشعةً أبصارُهُم ﴾ من الخزي والهوان ﴿ ترْهَقُهُم ذِلّةٌ ﴾ تغشاهم ذلّة من هول ما حاق بهم ﴿ ذلكَ اليوْمُ الذي كانوا يُوعَدونَ ﴾ بأنهم ملاقوه .

[سورة نوح]

مكيّة . وعدد آياتها ثمان وعشرون آية .

[١] ﴿ إنَّا أرْسَلْنا نوحاً إلى قومِه أنْ أنْذِرْ قومَكَ مِنْ قَبْلِ أنْ يأْتيَهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ يعني عذاب الطوفان .

[٢] ﴿ قال : يا قومِ إنِّي لكُم نذيرٌ مبينٌ ﴾ .

[٣] ﴿ أن اعبُدُوا اللّهَ واتّقوهُ وأطيعونِ ﴾ .

[٤] ﴿ يغفرْ لكم من ذُنوبِكم ﴾ يعفو عنها ، أو هو ما سبق ، فإن الإسلام يجبُّ ما قبله ﴿ ويُؤخِّرْكُم إلى أجلٍ مُسمَّىً ﴾ فلا يعاجلكم بعذاب غرق أو نحوه ﴿ إنَّ أجلَ اللّهِ ﴾ الذي كتبه على من كذّب وتولّى ﴿ إذا جاء لا يُؤَخَّرُ لو كنتم تعلمونَ ﴾ لو كنتم من أهْل العلم والنظر لأنبْتُم .

[٥] ﴿ قالَ ﴾ نوحٌ عليه السلام بعد أن بذل غاية الجهد وضاقت عليه الحيل في تلك المدد الطوال ﴿ ربِّ إنِّي دعوْتُ قوْمي ﴾ إلى التوحيد والعمل الصالح ﴿ ليلاً ونهاراً ﴾ أي دعاءً دائماً بلا فتور ولا توانٍ .

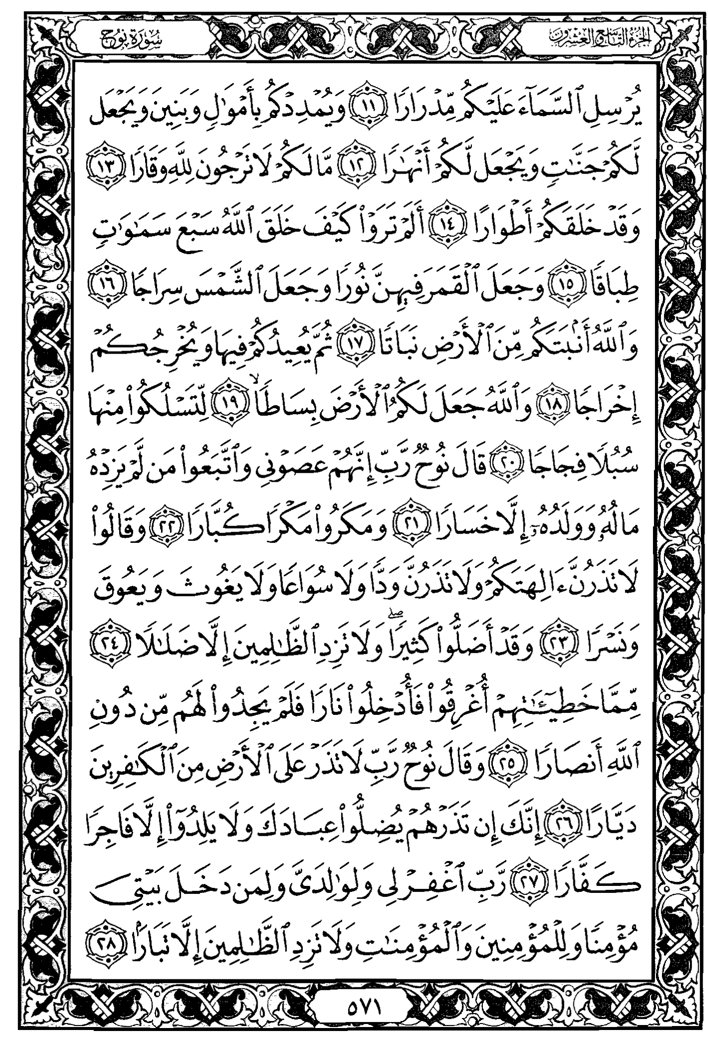
[٦] ﴿ فلَمْ يَزِدْهُم دُعائي إلاّ فِراراً ﴾ من الحقِّ الذي أرْسلتني به .

[٧] ﴿ وإنّي كُلّما دعوْتُهُم ﴾ إلى الإيمان ﴿ لِتَغْفِرَ لَهُم ﴾ أي بسببه ﴿ جعلوا أصابعَهُم في آذانِهِم ﴾ سدُّوا مسامعهم من استماع الدعوة ﴿ واستغْشَوْا ثيابَهُم ﴾ تغطَّوا بها من كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في الدِّين ﴿ وأصَرُّوا ﴾ على الشرِّ والكفر ﴿ واستكْبَروا استكباراً ﴾ تعاظموا عن الإذعان للحق ، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة .

[٨] ﴿ ثمَّ إنِّي دعوْتُهُم جِهاراً ﴾ ما بين مجاهرة وإظهار بلا خفاء، وما بين إعلان وصياح بهم . وما بين إسرار في خفاء . وهذه المراتب أقصى ما يمكن للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر .

[٩] ﴿ ثمَّ إنِّي أعْلنتُ لهُم وأسْررْتُ لهم إسْراراً ﴾ دعوتهم مرة بعد مرة على وجوه متنوعة .

[١٠] ﴿ فقلت : استغْفِروا ربَّكُم ﴾ سلوه العفو عمَّا سلف بالتوبة النصوح ﴿ إنَّهُ كانَ غفَّاراً ﴾ لمن تاب وأناب .



الجزء التاسع والعشرون — سورة نوح

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

٥٧١

[١١] ﴿ **يُرسل السَّماءَ** ﴾ أي المطر ﴿ **عليكُمْ مِدْراراً** ﴾ متتابعاً .

[١٢] ﴿ **ويُمْدِدكُم بأموالٍ وبنينَ** ﴾ فيكثرها عندكم ﴿ **ويجعلْ لكُم جنَّاتٍ** ﴾ بساتين ﴿ **ويجعلْ لكُم أنهاراً** ﴾ لسقيا جناتكم ومزارعكم .

[١٣] ﴿ **ما لكم لا ترْجونَ لله وَقَاراً** ﴾ لا ترون له عظمةً ، إذْ تشركونَ معه من لا يسمع ولا يُبصر .

[١٤] ﴿ **وقدْ خلقكُم أطْواراً** ﴾ تراباً ثم نطفاً ثم علقاً ثم مُضَغاً ثم أجنَّةً ، وهكذا طوراً بعد طور .

[١٥] ﴿ **أَلَمْ تروْا كيفَ خلقَ اللّـهُ سبعَ سمواتٍ طِباقاً** ﴾ .

[١٦] ﴿ **وجعل القمر فيهِنَّ نوراً وجعلَ الشَّمسَ سِراجاً** ﴾ يزيل ظلمة الليل وينير وجه الأرض .

[١٧] ﴿ **واللَّهُ أنْبتَكُم من الأرضِ نَباتاً** ﴾ أي أنشأكم منها .

[١٨] ﴿ **ثمَّ يُعيدُكُم فيها** ﴾ بالموت ﴿ **ويُخْرِجُكُم إخراجاً** ﴾ للحساب والجزاء .

[١٩] ﴿ **واللَّـهُ جعلَ لكُمُ الأرضَ بِساطاً** ﴾ تستقرُّون عليها وتمتهدونها .

[٢٠] ﴿ **لتسلُكُوا منها سُبُلاً فِجاجاً** ﴾ أي طُرُقاً مختلفة .

[٢١] ﴿ **قال نوحٌ : ربِّ إنَّهم عصَوْني** ﴾ أي خالفوا أمري ﴿ **واتَّبعوا مَنْ لم يزدْهُ مالُهُ وولدُهُ إلاّ خَساراً** ﴾ أي رؤساءهم المتبوعين أهل الجاه والمال ، المُعرضين عن الحقِّ ، الذين غرَّتهم الأموال والأولاد فهلكوا بسببهما .

[٢٢] ﴿ **ومكروا مكراً كُبَّاراً** ﴾ متناهياً في الكِبْر .

[٢٣] ﴿ **وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ، ولا تذرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسْراً** ﴾ قال قتادة : كانت آلهة يعبدها قوم نوح ، ثم عبدتها العرب بعد ذلك .

[٢٤] ﴿ **وقدْ أضلُّوا كثيراً** ﴾ أضلَّت هذه الأصنام ، أو رؤساء الكفر أقواماً كُثُر ﴿ **ولا تَزِدِ الظَّالمين إلاَّ ضَلالاً** ﴾ أي خُذلاناً واستدراجاً . وإنما دعا ذلك ليأسه من إيمانهم .

[٢٥] ﴿ **ممَّاخطيئاتِهم** ﴾ من أجلها ﴿ **أُغرقوا** ﴾ بالطوفانِ ﴿ **فأُدْخِلوا ناراً** ﴾ أي أُذيقوا به عذاب النَّار ﴿ **فلَمْ يجدوا لهُم مِنْ دونِ اللَّهِ أنْصاراً** ﴾ .

[٢٦] ﴿ **وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ** ﴾ أرض قومه لأن رسالته محدودة بهم ﴿ **من الكافرينَ ديَّاراً** ﴾ أي أحداً . الدَّيَّار : من يدور في الأرض فيذهب ويجيء فيها .

[٢٧] ﴿ **إنَّكَ إنْ تذَرْهُم يُضِلُّوا عبادَكَ** ﴾ عن طريق الحق ﴿ **ولا يلِدوا إلاَّ فاجِراً كفَّاراً** ﴾ إلا من سيفجر ويكفر .

[٢٨] ﴿ **ربِّ اغفِرْ لي ولوالِدَيَّ** ﴾ ربِّ اعف عنِّي ، واستر عليَّ ذنوبي وعلى والديَّ ﴿ **ولمَنْ دخلَ بيتيَ مؤمناً** ﴾ ولمن دخل مسجدي ومصلاي ، مصليّاً مؤمناً بواجب فرضك عليَّ . وقيل : بيتي منزلي ﴿ **وللمُؤْمنينَ والمؤْمناتِ ، ولا تزدِ الظَّالمينَ إلا تَباراً** ﴾ أي هلاكاً وخساراً .

سُورَةُ الجِنِّ

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

الحزب ٥٨

[سورة الجنّ]

مكية . وعدد آياتها ثمان وعشرون آية .

[١] ﴿ **قلْ أُوحِيَ إليَّ أنَّـه استمعَ نفرٌ من الجنِّ** ﴾ لهذا القرآن الحكيم . والنفر : ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وقد يستعمل إلى الأربعين كالرهط ﴿ **فقالوا** ﴾ لما رجعوا إلى قومهم ﴿ **إنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً** ﴾ غريباً لا يدخل تحت قدرة الخلق .

[٢] ﴿ **يَهْدي إلى الرُّشْدِ** ﴾ أي إلى الحقّ وسبيل الصواب ﴿ **فآمنَّا بـهِ ، ولنْ نُشْرِكَ بربِّنا أحَداً** ﴾ من خلقـه ، في العبادة معه .

[٣] ﴿ **وأنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا ما اتَّخذَ صاحِبةً ولا وَلَداً** ﴾ تعالى ملكـه وعظمتـه وصدق ربـوبيتـه ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

[٤] ﴿ **وأنَّـه كـانَ يقولُ سفيهُنـا** ﴾ يعنـون بـه مضلهم ومغويهم ﴿ **على اللَّهِ شَطَطـاً** ﴾ قـولاً ذا شطـط وأصلـه مجاوزة الحدِّ .

[٥] ﴿ **وأنَّـا ظَنَـنَّا أنْ لَنْ تقـولَ الإنْسُ والجنُّ على اللَّـهِ كذباً** ﴾ في نسبة ما ليس بحق ، إليه سبحانه .

[٦] ﴿ **وأنَّه كـانَ رجالٌ من الإنْسِ يَعوذونَ برجـالٍ من الجنِّ فزادوهم رَهَقاً** ﴾ فزادوهم باستعاذتهم بهم غيّاً وإثماً وضـلالاً ، أو لـلإنس على معنى : فـزادوا الجن باستعاذتهم كِبراً وعتواً . روى ابن جرير عن ابن عباس قال : كـان رجال من الإنس يبيت أحدهم بـالوادي في الجاهلية فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادي . فزادهم ذلك إثماً . ففي الآية إشـارة إلى ما كانوا يعتقدون في الجاهلية من أن الوديـان مقرُّ الجن وأن رؤسـاءها تحميهم منهم . [٧] ﴿ **وأنَّهم** ﴾ وأوحـي إليَّ أن الجنَّ ﴿ **ظنُّوا كما ظننتُم** ﴾ في جاهليتكم ﴿ **أنْ لنْ يبعثَ اللَّهُ أحَداً** ﴾ أي رسولاً إلى خلقه يدعوهم إلى توحيده وما فيه سعادتهم ، أو لن ينشر اللَّهُ أحداً من قبره للحساب والجزاء .

[٨] ﴿ **وأنَّا لمسنا السماء** ﴾ أي تطلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها ﴿ **فوجَدْناها مُلِئَتْ حرساً شديداً وشُهُباً** ﴾ أي حفظة ورواجم .

[٩] ﴿ **وأنَّا كُنَّا نقعُدُ منها مقاعِدَ للسَّمْعِ ، فمن يستمِعِ الآنَ يجِدْ لهُ شِهاباً رَصَداً** ﴾ كنَّا نقعد من السَّماء مقاعدَ لنستمع ما يحدث ، وما يكون فيها ، فمن يستمع الآن فيها له شهاب نار قد رصد له .

[١٠] ﴿ **وأنَّا لا ندريَ أشرٌّ أُريدَ بمَنْ في الأرْضِ أمْ أرادَ بهم ربُّهُم رَشَداً** ﴾ يعنون حتى علموا بعد استماعهم القرآن ، أنه لخير أريد بهم ، وذلك بعثة نبي مصلح يرشد إلى الحقِّ .

[١١] ﴿ **وأنَّا مِنَّا الصالِحُون** ﴾ المسلمون العاملون بطاعة الله ﴿ **ومِنَّا دُونَ ذلك** ﴾ وهم المقتصدون في الصلاح غير الكـاملين فيه ، أو الكافرون ﴿ **كُنَّا طرائقَ قِدَداً** ﴾ أي أهواء مختلفة وفرقاً شتى .

[١٢] ﴿ **وأنَّا ظَنَنَّا** ﴾ أي علمنا ﴿ **أنْ لَنْ نُعْجزَ اللَّهَ في الأرْضِ** ﴾ إن أراد بنا سوءاً ﴿ **ولنْ نُـعْجِزَهُ هَرَباً** ﴾ إنْ طلبنا .

[١٣] ﴿ **وأنَّا لَمَّا سمِعْنا الهُدى** ﴾ أي القرآن الـذي يهدي إلى الطريق المستقيم ﴿ **آمنَّا بِهِ** ﴾ صدَّقنا بأنـه حقٌّ من عند اللَّهِ ﴿ **فمَنْ يُؤْمِن بربِّـهِ فلا يَخافُ بَخْساً** ﴾ أي نقصاً من حسناته فلا يجازى عليها ﴿ **ولا رَهَقاً** ﴾ أن ترهقه ذلَّة .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

[١٤] ﴿ **وأَنَّـا مِنّـا المسلمونَ ومنّـا القـاسِطـونَ** ﴾ أي الكافرون الجائرون عن طريق الحق ﴿ **فمن أَسْلَمَ فَأُولئك تَـحَرَّوْا رَشَداً** ﴾ قصدوا صواباً واستقامة .

[١٥] ﴿ **وأَمّا القـاسِطونَ فكـانوا لجهنَّـم حَطَباً** ﴾ توقد بهم ، كما توقد بكفّار الإنس . إلى هنا انتهى كلام الجن وبدأ كلام الله سبحانه .

[١٦] ﴿ **وأَلَّو استَـقاموا** ﴾ الجنُّ أو الإنس أو كـلاهما ﴿ **على الطريقةِ** ﴾ أي طريقة الحق والعدل ﴿ **لأسْقيناهُمْ ماءً غَدَقاً** ﴾ لوسّعنا عليهم الرزق .

[١٧] ﴿ **لِنَفْتِنَـهُمْ فيه** ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خوّلوا منه ﴿ **ومَن يُعْرِضْ عن ذِكْرِ ربِّه** ﴾ أي عبادته أو موعظته ﴿ **يَسْلُـكْهُ عذاباً صَعَداً** ﴾ شديداً شاقاً .

[١٨] ﴿ **وأَنَّ المساجدَ للَّهِ** ﴾ مختصّة به ﴿ **فلا تدْعُوا مع اللَّهِ أحداً** ﴾ فـلا تعبـدوا فيهـا غيرَه . ومن هنـا ذهبت الحنابلـة إلى أنه لا يجتمع في ديـن الله مسجد وقبر ، وأن أيهما طرأ على الآخر وجب هدمه .

[١٩] ﴿ **وأَنَّـه لمّا قـامَ عبـدُ اللّـهِ** ﴾ يعني محمـداً ﷺ ﴿ **يدعُوهُ** ﴾ أي يعبد ربّه ﴿ **كادوا يكونونَ عليهِ لِبَـداً** ﴾ أي جماعـات بعضهـا فوق بعض ، تعجّبـاً ممـا رأوْه من عبـادته ، واقتـداء أصحابـه به ، وإعجـاباً بما تـلا من القرآن .

[٢٠] ﴿ **قلْ إنّما أَدْعـواْ ربِّي** ﴾ أي أعبده ، وأبتهـل إليه وحده ﴿ **ولا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً** ﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجُّبكم أو إطباقكم على مقتي .

[٢١] ﴿ **قلْ إنّي لا أَملِكُ لكم ضَرّاً ولا رَشَـداً** ﴾ لأن ذلك لله تعالى وحده . [٢٢] ﴿ **قلْ إنّي لن يُجيرَني من اللّهِ أَحَدٌ** ﴾ إن أراد بي سوءاً ﴿ **ولن أجِدَ من دونـه مُـلْتَحَداً** ﴾ ملتجأ إن أهلكني .

[٢٣] ﴿ **إلاّ بَلاغاً مِنَ اللّهِ ورِسالاتِهِ** ﴾ لا أملك إلا التبليغ ، والرسالات [آيات الله وأحكـامه التي نزلت منجمة] ﴿ **ومَنْ يَعْصِ اللّهَ ورسولَه** ﴾ فلم يسمع ما جاء به ، ولم يقبل ما يبلغه ﴿ **فإنَّ له نارَ جهنَّمَ خالدين فيها أبَـداً** ﴾ .

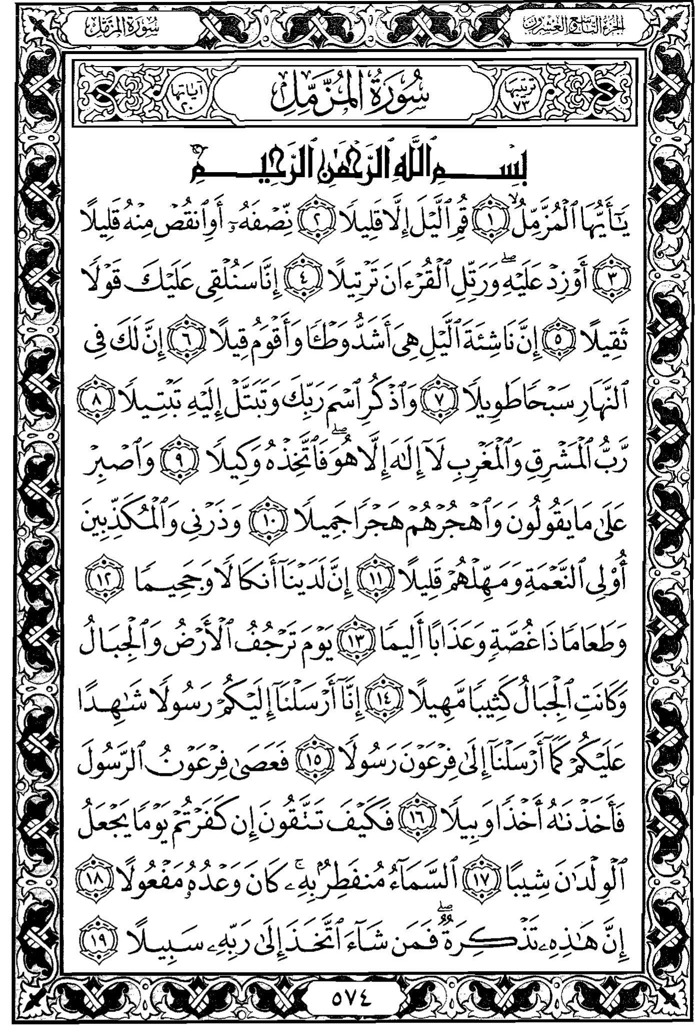
[٢٤] ﴿ **حتّى إذا رأَوْا ما يُوعَدُونَ** ﴾ في الرسالات الآلهية ، من الظهـور عليهم والفتح ، أو العذاب الأخروي ﴿ **فسيَعْلَمونَ من أَضْعفُ ناصِراً وأقلُّ عَدَداً** ﴾ أجند الرّحمن أو إخوان الشيطان ؟ .

[٢٥] ﴿ **قلْ إنْ أَدْرِيَ أقريبٌ ما تُوعَدُونَ أم يجعلُ لهُ ربِّي أَمَداً** ﴾ أي غاية تطول مدتها .

[٢٦] ﴿ **عالـمُ الغيْبِ فلا يُـظْهِرُ على غيبِه أحَداً** ﴾ .

[٢٧] ﴿ **إلا من ارتضى مِنْ رسولٍ فإنَّه يَسْلُكُ من بين يديـهِ ومن خلفهِ رَصَداً** ﴾ أي حرساً من الملائكة يحفظـونه من تخاليط الشياطين ووساوسهم ، حتى يبلغ ما أمر به من غيبه ووحيه .

[٢٨] ﴿ **لِيَعْلَمَ أَنْ قـدْ أبلَغُوا رِسـالاتِ ربِّهم** ﴾ إيراد علمـه تعالى للعنـاية بـأمر الإبلاغ ، والإشعـار بترتب الجزاء عليـه ، والمبالغـة في الحث عليه ، والتحذير عن التفريط فيه ﴿ **وأَحاطَ بِما لدَيْهِم** ﴾ بما عند الرّصَد ، أو الرُّسل عليهم السلام ﴿ **وأَحْصى كلَّ شيءٍ عَدَداً** ﴾ فرداً فرداً لسعة علمه سبحانه وتعالى .



[سورة المزَّمل]

مكيّة . وعدد آياتها عشرون آية .

[١] ﴿ يا أيُّها المزَّمِّلُ ﴾ أي المتزمل . مِن تزمَّل بثيابه إذا تلفف بها .

[٢] ﴿ قُمِ الليْلَ ﴾ للصلاة ، ودع التزمُّل للهجوع ﴿ إلاَّ قليلاً ﴾ بحكم الضرورة للاستراحة ، ومصالح البدن ومهماته التي لا يمكن بقاؤه بدونها .

[٣] ﴿ نِصْفَهُ ﴾ نصف الليل بدل من الليل ﴿ أوِ انقُصْ منهُ ﴾ من النصف ﴿ قليلاً ﴾ إلى الثلث .

[٤] ﴿ أوْ زِدْ عليه ﴾ أي النصف إلى الثلثين ، والمقصود التخيير بين قيام النصف وما فوقه وما دونه ﴿ ورتِّلِ القرآنَ ترتيلاً ﴾ أي بيِّنه تبييناً ، وترسَّل به ترسُّلاً . وقد ثبت في السُّنَّة أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ، وأنها كانت مفسَّرة حرفاً حرفاً ، وأنه كان يقف على رؤوس الآي .

[٥] ﴿ إنَّا سنُلْقي عليكَ قوْلاً ثقيلاً ﴾ [قال ابن جرير : إن الله وصفه بأنه قول ثقيل ، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه] .

[٦] ﴿ إنَّ ناشِئَةَ الليلِ ﴾ نشأته وطبيعة خلقه ومظهره ﴿ هي أشَدُّ وطْأً ﴾ موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال ﴿ وأقْوَمُ قِيلاً ﴾ أسدُّ مقالاً وأصوبه .

[٧] ﴿ إنَّ لكَ في النَّهارِ سَبْحاً طويلاً ﴾ تقلُّباً في مهماتك ، واشتغالاً بها ، فلذا أمرت بقيام الليل .

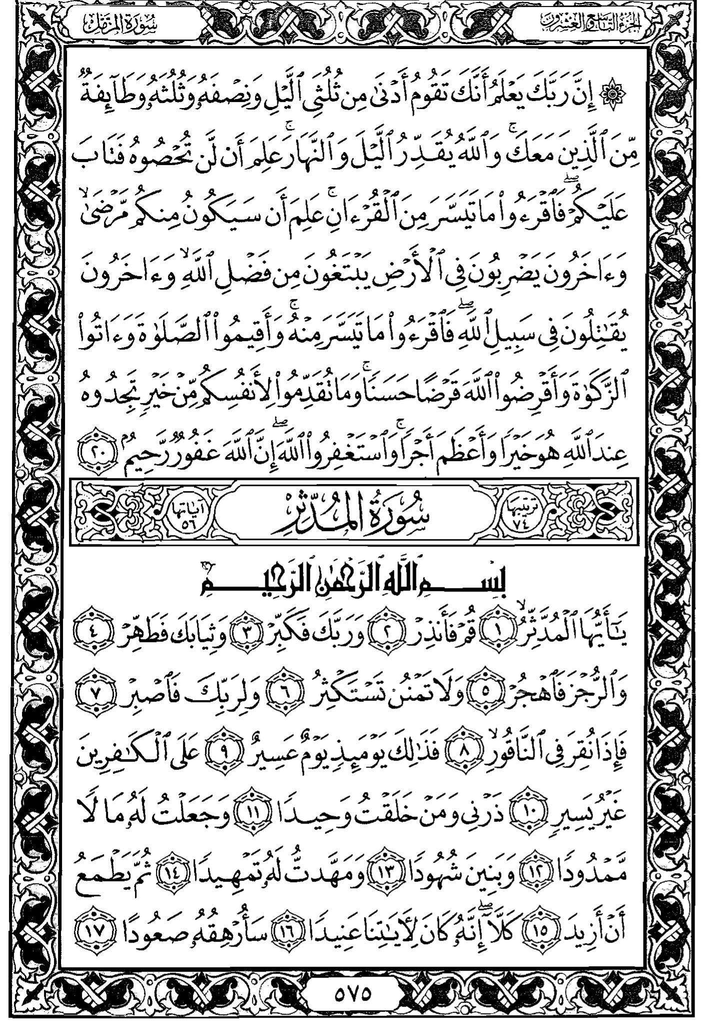
[٨] ﴿ واذْكُرِ اسْمَ ربِّكَ ﴾ دُمْ على ذكره ليلاً ونهاراً ﴿ وتبَتَّلْ إليهِ تَبْتيلاً ﴾ أخلص إليه إخلاصاً عظيماً .

[٩] ﴿ ربُّ المشْرِقِ والمغرِبِ لا إله إلاَّ هو فاتَّخِذْهُ وكيلاً ﴾ تكل إليه مهامك ، فإنَّه سيكفيكها . [١٠] ﴿ واصبرْ على ما يقولونَ ﴾ من الأذى والفرى ﴿ واهجُرْهُم هَجْراً جميلاً ﴾ بالإعراض عن مكافأتهم بالمثل . [١١] ﴿ وذَرْني والـمُكذِّبين ﴾ دعني وإيَّاهم وكِلْ أمرَهُم إليَّ ﴿ أُولي النَّعْمةِ ﴾ يريد صناديد قريش ومترفيهم ﴿ ومهِّلْهُم قليلاً ﴾ أي تمهل عليهم زماناً ، أو إمهالاً قليلاً . [١٢] ﴿ إنَّ لدَيْنا أنكالاً ﴾ قيوداً ﴿ وجَحِيماً ﴾ ناراً شديدة الحر والاتقاد . [١٣] ﴿ وطعاماً ذا غُصَّة ﴾ يغص به آكله فلا يسيغه ﴿ وعَذاباً أليماً ﴾ ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه .

[١٤] ﴿ يوم تَرْجُفُ الأرْضُ والجبالُ ﴾ أي تضطرب وترتجُّ بالزلازل ﴿ وكانتِ الجبالُ كَثيباً مَهيلاً ﴾ أي رملاً متفرِّقاً منثوراً . [١٥] ﴿ إنَّا أرْسَلْنا إليكُم رسولاً شاهِداً عليكُم ﴾ بإجابة من أجاب وإباء من أبى ﴿ كما أرسَلْنا إلى فِرْعَوْنَ رسولاً ﴾ يدعوه إلى الحقِّ . [١٦] ﴿ فعصى فِرْعَوْنُ الرّسولَ فأخذناهُ أخْذاً وَبِيلاً ﴾ أي ثقيلاً ، وذلك بإهلاكه ومن معه ، غرقاً أليماً . [١٧] ﴿ فكيف تتَّقون إنْ كفرتُم يوماً يجعلُ الوِلْدانَ شِيباً ﴾ كيف تقون أنفسكم إن بقيتم على كفركم ، ولم تؤمنوا بالحقِّ ، يوم القيامة ، وحاله في الهول ما ذُكر

[١٨] ﴿ السَّماءُ مُنفطِرٌ بِهِ ﴾ وصف لليوم بالشِّدَّة أيضاً ، وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنك بغيرها من الخلائق ؟ ﴿ كانَ وعدُهُ مَفْعولاً ﴾ لأنه لا يخلف وعده ، فاحذروا ذلك اليوم .

[١٩] ﴿ إنَّ هذه ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشَّديد ﴿ تذكِرَةٌ ﴾ موعظة لمن اعتبر بها واتَّعظ ﴿ فمنْ شاءَ اتَّخذَ إلى ربِّهِ سبيلاً ﴾ بالإيمان به ، والعمل بطاعته .


الجزء التاسع والعشرون سورة المزمل

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

ترتيبها ٧٤ سُورَةُ المُدَّثِّر آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٥٧٥

ربع الحزب ٥٨

[٢٠] ﴿ **إنَّ ربَّكَ يعلَمُ أنَّك تقومُ أدْنى من ثُلُثَي الليلِ ، ونصفَهُ وثُلُثَهُ** ﴾ للتهجُّد في هذه الأوقات ﴿ **وطائفةٌ من الذينَ معَكَ واللَّهُ يُقدِّرُ الليلَ والنّهارَ** ﴾ يجعلهما على مقادير يجريان عليها ﴿ **عَلِمَ أنْ لنْ تُحْصُوهُ** ﴾ أي قيام الليل على النحو الذي دأبتم عليه ، أو قيام الليل كله للحرج والعسر ﴿ **فتابَ عليْكُم** ﴾ عاد عليكم باليُسْر ورفع الحرج ﴿ **فاقْرَؤوا ما تيسَّرَ منَ القُرْآنِ** ﴾ في صلاة الليل بلا تقدير ﴿ **عَلِمَ أنْ سيكونُ منكُم مَرْضى وآخَرونَ يَضربونَ في الأرضِ يَبتغونَ مِنْ فَضلِ الله** ﴾ للتجارة وغيرها ، فيقعدهم ذلك عن قيام الليل ﴿ **وآخَرونَ يُقاتلون في سبيلِ اللَّهِ** ﴾ فلا يتفرَّغون للقيام فيه ﴿ **فاقرَؤوا ما تيسَّر منْهُ** ﴾ أي من القرآن ﴿ **وأقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً** ﴾ يعني به بذل المال في سبيل الخيرات على أحسن وجه ﴿ **وما تُقَدِّموا لأنفُسِكُم من خَيْرٍ** ﴾ في الدنيا من أعمال البرِّ ﴿ **تجِدُوهُ عندَ اللَّهِ هُوَ خيراً وأعْظَمَ أجْراً** ﴾ أي ثواباً مما عندكم من متاع الدنيا ﴿ **واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ .

[سورة المدثِّر]

مكيّة . وعدد آياتها ست وخمسون آية .

[١] ﴿ **يا أيُّها المدَّثِّرُ** ﴾ المتلفف بثيابه لنوم أو استدفاء . الدثار : هو كل ما كان من الثياب فوق الشعار ، والشِّعار : هو الثوب الذي يلي الجسد . وأصله المتدثر فأدغم . وقيل : معناه المتدثر بدثار النبوَّة والرسالة .

[٢] ﴿ **قُم** ﴾ من مضجعك ودثارك ، أو قيام عزم وجدّ ﴿ **فأنْذِرْ** ﴾ فحذِّرْ قومك من العذاب إن لم يؤمنوا .

[٣] ﴿ **وربَّكَ فكَبِّرْ** ﴾ أي فعظِّم بعبادته ، والرغبة إليه في حاجتك ، دون غيره من الآلهة والأنداد .

[٤] ﴿ **وثيابَكَ فطَهِّرْ** ﴾ . [٥] ﴿ **والرُّجْزَ فاهْجُرْ** ﴾ الرجز : بكسر الراء كالرجس اسم للقبيح المستقذر ، كنّى به عن عبادة الأوثان خاصة . وأمره ﷺ بذلك ، وهو بريء منه ، إما أمر لغيره تعريضاً ، أو المراد الدوام على هجره .

[٦] ﴿ **ولا تَمْنُنْ تستكْثِرُ** ﴾ لا تعطِ عطيةً تلتمس بها أفضل منها .

[٧] ﴿ **ولربِّكَ فاصْبِرْ** ﴾ على أذى المشركين . [٨] ﴿ **فإذا نُقِرَ في النّاقورِ** ﴾ أي نُفِخَ في الصّور . [٩] ﴿ **فذلكَ يومئذٍ يومٌ عسيرٌ** ﴾ أي شديد .

[١٠] ﴿ **على الكافرينَ غيرُ يسيرٍ** ﴾ لما يحيق بهم من صنوف الردى . [١١] ﴿ **ذَرْني ومَنْ خلَقْتُ وحيداً** ﴾ لا مال له ولا ولد .

[١٢] ﴿ **وجَعلتُ لهُ مالاً مَمْدُوداً** ﴾ أي مبسوطاً كثيراً ، أو ممدوداً بالنّماء .

[١٣] ﴿ **وبَنينَ شُهوداً** ﴾ أي رجالاً يشهدون معه المحافل والمجامع . [١٤] ﴿ **ومهَّدْتُ لهُ تمهيداً** ﴾ أي بسطتُ له في العيش والجاه والرياسة

[١٥] ﴿ **ثُمَّ يطمَعُ أنْ أزيدَ** ﴾ من المال والولد والجاه ، أو من النعيم الأخرويّ .

[١٦] ﴿ **كلاَّ** ﴾ لا يكون ما يأمل ، لأن الجدير بالزيادة من نعيم الآخرة هم المتّقون ﴿ **إنَّهُ كان لآياتنا عنيداً** ﴾ معانداً للحجج المنزلة والمرسلة .

[١٧] ﴿ **سأُرْهِقُهُ صَعُوداً** ﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد . وهو مثلٌ لما يلقى من العذاب الشّاق الصعب الذي لا يطاق .

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

[١٨] ﴿ **إنَّه فكَّرَ** ﴾ ماذا يقول في هذه الآيات الكريمة والذكر الحكيم ﴿ **وقَدَّرَ** ﴾ في نفسه ما يقوله وهيَّأه .

[١٩] ﴿ **فقُتِلَ كيفَ قَدَّرَ** ﴾ أي لُعن ، كيف قدَّر لافتراء الباطل ، واختلق ما يكذبه وجدانه فيه .

[٢٠] ﴿ **ثُمَّ قُتِلَ كيف قَدَّرَ** ﴾ تكرير للمبالغة في التعجُّب منه .

[٢١] ﴿ **ثُمَّ نَظَرَ** ﴾ أي تروّى في ذلك المقدّر .

[٢٢] ﴿ **ثمَّ عَبَسَ** ﴾ أي قطب وجهه كِبراً وتهيؤاً لقذف تلك الكبيرة ﴿ **وبَسَرَ** ﴾ أي كلح وجهه .

[٢٣] ﴿ **ثم أدْبَرَ** ﴾ عن الحق ﴿ **واستكْبَرَ** ﴾ عن الإيمان به .

[٢٤] ﴿ **فقالَ إنْ هذا إلاَّ سِحرٌ يُؤْثَرُ** ﴾ ما هذا القرآن إلاَّ سحر يُروى ويُتعلَّم .

[٢٥] ﴿ **إنْ هذا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ** ﴾ يقصد أنه ليس بكلام الله ، كما يقول .

[٢٦] ﴿ **سأُصْليهِ سَقَرَ** ﴾ أي جهنم ، وسقر : من أسماء جهنَّم .

[٢٧] ﴿ **وما أدْراك ما سَقَرُ** ﴾ .

[٢٨] ﴿ **لا تُبْقي ولا تَذَرُ** ﴾ أي لا تبقي شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته ، وإذا هلك لم تذره هالكاً حتى يعاد .

[٢٩] ﴿ **لوّاحَةٌ للبَشَرِ** ﴾ محرقة للجلود أو اسم جنس بمعنى النَّاس .

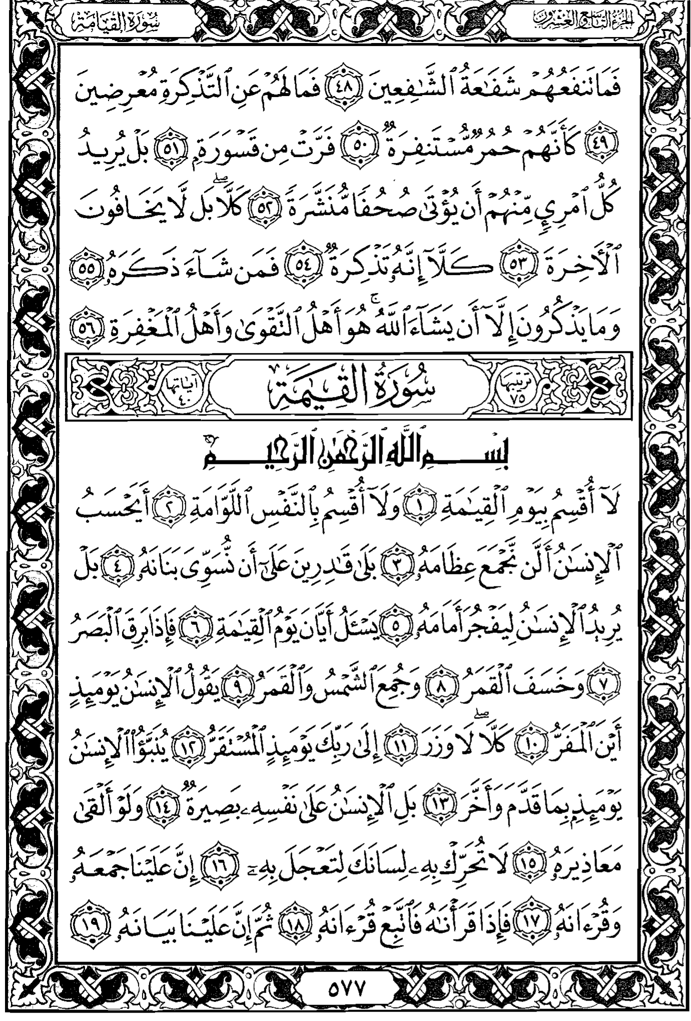
[٣٠] ﴿ **عليها تسعةَ عَشَرَ** ﴾ من الخزنة المتولِّين أمرها ، والتسلط على أهلها .

[٣١] ﴿ **وما جعلنا أصحابَ النَّارِ** ﴾ أي خزنتها ﴿ **إلاَّ ملائكةً** ﴾ وهم أقوى الخلق بأساً ، وأشدهم غضباً لله ﴿ **وما جعلْنا عِدَّتَهُم إلاَّ فِتْنةً للذينَ كَفَروا** ﴾ من مشركي قريش . والمراد بالفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعيَّن إلى علم الخالق سبحانه . وهذا من المتشابه الذي أُمروا بالإيمان به ﴿ **لِيسْتَيْقِنَ الذين أُوتُوا الكتابَ ويزدادَ الذين آمَنُوا إيماناً ولا يرتابَ الذين أُوتُوا الكتابَ والمؤمنونَ ، وليقولَ الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أرادَ اللَّهُ بهذا مَثَلاً** ﴾ حتّى يُخَوِّفنا بهؤلاء التسعة عشر ؟ ﴿ **كذلك يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يشاءُ** ﴾ إضلاله لصرفه اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته آيات الله الناطقة بالحقّ ﴿ **ويهدي مَنْ يَشاءُ** ﴾ هدايته لصرف اختياره عند مشاهدته لتلك الآيات إلى جانب الهدى ﴿ **ومَا يَعلَمُ جنودَ ربِّكَ إلا هُوَ وما هِيَ** ﴾ **أي عدَّتهم المذكورة** ﴿ **إلا ذِكْرى للبَشَرِ** ﴾ عظة يرهبون منها عذاب النار وهول أصحابها . [٣٢] ﴿ **كلاَّ والقمرِ** ﴾ . [٣٣] ﴿ **والليلِ إذْ أدْبَرَ** ﴾ أي ولّى ذاهباً بطلوع الفجر .

[٣٤] ﴿ **والصُّبْحِ إذا أَسْفَرَ** ﴾ أي أضاء . [٣٥] ﴿ **إنّها لإحدى الكُبَرِ** ﴾ أي الأمور العظام . [٣٦] ﴿ **نذيراً للبَشَرِ** ﴾ أي إنذاراً لهم .

[٣٧] ﴿ **لِمَنْ شاءَ منكُم أن يتقدَّمَ أو يتأخَّرَ** ﴾ يسبق للإيمان والطاعة أو يتخلف . [٣٨] ﴿ **كلُّ نفْسٍ بما كسبتْ رهينةٌ** ﴾ أي مرهونة ومحبوسة به عند الله تعالى . [٣٩] ﴿ **إلا أصحابَ اليمينِ** ﴾ فإنّهم فكّوا رقابهم بما أطابوه من كسبهم ، كما يخلص المراهن رهنه بأداء الحق . [٤٠] ﴿ **في جنَّاتٍ** ﴾ أي هم في جنَّات لا يدركُ وصفُها ﴿ **يتساءَلُونَ** ﴾ . [٤١] ﴿ **عن المجرمينَ** ﴾ يسألون عنهم . [٤٢] ﴿ **ما سلككُم في سَقَرَ** ﴾ . [٤٣] ﴿ **قالوا** ﴾ بلسان الحال أو المقال ﴿ **لَمْ نَكُ من المُصَلِّينَ** ﴾ . [٤٤] ﴿ **ولمْ نَكُ نُطْعِمُ المسكينَ** ﴾ . [٤٥] ﴿ **وكُنّا نخوضُ مع الخائضينَ** ﴾ في الباطل .

[٤٦] ﴿ **وكُنّا نُكذِّبُ بيومِ الدِّينِ** ﴾ التكذيب بالجزاء ، وإنكار المعاد . [٤٧] ﴿ **حتّى أتانا اليقينُ** ﴾ أي الموتُ ، فرأينا به ما كنّا ننكره عياناً .



الجزء التاسع والعشرون — سورة القيامة

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ ٱلْقِيَٰمَةِ — ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٥٧٧

نصف الحزب ٥٨

[٤٨] ﴿ فما تنفعُهم شفاعةُ الشافعينَ ﴾ أي لا يستفيدون من شفاعة أي نبيّ أو ملَكٍ .

[٤٩] ﴿ فما لَهُمْ عن التَّذْكِرَةِ مُعْرِضينَ ﴾ أي فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين لا يستحقون لها .

[٥٠] ﴿ كأنَّهُمْ حُمُرٌ مستنفرةٌ ﴾ .

[٥١] ﴿ فَرَّتْ من قَسْوَرَةٍ ﴾ من أُسُدٍ ، أو عصبة قنص من الرُّماة .

[٥٢] ﴿ بل يُريدُ كلُّ امرئٍ منهم أنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً ﴾ أي ينزل عليه كتاب كما أنزل على النبي ﷺ .

[٥٣] ﴿ كلاَّ ﴾ أي : لا يكون مرادهم ، ولا يتبع الحقُّ أهواءهم ﴿ بل لا يَخافونَ الآخِرَةَ ﴾ لا يؤمنون بالبعث والجزاء ولا يخشون العقاب لإيثارهم العاجلة .

[٥٤] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع عن إعراضهم ﴿ إنَّه تَذْكِرَةٌ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فمن شاءَ ذَكَرَهُ ﴾ فاتّعظ وعمل بما فيه .

[٥٦] ﴿ وما يذْكُرُونَ إلا أنْ يشاءَ اللَّهُ ﴾ لأنَّه لا حول ولا قوّة إلا به سبحانه ﴿ هُوَ أهلُ التَّقوى ﴾ أي حقيق بأن يتّقى عقابه ، ويُؤمن به ويطاع ﴿ وأهلُ المغفرةِ ﴾ حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه .

[سورة القيامة]

مكية . وعدد آياتها أربعون آية . سميت بالقيامة لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم .

[١] ﴿ لا أُقْسِمُ بيومِ القِيامَةِ ﴾ .

[٢] ﴿ ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللوَّامَةِ ﴾ تلوم نفسها أبداً في التقصير والتقاعد عن الخيرات . [٣] ﴿ أيحسَبُ الإنسانُ أنْ لنْ نجمَعَ عظامَهُ ﴾ فنبعثه كما كان . [٤] ﴿ بلى قادرينَ على أنْ نسوِّي بَنانَه ﴾ التي هي أطراف خلقته وتمامه ، على صغرها ولطافتها . [٥] ﴿ بلْ يُريدُ الإنسانُ ليفجُرَ أمامَهُ ﴾ أن يستمر على فجوره ، ولا يتوب ، فلذا أنكر البعث .

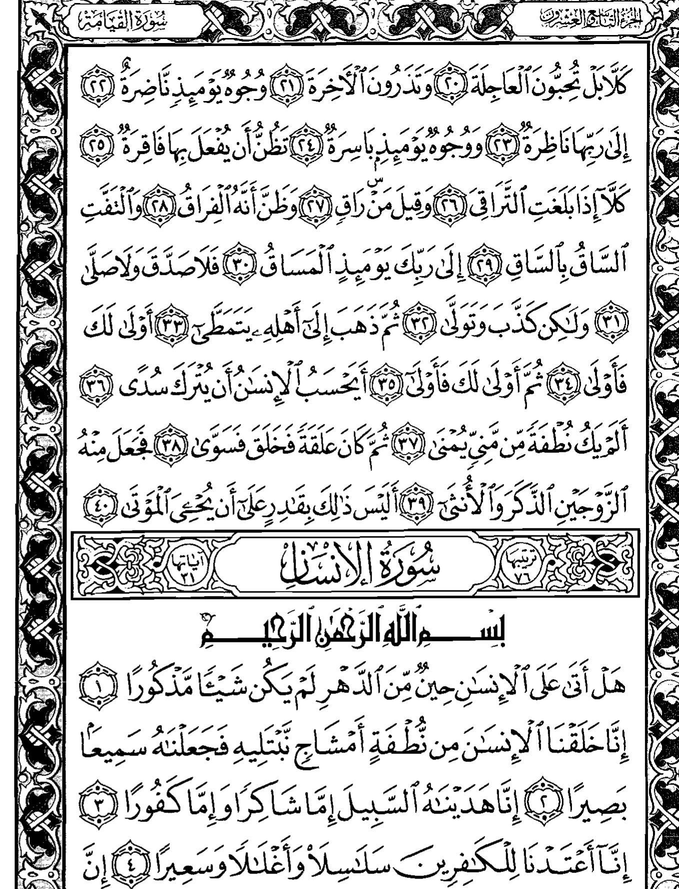
[٦] ﴿ يَسْأَلُ أيَّانَ يومُ القيامةِ ﴾ أي متى يكون ؟ استبعاداً وهزؤاً .

[٧] ﴿ فإذا بَرِقَ البَصَر ﴾ قال مجاهد : عند الموت . [٨] ﴿ وخسَفَ القمرُ ﴾ أي ذهب ضوؤه . [٩] ﴿ وجُمِعَ الشَّمسُ والقمرُ ﴾ أي جمع بينهما في ذهاب الضوء ، فلا ضوء لواحد منهما . [١٠] ﴿ يقولُ الإنسانُ يومئذٍ أين المفرُّ ﴾ يطلب مهرباً لدهشته .

[١١] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع له عن طلب المفر ﴿ لا وَزَرَ ﴾ لا ملجأ . [١٢] ﴿ إلى ربِّكَ يومئذٍ المُستَقَرُّ ﴾ استقرار أمرهم ، والحكم فيهم . [١٣] ﴿ يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئذٍ بما قدَّمَ ﴾ من عمله الذي يوجب نجاته وثوابه ﴿ وأخَّرَ ﴾ منه ففرط وقصر فيه ولم يعمله . أو ما قدَّمه ، ما عمله ، وما أخّره ، عمل من اقتدى به بعده ، كأنَّه وقع منه . [١٤] ﴿ بلِ الإنسانُ على نفسِهِ بَصيرةٌ ﴾ يشهد على نفسه بما عمل . [١٥] ﴿ ولَوْ ألقى معاذيرَهُ ﴾ مجادلاً عن نفسه بكل معذرة . [١٦] ﴿ لا تحرِّكْ ﴾ يا محمد ﴿ به لسانَكَ لتعْجَلَ بِهِ ﴾ لا تحرك لسانك بالقرآن عند إلقاء الوحي لتأخذه على عجلة ، مخافة أن يتفلت منك . [١٧] ﴿ إنَّ علينا جَمْعَهُ ﴾ في صدرك وإثبات حفظه في قلبك بحيث لا يذهب عنك منه شيء ﴿ وقُرْآنَهُ ﴾ أن تقرأه بعدُ فلا تنسى .

[١٨] ﴿ فإذا قَرَأْناهُ ﴾ أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام ﴿ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ كن مقفياً له ولا تَراسله .

[١٩] ﴿ ثمَّ إنَّ علينا بيانَهُ ﴾ أي بيان ما فيه ، إذا أشكل عليك شيء من معانيه ، أو أن نبيّنه على لسانك .


الجزء التاسع والعشرون — سورة القيامة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ — ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

[٢٠] ﴿ كلاَّ بلْ تُحِبّونَ العاجِلَةَ ﴾ تحبون الدنيا .

[٢١] ﴿ وتَذَرُونَ الآخِرةَ ﴾ تنسون الآخرة وحسابها .

[٢٢] ﴿ وُجُوهٌ يومئذ ناضِرَةٌ ﴾ حسنة جميلة من النعيم .

سكتة لطيفة على النون

[٢٣] ﴿ إلى ربِّها ناظِرةٌ ﴾ ترى نور وجهه الكريم وجمال ذاته العلية .

[٢٤] ﴿ ووُجُوهٌ يومئذٍ باسِرَةٌ ﴾ كالحة لهول ما تراه .

[٢٥] ﴿ تظنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقِرةٌ ﴾ داهية تفصم الفِقار .

[٢٦] ﴿ كلاَّ إذا بلغَتِ التَّراقي ﴾ أي بلغت النفسُ أعالي الصدر .

[٢٧] ﴿ وقيلَ مَنْ راقٍ ﴾ الاستفهام بمعنى الطلب لراقٍ يرقيه أو طبيب يداويه ليشفيه مما نزل به .

[٢٨] ﴿ وظنَّ أنّه الفِراقُ ﴾ وأيقن أنه فراق الدنيا .

[٢٩] ﴿ والتفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ ﴾ أي التوت ساقه بساقه ، فلا يقدر على تحريكها . وقيل : هما ساقاه إذا التفَّتا في الكفن . وقيل : الساق عبارة عن الشِّدّة .

[٣٠] ﴿ إلى ربِّكَ يومئذٍ المساقُ ﴾ أي سوقه إلى حكمه تعالى . [٣١] ﴿ فلا صدَّقَ ﴾ بالدِّينِ والكتابِ ، أو صدّق ماله أي زكّاه ﴿ ولا صلَّى ﴾ سهاعنها .

[٣٢] ﴿ ولكن كذَّبَ وتولَّى ﴾ أدبر بدل التصديق والصلاة . [٣٣] ﴿ ثمَّ ﴾ مع هذه التقصيرات في جنب الله تعالى ﴿ ذهب إلى أهلِه يتمطَّى ﴾ يتبختر .

[٣٤] ﴿ أوْلَى لكَ فأوْلَى ﴾ .

[٣٥] ﴿ ثمّ أوْلَى لكَ فأوْلَى ﴾ أي ويل لك مرّة بعد مرّة . دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه ولاءً متكرراً متضاعفاً . [٣٦] ﴿ أيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدىً ﴾ أي هملاً لا يؤمر ولا يُنهى ولا يُجازى .

[٣٧] ﴿ ألَمْ يَكُ نُطْفَةً من منِيٍّ يُمْنى ﴾ أي يصبُّ في الرَّحم ؟ . [٣٨] ﴿ ثمَّ كان عَلَقَةً ﴾ أي دماً ﴿ فخلَقَ ﴾ فقدَّر أعضاءه ﴿ فسوَّى ﴾ تلك الأعضاء لأعمالها وعدَّلها . [٣٩] ﴿ فجعَلَ منهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكرَ والأُنْثى ﴾ يعمر الدنيا إلى الأجل الذي كتبه وقدّره . [٤٠] ﴿ أليسَ ذلكَ بقادرٍ على أنْ يُحْيِيَ الموْتَى ﴾ فيوجدهم بعد مماتهم لعمارة الآخرة . روى ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : (سبحانك وبلى) .

[سورة الإنسان]

مكيّـة . وعدد آياتها إحدى وثلاثون آية . وتسمى : سورة الدهر والأمشاج و هل أتى .

[١] ﴿ هَلْ أتىٰ على الإنسانِ ﴾ أي جنس بني آدم ﴿ حينٌ من الدَّهْرِ لم يَكُنْ شيئاً مذكوراً ﴾ أي في ذلك الحين ، بل كان شيئاً منسيّاً ، نطفة في الأصلاب ، والاستفهام للتقرير . [٢] ﴿ إنَّا خلقْنا الإنسانَ من نُطْفةٍ أمْشاجٍ ﴾ أي ذات أخلاط وهي موادُّها المؤلفة منها ﴿ نَبْتَلِيهِ ﴾ لا عبثاً وسدى ﴿ فجعلناهُ سميعاً بصيراً ﴾ للنظر هل يصرف سمعه وبصره إلى استماع آيات الله والنظر فيها . [٣] ﴿ إنَّا هدَيْناهُ السَّبيلَ ﴾ النّجاة والهلاك ﴿ إمَّا شاكِراً وإمَّا كَفوراً ﴾ ليتميز شكره من كفره ، وطاعته من معصيته . [٤] ﴿ إنَّا أعتَدْنا للكافرينَ سَلاسِلَ ﴾ ليُقادوا بها في الجحيم ﴿ وأغْلالاً ﴾ لتشدَّ فيها أيديهم إلى أعناقهم ﴿ وسَعيراً ﴾ ناراً تسعر عليهم فتتوقَّد . [٥] ﴿ إنَّ الأبْرارَ ﴾ الذين برُّوا بطاعتهم ربهم ﴿ يَشْرَبونَ مِنْ كأْسٍ ﴾ أي خمر أطلقت عليها للمجاورة ﴿ كان مِزاجُها ﴾ ما تمزج به ﴿ كافُوراً ﴾ يعني في طيب رائحتها كالكافور .

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

[٦] ﴿ **عَيْناً يشربُ بها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرونَها تَفْجيراً** ﴾ يثيرونها من منابعها في روضة الجنّة إثارة مبهجة تفنناً في النَّعيم .

[٧] ﴿ **يُوفونَ بالنَّذْرِ ويَخافُونَ يوماً كان شَرُّهُ** ﴾ أي عذابه ﴿ **مُسْتَطيراً** ﴾ منتشراً ظاهراً للغاية .

[٨] ﴿ **ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ** ﴾ أي مع حب الطعام ، أو على حب الله تعالى ﴿ **مِسْكيناً ويَتِيماً وأسيراً** ﴾ .

[٩] ﴿ **إنّما نطعِمُكُم لوَجْهِ اللَّهِ** ﴾ لا نقصد بإطعامكم إلا ثوابه تعالى ﴿ **لا نُريدُ مِنْكُم جَزاءً** ﴾ أي مكافأة ﴿ **ولا شُكُوراً** ﴾ أي ثناء ومديحاً .

[١٠] ﴿ **إنّا نخافُ من رَبِّنا يوْماً** ﴾ عذاب يوم ﴿ **عَبُوساً** ﴾ شديداً مظلماً ، أو تعبس فيه الوجوه من شدّة مكارهه وطول بلائه ﴿ **قَمْطَريراً** ﴾ شديد العبوسة والكرب .

[١١] ﴿ **فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلكَ اليَوْمِ** ﴾ أي بسبب ما ذُكر من خوفهم منه ﴿ **ولَقّاهُمْ نَضْرَةً** ﴾ في الوجوه ﴿ **وسرُوراً** ﴾ في القلوب .

[١٢] ﴿ **وجَزاهُمْ بِما صَبَروا** ﴾ على احتمال الأذى في سبيله ﴿ **جَنّةً وحَريراً** ﴾ .

[١٣] ﴿ **مُتَّكِئِينَ فيها على الأرائكِ** ﴾ السُّرر ﴿ **لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَريراً** ﴾ لا حرّاً ولا برداً .

[١٤] ﴿ **وَدانيةً عَلَيْهِم ظِلالُها** ﴾ أي ظلال أشجارها ، قريبة منهم مظلّلة عليهم ، زيادة في نعيمهم ﴿ **وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تذليلاً** ﴾ سُهّلت ثمارها لمتناوليها فلا يردُّ أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوكٌ . [١٥] ﴿ **ويُطافُ علَيْهِم بآنيةٍ من فِضَّةٍ وأكوابٍ** ﴾ الكوب : كُوز لا أُذُن له ﴿ **كانَتْ قواريراً** ﴾ .

[١٦] ﴿ **قواريرَ مِنْ فِضَّةٍ قدَّرُوها تقديراً** ﴾ في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال حسب شهواتهم فجاءت كما قدَّروا .

[١٧] ﴿ **ويُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً** ﴾ أي ما يشبهه في الطعم . وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به .

[١٨] ﴿ **عَيْناً فيها تُسمّى سَلْسَبيلاً** ﴾ وهي شديدة الجرية المنسابة بنوع خاصٍّ بهيج .

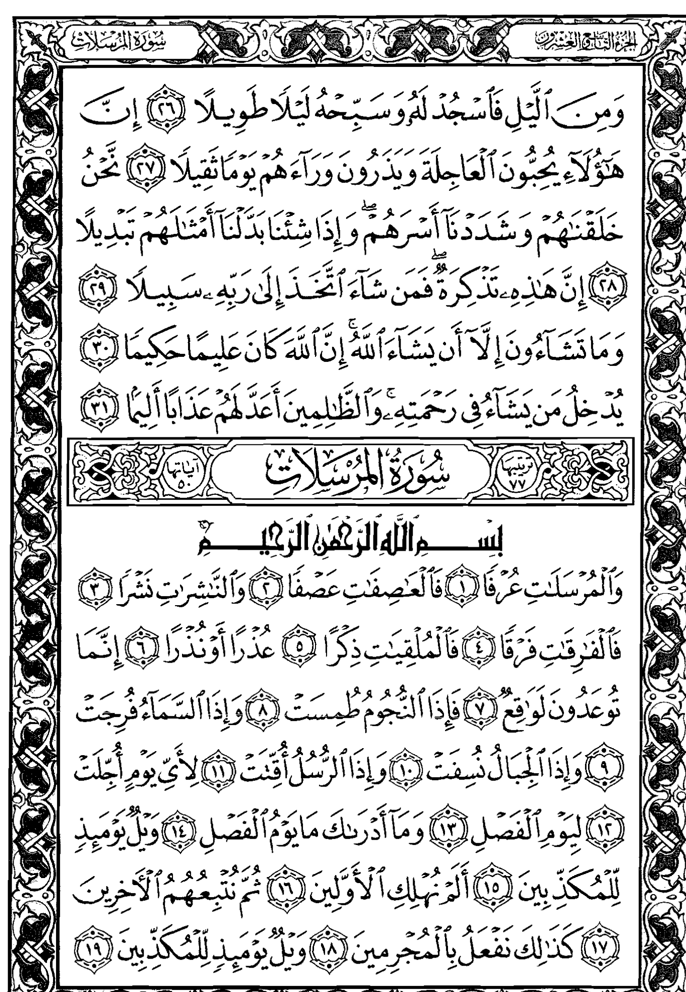
[١٩] ﴿ **ويَطُوفُ عليهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدون** ﴾ لا يموتون ، أو دائم شبابهم لا يتغيّرون عن تلك السِّنّ ﴿ **إذا رأَيْتَهُم حسِبْتَهُم لؤلؤاً مَنْثوراً** ﴾ لحسنهم وكثرتهم في منازلهم .

[٢٠] ﴿ **وإذا رأيت ثَمَّ** ﴾ أي نظرت في الجنّة ورميت بطرفك ما أوتي الأبرار ﴿ **رأيْتَ نَعيماً ومُلْكاً كبيراً** ﴾ واسعاً لا ينفذه البصر .

[٢١] ﴿ **عالِيَهُم ثيابُ سُنْدُسٍ** ﴾ وهو ما رقّ من الحرير ﴿ **خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ** ﴾ وهو ما غلظ من الديباج ﴿ **وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضَّةٍ ، وسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهوراً** ﴾ ليس برجسٍ كخمر الدنيا .

[٢٢] ﴿ **إنَّ هذا** ﴾ ما عُدَّ من ثوابهم ﴿ **كان لَكُمْ جزاءً** ﴾ على ما قدّمتم من الصّالحات ﴿ **وكانَ سعْيُكُم مَشْكوراً** ﴾ مجازًى عليه غير مضيَّع .

[٢٣] ﴿ **إنّا نَحْنُ نزّلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزيلاً** ﴾ . [٢٤] ﴿ **فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ولا تُطِعْ منهُم آثِماً أو كَفُوراً** ﴾ ولا تطع في معصيته تعالى من مشركي مكّة ، من ارتكب الإثم وجاهر بالكفر . [٢٥] ﴿ **واذْكُرِ اسْمَ ربِّكَ** ﴾ بدعائه وتسبيحه والصّلاة له ﴿ **بُكْرةً وأَصيلاً** ﴾ .



الجزء التاسع والعشرون — سورة المرسلات

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ — ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٥٨٠

[٢٦] ﴿ ومِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ ﴾ بالتَّهجُّدِ فيه ﴿ وسبِّحْهُ ليْلاً طويلاً ﴾ أي مقداراً طويلاً .

[٢٧] ﴿ إنَّ هؤلاء ﴾ المشركين ﴿ يُحِبُّونَ العاجلَةَ ﴾ أي اللذات العاجلة ﴿ ويذَرُونَ وراءَهُم يَوْماً ثقيلاً ﴾ أي شديداً لثقل حسابه وشدَّته وعسره .

[٢٨] ﴿ نَحْنُ خلقْناهُم وشَدَدْنا أَسْرَهُم ﴾ [شددنا خلقهم بمعنى خلقناهم فأحسنا خلقهم] ﴿ وإذا شِئنا بدَّلْنا أمثالَهُم تَبْديلاً ﴾ .

[٢٩] ﴿ إنَّ هذه ﴾ السورة ، أو الآيات ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ عظة ﴿ فمَنْ شاءَ اتَّخذَ إلى ربِّهِ سبيلاً ﴾ بالطاعة الموصلة لقربه .

[٣٠] ﴿ وما تَشاؤونَ إلا أنْ يَشاءَ اللَّهُ ﴾ وما تشاؤون اتخاذ السبيل إلى ربِّكم إلا أن يشاء الله ذلك لكم ﴿ إنَّ اللَّهَ كانَ عَليماً حَكيماً ﴾ في تدبيره وصنعه وأمره .

[٣١] ﴿ يُدْخِلُ من يَشاءُ في رَحْمَتِهِ ﴾ حيث يوفِّقه لما يؤدي إلى دخول الجنَّة ﴿ والظَّالمينَ ﴾ وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذُكر ﴿ أعَدَّ لهُمْ عَذاباً أليماً ﴾ يعني عذاب النَّار .

[سورة المرسلات]

مكية . وعدد آياتها خمسون آية . وتسمى : سورة العُرْف .

[١] ﴿ والمُرْسَلاتِ عُرْفاً ﴾ قسم بالرياح المرسلة المتتابعة كشعر العرف ، أو بالملائكة المرسلة بأمر الله ونهيه .

[٢] ﴿ فالعاصِفاتِ عَصْفاً ﴾ أي الرياح الشديدة الهبوب السريعة الممرّ . [٣] ﴿ والنَّاشِراتِ نَشْراً ﴾ الرياح التي تنشر السَّحاب والمطر .

[٤] ﴿ فالفارِقات فَرْقاً ﴾ [قال ابن جرير : هو قسم بكل فارقة بين الحق والباطل ، مَلَكاً كان أو قرآناً ، أو غير ذلك]. [٥] ﴿ فالمُلقياتِ ذِكْراً ﴾ أي الملائكة الملقيات ذكر الله إلى أنبيائه ، المبلغات وحيه . [٦] ﴿ عُذْراً أوْ نُذْراً ﴾ أي إعذاراً من الله لخلقه وإنذاراً . [٧] ﴿ إنّما توعَدون لَواقِعٌ ﴾ جواب القسم . إن الذي توعدون به من مجيء يوم القيامة والجزاء لكائن نازلٌ . [٨] ﴿ فإذا النُّجومُ طُمِسَتْ ﴾ أي محقت أو ذهب ضياؤها .

[٩] ﴿ وإذا السَّماءُ فُرِجَتْ ﴾ أي شقِقت وصدِّعت . [١٠] ﴿ وإذا الجبالُ نُسِفَتْ ﴾ أي اقتلعت من أماكنها بسرعة .

[١١] ﴿ وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة للشهادة على أممهم والفوز بها وعدوه من الكرامة .

[١٢] ﴿ لأيِّ يومٍ أُجِّلَتْ ﴾ أي يقال : لأي يوم أُخِّرت عن معاجلة الثواب والعقاب؟ .

[١٣] ﴿ ليَوْمِ الفَصْلِ ﴾ بين الخلائق . [١٤] ﴿ وما أدْراكَ ما يومُ الفَصْلِ ﴾ بين السعداء والأشقياء . والاستفهام كناية عن تهويله وتعظيمه .

[١٥] ﴿ وَيْلٌ يومئذٍ للمُكذِّبينَ ﴾ بيوم الفصلِ والتكذيب به ، إنكارُ البعث له والحشر إليه .

[١٦] ﴿ ألَمْ نُهْلِكِ الأوَّلينَ ﴾ أي الأمم الماضين المكذِّبينَ بالرُّسل والجاحدين بالآيات كقوم نوح وعاد وثمود . [١٧] ﴿ ثم نُتْبِعُهُمُ الآخِرينَ ﴾ من قوم لوط وموسى . وهو وعيد لأهل مكَّة . [١٨] ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك الأخذ العظيم ﴿ نفعَلُ بالمجرمينَ ﴾ بكل من أجرم وطغى وبغى .

[١٩] ﴿ ويْلٌ يومئذٍ للمُكذِّبينَ ﴾ بأخبار الله التي ذكرها في هذه الآية ، الجاحدين قدرته على ما يشاء .

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٢٠] ﴿ **أَلَمْ نَخلُقكُم من مـاءٍ مَهينٍ** ﴾ من نطفة ضعيفة .

[٢١] ﴿ **فجعَلْناهُ في قَرارٍ مكينٍ** ﴾ أي رحم استقرَّ فيها فتمكَّن .

[٢٢] ﴿ **إلى قَدَرٍ مَعْلومٍ** ﴾ أي إلى وقت معلوم لخروجه من الرَّحم .

[٢٣] ﴿ **فقدَرْنا** ﴾ قرىء بـالتخفيف والتشـديد . أي فقدَرنا على ذلك أو قدَّرناه ﴿ **فَنِعْمَ القادِرونَ** ﴾ .

[٢٤] ﴿ **ويْلٌ يومئـذٍ للمُكذّبينَ** ﴾ بقـدرته تعـالى على ذلك ، أو على الإعادة .

[٢٥] ﴿ **أَلَمْ نجعَلِ الأرضَ كِفـاتاً** ﴾ تكفت أحياءكم في المساكن والمنازل فتضمُّهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم في بطونها في القبور فيُدفنون فيها وكَفِـيْـتُـهُ : وعاؤه .

[٢٦] ﴿ **أحياءً** ﴾ في المنازل ﴿ **وأمْواتاً** ﴾ في القبور.

[٢٧] ﴿ **وجعَلْنا فيها رواسِيَ شـامخاتٍ** ﴾ أي جبـالاً شاهقات ﴿ **وأسْقَيْناكُم ماءً فُراتاً** ﴾ أي عذباً .

[٢٨] ﴿ **ويْلٌ يومئذ للمُكذّبينَ** ﴾ .

[٢٩] ﴿ **انطلقـوا إلى ما كُنتُم بِـهِ تُكذِّبـونَ** ﴾ الخطاب للكفرة الفجرة .

[٣٠] ﴿ **انطلقوا إلى ظِلٍّ ذي ثَلاثِ شُعَبٍ** ﴾ أي فِرَقٍ ، وذلك دخان جهنَّم المرتفع من وقودهـا إذا تصاعد تفرّق شُعَباً ثلاثاً ، لعظمه .

[٣١] ﴿ **لا ظليلٍ ولا يُغْني مـن اللَّهَب** ﴾ لا يـردُّ عنهم من لهب النَّار شيئاً .

[٣٢] ﴿ **إنّها ترمي بِشررٍ كالقَصرِ** ﴾ تقـذف كل شررة كالقصر في عظمها ، والقصر واحد القصور.

[٣٣] ﴿ **كأنّـهُ جِمالَاتٌ** ﴾ جمع جمال جمع جمل ، ونظيره رجـال ورجـالات ﴿ **صُفْرٌ** ﴾ فإن الشرار بما فيه من النّـارية يكون أصفـر ، وقيل : صفر أي سود . [٣٤] ﴿ **ويْلٌ يومَئذٍ للمكذِّبين** ﴾ . [٣٥] ﴿ **هذا يَوْمُ لا يَنطِقونَ** ﴾ بحجّة ، لأنه لا ينفع ولا يسمع .

[٣٦] ﴿ **ولا يُؤْذَنُ لَهُم فيَعْتَذِرونَ** ﴾ لا يمهد لهم الإذن في الاعتذار ، لعدم قبول معذرتهم بقيام الحجَّة عليهم .

[٣٧] ﴿ **ويْلٌ يَومَئذٍ للمكذِّبين** ﴾ . [٣٨] ﴿ **هذا يومُ الفَصْلِ** ﴾ الحقِّ بين العباد ﴿ **جَمَعناكُم** ﴾ حشرناكم فيه ﴿ **والأوَّلينَ** ﴾ من الأمم الهالكة .

[٣٩] ﴿ **فإنْ كانَ لكُمْ كَيْدٌ** ﴾ أي احتيال للتخلص من العذاب ﴿ **فكيدونِ** ﴾ فاحتالوا له . [٤٠] ﴿ **ويْلٌ يومَئذٍ للمكذِّبين** ﴾ .

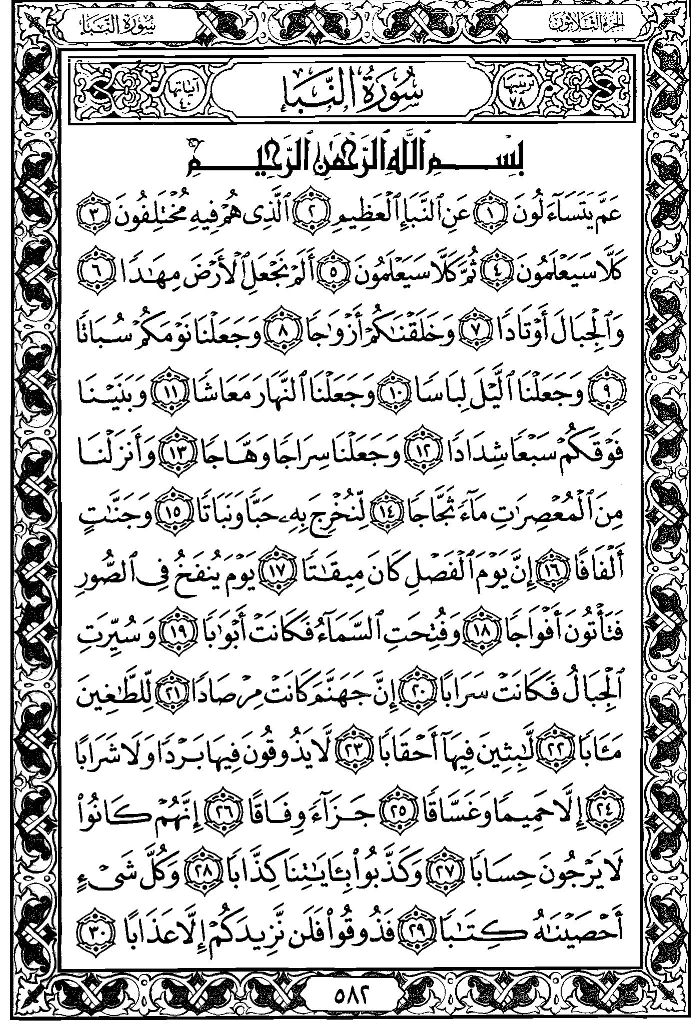
[٤١] ﴿ **إنَّ المتَّقينَ في ظِلالٍ** ﴾ تقيهم الحرّ والقرّ ﴿ **وعُيُونٍ** ﴾ أي أنهار تجري خلال أشجارها . [٤٢] ﴿ **وفواكِهَ ممَّا يَشْتَهون** ﴾ مما يرغبون .

[٤٣] ﴿ **كُلوا واشْرَبُوا هنيئاً بما كُنتُمْ تعمَلون** ﴾ أي يقال لهم ذلك . [٤٤] ﴿ **إنَّا كذلك نَجْزي المُحْسِنينَ** ﴾ في طاعتهم وعبادتهم وعملهم .

[٤٥] ﴿ **ويْلٌ يومئذٍ للمُكذِّبينَ** ﴾ . [٤٦] ﴿ **كُلوا وتَمَـتَّـعوا قليلاً ، إنَّـكم مُجْرِمونَ** ﴾ أي حظكم حظ من أجرم ، وهو الأكل والتمتع أياماً قليلة ، ثم البقاء في الهلاك أبداً . [٤٧] ﴿ **ويْلٌ يومئذٍ للمكذِّبين** ﴾ .

[٤٨] ﴿ **وإذا قيل لَـهُـمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعونَ** ﴾ لا يخضعون ولا ينقادون ولا يقبلون ، تجبّراً واستكباراً . [٤٩] ﴿ **ويْلٌ يومئذٍ للمكذِّبينَ** ﴾ .

[٥٠] ﴿ **فَبِأَيِّ حديثٍ بعدَهُ يُؤْمِنونَ** ﴾ أي بعد هذا القرآن ، إذا كذَّبوا به ، مع وضوح برهانه وصحَّة دلائله ، في أنه الحقُّ المنزل من عنده تعالى .


الجزء الثلاثون — سورة النبإ

سُورَةُ النَّبَإِ — ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٥٨٢

[سورة النبأ]

مكية . وعدد آياتها أربعون آية . وتسمى : سورة عم يتساءلون .

[١] ﴿ عَمَّ يَتَساءَلُونَ ﴾ أي : هؤلاء المشركون ، بالله ورسوله .

[٢] ﴿ عنِ النَّبَإِ العَظيمِ ﴾ وهو نبوءته ﷺ وما جاء به من الوحي . [٣] ﴿ الذي هُمْ فِيهِ مُختَلِفُونَ ﴾ منقسمون ، بعضهم يجحده ، وآخر يرتاب فيه .

[٤] ﴿ كلاَّ سَيَعْلَمون ﴾ .

[٥] ﴿ ثُمَّ كلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ ردع للمتسائلين ووعيد لهم ، والتكرار للمبالغة لحذف مفعول العِلم .

[٦] ﴿ أَلَمْ نَجعَلِ الأرضَ مِهاداً ﴾ فراشاً وموطئاً .

[٧] ﴿ والجِبالَ أَوْتاداً ﴾ للأرض .

[٨] ﴿ وخلَقناكم أَزْواجاً ﴾ أي ذكوراً و إناثاً .

[٩] ﴿ وجعلنا نومَكُم سُباتاً ﴾ راحة ودعة .

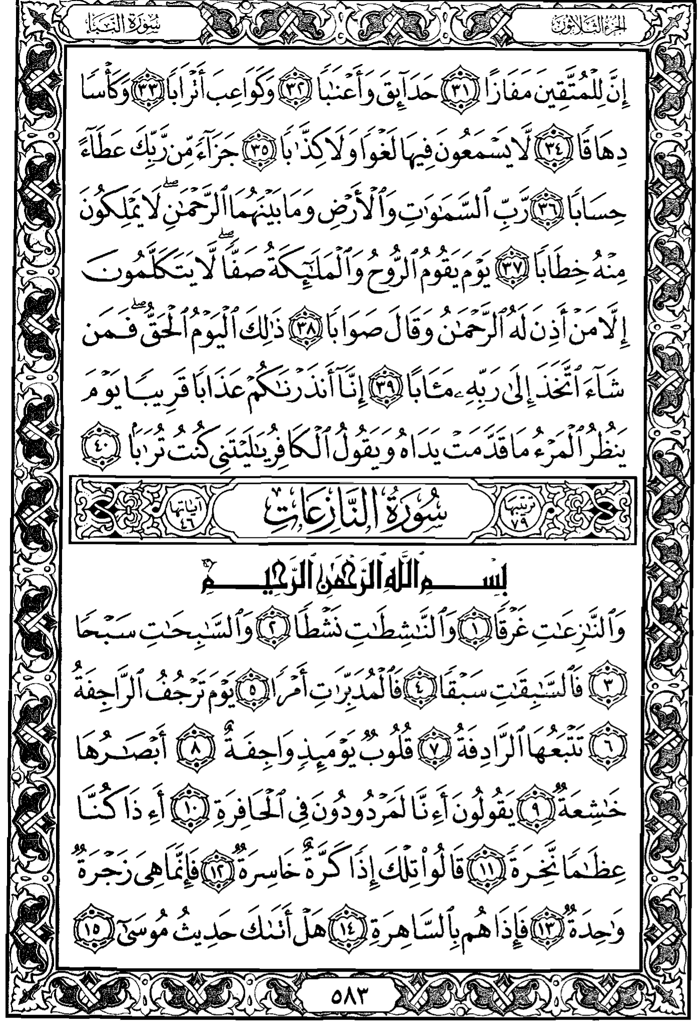
[١٠] ﴿ وجعلنا الليلَ لِباساً ﴾ كاللباس بإحاطة ظلمته بكل أحد ، وستره لهم . [١١] ﴿ وجعلنا النَّهارَ مَعاشاً ﴾ أي وقت معاش وكسب . [١٢] ﴿ وبَنَيْنا فوقَكُم سَبْعاً شِداداً ﴾ سبع سموات شداداً ، محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ، لا فطور فيها ولا فروج . [١٣] ﴿ وجعلْنا سِراجاً وهَّاجاً ﴾ متلألئاً وقّاداً ، يعني الشمس . [١٤] ﴿ وأنزلنا من المُعصِراتِ ﴾ أي السحائب إذا شارفت أن تعصرها الرِّياح ﴿ ماءً ثَجّاجاً ﴾ منصبّاً متتابعاً . [١٥] ﴿ لنُخرِجَ بهِ حَبًّا ونباتاً ﴾ قال ابن جرير : الحب : كل ما تضمنه كمام الزرع التي تحصد . والنبات : الكلأ الذي يُرعى من الحشيش والزروع . [١٦] ﴿ وجَنَّاتٍ ألفافاً ﴾ حدائق ملتفّة الشجر ، مجتمعة الأغصان .

[١٧] ﴿ إنَّ يومَ الفَصْلِ ﴾ هو يوم القيامة ، يفصل بين الناس ويفرق السعداء من الأشقياء ﴿ كانَ ﴾ عند الله في علمه وحكمته ﴿ مِيقاتاً ﴾ حدّاً معيناً ووقتاً موقتاً . [١٨] ﴿ يومَ يُنْفَخُ في الصُّورِ ﴾ قيل : النفخ في الصُّور تمثيل لبعث الله للناس يوم القيامة بسرعة لا تمثلها إلا نفخة في بوق ، وعلينا أن نؤمن بما ورد من النفخ في الصور وليس علينا أن نعلم ما هي حقيقة ذلك الصور ﴿ فتأْتُونَ أفْواجاً ﴾ فرقاً مختلفة . [١٩] ﴿ وفُتِحَتِ السَّماءُ فكانتْ أبْواباً ﴾ وشققت السَّماء فصدّعت فكانت طُرُقاً ، وكانت من قبل شداداً لا فطور فيها ولا صدوع . [٢٠] ﴿ وسُيِّرَتِ الجبالُ فكانَتْ سراباً ﴾ أي رفعت من أماكنها في الهواء . فالسراب يُرى كأنَّه بحر وليس كذلك ، والجبال إذا فُتِّتَتْ وارتفعت في الهواء ، ترى كأنها جبال وليست بجبال ، بل غبار غليظ متراكم يُرى من بعيد كأنه جبل . [٢١] ﴿ إنَّ جهنَّمَ كانتْ مِرْصاداً ﴾ موضع رصد ، يرصد فيه خزنتها من كان يكذب بها وبالمعاد .

[٢٢] ﴿ للطَّاغِين مآباً ﴾ منزلاً ومرجعاً يصيرون إليه . [٢٣] ﴿ لابِثِينَ فيها أحْقاباً ﴾ دهوراً متتابعة إلى غير نهاية . [٢٤] ﴿ لا يَذُوقون فيها بَرْداً ﴾ أي روحاً وراحة ﴿ ولا شَراباً ﴾ . [٢٥] ﴿ إلا حَميماً ﴾ ماء حاراً انتهى غليانه ﴿ وغَسَّاقاً ﴾ صديداً ، وهو ما يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار .

[٢٦] ﴿ جَزاءً وِفاقاً ﴾ موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال ، وقدّموه من العقائد والأخلاق . [٢٧] ﴿ إنَّهم كانوا لا يَرْجونَ حِسَاباً ﴾ .

[٢٨] ﴿ وكَذَّبوا بآياتِنا كِذَّاباً ﴾ . [٢٩] ﴿ وكلَّ شيْءٍ أحْصَيْناه كِتاباً ﴾ هو تمثيل لإحاطة علمه بالأشياء ، لتفهيمنا ، وإلا فهو تعالى غنيٌّ عن الكتابة والضبط . [٣٠] ﴿ فذوقوا فلَنْ نَزيدَكُم إلاَّ عَذاباً ﴾ أي يقال لهم ذلك ، تقريعاً وغضباً وتأنيباً لهم من تخفيف العذاب ، وإعلاماً بمضاعفته .



الجزء الثلاثون — سورة النبأ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ — ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾

٥٨٣

[٣١] ﴿ إنَّ للمُتَّقِينَ مفازاً ﴾ فوزاً بـالنَّعيم ، ونجاة من النَّار .

[٣٢] ﴿ حَدائقَ وأعْناباً ﴾ .

[٣٣] ﴿ وكواعب ﴾ أي بنات استـدارت أثداؤهن مع ارتفاع يسير ﴿ أتْراباً ﴾ متساويات في السنّ .

[٣٤] ﴿ وكأْساً دِهاقاً ﴾ ملآى من خمر لذّة للشاربين .

[٣٥] ﴿ لا يَسْمَعون فيها ﴾ في الجنَّة ﴿ لَغْواً ﴾ باطلاً من القول ﴿ ولا كِذَّاباً ﴾ لا يكذب بعضهم بعضاً .

[٣٦] ﴿ جزاءً من ربِّكَ عَطاءً ﴾ جزاء لهم على صالح أعمالهم ، تفضُّلاً منه تعالى بذلك الجزاء ﴿ حِساباً ﴾ على قدر أعمالهم .

[٣٧] ﴿ ربِّ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما ، الرّحمنِ لا يمْلِكونَ مِنهُ خِطاباً ﴾ لا يملكون أن يخاطبـوا الله بشيء من نقص العذاب .

[٣٨] ﴿ يـومَ يقـومُ الـرُّوحُ ﴾ جبريل عليـه السلام ﴿ والملائكةُ صَفّاً ﴾ صافّين في مراتبهم ﴿ لا يَتَـكَلَّمونَ إلَّا مَنْ أذِنَ لـهُ الـرّحمنُ وقالَ صَـوابـاً ﴾ لا يتكلّمـون في الشفاعة .

[٣٩] ﴿ ذلكَ اليَوْمُ الحقُّ ﴾ أي الواقع الـذي لا يمكن إنكاره ﴿ فمَنْ شاءَ اتَّـخَـذَ إلى ربِّهِ مآباً ﴾ مرجعاً حسناً يؤوب إليه .

[٤٠] ﴿ إنَّا أنذرناكُمْ عذاباً قَريباً ﴾ يعني عذاب الآخرة وقربه ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ المرْءُ ما قدَّمَتْ يداهُ ﴾ من خير أو شرّ ﴿ ويقولُ الكـافِرُ يـا لَيْتَنِي كُنْتُ تُـراباً ﴾ لما يلقـى مـن عذاب الله الذي أُعِدَّ لأمثاله .

[سورة النازعات]

مكية . وعدد آياتها ست وأربعون آية . وتسمى : سورة الساهرة والطامّة .

[١] ﴿ والنَّازعات غَرْقاً ﴾ يعني الغزاة أو أيديهم، أو الكواكب ، أي الجاريات مسرعة للغاية . [٢] ﴿ والنَّاشِطات نَشْطاً ﴾ هي الخيل تخرج من دار إلى دار ، أو الكواكب تنشط من برج إلى برج . [٣] ﴿ والسَّابِحاتِ سَبْحاً ﴾ الخيل تسبح في عدْوها فتسبق إلى العدوّ ، أو الكواكب تسبح في الفَلَك .

[٤] ﴿ فالسَّابِقاتِ سَبْقاً ﴾ الخيل تسبق إلى العدوّ في حومة الوغى ، أو الكواكب السيَّارة تسبق غيرها في السير لكونها أسرع حركة . [٥] ﴿ فالمُدَبِّراتِ أمْراً ﴾ هي ـ علـى الـغالب ـ الملائكة تـدبِّر ما نيط بها من أمر الله تعالى . [٦] ﴿ يومَ ترْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ الأجرام السَّاكنة تتزلزل زلزلة عظيمة .

[٧] ﴿ تتْبَعُها الرَّادِفَةُ ﴾ أي السماء وما فيها فتنشقُّ وتنتثر كواكبها ، أو الرادفة النفخة الثانية لبعث يوم القيامة .

[٨] ﴿ قلوبٌ يومئذ واجِفَةٌ ﴾ شديدةُ الاضطراب . [٩] ﴿ أبصارُها خاشِعَةٌ ﴾ أبصار أهلها ذليلة من الكآبة والحزن .

[١٠] ﴿ يقولونَ : أإنَّا لمَرْدُودُونَ في الحافِرَةِ ﴾ إلى حالنا الأولى قبل المات ، فراجعون أحياء كما كنَّا ؟ . [١١] ﴿ أإذا كُنَّا عِظاماً نَخِرةً ﴾ بالية .

[١٢] ﴿ قالوا تلكَ إذاً كرَّةٌ خاسِرَةٌ ﴾ إن صحَّت فنحن إذاً خاسرونَ . قـالوا ذلك بطـريق الاستهزاء ، مشيرين إلى مـا أنكروه من الـردَّة في الحافرة .

[١٣] ﴿ فإنَّما هي زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ﴾ ردٌّ عليهم ، فقيل : لا تستصعبوها ، فإنَّما هي صيحة واحدة ، وهي النفخة الثانية .

[١٤] ﴿ فإذا هُمْ بالسَّاهِرَةِ ﴾ أي على ظهر الأرض أحياء . [١٥] ﴿ هل أتاكَ حديثُ موسى ﴾ أي خبره حين ناجاه ربه تعالى .

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ آياتها ٤٢

[١٦] ﴿ إِذْ ناداهُ ربُّـهُ بالوادِ المقدَّس طُوًى ﴾ وهو وادٍ في أسفل جبل طور سيناء من برية فلسطين .

[١٧] ﴿ اذهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنَّـهُ طَغى ﴾ تجاوز حدَّه في العدوان .

[١٨] ﴿ فقلْ هلْ لكَ إلى أنْ تَـزَكَّى ﴾ تتطهر من دنس الشرك والطغيان .

[١٩] ﴿ وأَهْدِيَكَ إلى ربِّكَ ﴾ أي أرشدك إلى ما يرضيه عنك ﴿ فَتَخْشى ﴾ عقابه من سلب الملك وإذاقة البأس مكان النّعم . [٢٠] ﴿فأراهُ الآيَةَ الكُبْرى﴾ على أنه رسول الله إذ تحولت عصاه إلى ثعبان ، ويده إذ أخرجها بيضاء للناظرين . [٢١] ﴿ فكذَّبَ وعَصَى ﴾ فكذَّب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة . [٢٢] ﴿ ثُمَّ أدْبَرَ يَسْعَى ﴾ انصرف وأعرض يجدُّ في معارضة الآية بالمكايد الشيطانية والحيل النفسانية . [٢٣] ﴿ فَحَشَرَ ﴾ أي جمع السَّحرة ، أو قومه وأتباعه ﴿ فنادَى ﴾ في المجتمعين .

[٢٤] ﴿ فقالَ أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى ﴾ والظاهر أن مراده ذو السلطان الأعلى والنفوذ الأقوى ، وأنه الذي يستأهل الطاعة دون غيره . [٢٥] ﴿ فأخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولَى ﴾ المراد أنه عاقبه على الأمرين . [٢٦] ﴿ إنَّ في ذلك لَعِبْرَةً لمنْ يَخْشَى ﴾ أي عظة وعبرة لمن يخاف الله ويخشى عقابه ، فإنَّ نبأ الأوّلين عبرةٌ للآخرين .

[٢٧] ﴿ أأنْتُم أشَدُّ خلْقاً أم السَّماءُ ﴾ خطاب للمكذِّبين بالبعث ، فإنَّ من رفع السَّماء على عظمها ، هيِّن عليه خلقهم وخلق أمثالهم ، وإحياؤهم بعد مماتهم ﴿ بَناها ﴾ رفعها فجعلها للأرض سقفاً .

[٢٨] ﴿ رفَعَ سَمْكَها ﴾ أي أعلاه ، والسَّمْك : قامة كل شيء ، وقد رفع الله تعالى أجرامها فوق رؤوسنا ﴿ فسَوَّاها ﴾ عدلها بوضع كل جرم في موضعه . [٢٩] ﴿ وأغْطَشَ لَيْلَها ﴾ جعله مظلماً ﴿ وأخرَجَ ضُحاها ﴾ أبرز نهارها . والضحى : انبساط الشمس وامتداد النهار . [٣٠] ﴿ والأرضَ بعدَ ذلك ﴾ بعد تسوية السَّماء على الوجه السَّابق ﴿ دَحاها ﴾ مدَّها لسكنى أهلها ، وتقلُّبهم في أقطارها . [٣١] ﴿ أخرجَ منها ماءَها ﴾ بأن فجَّر منها عيوناً وأجرى أنهاراً ﴿ ومرْعاها ﴾ رعيها ، وهو النَّبات . [٣٢] ﴿ والجبالَ أرْساها ﴾ أثبتها فيها . [٣٣] ﴿ مَتاعاً لكُم ولأنْعامِكُم ﴾ انتفاعاً إلى حين .

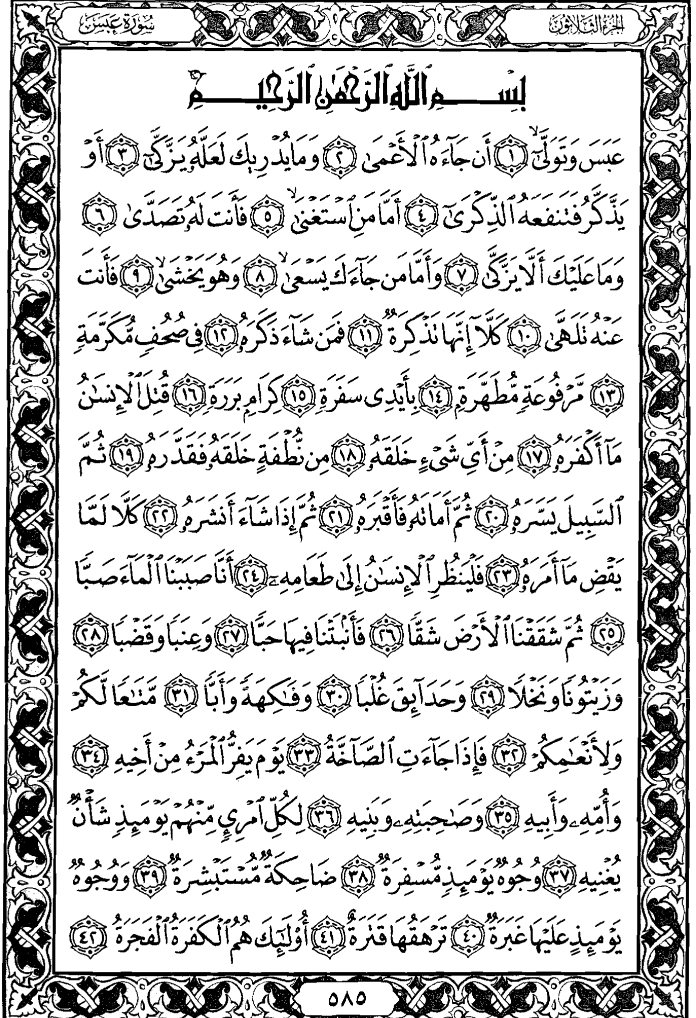
[٣٤] ﴿ فإذا جاءَتِ الطَّامَّة الكُبْرى ﴾ أي الداهية العظمى وهي القيامة للحساب والجزاء . [٣٥] ﴿ يومَ يتذكَّرُ الإنسانُ ما سَعَى ﴾ ما عمل من خير أو شر . [٣٦] ﴿ وبُرِّزَتِ الجحيمُ لمن يَرى ﴾ أظهرت نار الله لأبصار النَّاظرين . [٣٧] ﴿ فأمَّا مَنْ طَغَى ﴾ أفرط في تعدِّيه ومجاوزته حد الشريعة والحق ، إلى ارتكاب العصيان والفساد والضلال . [٣٨] ﴿وآثرَ الحياةَ الدُّنْيا ﴾ على كرامة الآخرة وما أُعد فيها للأبرار .

[٣٩] ﴿ فإنَّ الجحيمَ هِيَ المأْوى ﴾ أي مأواه ومرجعه . [٤٠] ﴿ وأمَّا مَنْ خافَ مقامَ ربِّه ﴾ اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿ ونَهَى النَّفْسَ عنِ الهَوى ﴾فخالفها إلى ما أمره به . [٤١] ﴿ فإنَّ الجنَّةَ هي المأْوى ﴾ هي مصيره يوم القيامة .

[٤٢] ﴿ يسألُونَكَ عنِ السَّاعةِ أيَّانَ مُرْساها ﴾ متى يقيمها الله ويكوِّنها . [٤٣] ﴿ فيمَ أنتَ من ذِكْراها ﴾ ليس إليك ذكرها لأنها من الغيوب .

[٤٤] ﴿ إلى رَبِّكَ مُنْتَهاها ﴾ أي منتهى علمها . [٤٥] ﴿إنَّما أنْتَ مُنذر مَن يَخْشاها ﴾ ما بعثت إلا لإنذار من يخاف حسابها .

[٤٦] ﴿ كأنَّـهُم يومَ يرَوْنَها لم يَلْبَـثوا إلا عَشِيَّـةً أو ضُحاها ﴾ كأنهم لم يلبثوا في الدُّنيا أو في القبور إلا ساعة من نهار ، بمقدار عشيَّة أو ضحاها .


الجزء الثلاثون — سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

٥٨٥

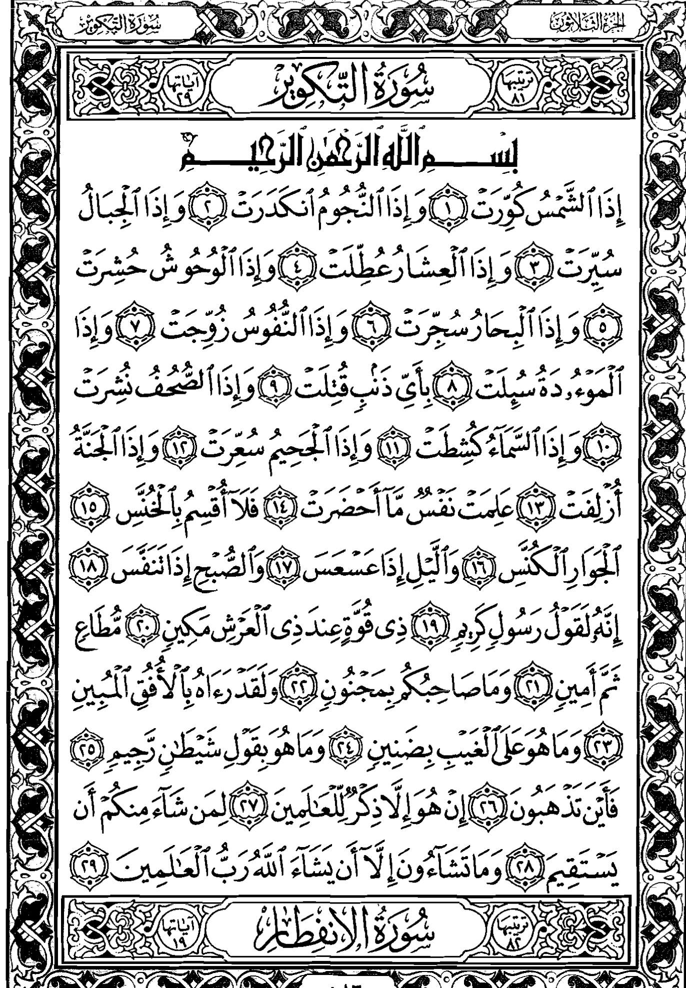
ربع الحزب ٥٩

[سورة عبس]

مكية . وعدد آياتها اثنتان وأربعون آية . وتسمى : الصّاخّة .

[١] ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ الذي عبس وتولّى هو الرسول ﷺ . [٢] ﴿ أَنْ جاءَهُ الأَعْمى ﴾ هو عبد الله ابن أم مكتوم [جاءه يسأله عن الإسلام فأعرض عنه وكان يحادث صناديد قريش يطمع في إسلامهم] . [٣] ﴿ وما يُدْريكَ لعلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ أي يتطهر بما يتلقن منك . [٤] ﴿ أَوْ يَذَّكَّرَ فتنفَعَهُ الذِّكْرى ﴾ أو يعتبر ويتعظ فتنفعه موعظتك . [٥] ﴿ أمّا مَن اسْتَغْنى ﴾ بماله وقوّته عن سماع القرآن والهداية والموعظة . [٦] ﴿ فأنتَ لهُ تَصَدّى ﴾ تتعرض له بالإقبال عليه ، رجاء أن يسلم ويهتدي . [٧] ﴿ وما عَلَيْكَ ألاّ يزَّكّى ﴾ وليس عليك بأس في أن لا يزكّى بالإسلام . [٨] ﴿ وأمّا من جاءَكَ يَسْعى ﴾ يسرع في طلب الخير . [٩] ﴿ وهو يَخْشى ﴾ يخاف الله ويتقيه . [١٠] ﴿ فأنْتَ عنْهُ تَلَهّى ﴾ تُعْرِض وتتشاغل بغيره . [١١] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله ﴿ إنّها تَذْكِرَةٌ ﴾ إن المعاتبة المذكورة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها . [١٢] ﴿ فمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ فمن شاء اتّعظ به . [١٣] ﴿ في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴾ يعني صحف آيات التنزيل وسوره . [١٤] ﴿ مَرْفوعةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ عالية المقدار مطهرة من التغيير والنقص والضلال . [١٥] ﴿ بأيْدي سَفَرَةٍ ﴾ السفرة : إما الملائكة لأنهم يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله ، كأنه محمول بأيديهم ، وإما الأنبياء لأنهم وسائط في الوحي يبلغونه للناس . [١٦] ﴿ كِرامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أخيار . [١٧] ﴿ قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَهُ ﴾ المراد من استغنى عن القرآن الكريم . فالمراد إظهار السخط . [١٨] ﴿ مِنْ أيِّ شيءٍ خَلَقَهُ ﴾ . [١٩] ﴿ مِن نُطفةٍ خلقَهُ فقدَّرَهُ ﴾ خلقه من شيء حقير مهين ، فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال ، أو فقدّره أطواراً إلى أن تم خلقه . [٢٠] ﴿ ثُمَّ السَّبيلَ يَسَّرَهُ ﴾ سهّل له سبيل الولادة . [٢١] ﴿ ثم أماتَهُ فأقْبَرَهُ ﴾ جعله ذا قبر يوارى فيه . [٢٢] ﴿ ثُمَّ إذا شاءَ أنْشَرَهُ ﴾ أي بعثه بعد مماته وأحياه . [٢٣] ﴿ كلاَّ لمَّا يَقْضِ ما أمَرَهُ ﴾ فإنه لما يؤدِّ ما فرض عليه من الفرائض . [٢٤] ﴿ فلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى طعامِهِ ﴾ . [٢٥] ﴿ أنّا صَبَبْنا الماءَ ﴾ من المزن ﴿ صَبّاً ﴾ شديداً ظاهراً . [٢٦] ﴿ ثمّ شَقَقْنا الأرضَ شقّاً ﴾ صدّعناها بالنبات . [٢٧] ﴿ فأنبتنا فيها حَبّاً ﴾ نحو الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوب . [٢٨] ﴿ وعِنَباً وقَضْباً ﴾ وهو كل ما أُكل من النبات رطباً ، كالقثّاء والخيار ونحوهما . [٢٩] ﴿ وزَيْتوناً ونَخْلاً ﴾ . [٣٠] ﴿ وحدائقَ ﴾ بساتين ذوات الأشجار المثمرة ﴿ غُلْباً ﴾ جمع غلباء أي ضخمة عظيمة .

[٣١] ﴿ وفاكِهةً ﴾ مما يؤكل من ثمار الأشجار ﴿ وأَبّاً ﴾ وهو المرعى الذي تأكله البهائم من العشب والنبات . [٣٢] ﴿ متاعاً لكُمْ ولأنْعامِكُم ﴾ جعلكم تنتفعون به أنتم وأنعامكم . [٣٣] ﴿ فإذا جاءَتِ الصّاخّةُ ﴾ يعني الداهية الشديدة ، وهي صيحة [القيامة] . [٣٤] ﴿ يومَ يَفِرُّ المرْءُ من أخيهِ ﴾ . [٣٥] ﴿ وأمِّهِ وأبيهِ ﴾ . [٣٦] ﴿ وصاحِبَتِهِ ﴾ أي زوجته ﴿ وبَنيهِ ﴾ لاشتغاله بنفسه وعلمه بأنهم لا ينفعونه . [٣٧] ﴿ لكل امرئ منهُمْ يومئذٍ شأنٌ يُغْنيهِ ﴾ يكفيه الاهتمام به . [٣٨] ﴿ وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾ مضيئة . [٣٩] ﴿ ضاحِكةٌ مسْتَبْشِرةٌ ﴾ مسرورة ، وهي وجوه المؤمنين . [٤٠] ﴿ ووُجُوهٌ يومئذ عليْها غَبَرَةٌ ﴾ غبار وكدورة . [٤١] ﴿ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ ﴾ تغشاها ظلمة . [٤٢] ﴿ أولئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ ﴾ .



الجزء الثلاثون — سورة التكوير

سورة التكوير — ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سورة الانفطار — ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

٥٨٦

[سورة التكوير]

مكية . وعدد آياتها تسع وعشرون آية .

[١] ﴿ إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ أي أزيلت من مكانها ، وأُلقيت عن فَلَكها ، ومُحي ضوؤها .

[٢] ﴿ وإذا النجومُ انكَدرتْ ﴾ تناثرت وانقضّت .

[٣] ﴿ وإذا الجبالُ سُيِّرتْ ﴾ أي رُفعت عن وجه الأرض ونُسفت .

[٤] ﴿ وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ العشار جمع عُشراء : وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر . فإذا هذه الحوامل التي يتنافس فيها أهلها أُهملت ، فتُركت من شدّة الهول النازل بهم .

[٥] ﴿ وإذا الوحوشُ حُشرتْ ﴾ أي جُمعت من كل جانب واختلطت .

[٦] ﴿ وإذا البحارُ سُجِّرتْ ﴾ أي ملئت بتفجير بعضها إلى بعض ، حتى تعود بحراً واحداً . وقيل المعنى : تأجّجت ناراً .

[٧] ﴿ وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أي قرنت الأرواح بأجسادها .

[٨] ﴿ وإذا المَوْؤُدةُ سُئِلَتْ ﴾ يعني البنات اللاتي كانت طوائف العرب يقتلونهن .

[٩] ﴿ بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ ﴾ .

[١٠] ﴿ وإذا الصُحُفُ نُشِرتْ ﴾ أي : صحف الأعمال بعدما كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات .

[١١] ﴿ وإذا السّماءُ كُشطَتْ ﴾ أي قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة . [١٢] ﴿ وإذا الجَحيمُ سُعِّرتْ ﴾ أي أوقد عليها فأحميت . [١٣] ﴿ وإذا الجنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أي قربت للمتّقين .

[١٤] ﴿ علمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ ما قدّمت من خير فتصير به إلى الجنّة ، أو شر فتصير به إلى النار . [١٥] ﴿ فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ ﴾ أي الرواجع من النجوم . من خنس إذا رجع وتأخّر . [١٦] ﴿ الجَوارِ ﴾ جمع جارية من الجري ﴿ الكُنَّسِ ﴾ أي الغيّب التي تدخل في بروجها ، في رأي العين .

[١٧] ﴿ والليلِ إذا عَسْعَسَ ﴾ أدبر ولم يبق إلا اليسير ، وذلك وقت السَّحر . [١٨] ﴿ والصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ ﴾ أقبل وتبيّن تشبيهاً بمن نفس عنه كربه .

[١٩] ﴿ إنَّهُ ﴾ القرآن الكريم ﴿ لقولُ رسولٍ كريمٍ ﴾ هو جبريل عليه السلام الذي نزل بالوحي .

[٢٠] ﴿ ذي قُوّةٍ ﴾ شديد القوة قادر على القيام بكل ما يُؤمر به ﴿ عندَ ذي العَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أي صاحب مكانة وشرف ومنزلة لديه تعالى .

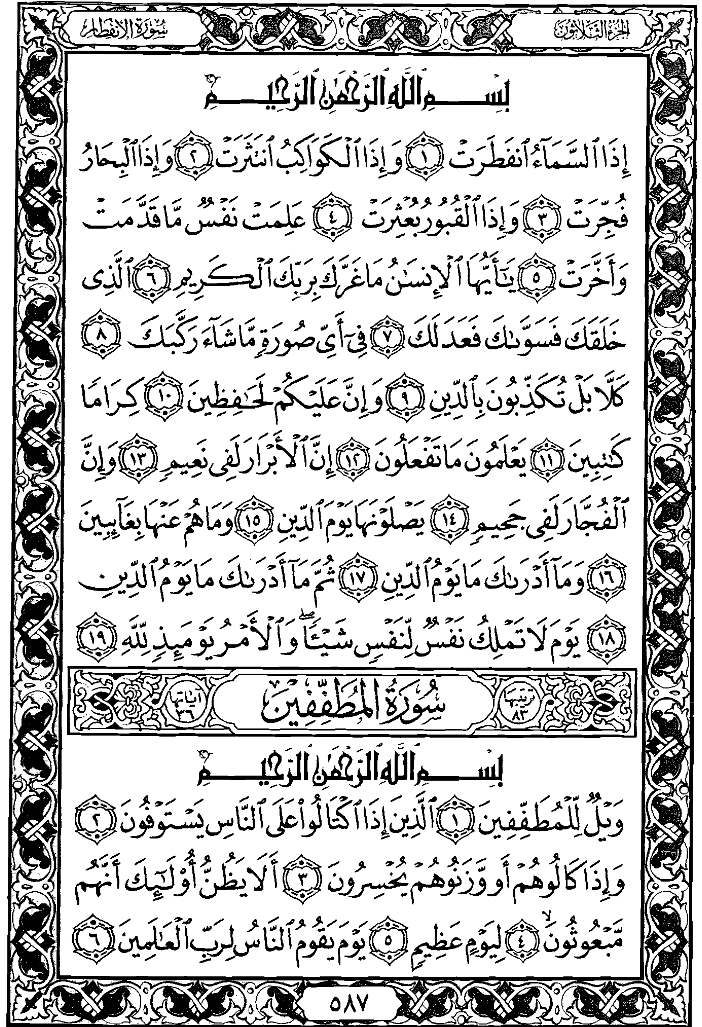
[٢١] ﴿ مُطاعٍ ثَمّ ﴾ في الملأ الأعلى ﴿ أمينٍ ﴾ على وحيه تعالى ورسالته . [٢٢] ﴿ وما صاحِبُكُم بمَجْنونٍ ﴾ أي محمد ﷺ .

[٢٣] ﴿ ولقدْ رآهُ بالأُفُقِ المُبينِ ﴾ ولقد رأى محمد ﷺ جبريلَ بالأفق الأعلى . [٢٤] ﴿ وما هُوَ على الغَيبِ بضَنينٍ ﴾ لا يبخل بالتعليم والتبليغ . وقرىء ﴿ بظنين ﴾ أي : ما هو بمتّهم على ما يخبر به من الغيب . [٢٥] ﴿ وما هو بقولِ شيطانٍ رَّجيمٍ ﴾ وهو نفيٌ لقولهم إنّه كهانة .

[٢٦] ﴿ فأينَ تَذْهَبون ﴾ أيَّ مسلكٍ تسلكون وقد قامت عليكم الحجّة ؟ .

[٢٧] ﴿ إنْ هُوَ ﴾ القرآن المتلو عليكم ﴿ إلا ذِكْرٌ للعالَمينَ ﴾ تذكرة وعظة لهم .

[٢٨] ﴿ لِمَنْ شاءَ مِنكُم أنْ يَستقيمَ ﴾ باتباع ما أمر الله به . [٢٩] ﴿ وما تشاؤونَ إلا أن يشاءَ اللّهُ ربُّ العالَمينَ ﴾ .



[سورة الانفطار]

مكية . وعدد آياتها تسعة عشر آية .

[١] ﴿ إذا السَّماءُ انفطَرتْ ﴾ أي انشقّتْ .

[٢] ﴿ وإذا الكواكِبُ انتثَرتْ ﴾ أي تساقطتْ .

[٣] ﴿ وإذا البحارُ فُجِّرتْ ﴾ فتح بعضها إلى بعض .

[٤] ﴿ وإذا القبُورُ بُعْثِرتْ ﴾ أي بحشت وأُخرج موتاها .

[٥] ﴿ علِمَتْ نفْسٌ ما قدّمت ﴾ لذلك اليوم من عمل صالح أو سيء ﴿ وأخّرتْ ﴾ تركت من خير أو شر .

[٦] ﴿ يا أيُّها الإنْسانُ ما غرّكَ بربّكَ الكريم ﴾ أي شيء خدعك وجرّأك على عصيانه والانحراف عن فطرته .

[٧] ﴿ الذي خلقَكَ فسوّاكَ فعدَلَكَ ﴾ جعلك معتدلاً متناسب الخلق ، معتدل القامة لا كالبهائم .

[٨] ﴿ في أيِّ صورَةٍ ما شاءَ ركّبَكَ ﴾ يعني أنه ركّبك في صورة هي أبدع الصور وأعجبها .

[٩] ﴿ كلاّ بلْ تُكذِّبون بالدِّينِ ﴾ عناداً وتكذيباً .

[١٠] ﴿ وإنّ عليكُم لحافِظِينَ ﴾ رقباء يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم .

[١١] ﴿ كِراماً كاتِبينَ ﴾ يكتبون ما تقولون .

[١٢] ﴿ يعلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ ﴾ من خير أو شر . يحصونه عليكم .

[١٣] ﴿ إنّ الأبْـرارَ لَفي نَعيمٍ ﴾ إن الذين برُّوا بأداء فرائض الله واجتناب معاصيه ، لفي نعيم الجنان ينعمون فيها .

[١٤] ﴿ وإنَّ الفُجّارَ لَفي جَحيم ﴾ الذين فجروا عن أمر الله وخالفوه . [١٥] ﴿ يصْلَوْنَها يومَ الدِّينِ ﴾ يوم يدان العباد بالأعمال ، فيجازون بها .

[١٦] ﴿ وما هُمْ عنها بغائبينَ ﴾ بخارجينَ . [١٧] ﴿ وما أدْراكَ ما يومُ الدِّين ﴾ تفخيم لأمر ذلك اليوم وتعظيم لشأنه .

[١٨] ﴿ ثُمّ ما أدْراكَ ما يومُ الدِّينِ ﴾ الخطاب للإنسان المتقدم أوّل السورة .

[١٩] ﴿ يومَ لا تَمْلِكُ نفسٌ لنفْسٍ شَيئاً ﴾ من دفع ضُرٍّ أو كشف همٍّ ﴿ والأمرُ يومئذٍ للّهِ ﴾ لاضمحلال الممالك وذهاب الرياسات .

[سورة المطففين]

مكية . وعدد آياتها ست وثلاثون آية .

[١] ﴿ ويلٌ للمطَفِّفينَ ﴾ أي هلاك لهم . [٢] ﴿ الذين إذا اكْتالُوا على النّاسِ يَسْتَوْفونَ ﴾ إذا أخذوا الكيل من النّاس يأخذونه وافياً وزائداً .

[٣] ﴿ وإذا كالُوهُمْ أو وَزَنُوهُم يُخْسِرُونَ ﴾ وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ، ينقصونهم حقّهم الواجب لهم ، وهو الوفاء والتمام .

[٤] ﴿ ألا يَظُنُّ أُولئِكَ أنّهم مَبْعُوثونَ ﴾ من قبورهم بعد مماتهم .

[٥] ﴿ ليوم عظيم ﴾ عظيم الهول .

[٦] ﴿ يومَ يَقومُ النّاسُ لربِّ العالَمِينَ ﴾ أي لأمره وقضائه فيهم بما يستحقُّون .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

[٧] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع عن التطفيف الذي يقترفونه ﴿ إنَّ كتابَ الفُجَّار ﴾ أي ما كتب فيه من عملهم السيء وأحصي عليهم ﴿ لفي سِجِّينٍ ﴾ سمي سجيناً « فعِّيلاً » من السجن ، وهو الحبس والتضييق ، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنَّم .

[٨] ﴿ وما أدْراكَ ما سجِّينٌ ﴾ السجِّين اسم لجهنَّم بإزاء علِّيِّن .

سكتة لطيفة على اللام

[٩] ﴿ كتابٌ مَرْقومٌ ﴾ مسطور بيِّن الكتابة .

[١٠] ﴿ ويْلٌ يومئذٍ للمُكذِّبينَ ﴾ .

[١١] ﴿ الذينَ يُكذِّبونَ بيومِ الدِّينِ ﴾ أي بيوم الحساب والمجازاة .

[١٢] ﴿ وما يُكَذِّبُ بهِ إلا كُلُّ معتدٍ ﴾ مجاوز الفطرة الإنسانية ﴿ أثيم ﴾ مبالغ في ارتكاب المعاصي .

[١٣] ﴿ إذا تُتْلَى عليهِ آياتنا قال : أساطيرُ الأوَّلينَ ﴾ .

[١٤] ﴿ كلاَّ ﴾ ليس هذه الآيات أساطير الأوَّلين ، بل هي الحق المبين ﴿ بَلْ رانَ على قُلوبِهِم ما كانوا يكسبون ﴾ الران : ما غطَّى على القلب من القسوة للذنب بعد الذنب والمعنى : غطَّى على مداركهم ما اكتسبوه من الآثام .

[١٥] ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن الكسب الرائن على قلوبهم ، أو بمعنى : حقّاً ﴿ إنَّهُمْ عنْ رَبِّهِم يومئذ لمحْجوبونَ ﴾ فهم محجوبون عن رؤيته وعن كرامته .

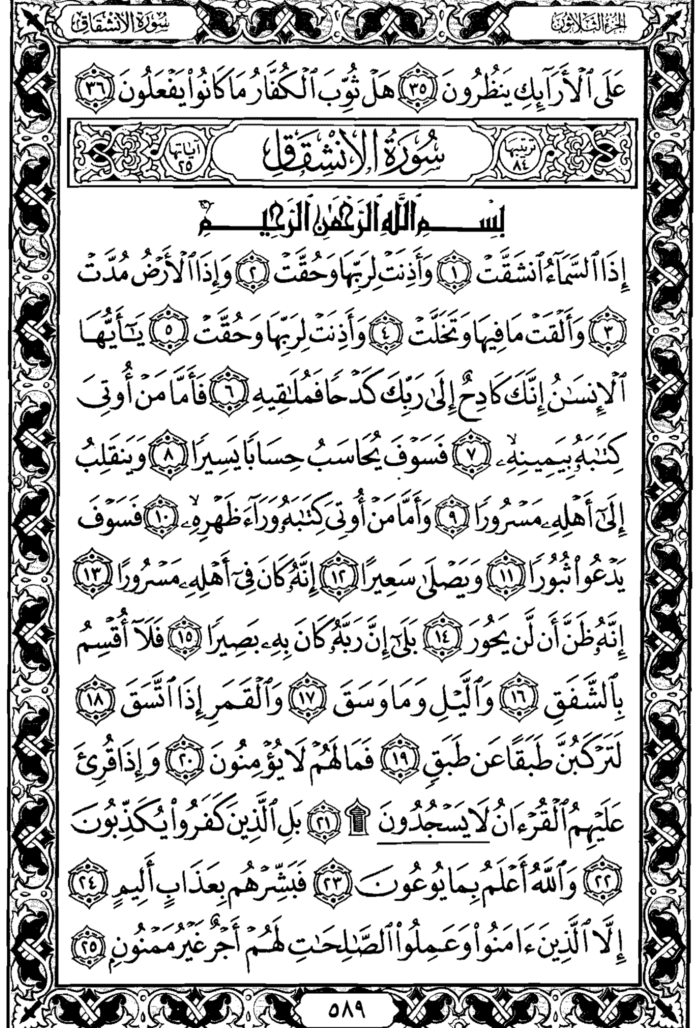
[١٦] ﴿ ثمَّ إنَّهُم لصالوا الجَحيم ﴾ أي محترقون بها .

[١٧] ﴿ ثمَّ يُقالُ هذا الذي كنتُم بهِ تُكذِّبونَ ﴾ في الدُّنيا تبكيتاً لهم وزيادة في التنكيل بهم . [١٨] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع وتكذيب ، أو بمعنى : حقّاً ﴿ إنَّ كتابَ الأبرارِ لَفي عِلِّيينَ ﴾ وهو مقابل للسجِّين ، في علوِّه وارتفاع درجته ، وكونه ديوان أعمال أهل الخير . [١٩] ﴿ وما أدراكَ ما عِلِّيُّون ﴾ .

[٢٠] ﴿ كتابٌ مَرْقومٌ ﴾ محل شريف رقم بصُوَرِ أعمالهم . [٢١] ﴿ يشهَدُهُ المقرَّبونَ ﴾ أي يحضروه . والمقرَّبون : هم الأبرار ، أو هم الملائكة إجلالاً لهم وتعظيماً لشأنهم . [٢٢] ﴿ إنّ الأبرارَ لفي نعيم ﴾ وذلك نعيمهم في الجنان . [٢٣] ﴿ على الأرائكَ يَنْظرونَ ﴾ على الأسرَّة والمتكآت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة وأفانين النعيم . [٢٤] ﴿ تَعْرفُ في وُجُوهِهِم نَضْرَةَ النَّعيم ﴾ أي بهجته ورونقه .

[٢٥] ﴿ يُسْقَوْنَ من رحيقٍ مَختوم ﴾ أي ختم على أوانيه تكريماً له لصيانته عن أنْ تمسّه الأيدي . [٢٦] ﴿ خِتامُهُ مِسْكٌ ﴾ ذلك المسك رطب ينطبع فيه الخاتم ﴿ وفي ذلك ﴾ النَّعيم وما تلاه ﴿ فَلْيَتَنافَسِ المتنافِسونَ ﴾ . [٢٧] ﴿ ومِزاجُهُ من تَسْنيم ﴾ أي ما يمزج به ذلك الرَّحيق من ماء تسنيم .

[٢٨] ﴿ عيناً يَشربُ بها المُقرَّبونَ ﴾ أي يشربون بها الرَّحيق . [٢٩] ﴿ إنَّ الذين أجْرَموا ﴾ يعني كفَّار قريش ﴿ كانوا مِنَ الَّذين آمنوا يَضْحَكونَ ﴾ استهزاء بهم لإيمانهم . [٣٠] ﴿ وإذا مَرُّوا ﴾ أي الذين آمنوا ﴿ بهم يَتَغامَزونَ ﴾ يغمز بعضُهم بعضاً استهزاءً وسخرية . [٣١] ﴿ وإذا انْقَلَبوا ﴾ هؤلاء المجرمون من مجالسهم ﴿ إلى أهلِهِمُ انْقَلَبوا فَكِهِينَ ﴾ متلذذين بالسُّخرية وحكاية ما يعيبون به أهل الإيمان ، أو بما هم فيه من الشِّرْك والطغيان والتنعُّم بالدُّنيا . [٣٢] ﴿ وإذا رأَوْهُم ﴾ أي رأوْا المؤمنين ﴿ قالوا إنَّ هؤلاءِ لَضالُّونَ ﴾ . [٣٣] ﴿ وما أُرْسِلوا ﴾ أي هؤلاء المجرمون القائلون ما ذُكر ﴿ عليْهِم ﴾ على المسلمين ﴿ حافِظِينَ ﴾ لأعمالهم . [٣٤] ﴿ فاليومَ الذين آمَنُوا منَ الكُفَّارِ يَضْحَكونَ ﴾ اليوم : يوم الدين والجزاء .



[٣٥] ﴿ على الأرائكِ يَنْظُرونَ ﴾ إلى ما أوتوا من النعيم ، وما حلَّ بالمجرمين من عذاب الجحيم .

[٣٦] ﴿ هلْ ثُـوِّبَ الكُفَّارُ ما كانـوا يَفْعلونَ ﴾ هل جوزوا ثواب ما كانوا يفعلون في الدنيا ؟ .



[سورة الانشقاق]

مكية . وعدد آياتها خمس وعشرون آية .

[١] ﴿ إذا السَّماءُ انشقَّتْ ﴾ أي انصدعت وتقطعت .

[٢] ﴿ وأَذِنَتْ لـربِّها وحُقَّتْ ﴾ سمعت وأطـاعت في تصدُّعها .

[٣] ﴿ وإذَا الأرضُ مُـدَّتْ ﴾ أي بسطت وجعلـت مستوية ، وذلك بنسف جبالها وآكامها .

[٤] ﴿ وألقَتْ مـا فيها ﴾ مـا في جـوفهـا من الكنوز والأموات ﴿ وتخلَّتْ ﴾ أي وخلت حتـى لم يبق شيء في باطنها .

[٥] ﴿ وأذنَتْ لربِّها وحُقَّتْ ﴾ انقادت له في التخلية ، وحق لها ذلك .



[٦] ﴿ يـا أيُّها الإنسانُ إنَّك كـادحٌ إلى ربِّكَ كَدْحاً فمُلاقيه ﴾ إنك عامل بجهد إلى ربك عملاً فملاقيه به ، خيراً كان أو شراً .

[٧] ﴿ فأمَّا مَنْ أُوتيَ كِتـابَهُ بيَمينِـه ﴾ وهم مـن آمن وعمل صالحاً واتصف بما وصف به الأبرار .

[٨] ﴿ فسـوف يُحاسَبُ حِسـاباً يَسيراً ﴾ بأن ينظـر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها .

[٩] ﴿ وينقلِبُ إلى أهلِـهِ مسروراً ﴾ بنجـاتـه من العذاب . [١٠] ﴿ وأمَّا مَنْ أُوتيَ كتابَـهُ وراءَ ظهرِهِ ﴾ أي أعطي كتاب عمله بشماله من وراء ظهره ، وهو على هيئة المغضوب عليه .

[١١] ﴿ فسوفَ يدعُو ثُبوراً ﴾ فسوف ينادي بالهلاك . [١٢] ﴿ ويَصْلى سَعيراً ﴾ يدخل ناراً يحترق بها . [١٣] ﴿ إنَّهُ كانَ في أهلِهِ مَسْروراً ﴾ أي منعَّماً مستريحاً من التفكر في الحق والدعاء إليه . [١٤] ﴿ إنَّـهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ لن يرجع إلى ربه أو إلى الحياة بالبعث .

[١٥] ﴿ بلى ﴾ ليرجعنَّ إلى ربِّه ﴿ إنَّ ربَّـهُ كانَ بِهِ بَصيراً ﴾ بما أسلف في أيامه الخالية فيجازيه عليه .

[١٦] ﴿ فلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ ﴾ وهي الحمرة في الأفق من ناحية مغرب الشمس .

[١٧] ﴿ والليلِ وما وَسَقَ ﴾ أي جمع وضمَّ مما سكن فيه وهدأ . [١٨] ﴿ والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ ﴾ أي اجتمع وتم نوره وصار كاملاً .

[١٩] ﴿ لـتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَـقٍ ﴾ حالاً بعد حال .

[٢٠] ﴿ فما لهُمْ لا يُؤْمِنون ﴾ أي بهذا الحديث ، وقد أقام لهم الحجة على التوحيد والبعث .

[٢١] ﴿ وإذا قُرِىءَ عليهِمُ القرآنُ لا يَسْجُدونَ ﴾ لا يخضعون ولا ينقادون . [٢٢] ﴿ بلِ الذينَ كفَرُوا يُكذِّبونَ ﴾ بآيات الله وتنزيله .

[٢٣] ﴿ واللَّهُ أعلَمُ بما يُوعُونَ ﴾ بما يسرون في صدورهم من حقية التنزيل ، وإن أخفوه عناداً ، أو بما يضمرون من البغي والمكر .

[٢٤] ﴿ فَبَشِّرْهُم بعذابٍ أليمٍ ﴾ جزاء على تكذيبهم وإعراضهم وبغيهم . [٢٥] ﴿ إلاَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ لهُمْ أجْرٌ غيرُ مَمْنونٍ ﴾ غير ممنون به عليهم . [قال ابن جرير : قال ابن عباس : غير منقوص ، وقال مجاهد : غير محسوب] .

سُورَةُ البُرُوجِ

ترتيبها ٨٥ آياتها ٢٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

ترتيبها ٨٦ آياتها ١٧

[سورة البروج]

مكية . وعدد آياتها اثنتان وعشرون .

[١] ﴿ والسَّماءِ ذاتِ البُروجِ ﴾ أي الكواكب والنجوم شبهت بالبروج لعلوها وهي اثنا عشر برجاً .

[٢] ﴿ واليوم المَوْعودِ ﴾ يوم القيامة .

[٣] ﴿ وشاهِدٍ ﴾ وهو كل ما له حس يشهد به ﴿ ومَشْهودٍ ﴾ العوالم المشهودة كلها .

[٤] ﴿ قُتِلَ أصحابُ الأُخْدُودِ ﴾ الأخدود : الحفرة في الأرض مستطيلة . وأصحاب الأخدود الذين حفروه وأضرموا فيه النار وألقوا به المؤمنين ، وفيهم أقوال منها أنهم كانوا في قرية بنجران .

[٥] ﴿ النَّارِ ذاتِ الوَقودِ ﴾ الوَقود : بالفتح : الحطب الجزل الموقد به . وأما الوُقود : بالضم : فهو الإيقاد .

[٦] ﴿ إذْ هُم عَلَيْها ﴾ على حافات أخدودها ﴿ قُعُودٌ ﴾ قاعدون يتشفَّون من المؤمنين .

[٧] ﴿ وهُمْ على ما يَفْعلونَ بالمؤمِنينَ شُهودٌ ﴾ لا يرقُّون لهم لقسوة قلوبهم .

[٨] ﴿ وما نَقَموا مِنهُم إلاّ أنْ يُؤْمِنوا باللَّهِ ﴾ وما أنكروا منهم إلا الإيمان بالله وحده ﴿ العَزيزِ ﴾ الغالب على أعدائه ﴿ الحَميدِ ﴾ المحمود على إنعامه .

[٩] ﴿ الذي لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ واللَّهُ على كلِّ شيْءٍ شَهيدٌ ﴾ شاهد لا يخفى عليه شيء .

[١٠] ﴿ إنَّ الذين فَتَنُوا المؤمنين والمؤمناتِ ﴾ بلوْهم بالأذى ليرجعوا عن إيمانهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتوبوا ﴾ عن كفرهم وفتنتهم ﴿ فلَهُمْ عذابُ جهنَّمَ ولهُمْ عذابُ الحريقِ ﴾ أي عذابان مُنوَّعان على الكفر وعلى الفتنة ، أو هما واحد : أو من عطف الخاص على العام .

[١١] ﴿ إنَّ الذين آمَنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ ﴾ من هؤلاء المفتونين وغيرهم ﴿ لَهُم ﴾ أي : في نشأتهم الأخرى ﴿ جَنَّاتٌ تجري من تَحْتِها الأنهارُ ذلك الفوزُ الكبيرُ ﴾ التَّام الذي لا فوز مثله .

[١٢] ﴿ إنَّ بَطْشَ ربِّكَ لشديدٌ ﴾ البطش : الأخذ بعنف ، وهو بطشه بالجبابرة والظَّلَمة ، وأخذه إيَّاهم بالعذاب والانتقام .

[١٣] ﴿ إنَّهُ هو يُبْدِئُ ويُعيدُ ﴾ يبدئ خلقاً ، ثم إذا هلك أعاد الله خلقه مرَّة أخرى ، ويعيد النَّاس في اليوم الآخر على النحو الذي يعلمه .

[١٤] ﴿ وهو الغفورُ ﴾ لمن يرجع إليه بالتَّوبة ﴿ الوَدودُ ﴾ المحب لمن أطاعه وأخلص له .

[١٥] ﴿ ذو العَرْشِ ﴾ الملك والسلطان ﴿ المَجيدُ ﴾ العظيم في ذاته وصفاته .

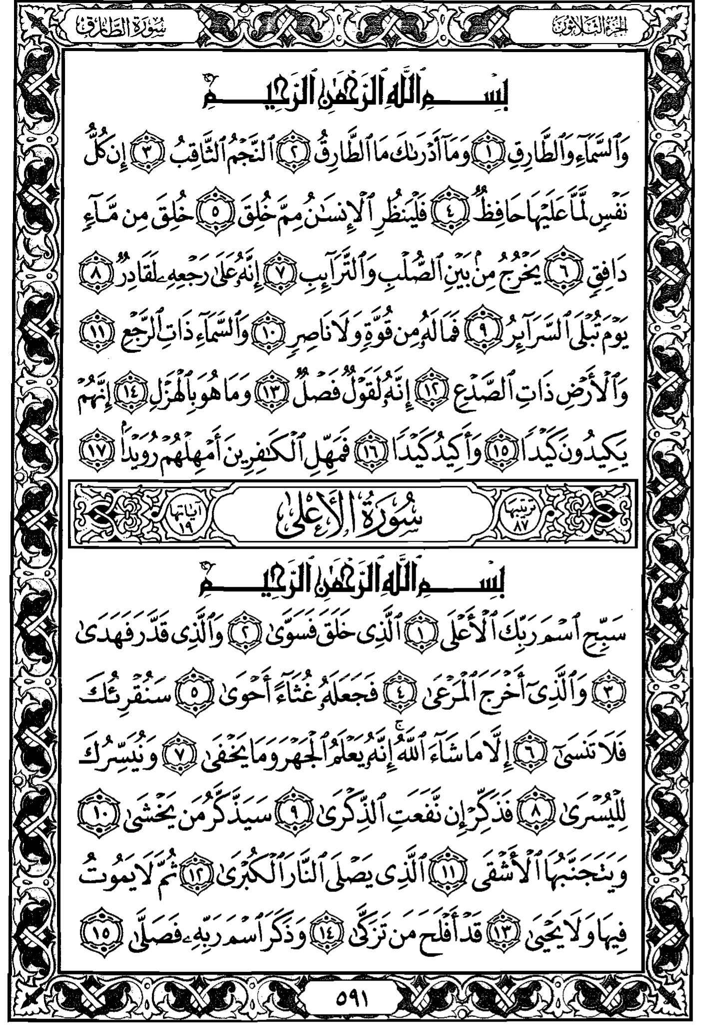
[١٦] ﴿ فعَّالٌ لما يُريدُ ﴾ أي لا يريد شيئاً إلا فعله . [١٧] ﴿ هَلْ أتاكَ حَديثُ الجُنودِ ﴾ أي الذين تجندوا على الرسل بأذاهم .

[١٨] ﴿ فِرْعَوْنَ وثَمودَ ﴾ المراد بفرعون هو وقومه ، والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حلَّ بهم من العذاب .

[١٩] ﴿ بَلِ الذين كَفَروا في تَكْذيبٍ ﴾ للحقِّ والوحي .

[٢٠] ﴿ واللَّهُ من ورائِهِم مُحِيطٌ ﴾ لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيهم عليها .

[٢١] ﴿ بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ ﴾ أي سامٍ شريف لا يُماثل في أسلوبه وهدايته . [٢٢] ﴿ في لَوْحٍ مَحْفوظٍ ﴾ محفوظ من الزيادة فيه والنقصان منه .


الجزء الثلاثون سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ﴿١﴾ وما أدراك ما الطارق ﴿٢﴾ النجم الثاقب ﴿٣﴾ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴿٤﴾ فلينظر الإنسان مم خلق ﴿٥﴾ خلق من ماء دافق ﴿٦﴾ يخرج من بين الصلب والترائب ﴿٧﴾ إنه على رجعه لقادر ﴿٨﴾ يوم تبلى السرائر ﴿٩﴾ فما له من قوة ولا ناصر ﴿١٠﴾ والسماء ذات الرجع ﴿١١﴾ والأرض ذات الصدع ﴿١٢﴾ إنه لقول فصل ﴿١٣﴾ وما هو بالهزل ﴿١٤﴾ إنهم يكيدون كيدا ﴿١٥﴾ وأكيد كيدا ﴿١٦﴾ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى — ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الأعلى ﴿١﴾ الذي خلق فسوى ﴿٢﴾ والذي قدر فهدى ﴿٣﴾ والذي أخرج المرعى ﴿٤﴾ فجعله غثاء أحوى ﴿٥﴾ سنقرئك فلا تنسى ﴿٦﴾ إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴿٧﴾ ونيسرك لليسرى ﴿٨﴾ فذكر إن نفعت الذكرى ﴿٩﴾ سيذكر من يخشى ﴿١٠﴾ ويتجنبها الأشقى ﴿١١﴾ الذي يصلى النار الكبرى ﴿١٢﴾ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿١٣﴾ قد أفلح من تزكى ﴿١٤﴾ وذكر اسم ربه فصلى ﴿١٥﴾

٥٩١

[سورة الطارق]

مكية . وعدد آياتها سبعة عشرة آية .

[١] ﴿ والسماءِ والطّارِقِ ﴾ أصله الذي يطرق ليلاً ومنه النجوم . [٢] ﴿ وما أدْراكَ ما الطّارقُ ﴾ .

[٣] ﴿ النَّجْمُ الثّاقِبُ ﴾ المضيء ، كأنه يثقب ظلمة الليل وينفذ فيه ، وسمي طارقاً لأنه يبدو ليلاً .

[٤] ﴿ إنْ كُلُّ نَفْسٍ لمّا عليها حافِظٌ ﴾ أي مهيمن عليها رقيب يحصي ما تكسب من خير أو شر ، وهو الله تعالى .

[٥] ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ ﴾ إن ارتاب ﴿ مِمَّ خُلِقَ ﴾ .

[٦] ﴿ خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ ﴾ أي ماء منصب .

[٧] ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ ﴾ الصلب: فقرات الظهر. والترائب: عظام الصدر. وأصل المني من الدم الذي يتنقل بينهما في الأوعية الدموية لتغذية الخصيتين.

الحزب ٦٠

[٨] ﴿ إنَّهُ ﴾ الحافظ سبحانه ﴿ على رَجْعِهِ لَقادِرٌ ﴾ قادر على رجع الإنسان وإعادته في النشأة الثانية كما قدر على إبدائه في النشأة الأولى .

[٩] ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ ﴾ يوم تظهر وتعرف خفيّات الضمائر . [١٠] ﴿ فما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ ﴾ .

[١١] ﴿ والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ ﴾ أي المطر .

[١٢] ﴿ والأرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ ﴾ أي النبات ، لأنه يصدع الأرض أي يشقّها .

[١٣] ﴿ إنَّهُ ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ لقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ أي حق فارق بين الحقّ والباطل . [١٤] ﴿ وما هُوَ بالهَزْلِ ﴾ بل هو جدُّ الجدِّ . [١٥] ﴿ إنَّهُم ﴾ أي المكذبين به ﴿ يَكيدونَ كَيْداً ﴾ يمكرون مكراً لإبطال أمر الله وإطفاء نوره . [١٦] ﴿ وأكيدُ كَيْداً ﴾ وأمكر مكراً ، بتشبيه إمهال الله لهم ليستدرجهم بالكيد . [١٧] ﴿ فَمَهِّلِ الكافِرينَ ﴾ لا تستعجل عقابهم ﴿ أمْهِلْهُم ﴾ تكرير بلفظ آخر للتأكيد ﴿ رُوَيْداً ﴾ قليلاً . وفي ذلك وعيد شديد .

[سورة الأعلى]

مكية . وعدد آياتها تسع عشرة آية .

[١] ﴿ سَبِّحِ اسْمَ ربِّكَ الأعْلَى ﴾ الأعلى : هو الأرفع من كل شيء . [٢] ﴿ الذي خَلَقَ فسَوَّى ﴾ خلق كلَّ شيء على إحكام واتّساق .

[٣] ﴿ والذي قَدَّرَ فَهدى ﴾ قدّر لكل حيوان ما يصلحه ، فهداه إليه . [٤] ﴿ والذي أخْرَجَ المرْعى ﴾ من الأرض . [٥] ﴿ فجَعَلَهُ ﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿ غُثاءً ﴾ جافاً يابساً ﴿ أحْوَى ﴾ أسود . [٦] ﴿ سنُقْرِئُكَ فلا تَنْسى ﴾ القرآن وفي ذلك إظهار للمعجزة ، لأنه ﷺ كان أميّاً لا يقرأ .

[٧] ﴿ إلاّ ما شاءَ اللّهُ ﴾ بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير ناسياً لقدر عليه ﴿ إنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وما يَخْفى ﴾ من الأقوال والأفعال .

[٨] ﴿ ونيسِّرُكَ لليُسْرى ﴾ نوفّقك لأيسر الشرائع وأوفقها بحاجة البشر . [٩] ﴿ فذكِّرْ ﴾ عِبادَ اللّهِ عظمتَه ﴿ إنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى ﴾ أي الموعظة .

[١٠] ﴿ سيذَّكَّرُ مَن يَخْشى ﴾ يخاف العقاب على الجحود والعناد بعد ظهور الدليل . [١١] ﴿ ويَتَجَنَّبُها الأشقى ﴾ .

[١٢] ﴿ الذي يَصلَى النّارَ الكُبْرى ﴾ . [١٣] ﴿ ثم لا يموتُ فيها ولا يَحْيَى ﴾ لا يهلك فيستريح ، ولا يحيى حياة تنفعه . [١٤] ﴿ قدْ أفلَحَ من تزكّى ﴾ فاز من تطهّر من دنس الشرك والمعاصي . [١٥] ﴿ وذكر اسْمَ ربِّهِ فصلّى ﴾ أي: تذكر جلال ربه وعظمته فخشع وأشفق .

بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ آياتها ٢٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴿٦﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

[١٦] ﴿ بلْ تُؤْثِرونَ الحياةَ الدُّنيا ﴾ بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها .

[١٧] ﴿والآخِرَةُ خَيرٌ وأبْقىٰ﴾ أي أفضل، لخلوصها عما يكدر، وأدوم لعدم انصرام نعيمها .

[١٨] ﴿إنّ هـذا﴾ ما ذكـر ﴿لَفِي الصُّحُـفِ الأُولى﴾ ثابت فيها معناه .

[١٩] ﴿صُحُفِ إبراهيمَ ومُوسَى﴾ .

[سورة الغاشية]

مكية . وعدد آياتها ست وعشرون آية .

[١] ﴿ هل أتاكَ حديثُ الغاشِيَةِ ﴾ أي خبرها، وهي القيامة التي تغشى الناس بشدائدها .

[٢] ﴿ وُجوهٌ يومئـذٍ خاشِعَةٌ ﴾ ذليلـة ، وهـي وجوه الكفّار .

[٣] ﴿ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ ﴾ عاملة تعبة من استعمال الزبانية إياهـا في أعمال شاقّة، وإتعابها فيهـا من غير منفعة إلا التعب والعذاب، ويجوز أن يكـون إشارة إلى عملهم في الدنيا .

[٤] ﴿ تَصْلى ناراً حامِيَـةً ﴾ تدخل ناراً شديدة الحرارة .

[٥] ﴿ تُسقى من عَيْنٍ آنِيَـةٍ﴾ بلغت غـايتها في شـدّة الحرّ .

[٦] ﴿ ليسَ لَهم طعـامٌ إلا من ضَريعٍ ﴾ هو من جنس الشوْك ، وهو سمٌ قاتل .

[٧] ﴿ لا يُسْمِنُ ولا يُغْني مِنْ جُوعٍ ﴾ .

[٨] ﴿ وجوهٌ يومئـذٍ ناعِمَةٌ ﴾ من النعومة كنايـة عن حسن المنظر ، أو نـاعمـة بمعنى متنعمّـة من النعيم . [٩] ﴿ لِسَعْيِهَا راضِيةٌ ﴾ لعملهـا الذي عملتـه في الدُّنيـا وجدهـا في طريق البر واكتسـاب الفضائل ، شاكرة لا تندم ولا تتحسَّر . [١٠] ﴿ في جَنَّةٍ عالِيَـةٍ ﴾ رفيعة القدر ، من علوِّ المكانة .

[١١] ﴿ لا تسمعُ فيها لاغيةً ﴾ أي لغواً ، لأن كلامهم الحكمة والتسبيح والتحميد .

[١٢] ﴿ فيها عَيْنٌ جارِيَةٌ ﴾ لا انقطاع لها . [١٣] ﴿ فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ ﴾ مرتفعةٌ . [١٤] ﴿ وأكوابٌ مَوْضوعةٌ ﴾ بين أيديهم .

[١٥] ﴿ ونمارِقُ ﴾ وسائد ﴿ مَـصْفوفـةٌ ﴾ للاستناد إليها . [١٦] ﴿ وزرابيُّ مَبْثوثةٌ ﴾ بُسُط مفروشة .

[١٧] ﴿ أفَلا ينظُرون إلى الإبِلِ كيف خُلِقَتْ ﴾ وهي نصب أعينهم يستعملونها كلَّ حين ، وكيف أنها تختلف عن أنواع الحيوانات الأخرى .

[١٨] ﴿ وإلى السّماءِ كيفَ رُفِعَتْ ﴾ أي رفعت كواكبها ونجومها رفعاً سحيق المدى، وأمسك كل منها في مداره إمساكاً لا يختل سيره .

[١٩] ﴿ وإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أقيمت منتصبة لا تبرح مكانها .

[٢٠] ﴿ وإلى الأرضِ كيف سُطِحَتْ ﴾ أي بسطت ومهّدت حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق .

[٢١] ﴿ فذكِّرْ إنّما أنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ بآياته تعالى . [٢٢] ﴿ لسْتَ عليهم بمُسَيْطِرٍ ﴾ لست بمتسلّط تقهرهم على الإيمان .

[٢٣] ﴿ إلاَّ ﴾ لكن ﴿ من تولّى وكَفَرَ ﴾ . [٢٤] ﴿ فيُعذِّبُهُ اللَّهُ العذابَ الأكبَـرَ ﴾ وهو عذاب جهنّم .

[٢٥] ﴿ إنَّ إلينا إيابَهُم ﴾ أي رجوعهم ومعادهم بالموت والبعث . [٢٦] ﴿ ثُمّ إنَّ علينا حسابَهُم ﴾ فإنَّ القهر والغلبة له تعالى وحده .



[سورة الفجر]

مكية . وعدد آياتها ثلاثون آية .

[١] ﴿ والفَجْرِ ﴾ أي الصبح . أقسم تعالى بآيته .

[٢] ﴿ وليَالٍ عَشْرٍ ﴾ هي العشر الأولى من ذي الحجَّة لأنها أيـام الاهتمام بنُسك الحجّ ، وقيل إنها العشر الأواخر من رمضان لما فيها من ليلة القدر ، وقيل غير ذلك .

[٣] ﴿ والشَّفعِ والوَتْرِ ﴾ يعني الخلق والخالق . وقيل يوم النحر ويوم عرفة ، وقيل الصلاة المكتوبة ، وقال ابن جرير : إن الله تعالى لم يخصص فكل شفع ووتر فهو مما أقسم به .

[٤] ﴿ واللَّيْلِ إذا يَسْرِ ﴾ أي إذا يمضي .

[٥] ﴿ هَلْ في ذلك قَسَمٌ لِذي حِجْرٍ ﴾ من كان ذا عقل عَلِمَ أن ما أقسم الله تعالى به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبيَّة .

[٦] ﴿ ألَمْ تَرَ كيف فعلَ ربُّك بِعادٍ ﴾ هي «عاد» قبيلة من العرب البائدة ، وتلقَّب بإرم أيضاً ، وهم قوم هود عليه السلام .

[٧] ﴿ إرَمَ ذاتِ العِمادِ ﴾ ذات الخيام المعمَّدة .

[٨] ﴿ التي لَمْ يُخْلَقْ مثلُها في البلادِ ﴾ في العظم والبطش .

[٩] ﴿ وثمودَ ﴾ وهم قوم صالح عليه السلام ﴿ الذين جابُوا الصَّخْرَ بالوادِ ﴾ أي قطعوا صخر الجبال واتَّخذوا فيها بيوتاً .

[١٠] ﴿ وفِرْعَونَ ذي الأوْتادِ ﴾ أي الجنود الذين يشدّون له أمره ، أو هي أوتاد يشد بها من يعذِّبه . [١١] ﴿ الذين طَغَوْا في البِلادِ ﴾ صفة للمذكورين : عاد وثمود وفرعون .

[١٢] ﴿ فأكثَرُوا فيها الفَسَادَ ﴾ الضرر والإيذاء وهضم الحقوق . [١٣] ﴿ فصبَّ عليهم ربُّكَ سَوْطَ عَذابٍ ﴾ أنزل بهم عذابه .

[١٤] ﴿ إنَّ ربَّكَ لبالمرْصادِ ﴾ اسم مكان للذي يترقَّب فيه الرَّصد ، أو صيغة مبالغة . كونه تعالى حافظاً لأعمال العباد مترقِّباً لها ومجازياً عليها .

[١٥] ﴿ فأمَّا الإنسانُ إذا ما ابتَلاهُ رَبُّهُ فأكرَمَهُ ونعَّمَهُ ﴾ بالغنى واليسار ﴿ فيقولُ ربِّي أكْرَمَنِ ﴾ فضَّلني لما لي عنده من الكرامة .

[١٦] ﴿ وأمَّا إذا ما ابتَلاهُ فقَدَرَ عليهِ رزقَهُ ﴾ أي ضيَّقه عليه وقتَّره ﴿ فيقولُ رَبِّي أهانَنِ ﴾ أي أذاني بالفقر . [١٧] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع عن قوليه في اعتقاد الإكرام في الإعطاء ، والإهانة في المنع ﴿ بَل لاّ تُكْرِمُونَ اليَتيمَ ﴾ . [١٨] ﴿ ولا تَحاضُّونَ على طعامِ المِسْكينِ ﴾ لا يحضُّ بعضُكم بعضاً عليه .

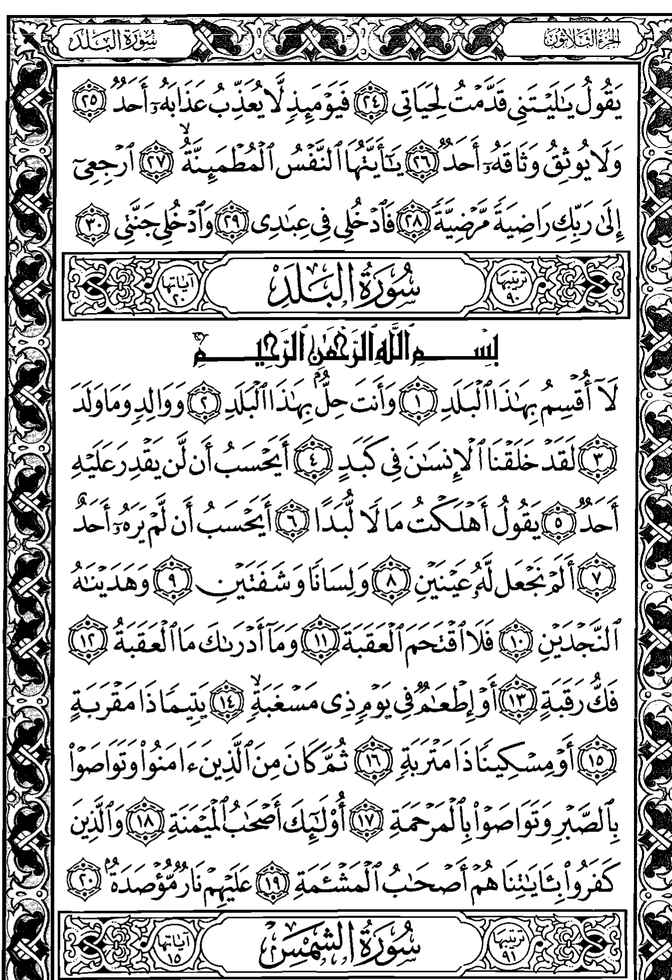
[١٩] ﴿ وتأكُلُونَ التُراثَ أكْلاً لمّاً ﴾ قال بكر بن عبد الله : اللمُّ : الاعتداء في الميراث بأكل ميراثه وميراث غيره .

[٢٠] ﴿ وتُحِبُّونَ المالَ حُباً جَمّاً ﴾ حباً شديداً .

[٢١] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿ إذا دكَّتِ الأرْضُ دكّاً دكّاً ﴾ أي دكاً بعد دك حتى عادت هباءً منثوراً .

[٢٢] ﴿ وجاءَ ربُّكَ والمَلَكُ صفّاً صفّاً ﴾ قال ابن كثير: أي وجاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة بين يديه صفوفاً صفوفاً .

[٢٣] ﴿ وجيءَ يومئذٍ بجهنَّمَ ﴾ أي أظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره إليها ﴿ يومئذ يتذكَّرُ الإنسانُ ﴾ تفريطه في الدّنيا في طاعة الله وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال ﴿ وأنّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ أي منفعتها .



[٢٤] ﴿ يقولُ يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي ﴾ أي أسلفت من الأعمال الصالحة لحياتي هذه .

[٢٥] ﴿ فيومئذٍ لا يُعَذِّبُ عذابَهُ أحَدٌ ﴾ لا يعذّب كعذاب الله أحدٌ في الدنيا .

[٢٦] ﴿ ولا يوثِقُ وثاقَهُ أحَدٌ ﴾ لا يوثق يومئذ كوثاقه أحد في الدنيا .

[٢٧] ﴿ يا أيَّتُها النَّفْسُ المطْمَئِنَّةُ ﴾ وهي التي كان قلبها اطمأنّ بذكر الله وطاعته .

ربع الحزب ٦٠

[٢٨] ﴿ ارجعي إلى ربِّكِ ﴾ إلى وعده وثوابه ﴿ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ راضية بما أوتيت ، مرضيّة عند ربّها .

[٢٩] ﴿ فادْخُلي في عِبادي ﴾ وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنونَ .

[٣٠] ﴿ وادْخُلي جَنَّتي ﴾ أي معهم .

[سورة البلد]

مكية . وعدد آياتها عشرون آية .

[١] ﴿ لا أُقْسِمُ بهذا البَلَدِ ﴾ البلد هو مكّة المكرّمة .

[٢] ﴿ وأنتَ حِلٌّ بهذا البَلَدِ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ، فكأنه إقسام به لأجله ، مع تعريض بعدم شرف أهل مكّة .

[٣] ﴿ ووالدٍ وما وَلَدَ ﴾ المعني به كل والد وما ولد .

[٤] ﴿ لقد خَلَقْنا الإنسانَ في كَبَدٍ ﴾ أي في شدّة ، يكابد الأمور من حمله إلى أن يستقر به القرار .

[٥] ﴿ أيَحْسَبُ ﴾ لغلظ حجابه ومرض قلبه لاحتجابه بالطبيعة ﴿ أنْ لنْ يقْدِرَ عليهِ أحَدٌ ﴾ أي لن تقوم قيامة ، ولن يقدر أحدٌ على مجازاته وقهره وغلبته . مع أن ما هو فيه من المكابدة يكفي لايقاظه من غفلته .

[٦] ﴿ يقولُ أهْلَكْتُ مالاً لُبَداً ﴾ مالاً كثيراً . والمراد ما أنفقه للافتخار والمباهاة والرِّياء . [٧] ﴿ أيَحْسَبُ أنْ لمْ يَرَهُ أحَدٌ ﴾ أيحسب أنْ لم يطّلع الله تعالى على باطنه ونيّته حين ينفق ماله في السمعة والمباهاة لا على ما ينبغي في مرضاة الله . [٨] ﴿ ألمْ نَجْعَلْ لهُ عينَيْنِ ﴾ .

[٩] ﴿ ولساناً وشفَتَيْنِ ﴾ . [١٠] ﴿ وهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ طريقي الخير والشرّ .

[١١] ﴿ فلا اقتَحَمَ العَقَبَةَ ﴾ العقبة : الطريق الوعرة في الجبل يصعب سلوكها ، استعارها لما فيه من معاناة المشقّة ومجاهدة النّفس .

[١٢] ﴿ وما أدْراكَ ما العَقَبَةُ ﴾ . [١٣] ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ تخليصها من الرق وأسر العبودية .

[١٤] ﴿ أو إطعامٌ في يَوْمٍ ذي مَسْغَبَةٍ ﴾ أي مجاعة . [١٥] ﴿ يتيماً ذا مَقْرَبَةٍ ﴾ وهذا حضٌّ على تقديم ذوي النَّسب والقربى المحتاجين .

[١٦] ﴿ أو مِسْكيناً ذا مَتْرَبَةٍ ﴾ فقر شديد لا يوازيه إلا التراب . [١٧] ﴿ ثمَّ كانَ من الذينَ آمَنوا وتواصَوْا ﴾ أوصى بعضُهم بعضاً ﴿ بالصَّبْرِ ﴾ على ما نابهم في سبيل الله والدعوة إلى الحق ﴿ وتواصَوْا بالمرحَمَةِ ﴾ بالرحمة بعضهم على بعضهم . [١٨] ﴿ أولئك أصحابُ المَيْمَنَةِ ﴾ أي اليمين ، أو جهة اليمين التي فيها السُّعداء . [١٩] ﴿ والذين كَفَروا بآياتِنا هُمْ أصحابُ المشأمَةِ ﴾ أي الشؤم على أنفسهم ، أو جهة الشمال التي فيها الأشقياء .

[٢٠] ﴿ عليهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة أبوابها ، كناية عن حبسهم المخلد فيها .



الجزء الثلاثون — سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سورة الليل — ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

٥٩٥

[سورة الشمس]

مكية . وعدد آياتها خمس عشرة آية .

[١] ﴿ **والشَّمْسِ وضُحاها** ﴾ أي ضوؤها إذا أشرقت .

[٢] ﴿ **والقمرِ إذا تَلاها** ﴾ أي تبع الشَّمس .

[٣] ﴿ **والنَّهارِ إذا جَلَّاها** ﴾ أظهر الشمس ، وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه .

[٤] ﴿ **والليلِ إذا يَغْشاها** ﴾ يغشى الشمس فتغيب عن الأبصار .

[٥] ﴿ **والسماءِ وما بَناها** ﴾ أي ومن رفعها .

[٦] ﴿ **والأرضِ وما طَحاها** ﴾ أي بسطها من كل جانب لافتراشها والضرب في أكنافها . وليس في ذلك دليل على أن الأرض غير كروية .

[٧] ﴿ **ونفسٍ وما سَوّاها** ﴾ أي خلقها فعدل خلقها ومزاجها وأعدّها لقبول الكمال .

[٨] ﴿ **فألهَمَها فُجورَها وتَقْواها** ﴾ أي أفهمها حسن التقوى وقبح الفجور .

[٩] ﴿ **قدْ أفلحَ من زكّاها** ﴾ أي زكى نفسه وطهّرها من رجس النقائص والآثام . أو نمّاها بالعلم والعمل .

[١٠] ﴿ **وقد خابَ من دَسّاها** ﴾ بخذلانه إياها عن الهدى حتى ارتكب المعاصي وترك طاعة الله .

[١١] ﴿ **كذّبَتْ ثمودُ بطَغْواها** ﴾ أي بسبب طغيانها ومجاوزتها الحدّ في الفجور . فالطغوى مصدر من الطغيان . [١٢] ﴿ **إذِ انبَعَثَ أشْقاها** ﴾ حين قام أشقى ثمود لعقر ناقة صالح عليه السلام .

[١٣] ﴿ **فقالَ لهُمْ رَسولُ اللّهِ** ﴾ يعني صالحاً عليه السلام : ﴿ **ناقةَ اللّهِ وسُقْياها** ﴾ أي لا تؤذوا ناقة الله التي جعلها آية بيّنة . وكان عليه السلام تقدم إليهم عن أمر الله أن للناقة شرب يوم ولهم شرب يوم آخر . [١٤] ﴿ **فكذّبُوهُ** ﴾ فيما حذّرهم منه ﴿ **فعَقَروها** ﴾ فقتلوها ﴿ **فدَمْدَمَ عليهِم ربُّهُم بذنْبِهِم** ﴾ دمدم : أطبق عليهم العذاب ﴿ **فسَوّاها** ﴾ أي جعلها عليهم سواء فلم يفلت منهم أحد . [١٥] ﴿ **ولا يَخافُ عُقْباها** ﴾ لا يخشى تبعة إهلاكهم لأنّه العزيز الذي لا يغالَب .

[سورة الليل]

مكية . وعدد آياتها إحدى وعشرون آية . قال (ﷺ) لمعاذ : هلاّ صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى .

[١] ﴿ **والليلِ إذا يَغْشى** ﴾ النّهار بظلمته . [٢] ﴿ **والنّهارِ إذا تَجلّى** ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل . [٣] ﴿ **وما خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثى** ﴾ من كل نوع له توالد . [٤] ﴿ **إنَّ سَعْيَكُم لشَتّى** ﴾ أي مختلف في جزائه ، ومفرّق في عاقبته . [٥] ﴿ **فأمّا مَن أعطَى واتّقى** ﴾ ربّه باجتناب محارمه . [٦] ﴿ **وصَدَّقَ بالحُسنى** ﴾ أي بالمثوبة الحسنى . [٧] ﴿ **فسنُيَسِّرُهُ لليُسْرى** ﴾ أي فسنهيؤه ونوفّقه لسلوك طريق الحقّ . [٨] ﴿ **وأمّا من بَخِلَ** ﴾ بالنّفقة في سبيل الله ﴿ **واستَغْنى** ﴾ عن ربّه فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته بالزيادة فيما خوّله . [٩] ﴿ **وكذَّبَ بالحُسنى** ﴾ أي بوجود المثوبة الحسنى . [١٠] ﴿ **فسنيَسِّرُهُ للعُسْرى** ﴾ للطريقة المؤدية إلى الشقاء الأبدي . [١١] ﴿ **وما يُغْني عَنْهُ مالُهُ إذا تَردّى** ﴾ أي وما يفيده ماله الذي تعب في تحصيله ، إذا هلك . [١٢] ﴿ **إنَّ علَيْنا لَلْهُدى** ﴾ أن نبيّن لهم طريق الهدى ليجتنبوا مواقع الرّدى . [١٣] ﴿ **وإنَّ لنا لَلآخِرَةَ والأُولى** ﴾ أي ملكاً وخلقاً ، فلا يضرنا توليكم عن الهدى . [١٤] ﴿ **فأنذَرْتُكم ناراً تَلَظّى** ﴾ أي تتلظّى وتتوهّج ، وهي نار الآخرة .



[١٥] ﴿ لا يَصْلاها إلاّ الأشْقى ﴾ .

[١٦] ﴿ الذي كذَّبَ ﴾ بالحقِّ ﴿ وتَوَلَّى ﴾ عن آيات ربِّه وبراهينها عناداً وكفراً .

[١٧] ﴿ وسَيُجَنَّبُها الأتْقى ﴾ .

[١٨] ﴿ الذي يُؤْتي مالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ أي ينفق ماله في سبيل الخير يتزكى عن رجس البخل .

[١٩] ﴿ وما لأحَدٍ عِنْدَهُ من نِعْمَةٍ تُجْزى ﴾ لا يؤتيه للمكافأة والمعاوضة .

[٢٠] ﴿ إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّهِ الأعْلى ﴾ يؤتيه ابتغاء وجه ربِّه ، وطلب مرضاته ، لا لغرض آخر من مكافأة أو محمدة أو سمعة .

[٢١] ﴿ ولسَوْفَ يَرْضى ﴾ بما يثيبه الله تعالى. قال ابن كثير: هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

[سورة الضحى]

مكية . وعدد آياتها إحدى عشرة آية .

[١] ﴿ والضُّحى ﴾ الضحى : ارتفاع ضوء النَّهار ارتفاعاً عالياً .

[٢] ﴿ واللَّيْلِ إذا سَجى ﴾ أي اشتد ظلامه .

نصف الحزب ٦٠

[٣] ﴿ ما ودَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ ما تركك وما قطعك قطع المودع ﴿ وما قَلى ﴾ وما أبغضك ، والقالي : المبغض. نزلت بعد انقطاع الوحي أياماً لطمأنته (ﷺ).

[٤] ﴿ ولَلآخرةُ خيْرٌ لكَ منَ الأُولى ﴾ فلا تحزن على ما فاتك منها . [٥] ﴿ ولَسَوْفَ يُعْطيكَ ربُّكَ فترْضى ﴾ .

[٦] ﴿ ألَمْ يَجِدْكَ يتيماً فآوىٰ ﴾ روي أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر ، وماتت أمُّه وهو ابن ثمان سنين ، فكفله عمُّه أبو طالب وعطَّفه الله عليه فأحسن تربيته ، وإيواؤه . [٧] ﴿ ووجدَكَ ضالاًّ ﴾ عمّا أنت عليه من الهدى والفرقان ﴿ فهَدى ﴾ فهداك إليه وجعلك إماماً له .

[٨] ﴿ ووجدكَ عائلاً ﴾ فقيراً ﴿ فأغْنى ﴾ فأغناك . [٩] ﴿ فأمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ ﴾ فلا تغلبه على ماله فتذهب بحقِّه .

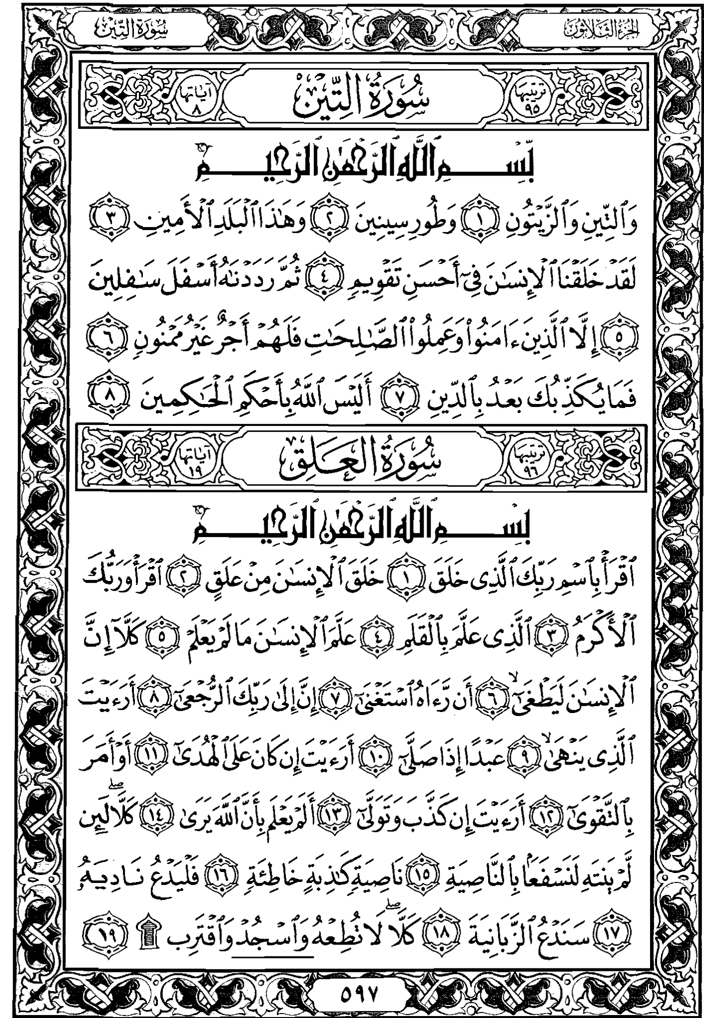
[١٠] ﴿ وأمَّا السَّائلَ فلا تَنْهَرْ ﴾ وأما من سألك من ذوي الحاجات فلا تنهره . [١١] ﴿ وأمَّا بِنِعْمَةِ ربِّكَ فحدِّثْ ﴾ بشكرها وإظهار آثارها .

[سورة الشرح]

مدنية ، وقيل مكية وهو الأقوى عندي ، فإن استقراء النعم المعدودة فيها إنما كان بالمدينة . وعدد آياتها ثمان آيات .

[١] ﴿ ألَمْ نشرحْ لكَ صدركَ ﴾ بالنبوة وغيرها . [٢] ﴿ ووضَعْنا عنكَ وِزْرَكَ ﴾ الوزر: الحمل الثقيل ، ووضعه : إزالته عنه .

[٣] ﴿ الذي أنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ الإنقاض : حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر من الحمل الثقيل ، والمقصود : إزالة الحمل الثقيل عن ظهره ﷺ الذي كان يثقل عليه ويغمه من قلة المستجيبين لدعوته ، وشيوع الشرك وقوة أهله . [٤] ﴿ ورفعنا لكَ ذِكْرَكَ ﴾ في الدُّنيا والآخرة . [٥] ﴿ فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً ﴾ أي جرت سنته تعالى بذلك. [٦] ﴿ إنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً ﴾ تكرير للتأكيد . [٧] ﴿ فإذا فرَغْتَ ﴾ من مقارعة المشركين ﴿فانْصَبْ ﴾ أي خذ في العبادة والتسبيح شكراً لله . [٨] ﴿ وإلى رَبِّكَ فارْغَب ﴾ اجعل نيَّتك ورغبتك إليه من دون سواه من خلقه .



[سورة التين]

مكية ، ويقال مدنية . وعدد آياتها ثمان آيات .

[١] ﴿ والتينِ والزَّيْتونِ ﴾ خصَّهما لكثرة فوائدهما وعظم منافعهما . وقيل المقصود بيت المقدس ـ حيث يكثر التين والزيتون ـ الذي بعث الله فيه عيسى ابن مريم عليه السلام .

[٢] ﴿ وطورِ سينينَ ﴾ طور سيناء الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام .

[٣] ﴿ وهذا البَلَدِ الأمينِ ﴾ مكَّة المشرَّفة .

[٤] ﴿ لقدْ خلَقْنا الإنسانَ في أحْسَنِ تَقْويمٍ ﴾ في أحسن تعديل خلقاً .

[٥] ﴿ ثمَّ رَدَدْناهُ أسفَلَ سافِلينَ ﴾ السافلين : العصاة وغيرهم وقيل إلى مكان أسفل سافلين أي جهنم .

[٦] ﴿ إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ فلهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ غير مقطوع ، أو غير منقوص .

[٧] ﴿ فما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينَ ﴾ أي فما يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالجزاء بعد البعث ، والاستفهام للإنكار .

[٨] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بأحْكَمِ الحاكِمينَ ﴾ وعيد للكفَّار ، وأنَّه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب .

[سورة العلق]



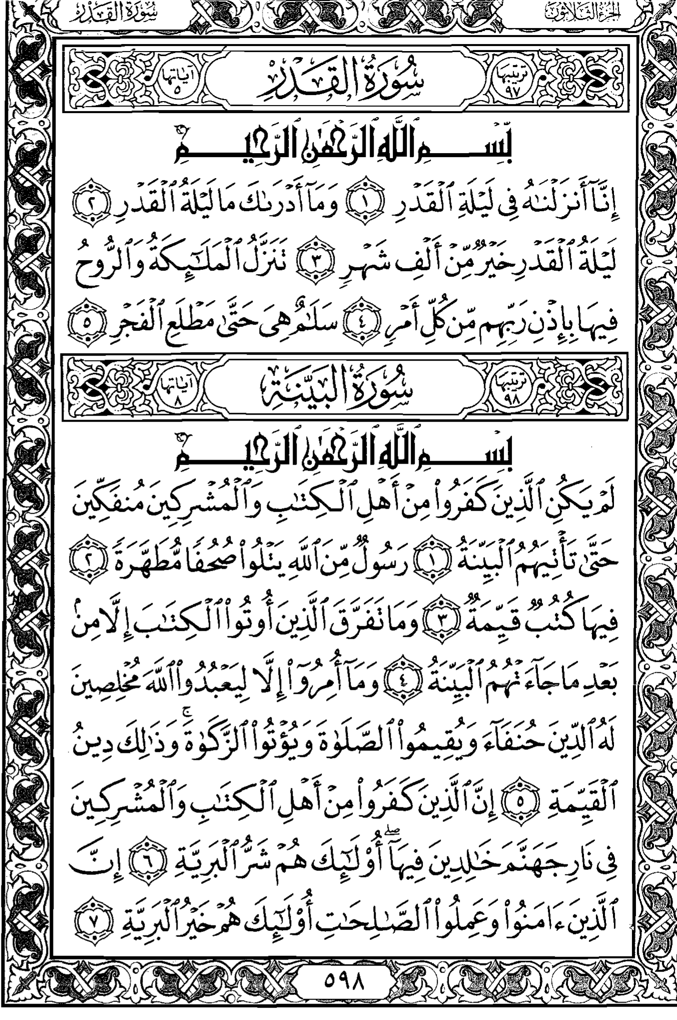
مكيَّة بالإجماع . وعدد آياتها تسع عشرة آية . وصدرها أول آية نزلت من القرآن .

[١] ﴿ اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ ﴾ أي : كن قارئاً ، واقرأ ما يوحى إليك وابدأ باسم الله .

[٢] ﴿ خلقَ الإنسانَ من عَلَقٍ ﴾ أي دم جامد . وهي حالة الجنين في الأيام الأولى لخلقه . [٣] ﴿ اقرأ وربُّكَ الأكْرَمُ ﴾ من كل من يُرتجى منه الإعطاء . [٤] ﴿ الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ ﴾ . [٥] ﴿ علَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . [٦] ﴿ كلاَّ إنَّ الإنسانَ ليَطْغى ﴾ يتجاوز حدَّه ويستكبر على ربِّه . [٧] ﴿ أنْ رآهُ استَغْنى ﴾ إن رأى نفسه استغنت . [٨] ﴿ إنَّ إلى ربِّكَ الرُّجْعى ﴾ أي المرجع في الآخرة . [٩] ﴿ أرأيْتَ الذي يَنْهى ﴾ . [١٠] ﴿ عبْداً إذا صَلَّى ﴾ النَّاهي أبو جهل والعبد المصلي النبي ﷺ . [١١] ﴿ أرأيتَ إنْ كانَ على الهُدى ﴾ على طريقة سديدة فيما نهى عنه من عبادة الله .

[١٢] ﴿ أو أمَرَ بالتَّقْوى ﴾ أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان ، كما يعتقد ؟ . [١٣] ﴿ أرأيْتَ إنْ كَذَّبَ ﴾ أي نبئني عن حاله إن كذَّب بما جاء به النبيون ﴿ وتَوَلَّى ﴾ أي أعرض عن العمل الطيب . [١٤] ﴿ ألَمْ يعلَمْ بأنَّ اللَّهَ يَرى ﴾ أجَهِلَ أن الله يطَّلع على أمره ويحاسبه عليه ؟ . [١٥] ﴿ كلاَّ لئِنْ لمْ ينْتَهِ ﴾ عن النهي عن الصلاة وعن التكذيب والتولي ﴿ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ ﴾ لنأخذن بناصيته ، ولنسحبنَّه بها إلى النَّار .

[١٦] ﴿ ناصيةٍ كاذبةٍ خاطِئَةٍ ﴾ توصف بما يدل على علَّة السفع وشموله لكل من وجد فيه ذلك . [١٧] ﴿ فلْيَدْعُ نادِيَهُ ﴾ أي أهل مجلسه ، ليمنع المصلّين ويؤذي أهل الحقِّ الصَّادقين . [١٨] ﴿ سنَدْعُ الزَّبانِيَةَ ﴾ أي زبانية العذاب من جنوده تعالى فيهلكونه في الدنيا ، أو يردُّونه في النَّار في الآخرة وهو صاغر . [١٩] ﴿ كلاَّ ﴾ ردع للناهي بعد ردع ، وزجر إثر زجر ﴿ لا تُطِعْهُ ﴾ لا تطع ذلك الطاغي إذا نهاك عن عبادة ربِّك ﴿ واسْجُدْ واقتَرِبْ ﴾ أي صل لربِّك وتقرَّب منه بالعبادة وتحبب إليه بالطَّاعة .



الجزء الثلاثون سورة القدر

سورة القدر ترتيبها ٩٧ آياتها ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة البينة ترتيبها ٩٨ آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

٥٩٨

[سورة القدر]

مكية على الأكثر. وعدد آياتها خمس آيات.

[١] ﴿ إنَّا أنزلْناهُ في ليلةِ القَدْرِ ﴾ بمعنى ابتدأنا إنزال القرآن الكريم في ليلة القدر. سميت ليلة القدر: بمعنى العظمة والشرف.

[٢] ﴿ وما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ ﴾.

[٣] ﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ خيرٌ من ألْفِ شَهْرٍ ﴾ فليلة يسطع فيها نور الهدى خير من ألف شهر.

[٤] ﴿ تنزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها ﴾ الروح هو جبريل عليه السلام الذي يبلِّغه الوحيَ ﴿ بإذْنِ ربِّهِم مِنْ كُلِّ أمْرٍ ﴾ كل أمر يريد إبلاغه إلى عباده.

[٥] ﴿ سَلامٌ هي حتّى مطلَعِ الفَجْرِ ﴾ أي أنها كانت ليلة سالمة من كل شر وأذى.

[سورة البيِّنة]

مدنية. وعدد آياتها ثمان آيات. ويقال لها: سورة القيِّمة، وسورة المنفكِّين، وسورة البريَّة.

[١] ﴿ لمْ يكُنِ الذين كفَروا ﴾ أي جحدوا نبوّة النبيِّ ﷺ بعنادهم، بعد ما تبيَّنوا الحقَّ منها ﴿ منْ أهلِ الكِتابِ ﴾ أي اليهود والنَّصارى ﴿ والمُشْرِكِينَ ﴾ أي وثنيِّي العرب ﴿ مُنْفكِّينَ ﴾ عن غفلتهم وجهلهم بالحقِّ، ووقوفهم عندما قلَّدوا فيه آباءهم ﴿ حتّى تأتيَهُمُ البيِّنَةُ ﴾ أي الحُجّة القاطعة. [قال ابن جرير: قال بعضهم معنى ذلك: لم يكن هؤلاء الكفار، من أهل التوراة والإنجيل، و المشركون من عبدة الأوثان منتهين حتى يأتيهم هذا القرآن. وقال آخرون: بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون، لم يكونوا تاركين صفة محمد ﷺ في كتابهم، حتى بعث، فلما بعث تفرقوا فيه].

[٢] ﴿ رسولٌ منَ اللَّهِ ﴾ أي محمد ﷺ ﴿ يتلُوْ صُحُفاً مُطَهَّرَةً ﴾ وهي صحف القرآن المطهّرة من الخلط وحشو المدلّسين.

[٣] ﴿ فيها كُتُبٌ قيِّمَةٌ ﴾ أي مستقيمة لا عوج فيها، وكل سورة من سوره، كتاب قويم.

[٤] ﴿ وما تفرَّقَ الذين أُوتُوْا الكتابَ إلاّ مِن بعْدِ ما جاءتْهُمُ البيِّنَةُ ﴾ على ألسنة أنبيائهم، فهكذا كان شأنهم في النبي ﷺ، جحدوا بينته كما جحدوا بينة أنبيائهم.

[٥] ﴿ وما أُمِروا إلاّ لِيَعْبُدوا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ حُنفاءَ ﴾ متّبعين إبراهيم عليه السَّلام أو على مثاله ﴿ ويُقيموا الصَّلاة ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذلكَ دِينُ القيِّمَةِ ﴾ دين الأمة القيِّمة المستقيمة. ومعنى الآية: إن أهل الكتاب قد افترقوا، ولعنت كل فرقة أختها، وكان افتراقهم في العقائد والأحكام وفروع الشريعة مع أنهم لم يؤمروا ولم توضع لهم تلك الأحكام إلا لأجل أن يعبدوا الله ويخلصوا له عقائدهم وأعمالهم . . . ومتى تحكّم الإخلاص في الأنفس تسلط الإنصاف عليها، فسادت فيها الوحدة ولم تطرق طرقها الفرقة.

[٦] ﴿ إنَّ الذين كفَروا منْ أهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكينَ في نارِ جهنَّمَ خالِدينَ فيها، أُولئكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ ﴾ أي شر الخليقة.

[٧] ﴿ إنَّ الذينَ آمَنوا ﴾ بالله ورسوله محمد ﷺ ﴿ وعَمِلوا الصَّالِحاتِ أُولئكَ هُمْ خيرُ البَرِيَّةِ ﴾ أي أفضل الخليقة.



[٨] ﴿جزاؤُهُمْ عند رَبِّهِم جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً﴾ ماكثين على الدَّوام ﴿ رضِيَ اللّهُ عنهُمْ ﴾ بما أطاعوه في الدُّنيا ﴿ ورضُوا عنهُ ﴾ وجدوا في الآخرة من فضل الله ما لا محل للسخط معه ، فهم راضون عنه في كل حال ﴿ ذلكَ ﴾ الجزاء الحسن الرضا ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ خاف الله في الدُّنيا ، في سرِّه وعلانيته .

[سورة الزلزلة]

مكيَّة . وعدد آياتها ثماني آيات .

[١] ﴿ إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزالَها ﴾ أي أصابها ذلك الزلزال الشديد والاهتزاز الرهيب المخصوص بها .

[٢] ﴿ وأخْرَجَتِ الأرْضُ أثقالَها ﴾ أي قذفت ما في باطنها من كنوز ودفائن وأموات وغير ذلك لشدَّة الزلزال وتشقُّق ظهرها .

[٣] ﴿ وقال الإنسانُ ما لَها ﴾ رجت هذه الرجة الهائلة وبعثر ما فيها؟ .

[٤] ﴿ يومئذٍ ﴾ أي في ذلك الوقت ﴿ تُحدِّثُ أخبارَها ﴾ أي تبيِّن الأرضُ ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها .

[٥] ﴿ بأنَّ ربَّكَ أوْحى لها ﴾ أي أشار إليها وأمرها بالاضطراب والخراب وإخراج الأثقال .

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

[٦] ﴿ يومئذٍ يَصدُرُ النَّاسُ أشْتاتاً ﴾ ينصرفون عن مراقدهم إلى مواطن حسابهم وجزائهم ، متفرقين سعداء وأشقياء ﴿ ليُرَوْا أعمالَهُم ﴾ ليريهم الله تعالى جزاء أعمالهم .

[٧] ﴿ فمَنْ يعمَلْ مِثْقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ ﴾ الذرَّة : النملة الصغيرة ، وهي مَثَلٌ في الصِّغر . وقيل الذرّ : هو الهباء الذي يُرى في ضوء الشمس إذا دخل من نافذة . [٨] ﴿ ومَنْ يعمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ شراً يَرَهُ ﴾ أي ومن يحمل في الدنيا وزن ذرَّة من شر يرى جزاءه .

[سورة العاديات]

مكية . وعدد آياتها إحدى عشرة آية .

[١] ﴿ والعادياتِ ضَبْحاً ﴾ قسمٌ بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدوّ ، والضبح : صوت أنفاسها إذا عدتْ .

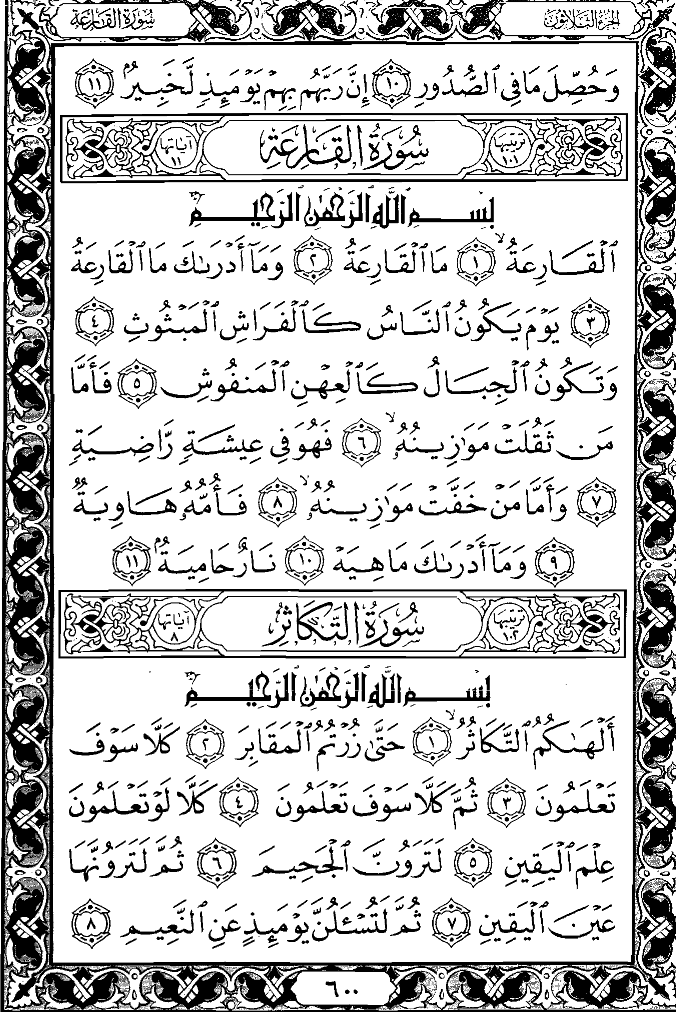
[٢] ﴿ فالموريات قَدْحاً ﴾ أي توري النَّار بحوافرها ، والقدح : هو الضرب لإخراج النَّار .

[٣] ﴿ فالمُغيراتِ صُبْحاً ﴾ تغير على العدوّ وقت الصبح لأخذه على غير أهبة .

[٤] ﴿ فأثَرْنَ بهِ نَقْعاً ﴾ فأهجن غباراً من الإثارة . والنقع : الغبار . [٥] ﴿ فوسَطْنَ به جَمْعاً ﴾ دخلن في وسط جمع من الأعداء ففرقنه وشتَّتنه .

[٦] ﴿ إنَّ الإنسانَ لربِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ لكفور ، يكفر نعمه ولا يشكرها . [٧] ﴿ وإنَّهُ على ذلك لَشَهيدٌ ﴾ فالشهادة مستعارة لظهور آثار كفرانه وعصيانه بلسان حاله . [٨] ﴿ وإنَّهُ لِحُبِّ الخيرِ لَشَديدٌ ﴾ وإنَّ حبَّه المال والدنيا لقويّ .

[٩] ﴿ أفلا يعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ ﴾ أي بعث وأخرج من في القبور من الموتى .



[١٠] ﴿ وحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ ﴾ من أسرارهم .

[١١] ﴿ إنَّ ربَّهُمْ بِهِمْ يومئذٍ لخبيرٌ ﴾ عالم بأسرارهم وضمائرهم وأعمالهم فيجازيهم عليها .

[سورة القارعة]

مكية . وعدد آياتها إحدى عشرة آية .

[١] ﴿ القارِعَةُ ﴾ القرع : هو الضرب بشدة واعتماد . والقارعة هنا : القيامة .

[٢] ﴿ ما القارِعَةُ ﴾ .

[٣] ﴿ وما أدْراكَ ما القارِعَةُ ﴾ السؤال لتأكيد هولها وفظاعتها .

[٤] ﴿ يوْمَ يكونُ النَّاسُ كالفَراشِ المبْثُوثِ ﴾ في الكثرة والانتشار والضعف والذِّلَّة والاضطراب ، والتطاير إلى الداعي ، كتطاير الفراش إلى النَّار .

[٥] ﴿ وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المنْفُوشِ ﴾ كالصُّوف المندوف في تفرُّق أجزائها وتطايرها في الجوِّ .

[٦] ﴿ فأمَّا من ثَقُلَتْ موازينُهُ ﴾ الموازين : جمع ميزان ، ويجوز أن يكون جمع « موزون » ، وهو العمل الذي له خطر ووزن عند الله .

[٧] ﴿ فهوَ في عِيشَةٍ راضِيَةٍ ﴾ في عيشة قد رضيها في الجنَّة .

[٨] ﴿ وأمَّا منْ خَفَّتْ موازينُهُ ﴾ أي خفَّ وزن حسناته لقلَّتها .

[٩] ﴿ فأُمُّهُ هاوِيَةٌ ﴾ فمأواه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه في جهنَّم ، وسمى المأوى أمّاً على التشبيه .

[١٠] ﴿ وما أدْراكَ ما هِيَهْ ﴾ أصل ﴿ ما هيه ﴾ ما هيَ ، أدخل في آخرها هاء السكت . [١١] ﴿ نارٌ حامِيَةٌ ﴾ وضحها بعد إبهامها .

[سورة التكاثر]

مكية . وعدد آياتها ثماني آيات .

[١] ﴿ ألْهاكُمُ التَّكاثُرُ ﴾ أي شغلكم التباهي بالكثرة في المال والولد ونحوهما .

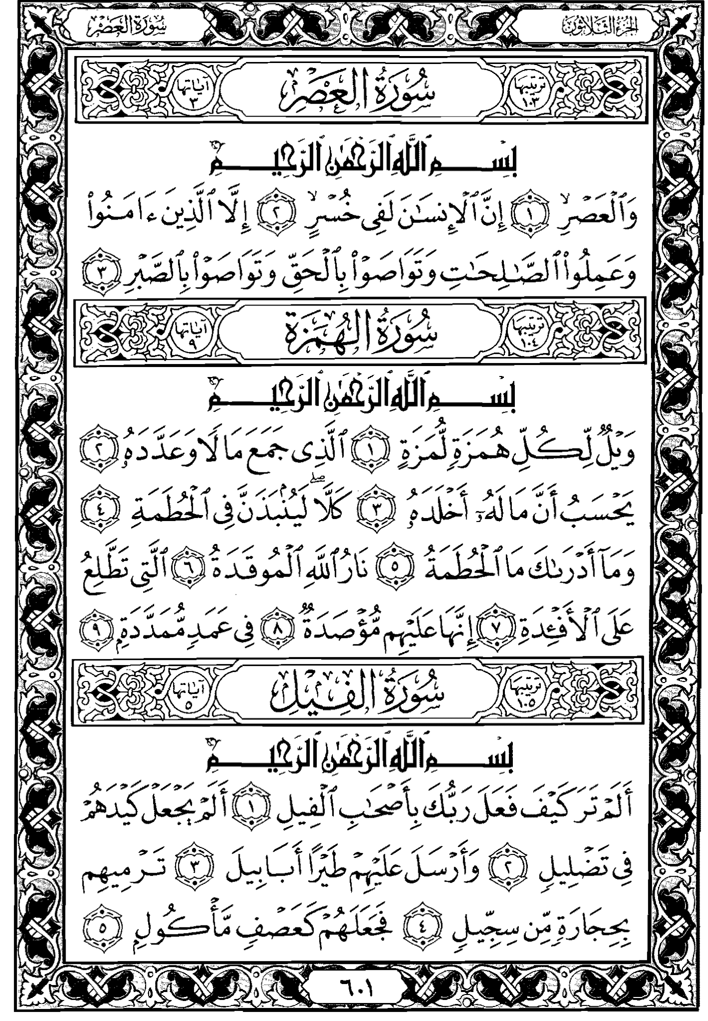
[٢] ﴿ حتَّى زُرْتُمُ المقابِرَ ﴾ كناية عن الموت .

[٣] ﴿ كلاَّ سوفَ تعْلَمُونَ ﴾ مغبَّة ما أنتم عليه في الآخرة من وخامة عاقبة الاشتغال بهذه الشهوات السريعة الزوال ، العظيمة الوبال ، لبقاء تبعاتها . [٤] ﴿ ثُمَّ كلاَّ سوفَ تعْلَمُونَ ﴾ تكرار للتأكيد .

[٥] ﴿ كلاَّ لوْ تعْلَمون عِلْم اليَقينِ ﴾ لما بين أيديكم من الجزاء . علم اليقين بمعنى المتيقن . [٦] ﴿ لَتَرَوُنَّ الجحيمَ ﴾ تهديد شديد .

[٧] ﴿ ثمّ لَتَرَوُنَّها عينَ اليَقينِ ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين .

[٨] ﴿ ثمّ لَتُسْألُنّ يومئذٍ عَنِ النّعيم ﴾ قال ابن عباس : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار . قال : يسأل الله العباد فيم استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم . وقال قتادة : إن الله عز وجل سائل كل عبد عمّا استودعه من نعمه وحقِّه .


الجزء الثلاثون — سورة العصر

سورة العصر — ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة الهمزة — ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سورة الفيل — ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

٦٠١

[سورة العصر]

مكية . وعدد آياتها ثلاث آيات .

[١] ﴿ **والعَصْرِ** ﴾ أي الدهر ، أقسم تعالى به لانطوائه على تعاجيب الأمور ، وقيل هو الوقت المعروف الذي تجب فيه صلاة العصر .

[٢] ﴿ **إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ** ﴾ بإيثار الحياة الدنيا واللذات الفانية .

[٣] ﴿ **إلاّ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ** ﴾ من الفضائل والخيرات ﴿ **وتواصَوْا بالحَقِّ** ﴾ أوصى بعضهم بعضاً بما أنزل الله في كتابه من أمره ، واجتناب ما نهى عنه من معاصيه ﴿ **وتواصَوْا بالصَّبْرِ** ﴾ أي على ما يبلو الله به عباده أو بالصبر والبقاء على الاستقامة .

[سورة الهُمَزة]

مكيَّة . وعدد آياتها تسع آيات .

[١] ﴿ **وَيْلٌ لكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** ﴾ أي لكل من يطعن في أعراض النَّاس ويغتابهم . والهمز: الكسر، واللمز: الطعن .

[٢] ﴿ **الذي جَمَعَ مالاً وعَدَّدَهُ** ﴾ أحصى عدده ولم ينفقه في وجوه البرّ . لأنه لا يرى عزّاً ولا شرفاً بسواه .

[٣] ﴿ **أيَحْسَبُ أنَّ مالَهُ أخْلَدَهُ** ﴾ أيظنُّ أنَّ ماله مخلِّده في الدُّنيا فمزيل عنه الموت .

[٤] ﴿ **كلاَّ** ﴾ إنَّ الأمر ليس كما يظنُّ ﴿ **ليُنْبَذَنَّ في الحُطَمَةِ** ﴾ ليقذفنَّ يوم القيامة في النَّار التي من شأنها أن تحطم كلَّ ما يلقى فيها ، أي تكسره .

[٥] ﴿ **وما أدْراكَ ما الحُطَمَةُ** ﴾ استفهام عنها لتهويل أمرها ، كأنها ليست من الأمور التي تدركها العقول . [٦] ﴿ **نارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ** ﴾ هي النَّار التي لا تنسب إلا إليه سبحانه لأنه هو مُنشِؤها في عالم لا يعلمه سواه .

[٧] ﴿ **التي تَطَّلِعُ على الأفْئِدَةِ** ﴾ تصل إلى صدورهم وتطّلع على أفئدتهم ، وهي أوساط القلوب . ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد .

[٨] ﴿ **إنَّها عليهِم مُؤْصَدَةٌ** ﴾ مغلقة مطبقة لا مخلص لهم منها .

[٩] ﴿ **في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ** ﴾ المعنى يؤكد يأسهم من الخروج فتوصد عليهم الأبواب ، وتمدد على العمد ، استيثاقاً في استيثاق .

[سورة الفيل]

مكية . وعدد آياتها خمس آيات . [١] ﴿ **ألَمْ تَرَ** ﴾ يا محمد ﴿ **كيف فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ** ﴾ الذين قدموا من الحبشة عن طريق اليمن يريدون تخريب الكعبة ، ورئيسهم أبرهة الأشرم . [٢] ﴿ **ألَمْ يجعَلْ كيدَهُم في تضْليلٍ** ﴾ ألم يجعل مكرهم وسعيهم لتخريب الكعبة في تضييع وإبطال .

[٣] ﴿ **وأرسَلَ عليهِم طيراً أبابيلَ** ﴾ طوائف متفرّقة ، يتبع بعضها بعضاً من نواحٍ شتَّى . [٤] ﴿ **ترْميهِم بحِجارَةٍ من سِجِّيلٍ** ﴾ من طين متحجّر .

[٥] ﴿ **فجعلَهُم كعَصْفٍ مأكولٍ** ﴾ شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم ، بزرع أكلته الدواب ، ثم راثته ، فيبس وتفرقت أجزاؤه . يعني كذلك ستتفتت أجسادهم .



[سورة قريش]

مكية . وعدد آياتها أربع آيات .

[١] ﴿ لإيلافِ قُرَيْشٍ ﴾ إيلاف قريش : إلفهم الخروج في تجارتهم . وكانت لهم خرجتان .

[٢] ﴿ إيلافِهِمْ ، رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ ﴾ في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام .

[٣] ﴿ فليَعْبُدوا رَبَّ هذا البَيْتِ ﴾ البيت : هو الكعبة المشرّفة .

[٤] ﴿ الذي أطعَمَهُم منْ جُوعٍ ﴾ الذي كانوا فيه قبل الخرجتين ﴿وآمَنَهُم من خَوْفٍ ﴾ من الغارات والحروب والقتال والأمور التي كانت العرب يخاف بعضها من بعض .

[سورة الماعون]

مدنية . وعدد آياتها سبع آيات .

[١] ﴿ أرأيْتَ الذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ ﴾ أي بثواب الله وعقابه ، فلا يطيعه في أمره ونهيه . والخطاب للنبيِّ ﷺ ، أو لكل عاقل ، والرؤية : بمعنى العلم .

[٢] ﴿ فذلك الذي يَدُعُّ اليَتيمَ ﴾ يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً .

[٣] ﴿ ولا يَحُضُّ على طعامِ المسْكينِ ﴾ لا يحثُّ غيرَه على إطعام المحتاج .

[٤] ﴿ فوَيْلٌ للمُصَلِّينَ ﴾ قال ابن عباس : هم المنافقون كانوا يراؤون النّاس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، أو الذين وجبت عليهم الصلاة .

[٥] ﴿ الذين هُمْ عن صَلاتِهم ساهُونَ ﴾ أي لاهون يتغافلون عنها بالتشاغل بغيرها وتضييعها أحياناً وتضييع وقتها أخرى .

[٦] ﴿ الذين هُمْ يُراؤُونَ ﴾ إذا صلُّوا لأنهم لا يصلُّون رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب ، وإنّما يصلُّونها ليراهم المؤمنون فيظنوهم منهم فيكفُّوا عنهم . وأصل المراءاة أن ترى غيرك ويراك .

[٧] ﴿ ويمنَعونَ الماعُونَ ﴾ أي ما يُعان به الخلق ويُصرف في معونتهم من الأموال والأمتعة وكل ما ينتفع به .

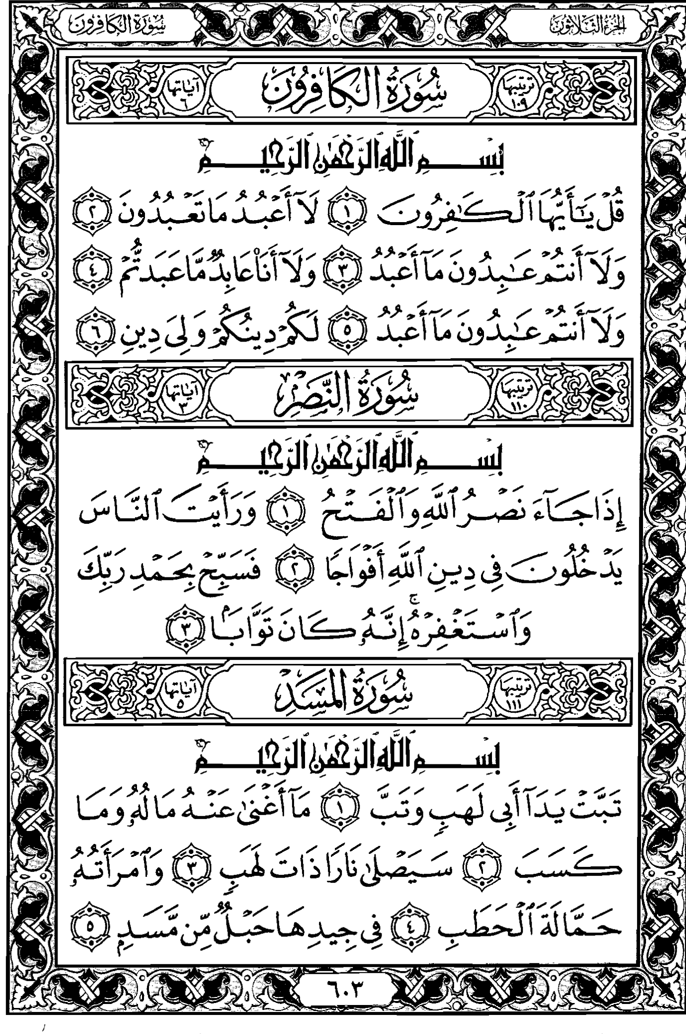
[سورة الكوثر]

مكية . وعدد آياتها ثلاث آيات . وكان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه فإنه رجلٌ أبترٌ لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره . فأنزل الله هذه السُّورة .

[١] ﴿ إنّا أعطَيْناكَ الكَوْثَرَ ﴾ أي الخير الكثير من القرآن والحكمة والنبوّة والدِّين الحقّ والهدى وما فيه سعادة الدّارَيْن..

[٢] ﴿ فصَلِّ لرَبِّكَ وانْحَرْ ﴾ فاجعل صلاتك لربك وحده ، وانحر ذبيحتك مما هو نُسُكٌ لك لله وحده .

[٣] ﴿ إنَّ شانِئَكَ هو الأبْتَرُ ﴾ إنَّ مبغضك يا محمد ، وعدوّك هو الأبتر . يعني الأقل الأذل المنقطع دابره الذي لا عقب له . والشانىء : المبغض . وذهب ابن جني الى تأويل الكوثر بالذريّة الكثيرة لأن قريشاً وأعداء النبي كانوا يقولون إن محمداً أبتر لا عقب له فنزلت.



[سورة الكافرون]

مكية . وعدد آياتها ست آيات .

[١] ﴿ قُلْ يا أيُّها الكافِرونَ ﴾ المشركون الجاحدون للحق .

[٢] ﴿ لا أعْبُدُ ما تعْبُدُونَ ﴾ أي : من الآلهة والأوثان الآن .

[٣]﴿ ولا أنتُمْ عابدُونَ ما أعبُدُ ﴾ الآن .

[٤]﴿ ولا أنا عابِدٌ ﴾ فيما استقبل ﴿ ماعَبَدْتُم ﴾ أي : فيما مضى .

[٥] ﴿ولا أنتُم عابِدونَ﴾ أي فيما تستقبلون أبداً ﴿ما أعبُدُ﴾ أي : الآن وفيما أستقبل .

[٦] ﴿لكُمْ دينُكُم ولِيَ دِينِ﴾ فلا مشاركة بين ديني وبين ما أنتم عليه . وهذه السورة نزلت عندما طلب بعض زعماء قريش من الرسول (ﷺ) أن يعبد ما يعبدون ويعبدون ما يعبد ويشركون في أمرهم كله .

[سورة النصر]

مدنية . وعدد آياتها ثلاث آيات . روى البيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه السورة : (إنّه قد نعيت إليّ نفسي) .

[١] ﴿ إذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ ﴾ لدينه الحق على الباطل ﴿ والفَتْحُ ﴾أي فتح مكّة .

[٢] ﴿ ورأيْتَ النّاسَ يدخلُون في دِينِ اللّهِ أفْواجاً ﴾ طوائف وجماعات لا آحاداً كما كان الأمر في بداية الدعوة .

[٣] ﴿ فسبِّحْ بحَمْدِ ربِّكَ واستَغْفِرْه ﴾ أي اسأله أن يغفر لك ولأصحابك ما كان من القلق والضجر والحزن ، لتأخر زمن النصر والفتح . والاستغفار إنما يكون بالتوبة الخالصة ﴿ إنّهُ كان تَوّاباً ﴾ إنه كثير القبول للتوبة .

[سورة المسد]

مكية . وعدد آياتها خمس آيات . وتسمى سورة « أبي لهب » .

[١] ﴿ تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أي خسرت يداه ، وخسر هو . وأبو لهب أحد عمومة النبي ﷺ ، واسمه عبد العزّى وكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ . ومات على كفره بعد وقعة بدر ولم يشهدها بل أرسل عنه بديلاً .

[٢] ﴿ ما أغْنَى عنْهُ مالُهُ وما كَسَبَ ﴾ أي : أي شيء أغنى عنه ماله وما كسبه من سخط الله عليه وخسرانه ؟

[٣] ﴿ سيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ ﴾ أي : ذات توقد واشتعال وهي نار الآخرة .

[٤] ﴿ وامْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الحَطَبِ ﴾ وستصلاها معه امرأته أيضاً ، وإنما قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام وتمشي بالنميمة . [قال ابن جرير : كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ] . [٥] ﴿ في جِيدِها حبْلٌ من مَسَدٍ ﴾ في عنقها حبل من الليف ، للدلالة على مشقتها يوم القيامة . [وقال ابن جرير : هو حبل جمع من أنواع مختلفة . . . من ليف وحديد ولحاء ، وجعل في عنقها كالقلادة] .



[سورة الإخلاص]

مكية . وعدد آياتها أربع آيات . روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) .

[١] ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ واحد في الألوهيَّة والربوبيَّة .

[٢] ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ الذي يصمد إليه في الحوائج ، ويقصد إليه في الرَّغائب . والصمد: السيد لا أحد فوقه .

[٣] ﴿ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ﴾ لأنه لم يجانسه شيء .

[٤] ﴿ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ ولم يكن أحد يكافئه ، أي يماثله من صاحبة أو غيرها . [روى ابن جرير عن قتادة قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: انسب لنا ربك ، فنزلت ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى ختم السورة] .

[سورة الفلق]

مكية . . وعدد آياتها خمس آيات .

[١] ﴿ قُلْ أَعوذُ بربِّ الفَلَقِ ﴾ أي ألوذ به وألتجىء إليه . قال الحسن : الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنَّوى . وقال بعض المفسرين الفلق: الصبح .

[٢] ﴿ مِن شرِّ ما خَلَقَ ﴾ من ذوات الطبائع والاختبار .

[٣] ﴿ ومِن شرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ ﴾ الغاسق : الليل ، ومعنى وقب : دخل في كل شيء .

[٤] ﴿ ومِن شرِّ النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ ﴾ ومن شرِّ السَّواحر اللاتي ينفثن في عُقَد الخيط حين يَرْقِينَ عليها .

[٥] ﴿ ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾ قال الزمخشري: أي إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود . لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده .

[سورة الناس]

مكية . وعدد آياتها ست آيات . [١] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بربِّ النَّاسِ ﴾ أي ألجأ إليه وأستعين به . ورب الناس : الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره .

[٢] ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ الذي ينفذ فيهم أمره وحكمه وقضاؤه ومشيئته وحده دون غيره .

[٣] ﴿ إِلهِ النَّاسِ ﴾ معبودهم الحقُّ وملاذهم إذا ضاق بهم الأمر . [٤] ﴿ مِن شرِّ الوَسْواسِ ﴾ الشيطان ذي الوسوسة ﴿ الخَنَّاسِ ﴾ الذي عادته أن يخنس ـ أي يتأخَّر ـ إذا ذكر الإنسانُ ربَّه لأنه لا يوسوس إلا مع الغفلة ، وكلما تنبَّه العبدُ فذكر الله خَنَسَ . [٥] ﴿ الذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ النَّاسِ ﴾ بالإلقاء الخفيِّ في النفس إما بصوت خفيٍّ لا يسمعه إلا من ألقي إليه ، وإما بغير صوت . قال ابن تيمية : والوسوسة من جنس الوشوشة . يقال : وشوشه : إذا حدَّثه سرّاً في أُذُنه . [٦] ﴿ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ ﴾ بيان للذي يوسوس على أنه نوعان: نوع من الجنِّ وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم . ونوع من الإنس كالمضللين من أفراد الإنسان .

تم التفسير بفضل الله وتيسيره .

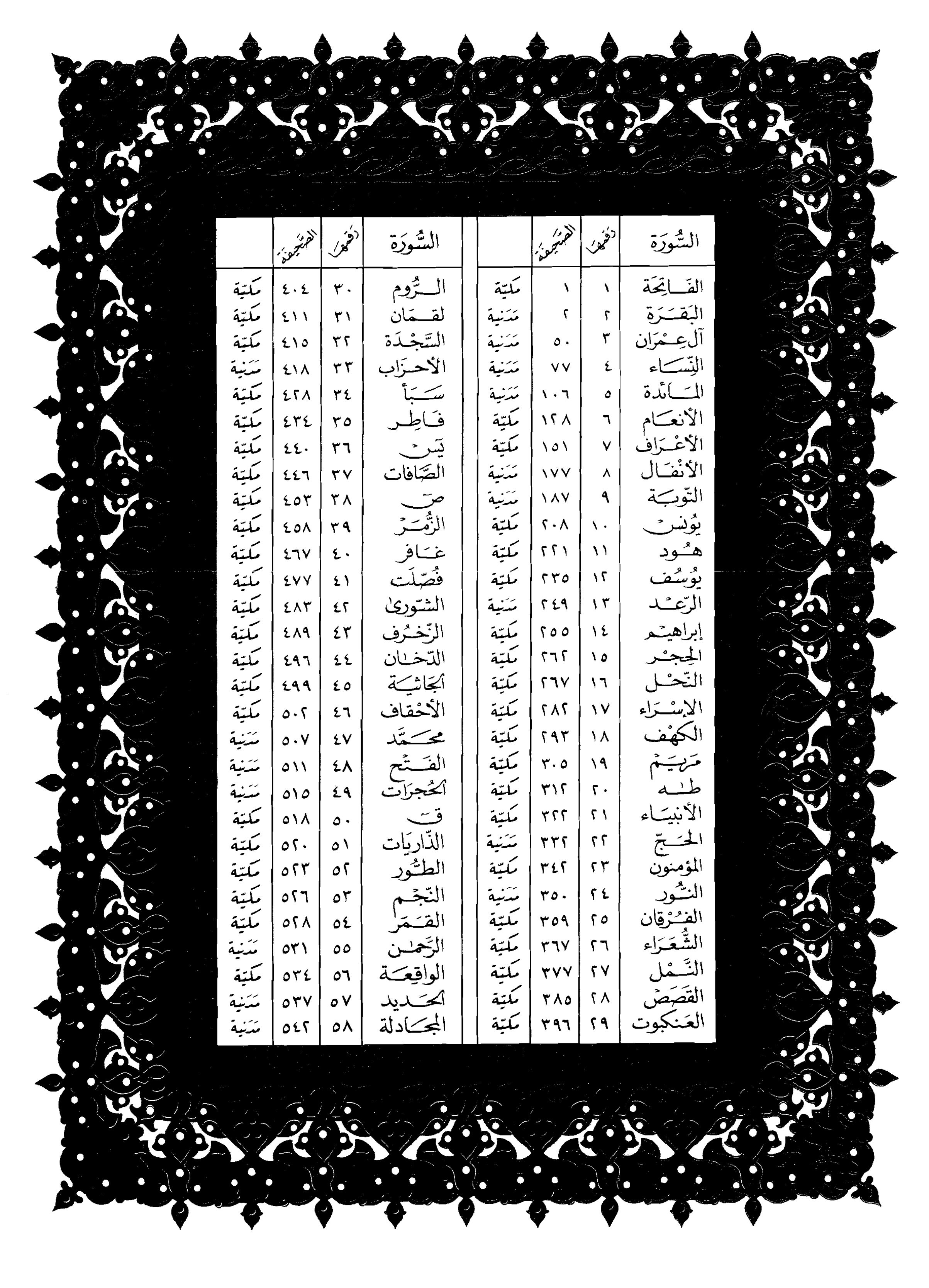


دُعَاءُ خَتْمِ القُرْآنِ

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالقُرْءَانِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى
وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ
وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَارَبَّ
العَالَمِينَ * اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ
لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي
وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي
مِنْ كُلِّ شَرٍّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي
خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً
هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزِي وَلَا فَاضِحٍ * اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ العِلْمِ وَخَيْرَ
العَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ المَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي
وَحَقِّقْ إِيمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِي

وَأَسْأَلُكَ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ
وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ
بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا
وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ * اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ
خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا
بِهَا جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا
بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ
ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي
دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا
مَنْ لَا يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا
فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا





السُّورَة	رقمها	الصفحة	
الحشر	٥٩	٥٤٥	مدنية
الممتحنة	٦٠	٥٤٨	مدنية
الصف	٦١	٥٥١	مدنية
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مدنية
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مدنية
التغابن	٦٤	٥٥٦	مدنية
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مدنية
التحريم	٦٦	٥٦٠	مدنية
الملك	٦٧	٥٦٢	مكية
القلم	٦٨	٥٦٤	مكية
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مكية
المعارج	٧٠	٥٦٨	مكية
نوح	٧١	٥٧٠	مكية
الجن	٧٢	٥٧٢	مكية
المزمل	٧٣	٥٧٤	مكية
المدثر	٧٤	٥٧٥	مكية
القيامة	٧٥	٥٧٧	مكية
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مدنية
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مكية
النبأ	٧٨	٥٨٢	مكية
النازعات	٧٩	٥٨٣	مكية
عبس	٨٠	٥٨٥	مكية
التكوير	٨١	٥٨٦	مكية
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مكية
المطففين	٨٣	٥٨٧	مكية
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مكية
البروج	٨٥	٥٩٠	مكية
الطارق	٨٦	٥٩١	مكية

السُّورَة	رقمها	الصفحة	
الأعلى	٨٧	٥٩١	مكية
الغاشية	٨٨	٥٩٢	مكية
الفجر	٨٩	٥٩٣	مكية
البلد	٩٠	٥٩٤	مكية
الشمس	٩١	٥٩٥	مكية
الليل	٩٢	٥٩٥	مكية
الضحى	٩٣	٥٩٦	مكية
الشرح	٩٤	٥٩٦	مكية
التين	٩٥	٥٩٧	مكية
العلق	٩٦	٥٩٧	مكية
القدر	٩٧	٥٩٨	مكية
البينة	٩٨	٥٩٨	مدنية
الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مدنية
العاديات	١٠٠	٥٩٩	مكية
القارعة	١٠١	٦٠٠	مكية
التكاثر	١٠٢	٦٠٠	مكية
العصر	١٠٣	٦٠١	مكية
الهمزة	١٠٤	٦٠١	مكية
الفيل	١٠٥	٦٠١	مكية
قريش	١٠٦	٦٠٢	مكية
الماعون	١٠٧	٦٠٢	مكية
الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مكية
الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مكية
النصر	١١٠	٦٠٣	مدنية
المسد	١١١	٦٠٣	مكية
الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مكية
الفلق	١١٣	٦٠٤	مكية
الناس	١١٤	٦٠٤	مكية



عَلَامَاتُ الوَقْفِ وَمُصْطَلَحَاتُ الضَّبْطِ :

- مـ تُفِيدُ لُزُومَ الوَقْفِ
- لا تُفِيدُ النَّهْيَ عَنِ الوَقْفِ
- صلے تُفِيدُ بِأَنَّ الوَصْلَ أَوْلَىٰ مَعَ جَوَازِ الوَقْفِ
- قلے تُفِيدُ بِأَنَّ الوَقْفَ أَوْلَىٰ
- ج تُفِيدُ جَوَازَ الوَقْفِ
- ∴ ∴ تُفِيدُ جَوَازَ الوَقْفِ بِأَحَدِ المَوْضِعَيْنِ وَلَيْسَ فِي كِلَيْهِمَا
- ە لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ وَعَدَمِ النُّطْقِ بِهِ
- ۠ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ حِينَ الوَصْلِ
- ۡ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ سُكُونِ الحَرْفِ
- م لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُودِ الإِقْلَابِ
- ً لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ إِظْهَارِ التَّنْوِينِ
- ٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ الإِدْغَامِ وَالإِخْفَاءِ
- ا لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطْقِ بِالحُرُوفِ المَتْرُوكَةِ
- س لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطْقِ بِالسِّينِ بَدَلَ الصَّادِ

  وَإِذَا وُضِعَتْ بِالأَسْفَلِ فَالنُّطْقُ بِالصَّادِ أَشْهَر

- ~ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ لُزُومِ المَدِّ الزَّائِدِ
- ۩ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَوْضِعِ السُّجُودِ ، أَمَّا كَلِمَةُ وُجُوبِ السُّجُودِ

  فَقَدْ وُضِعَ تَحْتَهَا خَطٌّ

- ۞ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ بِدَايَةِ الأَجْزَاءِ وَالأَحْزَابِ وَأَنْصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا
- ﴿٤﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ نِهَايَةِ الآيَةِ وَرَقْمِهَا .



بعون الله وتوفيقه وبحقبة تزيد على سنوات خمس وجهود مضنية من الكتابة والمراقبة والضبط والتدقيق تمت كتابة هذه النسخة الفريدة من القرآن الكريم بما يوافق أصح الأقوال التي أجمع عليها العلماء لرسم المصحف كما أثر عن سيدنا عثمان بن عفان وبما تعارف عليه الحفاظ وبرواية حفص عن عاصم وذلك بإشراف هيئة عليا من كبار علماء بلاد الشام :

سماحة الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله .
فضيلة الأستاذ كريم راجح .
فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود رحمه الله .
الأستاذ مروان سوار .
الأستاذ عزيز عابدين رحمه الله .

وقامت بتدقيق هذا المصحف الشريف ومنحت الإذن بطباعته :

- إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني — الجمهورية العربية السورية
برقم ١٤٤ تاريخ ٥/٢/١٩٧٧ .

- وزارة الإعلام - مديرية الرقابة — الجمهورية العربية السورية
رقم ٦٤٤٤ تاريخ ٢٧/٢/١٩٧٧ .

- إدارة البحوث الإسلامية والنشر في الأزهر — جمهورية مصر العربية
رقم ٣١٣ تاريخ ٣/٦/١٩٧٩ .

- رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — المملكة العربية السعودية
رقم ٥/١٠٠٩ تاريخ ٧/١٠/١٣٩٨ .

- وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية — المملكة الأردنية الهاشمية
رقم ١١/٣٨٩٢ - ٩/٥/١٩٧٩ .

طبع بإذن خاص من الدار الشامية للمعارف
بدمشق



تشرفت بنشر هذا التفسير

دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان ـ بناية صفي الدين ـ الطابق الثالث
هاتف وفاكس : ٨٦١٣٦٧ ـ هاتف : ٨١٠١٩٤
ص ب ١٤/٥١٥٢ بيروت

ودققت هذه الطبعة أيضاً إدارة الشؤون الدينية
بدار الفتوى في الجمهورية اللبنانية
وأعطت الإذن بطبعه وتداوله بالكتاب رقم ٩٤/٧٤٣
تاريخ ٦ شوال ١٤١٤هـ الموافق ١٨/٣/١٩٩٤م

وقد استعمل خط الخطاط عثمان طه
بإذن خاص من الدار الشامية بدمشق.

الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

التنضيد والتنفيذ الفني: **ساموبرس**

الطباعة: **مركز الطباعة الحديثة**

رقم : 94-276

